RAGIP P
Ks No
76

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 60

تفسير الثعالبي
المسمى
بالجواهر الحسان في تفسير القرآن
لعبد الرحمن بن محمد بن
مخلوف الثعالبي

٧٧

تفسير
ثعالبي
١

RAĞIP P.
Ka. Nu.
76

سورة الفاتحة	سورة البقر ٧	سورة العمران ٥٧	سورة النساء ٨٣
سورة المائدة ١٠٦	سورة الانعام ١٢٣	سورة الاعراف ١٤٠	سورة الانفال ١٦١
سورة التوبة ١٧٠	سورة یونس ١٨٣	سورة هود ١٩٠	سورة یوسف ١٩٦
سورة الرعد ٢٠٦	سورة ابراهیم ٢٠٩	سورة الحجر ٢١٤	سورة النحل ٢١٧
سورة بنی اسرائل ٢٢٥	سورة الکهف ٢٣٤	سورة مریم ٢٤٣	سورة طه ٢٤٨
سورة الانبیاء ٢٥٣	سورة الحج ٢٥٨	سورة المؤمنون ٢٦٣	سورة النور ٢٦٨
سورة الفرقان ٢٧٣	سورة الشعراء ٢٧٧	سورة النمل ٢٧٩	سورة القصص ٢٨٣

سورة العنکبوت ٢٨٧	سورة الروم ٢٩٠	سورة لقمان ٢٩٢	سورة السجدة ٢٩٤
سورة الاحزاب ٢٩٥	سورة سباء ٣٠١	سورة فاطر ٣٠٥	سورة یس ٣٠٨
سورة الصافات ٣١٠	سورة ص ٣١٥	سورة الزمر ٣١٩	سورة المؤمن ٣٢٤
سورة فصلت ٣٢٨	سورة الشوری ٣٣٣	سورة الزخرف ٣٣٩	سورة الدخان ٣٤٣
سورة الجاثیة ٣٤٤	سورة الاحقاف ٣٤٦	سورة محمد علیه السلام ٣٤٩	سورة الفتح ٣٥٣
سورة الحجرات ٣٥٦	سورة ق ٣٥٨	سورة والذاریات ٣٦١	سورة الطور ٣٦٣
سورة النجم ٣٦٥	سورة القمر ٣٦٨	سورة الرحمن ٣٧٠	سورة الواقعة ٣٧٢
سورة الحدید ٣٧٥	سورة المجادلة ٣٧٨	سورة الحشر ٣٨١	سورة الممتحنة ٣٨٣

سورة الصّف ٣٨٣	سورة الجمعة ٣٨٤	سورة المنافقون ٣٨٥	سورة التغابن ٣٨٦
سورة الطّلاق ٣٨٦	سورة التّحريم ٣٨٧	سورة الملك ٣٨٩	سورة القلم ٣٩٠
سورة الحاقة ٣٩٢	سورة المعارج ٣٩٣	سورة نوح ٣٩٤	سورة الجنّ ٣٩٥
سورة المزمّل ٣٩٦	سورة المدّثر ٣٩٨	سورة القيمة ٣٩٩	سورة الدّهر ~~٣٩٩~~ ٤٠٠
سورة المرسلات ٤٠٢	سورة النّباء ٤٠٣	سورة والنّازعات ٤٠٤	سورة عبس ٤٠٤
سورة التكوير ٤٠٦	سورة الانفطار ٤٠٦	سورة المطفّفين ٤٠٦	سورة الانشقاق ٤٠٧
سورة البرّوج ٤٠٨	سورة الطّارق ٤٠٨	سورة الاعلى ٤٠٨	سورة الغاشية ٤٠٩
سورة الفجر ٤١٠	سورة البلد ٤١١	سورة والشّمس ٤١١	سورة والليل ٤١٢

سورة والضّحى ٤١٢	سورة الم نشرح ٤١٣	سورة والتّين ٤١٣	سورة العلق ٤١٣
سورة القدر ٤١٤	سورة البيّنة ٤١٤	سورة الزلزال ٤١٥	سورة العاديات ٤١٥
سورة القارعة ٤١٦	سورة التكاثر ٤١٦	سورة العصر ٤١٦	سورة الهمزة ٤١٦
سورة الفيل ٤١٦	سورة قريش ٤١٧	سورة الماعون ٤١٧	سورة الكوثر ٤١٧
سورة الكافرون ٤١٧	سورة النّصر ٤١٧	سورة تبّت ٤١٨	سورة الاخلاص ٤١٨
	سورة الفلق ٤١٨	سورة النّاس ٤١٨	

T. C.
MİLLÎ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı:

RAĞIP P.
Ka. Nu.
76

تفسير ثعالبي المسمى
بالجواهر الحسان في تفسير القرآن

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى آلاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
١١٧٥ وكفى عبده

٧٦

٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما يقول العبد الفقير إلى الله تعالى المعترف بذنبه الراجي رحمة
ربه عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي لطف الله به في الدارين وبالمؤمنين بجاه محمد وآله
الحمد لله رب العالمين وصلوات الله ربنا وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه السادات
الأكرمين والحمد لله الذي من علينا بالإيمان وشرفنا بتلاوة القرآن فأشرقت علينا بحمد الله أنواره
وبدت لذوي المعارف عند التلاوة أسراره وفاضت على العارفين عند التدبر والتأمل بحاره فسبحان
من أنزل على عبده الكتاب وجعله لأهل الفهم المتمسكين به من أعظم الأسباب كتاب أنزلناه إليك
مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب **أما بعد** أيها الأخ أشرق الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين
وجعلني وإياك من أولياء المتقين الذين شرفهم الله بنزل قدسه وأوحشهم من الخليقة بأنسه
وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة وولّه عقولهم في عظمته حيرة
فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون وبين آثار قدرته
وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع إليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله قل الله
ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فإني جمعت لنفسي ولك في هذا المختصر ما أرجو أن يقر الله به عيني وعينك
في الدارين فقد ضمنته بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية وزدته فوائد جمة من غيره من كتب
الأئمة وثقات أعلام هذه الأمة حسبما رأيته أو رويته عن الأثبات وذلك قريب من مائة تأليف وما منها
تأليف إلا وهو منسوب لإمام مشهور بالدين ومعدود في المحققين وكل من نقلت عنه من المفسرين شيئا فمن تأليفه
نقلت وعلى لفظ صاحبه عولت ولم أنقل شيئا من ذلك بالمعنى خوف الوقوع في الزلل وإنما هي عبارات وألفاظ لمن

لمن أعزوها إليه وما انفردت بنقله عن الطبري فمن اختصار الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد اللخمي النحوي
لتفسير الطبري نقلته لأنه اعتنى بتهذيبه وقد أطنب أبو بكر بن الخطيب في حسن الثناء على الطبري ومدح تفسيره
وأثنى عليه غاية نسأل الله تعالى أن يعافينا ويعاملنا وإياهم بحلمه ومنه وكل ما في آخره انتهى فليس ذلك من
كلام ابن عطية بل ذلك مما انفردت بنقله عن غيره ومن أشكل عليه لفظ في هذا المختصر فليراجع الأمهات
المنقول منها فليصلحه منها ولا يصلحه برأيه أو بديهة عقله فيقع في الزلل من حيث لا يشعر وجعلت علامة
التاء لنفسي بدلا من قلت ومن شاء كتبها قلت وأما العين فلابن عطية وما نقلته من الإعراب من غير ابن عطية
فمن الصفاقسي مختصر أبي حيان غالبا وجعلت الصاد علامة عليه وربما نقلت عن غيره معزوا لمن عنه نقلت
وكلما نقلت عن أبي حيان فإنما نقلي له بواسطة الصفاقسي غالبا فقلت الصفاقسي وجعلت علامة ما زدته على
أبي حيان م وما يتفق إن أمكن فعلامته منه قلت وبالجملة فحيث أطلق فالكلام لأبي حيان وما نقلته من الأحاديث الصحاح
والحسان عن غير البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي في باب الأذكار والدعوات فأكثره من النووي وسلاح المؤمن
وفي الترغيب والترهيب وأحوال الآخرة فمعظمه من التذكرة للقرطبي والعاقبة لعبد الحق وربما زدت زيادات كثيرة
من مصابيح البغوي وغيره كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى كل ذلك معزو لمحاله وبالجملة فكتابي هذا بنفائس الحكم محشو م
وجواهر السنن الصحيحة والحسان المأثورة عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب
التقصي وأولى الأمور بمن نصح نفسه وألهم رشده معرفة السنن التي هي البيان لمجمل القرآن بها يوصل إلى مراد الله
تعالى من عباده فيما تعبدهم به من شرائع دينه الذي به الابتلاء وعليه الجزاء في دار الخلود والبقاء التي لها سعى
أولو الألباب العقلاء والعلماء الحكماء فمن من الله عليه بحفظ السنن والقرآن فقد جعل بيده لواء الإيمان
فإن فقه وفهم واستعمل ما علم دعي في ملكوت السموات عظيما ونال فضلا جسيما انتهى والله أسأل أن
يجعل هذا السعي خالصا لوجهه وعملا صالحا يقربنا إلى مرضاته وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم **وسميته** بالجواهر الحسان في تفسير القرآن أسأل الله أن ينفع به كل من حصله وصلى
الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وها أنا إن شاء الله أشرع في المقصود وألتقط من كلام ابن عطية ما ستقف
عليه من النبذ الحسنة المختارة ما تقر به العين وإذا نقلت شيئا من غيره عزوته لصاحبه كما تقدم قال **ع**
رحمه الله تعالى بعد كلام في أثناء خطبته ولما أردت أن أختار لنفسي وأنظر في علم أعد أنواره لظلم رمسي سبرت
العلوم بالتنويع والتقسيم وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم فوجدت أمتنها حبالا وأرسخها جبالا وأجملها
آثارا وأسطعها أنوارا علم كتاب الله جلت قدرته وتقدست أسماؤه الذي لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذي استقل بالسنة والفرض ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض أمين م
وأيقنت أنه أعظم العلوم تقريبا إلى الله تعالى وتخليصا للنيات ونهيا عن الباطل وحضا على الصالحات إذ ليس من
علوم الدنيا فيختل حامله من منازلها صيدا ويمشي في التلطف لها رويدا ورجوت أن الله تعالى يحرم على النار
فكرا عمرت أكثر عمره معانيه ونفسا ميزت براعة رصفه ومبانيه **م** قال قال الله تعالى إنا سنلقي عليك قولا
ثقيلا قال المفسرون أي علم معانيه والعمل بها وقد قال صلى الله عليه وسلم قيدوا العلم بالكتاب فقرعت
إلى التعليق ما يتخيل لي في المناظرة من علم التفسير قال والتقدم بين يدي القول في التفسير أشياء قد
قدم أكثرها المفسرون وأشياء ينبغي أن تكون راسخة في حفظ الناظر في هذا العلم مجمعة لذهنه

باب في فضل القرآن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ستكون فتن كقطع الليل المظلم قيل فما النجاة منها يا رسول الله قال كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو فصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تتشعب معه الآراء ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الاتقياء من علم علمه سبق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن اعتصم به فقد هدي الى صراط مستقيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد علوم الاولين والآخرين فليثور القرآن وقال صلى الله عليه وسلم ان الذي يتعاهد القرآن ويشتد عليه له اجران والذي يقرؤه وهو خفيف عليه مع السفرة الكرام البررة وقال صلى الله عليه وسلم اتلوا هذا القرآن فان الله يأجركم بالحرف منه عشر حسنات اما اني لا اقول الم حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف وقال صلى الله عليه وسلم ما من شفيع افضل عند الله من القرآن لا نبي ولا ملك وقال صلى الله عليه وسلم افضل عبادة امتي القرآن وحدث انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يكتب من الغافلين ومن قرأ ثلاثمائة آية لم يحاجه القرآن قال الشيخ محيي الدين شرف النووي اعلم ان قراءة القرآن آكد الاذكار وافضلها فينبغي المداومة عليها فلا يخلو عنها يوما وليلة ويحصل له اصل القراءة بقراءة الآيات القليلة والمطلوب القراءة بالتدبر والخشوع والخضوع وقد روينا في كتاب ابن السني عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ خمسين آية لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر وفي رواية من قرأ اربعين آية بدل خمسين وفي رواية عشرين آية وفي رواية عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين وجاء في الباب احاديث كثيرة بنحو هذا انتهى من الحلية وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القرآن شافع مشفع وماحل مصدق ومن شفع له القرآن نجى ومن محل به القرآن يوم القيمة كبه الله لوجهه في النار واحق من شفع له القرآن اهله وحملته واولى من محل به من عدل عنه وضيعه وقال قوم من الانصار للنبي صلى الله عليه وسلم الم تر يا رسول الله ثابت بن قيس لم تزل داره البارحة تزهر فيها وحولها امثال المصابيح فقال لهم فلعله قرأ سورة البقرة فسئل ثابت بن قيس فقال نعم قرأت سورة البقرة وفي هذا المعنى حديث صحيح عن اسيد بن حضير في تنزل الملائكة في الظلة لصوته بقراءة سورة البقرة ت بل الصواب سورة الكهف وهذا الحديث خرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي انتهى وقال عقبة بن عامر عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال عليكم بالقرآن وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ان من اشراط الساعة ان يبسط القول ويخزن الفعل ويرفع الاشرار ويوضع الاخيار وان تقرأ المثناة على رؤوس الناس لا تغير قيل وما المثناة قال ما استكتبت من غير كتاب الله قيل بما جاء من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اخذ تموه عمن تأمنونه على نفسه ودينه فاعقلوه وعليكم بالقرآن فتعلموه وعلموه ابناءكم فانكم عنه تسألون وبه تجزون وكفى به واعظا لمن عقل وقال رجل لعبد الله بن مسعود اوصني فقال اذا سمعت الله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا فارعها سمعك فانه خير يأمر به او شر ينهى عنه وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن احسن الناس قراءة او صوتا بالقرآن فقال الذي اذا سمعته رأيته يخشى الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اقرؤوا

القرآن قبل ان يجيء قوم يقيمونه كما يقام القدح ويضيعون معانيه يتعجلون اجره ولا يتأجلونه وروي ان اهل اليمن لما قدموا ايام ابي بكر الصديق رضي الله عنه سمعوا القرآن فجعلوا يبكون فقال ابو بكر هكذا كنا ثم قست القلوب وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فأن انة عيد منها عشرين يوما قال القرظي في التذكرة وما تقرب المتقربون الى الله تعالى بشيء مثل القرآن قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين رواه الترمذي انتهى ت ولفظ الترمذي عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرب عز وجل من شغله القرآن وذكري عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب وعن عبد الله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يفقه من قرأ القرآن في اقل من ثلاث قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى وعمدة الامر التدبر والتفهم فقليل القراءة مع التفهم افضل من كثيرها من غير تفهم وهذا الذي عليه المحققون والذي يدل عليه القرآن وصحيح الآثار ولولا الاطالة لاتينا من ذلك بما يثلج له الصدر وقد ذكر بعض شراح الرسالة في الذي يقرأ من غير تأمل ولا تفهم هل له اجر ام لا قولان وهذا الخلاف والله اعلم في غير المتعلم والقول بعدم الاجر على ضعفه هو ظاهر ما حكاه عياض في المدارك عن الشبلي في قصته مع الامام المقري وبالجملة فالتدبر والتفهم هو الذي يحصل معه الانابة والخشوع وكل خير ونقل الباجي في سنن الصالحين عن محمد بن كعب القرظي قال لان اقرأ في ليلتي حتى اصبح باذا زلزلت وبالقارعة لا ازيد عليهما واتردد فيهما واتفكر احب الي من ان اهذ القرآن ليلتي هذا او قال انثره نثرا ونحوه عن مجاهد وغيره وعن ابن عباس قال ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه انتهى قال ابن ابي جمرة والمرغب فيه التدبر في القراءة وان قلت خير من كثرة القراءة بلا تدبير وفائدة التدبر هو ان تعرف معنى ما تتلوه من الآي انتهى وقال الحسن بن ابي الحسن انكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا تركبونه فتقطعون به المراحل وان من كان قبلكم رأوا رسائل اليهم من ربهم فكانوا يتدبرونه بالليل وينفذونه بالنهار وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول انزل عليهم القرآن ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان احدهم ليتلو القرآن من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به وقال ع قال الله عز وجل ولقد يسرنا القرآن للذكر وقال تعالى سنلقي عليك قولا ثقيلا اي علم معانيه والعمل به والقيام بحقوقه ثقيل فمال الناس الى الميسر وتركوا الثقيل وهو المطلوب منهم وقيل ليوسف بن اسباط باي شيء تدعو اذا ختمت القرآن فقال استغفر الله من تلاوتي لاني اذا ختمته وتذكرت ما فيه من الاعمال خشيت المقت فاعدل الى الاستغفار والتسبيح وقرأ رجل القرآن على بعض العلماء قال فلما ختمته اردت الرجوع من اوله فقال اتخذت القرآن علي عملا اذهب فاقرأه على الله تعالى في ليلك وانظر ماذا يفهمك منه قال الغزالي في كتاب التفكر واما طريق الفكر الذي تطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب الاحوال المحمودة والنزوع عن صفات مذمومة فلا يوجد فيه انفع من قراءة القرآن بالفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال وفيه شفاء للعالمين وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الاحوال المحمودة وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة فينبغي ان يقرأه العبد ويردد الآية التي هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد اخرى ولو ليلة كاملة فقراءة آية بتفكر وفهم خير من ختمة بغير تدبر وفهم فان تحت كل كلمة منه

اسرارا لا تنحصر ولا يوقف عليها الا بدقيق الفكر عن صفا القلب بعد صدق المعاملة وكذلك حكم
مطالعة اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم فكل كلمة من
كلماته بحر من بحور الحكمة لو تأمله العالم حق تأمله لم ينقطع فيه نظره طول عمره وشرح احاديث الآيات
والاخبار يطول وانظر قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت
فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فان هذه الكلمات جامعة
لعلوم الاولين والآخرين وهي كافية للمتأملين ولو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين
لاستغرقتهم ولحالت بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية انتهى من الاحياء باب في
فضل تفسير القرآن واعرابه قال النبي صلى الله عليه وسلم اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه قال
ابو العالية في تفسير قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
قال الحكمة الفهم في القرآن وقال قتادة الحكمة القرآن والتفقه فيه وقال غيره الحكمة تفسير
القرآن وقال الشعبي رحل مسروق الى البصرة في تفسير آية فقيل له ان الذي يفسرها رحل الى الشام فتجهز ورحل
اليه حتى علم تفسيرها وذكر علي بن ابي طالب رضي الله عنه جابر بن عبد الله فوصفه بالعلم فقال له رجل
جعلت فداك تصف جابرا بالعلم وانت انت فقال انه كان يعرف تفسير قوله تعالى ان الذي فرض عليك
القرآن لرادك الى معاد وقال اياس بن معاوية مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل
قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلا وليس عندهم مصباح فتداخلهم روعة لا يدرون ما في الكتاب
ومثل الذي يعرف التفسير كرجل جاءهم بمصباح فقرؤوا ما في الكتاب وقال ابن عباس الذي يقرأ
ولا يفسر كالاعرابي الذي يهذ الشعر وقال مجاهد احب الخلق الى الله اعلمهم بما انزل وقال الحسن
والله ما انزل الله آية الا احب ان يعلم فيما انزلت وما يعني وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة فصل فيما قيل في الكلام في تفسير
القرآن والجرأة عليه ومراتب المفسرين روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يفسر من كتاب الله الا آيا بعدد علمهن اياه جبريل عليه السلام قال ع ومعنى
هذا الحديث في مغيبات القرآن وتفسير مجمله ونحو هذا مما لا سبيل اليه الا بتوقيف من الله تعالى
ومن جملة مغيباته ما لم يعلم الله به عباده كوقت قيام الساعة ونحوها ومنها ما يستقرأ من الفاظه
كعدد النفخات في الصور وكرتبة خلق السموات والارض وروي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من تكلم في القرآن برأيه فاصاب فقد اخطأ ومعنى هذا ان يسأل الرجل عن معنى في
كتاب الله فيتسور عليه برأيه دون نظر فيما قال العلماء او اقتضته قوانين العلوم كالنحو
والاصول وليس يدخل في هذا الحديث ان يفسر اللغويون لغته والنحاة نحوه والفقهاء معانيه
ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر فان هذا القائل على هذه الصفة ليس قائلا
بمجرد رأيه وكان جملة من السلف كسعيد بن المسيب وعامر الشعبي وغيرهما يعظمون تفسير القرآن
ويتوقفون عنه تورعا واحتياطا لانفسهم مع ادراكهم وتقدمهم وكان جملة من السلف
كثير عددهم يفسرونه وهم ابقوا على المسلمين رضي الله عنهم اجمعين ت وخرج
ابو عيسى الترمذي في جامعه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار قال ابو عيسى هذا حديث

حسن

حسن صحيح وخرج ايضا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الحديث عني الا ما علمتم
فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار قال
ابو عيسى هذا حديث حسن وخرج عن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن
برأيه فاصاب فقد اخطأ قال ابو عيسى هكذا روي عن بعض اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم وغيرهم انهم شددوا في هذا ان يفسر القرآن بغير علم واما الذي روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما
من اهل العلم انهم فسروا القرآن فليس الظن بهم انهم قالوا في القرآن وفسروه بغير علم نا الحسين بن مهدي
البصري نا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال ما في القرآن آية الا وقد سمعت فيها بشيء ونا ابن ابي عمر نا
سفيان بن عيينة عن الاعمش قال قال مجاهد لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم احتج الى ان
اسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت انتهى ما نقلته من الترمذي ثم قال ع فاما صدر المفسرين
والمؤيد فيهم فعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه ويتلوه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو تجرد للامر
وكمله وتتبعه العلماء عليه كمجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما والمحفوظ عنه في ذلك اكثر من
المحفوظ عن علي بن ابي طالب وقال ابن عباس ما اخذت من تفسير القرآن فعن علي بن ابي طالب وكان
علي بن ابي طالب يثني على تفسير ابن عباس ويحض على الاخذ عنه وكان عبد الله بن مسعود يقول نعم ترجمان
القرآن عبد الله بن عباس وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه في
الدين وعلمه التأويل وحسبك بهذه الدعوة ويتلوه عبد الله بن مسعود وابي بن كعب وزيد
بن ثابت وعبد الله بن عمرو بن العاص وكل ما اخذ عن الصحابة فحسن متقدم ومن المبرزين في التابعين
الحسن بن ابي الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وعلقمة قرأ مجاهد على ابن عباس قراءة تفهم ووقوف
عند كل آية ويتلوهم عكرمة والضحاك بن مزاحم وان كان لم يلق ابن عباس وانما اخذ عن ابن جبير واما السدي
رحمه الله تعالى فكان عامر الشعبي يطعن عليه وعلى ابي صالح لانه كان يراهما مقصرين في النظر
ثم حمل كتاب الله تعالى عدول كل خلف والف الناس فيه كعبد الرزاق والمفضل وعلي بن ابي طلحة
والبخاري وغيرهم ثم ان محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى جمع على الناس اشتات التفسير وقرب البعيد وشفى
في الاسناد ومن المبرزين في المتأخرين ابو اسحاق الزجاج وابو علي الفارسي فان كلامهما منحول وأما
ابو بكر النقاش وابو جعفر النحاس رحمهما الله تعالى فكثيرا ما استدرك الناس عليهما وعلى سننهما مكي بن
ابي طالب رحمه الله تعالى وابو العباس المهدوي رحمه الله تعالى متقن التأليف وكلهم مجتهد مأجور رحمهم الله تعالى
ونضر وجوههم فصل واختلف الناس في معنى قوله صلى الله عليه وسلم انزل القرآن على سبعة
احرف فاقرؤوا ما تيسر منه ثم قال ع بعد كلام والذي مال اليه كثير من اهل العلم كابي عبيد وغيره ان معنى
الحديث انه انزل على سبع لغات لسبع قبائل ثم اختلفوا في تعيينهم وانا اخص الغرض جهد مجهول الله فاصل ذلك
وفي عدة قريش ثم بنو سعد بن بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم قرشي واسترضع في بني سعد ونشأ
فيهم ثم تميم وقيس وهو تخالط الساكنين وهذيلا وثقيفا وخزاعة واسدا وضبة
والفافها لقربهم من مكة وتكرارهم عليها ثم بعدهم تميما وقيسا ومن انضاف اليهم وسط جزيرة
العرب فلما بعثه الله تعالى ويسر عليه امر الاحرف انزل عليه القرآن بلغة هذه الجملة المذكورة وهي التي
قسمها على سبعة لغات سبعة الاحرف واختلافها فانها في العبارة قال ثابت بن قاسم لو قلنا من هذه الاحرف

او من قبل انفسهم وقد روي عنهم ما يدل على ما قلنا انهم
لم يقولوا من قبل انفسهم بغير علم

بقريش ومنها الكنانة ومنها الاسد ومنها الهذيل ومنها التميم ومنها الضبة والفافها ومنها القيس
فقد كانت على قبائل مضر في قراءات سبعة تستوعب اللغات التي نزل بها القرآن ونحو هذا ما ذكرناه
وهذه الجملة هي التي انتهت اليها الفصاحة وسلمت لغاتها من الدخل ويسرها الله لذلك ليظهر آية
نبيه بعجزها عن معارضة ما انزل عليه وسبب سلامتها انها في وسط جزيرة العرب في الحجاز
ونجد وتهامة فلم تطرقها الامم فاما اليمن وهو جنوبي الجزيرة فافسدت كلام عربه خلطة
الحبشة والهنود على ان ابا عبيد القاسم بن سلام وابو العباس المبرد قد ذكرا ان عرب اليمن من
القبائل التي نزل القرآن بلغاتها قال ع وذلك عندي انما هو فيما استعملته عرب
الحجاز من لغة اليمن كالعرم والفتاح فاما ما انفردوا به كالزخيخ والعلوب فليس في كتاب الله
منه شيء واما ما ولي العراق من جزيرة العرب وهي بلاد ربيعة وشرقي الجزيرة فافسدت
لغتها مخالطة الفرس والنبط ونصارى الحيرة وغير ذلك واما الذي يلي الشام وهي شمالي
الجزيرة وهي بلاد آل جفنة وغيرهم فافسدها مخالطة الروم وكثير من بني اسرائيل فاما
غربي الجزيرة فهي جبال يسكن بعضها هذيل وغيرهم واكثرها غير معمور فبقيت القبائل المذكورة
سليمة اللغات لم يكدر صفوها خلطة امة من العجم ويقوي هذا المنزع انه لما اتسع نطاق الاسلام وداخلت
الامم العرب وتجرد اهل المصرين البصرة والكوفة لحفظ لسان العرب وكتب لغتها لم يأخذوا الا
من هذه القبائل الوسطة المذكورة ومن كان معها وتجنبوا اليمن والعراق والشام فلم يكتب عنهم حرف
واحد وكذلك تجنبوا حواضر الحجاز مكة والمدينة والطائف لان السبي والتجار من الامم كثروا
بها فافسدوا اللغة وكانت هذه الحواضر في مدة النبي صلى الله عليه وسلم سليمة لقلة المخالطة فمعنى
قول النبي صلى الله عليه وسلم انزل القرآن على سبعة احرف اي فيه عبارات سبع قبائل بلغة جملتها نزل
القرآن فيعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة قريش ومرة بعبارة هذيل ومرة بغير ذلك بحسب الافصح والاوجز
في اللفظة الا ترى ان فطر معناها عند قريش ابتدأ الخلق ثم عمله فجاءت في القرآن فلم تتجه
لابن عباس حتى اختصم اليه اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها قال ابن عباس ففهمت حينئذ موضع
قوله سبحانه فاطر السموات والارض وقال ايضا ما كنت ادري معنى قوله ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق حتى سمعت بنت ذي جدن تقول لزوجها تعال افاتحك اي احاكمك وكذلك قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وكان لا يفهم معنى قوله او يأخذهم على تخوف فوقف به فتى فقال ان ابي
يتخوفني حقي فقال الله اكبر او يأخذهم على تخوف اي على تنقص لهم وكذلك اتفق لقطبة بن مالك
اذ سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الصلاة والنخل باسقات ذكره مسلم في باب القراءة في
صلاة الفجر الى غير هذا من الامثلة فاباح الله تعالى لنبيه عليه السلام هذه الحروف السبعة
وعارضه بها جبريل في عرضاته على الوجوه التي فيها الاعجاز وجودة الرصف ولم تقع الاباحة
في قوله فاقرأوا ما تيسر منه بان يكون كل واحد من الصحابة اذا اراد ان يبدل اللفظة اذ
من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه ولو كان هذا لذهب اعجاز القرآن وكان معرضا ان يبدل
هذا وهذا حتى يكون غير الذي نزل من عند الله وانما وقعت الاباحة في الحروف السبعة للنبي صلى
الله عليه وسلم ليوسع بها على امته فقرأ مرة لابي بما عارضه به جبريل ومرة لابن مسعود بما عارضه

به ايضا وفي صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اقرأني جبريل على حرف فراجعته
فلم ازل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف **فصل** في الالفاظ التي في القرآن
مما للغات العجم بها تعلق اختلف الناس في هذه المسألة فقال ابو عبيدة وغيره ان في كتاب الله تعالى
من كل لغة وذهب الطبري وغيره الى ان القرآن ليس فيه لفظة الا وهي عربية صريحة وان الامثلة والحروف
التي تنسب الى اللغات انما اتفق فيها توارد اللغتين فتكلمت العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد وذلك
مثل قوله تعالى ان ناشئة الليل قال ابن عباس نشأ بلغة الحبشة قام من الليل ومنه قوله تعالى يؤتكم
كفلين من رحمته قال ابو موسى الاشعري كفلان ضعفان من الاجر بلسان الحبشة وكذلك قال ابن عباس
في القسورة انه الاسد بلغة الحبشة الى غير هذا من الامثلة قال ع والذي اقوله ان القاعدة والعقيدة
هي ان القرآن بلسان عربي مبين وليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب فلا تفهمها الا من لسان آخر
فاما هذه الالفاظ وما جرى مجراها فانه قد كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة
لسائر الالسنة بتجارات وبسفر الى الشام وارض الحبشة فعلقت العرب بهذا كله الفاظا اعجمية غيرت
بعضها بالنقص من حروفها وجرت الى تخفيف ثقل العجمة واستعملتها في اشعارها ومحاوراتها حتى
جرت مجرى العربي الصريح ووقع بها البيان وعلى هذا الحد نزل بها القرآن فان جهلها عربي ما فكجهله
الصريح مما في لغة غيره كما لم يعرف ابن عباس معنى فاطر الى غير ذلك فحقيقة العبارة عن هذه الالفاظ
انها في الاصل اعجمية لكن استعملتها العرب وعربتها فهي عربية بهذا الوجه وما ذهب اليه الطبري من
ان اللغتين اتفقتا في لفظة فذلك بعيد بل احدهما اصل والاخرى فرع في الاكثر لانا لا ندفع ايضا
جواز الاتفاق قليلا شاذا **باب** تفسير اسماء القرآن وذكر السورة والاية **هو** القرآن
وهو الكتاب وهو الفرقان وهو الذكر فالقرآن مصدر من قولك قرأ الرجل اذا تلا يقرأ قرآنا
وقراءة قال قتادة القرآن معناه التأليف قرأ الرجل اذا جمع والف قولا وبهذا فسر قتادة
قوله ان علينا جمعه وقرآنه اي تأليفه والقول الاول اقوى ان القرآن مصدر من قرأ اذا تلى
ومنه قول حسان بن ثابت يرثي عثمان رضي الله عنه نظم ضحوا باشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرآنا
واما الكتاب فهو مصدر من كتب اذا جمع ومنه قيل كتيبة لاجتماعها ومنه قول الشاعر
واكتبها باسيار اي جمعها واما الفرقان فهو ايضا مصدر لانه فرق بين الحق والباطل والمؤمن
والكافر فرقا وفرقانا واما الذكر فسمي بذلك لانه ذكر به الناس آخرتهم والههم وما كانوا في غفلة عنه
فهو ذكر لهم وقيل سمي بذلك لان فيه ذكر الامم الماضية والانبياء وقيل سمي بذلك لانه ذكر وشرف لمحمد
صلى الله عليه وسلم وقومه وسائر العلماء واما السورة فان قريشا كلها ومن جاورها من قبائل
العرب كهذيل وسعد بن بكر وكنانة يقولون سورة بغير همزة وتميم كلها وغيرهم يهمزون فاما
من همز فهي عنده كالبقية من الشيء والقطعة منه التي هي سؤر وسؤرة من اسأر اذا ابقى ومنه
سؤر الشراب واما من لا يهمز فمنهم من يراها من المعنى المتقدم الا انها سهلت همزتها ومنهم من
يراها مشبهة بسورة البناء اي القطعة منه لان كل بناء فانما يبنى قطعة بعد قطعة وكل قطعة
منها سورة فكأن سور القرآن هي قطعة بعد قطعة حتى كمل منها القرآن ويقال ايضا للرتبة
الرفيعة من المجد والملك سورة ومنه قول النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر نظم

الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

فكان الرشد انبتت حتى كملت واما الاية فهي العلامة في كلام العرب ولما كانت الجملة التامة
من القران علامة على صدق الاتي بها وعلى عجز المتحدى بها سميت اية هذا قول بعضهم وقيل سميت اية لما كانت
جملة وجماعة كلام كما تقول العرب جئنا باياتنا اي بجماعتنا وقيل لما كانت علامة للفصل
بين قبلها وما بعدها سميت اية ت وقوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح اية المنافق ثلاث اذا
حدث كذب الحديث واية الايمان حب الانصار واية ما بيننا وبين المنافقين شهود العشاء
يقوي القول الاول والله اعلم وهذا هو الراجح في مختصر الطبري قال والاية العلامة وذلك الاظهر في
العربية والقران واصح القولين ان ايات القران علامات للايمان وطاعة الله ودلالات على وحدانيته
وارسال رسله وعلى البعث والنشور وامور الاخرة وغير ذلك مما تضمنته علوم القرآن انتهى

باب في الاستعاذة

قال الله عز وجل فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم معناه
اذا اردت ان تقرا القران فاوقع الماضي موقع المستقبل لثبوته واجمع العلماء على ان قول القارئ
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ليس باية من كتاب الله واجمعوا على استحسان ذلك والتزامه عند كل
قراءة في غير الصلاة واختلفوا في التعوذ في الصلاة فابن سيرين والنخعي وقوم يتعوذون في كل ركعة
ويمتثلون امر الله سبحانه بالاستعاذة على العموم في كل قراءة وابو حنيفة والشافعي يتعوذان في الركعة
الاولى من الصلاة ويريان قراءة الصلاة كلها كقراءة واحدة ومالك رحمه الله تعالى لا يرى التعوذ في
الصلاة المفروضة ويراه في قيام رمضان ولم يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تعوذ في صلاة واما
لفظ الاستعاذة فالذي عليه جمهور الناس هو لفظ كتاب الله تعالى اعوذ بالله من الشيطان الرجيم و
اما المقرئون فاكثروا في هذا من تبديل الصفة في اسم الله تعالى وفي الجهة الاخرى كقول بعضهم
اعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد ونحو هذا مما لا اقول فيه نعمت البدعة ولا اقول انه
لا يجوز ومعنى الاستعاذة الاستجارة والتحيز الى الشيء على وجه الامتناع به من المكروه واما
الشيطان فاختلف في اشتقاقه فقال الحذاق هو فيعال من شطن اذا بعد لانه بعد عن الخير
والرحمة واما الرجيم فهو فعيل بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول وجريح ومعناه انه
رجم باللعنة والمقت وعدم الرحمة

باب في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم

روي ان رجلا قال بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم تعس الشيطان فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تقل ذلك فانه يتعاظم عنده ولكن قل بسم الله الرحمن الرحيم فانه يصغر
حتى يصير اقل من ذباب والبسملة تسعة عشر حرفا قال بعض الناس ان رواية بلغتهم ان ملائكة
النار الذين قال الله فيهم عليها تسعة عشر انما ترتب عددهم على حروف بسم الله الرحمن الرحيم
لكل حرف ملك وهم يقولون في كل افعالهم بسم الله الرحمن الرحيم فمن هنالك هي قوتهم وباسم الله
استضلعوا قال ع وهذا من ملح التفسير وليس من متين العلم ت ولا يخفى عليك لين ما بلغ
هؤلاء ولقد اغنى الله بصحيح الاحاديث وحسنها عن موضوعات الوراقين فجزى الله نقاد الائمة عنا خيرا
وما جاء من الاثر عن جابر وابي هريرة مما يقتضي بظاهره ان البسملة اية من الفاتحة يرده صحيح
الاحاديث كحديث انس وابي بن كعب وحديث قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ونحوها ولم يحفظ
قط عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الخلفاء بعده انهم يبسملون في الصلاة ع والباء في بسم الله
متعلقة عند نحاة البصرة باسم تقديره ابتدائي مستقر او ثابت بسم الله وعند نحاة الكوفة بفعل

تقديره ابتدأت بسم الله واسم اصله سمو بكسر السين او سمو بضمها وهو عند البصريين مشتق من السمو
وهو العلو والارتفاع قال ص والاسم هو الدال بالوضع على موجود في العيان ان كان محسوسا وفي الاذهان
ان كان معقولا من غير تعرض ببنيته للزمان ومدلوله هو المسمى والتسمية جعل ذلك اللفظ دليلا
على ذلك المعنى فهي امور ثلاثة متباينة فاذا اسندت حكما الى لفظ اسم فتارة يكون حقيقة نحو زيد
اسم ابنك وتارة يكون مجازا وهو حيث يطلق الاسم ويراد به المسمى كقوله تعالى تبارك اسم ربك وسبح اسم ربك
وتاول السهيلي سبح اسم ربك على اقحام الاسم اي سبح ربك وانما ذكر الاسم حتى لا يخلو التسبيح من اللفظ
باللسان لان الذكر بالقلب متعلقه المسمى والذكر باللسان متعلقه اللفظ وتاول قوله تعالى ما تعبدون
من دونه الا اسماء بانها اسماء كاذبة غير واقعة على الحقيقة فكانهم لم يعبدوا الا الاسماء التي اخترعوها
انتهى وقال الكوفيون اصل اسم وسم من السمة وهي العلامة لان الاسم علامة لمن وضع له والمكتوبة التي لفظها
الله ابهر اسماء الله تعالى واكثرها استعمالا وهو المتقدم لسائرها في الاغلب وانما تجيء الاخر اوصافا
وحذفت الالف الاخيرة من الله لئلا يشتكل بخط اللاه وقيل طرحت تخفيفا والرحمن صفة
مبالغة من الرحمة معناها انه انتهى الى غاية الرحمة وهي صفة تختص بالله تعالى ولا تطلق على البشر وهي ابلغ
من فعيل وفعيل ابلغ من فاعل لان راحما يقال لمن رحم ولو مرة ورحيم يقال لمن كثر منه ذلك
والرحمن النهاية في الرحمة

تفسير فاتحة الكتاب

بعون الله تعالى وقوته قال ابن عباس وغيره انها مكية
ويؤيد هذا ان في سورة الحجر ولقد آتيناك سبعا من المثاني والحجر مكية باجماع وفي حديث ابي بن كعب
انها السبع المثاني ولا خلاف ان فرض الصلاة كان بمكة وما حفظ انه كانت قط في الاسلام صلاة بغير
الحمد لله رب العالمين وروي عن ابن يسار وغيره انها مدنية واما اسماؤها فلا خلاف انه يقال لها
فاتحة الكتاب واختلف هل يقال لها ام الكتاب فكره ذلك الحسن بن ابي الحسن واجازه ابن عباس
وغيره وفي تسميتها بام الكتاب حديث رواه ابو هريرة واختلف هل يقال لها ام القرآن فكره ذلك
ابن سيرين وجوزه جمهور العلماء وسميت المثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل لانها استثنيت
لهذه الامة واما فضل هذه السورة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي بن كعب
انها لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الفرقان مثلها وروي انها تعدل ثلثي القرآن وهذا
العدل اما ان يكون في المعاني واما ان يكون تفضيلا من الله لا يعلل وكذلك يجيء عدل قل هو الله
احد وعدل اذا زلزلت وغيرها ت ونحو حديث ابي حديث ابي سعيد بن المعلى اذ قال له صلى الله
عليه وسلم الا اعلمك اعظم سورة في القرآن الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته
رواه البخاري وابو داود والنسائي وابن ماجه انتهى من سلاح المؤمن من تاليف الشيخ المحدث ابو الفتح
تقي الدين محمد بن علي بن همام رحمه الله تعالى الحمد معناه الثناء الكامل والالف واللام فيه لاستغراق
الجنس من المحامد وهو اعم من الشكر لان الشكر انما يكون على فعل جميل يسدى الى الشاكر والحمد المجرد هو ثناء
بصفات المحمود قال ص وهل الحمد بمعنى الشكر او الحمد اعم او الشكر ثناء على الله تعالى بافعاله والحمد ثناء
باوصافه ثلاثة اقوال انتهى قال الطبري الحمد لله ثناء اثنى به على نفسه تعالى وفي ضمنه امر عباده ان يثنوا به عليه
فكانه قال قولوا الحمد لله وعلى هذا يجيء قولوا اياك واهدنا قال وهذا من حذف العرب ما يدل ظاهر
الكلام عليه وهو كثير والرب في اللغة المعبود والسيد المالك القائم بالامور المصلح لما يفسد منها
فالرب على الاطلاق هو رب الارباب على كل جهة وهو الله تعالى والعالمون جمع عالم وهو كل موجود

سوى الله تعالى يقال لجملته عالم ولأجزائه من الإنس والجن وغير ذلك عالم عالم وبحسب ذلك يجمع على العالمين ومن حيث عالم الزمان متبدل في زمان آخر حسن جمعها ولفظة العالم جمع لا واحد له من لفظه وهو مأخوذ من العلم والعلامة لأنه يدل على موجده كذا قال الزجاج قال أبو حيان الألف واللام في العالمين للاستغراق وهو جمع سلامة مفرده عالم اسم جمع وقياسه أن لا يجمع وشذ جمعه أيضا جمع سلامة لأنه ليس بعلم ولا صفة ص وذهب ابن مالك في شرح التسهيل إلى أن عالمين اسم جمع لمن يعقل وليس جمع عالم لأن العالم عام وعالمين خاص قلت وفيه نظر انتهى وقد تقدم القول في الرحمن الرحيم ملك يوم الدين الدين في كلام العرب على أنحاء وهو هنا الجزاء يوم الدين أي يوم الجزاء على الأعمال والحساب بها قاله ابن عباس وغيره مدينين محاسبين وحكى أهل اللغة دنته بفعله دينا بفتح الدال ودينا بكسرها جزيته ومنه قول الشاعر واعلم يقينا أن ملكك زائل واعلم بأن كما تدين تدان إياك نعبد نطق المؤمن به إفراد بالربوبية وتذلل وتحقيق لعبادة الله تعالى وقدم إياك على الفعل اهتماما وشأن العرب تقديم الأهم واختلف النحويون في إياك فقال الخليل إيا اسم مضمر أضيف إلى ما بعده للبيان لا للتعريف وحكي عن العرب إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب وقال المبرد إيا اسم مبهم أضيف للتخصيص لا للتعريف وحكى ابن كيسان عن بعض الكوفيين أن إياك بكماله اسم مضمر ولا يعرف اسم مضمر يتغير آخره وحكي عن بعضهم أنه قال الكاف والهاء والياء هو الاسم المضمر لكنها لا تقوم بأنفسها ولا تكون إلا متصلة فإذا تقدمت الأفعال جعلت إيا عمادا لها فقال إياك وإياه وإياي فإذا تأخرت اتصلت بالأفعال واستغني عن إيا ونعبد معناه نقيم الشرع والأوامر مع تذلل واستكانة والطريق المذلل يقال له معبد وكذلك البعير ونستعين معناه نطلب العون منك في جميع أمورنا وهذا كله تبرؤ من الأصنام وقوله تعالى اهدنا رغبة لأنها من المربوب إلى الرب وهكذا صيغ الأمر كلها فإذا كانت من الأعلى فهي أمر والهداية في اللغة الإرشاد لكنها تتصرف على وجوه يعبر عنها المفسرون بغير لفظ الإرشاد وكلها إذا تأملت راجعة إلى الإرشاد فالهدى يجيء بمعنى خلق الإيمان في القلب ومنه قوله تعالى أولئك على هدى من ربهم ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وإنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء فمن يرد الله أن يهديه الآية قال أبو المعالي فهذه الآيات يتجه حملها على خلق الإيمان في القلب وهو محض الإرشاد وقد جاء الهدى بمعنى الإلهام من ذلك قوله تعالى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال المفسرون ألهم الحيوانات كلها منافعها وقد جاء الهدى بمعنى البيان من ذلك قوله تعالى وأما ثمود فهديناهم قال المفسرون معناه بينا لهم قال أبو المعالي معناه دعوناهم وقوله تعالى إن علينا للهدى أي علينا أن نبين وفي هذا كله معنى الإرشاد قال ع وقد ترد الهداية والمراد بها إرشاد المؤمنين إلى مسالك الجنان والطرق المفضية إليها كقوله تعالى في صفة المجاهدين فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ومنه قوله تعالى فاهدوهم إلى صراط الجحيم معناه فاسلكوهم إليها قال ع وهذه الهداية بعينها هي التي تقال في طرق الدنيا وهي ضد الضلالة وهي الواقعة في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم على صحيح التأويلات وذلك بين من لفظ الصراط والصراط في اللغة الطريق الواضح ومن ذلك قول جرير أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم واختلف المفسرون في المعنى الذي استعير له الصراط في هذا الموضع فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الصراط المستقيم هنا القرآن وقال جابر هو الإسلام يعني الحنيفية وقال محمد بن الحنفية هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره قال أبو العالية هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه أبو بكر وعمر أي الصراط المستقيم طريق محمد صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وهذا قوي في المعنى إلا أن تسمية أشخاصهم طريقا فيه تجوز وتجمع

من هذه الأقوال كلها أن الدعوة هي أن يكون الداعي على سنن المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في معتقداته وفي التزامه لأحكام شرعه وذلك هو مقتضى القرآن والإسلام وهو حال النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه وهذا الدعاء إنما أمر به المؤمنون وعندهم المعتقدات وعند كل واحد بعض الأعمال فمعنى قوله اهدنا فيما حصل عندهم التثبيت والدوام وفيما ليس بحاصل إما من جهة الجهل به أو التقصير في المحافظة عليه طلب الإرشاد إليه فكل داع به إنما يريد الصراط بكماله في أقواله وأفعاله ومعتقداته واختلف في المشار إليهم بأنه سبحانه أنعم عليهم وقول ابن عباس وجمهور المفسرين أنه أراد النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وانتزعوا ذلك من قوله سبحانه ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم الآية وقوله تعالى غير المغضوب عليهم ولا الضالين اعلم أن حكم كل مضاف إلى معرفة أن يكون معرفة وإنما تنكر غير ومثل مع إضافتهما إلى المعارف من أجل معناهما وذلك إذا قلت رأيت غيرك فكل شيء سوى المخاطب فهو غيره وكذلك إذا قلت رأيت مثلك فما هو مثله لا يحصى لكثرة وجوه المماثلة والمغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد وروى ذلك عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك بين من كتاب الله لأن ذكر غضب الله على اليهود متكرر فيه كقوله وباءوا بغضب من الله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله الآية وغضب الله تعالى عبارة عن إظهاره عليهم محنا وعقوبات وذلك ونحوه مما يدل على أنه قد أبعدهم من رحمته بعدا مؤكدا مبالغا فيه والنصارى كان محققوهم على شرعة قبل ورود شرع محمد صلى الله عليه وسلم فلما ورد ضلوا وأما غير محققيهم فضلالتهم متقررة منذ تفرقت أقوالهم في عيسى عليه السلام وقد قال الله تعالى فيهم ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل أجمع الناس على أن عدد آي سورة الحمد سبع آيات العالمين آية الرحيم آية الدين آية المستقيم آية أنعمت عليهم آية ولا الضالين آية وقد ذكرنا عند تفسير بسم الله الرحمن الرحيم ما ورد من خلاف ذلك ضعيف القول في آمين روى أبو هريرة وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا قال الإمام ولا الضالين فقولوا آمين فإن الملائكة في السماء تقول آمين فمن وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه ت وخرج مسلم وأبو داود والنسائي من طريق أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه قال إذا صليتم فأقيموا صفوفكم ثم ليؤمكم أحدكم فإذا كبر فكبروا وإذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين يجبكم الله الحديث انتهى ومعنى آمين عند أكثر العلماء اللهم استجب وأجب يا رب ومقتضى الآثار أن كل داع ينبغي له في آخر دعائه أن يقول آمين وكذلك كل قارئ للحمد في غير صلاة وأما في الصلاة فيقولها المأموم والفذ وفي الإمام في الجهر اختلاف واختلف في معنى قوله صلى الله عليه وسلم فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة فقيل في الإجابة وقيل في خلوص النية وقيل في الوقت والذي يترجح أن المعنى فمن وافق في الوقت مع خلوص النية والإقبال على الرغبة إلى الله تعالى بقلب سليم والإجابة تتبع حينئذ لأن من هذه حاله فهو على الصراط المستقيم وفي صحيح مسلم وغيره عن أبي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي فإذا قال الرحمن الرحيم قال الله أثنى علي عبدي وإذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي

نستعين ايه

ماسأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال
هذا لعبدي ولعبدي ما سأل انتهى وعند مالك فهؤلاء لعبدي واسند ابو بكر بن الخطيب عن نافع عن ابن عمر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له امام فقراءة الامام له قراءة انتهى من تاريخ بغداد ولم يذكر
في سنده مطعنا وقال ابن العربي في احكامه والصحيح عندي وجوب قراءتها على المأموم فيما اسر
فيه وتحريمها فيما جهر فيه اذا سمع الامام لما يلزمه من وجوب الانصات والاستماع فان بعد عن الامام فهو
بمنزلة صلاة السر انتهى آخر تفسير سورة الحمد والحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت وما لم اعلم
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما تفسير سورة
سورة البقرة بحول الله تعالى وقوته هذه السورة مدنية نزلت في مدد شتى وفيها آخر آية نزلت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهي واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم
لا يظلمون ويقال لسورة البقرة فسطاط القرآن وذلك لعظمها وبهائها وما تضمنت من الاحكام
والمواعظ وفيها خمسمائة حكم وخمسة عشر مثلا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اعطيت سورة البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى واعطيت فاتحة
الكتاب وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش وها انا ان شاء الله اذكر اصل الحديث بكماله لما
اشتمل عليه من الفوائد العظيمة خرج الحاكم ابو عبد الله في المستدرك على الصحيحين عن معقل بن يسار
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملوا بالقرآن احلوا حلاله وحرموا
حرامه واقتدوا به ولا تكفروا بشيء منه وما تشابه عليكم منه فردوه الى الله والى اولي العلم
من بعدي كيما يخبرونكم وآمنوا بالتوراة والانجيل والزبور وما اوتي النبيون من ربهم وليسعكم
القرآن وما فيه من البيان فانه شافع مشفع وماحل مصدق واني اعطيت سورة البقرة من
الذكر الاول واعطيت طه والطواسين والحواميم من الواح موسى واعطيت فاتحة الكتاب من
تحت العرش ماحل بالمهملة اي ساع وقيل خصم انتهى من السلاح وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال يجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كانهما غيايتان بينهما شرق او غمامتان سوداوان
او كانهما ظلة من طير صواف تجادلان عن صاحبهما انتهت اصل الحديث في صحيح مسلم عن ابي امامة الباهلي
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شافعا لاصحابه
اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتيان كانهما غمامتان او كانهما غيايتان او كانهما فرقان من طير
صواف تحاجان عن اصحابهما اقرؤوا سورة البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال
معاوية بلغني ان البطلة السحرة فقوله صلى الله عليه وسلم غمامتان يعني سحابتين بيضاوين والغيايتان بالغين
المعجمة ابو عبيد الغياية كل شيء اظل الانسان فوق راسه وهو مثل السحابة وفرقان بكسر الفاء اي جماعتان
انتهى من السلاح وروى ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شيء سنام وسنام القرآن سورة البقرة
وفيها آية هي سيدة آي القرآن هي آية الكرسي وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ بالآيتين من آخر سورة
البقرة كفتاه وروى ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله
الشيطان وعن ابن عباس قال بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه
فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك
فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لم تقرأ بحرف منها الا اعطيته رواه مسلم والنسائي والنقيض

بالنون والقاف هو الصوت انتهى من السلاح وعدد آي سورة البقرة مائتان وخمس وثمانون آية
وقيل وست وثمانون آية وقيل سبع وثمانون آية قوله تعالى الم اختلف في الحروف التي في اوائل السور
على قولين فقال الشعبي وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين هي سر الله في القرآن وهي من المتشابه الذي
انفرد الله بعلمه ولا يجب ان يتكلم فيها وتلتمس الفوائد التي تحتها والمعاني التي تتخرج عليها واختلفوا في ذلك على اثني
عشر قولا فقال علي وابن عباس رضي الله عنهما الحروف المقطعة في القرآن هي اسم الله الا انا لا نعرف تأليفه منها
وقال ابن عباس ايضا هي اسماء الله اقسم بها وقال ايضا هي حروف تدل على انا الله اعلم انا الله ارى وقال
قوم هي حساب ابي جاد لتدل على مدة ملة محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد في حديث حيي بن اخطب وهو
قول ابي العالية وغيره واليه مال السهيلي في الروض الانف فانظره قوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه
هدى للمتقين الاسم من ذلك الذال والالف واللام لبعد المشار اليه والكاف للخطاب واختلف في
ذلك هنا فقيل هو بمعنى هذا وتكون الاشارة الى هذه الحروف من القرآن وذلك انه قد يشار بذلك
الى حاضر تعلق به بعض غيبة وقيل هو على بابه اشارة الى غائب واختلف في ذلك الغائب فقيل ما قد
كان نزل من القرآن وقيل غير ذلك انظره ولا ريب فيه معناه لا شك فيه وهدى معناه ارشاد
وبيان وقوله للمتقين اللفظ مأخوذ من وقى والمعنى الذين يتقون الله تعالى بامتثال اوامره واجتناب
معاصيه كان ذلك وقاية بينهم وبين عذابه قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة
ومما رزقناهم ينفقون يؤمنون معناه يصدقون وقوله بالغيب قالت معناه يصدقون اذا غابوا
وخلوا لا كالمنافقين الذين يؤمنون اذا حضروا ويكفرون اذا غابوا وقال آخرون معناه يصدقون
بما غاب عنهم مما اخبرت به الشرائع وقوله يقيمون الصلاة معناه يظهرونها كما قال اقيمت الصلاة
وقال ابو عبد الله البخاري في اختصاره لتفسير الطبري اقامة الصلاة اتمام الركوع والسجود والتلاوة
والخشوع والاقبال عليها انتهى قال ابن عطية يقيمون الصلاة من تقويم ومنه اقمت العود او الادامة ومنه
قامت السوق او التشمير والنهوض ومنه قام بالامر انتهى وقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون الرزق
عند اهل السنة ما صح الانتفاع به حلالا كان او حراما وينفقون معناه هنا يؤتون ما الزمهم الشرع من
زكاة وما ندبهم اليه من غير ذلك قوله تعالى والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة
هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون اختلف المتأولون في المراد بهذه الآية والتي
قبلها فقال قوم الآيتان جميعا في جميع المؤمنين وقال آخرون هما في مؤمني اهل الكتاب وقال آخرون الاولى
في مؤمني العرب والثانية في مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وفيه نزلت وقوله بما انزل اليك يعني
القرآن وما انزل من قبلك يعني الكتب السالفة ويوقنون معناه يعلمون علما متمكنا في نفوسهم واليقين
اعلى درجات العلم وقوله تعالى اولئك على هدى اشارة الى المذكورين والهدى هنا الارشاد والفلاح الظفر بالبغية
وادراك الامل   تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم الى عظيم اختلف فيمن
نزلت هذه الآية بعد الاتفاق انها غير عامة لوجود الكفار قد اسلموا بعدها فقال قوم هي فيمن سبق
في علم الله انه لا يؤمن وقال ابن   نزلت في حيي بن اخطب وابي ياسر بن اخطب وكعب بن الاشرف
ونظرائهم والقول الاول هو المعتمد عليه وقوله سواء عليهم انذرتهم معناه معتدل عندهم
الانذار اعلام بتخويف هذا حده وقوله تعالى ختم مأخوذ من الختم وهو الطبع والخاتم الطابع قال
في مختصر الطبري والصحيح ان هذا الطبع حقيقة لا انه مجاز فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم

ولكن يؤمن بها وتمر كما جاءت
الجمهور من العلماء بل يجب ان يتكلم
فيها م

هدى من

ان العبد اذا اذنب ذنبا نكتت نكتة سودا في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان
زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
انتهى والغشاوة الغطاء المعنى الساتر وقوله تعالى عذاب عظيم معناه لمخالفتك يا محمد وكفرهم بالله
وعظيم معناه بالاضافة الى عذاب دونه وقوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله الى وما يشعرون هذه
الاية نزلت في المنافقين وسمى الله تعالى يوم القيمة اليوم الاخر لانه لا ليل بعده ولا يقال يوم الا لما تقدمه ليل
واختلف المتاولون في قوله يخادعون الله فقال الحسن المعنى يخادعون رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاضاف الامر الى الله تعالى تجوزا لتعلق رسوله به ومخادعتهم هي تحيلهم في ان يفشي رسول الله صلى الله
عليه وسلم اليهم اسرارهم ع تقول خادعت الرجل بمعنى اعملت التحيل عليه فخدعته بمعنى تمت عليه الحيلة
ونفذ فيه المراد وقال جماعة بل يخادعون الله والمؤمنين باظهارهم من الايمان خلاف ما ابطنوا من
الكفر وانما خدعوا انفسهم لحصول العذاب فيهم وما يشعرون بذلك معناه وما يعلمون علم تفطن وتهدٍ
وهي لفظة ماخوذة من الشعار كان الشيء يتفطن شعار النفس وقولهم ليت شعري معناه ليت فطنتي
تدرك واختلف ما الذي نفى الله عنه ان يشعروا له فقالت طائفة وما يشعرون ان ضرر تلك المخادعة
راجعة عليهم لخلودهم في النار وقال اخرون وما يشعرون ان الله يكشف لك سرهم ومخادعتهم في
قولهم امنا قوله تعالى في قلوبهم مرض اي في عقائدهم فساد وهم المنافقون وذلك اما ان يكون
شكا واما جحدا بسبب حسدهم مع علمهم بصحة ما يجحدون وقال قوم المرض غمهم بظهور النبي صلى الله
عليه وسلم فزادهم الله مرضا قيل هو دعاء عليهم وقيل هو خبر ان الله قد فعل بهم ذلك وهذه
الزيادة هي بما ينزل من الوحي ويظهر من البراهين ع لما تكلمت على تفسير قوله تعالى عليهم دائرة السوء
قال كل ما كان بلفظة دعاء من جهة الله عز وجل فانما هو بمعنى ايجاب الشيء لان الله تعالى لا يدعو
على مخلوقاته وهي في قبضته ومن هذا ويل لكل همزة وويل للمطففين وهي كلها احكام تامة تضمنها
خبره تعالى ولهم عذاب اليم اي مؤلم واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض اي بالكفر وموالاة الكفرة ولفظة
المنافقين انما نحن مصلحون ثلاث تاويلات احدها جحد انهم يفسدون وهذا استمرار منهم على النفاق
والثاني ان يقروا بموالاة الكفار ويدعون انها صلاح من حيث هم قرابة توصل والثالث انهم يصلحون
بين الكفار والمؤمنين والا استفتاح كلام ولكن حرف استدراك ويحتمل ان يراد هنا لا يشعرون انهم
مفسدون ويحتمل ان يراد لا يشعرون ان الله لا يفضحهم قوله تعالى واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس الاية
المعنى صدقوا بمحمد وشرعه كما صدق المهاجرون والمحققون من اهل يثرب قالوا انكون كالذين خفت
عقولهم والسفه الخفة والرقة الداعية الى الخفة يقال ثوب سفيه اذا كان رقيقا هلهل النسج وهذا
القول انما كانوا يقولونه في خفاء فاطلع الله عليه نبيه عليه السلام والمؤمنين وقرر ان السفه ورقة
الحلوم وفساد البصائر انما هو في حيزهم وصفة لهم واخبر انهم لا يعلمون انهم السفهاء للرين الذي على
قلوبهم وقوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا الاية هذه كانت حال المنافقين اظهار الايمان للمؤمنين واظهار
الكفر في خلواتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنهم ويدعهم في غمرة الاشتباه مخافة ان
يتحدث الناس عنه انه يقتل اصحابه حسبما وقع في قصة عبد الله بن ابي ابن سلول في امر النفاق في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الزندقة واختلف المفسرون في المراد بشياطينهم فقال
ابن عباس رضي الله عنه هم رؤساء الكفر وقيل الكهان قال البخاري قال مجاهد الى شياطينهم اي

اي اصحابهم من المنافقين والمشركين قال ص شياطينهم جمع شيطان وهو كل متمرد من الجن والانس
والدواب قاله ابن عباس وانشاه شيطانة انتهى ت ويجب على المؤمن ان يجتنب هذه الاخلاق الذميمة وقد
ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من شر الناس ذو الوجهين الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه
رواه ابو داود وفيه عنه صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيمة لسانان من نار
انتهى من سنن ابي داود الله يستهزئ بهم اختلف المفسرون في هذا الاستهزاء فقال الجمهور العلماء
هي تسمية العقوبة باسم الذنب والعرب تستعمل ذلك كثيرا وقال قوم ان الله سبحانه يفعل بهم افعالا هي في
تامل البشر هزؤ روي ان النار تجمد كما تجمد الاهالة فيمشون عليها فيظنون انها منجاة فتخسف بهم
وما روي ان ابواب النار تفتح لهم فيذهبون الى الخروج نحى هذا المنحى ابن عباس والحسن ت وقوله تعالى قيل
ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا يقوي هذا المنحى وهكذا نص عليه في مختصر الطبري انتهى وقيل استهزاؤه
بهم هو استدراجهم بدرور نعم الدنيا عليهم ويمدهم اي يزيدهم في الطغيان وقال مجاهد معناه يملي لهم
والطغيان الغلو وتعدي الحد كما يقال طغى الماء وطغت النار ويعمهون هنا يترددون حيرة والعمه الحيرة
من جهة النظر والعامه الذي لا يبصر قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الى قوله يا ايها الناس
قال الفخر اعلم ان المقصود من ضرب الامثال انه يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه
لان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد فيتاكد الوقوف على ماهيته ويصير الحس مطابقا
للعقل وذلك هو النهاية في الايضاح الا ترى ان الترغيب والترهيب اذا وقع مجردا عن ضرب مثل لم يتاكد
وقوعه في القلب كما يتاكد مع ضرب المثل ولهذا اكثر الله تعالى في كتابه المبين وفي سائر كتبه الامثال ص
قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون انتهى والمثل والمثل والمثيل واحد معناه الشبيه
قاله اهل اللغة واستوقد قيل معناه اوقد واختلف المتاولون في فعل المنافقين الذي يشبه فعل الذي
استوقد نارا فقالت فرقة هي فيمن كان امن ثم كفر بالنفاق فايمانه بمنزلة النار اذا اضاءت وكفره بعده بمنزلة
انطفائها وذهاب النور وقالت فرقة منهم قتادة نطقهم بلا اله الا الله والقران كاضاءة النار
واعتقادهم الكفر بقلوبهم كانطفائها قال الجمهور والنحاة جواب لما ذهب ويعود الضمير من نورهم على الذي وعلى هذا
القول يتم تمثيل المنافق بالمستوقد لان بقاء المستوقد في ظلمات لا يبصرون كبقاء المنافق على الخلاف المتقدم
وقال قوم جواب لما مضمر وهو طفئت والضمير في نورهم على هذا للمنافقين والاخبار بهذا هو عن حال
لهم تكون في الاخرة وهو قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الاية وهذا القول غير قوي والاصم الذي
لا يسمع والابكم الذي لا ينطق ولا يفهم فاذا فهم فهو الاخرس وقيل الابكم والاخرس واحد ووصفهم بهذه
الصفات اذ اعمالهم من الخطا وعدم الاجابة كاعمال من هذه صفته وصم رفع على خبر الابتداء اما
على تقدير تكرار اولئك او اضمارهم وقوله تعالى فهم لا يرجعون وقيل معناه لا يؤمنون بوجه
وهذا هو الصحيح او كصيب او للتخيير معناه مثلوهم بهذا او بهذا والصيب المطر من صاب يصوب اذا
انحط من علو الى سفل ظلمات بالجمع اشارة الى ظلمة الليل وظلمة الدجن ومن حيث تتراكب وتتزايد
جمعت وكون الدجن مظلما هولا وغما للنفوس بخلاف السحاب والمطر اذا انجلى الغيم دجنه فانه سار جميل
واختلف العلماء في الرعد والبرق فقال ابن عباس ومجاهد وشهر بن حوشب وغيرهم هو
ملك يزجر السحاب بهذا الصوت المسموع كلما خالفت سحابة صاح بها فاذا اشتد غضبه طارت النار
من فيه فهي الصواعق واسم هذا الملك الرعد وقيل الرعد ملك وهذا الصوت تسبيحه وقيل الرعد

اسم الصوت المسموع قاله علي بن ابي طالب واكثر العلماء على ان الرعد ملك وذلك صوته يسبح ويزجر
السحاب واختلفوا في البرق فقال علي بن ابي طالب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم هو مخراق حديد بيد ملك
يسوق به السحاب وهذا اصح ما روي فيه وقال ابن عباس هو سوط نور بيد ملك يزجر به السحاب وروي
ان البرق ملك تراءى واختلف المتاولون في المقصد بهذا المثل وكيف تترتب احوال المنافقين الموازنة
لما في المثل من الظلمات والرعد والبرق والصواعق فقال الجمهور المفسرين مثل الله تعالى القرآن بالصيب فما فيه
من الاشكال عليهم والعمى هو الظلمات وما فيه من الوعيد والزجر هو الرعد وما فيه من النور والحجج الباهرة هو البرق
وتخوفهم وروعهم وحذرهم هو جعل اصابعهم في اذانهم وفضح نفاقهم واشتهار كفرهم وتكاليف الشرع
التي يكرهونها من الجهاد والزكاة ونحوهما هي الصواعق وهذا كله صحيح بين وقال ابن مسعود ان المنافقين في
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يجعلون اصابعهم في اذانهم لئلا يسمعوا القرآن فضرب الله المثل لهم
وهذا وفاق لقول الجمهور ومحيط بالكافرين معناه بعقابهم يقال احاط السلطان بفلان اذا اخذه اخذا
حاصرا من كل جهة ومنه قوله تعالى واحيط بثمره ويكاد فعل ينفي المعنى مع ايجابه ويوجبه مع النفي فهنا
لم يخطف البرق الابصار والخطف الانتزاع بسرعة ومعنى يكاد البرق يخطف ابصارهم تكاد حجج القرآن
وبراهينه واياته الساطعة تبهرهم ومن جعل البرق في المثل الزجر والوعيد قال يكاد ذلك يصيبهم وكلما
ظرف والعامل فيه مشوا وقاموا معناه ثبتوا ومعنى الاية فيما روي عن ابن عباس وغيره كلما سمع المنافقون
القرآن وظهرت لهم الحجج انسوا ومشوا معه فاذا نزل من القرآن ما يعمون فيه ويضلون فيه او يكلفون
قاموا اي ثبتوا على نفاقهم وروي عن ابن مسعود ان معنى الاية كلما صلحت احوالهم في زروعهم ومواشيهم
وتوالت عليهم النعم قالوا دين محمد دين مبارك واذا نزلت بهم مصيبة او اصابتهم شدة سخطوه وثبتوا
في نفاقهم ووحد السمع لانه مصدر يقع للواحد والجمع وقوله سبحانه على كل شيء قدير لفظه العموم ومعناه
عند المتكلمين فيما يجوز وصفه تعالى بالقدرة عليه وقدير بمعنى قادر وفيه مبالغة وخص هنا سبحانه
صفته التي هي القدرة بالذكر لانه قد تقدم ذكر فعل مضمنه الوعيد والاخافة فكان ذكر القدرة فيه
مناسبا لذلك قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الاية يا حرف نداء وفيه تنبيه واي هو المنادى قال
مجاهد يا ايها الناس حيث وقع في القرآن مكي ويا ايها الذين امنوا مدني قال ع قد تقدم في اول السورة انها
كلها مدنية وقد يجيء في المدني يا ايها الناس واما قوله في يا ايها الذين امنوا فصحيح اعبدوا ربكم معناه
وحدوه وخصوه بالعبادة وذكر تعالى خلقه لهم اذ كانت العرب مقرة بان الله خلقها فذكر ذلك سبحانه
ولعل في هذه الاية قال كثير من المفسرين هي بمعنى ايجاب التقوى وليست من الله تعالى بمعنى ترج وتوقع وفي مختصر الطبري
لعلكم تتقون عن مجاهد اي لعلكم تطيعون والتقوى التوقي من عذاب الله بعبادته وهي من الوقاية واما
لعل هنا بمعنى كي وقد يجيء بمعنى كي في اللغة قال الكشاف وقلتم لنا كفوا الحرب لعلنا نكف ووثقتم لنا كل موثق
انتهى قال ع وقال سيبويه ورؤساء اللسان هي على بابها والترجي والتوقع انما هو في حيز البشر اي اذا تاملتم
حالكم مع عبادة ربكم رجوتم لانفسكم التقوى ولعل متعلقة بقوله اعبدوا ويتجه تعلقها بخلقكم
اي لما ولد كل مولود على الفطرة فهو ان تامله متامل توقع له ورجا ان يكون متقيا وتتقون ماخوذ
من الوقاية وجعل بمعنى صير في هذه الاية لتعديها الى مفعولين وفراشا تفترشونها والسماء قيل هو اسم مفرد
وجمعه سماوات وقيل هو جمع والواحد سماوة وكل ما ارتفع عليك فهو سماء ونزل من السماء يريد السحاب
سمي بذلك تجوزا لما كان يلي السماء وقد سموا المطر سماء للمجاورة ومنه قول الشاعر نظم

نظم اذا نزل السماء بارض قوم ٭ رعيناه وان كانوا غضابا ٭ فنجوز ايضا في رعيناه ٭ والانداد جمع
ند وهو المقاوم والمضاهي واختلف المتاولون من المخاطب بهذه الاية فقالت جماعة من المفسرين المخاطب جميع
المشركين فقوله سبحانه على هذا وانتم تعلمون يريد العلم الخاص في انه تعالى خلق وانزل الماء واخرج الرزق وقيل
المراد كفار بني اسرائيل فالمعنى وانتم تعلمون من الكتب التي عندكم ان الله لا ند له وقال ابن فورك يحتمل ان
تتناول الاية المؤمنين قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الضمير في مثله عائد عند الجمهور
على القرآن وادعوا شهداءكم اي من شهدكم وحضركم من عون ونصير قاله ابن عباس ان كنتم صادقين
اي فيما قلتم من انكم تقدرون على معارضته ويؤيد هذا القول ما حكي عنهم في اية اخرى لو نشاء لقلنا مثل هذا
في قوله عز وجل ولن تفعلوا اثارة وتحريك لنفوسهم ليكون عجزهم بعد ذلك ابدع وهو ايضا من الغيوب
التي اخبر بها القرآن وقوله تعالى فاتقوا النار امر بالايمان وطاعة الله قال الفخر ولما ظهر عجزهم عن المعارضة
صح عندهم صدق النبي صلى الله عليه وسلم واذا صح ذلك ثم لزموا العناد استوجبوا العقاب بالنار واتقاء النار
يوجب ترك العناد فاقيم قوله فاتقوا النار مقام قوله واتركوا العناد ووصف النار بانها تتقد بالناس والحجارة
وذلك يدل على قوتها نجانا الله منها برحمته الواسعة وقرن سبحانه الناس بالحجارة لانهم اتخذوها في الدنيا اصناما
يعبدونها قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون فاحد الاتيين مفرع
للاخرى وهذا كتعذيب مانعي الزكاة بنوع ما منعوا انتهى قوله تعالى وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات
ان لهم جنات الاية بشر ماخوذ من البشرة لان ما يبشر به الانسان من خير او شر يظهر عنه اثر في بشرة الوجه
والاغلب استعمال البشارة في الخير وقد تستعمل في الشر مقيدة به كما قال تعالى فبشرهم بعذاب اليم ومتى اطلق لفظ
البشارة فانما يحمل على الخير وفي قوله تعالى وعملوا الصالحات رد على من يقول ان لفظة الايمان بمجردها تقتضي الطاعات
لانه لو كان كذلك ما اعادها وجنات جمع جنة وهي بستان الشجر والنخل وبستان الكرم يقال له الفردوس
وروى النسائي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ثياب الجنة تتشقق عنها ثمر الجنة وروى الترمذي
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما في الجنة شجرة الا وساقها من ذهب قال ابو عيسى هذا
حديث حسن انتهى من التذكرة وفي البخاري عن ابن عباس وجرير بن عبد الله وغيرهما وسميت الجنة جنة لانها تجن
من دخلها اي تستره ومنها المجن والجن وجن الليل ومن تحتها معناه من تحت الاشجار التي يتضمنها ذكر الجنة
ومن اعظم البشارات ان هذه الامة ثلثا اهل الجنة وقد خرج ابو بكر بن ابي شيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان امتي يوم القيامة ثلثا اهل الجنة ان اهل الجنة يوم القيامة عشرون ومائة صف وان امتي من ذلك
ثمانون صفا وخرج ابن ماجه والترمذي عن بريدة بن حصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر الامم قال ابو عيسى هذا حديث
حسن انتهى من التذكرة للقرطبي والانهار المياه في مجاريها المتطاولة الواسعة ماخوذة من انهرت اي
وسعت ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه معناه وسع الذبح
حتى جرى الدم كالنهر ونسب الجري الى النهر وانما يجري الماء تجوزا كما قال سبحانه واسال القرية وروي ان انهار
الجنة ليست في اخاديد انما تجري على سطح ارض الجنة منضبطة وقولهم هذا الذي رزقنا من قبل
اشارة الى الجنس اي هذا من الجنس الذي رزقنا منه من قبل والكلام يحتمل ان يكون تعجبا منهم وهو
قول ابن عباس ويحتمل ان يكون خبرا من بعضهم لبعض قاله جماعة من المفسرين وقال الحسن ومجاهد
يرزقون الثمرة ثم يرزقون بعدها مثل صورتها والطعم مختلف فهم يتعجبون لذلك ويخبر

بعضهم بعضا وقال ابن عباس ليس في الجنة شيء مما في الدنيا سوى الاسماء واما الذوات فمباينة وقال
بعض المتأولين المعنى انهم يرون الثمر فيميزون اجناسه حين اشبه منظره ما كان في الدنيا هذا الذي
رزقنا من قبل في الدنيا وقال قوم ان ثمر الجنة اذا قطف منه شيء خرج في موضعه في الحين مثله فهذا اشارة
الى الخارج في موضع المجني وقوله تعالى متشابها قال ابن عباس وغيره معناه يشبه بعضه بعضا في المنظر ويختلف
في الطعم وازواج جمع زوج ويقال في المرأة زوجة والاول اشهر ومطهرة ابلغ من طاهرة اي مطهرة
من الحيض والبزاق وسائر اقذار الادميات والخلود الدوام وخرج ابن ماجه عن اسامة بن زيد قال قال
صلى الله عليه وسلم ذات يوم لاصحابه الا مشمر للجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة
تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة في مقام
ابدا في حبرة ونضرة في دار عالية سليمة بهية قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله ثم ذكر
الجهاد وحض عليه انتهى من التذكرة وقوله لا خطر لها بفتح الخاء والطاء قيل معناه لا عوض لها قوله تعالى ان الله لا يستحيي
ان يضرب مثلا ما الآية على القائلين كيف يضرب الله مثلا بالذباب ونحوه واختلف في قوله يضل به كثيرا ويهدي
به كثيرا أهل هو من قول الكافرين او خبر من الله تعالى ولا خلاف ان قوله تعالى وما يضل به الا الفاسقين
من قول الله تعالى والفسق الخروج عن الشيء يقال فسقت الفارة اذا خرجت من جحرها والرطبة اذا خرجت
من قشرها والفسق في عرف استعمال الشرع الخروج من طاعة الله عز وجل بكفر او عصيان قوله تعالى الذين ينقضون
عهد الله الآية النقض رد ما ابرم على اوله غير مبرم والعهد في هذه الآية التقدم في الشيء والوصاة به والظاهر
مما قبل وبعد انه في جميع الكفار وكل عهد جائز بين المسلمين فنقضه لا يحل بهذه الآية والخاسر الذي
نقص نفسه حظها من الفلاح والفوز والخسران النقص كان في ميزان او غيره قوله تعالى كيف تكفرون بالله
هو تقرير وتوبيخ اي كيف تكفرون ونعمه عليكم وقدرته هذه والواو في قوله تعالى وكنتم واو الحال
واختلف في قوله وكنتم امواتا الآية فقال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد المعنى كنتم امواتا معدومين قبل
ان تخلقوا دارسين كما يقال للشيء الدارس ميت ثم خلقكم واخرجكم الى الدنيا فاحياكم ثم يميتكم الموت المعهود
ثم يحييكم للبعث يوم القيامة وهذا التأويل هو اولى ما قيل لانه هو الذي لا محيد للكفار عن الاقرار به والضمير في
اليه عائد على الله تعالى اي الى ثوابه او عقابه وخلق معناه اخترع واوجد بعد العدم ولكم معناه للاعتبار
ويدل عليه ما قبله وما بعده من نصب العبر الاحياء والاماتة والاستواء الى السماء وتسويتها وقوله تعالى ثم استوى
الى السماء ثم هنا لترتيب الاخبار لا لترتيب الامر في نفسه واستوى قال قوم معناه علا دون كيف ولا تحديد
هذا اختيار الطبري والتقدير علا في هذه الآية ونحوها منع النقلة وحلول الحوادث ويبقى استواء القدرة والسلطان
وسواهن قيل جعلهن سواء وقيل سوى سطوحهن بالاملاس وقال الثعلبي فسواهن اي خلقهن انتهى وهذه الآية
تقتضي ان الارض وما فيها خلق قبل السماء وذلك صحيح ثم دحيت الارض بعد خلق السماء وبهذا تتفق معاني
الآيات هذه والتي في سورة المؤمن وفي النازعات وقوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض
خليفة اذ ليست بزائدة عند الجمهور وانما هي متعلقة بفعل مقدر تقديره واذكر اذ قال و
اضافة رب الى محمد صلى الله عليه وسلم ومخاطبته بالكاف تشريف منه سبحانه لنبيه واظهار
لاختصاصه والملائكة واحدها ملك والهاء في ملائكة لتأنيث الجموع غير حقيقي وقيل هي للمبالغة
كعلامة ونسابة والاول ابين وجاعل في هذه الآية بمعنى خالق وقال الحسن وقتادة جاعل بمعنى فاعل
وقال ابن سابط عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الارض هنا مكة لان الارض

في بعوضة فما فوقها لما كان الجليل القدر الشاهد لا يمنعه من الخوض في تافه الامور الحياء من ذلك رد الله بقوله ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما

امره وقدرته وسلطانه وقال ابن كيسان معناه قصد الى السماء اي بخلقه واختراعه وقيل علا عليها في
وحين

دحيت

دحيت من تحتها ولانها مقر من هلك قومه من الانبياء وان قبر نوح وهود وصالح بين المقام والركن
وخليفة معناه من يخلف قال ابن عباس كانت الجن قبل آدم في الارض فافسدوا وسفكوا الدماء فبعث الله
اليهم قبيلا من الملائكة قتلتهم والحقت فلهم بجزائر البحار ورؤوس الجبال وجعل آدم وذريته خليفة وقال
ابن مسعود انما معناه خليفة مني في الحكم وقوله تعالى اتجعل فيها من يفسد فيها الآية قد علمنا قطعا ان
الملائكة لا تعلم الغيب ولا تسبق بالقول وذلك عام في جميع الملائكة لان قوله تعالى لا يسبقونه بالقول
خرج على جهة المدح لهم قال القاضي ابن الطيب فهذه قرينة العموم فلا يصح مع هذين الشرطين الا ان
يكون عندهم من افساد الخليفة نبأ ومقدمة قال ابن زيد وغيره ان الله تعالى اعلمهم ان الخليفة
سيكون من ذريته قوم يفسدون ويسفكون الدماء فقالوا لذلك هذه المقالة اما على طريق التعجب من استخلاف
الله من يعصيه او من عصيان من يستخلفه الله في ارضه وينعم عليه بذلك واما على طريق الاستعظام
والاكبار للفصلين جميعا الاستخلاف والعصيان وقال احمد بن يحيى ثعلب وغيره انما كانت الملائكة قد رأت
وعلمت ما كان من افساد الجن وسفكهم الدماء في الارض فجاء قولهم اتجعل فيها الآية على جهة الاستفهام المحض
هل هذا الخليفة يا ربنا على طريقة من تقدم من الجن ام لا وقال آخرون كان الله تعالى قد اعلم الملائكة
انه يخلق في الارض خلقا يفسدون ويسفكون الدماء فلما قال لهم سبحانه بعد ذلك اني جاعل قالوا ربنا
اتجعل فيها الآية على جهة الاسترشاد والاستعلام هل هذا الخليفة هو الذي كان اعلمهم به سبحانه قبل
او غيره ونحو هذا في مختصر الطبري قال وقولهم اتجعل فيها ليس بانكار لفعله عز وجل وحكمته بل استخبار
هل يكون الامر هكذا وقد وجهه بعضهم بانهم استعظموا الافساد وسفك الدماء فكأنهم سألوا عن
وجه الحكمة في ذلك وعلموا انه عز وجل لا يفعل الا لحكمة انتهى والعقيدة ان الملائكة معصومون
فلا يقع منهم ما يوهم نقصانا من رتبتهم وشريف منزلتهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وسفك الدم
هذا عرفه وقولهم ونحن نسبح بحمدك قال بعض المتأولين هو على جهة الاستفهام كانهم ارادوا ونحن
نسبح بحمدك الآية ام تتغير عن هذه الحال وهذا يحسن مع القول بالاستفهام المحض في قولهم اتجعل
وقال آخرون معناه التمدح ووصف حالهم وذلك جائز لهم كما قال يوسف اني حفيظ عليم وهذا
يحسن مع التعجب والاستعظام لان يستخلف الله من يعصيه في قولهم اتجعل وعلى هذا ادبهم بقوله
تعالى اني اعلم ما لا تعلمون ومعنى نسبح بحمدك ننزهك عما لا يليق بصفاتك وقال ابن عباس وابن مسعود
وتسبيح الملائكة صلاتهم لله سبحانه وقال قتادة تسبيحهم قولهم سبحان الله على عرفه في اللغة وبحمدك معناه
نخلط التسبيح بالحمد ويحتمل ان يكون قولهم بحمدك اعتراضا بين الكلامين كانهم قالوا ونحن نسبح ونقدس
وانت المحمود في الهداية الى ذلك وخرج مسلم في صحيحه عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اخبركم باحب الكلام الى الله تعالى ان احب الكلام الى الله سبحان الله وبحمده وفي رواية سئل صلى الله
عليه وسلم اي الكلام افضل قال ما اصطفى الله لملائكته او لعباده سبحان الله وبحمده وفي صحيحي البخاري
ومسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان
في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهذا الحديث ختم به البخاري رحمه الله
انتهى ونقدس لك قال الضحاك وغيره معناه نطهر انفسنا لك ابتغاء مرضاتك والتقديس التطهير
بلا خلاف ومنه الارض المقدسة اي المطهرة وقال آخرون نقدس لك معناه نقدسك اي نعظمك ونطهرك و

ذكرك مما لا يليق به قاله مجاهد وغيره وقوله تعالى انى اعلم ما لا تعلمون قال ابن عباس كان ابليس لعنه الله
قد اعجب بنفسه ودخله الكبر لما جعله الله خازن السماء الدنيا واعتقد ان ذلك لمزية له فلما قالت الملائكة
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وهي لا تعلم ان في نفس ابليس خلاف ذلك قال الله سبحانه انى اعلم ما لا تعلمون يعنى ما في
نفس ابليس وقال قتادة لما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها وقد علم ان فيمن يستخلف في الارض انبياء
وفضلاء واهل طاعة قال لهم انى اعلم ما لا تعلمون يعنى افعال الفضلاء وقوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها معناه عرف
وتعليم آدم عند قوم الهام علمه ضرورة وقال قوم بل تعليم اما بواسطة ملك او بتكليم قبل هبوطه الارض
فلا يشارك موسى في خاصيته ت قال الشيخ العارف بالله عبد الله بن ابى جمرة تعليمه سبحانه لآدم الاسماء كلها انما كان
بالعلم اللدني بلا واسطة انتهى من كتابه الذى شرح فيه بعض احاديث البخاري وكلما انقله عنه فمنه واختلف المتأولون
في قوله الاسماء فقال جمهور الامة علمه التسميات وقال قوم عرض عليه الاشخاص والاول ابين ولفظة
علم تعطى ذلك ثم اختلف الجمهور في اي الاسماء علمه فقال ابن عباس وقتادة ومجاهد علمه اسم كل شيء من جميع
المخلوقات دقيقها وجليلها وقال الطبري علمه اسماء ذريته والملائكة ورجحه بقوله تعالى ثم عرضهم وقال
اكثر العلماء علمه تعالى منافع كل شيء ولما يصلح وقيل غير هذا واختلف المتأولون هل عرض على الملائكة اشخاص
الاسماء او الاسماء دون الاشخاص وانبئوني معناه اخبروني والنبأ الخبر وقال قوم يخرج من هذا
الامر بالانباء تكليف ما لا يطاق ويتقرر جوازه لانه سبحانه علم انهم لا يعلمون وقال المحققون من اهل التأويل
ليس هذا على جهة التكليف وانما هو على جهة التقرير والتوقيف وقوله تعالى هؤلاء ظاهره حضور اشخاص
وذلك عند العرض على الملائكة وليس في هذه الآية ما يدل ان الاسم هو المسمى كما ذهب اليه مكي والمهدوي
والذى يظهر ان الله تعالى علم آدم الاسماء وعرض مع ذلك عليه الاجناس اشخاصا ثم عرض تلك على
الملائكة وسألهم عن تسمياتها التي قد تعلمها آدم ثم ان آدم قال لهم هذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا
وهؤلاء مبني على الكسر وكنتم في موضع الجزم بالشرط والجواب عند سيبويه فيما قبله وعند المبرد
محذوف تقديره ان كنتم صادقين فانبئونى وقال ابن عباس وابن مسعود وناس من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم معنى الآية ان كنتم صادقين في ان الخليفة يفسد ويسفك ت وفي النفس من هذا
القول شيء والملائكة منزهون معصومون كما تقدم وليصحوا ما تقدم من التفسير عند قوله تعالى
اتجعل فيها الآية وقال آخرون ان كنتم في انى ان استخلفكم سبحتم بحمدي وقدستم لي وقال قوم معناه
ان كنتم صادقين في جواب السؤال عالمين بالاسماء وسبحانك معناه تنزيها لك وتبرئة
ان يعلم احد من علمك الا ما علمته والعليم معناه العالم ويزيد عليه معنى من المبالغة والتكثير
في المعلومات والحكيم معناه الحاكم وبينهما مزية المبالغة وقيل معناه المحكم وقال قوم الحكيم
معناه المانع من الفساد ومنه حكمة الفرس لمانعته وقوله تعالى قال يا آدم انبئهم معناه اخبرهم والضمير
في انبئهم عائد على الملائكة بإجماع والضمير في اسمائهم مختلف فيه حسب الاختلاف في الاسماء التي
علمها آدم قال بعض العلماء ان في قوله تعالى فلما انبأهم نبوة لآدم عليه السلام اذ امره الله سبحانه
ان ينبئ الملائكة بما ليس عندهم من علم الله عز وجل وقوله تعالى اعلم غيب السموات والارض معناه
ما غاب عنكم لان الله لا يغيب عنه شيء والكل معلوم واختلف في قوله تعالى ما تبدون وما كنتم
تكتمون فقالت طائفة ذلك على معنى العموم في معرفة اسرارهم وظواهرهم وبواطنهم اجمع واذ

من قوله واذ قلنا للملائكة معطوفة على اذ المتقدمة هو الباب كله في اوامر الله تعالى ونواهيه
ومخاطباته ت ما ذكره رحمه الله هو عقيدة اهل السنة وها انا انقل من كلام الائمة ما تبين كلامه
ويزيده وضوحا قال ابن رشد قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بكلمات الله التامات من شر
ما خلق لا يفهم منه ان لله عز وجل كلمات غير تامات لان كلماته هي قوله وكلامه هو صفة من صفات
ذاته يستحيل عليها النقص وفي الحديث بيان صحيح على ان كلمات الله عز وجل غير مخلوقة اذ لا يستعاذ بمخلوق
وهذا هو قول اهل السنة والحق ان كلام الله عز وجل صفة من صفات ذاته قديم غير مخلوق لان الكلام
هو المعنى القائم في النفس والنطق به عبارة عنه قال الله عز وجل ويقولون في انفسهم فاخبر ان القول
معنى يقولونه في النفس وتقول في نفسي كلام اريد ان اعلمك به فحقيقة كلام الرجل هو المفهوم من
كلامه واما الذى تسمعه منه فهو عبارة عنه وكذلك كلام الله عز وجل القديم الذى هو صفة من صفات
ذاته هو المفهوم من قراءة القارئ لا نفس قراءته التي تسمعها لان نفس قراءته التي تسمعها محدثة لم تكن
حتى قرأها وهذا كله بين لمن لم يعم الله بصيرته انتهى بلفظه من البيان وقال الغزالي بعد كلام له
نحو ما تقدم لابن رشد وكما عقل طلب التعليم وارادته بذات الوالد قبل ان يخلق ولده حتى اذا عقل وخلق الله
سبحانه له علما بما في قلب ابيه من الطلب لصار مأمورا بذلك الطلب الذى قام بذات ابيه ودام وجوده
الى وقت معرفة ولده فليعقل قيام الطلب الذى دل عليه قوله عز وجل فاخلع نعليك بذات الله تعالى
ومصير موسى عليه السلام مخاطبا له بعد وجوده اذ خلقت له معرفة بذلك الطلب ومعرفة بذلك
الكلام القديم انتهى بلفظه من الاحياء وقوله للملائكة عموم فيهم والسجود في كلام العرب الخضوع والتذلل
وغايته وضع الوجه بالارض والجمهور على ان سجود الملائكة لآدم ايماء وخضوع ولا تدفع الآية ان
يبلغوا غاية السجود وقوله تعالى فقعوا له ساجدين لا دليل فيه لان الجاثي على ركبتيه واقع واختلف في
حال السجود لآدم فقال ابن عباس تعبدهم الله بالسجود لآدم والعبادة في ذلك لله وقال علي بن ابى طالب وابن عباس
ايضا كان سجود تحية كسجود ابوي يوسف عليه السلام له لا سجود عبادة وقال الشعبي انما كان آدم كالقبلة
ومعنى لآدم الى آدم ع وفي هذه الوجوه كلها كرامة لآدم عليه السلام وقوله تعالى الا ابليس نصب على الاستثناء المتصل
لانه من الملائكة على قول الجمهور وهو ظاهر الآية وكان خازنا وملكا على سماء الدنيا والارض واسمه عزازيل
قاله ابن عباس وقال ابن زيد والحسن هو ابو الجن كما آدم ابو البشر ولم يك قط ملكا وقد روي نحوه عن
ابن عباس ايضا قال واسمه الحارث وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين كانوا في الارض وقاتلتهم الملائكة
فسبوه صغيرا وتعبد مع الملائكة وخوطب معها وحكاه الطبري عن ابن مسعود والاستثناء على هذه
الاقوال منقطع واحتج بعض اصحاب هذه الاقوال بان الله تعالى قال في صفة الملائكة لا يعصون الله
ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ورجح الطبري قول من قال ان ابليس كان من الملائكة وقال ليس في خلقه من نار
ولا في تركيب الشهوة والنسل فيه حين غضب عليه ما يدفع انه كان من الملائكة وقوله عز وجل كان من الجن
ففسق عن امر ربه يتخرج على انه عمل عملهم فكان منهم في هذا او على ان الملائكة قد تسمى جنا لاستتارها
قال الله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وقال الاعشى في ذكر سليمان عليه السلام شعر
وسخر من جن الملائك تسعة ... قياما لديه يعملون بلا اجر
وعلى ان يكون نسبه الى الجنة كما ينسب الى البصرة بصري قال عياض ومما يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا فيهم
ومن خزان الجنة الى ما حكوه وهذا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن انتهى من الشفا

الكلام في السجود وعلم ابليس

وابليس لا ينصرف لانه اسم اعجمي قال الزجاج ووزنه فعليل وقال ابن عباس وغيره هو مشتق من ابلس
اذا ابعد عن الخير ووزنه على هذا افعيل ولم تصرفه هذه الفرقة لشذوذه وقلته ومنه قوله تعالى
فاذا هم مبلسون اي يائسون من الخير مبعدون ومنه فيما ابى وابى معناه امتنع من فعل ما امر
واستكبر دخل في الكبرياء والاباءة مقدمة على الاستكبار في ظهورهما عليه والاستكبار والانفة مقدمة
في معتقده وروى ابن القاسم عن مالك انه قال بلغني ان اول معصية كانت الحسد والكبر والشح حسد ابليس
ادم وتكبر وشح ادم في اكله من شجرة قد نهي عن قربها انتهى اطلاق الشح على ادم فيه ما لا يخفى عليك وكون
اعتقاد تنزيه الانبياء عن كل ما يحيط من رتبتهم وقد قال تعالى في حق ادم ولقد عهدنا الى ادم من
قبل فنسي ولم نجد له عزما وقوله تعالى وكان من الكافرين قالت فرقة معناه وصار من الكافرين ورده
ابن فورك فالجمهور والمتاولين معنى وكان من الكافرين اي في علم الله تعالى وقال ابو العالية معناه
من العاصين وذهب الطبري الى ان الله تعالى اراد بقصة ابليس تقريع اشباهه من بني ادم وهم اليهود
الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم مع علمهم بنبوته ومع تقدم نعم الله عليهم وعلى اسلافهم ت ولفظ
الطبري وفي هذا تقريع لليهود اذ ابوا من الاسلام مع علمهم بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من كونه
والكبر حسدا له ولبني اسمعيل كما امتنع ابليس من السجود حسدا لادم وتكبرا عن الحق وقوله فاليهود
نظراء ابليس في كفرهم وكبرهم وحسدهم وتركهم الانقياد لامر الله تعالى انتهى من مختصر الطبري لابي عبد الله
اللخمي النحوي واختلف هل كفر ابليس جهلا او عنادا على قولين بين اهل السنة ولكن لا خلاف انه كان
عالما بالله قبل كفره ولا خلاف ان الله تعالى اخرج ابليس عند كفره وابعده عن الجنة وبعد اخراجه قال
لادم اسكن قوله تعالى اسكن انت وزوجك الجنة اسكن معناه لازم الاقامة ولفظه لفظ الامر ومعناه
الاذن واختلف في الجنة التي اسكنها ادم هل هي جنة الخلد او جنة اخرى ت والاول هو مذهب اهل
السنة والجماعة وكلا منها اي من الجنة والرغد العيش اللذيذ الهني وحيث مبنية على الضم وقوله تعالى
ولا تقربا هذه الشجرة معناه لا تقرباها باكل والهاء في هذه بدل من الياء وتحتمل هذه الاشارة
شجرة معينة واحدة واختلف في هذه الشجرة ما هي فقال ابن عباس هي الكرم وقيل هي شجرة التين وقيل
السنبلة وقيل غير ذلك وقوله فتكونا من الظالمين الظالم في اللغة الذي يضع الشيء في غير موضعه
والظلم في احكام الشرع على مراتب اعلاها الشرك ثم ظلم المعاصي وهي مراتب اعلاها الكبائر وازلهما
ماخوذ من الزلل وهو في الاية مجاز لانه في الراي والنظر وانما حقيقة الزلل في القدم وقرا حمزة فازالهما
ماخوذ من الزوال ولا خلاف بين العلماء ان ابليس اللعين هو متولي اغواء ادم عليه السلام واختلف في
الكيفية فقال ابن عباس وابن مسعود وجمهور العلماء اغواهما مشافهة بدليل قوله تعالى
وقاسمهما والمقاسمة ظاهرها المشافهة وقالت طائفة ان ابليس لم يدخل الجنة بعد ان اخرج منها
وانما اغوى ادم بشيطانه وسلطانه ووسواسه التي اعطاه الله تعالى كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم ت والى هذا القول نحى المازري في بعض
اجوبته ومن ابتلي بشيء من وسوسة هذا اللعين فاعظم الادوية له الثقة بالله والتعوذ به والاعراض
عن هذا اللعين وعدم الالتفات اليه ما امكن قال ابن عطاء الله في لطائف المنن كان بي
وسواس في الوضوء فقال لي الشيخ ابو العباس المرسي ان كنت لا تترك هذه الوسوسة لا تعد
تاتينا فشق ذلك علي وقطع الله الوسواس عني وكان الشيخ ابو العباس يلقن للوسواس سبحان الملك الخلاق

ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز انتهى قال عياض في الشفا واما
قصة ادم عليه السلام وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى وتصريحه تعالى بالمعصية بقوله وعصى ادم
ربه فغوى اي جهل وقيل اخطا فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل
فنسي ولم نجد له عزما قال ابن عباس نسي عداوة ابليس وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو
لك ولزوجك الاية وقيل نسي ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه
فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين وتوهما
ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روي عذر ادم مثل هذا في بعض الاثار وقال ابن جبير حلف
بالله لهما حتى غرهما والمومن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال تعالى ولم نجد له عزما اي قصدا
للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر قال ابن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة
ودليل ذلك قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية
كانا بعد العصيان وقيل بل اكلها وهو متاول وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه تاول نهي الله عن شجرة
مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تاول ان الله تعالى
لم ينهه عنها نهي تحريم انتهى بلفظه فجزاه الله خيرا ولقد جعل الله في شفائه شفاء والضمير في عنها يعود
على الجنة وهنا محذوف يدل عليه الظاهر فاكلا من الشجرة وقوله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه قيل
معناه من نعمة الجنة الى شقاء الدنيا وقيل من رفعة المنزلة الى سفل مكانة الذنب ت وفي هذا القول نظر
بل الصواب ما اشار اليه صاحب التنوير بان اخراج ادم لم يكن اهانة له بل لما سبق في علمه سبحانه من اكرام ادم
وجعله في الارض خليفة هو والخيار ذريته فايمين فيها بما يجب من عبادته والهبوط النزول من علو
الى سفل واختلف من المخاطب بالهبوط فقال السدي وغيره ادم وحوى وابليس والحية التي ادخلت
ابليس فيها وقال الحسن ادم وحوى والوسوسة وبعضكم لبعض عدو وجملة في موضع الحال ولكم في الارض
مستقر اي موضع استقرار وقيل المراد الاستقرار في القبور والمتاع ما يستمتع به من اكل ولبس
وحديث وانس وغير ذلك واختلف في الحين هنا فقالت فرقة الى حين الموت وهذا قول من يقول المستقر
هو المقام في الدنيا وقالت فرقة الى حين الى يوم القيمة وهذا قول من يقول المستقر في القبور والحين
المدة الطويلة من الدهر اقصرها في الايمان والالتزامات سنة قال الله تعالى تؤتي اكلها كل حين وقيل
اقصرها ستة اشهر لان من النخل ما يطعم في كل ستة اشهر وفي قوله تعالى الى حين فائدة لادم عليه
السلام ليعلم انه غير باق فيها ومنتقل الى الجنة التي وعد بالرجوع اليها وهي لغير ادم دالة على المعاد وروي
ان ادم نزل على جبل من جبال سرنديب وان حوى نزلت بجدة وان الحية نزلت باصبهان وقيل
بميسان وان ابليس نزل عند الابلة قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات المعنى فقال الكلمات فتاب الله عليه
عند ذلك وقرا ابن كثير ادم بالنصب من ربه كلمات بالرفع واختلف المتاولون في الكلمات فقال الحسن
ابن ابي الحسن هي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقالت طائفة ان ادم راى مكتوبا على ساق
العرش محمد رسول الله فتشفع به فهي الكلمات وسال بعض سلف المسلمين عما ينبغي ان يقوله المذنب
فقال يقول ما قال ابواه ربنا ظلمنا انفسنا وما قال له موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وما قال
يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وتاب عليه معناه رجع به والتوبة من الله الرجوع على عبده بالرحمة

والتوفيق والتوبة من العبد الرجوع عن المعصية والندم على الذنب مع تركه فيما يستأنف ت يعني مع العزم على تركه فيما يستقبل وانما خص الله تعالى آدم بالذكر في التلقي والتوبة وحواء مشاركة له بالاجماع لانه المخاطب في اول القصة فكملت القصة بذكره وحده وايضا فلان المرأة حرمة ومستورة فاراد الله تعالى الستر لها ولذلك لم يذكرها في المعصية في قوله وعصى آدم ربه وبنية التواب للمبالغة والتكثير وفي قوله تعالى هو التواب تاكيد فايدته ان التوبة على العبد انما هي نعمة من الله لا من العبد وحده لئلا يعجب التائب بل الواجب عليه شكر الله تعالى في توبته عليه وكرر الامر بالهبوط لما علق بكل امر منهما حكما غير حكم الآخر فعلق بالاول العداوة وبالثاني اتيان الهدى ت وهذه الاية تبين ان هبوط آدم كان هبوط تكرمة لما ينشأ عن ذلك من انواع الخيرات وفنون العبادات وجميعا حال من الضمير في اهبطوا واختلف في المقصود بهذا الخطاب فقيل آدم وحواء وابليس وذريتهم وقيل ظاهره العموم ومعناه الخصوص في آدم وحواء لان ابليس لا يأتيه هدى والاول اصح لان ابليس مخاطب بالايمان بالاجماع وان في قوله فاما هي للشرط دخلت ما عليها مؤكدة ليصح دخول النون المشددة واختلف في معنى قوله هدى فقيل بيان وارشاد والصواب ان يقال بيان ودعاء وقالت فرقة الهدى الرسل وهي الى آدم من الملائكة والى بنيه من البشر هو فمن بعده وقوله تعالى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم قال سيبويه والشرط الثاني وجوابه هما جواب الاول في قوله فاما يأتينكم وقوله تعالى فلا خوف عليهم يحتمل فيما بين ايديهم من الدنيا ولا هم يحزنون على ما فاتهم منها ويحتمل لا خوف عليهم يوم القيامة ولا هم يحزنون ت وهذا هو الظاهر وعليه اقتصر في اختصار الطبري ولفظه عن ابن زيد فلا خوف عليهم اي لا خوف امامهم قال وليس شيء اعظم في صدر من يموت مما بعد الموت فآمنهم سبحانه منه وسلاهم عن الدنيا انتهى وقوله تعالى والذين كفروا الاية لما كانت لفظة الكفر يشترك فيها كفر النعم وكفر المعاصي ولا يجب بهذا خلود بين سبحانه ان الكفر هنا هو الشرك بقوله وكذبوا باياتنا والايات هنا يحتمل ان يريد العلامات المنصوبة والصحبة الاقتران بالشيء في حالة ما زمنا قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي اسرائيل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام واسرا هو بالعبرانية عبد وايل اسم الله تعالى فمعناه عبد الله والذكر في كلام العرب على انحاء وهذا منها ذكر القلب الذي هو ضد النسيان والنعمة هنا اسم جنس فهي مفردة بمعنى الجمع قال ابن عباس وجمهور العلماء الخطاب لجميع بني اسرائيل في مدة النبي صلى الله عليه وسلم وقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم امر وجوابه وهذا العهد في قول جمهور العلماء عام في جميع اوامره سبحانه ونواهيه ووصاياه لهم فيدخل في ذلك ذكر محمد صلى الله عليه وسلم الذي في التوراة والرهبة يتضمن الامر بها معنى التهديد واسند الترمذي الحكيم في نوادر الاصول له عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال ربكم سبحانه لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين فمن خافني في الدنيا امنته في الاخرة ومن امنني في الدنيا اخفته في الاخرة انتهى من التذكرة للقرطبي ورواه ابن المبارك في رقائقه من طريق الحسن البصري وفيه قال الله تعالى وعزتي لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين فاذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيامة واذا خافني في الدنيا امنته يوم القيامة ورواه ايضا الترمذي الحكيم في كتاب ختم الاولياء قال صاحب الكلم الفارقية والحكم الحقيقية بقدر ما يدخل القلب من التعظيم والحرمة تنبعث الجوارح في الطاعة والخدمة انتهى وآمنوا معناه صدقوا ومصدقا نصب على الحال من الضمير في انزلت

وما

وما انزلت كناية عن القرآن ولما معكم يعني التوراة وقوله تعالى ولا تكونوا اول كافر به هذا من مفهوم الخطاب الذي المذكور فيه والمسكوت عنه حكمهما واحد والتحذير والبدار الى الكفر به اذ على الاول كفل من فعل من اتبعه ونصب اول على خبر كان ع وقد كان كفر قبلهم كفار قريش انما معناه من اهل الكتاب اذ هم منظور اليهم في مثل هذا واختلف في الضمير في به فقيل يعود على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل على القرآن وقيل على التوراة واختلف في الثمن الذي نهوا ان يشتروا بالايات فقالت طائفة ان الاحبار كانوا يعلمون دينهم بالاجرة فنهوا عن ذلك وفي كتبهم علم مجانا كما علمت مجانا اي باطلا بغير اجرة وقيل كانت للاحبار ماكلة يأكلونها على العلم وقال قوم ان الاحبار اخذوا رشا على تغيير قصة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة فنهوا عن ذلك وقال قوم معنى الاية ولا تشتروا باوامري ونواهي واياتي ثمنا قليلا يعني الدنيا ومدتها والعيش الذي هو نزر لا خطر له وقد تقدم نظير قوله واياي فاتقون وبين اتقون وارهبون فرق ان الرهبة مقرون بها وعيد بالغ وقوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل اي لا تخلطوا قال ابو العالية قالت اليهود محمد نبي مبعوث لكن الى غيرنا فاقرارهم ببعثه حق وقولهم الى غيرنا باطل وتكتموا الحق اي امر محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذه الالفاظ تغليظ الذنب على من وقع فيه مع العلم به وانه اعصى من الجاهل وانتم تعلمون جملة في موضع الحال فاء ص وتكتموا مجزوم معطوف على تلبسوا والمعنى النهي عن كل من الفعلين انتهى واقيموا الصلاة معناه اظهروا هيئتها وادموها بشروطها وآتوا الزكاة هذه في الاية هي المفروضة وهي ماخوذة من النماء وقيل من التطهير وقوله تعالى واركعوا مع الراكعين قيل انما خص الركوع بالذكر لان بني اسرائيل لم يكن في صلاتهم ركوع ت وفي هذا القول نظر وقد قال في مريم واسجدي واركعي وقالت فرقة انما قال مع لان الامر بالصلاة اولا لم يقتض شهود الجماعة ت وهذا القول هو الذي عول عليه ع في قصة مريم عليها السلام والركوع الانحناء بالشخص وقوله تعالى اتامرون خرج مخرج الاستفهام ومعناه التوبيخ والبر يجمع وجوه الخير والطاعات وتنسون معناه تتركون انفسكم قال ابن عباس كان الاحبار يأمرون اتباعهم ومقلديهم باتباع التوراة وكانوا هم يخالفونها في جحدهم منها صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقالت فرقة كان الاحبار اذا استرشدهم احد من العرب في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم دلوه على ذلك وهم لا يفعلونه ت وخرج الحافظ ابو نعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني في كتاب رياضة المتعلمين قال قال ابو بكر بن خلاد نا الحارث بن ابي اسامة نا ابو النضر محمد بن عبد الله بن علي بن زيد عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي رجالا تقرض السنتهم وشفاههم بمقاريض من نار فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الخطباء من امتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون الكتاب افلا يعقلون انتهى واستعينوا بالصبر والصلاة قال مقاتل معناه على طلب الاخرة وقيل استعينوا بالصبر على الطاعات وعن الشهوات على نيل رضوان الله سبحانه وبالصلاة على نيل رضوان الله وحط الذنوب وعلى مصائب الدهر ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ومنه ما روي ان عبد الله بن عباس نعي له اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق وصلى ثم انصرف الى راحلته وهو يقرأ واستعينوا بالصبر والصلاة وقال مجاهد الصبر في هذه الاية الصوم ومنه قيل لرمضان شهر الصبر وخص الصوم والصلاة على هذا القول بالذكر لتناسبهما في ان الصيام يمنع الشهوات ويزهد في الدنيا والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وتخشع ويقرأ فيها القرآن الذي يذكر بالاخرة

وقال قوم الصبر على بابه والصلاة الدعاء وروى ابن المبارك في دقائقه قال اخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يذكر فيها شيئا من امر الدنيا لم يسال الله شيئا الا
اعطاه اياه واسند ابن المبارك عن عقبة بن عامر الجهني قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
من توضأ فاحسن وضوءه ثم صلى صلاة غير ساه ولا لاه كفر عنه ما كان قبلها من شيء انتهى وهذا الحديث
يبينه ما جاء في صحيح البخاري عن عثمان حيث توضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه انتهى الضمير
في قوله تعالى وانها قيل يعود على الصلاة وقيل على العبادة التي تضمنها بالمعنى ذكر الصبر والصلاة قال ص
انما الضمير للصلاة وهو القاعدة في ان ضمير الغائب لا يعود على غير الاقرب الا بدليل انتهى ثم ذكر ابو حيان
وجوها اخر نحو ما تقدم وكبيرة معناه ثقيلة شاقة والخاشعون المتواضعون المخبتون والخشوع هيئة
في النفس يظهر منها على الجوارح سكون وتواضع ويظنون في هذه الاية قال الجمهور يوقنون والظن
في كلام العرب قاعدة الشك مع ميل الى احد معتقديه وقد يقع موقع اليقين لكنه لا يقع فيما قد خرج الى
الحس لا تقول العرب في رجل مرئي اظن ان هذا انسانا وانما تجد الاستعمال فيما لم يخرج الى الحس كهذه الاية
وكقوله تعالى وظنوا انهم مواقعوها قال ص قلت وما ذكره ابن عطية هو معنى ما ذكره الزجاج في معانيه
عن بعض اهل العلم ان الظن يقع في معنى العلم الذي لم تشاهده وان كان قد قامت في نفسك حقيقته
قال وهذا مذهب الا انهم لم يذكروه قال وسمعته من ابي اسحق اسمعيل بن اسحق القاضي رواه عن زيد بن اسلم
انتهى والملاقاة هي للثواب او العقاب ويصح ان تكون الملاقاة هنا بالرؤية التي عليها اهل السنة وورد
بها متواتر الحديث وراجعون قيل معناه بالموت وقيل بالحشر والخروج الى الحساب والعرض ويقوي هذا
القول الاية المتقدمة قوله تعالى ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون قوله تعالى يا بني اسرائيل الاية قد تكرر
هذا النداء والتذكير بالنعمة وفائدة ذلك ان الخطاب الاول يصح ان يكون للمؤمنين ويصح ان يكون
للكافرين منهم وهذا التكرير انما هو للكافرين بدلالة ما بعده وايضا فان فيه تقوية التوقيف وتاكيد
الحض على اتباع الله سبحانه وحسن خطابهم بقوله سبحانه وفضلتكم على العالمين لان تفضيل ابائهم واسلافهم
تفضيل لهم وفي الكلام اتساع قال قتادة وغيره المعنى على عالم زمانهم الذي كانت فيه النبوة المتكررة
لان الله تعالى يقول لامة محمد صلى الله عليه وسلم كنتم خير امة اخرجت للناس واتقوا يوما اي عذاب يوم
او هول يوم ويصح ان يكون يوما نصبه على الظرف ولا تجزي معناه لا تغني وقال السدي معناه لا تقضي
ويقويه قوله شيئا وفي الكلام حذف التقدير لا تجزي فيه وفي مختصر الطبري اي واتقوا يوما لا تقضي
نفس عن نفس شيئا ولا تغني غناء واحدنا اليوم قد يقضي عن قريبه دينا واما في الاخرة فيسر الرجل ان
يترتب له على قريبه حق لان القضاء هناك من الحسنات والسيئات كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم والشفاعة
ماخوذة من الشفع وهما الاثنان لان الشافع والمشفوع له شفع وسبب هذه الاية ان بني اسرائيل قالوا
نحن ابناء انبياء الله وسيشفع لنا اباؤنا وهذا انما هو في حق الكافرين للاجماع وتواتر الاحاديث
في المؤمنين وقوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل قال ابو العالية العدل الفدية قال ع عدل الشيء هو الذي يساوي
الشيء من جنسه وفي جرمه والضمير في قوله ولا هم عائد على الكافرين الذين اقتضتهم الاية ويحتمل ان يعود
على النفسين المتقدم ذكرهما لان اثنين جمع او لان النفس للجنس وهو جمع وحصرت هذه الاية المعاني التي
يعتادها بنو ادم في الدنيا فان الواقع في شدة مع ادمي لا يتخلص الا ان يشفع له او ينصر او يفتدى

او يمن عليه الا ان الكافر ليس هو باهل بان يمن عليه وقوله تعالى واذ نجيناكم من ال فرعون
اي خلصناكم وال اصله اهل قلبت الهاء الفا ولذلك ردها التصغير الى الاصل فقيل اهيل
وال الرجل قرابته وشيعته واتباعه وفرعون اسم لكل من ملك من العمالقة بمصر وفرعون
موسى قيل اسمه مصعب بن الريان وقال ابن اسحق اسمه الوليد بن مصعب وروي انه كان من اهل اصطخر
ورد مصر فاتفق له فيها الملك وكان اصل كون بني اسرائيل بمصر نزول اسرائيل بها زمن ابنه يوسف
عليهما السلام ويسومونكم معناه ياخذونكم به ويلزمونكم اياه والجملة في موضع نصب على الحال اي
سائمين لكم سوء العذاب وسوء العذاب اشده واصعبه وكان فرعون على ما روي قد راى في منامه
نارا قد خرجت من بيت المقدس فاحرقت بيوت مصر فاولت له رؤياه ان مولودا من بني اسرائيل
ينشا فيخرب ملك فرعون على يديه وقال ابن اسحق وابن عباس وغيرهما ان الكهنة والمنجمين قالوا لفرعون
قد اظلك زمان مولود من بني اسرائيل يخرب ملكك ويذبحون بدل من يسومون وفي
ذلكم اشارة الى جملة الامر وبلاء معناه امتحان واختبار ويكون البلاء في الخير والشر وحكى الطبري
وغيره في كيفية نجاتهم ان موسى عليه السلام اوحي اليه ان يسري من مصر ببني اسرائيل فامرهم
موسى ان يستعيروا الحلي والمتاع من القبط واحل الله ذلك لبني اسرائيل وسرى بهم وقيل انما فعلوا ذلك دون
راي موسى عليه السلام وهو الاشبه فسرى بهم موسى من اول الليل فاعلم بهم فرعون فقال لا يتبعهم احد حتى
تصيح الديكة فلم يصح تلك الليلة بمصر ديك حتى اصبح وامات الله تلك الليلة كثيرا من ابناء القبط
فاشتغلوا بالدفن وخرجوا في الاتباع مشرقين وذهب موسى عليه السلام الى ناحية البحر حتى بلغه
وكانت عدة بني اسرائيل نيفا على ستمائة الف وكانت عدة فرعون الف الف ومائتي الف وحكى غير هذا مما
اختصرته لقلة ثبوته فلما لحق فرعون موسى ظن بنو اسرائيل انهم غير ناجين فقال يوشع بن نون
لموسى اين امرت فوالله ما كذبت ولا كذبت فاشار الى البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب
بعصاك البحر واوحى الله الى البحر ان انفرق لموسى اذا ضربك فبات البحر يضطرب تلك الليلة فحين
اصبح ضرب موسى البحر وكناه ابا خالد فانفلق وكان ذلك في يوم عاشوراء وقوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر
الاية فرقنا معناه فرقنا ومعنى بكم بسببكم والبحر هو بحر القلزم ولم يفرق البحر عرضا من ضفة الى
ضفة وانما فرق من موضع الى موضع اخر في ضفة واحدة وكان ذلك الفرق يقرب من موضع النجاة
ولا يلحق في البر الا في ايام كثيرة بسبب جبال واوعار حائلة وقيل انفرق البحر عرضا على اثني عشر طريقا
طريق لكل سبط فلما دخلوها قالت كل طائفة غرق اصحابنا وجزعوا فقال موسى عليه السلام اللهم
اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى الله اليه ان ادر عصاك على البحر فادارها وصارت في الماء فتوح كالطاقات
يرى بعضهم بعضا وجازوا وجبريل في ساقتهم على ماذيانة يحث بني اسرائيل ويقول لال فرعون مهلا
حتى يلحق اخركم اولكم فلما وصل فرعون الى البحر اراد الدخول فنفر فرسه فتعرض له جبريل بالرمكة
فاتبعها الفرس ودخل ال فرعون وميكائيل يحثهم فلما لم يبق الا ميكائيل في ساقتهم على الضفة
وحده انطبق البحر عليهم فغرقوا وتنظرون قيل معناه بابصاركم لقرب بعضهم من بعض وقيل ببصائركم
للاعتبار لانهم كانوا في شغل قال الطبري وفي اخبار القران على لسان النبي صلى الله عليه وسلم
بهذه المغيبات التي لم تكن من علم العرب ولا وقعت الا في خفي علم بني اسرائيل دليل واضح عند بني اسرائيل
وقائم عليهم بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وموسى اسم اعجمي قال ابن اسحق هو موسى بن عمران

ابن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل صلى الله عليهم وسلم وخص الليالي
بالذكر في قوله سبحانه واذ وعدنا موسى اربعين ليلة اذ الليلة اقدم من اليوم وقبله في الرتبة
ولذلك وقع بها التاريخ قال النقاش وفي ذلك اشارة الى صلة الصوم لانه لو ذكر الايام لامكن انه
يعتقد انه كان يفطر بالليل فلما نص على الليالي اقتضت قوة الكلام انه عليه السلام واصل اربعين ليلة بايامها
قال ع حدثني ابي رضي الله عنه قال سمعت الشيخ الزاهد الامام الواعظ ابا الفضل بن الجوهري رحمه الله يعظ
الناس بهذا المعنى في الخلوة بالله تعالى والدنو منه في الصلاة ونحوه وان ذلك يشغل عن كل طعام وشراب
ويقول اين حال موسى في القرب من الله ووصال ثمانين من الدهر من قوله حين سار الى الخضر لفتاه في بعض
يوم آتنا غداءنا ت وايضا في الاثر ان موسى لم يصبه اولم يشك ما شكاه من نصب حتى جاوز الموضع
الذي وعد فيه لقاء الخضر عليهما السلام قال ع وكل المفسرين على ان الاربعين كلها ميعاد وقوله سبحانه
ثم اتخذتم العجل اي الها و الضمير في بعده يعود على موسى وقيل على انطلاقه للتكلم اذ المواعدة تقتضيه
و قصص هذه الاية ان موسى عليه السلام لما خرج ببني اسرائيل من مصر قال لهم ان الله تعالى سينجيكم
من آل فرعون وينفلكم حليهم وروي ان استعارتهم الحلي كان بغير اذن موسى عليه السلام وهو الاشبه
ويوبخه ما في سورة طه في قولهم لموسى ولكنا حملنا اوزارا وظاهر انهم اخبروه بما لم يتقدم له به شعور
ثم قال لهم موسى انه سينزل الله علي كتابا فيه التحليل والتحريم والهدى لكم فلما جاوزوا البحر طلبوا موسى
بما قال لهم من امر الكتاب فخرج لميعاد ربه وحده وقد اعلمهم بالاربعين ليلة فعدوا عشرين يوما بعشرين
ليلة وقالوا هذه اربعون من الدهر وقد اخلفنا الموعد وبدا تعنتهم وخلافهم وكان السامري رجلا من
بني اسرائيل يسمى موسى بن ظفر ويقال انه ابن خال موسى وقيل لم يكن من بني اسرائيل بل كان غريبا فيهم والاول
اصح وكان قد عرف جبريل عليه السلام وقت عبورهم قالت طائفة انكر هيئته فعرف انه ملك
وقالت طائفة كانت ام السامري ولدته عام الذبح فجعلته في غار واطبقت عليه فكان جبريل عليه السلام
يغذوه باصبع نفسه فيجد في اصبع لبنا وفي اصبع عسلا وفي اصبع سمنا فلما رآه وقت جواز البحر عرفه
فاخذ من تحت حافر فرسه قبضة تراب والقي في روعه انه لن يلقيها على شيء ويقول له كن كذا الا كان
فلما خرج موسى لميعاده قال هرون لبني اسرائيل ان ذلك الحلي والمتاع الذي استعرتم من القبط لا يحل لكم فجيئوا
به تأكله النار التي كانت العادة ان تنزل على القرابين وقيل بل اوقد لهم نارا وامرهم بطرح جميع ذلك
فيها فجعلوا يطرحون وقيل بل امرهم ان يضعوه في حفرة دون نار حتى يجي موسى و روي وهو الاصح
الاكثر انه القى الناس الحلي في الحفرة او نحوها وجاء السامري فطرح القبضة وقال كن عجلا وقيل ان
السامري كان في اصله من قوم يعبدون البقر وكان يعجبه ذلك وقيل بل كانت بنو اسرائيل قد مرت مع موسى
على قوم يعبدون البقر ت والذي في القرآن يعكفون على اصنام لهم قيل كانت على صور البقر فقالوا يا موسى
اجعل لنا الها كما لهم آلهة فوعاها السامري وعلم ان من تلك الجهة يفتنون ففتنت بنو اسرائيل
بالعجل وظلت منهم طائفة يعبدونه فاعتزلهم هرون بمن تبعه فجاء موسى من ميعاده فغضب حسبما يأتي
وقصصه في موضعه ان شاء الله تعالى ثم اوحى الله اليه انه لن يتوب على بني اسرائيل حتى يقتلوا انفسهم
ففعلت بنو اسرائيل ذلك فروي انهم لبسوا السلاح من عبد منهم ومن لم يعبد والقى الله عليهم الظلام
فقتل بعضهم بعضا يقتل الاب ابنه والاخ اخاه فلما استحر فيهم القتل وبلغ سبعين الفا عفى الله عنهم
وجعل من مات شهيدا وتاب على البقية وذلك قوله سبحانه ثم عفونا عنكم وقال بعض المفسرين وقف

الذين عبدوا العجل صفا ودخل الذين لم يعبدوه عليهم بالسلاح فقتلوهم وقالت طائفة جلس الذين
عبدوه بالافنية وخرج يوشع بن نون ينادي ملعون من حل حبوته وجعل الذين لم يعبدوه يقتلونهم
وموسى صلى الله عليه وسلم في خلال ذلك يدعو لقومه ويرغب في العفو عنهم وانما عوقب الذين
لم يعبدوا بقتل انفسهم على احد الاقوال لانهم لم يغيروا المنكر حين عبد العجل وانتم ظالمون ابتداء وخبر في موضع
الحال و العفو تغطية الاثر واذهاب الحال الاول من الذنب وغيره ت ومنه الحديث فجعلت ام اسمعيل
تعفو اثرها قال ع ولا يستعمل العفو بمعنى الصفح الا في الذنب و الكتاب هنا التورية باجماع واختلف في
الفرقان هنا فقال الزجاج وغيره هو التورية ايضا كرر المعنى لاختلاف اللفظ وقال الآخرون الكتاب التورية
والفرقان سائر الآيات التي اوتي موسى عليه السلام لانها فرقت بين الحق والباطل واختلف هل بقي العجل
من ذهب فقال ذلك الجمهور وقال الحسن بن ابي الحسن صار لحما ودما والاول اصح ت وقوله سبحانه
فتوبوا الى بارئكم عن ابي العالية الى خالقكم من برأ الله الخلق اي خلقهم فالبرية فعيلة بمعنى مفعولة
انتهى من مختصر ابي عبد الله اللخمي النحوي المصري و قوله تعالى واذ قلتم يا موسى يريد السبعين الذين اختارهم
موسى و اختلف في وقت اختيارهم فحكى اكثر المفسرين ان ذلك بعد عبادة العجل اختارهم ليستغفروا لبني
اسرائيل وحكى النقاش وغيره انه اختارهم حين خرج من البحر وطلب بالميعاد والاول اصح و قصة السبعين
ان موسى عليه السلام لما رجع من تكليم الله تعالى ووجد العجل قد عبد قالت له طائفة ممن لم يعبد العجل نحن
لم نكفر ونحن اصحابك ولكن اسمعنا كلام ربك فاوحى الله اليه ان اختر منهم سبعين فلم يجد الا ستين
فاوحى اليه ان اختر من الشباب عشرة ففعل فاصبحوا شيوخا وكان قد اختار ستة من كل سبط
فزادوا اثنين على السبعين فتشاحوا فيمن يتأخر فاوحى اليه ان من تأخر فله اجر من مضى فتأخر
يوشع بن نون وكالوث بن يوفنا وذهب موسى عليه السلام بالسبعين بعد ان امرهم ان يجتنبوا
النساء ثلاثا ويغتسلوا في اليوم الثالث واستخلف هرون على قومه ومضى حتى اتى الجبل فالقى
عليهم الغمام قال النقاش غشيتهم سحابة وحيل بينهم وبين موسى بالنور فوقعوا سجودا قال السدي وغيره
وسمعوا كلام الله يامرهم وينهاهم فلم يطيقوا سماعه واختلطت اذهانهم ورغبوا ان يكون موسى يسمع
ويعبر لهم ففعل فلما فرغوا وخرجوا بدلت طائفة منهم ما سمعت من كلام الله تعالى فذلك قوله تعالى
وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه واضطربت ايمانهم وامتحنهم الله بذلك فقالوا لن نؤمن
حتى نرى الله جهرة ولم يطلبوا من الرؤية محالا اما انه عند اهل السنة ممتنع في الدنيا من طريق
السمع فاخذتهم الصاعقة فاحترقوا وماتوا موت همود يعتبر به الغير وقال قتادة ماتوا وذهبت
ارواحهم ثم ردوا لاستيفاء آجالهم فحين حصلوا في ذلك الهمود جعل موسى يناشد ربه فيهم ويقول
اي رب كيف ارجع الى بني اسرائيل دونهم فيهلكون ولا يؤمنون بي ابدا وقد خرجوا وهم الاخيار قال
يعني هم بحال الخير وقت الخروج وقال قوم بل ظن موسى ان السبعين انما عوقبوا بسبب عبادة العجل
فذلك قوله اتهلكنا يعني السبعين بما فعل السفهاء منا يعني عبدة العجل وقال ابن فورك يحتمل
ان تكون معاقبة السبعين لاخراجهم طلب الرؤية عن طريقه بقولهم لموسى ارنا وليس ذلك
من مقدور موسى عليه السلام قال ع يعني هم بحال الخير وقت الخروج وقال قوم بل ظن موسى
ان السبعين انما عوقبوا بسبب عبادة العجل فذلك قوله اتهلكنا يعني السبعين بما فعل السفهاء
منا يعني عبدة العجل وقال ابن فورك يحتمل ان تكون معاقبة السبعين لاخراجهم طلب الرؤية

عن طريقه تقول لهم لموسى أرنا وليس ذلك من مقدور موسى عليه السلام قال ع ومن قال إن
السبعين سمعوا ما سمع موسى فقد أخطأ، وأذهب فضيلة موسى واختصاصه بالتكليم جهرة مصدر
في موضع الحال والجهر العلانية ومنه الجهر ضد السر وجهر الرجل الأمر كشفه وفي مختصر الطبري
عن ابن عباس جهرة قال علانية وعن الربيع جهرة عيانا انتهى وقوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون
أجاب الله تعالى فيهم رغبة موسى عليه السلام وأحياهم من ذلك الهمود أو الموت ليستوفوا آجالهم وتاب
عليهم والبعث هنا الإثارة ولعلكم تشكرون أي على هذه النعمة والترجي إنما هو في حق البشر وذكر المفسرون
في تظليل الغمام أن بني إسرائيل لما كان من أمرهم ما كان من القتل وبقي منهم من بقي حصلوا في فحص التيه
بين مصر والشام فأمروا بقتال الجبارين فعصوا وقالوا اذهب أنت وربك فقاتلا فدعا موسى عليهم فعوقبوا
بالبقاء في ذلك الفحص أربعين سنة يتيهون في مقدار خمسة فراسخ أو ستة روي أنهم كانوا يمشون
النهار كله وينزلون للمبيت فيصبحون حيث كانوا بكرة أمس وندم موسى على دعائه عليهم فقيل لا تأس على
القوم الفاسقين وروي أنهم ماتوا بأجمعهم في فحص التيه ونشأ بنوهم على خير طاعة فهم الذين خرجوا من
فحص التيه وقاتلوا الجبارين وإذ كان جميعهم في التيه قالوا لموسى من لنا بالطعام قال الله فأنزل الله عليهم المن
والسلوى قالوا من لنا من حر الشمس فظلل عليهم الغمام قالوا بم نستصبح بالليل فضرب لهم عمود نور في وسط
محلتهم وذكر مكي عمود نار قالوا من لنا بالماء فأمر موسى بضرب الحجر قالوا من لنا باللباس فأعطوا أن لا يبلى
لهم ثوب ولا يخلق ولا يدرن وأن تنمو أصغارها حسب نمو الصبيان والمن صمغة حلوة هذا قول
فرقة وقيل هو عسل وقيل شراب حلو وقيل الذي ينزل اليوم على الشجر وروي أن المن كان ينزل عليهم من طلوع
الفجر إلى طلوع الشمس كالثلج فيأخذ منه الرجل ما يكفيه ليومه فإن ادخر فسد عليه إلا يوم الجمعة
فإنهم كانوا يدخرون ليوم السبت فلا يفسد عليهم لأن يوم السبت يوم عبادة والسلوى طير بإجماع المفسرين
فقيل هو السماني وقيل طائر مثل السماني وقيل طائر مثل الحمام تحشره عليهم الجنوب ص قال ابن عطية وغلط
الهذلي في إطلاقه السلوى على العسل حيث قال ط وقاسمها بالله عهدا لأنتم · ألذ من السلوى إذا ما نشورها
قلت قد نقل صاحب المختصر أنه يطلق على العسل لغة فلا وجه لتغليطه لأن إجماع المفسرين لا يمنع من إطلاقه
لغة بمعنى آخر غير الآية انتهى وقوله تعالى كلوا الآية معناه وقلنا كلوا لحذف واختصار لدلالة الظاهر عليه
والطيبات هنا جمعت الحلال واللذيذ ص وقوله وما ظلمونا قدر ابن عطية قبل هذه الجملة محذوفا
أي فعصوا وما ظلمونا وقدر غيره فظلموا وما ظلمونا ولا حاجة إلى ذلك لأن ما تقدم عنهم من القبائح
يغني عنه انتهى ت وقول أبي حيان لا حاجة إلى هذا التقدير إلى آخره يرد بأن المحذوف في الكلام الفصيح هذا
شأنه لا بد من دليل في اللفظ يدل عليه إلا أنه يختلف في ذلك في الوضوح والخفاء فما حذف مما لا دليل
عليه فلا يجوز و قوله تعالى وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا
وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا
على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون وإذ استسقى موسى لقومه القرية المدينة سميت
بذلك لأنها تقرت أي اجتمعت ومنه قريت الماء في حوضي أي جمعته والإشارة بهذه إلى بيت المقدس
في قول الجمهور وقيل إلى أريحا وهي قريب من بيت المقدس قال عمر بن شبة كانت قاعدة ومسكن ملوك
ولما خرج ذرية بني إسرائيل من التيه أمروا بدخول القرية المشار إليها وأما الشيوخ فماتوا فيه وروي
أن موسى وهارون عليهما السلام ماتا في التيه وحكى الزجاج عن بعضهم أنهما لم يكونا في التيه

لأنه عذاب والأول أكثر ت لكن ظاهر قوله فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين يقوي ما حكاه
الزجاج وهكذا قال الإمام الفخر انتهى وكلوا إباحة وتقدم معنى الرغد وهي أرض مباركة
عظيمة الغلة فلذلك قال رغدا الباب قال مجاهد هو باب مدينة بيت المقدس يعرف إلى اليوم
بباب حطة وسجدا قال ابن عباس معناه ركوعا وقيل متواضعين خضوعا والسجود يعم هذا كله
وحطة فعلة من حط يحط ورفعه على خبر ابتداء كأنهم قالوا سؤالنا حطة لذنوبنا قال عكرمة
وغيره أمروا أن يقولوا لا إله إلا الله لتحط بها ذنوبهم وقال ابن عباس قيل لهم استغفروا وقولوا
ما يحط ذنوبكم ت قال أحمد بن نصر الداودي في تفسيره وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم
سار مع أصحابه في سفر فقال قولوا نستغفر الله ونتوب إليه فقالوا ذلك فقال والله إنها للحطة
التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها انتهى وحكي عن ابن مسعود وغيره أنهم أمروا بالسجود وأن
يقولوا حطة فدخلوا يزحفون على أستاههم ويقولون حنطة حبة حمراء في شعرة وروي غير هذا
من الألفاظ وقوله وسنزيد المحسنين عدة المعنى إذا غفرت الخطايا بدخولكم وقولكم زيد بعد
ذلك لمن أحسن وكان من بني إسرائيل من دخل كما أمر وقال لا إله إلا الله وقيل هم المراد بالمحسنين
هنا وقوله تعالى فبدل الذين ظلموا الآية روي في الحديث لما جاؤوا الباب دخلوا من قبل أدبارهم القهقرى وفي
الحديث دخلوا يزحفون على أستاههم وبدلوا فقالوا حبة في شعيرة وقيل قالوا حنطة حبة حمراء
في شعرة وقيل شعيرة وحكى الطبري أنهم قالوا نطي شمقاثا أزبه وتفسيره ما تقدم وفي مختصر
الطبري عن مجاهد قال أمر موسى قومه أن يدخلوا الباب سجدا ويقولوا حطة وطوطئ لهم الباب
ليسجدوا فلم يسجدوا ودخلوا على أدبارهم وقالوا حنطة وذكر عز وجل فعل سلفهم بنبيهم ليكذبهم
محمد صلى الله عليه وسلم على طريق تسفيههم في خلافهم على أنبيائهم واستخفافهم بهم واستهزائهم
بأمرهم انتهى والرجز العذاب قال ابن زيد وغيره فبعث الله على الذين بدلوا الطاعون فأذهب
منهم سبعين ألفا وقال ابن عباس أمات الله منهم في ساعة واحدة نيفا عن عشرين ألفا واستسقى معناه
طلب السقيا وعرف استفعل طلب الشيء وقد جاء في غير ذلك كقوله تعالى واستغنى الله وكان هذا
الاستسقاء في فحص التيه فأمره تعالى بضرب الحجر آية منه وكان الحجر من جبل الطور على قدر رأس
الشاة يلقى في كسر جوالق ويرحل به فإذا نزلوا وضع في وسط محلتهم وضربه وذكر أنهم
لم يكونوا يحملون الحجر لكنهم كانوا يجدونه في كل مرحلة في منزلته من المرحلة الأولى وهذا أعظم في
الآية ولا خلاف أنه كان حجرا مربعا منفصلا تطرد من كل جهة منه ثلاث عيون إذا ضربه موسى وإذا
استغنوا عن الماء ورحلوا جفت العيون وفي الكلام حذف تقديره فضربه فانفجرت والانفجار
انصداع شيء عن شيء ومنه الفجر والانبجاس في الماء أقل من الانفجار وأناس اسم جمع لا واحد له
من لفظه ومعناه هنا كل سبط لأن الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب وهم ذرية الاثني
عشر أولاد يعقوب عليه السلام وقوله سبحانه كلوا واشربوا من رزق الله الآية ت روينا
من طريق أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل
الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها رواه مسلم والترمذي والنسائي انتهى و
المشرب موضع الشرب وكان لكل سبط عين من تلك العيون لا يتعداها ولا تعثوا معناه ولا تفرطوا
في الفساد ومفسدين حال مؤكدة لأن لا تعثوا معناه لا تفسدوا انتهى وقوله تعالى وإذ قلتم

يا موسى لن نصبر على طعام واحد الاية كان هذا القول منهم في التيه حين ملوا المن والسلوى
وتذكروا عيشهم الاول بمصر قال ابن عباس واكثر المفسرين الفوم الحنطة وقال قتادة وعطا الفوم
جميع الحبوب التي يمكن ان تختبز قال الضحاك الفوم الثوم قراءة عبد الله بن مسعود وروي ذلك عن ابن
عباس والذي يتبدل من الفا كما قالوا مغاثير ومغافير قال احمد بن نصر الداودي وهذا القول
اشبه لما ذكر معه اي من العدس والبصل انتهى وادنى قال علي بن سليمان الاخفش ماخوذ من الدنو
اي البين الدناءة بمعنى الاخس الا انه خففت همزته وقال غيره هو ماخوذ من الدون اي الاحط
فاصله ادون ومعنى الاية اتستبدلون البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل التي هي ادنى من
المن والسلوى الذي هو خير وجمهور الناس يقرؤن مصرا بالتنوين قال مجاهد وغيره اراد مصرا
من الامصار غير معين واستدلوا بما اقتضاه القران من امرهم بدخول القرية وبما تظاهرت
به الروايات انهم سكنوا الشام بعد التيه وقالت طائفة اراد مصر فرعون بعينها واستدلوا بما في القران
ان الله تعالى اورث بني اسرائيل ديار آل فرعون وآثارهم قال ع وعلى انه اراد مصر التي خرجوا
منها فالمعنى ان الذي تطلبون كان في البلد الذي كان فيه عذابكم واستعبادكم واسركم ثم قال والاظهر انهم
منذ خرجوا من مصر لم يرجعوا اليها والله اعلم انتهى وقوله تعالى فان لكم ما سألتم يقتضي انه وكلهم
الى انفسهم وضربت عليهم الذلة والمسكنة معناه الزموها كما قالت العرب ضربة لازب
وباءوا بغضب معناه مروا متحملين له قال الطبري باءوا به اي رجعوا به واحتملوه ولا يقال بوء
الا بخير او بشر انتهى وقوله تعالى ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير
الحق الاشارة بذلك الى ضرب الذلة وما بعده وقوله تعالى بغير الحق تعظيم للشنعة والذنب ولم يجترم
نبي قط ما يوجب قتله وانما التسليط عليهم بالقتل كرامة لهم وزيادة في منازلهم صلى الله عليهم
كمثل من يقتل في سبيل الله من المؤمنين والباء في بما باب السبب ويعتدون معناه يتجاوزون
الحدود والاعتداء هو تجاوز الحد وقوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين
الاية اختلف في المراد بالذين آمنوا في هذه الاية فقالت فرقة الذين آمنوا هم المؤمنون حقا بنبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وقوله من آمن بالله يكون فيهم بمعنى من ثبت ودام وفي سائر الفرق بمعنى
من دخل فيه وقال السدي هم اهل الحنيفية ممن لم يلحق محمدا صلى الله عليه وسلم والذين هادوا
ومن عطف عليهم كذلك ممن لم يلحق محمدا صلى الله عليه وسلم والذين هادوا هم اليهود وسموا بذلك
لقولهم هدنا اي تبنا والنصارى لفظة مشتقة من النصر قال ص والصابئين قرأ الاكثر بالهمز من صبأ
النجم والسن اذا خرج اي خرجوا من دين مشهور الى غيره وقرأ نافع بغير همز فيحتمل ان يكون من المهموز
المسهل فيكون بمعنى الاول ويحتمل ان يكون من صبا غير مهموز اي مال ومنه الى هند صبا قلبي
وهند مثلها يصبي انتهى قال ع والصابي في اللغة من خرج من دين الى دين واما الصابئون في قوله
تعالى والصابئين فقال السدي هم فرقة من اهل الكتاب وقال مجاهد هم قوم لا دين لهم وقال ابن جريج
هم قوم تركب دينهم بين اليهودية والمجوسية وقال ابن زيد هم قوم يقولون لا اله الا الله وليس
لهم عمل ولا كتاب كانوا بجزيرة الموصل وقال الحسن بن ابي الحسن وقتادة هم قوم يعبدون
الملائكة ويصلون الخمس الى القبلة ويقرؤن الزبور رآهم زياد بن ابي سفيان فاراد وضع الجزية
عنهم حتى عرف انهم يعبدون الملائكة وقوله تعالى ورفعنا فوقكم الطور الاية الطور اسم الجبل الذي

نوجي

نوجي موسى عليه السلام عليه قاله ابن عباس وقال مجاهد وغيره الطور اسم لكل جبل وقصص
هذه الاية ان موسى عليه السلام لما جاء لبني اسرائيل من عند الله تعالى بالالواح فيها التوراة قال لهم خذوها
والتزموها فقالوا لا الا ان يكلمنا الله بها كما كلمك فصعقوا ثم احيوا فقال لهم خذوها
فقالوا لا فامر الله الملائكة فاقتلعت جبلا من جبال فلسطين طوله فرسخ في مثله وكذلك كان
عسكرهم فجعل عليهم مثل الظلة واخرج الله تعالى البحر من ورائهم واضرم نارا من بين ايديهم
فاحاط بهم غضبه وقيل لهم خذوها وعليكم الميثاق ولا تضيعوها والا سقط عليكم الجبل واغرقكم
البحر واحرقتكم النار فسجدوا توبة لله واخذوا التوراة بالميثاق قال الطبري عن بعض العلماء لو اخذوها
اول مرة لم يكن عليهم ميثاق وكانت سجدتهم على شق لانهم كانوا يرقبون الجبل خوفا فلما رحمهم الله
سبحانه قالوا لا سجدة افضل من سجدة تقبلها الله ورحم بها فامروا سجودهم على شق واحد قال ع
والذي لا يصح سواه ان الله تعالى اخترع وقت سجودهم الايمان في قلوبهم لا انهم آمنوا كرها وقلوبهم غير
مطمئنة قال وقد اختصرت ما سرد في قصص هذه الاية وقصدت اصح الذي تقتضيه الفاظ هذه الاية
وخلط بعض الناس صعقة هذه القصة بصعقة السبعين وبقوة قال ابن عباس معناه بجد واجتهاد
وقال ابن زيد معناه بتصديق وتحقيق واذكروا ما فيه اي تدبروه واحفظوا اوامره ووعيده ولا
تنسوه ولا تضيعوه وقوله تعالى ثم توليتم الاية تولى اصله الاعراض والادبار عن الشيء بالجسم ثم استعمل
في الاعراض عن الامور والاديان والمعتقدات اتساعا ومجازا وتوليهم من بعد ذلك اما بالمعاصي
فكان فضل الله بالتوبة والامهال اليها واما ان يكون توليهم بالكفر فلم يعاجلهم سبحانه بالهلاك ليكون
من ذريتهم من يؤمن وقوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت الاية علمتم معناه عرفتم
والسبت ماخوذ من السبوت الذي هو الراحة والدعة واما من السبت وهو القطع لان الاشياء
فيه سبتت وتمت خلقتها وقصة اعتدائهم فيه ان الله عز وجل امر موسى عليه السلام بيوم الجمعة
وعرفه فضله كما امر به سائر الانبياء عليهم صلواته فذكر موسى ذلك لبني اسرائيل عن الله سبحانه وامرهم
بالتشرع فيه فابوا وتعدوه الى يوم السبت فاوحى الله الى موسى ان دعهم وما اختاروا من ذلك وامتحنهم
بان امرهم بترك العمل وحرم عليهم صيد الحيتان وشدد عليهم المحنة بان كانت الحيتان تاتي يوم السبت
حتى تخرج الى الافنية قاله الحسن بن ابي الحسن وقيل حتى تخرج خراطيمها من الماء وذلك
اما بالهام من الله تعالى او بامر لا يعلل واما بان الهمها معنى الامنة التي في اليوم مع تكراره
كما فهم حمام مكة الامنة وكان امر بني اسرائيل بايلة على البحر فاذا ذهب السبت ذهبت الحيتان
فلم تظهر الى السبت الآخر فبقوا على ذلك زمانا حتى اشتهوا الحوت فعمد رجل يوم السبت فربط
حوتا بخزمة وضرب له وتدا بالساحل فلما ذهب السبت جاء فاخذه فسمع قوم بفعله فصنعوا
مثل ما صنع وقيل بل حفر رجل في غير السبت حفيرا يخرج اليه البحر فاذا كان يوم السبت فاخذ
ففعل قوم مثل فعله وكثر ذلك حتى صادوه يوم السبت علانية وباعوه في الاسواق فكان
هذا من اعظم الاعتداء وكانت فرقة من بني اسرائيل نهت عن ذلك فنجت من العقوبة وكانت منهم
فرقة لم تعص ولم تنه فقيل نجت مع الناهين وقيل هلكت مع العاصين وكونوا لفظة امر
وهو امر التكوين كقوله تعالى لكل شيء كن فيكون قال ابن الحاجب في مختصره الكبير المسمى بمنتهى
الوصول لصيغة افعل وما في معناها قد صح اطلاقها باذاء خمسة عشر محملا الوجوب اقيموا

الصلاة والندب فكاتبوهم والارشاد واشهدوا اذا تبايعتم والاباحة فاصطادوا والتأديب كل مما يليك والامتنان كلوا مما رزقكم الله والاكرام ادخلوها بسلام والتهديد اعملوا ما شئتم والانذار تمتعوا والتسخير كونوا قردة والاهانة كونوا حجارة والتسوية فاصبروا او لا تصبروا والدعاء اغفر لنا والتمني الا انجلي وكمال القدرة كن فيكون انتهى وزاد غيره كونوا للتعجيز اعني صيغة افعل قال ابن الحاجب وكذا اتفق على انها مجاز فيما عدا الوجوب والندب والاباحة والتهديد ثم الجمهور على انها حقيقة في الوجوب انتهى وخاسئين معناه مبعدين اذلاء صاغرين كما يقال للكلب وللمطرود اخسأ وروي في قصصهم ان الله تعالى مسخ العاصين قردة في الليل فاصبح الناجون الى مساجدهم ومجتمعاتهم فلم يروا احدا من الهالكين فقالوا ان للناس لشأنا ففتحوا عليهم الابواب لما كانت مغلقة بالليل فوجدوهم قردة يعرفون الرجل والمرأة وقيل ان الناجين كانوا قد قسموا بينهم وبين العاصين قرية بجدار تبريا منهم فاصبحوا ولم تفتح مدينة الهالكين فتسوروا عليهم الجدار فاذا هم قردة يثب بعضهم على بعض وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وثبت ان الممسوخ لا تتنسل ولا تأكل ولا تشرب ولا تعيش اكثر من ثلاثة ايام ووقع في كتاب مسلم عنه صلى الله عليه وسلم ان امة من الامم فقدت واراها الفار وظاهر هذا ان الممسوخ تنسل فان كان اراد هذا فهو ظن منه صلى الله عليه وسلم في امر لا مدخل له في التبليغ ثم اوحى الله اليه بعد ذلك ان الممسوخ لا تنسل ونظير ما قلناه نزوله صلى الله عليه وسلم على مياه بدر وامره باطراح تذكير النخل وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا اخبرتكم عن الله فهو كما اخبرتكم واذا اخبرتكم برأيي في امر الدنيا فانما انا بشر مثلكم والضمير في جعلناها يحتمل عوده على المسخة والعقوبة ويحتمل على الامة التي مسخت ويحتمل على القردة اذ معنى الكلام يقتضيها ويحتمل على الجزيرة التي ... والنكال الزجر بالعقاب ولما بين يديها قال السدي ما بين يدي المسخة ما قبلها من ذنوب القوم وما خلفها لمن يذنب مثل تلك الذنوب وقال غيره ما بين يديها من حضرها من الناس اي لمن يجيء بعدها وقال ابن عباس لما بين يديها وما خلفها من القرى وموعظة من الاتعاظ والازدجار وللمتقين معناه للذين نهوا ونجوا وقالت فرقة معناه لامة محمد صلى الله عليه وسلم واللفظ يعم كل متق من كل امة وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم الاية المراد تذكيرهم بنقض سلفهم للميثاق وسبب هذه القصة على ما روي ان رجلا من بني اسرائيل اسن وكان له مال فاستبطأ ابن اخيه موته وقيل اخوه وقيل ابنا عمه وقيل ورثة غير معينين فقتله ليرثه والقاه في سبط اخر غير سبطه ليأخذ ديته ويلطخهم بدمه وقيل كانت بنو اسرائيل في قريتين متجاورتين فالقاه على باب احدى القريتين وهي التي لم يقتل فيها ثم جعل يطلبه هو وسبطه حتى وجد قتيلا فتعلق بالسبط او بسكان المدينة التي وجد القتيل عندها فانكروا قتله فوقع بين بني اسرائيل في ذلك لحاء حتى دخلوا في السلاح فقال اهل النهى منهم نقتتل ورسول الله معنا فذهبوا الى موسى عليه السلام فقصوا عليه القصة وسألوه البيان فاوحى الله تعالى اليه ان اذبحوا بقرة فيضرب القتيل ببعضها فيحيى ويخبر بقاتله فقال لهم ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة فكان جوابهم اتتخذنا هزوا وهذا القول منهم ظاهر فساد اعتقاد من قاله ولا يصح ايمان من يقول لنبي ظهرت معجزته وقال ان الله يأمركم بكذا اتتخذنا هزوا ولو قال ذلك اليوم احد عن بعض اقوال النبي صلى الله عليه وسلم لوجب تكفيره وذهب قوم الى ان ذلك منهم على جهة غلظ الطبع والجفاء وقول موسى عليه السلام اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين يحتمل معنيين احدهما الاستعاذة من الجهل في ان يخبر عن الله تعالى مستهزئا والاخر من الجهل كما جهلوا في قولهم

ان قالوا

وقوله تعالى ادع لنا ربك الاية هذا تعنيت منهم وقلة طواعية ولو امتثلوا الامر فاستعرضوا بقرة فذبحوها لقضوا ما امروا به ولكن شددوا فشدد الله عليهم قاله ابن عباس وغيره والفارض المسنة الهرمة والبكر البقرة التي لم تلد من الصغر ورفع عوان على خبر ابتداء مضمر تقديره هي عوان والعوان التي قد ولدت مرة بعد مرة قاله م قال الجوهري والعوان النصف في سنها من كل شيء والجمع عون انتهى ت قال الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن حسين العراقي في نظمه لغريب القران جمع ابي حيان نظم معنى عوان نصف بين الصغر وبين ما قد بلغت سن الكبر وكلما نقلته عن العراقي فمن منظومته هذه وقوله تعالى فافعلوا ما تؤمرون تجديد للامر وتأكيد وتنبيه على ترك التعنت فما تركوه قال ابن زيد وجمهور الناس في قوله صفراء انها كانت كلها صفراء وفي مختصر الطبري فاقع لونها اي صاف لونها انتهى والفقوع يختص بالصفرة كما يختص حمرة بقاني واسود بحالك وابيض بناصع واخضر بناضر قال ابن عباس وغيره الصفرة تسر النفس وسالوا بعد هذا كله عما هي سؤال متحيرين قد احسوا مقت المعصية وفي استثنائهم في هذا السؤال الاخير انابة ما ودليل ندم وحرص على موافقة الامر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لولا ما استثنوا ما اهتدوا اليها ابدا وقوله لا ذلول تثير الارض اي غير مذللة بالعمل والرياضة وتثير الارض معناه بالحراثة وهي عند قوم جملة في موضع رفع على صفة البقرة لا ذلول مثيرة وقال قوم تثير فعل مستأنف والمعنى ايجاب الحرث وانها كانت تحرث ولا تسقي ومسلمة بناء مبالغة من السلامة قال ابن عباس وغيره معناه من العيوب وقال مجاهد معناه من الشيات والالوان وقيل من العمل ولا شية فيها اي لا خلاف في لونها هي صفراء كلها قاله ابن زيد وغيره والموشى المختلط الالوان ومنه وشي الثوب تزيينه بالالوان والثور الاشيه الذي فيه بلقة يقال فرس ابلق وكبش اخرج وتيس ابرق وكلب ابقع وثور اشيه كل ذلك بمعنى البلقة وهذه الاوصاف في البقرة سببها انهم شددوا فشدد الله عليهم ودين الله يسر والتعمق في سؤال الانبياء مذموم وقصة وجود هذه البقرة على ما روي ان رجلا من بني اسرائيل ولد له ابن وكانت له عجلة فارسلها في غيضة وقال اللهم اني قد استودعتك هذه العجلة لهذا الصبي ومات الرجل فلما كبر الصبي قالت له امه ان اباك كان قد استودع عجلة فاذهب فخذها فلما رأته البقرة جاءت اليه حتى اخذ بقرنيها وكانت مستوحشة فجعل يقودها نحو امه فلقيه بنو اسرائيل ووجدوا بقرته على الصفة التي امروا بها فلما وجدت البقرة ساموا صاحبها فاشتط عليهم فاتوا به موسى عليه السلام وقالوا له ان هذا اشتط علينا فقال لهم ارضوه في ملكه فاشتروها منه بوزنها مرة قاله عبيدة السلماني وقيل بوزنها مرتين وقيل بوزنها عشر مرات وقال مجاهد كانت لرجل يبر امه واخذت منه بملء جلدها دنانير والان مبني على الفتح معناه هذا الوقت وهو عبارة عما بين الماضي والمستقبل جئت بالحق معناه عند من جعلهم عصاة بينت لنا غاية البيان وهذه الاية تعطي ان الذبح في البقر وان نحرت اجزأ وقوله تعالى وما كادوا يفعلون عبارة عن تثبطهم في ذبحها وقلة مبادرتهم الى امر الله تعالى وقال محمد بن كعب القرظي كان ذلك منهم لغلاء البقرة وقيل كان ذلك خوف الفضيحة في امر القاتل واداراتم معناه تدافعتم قتل القتيل وفيها اي في النفس وقوله تعالى اضربوه ببعضها اية من الله تعالى على يدي موسى عليه السلام ان امرهم ان يضربوا ببعض البقرة القتيل فيحيى ويخبر بقاتله فقيل ضربوه وقيل ضربوا قبره لان ابن عباس ذكر ان امر القتيل وقع قبل جواز البحر وانهم داموا في طلب البقرة اربعين سنة وقوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى الاية في هذه الاية حض على العبرة ودلالة على البعث في الاخرة وظاهرها انها خطاب لبني اسرائيل

كعب

حكى لمحمد صلى الله عليه وسلم ليعتبر به الى يوم القيمة وذهب الطبري الى انها خطاب للمعاصرين محمد صلى الله عليه
وسلم وانها مقطوعة من قوله اضربوه ببعضها وروى ان هذا القتيل لما حيي واخبر بقاتله عاد
ميتا كما كان و قوله تعالى ثم قست قلوبكم الاية اي صلبت وجفت وهي عبارة عن خلوها من الانابة والاذعان
لايات الله تعالى قال قتادة وغيره المراد قلوب بني اسرائيل جميعا في معاصيهم وما ركبوه بعد ذلك
و او لا يصح ان تكون هنا للشك فقيل هي بمعنى بل او وقيل للاضراب وقيل للابهام وقيل غير ذلك و قوله
تعالى وان من الحجارة الاية معذرة للحجارة وتفضيل لها على قلوبهم قال قتادة عذر الله تعالى الحجارة ولم يعذر
شقي بني آدم ت وروى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اربعة من الشقاء جمود العين وقساوة
القلب وطول الامل والحرص على الدنيا انتهى من الكوكب الدري لابي العباس احمد بن سعد التجيبي قال
الغزالي في المنهاج واعلم ان اول الذنب قسوة وآخره والعياذ بالله شؤم وشقوة وسواد القلب يكون من
الذنوب وعلامة سواد القلب ان لا تجد للذنوب مفزعا ولا للطاعة موقعا ولا للموعظة منجعا انتهى و
قيل في هبوط الحجارة تفيؤ ظلالها وقيل ان الله تعالى يخلق في بعض الاحجار خشية وحياة يهبطها من علو
تواضعا وقال مجاهد ما تردى حجر من رأس جبل ولا تفجر نهر من حجر ولا خرج ماء منه الا من خشية
الله تعالى عز وجل نزل بذلك القرآن وقال مثله ابن جريج و قوله تعالى افتطمعون ان يؤمنوا لكم الاية
الخطاب للمؤمنين اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان الانصار كان لهم حرص على اسلام اليهود للحلف والجوار
الذي كان بينهم ومعنى هذا الخطاب التقرير على امر فيه بعد اذ قد سلفت لاسلاف هؤلاء اليهود افاعيل سوء
وهؤلاء على ذلك السنن و تحريف الشيء امالته من حال الى حال وذهب ابن عباس الى ان تحريفهم وتبديلهم انما هو بالتأويل
ولفظ التوراة باق وذهب جماعة من العلماء انهم بدلوا الفاظا من تلقائهم وان ذلك ممكن في التوراة
لانهم استحفظوها وغير ممكن في القرآن لان الله تعالى ضمن حفظه وعن ابن اسحاق ان المراد بالفريق هنا طائفة
من السبعين الذين سمعوا كلام الله مع موسى انتهى من مختصر الطبري وهذا يحتاج الى سند صحيح قوله تعالى واذا لقوا
الذين امنوا قالوا امنا الاية المعنى وهم ايضا اذا لقوا يفعلون هذا فكيف يطمع في ايمانهم ويحتمل ان يكون هذا
مستانفا فيه كشف سرائرهم وورد في التفسير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخلن علينا قصبة
المدينة الا مؤمن فقال كعب بن الاشرف واشباهه اذهبوا وتجسسوا اخبار من آمن بمحمد وقولوا
لهم امنا واكفروا اذا رجعتم فنزلت هذه الاية وقال ابن عباس نزلت في المنافقين من اليهود وروي عنه
ايضا انها نزلت في قوم من اليهود قالوا لبعض المؤمنين نحن نؤمن انه نبي ولكن ليس الينا وانما هو
اليكم خاصة فلما خلوا قال بعضهم لم تقرون بنبوته وقال ابو العالية وقتادة ان بعض اليهود تكلم بما في
التوراة من صفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم فقال لهم كفرة الاحبار اتحدثونهم بما فتح الله عليكم اي عرفكم
من صفة محمد صلى الله عليه وسلم و يحاجوكم من الحجة و عند ربكم في الآخرة و قوله تعالى افلا تعقلون
قيل هو من قول الاحبار للاتباع وقيل هو خطاب من الله تعالى للمؤمنين اي افلا تعقلون ان بني اسرائيل
لا يؤمنون وهم بهذه الاحوال و اميون هنا عبارة عن عامة اليهود وجهلتهم اي انهم لا يطمع في ايمانهم
لما غمرهم من الضلال و الامي في اللغة الذي لا يكتب ولا يقرأ في كتاب نسب الى الام اما لانه بحال امه من عدم
الكتب لا بحال ابيه اذ النساء ليس من شغلهن الكتب قاله الطبري واما لانه بحال ولدته امه فيها لم ينتقل
عنها و الكتاب التوراة و الاماني جمع امنية و اختلف في معنى اماني فقالت طائفة هي هنا من تمنى الرجل
اذا ترجى فمعناه ان منهم من لا يكتب ولا يقرأ وانما يقول بظنه شيئا سمعه فيتمناه من الكتاب وقال

آخرون هي من تمنى اذا تلا ومنه قول الشاعر **نظم** تمنى كتاب الله اول ليله . وآخره لاقى حمام المقادر
فمعنى الاية انهم لا يعلمون الكتاب الا سماع شيء يتلى لا علم لهم بصحته وقال الطبري هي تمني الرجل اذا احدث بحديث
مختلف كذب اي لا يعلمون الكتاب الا سماع اشياء مختلقة من احبارهم يظنونها من الكتاب **ص** وان
هم الا يظنون ان نافية بمعنى ما انتهى و قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون
هذا من عند الله الاية قال الخليل الويل شدة الشر وهو مصدر لا فعل له ويجمع على ويلات والاحسن فيه
اذا انفصل الرفع لانه يقتضي الوقوع ويصح النصب على معنى الدعاء اي الزمه الله ويلا و ويل وويح وويس
تتقارب في المعنى وقد فرق بينها قوم وروى سفيان وعطاء بن يسار ان الويل في هذه الاية واد يجري بفناء
جهنم من صديد اهل النار وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه واد في جهنم بين جبلين يهوي
فيه الهاوي اربعين خريفا وروى عثمان بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جبل من جبال النار و الذين
يكتبون هم الاحبار والرؤساء و بايديهم قال السراج هي كناية عن انه من تلقائهم دون ان ينزل عليهم
الذي بدلوه هو صفة النبي صلى الله عليه وسلم ليستديموا رياستهم ومكاسبهم وذكر السدي انهم كانوا يكتبون
كتبا يبدلون فيها صفة النبي صلى الله عليه وسلم ويبيعونها من الاعراب ويبثونها في اتباعهم ويقولون هو
من عند الله و الثمن قيل عرض الدنيا وقيل الرشا والمآكل التي كانت لهم و يكسبون معناه من المعاصي وقيل من المال
الذي تضمنه ذكر الثمن و قوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة الاية روى ابن زيد وغيره
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لليهود من اهل النار فقالوا نحن ثم تخلفونا انتم فقال لهم كذبتم لقد علمتم
انا لا نخلفكم فنزلت هذه الاية قال اهل التفسير العهد في هذه الاية الميثاق والموعد و بلى رد بعد النفي بمنزلة
نعم بعد الايجاب و قالت طائفة السيئة هنا الشرك كقوله تعالى ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار
و الخطيئات كبائر الذنوب قال الحسن بن ابي الحسن والسدي كل ما توعد الله عليه بالنار فهي الخطيئة المحيطة
و الخلود في هذه الاية على الاطلاق والتابيد في الكفار ومستعار بمعنى الطول في العصاة وان علم انقطاعه
قال محمد بن عبد الله اللخمي في مختصره للطبري اجمعت الامة على تخليد من مات كافرا وتظاهرت الروايات
الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح بان عصاة اهل التوحيد لا يخلدون في النار ونطق القرآن
بان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لكن من خاف على لحمه ودمه اجتنب كل ما جاء
فيه الوعيد ولم يتجاسر على المعاصي اتكالا على ما يرى لنفسه من التوحيد فقد كان السلف وخيار الامة
يخافون سلب الايمان على انفسهم ويخافون النفاق عليها وقد تظاهرت بذلك عنهم الاخبار انتهى و قوله
تعالى والذين امنوا الاية يدل هذا التقسيم على ان قوله بلى من كسب سيئة الاية في الكفار لا في العصاة
ويدل على ذلك ايضا قوله تعالى واحاطت به خطيئته ويدل على ذلك ايضا ان الرد كان على كفار ادعوا ان النار
لا تمسهم الا اياما معدودة فهم المراد بالخلود والله اعلم و قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل
الاية اخذ الله الميثاق عليهم على لسان موسى عليه السلام وغيره من الانبياء و اخذ الميثاق قول فالمعنى قلنا
لا تعبدون الا الله و في الاحسان تدخل انواع بر الوالدين كلها و اليتيم في بني آدم فقد الاب وفي البهائم
فقد الام وقال صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد بلوغ و المسكين الذي لا شيء له وقيل هو الذي له بلغة
والاية تتضمن الرافة باليتامى وحيطة اموالهم والحض على الصدقة والمواساة وتفقد المساكين
و قوله تعالى وقولوا للناس حسنا امر عطف على ما تضمنه لا تعبدون الا الله وما بعده و قرا
حمزة والكسائي حسنا بفتح الحاء والسين قال الاخفش وهما بمعنى واحد وقال الزجاج وغيره بل المعنى

في القراءة الثانية وقولوا للناس حسنا بفتح الحا والسين او قولا ذا حسن بضم الحا وسكون السين
في الاولى قال ابن عباس معنى ذلك قولوا للناس لا اله الا الله ومروهم بها وقال ابن جريج قولوا لهم حسنا في
اعلامهم بما كان في كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقال سفيان الثوري معناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر
وقال ابو العالية قولوا لهم الطيب من القول وجازوهم باحسن ما تحبون ان تجازوا به وهذا حض على مكارم
الاخلاق وزكاتهم هي التي كانوا يضعونها وتنزل النار على ما تقبل منها دون ما لم يتقبل وقوله تعالى ثم توليتم الا
خطاب لمعاصري النبي صلى الله عليه وسلم اسند اليهم تولي اسلافهم اذ هم كلهم بتلك السبيل قال نحوه ابن عباس وغيره
والمراد بالقليل المستثنى جميع مؤمنيهم قديما من اسلافهم وحديثا كابن سلام وغيره والقلة على هذا هي في عدد
الاشخاص ويحتمل ان تكون القلة في الايمان والاول اقوى صح الا قليلا منصوب على الاستثناء من موجب
وروي عن ابي عمرو الا قليل ورد بمنع النحويين البدل من الموجب لان البدل يحل محل المبدل منه فلو قلت
قام الا زيد لم يجز لان الا لا تدخل في الموجب وتاويله الايجاب بالنفي يلزم في كل موجب باعتبار نفي ضده
او نقيضه فيجوز اذا قام القوم الا زيد ولم تبن العرب على ذلك كلامها وانما اجازوا قام القوم الا زيد بالرفع
على الصفة وقد عقد سيبويه لذلك بابا في كتابه انتهى ودماءكم جمع دم وهو اسم منقوص اصله دمي
ولا تخرجون انفسكم من دياركم معناه ولا ينفي بعضكم بعضا بالفتنة والبغي وكذلك حكم كل جماعة
تخاطب بهذا اللفظ في القول وقوله تعالى ثم اقررتم اي خلفا بعد سلف ان هذا الميثاق اخذ عليكم وقوله
تعالى وانتم تشهدون قيل الخطاب يراد به من سلف منهم والمعنى وانتم شهود اي حضور لاخذ الميثاق والاقرار وقيل المراد
من كان في مدة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وانتم شهداء اي بينة ان الميثاق اخذ على اسلافكم فمن بعدهم
منكم وقوله تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم الاية هؤلاء دالة على ان المخاطبة للحاضرين لا تحتمل
ردا الى الاسلاف وقيل تقدير الكلام يا هؤلاء فحذف حرف النداء ولا يحسن حذفه عند سيبويه مع المبهمات
وقال الاستاذ الاجل ابو الحسن بن احمد شيخنا هؤلاء رفع بالابتداء وانتم خبر مقدم وتقتلون حال بها
تم المعنى وهو المقصود صح قال الشيخ ابو حيان ما نقله ابن عطية عن شيخه ابي الحسن بن الباذش من جعله
هؤلاء مبتدا وانتم خبر مقدم لا ادري ما العلة في ذلك وعدوله عن جعل انتم مبتدا وهؤلاء الخبر الى
عكسه انتهى ت قيل العلة في ذلك دخولها التنبيه عليه لاختصاصها باول الكلام ويدل على ذلك قولهم
ها انا ذا قائما كما قال معناه ابن هشام فقائما في المثال المتقدم نصب على الحال انتهى وهذه الاية خطاب
لقريظة والنضير وبني قينقاع وذلك ان النضير وقريظة حالفت الاوس وبني قينقاع حالفت الخزرج
فكانت اذا وقعت الحرب بين بني قيلة ذهبت كل طائفة من بني اسرائيل مع احلافها فقتل بعضهم بعضا واخرج بعضهم
بعضا من ديارهم وكانوا مع ذلك يفدي بعضهم اسرى بعض اتباعا لحكم التوراة وهم قد خالفوها بالقتال
والاخراج والديار مباني الاقامة وقال الخليل محلة القوم دارهم ومعنى تظاهرون تتعاونون والعدوان
تجاوز الحدود والظلم وقرا حمزة اسرى تفدوهم واسارى جمع اسير ماخوذ من الاسر وهو الشد ثم كثر استعماله
حتى لزم وان لم يكن ثم ربط ولا شد واسير فعيل بمعنى مفعول وتفادوهم معناه في اللغة تطلقونهم
بعد ان تاخذوا عنهم شيئا وقال الثعلبي يقال فدا اذا اعطى مالا واخذ رجلا وفادى اذا اعطى رجلا واخذ
رجلا فتفدوهم معناه بالمال وتفادوهم اي مفاداة الاسير بالاسير انتهى ت وفي الحديث من قول العباس
رضي الله عنه فاني فاديت نفسي وفاديت عقيلا وظاهره لا فرق بينهما وقوله تعالى افتؤمنون ببعض الكتاب
وتكفرون ببعض الاية الذين امنوا به فداء الاسارى والذي كفروا به قتل بعضهم بعضا واخراجهم من ديارهم

وهو لانه استثناء من م

بالرفع ووجهه ابن عطية على بدل قليل من ضمير توليتم على ان معنى توليتم النفي اي لم يف بالميثاق الا قليل م

ولم يقولوا انا هذا قائما م

وهذا توبيخ لهم وبيان لقبح فعلهم والخزي الفضيحة والعقوبة فقيل خزيهم ضرب الجزية عليهم غابر الدهر
وقيل قتل قريظة واجلاء النضير وقيل الخزي الذي توعد به الامة من الناس هو غلبة العدو والدنيا ماخوذة
من دنا يدنو واصل الياء فيها واو ولكن ابدلت فرقا بين الاسماء والصفات واشد العذاب الخلود في جهنم وقوله
تعالى وما الله بغافل عما يعملون قرا نافع وابن كثير بياء على ذكر الغائب فالخطاب بالاية لامة محمد صلى الله عليه
وسلم والاية واعظة لهم بالمعنى اذ الله تعالى بالمرصاد لكل كافر وعاص وقرا الباقون بتاء على الخطاب لمن تقدم ذكره
في الاية قبل هذا وهو قوله افتؤمنون ببعض الكتاب الاية وهو الاظهر ويحتمل ان يكون لامة محمد
صلى الله عليه وسلم فقد روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ان بني اسرائيل قد مضوا وانتم
الذين تعنون بهذا يا امة محمد يريد هذا وما يجري مجراه وقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة
الدنيا بالاخرة الاية جعل الله ترك الاخرة واخذ الدنيا عوضا عنها مع قدرتهم على التمسك بالاخرة
بمنزلة من اخذها ثم باعها بالدنيا فلا يخفف عنهم العذاب في الاخرة ولا ينصرون ولا في الدنيا وفي الاخرة
هو ولقد اتينا موسى الكتاب اللام في لقد يحتمل ان يكون توكيدا ويحتمل ان يكون جواب قسم وموسى هو
المفعول الاول والكتاب الثاني وعكس السهيلي ومريم معناه في السريانية الخادم وسميت به ام عيسى
فصار علما عليها انتهى والكتاب التوراة وقفينا ماخوذ من القفا تقول قفيت فلانا بفلان اذا
جئت به من قبل قفاه ومنه قفا يقفو اذا اتبع وكل رسول جاء بعد موسى فانما جاء باثبات التوراة
والامر بلزومها الى عيسى عليه السلام والبينات الحجج التي اعطاها الله عيسى وقيل هي ابانة من احيا وابراء وخلق
طير وقيل هي الانجيل والاية تعم ذلك وايدناه معناه قويناه والايد القوة قال ابن عباس روح القدس
هو الاسم الذي كان يحيي به الموتى وقال ابن زيد هو الانجيل كما سمى الله تعالى القران روحا وقال السدي والضحاك
والربيع وقتادة روح القدس جبريل عليه السلام وهذا اصح الاقوال وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
لحسان اهج قريشا وروح القدس معك ومرة قال وجبريل معك وكلما ظرف والعامل فيه استكبرتم
وظاهر الكلام الاستفهام ومعناه التوبيخ روي ان بني اسرائيل كانوا يقتلون في اليوم ثلاثمائة نبي ثم تقوم
سوقهم في اخر النهار وروي سبعين نبيا ثم تقوم سوق بقلهم في اخر النهار والهوى اكثر ما يستعمل فيما ليس
بحق وهو في هذه الاية من ذلك لانهم انما كانوا يهوون الشهوات ومعنى قلوبنا غلف اي عليها غشاوات
فهي لا تفقه قاله ابن عباس ثم بين تعالى سبب نفورهم عن الايمان انما هو انهم لعنوا بما تقدم من كفرهم
واجترامهم وهذا هو الجزاء على الذنب بذنب اعظم منه واللعن الابعاد والطرد وقليلا نعت لمصدر
محذوف تقديره فايمانا قليلا ما يؤمنون والضمير في يؤمنون لحاضري محمد صلى الله عليه وسلم
وما في قوله ما يؤمنون زائدة مؤكدة وقوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله الاية الكتاب القران
ومصدق لما معهم يعني التوراة ويستفتحون معناه ان بني اسرائيل كانوا قبل مبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد علموا خروجه بما علموا عندهم من صفته وذكر وقته وظنوا انه منهم فكانوا اذا حاربوا
الاوس والخزرج فغلبتهم العرب قالوا لهم لو قد خرج النبي الذي اظل وقته لقاتلناكم معه واستنصرنا
عليكم به ويستفتحون معناه يستنصرون قال احمد بن نصر الداودي ومنه عسى الله ان ياتي بالفتح
اي بالنصر انتهى وروى ابو بكر محمد بن حسين الاجري عن ابن عباس قال كانت يهود خيبر تقاتل
غطفان فكلما التقوا هزمت اليهود فعاذت اليهود يوما بالدعاء فقالوا اللهم انا نسالك بحق
محمد النبي الامي الذي وعدتنا ان تخرجه لنا في اخر الزمان الا نصرتنا عليهم فكانوا اذا التقوا دعوا

وهذا

لهذا الدعاء فهزموا غطفان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا به فانزل الله عز وجل
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين والاستفتاح الاستنصار ووقع ليهود المدينة نحو هذا مع الانصار
قبل الاسلام انتهى من تاليف حسن بن علي بن عبد الملك الرهوني المعروف بابن القطان وهو كتاب نفيس جدا
الفه في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وايات نبوته وروي ان قريظة والنضير وجميع يهود الحجاز
في ذلك الوقت كانوا يستفتحون على مشركي العرب وبسبب خروج النبي المنتظر كانت نقلتهم الى الحجاز
وسكناهم به فانهم كانوا علموا صقع المبعث وما عرفوا هو محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه ويظهر
من هذا الاثر العام منهم وان كفرهم كان مع معرفته ومعاندته ولعنة الله ابعاده لهم وخزيهم
كذلك وبئس اصله بئس سهلت الهمزة ونقلت حركتها الى الباء وما عند سيبويه فاعله بئس والتقدير
بئس الذين اشتروا به انفسهم واشتروا بمعنى باعوا وما انزل الله يعني به القران ويحتمل التوراة
ويحتمل ان يراد الجميع من توراة وانجيل وقران لان الكفر بالبعض يلزم الكفر بالكل ومن فضله يعني من النبوة والرسالة ومن
يشاء يعني به محمدا صلى الله عليه وسلم لانهم كفروا به بغيا والله قد تفضل عليه وباؤوا معناه
مضوا متحملين لما يذكر انهم باؤوا به وقال البخاري قال قتادة باؤوا معناه انقلبوا انتهى وبغضب معناه
من الله تعالى لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم على غضب متقدم من الله تعالى عليهم قيل لعبادتهم
العجل وقيل لكفرهم بعيسى عليه السلام والمعنى على غضب قد باؤوا به اسلافهم حظ هؤلاء منه وافر بسبب
رضاهم بتلك الافعال وتصويبهم لها ومهين ماخوذ من الهوان وهو الخلود في النار لان من لا يخلد من
عصاة المسلمين انما عذابه كعذاب الذي يقام عليه الحد لا هوان فيه بل هو تطهير له وقوله تعالى
واذا قيل لهم يعني اليهود امنوا بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم وهو القران قالوا نؤمن
بما انزل علينا يعنون التوراة ويكفرون بما وراءه قال قتادة اي بما بعده قال الفراء اي بما سواه
ويعني به القران ووصف تعالى القران بانه الحق ومصدقا حال مؤكدة عند سيبويه وقوله تعالى قل
فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين رد من الله تعالى عليهم وتكذيب لهم في ذلك واحتجاج
عليهم وقوله تعالى ولقد جاءكم موسى بالبينات الاية البينات التوراة والعصا وفرق البحر وسائر الايات اتخذوا
ما اتيناكم يعني التوراة والشرع بقوة اي بعزم ونشاط وجد واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل والمعنى
جعلت قلوبهم تشربه وهذا تشبيه ومجاز عبارة عن تمكن العجل في قلوبهم وقوله تعالى بكفرهم يحتمل
ان تكون باء السبب ويحتمل ان تكون مع وقوله تعالى قل بئسما يامركم به ايمانكم الاية امر لمحمد صلى الله عليه
وسلم ان يوبخهم بانه بئس هذه الاشياء التي فعلتم وامركم بها ايمانكم الذي زعمتم في قولكم نؤمن بما انزل
علينا وقوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الاخرة الاية امر لمحمد صلى الله عليه وان يوبخهم والمعنى ان كان لكم نعيمها
وحظوتها وخيرها فذلك يقتضي حرصكم على الوصول اليها فتمنوا الموت والدار اسم كان وخالصة خبرها
ومن دون الناس يحتمل ان يراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه ويحتمل ان يراد العموم وهذه اية
بينة اعطاها الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لان اليهود قالت نحن ابناء الله واحباؤه وشبه ذلك
من القول فامر الله نبيه ان يدعوهم الى تمني الموت وان يعلمهم انه من تمناه منهم مات ففعل النبي صلى
الله عليه وسلم ذلك فعلموا صدقه فاحجموا عن تمنيه فرقا من الله لقبح افعالهم ومعرفتهم بكذبهم وحرصهم
منهم على الحياة وقيل ان الله تعالى منعهم من التمني وقصرهم على الامساك عنه لتظهر الاية لنبيه صلى الله
عليه وسلم ت قال عياض ومن الوجوه البينة في اعجاز القران اي وردت بتعجيز قوم في قضايا

بالبعض يستلزم الكفر

واعلامهم

واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله تعالى لليهود قل ان كانت لكم الدار
الاخرة عند الله خالصة الاية قال ابو الحسن الزجاج في هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة
الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لا يتمنونه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل الا غص بريقه يعني يموت مكانه قال ابو محمد الاصيلي من عجيب
امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله تعالى بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا
موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم انتهى من الشفا والمراد بقوله تمنوا اريدوه بقلوبكم واسالوه
وهذا قول جماعة من المفسرين وقال ابن عباس المراد به السؤال فقط وان لم يكن بالقلب ثم اخبر
تعالى عنهم بعجزهم وانهم لا يتمنونه ابدا واضاف ذنوبهم واجرامهم الى الايدي اذ الاكثر من كسب العبد الخير والشر
انما هو بيديه فحمل جميع الاشياء على ذلك وقوله تعالى والله عليم بالظالمين ظاهره الخبر ومضمنه الوعيد
لان الله سبحانه عليم بالظالمين وغيرهم ففائدة تخصيصهم حصول الوعيد وقوله تعالى ولتجدنهم احرص
الناس على حياة الاية وحرصهم على الحياة لمعرفتهم بذنوبهم وان لا خير لهم عند الله وقوله تعالى ومن الذين اشركوا
قيل المعنى واحرص من الذين اشركوا لان مشركي العرب لا يعرفون الا هذه الحياة الدنيا والضمير في احدهم
يعود في هذا القول على اليهود وقيل ان الكلام تم في حياة ثم استؤنف الاخبار عن طائفة من المشركين انهم
يود احدهم لو يعمر الف سنة والزحزحة الابعاد والتنحية وفي قوله تعالى والله بصير بما يعملون وعيد
قوله تعالى قل من كان عدوا لجبريل اجمع اهل التفسير ان اليهود قالت جبريل عدونا واختلف في كيفية
ذلك فقيل ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نسالك عن اربعة اشياء فان عرفتها اتبعناك
فسالوه عما حرم اسرائيل على نفسه فقال لحوم الابل والبانها وسالوه عن الشبه في الولد فقال اي ماء علا
كان له الشبه وسالوه عن نومه فقال تنام عيني ولا ينام قلبي وسالوه عمن يجيئه من الملائكة فقال
جبريل فلما ذكره قالوا ذلك عدونا لانه ملك الحرب والشدائد والجدب ولو كان الذي يجيئك ميكائيل ملك
الرحمة والخصب والامطار لاتبعناك وفي جبريل لغات جبريل بكسر الجيم والراء من غير همز وبها قرا نافع
وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز وبها قرا ابن كثير وروي انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم
في النوم وهو يقرا جبريل وميكائيل فلا ازال اقرؤها ابدا كذلك ت يعني والله اعلم مع اعتماده على روايتها
قال الثعلبي والصحيح المشهور عن ابن كثير ما تقدم من فتح الجيم لا ما حكي عنه في الرؤيا من كسرها انتهى
وذكر ابن عباس وغيره ان جبر وميك وسراف هي كلها بالاعجمية بمعنى عبد ومملوك وايل الله وقوله تعالى
فانه نزله على قلبك الضمير في انه عائد على الله تعالى وفي نزله عائد على جبريل اي بالقران وسائر الوحي وقيل الضمير
في انه عائد على جبريل وفي نزله عائد على القران وخص القلب بالذكر لانه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف
وباذن الله معناه بعلمه وتمكينه اياه من هذه المنزلة ومصدقا حال من ضمير القران في
نزله وما بين يديه ما تقدمه من كتب الله تعالى وهدى اي ارشاد وقوله تعالى من كان عدوا لله الاية وعيد
وذم لمعادي جبريل واعلام ان عداوة البعض تقتضي عداوة الله لهم وعطف جبريل وميكائيل على
الملائكة وكان ذكر الملائكة عمهما تشريفا لهما وقيل خصا لان اليهود ذكروهما ونزلت الاية بسببهما
فذكرا لئلا تقول اليهود انا لم نعاد الله وجميع ملائكته وعداوة العبد لله هي معصيته وترك طاعته ومعاداة
اوليائه وعداوة الله للعبد تعذيبه واظهار اثر العداوة عليه وقوله تعالى او كلما عاهدوا عهدا الاية
قال سيبويه الواو للعطف دخلت عليها الف الاستفهام والنبذ الطرح ومنه المنبوذ والعهد

ولما جاءهم رسول من عند الله هو محمد صلى الله عليه وسلم

نبذوه هو ما اخذ عليهم في التورية من امر النبي صلى الله عليه وسلم ومصدق نعت لرسول وكتاب الله
القران وقيل التورية لان مخالفها نبذ لها وراء ظهورهم مثلا لان ما يجعل ظهريا فقد زال النظر
جملة والعرب تقول جعل هذا الامر وراء ظهره ودبر اذنه وكانهم لا يعلمون تشبيه بمن لا يعلم
فيجيء من اللفظ انهم كفروا على علم وقوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين الاية يعني اليهود وتتلوا قال
عطاء معناه تقرا وقال ابن عباس تتلوا تتبع وعلى ملك سليمان اي على عهد سليمان وقال الطبري اتبعوا
بمعنى فضلوا وعلى ملك سليمان اي على شرعه ونبوته والذي تتله الشياطين قيل انهم كانوا يلقون الى
الكهنة الكلمة من الحق معها المائة من الباطل حتى صار ذلك علمهم فجمعه سليمان ودفنه تحت كرسيه
فلما مات اخرجته الشياطين وقالت ان ذلك علم سليمان وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
ذكر سليمان عليه السلام في الانبياء قال بعض اليهود انظروا الى محمد يذكر سليمان في الانبياء وما كان الا ساحرا
وقوله تعالى وما كفر سليمان تبرئة من الله تعالى لسليمان عليه السلام والسحر والعمل به كفر ويقتل الساحر
عند مالك كفرا ولا يستتاب كالزنديق وقال الشافعي يسئل عن سحره فان كفر استتيب منه فان
تاب والا قتل وقال مالك فيمن يعقد الرجال عن النساء يعاقب ولا يقتل والناس المعلمون اتباع الشياطين
من بني اسرائيل وما انزل على الملكين ما عطف على السحر فهي مفعوله وهذا على القول بان الله تعالى
انزل السحر على الملكين ليكفر به من اتبعه ويؤمن من تركه او على قول مجاهد وغيره ان الله تعالى
انزل على الملكين الشيء الذي يفرق به بين المرء وزوجه دون السحر او على القول ان الله تعالى انزل السحر
عليهما ليعلم على جهة التحذير منه والنهي عنه قال ع والتعليم على هذا القول انما هو تعريف يسير عبادة
وقيل ان ما عطف على ما في قوله ما تتلوا وقيل ما نافية رد على قوله وما كفر سليمان وذلك ان
اليهود قالوا ان الله تعالى انزل جبريل وميكائيل بالسحر فنفى الله ذلك ت قال ع والقراءة بكسر اللام
في الملكين شاذة وبابل قطر من الارض وهاروت وماروت بدل من الملكين وما يذكر في قصتهما
مع الزهرة وكذا قال ع ت قال ع واما ما ذكره اهل الاخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت
وماروت وما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهم في خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان هذه
الاخبار لم يرد منها سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئا يؤخذ بقياس
والذي منه في القران اختلف المفسرون في معناه واكثر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف وهذه
الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نص الله اول الايات انتهى نظم وقوله تعالى وما يعلمان من احد
الاية ذكر ابن العربي في كتابه قوته ان يعلمان بمعنى يعلمان ولم يعرفان كما قال كعب بن زهير نظم

تعلم رسول الله انك مدركي ... وان وعيدا منك كالاخذ باليد

وحمل هذه الاية على ان الملكين انما نزلا يعلمان بالسحر وينهيان عنه وقال الجمهور بل التعليم على عرفه
ص وقوله تعالى من احد من هنا زائدة مع المفعول لتاكيد استغراق الجنس لان احدا من الفاظ
العموم انتهى ويفرقون معناه فرقة العصمة وقيل معناه يؤخذون الرجل عن المراة حتى لا يقدر على
وطئها فهي ايضا فرقة وباذن الله معناه بعلمه وتمكينه ويضرهم معناه في الاخرة والضمير في علموا
عائد على بني اسرائيل وقال اشتراه لانهم كانوا يعطون الاجرة على ان يعلموا والخلاق النصيب والحظ وقيل
وهو هنا بمعنى الجاه والقدر واللام في قوله لمن للقسم المؤذنة بان الكلام قسم لا شرط ولبئسما
جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف اي السحر او الكفر والضمير في به عائد على السحر او الكفر

انتهى

واشروا معناه باعوا والضمير في يعلمون على بني اسرائيل اتفاقا ولو انهم امنوا يعني الذين اشتروا
السحر وجواب لو لمثوبة والمثوبة عند الجمهور بمعنى الثواب وقوله سبحانه لو كانوا يعلمون يحتمل نفي العلم
عنهم ويحتمل لو كانوا يعلمون علما ينفع وقال الجمهور راعنا من المراعاة بمعنى فاعلنا اي ارعنا نرعك
وفي هذا جفا ان يخاطب به احد نبيه وقد حض الله تعالى على خفض الصوت عنده وتعزيره وتوقيره
وقالت طائفة هي لغة للعرب فكانت اليهود تصرفها الى الرعونة التي هي الجهل فنهى الله المؤمنين
عن هذا القول سدا للذريعة لئلا يتطرق منه اليهود الى المحظور وانظرنا معناه انتظرنا
وامهل علينا ويحتمل ان يكون المعنى تفقدنا من النظر والظاهر عندي استدعاء نظر العين
المقترن بتدبر الحال ولما نهى الله تعالى في هذه الاية وامر حض بعد على السمع الذي في ضمنه الطاعة
واعلم ان لمن خالف امره فكفر عذابا اليما وهو المؤلم واسمعوا معطوف على قولوا لا على معمولها
وقوله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب الاية يتناول لفظ الاية كل خير والرحمة
في هذه الاية عامة لجميع انواعها وقال قوم الرحمة القران وقوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها
الاية النسخ في كلام العرب على وجهين احدهما النقل كنقل كتاب من اخر وهذا لا مدخل له في
هذه الاية وورد في كتاب الله تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون الثاني الازالة وهو الذي في هذه
الاية وهو منقسم في اللغة على ضربين احدهما يثبت الناسخ بعد المنسوخ كقولهم نسخت الشمس الظل
والاخر لا يثبت كقولهم نسخت الريح الاثر وورد النسخ في الشرع حسب هذين الضربين وحد
الناسخ عند حذاق اهل السنة الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه
لولاه لكان ثابتا مع تراخيه عنه ت قال ابن الحاجب والنسخ لغة الازالة وفي الاصطلاح
رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متاخر انتهى من مختصره الكبير والنسخ جائز على الله تعالى لانه لا يلزم
عنه محال ولا تغيير صفة من صفاته تعالى وليست الاوامر متعلقة بالارادة فيلزم من النسخ
ان الارادة تغيرت ولا النسخ لطرو علم بل الله تعالى يعلم الى اي وقت ينتهي امره بالحكم الاول
ويعلم نسخه له بالثاني والبدا لا يجوز على الله تعالى لانه لا يكون الا لطرو علم او لتغير ارادة وذلك محال
في جهة الله تعالى وجعلت اليهود النسخ والبدا واحدا فلم يجوزوه فضلوا والمنسوخ عند ائمتنا الحكم
الثابت نفسه لا ما ذهبت اليه المعتزلة من انه مثل الحكم الثابت فيما يستقبل والذي قادهم
الى ذلك مذهبهم في ان الاوامر مرادة وان الحسن صفة نفسية للحسن ومراد الله تعالى حسن وقد
قامت الادلة على ان الاوامر لا ترتبط بالارادة وعلى ان الحسن والقبح في الاحكام انما هو من جهة الشرع
لا بصفة نفسية والتخصيص من العموم يوهم انه نسخ وليس به لان المخصص لم يتناوله العموم
قط ولو تناوله العموم لكان نسخا والنسخ لا يجوز في الاخبار وانما هو مختص بالاوامر والنواهي ورد بعض
المعتزلة بين الامر خبرا بان قال اليس معناه واجب عليكم ان تفعلوا كذا فهذا خبر والجواب ان
يقال ان ذلك في ضمن المعنى لا ان انسخه صيغتكم واردة فكما تضمن لفظ الامر ذلك الاخبار تضمن
الاستثناء وصور النسخ تختلف فقد ينسخ الاثقل الى الاخف وبالعكس وقد ينسخ المثل بمثله ثقلا وخفة
وقد ينسخ الشيء لا الى بدل وقد تنسخ التلاوة دون الحكم وبالعكس والتلاوة والحكم معا ويجوز نسخ
احدهما دون الاخر ونسخ القران بالقران ونسخ خبر الواحد بخبر الواحد وهذا كله متفق عليه
وحذاق الائمة على ان القران ينسخ بالسنة وذلك موجود في قوله عليه السلام لا وصية لوارث وهو ظاهر

مسائل ملك ت ويعني بالسنة الناسخة للقران الخبر المتواتر القطعي وقد اشار الى ان هذا الحديث
متواتر ذكر عند تفسير قوله تعالى اذا حضر احدكم الموت واختلف القراء في قوله تعالى او ننسها فقرا
ابن كثير وابو عمرو ننساها بنون مفتوحة واخرى ساكنة وسين مفتوحة والف بعدها مهموز
وهذه بمعنى التاخير واما قراءة نافع والجمهور ننسها من النسيان وقراءة فرقة الا انها همزت بعد
السين فهذه بمعنى التاخير والنسيان في كلام العرب يجيء في الاغلب ضد الذكر وقد يجيء بمعنى الترك فالمعاني
الثلاثة مقولة في هذه القراءات فما كان منها يترتب في لفظة النسيان الذي هو ضد الذكر فمعنى الاية به
ما ننسخ من اية او نفقد نسيانك لها فانا ناتي بخير منها لكم او مثلها في المنفعة وما كان على معنى الترك
او على معنى التاخير فيترتب فيه معان انظرها ان شئت فاني اثرت الاختصار ع والصحيح ان النسيان
النبي صلى الله عليه وسلم لما اراد الله ان ينساه ولم يرد ان يثبته قرانا جائز فاما النسيان الذي هو افة في
البشر فالنبي صلى الله عليه وسلم معصوم منه قبل التبليغ وبعد التبليغ ما لم يحفظه احد من اصحابه واما
بعد ان يحفظه فجائز عليه ما يجوز على البشر لانه صلى الله عليه وسلم قد بلغ وادى الامانة ومنه الحديث
حين اسقط اية فلما فرغ قال افي القوم ابي قال نعم يا رسول الله قال فلم لم تذكرني قال حسبت انها رفعت من الصلاة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم ترفع ولكني نسيتها وقوله تعالى الم تعلم معناه التقرير ومعنى الاية
ان الله تعالى ينسخ ما يشاء ويثبت ما يشاء ويفعل في احكامه ما يشاء هو قدير على ذلك وعلى كل شيء وهذا لانكار
اليهود النسخ وقوله على كل شيء عموم معناه الخصوص اذ لا تدخل فيه الصفات القديمة بدليل العقل
ولا المحالات لانها ليست باشياء والشيء في كلام العرب الموجود وقدير اسم فاعل على المبالغة قال القشيري
وان من علم ان مولاه على كل شيء قدير قطع رجاه عن الاغيار كما قال تعالى عن ابراهيم عليه السلام ربنا اني
اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع قال اهل الاشارة معناه سهلت طريقهم اليك وقطعت رجاهم عمن سواك
ثم قال ليقيموا الصلاة اي شغلتهم بخدمتك وانا وليهم فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم اي ذا الحنان
فذلل عبادك لهم واوصل بكرمك دعائهم اليهم فانك على ذلك قدير وان من لزم بابه اوصل اليه محابه
وكفاه اسبابه وذلل له كل صعب واورده كل سهل عذب من غير قطع شقة ولا تحمل مشقة انتهى
من التحبير وقوله تعالى الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الاية الملك السلطان ونفوذ الامر والارادة وجمع
الضمير في لكم دال على ان المراد بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم خطاب امته وقوله تعالى ام تريدون ان تسالوا
رسولكم الاية قال ابو العالية انه ان هذه الاية نزلت حين قال بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم ليت
ذنوبنا جرت مجرى ذنوب بني اسرائيل في تعجيل العقوبة في الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد
اعطاكم الله خيرا مما اعطى بني اسرائيل وتلى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا
رحيما وقال ابن عباس ان رافع بن حريملة اليهودي سال النبي صلى الله عليه وسلم تفجير عيون وغير ذلك
وقيل غير هذا وما سئل موسى عليه السلام هو ان يرى الله جهرة وكنى عن الاعراض عن الايمان والاقبال على الكفر
بالتبدل وضل اخطا الطريق والسواء من كل شيء الوسط والمعظم ومنه في سواء الجحيم وقال
حسان بن ثابت في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم يا ويح انصار النبي ورهطه بعد المغيب في سواء الملحد
والسبيل عبارة عن الشريعة التي انزل الله سبحانه لعباده وقوله تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم
من بعد ايمانكم كفارا الاية قال ابن عباس المراد ابنا اخطب حيي وابو ياسر واتباعهما واختلف في
سبب هذه الاية فقيل حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر اتيا بيت المدراس فاراد اليهود صرفهما عن دينهما

فثبتا عليه ونزلت الاية وقيل بل هذه الاية تابعة في المعنى لما تقدم من نهي الله عز وجل عن متابعة
اقوال اليهود في راعنا وغيره وانهم لا يودون ان ينزل على المؤمنين خير ويودون ان
يردوهم كفارا من بعد ما تبين لهم الحق ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ت وقد جاءت احاديث صحيحة
في النهي عن الحسد فمنها حديث مالك في الموطا عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تباغضوا
ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث واسند
ابو عمر بن عبد البر عن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد
والبغضاء حالقة الدين لا حالقة الشعر انتهى من التمهيد والعفو ترك العقوبة والصفح الاعراض عن
المذنب كانه يولي صفحة العنق قال ابن عباس هذه الاية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون الاية
الى قوله صاغرون وقيل بقوله اقتلوا المشركين وقال قوم ليس هذا حد المنسوخ لان هذا في نفس الامر كان
التوقيف على مدته ت وينبغي للمؤمن ان يتادب باداب هذه الاية وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الا ادلكم على ما يرفع الله به الدرجات قالوا نعم يا رسول الله قال تحلم على من جهل عليك وتعفو
عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك خرجه الخطابي انتهى من الكوكب الدري لابي العباس احمد
ابن سعد التجيبي وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير مقتضاه في هذا الموضع وعد للمؤمنين وقوله تعالى
واقيموا الصلوة الاية قال الطبري انما امر الله المؤمنين هنا بالصلاة والزكاة ليحط ما تقدم من ميلهم
الى قول اليهود راعنا لان ذلك نهي عن نوعه وقوله تجدوه اي تجدوا ثوابه وروى ابن المبارك
في رقائقه بسنده قال جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما لي لا احب
الموت قال هل لك مال قال نعم يا رسول الله قال فقدم مالك بين يديك فان المرء مع ماله ان قدمه
احب ان يلحقه وان خلفه احب التخلف انتهى وقوله سبحانه ان الله بما تعملون بصير خبر في اللفظ معناه
الوعد والوعيد وقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى معناه قالت اليهود لن يدخل
الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لا يدخل الجنة الا من كان نصارى فجمع قولهم ودل تفريق نوعهم
على تفريق قولهم وهذا هو الايجاز واللف وهود جمع هائد ومعناه التائب الراجع وكذبهم الله تعالى
وجعل قولهم امنية وامر نبيه عليه السلام بدعائهم الى اظهار البرهان وهو الدليل الذي يوقع اليقين
وقولهم لن نفي حسن بعده بلى اذ هي رد بالايجاب في جواب النفي حرف مرتجل لذلك واسلم معناه
استسلم وخضع ودان وخص الوجه بالذكر لكونه اشرف الاعضاء وفيه يظهر اثر العز والذل
وهو محسن جملة في موضع الحال وقوله تعالى وقالت اليهود الاية معناه ادعى كل فريق انه
احق برحمة الله من الاخر وسبب الاية ان نصارى نجران اجتمعوا مع يهود المدينة عند النبي صلى الله عليه
وسلم فتسابوا وكفر اليهود بعيسى وبملته وبالانجيل وكفر النصارى بموسى وبالتوراة ع وفي هذا
من فعلهم كفر كل طائفة بكتابها لان الانجيل يتضمن صدق موسى وتقرير التوراة والتوراة تتضمن التبشير
بعيسى وكلاهما يتضمن صحة صدق النبي صلى الله عليه وسلم فعنفهم الله تعالى على كذبهم وفي
كتبهم خلاف ما قالوا وفي قوله تعالى وهم يتلون الكتاب تنبيه لامة محمد صلى الله عليه وسلم على ملازمة
القران والوقوف عند حدوده والكتاب الذي يتلونه قيل هو التوراة والانجيل فالالف واللام للجنس وقيل
التوراة لان النصارى تمتثلها وقوله تعالى كذلك قال الذين لا يعلمون يعني كفار العرب لانهم لا كتاب لهم
فالله يحكم بينهم يوم القيامة الاية اي فيثيب من كان على شيء ويعاقب من كان على غير شيء ومن اظلم ممن منع مساجد

الله الآية اي لا احد اظلم من هؤلاء قال ابن عباس وغيره المراد النصارى الذين كانوا يؤذون من يصلي
الى بيت المقدس وقال ابن زيد المراد كفار قريش حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد
الحرام وهذه الآية تتناول كل من منع من مسجد الى يوم القيامة وقوله سبحانه اولئك ما كان لهم ان
يدخلوها الا خائفين الآية فمن جعل الآية في النصارى روى انه مر زمن بعد ذلك لا يدخل نصراني
بيت المقدس الا اوجع ضربا قاله قتادة والسدي ومن جعلها في قريش كذلك نودي بامر النبي صلى الله عليه
وسلم ان لا يحج مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وانما شرط وتولوا جزم به وثم جوابه ووجه الله
معناه الذي وجهنا اليه كما تقول سافر في وجه كذا ويتجه في هذه الآية خاصة ان يراد بالوجه الجهة
التي وجهنا اليها في القبلة واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عمر نزلت هذه الآية في صلاة
النافلة في السفر حيث توجهت بالانسان دابته وقال النخعي الآية عامة اينما تولوا في متصرفاتكم ومساعيكم
فثم وجه الله اي موضع رضاه وثوابه وجهة رحمته التي يوصل اليها بالطاعة وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة
نزلت فيمن اجتهد في القبلة واخطا وورد في ذلك حديث رواه عامر بن ربيعة قال كنا مع النبي صلى الله
عليه وسلم في سفر في ليلة مظلمة فتحرا قوم القبلة واعلموا علامات فلما اصبحوا راوا انهم قد اخطؤوا فعرفوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فنزلت هذه الآية وقيل نزلت الآية حين صد رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن البيت وواسع معناه متسع الرحمة عليم اين يضعها وقيل واسع معناه هنا انه يوسع على
عباده في الحكم دينه يسر عليم بالنيات التي هي ملاك العمل وقوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه الآية
اختلف على من يعود ضمير قالوا فقيل على النصارى وهو الاشبه وقيل على اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله
وقيل على كفرة العرب لانهم قالوا الملائكة بنات الله ت وقال ابو عبد الله اللخمي ويحتمل ان يعني بالآية
كل من تقدم ذكره من الكفرة وقد تقدم ذكر اليهود والنصارى والذين لا يعلمون وهم المشركون
وكلهم ادعى لله ولدا تعالى الله عن قولهم انتهى من مختصر الطبري وسبحان مصدر معناه تنزيها له وتبرية
مما قالوا والقنوت في اللغة الطاعة والقنوت طول القيام ومعنى الآية ان المخلوقات تقنت لله اي تخضع
وتطيع والكفار تقنتهم في ظهور الصنعة عليهم وفيهم وقيل الكافر يسجد ظله وهو كاره وبديع مصروف
من مبدع والمبدع المخترع المنشئ وخص السموات والارض بالذكر لانها اعظم ما نرى من مخلوقاته
جل وعلا وقضى معناه قدر وقد يجيء بمعنى امضى ويتجه في هذه الآية المعنيان والامر واحد الامور وليس
هو هنا بمصدر امر يامر وتلخيص المعتقد في هذه الآية ان الله عز وجل لم يزل امرا للمعدومات بشرط وجودها
قادرا مع تاخر المقدورات عالما مع تاخر وقوع المعلومات فكل ما في الآية مما يقتضي الاستقبال
فهو بحسب المامورات اذ المحدثات تجيء بعد ان لم تكن وكل ما يستند الى الله تعالى من قدرة وعلم وامر
فهو قديم لم يزل والمعنى الذي تقتضيه عبارة كن هو قديم قائم بالذات والوضوح التام في هذه
المسئلة يحتاج اكثر من هذا البسط ت وقد قدمنا ما يزيد هذا المعنى وضوحا عند قوله تعالى
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فانظره وقوله تعالى وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله الآية
قال الربيع والسدي هم كفار العرب وقد طلب عبد الله بن امية وغيره من النبي صلى الله عليه وسلم
نحو هذا وقال مجاهد هم النصارى وقال ابن عباس المراد من كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم
من اليهود لان رافع بن حريملة قال للنبي صلى الله عليه وسلم اسمعنا كلام الله وقيل الاشارة الى جميع هذه
الطوائف لانهم كلهم قالوا هذه المقالة ولولا تحضيض بمعنى هلا والآية هنا العلامة الدالة والذين

من

من قبلهم هم اليهود والنصارى في قول من جعل الذين لا يعلمون كفار العرب والنصارى واليهود وتشابه
القلوب هنا في طلب ما لا يصح او في الكفر وقوله تعالى قد بينا الآيات لقوم يوقنون قرينة تقتضي ان
اليقين صفة لعلمهم وقرينة اخرى ان الكلام مدح لهم وقوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا اي لمن
امن ونذيرا لمن كفر وقرا نافع وحده ولا تسال اي لا تسال عن شدة عذابهم كما تقول فلان
لا تسال عنه يعني انه في نهاية تشهره من خير او شر ت وزاد في مختصر الطبري قال ويحتمل هذه القراءة
معنى آخر وهو والله اعلم اظهر اي لا تسال عنهم سؤال مكترث بما اصابهم او بما هم عليه من الكفر
الذي يوردهم الى الجحيم نظير قوله عز وجل فلا تذهب نفسك عليهم حسرات واما ما روي عن كعب بن محمد
القرظي ومن وافقه من ان النبي صلى الله عليه وسلم سال ما فعل ابواي فنزلت الآية في ذلك وهو بعيد
ولا يتصل ايضا بمعنى ما قبله انتهى وقرا باقي السبعة ولا تسال بضم التاء واللام والجحيم احدى طبقات
النار وقوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى اي ما انت عليه يا محمد من هدى الله هو الهدى الحقيقي لا ما يدعيه
هؤلاء قال تعالى لنبيه ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا
نصير فهذا شرط خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وامته معه داخلة فيه ت والادب ان يقال
خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته لوجود عصمته صلى الله عليه وسلم وكذلك
الجواب في سائر ما اشبه هذا المعنى من الآي وقد نبه رحمه الله على هذا المعنى في نظيرتها كما سيأتي
وكان الاولى ان ينبه على ذلك هنا ايضا وقد اجاب عياض عن الآي الواردة في القرآن مما يوهم ظاهره
اشكالا فقال رحمه الله اعلم وفقنا الله واياك انه لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر
ربه ولا ان يشرك وان لا يتقول على الله ما لا يجب او يفتري عليه او يضل او يختم على قلبه او يطيع
الكافرين لكن الله امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذا البيان
فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله تعالى والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهرون
عليهما السلام لا تخافا لتشتد بصائرهم في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو المضعف
لليقين واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة فمعناه
ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو صلى الله عليه وسلم لا يفعله وكذلك
قوله تعالى وان تطع اكثر من في الارض فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا الآية وقوله
فان يشا الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذا حال
من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله تعالى اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه
انه اطاعهم والله ينهاه عما يشاء ويامره بما يشاء كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية
وما كان طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين انتهى من الشفا ولئن هذه اللام هي الموطئة للقسم
وهي مشعرة بقسم مقدر قبلها انتهى وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يتلونه الآية قال قتادة
المراد بالذين في هذا الموضع من اسلم من امة النبي صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا التاويل
القرآن وقال ابن زيد المراد من اسلم من بني اسرائيل والكتاب على هذا التاويل التوراة وآتيناهم
معناه اعطيناهم ويتلونه معناه يتبعونه حق اتباعه بامتثال الامر والنهي قال احمد بن نصر
الداودي وهذا قول ابن عباس قال عكرمة يقال فلان يتلو فلانا اي يتبعه ومنه والقمر اذا
تلاها اي تبعها انتهى ولله در من اتبع كتاب ربه واقتفى سنة نبيه وان قل عمله قال القاضي

في اختصاره للمدارك قال في ترجمة سحنون كان سحنون يقول مثل العلم القليل في الرجل الصالح
مثل العين العذبة في الارض العذبة يزرع عليها صاحبها ما ينتفع به ومثل العلم الكثير في الطالح مثل
العين الخرارة السبخة تهر الليل والنهار ولا ينتفع بها انتهى وقوله يتلونه يقرؤنه حق قراءته وهذا
ايضا يتضمن الاتباع والامتثال وحق مصدر بمعنى فعل والضمير في به عائد على الكتاب وقيل
يعود على محمد صلى الله عليه وسلم لان متبعي التورية يجدونه فيها فيؤمنون والضمير في يكفر به يحتمل من العود ما ذكر
في الاول وقوله تعالى يا بني اسرائيل الاية تقدم بيان نظيرها ومعنى لا تنفعها شفاعة انه ليس ثم وليس
المعنى انه يشفع فيهم احد فيرد وانما الشفاعة التي في تعجيل الحساب فليست بنافعة لهولاء الكفرة
ت نبه رحمه الله على هذا الذي تقدم في اول السورة وابتلى معناه اختبر وفي مختصر الطبري ابتلى
اختبر والاختبار من الله عز وجل لعباده على علم منه سبحانه بباطن امرهم وظاهرهم وانما يبتليهم ليظهر
منهم سابق علمه فيهم وقد روي ذلك عن علي رضي الله عنه في قوله عز وجل ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين ونبلو اخباركم فقال علي رضي الله عنه ان الله عز وجل لم يزل عالما باخبارهم وخبرهم
وما هم عليه وان قوله حتى نعلم المجاهدين اي حتى نسوقكم الى ما علمنا فيكم انتهى وهو كلام حسن وقد تقدم ع
على هذا المعنى فيما ياتي والعقيدة ان علمه سبحانه قديم علم كل شيء قبل كونه تجري على قدره لا يكون من
عباده قول ولا عمل الا وقد قضاه وسبق علمه سبحانه لا اله الا هو وابراهيم يقال ان تفسيره بالعربية اب رحيم
اب رحيم واختلف اهل التاويل في الكلمات فقال ابن عباس هي ثلاثون سهما هي الاسلام كله لم يتم احد كاملا الا ابراهيم
عليه السلام عشرة منها في براءة التائبون العابدون الاية وعشرة في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشرة
سال سائل ت وقيل غير هذا وفي البخاري انه اختتن وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم قال الراوي فاوحى
الله اليه اني جاعلك للناس اماما والامام القدوة وانما سميت هذه الخصال كلمات لانها اقترنت بها
اوامر هي كلمات وروي ان ابراهيم لما اتم هذه الكلمات او اتمها الله عليه كتب له البراءة من النار فذلك قوله
تعالى وابراهيم الذي وفى وقول ابراهيم عليه السلام ومن ذريتي هو على جهة الرغبة الى الله تعالى اي
ومن ذريتي يا رب فاجعل وقوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين اي قال الله والعهد فيما قال مجاهد
الامامة وقوله تعالى واذ جعلنا البيت اي الكعبة مثابة يحتمل من ثاب اذا رجع ويحتمل ان يكون من
الثواب اي يثابون هناك وامنا للناس والطير والوحش اذ جعل الله لها حرمة في النفوس بحيث
يلقى الرجل بها قاتل ابيه فلا يهيجه وقرا جمهور الناس واتخذوا بكسر الخاء على جهة الامر لامة محمد صلى الله عليه
وسلم وقرا نافع وابن عامر واتخذوا بفتح الخاء على جهة الخبر عمن اتخذه من متبعي ابراهيم عليه السلام
ومقام ابراهيم في قول ابن عباس وقتادة وغيرهما وخرجه البخاري هو الحجر الذي ارتفع عليه ابراهيم حين ضعف
عن رفع الحجارة التي كان اسمعيل يناوله اياها في بناء البيت وغرقت قدماه فيه مصلى موضع صلاة ع ومن
مقام من تبعيضية على الاظهر وفي اوزائدة على مذهب الاخفش والمقام مفعل من قيام والمراد به هنا المكان
انتهى يعني المكان الذي فيه الحجر المسمى بالمقام وقوله تعالى وعهدنا اللغة في عهد على اقسام هذا منها الوصية بمعنى الامر
وطهرا قيل معناه ابنياه واسساه على طهارة ونية طاهرة وقال مجاهد هو امر بالتطهير من عبادة
الاوثان والطائفين ظاهره اهل الطواف وقاله عطاء وغيره وقال ابن جبير للغرباء الطارئين على
مكة والعاكفين قال ابن جبير هم اهل البلد المقيمون وقال عطاء هم المجاورون بمكة وقال ابن عباس
المصلون وقال غيره المعتكفون والعكوف في اللغة الملازمة وقوله تعالى واذ قال ابراهيم رب اجعل

العهد م

هذا بلدا امنا اي من الجبابرة والعدو المستاصل وروي ان الله تعالى لما دعاه ابراهيم امر جبريل فاقتلع
فلسطين وقيل بقعة من الاردن فطاف بها حول البيت سبعا وانزلها بوج فسميت الطائف بسبب الطواف
وقوله تعالى قال ومن كفر فامتعه قليلا الاية قال ابي بن كعب وابن اسحق وغيرهما هذا القول من الله عز
وجل لابراهيم وقال ابن عباس وغيره هذا القول من ابراهيم قال ع فكان ابراهيم دعا للمومنين وعلى
الكافرين وفي مختصر الطبري وقرا بعضهم فامتعه بالجزم والقطع على الدعاء وراه دعاء من ابراهيم
وروي ذلك عن ابي العالية كان ابن عباس يقول ذلك قول ابراهيم سال ربه ان من كفر به فامتعه قليلا
يقول فارزقه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار اي الجئه انتهى وعلى هذه القراءة يجيء قول ابن عباس
لا على قراءة الجمهور وقليلا معناه مدة العمر لان متاع الدنيا قليل وقوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد
من البيت الاية القواعد جمع قاعدة وهي الاساس ص القواعد قال الكسائي والفراء هي الجدر
قال ابو عبيدة هي الاساس انتهى واختلفوا في قصص البيت فقيل ان ادم امر ببنائه ثم دثر ودرس حتى
دل عليه ابراهيم فرفع قواعده وقيل ان ابراهيم ابتدا بناءه بامر الله وقيل غير هذا ع والذي
يصح من هذا كله ان الله سبحانه امر ابراهيم برفع قواعد البيت وجائز قدمه وجائز ان يكون
ذلك ابتداء ولا يرجح شيء من ذلك الا بسند يقطع العذر واسمعيل عطف على ابراهيم والتقدير
يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم اي السميع لدعائنا العليم بنياتنا وخصا هاتين الصفتين
لتناسبهما مع حالهما وقولهما اجعلنا بمعنى صيرنا مسلمين وكذلك كانا وانما ارادا التثبيت
والدوام والاسلام في هذا الموضع الايمان والاعمال جميعا ومن في قوله ومن ذريتنا للتبعيض
لان الله تعالى قد اعلمه ان منهم ظالمين والامة الجماعة وارنا قالت طائفة من رؤية البصر وقالت طائفة
من رؤية القلب وهذا لا يصح قال قتادة المناسك معالم الحج واختلف في معنى طلبهم التوبة
وهم انبياء معصومون فقالت طائفة طلبا التثبيت والدوام وقيل ارادا من بعدهما من الذرية وقيل
وهو الاحسن انهما لما عرفا المناسك وبنيا البيت ارادا ان يسنا للناس ان تلك المواطن مكان التنصل
من الذنوب وطلب التوبة وقال الطبري انه ليس احد من خلق الله الا بينه وبين الله معان يحب ان
تكون احسن مما هي واجمعت الامة على عصمة الانبياء في معنى التبليغ ومن الكبائر ومن صغائر التي
فيها رذيلة واختلف في غير ذلك من الصغائر والذي اقول به انهم معصومون من الجميع وان قول
النبي صلى الله عليه وسلم اني لاتوب في اليوم واستغفر الله سبعين مرة انما هو رجوعه
من حالة الى ارفع منها لتزيد علومه واطلاعه على امر ربه فهو يتوب من منزلة الى اعلى
والتوبة هنا لغوية وقوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية هذا هو الذي اراد النبي
صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ومعنى منهم وبعثته في الكتب السالفة
وعلم بذلك الاحبار واخبروا به وتعيين الزمن الذي بعث فيه وقد روى البيهقي احمد بن الحسين
وغيره عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول
اسلوا اهل هذا الموسم افيهم من هو من هذا الحرم قال قلت انا فما تشاء قال هل ظهر احمد بعد
قلت ومن احمد قال احمد بن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه وهو خاتم
الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى نخل وسباخ اذا كان فلا تسبقن اليه فوقع في
قلبي ما قال واسرعت اللحاق بمكة فسالت هل ظهر بعدي امر فقالوا محمد الامي قد تنبا

اسلام طلحة وابا بكر

وتبعه ابو بكر بن ابى قحافة ومشيت الى ابى بكر وادخلنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت
وقد روى العذرى وغيره عن ابى بكر رضى الله عنه انه قال لقيت شيخا باليمن فقال لى انت حرمى
فقلت نعم فقال واحسبك قرشيا فقلت نعم قال بقيت لى فيك واحدة اكشف لى عن بطنك
قلت لا افعل او تخبرنى لم ذلك قال اجد فى العلم الصحيح ان نبيا يبعث فى الحرمين يقارنه على امره فتى
وكهل اما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات واما الكهل فابيض نحيف على بطنه
شامة وعلى فخذه اليسرى علامة وما عليك ان ترينى ما سألتك عنه فقد تكاملت فيك
الصفة الا ما خفى على قال ابو بكر فكشفت له عن بطنى فرأى شامة سوداء فوق سرتى فقال
انت هو ورب الكعبة انى متقدم اليك فى امر قلت ما هو قال اياك والميل عن الهدى وعليك بالتمسك
بالطريقة الوسطى وخف الله فيما خولك واعطى قال ابو بكر فلما ودعته قال اتحمل عنى الى
ذلك النبى ابياتا قلت نعم فانشأ الشيخ يقول نظم

الم ترانى قد سئمت معاشرى	ونفسى وقد اصبحت فى الحى عاهنا
حييت وفى الايام للمرء عبرة	ثلاث مئين بعد تسعين آمنا
وقد خمدت منى شرارة قوتى	والفيت شيخا لا اطيق الشواحنا
وانت ورب البيت تاتى محمدا	لعامك هذا قد اقام البراهنا
فحى رسول الله عنى فاننى	على دينه احيى وان كنت قاطنا

قال ابو بكر فحفظت شعره وقدمت مكة وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم فجاءنا صناديد قريش وقالوا
يا ابا بكر يتيم ابى طالب يزعم انه نبى قال فجئت الى منزل النبى صلى الله عليه وسلم فقرعت عليه
فخرج الى فقلت يا محمد فقدت من منازل قومك وتركت دين ابائك فقال يا ابا بكر انى رسول الله
اليك والى الناس كلهم فآمن بالله قلت وما دليلك قال الشيخ الراهب الذى لقيته باليمن قلت وكم من شيخ
لقيت قال الشيخ ذلك اريد انما اريد الشيخ الذى افادك الابيات قلت ومن افادك بها قال الروح الامين
الذى كان ياتى الانبياء فقلت مد يمينك اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله قال ابو بكر
فانصرفت وما بين لابتيها اشد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا باسلامى انتهى من تاليف ابن القطان
فى الايات والمعجزات ويتلوا عليهم اياتك اى ايات القرآن والكتاب القرآن قال قتادة والحكمة السنة
وروى ابن وهب عن مالك ان الحكمة الفقه فى الدين والفهم الذى هو سجية ونور من الله تعالى
ونقل عياض فى مداركه ان الحكمة نور يقذفه الله فى قلب العبد وقال ايضا يقع فى قلبى ان الحكمة
الفقه فى دين الله وامر يدخله الله القلوب من رحمته وفضله وقال ايضا الحكمة التفكر
فى امر الله والاتباع له والفقه فى الدين والعمل به انتهى وقد اشار الى هذا عند قوله تعالى يؤتى
الحكمة من يشاء والظاهر ان المراد بالحكمة هنا ما قاله قتادة فتامله ويزكيهم معناه يطهرهم
وينميهم بالخير والعزيز الذى يغلب ويتم مراده الحكيم المصيب مواقع الفعل المحكم لها وقوله تعالى
ومن يرغب عن ملة ابراهيم لانه من استفهام والمعنى ومن يزهد فيها ويربأ بنفسه عنها الا من سفه نفسه
والملة الشريعة والطريقة وسفه من السفه الذى معناه الرقة والخفة واصطفى من الصفو
معناه تخير الاصفى ومعنى هذا الاصطفاء انه نباه واتخذه خليلا وانه فى الاخرة لمن الصالحين
قيل المعنى انه فى عمل الاخرة لمن الصالحين فالكلام على حذف مضاف اذ قال له ربه اسلم كاهذا

القول

القول من الله تعالى حين ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والاسلام هنا على اتم وجوهه والضمير
فى بها عائد على كلمته التى هى اسلمت لرب العالمين وقيل على الملة والاول اصوب لانه اقرب مذكور و
يعقوب قيل عطف على ابراهيم وقيل مقطوع منفرد بقوله يا بنى والتقدير ويعقوب قال يا بنى
واصطفى هنا معناه تخير صفوة الاديان وقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون ايجاز بليغ وذلك
ان المقصود منه امرهم بالاسلام والدوام عليه فاتى بلفظ موجز يقتضى المقصود ويتضمن وعظا
وتذكيرا بالموت وذلك ان المرء يتحقق انه يموت ولا يدرى متى فاذا امر بامر لا يأتيه الموت الا وهو
عليه فقد توجه من وقت الامر دائبا لازما وقوله تعالى ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت
هذا الخطاب لليهود والنصارى الذين انتحلوا الانبياء صلوات الله عليهم ونسبوهم الى اليهودية والنصرانية
فرد الله عليهم وكذبهم واعلمهم انهم كانوا على الحنيفية الاسلام وقال لهم على جهة التقريع والتوبيخ
اشهدتم يعقوب بما اوصى فتدعون عن علم ام لم تشهدوا بل انتم تفترون وام للاستفهام فى
صدر الكلام لغة يمانية وحكى الطبرى ان ام يستفهم بها فى وسط كلام قد تقدم صدره
وهذا منه وشهداء جمع شاهد اى حاضر ومعنى الاية حضر يعقوب مقدمات الموت ومن
بعدى اى من بعد موتى ودخل اسمعيل فى الاباء لانه عم وقد اطلق النبى صلى الله عليه وسلم على العباس
اسم الاب فقال هذا بقية ابائى وقال ردوا على ابى الحديث وقال ابن الذبيحين على القول
الشهير فى ان اسحق هو الذبيح وفى تشهيره نظر بل الراجح انه اسمعيل على ما هو معلوم فى موضعه
وسياتى ان شاء الله تعالى وقوله تعالى تلك امة قد خلت الاية يعنى بالامة الانبياء المذكورين والمخاطب
فى هذه الاية اليهود والنصارى وقولهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا نظير قولهم لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى والحنيف فى الدين الذى مال عن الاديان المكروهة الى الحق
ويجى الحنيف فى الدين بمعنى المستقيم على جميع طاعات الله قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل
الينا وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى
موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم الاية هذا الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم وما
انزل الينا يعنى القرآن والاسباط هم ولد يعقوب وهم روبيل وشمعون ولاوى وهو ذا
وربالون ويشجر ودنية بنته وامهم ليا ثم خلف على اختها راحيل فولدت له يوسف
وبنيامين وولد له من سريتين دان ونفثالى وجاد واشر والسبط فى بنى اسرائيل بمنزلة
القبيلة فى ولد اسمعيل فسموا الاسباط لانه كان من كل واحد منهم سبط ولا نفرق بين احد منهم اى
لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما تفعلون فان امنوا بمثل ما امنتم به اى فان صدقوا تصديقا
مثل تصديقكم فقد اهتدوا وان تولوا اى اعرضوا يعنى اليهود والنصارى فانما هم فى شقاق
اى فى مشاقة ومخالفة لك هم فى شق وانت فى شق وقيل شاق معناه شق كل واحد وصل ما بينه
وبين صاحبه ثم وعده تعالى انه سيكفيه اياهم ويغلبه عليهم فكان ذلك فى قتل بنى قينقاع وبنى
قريظة واجلاء النضير وهذا الوعد وانجازه من اعلام نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
والسميع لقول كل قائل والعليم بما ينفذه فى عباده وصبغة الله شريعته وسنته وفطرته
قال كثير من المفسرين وذلك ان النصارى لهم ماء يصبغون فيه اولادهم فهذا ينظر الى ذلك وقيل
سمى الدين صبغة استعارة من حيث تظهر اعماله وسمته على المتدين كما يظهر الصبغ فى الثوب وغيره

ونصب الصبغة على الاغراء وقوله تعالى قل اتحاجوننا في الله الاية معنى الاية قل يا محمد لهولاء اليهود والنصارى
اتحاجوننا في الله اى اتجادلوننا في دينه والقرب منه والحظوة لديه سبحانه والرب واحد وكل مجازى
بعمله ثم وبخهم بقوله ونحن له مخلصون اى ولم تخلصوا انتم فكيف تدعون ما نحن اولى به منكم
وقوله تعالى ام تقولون ان ابراهيم عطف على الف الاستفهام المتقدمة وهذه القراءة بالتاء من فوق
قراءة ابن عامر وحمزة وغيرهما وقرا نافع وغيره بالياء من اسفل وام على هذه القراءة مقطوعة
وفيهم تعالى على موضع الانقطاع في الحجة لانهم ان قالوا ان الانبياء المذكورين على اليهودية والنصرانية
كذبوا لانه قد علم ان هذين الدينين حدثا بعدهم وان قالوا لم يكونوا على اليهودية والنصرانية
قيل لهم فهلموا الى دينهم اذ تقرون بالحق وقوله تعالى قل انتم اعلم ام الله تقرير على فساد دعواهم
اذ لا جواب لمفطور الا ان الله تعالى اعلم ومن اظلم ممن كتم شهادة اى لا احد اظلم منه واياهم اراد تعالى
بكتمان الشهادة قاله مجاهد وغيره والذي كتموه هو ما في كتبهم من الانبياء على الحنيفية لا على
ما ادعوه وقال قتادة وغيره هو ما عندهم من الامر بتصديق النبي صلى الله عليه وسلم والاول
اشبه بسياق الاية ومن متعلقه بعنده ويحتمل ان تتعلق بكتم وما الله بغافل الاية فيه وعيد
واعلام انه لا يترك امرهم سدى والغافل الذي لا يفطن للامور اهمالا منه ماخوذ من الارض
الغفل وهي التي لا معلم بها وقوله تعالى تلك امة الاية كررها عن قريب لانها تضمنت معنى التهديد
والتخويف ولتردد ذكرهم ايضا في معنى غير الاول قوله تعالى سيقول السفهاء من الناس اختلف
في تعيين هولاء السفهاء فقال ابن عباس هم الاحبار وذلك انهم جاوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا محمد ما ولاك عن قبلتنا ارجع اليها ونومن بك يريدون فتنته وقيل اليهود والمنافقون
وقال فرقة هم كفار قريش وولاهم معناه صرفهم بعد من يشا اشارة الى هداية الله تعالى
هذه الامة الى قبلة ابراهيم وكذلك جعلناكم اى هديناكم الى قبلة ابراهيم وشريعته جعلناكم
امة وسطا اى عدولا روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتظاهرت به عبارة
المفسرين والوسط الخيار والاعلى من الشيء وواسطة القلادة انفس حجر فيها ومنه قوله
تعالى قال اوسطهم وشهدا جمع شاهد والمراد بالناس هنا في قول جماعة جميع الجنس وان
امة محمد صلى الله عليه وسلم تشهد يوم القيامة للانبياء على اممهم بالتبليغ وروي في هذا المعنى حديث
صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه ان امته تشهد لكل نبي ناكره قومه ت وهذا الحديث
خرجه البخاري وابن ماجة وابن المبارك في رقائقه وغيرهم قائلا صلى الله عليه وسلم فذلك قوله
تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الاية وكان الرسول شهيدا قيل معناه باعمالكم يوم القيامة وقيل
عليكم بمعنى لكم اى يشهد لكم بالايمان وقوله تعالى وما جعلنا القبلة الاية قال قتادة وغيره القبلة هنا
بيت المقدس سنة الاقتداء لنعلم من يتبعك من العرب الذين لم يالفوا الا مسجد مكة او من اليهود على
ما قاله الضحاك الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان صليت الى بيت المقدس اتبعناك فامره تعالى
بالصلاة اليه امتحانا لهم فلم يومنوا وقال ابن عباس القبلة في الاية الكعبة وكنت عليها بمعنى انت
عليها كقوله تعالى كنتم خير امة بمعنى انتم وما جعلناها وصرفناك اليها الا فتنة وروي في ذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تحول الى الكعبة اكثر في ذلك اليهود والمنافقون وارتاب
بعض المومنين حتى نزلت الاية ومعنى لنعلم اى ليعلم رسولي والمومنون به والقاعدة نفي استقبال

العلم بعد ان لم يكن وينقلب على عقبيه عبارة عن المرتد والرجوع على العقب اسوا حالات الراجع
وقوله تعالى وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله الاية الضمير في كانت راجع الى القبلة الى بيت المقدس
او الى التحويلة الى الكعبة حسبما تقدم من الخلاف في القبلة وكبيرة هنا معناه شاقة صعبة تكبر
في الصدور ولما حولت القبلة كان من قول اليهود يا محمد ان كانت الاولى حقا فانت الان على الباطل
وان كانت هذه حقا فكنت في الاولى على ضلال فوجمت نفوس بعض المومنين واشفقوا على من مات قبل التحويل من صلاتهم
السالفة فنزلت وما كان الله ليضيع ايمانكم اى صلاتكم قاله ابن عباس وغيره وسمى الصلاة ايمانا لما كانت
صادرة عن الايمان ولان الايمان هو القطب الذي تدور عليه الاعمال فذكره اذ هو الاصل دليلا يندرج في
اسم الصلاة صلاة المنافقين الى بيت المقدس فذكر المعنى الذي هو ملاك الامر وايضا سميت ايمانا
اذ هي من شعب الايمان ت وفي العتبية من سماع ابن القاسم قال مالك قال الله تبارك وتعالى وما كان الله
ليضيع ايمانكم قال هي صلاة المومنين الى بيت المقدس قال ابن رشد وعلى هذا القول اكثر اهل التفسير
وقد قيل ان المعنى في ذلك وما كان الله ليضيع ايمانكم بفرض الصلاة عليكم الى بيت المقدس انتهى من البيان
والرافة اعلى منازل الرحمة وقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء الاية المقصد تقلب البصر
وايضا فالوجه يتقلب بتقلب البصر قال قتادة وغيره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلب وجهه
في الدعاء الى الله تعالى ان يحوله الى قبلة مكة ومعنى التقلب نحو السماء ان السماء جهة قد تعود العالم منها
الرحمة كالمطر والانوار والوحي فهم يجعلون رغبتهم حيث توالت النعم قال ص فلنولينك يدل على تقرير
حال اى قد نرى تقلب وجهك في السماء طالبا قبلة غير التي انت مستقبلها فلنولينك انتهى ترضاها معناه
تحبها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الكعبة والتحول عن بيت المقدس لوجوه ثلاثة رويت احدها
لقول اليهود ما علم محمد دينه حتى اتبعنا قاله مجاهد الثاني ليصيب قبلة ابراهيم عليه السلام قاله ابن عباس
الثالث ليستالف العرب لمحبتها في الكعبة قاله الربيع والسدي ع والميزاب هو قبلة المدينة والشام وهنالك
قبلة اهل الاندلس بتاريب ولا خلاف في ان الكعبة قبلة من كل افق وقوله تعالى فول وجهك الاية امر بالتحول
ونسخ لقبلة الشام وشطر نصب على الظرف ومعناه نحو وتلقاء وحيث ما كنتم فولوا امر للامة
ناسخ وان الذين اوتوا الكتاب الاية المعنى ان اليهود والنصارى يعلمون ان الكعبة هي قبلة ابراهيم امام الامم
وان استقبالها هو الحق الواجب على الجميع اتباعا لمحمد صلى الله عليه وسلم الذي يجدونه في كتبهم وتضمنت
الاية الوعيد وقوله جلت عظمته ولئن اتيت الاية اعلم الله تعالى نبيه عليه السلام حين قالت
اليهود راجع بيت المقدس ونومن بك ان ذلك مخادعة منهم وانهم لا يتبعون له قبلة يعني جملتهم
لان البعض قد اتبع كعبد الله بن سلام وغيره وانهم لا يومنون بدينه اى فلا تصغ اليهم والاية
هنا العلامة وقوله جلت عظمته وما انت بتابع قبلتهم لفظ خبر يتضمن الامر اى فلا تركن الى شيء
من ذلك وما بعضهم الاية قال ابن زيد وغيره المعنى ليست اليهود متبعة قبلة النصارى ولا النصارى
متبعة قبلة اليهود فهذا اعلام باختلافهم وتدابرهم وضلالهم وقبلة النصارى مشرق الشمس وقبلة اليهود
بيت المقدس وقوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم الاية خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم والمراد امته وما ورد من هذا النوع الذي يوهم من النبي صلى الله عليه وسلم ظلما متوقعا فهو
محمول على ارادة امته لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم وقطعنا ان ذلك لا يكون منه وانما المراد من
يمكن ان يقع ذلك منه وخوطب النبي صلى الله عليه وسلم تعظيما للامر قال الفخر وذلك هذه الاية

على ان توجيه الوعيد على العلماء اشد من توجيهه على غيرهم لان قوله من بعد ما جاءك من العلم يدل عليه
ذلك انتهى وهو حسن ص ولئن اتيت لام لئن موذنة بقسم مقدر قبلها ولهذا كان الجواب له ما تبعوا ولو
كان للشرط لدخلت الفاء وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه ومن ثم جاء فعل الشرط ماضيا
لانه اذا حذف جوابه وجب مضي فعله لفظا انتهى وقوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه الاية الضمير في يعرفونه
عائد على الحق في القبلة والتحول الى الكعبة قاله ابن عباس وغيره وقال مجاهد وغيره هو عائد على محمد صلى الله
عليه وسلم اي يعرفون صدقه ونبوته ث بل وصفا وان فريقا منهم ليكتمون الحق الفريق الجماعة وخص لان فريقا منهم
آمن واسلم ولم يكتم والاشارة بالحق الى ما تقدم على الخلاف في ضمير يعرفونه وهم يعلمون ظاهر في صحة الكفر
عنادا و قوله تعالى الحق من ربك اي هو الحق فلا تكونن من الممترين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته
وامترى في الشيء اذا شك فيه ومنه المراء لان هذا يشك في قول هذا و قوله تعالى ولكل وجهة الوجهة من التوجه
كالقبلة والمعنى ولكل صاحب ملة وجهة هو موليها نفسه قاله ابن عباس وغيره و قرا ابن عامر هو مولاها
اي الله موليها اياهم ثم امر تعالى عباده باستباق الخيرات والبدار الى سبيل النجاة و روى ابن المبارك في رقائقه
بسنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب من الخير فليبتدره فانه لا يدري متى يغلق عنه ثم وعظهم
سبحانه بذكر الحشر موعظة تتضمن وعيدا وتحذيرا ص اينما ظرف مضمن معنى الشرط في موضع خبر كان
انتهى و قوله ياتِ بكم الله جميعا يعني به البعث من القبور و قوله سبحانه ومن حيث خرجت فول وجهك شطر
المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون معناه حيث كنت وانى توجهت من مشارق
الارض ومغاربها و كررت هذه الاية تاكيدا من الله تعالى لان موضع التحويل كان صعبا في نفوسهم جدا فاكد
الامر ليرى الناس التهمم به فيخف عليهم وتسكن نفوسهم اليه و قوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك
شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الاية المعنى عرفتكم وجه
الصواب في قبلتكم والحجة لذلك لئلا يكون للناس و المراد بالناس العموم في اليهود والعرب وغيرهم الا الذين
ظلموا منهم اي من المذكورين ممن تكلم في النازلة في قولهم ما ولاهم عن قبلتهم و قوله تعالى فلا تخشوهم
واخشوني الاية فيه تحقير لشانهم وامر باطراح امرهم ومراعاة امره سبحانه قال الفخر وهذه الاية
تدل على ان الواجب على المرء في كل افعاله وتروكه ان ينصب بين عينيه خشية ربه تعالى وانه يعلم انه ليس في
ايدي الخلق شيء البتة وان لا يكون مشتغل القلب بهم ولا ملتفت الخاطر اليهم انتهى ص الا الذين استثناء متصل
قاله ابن عباس وغيره اي لئلا تكون حجة من اليهود المعاندين القائلين ما ترك قبلتنا وتوجه للكعبة الا
ليلا وقيل منقطع اي لكن الذين ظلموا منهم فانهم يتعلقون عليكم بالتنبه وزعم ابو عبيدة معمر بن
المثنى ان الا في الاية بمعنى الواو قال ومنه نظم وكل اخ مفارقه اخوه ، لعمر ابيك الا الفرقدان ،
اي والذين ظلموا والفرقدان ورد بان الا بمعنى الواو ولا يقوم عليه دليل انتهى و قوله تعالى فولوا وجوهكم
شطره امر باستقبال القبلة و هو شرط في الفرض لا في القتال حالة الالتحام وفي النوافل الا في السفر الطويل
للراكب و القدرة على اليقين في مصادفتها تمنع من الاجتهاد وعلى الاجتهاد تمنع من التقليد و قوله سبحانه ولاتم نعمتي
عليكم عطف على قوله لئلا وقيل هو في موضع رفع بالابتداء والخبر مضمر تقديره ولاتم نعمتي عليكم عرفتكم
قبلتي ونحوه و لعلكم تهتدون ترج في حق البشر و الكاف في قوله كما رد على قوله ولاتم اي اتماما كما وهذا اقرب
الاقوال اي لاتم نعمتي عليكم في بيان سنة ابراهيم عليه السلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم اجابة لدعوته في قوله
ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقيل الكاف من كما رد على تهتدون اي اهتداء كما قال الفخر وهنا ثالث
ان الكاف متعلقة بما بعدها اي كما ارسلنا فيكم رسولا واوليتكم هذه النعمة فاذكروني اذكركم واشكروا

واشكروا لي الاية انتهى ت وهذا التاويل نقله الداودي عن الفراء انتهى وهذه الاية خطاب لامة محمد صلى
الله عليه وسلم و اياتنا يعني القرآن و يزكيكم اي يطهركم من الكفر وينميكم بالطاعة و الكتاب القرآن
و الحكمة ما يتلقى عنه صلى الله عليه وسلم من سنة وفقه ودين و ما لم تكونوا تعلمون قصص من سلف
وقصص من ياتي من الغيوب قوله تعالى فاذكروني اذكركم الاية قال سعيد بن جبير معنى الاية اذكروني
بالطاعة اذكركم بمغفرتي وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اطاع الله فقد ذكر الله وان قلت
صلاته وصيامه وتلاوته القرآن ومن عصى الله فقد نسي الله وان كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن انتهى
و روى ابن المبارك في رقائقه بسنده عن انس بن مالك قال ما من بقعة يذكر فيها الله بصلاة او بذكر
الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله الى منتهاها من سبع ارضين وما من عبد
يقوم يصلي الا تزخرفت له الارض قال ابن المبارك واخبرنا المسعودي عن عون بن عبد الله قال الذاكر
في الغافلين كالمقاتل خلف الفارين انتهى وقال الربيع والسدي المعنى اذكروني بالدعاء والتسبيح
ونحوه و في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الله تبارك وتعالى انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته
في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه انتهى و اشكروا لي اي نعمي واياديي و لا تكفرون
اي نعمي واياديّ انتهى ت وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انعم الله على عبد من نعمة فقال
الحمد لله الا وقد ادى شكرها فان قالها الثانية جدد الله له ثوابها فان قالها الثالثة غفر الله له ذنوبه
رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح انتهى من السلاح و قوله تعالى ان الله مع الصابرين اي بمعونته وانجاده
و قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله الاية سببها ان الناس قالوا فيمن قتل ببدر واحد من المؤمنين
مات فلان مات فلان فكره الله سبحانه ان تحط منزلة الشهداء الى منزلة غيرهم فنزلت هذه الاية و ايضا
فان المؤمنين صعب عليهم فراق اخوانهم وقراباتهم فنزلت الاية مسلية لهم وتظهر ذلك من حديث
ام حارثة في السير ت واخرجه البخاري في صحيحه عن انس قال اصيب حارثة يوم بدر اصابه غرب سهم وهو
غلام فجاءت امه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني فان
يك في الجنة اصبر واحتسب وان تكن الاخرى ترى ما اصنع فقال ويحك او هبلت اوجنة واحدة
هي انها جنان كثيرة وانه في الفردوس الاعلى الحديث انتهى ع والفرق بين الشهيد وغيره انما هو الرزق
وذلك ان الله تعالى فضلهم بدوام حالهم التي كانت في الدنيا فرزقهم ت وللشهيد احوال شريفة منها
ما خرجه الترمذي وابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال للشهيد عند الله ست خصال يغفر له
اول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويامن من الفزع الاكبر ويوضع على راسه
تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع
في سبعين من اقربائه قال الترمذي هذا حديث حسن غريب زاد ابن ماجه ويحلى حلة الايمان
قال القرطبي في تذكرته هكذا وقع في نسخ الترمذي وابن ماجه ست خصال وهي في متن الحديث
سبع وعلى ما في ابن ماجه ويحلى حلة الايمان تكون ثمانيا وكذا ذكره ابو بكر احمد بن سليمان النجاد بسنده
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الشهيد لا يجد الم القتل الا كما يجد احدكم الم القرصة ع وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة وروي انهم في قبة
خضراء وروي انهم في قناديل من ذهب الى كثير من هذا ولا محالة انها احوال لطوائف او للجميع في اوقات

بالثواب فاذكروني وفي تفسير احمد بن نصر الداودي وعن ابن جبير اذكروني بطاعتي اذكركم

متغايرات وكذا ذكر شبيب بن ابراهيم في كتاب الافصاح ان المنعمين على جهات مختلفة بحسب مقاماتهم
وتفاوتهم في اعمالهم قال صاحب التذكرة وهذا قول حسن وبه يجمع بين الاخبار حتى لا تتدافع انتهى
قالوا وجمهور العلماء على انهم في الجنة ويؤيده قول النبي صلى الله عليه وسلم لام حارثة انه في الفردوس
الاعلى وقال مجاهد هم خارج الجنة ويعلقون من شجرها وفي مختصر الطبري قال ونهى عز وجل
ان يقال لمن يقتل في سبيل الله اموات واعلم سبحانه انهم احياء ولكن لا شعور لنا بذلك اذ لا نشاهد باطن
امرهم وخصوا من بين سائر المؤمنين بانهم في البرزخ يرزقون من مطاعم الجنة ما يرزق المؤمنون
من اهل الجنة على انه قد ورد في الحديث انما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة ومعنى يعلق يأكل ومنه
قولهم ما ذقت علاقا اي ماكلا فقد عم المؤمنين بانهم يرزقون في البرزخ من رزق الجنة ولكن لا يمتنع
ان يخص الشهداء من ذلك بقدر لا يناله غيرهم والله اعلم انتهى وروى النسائي ان رجلا قال يا رسول الله
ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم الا الشهيد قال كفى ببارقة السيوف على راسه فتنة انتهى ت وحديث
انما نسمة المؤمن طائر خرجه مالك رحمه الله قال الداودي وحديث مالك هذا اصح ما جاء في الارواح
والذي روي انها تجعل في حواصل طير لا يصح في النقل انتهى قال ابو عمر بن عبد البر في التمهيد والاشبه
قول من قال كطير او صور طير لموافقته لحديث الموطا هذا واسند ابو عمر هذه الاحاديث ولم يذكر
مطعنا في اسنادها انتهى ثم اعلم تعالى ان الدنيا دار بلاء ومحنة ثم وعد على الصبر فقال ولنبلونكم
اي لنمتحنكم بشيء من الخوف اي من الاعداء في الحروب ونقص من الاموال اي بالجوائح والمصائب والانفس
بالموت والقتل والثمرات بالعاهات والمراد بشيء من هذا وشيء من هذا واكتفى بالاول لايجازه ثم وصف تعالى
الصابرين الذين بشرهم بقوله الذين اذا اصابتهم قالوا انا لله وانا اليه راجعون فجعل سبحانه هذه مصيبة
الكلمات ملجأ لذي المصائب لما جمعت من المعاني المباركة من توحيد الله سبحانه والاقرار له بالعبودية والبعث
من القبور واليقين بان رجوع الامر كله اليه كما هو له قال الفخر قال ابو بكر الوراق انا لله اقرار منا
له بالملك وانا اليه راجعون اقرار على نفسنا بالهلك واعلم ان قوله انا لله يدل على كونه راضيا بكل ما نزل
به وورد في هذا الباب اخبار كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته
واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه انتهى وروي ان مصباح رسول الله صلى الله عليه وسلم
انطفأ ذات ليلة فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي يا رسول الله قال نعم كلما اذى
المؤمن فهو مصيبة قال النووي وروينا في كتاب ابن السني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليسترجع احدكم في كل شيء حتى في شسع نعله فانها من المصائب انتهى من الحلية وقوله سبحانه اولئك عليهم
صلوات من ربهم الاية نعم من الله تعالى على الصابرين المسترجعين وصلوات الله على عبده عفوه ورحمته
وبركته وتشريفه اياه في الدنيا والاخرة وكرر الرحمة وهي من اعظم اجزاء الصلاة لما اختلف اللفظ
تأكيدا منه تعالى وشهد لهم بالاهتداء ت وفي صحيح البخاري وقال عمر نعم العدلان الذين اذا اصابتهم العلاوة ونعم
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الى المهتدون قال النووي في الحلية وروينا في سنن ابن
ماجه والبيهقي باسناد حسن عن عمرو بن حزم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن يعزي
اخاه بمصيبة الا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة يوم القيامة وروينا في كتاب الترمذي
والسنن الكبير للبيهقي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عزى مصابا فله مثل اجره
اسناده ضعيف وروينا في كتاب الترمذي ايضا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من

عز

عزى ثكلى كسي بردا في الجنة قال الترمذي ليس اسناده بالقوي انتهى قوله تعالى ان الصفا والمروة
من شعائر الله الصفا جمع صفاة وهي الصخرة العظيمة والمروة واحدة المرو وهي الحجارة الصغار التي فيها
لين ومن شعائر الله معناه معالمه ومواضع عبادته وقال مجاهد ذلك راجع الى القول اي مما اشعركم
الله بفضله ماخوذ من شعرت اذا تحسست وحج معناه قصد وتكرر واعتمر زار وتكرر ماخوذ من
عمرت الموضع والجناح الاثم والميل عن الحق والطاعة ومن اللفظة الجناح لانه في شق ومنه وان جنحوا للسلم
فاجنح لها ويطوف اصله يتطوف فقوله ان الصفا والمروة الاية خبر يقتضي الامر بما عهد من الطواف
بهما وقوله فلا جناح ليس المقصود منه اباحة الطواف لمن شاء لان ذلك بعد الامر لا يستقيم وانما المقصود
رفع ما وقع في نفوس قوم من العرب من ان الطواف بينهما فيه حرج واعلامهم ان ما وقع في نفوسهم غير صواب وفي
الصحيح عن عائشة ان ذلك في الانصار مذهب مالك والشافعي ان السعي بينهما فرض لا يجزئ تاركه الا العودة
قال ابن العربي في احكامه والدليل على ركنيته ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى كتب
عليكم السعي فاسعوا صححه الدارقطني وبعضده المعنى فانه شعار اي معلم لا يخلو عنه الحج والعمرة فكان
ركنا كالطواف انتهى ومن تطوع اي زاد برا بعد الواجب في جميع الاعمال وقال بعضهم معناه من تطوع
بحج او عمرة بعد حجة الفريضة ومعنى شاكر اي يبذل الثواب والجزاء عليم بالنيات والاعمال
لا يضيع معه لعامل عمل وقوله سبحانه ان الذين يكتمون ما انزلنا الاية المراد بالذين احبار اليهود
ورهبان النصارى الذين كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم وتتناول الاية بعد كل من كتم علما من دين الله
يحتاج الى بثه وذلك مفسر في قول النبي صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من النار
قال ابن العربي وللاية تحقيق هو ان العالم اذا قصد الكتمان عصى واذا لم يقصده لم يلزمه التبليغ اذا عرف ان
معه غيره وقد كان ابو بكر وعمر لا يحدثان بكل ما سمعا من النبي صلى الله عليه وسلم الا عند الحاجة وكان الزبير
اقلهم حديثا ثم قال ابن العربي فاما من سئل فقد وجب عليه التبليغ لهذه الاية واما ان لم يسئل
فلا يلزمه التبليغ الا في القران وحده وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضيلة التبليغ انه قال
نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها انتهى من احكام القران والبينات والهدى امر محمد
صلى الله عليه وسلم ثم يعم بعد كل ما يكتم من خير وفي الكتاب يراد به التوراة ويدخل القران في عموم
الاية واختلف في اللاعنين فقال قتادة والربيع الملائكة والمؤمنون وهذا ظاهر واضح وقيل الحشرات
والبهائم وقيل جميع المخلوقات ما عدا الثقلين الجن والانس وهذان القولان لا يقتضيهما اللفظ ولا يثبت
الا بسند يقطع العذر ثم استثنى الله سبحانه التائبين واصلحوا اي في اعمالهم واقوالهم وبينوا
امر محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الاية هذه الاية محكمة في
الذين وافوا على كفرهم واختلف في معنى قوله والناس اجمعين والكفار لا يلعنون انفسهم فقال قتادة
والربيع المراد بالناس المؤمنون خاصة وقال ابو العالية معنى ذلك في الاخرة وقوله تعالى خالدين فيها اي في
اللعنة وقيل في النار وعاد الضمير عليها وان لم يجر لها ذكر لثبوتها في المعنى ولا هم ينظرون اي يؤخرون
عن العذاب ويحتمل ان يكون من النظر نحو قوله سبحانه ولا ينظر اليهم يوم القيامة والاول اظهر لان
النظر بالعين انما يعدى بالى الا شاذا في الشعر وقوله تعالى والهكم اله واحد الاية اعلام بالوحدانية قال
عطاء لما نزلت هذه الاية بالمدينة قال كفار قريش بمكة ما الدليل على هذا وما ايته وعلامته ونحوه عن
ابن المسيب فنزل عند ذلك قوله ان في خلق السموات والارض الاية اي في اختراعها وانشائها والنهار

طلوع الفجر الى غروب الشمس يقتضي ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم انما هو بياض النهار
وسواد الليل وهذا هو مقتضى الفقه في الايمان ونحوها فاما على ظاهر اللغة واخذه من السعة فهو من الاسفار
وقال الزجاج في كتاب الانوا اول النهار ذرور الشمس قال وزعم النضر بن شميل ان اول النهار ابتداء طلوع الشمس ولا
يعد ما قبل ذلك من النهار ع وقول النبي صلى الله عليه وسلم هو الحكم والفلك السفن وافراده وجمعه بلفظ واحد وما
انزل الله من السماء من ماء يعني به الامطار وبث معناه فرق وبسط ودابة تجمع الحيوان كله وتصريف الرياح ارسالها
عقيما وملقحة وصرا ونصرا وهلاكا وجنوبا وشمالا وغير ذلك والرياح جمع ريح وجاءت في القرآن
مجموعة مع الرحمة مفردة مع العذاب الا في يونس في قوله سبحانه وجرين بهم بريح طيبة وهذا اغلب وقوعها
في الكلام وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هبت ريح يقول اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها
ريحا وذلك لان ريح العذاب شديدة ملتئمة الاجزاء كانها جسم واحد وريح الرحمة لينة تجيء من ها هنا
وها هنا متقطعة فلذلك يقال لها رياح وهي معنى نشر وافردت مع الفلك لان ريح اجراء السفن انما هي
واحدة متصلة ثم وصفت بالطيب فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب وهي لفظة من ذوات الواو
يقال ريح وارواح ولا يقال ارياح وانما يقال رياح من جهة الكسرة وطلب تناسب الياء معها وقد لحن في هذا
اللفظ عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير فاستعمل الارياح في شعره ولحن في ذلك وقال له ابو حاتم ان الارياح لا يجوز
فقال اما تسمع قولهم رياح فقال ابو حاتم هذا خلاف ذلك فقال صدقت ورجع والسحاب جمع سحابة سمي بذلك لانه
ينسحب وتسخيره بعثه من مكان الى مكان فهذه آيات وقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا الآية الند
النظير والمقاوم قال مجاهد وقتادة المراد بالانداد الاوثان يحبونهم كحب الله اي كحبكم الله او كحبهم الله حسبما قدر
كل وجه منها فرقة ومعنى يحبونهم اي يسوون بين محبة الله ومحبة الاوثان ثم اخبر ان المؤمنين اشد حبا
لله لاخلاصهم وتيقنهم الحق وقوله تعالى ولو ترى الذين ظلموا اي ولو ترى يا محمد الذين ظلموا في حال رؤيتهم
العذاب وفزعهم منه واستعظامهم له لاقروا ان القوة لله او لعلمت ان القوة لله جميعا فالجواب مضمر على
المقدرين وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم علم ذلك ولكن خوطب والمراد امته وقرأ حمزة وغيره بالياء
اي ولو يرى في الدنيا الذين ظلموا حالهم في الآخرة اذ يرون العذاب لعلموا ان القوة لله والذين اتبعوا بفتح
التاء والباء هم العبدة لغير الله الضالون المقلدون لرؤسائهم او للشياطين وتبريهم هو ان قالوا انا
لم نضل هؤلاء بل كفروا وارادوهم والسبب في اللغة الحبل الرابط الموصل فيقال في كل ما يتمسك به فيصل بين شيئين
وقال الذين اتبعوا اي الاتباع والكرة العودة الى حال قد كانت كذلك يريهم الله اعمالهم الآية يحتمل ان يكون من رؤية
البصر ويحتمل ان تكون من رؤية القلب اي يريهم الله اعمالهم الفاسدة التي ارتكبوها وقال ابن مسعود اعمالهم الصالحة التي
تركوها والحسرة اعلى درجات الندامة والهم بما فات وهي مشتقة من الشيء الحسير الذي انقطعت وذهبت
قوته وقيل من حسر اذا كشفه وقوله تعالى يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا الآية الخطاب عام وما بمعنى
الذي وحلالا حال من الضمير العائد على ما وطيبا نعت ويصح ان يكون حالا من الضمير في كلوا تقديره
مستطيبين والطيب عند مالك الحلال فهو هنا تأكيد لاختلاف اللفظ وهو عند الشافعي المستلذ ولذلك
يمنع اكل الحيوان القذر قال الفخر الحلال هو المباح الذي انحلت عقدة الحظر عنه واصله من الحل الذي
هو نقيض العقد انتهى وخطوات جمع خطوة والمعنى النهي عن اتباع الشيطان وسلوك سبله وطرائقه
قال ابن عباس خطواته اعماله وقال غيره آثاره ع وكل ما عدا السنن والشرائع من البدع والمعاصي
فهي خطوات الشيطان وعدو يقع للمفرد والتثنية والجمع انما يامركم بالسوء والفحشاء الآية انما

ها هنا للحصر وامر الشيطان اما بقوله في زمن الكهنة واما بوسوسته والسوء مصدر ساءه يسوءه
وهي لمعنى ما تسوء عاقبته والفحشاء قيل الزنا وقيل ما تفاحش ذكره واصل الفحش قبح المنظر ثم
استعملت اللفظة فيما يستقبح والشرع هو الذي يحسن ويقبح فكل ما نهت عنه الشريعة فهو من
الفحشاء وما لا تعلمون قال الطبري يريد ما حرموا من البحيرة والسائبة ونحوها وجعلوه شرعا واذا
قيل لهم يعني كفار العرب وقال ابن عباس نزلت في اليهود والالف في قوله سبحانه اولو كان للاستفهام
لان غاية الفساد في الالتزام ان يقولوا نتبع اباءنا ولو كانوا لا يعقلون فقرروا على التزامهم هذا اذ هذه
حال آبائهم وقوة الفاظ هذه الآية تعطي ابطال التقليد واجمعت الامة على ابطاله في العقائد ومثل الذين
كفروا الآية المراد تشبيه واعظ وداعيهم بالراعي الذي ينعق بالغنم او الابل فلا تسمع الا دعاءه
ونداءه ولا تفقه ما يقول هكذا فسر ابن عباس وعكرمة والسدي وسيبويه فذكر تعالى بعض هذه الجملة
وبعض هذه ودل المذكور على المحذوف وهذه نهاية الايجاز والنعيق زجر الغنم والصياح بها وقوله
تعالى يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم الآية الطيب هنا يجمع الحلال المستلذ والآية تشير
بتبعيض من الى ان الحرام رزق وحض سبحانه على الشكر والمعنى في كل حالة وفي مصابيح البغوي عن ابي
داود والنسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الطاعم الشاكر كالصائم الصابر انتهى قال القشيري
قال اهل العلم نعم الله تعالى على ضربين نعمة نفع ونعمة دفع فنعمة النفع ما اولاهم ونعمة الدفع ما زوى
عنهم وليس كل انعامه سبحانه انتظام اسباب الدنيا والتمكن منها بل الطاف الله تعالى فيما زوى عنهم من الدنيا
اكثر وان قرب العبد من الرب تعالى على حسب تباعده من الدنيا انتهى من التحبير وقال ابو عمر بن عبد البر في
كتابه المسمى ببهجة المجالس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انعم الله على عبد بنعمة فعلم انها
من عند الله الا كتب الله له شكرها وما علم الله من عبد ندامة على ذنب الا غفر له قبل ان يستغفره وان
الرجل ليلبس الثوب فيحمد الله فما يبلغ ركبتيه حتى يغفر له قال ابو عمر مكتوب في التوراة اشكر لمن انعم عليك
وانعم على من شكرك فانه لا زوال للنعم اذا شكرت ولا مقام لها اذا كفرت وان من قوله ان كنتم
اياه تعبدون شرط والمراد بهذا الشرط التثبيت وهز النفوس كما تقول افعل كذا ان كنت رجلا وانما
ها هنا حاصرة ولفظ الميتة عموم والمعنى مخصص لان الحوت لم يدخل قط في هذا العموم وفي مسند
البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله حرم الخمر وثمنها وحرم الخنزير وثمنه انتهى من الكوكب
الدري للامام ابي العباس احمد بن سعد التجيبي والدم يراد به المسفوح لان ما خالط اللحم فغير محرم
باجماع ت بل فيه خلاف شاذ ذكره ابن الحاجب وغيره والمشهور اظهر لقول عائشة رضي الله عنها
لو حرم غير المسفوح لتتبع الناس ما في العروق ولقد كنا نطبخ اللحم والبرمة تعلوها الصفرة انتهى وما اهل
به لغير الله قال ابن عباس وغيره المراد ما ذبح للانصاب والاوثان واهل به معناه صيح به ومنه استهلال
المولود وجرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود بالذبيحة وغلب ذلك في استعمالهم حتى عبر به عن النية التي
هي علة التحريم فمن اضطر غير باغ ولا عاد قال قتادة وغيره معناه غير قاصد فسادا وتعديا بان يجد
عن هذه المحرمات مندوحة ويأكلها واصحاب هذا القول يجيزون الاكل منها في كل سفر مع الضرورة
وقال مجاهد وغيره المعنى غير باغ على المسلمين وعاد عليهم فيدخل في الباغي والعادي قطاع
السبيل والخارج على السلطان والمسافر في قطع الرحم والغارة على المسلمين وما شاكله ولغير هؤلاء هي
الرخصة قال مالك رحمه الله تعالى يأكل المضطر شبعه وفي الموطأ وهو لكثير من العلماء انه يتزود

اذا خشي الضرورة فيما بين يديه من مفازة وقفر قال ابن العربي في احكامه وقد قال العلماء ان
من اضطر الى اكل الميتة والدم ولحم الخنزير فلم ياكل دخل النار الا ان يغفر الله له انتهى والمعنى انه لم ياكل حتى مات
جوعا فهو عاص وكانه قتل نفسه وقد قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم الاية الى قوله ومن يفعل ذلك
عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا قال ابن العربي واذا دامت المخمصة فلا خفاء في جواز شبع المضطر
وان كانت نادرة ففي شبعه قولان احدهما لمالك ياكل حتى يشبع ويتضلع وقال غيره ياكل بمقدار سد
الرمق وبه قال ابن حبيب وابن الماجشون انتهى وقوله تعالى ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب الاية
قال ابن عباس وغيره المراد احبار اليهود والذين كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب التوراة والانجيل
ع وهذه الاية وان كانت نزلت في الاحبار فانها تتناول من علماء المسلمين من كتم الحق مختارا لذلك
بسبب دنيا يصيبها وذكر البطن تنبيه على مذمتهم بانهم باعوا اخرتهم بحظهم من المطعم
الذي لا خطر له وعلى هجنتهم بطاعة بطونهم قال الربيع وغيره سمي ماكولهم نارا لانه يؤول بهم الى النار
وقيل ياكلون النار في جهنم حقيقة وينبغي لاهل العلم التنزه عن اخذ شيء من المتعلمين على تعليم العلم
بل يلتمسون الاجر من الله عز وجل وقد قال تعالى لنبيه عليه السلام قل لا اسئلكم عليه اجرا وفي
سنن ابي داود عن عبادة بن الصامت قال علمت اناسا من اهل الصفة الكتاب والقرآن فاهدى
الي رجل منهم قوسا فقلت ليست بمال وارمي عنها في سبيل الله لاتين رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلاسالنه فاتيته فقلت يا رسول الله رجل اهدى الي قوسا ممن كنت اعلمه الكتاب والقرآن
وليست بمال وارمي عليها في سبيل الله قال ان كنت تحب ان تطوق طوقا من نار فاقبلها وفي رواية
فقلت ما ترى فيها يا رسول الله فقال جمرة بين كتفيك تقلدتها او تعلقتها انتهى وقوله تعالى ولا
يكلمهم الله قيل هي عبارة عن الغضب عليهم وازالة الرضا عنهم اذ في غير موضع من القرآن
ما ظاهره ان الله تعالى يكلم الكافرين وقال الطبري وغيره المعنى لا يكلمهم بما يحبونه ولا يزكيهم
اي لا يطهرهم من موجبات العذاب وقيل المعنى لا يسميهم ازكياء وقوله تعالى فما اصبرهم على النار قال
جمهور المفسرين ما تعجب وهو في حيز المخاطبين اي هم اهل ان تعجبوا منهم ومما يطول مكثهم في النار
وفي التنزيل قتل الانسان ما اكفره واسمع بهم وابصر وقال قتادة والحسن وابن جبير والربيع اظهر
التعجب من صبرهم على النار لما عملوا عمل من وطن نفسه عليها وتقديره ما اجراهم على النار والاول
اظهر وقوله سبحانه ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق الاية المعنى ذلك الامر بان الله نزل الكتاب بالحق فكفروا
به والاشارة الى وجوب النار لهم والكتاب القرآن وبالحق اي بالاخبار الحق اي الصادقة والذين اختلفوا في الكتاب
هم اليهود والنصارى في قول السدي وقيل هم كفار العرب لقول بعضهم هو سحر وبعضهم اساطير وبعضهم مفترى
الى غير ذلك وبعيد هنا معناه من الحق والاستقامة قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب الاية قال ابن عباس وغيره الخطاب بهذه الاية للمؤمنين فالمعنى ليس البر الصلاة وحدها وقال
قتادة والربيع الخطاب لليهود والنصارى لانهم تكلموا في تحويل القبلة وفضلت كل فرقة توليها فقيل
لهم ليس البر ما انتم فيه ولكن البر من آمن بالله وقوله تعالى وآتى المال على حبه الاية هذه كلها حقوق
في المال سوى الزكاة قال النخعي وروت فاطمة بنت قيس ان في المال حقا سوى الزكاة وتلى وآتى المال على
الاية وعنه صلى الله عليه وسلم لا يؤمن بالله واليوم الاخر من بات شبعانا وجاره طاو الى
جنبه انتهى قال ابن العربي في احكامه واذا وقع اداء الزكاة ثم نزلت بعد ذلك حاجة فانه يجب صرف

اذ يعملوا عملا يؤدي اليها وذهب معمر ابن المثنى الى ان ما استفهام معناه اي شيء صبرهم على النار م

المال باتفاق من العلماء وقد قال مالك يجب على كافة المسلمين فداء اسراهم وان استغرق ذلك اموالهم
وكذلك منع الوالي الزكاة فهل يجب على الاغنياء اغناء الفقراء الصحيح وجوب ذلك عليهم انتهى ومعنى
آتى اعطى على حبه اي على حب المال ويحتمل ان يعود الضمير على اسم الله تعالى من قوله من آمن بالله
اي من تصدق محبة في الله وطاعته ص الظاهر ان الضمير في حبه عائد على المال لان قاعدتهم ان الضمير
لا يعود على غير الاقرب الا بدليل انتهى قال ع والمعنى المقصود ان يتصدق المرء في هذه الوجوه وهو صحيح شحيح يخشى
الفقر ويؤمل الغنى كما قال صلى الله عليه وسلم والشح في هذا الحديث هو الغريزي الذي في قوله تعالى واحضرت الانفس
الشح وليس المعنى ان يكون المتصدق متصفا بالشح الذي هو البخل وفي الرقاب اي العتق وفك الاسرى والصابرين
نصب على المدح او على اضمار فعل وهذا مهيع في تكرار النعوت والبأساء الفقر والفاقة والضراء المرض
ومصائب البدن وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا لامر
المؤمن ان امره كله خير له انتهى وحين البأس وقت شدة القتال هذا قول المفسرين وفي الالفاظ
الثلاثة تقول العرب بئس الرجل اذا افتقر وبؤس اذا شجع ثم وصف تعالى اهل هذه الافعال البرة بالصدق
في امورهم اي هم عند الظن بهم والرجاء فيهم كما تقول صدقني المال وصدقني الرمح ووصفهم تعالى
بالتقى والمعنى هم الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم
القصاص الاية كتب معناه فرض واثبت وصورة فرض القصاص هو ان القاتل فرض عليه اذا اراد
الولي القتل الاستسلام لامر الله وان الولي فرض عليه الوقوف عند قتل قاتل وليه وترك التعدي على
غيره فان وقع الرضا بدون القصاص من دية او عفو فذلك مباح والاية معلمة ان القصاص هو الغاية عند
التشاح والقصاص مأخوذ من قص الاثر فكان القاتل سلك طريقا من القتل فقص اثره فيها وروي
عن ابن عباس ان هذه الاية محكمة وفيها اجمال فسرته آية المائدة وان قوله سبحانه الحر بالحر يعم الرجال
والنساء واجمعت الامة على قتل الرجل بالمراة والمراة بالرجل وقوله تعالى فمن عفي له من اخيه شيء الاية
فيه تأويلات احدها ان من يراد بها القاتل وعفي تتضمن عافيا هو ولي الدم والاخ هو المقتول وشيء
هو الدم الذي يعفى عنه ويرجع الى اخذ الدية هذا قول ابن عباس وجماعة من العلماء والعفو على هذا القول
بابه والتأويل الثاني هو قول مالك ان من يراد بها الولي وعفي بمعنى يسر لا على بابها في العفو والاخ يراد به
القاتل وشيء هو الدية والاخوة على هذا اخوة الاسلام والتأويل الثالث ان هذه الالفاظ في معنى الذين نزلت فيهم
الاية وهم قوم تقاتلوا فقتل بعضهم بعضا فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلح بينهم ويقاصهم بعضهم
من بعض بالديات على استواء الاحرار بالاحرار والنساء بالنساء والعبيد بالعبيد فمعنى الاية فمن فضل له من احدى
الطائفتين على الاخرى شيء من تلك الديات ويكون عفي بمعنى فضل وقوله تعالى فاتباع تقديره فالواجب
والحكم اتباع وهذا سبيل الواجبات كقوله تعالى فامساك بمعروف واما المندوب اليه فياتي منصوبا كقوله
تعالى فضرب الرقاب وهذه الاية حض من الله تعالى على حسن الاقتضاء من الطالب وحسن القضاء من المؤدي وقوله
سبحانه ذلك تخفيف اشارة الى ما شرعه لهذه الامة من اخذ الدية وكانت بنو اسرائيل لا دية عندهم انما
هو القصاص فقط والاعتداء المتوعد عليه في هذه الاية هو ان ياخذ الرجل دية وليه ثم يقتل القاتل
بعد سقوط الدم واختلف في العذاب الاليم الذي يلحقه فقالت فرقة من العلماء منهم مالك هو كمن قتل
ابتداء ان شاء الولي قتله وان شاء عفى عنه وعذابه في الآخرة وقال قتادة وغيره يقتل البتة
ولا عفو فيه وروي في ذلك حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ولكم في القصاص حياة

اول من يدعى الى الجنة الذين يحمدون الله في السراء والضراء رواه الحاكم في صحيحه وفي صحيح مسلم عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن اذا اصابته سراء فشكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء فصبر فكان م

لمعنى القصاص اذا اقيم وتحقق الحكم ازدجر من يريد قتل احد مخافة ان يقتص منه فحييا بذلك
معًا وايضا فكانت العرب اذا قتل الرجل الاخر حمى قبيلاهما وتقاتلوا وكان ذلك داعيا الى موت العدد
الكثير فلما شرع الله سبحانه القصاص قنع الكل به ووقف عنده وتركوا الاقتتال فلهم في ذلك حياة وخص
اولوا الالباب بالذكر تنبيها عليهم لانهم العارفون القابلون للاوامر والنواهي وغيرهم تبع لهم
تتقون معناه القتل فتسلمون من القصاص ثم يكون ذلك داعية لانواع التقوى في غير ذلك
فان الله سبحانه يثيب على الطاعة بالطاعة وقوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت الاية كتب معناه
فرض واثبت وفي قوله اذا حضر مجاز لان المعنى اذا تخوف وحضرت علاماته والخير في هذه الاية
المال واختلف في هذه الاية هل هي محكمة او منسوخة فقال ابن عباس وقتادة والحسن الاية
عامة وتقرر الحكم بها برهة ونسخ منها كل من يرث باية الفرائض وقال بعض العلماء ان الناسخ
لهذه الاية هي السنة المأثورة وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية
لوارث وبالمعروف معناه بالقصد الذي تعرفه النفوس دون اضرار بالورثة ولا تكثير للوصية
وحقا مصدر مؤكد وخص المتقون بالذكر تشريفا للرتبة ليتبادر الناس اليها وقوله فمن بدله
بعدما سمعه الاية الضمير في بدله عائد على الايصاء وامر الميت وكذلك في سمعه ويحتمل ان يعود
الذي في سمعه على امر الله تعالى في هذه الاية والاول اسبق للناظر وسميع عليم صفتان لا يخفى معهما
شيء من جنف الموصين وتبديل المتعدين والجنف الميل ومعنى الاية على ما قال مجاهد من خشي ان
يحيف الموصي ويقطع ميراث طائفة ويتعمد الاذاية فذلك هو الجنف في اثم وان لم يتعمد
فهو الجنف دون اثم فالمعنى من وعظه في ذلك ورده عنه واصلح ما بينه وبين ورثته
وما بين الورثة في ذاتهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم بالموصي اذا عملت فيه الموعظة
ورجع عما اراد من الاذاية وقال ابن عباس وغيره معنى الاية من خاف اي علم ورأى بعد موت
الموصي ان الموصي حاف وجنف وتعمد اذاية بعض ورثته فاصلح ما بين الورثة فلا اثم عليه
وان كان في فعله تبديل ما لانه تبديل لمصلحة والتبديل الذي فيه الاثم انما هو تبديل الهوى
قوله جلت قدرته يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام الاية كتب معناه فرض والصيام في اللغة
الامساك ومنه قوله سبحانه اني نذرت للرحمن صوما وفي الشرع امساك عن الطعام والشراب
مقترنة به قرائن من مراعاة اوقات وغير ذلك وقوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم الكاف
في موضع التشبيه قالت فرقة كتب عليكم كصيام قد تقدم في شرع غيركم فالذين عام في النصارى
وغيرهم ولعلكم ترج في حقهم وتتقون قيل على العموم لان الصيام كما قال صلى الله عليه وسلم
جنة ووجاء وسبب تقوى لانه يميت الشهوات واياما معدودات قيل رمضان وقيل ثلاثة
ايام من كل شهر ويوم عاشوراء التي نسخت بشهر رمضان واياما منصوب بفعل مقدر
يدل عليه ما قبله اي صوموا اياما وقيل اياما منصوب على الظرف انتهى وقوله سبحانه فمن كان
منكم مريضا او على سفر التقدير فافطر فعدة وهذا يسمونه فحوى الخطاب واختلف
العلماء في حد المرض الذي يقع به الفطر فقال جمهور العلماء اذا كان به مرض يؤذيه ويؤلمه
او يخاف تماديه او يخاف من الصوم تزيده صح له الفطر وهذا مذهب حذاق اصحاب
مالك وبه يناظرون واما لفظ مالك فهو المرض الذي يشق على المرء ويبلغ به واختلف في

الافضل

الافضل من الفطر او الصوم ومذهب مالك استحباب الصوم لمن قدر عليه وتقصير
الصلاة حسن لان الذمة تبرأ في رخصة الصلاة وهي مشغولة في امر الصيام والصواب المبادرة
بالاعمال والسفر سفر الطاعة كالحج والجهاد باجماع ويتصل بهذين سفر صلة الرحم وطلب المعاش
الضروري واما سفر التجارات والمباحات فمختلف فيه بالمنع والجواز والقول بالجواز ارجح واما
سفر العصيان فمختلف فيه بالجواز والمنع والقول بالمنع ارجح ومسافة سفر الفطر عند مالك حيث
تقصر الصلاة ثمانية واربعون ميلا وقوله تعالى فعدة اي فالحكم او فالواجب عدة وفي وجوب
تتابعها قولان واخر لا ينصرف للعدل وقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية الاية قرأ
باقي السبعة غير نافع وابن عامر فدية بالتنوين طعام مسكين بالافراد وهي قراءة حسنة
لانها بينت الحكم في اليوم واختلفوا في المراد بالاية فقال ابن عمر وجماعة كان فرض الصيام
هكذا على الناس من اراد ان يصوم صام ومن اراد ان يفطر اطعم مسكينا وافطر ثم نسخ
ذلك بقوله سبحانه فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقالت فرقة الاية في الشيوخ والذين يطيقونه
بتكلف شديد والاية عند مالك انما هي فيمن يدركه رمضان ثان وعليه صوم من المتقدم فقد
كان يطيق في تلك المدة الصوم فتركه والفدية عند مالك وجماعة من العلماء مد لكل مسكين
وقوله تعالى فمن تطوع خيرا فهو خير له الاية قال ابن عباس وغيره المراد من اطعم مسكينين فصاعدا
وقال ابن شهاب من زاد الاطعام مع الصوم وقال مجاهد من زاد في الاطعام على المد وخير الاول
قد نزل منزلة مالا ونفع وخير الثاني والثالث صفة تفضيل وقوله تعالى ان كنتم تعلمون
يقتضي الحض على الصوم اي فاعلموا ذلك وصوموا وجاء في فضل الصوم احاديث صحيحة مشهورة
وحدث ابو بكر الخطيب بسنده عن سهل بن سعد الساعدي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام يوما
تطوعا لم يطلع عليه احد لم يرض الله بثواب الجنة وبهذا الاسناد عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم بمثله انتهى قال ابن عبد البر في كتابه المسمى ببهجة المجالس قال ابو العالية الصائم في عبادة
ما لم يغتب قال الشيخ الصالح ابو عبد الله محمد البلالي الشافعي في اختصاره للاحياء وذكر السبكي
في شرحه ان الغيبة تمنع ثواب الصوم اجماعا قال البلالي وفيه نظر لمشقة الاحتراز نعم
ان كثر توجهت المقالة انتهى وهذا الشيخ البلالي لقيته ورويت عنه كتابه هذا وصح عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل شهر رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب جهنم قال
ابو عمر في التمهيد وذلك لان الصوم جنة يستجن بها العبد من النار وتفتح لهم ابواب
الجنة لان اعمالهم تزكوا فيه وتقبل منهم ثم اسند ابو عمر عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اعطيت امتي خمس خصال في رمضان لم تعطهن قبلها خلوف فم الصائم
اطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ويزين الله لهم كل يوم جنته
ثم يقول يوشك عبادي الصالحون ان يلقوا عنهم المؤنة والاذى ثم يصيروا اليك وتصفد
فيه مردة الشياطين فلا يخلصون الى ما كانوا يخلصون اليه في غيره ويغفر لهم في اخر ليلة
قيل يا رسول الله اهي ليلة القدر قال لا ولكن العامل انما يوفى اجره اذا انقضى قال ابو عمرو في
سنده ابن المقدام فيه ضعف ولكنه محتمل فيما يرويه من الفضائل واسند ابو عمر عن الزهري
قال تسبيحة في رمضان افضل من الف تسبيحة في غيره انتهى وخرجه الترمذي عن ابي هريرة

فى تسبيحة فى رمضان افضل من الف تسبيحة فى غيره انتهى قوله تعالى شهر رمضان الذى انزل
فيه القرآن الشهر مشتق من الاشتهار قال ص الشهر مصدر شهر يشهر اذا ظهر وهو اسم
للمدة الزمانية وقال الزجاج الشهر الهلال وقيل سمى الشهر باسم الهلال انتهى ورمضان علم
هذه الاسم من مدة كان فيها فى الرمض وشدة الحر وكان اسمه قبل ذلك ناترا واختلف فى انزال
القرآن فيه فقال الضحاك انزل فى فرضه وتعظيمه والحض وقيل بنزوله فيه على النبى صلى الله
عليه وسلم وقال ابن عباس فيما يأثر انزل الى السماء الدنيا جملة واحدة ليلة اربع وعشرين من
رمضان ثم كان جبريل ينزله رسلا رسلا فى الاوامر والنواهى والاسباب وروى واثلة بن
الاسقع عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من شهر رمضان والتوراة
لست مضين منه والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين وهدى فى موضع نصب
على الحال من القرآن والمراد ان القرآن بجملته من محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ هدى
ثم شرف بالذكر والتخصيص البينات منه يعنى الحلال والحرام والمواعظ والحكم كله فالالف واللام
فى الهدى للعهد والمراد الاول قال ص هدى منصوب على الحال اى هاديا وهو مصدر وضع موضع
اسم الفاعل وذو الحال القرآن والعامل انزل والفرقان المفرق بين الحق والباطل وشهد بمعنى حضر
والتقدير من حضر المصر فى الشهر ونصب على الظرف وقوله سبحانه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
العسر قال مجاهد والضحاك اليسر الفطر فى السفر ع والوجه عموم اللفظ فى جميع امور الدين وقد
والعسر الصوم فى السفر ٣
فسر ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم دين الله يسر ت قال ابن الفاكهانى فى شرح الاربعين
للنووى فان قلت قوله فان مع العسر يسرا الآية يدل على وقوع العسر قطعا وقوله تعالى يريد الله بكم
اليسر ولا يريد بكم العسر يدل على نفى العسر قطعا لان ما يريده تعالى لا يكون باجماع اهل السنة
قلت العسر المنفى غير المثبت فالمنفى انما هو العسر فى الاحكام لا غير فادقا رض انتهى وترجم
البخارى فى صحيحه قول النبى صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وكان يحب التخفيف واليسر
على الناس ثم اسند هو ومسلم عن انس قال قال النبى صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وسكنوا
ولا تنفروا واسند البخارى ومسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لابى موسى ومعاذ يسرا
ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا قال البخارى حدثنا ابو اليمان قال حدثنا حماد بن زيد عن الازرق
ابن قيس قال كنا على شاطئ نهر بالاهواز قد نضب عنه الماء فجاء ابو برزة الاسلمى على فرس فصلى
وخلى فرسه فانطلق الفرس فترك صلاته وتبعها حتى ادركها فاخذها ثم جاء فقضى صلاته
وفينا رجل له راى فاقبل يقول انظروا الى هذا الشيخ ترك صلاته من اجل فرس فاقبل فقال
ما عنفنى احد منذ فارقت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقال ان منزلى متراخ فلو
صليت وتركته لم آت اهلى الى الليل وذكر انه قد صحب النبى صلى الله عليه وسلم فرأى من تيسيره
انتهى وقوله تعالى ولتكملوا العدة معناه وليكمل من افطر فى سفره او فى مرضه عدة الايام
التى افطر فيها وقوله تعالى ولتكبروا الله حض على التكبير فى آخر رمضان قال مالك وهو من حين
يخرج الرجل من منزله الى ان يخرج الامام الى المصلى ولفظه عند مالك وجماعة من العلماء الله
اكبر الله اكبر ثلثا ومن العلماء من يكبر ويهلل ويسبح اثناء التكبير ومنهم من يقول الله اكبر كبيرا
والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وقيل غير هذا والجميع حسن واسع مع البداءة بالتكبير

وهداكم قيل المراد لما ضل فيه النصارى من تبديل صيامهم ونعمة الهدى جيد ولعلكم تشكرون ترج
فى حق البشر اى على نعم الله فى الهدى ص ولعلكم تشكرون علة للترخيص والتيسير وهذا نوع
من اللف لطيف المسلك انتهى وقوله عز وجل واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع
اذا دعان الآية قال الحسن بن ابى الحسن سببها ان قوما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا
فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت الآية واجيب قال قوم المعنى اجيب ان شئت وقال قوم ان الله
تعالى يجيب كل الدعاء فاما ان تظهر الاجابة فى الدنيا واما ان يكفر عنه واما ان يدخر له اجر
فى الآخرة وهذا بحسب حديث الموطأ ما من داع يدعو الا كان بين احدى ثلاث الحديث
ت وليس هذا باختلاف قول قال ابن رشد فى البيان الدعاء عبادة من العبادات يوجر فيها الاجر
العظيم اجيبت دعوته فيما دعا به او لم يجب وها انا انقل ان شاء الله تعالى من صحيح الاحاديث
فى هذا المحل ما يثلج له الصدر وعن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء احد رواه الحاكم ابو عبد الله فى المستدرك على الصحيحين
وابن حبان فى صحيحه واللفظ له وقال الحاكم صحيح الاسناد وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض
رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال يدعو الله بالمؤمن يوم القيمة حتى يوقف بين يديه فيقول عبدى انى امرتك ان تدعونى
ووعدتك ان استجيب لك فهل كنت تدعونى فيقول نعم يا رب فيقول اما انك لم تدعنى بدعوة
الا استجبت لك اليس دعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك ان افرج عنك ففرجت عنك فيقول نعم
يا رب فيقول فانى عجلتها لك فى الدنيا ودعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك فلم تر فرجا قال نعم
يا رب فيقول انى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا ودعوتنى فى حاجة اقضيها لك يوم كذا
وكذا فقضيتها فيقول نعم يا رب فيقول فانى عجلتها لك فى الدنيا ودعوتنى يوم كذا وكذا فى
حاجة اقضيها لك فلم تر قضاءها فيقول نعم يا رب فيقول انى ادخرت لك فى الجنة كذا وكذا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلا يدع الله دعوة دعى بها عبده المؤمن الا بين له اما ان يكون عجل له فى
الدنيا واما ان يكون ادخر له فى الآخرة قال فيقول المؤمن فى ذلك المقام يا ليته لم يكن عجل له
شىء من دعائه رواه الحاكم فى المستدرك وعن ثوبان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يرد القدر الا الدعاء رواه الحاكم فى المستدرك وابن حبان فى صحيحه واللفظ للحاكم وقال صحيح
الاسناد ت وقد اخرج ابن المبارك فى رقائقه هذا الحديث ايضا قال حدثنا سفيان عن عبد الله بن عيسى
عن عبد الله بن ابى الجعد عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد القضاء الا الدعاء وان الرجل
ليحرم الرزق بالذنب يصيبه انتهى وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يغنى حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وان البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان
الى يوم القيمة رواه الحاكم فى مستدركه وقال صحيح الاسناد وقوله فيعتلجان اى يتصارعان وعن
سلمان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يستجاب له عند الكرب والشدائد
فليكثر الدعاء فى الرخاء رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من فتح له فى الدعاء منكم فتحت له ابواب الجنة قال الغزالى رحمه الله فى كتاب الاحياء

فان قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا يرد فاعلم ان من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب
لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما في الترس سبب لرد السهم ثم في الدعاء من الفائدة انه يستدعي
حضور القلب مع الله عز وجل وذلك منتهى العبادات فالدعاء يرد القلب الى الله عز وجل بالتضرع
والاستكانة انظر فاني اثرت الاختصار وانظر سلاح المؤمن الذي نقلت منه هذه الاحاديث
ومن جامع الترمذي عن ابي خزامة واسمه رفاعة عن ابيه قال سئلت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت يا رسول الله ارايت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر
الله شيئا قال هي من قدر الله قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وانظر جواب عمر لابي عبيدة نفر
من قدر الله الى قدر الله الحديث هو من هذا المعنى انتهى والله الموفق بفضله و قوله تعالى فليستجيبوا
لي قال ابو رجاء الخراساني معناه فليدعوا وقال ع المعنى فليطلبوا ان اجيبهم وهذا هو باب استفعل
اي طلب الشيء الا ما شذ مثل استغنى الله وقال مجاهد وغيره فليجيبوا الي فيما دعوتهم اليه من
الايمان اي بالطاعة والعمل فائدة قال صاحب غاية المغنم في اسم الله الاعظم وهو امام عارف
بعلم الحديث وكتابه هذا يشهد له قال ذكر الدينوري في كتاب المجالسة عن ليث بن سليم ان رجلا وقف
على قوم فقال من عنده ضيافة هذه الليلة فسكت القوم ثم عاد فقال الرجل اعمى عندي فذهب
الى منزله فعشاه ثم حدثه ساعة ثم وضع له وضوءا فقام الرجل في جوف الليل فتوضى وصلى ما قضي
له ثم جعل يدعوا فانتبه الاعمى فجعل يستمع لدعائه فقال اللهم رب الارواح الفانية والاجساد
البالية اسالك بطاعة الارواح الراجعة الى اجسادها وبطاعة الاجساد الملتئمة في عروقها
وبطاعة القبور المتشققة عن اهلها وبدعوتك الصادقة فيهم واخذك الحق منهم وتبرز
الخلائق كلهم من مخافتك ينتظرون قضائك ويرجون رحمتك ويخافون عذابك اسئلك ان
تجعل النور في بصري والاخلاص في عملي وشكرك في قلبي وذكرك في لساني في الليل والنهار ما ابقيتني
قال فحفظ الاعمى هذا الدعاء ثم قام فتوضا وصلى ركعتين ودعا به فاصبح وقد رد الله عليه
بصره انتهى من غاية المغنم في اسم الله الاعظم و اطلق المغني على الارواح فيه تجوز والعقيدة ان الارواح
باقية لا تفنى وانما عبر عن مفارقتها لاجسادها بالفناء هذا هو مراده و روى ابن المبارك في رقائقه
بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان القلوب اوعية وبعضها اوعى من بعض فادعوا الله
ايها الناس حين تدعون وانتم موقنون بالاجابة فان الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل
انتهى قال ابن عطاء الله في لطائف المنن واذا اراد الله ان يعطي عبدا شيئا وهبه الاضطرار
اليه فيه فيطلبه بالاضطرار فيعطى واذا اراد ان يمنع عبدا امرا منعه الاضطرار اليه فيه ثم
منعه اياه فلا يخاف عليك ان تضطر وتطلب فلا تعطى بل يخاف عليك ان تحرم الاضطرار فتحرم
الطلب او تطلب بغير اضطرار فتحرم العطاء انتهى و قوله سبحانه وليؤمنوا بي قال ابو رجاء في الخ
ليجيب دعاءهم وقال غيره بل ذلك دعاء الى الايمان بجملته و قوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الاية
لفظة احل تقتضي انه كان محرما قبل ذلك و ليلة نصب على الظرف و الرفث كناية عن الجماع
لان الله تعالى كريم يكني قاله ابن عباس وغيره والرفث في غير هذا ما فحش من القول وقال
ابو اسحق الرفث كل ما ياتيه الرجل مع المراة من قبلة ولمس ع او كلام في هذا المعنى و سبب هذه
الاية فيما قال ابن عباس وغيره ان جماعة من المسلمين اختانوا انفسهم واصابوا النساء بعد النوم

او بعد صلاة العشاء على الخلاف في ذلك منهم عمر بن الخطاب جاء الى امراته فارادها فقالت
قد نمت فظن انها تعتل بذلك فوقع بها ثم تحقق انها قد كانت نامت وكان الوطء بعد نوم
احدهما ممنوعا فذهب عمر فاعتذر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل صدر الاية وروي
ان صرمة ابن قيس نام قبل الاكل فبقي كذلك دون اكل حتى غشي عليه في نهار المقبل فنزل فيه من
قوله تعالى فكلوا واشربوا و اللباس اصله في الثياب ثم شبه التباس الرجل بالمراة بذلك و تاب عليكم
اي من المعصية التي وقعتم فيها قال ابن عباس وغيره باشروهن كناية عن الجماع و ابتغوا ما كتب الله
لكم قال ابن عباس وغيره اي ابتغوا الولد قال الفخر والمعنى لا تباشروهن لقضاء الشهوة فقط ولكن
لابتغاء ما وضع الله النكاح من التناسل قال عليه السلام تناكحوا تناسلوا فاني مكاثر بكم الامم
انتهى وقيل المعنى ابتغوا ليلة القدر وقيل ابتغوا الرخصة والتوسعة قاله قتادة وهو قول حسن
و كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الاية نزلت بسبب صرمة بن قيس و حتى غاية للتبيين ولا يصح ان يقع التبيين
لاحد ويحرم عليه الاكل وقد مضى لطلوع الفجر قدر و الخيط استعارة وتشبيه لرقة البياض اولا ورقة
السواد الحاف به والمراد فيما قال جميع العلماء بياض النهار وسواد الليل و من الاولى لابتداء الغاية والثانية
للتبعيض و الفجر ماخوذ من تفجر الماء لانه ينفجر شيئا بعد شيء و روي عن سهل بن سعد وغيره من الصحابة
ان الاية نزلت الا قوله من الفجر فصنع بعض الناس خيطين ابيض واسود فنزل قوله تعالى من الفجر
ع وروي انه كان بين طرفي المدة عام من رمضان الى رمضان تاخر البيان الى وقت الحاجة وعدي
ابن حاتم جعل خيطين على وسادة واخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ان وسادك لعريض
و اختلف في الحد الذي بتبينه يجب الامساك فقال الجمهور وبه اخذ الناس ومضت عليه الامصار والاعصار
ووردت به الاحاديث الصحاح انه الفجر المعترض في الافق يمنة ويسرة فبطلوع اوله في الافق
يجب الامساك وروي عن عثمان بن عفان وحذيفة بن اليمان وابن عباس وغيرهم ان الامساك يجب بتبين الفجر
في الطرق وعلى رؤوس الجبال وذلك عن حذيفة انه قال تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو النهار الا ان الشمس لم تطلع و من اكل وهو يشك في الفجر فعليه القضاء عند مالك و قوله سبحانه ثم
اتموا الصيام الى الليل امر يقتضي الوجوب و الى غاية واذا كان ما بعدها من جنس ما قبلها
فهو داخل في حكمه واذا كان من غير جنسه لم يدخل في المحدود و الليل الذي يتم به الصيام مغيب قرص
الشمس فمن افطر شاكا في غروبها فالمشهور من المذهب ان عليه القضاء والكفارة و روى ابو هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حين يفطر والامام العادل ودعوة
المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها ابواب السماء ويقول الرب تعالى وعزتي لانصرنك ولو بعد حين
رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي واللفظ له حديث حسن وفي لفظ
ابن ماجه حتى يفطر انتهى من السلاح و عنه صلى الله عليه وسلم ان للصائم عند فطره لدعوة
ما ترد رواه ابن السني انتهى من حلية النووي و عنه صلى الله عليه وسلم قال للصائم فرحتان
فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه رواه البخاري ومسلم انتهى و روى ابن المبارك في رقائقه
قال اخبرنا حماد بن سلمة عن واصل مولى ابي عيينة عن لقيط ابي المغيرة عن ابي بردة ان ابا موسى
الاشعري كان في سفينة في البحر مرفوع شراعها فاذا رجل يقول يا اهل السفينة قفوا سبع مرار
فقلنا الا ترى على اي حال نحن ثم قال في السابعة قفوا اخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه من عطش نفسه

لله في يوم حار من ايام الدنيا شديد الحر كان حقا على الله ان يرويه يوم القيمة وكان ابو موسى
يتبغى اليوم الشديد الحر فيصومه انتهى قال يوسف بن يحيى التادلي في كتاب التشوف وخرج عبد الرزاق
في مصنفه عن هشام بن حسان عن واصل بن لقيط عن ابي بردة عن ابي موسى الاشعري قال غزا الناس
برا وبحرا فكنت ممن غزا في البحر فبينما نحن نسير في البحر اذ سمعنا صوتا يقول يا اهل السفينة قفوا
اخبركم فنظرنا يمينا وشمالا فلم نر شيئا الا لجة البحر ثم نادى الثانية حتى نادى سبع مرات يقول
كذلك قال ابو موسى فلما كانت السابعة قمت فقلت ما تخبرنا قال اخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه
ان من عطش لله في يوم حار ان يرويه الله يوم القيمة وذكر ابن حبيب في الواضحة بلفظ آخر انتهى قال
ابن المبارك واخبرنا ابو بكر بن ابي مريم الغساني قال حدثني ضمرة بن حبيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لكل شيء بابا وان باب العبادة الصيام انتهى وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كل عمل ابن ادم يضاعف الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف قال الله الا الصوم فانه لي وانا اجزي
به يدع شهوته وطعامه من اجلي انتهى وقوله تعالى ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد قال فرقة
المعنى ولا تجامعوهن وقال الجمهور ذلك يقع على الجماع فما دونه مما يتلذذ به من النساء وعاكفون
اي ملازمون قال مالك رحمه الله تعالى وجماعة معه لا اعتكاف الا في مساجد الجماعات وروي عن
مالك ايضا ان ذلك في كل مسجد ويخرج الى الجمعة كما يخرج لضروري اشغاله قال ابن العربي في احكامه
وحرم الله سبحانه المباشرة في المسجد وكذلك تحرم خارج المسجد لان معنى الاية ولا تباشروهن
وانتم ملتزمون للاعتكاف في المساجد معتقدون له انتهى وتلك اشارة الى هذه الاوامر والنواهي
والحدود الحواجز بين الاباحة والحظر ومنه قيل للبواب حداد لانه يمنع ومنه الحاد لانها تمتنع
من الزينة والايات العلامات الهادية الى الحق انتهى وقوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الاية
الخطاب لامة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويدخل في هذه الاية القمار والخداع والغصوب وجحد
الحقوق وغير ذلك وقوله سبحانه وتدلوا بها الى الحكام الاية يقال ادلى الرجل بحجته او بامر يرجو النجاح
به تشبيها بالذي يرسل الدلو في البئر يرجو بها الماء قال قوم معنى الاية تسارعون في الاموال الى
المخاصمة اذا علمتم ان الحجة تقوم لكم اما بان لا تكون على الجاحد بينة او يكون مال امانة كاليتيم
ونحوه مما يكون القول فيه قوله فالباء في بها باء السبب وقيل معنى الاية ترشوا بها على اكل اكثر منها فالباء
الزاق مجرد وهذا القول يترجح لان الحكام مظنة الرشاء الا من عصم وهو الاقل وايضا فان
اللفظتين متناسبتان من ادلاء الدلو والرشوة من الرشاء كانما يمد بها لتقضي الحاجة والفريق
القطعة والجزء وبالاثم اي بالظلم وانتم تعلمون انكم مبطلون وقوله تعالى يسالونك عن الاهلة
قال ابن عباس وغيره نزلت على سؤال قوم من المسلمين النبي صلى الله عليه وسلم عن الهلال وما فائدة محاقه
وكماله ومخالفته لحال الشمس ومواقيت اي لمحل الديون وانقضاء العدد والاكرية وما اشبه
هذا من مصالح العباد ومواقيت للحج ايضا يعرف بها وقته واشهره وقوله سبحانه وليس البر بان
قال البراء بن عازب والزهري وقتادة سببها ان الانصار كانوا اذا حجوا واعتمروا يلتزمون
تشرعا ان لا يحول بينهم وبين السماء حائل فكانوا يتسنمون ظهور بيوتهم على الجدرات
وقيل كانوا يجعلون في بيوتهم فتوحا يدخلون منها ولا يدخلون من الابواب وقيل غير هذا
مما يشبهه وقوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الاية هي اول اية نزلت في الامر بالقتال قال ابن زيد

والربيع قوله ولا تعتدوا اي في قتال من لم يقاتلكم وهذه المواعدة منسوخة بقوله تعالى قاتلوا
المشركين كافة وقال ابن عباس وغيره ولا تعتدوا في قتل النساء والصبيان والرهبان وشبههم فهي
محكمة وقوله تعالى واقتلوهم حيث ثقفتموهم الاية قال ابن اسحق وغيره نزلت هذه الايات في شان
عمرو بن الحضرمي وواقد وهي سرية عبد الله بن جحش وثقفتموهم معناه احكمتم غلبتهم يقال
رجل ثقف لقف اذا كان محكما لما يتناوله من الامور اخرجوهم خطاب لجميع المؤمنين والضمير
لكفار قريش والفتنة اشد من القتل اي الفتنة التي حملوكم عليها وراموكم بها على الرجوع الى
الكفر اشد من القتل ويحتمل ان يكون المعنى والفتنة اي الكفر والضلال الذي هم فيه اشد في الحرم
واعظم جرما من القتل الذي عيروكم به في شان ابن الحضرمي وقوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد
الحرام الا بعد ان يقاتلوكم ت وظاهر قوله صلى الله عليه وسلم وانما احلت لي ساعة من نهار ولم
تحل لاحد بعدي يقوي قول مجاهد وهذا هو الراجح عند الامام الفخر وان الاية محكمة ولا
يجوز الابتداء بالقتال انتهى قال ابن العربي في احكامه وقد روى الائمة عن ابن عباس ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والارض فهو حرام
بحرمة الله تعالى الى يوم القيمة وانه لم يحل القتال فيها لاحد قبلي وانما احلت لي ساعة من نهار
فقد ثبت النهي عن القتال قرانا وسنة فان لجا اليها كافر فلا سبيل اليه واما الزاني والقاتل فلا
من اقامة الحد عليه الا ان يبتدئ الكافر بالقتال فيها فيقتل بنص القران انتهى وقرا حمزة والكسائي
ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فان قتلوكم فاقتلوهم اي فان قتلوا منكم
والانتهاء في هذه الاية هو الدخول في الاسلام وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله
الفتنة الشرك وما تابعه من اذى المؤمنين قاله ابن عباس وغيره والدين هنا الطاعة والشرع
والانتهاء في هذا الموضع يصح مع عموم الاية في الكفار ان يكون الدخول في الاسلام ويصح ان يكون
اداء الجزية وقوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص الاية قال ابن عباس وغيره نزلت في
عمرة القضية وعام الحديبية سنة ست حين صدهم المشركون اي الشهر الحرام الذي غلبكم الله
فيه وادخلكم الحرم عليهم سنة سبع بالشهر الحرام الذي صدوكم فيه والحرمات قصاص وقالت فرقة
والحرمات قصاص مقطوع مما قبله وهو ابتداء امر كان في اول الاسلام ان من انتهك حرمتك
نلت منه مثل ما اعتدى عليك وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة الاية سبيل الله
واتقوا الله قيل معناه في ان لا تعتدوا وقيل ان لا تزيدوا على المثل
هنا الجهاد واللفظ يتناول بعد جميع سبله وفي الصحيح ان ابا ايوب الانصاري كان على القسطنطينية فحمل
رجل على عسكر العدو فقال قوم القى هذا بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب لا ان هذه الاية نزلت في الانصار حين
ارادوا لما ظهر الاسلام ان يتركوا الجهاد ويعمروا اموالهم واما هذا فهو الذي قال الله تعالى فيه
ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله قال ابن عباس وحذيفة بن اليمان وجمهور الناس المعنى
لا تلقوا بايديكم بان تتركوا النفقة في سبيل الله وتخافوا العيلة واحسنوا قيل معناه في اعمالكم
بامتثال الطاعات روي ذلك عن بعض الصحابة وقيل المعنى واحسنوا في الانفاق في سبيل الله وفي الصدقات
قاله زيد بن اسلم وقال عكرمة المعنى واحسنوا الظن بالله عز وجل ت ولا شك ان لفظ
الاية عام يتناول جميع ما ذكر والتخصيص يفتقر الى دليل فاما حسن الظن بالله سبحانه فقد
جاءت فيه احاديث صحيحة منها انا عند ظن عبدي بي وفي صحيح مسلم عن جابر قال سمعت النبي

صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بثلاثة ايام يقول لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله
انتهى واخرج ابو بكر الخطيب بسنده عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حسن عبادة المرء حسن
ظنه بالله انتهى قال عبد الحق في العاقبة اما حسن الظن بالله عز وجل عند الموت فواجب للحديث انتهى
ويدخل في عموم الاية انواع المعروف قال ابو عمر بن عبد البر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل
معروف صدقة قال ابو جزي الجهمي قلت يا رسول الله اوصني قال لا تحقرن شيئا من المعروف ان تاتيه
ولو ان تفرغ من دلوك في اناء المستقي ولو ان تلقى اخاك ووجهك منبسط اليه وقال عليه السلام اهل
المعروف في الدنيا هم اهل المعروف في الاخرة وقال عليه السلام ان لله عبادا خلقهم لحوائج الناس هم
الامنون يوم القيمة انتهى من كتابه المسمى ببهجة المجالس وانس المجالس وقوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله
قال ابن زيد وغيره اتمامهما ان لا تفسخا وان تتمهما اذا بدات بهما وقال ابن عباس وغيره اتمامهما ان
تقضي مناسكهما كاملة بما كان فيهما من دماء وقال سفيان الثوري اتمامهما ان تخرج قاصدا لهما
لا لتجارة ولا لغير ذلك ويؤيد هذا قوله لله وفروض الحج النية والاحرام والطواف المتصل بالسعي
يعني طواف الافاضة والسعي بين الصفا والمروة عندنا خلافا لابي حنيفة والوقوف بعرفة
وزاد ابن الماجشون جمرة العقبة وقوله تعالى فان احصرتم فما استيسر من الهدي هذه الاية نزلت
في عام الحديبية عند جمهور العلماء على ان المحصر بالعدو يحل حيث احصر وينحر هديه ان كان ثم هدي
ويحلق راسه واما المحصر بمرض فقال مالك وجمهور من العلماء لا يحله الا البيت ويقيم حتى يفيق
وان اقام سنين فاذا وصل البيت بعد فوت الحج قطع التلبية في اوائل الحرم وحل بعمرة ثم تكون
عليه حجة قضاء وفيها يكون الهدي وما في موضع رفع اي فالواجب او فعليكم ما استيسر وهو
شاة عند الجمهور وقال عمر وعروة جمل دون جمل وبقرة دون بقرة وقوله تعالى ولا تحلقوا
رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله الخطاب لجميع الامة وقيل للمحصرين خاصة ومحل الهدي حيث يحل نحره
وذلك لمن لم يحصر بمنى والترتيب ان يرمي الحاج الجمرة ثم ينحر ثم يحلق ثم يطوف للافاضة وقوله
تعالى فمن كان منكم مريضا الاية المعنى فحلق لازالة الاذى ففدية وهذا هو فحوى الخطاب عند اكثر
الاصوليين ونزلت هذه الاية في كعب بن عجرة حين راه رسول الله صلى الله عليه وسلم وراسه يتناثر
قملا فامره بالحلق ونزلت الرخصة والصيام عند مالك وجميع اصحابه ثلاثة ايام والصدقة
ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع وذلك مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم والنسك شاة
باجماع ومن اتى بافضل منها مما يذبح او ينحر فهو افضل والمفتدي مخير في اي هذه الثلاثة
شاء حيث شاء من مكة وغيرها قال مالك وغيره كل ما اتى في القران او او فانه على التخيير وقوله تعالى
فاذا امنتم اي من العدو والمحصر قاله ابن عباس وغيره وهو اشبه باللفظ وقيل معناه اذا برأتم
من مرضكم وقوله تعالى فمن تمتع بالعمرة الى الحج الاية قال ابن عباس وجماعة من العلماء الاية في المحصر
وغيرهم وصورة المتمتع ان تجتمع فيه ستة شروط ان يكون معتمرا في اشهر الحج وهو من غير
حاضري المسجد الحرام ويحل وينشئ الحج من عامه ذلك دون رجوع الى وطنه او ما ساواه
بعدا هذا قول مالك واصحابه واختلف لم سمي متمتعا فقال ابن القاسم لانه تمتع بكل ما لا يجوز
للمحرم فعله من وقت حله في العمرة الى وقت انشائه الحج وقال غيره سمي متمتعا لانه تمتع باسقاط
احد السفرين وذلك ان حق العمرة ان تقصد بسفر وحق الحج كذلك فلما تمتع باسقاط احدهما

اهل التأويل جمهور

الزمه الله سبحانه هديا كالقارن الذي يجمع الحج والعمرة في سفر واحد وجل الامة على جواز العمرة
في اشهر الحج للمكي ولا دم عليه ولا دم عليه وقوله تعالى فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج يعني من
وقت يحرم الى يوم عرفة فان فاته صيامها قبل يوم النحر فليصمها في ايام التشريق لانها من ايام
الحج وسبعة اذا رجعتم قال مجاهد وغيره اي اذا رجعتم من منى وقال قتادة والربيع هذه رخصة
من الله سبحانه والمعنى اذا رجعتم الى اوطانكم ولما جاز ان يتوهم متوهم التخيير بين ثلاثة ايام في الحج
او سبعة اذا رجع ازيل ذلك بالجلية من قوله تعالى تلك عشرة وكاملة قال الحسن بن ابي الحسن المعنى
كاملة الثواب وقيل كاملة تاكيد كما تقول كتبت بيدي وقيل لفظها الاخبار ومعناها الامر اي اكملوها
فذلك فرضها وقوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله الاية الاشارة بذلك على قول الجمهور هي الى الهدي اي ذلك
الاشتداد والالزام وعلى قول من يرى ان المكي لا تجوز له العمرة في اشهر الحج تكون الاشارة الى التمتع
وحكمه فكان الكلام ذلك الترخيص لمن لم ويتايد هذا بقوله لمن لم لان اللام ابدا انما تجيء مع الترخص
واختلف الناس في حاضري المسجد الحرام بعد الاجماع على اهل مكة وما اتصل بها فقيل من تجب
عليه الجمعة بمكة فهو حضري ومن كان ابعد من ذلك فهو بدوي قال ع فجعل اللفظة من الحضارة والبداوة
وقيل من كان بحيث لا يقصر الصلاة فهو حاضر اي شاهد ومن كان ابعد من ذلك فهو غائب وقال ابن عباس
ومجاهد اهل الحرم كله حاضرو المسجد الحرام ثم امر تعالى بتقواه على العموم وحذر من شديد عقابه
وقوله عز وجل الحج اشهر معلومات في الكلام حذف تقديره اشهر الحج اشهر او وقت الحج اشهر معلومات
قال ابن مسعود وغيره هي شوال وذو القعدة وذو الحجة كله وقال ابن عباس وغيره هي
شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة والقولان لمالك رحمه الله تعالى فمن فرض فيهن الحج اي الزمه
نفسه وفرض الحج هو بالنية والدخول في الاحرام والتلبية لذلك وقوله تعالى فيهن ولم يجئ الكلام
فيها فقال قوم هما سواء في الاستعمال وقال ابو عثمان المازني الجمع الكثير لما لا يعقل ياتي كالواحدة المؤنثة
والقليل ليس كذلك تقول الاجذاع انكسرن والجذوع انكسرت ويؤيد ذلك قوله تعالى ان عدة
الشهور عند الله ثم قال منها وقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق الاية وقرا ابن كثير وابو عمرو فلا رفث ولا
فسوق
ولا جدال بالرفع في الاثنين ونصب الجدال ولا بمعنى ليس في قراءة الرفع والرفث الجماع في قول ابن عباس
ومجاهد ومالك والفسوق قال ابن عباس وغيره هي المعاصي كلها وقال ابن زيد ومالك الفسوق الذبح
للاصنام ومنه قوله تعالى او فسقا اهل لغير الله به والاول اولى قال الفخر واكثر المحققين حملوا الفسوق
هنا على كل المعاصي قالوا لان اللفظ صالح للكل ومتناول له والنهي عن الشيء يوجب الانتهاء عن جميع انواعه
وحمل اللفظ على بعض انواع الفسوق تحكم من غير دليل انتهى قال ابن عباس وغيره الجدال هنا ان تماري
مسلما وقال مالك وابن زيد الجدال هنا ان يختلف الناس ايهم صادف موقف ابراهيم
عليه السلام كما كانوا يفعلون في الجاهلية ومعنى الاية فلا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا
كقوله صلى الله عليه وسلم والصوم جنة فاذا كان صوم احدكم فلا يرفث ولا يصخب فان
شاتمه احد او قاتله فليقل اني امرؤ صائم الحديث انتهى قال ابن العربي في احكامه قوله تعالى
فلا رفث ولا فسوق اراد نفيه مشروعا لا موجودا فانا نجد الرفث فيه ونشاهده
وخبر الله سبحانه لا يقع بخلاف مخبره انتهى قالت الفخر قال القفال ويدخل في هذا النهي ما وقع
من بعضهم من مجادلة النبي صلى الله عليه وسلم حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة فشق عليهم ذلك

وقالوا نروح الى منى ومذاكيرنا تقطر منيا الحديث انتهى وقوله تعالى وما تفعلوا من خير يعلمه الله المعنى
فيثيب عليه وفي هذا تحضيض على فعل الخيرات وروى اسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال من صنع اليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد ابلغ في الثنا رواه الترمذي والنسائي
وابن حبان في صحيحه بهذا اللفظ انتهى من السلاح ونحو هذا جوابه صلى الله عليه وسلم للمهاجرين حيث
قالوا ماذا بنا كالانصار واثنوا عليهم خيرا وقوله سبحانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى الاية قال ابن عمر وغيره
نزلت الاية في طائفة من العرب كانت تجي الى الحج بلا زاد ويقفون عالة على الناس فامروا بالتزود
وقال بعض الناس المعنى تزودوا الرفيق الصالح وهذا تخصيص ضعيف والاولى في معنى الاية وتزودوا
لمعادكم الاعمال الصالحات وهذا التاويل هو الذي صدر به الفخر وهو الظاهر وفي قوله فان خير
الزاد التقوى حض على التقوى وقوله تعالى ليس عليكم جناح الاية الجناح اعم من الاثم لانه فيما يقتضي
وفيما يقتضي الزجر والعتاب وتبتغوا معناه تطلبوا اي لا درك في ان تتجروا وتطلبوا الربح وقوله تعالى
فاذا افضتم من عرفات اجمع اهل العلم على تمام حج من وقف بعرفة بعد الزوال وافاض نهارا الا مالك
ابن انس فانه قال لا بد ان ياخذ من الليل شيا واما من وقف بعرفة ليلا فلا خلاف بين الائمة في تمام
حجه وافاض القوم او الجيش اذا اندفعوا جملة واختلف في تسميتها عرفة والظاهر انه اسم مرتجل
كسائر اسماء البقاع وعرفة هي نعمان الاراك والمشعر الحرام جمع كله وهو ما بين جبلي المزدلفة
من حد مفضى مازمي عرفة الى بطن محسر قاله ابن عباس وغيره فهي كلها مشعر الا بطن محسر
كما ان عرفة كلها موقف الا بطن عرنة بفتح الرا وضمها روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
عرفة كلها موقف الا بطن عرنة والمزدلفة كلها مشعر الا وارتفعوا عن بطن محسر و
ذكر هذا عبد الله بن الزبير في خطبته وذكر الله تعالى عند المشعر الحرام ندب عند اهل العلم قال
مالك ومن مر به ولم ينزل فعليه دم وقوله تعالى واذكروه كما هداكم تعديد النعمة وامر بشكرها
ص كما هداكم الكاف للتشبيه وهو في موضع نصب على النعت لمصدر محذوف وما مصدرية
اي كهدايته فتكون ما وما بعدها في موضع جر اذ ينسبك منها مع الفعل مصدر ويحتمل
ان تكون للتعليل على مذهب الاخفش وابن برهان وجوز ابن عطية وغيره ان تكون ما كافة
للكاف عن العمل والاول اولى لان فيه اقرار الكاف على عملها الجر وقد منع صاحب المستوفي
ان تكون الكاف مكفوفة بما واحتج من اثبته بقوله نظم

لعمرك انني وابو حميد ۞ كما النشوان والرجل الحليم ۞ اريد هجاءه واخاف ربي ۞ واعلم انه عبد لئيم ۞

انتهى ثم ذكرهم سبحانه بحال ضلالهم ليظهر قدر انعامه عليهم وان كنتم من قبله اي من قبل الهدى
وقوله سبحانه ثم افيضوا من حيث افاض الناس المخاطب بهذه الاية قريش ومن ولدت
قاله ابن عباس وغيره وذلك انهم كانوا لا يخرجون من الحرم ويقفون بجمع ويفيضون منه
مع معرفتهم ان عرفة هي موقف ابراهيم فقيل لهم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة
وثم ليست في هذه الاية للترتيب انما هي لعطف جملة كلام على جملة هي منها منقطعة وقال
الضحاك المخاطب بالاية جملة الامة والمراد بالناس ابراهيم ويحتمل ان تكون افاضة اخرى
وهي التي من المزدلفة وعلى هذا عول الطبري فتكون ثم على بابها وقرا سعيد بن جبير الناسي
وتاوله ادم عليه السلام وامر الله عز وجل بالاستغفار لانها مواطنه ومظان القبول ومساقط

الرحمة وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب عشية عرفة فقال ايها
الناس ان الله عز وجل تطاول عليكم في مقامكم هذا فقبل محسنكم ووهب مسيئكم لمحسنكم الا
التبعات فيما بينكم افيضوا على اسم الله فلما كان غداة جمع خطب فقال ايها الناس ان الله تطاول عليكم فعوض
التبعات من عنده وقوله تعالى فاذا قضيتم مناسككم الاية قال مجاهد المناسك الذبائح وهراقة
الدماء والمناسك عندي العبادات في معالم الحج ومواضع النسك فيه والمعنى اذا فرغتم من حجكم
الذي هو الوقوف بعرفة فاذكروا الله بمحامده واثنوا عليه بالائه عندكم وكانت عادة العرب
اذا قضت حجها تقف عند الجمرة تتفاخر بالآباء وتذكر ايام اسلافها من بسالة وكرم وغير
ذلك فنزلت الاية ان يلزموا انفسهم ذكر الله تعالى اكثر من التزامهم ذكر آبائهم بايام الجاهلية
هذا قول جمهور المفسرين وقال ابن عباس وعطا معنى الاية واذكروا الله كذكر الاطفال
آباءهم وامهاتهم اي فاستغيثوا به والجئوا اليه قال النووي في حليته والمراد من الذكر
حضور القلب فينبغي ان يكون هو مقصود الذاكر فيحرص على تحصيله ويتدبر ما يذكر ويتعقل
معناه فالتدبر في الذكر مطلوب كما في القراءة لاشتراكهما في المعنى المقصود ولهذا كان المذهب
الصحيح المختار مد الذاكر قول لا اله الا الله لما فيه من التدبر واقوال السلف وائمة الخلف في هذا
مشهورة انتهى قال الشيخ العارف ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري الساحلي المالقي ومنفعة الذكر ابدا
انما هي تتبع معناه بالفكر ليقتبس الذاكر من ذكره انوار المعرفة ويحصل على اللب المراد ولا خير في
ذكر مع قلب غافل ساه ولا مع تضييع شي من رسوم الشرع وقال في موضع اخر من هذا الكتاب
الذي الفه في السلوك ولا مطمع للذاكر في درك حقيقة الذكر الا باعمال الفكر فيما يتضمن الفاظ
الذكر من المعاني وليدفع خطرات نفسه عن باطنه راجعا الى مقتضى ذكره حتى يغلب معنى الذكر على قلبه
وقد آن له ان يدخل في دائرة اهل المحاضرات انتهى وقوله تعالى ومن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا
حسنة الاية قال ابو وائل وغيره كانت عادتهم في الجاهلية الدعا في مصالح الدنيا فقط اذ كانوا لا يعرفون
الاخرة فنهوا عن ذلك الدعا المخصوص بامر الدنيا وجا النهي في صيغة الخبر عنهم والخلاق الحظ
والنصيب قال الحسن بن ابي الحسن حسنة الدنيا العلم والعبادة ع واللفظ اعم من هذا وحسنة
الاخرة الجنة باجماع وعن انس قال كان اكثر دعا النبي صلى الله عليه وسلم ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار رواه البخاري ومسلم وغيرهما وكان انس اذا اراد ان يدعو بدعا
دعا بها فيه انتهى اولئك لهم نصيب مما كسبوا وعد على كسب الاعمال الصالحة والرب تعالى سريع الحساب لانه
لا يحتاج الى عقد ولا اعمال فكر قيل لعلي رضي الله عنه كيف يحاسب الله الخلائق في يوم فقال كما يرزقهم
في يوم وقيل الحساب هنا المجازاة وقيل معنى الاية سريع مجي يوم الحساب فيكون المقصود بالاية
الانذار بيوم القيامة قوله تعالى واذكروا الله في ايام معدودات امر الله سبحانه بذكره في الايام المعدودات
وهي الثلاثة التي بعد يوم النحر ومن جملة الذكر التكبير في اثر الصلوات قال مالك يكبر من صلاة الظهر يوم
النحر الى صلاة الصبح من اخر ايام التشريق وبه قال الشافعي ومشهور مذهب مالك انه يكبر اثر
كل صلاة ثلاث تكبيرات ومن خواص التكبير وبركته ما رواه ابن السني بسنده عن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الحريق فكبروا فان التكبير يطفئه
انتهى من حلية النووي وقوله تعالى فمن تعجل في يومين الاية قال ابن عباس وغيره المعنى ومن تعجل في يوم

الثاني من الايام المعدودات فلا حرج عليه ومن تاخر الى الثالث فلا اثم عليه اى كل ذلك مباح اذ كان
من العرب من يذم المتعجل وبالعكس فنزلت الاية رافعة للجناح ت واهل مكة فى التعجيل كغيرهم
على الاصح ثم امر سبحانه بالتقوى وذكر بالحشر والوقوف بين يديه و قوله تعالى ومن الناس من يعجبك
قوله فى الحياة الدنيا الاية قال السدى نزلت فى الاخنس بن شريق اظهر الاسلام ثم هرب فمر بقوم من المسلمين
فاحرق لهم زرعا وقتل حمرا قال ع ما ثبت قط ان الاخنس اسلم ت وفى ما قاله ع نظر ولا يلزم
من عدم ثبوته عنده ان لا يثبت عند غيره و وقد ذكر احمد بن نصر الداودى فى تفسيره ان هذه الاية
نزلت فى الاخنس بن شريق وسيأتى للطبرى نحوه وقال قتادة ومجاهد وجماعة نزلت هذه الاية فى كل مبطن كفرا
ونفاقا او كذبا واضطرارا وهو يظهر بلسانه خلاف ذلك فهى عامة و ومعنى ويشهد الله اى يقول
الله يعلم انى اقول حقا و والالد الشديد الخصومة الذى يلوى الحجج فى كل جانب فيشبه انحرافه فى
المشى لدى الوادى و وعنه صلى الله عليه وسلم ابغض الرجال الى الله الالد الخصم و وتولى وسعى
يحتمل معنيين احدهما ان يكون فعل قلب فيجى تولى بمعنى ضل وغضب وانف فى نفسه فسعى
بحيلة وادارة الدوائر على الاسلام نحى هذا المنحى فى معنى الاية ابن جريج وغيره والمعنى الثانى
ان يكون فعل شخص فيجى تولى بمعنى ادبر ونهض وسعى اى بقدميه فقطع الطريق وافسدها
نحى هذا المنحى ابن عباس وغيره و وقوله تعالى ويهلك الحرث والنسل قال الطبرى المراد الاخنس
فى احراقه الزرع وقتله الحمر قال ع والظاهر ان الاية عبارة عن مبالغته فى الافساد و ولا يحب
الفساد معناه لا يحبه من اهل الصلاح او لا يحبه دينا والا فلا يقع الا ما يحبه الله وقوعه
والفساد واقع وهذا على ما ذهب اليه المتكلمون من ان الحب بمعنى الارادة قال ع والحب له على الارادة مزية
ايثار اذ الحب من الله تعالى انما هو لما حسن من جميع جهاته و وقوله تعالى واذا قيل له اتق الله الاية هذه
صفة الكافر والمنافق الذاهب بنفسه زهوا ويكره من ان يوقعه الحرج فى نحو هذا وقد
قال بعض العلماء كفى بالمرء اثما ان يقول له اخوه اتق الله فيقول له عليك نفسك مثلك يوصينى ت قال
احمد بن نصر الداودى عن ابن مسعود من اكبر الذنب ان يقال للرجل اتق الله فيقول عليك نفسك
انت تامرنى انتهى و والعزة هنا المنعة وشدة النفس اى اعتز فى نفسه فاوقعته تلك العزة فى الاثم
ويحتمل المعنى اخذته العزة مع الاثم و وحسبه اى كافيه و والمهاد ما مهد الرجل لنفسه كانه الفراش
قوله تعالى ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء الاية تتناول كل مجاهد فى سبيل الله او مستشهد فى
ذاته او مغير منكر وقيل هذه الاية فى شهداء غزوة الرجيع عاصم بن ثابت وخبيب واصحابهما
وقال عكرمة وغيره هى طائفة من المهاجرين وذكر حديث صهيب و ويشرى معناه يبيع ومنه
وشروه بثمن بخس وحكى قوم انه يقال شرى بمعنى اشترى ويحتاج الى هذا من تاويل الاية فى صهيب
لانه اشترى نفسه بماله و وقوله تعالى والله رءوف بالعباد ترجية تقتضى الحض على امتثال ما وقع
به المدح فى الاية ثم امر تعالى المؤمنين بالدخول فى السلم وهو الاسلام وهو المسالمة وقال ابن
عباس نزلت فى اهل الكتاب و والالف واللام فى الشيطان للجنس و وعدو يقع للواحد والاثنين
والجمع و وقوله تعالى فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم الاية اصل الزلل
فى القدم ثم يستعمل فى الاعتقادات والاراء وغير ذلك والمعنى ضللتم و والبينات محمد صلى الله عليه وسلم
واياته ومعجزاته اذا كان الخطاب اولا لجماعة المؤمنين واذا كان الخطاب لاهل الكتاب فالبينات

ما ورد فى شرائعهم من الاعلام بمحمد صلى الله عليه وسلم والتعريف به و وعزيز صفة مقتضية
انه قادر عليكم لا تعجزونه ولا تمتنعون منه و وحكيم اى محكم فيما يعاقبكم به لزللكم و وقوله تعالى هل
ينظرون اى ينتظرون والمراد هؤلاء الذين يزلون و والظلل جمع ظلة وهى ما اظل من فوق والمعنى ياتيهم
حكم الله وامره ونهيه وعقابه اياهم وذهب ابن جريج وغيره الى ان هذا التوعد هو
مما يقع فى الدنيا وقال قوم بل هو توعد بيوم القيامة وقال قوم الان يأتيهم الله وعيد بيوم
القيامة و واما الملائكة فالوعيد باتيانهم عند الموت و والغمام ارق السحاب واصفاه واحسنه
وهو الذى ظلل به بنو اسرائيل وقال النقاش هو ضباب ابيض و وقضى الامر معناه وقع الجزاء وعذاب
اهل العصيان و وقرا معاذ بن جبل وقضاء الامر و والى الله ترجع الامور هى راجعة اليه سبحانه قبل
وبعد وانما نبه بذكر ذلك فى يوم القيامة على زوال ما كان منها الى الملوك فى الدنيا و وقوله سبحانه
سل بنى اسرائيل معنى الاية توبيخهم على عنادهم بعد الايات البينات والمراد بالاية كم جاءهم فى امر محمد
صلى الله عليه وسلم من اية معرفة به دالة عليه و ونعمة الله لفظ عام لجميع انعامه ولكن يقوى
من حال النبى صلى الله عليه وسلم معهم ان المشار اليه هنا هو النبى محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى
ومن يبدل من بنى اسرائيل صفة نعمة الله ثم جاء اللفظ منسحبا على كل مبدل نعمة الله ويدخل فى اللفظ
كفار قريش والتوراة ايضا نعمة على بنى اسرائيل فبدلوها بالتحريف لها وجحد امر محمد صلى الله
عليه وسلم فان الله شديد العقاب خبر يتضمن الوعيد و وقوله جل وعلا زين للذين كفروا الحياة الدنيا
الاية الاشارة الى كفار قريش لانهم كانوا يعظمون حالهم من الدنيا ويغتبطون بها ويسخرون من
اتباع النبى صلى الله عليه وسلم كبلال وصهيب وابن مسعود وغيرهم فذكر الله قبيح فعلهم ونبه
على خفض منزلتهم بقوله والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة و ومعنى الفوقية هنا فى الدرجة
والقدر ويحتمل ان يريد ان نعيم المتقين فى الاخرة فوق نعيم هؤلاء الان ت وحكى الداودى عن قتادة
فوقهم يوم القيامة قال فوقهم فى الجنة و ومهما ذكرت الداودى فى هذا المختصر فانما اريد احمد بن نصر
الفقيه المالكى ومن تفسيره انا انقل انتهى فان تشوقت نفسك ايها الاخ الى هذه الفوقية ونيل
الدرجة العلية فارفض دنياك الدنية وازهد فيها بالكلية لتسلم من كل آفة وبلية و واقتد
فى ذلك بخير البرية قال عياض فى شفائه فانظر رحمك الله سيرة نبينا محمد عليه السلام وخلقه فى المال
تجده قد اوتى خزائن الارض وجبيت اليه الاخماس وهادته جماعة من الملوك فما استاثر بشىء
من ذلك ولا امسك درهما منه بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين ومات
صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة واقتصر من نفقته وملبسه على ما دعته ضرورته اليه
وزهد فيما سواه فكان عليه السلام يلبس ما وجد فيلبس فى الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ انتهى
و وقوله تعالى كان الناس امة واحدة الاية قال ابن عباس الناس القرون التى كانت بين ادم ونوح وهى عشرة
كانوا على الحق حتى اختلفوا فبعث الله تعالى نوحا فمن بعده وقال ابن عباس ايضا كان الناس امة واحدة اى
كفارا يريد فى مدة نوح حين بعثه الله وقال ابى بن كعب وابن زيد المراد بالناس بنو ادم حين اخرجهم الله
نسما من ظهر ادم اى كانوا على الفطرة وقيل غير هذا و وكل من قدر كونهم فى الاية مؤمنين قدر فى الكلام
فاختلفوا وكل من قدرهم كفارا قدر كانت بعثة النبيين اليهم و والامة الجماعة على المقصد ويسمى الواحد
امة اذا كان منفردا بمقصد مبشرين معناه بالثواب على الطاعة ومنذرين بالعقاب و والكتاب اسم الجنس ومعنى

جميع الكتب وليحكم مسند الى الكتاب فى قول الجمهور والذين اوتوه ارباب العلم به وحفظوا الذكر تنبيها
منه سبحانه على عظم الشنعة والقبح والبينات الدلالات والحجج والبغى التعدى بالباطل وهدى ارشد و
المراد بالذين امنوا من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فقالت طائفة معنى الاية ان الامم كذب بعضهم
كتاب بعض فهدى الله امة محمد صلى الله عليه وسلم للتصديق بجميعها وقالت طائفة ان الله سبحانه هدى
المؤمنين للحق فيما اختلف فيه اهل الكتاب من قولهم ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا فاليهود غدا
والنصارى بعد غد فى صيامهم وجميع ما اختلفوا فيه قال الفراء وفى الكلام قلب واختاره الطبرى قال
وتقديره فهدى الله الذين امنوا للحق مما اختلفوا فيه ودعاه الى هذا التقدير خوف ان يحتمل اللفظ انهم
اختلفوا فى الحق فهدى الله المؤمنين لبعض ما اختلفوا فيه وعساه غير الحق فى نفسه نحى الى هذا الطبرى
فى حكايته عن الفراء قال ع وادعاء القلب على كتاب الله دون ضرورة تدفع الى ذلك عجز وسوء نظر وذلك
ان الكلام يتخرج على وجهه ووصفه لان قوله فهدى يقتضى انهم اصابوا الحق وتم المعنى فى قوله
فيه وتبين بقوله من الحق جنس ما وقع الخلاف فيه وباذنه قال الزجاج معناه بعلمه ع والاذن هو
العلم والتمكين فان قرن بذلك امر صار اقوى من الاذن بمزية و قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما ياتكم الاية اكثر المفسرين انها نزلت فى قصة الاحزاب حين حصروا المدينة وقالت فرقة
نزلت تسلية للمهاجرين حين اصيبت اموالهم بعدهم وفيما نالهم من اذاية الكافرين لهم و خلوا
معناه انقرضوا اى صاروا الى خلاء من الارض والباساء فى المال والضراء فى البدن و مثل
معناه شبه والزلزلة شدة التحريك تكون فى الاشخاص والاحوال وقرا نافع يقول فى الرفع وقرا
الباقون بالنصب فحتى غاية مجردة تنصب الفعل بتقدير الى ان وعلى قراءة نافع كانها اقترن بها تسبيب
فهى حرف ابتداء ترفع الفعل واكثر المتاولين على ان الكلام الى اخر الاية من قول الرسول والمؤمنين
ويكون ذلك من قول الرسول على طلب استعجال النصر لا على شك ولا ارتياب والرسول اسم الجنس وقالت
طائفة فى الكلام تقديم وتاخير والتقدير حتى يقول الذين امنوا متى نصر الله فيقول الرسول
الا ان نصر الله قريب فقدم الرسول فى الرتبة لمكانته ثم قدم قول المؤمنين لانه المتقدم فى الزمان
قال ع وهذا تحكم وحمل الكلام على وجه غير متعذر ويحتمل ان يكون الا ان نصر الله قريب
اخبارا من الله تعالى مؤتنفا بعد تمام ذكر القول قوله تعالى يسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم
من خير الاية السائلون هم المؤمنون والمعنى يسئلونك ما هى الوجوه التى ينفقون فيها و ما يصح ان
تكون فى موضع رفع على الابتداء وذا خبرها بمعنى الذى وينفقون صلة وفيه عائد على
ذا تقديره ينفقونه ويصح ان تكون ماذا اسما واحدا مركبا فى موضع نصب قال قوم هذه
الاية فى الزكاة المفروضة وقال ابن جريج وغيره هى ندب والزكاة غير هذا الانفاق وعلى هذا
لا نسخ فيها و ما تفعلوا جزم بالشرط والجواب فى الفاء وظاهر الاية الخبر وهى تتضمن الوعد بالمجازاة
وكتب معناه فرض واستمر الاجماع على ان الجهاد على امة محمد صلى الله عليه وسلم فرض كفاية
و قوله وعسى ان تكرهوا شيئا الاية قال قوم عسى من الله واجبة والمعنى عسى ان تكرهوا ما فى
الجهاد من المشقة وهو خير لكم فى انكم تغلبون وتظهرون وتغنمون وتؤجرون ومن مات
مات شهيدا وعسى ان تحبوا الدعة وترك القتال وهو شر لكم فى انكم تغلبون وتذلون
ويذهب امركم قال ص قوله وعسى ان تحبوا شيئا عسى هنا للترجى ومجيئها له كثير فى كلام العرب

قال زيد بن اسلم وكان اختلافهم فى يوم الجمعة فان محمدا صلى الله عليه وسلم قال هذا اليوم الذى اختلفوا فيه فهدانا الله له م

قالوا وكل عسى فى القرآن للتحقيق يعنون به الوقوع الا قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن انتهى
وفى قوله والله يعلم الاية نوع امر و قوله تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام الاية نزلت فى قصة عمرو
ابن الحضرمى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية عليها عبد الله بن جحش الاسدى
مقدمه من بدر الاولى فلقوا عمرو بن الحضرمى ومعه عثمان بن عبد الله بن المغيرة واخوه نوفل
المخزوميان والحكم بن كيسان فى اخر يوم من رجب على ما قاله ابن اسحق وقالوا ان تركناهم اليوم دخلوا
الحرم فازمعوا قتالهم فرمى واقد بن عبد الله عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله واسر عثمان بن عبد الله
والحكم وفر نوفل فاعجزهم واستسهل المسلمون هذا فى الشهر الحرام خوف فوتهم فقالت قريش
محمد قد استحل الاشهر الحرم وعيروا بذلك وتوقف النبى صلى الله عليه وسلم وقال ما امرتكم
بقتال فى الاشهر الحرم فنزلت هذه الاية و قتال بدل اشتمال عند سيبويه وقال الفراء هو
خفض بتقدير عن وقرئ به والشهر فى الاية اسم الجنس وكانت العرب قد جعل الله لها الشهر الحرام قواما
تعتدل عنده فكانت لا تسفك دما ولا تغير فى الاشهر الحرم وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
ورجب و روى جابر بن عبد الله ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يغزو فيها الا ان يغزى فذلك
قوله تعالى قل قتال فيه كبير و صد مبتدا مقطوع مما قبله والخبر اكبر و معنى الاية على قول الجمهور
انكم يا كفار قريش تستعظمون علينا القتال فى الشهر الحرام وما تفعلون انتم من الصد عن سبيل الله
لمن اراد الاسلام وكفركم بالله واخراجكم اهل المسجد عنه كما فعلتم برسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه اكبر جرما عند الله قال الزهرى ومجاهد وغيرهما قوله تعالى قل قتال فيه كبير
منسوخ ص وسبيل الله دينه والمسجد قراءة الجمهور بالخفض فقال المبرد وتبعه ابن عطية وغيره
هو معطوف على سبيل الله ورد بانه يكون متعلقا بصد اى وصد عن سبيل الله وعن المسجد
الحرام فيلزم منه الفصل بين المصدر وهو صد وبين معموله وهو المسجد باجنبى وهو كفر به
ولا يجوز وقيل معطوف على ضمير به اى وكفر به وبالمسجد ورد بان فيه عطفا على الضمير المجرور
من غير اعادة الخافض ولا يجوز عند جمهور البصريين واجازه الكوفيون ويونس والاخفش
والشلوبين والمختار جوازه لكثرته نظما ونثرا ومنه قراءة حمزة تساءلون به والارحام اى وبالارحام
وتاويلها على غيره بعيد يخرج الكلام عن فصاحته انتهى و قوله تعالى والفتنة اكبر من القتل
المعنى عند الجمهور والفتنة التى كنتم تفتنون المسلمين عن دينهم حتى يهلكوا اشد اجتراما من
قتلكم فى الشهر الحرام وقيل المعنى والفتنة اشد من ان لو قتلوا ذلك المفتون و قوله تعالى
ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا هو ابتداء خبر من الله تعالى وتحذير
منه للمؤمنين و قوله تعالى ومن يرتدد اى يرجع عن الاسلام الى الكفر عياذا بالله قالت طائفة
من العلماء يستتاب المرتد ثلاثة ايام فان تاب والا قتل وبه قال مالك واحمد واصحاب الرأى
والشافعى فى احد قوليه وفى قول يقتل دون استتابة و حبط العمل اذا انفسد فى اخره
فبطل و ميراث المرتد عند مالك والشافعى فى بيت مال المسلمين و قوله تعالى ان الذين امنوا
والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله الاية قال عروة بن الزبير لما عنف المسلمون عبد الله بن
جحش واصحابه شق ذلك عليهم فتلافاهم الله عز وجل بهذه الاية ثم هى باقية فى كل
من فعل ما ذكره الله عز وجل و هاجر الرجل اذا انتقل نقلة اقامة من موضع الى موضع وقصد

ترك الاولى ايثاراً للثاني وهي مفاعلة من هجر وجاهد مفاعلة من جهد اذا استخرج الجهد ويرجون
معناه يطمعون ويستقربون والرجاء تنعم والرجاء ابداً معه خوف ولا بد كما ان الخوف معه
رجاء ت والرجاء ما قارنه عمل والا فهو امنية قوله سبحانه يسئلونك عن الخمر والميسر الآية السائلون
هم المؤمنون و الخمر ماخوذ من خمر اذا استتر ومنه خمار المرأة والخمر ماء وراء الشجر وغيره ومنه
قول الشاعر الا يا زيد والضحاك سيرا فقد جاوزتما خمر الطريق ولما كانت الخمر تستر العقل وتغطي
عليه سميت بذلك و اجمعت الامة على تحريم خمر العنب ووجوب الحد في القليل والكثير منه وجمهور الامة
على ان ما اسكر كثيره من غير خمر العنب محرم قليله وكثيره والحد في ذلك واجب و روي ان هذه الآية
اول تطرق الى تحريم الخمر ثم بعده لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ثم قوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم
الآية الى قوله فهل انتم منتهون ثم قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت الخمر ولم يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم في حد الخمر الا انه
جلد اربعين خرجه مسلم وابو داود و روي عنه صلى الله عليه وسلم انه ضرب فيها ضرباً مشاعاً
وحزره ابو بكر اربعين سوطاً وعمل بذلك هو ثم عمر ثم تهافت الناس فشدد عليهم الحد وجعله كأخف الحدود
ثمانين وبه قال مالك و يجتنب من المضروب الوجه والفرج والقلب والدماغ والخواصر باجماع قال
ابن سيرين والحسن وابن عباس وابن المسيب وغيرهم كل قمار ميسر من نرد وشطرنج ونحوه حتى لعب الصبيان
بالجوز ت وعن الداودي وعن ابن عمر الميسر القمار كله قال ابن عباس كل ذلك قمار حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب قال
انتهى و قوله تعالى قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية قال ابن عباس الاثم فيهما بعد التحريم والمنفعة قبله وقال
مجاهد المنفعة بالخمر كسب اثمانها وقيل اللذة التي بها الى غير ذلك من افراحها ثم اعلم الله عز وجل ان الاثم
اكبر من النفع واعود بالضرر في الآخرة فهذا هو التقدمة منه بالتحريم و قوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون قل
العفو قال جمهور العلماء هذه نفقات التطوع و العفو ماخوذ من عفا الشيء اذا كثر فالمعنى انفقوا
ما فضل عن حوائجكم ولم تؤذوا فيه انفسكم فتكونوا عالة على الناس و قوله تعالى كذلك يبين الله لكم
الآيات لعلكم تتفكرون الاشارة الى ما تقدم تبيينه من الخمر والميسر والانفاق و اخبر تعالى انه يبين للمؤمنين
الآيات التي تقودهم الى الفكرة في الدنيا والآخرة يعني في زوال الدنيا وفنائها واقبال الآخرة وبقائها
انتهى قال الغزالي رحمه الله تعالى العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة في لحظة فانها مستقره ومصيره
فيكون له في كل ما يراه من ماء او نار او غيرهما عبرة فان نظر الى سواد ذكر ظلمة اللحد وان نظر الى صورة
مروعة تذكر منكراً ونكيراً والزبانية وان سمع صوتاً هائلاً تذكر نفخة الصور وان رأى
شيئاً حسناً تذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة رد او قبول تذكر ما ينكشف له من اخر امره بعد الحساب
من رد او قبول وما اجدر ان يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل لا يصرفه عنه الا مهمات الدنيا
فاذا نسب مدة مقامه في الدنيا الى مدة مقامه في الآخرة استحقر الدنيا ان لم يكن اغفل قلبه
واعميت بصيرته انتهى من الاحياء و قوله تعالى ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير قال ابن عباس
وسعيد بن المسيب سبب الآية ان المسلمين لما نزلت ولا تقربوا مال اليتيم الآية ونزلت ان الذين يأكلون
اموال اليتامى ظلماً تجنبوا اليتامى واموالهم وعزلوهم عن انفسهم فنزلت وان تخالطوهم فاخوانكم
الآية وامر الله سبحانه نبيه يجيب بان من قصد الاصلاح في مال اليتيم فهو خير ورفع تعالى المشقة
واباح الخلطة في ذلك اذا قصد الاصلاح ورفق اليتيم و قوله سبحانه والله يعلم المفسد من المصلح تحذير

وذلك الطريق النجاة لمن تبعه فكر ت قال الداودي وعن ابن عباس لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة ص

وقوله

وقوله تعالى ولو شاء الله لاعنتكم اي لاتعبكم في تجنب امر اليتامى والعنت المشقة ومنه عقبة عنوت
ومنه عنت العزبة و عزيز مقتضاه لا يرد امره حكيم ما ينفذه و قوله تعالى ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن و نكح اصله في الجماع ويستعمل في العقد تجوزاً قالت طائفة المشركات هنا من
يشرك مع الله الهاً آخر وقال قتادة وابن جبير الآية عامة في كل كافرة وخصصتها آية المائدة ولم
يتناول العموم قط الكتابيات وقال ابن عباس والحسن تناولهن العموم ثم نسخت آية المائدة بعض العموم
في الكتابيات وهو مذهب مالك رحمه الله تعالى ذكره ابن حبيب و قوله تعالى ولامة مؤمنة خير
من مشركة الآية هذا اخبار من الله سبحانه ان المؤمنة المملوكة خير من المشركة وان كانت ذات
الحسب والمال ولو اعجبتكم في الحسن وغير ذلك وهذا قول الطبري وغيره و قوله سبحانه ولا تنكحوا المشركين
حتى يؤمنوا اجمعت الامة على ان المشرك لا يطأ المؤمنة بوجه لما في ذلك من الغضاضة على دين الاسلام
قال بعض العلماء ان الولاية في النكاح نص في هذه الآية ت ويعني ببعض العلماء محمد بن علي بن حسين
قاله ابن العربي انتهى و لعبد مؤمن مملوك خير من مشرك حسيب ولو اعجبكم حسنه وماله حسبما تقدم
قال ع ويحتمل الآية عندي ان يكون ذكر العبد والامة عبارة عن جميع الناس حرهم ومملوكهم اذ كلهم
عبيده سبحانه و قوله سبحانه اولئك يدعون الى النار اي صحبتهم ومعاشرتهم والانحطاط في كثير
من اهوائهم و الله عز وجل يمن بالهداية ويبين الآيات ويحض على الطاعات التي كلها دواع
الى الجنة و الاذن العلم والتمكين فان انضاف الى ذلك امر فهو اقوى من الاذن لانك اذا قلت اذنت
في كذا فليس يلزمك انك امرت و لعلهم ترج في حق البشر و من تذكر عمل حسب التذكر فنجا قوله تعالى
ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى قال الطبري عن السدي ان السائل ثابت بن الدحداح وقال قتادة وغيره
انما سألوا لان العرب في المدينة وما والاها كانوا قد استنوا بسنة بني اسرائيل في تجنب مواكلة الحائض
ومساكنتها فنزلت الآية و قوله تعالى فاعتزلوا النساء في المحيض يريد جماعهن بما فسر من ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ان تشد الحائض ازارها ثم شأنه باعلاها قال احمد بن نصر الداودي
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا النساء في المحيض فان الجذام يكون من اولاد المحيض و
قوله تعالى ولا تقربوهن حتى يطهرن و قرأ حمزة وغيره حتى يطهرن بتشديد الطاء والهاء وفتحهما
وكل واحدة من القراءتين يحتمل ان يراد بها انقطاع الدم وزواله قال ابن العربي في احكامه
سمعت ابا بكر الشاشي يقول اذا قيل لا تقرب بفتح الراء كان معناه لا تلتبس بالفعل واذا كان بضم الراء كان
معناه لا تدن منه انتهى وجمهور العلماء على ان وطأها في الدم ذنب عظيم يتاب منه ولا كفارة فيه
بمال و جمهورهم على ان الطهر الذي يحل جماع الحائض هو بالماء كطهر الجنب ولا يجزئ من ذلك تيمم
ولا غيره و قوله تعالى فاذا تطهرن الآية الخلاف فيها كما تقدم وقال مجاهد وجماعة تطهرن اغتسلن
بالماء بقرينة الامر بالاتيان لان صيغة الامر من الله تعالى لا تقع الا على الوجه الاكمل و فأتوهن
امر بعد الحظر يقتضي الاباحة والمعنى من حيث امركم الله باعتزالهن وهو الفرج او من السرة الى
الركبة على الخلاف في ذلك وقال ابن عباس معناه من قبل الطهر لا من قبل الحيض وقيل المعنى من قبل حال
الاباحة لا صائمات ولا محرمات ولا غير ذلك و التوابون الرجاعون وعرفه من الشر الى الخير و
المتطهرون قال عطاء وغيره المعنى بالماء وقال مجاهد وغيره المعنى من الذنوب و قوله تعالى
نساؤكم حرث لكم الآية مبيحة لهيئات الاتيان كلها اذا كان الوطء في موضع الحرث و لفظة الحرث

الاغتسال بالماء والمراد بهام

نعطي ان الاباحة لم تقع الا في الفرج خاصة اذ هو المزدرع قال ابن العربي في احكامه وفي سبب
نزول هذه الاية روايات الاولى عن جابر قال كانت اليهود تقول من اتى امراة في قبلها من دبرها جاء
الولد احول فنزلت الاية هذا حديث صحيح خرجه الائمة الثانية قالت ام سلمة عن النبي صلى الله عليه
وسلم في قوله تعالى نساؤكم حرث لكم قال يأتيها مقبلة ومدبرة اذا كان في صمام واحد خرجه مسلم وغيره
الثالثة ما روى الترمذي ان عمر جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له هلكت فقال وما اهلكك
قال حولت البارحة رحلي فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلت نساؤكم حرث لكم اقبل
وادبر واتق الدبر انتهى قال ع وانى شئتم معناه عند جمهور العلماء من اي وجه شئتم مقبلة
ومدبرة على جنب قال ع وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في مصنف النسائي وفي غيره انه
قال اتيان النساء في ادبارهن حرام وورد عنه فيه انه قال ملعون من اتى امراة في دبرها
وقد ورد عنه انه قال من اتى امراة في دبرها فقد كفر بما انزل على قلب محمد وهذا هو الحق
المتبع ولا ينبغي لمؤمن بالله ان يعرج بهذه النازلة على زلة عالم بعد ان تصح عنه والله المرشد
لا رب غيره وقوله جلت قدرته وقدموا لانفسكم قال السدي معناه قدموا الاجر في تجنب
ما نهيتم عنه وامتثال ما امرتم به واتقوا الله تحذير واعلموا انكم ملاقوه خبر يقتضي المبالغة
في التحذير اي فهو مجازيكم على البر والاثم وبشر المؤمنين تانيس لفاعل البر ومتبعي سنن
الهدى قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم مقصد الاية ولا تعرضوا اسم الله تعالى
فتكثر الايمان به فان الحنث يقع مع الاكثار وفيه قلة رعي لحق الله تعالى وقال الزجاج وغيره
معنى الاية ان يكون الانسان اذا طلب منه فعل خير ونحوه اعتل بالله تعالى وقال علي يمين وهو
لم يحلف وقوله عرضة قال ابن العربي في احكامه اعلم ان بناء عرض في كلام العرب
يتصرف على معان مرجعها الى المنع لان كل شيء اعترض فقد منع ويقال لما عرض في السماء من السحاب
عارض لانه يمنع من رؤيتها ومن رؤية البدرين والكواكب انتهى وان تبروا مفعول من اجله
والبر جميع وجوه البر وهو ضد الاثم وسميع اي لاقوال العباد عليم بنياتهم وهو مجاز على الجميع
واليمين الحلف واصله ان العرب كانت اذا تحالفت وتعاهدت اخذ الرجل يمين صاحبه بيمينه
ثم كثر ذلك حتى سمي الحلف والعهد نفسه يمينا وقوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم
اللغو سقوط الكلام الذي لا حكم له قال ابن عباس وعائشة والشعبي وابو صالح ومجاهد لغو
اليمين قول الرجل في درج كلامه واستعجاله في المحاورة لا والله وبلى والله دون قصد لليمين
وقد اسنده البخاري عن عائشة وقال ابو هريرة والحسن ومالك وجماعة لغو اليمين ما حلف
الرجل على يقينه فكشف الغيب خلاف ذلك ع وهذا اليقين هو غلبة الظن وقال زيد بن اسلم لغو
اليمين هو دعاء الرجل على نفسه وقال الضحاك هو اليمين المكفرة وحكى ابن عبد البر قولا ان اللغو ايمان
المكره قال ع وطريقة النظر ان تتامل لفظة اللغو ولفظة الكسب ويحكم موقعهما في اللغة
فكسب المرء ما قصده ونواه واللغو ما لم يتعمده او ما حقه لجهته ان يسقط فيقوى على هذه الطريقة
بعض الاقوال المتقدمة ويضعف بعضها وقد رفع الله عز وجل المؤاخذة في الاطلاق في اللغو
فحقيقته ما لا اثم فيه ولا كفارة والمؤاخذة في الايمان هي بعقوبة الاخرة في الغموس المصبورة وفيما
ترك تكفيره مما فيه كفارة وبعقوبة الدنيا في الزام الكفارة فيضعف القول بانها اليمين المكفرة

لان المؤاخذة قد وقعت وتخصيص المؤاخذة بانها في الاخرة فقط تحكم ت والقول الاول
ارجح وعليه عول اللخمي وغيره وقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم قال ابن عباس وغيره ما كسب
القلب هي اليمين الكاذبة الغموس فهذه فيها المؤاخذة في الاخرة اي ولا تكفر ع وسميت الغموس لانها غمست
صاحبها في الاثم وغفور حليم صفتان لائقتان بما ذكر من طرح المؤاخذة اذ هو باب رفق وتوسعة وقوله
تعالى للذين يؤلون من نسائهم الاية يؤلون معناه يحلفون والايلاء اليمين واختلف من المراد بلزوم
حكم الايلاء فقال مالك هو الرجل يغاضب امراته فيحلف بيمين يلحق عن الحنث فيها حكم ان لا يطاها اضرارا منه
اكثر من اربعة اشهر لا يقصد بذلك اصلاح ولد رضيع ونحوه وقال به عطاء وغيره وقوله تعالى من
نسائهم يدخل فيه الحرائر والاماء اذا تزوجن والتربص التاني والتاخر واربعة اشهر عند مالك
وغيره للحر وشهران للعبد وقال الشافعي هو كالحر وفاءوا معناه رجعوا ومنه حتى تفيء الى امر الله قاله
الجمهور واذا فاء كفر والفيء لا يكون الا بالوطء او بالتكفير في حال العذر قوله تعالى والمطلقات يتربصن
بانفسهن ثلاثة قروء حكم هذه الاية وقصد الاستبراء لا انه عبادة ولذلك خرجت منه من لم يبن بها
بخلاف عدة الوفاة التي هي عبادة والقرء في اللغة الوقت لمعنى تردده فالحيض يسمى على هذا قرءا وكذلك يسمى
الطهر قرءا واختلف في المراد بالقروء في الاية فقال عمر وجماعة كثيرة المراد بالقرء في الاية الحيض وقالت عائشة
وجماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم المراد الاطهار وهو قول مالك واختلف المتاولون في قوله ما خلق
الله في ارحامهن فقال ابن عمر ومجاهد وغيرهما هو الحيض والحبل جميعا ومعنى النهي عن الكتمان النهي
عن الاضرار بالزوج في الزام النفقة واذهاب حقه في الارتجاع فامرن بالصدق نفيا واثباتا وقال
قتادة كانت عادتهن في الجاهلية ان يكتمن الحمل ليلحقن الولد بالزوج الجديد ففي ذلك نزلت الاية
وقال ابن عباس ان المراد الحبل والعموم راجح وفي قوله تعالى ولا يحل لهن ما يقتضي انهن مؤتمنات على ما ذكر
ولو كان الاستقصاء مباحا لم يمكن كتم وقوله سبحانه ان كن يؤمن بالله الاية اي حق الايمان وهذا كما
تقول ان كنت حرا فانتصر وانت تخاطب حرا والبعل الزوج ونص الله تعالى بهذه الاية على ان للزوج ان
يرتجع امراته المطلقة ما دامت في العدة والاشارة بذلك الى المدة بشرط ان يريد الاصلاح دون المضارة
كما تشدد على النساء في كتم ما في ارحامهن وقوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن الاية تعم جميع حقوق الزوجية
وقوله تعالى وللرجال عليهن درجة قال مجاهد هو تنبيه على فضل حظه على حظها في الميراث وما اشبهه وقال
زيد بن اسلم ذلك في الطاعة عليها ان تطيعه وليس عليه ان يطيعها وقال ابن عباس تلك الدرجة اشارة
الى حض الرجل على حسن المعاشرة والتوسع للنساء في المال والخلق اي ان الافضل ينبغي ان يتحامل على نفسه
وهذا قول حسن بارع وقوله تعالى الطلاق مرتان الاية قال عروة بن الزبير وغيره نزلت هذه الاية بيانا
لعدد الطلاق الذي للمرء فيه ان يرتجع دون تجديد مهر وولي وقال ابن عباس وغيره المراد بالاية
التعريف بسنة الطلاق وان من طلق اثنتين فليتق الله في الثالثة فاما تركها غير مظلومة شيئا من حقها واما
امسكها محسنا عشرتها ع والاية تتضمن هذين المعنيين ص الطلاق مبتدا على حذف مضاف اي عدد
الطلاق ومرتان خبره انتهى والامساك بالمعروف هو الارتجاع بعد الثانية الى حسن العشرة والتسريح
يحتمل لفظه معنيين احدهما تركها تتم العدة من الثانية وتكون املك بنفسها وهذا قول السدي
والضحاك والمعنى الاخر يطلقها ثالثة فيسرحها بذلك وهذا قول مجاهد وعطاء وغيرهما وامساك
مرتفع بالابتداء والخبر امثل والحسن وقوله تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا

الاية خطاب للازواج نهاهم به ان ياخذوا من ازواجهم شيا على وجه المضارة وهذا هو الخلع
الذي لا يصح الا بان لا ينفرد الرجل بالضرر وخص بالذكر ما اتى الازواج نساءهم لانه عرف الناس
عند الشقاق والفساد ان يطلبوا ما خرج من ايديهم وحرم الله تعالى على الزوج في هذه الاية ان
ياخذ الا بعد الخوف ان لا يقيما حدود الله واكد التحريم بالوعيد وحدود الله في هذا الموضع هي
ما يلزم الزوجين من حسن العشرة وحقوق العصمة وقوله تعالى فان خفتم ان لا يقيما حدود الله
المخاطبة للحكام والمتوسطين لهذا الامر وان لم يكونوا حكاما وترك اقامة حدود الله هو استخفاف
المراة بحق زوجها وسوء طاعتها اياه قاله ابن عباس ومالك وجمهور العلماء وقال الشعبي ان لا يقيما حدود الله
معناه ان لا يطيعا الله وذلك ان المغاضبة تدعو الى ترك الطاعة وقوله تعالى فلا جناح عليهما فيما
افتدت به اباحة للفدية وشركهما في ارتفاع الجناح لانها لا يجوز لها ان تعطيه مالها حيث لا يجوز
له اخذه وهي تقدر على المخاصمة قال ابن عباس وابن عمر ومالك وابو حنيفة وغيرهم مباح للزوج
ان ياخذ من المراة في الفدية جميع ما تملكه وقضى بذلك عمر بن الخطاب وقال طاوس والزهري
والحسن وغيرهم لا يجوز له ان يزيد على المهر الذي اعطاها وقال ابن المسيب لا ارى ان ياخذ منها كل
مالها ولكن يدع لها شيئا وقوله تعالى تلك حدود الله الاية اي هذه الاوامر والنواهي فلا تتجاوزوها
ثم توعد الله على تجاوز الحد بقوله ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وهو كما قال
صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد الاية قال ابن عباس
وغيره هو ابتداء الطلقة الثالثة قال ع فيجيء التسريح المتقدم ترك المراة تتم عدتها من الثانية
اجمعت الامة في هذه النازلة على اتباع الحديث الصحيح في امراة رفاعة حين تزوجت عبد الرحمن
ابن الزبير فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لعلك اردت الرجوع الى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك
وتذوقي عسيلته فراى العلماء انه لا يحلها الا الوطء وكلهم على ان مغيب الحشفة يحل الا الحسن بن ابي
الحسن فقال لا يحلها الا الانزال وهو ذوق العسيلة والذي يحلها عند مالك النكاح الصحيح والوطء
المباح وقوله تعالى فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله الاية المعنى فان
طلقها المتزوج الثاني فلا جناح عليهما اي المراة والزوج الاول قاله ابن عباس ولا خلاف فيه والظن هنا
على بابه من تغليب احد الجائزين وخص الذين يعلمون بالذكر تشريفا وقوله تعالى واذا طلقتم النساء
الاية خطاب للرجال نهي للرجال ان يطول العدة مضارة لها بان يرتجع قرب انقضائها ثم يطلق قاله
الضحاك وغيره ولا خلاف فيه ومعنى بلغن اجلهن قاربن لانه بعد بلوغ الاجل لا خيار له في الامساك ومعنى
امسكوهن راجعوهن وبمعروف قيل هو الاشهاد ولا تمسكوهن اي لا تراجعوهن ضرارا وباقي الاية بين و
قوله تعالى ولا تتخذوا ايات الله هزوا الاية المراد ايات الله النازلة في الاوامر والنواهي وقال الحسن نزلت
هذه الاية فيمن طلق لاعبا او هازئا او راجع كذلك وقالت عائشة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة ثم ذكر الله تعالى
عباده بانعامه سبحانه عليهم بالقران والسنة والحكمة هي السنة المبينة مراد الله سبحانه وقوله
تعالى واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن الاية خطاب للمؤمنين الذين منهم الازواج
ومنهم الاولياء لانهم المراد في تعضلوهن وبلوغ الاجل في هذا الموضع تناهيه لان المعنى يقتضي
ذلك وقد قال بعض الناس في هذا المعنى ان المراد بتعضلوهن الازواج وذلك بان يكون الارتجاع مضارة

مضارة وعضلا عن نكاح الغير فقوله ازواجهن على هذا يعني به الرجال اذ منهم الازواج وعلى ان المراد
بتعضلوهن الاولياء فالازواج هم الذين كن في عصمتهم والعضل المنع وهي من معنى التضييق والتعسير
كما يقال اعضلت الدجاجة اذا عسر بيضها والداء العضال العسير البرء وقيل نزلت هذه الاية في معقل بن يسار
واخته لما طلقها زوجها وتمت عدتها اراد ارتجاعها فمنعه ولي المراة وقيل نزلت في جابر بن عبد
الله واخته وهذه الاية تقتضي ثبوت حق الولي في انكاح وليته وقوله تعالى بالمعروف معناه المهر والاشهاد و
قوله تعالى ذلك يوعظ به من كان منكم الاية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم رجوع الى خطاب الجماعة
والاشارة في ذلكم ازكى الى ترك العضل وازكى واطهر معناه اطيب للنفس واطهر للعرض والدين
بسبب العلاقات التي تكون بين الازواج وربما لم يعلمها الولي فيؤدي العضل الى الفساد والمخالطة على
ما لا ينبغي والله اعلم من ذلك ما لا يعلم البشر قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن خبر معناه
حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة يرضعن اولادهن صح
الامر على الوجوب لبعض الوالدات وعلى الندب لبعضهن فيجب على الام الارضاع ان كانت تحت ابيه او رجعية
ولا مانع من علو قدر بغير اجر وكذلك اذا كان الاب عديما او لم يقبل الولد غيرها وهذه الايات في
المطلقات جعلها الله حدا عند اختلاف الزوجين في مدة الرضاع فمن دعا منهما الى كمال الحولين فذلك له
وقوله تعالى لمن اراد ان يتم الرضاعة مبني على ان الحولين ليسا بفرض لا يتجاوز وانتزع مالك رحمه الله
وجماعة من العلماء من هذه الاية ان الرضاعة المحرمة الجارية مجرى النسب انما هي ما كان في الحولين لانه بانقضاء
الحولين انقضت الرضاعة فلا رضاعة ت فلو كان رضاعه بعد حولين بمدة قريبة وهو مستمر الرضاع
او بعد يومين من فصاله اعتبر اذ ما قارب الشيء فله حكمه انتهى وقوله تعالى وعلى المولود له رزقهن الاية
المولود له اسم جنس وصنف من الرجال والرزق في هذا الحكم الطعام الكافي وقوله بالمعروف
يجمع حسن القدر في الطعام وجودة الاداء له وحسن الاقتضاء من المراة ثم بين سبحانه ان الانفاق
على قدر غنى الزوج بقوله لا تكلف نفس الا وسعها وقرا ابو عمرو وابن كثير وابان عن عاصم لا تضار
والدة بضم الراء وهو خبر معناه الامر ويحتمل ان يكون الاصل لا تضارر بكسر الراء الاولى فوالدة
فاعله ويحتمل بفتح الراء الاولى فوالدة مفعول لم يسم فاعله ويعطف مولود له على هذا الحد في الاحتمالين
وقرا نافع وحمزة والكسائي وعاصم لا تضار بفتح الراء وهذا على النهي ويحتمل اصله ما ذكرنا في الاول
ومعنى الاية في كل قراءة النهي عن الاضرار ووجوه الضرر لا تنحصر وكل ما ذكر منها في التفاسير فهو مثال
ت وفي الحديث لا ضرر ولا ضرار رواه مالك في الموطا مرسلا قال النووي في الحلية ورويناه في سنن
الدارقطني وغيره متصلا وهو حسن انتهى وقوله تعالى وعلى الوارث مثل ذلك قال مالك وجميع اصحابه
والشعبي والزهري وجماعة من العلماء المراد بقوله مثل ذلك ان لا يضار واما الرزق والكسوة فلا شيء
عليه منه قال ع والاجماع من الامة في ان لا يضار الوارث وانما الخلاف هل عليه رزق وكسوة
ام لا وقوله تعالى فان ارادا فصالا الاية اي فان اراد الوالدان وفصالا معناه فطاما عن الرضاع و
تحرير القول في هذا ان فصاله قبل الحولين لا يصح الا باتفاقهما وان لا يكون على المولود ضرر واما
بعد تمامهما فمن دعا الى الفصل له الا ان يكون في ذلك على الصبي ضرر وقوله تعالى وان اردتم ان
تسترضعوا اولادكم مخاطبة لجميع الناس تجمع الاباء والامهات اي لهم اتخاذ الظئر مع الاتفاق على ذلك
واما قوله اذا سلمتم فمخاطبة للرجال خاصة الا على احد التاويلين في قراءة من قرا اتيتم وقرا
الستة من السبعة اتيتم بالمد بمعنى اعطيتم وقرا ابن كثير اتيتم بمعنى فعلتم كما قال زهير نظم

ومما كان من خير أتوه فإنما ... توارثه آباء آبائهم قبل ... فأحد التأويلين في
هذه القراءة كالأول والتأويل الثاني لقتادة وهو إذا أسلمتم ما آتيتم من إرادة الاسترضاع أي سلم
كل واحد من الأبوين ورضي وكان ذلك على اتفاق منهما وقصد خير وإرادة معروف وعلى هذا الاحتمال
يدخل النساء في الخطاب ت وفي هذا التأويل تكلف وقال سفيان المعنى إذا أسلمتم إلى المسترضعة
وهي الظئر أجرها بالمعروف وباقي الآية أمر بالتقوى وتوقيف على أن الله تعالى بصير بكل عمل وفي هذا
وعيد وتحذير فهو مجاز بحسب عملكم وقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن
بأنفسهن هذه الآية في عدة المتوفى عنها زوجها وظاهرها العموم ومعناها الخصوص في الحرائر
غير الحوامل ولم تعن الآية لما يشذ من مرتابة ونحوها وعدة الحامل وضع حملها عند الجمهور
وروي عن علي وابن عباس أقصى الأجلين ويتربصن خبر يتضمن معنى الأمر والتربص الصبر والتأني
والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أن التربص بإحداد وهو الامتناع عن الزينة ولبس المصبوغ
الجميل والطيب ونحوه والتزام المبيت في مسكنها حيث كانت وقت وفاة الزوج وهذا قول
جمهور العلماء وهو قول مالك وأصحابه وجعل الله تعالى أربعة أشهر وعشرا عبادة في العدة
فيها استبراء للحمل إذ فيها تكمل الأربعون والأربعون والأربعون حسب الحديث الذي رواه ابن مسعود
وغيره ثم ينفخ الروح وجعل تعالى العشر تكملة إذ هي مظنة لظهور الحركة بالجنين وذلك لنقص
الشهور أو كمالها ولسرعة حركة الجنين أو إبطائها قاله ابن المسيب وغيره وقال تعالى عشرا
تغليبا لحكم الليالي وقرأ ابن عباس وعشر ليال قال جمهور العلماء ويدخل في ذلك اليوم العاشر
وقوله تعالى فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون
خبير فيما فعلن يريد به التزوج فما دونه من زينة واطراح الإحداد قاله مجاهد وغيره إذا
كان معروفا غير منكر قال ع ووجوه المنكر كثيرة وقوله سبحانه والله بما تعملون خبير وعيد
يتضمن التحذير خبير اسم فاعل من خبر إذا تقصى علم الشيء وقوله تعالى ولا جناح عليكم فيما
عرضتم به من خطبة النساء الآية التصريح بخطبة المعتدة حرام والتعريض جائز وهو الكلام الذي
لا تصريح فيه أو أكننتم معناه سترتم وأخفيتم وقوله تعالى ستذكرونهن أي المعتدات في نفوسكم
وبألسنتكم فنهى عن أن يوصل إلى التواعد معهن ع والسر في اللغة يقع على الوطء حلاله وحرامه
والآية تعطي النهي عن أن يواعد الرجل المعتدة أن يطأها بعد العدة بوجه التزويج وقال ابن جبير
سرا أي نكاحا وهذه عبارة مخلصة وأجمعت الأمة على كراهة المواعدة في العدة وقوله تعالى
إلا أن تقولوا قولا معروفا استثناء منقطع والقول المعروف هو ما أبيح من التعريض كقول
الرجل إنكم لأكفاء كرام وما قدر كان ونحو هذا وقوله تعالى ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ
الكتاب أجله عزم العقدة عقدها بالإشهاد والولي وحينئذ تسمى عقدة ت والظاهر أن العزم غير
العقد وقوله تعالى حتى يبلغ الكتاب أجله يريد تمام العدة والكتاب هنا الحد الذي جعل
والقدر الذي رسم من المدة وقوله تعالى واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه الآية تحذير
من الوقوع فيما نهي عنه وتوقيف على عفوه وحلمه وقوله تعالى لا جناح عليكم إن طلقتم
النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة هذا ابتداء إخبار برفع الجناح عن المطلق قبل
البناء والجماع فرض مهرا أو لم يفرض ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التزوج

ستذكرونهن قال الحسن معناه ستخطبوهن
وقال غيره معناه علم الله أنكم

لمعنى الذوق وقضاء الشهوة وأمر بالتزوج طلبا للعصمة والتماس ثواب الله وقصد دوام الصحبة
وقع في نفوس المؤمنين أن من طلق قبل البناء قد واقع جزءا من هذا المكروه فنزلت هذه الآية رافعة
للجناح في ذلك إذا كان أصل النكاح على المقصد الحسن وقال قوم لا جناح عليكم معناه لا طلب لجميع
المهر بل عليكم نصف المفروض لمن فرض لها والمتعة لمن لم يفرض لها وفرض المهر إثباته وتحديده
وهذه الآية تعطي جواز العقد على التفويض لأنه نكاح مقرر في الآية مبين حكم الطلاق فيه قاله مالك
في المدونة والفريضة الصداق وقوله تعالى ومتعوهن أي أعطوهن شيئا يكون متاعا لهن وحمله
ابن عمر وغيره على الوجوب وحمله مالك وغيره على الندب واختلف الناس في مقدار المتعة قال
الحسن يمتع كل على قدره هذا بخادم وهذا بأثواب وهذا بنفقة وكذلك يقول مالك وقوله تعالى
على الموسع قدره وعلى المقتر قدره دليل على رفض التحديد والموسع أي من اتسع حاله والمقتر المقل القليل
المال ومتاعا نصب على المصدر وقوله تعالى بالمعروف أي لا حمل فيه ولا تكلف على أحد الجانبين
فهو تأكيد لمعنى قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ثم أكد تعالى الندب بقوله على المحسنين أي في
هذه النازلة من التمتيع هم محسنون ومن قال بأن المتعة واجبة قال هذا تأكيد للوجوب أي
على المحسنين بالإيمان والإسلام وحقا صفة لقوله تعالى متاعا ت وظاهر الآية عموم هذا الحكم
في جميع المطلقات كما هو مذهب الشافعي وأحمد وأصحاب الرأي والظاهر حمل المتعة على الوجوب لوجوه
منها صيغة و منها قوله حقا ومنها لفظة على ومنها من جهة المعنى ما يترتب على امتناعها من جبر القلوب
وربما أدى ذلك ترك العداوة والبغضاء بين المؤمنين وقد مال بعض أئمتنا المتأخرين إلى الوجوب
انتهى وقوله تعالى وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن الآية اختلف في هذه الآية فقالت فرقة فيها
مالك إنها مخرجة للمطلقة بعد الفرض من حكم التمتيع إذ يتناولها قوله ومتعوهن وقال
قتادة نسخت هذه الآية الآية التي قبلها وقال ابن القاسم في المدونة كان المتاع لكل مطلقة بقوله تعالى
وللمطلقات متاع بالمعروف ولغير المدخول بها بالآية التي في سورة الأحزاب فاستثنى الله سبحانه
المفروض لها قبل الدخول بهذه الآية وأثبت لها نصف ما فرض فقط وزعم زيد بن أسلم أنها منسوخة
حكى ذلك في المدونة عن زيد بن أسلم زعما وقال ابن القاسم إنها استثناء والتحرير يرد ذلك إلى النسخ
الذي قال زيد لأن ابن القاسم قال إن قوله تعالى وللمطلقات متاع عم الجميع ثم استثنى الله منه
هذه التي فرض لها قبل المسيس وقال فريق من العلماء منهم أبو ثور المتعة لكل مطلقة عموما وهذه
الآية إنما بينت أن المفروض لها تأخذ نصف ما فرض أي دون متعتها وقرأ الجمهور فنصف
بالرفع والمعنى فالواجب نصف ما فرضتم وقوله تعالى إلا أن يعفون استثناء منقطع ويعفون
معناه يتركن النصف الذي وجب لهن عند الزوج وذلك إذا كانت المرأة تملك أمر نفسها واختلف
في المراد بقوله أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح فقال ابن عباس ومجاهد ومالك هو الولي الذي
المرأة في حجره وقالت فرقة الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج فعلى القول الأول الندب في النصف
الذي يجب للمرأة إما أن تعفو هي وإما أن يعفو وليها وعلى القول الثاني إما أن تعفو هي
فلا تأخذ شيئا وإما أن يعفو الزوج عن النصف الذي يحط فيؤدي جميع المهر ثم خاطب
تعالى الجميع نادبا بقوله وأن تعفوا أقرب للتقوى أي يا جميع الناس وقرأ علي بن أبي طالب وغيره ولا
تناسوا الفضل وهي قراءة متمكنة المعنى لأنه موضع تناس لا على التشبيه وقوله تعالى ولا تنسوا

الفضل ندب إلى المجاملة وقوله إن الله بما تعملون بصير خبر وضمنه الوعد للمحسن والحرمان لغير المحسن قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى الآية الخطاب لجميع الأمة والآية أمر بالمحافظة على إقامة الصلوات في أوقاتها وبجميع شروطها وخرج الطحاوي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أمر بعبد من عباد الله أن يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل الله تعالى ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلأ قبره عليه نارا فلما ارتفع عنه أفاق فقال علام جلدتني قال إنك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره انتهى من التذكرة للقرطبي وفي الحديث الصلاة ثلاثة أثلاث الطهور ثلث والركوع ثلث والسجود ثلث فمن أداها بحقها قبلت منه وقبل منه سائر عمله ومن ردت عليه صلاته رد عليه سائر عمله رواه النسائي انتهى من الكوكب الدري وروى مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد أنه قال بلغني أن أول ما ينظر فيه من عمل العبد الصلاة فإن قبلت منه نظر فيما بقي من عمله وإن لم تقبل منه لم ينظر في شيء من عمله قال أبو عمر بن عبد البر في التمهيد وقد روي هذا الحديث مسندا عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه صحاح ثم أسند أبو عمر عن أنس بن حكيم الضبي قال قال لي أبو هريرة إذا أتيت أهل مصرك فأخبرهم أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ما يحاسب به العبد المسلم صلاة المكتوبة فإن أتمها وإلا قيل انظروا هل له من تطوع فإن كان له تطوع أكملت الفريضة من تطوعه ثم يفعل بسائر أعماله المفروضة مثل ذلك وفي رواية تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى ثم الزكاة مثل ذلك ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك انتهى وذكر الله تعالى الصلاة الوسطى ثانية وقد دخلت قبل في عموم قوله الصلوات الآية أراد تشريفها واختلف الناس في تعيينها فقال علي وابن عباس وجماعة من الصحابة إنها صلاة الصبح وهو قول مالك وقالت فرقة هي الظهر وورد فيه حديث وقالت فرقة هي صلاة العصر وفي مصحف عائشة وإملاء حفصة صلاة العصر وعلى هذا جمهور العلماء وبه أقول وقال قبيصة بن ذؤيب هي صلاة المغرب وحكى أبو عمر بن عبد البر عن فرقة أنها صلاة العشاء الآخرة وقالت فرقة الصلاة الوسطى لم يعينها الله سبحانه فهي في جملة الخمس غير معينة كليلة القدر وقالت فرقة هي صلاة الجمعة وقال بعض العلماء هي الخمس وقوله أولا على الصلوات يعم النفل والفرض ثم خص الفرض بالذكر وقوله تعالى وقوموا لله قانتين معناه في صلاتكم واختلف معنى قانتين فقال الشعبي وغيره معناه مطيعين قال الضحاك كل قنوت في القرآن فإنما يعنى به الطاعة وقاله أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود وغيره القنوت السكوت وذلك أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة حتى نزلت هذه الآية فأمروا بالسكوت وقال مجاهد معنى قانتين خاشعين فالقنوت طول الركوع والخشوع وغض البصر وخفض الجناح قال ع وإحضار الخشية والفكر في الوقوف بين يدي الله سبحانه وقال الربيع القنوت طول القيام وطول الركوع وقال قوم القنوت الدعاء وقانتين معناه داعين روي معناه عن ابن عباس وقوله تعالى فإن خفتم فرجالا أو ركبانا على الحالة الغالبة من الأمن والطمأنينة ثم ذكر تعالى حالة الخوف الطارئة أحيانا وأمر بعبادته في الصلاة رجالا منصرفين على الأقدام وركبانا على الخيل والإبل ونحوها إيماء وإشارة بالرأس حيث ما توجه هذا قول جميع العلماء وهذه هي صلاة الفذ الذي قد ضايقه الخوف على نفسه في حال المسايفة أو من سبع يطلبه أو عدو يتبعه أو سيل يحمله وبالجملة فكل أمر يخاف منه على روحه فهو مبيح ما تضمنته هذه الآية وأما صلاة الخوف بالإمام وانقسام الناس فليس حكمها

الآية أمر الله تعالى بالقيام له في الصلاة بحالة قنوت وهو الوقار والسكينة وهدوء الجوارح وهذا

هذه

في هذه الآية وسيأتي إن شاء الله تعالى في سورة النساء والركبان جمع راكب وهذه الرخصة في ضمنها بإجماع من العلماء أن يكون الإنسان حيث ما توجه ويتقلب ويتصرف بحسب نظره في نجاة نفسه ت وروى أبو داود في سننه عن عبد الله بن أنيس قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خالد بن سفيان وكان نحو عرنة وعرفات قال اذهب فاقتله فرأيته وقد حضرت صلاة العصر فقلت إني لأخاف أن يكون بيني وبينه ما يؤخر الصلاة فانطلقت أمشي وأنا أصلي أومي إيماء نحوه فلما دنوت منه قال لي من أنت قلت رجل من العرب بلغني أنك تجمع لهذا الرجل فجئتك في ذلك قال إني لفي ذلك فمشيت معه ساعة حتى إذا أمكنني علوته بسيفي حتى برد انتهى وقد ترجم عليه باب في صلاة الطالب قال ع واختلف الناس كم يصلي من الركعات والذي عليه مالك وجماعة أنه لا ينقص من عدد الركعات شيئا فيصلي المسافر ركعتين واختلف المتأولون في قوله سبحانه فإذا أمنتم فاذكروا الله الآية فقالت فرقة المعنى إذا زال خوفكم فاذكروا الله سبحانه بالشكر على هذه النعمة وقالت فرقة اذكروا الله أي صلوا كما علمتم صلاة تامة يعني فيما يستقبل من الصلوات قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم الذين رفع بالابتداء وخبره مضمر تقديره فعليهم وصية لأزواجهم وفي قراءة ابن مسعود كتب عليكم وصية قالت فرقة كانت هذه وصية من الله تعالى تجب بعد وفاة الزوج قال قتادة كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها لها السكنى والنفقة حولا في مال الزوج ما لم تخرج برأيها ثم نسخ ما في هذه الآية من النفقة بالربع أو بالثمن الذي في سورة النساء ونسخ سكنى الحول بالأربعة أشهر والعشر قاله ابن عباس وغيره ومتاعا نصب على المصدر وقوله تعالى غير إخراج معناه ليس لأولياء الميت ووارث المنزل إخراجها وقوله تعالى فإن خرجن الآية معناه أن الخروج إذا كان من قبل الزوجة فلا جناح على أحد ولي أو حاكم أو غيره فيما فعلن في أنفسهن من تزويج وتزين وترك إحداد إذا كان ذلك من المعروف الذي لا ينكر وقوله تعالى والله عزيز حكيم صفة تقتضي الوعيد بالنقمة لمن خالف الحد في هذه النازلة وهذا كله قد زال حكمه بالنسخ المتفق عليه وقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون قال عطاء بن أبي رباح وغيره هذه الآية في الثيبات اللواتي قد جومعن إذ قد تقدم في غير هذه الآية ذكر المتعة للواتي لم يدخل بهن وقال ابن زيد هذه الآية نزلت مؤكدة لأمر المتعة لأنه نزل قبل حقا على المحسنين فقال رجل فإن لم أرد أن أحسن لم أمتع فنزلت حقا على المتقين قال الطبري فوجب ذلك عليهم قوله تعالى ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا هذه رؤية القلب بمعنى ألم تعلم وقصة هؤلاء فيما قال الضحاك أنهم قوم من بني إسرائيل أمروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتل في الجهاد فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك فأماتهم الله ليعرفهم أنه لا ينجيهم من الموت شيء ثم أحياهم وأمرهم بالجهاد بقوله وقاتلوا في سبيل الله الآية وروى ابن جريج عن ابن عباس أنهم كانوا من بني إسرائيل وأنهم كانوا أربعين ألفا وثمانية آلاف وأميتوا ثم أحيوا وبقيت الرائحة على ذلك السبط من بني إسرائيل إلى اليوم فأمرهم الله بالجهاد ثانية فذلك قوله وقاتلوا في سبيل الله قال ع وهذا القصص كله لين الإسناد وإنما اللازم من الآية

ان الله تعالى اخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم اخبارا في عبارة التنبيه والتوقيف عن
قوم من البشر خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فاماتهم الله ثم احياهم ليعلموا هم وكل
من خلف بعدهم ان الاماتة انما هي باذن الله لا بيد غيره فلا معنى لخوف خائف وجعل الله تعالى
هذه الاية مقدمة بين يدي امره للمؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم بالجهاد هذا قول
الطبري وهو ظاهر وصف الاية والجمهور على ان الوف جمع الف وهو جمع كثرة وقال ابن زيد
في لفظة الوف انما معناها وهم مؤتلفون وقوله تعالى ان الله لذو فضل على الناس ولكن
اكثر الناس لا يشكرون الاية تنبيه على فضله سبحانه على هؤلاء القوم الذين تفضل عليهم بالنعم
وامرهم بالجهاد وان لا يجعلوا الحول والقوة الا له سبحانه حسبما امر جميع العالم بذلك فلم
يشكروا نعمته في جميع هذا بل استبدوا وظنوا ان حولهم وسعيهم ينجيهم وهذه الاية تحذير لسائر الناس
من مثل هذا الفعل اي فيجب ان يشكر الناس فضله سبحانه في ايجاده لهم ورزقه اياهم وهدايتهم
بالاوامر والنواهي فيكون منهم المبادرة الى امتثالها لا طلب الخروج عنها وفي تخصيصه تعالى الاكثر
دلالة على ان الاقل الشاكرين وقوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الاية الجمهور ان هذه الاية مخاطبة لامة
محمد صلى الله عليه وسلم بالقتال في سبيل الله وهو الذي ينوي به ان تكون كلمة الله هي العليا حسب الحديث
وقال ابن عباس والضحاك الامر بالقتال هو للذين احيوا من بني اسرائيل قاله الطبري ولا وجه لهذا القول
ثم قال تعالى من ذا الذي يقرض الله الاية فيدخل في ذلك المقاتل في سبيل الله فانه يقرض رجاء
ثواب الله كما فعل عثمان في جيش العسرة ويروى ان هذه الاية لما نزلت قال ابو الدحداح يا رسول
الله وان الله يريد منا القرض قال نعم يا ابا الدحداح قال فاني قد اقرضته حائطي لحائط فيه
ستمائة نخلة ثم جاء الحائط وفيه ام الدحداح فقال اخرجي فاني قد اقرضت ربي حائطي هذا
قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كم من عذق مدلل لابي الدحداح في الجنة واستدعاء يقول
القرض في هذه الاية وغيرها انما هو تانيس وتقريب للافهام والله هو الغني الحميد قال
ابن العربي في احكامه وكنى الله عز وجل عن الفقير بنفسه العلية ترغيبا في الصدقة كما كنى
عن المريض والجائع والعاطش بنفسه المقدسة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان
الله عز وجل يقول يوم القيمة يا ابن ادم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف اعودك وانت رب
العالمين قال اما علمت ان عبدي فلانا مرض فلم تعده اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن
آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال اما علمت انه
استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن ادم استسقيتك
فلم تسقني قال يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه
اما علمت انك لو سقيته وجدت ذلك عندي انتهى واللفظ لصحيح مسلم قال ابن العربي وهذا كله خرج
مخرج التشريف لمن كنى عنه وترغيبا لمن خوطب انتهى وقوله حسنا معناه تطيب فيه النية
ويشبه ايضا ان تكون اشارة الى كثرته وجودته وهذه الاضعاف الكثيرة الى السبعمائة التي رويت
ويعطيها مثال السنبلة ت والحق الذي لا شك فيه وجوب الايمان بما ذكر المولى سبحانه ولا سبيل الى التحديد
الا ان ثبت في ذلك حديث صحيح فيصار اليه وقد بين ذلك صلى الله عليه وسلم فيما خرجه مسلم
والبخاري انظره عند قوله تعالى كمثل حبة قال ع روي ان النبي صلى الله عليه وسلم طلب منه ان

يسعر بسبب غلاء خيف على المدينة فقال ان الله هو الباسط القابض واني لارجو ان القى الله
ولا يتبعني احد بمظلمة في نفس ولا مال قال صاحب سلاح المؤمن عند شرحه لاسمه تعالى القابض
الباسط قال بعض العلماء يجب ان تقرن بين هذين الاسمين ولا يفصل بينهما ليكون انباء عن القدرة
وادل على الحكمة كقوله تعالى والله يقبض ويبسط واذا قلت القابض مفردا كانك قصرت بالصفة
على المنع والحرمان واذا جمعت اثبت الصفتين وكذلك القول في الخافض والرافع والمعز والمذل
انتهى وما ذكره عن بعض العلماء هو كلام الامام الفخر في شرحه لاسماء الله الحسنى ولفظه القابض
والباسط الاحسن في هذين الاسمين ان يقرن احدهما في الذكر بالاخر ليكون ذلك ادل على القدرة والحكمة
ولهذا السبب قال الله تعالى والله يقبض ويبسط واذا ذكرت القابض منفردا عن الباسط كنت قد
وصفته بالمنع والحرمان وذلك غير جائز وقوله المعز المذل وقد عرفت انه يجب في امثال هذين
ذكر كل واحد منهما مع الاخر انتهى قوله تعالى الم تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى الاية
هذه الاية خبر عن قوم من بني اسرائيل نالتهم ذلة وغلبة عدو وطلبوا الاذن في الجهاد وان يؤمروا
به فلما امروا به كع اكثرهم وصبر الاقل فنصرهم الله وفي هذا كله مثال للمؤمنين ليحذروا المكروه
منه ويقتدوا بالحسن والملا في هذه الاية جميع القوم لان المعنى يقتضيه وهو اصل اللفظة
ويسمى الاشراف الملا تشبيها ومن بعد موسى معناه من بعد موته وانقضاء مدته وقوله تعالى لنبي لهم
قال ابن اسحق وغيره هو شمويل بن بابل وقال السدي هو شمعون وكانت بنو اسرائيل تغلب من حاربها
وروي انها كانت تضع التابوت الذي فيه السكينة والبقية في مأزق الحرب فلا تزال تغلب حتى عصت
وظهرت فيهم الاحداث وخالف ملوكهم الانبياء واتبعوا الشهوات وقد كان الله تعالى اقام امورهم بان
يكون انبياؤهم يسددون ملوكهم فلما فعلوا ما ذكرناه سلط الله عليهم امما من الكفرة
فغلبوهم واخذ لهم التابوت في بعض الحروب فذل امرهم وقال السدي كان الغالب لهم جالوت وهو
من العمالقة فلما راوا انه الاصطلام وذهاب الذكر انف بعضهم وتكلموا في امرهم حتى اجتمع ملاؤهم
على ان قالوا لنبي الوقت ابعث لنا ملكا الاية وانما طلبوا ملكا يقوم بامر القتال وكانت المملكة
في سبط من اسباط بني اسرائيل يقال لهم بنو يهوذا فعلم النبي بالوحي انه ليس في بيت المملكة من يقوم
بامر الحرب ويسر الله لذلك طالوت وقرا جمهور الناس نقاتل بالنون وجزم اللام على جواب الامر
واراد النبي المذكور عليه السلام ان يتوثق منهم فوقفهم على جهة التقرير وسبر ما عندهم بقوله
هل عسيتم ومعنى هذه المقالة هل انتم قريب من التولي والفرار ان كتب عليكم القتال ص لنبي
متعلق بقالوا واللام معناه التبليغ انتهى ثم اخبر تعالى انه لما فرض عليهم القتال تولوا
اي اضطربت نياتهم وفترت عزائمهم الا قليلا منهم وهذا شان الامم المتنعمة المائلة الى الدعة
تتمنى الحرب اوقات الانفة فاذا حضرت الحرب كعت وعن هذا المعنى نهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقوله لا تتمنوا لقاء العدو واسالوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاثبتوا ثم توعد
الله سبحانه الظالمين في لفظ الخبر بقوله والله عليم بالظالمين وقوله تعالى وقال لهم نبيهم
ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الاية قال وهب بن منبه وكان طالوت رجلا دباغا وقال
السدي سقاء وكان من سبط بنيامين وكان سبطا لا نبوة فيه ولا ملك ثم ان بني اسرائيل
تعنتوا وحادوا عن امر الله وجروا على سنتهم فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه

ولم يؤت سعة من المال اي لم يؤت مالا واسعا يجمع به نفوس الرجال ويغلب به اهل الانفة
قال ع وترك القوم السبب الاقوى وهو قدر الله وقضاؤه السابق انه مالك الملك فاحتج
عليهم نبيهم بالحجة القاطعة وبين لهم مع ذلك تعليل اصطفاء طالوت ببسطته في
العلم وهو ملاك الانسان والجسم الذي هو معينه في الحرب وعدته عند اللقاء واصطفاه مأخوذ
من الصفوة والجمهور على ان العلم في هذه الاية يراد به العموم في المعارف وقيل المراد علم الحرب واما جسمه
فقال وهب بن منبه ان اطول رجل في بني اسرائيل كان يبلغ منكب طالوت ت قال ابو عبيد
الهروي قوله وزاده بسطة في العلم والجسم اي انبساطا وتوسعا في العلم وطولا وتماما في الجسم
انتهى من شرحه لغريب القرآن والحديث النبي عليه السلام ولما علم نبيهم عليه السلام تعنتهم وجدالهم
تمم كلامه بالقطع الذي لا اعتراض عليه وهو قوله والله يؤتي ملكه من يشاء وظاهر اللفظ انه
من قول نبيهم عليه السلام وذهب بعض المتأولين الى انه من قول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم
والاول اظهر و واسع معناه وسعت قدرته وعلمه كل شيء واما قول النبي لهم ان آية ملكه قال
الطبري ذهب الى ان بني اسرائيل تعنتوا وقالوا لنبيهم وما آية ملك طالوت وذلك على جهة سؤال الدلالة على
صدقه في قوله تعالى ان الله بعث قال ع ويحتمل ان نبيهم قال لهم ذلك على جهة التغليط والتنبيه على هذه
النعمة التي قرنها بملك طالوت دون تكذيب منهم لنبيهم وهذا عندي اظهر من لفظ الاية وتأويل الطبري
اشبه باخلاق بني اسرائيل الذميمة فانهم اهل تكذيب وتعنت واعوجاج وقد حكى الطبري معناه
عن ابن عباس وغيره واختلف في كيفية اتيان التابوت فقال وهب لما صار التابوت عند القوم الذين
غلبوا بني اسرائيل فوضعوه في كنيسة لهم فيها اصنام فكانت الاصنام تصبح منكسة فجعلوه في قرية
قوم فاصاب اولئك القوم اوجاع فقالوا ما هذا الا هذا التابوت فلنرده الى بني اسرائيل فاخذوا
عجلة فجعلوا التابوت عليها وربطوها ببقرتين فارسلوهما في الارض نحو بلاد بني اسرائيل فبعث الله
ملائكة تسوق البقرتين حتى دخلتا به على بني اسرائيل وهم في امر طالوت فايقنوا بالنصر وقال قتادة
والربيع كان هذا التابوت مما تركه موسى عند يوشع فجعله يوشع في البرية ومرت عليه الدهور
فلما جاء وقت طالوت حملته الملائكة حتى وضعته بينهم فاستوسقت بنو اسرائيل عند ذلك
على طالوت وقيل غير هذا والله اعلم وقوله تعالى فيه سكينة من ربكم الاية قال ابن عباس السكينة
طست من ذهب من الجنة وقال مجاهد السكينة لها راس كراس الهرة وجناحان وذنب وقال
عطاء السكينة ما يعرفون من الآيات فيسكنون اليها وقال قتادة سكينة من ربكم اي وقار
لكم من ربكم قال ع والصحيح ان التابوت كانت فيه اشياء فاضلة من بقايا الانبياء وآثارهم
تسكن الى ذلك النفوس وتأنس به ثم قرر تعالى ان مجيء التابوت آية لهم ان كانوا ممن يؤمن ويبصر
ت وهذا يؤيد تأويل الطبري المتقدم وقوله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود الاية اي لما
انفصل وهم على تمليك طالوت وفصل بهم اي خرج بهم من القطر وفصل حال السفر
من حال الاقامة قال السدي وغيره كانوا ثمانين الفا قال ان الله مبتليكم بنهر اي مختبركم فمن ظهرت
طاعته في ترك الماء علم انه يطيع فيما عدا ذلك ومن غلبته شهوته في الماء وعصى الامر فهو بالعصيان
في الشدائد احرى ورخص للمطيعين في الغرفة ليرتفع عنهم اذى العطش بعض الارتفاع وليكسروا
نزاع النفس في هذه الحال ت ولقد احسن من شبه الدنيا بنهر طالوت فمن اغترف منها غرفة

بيد الزهد واقبل على ما يعنيه من آخرته نجى ومن اكب عليها صدته عن التأهب لآخرته وقلت
سلامته منها الا ان يتداركه الله قال ابن عباس وهذا النهر بين الاردن وفلسطين وقال ايضا هو نهر فلسطين
قال ع وظاهر قول طالوت ان الله مبتليكم انه باخبار من النبي لطالوت ويحتمل ان يكون هذا مما الهم الله
طالوت فجرب جنوده وهذه النزعة واجب ان تقع من كل متولي حرب فليس يحارب الا بالجند المطيع
وبين ان الغرفة كافة ضرر العطش عند الحزمة الصابرين على شظف العيش الذين همهم في غير الرفاهية
وقوله فليس مني اي ليس من اصحابي في هذه الحرب ولم يخرجهم بذلك عن الايمان ومثل هذا قول
النبي صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا ومن رمانا بالنبل فليس منا وليس منا من شق
الجيوب ولطم الخدود وفي قوله ومن لم يطعمه سد الذرائع لان ادنى الذوق يدخل في لفظ الطعم
فاذا وقع النهي عن الطعم فلا سبيل الى وقوع الشرب ممن يتجنب الطعم ولهذه المبالغة لم يأت
الكلام ومن لم يشرب منه ص الا من اغترف غرفة بيده استثناء من الجملة الاولى وهو قوله
فمن شرب منه فليس مني الا من اغترف غرفة بيده اي دون الكرع فهو مني والاستثناء اذا
تعقب جملتين فاكثر امكن عوده الى كل منها فقيل يعود على الاخيرة وقيل يعود الى الجميع وقال ابو
ان شئت جعلته من من الاولى وان شئت جعلته من من الثانية وتعقب بانه لو كان
استثناء من الثانية وهي ومن لم يطعمه فانه مني للزم ان يكون من اغترف غرفة بيده ليس
منه لان الاستثناء من الاثبات نفي ومن النفي اثبات على الصحيح وليس كذلك لانه ابيح لهم
الاغتراف والظاهر عوده الى الاولى والجملة الثانية مفهومة من الاولى لانه حين ذكر ان من
شرب منه فليس منه فهم من ذلك ان من لم يشرب منه فانه منه انتهى ثم اخبر تعالى ان الاكثر شرب
وخالف ما اريد منه وروي عن ابن عباس وغيره ان القوم شربوا على قدر يقينهم فشرب الكفار شرب
الهيم وشرب العاصون دون ذلك وانصرف من القوم ستة وسبعون الفا وبقي بعض المؤمنين لم يشرب
شيئا واخذ بعضهم الغرفة فاما من شرب فلم يرو بل برح به العطش واما من ترك الماء فحسنت حاله
وكان اجلد ممن اخذ الغرفة وقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه الاية اكثر المفسرين على انه
انما جاوز النهر من لم يشرب الا غرفة ومن لم يشرب جملة ثم كانت بصائر هؤلاء مختلفة فبعض كع وقليل
صمم وهم عدة اهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وقوله تعالى قالوا لا طاقة قال ابن عباس
قال كثير من الاربعة الالاف الباقية مع طالوت الذين جاوزوا النهر لا طاقة لنا على جهة الفشل
والفزع من الموت وانصرفوا عن طالوت فقال المؤمنون الموقنون بالبعث وبالرجوع الى الله تعالى
وهم عدة اهل بدر كم من فئة والظن على هذا القول اليقين والفئة الجماعة التي يرجع اليها في الشدائد
وفي قولهم رضي الله عنهم كم من فئة الاية تحريض بالمثال وحض واستشعار للصبر واقتداء بمن
صدق ربه والله مع الصابرين بنصره وتأييده وقوله تعالى ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا
افرغ علينا صبرا الاية برزوا معناه صاروا في البراز وهو الافيح من الارض المتسع والافراغ
اعظم الصب وكان جالوت امير العمالقة وملكهم وروي في قصة داوود وقتله جالوت
ان اصحاب طالوت كان فيهم اخوة داوود وهم بنو ايش وكان داوود صغيرا يرعى غنما لابيه
فلما حضرت الحرب قال في نفسه لاذهبن لرؤية هذه الحرب فلما نهض مر في طريقه
بحجر فناداه يا داوود خذني فبي تقتل جالوت ثم ناداه حجر آخر ثم آخر فاخذها

وجعلها في مخلاته وسار فلما حضر البأس خرج جالوت يطلب مبارزا فكع الناس عنه حتى قال
طالوت من يبرز له ويقتله فانا ازوجه ابنتي واحكمه في مالي فجاء داود فقال انا ابرز له واقتله
فقال له طالوت فاركب فرسي وخذ سلاحي ففعل وخرج في احسن شكة فلما مشى قليلا رجع
فقال الناس جبن الفتى فقال داود ان الله سبحانه ان لم يقتله لي ويعينني عليه لم ينفعني
هذا الفرس ولا هذا السلاح ولكن احب ان اقاتله على عادتي قال وكان داود من ارمى الناس
بالمقلاع فنزل واخذ مخلاته فتقلدها واخذ مقلاعه فخرج الى جالوت وهو شاك
في السلاح فقال له جالوت انت يا فتى تخرج الي قال نعم قال هكذا كما تخرج الى الكلب قال نعم وانت
اهون منه قال لاطعمن اليوم لحمك الطير والسباع ثم تدانيا فادار داود مقلاعه
وادخل يده الى الحجارة فروي انها التأمت فصارت واحدا فاخذه ووضعه في المقلاع وسمى
الله وادارها ورماه فاصاب به رأس جالوت فقتله وحز رأسه وجعله في مخلاته واختلط الناس
وحمل اصحاب طالوت وكانت الهزيمة ثم ان داود جاء يطلب شرطه من طالوت فقال له ان
بنات الملوك لهن غرائب من المهر ولا بد من قتل مائتين من هؤلاء الجراجمة الذين يؤذون
الناس وتجيئني بغلفهم وطمع طالوت ان يعرض داود للقتل بهذه النزعة فقتل داود منهم
مائتين وجاء بذلك وطلب امرأته فدفعها اليه طالوت وعظم امر داود فروي ان طالوت تخلى
له عن الملك وصار هو الملك وقد اكثر الناس في قصص هذه الآية وذلك كله لين الاسانيد فلذلك
انتقيت منه ما تنفك به الآية ويعلم به مناقل النازلة واما الحكمة التي آتاه الله فهي النبوة والزبور
وعلمه سبحانه صنعة الدروع ومنطق الطير وغير ذلك من انواع علمه صلى الله على نبينا وعليه وقوله
تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض الآية اخبر الله سبحانه في هذه الآية انه لولا دفعه
بالمؤمنين في صدور الكفرة على مر الدهر لفسدت الارض لان الكفر كان يطبقها ولكنه سبحانه لا يخلي
الزمان من قائم بحق وداع الى الله الى ان جعل ذلك في امة محمد الى قيام الساعة له الحمد كثيرا اص ولكن
استدلالك باثبات الفضل لله سبحانه على جميع العالمين لما توهمه من يريد الفساد ان الله غير متفضل
عليه اذ لم يبلغه مقاصده وليحتج الى هذا التقدير لان لكن تكون بين متنافيين بوجه ما
انتهى والاشارة بتلك آيات الى ما سلف من القصص والانباء وفي هذه القصة بجملتها مثال
عظيم للمؤمنين ومعتبر وقد كان اصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم معدين لحرب الكفار فلهم في
هذه النازلة معتبر يقتضي تقوية النفوس والثقة بالله سبحانه وغير ذلك من وجوه العبر وقوله
تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية تلك رفع بالابتداء والرسل خبره ويجوز ان يكون
الرسل عطف بيان وفضلنا الخبر وتلك اشارة الى جماعة ونص الله سبحانه في هذه الآية على
تفضيل بعض النبيين على بعض من غير تعيين وقوله ورفع بعضهم درجات قال مجاهد وغيره
هي اشارة الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه بعث الى الناس كافة واعطي الخمس التي لم يعطها
احد قبله وهو اعظم الناس امة وختم الله به النبوة الى غير ذلك مما اعطاه من الخلق العظيم ومن
معجزاته وباهر اياته ويحتمل اللفظ ان يراد به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره ممن عظمت
اياته وبينا عيسى عليه السلام احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وخلق الطير من الطين وروح
القدس جبريل عليه السلام وقد تقدم ما قال العلماء فيه وقوله تعالى ولو شاء الله ما اقتتل الذين

من بعدهم الآية معنى الآية ولو شاء الله ما اقتتل الناس من بعد كل نبي فمنهم من آمن ومنهم من
كفر بغيا وحسدا على حطام الدنيا وذلك كله بقضاء وقدر وارادة من الله تعالى ولو شاء الله
خلاف ذلك لكان ولكنه المستأثر بسر الحكمة في ذلك وهو الفعال لما يريد سبحانه ص ولو
شاء الله ما اقتتل في الكلام حذف اي فاختلف اممهم فاقتتلوا ولو شاء الله ومفعول شاء محذوف
اي ان لا يقتتلوا انتهى وقوله ما اقتتلوا اي بان قاتل المؤمنون الكافرين على مر الدهور وذلك هو
دفع الله الناس بعضهم ببعض قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم الآية قال ابن جريج
هذه الآية تجمع الزكاة والتطوع اي وجميع وجوه البر من سبيل وصلة رحم وهذا كلام صحيح
لكن ما تقدم من الآيات في ذكر القتال يرجح ان هذه النفقة في سبيل الله ويقوي ذلك قوله
والكافرون هم الظالمون اي فكافحوهم بالقتال بالانفس وانفاق الاموال مما رزقناكم
وهذا غاية الانعام والتفضل منه سبحانه ان رزق ثم ندب للنفقة مما به انعم وحذر سبحانه من
الامساك الى ان يأتي يوم لا يمكن فيه بيع ولا شراء ولا استدراك نفقة في ذات الله سبحانه اذ هي
مبايعة اذ البيع فدية لان المرء قد يشتري نفسه ومراده بماله فكان معنى الآية ان لا فدية
يوم القيامة ولا خلة نافعة واهل التقوى في ذلك اليوم بينهم خلة ولكنه غير محتاج اليها
وفي قوله غير محتاج اليها قلق ولا شفاعة يومئذ الا لمن اذن له سبحانه فالمنفي مثل حال الدنيا
من البيع والخلة والشفاعة بغير اذن المشفوع عنده قال عطاء بن دينار الحمد لله الذي قال والكافرون
هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم الكافرون قوله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم الآية هذه
الآية سيدة آي القرآن وورد في الحديث انها تعدل ثلث القرآن وورد ان من قرأها اول الليل لم يقربه
شيطان وكذلك من قرأها اول النهار وهي متضمنة التوحيد والصفات العلى وعن انس بن مالك
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة ما منعك ان تسمعي ما اوصيتك به تقولين اذا اصبحت
واذا امسيت يا حي يا قيوم برحمتك استغيث اصلح لي شاني كله ولا تكلني الى نفسي طرفة عين رواه
النسائي واللفظ له والحاكم في المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين يعني البخاري
ومسلما انتهى من السلاح وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل به هم او غم قال يا حي
يا قيوم برحمتك استغيث رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الاسناد ورواه الترمذي من حديث انس وابن
السني من حديث ربيعة بن عامر انتهى من السلاح والله مبتدأ ولا اله مبتدأ ثان وخبره محذوف
تقديره معبود او موجود والقيوم بناء مبالغة اي هو القائم على كل نفس بما كسبت بهذا المعنى فسره مجاهد
والربيع والضحاك ثم نفى عز وجل ان تأخذه سنة او نوم وفي لفظ الاخذ غلبة ما فلذلك حسن
هذا الموضع بالنفي والسنة بدء النعاس وليس يفقد معه كل الذهن والنوم هو المستثقل الذي
يزول معه الذهن والمراد بالآية التنزيه انه سبحانه لا تدركه آفة ولا يلحقه خلل بحال من الاحوال
فجعلت هذه مثالا لذلك واقيم هذا المذكور من الآفات مقام الجميع وهذا هو مفهوم الخطاب كما قال
تعالى ولا تقل لهما اف قلت وبيانه انه اذا حرم التأفيف فاحرى ما فوقه من الشتم والضرب
في حق الابوين وروى ابو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى على المنبر
قال وقع في نفس موسى هل ينام الله عز وجل فارسل الله اليه ملكا فارقه ثلاثا ثم اعطاه قارورتين
في كل يد قارورة وامره بان يحتفظ بهما قال فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان ثم يستيقظ فيحبس

احدهما عن الاخرى حتى نام نومة فاصطفقت يداه فانكسرت القارورتان قال ضرب الله له مثلا
ان لو كان ينام لم تستمسك السماء والارض وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض اي بالملك فهو مالك
الجميع وربه ش قرر ووقف تعالى من يتعاطى ان يشفع الا باذنه اي بامره ص من ذا الذي يشفع عنده
من مبتدا وهو استفهام معناه النفي ولذا دخلت الا في قوله الا باذنه والخبر ذا والذي نعت لذا
او بدل منه وهذا على ان ذا اسم اشارة وفيه بعد لان الجملة لم تستقل بمن مع ذا ولو كان خبر الاستقلال
ولم يحتج الى الموصول فالاولى ان من ركبت مع ذا للاستفهام انتهى قال مجاهد وغيره ما بين ايديهم
الدنيا وما خلفهم الاخرة وهذا صحيح في نفسه عند موت الانسان لان ما بين اليد هو كل ما تقدم
الانسان وما خلفه هو كل ما ياتي بعده ولا يحيطون بشيء من علمه اي من معلوماته لان علم الله تعالى لا يتبعض
ومعنى الاية لا معلوم لاحد الا ما شاء الله ان يعلمه قال ابن عباس كرسيه علمه الطبري ومنه الكراسة قال
ع والذي تقتضيه الاحاديث ان الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش وقيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما السموات السبع في الكرسي الا كدراهم سبعة القيت في ترس وقال ابو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما الكرسي في العرش الا كحلقة من حديد القيت في فلاة من الارض وهذه الاية منبئة عن عظم
مخلوقات الله سبحانه واستفاد من ذلك عظم قدرته جل وعلا اذ لا يؤده حفظ هذه المخلوقات العظيمة
ولا يؤده معناه لا يثقله ولا يشق عليه وهو تفسير ابن عباس وغيره والعلي يراد به علو القدر والمنزلة
لا علو المكان لان الله سبحانه منزه عن التحيز وكذلك العظيم هي صفة بمعنى عظم القدر والخطر لا على معنى
عظم الاجرام ومن سلاح المؤمن قال وعن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
اية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا ان يموت رواه النسائي عن الحسن
ابن بشر عن محمد بن حمير عن محمد بن زياد الالهاني عن ابي امامة فاما الحسن فقال فيه النسائي لا باس به
وقال في موضع اخر ثقة وقال ابو حاتم شيخ واما المحمدان فاحتج بهما البخاري في صحيحه وقال الاخ
شيخنا الحافظ ابو محمد الدمياطي رحمه الله تعالى الحديث في تصانيفه من حديث ابي امامة وعلي
وعبد الله بن عمر والمغيرة بن شعبة وجابر وانس قال واذا ضمت هذه الاحاديث بعضها الى بعض اخذت
قوة انتهى من السلاح وقد اخرج البخاري والنسائي من حديث ابي هريرة في قصته مع الشيطان واخذه
الطعام ما هو معلوم من فضل هذه الاية وفيه اذا قراتها حين تاوي الى فراشك لم يزل عليك
من الله حافظ ولم يقربك شيطان حتى تصبح وخرجه الترمذي من حديث ابي ايوب في قصته مع الغول نحو حديث
ابي هريرة قال الغزالي ما معناه انها وصفت بكونها سيدة اي القران لاشتمالها على اسم الله الاعظم
وهو الحي القيوم قاله في الجواهر واسند صاحب غاية المغنم في اسم الله الاعظم عن غالب القطان قال
مكثت عشر سنين ادعو الله ان يعلمني اسمه الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى فاتاني
ات في منامي ثلاث ليال متواليات يقول يا غالب قل يا فارج الهم ويا كاشف الغم يا صادق الوعد
يا وفيا بالعهد يا منجز الوعد يا حي يا قيوم لا اله الا انت انتهى من غاية المغنم قوله تعالى لا اكراه في الدين قد
تبين الرشد من الغي الدين في هذه الاية هو المعتقد والملة ومقتضى قول زيد بن اسلم ان هذه الاية
مكية وانها من ايات الموادعة التي نسختها اية السيف وقال قتادة والضحاك بن مزاحم هذه الاية محكمة
خاصة في اهل الكتاب الذين يبذلون الجزية وقوله تعالى قد تبين الرشد من الغي معناه بنصب الادلة ووجود
الرسول صلى الله عليه وسلم الداعي الى الله والايات المنيرة والرشد مصدر من قولك رشد بكسر الشين

وضمها يرشد رشدا ورشدا ورشادا والغي مصدر من غوى يغوى اذا ضل في معتقد او راي ولا
يقال الغي في الضلال على الاطلاق والطاغوت بناء مبالغة من طغى يطغى واختلف في معنى الطاغوت
فقال عمر بن الخطاب وغيره هو الشيطان وقيل هو الساحر وقيل الكاهن وقيل الاصنام وقال بعض العلماء
كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت ع وهذه تسمية صحيحة في كل معبود يرضى ذلك كفرعون
ونمرود واما ما لا يرضى ذلك فسمي طاغوتا في حق العبدة قال مجاهد العروة الوثقى الايمان وقال
ابن جبير وغيره لا اله الا الله قال ع وهذه عبارات ترجع الى معنى واحد والانفصام الانكسار
من غير بينونة وقد يجي بمعنى البينونة والقصم كسر بالبينونة ت وفي الموطا عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ان الوحي يأتيني احيانا في مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني
وقد وعيت قال ابو عمر في التمهيد قوله فيفصم عني معناه ينفرج عني ويذهب كما تنفصم الخلخال
اذا فتحته لتخرجه من الرجل وكل عقدة حللتها فقد فصمتها واصل الفصم عند العرب ان تفك
الخلخال ولا يبين كسره فاذا كسرته فقد قصمته بالقاف انتهى ولما كان الايمان مما ينطق به اللسان
ويعتقده القلب حسن في الصفات سميع من اجل النطق وعليم من اجل المعتقد قوله سبحانه الله
ولي الذين امنوا الاية الولي من ولي فاذا لازم احد احدا بنصره ووده واهتباله فهو
وليه هذا عرفه لغة ولفظ الاية مترتب في الناس جميعا وذلك ان من امن منهم فالله وليه اخرجه
من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن كفر بعد وجود الرسول صلى الله عليه وسلم فشيطانه
ومغويه اخرجه من الايمان اذ هو معد واهل للدخول فيه ولفظ الطاغوت في هذه الاية
اسم جنس ولذلك قال اولياؤهم بالجمع اذ هي انواع قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه
الاية الم تر تنبيه وهي رؤية القلب والذي حاج ابراهيم هو نمرود بن كنعان ملك زمانه وصاحب
النار والبعوضة قاله مجاهد وغيره قال قتادة هو اول من تجبر وهو صاحب الصرح ببابل
قيل انه ملك الدنيا باجمعها وهو احد الكافرين والاخر بخت نصر وقيل ان النمرود الذي حاج
ابراهيم هو نمرود بن فالخ وفي قصص هذه المحاجة روايتان احداهما ذكر زيد بن اسلم ان النمرود
هذا قعد يامر للناس بالميرة فكلما جاء قوم قال من ربكم والهكم فيقولون انت فيقول ميروهم
وجاء ابراهيم عليه السلام يمتار فقال له من ربك والهك قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت
فلما سمعها نمرود قال انا احيي واميت فعارضه ابراهيم بامر الشمس فبهت الذي كفر وقال لا تميروه
فرجع ابراهيم الى اهله دون شيء فمر على كثيب رمل كالدقيق فقال لو ملات غرارتي من هذا
فاذا دخلت به فرح الصبيان حتى انظر لهما فذهب بذلك فلما بلغ منزله فرح الصبيان وجعلوا
يلعبون فوق الغرارتين ونام هو من الاعياء فقالت امراته لو صنعت له طعاما يجده حاضرا
اذا انتبه ففتحت احدى الغرارتين فوجدت احسن ما يكون من الحواري فخبزته فلما قام وضعته
بين يديه فقال من اين هذا قالت من الذي سقت فعلم ابراهيم ان الله يسر لهم ذلك وقال
الربيع وغيره في هذا القصص ان النمرود لما قال انا احيي واميت احضر رجلين فقتل احدهما
وارسل الاخر وقال قد احييت هذا وامت هذا فرد عليه ابراهيم بامر الشمس والرواية الاخرى
ذكر السدي انه لما خرج ابراهيم من النار وادخل على الملك قال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت
يقال بهت الرجل اذا انقطع وقامت عليه الحجة وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين

الخبار لمحمد صلى الله عليه وسلم والمعنى لا يرشدهم في حججهم على ظلمهم وظاهر اللفظ العموم ومعناه الخصوص لان الله سبحانه قد يهدي الظالمين بالتوبة والرجوع الى الايمان قوله تعالى او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها الآية عطفت او في هذه الآية على المعنى الذي هو التعجب في قوله الم تر الى الذي حاج قال ابن عباس وغيره الذي مر على القرية هو عزير وقال وهب بن منبه هو ارميا وقال ابن اسحق ارميا هو الخضر وحكاه النقاش عن وهب بن منبه واختلف في القرية ما هي فقيل المؤتفكة وقال زيد بن اسلم قرية الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وقال وهب بن منبه وقتادة والضحاك والربيع وعكرمة هي بيت المقدس لما خربها بخت نصر البابلي والعروش سقف البيت قال السدي يقول هي ساقطة على سقفها اي سقطت السقف ثم سقطت الحيطان عليها وقال غيره معناه خاوية من الناس خاوية معناه خالية يقال خوت الدار تخوي خواء وخويا ويقال خويت قال الطبري والاول افصح قال ص وهي خاوية في موضع الحال من فاعل مر او من قرية وعلى عروشها قيل على بابها والمعنى خاوية من اهلها ثابتة على عروشها والبيوت قائمة والمجرور على هذا يتعلق بمحذوف وهو ثابتة وقيل يتعلق بخاوية والمعنى واقفة جدارها على سقوفها بعد سقوط السقوف انتهى وقد ذكرنا هذا المعنى موضحا في سورة الكهف والله الموفق بفضله وقوله انى يحيي هذه الله بعد موتها ظاهر اللفظ السؤال عن احياء القرية بعمارة او سكان فكان هذا تلهف من الواقف المعتبر على مدينة احبته ويحتمل ان يكون سؤاله انما كان عن احياء الموتى فضرب له المثل في نفسه وحكى الطبري عن بعضهم ان هذا القول منه شك في قدرة الله على الاحياء قال ع والصواب ان لا يتأول في الآية شك وروي في قصص هذه الآية ان بني اسرائيل لما احدثوا الاحداث بعث الله عليهم بخت نصر فقتلهم وجلاهم من بيت المقدس وخربه فلما ذهب عنه جاء عزير او ارميا فوقف على المدينة معتبرا فقال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله تعالى وكان معه حمار قد ربطه بحبل جديد وكان معه سلة فيها تين وهو طعامه وقيل تين وعنب وكان معه ركوة من خمر وقيل من عصير وقيل قلة ماء هي شرابه وبقي ميتا مائة عام فروي انه بلي وتفرقت عظامه هو وحماره وروي ان الحمار بلي وتفرقت اوصاله دون عزير وقوله تعالى ثم بعثه معناه احياه فسأله الله تعالى بواسطة الملك كم لبثت على جهة التقرير فقال يوما او بعض يوم قال ابن جريج وقتادة والربيع اماته غدوة يوم ثم بعثه قرب الغروب فظن هو اليوم واحد فقال لبثت يوما ثم رأى بقية من الشمس فخشي ان يكون كاذبا فقال او بعض يوم فقيل له بل لبثت مائة عام وقوله تعالى وانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه اي لم يتغير ت قال البخاري في جامعه يتسنه يتغير واما قوله تعالى وانظر الى حمارك فقال وهب بن منبه وغيره المعنى وانظر الى اتصال عظامه واحيائه جزءا جزءا ويروى انه احياه الله كذلك حتى صار عظاما ملتئمة ثم كساه لحما حتى كمل حمارا ثم جاء ملك فنفخ في انفه الروح فقام الحمار ينهق وروي عن الضحاك ووهب بن منبه ايضا انهما قالا بل قيل له وانظر حمارك قائما في مربطه لم يصبه شيء مائة سنة قالا وانما العظام التي نظر اليها عظام نفسه واعمى الله العيون عنه وعن حماره طول هذه المدة واكثر اهل القصص في صورة هذه النازلة تكثير اختصرته لعدم صحته وقوله تعالى ولنجعلك آية للناس قال ع وفي اماتته هذه المدة ثم احيائه اعظم آية وامره كله آية للناس غابر الدهر ت

قال ابن هشام لا يصح انتصاب مائة بأماته لان الاماتة سلب الحياة وهي لا تمتد وانما الوجه ان يضمن اماته معنى ألبثه فكأنه قيل فألبثه الله بالموت مائة عام وح يتعلق به الظرف انتهى من المغني ومعنى ننشرها اي نحييها وقرأ حمزة وغيره ننشزها ومعناه نرفعها اي ارتفاعا قليلا قليلا فكأنه وقف على نبات العظام الرفات وقال النقاش ننشزها معناه ننبتها ومن ذلك نشز ناب البعير وقوله تعالى فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير وهذا عندي ليس باقرار بما كان قبل ينكره كما زعم الطبري بل هو قول بعثه الاعتبار كما يقول الانسان المؤمن اذا رأى شيئا غريبا من قدرة الله لا اله الا الله ونحو هذا واما قراءة حمزة والكسائي قال اعلم موصولة الالف ساكنة الميم فيحتمل وجهين احدهما قال الملك له اعلم وقد قرأ ابن مسعود والاعمش قيل اعلم والوجه الثاني ان ينزل نفسه منزلة المخاطب الاجنبي المنفصل اي قال لنفسه اعلم وامثلة هذا كثيرة قوله تعالى واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى الآية قال جمهور العلماء ان ابراهيم عليه السلام لم يكن شاكا في احياء الله الموتى قط وانما طلب المعاينة واما قول النبي صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم فمعناه انه لو كان شك لكنا نحن احق به ونحن لا نشك فابراهيم عليه السلام احرى ان لا يشك فالحديث مبني على نفي الشك عن ابراهيم والذي روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك محض الايمان انما هو في الخواطر الجارية التي لا تثبت واما الشك فهو توقف بين امرين لا مزية لاحدهما على الآخر وذلك هو المنفي عن الخليل صلى الله عليه وسلم واحياء الموتى انما يثبت بالسمع وقد كان ابراهيم اعلم بذلك يدلك على ذلك قوله ربي الذي يحيي ويميت والشك يبعد على من تثبت قدمه في الايمان فقط فكيف بمرتبة النبوة والخلة والانبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة اجماعا واذا تأملت سؤاله عليه السلام وسائر الفاظ الآية لم تعط شكا وذلك ان الاستفهام بكيف انما هو سؤال عن حال شيء موجود متقرر الوجود عند السائل والمسؤول نحو قولك كيف علم زيد وكيف نسج الثوب فكيف في هذه الآية انما هي استفهام عن هيئة الاحياء والاحياء متقرر ولما وجدنا بعض المنكرين لوجود شيء قد يعبر عن انكاره بالاستفهام عن حالة لذلك الشيء يعلم انها لا تصح فيلزم من ذلك ان الشيء في نفسه لا يصح مثال ذلك ان يقول مدع انا ارفع هذا الجبل فيقول المكذب كيف ترفعه فهذه طريقة مجاز في العبارة ومعناها تسليم جدلي كأنه يقول افرض انك ترفعه ارني كيف فلما كان في عبارة الخليل صلى الله عليه وسلم هذا الاشتراك المجازي خلص الله سبحانه ذلك وحمله على ان يبين الحقيقة فقال له اولم تؤمن قال بلى فكمل الامر وتخلص من كل شك ثم علل عليه السلام سؤاله بالطمأنينة ت قال الداودي وعن ابن جبير اولم تؤمن بالخلة قال مجاهد والنخعي ولكن ليطمئن قلبي لازداد ايمانا الى ايماني وعن قتادة لازداد يقينا انتهى قال ع وقوله تعالى اولم تؤمن معناه ايمانا مطلقا دخل فيه فصل احياء الموتى والواو واو الحال دخلت عليها الف التقرير وقال ص الهمزة في اولم تؤمن للتقرير كقوله تعالى الم نشرح لك صدرك وكقوله الستم خير من ركب المطايا اي قد شرحنا لك صدرك وانتم خير وقال ابن عطية الواو للحال دخلت عليها الف التقرير متعقب والظاهر ان التقرير منسحب على الجملة المنفية فقط وان الواو للعطف انتهى وليطمئن معناه ليسكن وطمأنينة القلب هي ان تسكن فكره في الشيء المعتقد والفكر في صورة الاحياء غير محظورة كما لنا نحن اليوم ان نتفكر فيها بل هي فكر فيها عبر فاراد الخليل ان يعاين

فتذهب فكرته في صورة الاحياء اذ احركه الى ذلك اما الدابة الماكولة في تاويل واما قول النمرود انا
احيي واميت في تاويل آخر وروي ان الاربعة التي اخذ ابرهيم عليه السلام هي الديك والطاوس والحمام والغراب
قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس مكان الغراب الكركي وروي انه اخذها عليه السلام حسبما امر وذكاها ثم قطعها
قطعا قطعا صغارا وجمع ذلك مع الدم والريش ثم جعل من ذلك المجموع المختلط جزءا على كل جبل ووقف
هو من حيث يرى تلك الاجزاء وامسك رؤوس الطير في يده ثم قال تعالين باذن الله فطارت تلك الاجزاء وطار الدم الى
الدم والريش الى الريش حتى التامت كما كانت اولا وبقيت بلا رؤوس ثم كرر النداء فجاءته سعيا حتى وضعت اجسادها
في رؤوسها وطارت باذن الله تعالى وقوله تعالى فصرهن يقال صرت الشيء اصوره بمعنى قطعته ويقال ايضا صرت
الشيء بمعنى املته وقد تاول المفسرون اللفظة بمعنى التقطيع وبمعنى الامالة وقد قال ابن عباس وغيره في هذه
الاية صرهن معناه قطعهن وقال قتادة صرهن فصلهن وقال عطاء بن رباح صرهن اضممهن وقال ابن زيد
معناه اجمعهن وعن ابن عباس ايضا اوثقهن وقرا قوم فصرهن بضم الصاد وشد الراء كانه يقول فشدهن ومنه
صرة الدنانير وقوله تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة
مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الاية بيان شرف النفقة في سبيل الله وتحسينها وضمنها
التحريض على ذلك وهذه الاية في نفقة التطوع وسبل الله كثيرة وهي جميع ما هو طاعة وعائد بمنفعة
على المسلمين والملة واشهرها واعظمها غناء الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا والحبة اسم جنس لكل ما يزدرعه
ابن ادم واشهر ذلك البر وقد يوجد في سنبل القمح ما فيه مائة حبة واما في سائر الحبوب فاكثر وقد ورد القران
بان الحسنة بعشر امثالها واقتضت هذه الاية ان نفقة الجهاد حسنتها بسبع مائة ضعف وبين ذلك الحديث
الصحيح واختلف في معنى قوله سبحانه والله يضاعف لمن يشاء فقيل هي مبينة ومؤكدة لما تقدم من ذكر
السبع مائة وقالت طائفة من العلماء بل هو اعلام من الله تعالى بانه يضاعف لمن يشاء اكثر من سبع مائة ضعف
ت وارجح الاقوال عندي قول هذه الطائفة وفي الحديث الصحيح عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال ان الله تبارك وتعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة
فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبع مائة
ضعف الى اضعاف كثيرة الحديث رواه مسلم والبخاري بهذه الحروف انتهى وقال ابن عمر لما نزلت هذه الاية
قال النبي صلى الله عليه وسلم رب زد امتي فنزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا الاية فقال رب
زد امتي فنزلت انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وفي الاية حذف مضاف تقديره مثل انفاق الذين كمثل
ذي حبة وقوله تعالى الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم
اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لما تقدم في الاية التي قبلها ذكر الانفاق في سبيل الله على العموم
بين في هذه الاية ان ذلك انما هو لمن لم يتبع انفاقه منا ولا اذى وذلك ان المنفق في سبيل الله انما يريد وجه الله تعالى ورجاء
ثوابه واما من اراد من المنفق عليه جزاء بوجه من الوجوه فهذا لم يرد وجه الله تعالى وهذا هو الذي متى
اخلف ظنه من بالانفاق واذى اذ لم يكن انفاقه مخلصا لوجه الله تعالى فالمن والاذى مبطلان
للصدقة وهما كاشفان لمقاصد المنفقين والمن ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها والاذى
السب والتشكي وهو اعم من المن لان المن جزء من الاذى ولكنه نص عليه لكثرة وقوعه
وقال زيد بن اسلم لئن ظننت ان سلامك يثقل على من انفقت عليه تريد وجه الله فلا تسلم عليه
وقالت له امراة يا ابا اسامة دلني على رجل يخرج في سبيل الله حقا فانهم انما يخرجون لياكلوا الفواكه

فان عندي اسهما وجعبة فقال لا بارك الله في اسهمك وجعبتك فقد آذيتهم قبل ان تعطيهم
وضمن الله الاجر للمنفق في سبيل الله والاجر الجنة ونفى عنه الخوف لما يستقبل والحزن على ما سلف
من دنياه لانه يغتبط باخرته ت ومما جاء من صحيح الاثار في هذا الباب ما رواه الحاكم في
الموطا عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من انفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من اهل الصلاة
دعي من باب الصلاة ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من اهل الصدقة دعي
من باب الصدقة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان فقال ابو بكر يا رسول الله ما على من
يدعى من هذه الابواب من ضرورة فهل يدعى احد من هذه الابواب كلها قال نعم وارجو ان تكون
منهم قال ابو عمر بن عبد البر في التمهيد في هذا الحديث من الفقه الحض على الانفاق في سبيل
الخير ومعنى زوجين اي شيئين من نوع واحد نحو درهمين او دينارين او فرسين او قميصين
هكذا قال اهل العلم وفيه اي من اكثر من شيء عرف به ونسب اليه الا ترى الى قوله فمن كان من اهل
الصلاة يريد من اكثر منها فنسب اليها لان الجميع من اهل الصلاة وكذلك من اكثر من الجهاد ومن الصيام
على هذا المعنى والريان فعلان من الري ومعنى الدعاء من تلك الابواب اعطاء ثواب العاملين تلك الاعمال
ونيله ذلك والله اعلم وفيه ان للجنة ابوابا يعني متعددة بحسب الاعمال انتهى وروى ابن ابي شيبة في
مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل اهل عمل بابا من ابواب الجنة يدعون فيه بذلك العمل
لفظه على ما نقله صاحب الكوكب الدري انتهى قوله تعالى قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها
اذى هذا اخبار جزم من الله تعالى ان القول المعروف وهو الدعاء والتانيس والترجية بما عند الله
خير من صدقة هي في ظاهرها صدقة وفي باطنها لا شيء لان ذلك القول المعروف فيه اجر وهذه لا اجر
فيها والمغفرة الستر للخلة وسوء حالة المحتاج ومن هذا قول الاعرابي وقد سال قوما بكلام فصيح
فقال له قائل ممن الرجل فقال اللهم غفرا سوء الاكتساب يمنع من الانتساب وقال النقاش يقال
معناه ومغفرة للسائل ان اغلظ وجفا اذا حرم ثم اخبر تعالى بغناه عن صدقة من هذه حاله
وحلمه عمن يقع منه هذا وامهاله وحدث ابن الجوزي في صفة الصفوة بسنده الى حارثة بن النعمان
الصحابي رضي الله عنه قال لما كف بصره جعل خيطا في مصلاه الى باب حجرته ووضع عنده مكتلا
فيه تمر وغير ذلك فكان اذا سلم المسكين اخذ من ذلك التمر ثم اخذ من ذلك الخيط حتى ياخذ الى
باب الحجرة فيناوله المسكين وكان اهله يقولون نحن نكفيك فيقول سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان مناولة المسكين تقي ميتة السوء انتهى وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى الاية العقيدة ان السيئات لا تبطل الحسنات فقال جمهور العلماء في هذه الاية ان الصدقة
التي يعلم الله من صاحبها انه يمن بها او يؤذي فانها لا تتقبل صدقة وقيل بل يجعل الله للملك
عليها امارة فهو لا يكتبها قال ع وهذا حسن لان المان المؤذي لم تكن نيته خالصة لله سبحانه فلم
تترتب له صدقة فهذا هو بطلانها بالمن والاذى وهما لا يبطلان صدقة غيرها سالمة النية
ثم مثل الله سبحانه هذا الذي يمن ويؤذي بحسب مقدمة نيته بالذي ينفق رياء لا لوجه الله
والرياء مصدر من فاعل من الرؤية كان الرياء تظاهر وتفاخر بين من لا خير فيه من الناس
المهدوي والتقدير كابطال الذي ينفق رياء وقوله تعالى ولا يؤمن بالله واليوم الاخر يحتمل ان يريد

الكافر والمنافق اذ كل منهما ينفق ليقال الجواد ثم مثل الله سبحانه هذا المنفق رياء بصفوان عليه تراب
فيظنه الكافر ارضا منبتة طيبة كما يظن قوم ان صدقة هذا المرائي لها قدر ومعنى فاذا اصاب
الصفوان وابل من المطر انكشف ذلك التراب وبقي صلدا فكذلك هذا المرائي اذا كان يوم القيمة وحضرت
الاعمال انكشف سره وظهر انه لا قدر لصدقاته ولا معنى والصفوان الحجر الكبير الاملس والوابل
الكثير القوي من المطر وهو الذي يسيل وجه الارض والصلد من الحجارة الاملس الصلب الذي لا شيء
فيه ويستعار للراس الذي لا شعر فيه وقوله تعالى لا يقدرون يريد الذين ينفقون رياء لا يقدرون على الانتفاع
بشيء من انفاقهم ذلك وهو كسبهم وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الكافرين اما عموم يراد به الخصوص
ويحتمل لا يهديهم في كفرهم اذ هو ضلال محض ويحتمل لا يهديهم في صدقاتهم واعمالهم وهم على
الكفر وقوله تعالى ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله الاية من اساليب فصاحة القران
انه ياتي فيه نقيض ما تقدم ذكره ليتبين حال التضاد بعرضها على الذهن ولما ذكر الله صدقات القوم
الذين لا خلاق لصدقاتهم ونهى المؤمنين عن مواقعة ما يشبه ذلك بوجه ما عقب في هذه الاية
بذكر نفقات القوم الذين تزكوا صدقاتهم اذ هي على وجهها في الشرع فضرب لها مثلا وتقدير الكلام ومثل
نفقة الذين كمثل غارس جنة او تقدير الاضمار في اخر الكلام دون اضمار في اوله كانه قال كمثل غارس
جنة وابتغاء معناه طلب وهو مصدر في موضع الحال وتثبيتا مصدر ومرضاة مصدر من
رضي قال ص ابتغاء مرضات الله وتثبيتا كلاهما مفعول من اجله وقاله مكي ورده ابن عطية بانه
لا يكون مفعولا من اجله لعطف وتثبيتا عليه ولا يصح في تثبيت ان يكون مفعولا من اجله لان
الانفاق ليس من اجل التثبيت واجيب بانه يمكن ان يقدر مفعول التثبيت الثواب اي وتحصيلا
لانفسهم الثواب على تلك النفقة فيصح ان يكون مفعولا من اجله ثم قال ابو حيان بعد كلام والمعنى
انهم يثبتون من انفسهم على الايمان وما يرجون من الله تعالى بهذا العمل انتهى قال قتادة وغيره وتثبيتا
معناه وتيقنا اي ان نفوسهم لها بصائر متاكدة فهي تثبتهم على الانفاق في طاعة الله تثبيتا وقال
مجاهد والحسن معنى قوله وتثبيتا اي انهم يتثبتون اين يضعون صدقاتهم قال كان الرجل
اذا هم تثبت فان كان ذلك لله امضاه وان خالطه شيء امسك والقول الاول اصوب لان هذا
المعنى الذي ذهب اليه مجاهد والحسن انما عبارته وتثبتا فان قال محتج ان هذا من المصادر التي
خرجت على غير المصدر كقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا والله انبتكم من الارض نباتا فالجواب ان
هذا لا يسوغ الا مع ذكر المصدر والافصاح بالفعل المتقدم للمصدر واما اذا لم يقع افصاح بفعل
فليس لك ان تاتي بمصدر في غير معناه ثم تقول احمله على فعل كذا وكذا الفعل لم يتقدم له ذكر هذا
مهيع كلام العرب فيما علمت والربوة ما ارتفع من الارض ارتفاعا يسيرا معه في الاغلب كثافة التراب
وطيبه وتعمقه وما كان كذلك فنباته احسن ولفظ الربوة ماخوذ من ربا يربو اذا زاد وآتت
معناه اعطت والاكل بضم الهمزة الثمر الذي يؤكل والشيء الماكول من كل شيء يقال له اكل واضافته
الى الجنة اضافة اختصاص كسرج الدابة وباب الدار وضعفين معناه اثنين مما يظن بها
ويحرز من مثلها ثم اكد مدح هذه الربوة بانها ان لم يصبها وابل فان الطل يكفيها وينوب
مناب الوابل وذلك لكرم الارض والطل المستدق من القطر قاله ابن عباس وغيره وهو مشهور
اللغة فشبه سبحانه نمو نفقات هؤلاء المخلصين الذين يربي الله صدقاتهم كتربية الفلو

والفصيل حسب الحديث بنمو نبات هذه الجنة بالربوة الموصوفة وذلك كله بخلاف
الصفوان وفي قوله تعالى والله بما تعملون بصير وعد ووعيد وقوله تعالى ايود احدكم
ان تكون له جنة من نخيل واعناب الاية حكى الطبري عن زيد انه قرا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن الاية قال ضرب الله في ذلك مثلا فقال ايود احدكم الاية وهذا بين وهو
مقتضى سياق الكلام وقال ابن عباس هذا مثل ضربه الله كانه قال ايود احدكم ان يعمل عمره بعمل اهل الخير فاذا
فني عمره واقترب اجله ختم ذلك بعمل من عمل اهل الشقاء فرضي ذلك منه عمر رضي الله عنه وروى ابن ابي
مليكة عن عمر نحوه ع فهذا نظر يحمل الاية على كل ما يدخل تحت الفاظها وقال بنحو هذا مجاهد وغيره
ونقل الثعلبي عن الحسن قال قل والله من يعقل هذا المثل شيخ كبر سنه وضعف جسمه وكثر عياله
افقر ما كان الى جنته واحدكم افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت الدنيا عنه انتهى وهو حسن جدا
وقال ابو عبد الله اللخمي في مختصره لتفسير الطبري وعن قتادة هذا مثل فاعقلوا عن الله امثاله
هذا رجل كبرت سنه ودق عظمه وكثر عياله ثم احترقت جنته احوج ما يكون اليها يقول
ايحب احدكم ان يضل عنه عمله يوم القيمة احوج ما يكون اليه وعن الحسن نحوه انتهى وخص الاعناب
والنخيل بالذكر لشرفهما وفضلهما على سائر الشجر والواو في قوله واصابه واو الحال وكذلك
في قوله وله وضعفاء جمع ضعيف والاعصار الريح الشديدة العاصفة التي فيها احراق لكل ما قرت
عليه يكون ذلك في شدة الحر ويكون في شدة البرد وكل ذلك من فيح جهنم ولعلكم ترجعون في البشر
اي اذا تامل من بين له هذا البيان رجي له التفكر وكان اهلا له وقال ابن عباس تتفكرون في زوال
الدنيا وفنائها واقبال الاخرة وبقائها قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم
الاية هذا الخطاب لجميع امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه صيغة امر بالانفاق واختلف
المتاولون هل المراد بهذا الانفاق الزكاة المفروضة او التطوع والاية تعم الوجهين لكن صاحب
الزكاة يتلقاها على الوجوب وصاحب التطوع يتلقاها على الندب وجمهور المتاولين قالوا معنى من طيبات
من جيد ومختار ما كسبتم وجعلوا الخبيث بمعنى الرديء قال ابن زيد من حلال ما كسبتم قال وقوله
ولا تيمموا الخبيث اي الحرام ع وقول ابن زيد ليس بالقوي من جهة نسق الاية لا من معناه في نفسه وكسبتم
معناه كانت لكم فيه سعاية ومما اخرجنا لكم من الارض النباتات والمعادن والركاز وما ضارع ذلك
وتيمموا معناه تعمدوا وتقصدوا والتيمم القصد وقال الجرجاني قال فريق من الناس ان الكلام تم في
قوله الخبيث ثم ابتدا خبرا اخر فقال تنفقون منه وانتم لا تاخذونه الا اذا اغمضتم اي ساهلتم
قال ع كان هذا المعنى عتاب للناس وتقريع وعلى هذا فالضمير في منه عائد على الخبيث قال الجرجاني وقال فريق
اخر بل الكلام متصل الى قوله فيه وعلى هذا فالضمير في منه عائد على ما كسبتم كانه في موضع نصب
على الحال والمعنى في الاية فلا تفعلوا مع الله ما لا ترضونه لانفسكم واعلموا ان الله غني عن صدقاتكم
فمن تقرب وطلب مثوبة فليفعل ذلك بما له قدر ت وهذا يقوي القول بانها في الزكاة
وحميد معناه محمود وقوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر الاية هذه الاية وما بعدها وان لم تكن
امرا بالصدقة فهي جالبة النفوس الى الصدقة بين فيها نزغات الشيطان ووسوسته
وعداوته وذكر بثوابه هو سبحانه لا رب غيره وذكر بتفضله بالحكمة واثنى عليها ونبه ان اهل العقول
هم المتذكرون الذين يقيمون بالحكمة قدر الانفاق في طاعة الله وغير ذلك ثم ذكر سبحانه

عليه بكل نفقة ونذر ففي ذلك وعد ووعيد ثم بين الحكم في الاعلان والاخفاء وكذلك الى
المعنى والوعد في كلام العرب اذا اطلق فهو الخير واذا قيد بالموعود فقد يقيد بالخير وقد يقيد
بالشر كالبشارة وهذه الاية مما قيد الوعد فيها بمكروه والفحشاء كل ما فحش وفحش ذكره روى ابن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان للشيطان لمة من ابن ادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد
بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله
فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرا صلى الله عليه وسلم الشيطان يعدكم
الفقر ويامركم بالفحشاء الاية ت هذا حديث صحيح خرجه ابو عيسى الترمذي وقال فيه حسن غريب
صحيح والمغفرة هي الستر على عباده في الدنيا والاخرة والفضل هو الرزق في الدنيا والتوسعة فيه
والنعيم في الاخرة وبكل قد وعد الله جل وعلا وروي ان في التوراة عبدي انفق من رزقي ابسط عليك
فضلي فان يدي مبسوطة على كل يد مبسوطة وفي القران مصداقه وهو وما انفقتم من شيء فهو يخلفه
وهو خير الرازقين ت وروى الطبراني سليمان بن احمد بسنده عن عبد الله بن عمرو قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم من اطعم اخاه خبزا حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل
خندقين مسيرة مائة عام انتهى وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ايما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري كساه الله من خضر الجنة وايما مسلم اطعم مسلما على جوع اطعمه الله من
ثمار الجنة وايما مسلم سقى مسلما على ظما سقاه الله عز وجل من الرحيق المختوم اخرجه ابو داود
من حديث ابي خالد هو الدالاني عن نبيح وقد وثق ابو حاتم ابا خالد وسيل ابو زرعة عن نبيح فقال هو كوفي
ثقة انتهى من الالمام في احاديث الاحكام لابن دقيق العيد وواسع لانه وسع كل شيء رحمة وعلما يوتي الحكمة
من يشاء اي يعطيها لمن يشاء من عباده والحكمة مصدر من الاحكام وهو الاتقان في عمل او قول او كتاب
حكمة وسنة نبيه عليه السلام حكمة وكل ما ذكره المتاولون فيها فهو جزء من الحكمة التي هي الجنس قال
الامام الفخر في شرحه لاسماء الله الحسنى قال المحققون العلماء ثلاثة علماء باحكام الله فقط وهم العلماء
اصحاب الفتوى وعلماء بالله فقط وهم الحكماء وعلماء بالقسمين وهم الكبراء فالقسم الاول كالسراج يحرق
نفسه ويضيء لغيره والقسم الثاني حاله اكمل من الاول لانه اشرق قلبه بمعرفة الله وسره بنور جلاله
الا انه كالكنز تحت التراب لا يصل اثره الى غيره واما القسم الثالث فهو اشرف الاقسام فهو كالشمس تضيء
العالم لانه تام وفوق التام انتهى وباقي الاية تذكرة بينة وان منه لهم الغفلة والالباب العقول واحدها لب
وقوله تعالى وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر الاية يقال نذر الرجل كذا اذا التزم فعله وقوله
تعالى فان الله يعلمه قال مجاهد معناه يحصيه وفي الاية وعد ووعيد اي من كان خالص النية فهو مثاب
ومن انفق رياء او لمعنى اخر مما يكسبه المن والاذى ونحو ذلك فهو ظالم يذهب فعله باطلا ولا يجد
ناصرا فيه وقوله ان تبدوا الصدقات فنعما هي الاية ذهب جمهور المفسرين الى ان هذه الاية في صدقة
التطوع قال ابن عباس جعل الله صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها يقال بسبعين ضعفا
وجعل صدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها يقال بخمسة وعشرين ضعفا قال وكذلك
جميع الفرائض والنوافل في الاشياء كلها ع ويقوي ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم صلاة
الرجل في بيته افضل من صلاته في المسجد الا المكتوبة وذلك ان الفرائض لا يدخلها رياء والنوافل
عرضة لذلك وقال الطبري اجمع الناس على ان اظهار الواجب افضل وقوله تعالى فنعما هي ثناء على

ابداء

ابداء الصدقة ثم حكم ان الاخفاء خير من ذلك الابداء والتقدير نعم شيئا ابداوها فالابداء هو
المخصوص بالمدح وخرج ابو داود في سننه عن ابي امامة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم نطق
رجل الى باب الجنة فرفع راسه فاذا على باب الجنة مكتوب الصدقة بعشر امثالها والقرض
الواحد بثمانية عشر لان صاحب القرض لا ياتيك الا وهو محتاج والصدقة ربما وضعت في غني
وخرجه ابن ماجه في سننه قال ثنا عبد الله بن عبد الكريم ثنا هشام بن خالد بن يزيد بن ابي مالك
عن ابيه عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي على باب
الجنة مكتوبا الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر فقلت يا جبريل ما بال القرض افضل
من الصدقة قال لان السائل يسال وعنده والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة انتهى من التذكرة وقرا
ابن كثير وغيره ونكفر بالنون ورفع الراء وقرا ابن عامر ويكفر بالياء ورفع الراء وقرا نافع وغيره
ونكفر بالنون والجزم فاما رفع الراء فهو على وجهين احدهما ان يكون الفعل خبر ابتداء تقديره ونحن
نكفر او والله يكفر والثاني القطع والاستيناف والواو لعطف جملة على جملة والجزم في الراء افصح
هذه القراءات لانها تؤذن بدخول التكفير في الجزاء وكونه مشروطا ان وقع الاخفاء واما رفع الراء
فليس فيه هذا المعنى ومن في قوله من سياتكم للتبعيض المحض لانها زائدة كما زعم قوم والله بما تعملون
خبير وعد ووعيد وقوله تعالى ليس عليك هداهم الاية وردت اثار ان النبي صلى الله عليه وسلم منع فقراء
المدينة من الصدقة فنزلت الاية مبيحة لهم وذكر الطبري ان مقصد النبي صلى الله عليه وسلم
بمنع الصدقة انما كان ليسلموا وليدخلوا في الدين فقال سبحانه ليس عليك هداهم قال ع
وهذه الصدقة التي ابيحت عليهم حسبما تضمنته هذه الاثار انما هي صدقة التطوع واما
المفروضة فلا يجزي دفعها لكافر قال ابن المنذر اجماعا فيما علمت وقال المهدوي ابلحنا هذه
الاية مردود قال ابن العربي واذا كان المسلم يترك اركان الاسلام من الصلاة والصيام فلا
تصرف اليه الصدقة حتى يتوب وسائر المعاصي تصرف الصدقة الى مرتكبها لدخولهم في اسم المسلمين
انتهى من الاحكام ويعني بالصدقة المفروضة والهدى الذي ليس على نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم هو خلق الايمان في قلوبهم واما الهدى الذي هو الدعاء فهو عليه صلى الله عليه وسلم
وليس بمراد في هذه الاية ثم اخبر سبحانه وتعالى انه يهدي من يشاء وفي الاية رد على القدرية وطوائف
المعتزلة ثم بين تعالى ان النفقة المقبولة ما كان ابتغاء وجه الله وفي الاية تاويل اخر وهو انها
شاهدة من الله تعالى للصحابة انهم انما ينفقون ابتغاء وجهه سبحانه فهو خبر منه لهم فيه تفضيل
وما تنفقوا من خير يوف اليكم اي في الاخرة وهذا هو بيان قوله وما تنفقوا من خير فلانفسكم
والخير هنا المال بقرينة الانفاق ومتى لم يقترن بما يدل على انه المال فلا يلزم ان يكون بمعنى المال
وهذا القول قلناه تحرزا من قول عكرمة كل خير في كتاب الله فهو المال وقوله تعالى للفقراء
الذين احصروا في سبيل الله الاية التقدير الانفاق او الصدقة للفقراء قال مجاهد وغيره
المراد بهولاء الفقراء فقراء المهاجرين من قريش وغيرهم ع ثم تتناول الاية كل من دخل
تحت صفة الفقر غابر الدهر ثم بين الله سبحانه من احوال اولئك الفقراء المهاجرين ما يوجب
الحنو عليهم بقوله الذين احصروا في سبيل الله والمعنى حبسوا ومنعوا وتاول الطبري في هذه الاية
انهم هم حابسوا انفسهم بربقة الدين وقصد الجهاد وخوف العدو اذا احاطهم الكفر

فصار خوف العدو عذرا لحصر وابن ع كان هذه الاعذار حصرتهم فالعدو كل محيط يحصر
وقوله يحصروا في سبيل الله يحتمل الجهاد ويحتمل الدخول في الاسلام والضرب في الارض هو التصرف
في التجارة وكانوا لا يستطيعون ضربا في الارض لكون البلاد كلها كفرا مطبقا وهذا في صدر
الهجرة وكانوا رضي الله عنهم من الانقباض وترك المسئلة والتوكل على الله تعالى بحيث يحسبهم الجاهل بباطن
احوالهم اغنياء ت واعلم ان المواساة واجبة وقد خرج مسلم وابو داود عن ابي سعيد الخدري
قال بينما نحن في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل على راحلة فجعل يصرف
بصره يمينا وشمالا فقال النبي صلى الله عليه وسلم من كان معه فضل ظهر فليعد به على من
لا ظهر له ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له قال فذكر من اصناف المال ما ذكر
حتى رأينا انه لا حق لاحد منا في فضل انتهى والتعفف تفعل بناء مبالغة من عف عن الشيء اذا امسك
عنه وتنزه عن طلبه وبهذا المعنى فسره ت مدح الله سبحانه هولاء السادة على ما اعطاهم
من غنى النفس وفي الحديث الصحيح ليس الغنا عن كثرة المال وانما الغنى غناء النفس وقد
صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا اخرجه مسلم وغيره
وعندي ان المراد بالال هنا متبعوه صلى الله عليه وسلم وفي سنن ابن ماجة عن انس قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من غني ولا فقير الا ود يوم القيمة انه اوتي من الدنيا قوتا
وروى مسلم والترمذي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن ادم انك ان
تبذل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير
من اليد السفلى قال ابو عيسى واللفظ له هذا حديث حسن صحيح انتهى وقوله سبحانه تعرفهم
بسيماهم السيما مقصورة العلامة واختلف المفسرون في تعيينها فقال مجاهد وهي
التخشع والتواضع وقال الربيع والسدي هي جهد الحاجة وقصف الفقر في وجوههم
وقلة النعمة وقال ابن زيد هي رثة الثياب وقال قوم وحكاه مكي هي اثر السجود قال ع وهذا
احسن وذلك لانهم كانوا متفرغين متوكلين لا شغل لهم في الاغلب الا الصلاة فكان اثر
السجود عليهم ابدا والالحاف والالحاح بمعنى واحد ع والاية تحتمل معنيين احدهما نفي السؤال
جملة وهذا هو الذي عليه الجمهور انهم لا يسئلون البتة والثاني نفي الالحاف فقط اي لا يظهر لهم
سؤال بل هو قليل وباجمال وهذا الثاني بعيد من الفاظ الاية فتامله ت وينبغي للفقير ان يتعفف
في فقره ويكتفي بعلم ربه قال الشيخ ابن ابي جمرة وقد قال اهل التوفيق من لم يرض باليسير فهو اسير
انتهى وذكر عبد الملك بن محمد بن ابي القاسم بن الكردبوس في الاكتفاء في اخبار الخلفاء قال وتكلم علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه بتسع كلمات ثلاث في المناجاة وثلاث في الحكمة وثلاث في الادب اما المناجاة
فقال كفاني فخرا ان تكون لي ربا وكفاني عزا ان اكون لك عبدا وانت كما احب فاجعلني كما تحب واما
الحكمة فقال قيمة كل امرء ما كان يحسنه وما هلك امرؤ عرف قدر نفسه والمرء مخبوء تحت لسانه
واما الادب فقال استغن عمن شئت فانت نظيره وتفضل على من شئت فانت اميره واضرع الى من
شئت فانت اسيره انتهى ولما كانت السيما تدل على حال صاحبها ويعرف بها حاله اقامها الله سبحانه
مقام الاخبار عن حال صاحبها فقال تعرفهم بسيماهم وقد قال الشيخ العارف بالله صاحب الكلم الفارقة
والحكم الحقيقية كل ما دل على معنى فقد اخبر عنه ولو كان صامتا واشار اليه ولو كان ساكتا لكن

حصول

حصول الفهم والمعرفة بحسب اعتبار المعتبر ونظر المتامل المتدبر انتهى قال ع وفي الاية تنبيه على
سوء حالة من يسئل الناس الحافا وقال ص وقوله تعالى لا يسئلون الناس الحافا اذا نفي حكم من محكوم
عليه بقيد فالاكثر في لسانهم انصراف النفي الى ذلك القيد فالمعنى على هذا ثبوت سؤالهم ونفي
الالحاح ويجوز ان ينفي الحكم فينتفي ذلك القيد فينتفي السؤال والالحاح وله نظائر انتهى وقوله تعالى
وما تنفقوا من خير فان الله به عليم وعد محض اي يعلمه ويحصيه ليجازي عليه ويثيب وقوله تعالى
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الاية قال ابن عباس نزلت هذه الاية في علي بن ابي طالب كانت له اربعة
دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقال قتادة نزلت في
المنفقين في سبيل الله من غير تبذير ولا تقتير قال ع والاية وان كانت نزلت في علي رضي الله عنه فمعناها يتناول
كل من فعل فعله وكل مشاء بصدقته في الظلم الى مظنة الحاجة وقوله عز وجل الذين ياكلون
الربا الاية الربا هو الزيادة ماخوذ من ربا يربو اذا نما وزاد على ما كان وغالبه ما كانت العرب
تفعله من قولها للغريم اتقضي ام تربي فكان الغريم يزيد في عدد المال ويصبر الطالب عليه ومن
الربا البين التفاضل في النوع الواحد وكذلك اكثر البيوع الممنوعة انما تجد منعها لمعنى زيادة اما في عين
مال او في منفعة لاحدهما من تاخير ونحوه ومعنى الاية الذين يكسبون الربا ويفعلونه وانما قصد
الى لفظة الاكل لانها اقوى مقاصد الناس في المال قال ابن عباس وغيره معنى قوله سبحانه لا يقومون
اي من قبورهم في البعث يوم القيمة الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قالوا كلهم يبعث كالمجنون
عقوبة له وتمقيتا عند جميع المحشر ويقوي هذا التاويل المجمع عليه ان في قراءة عبد الله بن مسعود
لا يقومون يوم القيمة الا كما يقوم وقوله تعالى ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا معناه عند جميع
المتاولين في الكفار وانه قول تكذيب للشريعة والاية كلها في الكفار المربين ولهم قيل فله ما سلف ولا يقال نزلت م
ذلك لمؤمن عاص ولكن ياخذ العصاة في الربا بطرف من وعيد هذه الاية ثم جزم الله سبحانه الخبر في قوله واحل
الله البيع وحرم الربا قيل هذا من عموم القران المخصص وقيل من مجمله المبين قال جعفر بن محمد الصادق
وحرم الله الربا ليتقارض الناس وقوله فله ما سلف اي من الربا لا تباعة عليه في الدنيا والاخرة وهذا
حكم من الله سبحانه لمن اسلم من الكفار وفي قوله تعالى وامره الى الله اربع تاويلات احدها امر الربا في
امرار تحريمه وغير ذلك والثاني امر ما سلف اي في العفو واسقاط التبعة فيه والثالث ان الضمير
عائد على ذي الربا بمعنى امره الى الله في ان يثبته على الانتهاء او يعيده الى المعصية والرابع ان يعود الضمير على
المنتهي ولكن بمعنى التانيس له وبسط امله في الخير وقوله تعالى ومن عاد يعني الى فعل الربا والقول انما البيع
مثل الربا والخلود في حق الكافر خلود تابيد حقيقي وان لحظنا الاية في مؤمن عاص فهو خلود مستعار على
معنى المبالغة وقوله تعالى يمحق الله الربا ويربي الصدقات يمحق معناه ينقص ويذهب ومنه محاق
القمر وهو انتقاصه ويربي الصدقات معناه ينميها ويزيد ثوابها تضاعفا تقول ربت الصدقة واربأها الله
تعالى وربّاها وذلك التضعيف لمن يشاء ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ان صدقة احدكم لتقع
في يد الله تعالى فيربيها كما يربي احدكم فلوه او فصيله حتى يجيء يوم القيمة وان اللقمة لعلى قدر احد قال ع
وقد جعل الله هذين الفعلين بعكس ما يظنه الحريص الجشع من بني ادم اذ يظن الربا يغنيه وهو في
الحقيقة ممحق ويظن ان الصدقة تفقره وهي نماء في الدنيا والاخرة وعن يزيد بن ابي حبيب ان
ابا الخير حدثه انه سمع عقبة بن   يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل امرء في ظل صدقته

حتى يفصل بين الناس او قال حتى يحكم بين الناس قال يزيد وكان ابو الخير لا يخطيه يوم لا يتصدق
بشيء فيه ولو كعكة او بصلة قال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه يعني البخاري ومسلما انتهى من
الالمام في احاديث الاحكام لابن دقيق العيد قال الشيخ ابن ابي جمرة ولا يلهم للصدقة الا من سبق له
سابقة خير انتهى قال ابو عمر في التمهيد وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما احسن عبد
الصدقة الا احسن الله الخلافة على بنيه وكان في ظل الله يوم لا ظل الا ظله وحفظ يوم صدقته
من كل عاهة وآفة انتهى وروى ابو داود في سننه ان سعد بن عبادة قال يا رسول الله ان ام سعد
ماتت فاي الصدقة افضل قال الماء فحفر بئرا وقال هذا لام سعد وروى ابو داود في سننه عن ابي سعيد
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري كساه الله من خضر الجنة وايما
مسلم اطعم مسلما على جوع اطعمه الله من ثمار الجنة وايما مسلم سقى مسلما على ظما سقاه الله من
الرحيق المختوم انتهى وقوله تعالى والله لا يحب كل كفار اثيم يقتضي الزجر للكفار المستحلين للربا ووصف
الكفار باثيم اما مبالغة من حيث اختلف اللفظان واما ليذهب الاشتراك الذي في كفار اذ يقع على
الزراع الذي يستر الحب في الارض قاله ابن فورك ولما انقضى ذكر الكافرين عقب سبحانه بذكر ضدهم
ليبين ما بين الحالتين فقال ان الذين امنوا الاية وقد تقدم تفسير مثل هذه الاية انه لما افتتح
النبي صلى الله عليه وسلم مكة قال في خطبته اليوم الثاني من الفتح الا كل ربا في الجاهلية موضوع
واول ربا اضعه ربا العباس فبدا صلى الله عليه وسلم بعمه واخص الناس به وهذه من سنن العدل
للامام ان يفيض العدل على نفسه وخاصته فيستفيض في الناس ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة واستعمل على مكة عتاب بن اسيد فلما استنزل صلى الله عليه وسلم اهل الطائف بعد
ذلك الى الاسلام اشترطوا شروطا وكان في شروطهم ان كل ربا لهم على الناس فانهم ياخذونه وكل ربا
عليهم فهو موضوع فيروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرر لهم هذه ثم ردها الله بهذه الاية
كما رد صلحه لكفار قريش في رد النساء اليهم عام الحديبية وذكر النقاش رواية ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم امر ان يكتب في اسفل الكتاب لثقيف لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فلما جاءت آجال
رباهم بعثوا الى مكة للاقتضاء وكانت على بني المغيرة المخزوميين فقال بنو المغيرة لا نعطي شيئا فان
الربا قد وضع ورفعوا امرهم الى عتاب بن اسيد بمكة فكتب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
الاية فكتب بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عتاب فعلمت بها ثقيف فكفت هذا سبب الاية على اختصار
مما روى ابن اسحاق وابن جريج والسدي وغيرهم فمعنى الاية اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية بترككم
ما بقي لكم من ربا وصفحكم عنه ثم توعدهم تعالى ان لم يذروا الربا بحرب منه ومن رسوله وامته
والحرب داعية القتل وقوله فاذنوا قال سيبويه اذنت اعلمت ت وهكذا فسره البخاري فقال قال
ابو عبد الله فاذنوا فاعلموا وقال ع هي عندي من الاذن وقال ابن عباس وغيره معناه فاستيقنوا بحرب
ثم ردهم سبحانه مع التوبة الى رؤوس اموالهم وقال لهم لا تظلمون في اخذ الزائد ولا تظلمون في
ان يتمسك بشيء من رؤوس اموالكم ويحتمل لا تظلمون في مطل لان مطل الغني ظلم كما قال عليه السلام
فالمعنى انه يكون القضاء مع وضع الربا وهكذا سنة الصلح وهذا اشبه شيء بالصلح الا ترى ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما اشار على كعب بن مالك في دين ابن ابي حدرد بوضع الشطر فقال كعب نعم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم للاخر قم فاقضه فتلقى العلماء امره بالقضاء سنة في المصالحات وقوله سبحانه وان كان

ذو عسرة فنظرة الى ميسرة حكم الله تعالى لارباب الربا برؤوس اموالهم عند الواجدين للمال ثم حكم
في ذي العسرة بالنظرة الى حالة اليسر والعسر ضيق الحال من جهة عدم المال والنظرة التاخير ت
وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه اذا اتيت
معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا فلقي الله فتجاوز عنه وفي صحيح مسلم من سره ان ينجيه
الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر او يضع عنه وفي رواية من انظر معسرا او وضع
عنه اظله الله في ظله انتهى والميسرة مصدر بمعنى اليسر وارتفع ذو عسرة بكان التامة التي هي بمعنى
وجد وحدث وارتفع قوله فنظرة على خبر ابتداء مقدر تقديره فالواجب نظرة واختلف اهل العلم
هل هذا الحكم بالنظرة الى الميسرة واقف على اهل الربا خاصة وهو قول ابن عباس وشريح او هو منسحب
على كل دين حال وهو قول جمهور العلماء ع وما قاله ابن عباس انما يترتب اذا لم يكن فقر مدقع واما مع
الفقر والعدم الصريح فالحكم هي النظرة ضرورة ت ولا يخالف ابن عباس في ذلك وقوله تعالى وان
تصدقوا خير لكم ندب الله بهذه الالفاظ الى الصدقة على المعسر وذلك خير من انظاره قاله جمهور العلماء
وروى سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب انه قال كان آخر ما نزل من القرآن اية الربا وقبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولم يفسرها لنا فدعوا الربا والريبة وقال ابن عباس آخر ما نزل اية الربا
قال ع ومعنى هذا عندي انها آخر ما نزل لان جمهور ابن عباس والسدي والضحاك وابن جريج وغيرهم
قالوا آخر اية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وروي ان قوله واتقوا نزلت قبل موت النبي
صلى الله عليه وسلم بتسع ليال ثم لم ينزل بعدها شيء وروي بثلاث ليال وروي انها نزلت قبل موته
بثلاث ساعات وانه صلى الله عليه وسلم قال اجعلوها بين اية الربا واية الدين وحكى مكي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال جاءني جبريل فقال اجعلها على راس مائتين وثمانين اية من البقرة وقوله تعالى واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله الاية وعظ لجميع الناس وامر يخص كل انسان ت حدثني من اثق به انه جلس عند شيخ
من الافاضل يجود عليه القرآن فقرئت عليه هذه الاية فبكا عندها ثم بكا الى ان فاضت نفسه
ومال فحركوه فاذا هو ميت رحمه الله ونفعنا به يا هذا من صحا عقله من سكر هواه وجهله احترق
بنار الخجل من مهابة نظر ربه وتنكرت صورة حاله في عينه نفوس الاغنياء الجهال غافلة عن عظمة
ذي الجلال ولاهية عن احوال المعاد والمآل مشغولة برذائل الافعال وفضول القيل والقال والتنافس
والتحاسد لازدياد الاموال ولا يعلمون انها فتنة ووبال وطول حساب وبلاء وبلبال اغتنموا
يا ذوي البصائر نعمة الامهال واطرحوا خوادع الاماني وكواذب الامال فكان قد فجاتكم هوادم الاجال
انتهى من الكلم الفارقية والحكم الحقيقية ويوما نصب على المفعول لا على الظرف وجمهور العلماء على
ان هذا اليوم المحذر منه هو يوم القيامة والحساب والتوفية وقال قوم هو يوم الموت والاول
اصح وهو يوم تنفطر لذكره القلوب وفي هذه الاية نص على ان الثواب والعقاب متعلق بكسب
الانسان وهذا رد على الجبرية وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه
الاية قال ابن عباس هذه الاية نزلت في السلم خاصة قال ع معناه ان سلم اهل المدينة كان سبب
نزول الاية ثم هي تتناول جميع المداينات اجماعا ووصفه الاجل بمسمى دليل على ان الجهالة لا تجوز
قال جمهور العلماء الامر بالكتب ندب الى حفظ الاموال وازالة الريب واذا كان الغريم تقيا فما يضره
الكتب وان كان غير ذلك فالكتب ثقاف في دينه وحاجة صاحب الحق قال بعضهم ان اشهدت فحزم

وان ايتمنت فهي حال وسعة ع وهذا هو القول الصحيح ثم علم تعالى انه سيقع الايتمان فقال ان وقع
ذلك فليؤد الاية فهذه وصية للذين عليهم الديون واختلف في قوله تعالى وليكتب بينكم كاتب
فقال عطا والشعبي واجب على الكاتب ان يكتب اذا لم يوجد سواه وقال السدي هو واجب مع الفراغ
قوله بالعدل معناه بالحق ثم نهى الله سبحانه الكاتب عن الاباية وحكى المهدوي عن الربيع والضحاك
ان قوله ولا يأب منسوخ بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد قال ع اما اذا امكن الكاتب فليس يجب
الكتب على معين بل له الامتناع الا اذا استاجر واما اذا عدم الكاتب فيتوجه وجوب الندب
على الكاتب وقوله تعالى وليملل الذي عليه الحق الاية امر الله تعالى الذي عليه الحق بالاملا لان
الشهادة انما تكون بحسب اقراره واذا كتبت الوثيقة واقر بها فهي كاملاته والبخس النقص
بنوع من المخادعة والمدافعة وهؤلاء الذين امروا بالاملاء هم المالكون لانفسهم اذا حضروا
ثم ذكر تعالى ثلاثة انواع تقع نوازلهم في كل زمان فقال وان كان الذي عليه الحق سفيها والسفيه
المهلهل الراي في المال الذي لا يحسن الاخذ لنفسه ولا الاعطاء منها مشبه بالثوب السفيه وهو
الخفيف النسج والسفه الخفة وهذه الصفة في الشريعة لا تخلو من حجر اب او وصي وذلك
هو وليه ثم قال او ضعيفا والضعيف هو المدخول في عقله وهذا ايضا قد يكون وليه ابا
او وصيا والذي لا يستطيع ان يمل هو الصغير ووليه وصيه او ابوه والغائب عن
موضع الاشهاد لمرض او لغير ذلك من الاعذار فوليه وكيله واما الاخرس فيسوغ ان يكون
من الضعفاء والاولى انه ممن لا يستطيع وقوله بالعدل معناه بالحق وقصد الصواب
وقوله تعالى واستشهدوا شهيدين الاية الاستشهاد طلب الشهادة وعبر ببنا مبالغة في شهيدين
دلالة على من قد شهد وتكرر ذلك منه فكانه اشارة الى العدالة قال ابن العربي والصحيح ان
الامر بالاستشهاد محمول على الندب انتهى وقوله تعالى من رجالكم نص في رفض الكفار والصبيان
والنساء واما العبيد فاللفظ يتناولهم واختلف العلماء فيهم وقول مالك والشافعي واكثر العلماء
وجمهور العلماء ان شهادتهم لا تجوز وغلبوا نقص الرق واسم كان الضمير الذي في قوله يكونا
والمعنى في قول الجمهور فان لم يكن المستشهد رجلين وقال قوم بل المعنى فان لم يوجد رجلان
ولا يجوز استشهاد المراتين الا مع عدم الرجال قال ع وهذا قول ضعيف ولفظ الاية لا يعطيه بل
الظاهر منه قول الجمهور وقوله فرجل وامراتان وهذا الخطاب لجميع الناس لكن المتلبس
بهذه القضية هم الحكام وهذا كثير في كتاب الله فيما يتلبس به البعض وفي قوله ممن ترضون
دليل على ان في الشهود من لا يرضى فيجي من ذلك ان الناس ليسوا محمولين على العدالة حتى تثبت
لهم وقوله سبحانه ان تضل احداهما الاية ان مفعول من اجله والشهادة لم تقع لان تضل
احداهما وانما وقع اشهاد امراتين لان تذكر احداهما ان ضلت الاخرى قال سيبويه وهذا كما
تقول اعددت هذه الخشبة ان يميل الحائط فادعمه ع ولما كانت النفوس مستشرفة الى
معرفة اسباب الحوادث قدم في هذه العبارة ذكر سبب الامر المقصود ان يخبر به وهذا من انواع
الفصاحة اذ لو قال لك رجل اعددت هذه الخشبة ان ادعم بها هذا الحائط لقال السامع ولم تدعم
حائطا قائما فيجب ذكر السبب فيقال اذا مال فجاء في كلامهم تقديم السبب اخصر من هذه المحاورة قال
ابو عبيد ومعنى تضل تنسى ع والضلال عن الشهادة انما هو نسيان جزء منها وذكر جزء ويبقى المرء بين

ذلك حيران ضالا وقوله تعالى ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا الاية قال قتادة وغيره معنى الاية اذا دعوا
ان يشهدوا وقال الحسن بن ابي الحسن الاية جمعت امرين لا تاب اذا دعيت الى اداء شهادة قد حصلت
عندك واسند النقاش الى النبي صلى الله عليه وسلم انه فسر الاية بهذا ت وهذا هو الحقيقة في الاية
واما تسمية الشي بما يؤول اليه فمجاز والشاهد حقيقة من حصلت له الشهادة قال مجاهد فاما اذا
دعيت اولا فان شئت فاذهب وان شئت فلا تذهب وقال جماعة قال ع والاية كما قال الحسن جمعت
امرين والمسلمون مندوبون الى معونة اخوانهم فاذا كانت الفسحة لكثرة الشهود والامن من تعطيل
الحق فالمدعو مندوب وان خيف تلف الحق بتاخر الشاهد وجب عليه القيام بها سيما ان كانت محصلة
ودعي لادائها فهذه اكد لانها قلادة في العنق وامانة تقتضي الاداء م ولا ياب الشهداء قال ابو البقاء
مفعول ياب محذوف اي ولا ياب الشهداء اقامة الشهادة او تحمل واذا ظرف لياب ويحتمل
ان يكون ظرفا للمفعول المحذوف انتهى وتسئموا معناه تملوا وقدم الصغير اهتماما به واقسط معناه
اعدل واقوم اي اشد اقامة وقيل اقوم من قام بمعنى اعتدل وادنى معناه اقرب وترتابوا معناه
تشكوا قال ابن هشام الى اجله لا يصح تعلقه بتكتبوه لاقتضائه استمرار الكتابة الى اجل الدين وانما
هو حال اي مستقرا في الذمة الى اجله انتهى من المغني وقوله سبحانه الا ان تكون تجارة حاضرة الاية
لما علم الله سبحانه مشقة الكتب عليهم نص على ترك ذلك ورفع الجناح فيه في كل مبايعة وذلك
في الاغلب انما هو في قليل كالطعام ونحوه لا في كثير كالاملاك ونحوها وقال السدي والضحاك هذا
فيما كان يدا بيد تاخذ وتعطي وقوله تديرونها يقتضي التقابض والبينونة بالمقبوض وقوله
تعالى واشهدوا اذا تبايعتم اختلف هل ذلك على الوجوب او على الندب والوجوب في ذلك قلق اما في الدقائق
فصعب شاق واما ما كثر فربما يقصد التاجر الاستئلاف بترك الاشهاد الى غير ذلك من المصالح فلا يشهد
ويدخل ذلك كله في الايتمان ويبقى الامر بالاشهاد ندبا لما فيه من المصلحة في الاغلب وحكى المهدوي عن
قوم انهم قالوا واشهدوا اذا تبايعتم منسوخ بقوله تعالى فان امن الاية وذكره مكي عن ابي سعيد
الخدري واختلف الناس في معنى قوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد كاختلافهم في قوله تعالى
لا تضار والدة بولدها هل الفعل مسند الى الفاعل فاصله ولا يضارر بكسر الراء ووجوه المضارة
لا تنحصر وفك الفعل هي لغة الحجاز والادغام لغة تميم وقوله وان تفعلوا فانه فسوق بكم اي
وان تفعلوا المضارة وقوله بكم اي حال بكم وباقي الاية موعظة لغة تميم وقوله تعالى وان تفعلوا
فانه فسوق بكم اي وان تفعلوا المضارة وقوله بكم اي حال بكم وباقي الاية موعظة وتهديد واتقوا الله
المستقلة لا تدب عنه وقيل معنى الاية الوعد بان من اتقى علم الخير والهمه ت وفي العتبية من
سماع ابن القاسم قال سمعت مالكا يقول سمعت انه يقال ما زهد عبد واتقى الله الا انطقه الله
بالحكمة انتهى والمراد بهذا العلم العلم النافع الذي يورث الخشية قال ابو عمر بن عبد البر وروينا
عن مسروق قال كفى بالمرء علما ان يخشى الله وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بعمله ابو عمر انما اعرف نعمله
انتهى من كتاب فضل العلم وقوله تعالى وان كنتم على سفر الاية لما ذكر الله تعالى الندب الى الاشهاد
والكتب لمصلحة حفظ الاموال والاديان عقب ذلك بذكر حال الاعذار وبدخل في ذلك بالمعنى
كل عذر قال ع رهن الشي في كلام العرب معناه دام واستمر فيل ولما كان الرهن بمعنى الثبوت
والدوام فمن ثم بطل الرهن عند الفقهاء اذا خرج من يد المرتهن الى يد الراهن لانه فارق ما جعل

الى تحصيل الشهادة ولا اذا دعيت الى ادائها
وقاله ابن عباس وقال مجاهد معنى الاية لا تاب
اذا دعيت م

اي فليشهد او فليكن رجل وامراتان وقوله ممن ترضون
من الشهداء رفع على الصفة لقوله رجل
وامراتان م

وقوله عز وجل مقبوضة يقتضي بينونة المرتهن بالرهن واجمع العلماء على صحة قبض المرتهن وكذلك
على قبض وكيله فيما علمت واختلفوا في قبض عدل يوضع الرهن على يديه فقال مالك وجميع اصحابه وجمهور
العلماء قبض العدل قبض وقال الحكم بن عتيبة وغيره ليس بقبض وقول الجمهور اصح من جهة المعنى في
الرهن وقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا شرط ربط به وصية الذي عليه الحق بالاداء قال ابن العربي في
احكامه قوله تعالى فان امن بعضكم بعضا ان اسقط الكتب والاشهاد والرهن وعول على امانة المعامل
فليؤد الامانة وليتق الله ربه وهذا يبين ان الاشهاد ليس بواجب اذ لو كان واجبا لما جاز اسقاطه ثم قال وجملة
الامر ان الاشهاد حزم والائتمان ثقة بالله تعالى من الداين ومروة من المدين ثم قال ابن العربي وقد روي عن ابي
سعيد الخدري انه قرأ هذه الاية فقال هذا نسخ لكل ما تقدمه يعني من الامر بالكتب والاشهاد والرهن
انتهى وقوله فليؤد امر بمعنى الوجوب وقوله امانته مصدر سمي به الشيء الذي في الذمة وقوله تعالى
ولا تكتموا الشهادة الاية نهي فيه تهديد ووعيد وخص تعالى ذكر القلب اذ الكتم من افعاله واذ هو المضغة التي
بصلاحها يصلح الجسد كما قال صلى الله عليه وسلم وفي قوله تعالى والله بما تعملون عليم توعد وان كان
لفظها يعم الوعيد والوعد وروى البزار في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مشى الى غريمه
بحقه صلت عليه دواب الارض ونون الماء ونبت له بكل خطوة شجرة تغرس في الجنة وذنب يغفر
انتهى قوله تعالى لله ما في السموات وما في الارض الاية المعنى جميع ما في السموات وما في الارض ملك له سبحانه
وقوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم الاية قوله ما في انفسكم يقتضي قوة اللفظ انه ما تقرر في
النفس واستصحب الفكرة فيه واما الخواطر التي لا يمكن دفعها فليست في النفس الا على تجوز و
اختلف في معنى هذه الاية فقال عكرمة وغيره هي في معنى الشهادة التي نهي عن كتمها فلفظ الاية على هذا
التاويل العموم ومعناه الخصوص وكذا نقل الثعلبي وقال ابن عباس وابو هريرة وجماعة من الصحابة
والتابعين ان هذه الاية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا هلكنا يا رسول الله ان حوسبنا
بخواطر نفوسنا وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم لكنه قال لهم اتريدون ان تقولوا كما قالت
بنو اسرائيل سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا فقالوها فانزل الله بعد ذلك لا يكلف الله نفسا
الا وسعها ونسخ بهذه تلك هذا معنى الحديث الصحيح وله طرق من جهات واختلفت عبارات وتعا
عبا هؤلاء القائلين بلفظة النسخ في هذه النازلة وقال ابن عباس لما شق ذلك عليهم فانزل الله لا يكلف
الله نفسا الا وسعها الاية فنسخت الوسوسة وثبت القول والفعل وقال اخرون هذه الاية محكمة غير
منسوخة والله سبحانه يحاسب خلقه على ما عملوه واضمروه وارادوه ويغفر للمؤمنين ويأخذ به اهل
الكفر والنفاق ورجح الطبري ان الاية محكمة غير منسوخة ع وهذا هو الصواب وانما هي مخصصة
وذلك ان قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه معناه بما هو في وسعكم وتحت كسبكم وذلك
استصحاب المعتقد والفكر فيه فلما كان اللفظ مما يمكن ان يدخل فيه الخواطر اشفق الصحابة والنبي صلى الله
عليه وسلم فبين الله تعالى لهم ما اراد بالاية الاولى وخصصها ونص على حكمه انه لا يكلف نفسا الا
وسعها والخواطر ليست في ولا دفعها في الوسع بل هي امر غالب وليست مما يكسب ولا يكتسب وكان في
هذا البيان فرجهم وكشف كربهم وتاتي الاية محكمة لا نسخ فيها ومما يدفع امر النسخ فان ذهب ذاهب الى
تقرير النسخ فانما يترتب له في الحكم الذي لحق الصحابة حين فزعوا من الاية وذلك ان قول النبي صلى
الله عليه وسلم لهم قولوا سمعنا واطعنا يجيء منه الامر بان يبنوا على هذا ويلتزموه وينتظروا لطف

ان الاية خبر والخبر لا يدخله نسخ

الله في الغفران فاذا قرر هذا الحكم فصحيح وقوع النسخ فيه وتشبه الاية قوله تعالى ان يكن
منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين فهذا لفظه الخبر ولكن معناه التزموا هذا وابنوا عليه
واصبروا بحسبه ثم نسخ ذلك بعد ذلك فهذه الاية في البقرة اشبه شيء بها وقوله تعالى ويعذب
من يشاء يعني من العصاة وتعلق قوم بهذه الاية ممن قال بجواز تكليف ما لا يطاق وقالوا ان الله قد
كلفهم امر الخواطر وذلك مما لا يطاق قال ع وهذا غير بين وانما كان امر الخواطر تاويلا تاوله اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يثبت تكليفا الا على الوجه الذي ذكرناه من تقرير النبي صلى الله عليه وسلم اياهم
على ذلك قال الشيخ الولي العارف بالله ابن ابي جمرة والخواطر عندهم غير مواخذ بها ثم نية ثم
ارادة ثم عزيمة وهذه الثلاث مواخذ بها انتهى وقوله تعالى امن الرسول بما انزل اليه من ربه الاية
سبب هذه الاية انه لما نزلت ان تبدوا ما في انفسكم واشفق النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم تقرر الامر
على ان قالوا سمعنا واطعنا ورجعوا الى التضرع والاستكانة مدحهم الله واثنى عليهم في هذه الاية وقدم
ذلك بين يدي رفقه بهم فجمع لهم تعالى التشريف بالمدح والثناء ورفع المشقة في امر الخواطر وهذه
ثمرة الطاعة والانقطاع الى الله تعالى كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا فاعقبهم ضد ذلك وهذه
ثمرة العصيان اعاذنا الله من نقمه وامن معناه صدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه
القرآن وسائر ما اوحى الله اليه من جملة ذلك وكل لفظة تصلح للاحاطة وهي كذلك هنا والايمان
بالله هو التصديق به اي بوجوده وصفاته ورفض كل معبود سواه والايمان بملائكته هو اعتقاد
انهم عباد الله مكرمون لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون والايمان بكتبه هو التصديق
بكل ما انزل سبحانه على انبيائه وقرا الجمهور لا نفرق بالنون والمعنى يقولون لا نفرق ومعنى هذه الاية
ان المؤمنين ليسوا كاليهود والنصارى في انهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض وقوله تعالى وقالوا
سمعنا واطعنا مدح يقتضي الحض على هذه المقالة وان يكون المؤمن يمتثلها غابر الدهر والطاعة
قبول الاوامر غفرانك مصدر والعامل فيه فعل تقديره نطلب ونسأل غفرانك ت وزاد
ابو حيان قال وجوز بعضهم الرفع على ان يكون مبتدأ اي غفرانك بغيتنا انتهى واليك المصير اقرار
بالبعث والوقوف بين يديه سبحانه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الاية قال له
جبريل يا محمد ان الله قد اجل الثناء عليك وعلى امتك فسل تعطه فسال الى اخر السورة قوله تعالى لا يكلف
الله نفسا الا وسعها الاية خبر جزم نص على انه لا يكلف العباد من وقت نزول الاية عبادة من اعمال
القلب او الجوارح الا وهي في وسع المكلف وفي مقتضى ادراكه وبنيته وبهذا انكشف الكرب عن المسلمين في تاولهم
امر الخواطر وهذا المعنى الذي ذكرناه في هذه الاية يجري مع معنى قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
العسر وقوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وقوله اتقوا الله ما استطعتم قال الغزالي ووسعها
اي طاقتها انتهى قال ع واختلف الناس في جواز تكليف ما لا يطاق في الاحكام التي هي في الدنيا
بعد اتفاقهم على انه ليس واقعا الان في الشرع وان هذه الاية اذنت بعدمه واختلف
القائلون بجوازه هل وقع في رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ام لا فقالت فرقة
وقع في نازلة ابي لهب لانه حكم عليه بتبت اليدين وصلي النار وذلك مؤذن انه لا يؤمن
وتكليف الشرع له الايمان راتب فكانه كلف ان يؤمن وان يكون من ايمانه انه لا يؤمن
لانه اذا امن فلا محالة ان يدين بسورة تبت يدا ابي لهب وقالت فرقة لم يقع قط

وقوله تعالى سيصلى نارا انما معناه ان وافا على كفره ع وما لا يطاق على قسمين منه المحال
عقلا كالجمع بين الضدين ومنه المحال عادة كرفع انسان جبلا ومنه ما لا يطاق من حيث
هو مهلك كالاحتراق بالنار ونحوه ومنه ما لا يطاق للاشتغال بغيره وهذا انما يقال فيه ما لا
يطاق على تجوز كثير وقوله تعالى لها ما كسبت يريد من الحسنات وعليها ما اكتسبت يريد من السيئات
قاله جماعة من المفسرين لا خلاف في ذلك والخواطر ونحوها ليس من كسب الانسان وجاءت
العبارة في الحسنات بلها من حيث هي مما يفرح الانسان بكسبه ويسر المرء بها فتضاف الى ملكه وجاءت
في السيئات بعليها من حيث هي اوزار واثقال متحملات صعبة وهذا كما تقول لي مال وعلي
دين وكرر فعل الكسب تعالى فخالف بين التصريف تحسينا لنمط الكلام كما قال فمهل الكافرين امهلهم
رويدا هذا وجه ع والذي يظهر لي في هذا ان الحسنات مما يكتسب دون تكلف اذ كاسبها على جادة
امر الله وجادة شرعه والسيئات تكتسب ببناء المبالغة اذ كاسبها يتكلف في امرها خرق حجاب نهي الله
تعالى ويتخطا اليها فيحسن في الآية التصريف بين لهذا المعنى وقال المهدوي وغيره معنى الآية لا يؤاخذ
احد بذنب احد قال ع وهذا صحيح في نفسه لكن من غير هذه الآية وقوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا
معناه قولوا واختلف الناس في معنى قوله سبحانه ان نسينا او اخطانا فذهب كثير من العلماء
الى ان هذا الدعاء في النسيان الغالب والخطا غير المقصود وهو الصحيح عندي قال قتادة في
تفسير هذه الآية بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لامتي عن نسيانها
وخطائها وقال السدي لما نزلت هذه الآية فقالوها قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم
قد فعل الله ذلك يا محمد قال ع فظاهر قولهما ما صححته وذلك ان المومنين لما كشف عنهم
ما خافوه في قوله تعالى يحاسبكم به الله امروا بالدعاء في ذلك النوع الذي ليس من طاقة الانسان
دفعه وذلك في النسيان والخطا والاصر الثقيل وما لا يطاق على اتم انواعه وهذه الآية على هذا
القول تقتضي جواز تكليف ما لا يطاق ولذلك امر المومنين بالدعاء ان لا يقع هذا الجائز الصعب
ومذهب ابي الحسن الاشعري وجماعة من المتكلمين ان تكليف ما لا يطاق جائز عقلا ولا يخرم
ذلك شيئا من عقائد الشرع وذهب الطبري وغيره الى ان تكليف ما لا يطاق جائز وان النسيان في
الآية بمعنى الترك اي تركنا شيئا من طاعتك والخطا هو المقصود من العصيان والاصر هي العبادات
الثقيلة كتكاليف بني اسرائيل وما لا طاقة لنا به هو عندهم على تجوز كما تقول لا طاقة لي على
خصومة فلان او لا طاقة لنا به من حيث هو مهلك كعذاب جهنم وغيره م ثم قال تعالى فيما امر
المومنين بقوله واعف عنا اي فيما واقعناه واغفر لنا اي استر علينا ما علمت منا وارحمنا اي
تفضل مبتديا برحمة منك لنا هذه مناح من الدعاء متباينة وانت مولانا مدح في ضمنه تقرب
اليه وشكر على نعمه ومولى هو من ولي وفي الحديث ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه
وسلم قل ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا فقالها فقال جبريل قد فعل قال قل كذا وكذا
فيقولها فيقول جبريل قد فعل الى اخر السورة وتظاهرت بهذا المعنى احاديث وروى ابو مسعود
عقبة ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا الآيتين من اخر سورة البقرة في ليلة
كفتاه يعني من قيام الليل قال صاحب سلاح المومن هذا الحديث رواه الجماعة يعني الستة ومعنى
كفتاه اجزاتاه عن قيام الليل وقيل كفتاه من كل شيطان فلا يقربه ليلته وقيل كفتاه ما يكون

من

من الآفات تلك الليلة وقيل معناه حسبه بهما فضلا واجرا ويحتمل الجميع والله اعلم انتهى من
سلاح المومن وقال علي ما اظن احدا عقل وادرك الاسلام ينام حتى يقراهما وفي الحديث ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اوتيت هؤلاء الآيات من اخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن
احد قبلي كمل تفسير سورة البقرة والحمد لله بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما سورة آل عمران هذه السورة مدنية باجماع فيما علمت
قوله جلت قدرته الم الله لا اله الا هو الحي القيوم م لا يبرع في نظم الآية ان يكون الله لا اله الا
هو الحي القيوم كلاما مبتدأ جزما جملة رادة على نصارى نجران الذين وفدوا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فحاجوه في عيسى بن مريم وقالوا انه الله على ما هو معلوم في السير فنزل فيهم صدر هذه
السورة الى نيف وثمانين آية منها الى ان دعاهم صلى الله عليه وسلم الى الابتهال وقد تقدم تفسير
قوله الحي القيوم في آية الكرسي والآية هناك اخبار لجميع الناس وكررت هنا اخبارا لحجج هؤلاء النصارى
ورد عليهم اذ هذه الصفات لا يمكنهم ادعاؤها لعيسى عليه السلام لانهم اذ يقولون انه صلب فذلك
موت في معتقدهم واذ من البين انه ليس بقيوم وقراءة الجمهور القيوم وقرى خارج السبع القيام
والقيم وهذا كله من قام بالامر يقوم اذا اضطلع بحفظه وبجمع ما يحتاج في ذلك اليه وجوده م فالله
تعالى القيم على كل شيء مما ينبغي له او فيه او عليه ت وقد تقدم ما نقلناه ان هذا الاسم الشريف انه
اسم الله الاعظم قال النووي وروينا في كتاب الترمذي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا كربه امر قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد
انتهى قال صاحب سلاح المومن وعن علي رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر قاتلت شيئا من
قتال ثم جيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ما صنع فاذا هو ساجد يقول يا حي يا قيوم يا حي
يا قيوم ثم رجعت الى القتال ثم جيت فاذا هو ساجد لا يزيد على ذلك ثم ذهبت الى القتال ثم جيت فاذا
هو ساجد يقول ذلك ففتح الله عليه رواه النسائي والحاكم في المستدرك واللفظ للنسائي وعن اسماء بنت
يزيد رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في هذين الآيتين والهكم اله
واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم رواه ابو داود
واللفظ له والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وعن ابي امامة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في ثلاث سور البقرة وآل عمران وطه قال القاسم فالتمستها
انه الحي القيوم انتهى وقوله بالحق يحتمل معنيين احدهما ان يكون المعنى ضمن الحقائق في خبره
وامره ونهيه ومواعظه والثاني ان يكون المعنى انه نزل الكتاب باستحقاق ان ينزل لما فيه
من المصلحة الشاملة وليس ذلك على انه واجب على الله تعالى ان يفعله ت اي اذ لا يجب عليه سبحانه
فعل قال ع فالباء في هذا المعنى على حد قوله سبحانه ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق وقيل معنى
بالحق اي مما اختلف فيه اهل الكتاب واضطرب فيه هؤلاء النصارى الوافدون قال ع وهذا
داخل في المعنى الاول وقوله مصدقا حال مؤكدة لانه لا يمكن ان يكون غير مصدق لما
بين يديه من كتب الله سبحانه وما بين يديه هي التوراة والانجيل وسائر كتب الله التي تلقيت من شرعنا
وقوله تعالى من قبل يعني من قبل القرآن وقوله هدى للناس معناه دعاء والناس بنو اسرائيل في هذا
الموضع وان كان المراد انهما هدى في ذاتهما مدعو اليه فرعون وغيره فالناس عام في كل من

حينئذ ان يستبصر و الفرقان القرآن لانه فرق بين الحق والباطل ثم توعد سبحانه الكفار
عموما بالعذاب الشديد والاشارة بهذا الوعيد الى نصارى نجران وعزيز معناه غالب
النقمة والانتقام معاقبة المذنب بمبالغة في ذلك قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض
ولا في السماء هذه الاية خبر عن علم الله تعالى بالاشياء على التفصيل وهذه صفة لم تكن لعيسى ولا لاحد
من المخلوقين ثم اخبر سبحانه عن تصويره للبشر في ارحام الامهات وهذا امر لا ينكره عاقل ولا ينكر ان عيسى
وسائر البشر لا يقدرون عليه ولا ينكر ان عيسى من المصورين كغيره من سائر البشر فهذه الاية تعظيم لله جلت
قدرته في ضمنها الرد على نصارى نجران وفي قوله ان الله لا يخفى عليه شيء وعيد وشرح النبي صلى الله
عليه وسلم كيفية التصوير في الحديث الذي رواه ابن مسعود وغيره ان النطفة اذا وقعت
في الرحم مكثت نطفة اربعين يوما ثم تكون علقة اربعين يوما ثم مضغة مثل ذلك ثم
يبعث الله اليها ملكا فيقول يا رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد الحديث بطوله على اختلاف الفاظه وفي
مسند ابن سنجر حديث ان الله تعالى يخلق عظام الجنين وغضاريفه من مني الرجل ولحمه وشحمه
وسائر ذلك من مني المراة وصورنا مبالغة من صار يصور اذا امال وثنى الى حال ما فلما
كان التصوير امالة الى حال واثباتا فيها جاء بناء المبالغة والكتاب في هذه الاية القرآن باجماع
المحكمات المفصلات المبينات الثابتات الاحكام والمتشابهات هي التي تحتاج الى نظر وتأويل ويظهر فيها ببادي
النظر اما تعارض مع اخرى واما مع العقل الى غير ذلك من انواع التشابه فهذا الشبه الذي
من اجله توصف بمتشابهات انما هو بينها وبين المعاني الفاسدة التي يظنها اهل الزيغ ومن
لم يمعن النظر وهذا نحو الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين
وبينهما امور متشبهات ان يكون الشيء حراما في نفسه فيشتبه عند من لم يمعن النظر شيئا
حلالا وكذلك الاية يكون لها في نفسها معنى صحيحا فيشتبه عند من لم يمعن النظر وعند
الزائغ معنى اخر زائدا وربما اراد الاعتراض على كتاب الله هذا عندي معنى الاحكام والتشابه
في هذه الاية قال ع واحسن ما قيل في هذه الاية قول محمد بن جعفر بن الزبير ان المحكمات هي التي
فيهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ليس لها تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه
والمتشابهات لها تصريف وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد قال ابن الحاجب في منتهى الوصول
مسئلة في القرآن متشابه ومحكم قال تعالى منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات
فالمحكم المتضح المعنى قال الرهوني يعني نصا كان او ظاهرا والمتشابه مقابله اما للاشتراك مثل ثلاثة
قروء او للاجمال مثل الذي بيده عقدة النكاح وما ظاهره التشبيه مثل من روحي وايدينا وبيدي
وبيمينه ويستهزئ ومكر الله ونحوه والظاهر الوقف على والراسخون في العلم لان الخطاب بما لا
يفهم بعيد انتهى قال الرهوني وسمي ما ذكر متشابها لاشتباه معناه على السامع قال الرهوني والحق
الوقف على وما يعلم تأويله الا الله وهو المروي عن جماعة منهم ابن عباس وابن عمر وابن مسعود
ومالك وغيرهم وفي مصحف ابي وما يعلم تأويله الا الله ويقول الراسخون امنا به انتهى وقوله تعالى
هن ام الكتاب اي معظم الكتاب وعمدة ما فيه اذ المحكم في ايات الله كثير قد فصل ولم يفرط
في شيء منه قال يحيى بن يعمر كما يقال لمكة ام القرى قال ع وكما يقال ام الرأس لمجتمع الشؤون فجمع المحكم
هو ام الكتاب ومعنى الاية الاشارة الى اهل الزيغ والذم لهم والاشارة بذلك اولا الى نصارى نجران

والى

والى اليهود الذين كانوا معاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يعترضون في معاني القرآن ثم
يعم بعد ذلك كل زائغ فذكر تعالى انه نزل الكتاب على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم افضالا منه ونعمة
وان محكمه وبينه الذي لا اعتراض فيه هو معظمه والغالب فيه وان متشابهه الذي يحتمل
التأويل ويحتاج الى التفهم له ثم ان اهل الزيغ يتركون المحكم الذي فيه غنيتهم ويتبعون المتشابه ابتغاء
الفتنة وان يفسدوا ذات البين ويردوا الناس الى زيغهم م قال ابو البقاء واخر معطوف على ايات ومتشابهات
نعت لاخر انتهى وقوله تعالى الذين في قلوبهم زيغ يعم كل طائفة من كافر وزنديق وجاهل وصاحب
بدعة والزيغ الميل وابتغاء نصب على المفعول من اجله ومعناه طلب الفتنة قال الربيع الفتنة هنا
الشرك وقال مجاهد الفتنة الشبهات واللبس على المؤمنين ثم قال وابتغاء تأويله والتأويل هو مرد
الكلام ومرجعه والشيء الذي يقف عليه من المعاني وهو من آل يؤول اذا رجع فالمعنى وطلب تأويله على
منازعهم هذا فيما له تأويل حسن وان كان مما لا يتأول بل يوقف فيه كالكلام في معنى الروح ونحوه
فنفس طلب تأويله هو ابتغاء ما تشابه ثم قال تعالى وما يعلم تأويله الا الله اي وما يعلم تأويله
على الكمال الا الله سبحانه واختلف في قوله والراسخون في العلم فرات فرقة ان رفع الراسخين هو بالعطف
على اسم الله عز وجل وانه مع علمهم بالمتشابه يقولون امنا به وقالت طائفة اخرى والراسخون
رفع بالابتداء وهو مقطوع من الكلام الاول وخبره يقولون والمنفرد بعلم المتشابه هو الله وحده
قال ع وهذه المسئلة اذا تاملت قرب الخلاف فيها من الاتفاق وذلك ان الله تعالى قسم اي الكتاب
قسمين محكما ومتشابها فالمحكم هو المتضح المعنى لكل من يفهم كلام العرب لا يحتاج فيه الى نظر ولا يتعلق
شيء يلبس ويستوي في علمه الراسخ وغيره والمتشابه على نوعين منه ما لا يعلم البتة كامر الروح وآماد
المغيبات التي قد اعلم الله بوقوعها الى سائر ذلك ومنه ما يحمل على وجوه في اللغة ومناح في كلام العرب فيتأول
ويعلم تأويله ولا يسمى احد راسخا الا ان يعلم من هذا النوع كثيرا بحسب ما قدر له فمن قال الراسخين يعلمون
تأويل المتشابه فمراده النوع الثاني الذي ذكرناه ومن قال ان الراسخين لا يعلمون تأويله فمراده النوع
الاول كامر الروح ووقت الساعة لكن تخصيصه المتشابه بهذا النوع غير صحيح بل هما نوعان كما
ذكرنا والضمير في تأويله عائد على جميع متشابه القرآن وهما نوعان كما ذكرنا والرسوخ الثبوت في الشيء وسئل
النبي صلى الله عليه وسلم عن الراسخين في العلم فقال هو من برت يمينه وصدق لسانه واستقام
قلبه ت ومن جامع العتبية وسئل مالك عن الراسخين في العلم فقال العالمون العاملون بما علموا
المتبعون له قال ابن رشد قول مالك هذا هو على معنى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم سئل من الراسخ
فقال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه وعف بطنه فذلك الراسخ في العلم قال ابن رشد ويشهد
لصحة هذا قول الله عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء لانه كلام يدل على من لم يخش الله فليس بعالم انتهى
ت وقد جاء في فضل العلم اثار كثيرة فمن احسنها ما رواه ابو عمر بن عبد البر بسنده عن معاذ بن جبل
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته
تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام ومنار
سبل اهل الجنة وهو الانيس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء
والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء ويرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة وائمة تقتص اثارهم
ويقتدى بفعالهم وينتهى الى رايهم وترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم ويستغفر لهم

كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه لان العلم حياة القلوب من
الجهل ومصابيح الابصار من الظلم يبلغ العبد بالعلم منازل الاخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة
الفكر فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام به توصل الارحام وبه يعرف الحلال من الحرام هو امام
العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء قال ابو عمر هكذا حدثنيه عبيد بن محمد مرويا
بالاسناد الذي ذكرناه به عنه وهو حسن جدا ولكن ليس له اسناد قوي ورويناه من طرق شتى
موقوفا على معاذ انتهى من كتاب فضل العلم قال الشيخ العارف ابو القاسم عبد الرحمن بن يوسف اللجائي
رحمه الله تعالى ومن علامة انوار اذا حل بالقلب المعرفة والمراقبة والحياء والتوبة والورع والزهد والتوكل
والصبر والرضا والانس والمجاهدة والصمت والخوف والرجاء والقناعة وذكر الموت انتهى وقوله سبحانه
كل من عند ربنا فيه ضمير عائد على كتاب الله محكمه ومتشابهه والتقدير كله من عند ربنا ثم قال تعالى
وما يذكر الا اولوا الالباب اي ما يقول هذا ويؤمن ويقف حيث وقف ويدع اتباع المتشابه
الا ذو لب وهو العقل واولوا جمع ذو وقوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا الآية لما ذكر الله سبحانه اهل
الزيغ وذكر نقيضهم وظهر ما بين الحالتين عقب ذلك بان علم عباده الدعاء اليه في ان لا يكونوا من
الطائفة الذميمة التي ذكرت وهم اهل الزيغ ويحتمل ان يكون هذا من تمام قول الراسخين وتزغ معناه
تمل قلوبنا عن الهدى والحق ومن لدنك معناه من عندك تفضلا لا عن سبب منا ولا عمل وفي هذا استسلام
وتطارح والمراد هب لنا نعيما صادرا عن الرحمة وقوله تعالى ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه
اقرار بالبعث ليوم القيامة والريب الشك والمعنى انه في نفسه حق لا ريب فيه وقوله ان الله لا يخلف الميعاد
يحتمل ان يكون اخبارا منه سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلم وامته ويحتمل ان يكون حكاية من قول
الداعين ففي ذلك اقرار بصفة الله تعالى والميعاد من الوعد قوله تعالى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيئا الآية الاشارة بهذه الآية الى معاصري النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يفخرون
باموالهم وابنائهم وهي بعد متناولة كل كافر والوقود بفتح الواو ما يحترق في النار من حطب
ونحوه والدأب والداب بسكون الهمزة وبفتحها مصدر دأب يدأب اذا لازم فعل شيء ودام
عليه مجتهدا فيه ويقال للعادة دأب والمعنى في الآية تشبيه هؤلاء في لزومهم الكفر ودوامهم
عليه باولئك المتقدمين وآخر الآية يقتضي الوعيد بان يصيب هؤلاء ما اصاب اولئك والكاف
في قوله كدأب في موضع رفع التقدير دأبهم والضمير في قبلهم عائد على آل فرعون ويحتمل على معاصري
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار وقوله كذبوا باياتنا يحتمل ان يريد المتلوة ويحتمل ان يريد
العلامات المنصوبة قوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون الآية اختلف في تعيين هؤلاء الذين امر صلى
الله عليه وسلم بالقول لهم فقيل هم جميع معاصريه امر ان يقول لهم هذا الذي فيه اعلام بالغيب
ووقع بحمد الله كذلك فغلبوا وصار من مات منهم على الكفر الى جهنم وتظاهرت روايات عن ابن عباس وغيره بان
المراد يهود المدينة لما قدم صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر جمعهم وقال يا معشر يهود اسلموا من قبل
ان يصيبكم مثل ما اصاب قريشا فقالوا يا محمد لا تغرنك نفسك ان قتلت نفرا من قريش كانوا اغمارا
لا يعرفون القتال انك لو قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس فانزل الله فيهم هذه الآية والحشر الجمع والضم
وقوله تعالى وبئس المهاد يعني جهنم هذا ظاهر الآية وقال مجاهد المعنى بئس ما مهدوا لانفسهم قال ع فكان
المعنى وبئس فعلهم الذي اداهم الى جهنم وقوله تعالى قد كان لكم آية في فئتين الآية يحتمل ان يخاطب بها

المؤمنون

المؤمنون تثبيتا لنفوسهم وتشجيعا لها وان يخاطب بها جميع الكفار وان يخاطب بها يهود المدينة
وبكل احتمال منها قد قال قوم وقرئ شاذا ترونهم بضم التاء فكان معناها اعتقاد التضعيف في جمع الكفار
انما كان تخمينا وظنا لا تقولها فيما قد صح نظر فيه ونحى هذا المنحى ابو الفتح وهو صحيح والمراد
بالفئتين جماعة المؤمنين وجماعة الكفار ببدر قال ع ولا خلاف ان الاشارة بهاتين الفئتين هي
الى يوم بدر ويؤيد معناه يقوي من الايد وهو القوة قوله تعالى زين للناس حب الشهوات الآية ابتداء
وعظ لجميع الناس وفي ضمن ذلك توبيخ والشهوات ذميمة واتباعها مرد وطاعتها مهلكة وقد
قال صلى الله عليه وسلم حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره فحسبك ان النار حفت بها فمن واقعها
خلص الى النار وقد جاءت احاديث كثيرة في التزهيد في الدنيا ذكرنا من صحيحها وحسنها في هذا المختصر
جملة صالحة لا توجد في غيره من التفاسير كما هي بحمد الله حاصلة فيه وكيف لا يكون هذا المختصر فائقا
في الحسن واحاديثه بحمد الله مختارة اكثرها من اصول الاسلام الستة البخاري ومسلم وابي داود
والترمذي والنسائي وابن ماجة فهذه اصول الاسلام ثم من غيرها كصحيح ابن حبان وصحيح الحاكم اعني
المستدرك على الصحيحين وابي عوانة وابن خزيمة والدارمي والموطأ وغيرها من المسانيد المشهورة بين
ائمة الحديث حسبما هو معلوم في علم الحديث ومقصدي من هذا نصح من اطلع على هذا الكتاب ان يعلم قدر
ما انعم الله به عليه فان التحدث بالنعم شكر ولنرجع الى ما قصدناه من نقل الاحاديث روى الترمذي عن
عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اردت اللحوق بي فليكفك
من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة الاغنياء ولا تستخلقي ثوبا حتى ترقعيه حديث غريب وقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان البذاذة من الايمان خرجه ابو داود ونقله البغوي في مصابيحه والبذاذة هي
رث الهيئة انتهى والقناطير جمع قنطار وهي العقدة الكبيرة من المال واختلف الناس في تحرير حده
واصح الاقوال ما رواه ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القنطار الف ومائتا اوقية
لكن القنطار على هذا يختلف باختلاف البلاد في قدر الاوقية وقوله المقنطرة قال الطبري معناه المضعفة
وقال الربيع المال الكثير بعضه على بعض والمقنطرة مفعللة او مفتعلة من القنطار ومعناه المجتمعة م
ابو البقاء ومن الذهب في موضع الحال من المقنطرة انتهى وقوله المسومة قال مجاهد المطهمة الحسان
وقال ابن عباس وغيره الراعية وقيل المعدة والانعام الاصناف الاربعة الابل والبقر والضأن
والمعز ص والانعام واحدها نعم والنعم الابل فقط واذا جمع انطلق على الابل والبقر والغنم انتهى
والحرث هنا اسم لكل ما يحرث من حب وغيره والمتاع ما يستمتع به وينتفع مدة ما منحصرة
والمآب المرجع فمعنى الآية تقليل امر الدنيا وتحقيرها والترغيب في حسن المرجع الى الله تعالى قوله تعالى قل
اؤنبئكم بخير من ذلكم الآية في هذه الآية تسلية عن الدنيا وتقوية لنفوس تاركيها ذكر تعالى
حال الدنيا وكيف استقر تزيين شهواتها ثم جاء بالانباء بخير من ذلك هازا للنفوس وجامعا لها
لتسمع هذا النبأ المستغرب النافع لمن عقل وانبئ معناه اخبر وقوله تعالى ورضوان من الله الرضوان
مصدر من رضي وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة اذا استقروا فيها
وحصل لكل واحد منهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال الله تعالى لهم اتريدون
ان اعطيكم ما هو افضل من هذا فقالوا يا ربنا واي شيء افضل من هذا فيقول الله سبحانه احل عليكم
رضواني فلا اسخط عليكم ابدا هذا سياق الحديث وقد يجيء بخلاف الالفاظ والمعنى قريب بعضه من بعض

فعليك بتحصيله تطلع فيه على جواهر نفيسة
لا توجد مجموعة في غيره من التفاسير
م

قال الفخر وذلك ان معرفة اهل الجنة مع هذا النعيم المقيم بانه تعالى راض عنهم مثن عليهم ازيد عليهم في ايجاب السرور انتهى وباقي الاية بين وقد تقدم في سورة البقرة بيانه وقوله تعالى الذين يقولون ربنا اننا آمنا
فاغفر لنا ذنوبنا الاية الذين بدل من الذين اتقوا وفسر سبحانه في هذه الاية احوال المتقين الموعودين بالجنات والصبر في هذه الاية معناه على الطاعات وعن المعاصي والشهوات والصدق معناه في الاقوال والافعال والقنوت الطاعة والدعاء ايضا وبكل ذلك يتصف المتقي والانفاق معناه في سبيل الله ومظان الاجر والاستغفار طلب المغفرة من الله سبحانه وخص تعالى السحر لما فيه من الفضل حسبما ورد فيه من صحيح الاحاديث كحديث النزول هل من داع فاستجيب له هل من مستغفر فاغفر له الى غير ذلك مما ورد فيه من صحيح الاحاديث في فضله ت تنبيه قال القرطبي في تذكرته وقد جاء حديث النزول مفسرا مبينا فيما اخرجه النسائي عن ابي هريرة وابي سعيد قالا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الاول ثم يامر مناديا يقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى صححه ابو محمد عبد الحق انتهى وخرج ابو بكر بن الخطيب بسنده عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان نزول الله تعالى الى الشيء اقباله عليه من غير نزول انتهى والسحر آخر الليل قال نافع كان ابن عمر يحيي الليل صلاة ثم يقول يا نافع اسحرنا فيقول لا فيعاود الصلاة ثم يسال فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله قال ع وحقيقة السحر في هذه الاحكام الشرعية من الاستغفار المحمود وسحور الصيام ومن يمين لو وقعت انما هي من ثلث الليل الاخير الى الفجر قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو الاية معنى شهد الله اعلم عباده بهذا الامر الحق وقال ص شهد بمعنى علم او قضى او حكم او بين وهي اقوال انتهى واسند ابو عمر بن عبد البر في كتاب فضل العلم عن غالب القطان قال كنت اختلف الى الاعمش قرايته ليلة فام يتهجد من الليل وقرا بهذه الاية شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام قال الاعمش وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة فقلت للاعمش اني سمعتك تقرا هذه الاية ترددها فما بلغك فيها فاحدثني ابو وائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله سبحانه عبدي عهد الي وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة انتهى وقرا جميع القراء انه بفتح الهمزة وبكسرها من قوله ان الدين استئنافا على الكلام وقرا الكسائي وحده ان الدين بفتح الهمزة بدلا من انه الاولى والملائكة واولوا العلم عطف على اسم الله قال الفخر المراد باولي العلم هنا الذين عرفوا الله بالادلة القطعية لان الشهادة انما تكون مقبولة اذا كان الاخبار مقرونا بالعلم وهذا يدل ان هذه الدرجة الشريفة ليست الا للعلماء بالاصول وتكررت لا اله الا هو هنا وفايدة التكرير الاعلام بان المسلم يجب ان يكون ابدا في تكرير هذه الكلمة فان اشرف كلمة يذكرها الانسان هي هذه الكلمة واذا كان في اكثر الاوقات مشتغلا بذكرها كان مشتغلا باعظم انواع العبادات فكان التكرير في هذه الاية حثا للعباد على تكريرها انتهى وصح في البخاري عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اسعد الناس بشفاعتي يوم القيمة من قال لا اله الا الله خالصا من قبل نفسه وروى زيد ابن ارقم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل يا رسول الله وما اخلاصها قال ان تحجزه عن محارم الله خرجه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول انتهى من التذكرة وقائما حال من اسمه تعالى في قوله شهد الله او من قوله الا هو والقسط العدل وقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام الاية الدين في هذه الاية الطاعة والملة والمعنى ان الدين المقبول والنافع هو الاسلام والاسلام في هذه الاية هو الايمان والطاعات قاله ابو العالية وعليه جمهور المتكلمين وحديث بني الاسلام على خمس وحديث مجيء جبريل يعلم الناس دينهم يفسر ذلك ثم اخبر تعالى عن اختلاف اهل الكتاب بعد علمهم بالحقائق وانه كان بغيا وطلبا للدنيا قاله ابن عمر وغيره والذين اوتوا الكتاب لفظ يعم اليهود والنصارى لكن الربيع ابن انس قال المراد بهذه الاية اليهود اختلفوا بعد موت موسى وبعد مضي ثلاثة قرون

وقيل الاية توبيخ لنصارى نجران وسرعة الحساب يحتمل ان يراد بها مجيء القيمة والحساب اذ كل آت قريب ويحتمل ان يراد بسرعة الحساب ان الله تعالى باحاطته بكل شيء علما لا يحتاج الى عد ولا فكرة قاله مجاهد قوله تعالى فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعني الاية الضمير في حاجوك لليهود ولنصارى نجران والمعنى ان جادلوك وتعنتوا بالاقاويل المزورة والمغالطات فاسند الى ما كلفت من الايمان والتبليغ وعلى الله نصرك وقوله وجهي يحتمل ان يراد به المقصد اي جعلت مقصدي ويحتمل ان يراد به الذات اي اسلمت شخصي وذاتي لله واسلمت في هذا الموضع بمعنى دفعت وامضيت وليست بمعنى دخلت في السلم لان تلك لا تتعدى ومن اتبعني في موضع رفع عطفا على الضمير في اسلمت والذين اوتوا الكتاب في هذا الموضع يجمع اليهود والنصارى باتفاق والاميون الذين لا يكتبون وهم العرب في هذه الاية قوله ااسلمتم تقرير في ضمنه الامر وقال الزجاج اسلموا تهديد وهو حسن والبلاغ مصدر بلغ بتخفيف عين الفعل وفي قوله تعالى والله بصير بالعباد وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وقوله تعالى ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون الاية هذه الاية نزلت في اليهود والنصارى وتعم كل من كان بهذه الحال وفيها توبيخ للمعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابو عبيدة بن الجراح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل قتلوا ثلاثة واربعين نبيا واجتمع من عبادهم واحبارهم مائة وعشرون ليغيروا المنكر وينكروا فقتلوا اجمعين في كل ذلك يوم واحد وذلك معنى قوله تعالى ويقتلون الذين يامرون بالقسط وحبطت معناه بطلت وقوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله قال ابن عباس نزلت هذه بسبب ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدارس على جماعة من يهود فدعاهم الى الله تعالى فقال له نعيم بن عمرو والحارث ابن زيد على اي دين انت يا محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم فقالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم فهلموا الى التورية فهي بيننا وبينكم فابيا عليه ونزلت الاية قال ع فالكتاب في الاول وقوله تعالى ذلك بانهم قالوا الاشارة فيه الى التولي والاعراض انما هو تولوا واعرضوا لاغترارهم باقوالهم وافترائهم ثم قال تعالى خطابا لنبيه صلى الله عليه وسلم وامته على جهة التوقيف والتعجب فكيف حال هؤلاء المغترين بالاباطيل اذ حشروا يوم القيمة واضمحلت تلك الزخارف والدعاوي وجوزوا بما اكتسبوه من كفرهم واعمالهم القبيحة قال ع والصحيح في يوم القيمة انه يوم قبله ليلة وفيه شمس وقال النقاش المراد باليوم الوقت قوله تعالى قل اللهم مالك الملك الاية هو سبحانه وتعالى مالك الملك كله مطلقا في جميع انواعه واشرف ملك يؤتيه عباده سعادة الاخرة روي ان الاية نزلت بسبب ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر امته بفتح ملك فارس وغيره فقالت اليهود والمنافقون هيهات وكذبوا بذلك ومذهب البصريين ان الاصل في اللهم يا الله فعوض من ياء النداء ميما مشددة ومالك نصب على النداء وخص تعالى الخير بالذكر وهو تعالى بيده كل شيء اذ الاية في معنى دعاء ورغبة فكان المعنى بيدك الخير فاجزل حظي منه قال النووي وروينا في كتاب الترمذي وغيره عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له الف الف حسنة ومحى عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة ورواه الحاكم ابو عبد الله في المستدرك على الصحيحين من طرق كثيرة وزاد فيه في بعض طرقه وبنى له بيتا في الجنة قال الحاكم وفي الباب عن جابر وابي هريرة وانس وبريدة الاسلمي انتهى من الحلية وقال ابن عباس وغيره في معنى قوله تعالى تولج الليل في النهار الاية انه ما ينتقص من الليل فيزيد في النهار وكذا بالعكس في فصل من السنة وتحتمل الفاظ

قوله من الكتاب اسم جنس والكتاب في قوله الى كتاب الله هو التورية وقال قتادة وابن جريج هو القران ورجح الطبري م

في المستدرك على الصحيحين من طرق كثيرة وزاد فيه في بعض طرقه وبنى له بيتا في الجنة قال الحاكم وفي الباب عن م

الاية ان يدخل فيها تعاقب الليل والنهار كان زوال احدهما ولوج في الاخر والخلف في معنى قوله
تعالى يخرج الحي من الميت الاية فقال الحسن معناه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وروي
نحوه عن سلمان الفارسي وروى الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع نغمة خالدة بنت الاسود بن
عبد يغوث فقال من هذه فاخبر بها فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الذي يخرج الحي من الميت
وكانت امراة صالحة وكان ابوها كافرا والمراد على هذا موت قلب الكافر وحياة قلب المؤمن وذهب جمهور
كثير الى ان الحياة والموت في الاية حقيقة لا انها استعارة ثم اختلفوا في المثل التي فسروها بها فقال ابن مسعود
هي النطفة تخرج من الرجل وهي ميتة وهو حي ويخرج الرجل منها وهي ميتة وقال عكرمة هو اخراج
الدجاجة وهي حية وروى السدي عن ابي مالك قال هي الحبة تخرج من الحبة ٧ وكذلك النواة قوله

من السنبلة والسنبلة تخرج م

من البيضة وهي ميتة واخراج البيضة وهي ميتة من الدجاجة وهي حية و م

تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء الاية هذا النهي عن الاتخاذ انما هو عن اظهار اللطف للكفار
والميل اليهم فاما ان يتخذوا بالقلب فلا يفعل ذلك مؤمن ولفظ الاية عام في جميع الاعصار والخلف
في سبب نزولها فقال ابن عباس في كعب بن الاشرف وغيره قد بطنوا بنفر من الانصار ليفتنوهم
عن دينهم فنزلت في ذلك الاية وقال قوم نزلت في قصة حاطب بن ابي بلتعة وكتابه الى اهل مكة والاية
عامة في جميع هذا وقوله تعالى فليس من الله في شيء معناه في شيء مرضي كقوله صلى الله عليه وسلم من
غشنا فليس منا ثم اباح الله سبحانه اظهار اتخاذهم بشرط الاتقاء فاما ابطانه فلا يصح ان
يتصف به مؤمن في حال وقوله تعالى ويحذركم الله الى اخر الاية وعيد وتنبيه ووعظ وتذكير
بالاخرة وقوله نفسه نائبة عن اياه وهذه مخاطبة على معهود ما يفهمه البشر والنفس في مثل
هذا راجع الى الذات وفي الكلام حذف مضاف لان التحذير انما هو من عقاب او تنكيل ونحوه قال ابن عباس
والحسن ويحذركم الله عقابه وقوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم الاية الضمير في ان تخفوا
هو للمؤمنين الذين نهوا عن الكافرين والمعنى انكم ان ابطنتم الحرص على اظهار موالاتهم فان
الله يعلم ذلك ويكرهه منكم وقوله سبحانه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا قال ابن هشام
في المغني يوم نصب بمحذوف تقديره اذكروا واحذروا ولا يصح ان يكون ظرفا ليحذركم
كما زعم بعضهم لان التحذير في الدنيا وقع لا في الاخرة انتهى وقوله تعالى وما عملت من سوء يحتمل ان
تكون ما معطوفة على ما الاولى فهي في موضع نصب وتكون تود في موضع الحال والى هذا ذهب
الطبري وغيره ويحتمل ان تكون ما رفع بالابتداء والخبر في قوله تود وما بعده والامد الغاية
المحدودة من المكان او الزمان وقوله جلت قدرته والله رؤوف بالعباد يحتمل ان يكون اشارة
الى ان تحذيره رافة منه سبحانه بعباده ويحتمل ان يكون ابتداء اعلام بهذه الصفة
فمقتضى ذلك التانيس لئلا يفرط الوعيد على نفس مؤمن فسبحانه ما ارحمه بعباده وعن
منصور بن عمار انه قال اعقل الناس محسن خائف واجهل الناس مسيء امن فلما سمع عبد الملك بن مروان
منه هذا الكلام بكى حتى بل ثيابه ثم قال له اتل علي يا منصور شيئا من كتاب الله فتلا عليه يوم
تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية فقال عبد الملك قتلتني يا منصور ثم غشي عليه
انتهى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية قال الشيخ العارف بالله ابن ابي جمرة رضي
الله عنه من علامة السعادة للشخص ان يكون معتنيا بمعرفة السنة في جميع تصرفاته
والذي يكون كذلك هو دائم في عبادة في كل حركاته وسكناته وهذا طريق اهل الفضل

حتى حكي عن بعضهم انه لم ياكل البطيخ سنين لما لم يبلغه كيفية السنة في اكله وكيفه والله سبحانه يقول
ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله والاتباعية الكاملة انما تصح بان تكون عامة في
كل الاشياء يعني الا ما خصصه به الدليل جعلنا الله من اهلها في الدارين انتهى قال ع قال الحسن
ابن ابي الحسن وابن جريج ان قوما على عهد النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد انا نحب ربنا
فنزلت هذه الاية وقيل امر صلى الله عليه وسلم ان يقول هذا القول لنصارى نجران قال ع ويحتمل
ان تكون الاية عامة لاهل الكتاب اليهود والنصارى لانهم كانوا يدعون انهم يحبون الله ويحبهم الله
عياض ان من احب شيئا اثره واثر موافقته والا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في
حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه واولها الاقتداء به واتباع سنته واتباع
اقواله وافعاله والتادب بادابه في عسره ويسره قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية
قال عياض ومما روي في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من استمسك بحديثي وفهمه وحفظه
جاء مع القران ومن تهاون بالقران وحديثي خسر الدنيا والاخرة الحديث وعن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم المتمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة شهيد وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل
والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان
مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الا حط الله عنه
خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها الحديث قال عياض ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم الزهد
مدعيها في الدنيا وايثار الفقر واتصافه به ففي حديث ابي سعيد ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع
من السيل من اعلى الوادي او الجبل الى اسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم
يا رسول الله اني احبك فقال انظر ما تقول فقال والله اني لاحبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبني فاعد
للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه انتهى من الشفا قال ع والمحبة ارادة يقترن بها اقبال
من النفس وميل بالمعتقد وقد تكون الارادة المجردة فيما يكره المريد والله تعالى يريد وقوع الكفر ولا
يحبه ومحبة العبد لله تعالى يلزم عنها ولا بد ان يطيعه ومحبة الله تعالى امارتها للمتامل ان يرى
العبد مهديا مسددا ذا قبول في الارض فلطف الله تعالى بالعبد ورحمته اياه هي ثمرة محبته وبهذا
النظر يفسر لفظ المحبة حيث وقعت من كتاب الله عز وجل قوله تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا الاية
لما مضى صدر من محاجة نصارى نجران والرد عليهم وبيان فساد ما هم عليه جاءت هذه الايات معلمة
الامر الذي قد ضلوا فيه ومنبئة عن حقيقته كيف كانت فبدا تعالى بذكر فضل ادم ومن ذكر بعده ثم
خص امراة عمران بالذكر لان القصد وصف قصة القوم الى ان يبين امر عيسى عليه السلام وكيف كان و
نوح مع محبته وتعريفه لخفة الاسم كهود ولوط قال الفخر هنا اعلم ان المخلوق على قسمين مكلف
وغير مكلف واتفقوا على ان المكلف افضل من غير المكلف واتفقوا على ان المكلفين الملائكة والانس
والجن والشياطين قلت تامل جعل الشيطان قسيما للجن انتهى والال في اللغة الاهل والقرابة ويقال للاتباع
واهل الطاعة ال والال في الاية يحتمل الوجهين فان اريد بالال القرابة فالتقدير ان الله اصطفى هؤلاء
على عالمي زمانهم او على العالمين جميعا بان يقدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من ال ابراهيم وان
اريد بالال الاتباع فيستقيم دخول امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الال لانها على ملة ابراهيم
وقوله تعالى ذرية بعضها من بعض اي متشابهين في الدين والحال وعمران هو رجل من بني اسرائيل

فقشعر جلده من خشية ربه فيعيذه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله م

اصناف م

و امرأة عمران اسمها حنة و معنى نذرت جعلت لك ما في بطني محررا اي حبسا على خدمة بيتك محررا
من كل خدمة وشغل من اشغال الدنيا والبيت الذي نذرته له هو بيت المقدس فتقبل مني اي فاقبل
عني في ذلك واجعله فعلا مقبولا مجازى به و السميع اشارة الى دعائها و العليم اشارة الى نيتها
و قوله تعالى فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت الوضع الولادة و قولها رب
اني وضعتها انثى لفظ خبر في ضمنه التحسر والتلهف و بين الله ذلك بقوله والله اعلم بما وضعت و قولها
وليس الذكر كالانثى تريد في امتناع نذرها اذ الانثى تحيض ولا تصلح لصحبة الرهبان قاله قتادة وغيرهم
وبدأت بذكر الاهم في نفسها ولا فيما قصدته يقتضي ان يكون وليس الانثى كالذكر و في قولها واني سميتها مريم
سنة تسمية الاطفال قبل الولادة ونحوه قول النبي صلى الله عليه وسلم ولد لي الليلة مولود فسميته
باسم ابي ابراهيم وباقي الاية اعاذة قال النووي وروينا في سنن ابي داود باسناد جيد عن ابي الدرداء
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انكم تدعون يوم القيمة باسمائكم واسماء ابائكم فحسنوا اسماءكم
و في صحيح مسلم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احب اسمائكم الى الله عز وجل عبد الله
وعبد الرحمن وفي سنن ابي داود والنسائي وغيرهما عن وهب الجشمي قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم تسموا باسماء الانبياء واحب الاسماء الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن واصدقها حارث
وهمام واقبحها حرب ومرة انتهى و في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية ابي هريرة قال
كل مولود من بني ادم له طعنة من الشيطان وبها يستهل الصبي الا ما كان من مريم ابنة عمران
وابنها فان امها قالت حين وضعتها واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فضرب بينهما
حجاب فطعن الشيطان في الحجاب وقد اختلفت الفاظ هذا الحديث والمعنى واحد كما ذكرته قال النووي
باب ما يقال عند الولادة روينا في كتاب ابن السني عن فاطمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم لما دنى ولادتها امر ام سلمة وزينب بنت جحش ان تأتيا ها فتقرا عندها
اية الكرسي وان ربكم الله الى اخر الاية وتعوذانها بالمعوذتين انتهى و قوله تعالى فتقبلها
ربها بقبول حسن اخبار منه سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلم بانه رضي مريم لخدمة المسجد كما نذرت
امها وسني لها الامل في ذلك و قوله سبحانه وانبتها نباتا حسنا عبارة عن حسن النشأة في خلقه
وخلقه ص بقبول مصدر على غير الصدر انتهى و قوله سبحانه وكفلها زكريا معناه ضمها الى انفاقه
وحضنه والكافل هو المربي قال السدي وغيره ان زكريا كان زوج اختها ويعضد هذا القول
قوله صلى الله عليه وسلم في يحيى وعيسى ابنا الخالة والذي عليه الناس ان زكريا انما كفلها بالاستهام
لتشاحهم ح فيمن يكفل المحرر و قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا المحراب
المبنى الحسن ومحراب القصر اشرف ما فيه ولذلك قيل لاشرف ما في المصلى وهو موقف الامام محراب
معنى رزقا اي طعاما ما يتغذى به لم يعهده ولا عرف كيف جلب اليها قال مجاهد وغيره كان يجد
عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ونحوه عن ابن عباس الا انه قال
ثمار الجنة و قوله انى معناه كيف ومن اين و قولها من عند الله دليل على انه ليس من جلب بشر قاله
الزجاج وهذا من الاية التي قال الله تعالى وجعلناها وابنها اية للعالمين و قولها ان الله يرزق
من يشاء بغير حساب تقرير لكون ذلك الرزق من عند الله وذهب الطبري الى ان ذلك ليس من قول
مريم وانه خبر من الله تعالى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والله سبحانه لا تنقص خزائنه فليس يحسب

ما خرج منها وقد يعبر بهذه العبارة عن المكثرين من الناس انهم ينفقون بغير حساب وذلك
مجاز وتشبيه والحقيقة هو ما ينفق من خزائن الله سبحانه قال الشيخ ابن ابي جمرة رضي الله عنه
وقد قال العلماء في معنى قوله عز وجل ان الله يرزق من يشاء بغير حساب انه الفتوح اذا كان على وجه
ذكر هذا عند شرحه لقوله صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى ذراع او كراع لاجبت و قوله تعالى هنالك
دعا زكريا ربه الاية هنالك في كلام العرب اشارة الى مكان او زمان فيه بعد و معنى هذه الاية ان في
الوقت الذي رأى زكريا رزق الله لمريم ومكانتها من الله وفكر في انها جاءت امها بعد ان اسنت وان الله تقبلها
وجعلها من الصالحات تحرك امله لطلب الولد وقوي رجاؤه وذلك منه على حال سن ووهن عظم واشتعال
شيب فدعا ربه ان يهب له ذرية طيبة يرثه و الذرية اسم جنس يقع على واحد فصاعدا كما الولي اسم جنس
كذلك و طيبة معناه سليمة في الخلق والدين تقية ثم قال تعالى فنادته الملائكة وترك المحذوف كثير دل عليه
ما ذكر تقديره فقبل الله دعاءه وبعث الملك او الملائكة فنادته وجمهور المفسرين ان المنادي انما هو جبريل
وقال قوم بل نادته ملائكة كثيرة حسب ما يقتضيه الفاظ الاية قلت وهذا هو الظاهر ولا يعدل عنه الا
ان يصح في ذلك حديث عنه صلى الله عليه وسلم فيتبع و قوله تعالى فنادته عبارة تستعمل في التبشير وفيما ينبغي
ان يسرع به وينهى الى نفس السامع ليسر به فلم يكن هذا من الملائكة اخبارا على عرف الوحي بل نداء كما نادى الرجل
الانصاري كعب بن مالك من اعلى الجبل و قوله تعالى وهو قائم يصلي في المحراب يعني بالمحراب في هذا الموضع موقف الامام
من المسجد و يحيى اسم سماه الله به قبل ان يولد و مصدقا نصب على الحال قال ابن عباس وغيره الكلمة يراد بها عيسى
ابن مريم قال ع وسمى الله تعالى عيسى كلمة اذ صدر عن كلمة منه تعالى وهي كن لا بسبب انسان و قوله تعالى
وسيدا قال قتادة اي والله سيد في الحلم والعبادة والورع قال ع من فسر السودد بالحلم فقد احرز اكثر معنى
السودد ومن جرد تفسيره بالعلم والتقى ونحوه فلم يفسره بحسب كلام العرب وقد تحصل العلم ليحيى عليه السلام
بقوله مصدقا بكلمة من الله وتحصل التقى بباقي الاية و خصه الله بذكر السودد الذي هو الاعتمال في رضى
الناس على اشرف الوجوه دون ان يوقع في باطل هذا لفظ يعم السودد وتفصيله ان يقال بذل الندى وهذا
هو الكرم وكف الاذى وهنا هي العفة بالفرج واليد واللسان واحتمال العظائم وهنا هو الحلم وغيره من
تحمل الغرامات والانقاذ من الهلكات وجبر الكسير والافضال على المسترفد وانظر قول النبي صلى الله عليه وسلم انا
سيد ولد آدم ولا فخر وذكر حديث الشفاعة في اطلاق الموقف وذلك منه اعتمال في رضى ولد ادم ثم قال
ع اما انه يحسن بالتقي العالم ان يأخذ من السودد بكل ما لا يخل بعلمه وتقاه وهكذا كان يحيى عليه السلام
و قوله تعالى وحصورا اصل هذه اللفظة الحبس والمنع ومنه حصر العدو قال ع واجمع من يعتد بقوله من
المفسرين على ان هذه الصفة ليحيى عليه السلام انما هي الامتناع من وطء النساء الا ما حكى مكي من قول من قال
انه الحصور عن الذنوب وذهب بعض العلماء الى ان حصره كان بانه كان يمسك نفسه تقى وجلدا في طاعة الله
سبحانه وكانت به القدرة على جماع النساء قالوا وهذا مدح له قال الامام الفخر وهذا القول هو اختيار
المحققين انه لا ياتي النساء لا للعجز بل للعفة والزهد ت قال عياض اعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى عليه السلام
بانه حصور ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه
نقيصة وعيب ولا يليق بالانبياء عليهم السلام وانما معناه معصوم من الذنوب اي لا يأتيها كانه حصر عنها وقيل
مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء كفاية من الله له لكونها مشغلة في كثير من
الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من قدر عليها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة

عليا وهي درجة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اي وساير النبيين انتهى من الشفا وباقي الاية بين
وروي من صلاحه عليه السلام انه كان يعيش من العشب وانه كان كثير البكاء من خشية الله حتى اتخذ
الدمع في وجهه اخدودا ص ومن الصالحين اي من اصلاب الانبياء او صالحا من الصالحين فيكون صفة لموصوف
محذوف انتهى ت والثاني احسن والاول تحصيل الحاصل فتامله وقوله تعالى قال رب انى يكون لي غلام وقد
بلغني الكبر الاية وذهب الطبري وغيره الى ان زكريا لما راى حال نفسه وحال امراته وانها ليست بحال نسل سال
عن الوجه الذي يكون به الغلام ابتبدل المراة خلقتها ام كيف يكون قال ع وهذا تاويل حسن لائق
بزكريا عليه السلام وانى معناه كيف ومن اين حسن في الاية بلغني الكبر من حيث هي عبارة واقع
منفعل وقوله كذلك اي كهذه القدرة المستغربة قدرة الله ويحتمل ان تكون الاشارة بذلك
الى حال زكريا وحال امراته كانه قال رب على اي وجه يكون لنا غلام ونحن بحال كذا فقال
له كما انتما يكون لكما الغلام والكلام تام على هذا التاويل في قوله كذلك وقوله الله يفعل ما يشا
جملة مبينة مقررة في النفس وقوع هذا الامر المستغرب وقوله قال رب اجعل لي اية اي
علامة قالت فرقة من المفسرين لم يقل هذا زكريا على جهة الشك وانما سال علامة على وقت
الحمل وقوله تعالى اياتك الا تكلم الناس الاية قال الطبري وغيره لم يكن منعه الكلام لافة ولكنه منع محاورة
الناس وكان يقدر على ذكر الله ثم استثنى الرمز وهو استثناء منقطع والكلام المراد في الاية انما هو
النطق باللسان لا الاعلام بما في النفس والرمز في اللغة حركة تعلم بما في نفس الرامز كالحركة من عين او حاجب
او شفة او يد او عود او غير ذلك وقد قيل للكلام المحرف عن ظاهره رموز وامره تعالى بالذكر لربه كثيرا
لانه لم يحل بينه وبين ذكر الله وهذا قاض بانه لم تدركه افة ولا علة في لسانه قال محمد بن كعب القرظي
لو كان الله رخص لاحد في ترك الذكر لرخص لزكريا عليه السلام حيث قال ايتك ان لا تكلم الناس ثلاثة
ايام الا رمزا لكنه قال له واذكر ربك كثيرا قال الامام الفخر وفي الاية تاويلان احدهما ان الله تعالى حبس له
لسانه عن امور الدنيا واقدره على الذكر والتسبيح والتهليل ليكون في تلك المدة مشتغلا بذكر الله وطاعته
شكرا لله على هذه النعمة ثم اعلم ان هذه الواقعة كانت مشتملة على المعجز من وجوه احدها ان قدرته على
التسبيح والذكر وعجزه عن التكلم بامور الدنيا من المعجزات وثانيها ان حصول ذلك العجز مع صحة البنية
من المعجزات وثالثها ان اخباره بانه متى حصلت تلك الحالة فقد حصل الولد ثم ان الامر خرج على وفق
هذا الخبر يكون ايضا من المعجزات والتاويل الثاني ان المراد منه الذكر بالقلب وذلك ان المستغرقين
في بحار معرفة الله تعالى عادتهم في اول الامر ان يواظبوا على الذكر اللساني مدة فاذا امتلا القلب من نور
ذكر الله تعالى سكتوا باللسان واستحضروا وبقي الذكر في القلب ولذلك قالوا من عرف الله كل لسانه
وكان زكريا عليه السلام امر بالسكوت باللسان واستحضار معاني الذكر والمعرفة واستدامتها بالقلب
انتهى وقوله تعالى وسبح معناه قل سبحان الله وقال قوم معناه صل والاول اصوب لانه يناسب الذكر
ويستغرب مع امتناع الكلام مع الناس والعشي في اللغة من زوال الشمس الى مغيبها والابكار مصدر ابكر
الرجل اذا بادر امره من لدن طلوع الفجر الى طلوع الشمس وتمادى البكرة شيا بعد طلوع الشمس
يقال ابكر الرجل وبكر وقوله واذ قالت الملائكة العامل في اذ اذكر لان هذه الايات كلها
انما هي اخبار بغيب تدل على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مقصد ذكرها هو الاقرب في
حفظ روني الكلام واصطفاك معناه تخيرك لطاعته وطهرك معناه من كل ما يصم النساء

خلق او خلق او دين قاله مجاهد وغيره وقول الزجاج قد جاء في التفسير ان معناه طهرك من الحيض والنفاس
يحتاج الى سند قوي وما احفظه والعالمين يحتمل عالم زمانها قال ع وسايغ ان يتاول عموم
الاصطفاء على العالمين وقد قال بعض الناس ان مريم نبية من اجل مخاطبة الملائكة لها وجمهور
الناس على انه لم تتنبا امراة واقنتي معناه اعبدي واطيعي قاله الحسن وغيره ويحتمل ان يكون
معناه اطيلي القيام في الصلاة وهذا هو قول الجمهور وهو المناسب في المعنى لقوله واسجدي وروى
مجاهد انها لما خوطبت بهذا قامت حتى ورمت قدماها وروى الاوزاعي حتى سال الدم
والقيح من قدميها وروي ان الطير كانت تنزل على راسها تظنها جمادا واختلف الناس لم قدم السجود
على الركوع فقال قوم كان ذلك في شرعهم والقول عندي في ذلك ان مريم امرت بفصلين ومعلمين من
معالم الصلاة وهما طول القيام والسجود وخصا بالذكر لشرفهما وهذان يختصان بصلاتها
مفردة لمن يصلي وراء امام فليس يقال له اطل قيامك ثم امرت بعد بالصلاة في الجماعة فقيل لها
واركعي مع الراكعين وقصد هنا معلما اخر من معالم الصلاة لئلا يتكرر اللفظ ولم يرد في الاية الركوع
والسجود الذي هو منتظم في ركعة واحدة والله اعلم وقال ص قوله واركعي لو او لا ترتب فلا يسال
لم قدم السجود الا من جهة علم البيان وجوابه انه قدم لانه اقرب ما يكون العبد فيه من ربه وقيل كان
مقدما في شرعهم انتهى وقوله تعالى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك لان هذه المخاطبة لنبينا
محمد صلى الله عليه وسلم والاشارة بذلك الى ما تقدم ذكره من القصص والانباء الاخبار والغيب ما غاب
عن مدارك الانسان ونوحيه معناه نلقيه في نفسك في خفاء وحد الوحي القاء المعنى في النفس في خفاء
فمنه بالملك ومنه بالالهام ومنه بالاشارة ومنه بالكتاب وفي هذه الاية بيان لنبوة نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم اذ جاءهم بغيوب لا يعلمها الا من شاهدها وهو لم يكن لديهم او من قراها في كتبهم وهو
صلى الله عليه وسلم انما من قوم اميين او من اعلمه الله بها وهو ذاك صلى الله عليه وسلم ولديهم معناه
عندهم ومعهم وقوله اذ يلقون اقلامهم لا نعلم جمهور العلماء على انه استهام لاخذها والمنافسة فيها
فروي انهم القوا اقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة في النهر فروي ان قلم زكريا صعد الجرية ومضت
اقلام الاخرين وقيل غير هذا قلت ولفظ ابن العربي في الاحكام قال النبي صلى الله عليه وسلم فجرت
الاقلام وعلا قلم زكريا انتهى واذ انبت الحديث فلا نظر لاحد معه ويختصمون معناه يتراجعون
القول الجهير في امرها وفي هذه الاية استعمال القرعة والقرعة سنة وكان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا سافر اقرع بين نسائه وقال صلى الله عليه وسلم لو يعلمون ما في الصف الاول لاستهموا عليه واختلف
ايضا هل الملايكة هنا عبارة عن جبريل وحده او عن جماعة من الملايكة ووجيها نصب على
الحال وهو من الوجه اي له وجهه ومنزلة عند الله قال البخاري وجيها شريفا انتهى ومن المقربين
معناه من الله تعالى وكلامه في المهد اية دالة على براءة امه واخبر تعالى عنه ايضا بكلم الناس كهلا وفايدة ذلك
انه اخبار لها بحياته الى سن الكهولة قال الجمهور الكهل الذي بلغ سن الكهولة وقال مجاهد الكهل
الحليم قال ع وهذا تفسير الكهولة بعرض مصاحب لها في الاغلب واختلف الناس في حد الكهولة فقال الكهل
ابن اربعين وقيل ابن خمسة وثلاثين وقيل ابن ثلاثة وثلاثين وقيل ابن اثنين وثلاثين هذا حده واولها
واما اخرها فاثنان وخمسون ثم يدخل سن الشيخوخة وقول مريم انى يكون لي ولد استفهام عن جهة
حملها واستغراب للحمل على بكارتها ويمسس معناه يطا ويجامع ص والبشر يطلق على الواحد والجمع

في النفس

والجمع انتهى والكلام في قوله كذلك كالكلام في امر زكريا وجاءت العبارة في امر زكريا يفعل وجاءت
هنا يخلق من حيث ان امر زكريا داخل في الامكان الذي يتعارف وان قل وقصة مريم لا تتعارف في حد
البتة فلفظ الخلق اقرب الى الاختراع وادل عليه وقوله تعالى اذا قضى امرا معناه اراد ايجاده والامر واحد
الامور وهو مصدر سمي به والضمير في له عائد على الامر والقول على جهة المخاطبة قوله كن خطاب للمقضي وقوله
فيكون بالرفع خبر للمخبر وقوله تعالى ويعلمه الكتاب الاية الكتاب هنا هو الخط باليد وهو مصدر كتب يكتب
قاله جمهور المفسرين وقوله ورسولا الى بني اسرائيل اي ويجعله رسولا وكانت رسالة عيسى عليه السلام الى
بني اسرائيل مبينا حكم التوراة ونادبا الى العمل بها ومحللا اشياء مما حرم الله فيها كالشروب ولحوم الابل
واشياء من الحيتان والطير ومن اول القول لمريم الى قوله اسرائيل خطاب لمريم ومن قوله اني قد جئتكم الى قوله
مستقيم يحتمل ان يكون خطابا لمريم على معنى يكون من قوله لبني اسرائيل كيت وكيت ويكون في اخر الكلام
محذوف يدل عليه الظاهر تقديره فجاء عيسى بني اسرائيل رسولا فقال لهم ما تقدم ذكره ويحتمل ان
يكون المحذوف مقدرا في صدر الكلام بعد قوله الى بني اسرائيل فيكون تقديره فجاء عيسى كما بشر
الله رسولا الى بني اسرائيل باني قد جئتكم ويكون قوله اني قد جئتكم ليس بخطاب لمريم والاول اظهر
وقوله اني اخلق لكم من الطين الاية قرأ نافع اني اخلق بكسر الهمزة وقرأ باقي السبعة بفتحها فوجه
قراءة نافع اما القطع والاستيناف واما انه فسر الاية بقوله اني كما فسر المثل في قوله كمثل ادم
ووجه قراءة الباقين البدل من اية كانه قال وجئتكم باني اخلق واخلق معناه اقدر واهيئ بيدي
كهيئة الهيئة الشكل والصورة وهو مصدر هاء الشيء يهيء هيئة وهيأ اذا ترتب واستقر على حال ما
وتعديه بالتضعيف قال تعالى ويهيئ لكم من امركم مرفقا انتهى وقرأ نافع وحده فيكون طائرا بالافراد
اي يكون طائرا من الطيور وقرأ الباقون فيكون طيرا بالجمع وكذلك في سورة المائدة والطير اسم جمع وليس
من ابنية الجموع وانما البناء في جمع طائر طيار وجمع الجمع طيور وقوله فانفخ فيه ذكر الضمير لانه
يحتمل ان يعود على الطين المهيا ويحتمل ان يريد فانفخ في المذكور وانث الضمير في سورة المائدة او على تانيث
لفظ الجماعة وكون عيسى يخلق بيده وينفخ بفيه انما هو ليتبين تلبسه بالمعجزة وانها جاءت من قبله و
اما الايجاد من العدم وخلق الحيوة في ذلك الطين فمن الله تعالى وحده لا شريك له وروي في قصص هذه
الاية ان عيسى عليه السلام كان يقول لبني اسرائيل اي الطير اشد خلقة واصعب ان يحكى فيقولون
الخفاش لانه طائر لا ريش له فكان يصنع من الطين خفافيش ثم ينفخ فيها فتطير وكل ذلك بحضرة الناس
ومعاينتهم فكانوا يقولون هذا ساحر وابرئ معناه ازيل المرض والاكمه هو الذي يولد اعمى مضموم العينين
قاله ابن عباس وقتادة قال ع والاكمه في اللغة هو الاعمى وقد كان عيسى عليه السلام يبرئ بدعائه
ومسح يده على كل علة ولكن الاحتجاج على بني اسرائيل في معنى النبوة لا يقوم الا بالابراء من العلل التي لا يبرئ
منها الطبيب بوجه وروي في احياء الموتى انه كان يضرب بعصاه الميت او القبر او الجمجمة فيحيى الانسان
ويكلمه باذن الله وفي قصص الاحياء احاديث كثيرة لا يوقف على صحتها وايات عيسى عليه السلام
انما تجري فيما يعارض الطب لان علم الطب كان شرف الناس في ذلك الزمان وشغلهم وحينئذ اثيرت فيه
العجائب فلما جاء عيسى عليه السلام بغرائب لا تقتضيها الامزجة واصول الطب وذلك احياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص علمت الاطباء ان هذه القوة من عند الله وهذا كامر السحرة مع موسى والفصحاء
مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ووقع في التواريخ المترجمة عن الاطباء ان جالينوس كان في

زمن

زمن عيسى عليه السلام وانه رحل اليه من رومية الشام فمات في طريقه ذلك وقوله
وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم الاية قال مجاهد وغيره كان عيسى عليه
السلام من لدن طفوليته وهو في الكتاب يخبر الصبيان بما يفعل اباؤهم في منازلهم
وبما يؤكل من الطعام ويدخر وكذلك الى ان نبئ فكان يقول لكل من سأله عن هذا المعنى اكلت البارحة
كذا وادخرت كذا وقال قتادة معنى الاية انما هو في نزول المائدة عليهم وذلك انها لما
نزلت اخذ عليهم عهدا ان يأكلوا ولا يخبأ احد شيئا ولا يدخره ويحمله الى بيته فخانوا وجعلوا
يخبئون فكان عليه السلام يخبر كل احد عما اكل وعما ادخر في بيته من ذلك وعوقبوا على ذلك
وقوله فاتقوا الله واطيعون تحذير ودعاء الى الله عز وجل وقوله هذا صراط مستقيم اشارة
الى قوله ان الله ربي وربكم فاعبدوه لان الفاظه جمعت الايمان والطاعات والصراط الطريق المستقيم الذي
لا اعوجاج فيه وقوله تعالى فلما احس عيسى منهم الكفر الاية قبل هذه الاية محذوف يتم اتساق
الايات تقديره فجاء عيسى كما بشر الله به فقال جميع ما ذكر لبني اسرائيل فلما احس ومعنى احس
علم من جهة الحواس بما سمع من اقوالهم في تكذيبه ورأى من قرائن احوالهم وشدة عداوتهم
واعراضهم قال من انصاري الى الله وقوله الى الله يحتمل معنيين احدهما من ينصرني في السبيل الى الله والثاني ان يكون
التقدير من يضيف نصرته الى نصرة الله لي فالى دالة على الغاية في كلا التقديرين وليس يباح ان
يقال الى بمعنى مع كما غلط في ذلك بعض الفقهاء في تأويل قوله تعالى وايديكم الى المرافق فقال الى
بمعنى مع وهذه عجمة والحواريون قوم مر بهم عيسى صلى الله عليه وسلم فدعاهم الى نصره واتباع
ملته فاجابوه وقاموا بذلك خير قيام وصبروا في ذات الله واختلف لم قيل لهم حواريون فقال ابن
جبير لبياض ثيابهم وقال ابو ارطاة لانهم كانوا قصارين يحورون الثياب اي يبيضونها وقال
قتادة الحواريون اصفياء الانبياء الذين تصلح لهم الخلافة وقال الضحاك نحوه قال ع وهذا القول
تقرير لحال القوم وليس بتفسير اللفظة وعلى هذا الحد شبه النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمته بهم
في قوله وحواريي الزبير والاقوال هي تفسير اللفظة اذ هي من الحور وهو البياض حورت الثياب بيضتها
ومنه الحواري وقد تسمي العرب النساء الساكنات في الامصار الحواريات لغلبة البياض عليهن ومنه قول
ابي جلدة اليشكري نظم فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا الا الكلاب النوابح وقول
الحواريون واشهد يحتمل ان يكون خطابا لعيسى عليه السلام اي اشهد لنا عند الله ويحتمل ان يكون خطابا
لله كقوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع اللهم اشهد وقولهم ربنا امنا بما انزلت
يريدون الانجيل وايات عيسى فاكتبنا مع الشاهدين اي في عداد من شهد بالحق من مؤمني
الامم ثم اخبر تعالى عن بني اسرائيل الكافرين بعيسى عليه السلام فقال ومكروا يريد في تحيلهم في قتله
بزعمهم فهذا هو مكرهم فجازاهم الله تعالى بان طرح شبه عيسى على احد الحواريين في قول الجمهور
او على يهودي منهم كان جاسوسا واعقب بني اسرائيل مذلة وهوانا في الدنيا والاخرة فهذه العقوبة
هي التي سماها الله تعالى مكرا في قوله ومكر الله وذلك مهيع ان تسمى العقوبة باسم الذنب وقوله
والله خير الماكرين معناه فاعل حق في ذلك وذكر ابو القاسم القشيري في تحبيره قال سئل ميمون
لحسبه ابن مهران عن قوله تعالى ومكروا ومكر الله فقال تخليته اياهم مع مكرهم هو مكره بهم

انتهى ونحوه عن الجنيد قال الفرا المكر من المخلوق الخب والحيلة ومن الاله الاستدراج قال الله
تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال ابن عباس كلما احدثوا خطيئة احدثنا لهم نعمة انتهى
وقوله تعالى اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك الاية واختلف في هذا التوفي فقال الربيع هي وفاة
نوم وقال الحسن وغيره هو توفي قبض وتحصيل اي قابضك من الارض ومحصلك في السماء وقال
ابن عباس هي وفاة موت ونحوه لمالك في العتبية وقال وهب بن منبه توفاه الله بالموت ثلاث ساعات ورفعه
فيها ثم احياه بعد ذلك وقال الفرا هي وفاة موت ولكن المعنى اني متوفيك في اخر امرك عند نزولك
وقتلك الدجال ففي الكلام تقديم وتاخير قال ع واجمعت الامة على ما تضمنه الحديث المتواتر من ان
عيسى عليه السلام في السماء حي وانه ينزل في اخر الزمان فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويقتل الدجال ويفيض
العدل ويظهر هذه الملة ملة محمد صلى الله عليه وسلم ويحج البيت ويعتمر ويبقى في الارض اربعا
وعشرين سنة وقيل اربعين سنة ثم يميته الله تعالى قال ع فقول ابن عباس هي وفاة موت لابد ان يتمم
اما على قول ابن وهب واما على قول الفرا وقوله تعالى ورافعك الي عبارة عن نقله من سفل الى علو واضافه الله
اليه سبحانه تشريف والا فمعلوم انه سبحانه غير متحيز في جهة ومطهرك اي من دعاوى الكفرة ومعاشرتهم
وقوله وجاعل الذين اتبعوك الاية قال جمهور المفسرين بعموم اللفظ في المتبعين فيدخل في ذلك امة
محمد صلى الله عليه وسلم لانها متبعة لعيسى قاله قتادة وغيره وكذلك قالوا بعموم اللفظ في الكافرين
فمقتضى الاية اعلام عيسى عليه السلام ان اهل الايمان به كما يجب فوق الذين كفروا بالحجة والبرهان والعز والغلبة
ويظهر من عبارة ابن جريج وغيره ان المراد بالمتبعين له في وقته وهم الحواريون وقوله تعالى ثم الى مرجعكم خطاب
لعيسى والمراد الاخبار بالقيامة والحشر وبالجملة بين وتوفية الاجور هي قسم المنازل في الجنة فذلك
هو بحسب الاعمال واما نفس دخول الجنة فبرحمة الله وبفضله سبحانه وقوله تعالى ذلك نتلوه عليك من الايات
الاية ذلك اشارة الى ما تقدم من الانباء ونتلوه معناه نسرده ومن الايات ظاهره ايات القران ويحتمل ان
يريد من المعجزات والمستغربات اذ تاتيهم بهذه الغيوب من قبلنا وبسبب تلاوتنا والذكر ما ينزل من
عند الله قال ابن عباس الذكر القران والحكيم الذي قد كمل في حكمته وقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله
الاية قال ابن عباس وغيره سبب نزولها محاجة نصارى نجران في امر عيسى وقولهم يا محمد هل رايت
بشرا قط جاء من غير فحل او سمعت به ومعنى الاية ان المثل الذي تتصوره النفوس والعقول من
عيسى هو كمتصور من ادم اذ الناس مجمعون على ان الله تعالى خلقه من تراب من غير فحل وفي
هذه الاية صحة القياس وقوله تعالى ثم قال له كن ترتيب الاخبار لمحمد صلى الله عليه وسلم المعنى خلقه من
تراب ثم كان من امره في الازل ان قال له كن وقت كذا وقوله تعالى الحق من ربك اي هذا هو الحق والممترون
هم الشاكون ونهي النبي صلى الله عليه وسلم في عبارة اقتضت ذم الممترين وهذا يدل على ان الامتراء
غيره ونهي عن الامتراء بعده عنه على جهة والدوام على حاله وقوله تعالى فمن حاجك فيه اي في عيسى ويحتمل
في الحق والعلم الذي اشير اليه بالمجيء هو ما تضمنته هذه الايات المتقدمة وقوله تعالى فقل تعالوا
استدعاء للمباهلة وتعالوا تفاعلوا من العلو وهي كلمة قصد بها اولا تحسين الادب مع المدعو
ثم اطردت حتى يقولها الانسان لعدوه وللبهيمة ونبتهل معناه نلتعن ويقال عليه بهلة الله
والابتهال الجد في الدعاء بالبهلة وروى محمد بن جعفر بن الزبير وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما دعى

لما دعى نصارى نجران الى المباهلة قالوا دعنا ننظر في امرنا ثم ناتيك بما نفعل فذهبوا الى العاقب
وهو ذو رايهم فقالوا يا عبد المسيح ما ترى فقال يا معشر النصارى والله لقد عرفتم ان محمدا
النبي المرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم ما لاعن قوم قط نبيا فبقي كبيرهم
ولا نبت صغيرهم وانه الاستيصال ان فعلتم فان ابيتم الا الف دينكم وما انتم عليه من القول في
صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم حتى يريكم زمن رايه فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا ابا القاسم قد راينا ان لا نلاعنك وان نبقى على ديننا وصالحوه على اموال فقالوا له
ابعث معنا رجلا من اصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في اشياء قد اختلفنا فيها من اموالنا فانكم عندنا
رضى قال ع وفي ترك النصارى الملاعنة لعلمهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم شاهد عظيم على صحة نبوته
صلى الله عليه وسلم عندهم ودعاء النساء والابناء هز للنفوس وادعى لرحمة الله للمحقين او لغضبه على
المبطلين وقوله عز وجل ان هذا لهو القصص الحق الاية هذا خبر من الله تعالى جزم مؤكد فصل به بين
المختصمين والاشارة بهذا الى ما تقدم في امر عيسى عليه السلام والقصص معناه الاخبار
وقال ص ان هذا لهو اشارة الى القران انتهى واختلف المفسرون من المراد باهل الكتاب
هنا فروى قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم يهود المدينة وقال ابن زيد وغيره المراد
نصارى نجران قال ع والذي يظهر لي ان الاية نزلت في وفد نجران لكن لفظ الاية يعمهم وسواهم
من النصارى واليهود وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الاية الى هرقل عظيم الروم وكذا ينبغي
ان يدعى بها اهل الكتاب الى يوم القيامة والكلمة هنا عند الجمهور عبارة عن الالفاظ التي تتضمن
المعاني المدعو اليها وهي ما فسر بعد ذلك وهذا كما تسمي العرب القصيدة كلمة وقوله سواء
نعت للكلمة قال قتادة وغيره معناه الى كلمة عدل وفي مصحف ابن مسعود الى كلمة عدل
كما فسر قتادة قال ع والذي اقول في لفظة سواء انه ينبغي ان تفسر بتفسير خاص بها في
هذا الموضع وهو انه دعاهم الى معان جميع الناس فيها مستوون وقوله ان لا نعبد الا الله هو في
موضع خفض على البدل من كلمة او في موضع رفع بمعنى هي ان لا نعبد الا الله واتخاذ بعضهم بعضا
اربابا هو على مراتب اشدها اعتقادهم الالوهية وعبادتهم لهم كعزير وعيسى ابن مريم وادنى
ذلك طاعتهم لاساقفتهم في كل ما امروا به من الكفر والمعاصي والتزامهم طاعتهم شرعا م قال
تولوا ابو البقا تولوا فعل ماض ولا يجوز ان يكون التقدير تتولوا لفساد المعنى لان قوله فقولوا
اشهدوا خطاب للمؤمنين وتتولوا خطاب للمشركين انتهى وقوله فقولوا اشهدوا بانا مسلمون
امر بالاعلان بمخالفتهم ومواجهتهم بذلك واشهادهم على معنى التوبيخ والتهديد وقوله تعالى
يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم الاية قال ابن عباس وغيره اجتمعت نصارى نجران
واحبار يهود عند النبي صلى الله عليه وسلم فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا
وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فانزل الله الاية ومعنى قوله تعالى فيما لكم به علم اي على زعمكم
وفسر الطبري هذا الموضع بانه فيما لهم به علم من جهة كتبهم وانبيائهم مما ايقنوه وثبت عندهم
صحته قال ع وذهب عنه رحمه الله ان ما كان هكذا فلا يحتاج معهم فيه الى محاجة لانهم
يجدونه عند محمد صلى الله عليه وسلم كما كان هناك على حقيقته قلت وما قاله الطبري ابين
وهو ظاهر الاية ومن المعلوم ان اكثر احتجاجاتهم انما كانت تعسفا وجحد الحق وقوله تعالى ها انتم

ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الاية اخبر الله تعالى في هذه الاية عن حقيقة امر ابراهيم عليه السلام
ونفى عنه اليهودية والنصرانية والاشراك ثم اخبر تعالى اخبارا موكدا ان اولى الناس بابراهيم
هم القوم الذين اتبعوه فيدخل في ذلك كل من اتبع الحنيفية في الفترات وهذا النبي يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم لانه بعث بالحنيفية السمحة والذين امنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم
وثنا الانبياء على ما يجب ثم اخبر سبحانه انه ولي المومنين وعدا منه لهم بالنصر في الدنيا والنعيم
في الاخرة روى عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل نبي ولاة من النبيين
وان وليي منهم ابي وخليل ربي ابراهيم ثم قرأ ان اولى الناس بابراهيم الاية قوله تعالى ودت طائفة
من اهل الكتاب لو يضلونكم قال مكي قيل ان هذه الاية عني بها قريظة والنضير وبنو قينقاع
ونصارى نجران ص قوله تعالى ودت طائفة ود بمعنى تمني ويستعمل معها ان ولو وربما الجمع بينهما
نحو وددت ان لو فعل ومصدره الودادة والاسم منه الود وبمعنى احب فيتعدى كتعدي احب ومصدره
مودة والاسم منه ود وقد يتداخلان في الاسم والمصدر انتهى وقوله وما يضلون الا انفسهم اعلام
بان سوء فعلهم عائد عليهم وانهم ببعدهم عن الاسلام هم الضالون ثم اعلم انهم لا يشعرون بذلك
اي لا يتفطنون ثم وقفهم تعالى موبخا لهم على لسان نبيه والمعنى قل لهم يا محمد لاي سبب تكفرون
بايات الله التي هي القران وانتم تشهدون ان امره وصفته محمد في كتابكم قال هذا المعنى قتادة وغيره
ويحتمل ان يريد بالايات ما ظهر على يدي محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات قلت ويحتمل الجميع من الايات
المتلوة والمعجزات التي شاهدوها منه صلى الله عليه وسلم وقال ص وانتم تشهدون جملة
حالية ومفعول تشهدون محذوف اي انها ايات الله او ما يدل على صحتها من كتابكم او مثلها
من ايات الانبياء انتهى وقوله لم تلبسون معناه تخلطون تقول لبست الامر بفتح الباء بمعنى خلطته
ومنه قوله تعالى وللبسنا عليهم ما يلبسون وفي قوله انتم تعلمون توقيف على العناد ظاهر وباقي الاية
تقدم بيانه في سورة البقرة وقوله تعالى وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا
وجه النهار الاية اخبر الله سبحانه في هذه الاية ان طائفة من اليهود من احبارهم ذهبت الى خديعة المسلمين
بهذا المنزع قال قتادة وغيره قال بعض الاحبار لنظهر الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم صدر النهار
ثم لنكفر به اخر النهار فسيقول المسلمون عند ذلك ما بال هولاء كانوا معنا ثم انصرفوا عنا ما ذاك
الا لانهم انكشفت لهم حقيقة في الامر فيشكون ولعلهم يرجعون عن الايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم قال الامام الفخر وفي اخبار الله تعالى عن تواطئهم على هذه الجملة من الفائدة وجوه الاول
ان هذه الحيلة كانت مخفية فيما بينهم فلما اخبر بها عنهم كان ذلك اخبارا بمغيب فيكون معجزا الثاني
انه تعالى لما اطلع المومنين على تواطئهم على هذه الحيلة لم يحصل لهذه الحيلة اثر في قلوب المومنين ولولا هذا
الاعلام لامكن تاثيرها في قلب من ضعف ايمانه الثالث ان القوم لما افتضحوا في هذه الحيلة صار
ذلك رادعا لهم عن الاقدام على امثالها من الحيل والتلبيس انتهى وذكر تعالى عن هذه الطائفة
من اهل الكتاب انهم قالوا ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا خلاف ان هذا القول هو من كلام
الطائفة واختلف الناس في قوله تعالى ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم
فقال مجاهد وغيره من اهل التاويل الكلام كله من قول الطائفة لاتباعهم وقوله تعالى قل ان
الهدى هدى الله اعتراض بين الكلامين قال ع والكلام على هذا التاويل يحتمل معاني احدها ولا تصدقوا

وتؤمنوا الا لمن جاء بمثل دينكم حذرا ان يؤتى احد من النبوة والكرامة مثل ما اوتيتم وحذرا
ان يحاجوكم بتصديقكم اياهم عند ربكم اذا لم تستمروا عليها وهذا القول على هذا المعنى ثمرة
الحسد والكفر مع المعرفة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل الكلام ان يكون معنا
ولا تؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وتقروا بنبوته اذ قد علمتم صحتها الا لليهود الذين هم منكم
وان يؤتى احد مثل ما اوتيتم صفة لمحمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى تستروا باقراركم ان قد
اوتي مثل ما اوتيتم او فانهم يعنون العرب يحاجوكم بالاقرار عند ربكم وقرأ ابن كثير وحده
من بين السبعة ان يؤتى بالمد على جهة الاستفهام الذي هو تقرير وفسر ابو علي قراءة ابن كثير على
ان الكلام كله من قول الطائفة الا الاعتراض الذي هو قل ان الهدى هدى الله فانه لا يختلف انه
من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قال فلا يجوز مع الاستفهام ان يحمل ان يؤتى على
ما قبله من الفعل لان الاستفهام قاطع فيجوز ان تكون ان في موضع رفع بالابتداء وخبره محذوف
تقديره تصدقون او تعترفون او تذكرونه لغيركم ونحو هذا مما يدل عليه الكلام قال ع ويكون
يحاجوكم على هذا معطوفا على ان يؤتى قال ابو علي ويجوز ان يكون موضع ان نصبا فيكون المعنى
اتشيعون او تذكرون ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ويكون ذلك بمعنى قوله تعالى عنهم اتحدثونهم
بما فتح الله عليكم فعلى كلا الوجهين معنى الاية توبيخ من الاحبار للاتباع على تصديقهم بان محمدا
صلى الله عليه وسلم نبي مبعوث قال ع ويكون قوله تعالى او يحاجوكم في تاويل نصب ان
بمعنى او تريدون ان يحاجوكم وقال السدي وغيره الكلام كله من قوله قل ان الهدى هدى الله
الى اخر الاية هو مما امر به النبي صلى الله عليه وسلم ان يقوله لامته وحكى الزجاج وغيره ان
المعنى قل ان الهدى هو هذا الهدى لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم ومعنى الاية على قول السدي اي لم يعط
احد مثل حظكم والا فليحاجوكم من ادعى سوى ذلك ويكون المعنى او يحاجونكم على معنى الازدراء
باليهود قال او هل لهم ان يحاجوكم او يخاصموكم فيما وهبكم الله وفضلكم به وقال قتادة
والربيع الكلام كله من قوله قل ان الهدى هدى الله الى اخر الاية هو مما امر به النبي صلى الله عليه
وسلم ان يقوله للطائفة قال ع ويحتمل ان يكون قوله ان يؤتى بدلا من قوله هدى الله قلت
وقد طال الكلام هنا وفيما ذكرناه كفاية وقوله تعالى قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء
والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم في هذه الاية تكذيب لليهود
في قولهم لن يوتي الله احدا مثل ما اتى بني اسرائيل من النبوة والشرف وباقي الاية بين تقدم
تفسير نظيره وقوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان تامنه الاية اخبر تعالى عن اهل الكتاب انهم قسمان
في الامانة ومقصد الاية ذم الخونة منهم والتنبيه لرايهم وكذبهم على الله في استحلالهم اموال
العرب قال الفخر وفي الاية ثلاثة اقوال الاول ان اهل الامانة منهم الذين اسلموا اما الذين بقوا
على اليهودية فهم مصرون على الخيانة لان مذهبهم انه يحل قتل من خالفهم في الدين واخذ ماله
الثاني ان اهل الامانة منهم هم النصارى واهل الخيانة هم اليهود والثالث قال ابن عباس اودع رجل
عبد الله بن سلام الفا ومائتي اوقية من ذهب فادى اليه واودع اخر فنحاصا اليهودي دينارا
فخانه فنزلت الاية انتهى قال ابن العربي في احكامه قال الطبري وفائدة هذه الاية النهي عن
ايتمانهم على مال وقال شيخنا ابو عبد الله المغربي فائدتها الا يومنوا على دين بدليل ما بعده

في قوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب الاية والصحيح عندي انها في المال
نص وفي الدين تنبيه فافادت المعنيين بهذين الوجهين قال ابن العربي فالامانة عظيمة القدر
في الدين ومن عظيم قدرها انها تقف على جنبتي الصراط لا يمكن من الجواز الا من حفظها ولهذا
وجب عليك ان تؤديها الى من ائتمنك فنفقا بل المعصية وكذلك لا يجوز ان تغدر من غدر لك
قال البخاري باب اثم الغادر للبر والفاجر انتهى والقنطار في هذه الاية مثال للمال الكثير يدخل
فيه اكثر من القنطار واقل واما الدينار فيحتمل ان يكون كذلك مثالا لما قل ويحتمل ان يريد منهم طبقة لا تخون
الا في دينار فما زاد ولم يعين لذكر الخائنين في اقل اذ هم طغام حثالة ودام معناه ثبت وقوله
قائما يحتمل معنيين قال قتادة ومجاهد والزجاج معناه قائما على اقتضائه حقك يريدون بانواع
الاقتضاء من الحفز والمرافعة الى الحاكم من غير مراعاة لهذا الدائم وقال السدي وغيره معنى قائما
على راسه وقوله ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل الاية الاشارة بذلك الى كونهم
لا يؤدون الامانة اي يقولون نحن اهل الكتاب والعرب اميون اصحاب اوثان فاموالهم
لنا حلال لانا متى قدرنا على شيء منها لا حجة لنا في ذلك ولا سبيل لمعترض وقوله تعالى ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون ذم لبني اسرائيل بانهم يكذبون على الله سبحانه في غير ما شيء وهم
عالمون بمواضع الصدق قال ص وهم يعلمون جملة حالية انتهى ثم رد الله في صدر قولهم
ليس علينا بقوله بلى اي عليهم سبيل وحجة وتباعة ثم اخبر على جهة الشرط ان من اوفى بالعهد
واتقى عقوبة الله في نقضه فانه محبوب عند الله وقوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله
الاية اية وعيد لمن فعل هذه الافاعيل الى يوم القيامة وهي اية يدخل فيها الكفر فما دونه من جحد
الحق وختر المواثيق وكل ياخذ من وعيدها بحسب جرمه قال ابن العربي في احكامه وقد
اختلف الناس في سبب نزول هذه الاية والذي يصح من ذلك ان عبد الله بن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف بيمين صبر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو
عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الاية
قال فجاء الاشعث بن قيس فقال فيّ نزلت كانت لي بئر في ارض ابن عم لي وفي رواية كان بيني
وبين رجل من اليهود ارض فجحدني فقال النبي صلى الله عليه وسلم بينتك او يمينه قلت اذن
يحلف يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث انتهى وقوله تعالى وان منهم لفريقا
يلوون السنتهم الاية يلوون معناه يحرفون ويتحيلون لتبديل المعاني من اشتباه الالفاظ
واشتراكها وتشعب التاويلات كقولهم راعنا واسمع غير مسمع ونحو ذلك وليس التبديل المحض
بلي وحقيقة اللي في الثياب والحبال ونحوها وهو فتلها واراغتها ومنه لي العنق ثم استعمل
ذلك في الحجج والخصومات والمجادلات والكتاب في هذا الموضع التوراة والضمير في يحسبوه للمسلمين و
قوله وما هو من عند الله نفي ان يكون منزلا من عند الله كما ادعوا وهو من عند الله بالخلق والاختراع
والايجاد ومنهم بالتكسب وقوله تعالى ما كان لبشر الاية معناه النفي التام لانا نقطع ان الله لا يؤتي
النبوة المكذبة والمدعين والكتاب هنا اسم جنس والحكم بمعنى الحكمة ومنه قول النبي صلى الله
عليه وسلم ان من الشعر لحكما قال الفخر هنا اتفق اهل اللغة والتفسير على ان هذا الحكم هو العلم
قال تعالى واتيناه الحكم صبيا يعني العلم والفهم انتهى وثم في قوله ثم يقول لمعطية تعظيم الاثم

في القول بعد مهلة من هذا الانعام وقوله عبادا جمع عبد ومن جموعه عبيد وعبدى
قال ع والذي استقريت من لفظة العباد انه جمع عبد متى سيقت اللفظة في مضمار الترفيع
والدلالة على الطاعة دون ان يقترن بها معنى التحقير وتصغير عبا وعبيد لا يصح انتهى
وقوله تعالى انتم اضللتم عبادي هؤلاء ونحوه توضحه انتهى ومعنى الاية ما كان لاحد من الناس
ان يقول اعبدوني واجعلوني الها قال النقاش وغيره وهذه الاشارة الى عيسى والاية رادة على الروم
وقال ابن عباس وجماعة من المفسرين بل الاشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم وسبب نزول
الاية ان ابا رافع القرظي قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين اجتمعت الاحبار من اليهود
والوفد من نصارى نجران يا محمد انما تريد ان نعبدك ونتخذك الها كما عبدت النصارى عيسى
فقال الرئيس من نصارى نجران اتريد ذلك يا محمد واليه تدعونا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
معاذ الله ما بذلك امرت ولا اليه دعوت فنزلت الاية قال بعض العلماء ارادت الاحبار
ان تلزم هذا القول محمدا صلى الله عليه وسلم لما تلا عليهم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
وانما معنى فاتبعوني فيما ادعوكم اليه من طاعة الله فحرفوها بتاويلهم وهذا من نوع
ليهم الكتاب بالسنتهم قال الفخر وقال ابن عباس ان الاية نزلت بسبب قول النصارى المسيح ابن الله
وقول اليهود عزير ابن الله وقيل ان رجلا من المسلمين قال يا رسول الله افلا نسجد لك فقال عليه
السلام ما ينبغي السجود الا لله قيل وقوله تعالى ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون يقوي هذا
التاويل انتهى وقوله تعالى ولكن كونوا ربانيين الاية المعنى ولكن يقول كونوا ربانيين وهو
جمع رباني قال قوم منسوب الى الرب من حيث هو عالم ما علمه عامل بطاعته معلم للناس ما امر
به وزيدت فيه النون مبالغة وقال قوم منسوب الى الربان وهو معلم الناس ماخوذ من
رب يرب اذا اصلح وربا والنون زائدة كما زيدت في غضبان وعطشان وفي البخاري
الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره قال ع فجملة ما يقال في الرباني انه العالم بالرب
والشرع المصيب في التقدير من الاقوال والافعال التي يحاولها في الناس وقوله بما كنتم معناه
بسبب كونكم عالمين دارسين فما مصدرية واسند ابو عمر بن عبد البر في كتاب فضل
العلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم علمان علم في القلب فذلك العلم النافع وعلم في
اللسان فذلك حجة الله عز وجل على ابن ادم ومن حديث ابن وهب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هلاك امتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار
خيار العلماء انتهى وقرا جمهور الناس تدرسون بضم الراء من درس اذا ادمن قراءة الكتاب
وكرره وقرا نافع وغيره ولا يامركم بالرفع على القطع قال سيبويه المعنى ولا يامركم الله وقال
ابن جريج وغيره المعنى ولا يامركم هذا البشر الذي اوتي هذه النعم وهو محمد صلى الله عليه وسلم
واما قراءة من نصب الراء وهو حمزة وغيره فهي عطف على قوله ان يؤتيه الله المعنى ولا له
ان يامركم قاله ابو علي وغيره فهي عطف والصواب الا ما قاله الطبري من انها عطف على قوله
ثم يقول والارباب في هذه الاية بمعنى الالهة وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما
اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه المعنى واذكر
يا محمد فيحتمل ان يكون اخذ الله الميثاق حين اخرج بني ادم نسما ويحتمل ان يكون هذا الاخذ على

الناس واما العبيد فيستعمل في التحقير انتهى ص وذكر ابن عطية بان عبدى اسم جمع وتعقبه م

كل نبي في زمنه ووقت بعثته والمعنى ان الله تعالى اخذ ميثاق كل نبي بان يؤمن هو ومن امن به
الايمان بمن ياتي بعده من الرسل والنصر له وقال ابن عباس انما اخذ الله ميثاق النبيين على قومهم
فهو اخذ للميثاق في الجميع وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا ادم فمن بعده الا اخذ
الله العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وامره باخذ على
قومه ثم تلى هذه الاية وقاله السدي وقرا حمزة لما بكسر اللام وهي لام الجر والتقدير لاجل ما اتيناكم
اذ انتم القادة والرؤس ومن كان بهذه الحالة فهو الذي يؤخذ ميثاقه وما في هذه القراءة
بمعنى الذي والعائد اليها من الصلة تقديره اتيناكموه ومن لبيان الجنس وثم جاءكم الاية جملة
معطوفة على الصلة ولابد في هذه الجملة من ضمير يعود على الموصول وانما حذف تخفيفا لطول
الكلام وتقديره عند سيبويه رسول به مصدق لما معكم واللام في لتؤمنن به هي اللام المتلقية للقسم
الذي تضمنه اخذ الميثاق وفصل بين القسم والمقسم عليه بالجار والمجرور وذلك جائز وقرا
بقية السبعة لما بفتح اللام وذلك يتخرج على وجهين احدهما ان تكون ما موصولة في موضع رفع
بالابتداء واللام لام الابتداء وهي متلقية لما اجري مجرى القسم من قوله تعالى واذ اخذ الله
ميثاق النبيين وخبر الابتداء قوله لتؤمنن ولتؤمنن متعلق بقسم محذوف المعنى والله لتؤمنن
قاله ابو علي وهو متجه بان الحلف يقع مرتين والوجه الثاني ان يكون ما للجزاء شرطا فتكون في موضع
نصب بالفعل الذي بعدها وهو مجزوم وجاءكم معطوف في موضع جزم واللام الداخلة
على ما ليست المتلقية للقسم ولكنها الموطئة المؤذنة بمجي لام القسم فهي بمنزلة اللام في قوله
تعالى لئن لم ينته المنافقون لانها مؤذنة بمجي المتلقية للقسم في قوله لنغرينك بهم وكذلك
هذه مؤذنة بمجي المتلقية للقسم في قوله لتؤمنن وقرا نافع وحده اتيناكم بالنون وقرا الباقون
اتيتكم بالتاء ورسول في هذه الاية اسم جنس وقال كثير من المفسرين هو نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم وقوله تعالى اقررتم واخذتم على ذلكم اصري هذه الاية عبارة عما تحصل لهم من
ايتاء الكتب والحكمة فمن حيث اخذ عليهم اخذ وهم اقررنا وقال الطبري اخذتم في هذه الاية معناه
قبلتم والاصر العهد لا تفسير له في هذا الموضع الا ذلك وقوله سبحانه فاشهدوا يحتمل معنيين احدهما
فاشهدوا على اممكم المؤمنين بكم وعلى انفسكم بالتزام هذا العهد قاله الطبري وجماعة والمعنى الثاني
بثوا الامر عند اممكم واشهدوا به وشهادة على هذا التاويل هي اعطاء المعجزات واقرار نبواتهم
هذا قول الزجاج وغيره قال ع فتامل ان القول الاول هو ايداع الشهادة واستحفاظها والقول
الثاني هو الامر بادائها حكم تعالى بالفسق على من تولى من الامم بعد هذا الميثاق قاله علي بن ابي طالب
وغيره وقرا ابو عمرو يبغون بالياء من اسفل مفتوحة وترجعون بالتاء من فوق مضمومة وقرا عاصم
بالياء فيهما ووجه هذه القراءة لا يخفى بادنى تامل وتبغون معناه تطلبون قال النووي وروينا
في كتاب ابن السني عن السيد الجليل المجمع على جلالته وحفظه وديانته وورعه يونس بن عبيد
ابن دينار البصري التابعي المشهور انه قال ليس رجل يكون على دابة صعبة فيقول في اذنها افغير دين
يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون الا وقفت باذن الله تعالى
وروينا في كتاب ابن السني عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا انفلتت دابة احدكم
بارض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا يا عباد الله احبسوا فان لله عز وجل في الارض حاضرا سيحبسه

قال

قال النووي وحكى لي بعض شيوخنا انه انفلتت له دابة اظنها بغلة وكان يعرف هذا الحديث
فقاله فحبسها الله عليه في الحال وكنت انا مرة مع جماعة فانفلتت منا بهيمة فعجزوا عنها فقلته فوقفت
في الحال بغير سبب سوى هذا الكلام انتهى واسلم معناه استسلم عند الجمهور واختلفوا في معنى
قوله طوعا وكرها فقال مجاهد هذه الاية كقوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله فالمعنى ان اقرار كل كافر بالصانع فهو اسلامه كرها ونحوه لابي العالية وعبارته كل
ادمي فقد اقر على نفسه بان الله ربي وانا عبده فمن اشرك في عبادته فهو الذي اسلم كرها ومن
اخلص فهو الذي اسلم طوعا قال ع والمعنى في هذه الاية يفهم كل ناظر ان الكره خاص باهل الارض
وقوله تعالى افغير دين الله توقيف لمعاصري نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الاحبار والكفار
قوله تعالى قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب
والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم الاية المعنى قل يا محمد انت وامتك
امنا بالله الاية وقد تقدم بيانها في البقرة ثم حكى تعالى في قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا
الاية بانه لا يقبل من ادمي دينا غير دين الاسلام وهو الذي وافق في معتقداته دين كل من سمي
من الانبياء وهو الحنيفية السمحة وقال بعض المفسرين ومن يبتغ الاية نزلت في الحارث ابن
سويد قلت وعلى تقدير صحة هذا القول فهي تتناول بعمومها من سواه الى قيام الساعة
وقوله تعالى كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم الايات قال ابن عباس نزلت هذه
الايات من قوله كيف يهدي الله في الحارث بن سويد الانصاري كان مسلما ثم ارتد ولحق
بالشرك ثم ندم فارسل الى قومه ان سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من توبة فنزلت
الايات الى قوله الا الذين تابوا فارسل اليه قومه فاسلم قال مجاهد وحسن اسلامه
وقال ابن عباس والحسن بن ابي الحسن نزلت في اليهود والنصارى شهدوا ببعث النبي صلى الله
عليه وسلم وامنوا به فلما جاء من العرب حسدوه وكفروا به ورجحه الطبري وقال
النقاش نزلت في طعمة بن ابيرق قال ع وكل ما ذكر فالفاظ الاية تعمه وقوله تعالى كيف
سؤال عن حال لكنه سؤال توقيف على جهة الاستبعاد للامر فالمعنى انهم لشدة هذه
الجرائم يبعد ان يهديهم الله جميعا وباقي الاية بين قال الفخر واستعظم تعالى كفر هؤلاء
المرتدين بعد حصول هذه الخصال الثلاث لان مثل هذا الكفر يكون كالمعاندة والجحود
وهذا يدل على ان زلة العالم اقبح من زلة الجاهل انتهى وقوله تعالى ان الذين كفروا
بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا الاية قال ابو العالية رفيع الاية في اليهود كفروا بمحمد صلى الله
عليه وسلم بعد ايمانهم بصفاته واقرارهم انها في التوراة ثم ازدادوا كفرا بالذنوب
التي اصابوها في خلاف النبي صلى الله عليه وسلم من الافتراء والبهت والسعي على الاسلام
وغيره قال ع وعلى هذا الترتيب يدخل في الاية المرتدون اللاحقون بقريش وغيرهم وقال
مجاهد معنى قوله ثم ازدادوا كفرا اي تموا على كفرهم وبلغوا الموت به قال ع فيدخل في
هذا القول اليهود والمرتدون وقال السدي نحوه ثم اخبر تعالى ان توبة هؤلاء لن
تقبل وقد قررت الشريعة ان توبة كل كافر تقبل فلابد في هذه الاية من تخصيص تحمل عليه
ويصح به نفي قبول التوبة فقال الحسن وغيره المعنى لن تقبل توبتهم عند الغرغرة والمعاينة

وقال ابو العالية المعنى لن تقبل توبتهم من تلك الذنوب التى اصابوها مع اقامتهم على كفرهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم قال ع ويحتمل الاية عندى ان تكون اشارة الى قوم باعيانهم من
المرتدين وهم الذين اشار اليهم بقوله سبحانه كيف يهدى الله قوما فاخبر عنهم انه لا تكون منهم
توبة فيتصور قبولها فكانه اخبر عن هولاء المعينين انهم يموتون كفارا ثم اخبر الناس عن
حكم كل من يموت كافرا والملأ ما شحن به الوعاء و قوله ولو افتدى به قال الزجاج المعنى لن
يقبل من احدهم انفاقه وتقرباته فى الدنيا ولو انفق ملأ الارض ذهبا و لو افتدى ايضا به فى
الاخرة لم يقبل منه قال فاعلم الله انه لا يثيبهم على اعمالهم من الخير ولا يقبل منهم الافتداء من العذاب
قال ع وهذا قول حسن وقالت فرقة الواو زائدة وهذا قول مردود ويحتمل المعنى نفى القبول على
كل وجه ثم خص من تلك الوجوه اليقها ولحراها بالقبول و باقى الاية وعيد بين عافانا
الله من عقابه وختم لنا بما ختم به الصالحين من عباده قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون الاية خطاب لجميع المؤمنين فتحتمل الاية ان يريد لن تنالوا بر الله بكم اى رحمته ولطفه
ويحتمل ان يريد لن تنالوا درجة الكمال من فعل البر حتى تكونوا ابرارا الا بالانفاق المنضاف الى
تنا اعمالكم قال ص قوله مما تحبون من للتبعيض يدل عليه قراءة عبد الله بعض ما تحبون انتهى قال
الغزالى قال نافع كان ابن عمر مريضا فاشتهى سمكة طريفة فحملت اليه على رغيف فقام سائل بالباب
فامر بدفعها اليه ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته
وآثر على نفسه غفر الله له انتهى من الاحياء قال ع وسبب نزول هذه الاية تصدق ابى طلحة بحائط
المسمى بيرحاء و تصدق زيد بن حارثة بفرس كان يحبها وكان عبد الله بن عمر يشتهى اكل السكر باللوز
فكان يشترى ذلك ويتصدق به قال الفخر والصحيح ان هذه الاية فى ايتاء المال على طريق
الندب لا انه فى الزكاة الواجبة انتهى و قوله سبحانه وما تنفقوا من شىء فان الله به عليم شرط وجواب
فيه وعد اى عليم مجاز به وان قل و قوله سبحانه كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الاية اخبار
بمغيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلمه الا الله وعلماء اهل الكتاب حلا معناه حلالا
و الاية رد على اليهود فى زعمهم ان كل ما حرموه على انفسهم انه بامر الله تعالى فى التوراة فاكذبهم
الله بهذه الاية و قوله سبحانه الا ما حرم اسرائيل على نفسه اى فهو محرم عليهم فى التوراة كان
حلالا لبنى اسرائيل كل انواع المطعوم سوى ما حرمه اسرائيل على نفسه فاما بعد نزول التوراة
فلم يبق الامر كذلك بل حرم الله عليهم انواعا كثيرة بسبب بغيهم وذلك عين النسخ الذى هم له
منكرون انتهى قال ع ولم يختلف فيما علمت ان سبب تحريم يعقوب ما حرمه على نفسه هو مرض
اصابه فجعل تحريم ذلك شكرا لله ان شفى وقيل هو وجع عرق النسا وفى حديث عن النبى صلى
الله عليه وسلم ان عصابة من بنى اسرائيل قالوا له يا محمد ما الذى حرم اسرائيل على نفسه
فقال لهم انشدكم الله هل تعلمون ان يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر
لله نذرا ان عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام
اليه لحوم الابل واحب الشراب اليه البانها فقالوا اللهم نعم قال وظاهر الاحاديث والتفاسير
فى هذا الامر ان يعقوب عليه السلام حرم لحوم الابل والبانها وهو يحبها تقربا
بذلك اذ ترك الترفه والتنعم من القرب وهذا هو الزهد فى الدنيا واليه نحا عمر بن الخطاب

لا هذه الزوائد التى افتروها انتهى قاله الفخر وقوله تعالى من قبل
ان تنزل التوراة المعنى ان قبل نزول التوراة

رضى الله عنه بقوله اياكم وهذه المجازر فان لها ضراوة كضراوة الخمر ومن ذلك قول الحسن لجابر
الزاهد وقد مر بسوق الفاكهة فرأى محاسنها فقال سوعدك الجنة ان شاء الله و قوله
عز وجل قل فأتوا بالتوراة الاية قال الزجاج فى هذا تعجيز لهم واقامة الحجة عليهم و قوله سبحانه
فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك اى من بعد ما تبين لهم الحق وقيام الحجة فهو الظالم و قوله
قل صدق الله اى الامر كما وصف سبحانه لا كما تكذبون فان كنتم تعتزون الى ابراهيم فاتبعوا ملته
على ما ذكر الله و قوله سبحانه ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة الاية لا مرية ان ابراهيم وضع بيت
مكة وانما الخلاف فى هل هو وضع بداءة او وضع تجديد و قال الفخر يحتمل اوليته فى الوضع والبناء ويحتمل
ان يريد اوليته فى كونه مباركا وهذا تحصيل المفسرين فى الاية انتهى قال ابن العربى فى احكامه
وكون البيت الحرام مباركا قيل بركته ثواب الاعمال هناك وقيل ثواب قاصديه وقيل امن من حج
فيه وقيل عزوف النفس عن الدنيا عند رؤيته قال ابن العربى والصحيح عندى انه مبارك من
كل وجه من وجوه الدنيا والاخرة وذلك بجميعه موجود فيه انتهى قال مالك فى سماع ابى القاسم من
العتبية بكة موضع البيت ومكة غيره من المواضع قال ابن القاسم يريد القرية ت قال ابن رشد
فى البيان ارى مالكا اخذ ذلك من قول الله عز وجل لانه قال تعالى فى بكة ان اول بيت وضع
للناس للذى ببكة مباركا وهو انما وضع بموضعه الذى وضع فيه لا فيما سواه من القرية
وقال فى مكة وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة وذلك انما كان فى
القرية لا فى موضع البيت انتهى و قوله سبحانه فيه اى فى البيت آيات بينات قال ع والمترجح
عندى ان المقام وامن الداخل جعلا مثالا مما فى حرم الله من الايات وخصا بالذكر لعظمهما
و مقام ابراهيم هو الحجر المعروف قاله الجمهور وقال قوم البيت كله مقام ابراهيم وقال
قوم الحرم كله مقام ابراهيم و الضمير فى قوله ومن دخله عائد على البيت فى قول الجمهور و
عائد على الحرم فى قول من قال مقام ابراهيم هو الحرم و قوله كان آمنا قال الحسن وغيره
هذه وصف حال كانت فى الجاهلية اذا دخل الحرم امن فلا يعرض له فاما فى الاسلام
فان الحرم لا يمنع من حد من حدود الله وقال يحيى بن جعدة معنى الاية ومن دخل البيت كان
آمنا من النار وحكى النقاش عن بعض العباد قال كنت اطوف حول البيت ليلا فقلت يا رب
انك قلت ومن دخله كان آمنا فمماذا هو آمن فسمعت مكلما يكلمنى وهو يقول من النار فنظرت
وتاملت فما كان فى المكان احد قال ابن العربى فى احكامه وقول بعضهم من دخله كان آمنا
من النار لا يصح على عمومه ولكنه ثبت ان من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم
ولدته امه والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة قال ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم
انتهى و قوله سبحانه ولله على الناس حج البيت الاية هو فرض الحج فى كتاب الله وقرأ حمزة والكسائى
وحفص عن عاصم حج البيت بكسر الحاء وقرأ الباقون بفتحها فكسر الحاء يريدون عمل سنة
واحدة قال الطبرى هما لغتان الكسر لغة نجد والفتح لغة اهل العالية و قوله سبحانه من
استطاع اليه سبيلا من فى موضع خفض بدل وهو بدل البعض من الكل وقال الكسائى
وغيره هى شرط فى موضع رفع بالابتداء والجواب محذوف تقديره فعليه الحج ويدل عليه عطف الشرط
الاخر بعده فى قوله ومن كفر و اسند الطبرى الى النبى صلى الله عليه وسلم قال من ملك زادا وراحلة

ولا عزله ذلك بل اذا كان مستطيعا غير شاق على نفسه فقد وجب عليه الحج واليه ذهب مالك في سماع
اشهب وقال لا صفة في هذا ابين مما قال الله تعالى وهذا ابين الاقوال وهذه من الامور التي يتصرف
بها فقه الحال والضمير في اليه عايد على البيت وعلى حمل الحج وقوله سبحانه ومن كفر فان الله غني عن العالمين
قال ابن عباس وغيره المعنى من زعم ان الحج ليس بفرض عليه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرا الاية فقال
رجل من هذيل يا رسول الله من تركه كفر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من تركه لا يخاف عقوبته
ومن حج لا يرجو ثوابه فهو ذلك وقال بمعنى هذا الحديث ابن عباس وغيره وقال السدي وجماعة من اهل العلم
معنى الاية ومن كفر بان وجد ما يحج به ثم لم يحج قال السدي من كان بهذا الحال فهو كافر يعني كفر معصية
ولا شك ان من انعم الله عليه بمال وصحة ولم يحج فقد كفر النعمة قال ابن عمر وجماعة معنى
الاية ومن كفر بالله واليوم الاخر قال الفخر والاكثرون هم الذين حملوا الوعيد على من ترك اعتقاد
وجوب الحج وقال الضحاك لما نزلت اية الحج فاعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اهل الملل وقال ان الله تعالى
كتب عليكم الحج فحجوا فامن به المسلمون وكفر غيرهم فنزلت الاية قال الفخر وهذا هو الاقوى والله اعلم
انتهى معنى قوله تعالى غني عن العالمين الوعيد لمن كفر والقصد بالكلام فان الله غني عنهم ولكن عمم
اللفظ ليبرع المعنى وتنبيه الفكر لقدرته سبحانه وعظيم سلطانه واستغنائه عن جميع خلقه لا رب
سواه وقوله عز وجل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله والله شهيد على ما تعملون هذه الاية
توبيخ لليهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم والكتاب التوراة وايات الله يحتمل ان يريد بها القران
ويحتمل العلامات الظاهرة على يدي النبي صلى الله عليه وسلم وقوله سبحانه والله شهيد على ما تعملون وعيد
محض قال الطبري هاتان الايتان قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وما بعدها الى قوله فاولئك
لهم عذاب عظيم نزلت بسبب رجل من اليهود حاول الاغراء بين الاوس والخزرج قال ابن اسحق
حدثني الثقة عن زيد بن اسلم قال مر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا قد عسي في الجاهلية عظيم الكفر شديد
الضغن على المسلمين والحسد لهم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاوس والخزرج
وهم في مجلس يتحدثون فغاظه ما راى من جماعتهم وصلاح ذات بينهم بعد ما كان بينهم من العداوة
فقال قد اجتمع ملا بني قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمع ملاهم بها من قرار
فامر فتى شابا من يهود فقال اعمد اليهم واجلس معهم وذكرهم يوم بعاث وما كان قبله من
ايام حربهم وانشدهم ما قالوه من الشعر في ذلك ففعل الفتى فتكلم القوم عند ذلك فتفاخروا
وتنازعوا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب اوس بن قيظي من الاوس وجبار بن صخر من
الخزرج فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الان جذعة فغضب الفريقان
وقالوا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة يريدون الحرة فخرجوا اليها وتحاوز الناس
على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه
من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين الله الله ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم وعظهم فعرف
القوم انها نزغة من الشيطان فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا من الاوس والخزرج
وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين فانزل الله في شاس بن قيس
وما صنع هذه الايات وقال الحسن وغيره نزلت في احبار اليهود الذين يصدون المسلمين عن
الاسلام ويقولون ان محمدا ليس بالموصوف في كتابنا قال ع ولا شك في وقوع هذين الشيئين

وما شاكلها

وما شاكلهما من افعال اليهود واقوالهم فنزلت الايات في جميع ذلك ومعنى تبغونها اي تطلبون
لها الاعوجاج والانفساد وانتم شهداء يريد جمع شاهد بما في التوراة من صفة النبي صلى
الله عليه وسلم وصدقه وفي الاية وعيد وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا
من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين الاية خطاب عام في المؤمنين والاشارة بذلك
وقت نزوله الى الاوس والخزرج بسبب نائرة شاس بن قيس في الحرب وقوله تعالى يردوكم بعد ايمانكم
كافرين رد بمعنى صير فيتعدى لمفعولين الاول الكاف والثاني الكافرين كقوله فرد شعورهن السود
بيضا ورد وجوههن البيض سودا انتهى ويعتصم معناه يتمسك وعصم الشيء اذا منع وحمى ومنه
قوله يعصمني من الماء وما في الاية بين وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال
ابن مسعود حق هو ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر وكذلك عبر الربيع
ابن خثيم وقتادة والحسن قالت فرقة نزلت الاية على عموم لفظها من لزوم غاية التقوى حتى لا يقع
الاخلال في شيء من الاشياء ثم نسخ ذلك بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وهذا هو الصحيح
وخرج الترمذي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية اتقوا الله حق تقاته
ولا تموتن الا وانتم مسلمون قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم
قطرت في الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه قال ابو عيسى هذا حديث
حسن صحيح وخرجه ابن ماجه ايضا انتهى وقوله سبحانه ولا تموتن الا وانتم مسلمون معناه
دوموا على الاسلام حتى يوافيكم وانتم عليه والحبل في هذه الاية مستعار حبل الله الجماعة
وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان بني اسرائيل افترقوا على احدى
وسبعين فرقة وان امتي ستفترق على اثنين وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة فقيل يا رسول الله
وما هذه الواحدة قال فقبض يده وقال الجماعة وقرا واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وقال
قتادة وغيره حبل الله الذي امر بالاعتصام به هو القران ورواه ابو سعيد الخدري عن النبي صلى
الله عليه وسلم وقال ابن زيد هو الاسلام وقيل غير هذا مما هو كله قريب بعضه من بعض وقوله
سبحانه ولا تفرقوا يريد التفرق الذي لا يتاتى معه ايتلاف كالتفرق بالفتن والافتراق في
العقايد واما الافتراق في مسائل الفروع والفقه فليس يدخل في هذه الاية بل ذلك الذي
قال فيه صلى الله عليه وسلم خلاف امتي رحمة وقد اختلف الصحابة في الفروع اشد
اختلاف وهم يد واحدة على كل كافر وقوله سبحانه واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف
بين قلوبكم الاية تدل على ان الخطاب انما هو للاوس والخزرج كما تقدم وكانت العداوة قد دامت
بين الحيين مائة وعشرين سنة حتى رفعها الله بالاسلام فجاء النفر ستة من الانصار الى مكة
حجاجا فعرض النبي صلى الله عليه وسلم نفسه عليهم وتلا عليهم القران كما كان يصنع مع قبائل
العرب فامنوا به واراد الخروج معهم فقالوا يا رسول الله ان قدمت بلدنا على ما بيننا والحرب
خفنا ان لا يتم ما نريده بك ولكن نمضي نحن ونشيع امرك وندخل الناس وموعدنا واياك
العام القابل فمضوا وفعلوا فجاءت الانصار في العام القابل فكانت العقبة الثانية وكانوا اثني عشر
رجلا فيهم خمسة من الستة الاولين ثم جاءوا من العام الثالث فكانت بيعة العقبة الكبرى حضرها
سبعون وفيهم اثنا عشر نقيبا ووصف القصة مستوعب في السير وبشر الله تعالى الانصار بالاسلام

ونقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقالت
جماعة لا نسخ هنا وانما المعنى اتقوا الله حق تقاته فيما
استطعتم وهذا هو الصحيح م

بوجهين احدهما ان بني اسرائيل كانوا مجاورين لهم وكانوا يقولون لمن يتوعدونه من العرب
يبعث لنا الان نبي نقتلكم معه قتل عاد وارم فلما راى النفر من الانصار النبي صلى الله عليه وسلم
قال بعضهم لبعض هذا والله النبي الذي تذكره بنو اسرائيل فلا تسبقن اليه والوجه الاخر الحرب
التي كانت ضرستهم وافنت سراتهم فرجوا ان يجمع الله به كلمتهم فكان الامر كما رجوا فعدد الله سبحانه عليهم
نعمته في تاليفهم بعد العداوة وذكرهم بها قال الفخر كانت الانصار قبل الاسلام اعداء فلما اكرمهم
الله بالاسلام صاروا اخوانا في الله متراحمين واعلم ان كل من كان وجهه الى الدنيا كان معاديا لاكثر
الخلق ومن كان وجهه الى خدمة المولى سبحانه لم يكن معاديا لاحد لانه يرى الكل اسيرا في قبضة القضاء والقدر
ولهذا قيل ان العارف اذا امر امر برفق ونصح لا بعنف وعسر وكيف وهو مستبصر بالله في القدر
انتهى وقوله سبحانه فاصبحتم عبارة عن الاستمرار قال ص اصبح يستعمل لاتصاف الموصوف بصفته وقت الصباح
وبمعنى صار فلا يلحظ فيها وقت الصباح بل مطلق الانتقال والصيرورة من حال الى حال واصبح هنا
بمعنى صار وما ذكره ابن عطية من ان اصبح للاستمرار لم يذهب اليه احد من النحويين انتهى ت وفيما
ادعاه نظر وهي شهادة على نفي وكلام ع واضح من جهة المعنى والشفا حرف كل جرم له مهوى كالحفرة
والبئر والجرف والسقف والجدار ونحوه ويضاف في الاستعمال الى الاعلى كقوله شفا جرف والى الاسفل
كقوله شفا حفرة فشبه الله كفرهم الذي كانوا عليه بالشفا لانهم كانوا يسقطون في جهنم دابا فانقذهم
الله بالاسلام وقوله فانقذكم منها اي من النار ويحتمل من الحفرة والاول احسن قال العراقي انقذكم
اي خلصكم انتهى وقوله سبحانه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير امر الله سبحانه الامة بان يكون منها
علماء يفعلون هذه الافعال على وجوهها ويحفظون قوانينها ويكون سائر الامة متبعين لاولئك
اذ هذه الافعال لا تكون الا بعلم واسع وقد علم الله سبحانه ان الكل لا يكونوا علماء فمن هنا للتبعيض
وهو تاويل الطبري وغيره وذهب الزجاج وغير واحد الى ان المعنى ولتكونوا كلكم امة يدعون ومن
لبيان الجنس ومعنى الاية على هذا امر الامة بان يدعوا جميع العالم الى الخير فيدعون الكفار الى الاسلام
والعصاة الى الطاعة ويكون كل واحد في هذه الامور على منزلته من العلم والقدرة وروى الليث
ابن سعد قال حدثني محمد بن عجلان ان واقد النضري اخبره عن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الا اخبركم باقوام ليسوا بانبياء ولا شهداء لمنازلهم من الله يكونون على منابر من
نور قالوا ومن هم يا رسول الله قال هم الذين يحببون الله الى الناس ويحببون الناس الى الله ويمشون لله في
الارض نصحا قلنا يا رسول الله هذا يحببون الله الى الناس فكيف يحببون الناس الى الله قال يامرونهم
بالمعروف وينهونهم عن المنكر فاذا اطاعوهم احبهم الله تعالى انتهى من التذكرة للقرطبي قال ع قال
اهل العلم وفرض الله سبحانه بهذه الاية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو من فروض الكفاية
اذا قام به قائم سقط عن الغير وقال النبي صلى الله عليه وسلم من راى منكم منكرا فليغيره بيده
فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان والناس في الامر بالمعروف وتغيير المنكر على
مراتب ففرض العلماء فيه تنبيه الولاة وحملهم على جادة العلم وفرض الولاة تغييره بقوتهم و
سلطانهم ولهم هي اليد وفرض سائر الناس رفعه الى الولاة والحكام بعد النهي عنه قولا وهذا في
المنكر الذي له دوام واما ان راى احد نازلة بديهة من المنكر كالسلب والزنا ونحوه فيغيرها بنفسه
بحسب الحال والقدرة ويحسن لكل مؤمن ان يعمل في تغيير المنكر وان ناله بعض الاذى ويؤيد هذا

المنزع ان في قراءة عثمان وابن مسعود وابن الزبير يامرون بالمعروف وينهون عن
المنكر ويستعينون الله على ما اصابهم فهذا وان لم يثبت في المصحف ففيه اشارة الى التعرض
لما سيصيب عقب الامر والنهي كما هو في قوله وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك وقوله
سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا الاية قال ابن عباس رضي الله عنه هي اشارة الى كل ما افترق من الامم الذين
فاهلكهم الافتراق وقال الحسن هي اشارة الى اليهود والنصارى وروى ابو داود في سننه عن معاوية بن
ابي سفيان قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين
ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة
وروى ابو هريرة نحوه ولم يذكر النار انتهى وقوله سبحانه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الاية بياض الوجه
عبارة عن اشراقها واستنارتها وبشرها برحمة الله قاله الزجاج وغيره وقوله سبحانه اكفرتم تقرير وتوبيخ
متعلق بمحذوف تقديره فيقال لهم اكفرتم وفي هذا المحذوف جواب اما وهذا هو فحوى الخطاب وهو
ان يكون في الكلام شيء مقدر لا يستغني المعنى عنه كقوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة
المعنى فافطر فعدة وقوله سبحانه بعد ايمانكم يقتضي ان لهؤلاء المذكورين ايمانا متقدما واختلف اهل
التاويل في تعيينهم فقال ابي بن كعب هو جميع الكفار وايمانهم هو اقرارهم يوم قيل لهم الست بربكم
قالوا بلى وقال اكثر المتاولين المراد اهل القبلة من هذه الامة ثم اختلفوا فقال الحسن الاية في المنافقين
وقال قتادة هي في اهل الردة وقال ابو امامة هي في الخوارج وقوله سبحانه تلك آيات الله نتلوها
عليك بالحق الاشارة بتلك الى هذه الآيات المتضمنة تعذيب الكفار وتنعيم المؤمنين ولما كان في هذا ذكر
التعذيب اخبر سبحانه انه لا يريد ان يقع ظلم لاحد من العباد واذا لم يرد ذلك فلا يوجد البتة لانه لا يقع
من شيء الا ما يريد سبحانه وقوله بالحق معناه بالاخبار الحق ويحتمل ان يكون المعنى نتلوها عليك
متضمنة الافعال التي هي حق في نفسها من كرامة قوم وتعذيب اخرين ولما كان للذهن ان يقف
هنا في الوجه الذي خص الله قوما بعمل يرحمهم من اجله واخرين بعمل يعذبهم عليه ذكر سبحانه الحجة
القاطعة في ملكه جميع المخلوقات وان الحق لا يعترض عليه وذلك في قوله ولله ما في السموات
وما في الارض الاية وقوله سبحانه كنتم خير امة اخرجت للناس الاية اختلف في تاويل الاية فقيل نزلت
في الصحابة وقال الحسن بن ابي الحسن وجماعة من اهل العلم الاية خطاب لجميع الامة بانهم خير
امة اخرجت للناس ويؤيد هذا التاويل كونهم شهداء على الناس واما قوله كنتم على صيغة المضي فانها
التي بمعنى الدوام كما قال وكان الله غفورا رحيما وقال قوم المعنى كنتم في علم الله وهذه الخيرية التي
خص الله بها هذه الامة انما ياخذ بحظه منها من عمل بهذه الشروط من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
والايمان بالله ومما جاء في فضل هذه الامة ما اخرجه مسلم في صحيحه عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون الاولون يوم القيامة وفي رواية السابقون يوم القيامة ونحن
اول من يدخل الجنة وفي رواية نحن الاخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضي لهم
قبل الخلائق وفي رواية المقضي بينهم انتهى وخرج ابن ماجه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال نحن اخر الامم واول من يحاسب يقال اين الامة الامية ونبيها فنحن الاخرون الاولون
وفي رواية عن ابن عباس فتفرج لنا الامم عن طريقنا فنمضي غرا محجلين من اثار الطهور فتقول
الامم كادت هذه الامة ان تكون انبياء كلها وخرجه ايضا ابو داود الطيالسي في مسنده بمعناه

بمعناه انتهى من التذكرة وروى ابو داود فى سننه قال حدثنا عثمان بن ابى شيبة عن ابيه
عن ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتى هذه امة مرحومة ليس عليها عذاب
فى الاخرة عذابها فى الدنيا الزلازل والفتن والقتل انتهى وقد ذكرنا هذا الحديث بضا عن
ابى داود وهذا الحديث ليس هو على عمومه فى جميع الامة لثبوت نفوذ الوعيد فى طائفة من العصاة
انتهى وقوله تامرون بالمعروف وما بعده احوال فى موضع نصب وفى الحديث خير الناس اتقاهم
لله وآمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واوصلهم للرحم رواه البغوى فى منتخبه انتهى من الكوكب
الدرى وقوله سبحانه منهم المؤمنون تنبيه على حال عبد الله بن سلام واخيه وثعلبة بن سعية
وغيرهم ممن آمن وقوله سبحانه لن يضروكم الا اذى اى لا اذى بالسنة فقط واخبر سبحانه
فى قوله وان يقاتلوكم يولوكم الادبار بخبر غيب صححه الوجود فهى من آيات نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم وفائدة الخبر هى فى قوله ثم لا ينصرون اى لا يكون حرب اليهود معكم سجالا
وخص الادبار بالذكر دون الظهر تخسيسا للشان وهكذا هو حيث تصرف وقوله سبحانه ضربت
معناه اثبتت بشدة والزام وهذا وصف حال تقررت لليهود فى اقطار الارض قبل مجى الاسلام وثقفوا
معناه اخذوا والحبل العهد المنجى من الهلاك وقوله الا بحبل من الله فى الكلام محذوف يدركه فهم السامع
تقديره فلا نجاة لهم من القتل والاستيطان الا بحبل وهو العهد وقوله ذلك اشارة الى الغضب
وضرب الذلة والمسكنة وباقى الاية تقدم تفسير نظيره وقوله سبحانه ليسوا سواء الاية قال ابن عباس
رضى الله عنهما لما اسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية واسيد بن عبيد ومن اسلم من اليهود
معهم قال الكفار من احبار يهود ما امن بمحمد الا شرارنا ولو كانوا خيارا ما تركوا دين ابائهم فانزل
الله سبحانه فى ذلك ليسوا سواء الاية وقال مثله قتادة وابن جريج وهو اصح التاويلات فى الاية
واختلف فى قوله قائمة فقال ابن عباس وغيره معناه قائمة على كتاب الله وحدوده مهتدية وقال السدى
القائمة القانتة المطيعة وهذا كله يرجع الى معنى واحد ويحتمل ان يريد بقائمة وصف حال التالين
فى اناء الليل ومن كانت حاله هذه فلا محالة انه معتدل على امر الله وآيات الله فى هذه الاية كتبه
والاناء الساعات واحدها انى بكسر الهمزة وسكون النون وحكم هذه الاية لا يتفق فى شخص بان
يكون كل واحد يصلى جميع ساعات الليل وانما يقوم هذا الحكم من جماعة الامة اذ بعض الناس يقوم اول
الليل وبعضهم آخره وبعضهم بعد هجعة ثم يعود الى نومه فياتى من مجموع ذلك فى المدن والجماعات عمارة اناء الليل
بالقيام وهكذا كان صدر هذه الامة وعرف الناس القيام فى اول الثلث الاخر من الليل او قبله بشىء
وحينئذ كان النوم الاكثر والقيام طول الليل قليل وقد كان فى الصالحين من يلتزمه وقد ذكر الله سبحانه
القصد من ذلك فى سورة المزمل وقيام الليل لقراءة العلم المبتغى به وجه الله داخل فى هذه الاية وهو
افضل من التنفل لمن يرجى انتفاع المسلمين بعلمه قلت وقد تقدم فى اول السورة ما جاء من التاويل فى
حديث النزول فلنذكر الان الحديث بكماله لما فيه من الفوائد روى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال ينزل ربنا تبارك وتعالى الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر فيقول من
يدعونى فاستجيب له من يسالنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له رواه الجماعة اعنى الكتب
الستة البخارى ومسلم وابو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وفى بعض الطرق
حتى يطلع الفجر زاد ابن ماجه فلذلك كانوا يستحبون صلاة آخر الليل على اوله

وعن عمرو بن عبسة انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول اقرب ما يكون الرب من العبد فى
جوف الليل الاخر فان استطعت ان تكون ممن يذكر الله فى تلك الساعة فكن رواه ابو داود
والترمذى والنسائى والحاكم فى المستدرك واللفظ للترمذى وقال حسن صحيح وقال
الحاكم على شرط مسلم انتهى من السلاح وعن ابى امامة قلت يا رسول الله اى الدعاء اسمع قال
جوف الليل الاخر ودبر الصلوات المكتوبات رواه الترمذى والنسائى قال الترمذى هذا
حديث حسن وفى رواية جوف الليل الاخر ارجى ونحو هذا من السلاح ومما يدخل فى ضمن
قوله سبحانه ويسارعون فى الخيرات ان يكون مغتنما للخمس كما قال النبى صلى الله عليه وسلم
اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وحياتك
قبل موتك وغناك قبل فقرك فمتى اراد ان يصنع خيرا بادر اليه ولم يسوف نفسه بالامل فهذه
ايضا مسارعة فى الخيرات وذكر بعض الناس قال دخلت مع بعض الصالحين فى مركب فقلت
له ما تقول اصلحك الله فى الصوم فى السفر فقال لى انها المبادرة يا ابن اخى قال المحدث
فجاءنى والله بجواب ليس من جواب الفقهاء قال ص وقوله من الصالحين من للتبعيض ابن عطية
ويحسن ايضا ان تكون لبيان الجنس وتعقب بانه لم يتقدم شىء فيه ابهام فيبين جنسه
انتهى وقوله عز وجل وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اى فلن تغطوا دونكم فلا تثابون
عليه وفى قوله سبحانه والله عليم بالمتقين وعد ووعيد وقوله سبحانه مثل
ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح الاية وقع فى الاية التشبيه بين شيئين وترك
من كل منهما ما دل عليه الكلام وهذه غاية الايجاز والبلاغة وجمهور المفسرين على ان
ينفقون يراد به الاموال التى كانوا ينفقونها فى التحنث اى يبطلها كفرهم كما تبطل الريح الزرع
والصر البرد الشديد المحرق لكل ما يهب عليه والحرث شامل للزرع والثمار وقوله سبحانه
حرث قوم ظلموا انفسهم الاية من اهل العلم من يرى ان كل مصيبة فى الدنيا فانما هى بمعاصى
العبيد وينتزع ذلك من غير ما اية من القرآن فيستقيم على قوله ان كل حرث تحرقه ريح
فانما هو لمن قد ظلم نفسه والضمير فى قوله وما ظلمهم الله للكفار الذين تقدم ضميرهم
فى ينفقون وليس هو للقوم ذوى الحرث وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة
اى لا تتخذوا من الكفار واليهود والمنافقين اخلاء تانسون بهم فى الباطن وتفاوضونهم فى الاراء
وقوله من دونكم يعنى من دون المؤمنين وقوله سبحانه لا يالونكم خبالا معناه لا يقصرون
لكم فيما فيه فساد عليكم تقول ما الوت فى كذا اى ما قصرت بل اجتهدت والخبال الفساد
قال ابن عباس كان رجال من المؤمنين يواصلون رجالا من اليهود للحلف والجوار الذى كان بينهم
فى الجاهلية فنزلت الاية فى ذلك وقال ايضا ابن عباس وقتادة والربيع والسدى نزلت فى المنافقين
قال ع ويدخل فى هذه الاية استكتاب اهل الذمة وتصريفهم فى البيع والشراء ونحو ذلك وما فى
قوله ما عنتم مصدرية فالمعنى ودوا عنتكم والعنت المشقة والمكروه يلقاه المرء وعقبة عنوت
اى شاقة قال ص قال الزجاج عنتكم اى مشقتكم وقال ابن جرير ضلالكم وقال الزبيدى العنت
الهلاك انتهى وقوله سبحانه قد بدت البغضاء من افواههم اى فهم فوق المتستر الذى تبدو
البغضاء فى عينيه وخص سبحانه الافواه بالذكر دون الالسنة اشارة الى تشدقهم وثرثرتهم

في افواههم هذه ثم قال سبحانه للمؤمنين قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون تحذيرا
وتنبيها وقد علم سبحانه انهم عقلاء ولكن هذا هز للنفوس كما تقول ان كنت رجلا فافعل
كذا وكذا وقوله ها انتم اولاء تحبونهم الضمير في تحبونهم للذين تقدم ذكرهم في قوله
بطانة من دونكم قال ص وتؤمنون بالكتاب كله قال ابو البقاء الكتاب هنا جنس اي
بالكتب كلها انتهى وقوله سبحانه عضوا عليكم الانامل من الغيظ عبارة عن شدة الغيظ مع عدم
القدرة على انفاذه ومنه قول ابي طالب يعضون غيظا خلفنا بالانامل وقوله سبحانه قل
موتوا بغيظكم قال فيه الطبري وكثير من المفسرين هو دعاء عليهم وقال قوم بل امر النبي صلى الله
عليه وسلم وامته يواجهونهم بهذا فعلى هذا زال معنى الدعاء وبقي معنى التقريع وقوله
سبحانه ان الله عليم بذات الصدور وعيد وذات الصدور ما تنطوي عليه وقوله سبحانه
ان تمسسكم حسنة تسؤهم الاية الحسنة والسيئة في هذه الاية لفظ عام في كل ما يحسن
ويسوء ت ويجب على المؤمن ان يجتنب هذه الاخلاق الذميمة وروينا في كتاب الترمذي عن واثلة
ابن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لاخيك فيرحمه الله ويبتليك
انتهى والكيد الاحتيال بالاباطيل وقوله سبحانه واكيد كيدا انما هي تسمية العقوبة باسم الذنب
وقوله سبحانه واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال هذا ابتداء عتب
المؤمنين في امر احد وفيه نزلت هذه الايات كلها وكان من امر غزوة احد ان المشركين اجتمعوا في
ثلاثة الاف رجل وقصدوا المدينة ليأخذوا بثارهم في يوم بدر فنزلوا عند احد يوم
الاربعاء الثاني عشر من شوال سنة ثلاث من الهجرة على راس احد وثلاثين شهرا من الهجرة
واقاموا هنالك يوم الخميس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يدبر وينتظر امر
الله سبحانه فلما كان في صبيحة يوم الجمعة جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشارهم واخبرهم
انه كان يرى بقرا تذبح وثلما في ذباب سيفه وانه يدخل يده في درع حصينة وانه تأولها
المدينة وقال لهم ارى ان لا نخرج الى هؤلاء الكفار فقال له عبد الله بن ابي بن سلول
اقم يا رسول الله ولا تخرج اليهم بنا فان هم اقاموا اقاموا بشر محبس وان انصرفوا مضوا خائبين
وان جاؤونا الى المدينة قاتلناهم في الافنية ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من الاطام
فوالله ما حاربنا قط عدو في هذه المدينة الا غلبناه ولا خرجنا منها الى عدو الا غلبنا فوافق
هذا الراي راي النبي صلى الله عليه وسلم وراي جماعة عظيمة من المهاجرين والانصار وقال
قوم من صلحاء المؤمنين ممن فاتته بدر يا رسول الله اخرج بنا الى عدونا وشجعوا الناس
ودعوا الى الحرب فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى بالناس صلاة الجمعة وقد
حشمه هؤلاء الداعون الى الحرب فدخل اثر صلاته بيته ولبس سلاحه فندم اولئك القوم
وقالوا اكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خرج عليهم النبي صلى الله عليه
وسلم في سلاحه قالوا يا رسول الله اقم ان شئت فانا لا نريد ان نكرهك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لنبي لبس سلاحه ان يضعها حتى يقاتل ثم خرج بالناس
حتى قرب من عسكر المشركين فعسكر هنالك وبات تلك الليلة وقد غضب عبد الله
ابن ابي بن سلول وقال اطاعهم وعصاني فلما كان في صبيحة يوم السبت عزم النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم على المسير الى مناجزة المشركين فنهض وهو في الف رجل فانخزل عنه عند ذلك عبد الله
ابن ابي بن سلول بثلاثمائة رجل من منافق ومتبع وقالوا نظن انكم لا تلقون قتالا ومضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسبعمائة فهمت عند ذلك بنو حارثة من الاوس وبنو سلمة من الخزرج
بالانصراف وراوا كثافة المشركين وقلة المسلمين وكادوا ان يجبنوا ويفشلوا فعصمهم الله تعالى وذكر
وذمر بعضهم بعضا ونهضوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى اطل على المشركين وصاف الناس وكان النبي صلى
الله عليه وسلم قد امر على الرماة عبد الله بن جبير وكانوا خمسين رجلا وجعلهم يحمون الجبل وراء المسلمين
واسند هو الى الجبل فلما اضطرمت الحرب انكشف المشركون وانهزموا وجعل نساء المشركين يشددن الى الجبل
ويرفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن فجعل الرماة يقولون الغنيمة الغنيمة وكان النبي صلى الله عليه وسلم
قد قال لهم لا تبرحوا ولو رايتمونا تختطفنا الطير من هنا فقال لهم عبد الله بن جبير وقوم منهم اتقوا الله واثبتوا
كما امركم فعصوا وخالفوا وانصرفوا يريدون النهب وخلوا ظهور المسلمين للخيل وجاء خالد في جريدة
خيل من خلف المسلمين حيث كان الرماة فحمل على الناس ووقع التخاذل وصيح في المسلمين من مقدمهم
ومن ساقتهم وصرخ صارخ قتل محمد فتخاذل الناس واستشهد من المسلمين سبعون وتحيز رسول الله
صلى الله عليه وسلم في اعلى الجبل وتحاوز الناس هذا مختصر من القصة يترتب عليه تفسير الايات
وامر احد مستوعب في كتب السير وليس هذا التعليق مما يقتضي ذكره وتبوئ معناه تعين لهم مقاعد
يتمكنون فيها ويثبتون وقوله سبحانه مقاعد جمع مقعد وهو مكان القعود وهذا بمنزلة
قولك مواقف ولكن لفظة القعود ادل على الثبوت ولا سيما ان الرماة انما كانوا قعودا وكذلك
كانت صفوف المسلمين اولا والمبارزة والسرعان يجولون وقوله والله سميع اي لما تقول وما يقال
لك وفي المشاورة وغيره وهمت معناه ارادت ولم تفعل والفشل في هذا الموضع هو الجبن
الذي كاد يلحق الطائفتين ففي البخاري وغيره عن جابر قال نزلت هذه الاية فينا اذ همت
طائفتان في بني سلمة وبني حارثة وما احب انها لم تنزل والله يقول والله وليهما وقوله
سبحانه ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة ثم امر الله سبحانه بالتوكل عليه وذكر بامر بدر الذي
ثمرته التوكل على الله سبحانه والثقة به وقوله سبحانه وانتم اذلة معناه قليلون واسم الذل في هذا
الموضع مستعار اذ نسبتهم الى عدوهم والى جميع الكفار في اقطار الارض تقتضي عند المتامل
ذلتهم وانهم مغلوبون روى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوم بدر في ثلاثمائة
وخمسة عشر فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم انهم حفاة فاحملهم اللهم انهم عراة فاكسهم
اللهم انهم جياع فاشبعهم ففتح الله عليهم يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا وما فيهم رجل رجع
الا وقد رجع بجمل او جملين واكتسوا وشبعوا رواه ابو داود والحاكم في المستدرك على الصحيحين
واللفظ له وقال صحيح على شرط الشيخين انتهى من السلاح وقوله سبحانه اذ تقول
العامل في اذ مضمر ويحتمل ان يكون العامل نصركم وعلى هذا قول الجمهور ان هذا
القول من النبي صلى الله عليه وسلم كان ببدر قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة
في يوم من الايام الا يوم بدر وكانوا يكونون في سائر الايام عددا ومددا
لا يضربون قال الشعبي وهم يحضرون حروب المسلمين الى يوم القيامة قال
قتادة امد الله المؤمنين يوم بدر بخمسة الاف قال عكرمة كان

الوعد يوم بدر فلم يصبروا يوم احد ولا اتقوا فلم يمدوا ولو مدوا لم يهزموا
وقال الضحاك وابن زيد انما كان هذا الوعد والمقالة للمؤمنين يوم احد ففر
الناس وولوا مدبرين فلم يمدهم الله وانما مدوا يوم بدر بالف من الملائكة
مردفين و الفور النهوض المسرع الى الشيء ماخوذ من فور القدر والماء ونحوهما ومنه
الفور في الحج والوضوء و مسومين معناه معلمين بعلامات و روي ان الملائكة اعلمت
يوم بدر بعمائم بيض الا جبريل فانه كان بعمامة صفراء على مثال عمامة الزبير
ابن العوام و روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للمسلمين سوموا فان الملائكة قد
سومت و قوله سبحانه وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر
الا من عند الله العزيز الحكيم الضمير في جعله عائد على الانزال والامداد ومعنى الاية وما
كان هذا الامداد الا لتستبشروا به ولتطمئن قلوبكم وترون حفاية الله بكم والا فالكثرة لا تغني
شيئا الا بنصر الله و اللام في قوله ليقطع متعلقة بقوله وما النصر ويحتمل ان تكون متعلقة
بجعله فيكون قطع الطرف اشارة الى من قتل يوم بدر على قول ابن اسحق وغيره او الى من قتل باحد
على ما قال السدي وقتل من المشركين ببدر سبعون وقتل منهم يوم احد اثنان وعشرون رجلا
و الطرف الفريق و قوله سبحانه او يكبتهم معناه يخزيهم والكبت الصرع لليدين وقال
ص الكبت الهزيمة وقيل الصرع لليدين انتهى و قوله سبحانه ليس لك من الامر شيء الاية
روي في سبب هذه الاية انه لما هزم اصحابه صلى الله عليه وسلم وشج وجهه وكسرت
رباعيته جعل يمسح وجهه ويقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وفي بعض طرق
الحديث كيف بقوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى الله فنزلت الاية فقيل له ليس لك
من الامر شيء اي عواقب الامور بيد الله فامض انت لشانك ودم على الدعاء لربك قلت وقد
فعل ذلك صلى الله عليه وسلم ممتثلا امر ربه قال عياض روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه وقالوا لو دعوت عليهم فقال
اني لم ابعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون و روي عن عمر رضي الله
عنه انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعى نوح على قومه فقال رب لا تذر
على الارض ولو دعوت علينا لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت
رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون انتهى قال الطبري
وغيره من المفسرين او يتوب عطف على او يكبتهم والمعنى او يتوب عليهم فيسلمون او يعذبهم اذ
تمادوا على كفرهم فانهم ظالمون ثم اكد سبحانه معنى قوله ليس لك من الامر شيء بذكر الحجة الساطعة
في وهي ملكه الاشياء فقال سبحانه ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء والله غفور رحيم اي فله سبحانه ان يحكم في ملكه ما يشاء لا اعتراض عليه ولا
معقب لحكمه ثم ذكر سبحانه ان الغفران او التعذيب انما هو بمشيئته وبحسب السابق
في علمه ثم رجا سبحانه في آخر ذلك تانيسا للنفوس و قوله سبحانه يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا
الربا اضعافا مضاعفة الاية قال ع هذا النهي عن اكل الربا اعتراض اثناء قصة احد
ولا احفظ سببا في ذلك مرويا ومعناه الربا الذي كانت العرب تضعف فيه الدين وقد تقدم الكلام على

في سورة البقرة و قوله سبحانه اعدت للكافرين اي انهم المقصود والمراد الاول وقد يدخلها سواهم
من العصاة هذا مذهب اهل العلم في هذه الاية وحكى الماوردي وغيره عن قوم انهم ذهبوا الى ان اكلة
الربا انما توعدهم الله بنار الكفرة لا بنار العصاة و قوله سبحانه واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون
قال محمد بن اسحق هذه الاية من قوله تعالى واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون هي ابتداء المعاتبة في امر
احد وانهزام من فر وزوال الرماة عن مراكزهم و قوله سبحانه وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة
عرضها السموات والارض قرا نافع وابن عامر سارعوا بغير واو وكذلك هي في مصاحف اهل المدينة والشام
وقرا باقي السبعة بالواو و المسارعة المبادرة وهي مفاعلة اذ الناس كان كل واحد يسرع ليصل
قبل غيره فبينهم في ذلك مفاعلة الا ترى الى قوله فاستبقوا الخيرات والمعنى سارعوا بالطاعة والتقوى
والتقرب الى ربكم الى ما يغفر الله لكم ذنوبكم قلت وحق على من فهم كلام ربه ان يبادر ويسارع الى ما ندب
اليه ربه وان لا يتهاون بتروك الفضائل الواردة في الشرع قال النووي رحمه الله تعالى اعلم انه من بلغه
شيء من فضائل الاعمال ان يعمل به ولو مرة ليكون من اهله ولا ينبغي ان يتركه جملة بل ياتي بما تيسر
منه لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته واذا امرتكم بشيء فافعلوا منه ما استطعتم
انتهى من الحلية و قوله سبحانه وجنة عرضها السموات والارض اي كعرض السموات والارض قال ابن عباس
في تفسير الاية تقرن السموات والارضون بعضها الى بعض كما تبسط الثياب فذلك عرض الجنة ولا
يعلم طولها الا الله سبحانه و في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بين المصراعين من
ابواب الجنة مسيرة اربعين سنة وياتي عليها يوم وهي كظيظ بزحام الناس كما تزدحم الابل اذا وردت خمصا
ظماء وفي الصحيح ان في الجنة شجرة يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام لا يقطعها فهذا كله يقوي
قول ابن عباس وهو قول الجمهور ان الجنة اكبر من هذه المخلوقات المذكورة وهي ممتدة على السماء
حيث شاء الله تعالى وذلك لا ينكر فان في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع والارضون
السبع في الكرسي الا كدراهم القيت في فلاة من الارض قال فهذه مخلوقات اعظم بكثير جدا من
السموات والارض وقدرة الله اعظم من ذلك كله قلت قال الفخر وفي الاية وجه ثان ان الجنة
التي عرضها مثل عرض السموات والارض انما تكون للرجل الواحد لان الانسان يرغب فيما يكون
ملكا له فلا بد وان تصير الجنة المملوكة لكل احد مقدارها هكذا انتهى و قدرة الله تعالى
اوسع وفضله اعظم و في صحيح مسلم والترمذي من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه
في سؤال موسى ربه عن ادنى اهل الجنة منزلة وانه رجل ياتي بعد ما يدخل اهل الجنة الجنة
فيقال له اترضى ان يكون لك مثل ما كان لملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت اي رب فيقال
لك ذلك ومثله معه ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت اي رب فيقال لك
ذلك وعشرة امثاله فيقول رضيت اي رب فيقال له وان لك مع هذا ما اشتهت نفسك
ولذت عينك قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح و في البخاري من طريق ابن مسعود رضي
الله عنه ان اخر اهل الجنة دخولا الجنة واخر اهل النار خروجا من النار رجل يخرج حبوا
فيقول له ربه ادخل الجنة فيقول رب الجنة ملاى فيقول له ان لك مثل الدنيا عشر
مرات انتهى و في جامع الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة

الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية الحديث قال ابو عيسى وقد روي
هذا الحديث من غير وجه مرفوعا وموقوفا وفي الصحيح ما معناه اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل
بقي فيها فضلة فينشئ الله لها خلقا او كما قال انتهى قال ع وخص العرض بالذكر لانه متى ذكر دل على الطول
والطول اذا ذكر لا يدل على قدر العرض بل قد يكون الطويل يسير العرض كالخيط ونحوه ثم وصف تعالى المتقين
الذين اعدت لهم الجنة بقوله الذين ينفقون في السراء والضراء وهما اليسر والعسر قاله ابن عباس اذ
الاغلب ان مع اليسر النشاط وسرور النفس ومع العسر الكراهية وضر النفس وكظم الغيظ رده في
الجوف اذا كاد ان يخرج من كثرته ومنعه كظمه والكظام السير الذي يشد به فم الزق والغيظ اصل
الغضب وكثيرا ما يتلازمان ولذلك فسر بعض الناس الغيظ بالغضب وليس تحرير الامر كذلك بل الغيظ حال
للنفس لا تظهر على الجوارح والغضب حال لها تظهر في الجوارح وفعل ما ولا بد ولهذا جاء اسناد الغضب الى
الله سبحانه اذ هو عبارة عن افعاله في المغضوب عليهم ولا يسند اليه تعالى غيظ وورد في كظم الغيظ
وملك النفس عند الغضب احاديث وذلك من اعظم العبادات وجهاد النفس ففي حديث ابي هريرة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأه الله امنا وايمانا الى غير ذلك من الاحاديث
ت وروى ابو داود والترمذي عن معاذ بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا
وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في اي الحور شاء قال ابو عيسى
هذا حديث حسن انتهى وفي رواية اخرى لابي داود ملأه الله امنا وايمانا ومن ترك لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه
قال بشر احسبه قال تواضعا كساه الله حلة الكرامة وحدث الحافظ ابو الفضل محمد بن طاهر المقدسي
بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن خزن لسانه ستر الله
عورته ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره انتهى من صفوة التصوف والعفو عن الناس من اجل ضروب
فعل الخير ثم قال سبحانه والله يحب المحسنين فعم انواع البر وظاهر الاية انها مدح بفعل المندوب
وقوله سبحانه والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله الاية ذكر سبحانه في هذه الاية
صنفا هو دون الصنف الاول فالحقهم به برحمته ومنه وهم التوابون وروي في سبب نزول هذه الاية
ان الصحابة قالوا يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله منا حين كان المذنب منهم يصبح و
عقوبته مكتوبة على باب داره فانزل الله هذه الاية توسعة ورحمة وعوضا من ذلك الفعل
ببني اسرائيل وروي ان ابليس بكى حين نزلت هذه الاية والفاحشة لفظ يعم جميع المعاصي وقد كثر استعماله
في الزنا حتى فسر السدي الفاحشة هنا بالزنا لقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا
وقال قوم الفاحشة هنا اشارة الى الكبائر وظلم النفس اشارة الى الصغائر واستغفروا معناه
طلبوا الغفران قال النووي وروينا في سنن ابن ماجة باسناد جيد عن عبد الله بن بسر بضم الباء
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا انتهى من الحلية
وذكروا الله معناه بالخوف من عقابه والحياء منه اذ هو المنعم المتطول ثم اعترض اثناء الكلام
قوله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله اعتراضا موقفا للنفس داعيا الى الله مرجيا لعفوه اذا رجع
اليه وجاء اسم الله مرفوعا بعد الاستثناء والكلام موجب حملا على المعنى اذ هو بمعنى وما يغفر
الذنوب الا الله وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال حدثني ابو بكر قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله الا غفر

له ثم قرأ هذه الاية والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله الى اخر الاية رواه
ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي واللفظ له
حديث حسن انتهى من السلاح وقوله سبحانه ولم يصروا الاصرار هو المقام على الذنب واعتقاد
العود اليه وقوله وهم يعلمون قال السدي معناه وهم يعلمون انهم قد اذنبوا وقال
ابن اسحق معناه وهم يعلمون بما حرمت عليهم وقيل وهم يعلمون ان باب التوبة مفتوح وقيل
وهم يعلمون اني اعاقب على الاصرار ثم شرك سبحانه الطائفتين المذكورتين في قوله اولئك
جزاؤهم مغفرة من ربهم الاية قال ص وقوله تعالى ونعم المخصوص بالمدح محذوف اي
المغفرة والجنة وقوله سبحانه قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض الاية الخطاب للمؤمنين
والمعنى لا يذهب بكم ان ظهر الكفار المكذبون عليكم باحد فان العاقبة للمتقين وقديما ادال
الله المكذبين على المؤمنين ولكن انظروا كيف هلك المكذبون بعد ذلك فكذلك يكون عاقبة
هؤلاء وقال النقاش الخطاب بقد خلت للكفار قال ع وذلك قلق وخلت معناه مضت والسنن
الطرائق وقال ابن زيد معناه امثال وهذا تفسير لا يخص اللفظة وقوله فانظروا هو عند الجمهور
من نظر العين وقال قوم هو بالفكر وقوله سبحانه هذا بيان للناس يريد به القران قاله الحسن
وغيره وقال جماعة عنهم الاشارة بهذا الى قوله تعالى قد خلت من قبلكم سنن وقال الفخر يعني بقوله
هذا بيان ما تقدم من امره سبحانه ونهيه ووعده ووعيده وذكره لانواع البينات والايات
انتهى ثم نهى سبحانه المؤمنين عن الوهن وهو الضعف وانتم بانهم الاعلون اصحاب
العاقبة ومن كرم الخلق ان لا يهن الانسان في حربه اذا كان محقا وانما يحسن اللين في
السلم والرضا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن هين لين وقوله سبحانه وانتم
الاعلون اخبار بعلو كلمة الاسلام هذا قول الجمهور وهو ظاهر اللفظ قال ص وانتم
الاعلون في موضع نصب على الحال وقوله سبحانه ان كنتم مؤمنين المقصد هز النفوس
واقامتها ويترتب من ذلك الطعن على من نجم في ذلك اليوم نفاقه او اضطرب يقينه اي
لا يتحصل الوعد الا بالايمان فالزموه ثم قال تعالى تسلية للمؤمنين ان يمسسكم قرح فقد
مس القوم قرح مثله والاسوة مسلاة للبشر ومنه قول الخنساء نظم
ولولا كثرة الباكين حولي • على اخوانهم لقتلت نفسي • وما يبكون مثل اخي ولكن • اعزي النفس عنه بالتاسي •
والقرح القتل والجراح قاله مجاهد وغيره وقوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس اخبر سبحانه
على جهة التسلية ان الايام على قديم الدهر وغابره ايضا انما جعلها دولا بين البشر اي
فلا تنكروا ان يدال عليكم الكفار وقوله سبحانه وليعلم الله الذين امنوا تقديره وليعلم الله الذين
امنوا فعل ذلك والمعنى ليظهر في الوجود ايمان الذي قد علم ازلا انهم يؤمنون والا فقد
علمهم في الازل ويتخذ منكم شهداء معناه اهل فوز في سبيله حسبما ورد في فضائل
الشهداء وذهب كثير من العلماء الى التعبير على ادالة المؤمنين بالنصر وعن ادالة الكفار
بالادالة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك حديث يدالون كما ينصرون و
التمحيص التنقية قال الخليل التمحيص التخلص من العيب فتمحيص المؤمنين هو تنقيتهم من
الذنوب والمحق الاذهاب شيئا فشيئا ومنه محاق القمر وقوله سبحانه ام حسبتم ان

تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين الاية حسبتم معناه ظننتم وهذه
الاية وما بعدها عتب وتقريع لطوائف من المؤمنين الذين وقعت منهم الهفوات المشهورة يوم
احد ثم خاطب الله سبحانه المؤمنين بقوله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه والسبب في
ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج في غزوة بدر يريد عير قريش مبادرا فلم يرع الناس معه
اذ كان الظن انه لا يلقى حربا فلما قضى الله ببدر ما قضى وفاز حاضروها بالمنزلة الرفيعة
كان المتخلفون من المؤمنين عنها يتمنون حضورا قتال الكفار ليكون منهم في ذلك غنا يلحقهم عند ربهم
ويلحقهم بمنزلة اهل بدر فلما جاء امر احد لم يصدق كل المؤمنين فعاتبهم الله بهذه الاية والزمهم تمني الموت
من حيث تمنوا اسبابه وهو لقاء العدو ومضاربتهم والا فنفس قتل المشرك للمسلم لا يجوز ان
يتمنى من حيث هو قتل وانما تمنى لو لحقه من الشهادة والتنعيم ت وفي كلام ع بعض اجمال وقد
ترجم البخاري تمني الشهادة ثم اسند عن ابي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
والذي نفسي بيده لولا ان رجالا من المؤمنين لا تطيب انفسهم ان يتخلفوا عني ولا اجد ما احملهم عليه
ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله والذي نفسي بيده لوددت اني اقتل في سبيل الله ثم احيى
ثم اقتل ثم احيى ثم اقتل ثم احيى ثم اقتل وخرجه ايضا مسلم وخرج البخاري ومسلم من حديث
انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يموت له عند الله خير يسره ان يرجع الى الدنيا
وان له الدنيا وما فيها الا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فانه يسره ان يرجع الى الدنيا
فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة انتهى فقد بين لك تمني القتل في سبيل الله بهذه النصوص لما
فيه الكرامة وصواب كلام ابن عطيه ان يقول وانما يتمنى القتل لما يلحقه من الشهادة و
التنعيم وقوله سبحانه فقد رايتموه يريد رايتم اسبابه وقوله وانتم تنظرون تاكيد للرؤية
واخراجها من الاشتراك الذي بين رؤية القلب ورؤية العين وقوله سبحانه وما محمد الا
رسول قد خلت من قبله الرسل الاية هذا استمرار في عتبهم واقامة الحجة عليهم المعنى ان محمدا
عليه السلام رسول كسائر الرسل قد بلغ كما بلغوا ولزمكم ايها المؤمنون العمل بمضمن الرسالة وليست
حياته وبقاؤه بين اظهركم شرطا في ذلك لانه يموت كما ماتت الرسل قبله ثم توعد سبحانه المنقلب
على عقبيه بقوله فلن يضر الله شيئا لان المعنى فانما يضر نفسه واياه يوبق ثم وعد الشاكرين
وهم الذين صدقوا وصبروا ومضوا في دينهم ووفوا الله بعهدهم كسعد بن الربيع
ووصيته يومئذ للانصار وانس بن النضر وغيرهما ثم يدخل في الاية الشاكرون الى يوم
القيامة وقال علي رضي الله في تفسير هذه الاية الشاكرون الثابتون على دينهم ابو بكر واصحابه
وكان يقول ابو بكر امير الشاكرين اشارة منه الى صدع ابي بكر بهذه الاية يوم موت النبي
صلى الله عليه وسلم وثبوته في امر الردة وسائر المواطن التي ظهر فيها شكره وشكر الناس
بسببه ثم اخبر عز وجل عن النفوس انها انما تموت باجل مكتوب محتوم عند الله تعالى
اي فالجبن والجور لا يزيد في الاجل والشجاعة والاقدام لا ينقص منه وفي هذه الاية تقوية
للنفوس في الجهاد وفيها رد على المعتزلة في قولهم بالاجلين وقوله سبحانه ومن يرد ثواب الدنيا
نؤته منها الاية اي نؤت من شئنا منها ما قدر له يبين ذلك قوله تعالى من كان يريد
العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وقرينة الكلام انه لا يؤتى شيئا من الاخرة

لان من كانت نيته من عمله مقصورة على طلب الدنيا فلا نصيب له في الاخرة ولا
بالنيا وقرينة الكلام من قوله ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها لا يمنع ان يؤتى نصيبا
من الدنيا قال ابن فورك وسنجزي الشاكرين اشارة الى انه ينعمهم بنعم الدنيا لا انهم
يقصرون على الاخرة ثم ضرب سبحانه المثل للمؤمنين بمن سلف من صالح الامم الذين لم
يثنهم عن دينهم قتل الكفار لانبيائهم فقال وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير
الاية وفي كاين لغات وهذه اللغة اصلها لانها كاف التشبيه دخلت على اي وكاين في
هذه الاية في موضع رفع بالابتداء وهي بمنزلة كم وبمعناها تعطي في الاغلب الكثير وقرا
نافع وابن كثير وابو عمرو قتل مبنيا لما لم يسم فاعله وقرا الباقون قاتل فقوله قتل قال
فيه جماعة من المفسرين منهم الطبري انه مسند الى ضمير اي والمعنى عندهم ان النبي صلى
الله عليه وسلم قتل ونحا اليه ابن عباس واذا كان هذا فربيون مرتفع بالظرف بلا خلاف
وهو متعلق بمحذوف وليس متعلقا بقتل وقال الحسن بن ابي الحسن وجماعة ان قتل انما
هو مسند الى قوله ربيون وهم المقتولون قال الحسن وابن جبير لم يقتل نبي في حرب
قط قال ع فعلى هذا القول يتعلق قوله معه بقتل ورجح الطبري القول الاول بدلالة
نازلة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان المؤمنين انما تخاذلوا يوم احد لما قيل قتل
محمد فضرب المثل بنبي قتل وترجيح الطبري حسن ويؤيد ذلك ما تقدم من قوله افان
مات او قتل وحجة من قرا قاتل انها اعم في المدح لانه يدخل فيها من قتل ومن بقي
قال ع ويحسن عندي على هذه القراءة اسناد الفعل الى الربيين وقوله ربيون قال ابن
عباس وغيره معناه جموع كثيرة وهو من الربة بكسر الراء وهي الجماعة الكثيرة وروي
عن ابن عباس والحسن بن ابي الحسن وغيرهما انهم قالوا ربيون معناه مطيعون لله او
من حيث انهم علماء بما شرع وقوله سبحانه وما استكانوا ذهبت طائفة من النحاة
الى انه من السكون وذهبت طائفة الى انه ماخوذ من كان يكون اصله استكونوا
والمعنى انهم لم يضعفوا ولا كانوا قريبا من ذلك قلت واعلم رحمك الله ان اصل
الوهن والضعف عن الجهاد ومكافحة العدو هو حب الدنيا وكراهية بذل النفوس
وبذل مهجها للقتل في سبيل الله الا ترى حال الصحابة رضي الله عنهم وقلتهم في صدر
الاسلام وكيف فتح الله بهم البلاد ودان لدينهم العباد لما بذلوا لله انفسهم في الجهاد وحالنا
اليوم كما ترى عدد اهل الاسلام كثير ونكايتهم في الكفار نزر يسير وقد روى ابو داود
في سننه عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الامم ان تداعى
عليكم كما تداعى الاكلة الى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل انتم كثير
ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن
في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية
الموت انتهى فانظر رحمك الله فهل هذا الزمان الا زماننا بعينه وتامل حال ملوكنا
انما همهم جمع المال من حرام وحلال واعراضهم عن امر الجهاد فانا لله وانا اليه راجعون
على مصاب الاسلام وقوله تعالى وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا الاية

هذه الاية في ذكر الربيين اي هذا كان قولهم لا ما قاله بعضكم يا اصحاب محمد لو كان لنا
من الامر شيء ما قتلنا هاهنا الى غير ذلك مما اقتضته تلك الحال من الاقوال وهذه
المقالة ترجح القول الثاني في تفسير الربيين اذ هذه المقالة انما تصدر من علماء عارفين
بالله قال ع واستغفار هؤلاء القوم المحمود وحين في هذا الموطن ينحو الى انهم راوا ان
ما نزل من مصائب الدنيا انما هو بذنوب من البشر كما نزلت قصة احد بعصيان من عصى
وقولهم ذنوبنا واسرافنا في امرنا عبارتان عن معنى قريب بعضه من بعض جاء للتاكيد
ولتعم مناحي الذنوب وكذلك فسر ابن عباس وغيره وقال الضحاك الذنوب عام والاسراف
في الامر اريد به الكبائر خاصة فاتاهم الله ثواب الدنيا بان اظهرهم على عدوهم وحسن ثواب
الاخرة الجنة بلا خلاف قال الفخر ولا شك ان ثواب الاخرة هي الجنة وذلك غير حاصل في الحال
فيكون المراد انه سبحانه لما حكم لهم بحصولها في الاخرة قام حكمه لهم بذلك مقام الحصول في الحال
ويحتمل قوله فاتاهم انه سيؤتيهم قيل ولا يمتنع ان تكون هذه الاية خاصة بالشهداء وانه
تعالى في حال نزول هذه الاية كان اتاهم حسن ثواب الاخرة انتهى وقوله سبحانه يا ايها الذين
امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يعني المنافقين الذين جبنوا المسلمين وقالوا في امر احد لو كان
محمد نبيا لم يهزم وقوله سبحانه بل الله مولاكم وهو خير الناصرين هذا تثبيت لهم وقوله سبحانه
سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب سبب هذه الاية انه لما ارتحل ابو سفيان بالكفار جمع النبي صلى
الله عليه وسلم الى المدينة فتجهزوا واتبع المشركين وكان معبد بن ابي معبد الخزاعي فجاء
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له والله يا محمد لقد ساءنا ما اصابك وكانت خزاعة تميل
الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركب معبد حتى لحق بابي سفيان فلما راى ابو سفيان معبدا قال له ما وراءك
يا معبد قال محمد في اصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله يتحرقون عليكم قد اجتمع معه من كان تخلف
عنه وندموا على ما صنعوا قال ويلك ما تقول قال والله ما اراك ان ترحل حتى ترى نواصي الخيل
قال فوالله لقد اجمعنا الكرة اليهم قال فاني انهاك عن ذلك ووالله لقد حملني ان اقول
ما رايت على ان قلت فيهم شعرا قال وما قلت قال قلت نظم

كادت تهد من الاصوات راحلتي ... اذ سالت الارض بالجرد الابابيل
تردي باسد كرام لا تنابلة ... عند اللقاء ولا ميل معازيل
فظلت عدوا اظن الارض مائلة ... لما سموا برئيس غير مخذول

الى اخر الشعر فالقى الله الرعب في قلوب الكفار وقال صفوان بن امية لا ترجعوا فاني ارى انه سيكون
للقوم قتال غير الذي كان فنزلت الاية في هذا الالقاء وهي بعد متناولة كل كافر قال الفخر لانه لا احد
يخالف دين الاسلام الا وفي قلبه خوف من الرعب اما عند الحرب واما عند المحاجة انتهى و
قوله سبحانه بما اشركوا هذه باء السبب والسلطان الحجة والبرهان قال ص قوله وبئس المخصوص
بالذم محذوف اي النار وقوله سبحانه ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه الاية جاء الخطاب
لجميع المؤمنين وان كانت الامور التي عاتبهم سبحانه عليها لم يقع بها جميعهم ولذلك وجوه من
الفصاحة منها وعظ الجميع وزجره اذ من لم يفعل معد ان يفعل ان لم يزجر ومنها الستر
والابقاء على من فعل وكان النبي صلى الله عليه وسلم وعد المؤمنين النصر يومئذ على حسب الله ان

صبروا

ان صبروا وجدوا فصدقهم الله وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم صاف المشركين يومئذ ورتب
الرماة على ما قد ذكرناه قبل هذا واشتعلت نار الحرب وابلى حمزة بن عبد المطلب وابو دجانة
وعلي وعاصم بن ابي الاقلح وغيرهم وانهزم المشركون وقتل منهم اثنان وعشرون رجلا فهذا
معنى قوله اذ تحسونهم باذنه والحس القتل الذريع يقال حسهم اذا استاصلهم قتلا وحس البرد
النبات وقوله سبحانه حتى اذا فشلتم يحتمل ان تكون حتى غاية كانه قال الى ان فشلتم والاظهر الاقوى
ان اذا على بابها تحتاج الى الجواب ومذهب الخليل وسيبويه وفرسان الصناعة ان الجواب محذوف
يدل عليه المعنى تقديره انهزمتم والفشل استشعار العجز وترك الجد والتنازع هو الذي وقع بين
الرماة وعصيتم عبارة عن ذهاب من ذهب من الرماة وتامل رحمك الله ما يوجبه الركون
الى الدنيا وما ينشا عنها من الضرر واذا كان مثل هؤلاء السادة على رفعتهم وعظيم منزلتهم
حصل لهم بسببها ما حصل من الفشل والهزيمة فكيف بامثالنا وقد حذر الله عز وجل ونبيه
عليه السلام من الدنيا وافاتها بما لا يخفى على ذي لب وقد ذكرنا في هذا المختصر جملة كافية
لمن وفقه الله وشرح صدره وقد خرج البغوي في المسند المنتخب له عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال لا تفتح الدنيا على احد الا القت بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة انتهى من الكوكب
الدري وقال عليه السلام للانصار لما تعرضوا له اذ سمعوا بقدوم ابي عبيدة بمال البحرين
ابشروا واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى ان تبسط الدنيا عليكم
كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم اخرجه البخاري ومسلم
والترمذي واللفظ له وقال هذا حديث صحيح انتهى واعلم رحمك الله ان تيسير اسباب
الدنيا مع اعراضك عن امر اخرتك ليس ذلك من علامات الفلاح وقد روى ابن المبارك
في رقائقه قال اخبرنا ابن لهيعة قال حدثني سعيد بن ابي سعيد ان رجلا قال يا رسول
الله كيف لي ان اعلم كيف انا قال اذا رايت كلما طلبت شيئا من امر الاخرة وابتغيته
يسر لك واذا اردت شيئا من امر الدنيا وابتغيته عسر عليك فانت على حال حسنة
واذا رايت شيئا من امر الدنيا وابتغيته يسر لك فانت على حال قبيحة انتهى فتامله راشدا
وقوله من بعد ما اراكم ما تحبون يعني هزيمة المشركين قال الزبير والله لقد رايتني
انظر الى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون اخذهن قليل
ولا كثير اذ مالت الرماة الى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب وخلوا ظهورنا
للخيل فاوتينا من ادبارنا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وانكفا علينا القوم
وقوله سبحانه منكم من يريد الدنيا يعني بهم الذين حرصوا على الغنيمة وكان المال همهم
قاله ابن عباس وسائر المفسرين وقال عبد الله بن مسعود ما رايت احدا من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزلت فينا يوم احد منكم من يريد الدنيا وقوله
سبحانه ومنكم من يريد الاخرة اخبار عن ثبوت من ثبت من الرماة مع عبد الله بن جبير
امتثالا للامر حتى قتلوا ويدخل في هذا انس بن النضر وكل من جد ولم يضطرب من
المؤمنين وقوله سبحانه اذ تصعدون ولا تلوون على احد العامل في اذ قوله عفا
وقراءة الجمهور تصعدون بضم التاء وكسر العين من اصعد ومعناه ذهب في الارض

كلما طلبت

والصعيد وجه الارض فاصعد معناه دخل في الصعيد كما ان اصبح دخل في الصباح
وقوله سبحانه ولا تلوون على احد مبالغة في صفة الانهزام وقرا حميد بن قيس على
احد بضم الحاء والالف يريد الجبل والمعنى بذلك النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان على الجبل
والقراءة المشهورة اقوى لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن على الجبل الا بعد ما فر الناس وهذه الحال
من اصعادهم انما كانت وهو يدعوهم وروي انه كان ينادي صلى الله عليه وسلم الى عباد الله والناس
يفرون وفي قوله سبحانه في اخراكم مدح له صلى الله عليه وسلم فان ذلك هو موقف الابطال في
اعقاب الناس ومنه قول الزبير بن باطيا ما فعل مقدمتنا اذا حملنا وحاميتنا اذا فررنا
وكذلك كان صلى الله عليه وسلم اشجع الناس ومنه قول سلمة بن الاكوع كنا اذا احمر البأس اتقيناه برسول
الله صلى الله عليه وسلم وقوله سبحانه فاثابكم معناه جازاكم على صنيعكم واختلف في معنى قوله غما
بغم فقال قوم المعنى اثابكم غما بسبب الغم الذي ادخلتموه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر المسلمين
بفشلكم وتنازعكم وعصيانكم قال قتادة ومجاهد الغم الاول ان سمعوا الا ان محمدا قد قتل
والثاني القتل والجراح وقوله سبحانه لكيلا تحزنوا على ما فاتكم اي من الغنيمة ولا ما اصابكم اي من القتل
اي من القتل والجراح وذل الانهزام واللام من قوله لكيلا متعلقة باثابكم المعنى لتعلموا ان ما وقع
بكم انما هو بجنايتكم فانتم اذيتم انفسكم وعادة البشر ان جاني الذنب يصبر للعقوبة واكثر قلق
المعاقب وحزنه انما هو مع ظنه البراءة بنفسه ثم ذكر سبحانه امر النعاس الذي امن به المؤمنين فغشي
اهل الاخلاص وفي صحيح البخاري عن انس ان ابا طلحة قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم
احد قال فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ويسقط وآخذه ونحوه عن الزبير وابن مسعود
والواو في قوله وطائفة قد اهمتهم انفسهم واو الحال ذهب اكثر المفسرين الى ان اللفظة من الهم
الذي هو بمعنى الغم والحزن وقوله سبحانه يظنون بالله غير الحق معناه يظنون ان دين الاسلام
ليس بحق وان امر محمد عليه السلام يضمحل قلت وقد وردت احاديث صحاح في الترغيب في حسن
الظن بالله عز وجل ففي صحيح مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله عز وجل
يقول سبحانه انا عند ظن عبدي بي الحديث وقال ابن مسعود والله الذي لا اله غيره لا اعطاه ظنه
وذلك ان الخير بيده وخرج ابو بكر بن الخطيب بسنده عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
حسن عبادة المرء حسن ظنه انتهى وقوله ظن الجاهلية ذهب الجمهور الى ان المراد مدة الجاهلية
القديمة قبل الاسلام وهذا كقوله سبحانه حمية الجاهلية وتبرج الجاهلية وذهب بعض المفسرين
الى ان المراد في هذه الاية ظن الفرقة الجاهلية وهم ابو سفيان ومن معه قال قتادة وابن
جريج قيل لعبد الله بن ابي ابن سلول قتل بنو الخزرج فقال وهل لنا من الامر من شيء يريد ان الراي ليس
لنا ولو كان لنا منه شيء لسمع من رأينا فلم نخرج فلم يقتل احد منا وقوله سبحانه قل ان الامر كله لله اعتراض
اثناء الكلام فصيح ومضمنه الرد عليهم وقوله سبحانه يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الاية
اخبر تعالى عنهم على الجملة دون تعيين وهذه كانت سنته في المنافقين لا اله الا هو وقوله سبحانه لو
كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا هي مقالة سمعت من معتب بن قشير المغموص عليه بالنفاق وباقي الاية
بين وليبتلي الله ما في صدوركم اللام في ليبتلي متعلقة بفعل متاخر تقديره وليبتلي وليمحص فعل
هذه الامور الواقعة والابتلاء هو الاختبار وقوله سبحانه ان الذين تولوا منكم يوم التقى

الجمعان قال عمر رضي الله عنه المراد بهذه الاية جميع من تولى ذلك اليوم عن العدو وقيل نزلت
في الذين فروا الى المدينة قال ابن زيد فلا ادري هل عفي عن هذه الطائفة خاصة ام عن
المؤمنين جميعا وقوله سبحانه انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ظاهره عند جمهور المفسرين
انهم كانت لهم ذنوب عاقبهم الله عليها بتمكين الشيطان من استزلالهم بوسوسته وتخويفه
والفرار من الزحف من الكبائر بالاجماع فيما علمت وعده صلى الله عليه وسلم في الموبقات وقوله
سبحانه يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم الاية نهى الله المؤمنين
ان يكونوا مثل الكفار المنافقين في هذا المعتقد الفاسد الذي هو ان من سافر في تجارة
ونحوها ومن قاتل فقتل لو قعد في بيته لعاش ولم يمت في ذلك الوقت الذي عرض فيه نفسه
للسفر او للقتال وهذا معتقد المعتزلة في القول بالاجلين او نحو منه وصرح بهذه المقالة
عبد الله بن ابي المنافق واصحابه قاله مجاهد وغيره والضرب في الارض السير في التجارة وغزى
جمع غاز وقوله سبحانه ليجعل الله ذلك الاشارة بذلك الى هذا المعتقد الذي لهم جعل الله ذلك
حسرة لان الذي يتيقن ان كل موت وقتل انما هو باجل سابق يجد برد الياس والتسليم لله سبحانه
على قلبه والذي يعتقد ان حميمه لو قعد في بيته لم يمت يتحسر ويتلهف وعلى هذا التاويل
مشى المتاولون وهو اظهر ما في الاية التحسر التلهف على الشيء والغم به وقوله سبحانه والله بما
تعملون بصير توكيد للنهي في قوله لا تكونوا ووعيد لمن خالفه ووعد لمن امتثله وقوله
سبحانه ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اللام في قوله سبحانه ولئن قتلتم هي المؤذنة بمجيء القسم
واللام في قوله لمغفرة هي المتلقية للقسم والتقدير والله لمغفرة وترتب الموت قبل
القتل في قوله ما ماتوا وما قتلوا مراعاة لترتب الضرب في الارض والغزو وقدم القتل
هنا لانه الاشرف الاهم ثم قدم الموت في قوله سبحانه ولئن متم او قتلتم لانها اية وعظ
بالاخرة والحشر وآية تزهيد في الدنيا والحياة وفي الاية تحقير لامر الدنيا وحض على طلب الشهادة
والمعنى اذا كان الحشر لا بد منه في كلا الامرين فالمضي اليه في حال الشهادة اولى وعن سهل
ابن حنيف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل
الشهداء وان مات على فراشه رواه الجماعة الا البخاري وعن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من طلب الشهادة صادقا اعطيها ولو لم تصبه انفرد به مسلم انتهى من سلاح
المؤمن وقوله سبحانه فبما رحمة من الله لنت لهم معناه فبرحمة قال القشيري في
التحبير واعلم ان الله سبحانه يحب من عباده من يرحم خلقه ولا يرحم العبد الا اذا رحمه
الله سبحانه قال الله تعالى لنبيه عليه السلام فبما رحمة من الله لنت لهم انتهى قال ع
ومعنى هذه الاية التقريع لكل من تولى يوم احد ثم كرمه اي كانوا يستحقون الملام منك
ولكن برحمة منه سبحانه لنت لهم وجعلك على خلق عظيم وبعثك لتتم محاسن الاخلاق
ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وتفرقوا عنك والفظ الجافي في
منطقه ومقاطعه وفي صفته صلى الله عليه وسلم في الكتب المنزلة ليس بفظ
ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق والفظاظة الجفوة في المعاشرة قولا وفعلا
وغلظ القلب عبارة عن تجهم الوجه وقلة الانفعال في الرغائب وقلة الاشفاق

والرحمة والانفضاض افتراق الجموع وقوله عز وجل فاعف عنهم واستغفر لهم الآية
امر الله سبحانه نبيه عليه السلام بهذه الاوامر التي هي بتدريج بليغ فامره ان يعفو عنهم فيما
له عليهم من حق ثم يستغفر لهم فيما لله عليهم من تبعة فاذا صاروا في هذه الدرجة كانوا
اهلا للاستشارة قال ع ومن لا يستشير اهل العلم والدين فعزله واجب هذا مما لا
خلاف فيه وقد وردت احاديث كثيرة في الاستشارة ومشاورته عليه السلام انما هي في امور
الحرب والبعوث ونحوه من اشخاص النوازل فاما في حلال او حرام او حد فتلك قوانين شرع
ما فرطنا في الكتاب من شيء والشورى مبنية على اختلاف الآراء والمستشير ينظر في ذلك الخلاف
ويتخير فاذا ارشده الله الى ما شاء منه عزم عليه وانفذه متوكلا على الله هو غاية الاجتهاد
المطلوب منه وبهذا امر الله تعالى نبيه في هذه الآية وصفة المشاور في الاحكام ان يكون
عالما دينا وقل ما يكون ذلك الا في عاقل فقد قال الحسن بن ابي الحسن ما كمل دين امرئ
لم يكمل عقله قال ع والتوكل على الله سبحانه من فروض الايمان وفصوله ولكنه مقترن بالجد
في الطاعة والتشمير والحزامة بغاية الجهد وليس الالقاء باليد وما اشبهه بتوكل وانما
هو كما قال عليه السلام قيدها وتوكل وقوله سبحانه ان الله يحب المتوكلين هذه غاية في الرفعة
وشرف المنزلة وقد جاءت آثار صحيحة بفضل التوكل وعظيم منزلة المتوكلين ففي
صحيح مسلم عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة من امتي سبعون
الفا بغير حساب قالوا من هم يا رسول الله قال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون
وعلى ربهم يتوكلون وخرج ابو عيسى الترمذي عن ابي امامة قال سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول وعدني ربي ان يدخل الجنة من امتي سبعين الفا لا حساب عليهم ولا عذاب
مع كل الف سبعون الفا وثلاث حثيات من حثيات ربي وخرجه ابن ماجه ايضا و
خرج ابو بكر البزار وابو عبد الله الترمذي الحكيم عن عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله
عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اعطاني سبعين الفا يدخلون الجنة بغير
حساب فقال عمر يا رسول الله فهلا استزدته فقال قد استزدته فاعطاني مع كل واحد من السبعين
الالف سبعين الفا فقال عمر يا رسول الله فهلا استزدته فقال قد استزدته فاعطاني هكذا
وفتح ابو وهب يديه قال ابو وهب قال هشام هذا من الله لا يدري ما عدده وخرج ابو
ابو نعيم عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وعدني ربي ان يدخل الجنة من امتي مائة الف
فقال ابو بكر يا رسول الله زدنا فقال وهكذا واشار سليمان بن حرب بيده فقال ابو بكر يا رسول الله
زدنا فقال عمر ان الله عز وجل قادر ان يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة فقال النبي صلى الله
وسلم صدق عمر انتهى من التذكرة وما وقع من ذكر الحثية والحفنة ليس هو على ظاهره فالله سبحانه
منزه عن صفة الاجسام وقوله سبحانه وان يخذلكم الله اي يترككم والخذل الترك والضمير
من بعده يعود على اسم الله ويحتمل على الخذل وقوله سبحانه وما كان لنبي ان يغل قرا ابن كثير
وابو عمرو وعاصم بفتح الياء وضم الغين وقرا باقي السبعة ان يغل بضم الياء وفتح الغين
واللفظة بمعنى الخيانة في خفية تقول العرب اغل الرجل يغل اغلالا اذا خان ثم تختلف
على القراءة الاولى فقال ابن عباس وغيره نزلت بسبب قطيفة حمراء فقدت من المغانم

يوم بدر فقال بعض الناس لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فقيل كانت
هذه المقالة من مؤمن لم يظن في ذلك حرجا وقيل كانت من منافقين وقد روي ان المفقود انما
كان سيفا قال النقاش ويقال انما نزلت لان الرماة قالوا يوم احد الغنيمة الغنيمة فانا
نخشى ان يقول النبي صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له وقال ابن اسحاق الآية انما نزلت
اعلاما بان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتم شيئا مما امر بتبليغه واما القراءة الثانية
فمعناها عند الجمهور اي ليس لاحد ان يغل النبي اي يخونه في الغنيمة لان المعاصي تعظم بحضرته
لتعين توقيره قال ابن العربي في احكامه وهذا القول هو الصحيح وذلك ان قوما غلوا من
الغنائم او هموا فانزل الله تعالى الآية فنهاهم الله عن ذلك رواه الترمذي انتهى وقوله سبحانه
ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة الآية وعيد لمن يغل او زكاته بالفضيحة يوم القيامة على
رؤوس الاشهاد قال القرطبي في تذكرته قال علماؤنا رحمهم الله في قوله تعالى ومن يغلل يأت
بما غل يوم القيامة ان ذلك على الحقيقة كما بينه النبي صلى الله عليه وسلم اي يأتي به حاملا على
ظهره ورقبته معذبا بحمله وثقله ومرعوبا بصوته وموبخا باظهار خيانته انتهى وفي
الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ادوا الخائط والمخيط فان الغلول عار ونار وشنار على اهله
يوم القيامة رواه مالك في الموطا قال ابو عمر في التمهيد الشنار لفظة جامعة لمعنى العار والنار ومعناه
الشين والنار يريد ان الغلول شين وعار ومنقصة في الدنيا وعذاب في الآخرة انتهى وفي
الباب احاديث صحيحة في الغلول وفي منع الزكاة وقوله سبحانه افمن اتبع رضوان الله اي
الطاعة الكفيلة برضوان الله قال ص افمن استفهام معناه النفي اي ليس من اتبع ما يؤول به
الى رضى الله تعالى عنه فباء برضاه كمن لم يتبع ذلك فباء بسخطه انتهى وقوله سبحانه
هم درجات عند الله قال ابن اسحاق وغيره المراد بذلك الجمعان المذكوران اهل الرضوان واصحاب
السخط اي لكل صنف منهم تباين في نفسه في منازل الجنة وفي اطباق النار ايضا وقال
مجاهد والسدي ما ظاهره ان المراد بقوله هم انما هو لمبتغي الرضوان اي لهم درجات
كريمة عند ربهم وفي الكلام حذف تقديره هم ذوو درجات والدرجات المنازل بعضها اعلى
من بعض في المسافة او في التكرمة او في العذاب وباقي الآية وعد ووعيد وقوله سبحانه لقد
من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الآية اللام في لقد لام القسم ومن في هذه
الآية معناه تطول وتفضل سبحانه وقد يقال من بمعنى كدر معروفه بالذكر فهي لفظة
مشتركة وقوله من انفسهم اي في الجنس واللسان والمجاورة فكونه من الجنس يوجب الانس به
وكونه بلسانها يوجب حسن التفهيم وكونه جارا وربيبا يوجب التصديق والطمانينة اذ قد
خبروه وعرفوا صدقه وامانته ثم وقف الله سبحانه المؤمنين على الخطا في قلقهم للمصيبة
التي نزلت بهم واعراضهم عما نزل بالكفار فقال اولما اصابتكم مصيبة اي يوم احد
قد اصبتم مثليها اي يوم بدر اذ قتل من الكفار سبعون واسر سبعون هذا تفسير ابن عباس
والجمهور وقال الزجاج احد المثلين هو قتل السبعين يوم بدر والثاني هو قتل اثنين
وعشرين يوم احد ولا مدخل للاسرى لانهم قد فدوا وانى معناه كيف ومن اين قل
هو من عند انفسكم اي حين خالفتم النبي صلى الله عليه وسلم في الرأي حين رأى ان تقيم

بالمدينة ويترك الكفار بمحبس فابيتم الا الخروج وهذا هو تاويل الجمهور وقالت طائفة هو من عند
انفسكم اشارة الى عصيان الرماة وتسببهم الهزيمة على المومنين وقال علي والحسن بل ذلك لما قبلوا
الفدا يوم بدر وذلك ان الله سبحانه خيرهم على لسان نبيه بين قتل الاسرى او يأخذوا الفدا على
ان يقتل منهم عدة الاسرى فاختاروا اخذ الفدا ورضوا بالشهادة فقتل منهم يوم احد سبعون
قلت وهذا الحديث رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احمد بن نصر الداودي
وعن الضحاك انى هذا اي باي ذنب هذا قال ابن عباس قل هو من عند انفسكم عقوبة لمعصيتكم لنبيكم عليه
السلام انتهى وقوله تعالى وما اصابكم يوم التقى الجمعان يعني يوم احد وقوله وليعلم المومنين اي ليعلم
المومن من المنافق والاشارة بقوله سبحانه نافقوا وقيل لهم هي الى عبد الله بن ابي واصحابه حين انخزل بن
بنحو ثلث الناس فمشى في اثرهم عبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر بن عبد الله فقال لهم اتقوا الله ولا تتركوا
نبيكم وقاتلوا في سبيل الله وادفعوا ونحو هذا من القول فقال له ابي ما ارى ان يكون قتال ولو علمنا ان
يكون قتال لكنا معكم فلما يئس منهم عبد الله قال اذهبوا اعداء الله فسيغني الله رسوله عنكم ومضى مع
النبي صلى الله عليه وسلم واستشهد وقوله او ادفعوا قال ابن جريج وغيره معناه كثروا السواد وان لم
تقاتلوا فيندفع القوم لكثرتكم وذهب بعض المفسرين الى ان قول عبد الله بن عمرو او ادفعوا استدعاء
الى القتال حمية اذ ليسوا اهلا للقتال في سبيل الله المعنى قاتلوا في سبيل الله او قاتلوا دفاعا عن الحوزة
الا ترى ان قزمان قال في ذلك اليوم والله ما قاتلت الا على احساب قومي وقول الانصاري يومئذ لما ارسلت
قريش الظهر في الزرع اترعى زروع بني قيلة ولما تضارب وقوله سبحانه الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا
لو اطاعونا ما قتلوا الذين بدل من الذين المتقدم لاخوانهم اي لاجل اخوانهم وفي شان اخوانهم
المقتولين ويحتمل ان يريد لاخوانهم الاحياء من المنافقين ويكون الضمير في اطاعونا للمقتولين وقعدوا
جملة في موضع الحال معترضة اثناء الكلام وقولهم لو اطاعونا يريدون في ان لا يخرجوا وباقي
الاية بين ثم اخبر سبحانه عن الشهداء انهم في الجنة احياء يرزقون وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الله يطلع على الشهداء فيقول يا عبادي ما تشتهون فازيدكم فيقولون ربنا لا فوق
ما اعطيتنا هذه الجنة ناكل منها حيث نشاء لكنا نريد ان تردنا الى الدنيا فنقاتل في سبيلك
فنقتل مرة اخرى فيقول سبحانه قد سبق انكم لا تردون والاحاديث في فضل الشهداء كثيرة قال الفخر
والروايات في هذا الباب كانها بلغت حد التواتر ثم قال بعض المفسرين ارواح الاحياء وهي تركع
وتسجد تحت العرش الى يوم القيمة انتهى والعقيدة ان الارواح كلها احياء لا فرق بين الشهداء وغيرهم
في ذلك الا ما خص الله به الشهداء من زيادة المزية والحياة التي ليست بكيفية وفي صحيح مسلم
عن مسروق قال سالنا ابن مسعود عن هذه الاية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل
احياء عند ربهم يرزقون فقال اما انا قد سالنا عن ذلك فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم
ارواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تاوي
الى تلك القناديل الحديث الى اخره انتهى ومن الاثار الصحيحة الدالة على فضل الشهداء ما رواه
مالك في الموطا انه بلغه ان عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الانصاريين ثم السلميين كانا قد حفر
السيل قبرهما مما يلي السيل وكانا في قبر واحد وهما ممن استشهد يوم احد فحفر عنهما ليغيرا
من مكانهما فوجدا لم يتغيرا كانهما ماتا بالامس وكان احدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن

وهو كذلك

وهو كذلك فاميطت يده عن جرحه ثم ارسلت فرجعت كما كانت وكان بين احد وبين يوم حفر
عنهما ست واربعون سنة قال ابو عمر في التمهيد حديث مالك هذا يتصل من وجوه صحاح بمعنى واحد
في عبد الله بن عمرو وهذا هو والد جابر بن عبد الله وعمرو بن الجموح هو ابن عمه ثم اسند ابو عمر
عن جابر بن عبد الله قال لما اراد معاوية ان يجري العين باحد نودي بالمدينة من كان له قتيل فليات قتيله
قال جابر فاتيناهم فاخرجناهم رطابا يتثنون فاصابت المسحاة اصبع رجل منهم فانفطرت دما قال ابو
الخدري لا ينكر بعد هذا منكر ابدا وفي رواية فاستخرجهم يعني معاوية بعد ست واربعين سنة
لينة اجسادهم تتثنى اطرافهم قال ابو عمر الذي اصابت المسحاة اصبعه هو حمزة رضي الله عنه فانبعث
دما انتهى وقوله سبحانه ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم الاية معناه يسرون ويفرحون
وذهب قتادة وغيره الى ان استبشارهم هو انهم يقولون اخواننا الذين تركناهم خلفنا في الدنيا
يقاتلون في سبيل الله مع نبيهم فيستشهدون فينالون من الكرامة ما نلنا نحن فيسرون لهم بذلك اذ يحصلون
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وذهب فريق من العلماء الى ان الاشارة في قوله بالذين لم يلحقوا الى جميع
المومنين الذين لم يلحقوا بهم في فضل الشهادة وذلك لما عاينوا من ثواب الله فهم فرحون لانفسهم بما اتاهم
الله من فضله ومستبشرون للمومنين بانهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ثم اكد الله سبحانه استبشارهم بقوله
يستبشرون بنعمة من الله ثم بين سبحانه بقوله وفضل ان ادخاله اياهم الجنة هو بفضل منه لا بعمل احد
واما النعمة في الجنة والدرجات فقد اخبر انها على قدر الاعمال قلت وخرج ابو عبد الله الحسين بن الحسن بن حرب
صاحب ابن المبارك في رقائقه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاصي ان الشهداء في قباب من حرير في رياض خضر
عندهم ثور وحوت يظل الحوت يسبح في انهار الجنة ياكل من كل رائحة في انهار الجنة فاذا امسى وكزه الثور
بقرنه فذكيه فياكلون فيجدون في لحمه طعم كل رائحة في الجنة ثم يعودون وينظرون الى منازلهم
من الجنة ويدعون الله عز وجل ان تقوم الساعة الحديث انتهى مختصرا وقد ذكره صاحب التذكرة م
مطولا وقرا الكسائي وان الله بكسر الهمزة على استيناف الاخبار وقرا باقي السبعة بالفتح على ان ذلك داخل
فيما يستبشر به وقوله الذين استجابوا يحتمل ان يكون صفة للمومنين على قراءة من كسر الالف من ان
والاظهر ان الذين ابتداء وخبره في قوله للذين احسنوا الاية والمستجيبون لله والرسول هم الذين خرجوا
مع النبي صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد في طلب قريش وقوله عز وجل الذين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم الاية الذين صفة للمحسنين وهذا القول هو الذي قاله الركب من عبد القيس لرسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حين حملهم ابو سفيان ذلك فالناس الاول هم الركب والناس الثاني عسكر
قريش هذا قول الجمهور وهو الصواب وقول من قال ان الاية نزلت في خروج النبي صلى الله عليه وسلم
الى بدر الصغرى لميعاد ابي سفيان وان الناس هنا هو نعيم بن مسعود قول ضعيف وعن ابن عباس حسبنا الله
ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل رواه البخاري ومسلم
انتهى وقوله سبحانه انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه الاية اشارة الى جميع ما جرى من اخبار الركب
عن رسالة ابي سفيان ومن جزع من جزع من الخبر وقرا الجمهور يخوف اولياءه فقيل قراءة ظهر فيها المفعول
وهي مفسرة لقراءة الجماعة وفي قراءة ابي بن كعب يخوفكم باوليائه وفي كتاب القصد الى الله تعالى للمحاسبي
قال وكلما عظمت هيبة الله عز وجل في صدور الاولياء لم يهابوا معه غيره حياء منه عز وجل

سعيد

ويبيت الثور فذكاه

قال غيره معناه يخوفكم اولياءه في قلوبهم
وحكى ابو الفتح جني عن ابن عباس انه قرا يخوفكم اولياءه

ان يخافوا معه سواه انتهى وقوله سبحانه ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر المسارعة في الكفر
هي المبادرة الى اقواله وافعاله والجد في ذلك وسلى الله تعالى نبيه عليه السلام بهذه الاية عن حال
المنافقين والمجاهرين اذ كلهم مسارع وقوله سبحانه انهم لن يضروا الله شيئا خبر في ضمنه وعيد لهم اي
وانما يضرون انفسهم والحظ اذا اطلق فانما يستعمل في الخير وقوله سبحانه الذين كفروا انما نملي لهم خير
لانفسهم الاية نملي معناه نمهل ونمد في العمر والمعنى لا يحسبن املاءنا للذين كفروا خيرا لهم فالاية رد للكفار
في قولهم ان كوننا مموّلين اصحة دليل على رضا الله بحالنا وقوله سبحانه ما كان الله ليذر اي ليدع المؤمنين
مختلطين بالمنافقين مشكلا امرهم حتى يميز بعضهم من بعض بما يظهر من هؤلاء وهؤلاء في احد من الافعال
والاقوال هذا تفسير مجاهد وغيره وقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب اي في امر احد وما كان من الهزيمة
وايضا فما كان ليطلعكم على المنافقين تصريحا وتسمية لهم ولكن بقرائن افعالهم واقوالهم قال
الفخر وذلك ان سنة الله جارية بانه لا يطلع عوام الناس على غيبه اي لا سبيل لكم الى معرفة ذلك الا
الا بالامتحان كما تقدم فاما معرفة ذلك على سبيل الاطلاع من الغيب فهو من خواص الانبياء فلهذا
قال ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء انتهى وقال الزجاج وغيره روي ان بعض الكفار قالوا لم لا يكون
الكفار لم لا يكون جميعنا انبياء فنزلت هذه الاية يجتبي معناه يختار ويصطفي وقوله سبحانه ولا
يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله الاية قال السدي وجماعة من الناس ولين الاية نزلت في
البخل بالمال والانفاق في سبيل الله واداء الزكاة المفروضة ونحو ذلك قال ومعنى سيطوقون
ما بخلوا به هو الذي ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من ذي رحم ياتي
ذا رحمه فيسأله من فضل عنده فيبخل عليه الا خرج له يوم القيامة شجاع من النار يتلمظ حتى يطوقه
ت في البخاري وغيره عنه صلى الله عليه وسلم قال من اتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاع اقرع له
زبيبتان يطوقه ياخذ بلهزمتيه يعني شدقيه يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا هذه الاية ولا
يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله الاية قلت اعلم انه قد وردت اثار صحيحة
بتعذيب العصاة بنوع ما عصوا به كحديث من قتل نفسه بحديدة فهو يجأ بحديدته في نار جهنم
والذي قتل نفسه بالسم فهو يتحساه في نار جهنم ونحو ذلك قال الغزالي في الجواهر واعلم ان
المعاني في عالم الاخرة تستتبع الصور ولا تتبعها فيتمثل كل شيء بصورة توازي معناه فيحشر المتكبرون
صور الذر يطؤهم من اقبل وادبر والمتواضعون اعزاء انتهى وهو كلام صحيح يشهد له صحيح
الاثار ويؤيده النظر والاعتبار الهمنا الله وفقنا لما يحبه ويرضاه قال ابن العربي في احكامه قال
علماؤنا البخل منع الواجب والشح منع المستحب والصحيح المختار ان هذه الاية في الزكاة الواجبة
لان هذا وعيد لمانعيها والوعيد اذا اقترن بالفعل المامور به او المنهي عنه اقتضى الوجوب
او التحريم انتهى وتعميمها في جميع الواجب حسن وقوله سبحانه ولله ميراث السموات والارض خطاب على
ما يفهم البشر دال على فناء الجميع وانه لا يبقى مالك الا الله سبحانه وقوله سبحانه لقد سمع الله
قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء الاية نزلت بسبب فنحاص اليهودي واشباهه كحيي
ابن اخطب وغيره لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالوا تستقرضنا ربنا انما
يستقرض الفقير الغني وهذا من تحريف اليهود للتاويل على نحو ما صنعوا في توراتهم وقوله
تعالى قول الذين قالوا دال على انهم جماعة وقوله سبحانه سنكتب ما قالوا الاية وعيد لهم اي سنحصي عليهم

قولهم

قولهم ويتصل ذلك بفعل ابائهم من قتل الانبياء بغير حق وقوله سبحانه وان الله اي وبان الله
ليس بظلام للعبيد قال ص قيل المراد هنا نفي القليل والكثير من الظلم كقول طرفة نظم
ولست بحلال التلاع مخافة ‖ ولكن متى يسترفد القوم ارفد
ولا يريد انه قد يحل التلاع قليلا وزاد ابو البقاء وجها اخر وهو ان يكون على النسب اي لا ينسب سبحانه
الى الظلم فيكون من باب بزاز وعطار انتهى ت وهذا القول احسن ما قيل هنا فمعنى وما
بظلام اي بذي ظلم وقوله سبحانه ان الله عهد الينا الاية هذه المقالة قالتها احبار اليهود مدافعة لامر
الذين قالوا ان
النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انك تاتينا بقربان تاكله النار فنحن قد عهد الينا ان لا نؤمن
وقوله تعالى قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم من امر القربان والمعنى ان هذا منكم
تعلل وتعنت ولو اتيتكم بقربان لتعللتم بغير ذلك ثم انس سبحانه نبيه بالاسوة والقدوة فيمن
تقدم من الانبياء قال الفخر والمراد بالبينات المعجزات انتهى والزبر الكتاب المكتوب قال الزجاج
زبرت كتبت وقوله سبحانه كل نفس ذائقة الموت الاية وعظ فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
ولامته عن امر الدنيا واهلها ووعد بالفلاح في الاخرة فبالفكرة في الموت يهون امر الكفار
وتكذيبهم وانما توفون اجوركم على الكمال ولا محالة ان يوم القيامة تقع توفية الاجور وتوفية
العقوبات وزحزح معناه ابعد والمكان الزحزاح البعيد وفاز معناه نجا من خطره وهوله
والغرور الخدع والترجية بالباطل والحياة الدنيا وكل ما فيها من الاموال فهي متاع قليل
يخدع المرء ويمنيه الاباطيل وعلى هذا فسر الاية جمهور المفسرين وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ثم تلا هذه الاية ت واسند ابو بكر بن الخطيب
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما سكن حب الدنيا قلب عبد قط الا التاط منها بثلاث
امل لا يبلغ منتهاه وفقر لا يدرك غناه وشغل لا ينفك عناه انتهى وقوله سبحانه لتبلون في اموالكم
وانفسكم الاية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته والمعنى لتختبرن ولتمتحنن في اموالكم بالمصائب
والارزاء وبالانفاق في سبيل الله وفي سائر تكاليف الشرع والابتلاء في الانفس بالموت والامراض وفقد
الاحبة قال الفخر فالواحد في الاية لتبلون لام القسم انتهى وقوله ولتسمعن من الذين اوتوا
الكتاب الاية قال عكرمة وغيره السبب في نزولها اقوال فنحاص وقال الزهري وغيره نزلت بسبب كعب
ابن الاشرف في بعثه اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتله والاذى اسم جامع في معنى الضرر وهو هنا
يشمل اقوالهم فيما يخص النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من سب واقوالهم في جهة الله سبحانه وانبيائه
وندب سبحانه الى الصبر والتقوى واخبر انه من عزم الامور اي من اشدها واحسنها والعزم امضاء
الامر المروى المنقح وليس ركوب الراي دون روية عزما وقوله سبحانه واذ اخذ الله ميثاق الذين
الذين اوتوا الكتاب الاية توبيخ لمعاصري النبي صلى الله عليه وسلم ثم هو بعد ذلك خبر عام لهم ولغيرهم
قال الجمهور من العلماء الاية عامة في كل من علمه الله علما وعلماء هذه الامة داخلون في هذا الميثاق وقد
قال صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار والضمير في لتبيننه ولا تكتمونه
عائد على الكتاب والنبذ الطرح والظاهر في هذه الاية انها نزلت في اليهود وهم المعنيون ثم
كل كاتم من هذه الامة ياخذ بحظه من هذه المذمة وقوله لا تحسبن الذين يفرحون بما
اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا الاية ذهب جماعة الى ان الاية في المنافقين وقالت جماعة

كبيرة انما نزلت في اهل الكتاب لاحبار اليهود قال سعيد بن جبير الاية في اليهود فرحوا بما اعطى الله
آل ابراهيم من النبوة والكتاب فهم يقولون نحن على طريقهم ويحبون ان يحمدوا بذلك وهم ليسوا
على طريقهم وقراءة سعيد بن جبير اوتوا بمعنى اعطوا بضم الهمزة والطاء وعلى قراءته يستقيم المعنى
الذي قال والمفازة مفعلة من فاز يفوز اذا نجى وبان في الاية بين ثم دل سبحانه على مواضع النظر
والعبرة فقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار اي تعاقب الليل والنهار اذ جعلهما سبحانه
خلفة ويدخل تحت اختلافهما قصر احدهما وطول الآخر وبالعكس واختلافهما بالنور والظلام
الآيات العلامات الدالة على وحدانيته وعظيم قدرته سبحانه قال الفخر واعلم ان المقصود من هذا الكتاب
الكريم جذب القلوب والارواح عن الاشتغال بالخلق والاستغراق في معرفة الحق فلما طال الكلام
في تقرير الاحكام والجواب عن شبهات المبطلين عاد الى انارة القلوب بذكر ما يدل على التوحيد والكبرياء والجلال
وذكر الادعية فختم بهذه الآيات نحو ما في سورة البقرة انتهى وقوله سبحانه الذين يذكرون الله
قياما وقعودا الذين في موضع خفض صفة لاولي الالباب وهذا وصف ظاهره استعمال
التحميد والتهليل والتكبير ونحوه من ذكر الله وان يحضر القلب اللسان وذلك من اعظم وجوه العبادات
والاحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة وابن آدم متنقل في هذه الهيئات الثلاث لا يخلو في غالب امره منها فكانها
تحصر زمنه وكذلك جرت عائشة رضي الله عنها الى حصر الزمن في قولها كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه خرجه ابو داود وقد دخل في ذلك كونه على الخلاء وغيره وذهب
جماعة الى ان قوله تعالى الذين يذكرون الله انما هو عبارة عن الصلاة اي لا يضيعونها ففي حال العذر
يصلونها قعودا وعلى جنوبهم ثم عطف على هذه العبادة التي هي ذكر الله باللسان او الصلاة
فرضها ومندوبها بعبادة اخرى عظيمة وهي الفكرة في قدرة الله تعالى ومخلوقاته والعبر التي بث
وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد قال الغزالي ونهاية ثمرة الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله
وتحصيل الانس بذكر الله تعالى والانس بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر انتهى من الاحياء
ومر النبي صلى الله عليه وسلم على قوم يتفكرون في الله تعالى فقال تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في
الخالق فانكم لا تقدرون قدره قال ع وهذا هو قصد الاية ويتفكرون في خلق السموات والارض قال
بعض العلماء المتفكر في ذات الله كالناظر في عين الشمس لانه سبحانه ليس كمثله شيء وانما التفكر وانبساط
الذهن في المخلوقات وفي احوال الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عبادة كتفكر وقال ابن عباس
وابو الدرداء فكرة ساعة خير من قيام ليلة وقال سري السقطي فكرة ساعة خير من عبادة سنة ما هو الا
ان تحل اطناب خيمتك فتجعلها في الآخرة وقال الحسن بن ابي الحسن الفكرة مرآة المؤمن ينظر فيها الى
حسناته وسيئاته واخذ ابو سليمان الداراني قدح الماء ليتوضأ لصلاة الليل وعنده ضيف فرآه لما ادخل
اصبعه في اذن القدح اقام كذلك متفكرا حتى طلع الفجر فقال له ما هذا يا ابا سليمان فقال اني لما طرحت
اصبعي في اذن القدح تذكرت قول الله سبحانه اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل فتفكرت في حالي
وكيف اتلقى الغل ان يطرح في عنقي يوم القيامة فما زلت في ذلك حتى اصبح قال ع وهذه نهاية الخوف
وخير الامور اوساطها وليس علماء الامة الذين هم الحجة على هذا المنهاج وقراءة علم كتاب الله
ومعاني سنة رسوله لمن يفهم ويرجى نفعه افضل من هذا لكن يحسن ان لا تخلو البلاد من مثل
هذا قال ع وحدثني ابي رحمه الله عن بعض علماء المشرق قال كنت بائتا في مسجد الاقدام بمصر فصليت

العتمة فرأيت رجلا قد اضطجع في كساء له حتى اصبح وصلينا نحن تلك الليلة وسهرنا فلما اقيمت
الصلاة صلاة الصبح قام ذلك الرجل فاستقبل القبلة وصلى مع الناس فاستعظمت جرأته في الصلاة
بغير وضوء فلما فرغت الصلاة خرج فتبعته لاعظه فلما دنوت منه سمعته وهو ينشد

منسجن الجسم غائب حاضر   منتبه القلب صامت ذاكر
منبسط في الغيوب منقبض   كذاك من كان عارفا ذاكر
يبيت في ليله اخا فكر   فهو مدى الليل نائم ساهر

قال فعلمت انه ممن يعبد الله بالفكرة فانصرفت عنه قال الفخر ودلت الاية على ان اعلى مراتب الصديقين
التفكر انتهى وفي العتبية قال مالك قيل لام الدرداء ما كان اكثر شأن ابي الدرداء قالت كان اكثر
شأنه التفكر قال مالك وهو من الاعمال وهو اليقين قال الله عز وجل ويتفكرون في خلق
السموات والارض قال ابن رشد والتفكر من الاعمال كما قال مالك رحمه الله وهو من اشرف الاعمال لانه من
اعمال القلوب التي هي اشرف الجوارح الا ترى انه لا يثاب احد على عمل من اعمال الجوارح من
الطاعات الا مع مشاركة القلوب لها باخلاص النية لله عز وجل في فعلها انتهى من البيان والتحصيل
قال ابن بطال الانسان اذا كمل ايمانه وكثر تفكره كان الغالب عليه الاشفاق والخوف انتهى قال ابن عطاء
الفكرة سير القلب في ميادين الاعتبار والفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا اضاءة له ت قال
بعض المحققين وذلك ان الانسان اذا تفكر علم واذا علم عمل قال ابن عباد قال الامام ابو القاسم
القشيري رحمه الله تعالى التفكر نعت كل طالب وثمرة الوصول بشرط العلم ثم فكر الزاهدين في فناء الدنيا
وقلة وفائها لطلابها فيزدادون بالفكر زهدا وفكر العابدين في جميل الثواب فيزدادون نشاطا
عليه ورغبة فيه وفكر العارفين في الآلاء والنعماء فيزدادون محبة للحق سبحانه وقوله تعالى
ربنا ما خلقت هذا باطلا اي يقولون يا ربنا على النداء ما خلقت هذا باطلا يريدون لغير غاية مقصودة
بل خلقته وخلقت البشر لينظروا فيه فيوحدوك ويعبدوك فمن فعل ذلك نعمته ومن ضل عن ذلك
عذبته وقولهم سبحانك اي تنزيها لك عما يقول المبطلون وقولهم ربنا انك من تدخل النار
فقد اخزيته اي فلا تفعل ذلك والخزي الفضيحة المخجلة الهادمة لقدر المرء قال انس بن مالك والحسن
ابن ابي الحسن وابن جريج وغيرهم هذه اشارة الى من يخلد في النار واما من يخرج منها بالشفاعة
والايمان فليس بمخزي وما اصابه من عذابها انما هو تمحيص لذنوبه وقوله سبحانه وما للظالمين من
انصار وهو من قول الداعين وقوله سبحانه ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان الاية حكاية عن
اولي الالباب قال ابو الدرداء يرحم الله المؤمنين ما زالوا يقولون ربنا ربنا حتى يستجيب لهم قال ابن جريج
وغيره المنادي محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي المنادي كتاب الله وليس كلهم رأى النبي
صلى الله عليه وسلم وسمعه وقولهم ما وعدتنا على رسلك معناه على ألسنة رسلك وقولهم
ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد اشارة الى قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا
معه فهذا وعد تعالى وهو دال ان الخزي انما هو مع الخلود قال ص قال ابو البقاء الميعاد مصدر
بمعنى الوعد انتهى وقوله سبحانه فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى
الاية استجاب بمعنى اجاب روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله قد ذكر الله تعالى

الرجال في الهجرة ولم يذكر النساء في شيء من ذلك فنزلت الاية وهي اية وعد من الله تعالى اي هذا فعله سبحانه
مع الذين يتضعفون بما ذكر قال الفخر روي عن جعفر الصادق انه قال من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا
انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الاية قيل لان الله تعالى حكى عنهم انهم قالوا ربنا خمس مرات
ثم اخبر انه استجاب لهم انتهى وقوله سبحانه بعضكم من بعض يعني في الاجر وتقبل العمل اي ان الرجال والنساء
في ذلك على حد واحد قال الفخر قوله سبحانه بعضكم من بعض اي شبه بعض او مثل بعض والمعنى انه لا تفاوت
في الثواب بين الذكر والانثى اذا استووا في الطاعة وهذا يدل ان الفضل في باب الدين انما هو بالاعمال
لا بسائر صفات العاملين لان كونهم ذكرا او انثى او من نسب خسيس او شريف لا تاثير له في هذا الباب انتهى
وبين سبحانه حال المهاجرين ثم الاية بعد تنسحب على كل من اوذي في الله وهاجر ايضا الى الله الى يوم القيامة
وقوله سبحانه واخرجوا من ديارهم عبارة فيها الزام الذنب للكفار والام في قوله لاكفرن لام القسم
وثوابا مصدر مؤكد وباقي الاية بين وقوله سبحانه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الاية نزلت
لا يغرنك في هذه الاية منزلة لا تظن ان حال الكفار حسنة والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
امته والتقلب التصرف في التجارات والارباح والحروب وسائر الامال وقوله نزلا معناه تكرمة وقوله
سبحانه وما عند الله خير للابرار يحتمل ان يريد خير مما هو لاء فيه من التقلب والتنعم ويحتمل ان يريد
خير مما هم فيه في الدنيا وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة
الكافر فقال القاضي ابن الطيب هذا بالاضافة الى ما يصير اليه كل واحد منهما في الاخرة وقيل المعنى
انها سجن المؤمن لانها موضع تعبه في الطاعات وقوله تعالى وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله
وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله قال جابر بن عبد الله وغيره هذه الاية نزلت بسبب
اصحمة النجاشي سلطان الحبشة امن بالله وبمحمد عليه السلام واصحمة تفسيره بالعربية عطية قاله
سفيان وغيره وقال قوم نزلت في عبد الله بن سلام وقال ابن زيد ومجاهد نزلت في جميع من امن من اهل
الكتاب وقوله سبحانه لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا مدح لهم وذم لسائر كفار اهل الكتاب
لتبديلهم وايثارهم مكاسب الدنيا على اخرتهم وعلى ايات الله سبحانه ثم ختم الله سبحانه السورة
بهذه الوصاة التي جمعت الظهور في الدنيا على الاعداء والفوز بنعيم الاخرة فحض الله سبحانه على الصبر
على الطاعات وعن الشهوات وامر بالمصابرة فقيل معناه مصابرة الاعداء قاله زيد بن اسلم وقيل
معناه مصابرة وعد الله في النصر قاله محمد بن كعب القرظي اي لا تسامو وانتظروا الفرج وقد
قال صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة قال الفخر والمصابرة عبارة عن تحمل
المكاره الواقعة بين الانسان وبين الغير انتهى قوله ورابطوا معناه عند الجمهور رابطوا اعداءكم
الخيل اي ارتبطوها كما يرتبطها اعداؤكم ت وروى مسلم في صحيحه عن سلمان قال سمعت النبي صلى
الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات جرى عليه عمله الذي
كان يعمله واجري عليه رزقه وامن الفتان وخرج الترمذي عن فضالة بن عبيد عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا الذي مات مرابطا في سبيل الله فانه ينمو له عمله الى يوم القيامة
ويامن من فتنة القبر قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وخرجه ابو داود بمعناه قال
ويؤمن من فتاني القبر وخرجه ابن ماجه باسناد صحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال من مات مرابطا في سبيل الله اجرى الله عليه اجر عمله الصالح الذي كان يعمل واجرى عليه رزقه
وامن الفتان ويبعثه الله امنا من الفزع وروى مسلم والبخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رباط
يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها انتهى وجاء في فضل الرباط احاديث كثيرة يطول ذكرها قال
صاحب التذكرة وروى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرباط يوم في سبيل الله من وراء
عورة المسلمين محتسبا من غير شهر رمضان اعظم اجرا من عبادة سنة صيامها وقيامها ورباط يوم
في رمضان افضل عند الله واعظم اجرا اراه قال من عبادة الفي سنة صيامها وقيامها الحديث ذكره
القرطبي مسندا انتهى والرباط هو الملازمة في سبيل الله اصلها من ربط الخيل ثم سمي كل ملازم لثغر
من ثغور الاسلام مرابطا فارسا كان او راجلا واللفظة ماخوذة من الربط ت وقال الشيخ
زين الدين العراقي في اختصاره لغريب القران لابي حيان معنى رابطوا دوموا واثبتوا ومتى ذكرت
القرانات في مراد هذا الشيخ انتهى وروى ابن المبارك في رقائقه ان هذه الاية اصبروا وصابروا
ورابطوا انما نزلت في انتظار الصلاة قاله ابو سلمة بن عبد الرحمن قال ولم يكن يومئذ عدو
يرابط فيه انتهى وقوله سبحانه لعلكم تفلحون ترج في حق البشر والحمد لله حق حمده

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى اله وصحبه وسلم تسليما سورة النساء مدنية الا اية واحدة نزلت بمكة عام الفتح وهي
ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات وفي البخاري عن عائشة قالت ما نزلت سورة النساء الا وانا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تعني قد بنى بها قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الاية في
الاية تنبيه على الصانع وعلى افتتاح الوجود وفيها حض على التواصل لحرمة هذا النسب والمراد
بالنفس ادم صلى الله عليه وسلم وقال واحدة على تانيث لفظ النفس وزوجها يعني حواء قال
ابن عباس وغيره خلق الله ادم وحشا في الجنة وحده ثم نام فانتزع الله احد اضلاعه القصيرى
من شماله وقيل من يمينه فخلق منه حواء وبث معناه نشر كقوله تعالى كالفراش المبثوث اي
المنتشر وفي تكرير الامر بالتقوى تاكيد للنفوس الماموزين وتساءلون معناه تتعاطون
به فيقول احدكم اسالك بالله وقوله والارحام اي واتقوا الارحام وقرا حمزة والارحام بالخفض
عطفا على الضمير كقولهم اسالك بالله وبالرحم قاله مجاهد وغيره قال ع وهذه القراءة
عند نحاة البصريين لا تجوز لانه لا يجوز عندهم ان يعطف ظاهر على مضمر مخفوض الا في
ضرورة الشعر كقوله فاذهب فما بك والايام من عجب لان المضمر المخفوض لا ينفصل فهو
كحرف من الكلمة ولا يعطف على حرف واستسهل بعض النحاة هذه القراءة انتهى كلام ابن عطية قال
ص جوز العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار كمذهب الكوفيين ولا ترد القراءة المتواترة
بمثل مذهب البصريين قال وقد امعنا الكلام عليه في قوله تعالى وكفر به والمسجد الحرام انتهى
وهو حسن ونحوه للامام الفخر وفي قوله تعالى كان عليكم رقيبا ضرب من الوعيد قال المحاسبي
سالت ابا جعفر محمد بن موسى قلت اجمع حالات العارفين ما هي قال ان الحالة التي تجمع لك
الحالات المحمودة كلها في حالة واحدة هي المراقبة فالزم نفسك وقلبك دوام العلم بنظر الله اليك
في حركتك وسكونك وجميع احوالك فانك بعين الله عز وجل في جميع تقلباتك وانك
في قبضته حيث كنت وان عين الله على قلبك وناظر الى سرك وعلانيتك وهذه الصفة

بافي بحر ليس له شط يجري منه السواقي والانهار وتسير فيه السفن الى معادن الغنيمة م
انتهى من كتاب الفصل الى الله سبحانه وقوله سبحانه واتوا اليتامى اموالهم الاية قال ابن زيد هذه مخاطبة
للاوصياء قال ابن العربي وذلك عند الابتلاء والارشاد انتهى وقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال
ابن المسيب وغيره هو ما كان يفعله بعضهم من ابدال الشاة السمينة من مال اليتيم بالهزيلة من ماله
والدرهم الطيب بالزايف وقيل المراد لا تاكلوا اموالهم خبيثا وتدعوا اموالكم طيبا وقيل
وقيل غير هذا والطيب الحلال والخبيث الحرام وقوله الى اموالكم التقدير ولا تضيفوا اموالهم الى
اموالكم في الاكل والضمير في انه عائد على الاكل والحوب الاثم قاله ابن عباس وغيره ويتحوب الرجل
اذا القى الحوب عن نفسه وكذلك يتحنث ويتاثم ويتحرج فان هذه الاربعة بخلاف تفعل كله
لان تفعل معناه الدخول في الشيء كتعبد وتكسب وما اشبهه ويلحق بهذه الاربعة تفكهون في
قوله تعالى لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون اي تطرحون الفاكهة عن انفسكم وقوله
كبيرا نص على ان اكل مال اليتيم من الكبائر وقوله فان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى الاية قال ابو عبيدة
خفتم هنا بمعنى ايقنتم قال ع وما قاله غير صحيح ولا يكون الخوف بمعنى اليقين بوجه وانما هو
من افعال التوقع الا انه قد يميل فيه الظن الى احد الجهتين ت وكذا رد الداودي على ابي عبيدة
ولفظه وعن ابي عبيدة فان خفتم ان لا تعدلوا الجانب ايقنتم قال ابو جعفر بل هو على ظاهر
الكلمة انتهى وتقسطوا معناه تعدلوا يقال اقسط الرجل اذا عدل وقسط اذا جار قالت عائشة
رضي الله عنها نزلت هذه الاية في اولياء اليتامى الذين يعجبهم جمال ولياتهم فيريدون ان يبخسوهن
في المهر لمكان ولايتهم عليهن فقيل لهم اقسطوا في مهورهن فمن خاف ان لا يقسط فليتزوج
ما طاب له من الاجنبيات اللواتي يكايسن في حقوقهن وقاله ربيعة قال الحسن وغيره ما طاب
معناه ما حل وقيل ما ظرفية اي ما دمتم تستحسنون النكاح وضعف ت وفي تضعيفه
نظر فتامله وقال الامام الفخر في تفسير ما طاب لكم اي ما حل لكم فنزلت الاية منزلة ما يقال
لجنا لكم نكاح من يكون نكاحها مباحا لكم وذلك يخرج الاية عن كفايتها ويصيرها مجملة لا محالة
اما اذا حملنا ما طاب على استطابة النفس وميل القلب كانت الاية عامة دخلها التخصيص
كان دفع الاجمال اولى لان العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل لا يكون حجة اصلا
انتهى وهو حسن ومثنى وثلاث ورباع موضعها من الاعراب نصب على البدل من ما طاب وهي نكرات
لا تنصرف لانها معدولة وصفة وقوله فواحدة اي فانكحوا واحدة او ما ملكت
ايمانكم يريد به الاماء والمعنى ان خاف ان لا يعدل في عشرة واحدة فما ملكت يمينه و
اسند الملك الى اليمين اذ هي صفة مدح واليمين مخصوصة بالمحاسن الا ترى انها المنفقة
كما قال عليه السلام حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وهي المعاهدة المبايعة قال ابن العربي
قال علماؤنا وفي الاية دليل على ان ملك اليمين لا حق له في الوطء والقسم لان المعنى فان خفتم ان
لا تعدلوا في القسم فواحدة او ما ملكت ايمانكم فجعل سبحانه ملك اليمين كله بمنزلة الواحدة
فانتفى بذلك ان يكون للامة حق في الوطء انتهى من الاحكام وقوله ذلك ادنى ان لا تعولوا
ادنى معناه اقرب ان لا تعولوا اي ان لا تميلوا قاله ابن عباس وغيره وقالت فرقة معناه
ادنى ان لا يكثر عيالكم وقدح في هذا الزجاج وغيره وقوله تعالى واتوا النساء صدقاتهن

٧ وقد ثبت في اصول الفقه انه اذا وقع التعارض بين الاجمال والتخصيص

نحلة

نحلة الاية قال ابن عباس وغيره الاية خطاب للازواج وقال ابو صالح هي خطاب لاولياء النساء
لان عادة بعض العرب كانت ان ياكل ولي المراة مهرها فرفع الله ذلك بالاسلام وقيل ان
الاية في المتشاغرين الذين يتزوجون امراة باخرى فامروا ان يضربوا المهور قال ع والاية
تتناول هذه التاويلات الثلاث نحلة اي عطية منكم لهن وقيل نحلة معناه شرعة من النحل وقيل التقدير
نحلة من الله لهن قال ابن العربي وذلك ان النحلة في اللغة العطية من غير عوض انتهى وقوله فان
طبن لكم عن شيء منه نفسا الاية الخطاب حسبما تقدم من الاختلاف والمعنى ان وهبن غير مكرهات
طيبة نفوسهن والضمير في منه عائد على الصداق قاله عكرمة وغيره ومن تتضمن الجنس هنا ولذلك
يجوز ان تهب المهر كله وقوله تعالى هنيئا مريئا قال اللغويون الطعام الهني هو السائغ المستحسن
الحميد المغبة وقوله سبحانه ولا تؤتوا السفهاء اموالكم قال ابو موسى الاشعري وغيره نزلت في
كل من اقتضى الصفة التي شرط الله من السفه كائنا من كان وقوله اموالكم يريد اموال المخاطبين قاله
ابو موسى الاشعري وابن عباس والحسن وغيرهم وقال ابن جبير يريد اموال السفهاء واضافها الى المخاطبين
اذ هي كاموالهم وقيما جمع قيمة وقوله تعالى وارزقوهم فيها الاية قيل معناه فيمن تلزم الرجل نفقته
وقيل من يلزم المحجورين من اموالهم وقولا معروفا قيل معناه ادعوا لهم وقيل معناه عدوهم
وعدا حسنا اي اذا رشدتم دفعنا لكم اموالكم ومعنى اللفظة كل كلام تعرفه النفوس وتانس اليه
ويقتضيه الشرع وقوله وابتلوا اليتامى الاية الابتلاء الاختبار وبلغوا النكاح معناه بلغوا مبالغ
الرجال بحلم او حيض او غير ذلك ومعناه جربوا عقولهم وقرائحهم وتصرفهم وانستم معناه علمتم
٦ وشعرتم وخبرتم ومالك رحمه الله يرى الشرطين البلوغ والرشد المختبر وحينئذ يدفع المال قال ع والبلوغ
لم تسقه الاية مساق الشرط ولكنها حالة الغالبة على بني ادم ان تلتئم عقولهم فيها فهو الوقت
الذي لا يعتبر شرط الرشد الا فيه فقال اذا بلغ ذلك الوقت فلينظر الى الشرط وهو الرشد وفصاحة
الكلام تدل على ذلك لان التوقيف بالبلوغ جاء باذا والمشروط جاء بان التي هي قاعدة حروف الشرط
واذا ليست بحرف شرط الا في ضرورة الشعر قال ابن عباس الرشد في العقل وتدبير المال لا غير وهو قول
ابن القاسم في مذهبنا وقال الحسن وقتادة الرشد في العقل والدين وهي رواية ايضا عن مالك و
قوله تعالى ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا نهي منه سبحانه للاوصياء عن اكل اموال اليتامى
بغير الواجب المباح لهم والاسراف الافراط في الفعل والسرف الخطا في مواضع الانفاق وبدارا معناه
مبادرة كبرهم اي ان الوصي يستغنم مال محجوره وان يكبروا نصب ببدار ويجوز ان يكون التقدير
مخافة ان يكبروا وقوله ومن كان غنيا فليستعفف يقال عف الرجل عن الشيء واستعف اذا امسك
فامر الغني بالامساك عن مال اليتيم واباح الله للوصي الفقير ان ياكل من مال يتيمه بالمعروف واختلف العلماء
في حد المعروف فقال ابن عباس وغيره انما ياكل الوصي بالمعروف اذا شرب من اللبن واكل من التمر
بما يهنا الجربا ويلط الحوض ويجد التمر وما اشبهه قلت يقال للقطران الهنا في لغة العرب
كذا رايته منصوصا عليه وقوله تعالى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم امر من الله تعالى
بالتحرز والحزم وهذا هو الاصل في الاشهاد في المدفوعات كلها اذا كان حبسها اولا معروفا قال ع
والاظهر ان حسيبا هنا معناه حاسبا اعمالكم ومجازيا بها ففي هذا وعيد لكل جاحد حق قوله
تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الاية قال قتادة وغيره سبب نزول هذه الاية ان

ان العرب منها ما لا يورث النساء ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرمح وقاتل بالسيف وقوله
واذا حضر القسمة اولو القربى الاية اختلف فيمن خوطب بهذه الاية فقيل الخطاب للوارثين وقيل للمحتضرين
والمعنى اذا حضركم الموت ايها المؤمنون وقسمتم اموالكم بالوصية وحضركم من لا يرث من ذوي
القرابة واليتامى فارزقوهم منه قاله ابن عباس وغيره واختلف هل هي منسوخة باية المواريث
او هي محكمة وعلى انها محكمة فهل الامر على الوجوب فيعطى لهم ما خف او على الندب خلاف
والضمير في قوله فارزقوهم وفي قوله لهم عائد على الاصناف الثلاثة والقول المعروف كل ما يؤنس
به من دعاء او عدة او غير ذلك وقوله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم الاية اختلف
من المراد في هذه الاية فقال ابن عباس وغيره المراد من حضر ميتا حين يوصي فيقول له قدم لنفسك
واعط لفلان وفلان ويؤذي الورثة بذلك فكان الاية تقول لهم كما انتم تخشون على
ورثتكم وذريتكم بعدكم فكذلك فاخشوا على ورثة غيركم ولا تحملوه على تبذير ماله وتركهم
عالة فالمقسم وحضرمي نزلت في عكس ذلك وهو ان تقول للمحتضر امسك على ورثتك وابق لولدك
ونهاه عن الوصية فيتضرر بذلك ذوو القربى واليتامى والمساكين وكل من يستحق ان يوصى له فقيل
لهم كما كنتم تخشون على ذريتكم وتسرون بان يحسن اليهم فكذلك فسددوا القول في جهة اليتامى
والمساكين قال ع والقولان لا يطرد ان في كل الناس بل الناس صنفان يصلح لاحدهما
القول الواحد وللاخر القول الثاني وذلك ان الرجل اذا ترك ورثة اغنياء حسن ان يندب الى الوصية
ويحمل على ان يقدم لنفسه واذا ترك ورثة ضعفاء مقلين حسن ان يندب الى الترك لهم والاحتياط
فان اجره في قصد ذلك كاجره في المساكين والمراعاة انما هو الضعف ان يمال معه وقال ابن عباس
ايضا المراد بالاية ولاة الايتام فالمعنى احسنوا اليهم وسددوا القول لهم واتقوا الله في اكل اموالهم
كما تخافون على ذريتكم ان يفعل بهم خلاف ذلك وقالت فرقة بل المراد جميع الناس فالمعنى
امرهم بالتقوى في الايتام واولاد الناس والتسديد لهم في القول وان لم يكونوا في
حجورهم كما يريد كل احد ان يفعل بولده بعده والسديد معناه المصيب للحق وقوله تعالى
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية اكثر الناس ان الاية نزلت في الاوصياء الذين ياكلون
ما لم يبح لهم من اموال اليتامى وهي تتناول كل اكل وان لم يكن وصيا وورد في هذا الوعيد احاديث
منها حديث ابي سعيد الخدري قال حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة اسري به قال رايت
اقواما لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من ياخذ بمشافرهم ثم يجعل في افواههم صخرا من
نار يخرج من اسافلهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هم الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما ت
تامل رحمك الله صدر هذه السورة معظمه انما هو في شان الاجوفين البطن والفرج مع اللسان
وهما المهلكان واعظم الجوارح افة وجناية على الانسان وقد روينا عن مالك في الموطا عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من وقاه الله شر اثنين ولج الجنة ما بين لحييه وما بين رجليه ما بين لحييه
وما بين رجليه ما بين لحييه وما بين رجليه قال ابو عمر بن عبد البر في التمهيد ومعلوم انه
اراد صلى الله عليه وسلم ما بين لحييه اللسان وما بين رجليه الفرج والله اعلم ولهذا اردف
مالك حديثه هذا بحديثه عن زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر بن الخطاب دخل على ابي بكر الصديق
رضي الله عنهما وهو يجذب لسانه فقال له عمر مه غفر الله لك فقال ابو بكر ان هذا اوردني الموارد

قال ابو عمر وفي اللسان اثار كثيرة ثم قال ابو عمر وعن ابي هريرة ان اكثر ما يدخل الناس النار الاجوفان
البطن والفرج ثم اسند ابو عمر عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تكفل لي بما بين
لحييه وما بين رجليه واضمن له الجنة ومن طريق جابر نحوه انتهى والصلا هو التسخن بقرب النار
او بمباشرتها والمحترق الذي يذهبه الحرق ليس بصال الا في بعد امره واهل جهنم لا تذهبهم فهم
فيها صالون اعاذنا الله منها بجوده وكرمه والسعير الجمر المشتعل وهذه اية من ايات الوعيد
والذي يعتقده اهل السنة ان ذلك نافذ على بعض العصاة لئلا يقع الخبر بخلافه مخبره ساقط
بالمشيئة عن بعضهم قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم الاية تتضمن الفرض والوجوب قيل
نزلت بسبب بنات سعد بن الربيع وقيل بسبب جابر بن عبد الله وقوله للذكر مثل حظ
الانثيين اي حظ مثل حظ الانثيين وقوله فوق اثنتين فما فوقهما يقتضي ذلك قوة
الكلام واما الوقوف مع اللفظ فيسقط معه النص للاثنتين ويثبت الثلثان لهما بالاجماع
ذلك بالقياس على الاختين وبحديث الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى
للابنتين بالثلثين وقوله سبحانه فان لم يكن له ولد المعنى ولا ولد له ذكرا كان او انثى
فلامه الثلث اي وللاب الثلثان وقوله تعالى فان كان له اخوة فلامه السدس اي كانوا
اشقاء او للاب او للام والاجماع على انهم لا ياخذون السدس الذي يحجبون الام
عنه وكذلك اجمعوا على ان الاخوين فصاعدا يحجبون الام عنه الا ما روي عن ابن عباس ان الاخوين
في حكم الواحد وقدم الوصية في اللفظ اهتماما بها وندبا اليها اذ هي اقل لزوما من الدين
وايضا قدمها لان الشرع قد حض عليها فلا بد منها والدين قد يكون وقد لا يكون وايضا
قدمها اذ هي حظ مساكين وضعاف والدين لاخر حق غريم يطلبه بقوة وله
فيه مقال واجمع على ان الدين مقدم على الوصية والاجماع انه لا يوصى باكثر من الثلث
واستحب كثير منهم ان لا يبلغ الثلث وقوله تعالى اباؤكم رفع بالابتداء والخبر مضمر تقديره
هم المقسوم عليهم او هم المعطون وهذا عرض للحكمة في ذلك وتانيس للعرب الذين
كانوا يرثون على غير هذه الصفة قال ابن زيد وقوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا يعني
في الدنيا والاخرة قال الفخر وفي الاية اشارة الى الانقياد الى الشرع وترك ما يميل اليه
الطبع انتهى وقوله ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد الاية الولد هنا في
هذه الاية وفي الاية التي بعدها هم بنو الصلب وبنو ذكورهم وان سفلوا والكلالة
خلو الميت عن الوالد والولد هذا هو الصحيح وقوله تعالى وله اخ او اخت الاية الاجماع
على ان الاخوة في هذه الاية الاخوة للام واما حكم سائر الاخوة سواهم فهو المذكور في
اخر السورة وقرا سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت لامه والانثى والذكر في هذه النازلة
سواء بالاجماع وقوله تعالى غير مضار قال ابن عباس الضرار في الوصية من الكبائر ورووا
عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من ضار في وصيته القاه الله في واد في جهنم قال ع ووجوه المضارة كثيرة
من ذلك ان يقر بحق ليس عليه ويوصي باكثر من ثلثه او لوارثه قال ص غير مضار
منصوب على الحال اي غير مضار ورثته انتهى قلت وتقدير ابي حيان ورثته ياباه

وفصاحة الآية اذ مقتضاها العموم فلو قال غير مضار وورثه او غيرهم لكان الحسن
لكن الغالب مضارة فلهذا قدرهم و قوله تعالى تلك حدود الله الآية تلك اشارة الى القسمة
المتقدمة في المواريث وباقي الآية بين و قوله تعالى واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم
الآية الفاحشة في هذا الموضع الزنا و قوله من نسائكم اضافة في معنى الاسلام و جعل الله
الشهادة على الزنا خاصة لا تتم الا باربعة شهداء تغليظا على المدعي وسترا على العباد و من
هذا المعنى اشتراط رؤية كذا في كذا كالمرود في المكحلة قال ع وكانت اول عقوبة الزناة الامساك
في البيوت ثم نسخ ذلك بالاذى بعده ثم نسخ ذلك باية النور وبالرجم في الثيب قاله عبادة
ابن الصامت وغيره وعن عمران بن حصين انه قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزل
عليه الوحي ثم اقلع عنه ووجهه محمر فقال قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد
مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم خرجه مسلم وهو خبر احاد ثم ورد في الخبر المتواتر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ولم يجلد فمن قال ان السنة المتواترة تنسخ القرآن
جعل رجم الرسول دون جلد ناسخا لجلد الثيب وهذا الذي عليه الامة ان السنة المتواترة تنسخ
القرآن اذ هما جميعا وحي من الله سبحانه ويوجبان جميعا العلم والعمل ويتجه عندي في هذه النازلة
بعينها ان يقال ان الناسخ لحكم الجلد هو القرآن المتفق على رفع لفظه وبقاء حكمه في قوله
تعالى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة وهذا نص في الرجم وقد قرأه عمر على المنبر بمحضر الصحابة
والحديث بكماله في مسلم والسنة هي المبينة ولفظ البخاري او يجعل الله لهن سبيلا الرجم
للثيب والجلد للبكر و قوله تعالى واللذان ياتيانها منكم الآية قال مجاهد وغيره الاولى
في النساء عموما وهذه في الرجال فعقوبة النساء الحبس وعقوبة الرجال الاذى وهذا
قول يقتضيه اللفظ ويستوفي نص الكلام اصناف الزناة عامة ويؤيده من جهة اللفظ
قوله في الاولى من نسائكم وقوله في الثانية منكم و اجمع العلماء على ان هاتين الآيتين
منسوختان كما تقدم قوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة الآية قال ص
التوبة مبتدأ على حذف مضاف اي قبول التوبة انتهى قال ع انما حاصرة وهو مقصد
المتكلم بها ابدا فقد تصادف من المعنى ما يقتضي العقل فيه الحصر كقوله تعالى انما الله اله
واحد وقد لا تصادف ذلك كقوله انما الشجاع عنترة وهي في هذه الآية حاصرة اذ ليست
التوبة الا لهذا الصنف المذكور وتصح التوبة فان نقضها التائب في ثاني حال بمعاودة
الذنب فان التوبة الاولى طاعة قد انقضت وصحت وهو محتاج بعد مواقعة الذنب الى
توبة اخرى مستانفة وتصح ايضا التوبة على ذنب مع الاقامة على غيره من غير نوعه
خلافا للمعتزلة في قولهم لا يكون تائبا من اقام على ذنب و قوله تعالى على الله اي على فضل الله
ورحمته لعباده وهذا قوله صلى الله عليه وسلم ما حق العباد على الله انما معناه ما حقهم على
فضله ورحمته و العقيدة انه لا يجب على الله تعالى شيء عقلا و السوء في هذه الآية يعم الكفر
والمعاصي و قوله تعالى بجهالة معناه بسفاهة وقلة تحصيل ادى الى المعصية وليس
المعنى ان تكون الجهالة بان ذلك فعل معصية فان المتعمد للذنوب كان يخرج من التوبة
وهذا فاسد اجماعا و ما ذكرته في الجهالة قاله اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك

عنهم

عنهم ابو العالية وقال قتادة اجتمع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على ان كل معصية
فهي بجهالة عمدا كانت او جهلا وقال به ابن عباس ومجاهد والسدي وروي عن مجاهد والضحاك
انهما قالا الجهالة هنا العمد وقال عكرمة امور الدنيا كلها جهالة قال ع يريد الخاصة بها
الخارجة عن طاعة الله سبحانه وهذا المعنى عندي جار مع قوله تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو
و اختلف المتأولون في قوله تعالى من قريب فقال ابن عباس والسدي معنى ذلك قبل المرض
والموت وقال الجمهور معنى ذلك قبل المعاينة للملائكة والسوق وان يغلب المرء على نفسه
و روى ابو قلابة ان الله تعالى لما خلق آدم فرآه ابليس اجوف ثم جرى ما جرى ولعن وانظر قال
وعزتك لا برحت من قلبه ما دام فيه الروح فقال الله تعالى وعزتي لا احجب عنه التوبة
ما دامت فيه الروح قال ع فابن عباس رضي الله عنه ذكر احسن اوقات التوبة والجمهور
حدوا آخر وقتها وروى بشير بن كعب والحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة
العبد ما لم يغرغر ويغلب على عقله قال ع لان الرجاء فيه باق ويصح منه الندم والعزم على الترك
و قوله تعالى من قريب الى وقت الذنب ومدة الحياة كلها قريب والمبادرة في الصحة افضل
بل المبادرة واجبة و قوله وكان الله عليما اي بمن يتوب وييسر هو سبحانه للتوبة حكيما فيما
ينفذه من ذلك وفي تاخير من يؤخر حتى يهلك ثم نفى بقوله تعالى وليست التوبة للذين الآية ان يدخل
في حكم التائبين من حضره موته وصار في حيز اليأس كما كان فرعون حين صار في غمرة الماء والغرق
فلم ينفعه ما اظهر من الايمان وبهذا قال ابن عباس وجماعة المفسرين قال ع والعقيدة
عندي في هذه الآيات ان من تاب من قريب فله حكم التائب فيغلب الظن عليه انه ينعم ولا يعذب
هذا مذهب ابي المعالي وغيره وقال غيرهم بل هو مغفور له قطعا لاخبار الله تعالى بذلك وابو
يجعل تلك الاخبار ظواهر مشروطة بالمشيئة ومن لم يتب حتى حضره الموت فليس في حكم التائبين
فان كان كافرا فهو مخلد وان كان مؤمنا فهو عاص في المشيئة لكن يغلب الخوف عليه ويقوى
الظن في تعذيبه ويقطع من جهة السمع ان من هذه الصفة من يغفر الله تعالى له تفضلا منه
لا يعذبه واعلم ايضا ان الذين يموتون وهم كفار مستعتب لهم ولا توبة في الآخرة و قوله
تعالى اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما ان كانت الاشارة الى الذين يموتون وهم كفار فقط فالعذاب
عذاب خلود مؤبد وان كانت الاشارة اليهم والى من ينفذ عليهم الوعيد ممن لا يتوب الا مع حضور
الموت فهو في جهة هؤلاء عذاب لا خلود معه و اعتدنا معناه يسرناه واحضرناه قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها الآية قال ابن عباس كانوا في الجاهلية
اذا مات الرجل كان اولياؤه احق بامرأته من اهلها ان شاءوا تزوجها احدهم وان شاءوا
زوجوها من غيرهم وان شاءوا منعوها الزواج فنزلت الآية في ذلك وقال بعض المتأولين
معنى الآية لا يحل لكم عضل النساء اللواتي انتم اولياء لهن وامساكهن دون تزويج حتى يمتن
فتورث اموالهن قال ع فعلى هذا القول فالموروث مالها لا هي وروي نحو هذا عن ابن عباس
كانوا لا يزوجونها اذا كانت جميلة ويمسكونها حتى تموت اذا كانت دميمة وقال نحوه الحسن
وعكرمة وقال ابن عباس ايضا هي في الازواج في الرجل يمسك المرأة ويسيء عشرتها حتى
تفتدي منه فذلك لا يحل له وقال مثله قتادة وهو اقوى الاقوال ودليل ذلك قوله الا

الوثنة

المعا

قوله تعالى ولا تعضلوهن الآية قاله ابن عباس

ان يأتين بفاحشة واذا اتت بفاحشة فليس للولي حبسها حتى يذهب بما لها اجماعا من الامة
وانما ذلك للزوج على ما سنبينه الا ان شاء الله تعالى وكذلك قوله عاشروهن الى اخر الاية
يظهر منه تقوية ما ذكرته واختلف في معنى الفاحشة هنا فقال الحسن بن ابي الحسن اذا افعلن ذلك
تحل لكم اخذ مهورهن وحديث المتلاعنين يضعف هذا القول لقوله صلى الله عليه وسلم فذاك (هو الزنا قال ابو قلابة)
بما استحللت من فرجها الحديث وقال ابن عباس وغيره الفاحشة في هذه الاية البغض والنشوز
فاذا نشزت حل له ان يأخذ مالها قال ع وهو مذهب مالك وقال قوم البذاء باللسان
وسوء العشرة قولا وفعلا وهذا في معنى النشوز قال ع والزنا اصعب على الزوج من النشوز والاذى
وكل ذلك فاحشة تحل اخذ المال وقوله تعالى وعاشروهن بالمعروف امر لجميع الازواج
والاولياء ولكن المتلبس في الاغلب بهذا الامر الازواج والعشرة المخالطة والممازجة
وقوله تعالى فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا قال السدي الخير الكثير
في المرأة الولد وقال نحوه ابن عباس قال ع ومن فصاحة القرآن العموم الذي في لفظة
شيء لانه يطرد هذا النظر في كل ما يكرهه المرء مما يجمل الصبر عليه ويحسن اذ عاقبة الصبر الى
خير اذا اريد به وجه الله وقوله تعالى وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الاية لما مضى في
الاية المتقدمة ذكر الفراق الذي سببه المرأة وان للزوج اخذ المال منها عقب ذلك بذكر الفراق
الذي سببه الزوج والمنع من اخذ مالها مع ذلك وقال بعض الناس يؤخذ من الاية جواز المغالاة
بالمهور وقال قوم لا تعطي الاية ذلك لان التمثيل انما جاء على جهة المبالغة والبهتان مصدر في
موضع الحال ومعناه مبهتا اثم وعظ تعالى عباده وافضى معناه باشر وقال مجاهد وغيره
الافضاء في هذه الاية الجماع قال ابن عباس ولكن الله كريم يكني واختلف في المراد بالميثاق الغليظ
فقال الحسن وغيره هو قوله تعالى فامساك بمعروف وقال مجاهد وابن زيد الميثاق الغليظ
عقدة النكاح وقول الرجل نكحت ملكت النكاح ونحوه فهذه التي بها تستحل الفروج وقال
عكرمة والربيع الميثاق الغليظ يفسره قول النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا
فانهن عوان عندكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله قوله تعالى ولا تنكحوا
ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف سبب نزول الاية ما اعتادته قبايل العرب ان يخلف
ابن الرجل على امرأة ابيه وقد كان في العرب من تزوج ابنته وهو حاجب بن زرارة واختلف في
مقتضى الفاظ الاية فقالت فرقة قوله ما نكح يريد النساء اي لا تنكحوا النساء اللواتي نكح اباؤكم
وقوله الا ما قد سلف معناه ولكن ما قد سلف فدعوه وقال بعضهم المعنى لكن ما قد سلف (وقالت فرقة معناه لا تنكحوا كما نكح اباؤكم من عقودهم الفاسدة الا ما قد سلف)
فهو معفو عنكم لمن كان واقعه فكانه قال ولا تفعلوا حاشا ما قد سلف منكم من تلك العقود
الفاسدة فمباح لكم الاقامة عليه في الاسلام اذا كان ذلك مما يقرر الاسلام عليه وقيل الا ما قد
سلف فهو معفو عنكم وقال ابن زيد معنى الاية النهي عن ان يطأ الرجل امرأة وطئها الاباء الا ما قد
سلف من الاباء في الجاهلية من الزنا بالنساء لا على وجه المناكحة فذلك جائز لكم لان ذلك الزنا كان
فاحشة والمقت البغض والاحتقار بسبب رذيلة يفعلها الممقوت وساء سبيلا اي بئس طريق
والمنهج لمن يسلكه اذ عاقبته الى عذاب الله قال ص ساء للمبالغة في الذم كبئس وسبيلا تفسير
والمخصوص بالذم محذوف اي سبيل هذا النكاح كقوله تعالى بئس الشراب اي ذلك الماء انتهى

وقوله سبحانه حرمت عليكم امهاتكم الاية حكم الله به سبعا من النسب وستا من
بين رضاع وصهر والحقت السنة متواترة سابعة وهي الجمع بين المرأة وعمتها ومضى عليه الاجماع
وروي عن ابن عباس انه قال الحرم من النسب سبع ومن الصهر سبع وتلا هذه الاية وقال عمرو بن سالم
مثل ذلك وجعل السابعة قوله تعالى والمحصنات وقوله تعالى وامهات نسائكم اي سواء دخل بالبنت
او لم يدخل فبالعقد على البنت حرمت الام هذا الذي عليه الجمهور وقوله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم
ذكر الاغلب من هذه الامور اذ هذه حالة الربيبة في الاكثر وهي محرمة وان لم تكن في الحجر
ويقال حجر بكسر الحاء وفتحها وهو مقدم ثوب الانسان وما بين يديه منه ثم استعملت
اللفظة في الحفظ والستر وقوله اللاتي دخلتم بهن قال ابن عباس وغيره الدخول هنا الجماع
وجمهور العلماء يقولون ان جميع انواع التلذذ بالام يحرم الابنة كما يحرمها الجماع و
الحلائل جمع حليلة لانها تحل مع الزوج حيث حل فهي فعيلة بمعنى فاعلة وذهب
الزجاج وقوم الى انها من لفظة الحلال فهي حليلة بمعنى محللة وقوله تعالى الذين من
اصلابكم يخرج من كانت العرب تتبناه ممن ليس للصلب وحرمت حليلة الابن من
الرضاع وان لم يكن للصلب بالاجماع المستند الى قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من
الرضاع ما يحرم من النسب وقوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين لفظ يعم الجمع بنكاح
وبملك يمين واجمعت الامة على منع جمعهما بنكاح ولا خلاف في جواز جمعهما بالملك
ومذهب مالك ان له ان يطأ ايتهما شاء والكف عن الاخرى موكول الى امانته فان
اراد وطء الاخرى فيلزمه ان يحرم فرج الاولى بعتق او كتابة او غير ذلك وثبت عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه نهى ان يجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها واجمعت الامة على ذلك
وقوله تعالى الا ما قد سلف استثناء منقطع معناه لكن ما قد سلف من ذلك ووقع وازاله
الاسلام فان الله تعالى يغفره والاسلام يجبه وقوله والمحصنات عطفا على المحرمات قيل والتحصن
التمنع ومنه الحصن وحصنت المرأة امتنعت بوجه من وجوه الامتناع واحصنت
نفسها واحصنها غيرها والاحصان تستعمله العرب في اربعة اشياء وعلى ذلك تصرفت اللفظة
في كتاب الله عز وجل فتستعمله في الزواج لان ملك الزوج منعة وحصن وتستعمله في الحرية
لان الاماء كان عرفهن في الجاهلية الزنا والحرة بخلاف ذلك الا ترى الى قول هند وهل تزني
الحرة وتستعمله في الاسلام لانه حافظ وتستعمله في العفة لانها اذا ارتبط بها انسان وظهرت
على شخص ما وتخلق بها فهي منعة وحوط وحيث ما وقعت اللفظة في القرآن فلا تجد
تخرج عن هذه المعاني لكنها قد تقوى فيها بعض هذه المعاني دون بعض كما سنبينه في اماكنه
ان شاء الله تعالى وقوله سبحانه في هذه الاية والمحصنات قال فيه ابن عباس وغيره هن ذوات
الازواج محرمات الا ما ملكت اليمين بالسبي وروي عن ابن شهاب انه سئل عن هذه الاية والمحصنات
من النساء فقال نرى انه حرم في هذه الاية ذوات الازواج والعفايف من حراير ومملوكات
ولم يحل شيء من ذلك الا بنكاح او شراء او تملك وهذا قول حسن عم لفظ الاحصان ولفظ
ملك اليمين وذلك راجع الى ان الله حرم الزنا قال ابو عبيدة السلماني وغيره قوله سبحانه كتاب الله
عليكم اشارة الى ما ثبت من القرآن من قوله سبحانه مثنى وثلاث ورباع وفي هذا بعد

ولا مهر ان كتاب الله عليكم انما اشارة الى التحريم الحاجز بين الناس وبين ما كانت الجاهلية
تفعله قال التحريم وكتاب الله عليكم مصدر من غير لفظ الفعل قال الزجاج ويجوز ان يكون
منصوبا على جهة الامر ويكون عليكم خبرا له فيكون المعنى الزموا كتاب الله انتهى وفي التمهيد لابي عمر
ابن عبد البر كتاب الله عليكم اي حكمه فيكم وقضاؤه عليكم انتهى و قوله سبحانه واحل لكم ما وراء ذلكم
قال عطاء اي ما علم تفصيله من الشريعة قال ع وان تبتغوا باموالكم لفظ يجمع التزوج والشرا
و محصنين معناه متعففين اي تحصنون انفسكم بذلك غير مسافحين اي غير زناة والسفاح
الزنا و قوله سبحانه فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن قال ابن عباس وغيره المعنى فاذا استمتعتم
بالزوج ووقع الوطء ولو مرة فقد وجب اعطاء الاجر وهو المهر كله وقال ابن عباس ايضا وغيره
ان الاية نزلت في نكاح المتعة قال ابن المسيب ثم نسخت قال ع وقد كانت المتعة في صدر الاسلام
ثم نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم و قوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به اي من حط او تاخير
بعد استقرار الفريضة ومن قال بان الاية المتقدمة في المتعة قال الاشارة بهذه الى ما تراضيا
عليه من زيادة في مدة المتعة وزيادة في الاجر و قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا الاية
قال ابن عباس وغيره الطول هنا السعة في المال وقال مالك في المدونة فعلى هذا التاويل لا يصح للحر
ان يتزوج الامة الا باجتماع شرطين عدم السعة في المال وخوف العنت وهذا هو نص مالك في المدونة
قال مالك في المدونة وليس الحرة تحته بطول الخشي العنت وقال في كتاب محمد ما يقتضي ان الحرة بمثابة
الطول قال الشيخ ابو الحسن اللخمي وهو ظاهر القرآن ونحوه عن ابن حبيب وقال ابو حنيفة وجود الحرة تحته
لا يجوز معه نكاح الامة وقال الطبري وتقول طال الرجل طولا بفتح الطاء اذا تفضل ووجد السعة
وطولا بضمها ضد القصر و المحصنات في هذا الموضع الحرائر و الفتيات وان كانت اللغة واقعة على
الشابة اية كانت فعرفها في الاماء وفتى كذلك و المؤمنات في هذا الموضع صفة مشترطة عند مالك
وجمهور اصحابه فلا يجوز زواج الامة الكافرة عندهم ت والعلة في منع نكاح الامة ما يؤول اليه الحال من
استرقاق الولد و قوله تعالى والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض معناه والله اعلم ببواطن الامور
ولكم ظواهرها فاذا كانت الفتاة ظاهرها الايمان فنكاحها صحيح وفي اللفظ ايضا تنبيه على
انه ربما كان ايمان امة ازيد من ايمان بعض الحرائر فلا تعجبوا بمعنى الحرية و المقصد بهذا الكلام ان الناس
بنو الحرائر وبنو الاماء اكرمهم عند الله اتقاهم فهذا توطية لنفوس العرب التي كانت تستهجن ولد
الامة و قوله تعالى فانكحوهن باذن اهلهن معناه بولاية اربابهن المالكين و اتوهن اجورهن
اي مهورهن بالمعروف معناه بالشرع والسنة و محصنات الظاهر انه بمعنى عفيفات
قال ص محصنات منصوب على الحال والظاهر ان العامل واتوهن ويجوز ان يكون العامل
فانكحوهن محصنات اي عفائف انتهى و المسافحات الزواني المبتذلات اللواتي هن سوق للزنا ومتخذات
الاخدان هن المستترات اللواتي يصحبن واحدا واحدا ويزنين خفية وهذان كانا نوعين في زنا
الجاهلية قاله ابن عباس وغيره و قوله تعالى فاذا احصن الاية قال الزهري وغيره فالمتزوجة
محدودة بالقرآن والمسلمة غير المتزوجة محدودة بالحديث في مسلم والبخاري انه قيل يا رسول
الله الامة اذا زنت فاوجب عليها الحد و الفاحشة هنا الزنا قال ص وجواب اذا فان اتين وجوابه
انتهى و المحصنات في هذه الاية الحرائر اذ هي الصفة المشروطة في الحد الكامل والرجم لا يتنصف

وغيره المعنى واحل لكم ما وراء من حرمهن

٤

فلم

فلم يرد في الاية باجماع و العنت في اللغة المشقة قال ابن عباس وغيره والمقصد به الزنا
و قوله تعالى وان تصبروا خير لكم يعني عن نكاح الاماء قاله ابن عباس وغيره وهذا ندب الى
الترك وعلته ما يؤدي اليه نكاح الاماء من استرقاق الولد ومهنتهن قوله تعالى يريد الله ليبين لكم
ويهديكم الاية التقدير عند سيبويه يريد الله لان يبين لكم ويهديكم بمعنى يرشدكم والسنن
الطرق ووجوه الامور وانحاؤها و الذين من قبلنا هم المؤمنون من كل شريعة و قوله
سبحانه والله يريد ان يتوب عليكم الاية مقصد هذه الاية الاخبار عن ارادة الذين
يتبعون الشهوات فقدمت ارادة الله توطية مظهرة لفساد ارادة متبعي الشهوات واختلف
المتأولون في تعيين متبعي الشهوات فقال مجاهد هم الزناة وقال السدي هم اليهود والنصارى
وقالت فرقة هم اليهود خاصة لانهم ارادوا ان يتبعهم المسلمون في نكاح الاخوات من الاب
وقال ابن زيد ذلك على العموم في هؤلاء وفي كل متبع شهوة ورجحه الطبري و قوله تعالى يريد الله
ان يخفف عنكم الاية اي لما علم ضعفكم عن الصبر عن النساء خفف عنكم باباحة الاماء
قاله مجاهد وغيره وهو ظاهر مقصود الاية ثم بعد هذا المقصد تخرج الاية مخرج
التفضل لانها تتناول كل ما خففه الله سبحانه عن عباده وجعله الدين يسرا ويقع
الاخبار عن ضعف الانسان عاما بحسب ما هو في نفسه ضعيف يستميله هواه في الاغلب قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة الاية الاستثناء
منقطع والمعنى لكن ان كانت تجارة فكلوها و اخرج البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من اخذ اموال الناس يريد اداءها ادى الله عنه ومن اخذها يريد اتلافها اتلفه الله
انتهى و قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما اجمع المتأولون على ان المقصود
بهذه الاية النهي عن ان يقتل بعض الناس بعضا ثم لفظها يتناول ان يقتل الرجل نفسه بقصد
منه للقتل او بان يحملها على غرر ربما مات منه فهذا كله يتناوله النهي وقد احتج عمرو بن العاص
بهذه الاية حين امتنع من الاغتسال بالماء البارد خوفا على نفسه منه فقرر رسول الله
صلى الله عليه وسلم احتجاجه و قوله تعالى ومن يفعل ذلك عدوانا الاية اختلف في
المشار اليه بذلك فقال عطاء ذلك عائد على القتل لانه اقرب مذكور وقالت فرقة ذلك
عائد على اكل المال بالباطل وقتل النفس وقالت فرقة ذلك عائد على كل ما نهى عنه من اكل المال بالباطل
وقتل النفس وقالت فرقة ذلك عائد على كل ما نهي عنه من قبل من اول السورة قرن معه
وعيد قال ابن العربي في احكامه والقول الاول اصح وما عداه محتمل انتهى و العدوان تجاوز
الحد قال ص عدوانا وظلما مصدران في موضع الحال اي متعدين وظالمين او
ومفعول من اجله انتهى واختلف العلماء في الكبائر فقال ابن عباس وغيره الكبائر كل ما ورد
عليه وعيد بنار او عذاب او لعنة او ما اشبه ذلك وقال ابن عباس ايضا كل ما نهى الله
عنه فهو كبيرة وعلى هذا القول ائمة الكلام القاضي وابو المعالي وغيرهما قالوا وانما قيل
صغيرة بالاضافة الى اكبر منها والا فهي في نفسها كبيرة من حيث ان المعصي بالجميع واحد
واختلف العلماء في هذه المسألة فجماعة الفقهاء والمحدثين يرون ان باجتناب الكبائر
تكفر الصغائر قطعا واما الاصوليون فقالوا محمل ذلك على غلبة الظن وقوة الرجاء

القطع ومحل الكبائر عند الأصوليين في هذه الآية اجتناب الكفر والآية التي قيدت الحكم فردّت إليها
هذه المطلقات كلها قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، وكريما يقتضي كرم الفضيلة ونفي العيوب
كما تقول ثوب كريم وهذه آية رجاء. وروى أبو حاتم البستي في المسند الصحيح له عن أبي هريرة وأبي
سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر ثم قال والذي نفسي بيده ثلاث مرات
ثم سكت فأكب كل رجل منا يبكي حزينا ليمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ما من عبد يؤدي
الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له ثمانية أبواب من الجنة يوم القيامة
حتى إنها لتصفق ثم تلا إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم انتهى من التذكرة للقرطبي
ونحوه ما رواه مسلم عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة
ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر قال القرطبي وعليه جماعة أهل التأويل و
الفقهاء، وهو الصحيح أن الصغائر تكفر باجتناب الكبائر قطعا بوعد الله الصدق وقوله الحق سبحانه، وأما
الكبائر فلا يكفرها إلا التوبة منها انتهى ت وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل
النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات
قوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض الآية سبب الآية أن النساء قلن ليتنا استوينا مع الرجال
في الميراث وشركناهم في الغزو وروي أن أم سلمة قالت ذلك ونحوه وقال الرجال ليت لنا في الآخرة حظا زائدا
على النساء كما لنا عليهن في الدنيا فنزلت الآية قال ع لأن في تمنيهم هذا تحكما على الشريعة وتطرقا
إلى الدفع في صدر حكم الله تعالى فهذا نهي عن كل تمن بخلاف حكم شرعي وأما التمني في الأعمال الصالحة
فذلك هو الحسن وقد قال صلى الله عليه وسلم وددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل في غير ما
حديث وفي غير موضع ولقوله تعالى واسألوا الله من فضله قال القشيري سمعت الشيخ أبا
علي يقول من علامات المعرفة أن لا تسأل حوائجك قلت أو كثرت إلا من الله تعالى مثل موسى اشتاق
إلى الرؤية فقال رب أرني أنظر إليك واحتاج مرة إلى رغيف فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير
فقير انتهى من التحبير وقوله تعالى للرجال نصيب الآية قالت فرقة معناه من الأجر والحسنات فكأنه
قيل للناس لا تتمنوا في أمر خلاف ما حكم الله به لاختيار ترونه أنتم فإن الله تعالى قد جعل لكل أحد
نصيبا من الأجر والفضل بحسب اكتسابه فيما شرع له وهذا قول حسن وفي تعليقه سبحانه النصيب
بالاكتساب حض على العمل وتنبيه على كسب الخير وقوله تعالى واسألوا الله من فضله قال ابن جبير
وغيره هذا في فضل العبادات والدين لا في فضل الدنيا وقال جمهور العلماء ذلك على العموم وهو
الذي يقتضيه اللفظ وقوله واسألوا يقتضي مفعولا ثانيا تقديره واسألوا الله الجنة أو كثيرا
من فضله وقوله ولكل جعلنا موالي الآية ولكل أحد قال ابن عباس وغيره الموالي هنا العصبة
والورثة ولكل أحد جعلنا موالي يرثون مما ترك الوالدان والأقربون وقوله تعالى والذين
رفع بالابتداء والخبر في قوله فآتوهم نصيبهم واختلف من المراد بالذين فقال الحسن وابن
عباس وابن جبير وغيرهم هم الأحلاف فإن العرب كانت تتوارث بالحلف ثم نسخ ذلك بآية الأنفال
وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض وقال ابن عباس أيضا هم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
آخى بينهم وكانوا يتوارثون بهذه الآية حتى نسخ ذلك بما تقدم وقال ابن المسيب هم الذين كانوا

ثم أحيى

والمعنى

يتبنون قال ع ولفظة المعاقدة والأيمان ترجح أن المراد الأحلاف وقوله الرجال قوامون على
النساء مبالغة وهو من القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه وحفظه فقيام الرجال على النساء
هل هو على هذا الحد وتعليل ذلك بالفضيلة والنفقة يقتضي أن للرجال عليهن استيلاء. قال ابن عباس
الرجال أمراء على النساء، قال ابن العربي في أحكامه وللرجال عليهن درجة لفضل القوامية فعليه أن يبذل
المهر والنفقة وحسن العشرة ويأمرها بطاعة الله تعالى وينهى إليها شعائر الإسلام من صلاة أو صيام
ما وجب على المسلمين وعليها الحفظ لماله والإحسان إلى أهله والالتزام لأمره في الحجبة وغيرها إلا
بإذنه وقبول قوله في الطاعات انتهى وما مصدرية في الموضعين والصالحات في قوله فالصالحات هو
الصلاح في الدين وقانتات معناه مطيعات لأزواجهن أو لله في أزواجهن وحافظات للغيب معناه لكل ما غاب
عن علم زوجها مما استرعيته وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير النساء
امرأة إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها
ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وقوله بما حفظ الله ما مصدرية تقديره
بحفظ الله ويصح أن تكون بمعنى الذي ويكون العائد في حفظ ضمير نصب أي بالذي حفظه
الله ويكون المعنى إما حفظ الله ورعايته التي لا يتم أمر دونها وإما أوامره ونواهيه
للنساء، فكأنها حفظه بمعنى أن النساء يحفظن بإزاء ذلك وبقدره وقوله تعالى واللاتي
تخافون نشوزهن النشوز أن تتعوج المرأة وترتفع خلقها وتستعلي على زوجها واهجروهن في
المضاجع قال ابن عباس يضاجعها ويوليها ظهره ولا يجامعها وقال مجاهد جنبوا مضاجعهن
وقال ابن جبير هي هجرة الكلام لا تكلموهن وأعرضوا عنهن فيقدر حذف تقديره واهجروهن
في سبب المضاجع حتى يراجعن م قوله في المضاجع ذكر أبو البقاء فيه وجهين الأول أن في على
بابها من الظرفية أي اهجروهن في المضاجع كما تقول في هذه الجناية عقوبة انتهى وكونها
للظرفية أظهر والله أعلم والضرب في هذه الآية هو ضرب الأدب غير المبرح وهو الذي لا يكسر عظما
ولا يشين جارحة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اضربوا النساء إذا عصينكم في معروف
ضربا غير مبرح قال عطاء قلت لابن عباس ما الضرب غير المبرح قال بالسواك ونحوه قال ابن العربي
في أحكامه قوله عز وجل واضربوهن ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أيها الناس
إن لكم على نسائكم حقا لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه وعليهن أن لا يأتين بفاحشة
مبينة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير
مبرح فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف وفي هذا دليل على أن الناشز لا نفقة
لها ولا كسوة وأن الفاحشة هي البذاء ليس الزنا كما قال العلماء، ففسر النبي صلى الله عليه وسلم
الضرب وبين أنه لا يكون مبرحا أي لا يظهر له أثر على البدن انتهى قال ع وهذه العظة
والهجر والضرب مراتب إن وقعت الطاعة عند أحدها لم يتعد إلى سائرها ولا تبغوا معناه
لا تطلبوا وسبيلا أي إلى الأذى وهو التعنيت والتعسف بقول أو فعل وهذا نهي عن ظلمهن
وحسن هنا الاتصاف بالعلو والكبر أي قدرته سبحانه فوق كل قدرة ويده بالقدرة فوق
كل يد فلا يستعلي أحد بالظلم على امرأته فالله بالمرصاد وينظر إلى هذا حديث أبي مسعود قال
كنت أضرب غلاما لي فسمعت قائلا يقول اعلم أبا مسعود اعلم أبا مسعود فصرفت وجهي

ويحجبها م

في موضع الأوضاع أي اتركوا مضاجعتهن دون ترك مكالمتهن
القاضي عياض يعني الأمر أبي محمد م م

فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اعلم ابا مسعود ان الله اقدر عليك منك على هذا العبد
الحديث و قوله تعالى وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا الاية اختلف من المامور بالبعثة فقيل الحكام وقيل المخاطب
الزوجان واليهما تقدير الحكمين وهذا مذهب مالك والاول لربيعة وغيره و لا يبعث الحكمان الا مع شدة
الخوف والشقاق ومذهب مالك وجمهور العلماء ان الحكمين ينظران في كل شيء ويحملان على الظالم ويمضيان
ما رأياه من بقاء او فراق وهو قول علي بن ابي طالب في المدونة وغيرها و قوله ان يريدا اصلاحا قال
مجاهد وغيره المراد الحكمان اي اذا نصحا وقصدا الخير بورك في وساطتهما وقالت فرقة المراد الزوجان
والاول اظهر وكذلك الضمير في بينهما يحتمل الامرين والاظهر انه للزوجين و الاتصاف بعليم خبير يناسب
ما ذكر من ارادة الاصلاح قوله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا العبادة
التذلل بالطاعة و احسانا مصدر والعامل فيه فعل تقديره واحسنوا بالوالدين احسانا و بذي القربى هو
القريب النسب من قبل الاب والام قال ابن عباس وغيره والجار ذي القربى القريب النسب والجار الجنب
هو الجار الاجنبي وقالت فرقة الجار ذي القربى هو الجار القريب المسكن والجار الجنب هو البعيد المسكن منك
والمجاورة مراتب بعضها الصق من بعض ادناها الزوجة قال ابن عباس وغيره الصاحب بالجنب هو الرفيق في
السفر وقال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن ابي ليلى وغيرهم هو الزوجة وقال ابن زيد هو الرجل
يعتريك ويلم بك لتنفعه و اسند الطبري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه رجل من اصحابه
وهما على راحلتين فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم غيضة فقطع قضيبين احدهما معوج وخرج
فاعطى صاحبه القويم وحبس هو المعوج فقال له الرجل كنت يا رسول الله احق بهذا فقال له فلان ان كل
صاحب يصحب اخر فانه مسؤول عن صحابته ولو ساعة من نهار قلت واسند الحافظ محمد بن طاهر المقدسي
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره
انتهى من صفوة التصوف و في الحديث الصحيح عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل
عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه اخرجه البخاري واخرجه ايضا من طريق عائشة رضي الله
عنها انتهى و ابن السبيل المسافر سمي ابنه للزومه له و ما ملكت ايمانكم هم العبيد الارقاء قال ابن العربي
في احكامه وقد امر الله سبحانه بالرفق بهم والاحسان اليهم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اخوانكم ملككم الله رقابهم فاطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون
فان كلفتموهم فاعينوهم انتهى و نفى سبحانه محبته عمن صفته الخيلاء والفخر وذلك ضرب من التوعد والمختال
الرجل يخول اذا تكبر واعجب بنفسه و خص سبحانه هاتين الصفتين هنا اذ مقتضاهما العجب
والزهو وذلك هو الحامل على الاخلال بالاصناف الذين تقدم امر الله بالاحسان اليهم و قوله تعالى الذين يبخلون
ويامرون الناس بالبخل الاية قالت فرقة الذين في موضع نصب بدل من من في قوله من كان مختالا
ومعناه على هذا يبخلون باموالهم ويامرون الناس يعني اخوانهم ومن هو مظنة طاعتهم بالبخل في الاموال
ان تنفق في شيء من وجوه الاحسان الى من ذكر و يكتمون ما اتاهم الله من فضله يعني من الرزق والمال
فالاية اذن في المؤمنين اي واما الكافرين فاعتدنا لهم عذابا مهينا و روي ان الاية نزلت في احبار
اليهود بالمدينة اذ كتموا امر النبي صلى الله عليه وسلم وبخلوا به والتوعد بالعذاب المهين لهم و اعتدنا
معناه يسرنا واحضرنا والعتيد الحاضر و المهين الذي يقترن به خزي وذل وهو انكى واشد على المعذب
و قوله تعالى والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس الاية الذين في موضع رفع على القطع والخبر محذوف

وتقديره

وتقديره معذبون والصحيح الذي عليه الجمهور ان هذه الاية في المنافقين و
القرين فعيل بمعنى فاعل من المقارنة وهي الملازمة والاصطحاب والانسان كله يقارنه الشيطان
لكن الموفق عاص له و قوله تعالى وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر الاية التقدير واي شيء
عليهم لو امنوا وفي الكلام تفجع ما عليهم واستدعاء جميل يقتضي حيطة واشفاقا و كان الله بهم عليما
اخبار يتضمن وعيدا وينبه على سوء تواطئهم اي لا ينفعهم كتم مع علم الله بهم قوله تعالى ان الله
لا يظلم مثقال ذرة الاية مثقال مفعال و الذرة الصغيرة الحمراء من النمل وروي عن ابن عباس
انه قال الذرة راس النملة وقرا ابن عباس مثقال نملة قال قتادة عن نفسه ورواه عن بعض العلماء
لان تفضل حسناتي على سيئاتي بمثقال ذرة احب الي من الدنيا جميعا و قوله سبحانه وان تك حسنة التقدير
وان تك زنة الذرة و في صحيح مسلم وغيره من حديث ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم وفيه فيمر المؤمنون كطرف العين
وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس
في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من احد منكم باشد مناشدة
لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصلون
معنا ويصومون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا
كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا
به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم
يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة
من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد الخدري يقول
ان لم تصدقوني في هذا الحديث فاقرؤوا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة
يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون
وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا
خيرا قط الحديث انتهى و لفظ البخاري فما انتم باشد لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمنين
يومئذ للجبار اذا راوا انهم قد نجوا في اخوانهم الحديث و قرا نافع وابن كثير حسنة بالرفع على تمام
كان التقدير وان توجد حسنة ويضاعفها جواب الشرط و قرا ابن كثير يضعفها وهو بناء تكثير يقتضي
اكثر من مرتين الى اقصى ما تريد من العدد قال بعض العلماء وليس هذه الاية خص الله بها المهاجرين
لان الله تعالى اعلم في كتابه ان الحسنة لكل مؤمن مضاعفة عشر مرات واعلم في هذه الاية انها مضاعفة بل
مرارا كثيرة حسبما روى ابو هريرة انها تضاعف الفي الف مرة وروى غيره الف الف مرة وفي بعضهم
وعد بذلك جميع المؤمنين قال ع والاية تعم المؤمنين والكافرين فاما المؤمنون فيجازون في الاخرة
على مثاقيل الذر فما زاد واما الكافرون فما يفعلونه من خير فانه تقع عليه النعم في الدنيا وياتون يوم القيامة
ولا حسنة لهم قلت وقد ذكرنا في هذا المختصر من احاديث الرجاء ولعياض في الشفا جملة صالحة لا توجد
مجتمعة في غيره على نحو ما هي فيه عسى الله ان ينفع به الناظر فيه ومن اعظم احاديث الرجاء ما ذكره عياض
في الشفا قال ومن حديث انس قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيامة لاكثر
مما في الارض من حجر وشجر انتهى وهذا الحديث اخرجه النسائي ولفظه اني لاشفع يوم القيامة لاكثر مما على

من شجر وحجر الحديث انتهى من الكوكب الدري ومن لدنه معناه من عنده والأجر العظيم
الجنة قاله ابن مسعود وغيره وإذا منّ الله سبحانه بتفضله على عبده بلغ الغاية اللهم منّ علينا
بخير الدارين بفضلك وقوله جلت قدرته فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك
على هؤلاء شهيدا الآية لما تقدم في التي قبلها الإعلام بتحقيق الأحكام يوم القيامة حسن بعد
ذلك التنبيه على الحالة التي يحضر ذلك فيها ويجاء فيها بالشهداء على الأمم ومعنى الآية أن الله
سبحانه وتعالى يأتي بالأنبياء شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب ومعنى الأمة في هذه
الآية جميع من بعث إليه من آمن منهم ومن كفر وكذلك قال المتأولون إن الإشارة
بهؤلاء إلى كفار قريش وغيرهم وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه
الآية فاضت عيناه وكذلك ذرفت عيناه عليه السلام حين قرأها عليه ابن مسعود حسب
ما هو مذكور في الحديث الصحيح وفي صحيح البخاري عن عقبة بن عامر صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم على قتلى أحد صلاته على الميت بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات
ثم طلع المنبر فقال إني بين يديكم فرط وأنا عليكم شهيد وإن موعدكم الحوض وإني لأنظر إليه
من مقامي هذا وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها
قال فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وقوله تعالى لو تسوى
بهم الأرض قالت فرقة معناه تنشق فيحصلون فيها ثم تستوي هي في نفسها عليهم وبهم
وقالت فرقة معناه لو تستوي هي معهم في أن يكونوا ترابا كالبهائم وقوله تعالى ولا يكتمون
الله حديثا معناه عند طائفة أن الكفار لما يرونه من الهول وشدة المخاوف يودون
لو تسوى بهم الأرض فلا ينالهم الخوف ثم استأنف الكلام فأخبر أنهم لا يكتمون الله حديثا
لنطق جوارحهم بذلك كله حين يقول بعضهم والله ربنا ما كنا مشركين فيقول الله سبحانه
كذبتم ثم تنطق جوارحهم فلا تكتم حديثا وهذا قول ابن عباس وقالت طائفة الكلام
كله متصل وودهم أن لا يكتمون الله حديثا إنما هو ندم على كذبهم حين قالوا والله
ربنا ما كنا مشركين والرسول في هذه الآية للجنس شرف بالذكر وهو مفرد يدل على
الجمع قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
الآية نزلت قبل تحريم الخمر وجمهور المفسرين على أن المراد سكر الخمر إلا الضحاك فإنه قال
سكر النوم وهذا قول ضعيف والمراد بالصلاة هنا الصلاة المعروفة وقالت طائفة
الصلاة هنا المراد بها موضع الصلاة والصلاة قال ابن العربي في أحكامه وروي
في سبب نزول هذه الآية عن علي رضي الله عنه أنه قال صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما
فدعانا وسقانا من الخمر يعني وذلك قبل تحريمها قال فأخذت الخمر منا وحضرت الصلاة
فقدموني فقرأت قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال
فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
الآية خرجه الترمذي وصححه انتهى وقوله ولا جنبا إلا عابري سبيل قال علي بن أبي طالب
رضي الله عنه وغيره عابر السبيل المسافر وقال ابن مسعود وغيره عابر السبيل هنا الخاطر
في المسجد وعابر السبيل هو من العبور أي الخطور والجواز والمريض المذكور في الآية هو الحضري

والغائط ما انخفض من الأرض ثم كثر استعماله في قضاء الحاجة واللمس في اللغة لفظ يقع
للمس الذي هو الجماع وللمس الذي هو جس اليد والقبلة ونحوه واختلف في موقعها هنا
فمالك رحمه الله يقول اللفظة هنا تقتضي الوجهين فالملامس بالجماع يتيمم والملامس باليد
يتيمم ومعنى قوله فتيمموا اقصدوا والصعيد في اللغة وجه الأرض قاله الخليل وغيره و
اختلف الفقهاء فيه من أجل تقييد الآية إياه بالطيب فقالت طائفة يتيمم بوجه الأرض
ترابا كان أو رملا أو حجارة أو معدنا أو سبخة وجعلت الطيب بمعنى الطاهر وهذا هو مذهب
مالك وقالت طائفة منهم الطيب بمعنى المنبت كما قال جل ذكره والبلد الطيب يخرج نباته
بإذن ربه فالصعيد عندهم هو التراب وهذه الطائفة لا تجيز التيمم بغيره وكان الإجماع
أن يتيمم في تراب منبت طاهر غير منقول ولا مغصوب وترتيب القرآن الوجه قبل اليدين وبه
قال الجمهور وفي المدونة أن التيمم ضربتان وجمهور العلماء أنه ينتهي في مسح اليدين إلى المرافق قوله
سبحانه ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة الآية ألم تر بمعنى رؤية القلب
وهي علم بالشيء والمراد بالذين اليهود قاله قتادة وغيره ثم اللفظ يتناول معهم النصارى وقال
ابن عباس نزلت في رفاعة بن زيد بن التابوت اليهودي والكتاب التوراة والإنجيل ويشترون
عبارة عن إيثارهم الكفر وتركهم الإيمان وقالت فرقة أراد الذين كانوا يعطون أموالهم للأحبار
على إقامة شرعهم فهو شراء حقيقة ويريدون أن تضلوا السبيل معناه أن تكفروا وقوله سبحانه
والله أعلم بأعدائكم خبر في ضمنه التحذير منهم وكفى بالله وليا أي اكتفوا بالله وليا وقوله سبحانه
من الذين هادوا قال بعض المتأولين من راجعة على الأولى وقالت فرقة من متعلقة
بنصيرا والمعنى ينصركم من الذين هادوا فعلى هذين التأويلين لا يوقف في قوله نصيرا وقالت فرقة
هي ابتداء كلام وفيه إضمار تقديره قوم يحرفون وهذا مذهب أبي علي وعلى هذا التأويل يوقف
في نصيرا وقول سيبويه أصوب لأن إضمار الموصول ثقيل وإضمار الموصوف أسهل وتحريفهم
للكلام على وجهين إما بتغيير اللفظ وقد فعلوا ذلك في الأقل وإما بتغيير التأويل وقد فعلوا
ذلك في الأكثر وإليه ذهب الطبري وهذا كله في التوراة على قول الجمهور وقالت طائفة هو كلم
القرآن وقال مكي هو كلام النبي صلى الله عليه وسلم فالتحريف على هذا في التأويل وقوله تعالى ويقولون
سمعنا وعصينا عبارة عن عتوهم في كفرهم وطغيانهم فيه وغير مسمع يتخرج فيه معنيان
أحدهما غير مأمور وغير صاغر كأنهم قالوا غير أن تسمع غير مأمور بذلك والآخر على جهة
الدعاء أي لا سمعت كما تقول امض غير مصيب ونحو ذلك فكانت اليهود إذا خاطبت النبي
صلى الله عليه وسلم بغير مسمع أرادت في الباطن الدعاء عليه وأرادت ظاهرا أنها تريد
تعظيمه قال ابن عباس وغيره نحوه وكذلك كانوا يريدون منه في نفوسهم معنى الرعونة وحكى
مكي معنى رعاية الماشية ويظهرون منه معنى المراعاة فهذا معنى لي اللسان وقال الحسن
ومجاهد غير مسمع أي غير مقبول منك وليا أصله لويا وطعنا في الدين أي توهينا له
وإظهارا للاستخفاف به قال ع وهذا اللي باللسان إلى خلاف ما في القلب موجود
حتى الآن في بني إسرائيل ويحفظ منه في عصرنا أمثلة إلا أنه لا يليق ذكرها بهذا
الكتاب وقوله تعالى ولو أنهم الآية المعنى ولو أنهم آمنوا وسمعوا وأطاعوا وأقوم معناه

اعدل واصوب وقليلا نعت اما لايمان واما لشر او قوم والمعنى مختلف وقوله تعالى
يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم الاية هذا خطاب لليهود والنصارى
ولما معكم معناه من شرع وملة لا لما معهم من مبدل او مغير والطامس الدائر المغير الاعلام قالت
فرقة طمس الوجوه هنا هو ان تعفى الحواجب منها وتزول الخلقة وقال ابن عباس وغيره طمس الوجوه ان
تزال العينان خاصة منها وترد العينان في القفا فيكون ذلك ردا على الادبار يمشي القهقرى وقال
مالك رحمه الله تعالى كان اول اسلام كعب الاحبار انه مر برجل من الليل وهو يقرأ هذه الاية
يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا الاية فوضع كفيه على وجهه ورجع القهقرى الى بيته
فاسلم مكانه وقال والله لقد خفت ان لا ابلغ بيتي حتى يطمس وجهي واصحاب السبت هم الذين
اعتدوا في السبت في الصيد حسبما تقدم قال قتادة وغيره وامر الله في هذه الاية واحد الامور
دال على جنسها لا واحد الاوامر فهي عبارة عن المخلوقات كالعذاب واللعنة هنا او ما اقتضاه
كل موضع مما يختص به قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
الاية هذه الاية هي الحاكمة ببيان ما تعارض من ايات الوعد والوعيد وتلخيص الكلام فيها ان
يقال الناس اربعة اصناف كافر مات على كفره فهذا مخلد في النار باجماع ومؤمن محسن لم يذنب قط
ومات على ذلك فهو في الجنة محتوم عليه حسب الخبر من الله تعالى باجماع وتائب مات على توبته فهو
عند اهل السنة وجمهور فقهاء الامة لاحق بالمؤمن المحسن الا ان قانون المتكلمين انه في المشيئة
ومذنب مات قبل توبته فهذا هو موضع الخلاف فقالت المرجئة هو في الجنة بايمانه ولا تضره
سيئاته وجعلوا ايات الوعيد كلها في الكفار وايات الوعد عامة في المؤمنين تقيهم وعاصيهم
وقالت المعتزلة اذا كان صاحب كبيرة فهو في النار ولا بد وقالت الخوارج اذا كان صاحب
كبيرة او صغيرة فهو في النار مخلد ولا ايمان له لانهم يرون كل الذنوب كبائر وجعلوا ايات
الوعد كلها في المؤمن الذي لم يعص قط والمؤمن التائب وقال اهل السنة فهو في المشيئة
وهذه الاية هي الحاكمة وهي نص في موضع النزاع وذلك ان قوله تعالى ان الله لا يغفر ان
يشرك به فصل مجمع عليه وقوله ويغفر ما دون ذلك فصل قاطع للمعتزلة راد على قولهم ردا
لا محيد لهم عنه ولو وقفنا في هذا الموضع لصح قول المرجئة فجاء قوله لمن يشاء رادا عليهم
مبينا ان غفران ما دون الشرك انما هو لقوم دون قوم بخلاف ما زعموه من انه
مغفور لكل مؤمن ولما حتم سبحانه على انه لا يغفر الشرك ذكر قبح موقعه وقدره في الذنوب
والفرية اشد مراتب الكذب قبحا وهو الاختلاق قوله تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل
الله يزكي من يشاء الاية لا خلاف بين المتأولين ان المراد بالاية اليهود وانما اختلفوا في المعنى
الذي زكوا انفسهم به فقال الحسن وقتادة ذلك قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم لن يدخل
الجنة الا من كان هودا اي الى غير ذلك من غرورهم قال ع فتقتضي هذه الاية الغض من
المزكي لنفسه بلسانه والاعلام بان الزاكي المزكى من حسنت افعاله وزكاه الله عز وجل قال
ابن عباس وغيره الفتيل الخيط الذي في شق نواة التمرة وذلك راجع الى الكناية عن تحقير الشيء
وتصغيره وان الله لا يظلمه ولا شيء دونه في الصغر فكيف بما فوقه وقوله تعالى انظر كيف
يفترون على الله الكذب لانه تبين ان تزكيتهم انفسهم كانت بالباطل والكذب ويقوى الى التزكية

الى التزكية كانت بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه ان الافتراء اعظم في هذه المقالة وكيف يصح ان
تكون في موضع رفع بالابتداء والخبر في قوله يفترون وكفى به اثما مبينا خبر ضمنه تعجب
وتعجيب من امرهم قال ص وكفى به عائد على الافتراء وقيل على الكذب انتهى وقوله تعالى الم تر الى
الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الاية لجمع المتأولين ان
المراد بها طائفة من اليهود والقصص مبين ذلك ومجموع ما ذكره المفسرون في تفسير الجبت
والطاغوت يقتضي انه كل ما عبد واطيع من دون الله وقوله تعالى ويقولون للذين كفروا
الاية سببها ان قريشا قالت لكعب بن الاشرف حين ورد مكة انت سيدنا وسيد قومك
انا قوم ننحر الكوماء ونقري الضيف ونصل الرحم ونسقي الحجيج ونعبد الهتنا التي وجدنا
عليها اباءنا وهذا محمد قد قطع الرحم فمن اهدى نحن ام هو فقال كعب انتم اهدى منه واقوم دينا
فنزلت هذه الاية قاله ابن عباس فالضمير في يقولون عائد على كعب وعلى الجماعة التي معه من اليهود
والمحرضين على قتال النبي صلى الله عليه وسلم والذين كفروا في هذه الاية هم كفار قريش وللا
بها اليهم والذين امنوا هم النبي صلى الله عليه وسلم وامته وقالت فرقة بل المراد حيي
ابن اخطب واتباعه وهم المقصود من اول الاية قال ص اللام في للذين للتبليغ متعلقة بيقولون
انتهى وقوله تعالى ام لهم نصيب من الملك الاية عرفها ام ان تعطف بعد استفهام متقدم
كقولك اقام زيد ام عمرو فاذا وردت ولم يتقدمها استفهام كما هنا فمذهب سيبويه انها متضمنة
معنى الاضراب عن الكلام الاول والقطع منه وهي متضمنة مع ذلك معنى الاستفهام فهي بمعنى بل
مع همزة استفهام كقول العرب انها لابل ام شاء التقدير عند سيبويه انها لابل بل اهي شاء وكذلك
هذا الموضع بل الهم نصيب من الملك فاذا عرفت هذا فالمعنى على الارجح الذي هو مذهب سيبويه
والحذاق ان هذا استفهام على معنى الانكار اي الهم ملك فاذا لو كان لبخلوا به والنقير هي
النكتة التي في ظهر النواة من التمر هذا قول الجمهور وهذا كناية عن الغاية في الحقارة والقلة
وتكتب اذا بالنون وبالالف فالنون هو الاصل ككن ومن وجاز كتبها بالالف لصحة الوقوف
عليها فاشبهت نون التنوين ولا يصح الوقوف على عن ومن وقوله تعالى ام يحسدون الناس
على ما اتاهم الله من فضله الاية ام هذه على بابها من كعطف بعد الاستفهام وقال ص ام
يحسدون ام ايضا منقطعة تتقدر ببل والهمزة انتهى قلت والظاهر ما قاله ع واختلف
في المراد بالناس هنا فقال ابن عباس وغيره هو النبي صلى الله عليه وسلم والفضل النبوة فقط
والمعنى فلم يخصونه بالحسد ولا يحسدون ال ابراهيم في جميع ما اتيناهم من هذا وغيره
من الملك وقال قتادة الناس هنا العرب حسدتها بنو اسرائيل في ان كان النبي صلى الله
عليه وسلم منها والفضل على هذا التاويل هو محمد صلى الله عليه وسلم قال ابو عمر بن عبد البر وقد
ذم الله قوما على حسدهم فقال ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله ثم
حدث بسنده عن عمرو بن ميمون قال لما رفع الله موسى نجيا راى رجلا متعلقا بالعرش فقال
يا رب من هذا فقال هذا عبد من عبادي صالح ان شئت اخبرتك بعمله قال يا رب اخبرني قال كان
لا يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله ثم حدث ابو عمر بسنده عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاث لا يسلم منهن احد الطيرة والظن والحسد قيل فما المخرج منهن يا رسول الله

في لا اذا تطيرت فلا ترجع واذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا تبغ انتهى من التمهيد وقوله تعالى
فمنهم من آمن به اختلف في الضمير من به فقال الجمهور هو عائد على القرآن الذي في قوله تعالى
آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فاعلم الله سبحانه ان منهم من
آمن كما آمن فلذلك ارتفع الوعيد بالطمس ولم يقع وصدّ قوم ثبت الوعيد عليهم الوعيد في
الآخرة بقوله سبحانه وكفى بجهنم سعيرا وقيل هو عائد على ابراهيم عليه السلام وقيل هو عائد
على الفضل الذي آتاه الله النبي عليه السلام والعرب على ما تقدم وقوله تعالى ان الذين كفروا
بآياتنا سوف نصليهم نارا الآية لما تقدم في الآية وصف المردة من بني اسرائيل وذكر افعالهم
وذنوبهم جاءت هذه الآية بالوعيد النص لهم بلفظ جلي عام لهم ولغيرهم ممن فعل فعلهم من
الكفرة واختلف في معنى تبديل الجلود فقالت فرقة تبدل عليهم جلود اغيار اذ نفوسهم هي المعذبة
والجلود لا تألم في ذاتها وقالت فرقة تبديل الجلود هو اعادة ذلك الجلد بعينه الذي كان
في الدنيا وانما سماه تبديلا لان اوصافه تتغير قال الحسن بن ابي الحسن تبدل عليهم في اليوم سبعين
الف مرة عافانا الله من عذابه برحمته ولما ذكر سبحانه وعيد الكفار عقب بوعد المؤمنين
بالجنة على الايمان والاعمال الصالحة وظليلا معناه عند بعضهم يقي الحر والبرد ويصح ان يريد
ظل لا يستحيل ولا يتنقل ويصح ان يصفه بظليل لامتداده فقد قال صلى الله عليه وسلم
ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر في ظلها مائة سنة ما يقطعها ورأيت لبعضهم ما نصه
وذكر الطبري في كتابه قال لما خلق الله عز وجل الجنة قال لها امتدي قالت يا رب كم والى كم
فقال لها امتدي مائة الف سنة فامتدت ثم قال لها امتدي فقالت يا رب كم والى كم
فقال لها امتدي مائة الف سنة فامتدت فهي تمتد ابد الآبدين فليس للجنة طرف كما انه ليس لرحمة
الله طرف انتهى وهذا لا يعلم الا من جهة السمع وهو مما علمها الطبري وهو امام حافظ محدث
ثقة قاله الخطيب احمد بن علي بن ثابت قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها قال ابن جريج وغيره الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في امر مفتاح الكعبة
حين اخذه من عثمان بن طلحة ومن ابن عمه شيبة وطلبه العباس بن عبد المطلب ليضيف السدانة
الى السقاية فدخل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة وكسر ما كان فيها من الاوثان واخرج
مقام ابراهيم ونزل عليه جبريل بهذه الآية قال عمر بن الخطاب وخرج النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يقرأ هذه الآية وما كنت سمعتها قبل منه فدعا عثمان وشيبة فقال لهما خذاها خالدة
تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم ثم الآية بعد تتناول الولاة فيما لديهم من الامانات في قسمة
الاموال ورد الظلامات وعدل الحكومات وتتناول من دونهم من الناس في حفظ
الودائع والتحرز في الشهادات وغير ذلك كالرجل يحكم في نازلة ما ونحوه والصلاة والزكاة
والصيام وسائر العبادات امانات لله تعالى قال ابن العربي في احكامه هذه الآية في اداء
الامانة والحكم بين الناس عامة في الولاة والخلق لان كل مسلم حاكم قال النبي صلى الله عليه
وسلم المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين وهم الذين
يعدلون في انفسهم واهليهم وما ولوا وقال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم
مسؤول عن رعيته فهذه الاخبار الصحيحة تدل على ما قلناه انتهى ونعما اصله نعم ما

انطلع

ووال

فالرجل راع في اهل بيته وهو مسؤول عنهم والعبد راع في مال سيده وهو مسؤول عنه وكلكم راع مسؤول عن رعيته

سكنت

سكنت الميم الاولى وادغمت في الثانية وحركت العين لالتقاء الساكنين وخصت
بالكسر اتباعا للنون وما المردفة على نعم انما هي مهيئة لاتصال الفعل بها ومع انها
موطئة فهي بمعنى الذي وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
الآية لما تقدم الى الولاة في الآية المتقدمة تقدم في هذه الآية الى الرعية فامر بطاعته عز
وجل وهي امتثال اوامره ونواهيه وطاعة الامراء اهل القرآن على قول الجمهور وهو
قول ابن عباس وغيره فالامر على هذا التأويل ضد النهي ومنه لفظة الامر وقال جابر
وجماعة اولو الامر اهل القرآن والعلم قال عطاء طاعة الرسول هي اتباع سنته يعني
بعد موته ولفظ ابن العربي في احكامه قال قوله تعالى واولي الامر منكم فيها قولان
الاول قال ميمون هم اصحاب السرايا وروي في ذلك حديثا وهو اختيار البخاري وروي
عن ابن عباس انها نزلت في عبد الله بن حذافة اذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية
الثاني هم العلماء وبه قال اكثر التابعين واختاره مالك والطبري والصحيح عندي
انهم الامراء والعلماء اما الامراء فلان الامر منهم والحكم اليهم واما العلماء فلان سؤالهم متعين
على الخلق وجوابهم لازم وامتثال فتواهم واجب ويدخل فيه الزوج على
الزوجة لانه حاكم عليها انتهى وقوله تعالى فان تنازعتم في شيء الآية معنى التنازع ان كل
واحد ينتزع حجة الآخر ويذهبها والرد الى الله هو النظر في كتابه العزيز والرد الى الرسول
هو سؤاله صلى الله عليه وسلم في حياته والنظر في سنته بعد وفاته هذا قول مجاهد
وغيره وهو الصحيح وفي قوله سبحانه ان كنتم تؤمنون بالله الآية بعض وعيد وتأويلا
معناه مآلا في قول جماعة وقال قتادة وغيره المعنى احسن عاقبة وقالت فرقة المعنى ان
الله ورسوله احسن نظرا وتأويلا منكم اذا انفردتم بتأولكم قوله تعالى الم تر الى الذين يزعمون
انهم آمنوا بما انزل اليك الآية تقول العرب زعم فلان كذا في الامر الذي يضعف فيه التحقيق
وغايته درجة الزعم اذا قوي ان يكون مظنونا واذا قال سيبويه زعم الخليل فانما يستعملها
فيما انفرد الخليل به وكان اقوى درجته زعم ان يبقى معها عهدة الخبر على المخبر قال عامر الشعبي
نزلت الآية في منافق اسمه بشر خاصم رجلا من اليهود فدعاه اليهودي الى المسلمين لعلمه انهم
لا يرتشون وكان المنافق يدعو اليهودي الى اليهود لعلمه انهم يرتشون فاتفقا بعد ذلك على ان
اتيا كاهنا بالمدينة فرضياه فنزلت الآية فيهما وفي صنفهما فالذين يزعمون انهم آمنوا بما
انزل على محمد صلى الله عليه وسلم هم المنافقون والذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل من
قبله هم اليهود وكل قد امر في كتابه بالكفر بالطاغوت والطاغوت هنا الكاهن المذكور فهذا
تأنيب للصنفين وقال ابن عباس الطاغوت هنا كعب بن الاشرف وهو الذي تراضيا به
وقيل غير هذا وقوله رأيت هي في رؤية عين لمن صد من المنافقين مجاهرة وتصريحا
وهي رؤية قلب لمن صد منهم مكرا وتخابثا ومسارقة حتى لا يعلم ذلك منه الا بالقرائن
الصادرة عنه وقوله تعالى فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم قالت فرقة
هي في المنافقين الذين احتكموا حسبما تقدم فالمعنى فكيف بهم اذا عاقبهم الله بهذه الذنوب
بنقمة منه ثم حلفوا ان اردنا بالاحتكام الى الطاغوت الا توفيق الحكم وتقريبه وقوله تعالى

اوليك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم تكذيب لهم وتوعد اى فهو سبحانه مجازيهم فاعرض
عنهم وعظهم بالتخويف من عذاب الله وغيره من المواعظ وقوله سبحانه وقل لهم فى انفسهم
قولا بليغا منهم الزجر عن العود الى ما فعلوا انتهى واختلف فى القول البليغ فقيل هو الزجر والردع
والكف بالبلاغة من القول وقيل هو التوعد بالقتل ان استداموا حالة النفاق قاله الحسن
وهذا ابلغ ما يكون فى نفوسهم والبلاغة ماخوذة من بلوغ المراد بالقول وما ارسلنا
من رسول الا ليطاع تنبيه على جلالة الرسل اى فانت يا محمد منهم تجب طاعتك وتتعين اجابة
الدعوة اليك وباذن الله معناه بامر الله وظلموا انفسهم اى بالمعصية والنفاق وعن
العتبى قال كنت جالسا عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابى فقال السلام عليك يا رسول
الله سمعت الله تعالى يقول ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم
الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئتك مستغفرا من ذنوبى مستشفعا بك الى ربى ثم انشا
يقول

يا خير من دفنت بالقاع اعظمه … فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسى الفداء لقبر انت ساكنه … فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال ثم انصرف فحملتنى عيناى فرايت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال لى
الحق الاعرابى فبشره ان الله تعالى قد غفر له انتهى من حلية النووى وسنن الصالحين
للباجى وفيه مستغفرا من ذنوبى مستشفعا بك الى ربى وقوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية قال الطبرى قوله فلا رد على ما تقدم تقديره فليس الامر
كما يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك ثم استانف القسم وقال غيره انما قدم لا على القسم
اهتماما بالنفى واظهارا لقوته قال ابن عطاء الله فى التنوير وفى قوله سبحانه فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم دلالة على ان الايمان الحقيقى لا يحصل الا لمن حكم
الله ورسوله على نفسه قولا وفعلا واخذا وتركا وحبا وبغضا فتبين لك من هذا
انه لا يحصل لك حقيقة الايمان بالله الا بامرين الامتثال لامره والاستسلام لقهره
سبحانه انتهى وشجر معناه اختلط والتف من امورهم وهو من الشجر شبه
بالتفاف الاغصان والحرج الضيق والتكلف والمشقة قال مجاهد حرجا شكا وقوله
تسليما مصدر مؤكد منبئ عن التحقيق فى التسليم لان العرب انما تردف الفعل بالمصدر
اذا ارادت ان الفعل وقع حقيقة كما قال تعالى وكلم الله موسى تكليما قال مجاهد وغيره
المراد بهذه الاية من تقدم ذكره ممن اراد التحاكم الى الطاغوت وفيهم نزلت ورجح الطبرى
هذا لانه اشبه بنسق الاية وقالت طائفة انها نزلت فى رجل خاصم الزبير بن العوام فى
السقى بماء الحرة كما هو مذكور فى البخارى وغيره وان الزبير قال فما احسب هذه الاية
نزلت الا فى ذلك وكتبنا معناه فرضنا ان اقتلوا انفسكم معناه يقتل بعضكم بعضا
وقد تقدم نظيره فى البقرة وسبب الاية على ما حكى ان اليهود قالوا لما لم يرض المنافق
بحكم النبى صلى الله عليه وسلم ما راينا اسخف من هؤلاء يؤمنون بمحمد ثم لا يرضون
بحكمه ونحن قد امرنا بقتل انفسنا ففعلنا وبلغ القتل فينا سبعين الفا فقال ثابت
ابن قيس لو كتب ذلك علينا لفعلنا فنزلت الاية معلمة حال اوليك المنافقين وانه

انفسهم قال ع اى قل لهم خاليا بهم لان النصح اذا كان فى السر كان انجح او قل لهم فى حال انفسهم المنطوية على ...

لوكتب

لوكتب ذلك على الامة لم يفعلوه وما كان يفعله الا قليل مؤمنون محققون كثابت بن قيس
وفى العتبية عن مالك عن ابى بكر رضى الله عنه نحو مقالة ثابت قال ابن رشد ولا شك ان ابا بكر
من القليل الذى استثنا الله تعالى فى الاية فلا احد احق بهذه الصفة منه انتهى قال ص
الا قليل الجمهور بالرفع على البدل من واو فعلوه عند البصريين انتهى ولو انهم فعلوا ما يوعظون
به اى لو ان هؤلاء المنافقين اتعظوا وانابوا لكان خيرا لهم وتثبيتا معناه يقينا وتصديقا
ونحو هذا اى يثبتهم الله ثم ذكر تعالى ما كان يمن به عليهم من تفضله بالاجر ووصفه اياه
بالعظم مقتض ما لا يحصيه بشر من النعيم المقيم والصراط المستقيم الايمان المؤدى الى
الجنة والمقصود تعديد ما كان ينعم به عليهم سبحانه وقوله جلت عظمته ومن يطع الله والرسول
فاوليك مع الذين انعم الله عليهم الاية لما ذكر الله سبحانه الامر الذى لو فعلوه لانعم الله
عليهم ذكر بعد ذلك ثواب من يفعله وهذه الاية تفسير قوله اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم وقالت طائفة انما نزلت هذه الاية لما قال عبد الله بن زيد الانصارى
الذى ارى الاذان يا رسول الله اذا مت ومتنا كنت فى عليين فلا نراك ولا نجتمع بك وذكر
حزنه على ذلك فنزلت هذه الاية قال ع ومعنى انهم معهم فى دار واحدة ومتنعم واحد وكل
من فيها قد رزق الرضا بحاله وذهب عنه ان يعتقد انه مفضول فان كنا نحن قد علمنا من
الشريعة ان اهل الجنة تختلف مراتبهم على قدر اعمالهم وعلى قدر فضل الله على من يشاء
والصديق فعيل من الصدق وقيل من الصدقة وروى عن النبى عليه السلام الصديقون
المتصدقون ولفظ الشهداء فى هذه الاية يعم انواع الشهداء قال ص وحسن اوليك رفيقا
فيه معنى التعجب كانه قال وما احسن اوليك رفيقا وقد قدمنا فى كلام ابن الحاجب ما يدل
على ان التعجب لازم لفعل المستعمل للمدح والذم على كل حال سواء استعملت استعمال نعم او لا انتهى
وقوله تعالى ذلك الفضل من الله الاشارة بذلك الى كون المطيعين من المنعم عليهم قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم الاية هذا خطاب للمخلصين من امة نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم وامر لهم بجهاد الكفار والخروج فى سبيل الله وحماية الاسلام وخذوا حذركم اى احزموا
واستعدوا بانواع الاستعداد فانفروا معناه اخرجوا ثبات معناه جماعات متفرقات
وهى السرايا والثبة حكى انها فوق العشرة وجميعا معناه الجيش الكثير مع النبى صلى الله عليه
وسلم هكذا قال ابن عباس وغيره وقوله تعالى وان منكم ايجاب والخطاب لجماعة المؤمنين
والمراد بمن المنافقين وعبر عنهم بمنكم اذ هم فى الظاهر فى عداد المؤمنين واللام الداخلة
على من لام التوكيد والداخلة على يبطئن لام قسم عند الجمهور وتقديره وان منكم لمن والله
ليبطئن ويبطئن معناه يبطئ غيره اى يثبطه ويحمله على التخلف عن مغازى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومصيبة يعنى من قتال واستشهاد وانما هى مصيبة بحسب اعتقاد المنافقين
ونظرهم الفاسد وانما الشهادة فى الحقيقة نعمة من الله سبحانه لحسن مالها شهيدا معناه
شاهدا وقوله تعالى ولئن اصابكم فضل من الله اى ظفر وغنيمة ندم المنافق وقال يا ليتنى
كنت معهم فافوز فوزا عظيما متمنيا شيئا قد كان عاهدا ان يفعله ثم غدر فى عهده ع فقوله تعالى
كان لم يكن بينكم وبينه مودة التفاتة بليغة واعتراض بين القائل والمقول بلفظ يظهر زيادة

في قبح فعلهم وقال الزجاج قوله كأن لم يكن بينكم وبينه مودة مؤخر وإنما موضعه
فإن أصابتكم مصيبة قال ع وهذا ضعيف لأنه يفسد فصاحة الكلام قال ص وقوله
فأفوز بالنصب هو جواب التمني انتهى وقوله تعالى فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة
الدنيا بالآخرة الآية هذا أمر من الله سبحانه للمؤمنين بالجهاد ويشرون هنا معناه يبيعون
ثم وصف سبحانه ثواب المقاتلين والأجر العظيم الجنة وقوله تعالى وما لكم لا تقاتلون في
سبيل الله الآية ما استفهام والمستضعفين عطف على اسم الله عز وجل أي وفي سبيل المستضعفين
لاستنقاذهم ويعني بالمستضعفين من كان بمكة تحت إذلال كفرة قريش وفيهم
كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين والولدان عبارة عن
الصبيان والقرية هنا مكة بإجماع والآية تتناول المؤمنين والأسرى في حواضر الشرك
إلى يوم القيامة قال ابن العربي في أحكامه قال علماؤنا أوجب الله تعالى في هذه الآية القتال
لاستنقاذ الأسرى من يد العدو وقد روى الأئمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أطعموا
الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني يعني الأسير قال مالك رحمه الله على الناس أن يفكوا الأسرى
بجميع أموالهم وكذلك قالوا عليهم أن يواسوهم انتهى وقوله تعالى الذين آمنوا يقاتلون
في سبيل الله الآية هذه الآية تقتضي تقوية قلوب المؤمنين وتحريضهم وقرينة ذكر
الشيطان بعد تدل على أن المراد بالطاغوت هنا الشيطان وإعلامه تعالى بضعف كيد
الشيطان فيه تقوية الإيمان يكسره ويهته وقوله تعالى ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم
وأقيموا الصلاة اختلف المتأولون في من المراد بقوله الذين قيل لهم كفوا أيديكم
فقال ابن عباس وغيره كانت جماعة من المؤمنين قد أنفوا من الذل بمكة قبل الهجرة وسألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيح لهم مقاتلة المشركين فأمرهم عن الله تعالى بكف
الأيدي فلما كتب عليهم القتال بالمدينة شق ذلك على بعضهم ولحقهم ما يلحق البشر من الخور
والكع عن مقارعة العدو فنزلت الآية فيهم وقال ابن عباس أيضا ومجاهد إنما الآية
حكاية عن حال اليهود أنهم فعلوا ذلك مع نبيهم في وقته فمعنى الآية الحكاية عنهم وتقبيح
فعلهم ونهي المؤمنين عن فعل مثله وقيل المراد المنافقون وقد تقدم شرح ما في سورة البقرة
في قوله أو أشد قسوة لأن الموضعين سواء وقولهم لم كتبت علينا القتال رد في صدر
أوامر الله سبحانه وقلة استسلام له والأجل القريب يعنون به موتهم على فرشهم هكذا
قال المفسرون قال ع وهذا يحسن إذا كانت الآية في اليهود أو في المنافقين وأما إذا كانت
في طائفة من الصحابة فإنما طلبوا التأخير إلى وقت ظهور الإسلام وكثرة عددهم ويحسن
القول بأنها في المنافقين اطراد ذكرهم فيما يأتي بعد من الآيات وقوله سبحانه قل متاع الدنيا
قليل الآية المعنى قل يا محمد لهؤلاء متاع الدنيا قليل أي الاستمتاع بالحياة فيها الذي حرصتم عليه
قليل وباقي الآية بين وهو إخبار منه سبحانه يتضمن تحقير الدنيا ت ولما علم الله في الدنيا
من الآفات حماها أولياءه ففي الترمذي عن قتادة بن النعمان عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال إذا أحب الله عبدا حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء قال أبو عيسى وفي الباب
عن صهيب وأم المنذر وهذا حسن وفي الترمذي عن ابن مسعود قال نام النبي صلى الله عليه

لقلوب المؤمنين وتحريضهم على مقاتلة عدو كيده ضعيف فإن العزم والحزم لذي يكون على حقائق م

وسلم

وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك فراشا فقال
ما لي وما للدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها وفي الباب
عن ابن عمر وابن عباس قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى وقوله سبحانه في بروج
مشيدة الأكثر والأصح الذي عليه الجمهور أنه أراد بالبروج الحصون التي في الأرض
المبنية لأنها غاية البشر في التحصن والمنعة فمثل الله لهم بها قال قتادة المعنى في قصور
محصنة وقاله ابن جريج والجمهور وبرج معناه ظهر ومنه تبرج المرأة ومشيدة قال
الزجاج وغيره معناه مرفوعة مطولة ومنه أشاد الرجل ذكر الرجل إذا رفعه وقالت
طائفة مشيدة محصنة بالشيد وهو الجص وروى النسائي عن أبي هريرة أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال أكثروا ذكر هادم اللذات يعني الموت وخرجه ابن ماجه والترمذي
وخرجه أبو نعيم الحافظ بإسناده من حديث مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب
عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وروى ابن ماجه بسنده عن
ابن عمر أنه قال كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من الأنصار
فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي المؤمنين أفضل قال أحسنهم
خلقا قال فأي المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم لما بعده استعدادا أولئك
الأكياس وأخرجه مالك أيضا انتهى من التذكرة وقوله تعالى وإن تصبهم حسنة الآية
الضمير في تصبهم عائد على الذين قيل لهم كفوا أيديكم وهذا يدل على أنهم المنافقون لأن
المؤمنين لا تليق بهم هذه المقالة ولأن اليهود لم يكونوا للنبي صلى الله عليه وسلم
تحت أمر فتصيبهم بسببه أسواء والمعنى إن تصب هؤلاء المنافقين حسنة من غنيمة
أو غير ذلك رأوا ذلك بالاتفاق من صنع الله لا ببركة اتباعك والإيمان بك وإن تصبهم
سيئة أي هزيمة أو شدة جوع أو غير ذلك قالوا هذا بسببك وقوله تعالى قل كل من عند الله
إعلام من الله سبحانه أن الخير والشر والحسنة والسيئة خلق له ومن عنده لا رب
غيره ولا خالق ولا مخترع سواه والمعنى قل يا محمد لهؤلاء ثم وبخهم سبحانه بالاستفهام
على علة جهلهم وقلة فهمهم وتحصيلهم لما يخبرون به من الحقائق والفقه في اللغة الفهم
وفي الشرع الفهم في أمور الدين ثم غلب عليه الاستعمال في علم المسائل الأحكامية وقوله ما أصابك
من حسنة فمن الله الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وغيره داخل في المعنى ومعنى
الآية عند ابن عباس وغيره على القطع واستئناف الإخبار من الله عز وجل بأن الحسنة
منه ومن فضله وبأن السيئة من الإنسان باكتسابه وهي من الله تعالى بخلقه واختراعه ولا
خالق سواه سبحانه لا شريك له وفي مصحف ابن مسعود فمن نفسك وأنا قضيتها
عليك وقرأ بها ابن عباس وفي رواية وأنا قدرتها عليك ويعضد هذا التأويل
أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم معناها أنما يصيب ابن آدم من المصائب
فإنما هي عقوبة ذنوبه قال أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي قوله تعالى وما أصابك
من سيئة فمن نفسك خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره انتهى وفي قوله سبحانه
وأرسلناك للناس رسولا ثم ناداه بقوله وكفى بالله شهيدا توعد للكفرة وتهديد

بك

يقتضيه فوق الكلام لان المعنى شهيدا على من كذبه و قوله سبحانه من يطع الرسول فقد
اطاع الله المعنى ان الرسول عليه السلام انما يامر وينهى بيانا وتبليغا عن الله و تولى
معناه اعرض و حفيظا يحتمل معنيين اى لتحفظهم حتى لا يقعوا فى الكفر والمعاصى ونحوه
او لتحفظ مساويهم وتحسبها عليهم وهذه الاية تقتضى الاعراض عمن تولى والترك له
وهى قبل نزول القتال وانما كانت توطئة ورفقا من الله عز وجل حتى يستحكم امر الاسلام
و قوله تعالى ويقولون طاعة الاية نزلت فى المنافقين باتفاق المفسرين المعنى يقولون لك يا محمد
امرنا طاعة فاذا خرجوا من عندك خرجوا ليلا وقالوا غير ما اظهروا لك و بيت معناه فعل
ليلا وهو ماخوذ من بات او من البيت لانه ملتزم بالليل و قوله تقول يحتمل ان يكون معناه
تقول انت ويحتمل تقول هى لك و الامر بالاعراض انما هو عن معاقبتهم ومجازاتهم واما
استمرار وعظهم ودعوتهم فلازم ثم امر سبحانه بالتوكل عليه والتمسك بعروته الوثقى ثقة
بانجاز وعده فى النصر و الوكيل القائم بالامور المصلح لما يخاف من فسادها و قوله تعالى
افلا يتدبرون القرآن الاية المعنى افلا يتدبر هؤلاء المنافقون كلام الله تعالى فتظهر لهم
براهينه وتلوح لهم ادلته قلت اعلم ان تدبر القرآن كفيل لصاحبه بكل خير واما
الهذرمة والعجلة فتاثيرها فى الفلاح ضعيف قال النووى رحمه وقد كره جماعة من المتقدمين
الختم فى يوم وليلة ويدل عليه ما رويناه من الاسانيد الصحيحة فى سنن ابى داود
والترمذى والنسائى وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يفقه من قرا القرآن فى اقل من ثلاث انتهى قال ع والتدبر هو النظر فى اعقاب الامور
وتاويلات الاشياء هذا كله يقتضيه قوله سبحانه افلا يتدبرون القرآن وهذا امر بالنظر
والاستدلال ثم عرف تعالى بموقع الحجة اى لو كان من كلام البشر لدخله ما فى البشر
من القصور وظهر فيه التناقض والتنافى الذى لا يمكن جمعه اذ ذلك موجود فى كلام
البشر والقرآن منزه عنه اذ هو كلام المحيط بكل شئ سبحانه قال ع فان عرضت لاحد شبهة
وظن اختلافا فى شئ من كتاب الله فالواجب ان يتهم نظره ويسال من هو اعلم منه و قوله
تعالى واذا جاءهم امر من الخوف الاية فالجمهور المفسرين ان الاية فى المنافقين حسبما تقدم والمعنى
ان المنافقين كانوا يتشوفون الى سماع ما يسوء النبى صلى الله عليه وسلم فاذا طرات لهم
شبهة امن للمسلمين او فتح عليهم حقروها وصغروا شانها واذاعوا ذلك التحقير والتصغير
واذا طرات لهم شبهة خوف للمسلمين او مصيبة عظموها واذاعوا ذلك و اذاعوا به معناه
افشوه وهو فعل يتعدى بحرف جر وبنفسه احيانا وقالت فرقة الاية نازلة فى المنافقين
وفيمن ضعف جلده وقلت تجربته من المؤمنين و فى الصحيح من حديث عمر بن الخطاب رضى
الله عنه انه جاء قوم فى المسجد يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ثم قال
فقلت يا رسول الله اطلقت نساءك فقال لا قال عمر فقمت على باب المسجد فقلت الا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يطلق نساءه فانزل الله تعالى هذه الاية واذا جاءهم امر من الامن
او الخوف الاية قال وانا استنبطته و قوله تعالى ولو ردوه الى الله و الرسول الاية المعنى
لو امسكوا عن الخوض واستقصوا الامر من قبل الرسول و اولى الامر وهم الامراء والعلماء

لعلمه طلابه والبحثة عنه وهم مستنبطوه كما يستنبط الماء وهو استخراجه من الارض
و قوله سبحانه ولولا فضل الله عليكم ورحمته الاية خطاب لجميع المؤمنين باتفاق من المتاولين
و قوله الا قليلا هو مستثنى فى قول جماعة من قوله لاتبعتم الشيطان الا قليلا وقال ابن
عباس وابن زيد ذلك مستثنى من قوله اذاعوا به الا قليلا ورجحه الطبرى وقال قتادة هو مستثنى
من قوله يستنبطونه الا قليلا قلت قال الداودى قال ابو عبيدة وانما كره العلماء ان يجعلوه
من قوله لاتبعتم الشيطان الا قليلا لانه لا وجه له لانه لولا فضل الله ورحمته لاتبعوا الشيطان
كلهم انتهى وهو حسن واما قوله لا وجه له ففيه نظر فقد وجهه العلماء بما لا نطيل بذكره
قوله تعالى فقاتل فى سبيل الله الاية هذا امر فى ظاهر اللفظ للنبى صلى الله عليه وسلم وحده لكن
لم نجد فى خبر قط ان القتال فرض على النبى صلى الله عليه وسلم دون الامة مدة ما والله اعلم
انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم فى اللفظ وهو مثال ما يقال لكل واحد فى خاصة
نفسه اى انت يا محمد وكل واحد من امتك القول له فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك
ولهذا ينبغى لكل مؤمن ان يستشعر ان يجاهد ولو وحده ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه
وسلم والله لاقاتلنكم حتى تنفرد سالفتى وقول ابى بكر رضى الله عنه وقت الردة ولو خالفتنى
يمينى لجاهدتها بشمالى و عسى اذا وردت من الله تعالى فقال عكرمة وغيره هى واجبة بفضل الله
ووعده الجميل قلت اى واقع ما وعد به سبحانه و التنكيل الاخذ بانواع العذاب و قوله سبحانه
من يشفع شفاعة حسنة الاية قال مجاهد وغيره هى فى شفاعة الناس بينهم فى حوائجهم
فمن شفع لينفع فله نصيب ومن يشفع ليضر فله كفل و الكفل النصيب ويستعمل فى الخير
وفى الشر وفى كتاب الله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته و روى ابو داود عن ابى امامة عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال من شفع لاحد شفاعة فاهدى له هدية عليها فقبلها فقد اتى
بابا عظيما من ابواب الربا انتهى و مقيتا معناه قديرا ومنه قول الزبير بن عبد المطلب شعر
وذى ضغن كففت النفس عنه ۝ وكنت على اساءته مقيتا ۝ اى قديرا وقيل مقيتا معناه
شهيدا وقيل حفيظا وذهب مقاتل الى انه الذى يقوت كل حيوان قال الداودى قال الكلبى
المقيت هو المقتدر بلغة قريش انتهى و قوله سبحانه واذا حييتم بتحية الاية قالت فرقة معنى
الاية تخيير الراد فاذا قال البادى السلام عليك فللراد ان يقول وعليك السلام فقط وهذا
هو الرد وله ان يقول وعليك السلام ورحمة الله وهو التحية باحسن وروى عن ابن عمر وغيره
انه زاد السلام الى البركة وقالت فرقة المعنى اذا حييتم بتحية فان نقص المسلم من النهاية
فحيوا باحسن منها وان انتهى فردوها كذلك قال عطاء والاية فى المؤمنين خاصة ومن
سلم من غيرهم قيل وعليك كما فى الحديث و فى ابى داود والترمذى ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال اولى الناس بالله من بدا بالسلام انتهى واكثر اهل العلم على ان الابتداء بالسلام
سنة مؤكدة ورده فريضة لانه حق من الحقوق قاله الحسن وغيره قال النووى
وروينا فى كتاب ابن السنى عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من عبدين متحابين
فى الله عز وجل يستقبل احدهما صاحبه فيصافحه فيصليان على النبى صلى الله عليه
وسلم الا لم يتفرقا حتى تغفر ذنوبهما ما تقدم منها وما تاخر وروينا فيه عن انس ايضا

قال ما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد رجل ففارقه حتى قال اللهم آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ورويا فيه عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا وتباشرا بود ونصيحة تناثرت خطاياهما
بينهما وفي رواية اذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله تعالى واستغفرا غفر الله عز وجل لهما
انتهى و حسيبا معناه حفيظا وهو فعيل من الحساب قوله تعالى الله لا اله الا هو ليجمعنكم الآية
لما تقدم الانذار والتحذير الذي تضمنه قوله تعالى ان الله كان على كل شيء حسيبا تلاه الاعلام بصفة
الربوبية وحال الوحدانية والاعلام بالحشر والبعث من القبور للثواب والعقاب
اعلاما بقسم تقديره وحقه وعظمته ليجمعنكم والجمع بمعنى الحشر وقوله سبحانه ومن اصدق
من الله حديثا المعنى لا احد اصدق من الله تعالى وقوله تعالى فما لكم في المنافقين فئتين الآية
اختلف في هؤلاء المنافقين فقال ابن عباس هم قوم كانوا بمكة اظهروا الايمان لاصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم في كتب بعثوا بها الى المدينة ثم خرجوا مسافرين الى الشام واعطتهم
قريش بضاعات وقالوا لهم انتم لا تخافون اصحاب محمد لانكم تخدعونهم باظهار الايمان فاتصل
خبرهم بالمدينة فاختلف المؤمنون فيهم فقالت فرقة نخرج اليهم فانهم منافقون وقالت
فرقة بل هم مؤمنون لا سبيل لنا اليهم فنزلت الآية وعن مجاهد نحوه قال ع ويعضد هذه
ما في آخر الآية من قوله تعالى حتى يهاجروا وقال زيد بن ثابت نزلت في عبد الله بن ابي واصحابه المنافقين
الذين رجعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وهو في صحيح البخاري مسندا قال
ابن العربي في احكامه وهذا القول هو اختيار البخاري والترمذي انتهى قال ع وعلى هذا فقوله
سبحانه حتى يهاجروا المراد هجر ما نهى الله عنه كما قال عليه السلام والمهاجر من هجر ما نهى الله
عنه و فئتين معناه فرقتين و اركسهم معناه رجعهم في كفرهم وضلالهم والركس الرجيع
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الروثة انها ركس وحكى النضر بن شميل والكسائي
ركس واركس بمعنى واحد اي رجعهم ومن قال من المتأولين اهلكهم او اضلهم فانما هو
بالمعنى و باقي الآية بين قال ص اركسهم اي ردهم في الكفر وقال ابن العربي في احكامه اخبر الله
تعالى انه رد المنافقين الى الكفر وهو الاركاس وهو عبارة عن الرجوع الى الحالة المكروهة كما
قال في الروثة انها ركس اي رجعت الى حالة مكروهة فنهى الله سبحانه ان يتعلقوا بظاهر
الايمان اذا كان باطنهم الكفر وامرهم بقتلهم حيث وجدوهم انتهى وقوله تعالى الا الذين
يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق الآية قال ص الا الذين يصلون استثناء متصل من مفعول
فخذوهم واقتلوهم انتهى قال ع هذه الآية الموادعة في اول الاسلام ثم نسخت بما في سورة
براءة فالآية تقتضي ان من وصل من المشركين الذين لا عهد بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم
الى هؤلاء اهل العهد فدخل في عددهم وفعل فعلهم من الموادعة فلا سبيل عليه وقوله
تعالى او جاؤكم عطف على يصلون ويحتمل ان يكون على قوله بينكم وبينهم ميثاق والمعنى في العطفين
مختلف وهذا ايضا حكم قبل ان يستحكم امر الاسلام فكان المشرك اذا اعتزل القتال وجاء الى
دار الاسلام مسالما كارها القتال قومه مع المسلمين ولقتال المسلمين مع قومه لا سبيل عليه
وهذه نسخت ايضا بما في براءة و معنى حصرت ضاقت وحرجت ومنه الحصر في القول وهو

صبو

وهو ضيق الكلام على المتكلم و حصرت في موضع نصب على الحال واللام في قوله لسلطهم
جواب لو والمعنى ولو شاء الله لسلط هؤلاء الذين هم بهذه الصفة من المسالمة والمتاركة
عليكم فان اعتزلوكم اي اذا وقع هذا فلم يقاتلوكم فلا سبيل لكم عليهم وهذا كله والذي في سورة
الممتحنة لا ينهاكم الله الآية منسوخ قاله قتادة وغيره والسلم هنا الصلح وقوله تعالى سبحانه ستجدون
آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم الآية لما وصف الله سبحانه المحقين في المتاركة
والقاء السلم نبه على طائفة مخادعة كانوا يريدون الاقامة في مواضعهم مع اهليهم
ويقولون لهم نحن معكم على دينكم خبثة منهم وخديعة وقوله الى الفتنة معناه الى الاختبار
وحكى انهم كانوا يرجعون الى قومهم فيقال لاحدهم قل ربي الخنفساء ربي العود ربي العقرب
ونحوه فيقولها و معنى اركسوا اي رجعوا رجع ضلالة اي اهلكوا في الاختبار بما واقعوه
من الكفر وهذه الآية حض على قتال هؤلاء المخادعين اذا لم يرجعوا عن حالهم و ثقفتموهم
ماخوذ من الثقاف اي ظفرتم بهم مغلوبين متمكنا منهم والسلطان الحجة قال عكرمة حيث
ما وقع السلطان في كتاب الله عز وجل فهو الحجة قوله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا
خطأ قال جمهور المفسرين معنى الآية وما كان في اذن الله وفي امره للمؤمنين ان
يقتل مؤمنا بوجه ثم استثنى استثناء منقطعا ليس من الاول وهو الذي يكون فيه الا بمعنى
لكن والتقدير لكن الخطأ قد يقع ويتجه في معنى الآية وجه آخر وهو ان يقدر كان بمعنى
استقر ووجد كانه قال وما وجد ولا تقرر ولا ساغ لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ
اذ هو مغلوب فيجيء الاستثناء على هذا متصلا وتتضمن الآية على هذا اعظام العمد وبشاعة
شأنه وقوله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ حقيقة الخطأ ان لا يقصد
بالقتل ووجوه الخطأ كثيرة لا تحصى يربطها عدم القصد قال ابن عباس وغيره الرقبة
المؤمنة هي الكبيرة التي قد صلت وعقلت الايمان وقال جماعة منهم مالك بن انس يجزئ
كل من يحكم له بحكم الاسلام في الصلاة عليه ان مات قال مالك ومن صلى وصام
احب الي ولا يجزئ ذو العيب الكثير كقطع اليدين او الرجلين او الاعمى اجماعا فيما علمت
و مسلمة معناه مؤداة مدفوعة وهي على العاقلة فيما جاوز ثلث الدية و الا ان يصدقوا
يريد اولياء القتيل و قوله فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن الآية اي وان كان هذا
المقتول خطأ مؤمنا قد آمن وبقي في قومه وهم كفرة عدو لكم فلا دية فيه وانما
كفارته تحرير الرقبة قاله ابن عباس وغيره و سقطت الدية عندهم لوجهين احدهما
ان اولياء المقتول كفار فلا يصح دفع الدية اليهم والآخر قلة حرمة هذا المقتول فلا
دية واحتجوا بقوله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا
وقالت فرقة بل الوجه في سقوط الدية ان الاولياء كفار فقط وسواء قتل بين اظهر
المسلمين او بين قومه الكفار لانه لا يصح دفعها الى الكفار قال ع وقائل المقالة الاولى
يقول ان قتل المؤمن في بلد المسلمين وقومه حرب ففيه الدية لبيت المال والكفارة
وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق الآية قال ابن عباس وغيره المقتول من اهل العهد خطأ
لا تبالي كان مؤمنا او كافرا على عهد قومه فيه الدية والتحرير و قوله فمن لم يجد فصيام

ويقولون لهم ايضا للمسلمين نحن معكم على دينكم

شهرين متتابعين الآية أي فمن لم يجد الرقبة ولا اتسع في ماله لشرائها فيجزيه صيام شهرين متتابعة
الأيام لا يتخللها فطر وتوبة نصب على المصدر ومعناه رجوعا بكم إلى التيسير والتسهيل و
قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم الآية المتعمد في لغة العرب القاصد للشيء
والجمهور أن المتعمد كل من قتل كان القتل بحديدة أو غيرها وهذا هو الصحيح ورأى الشافعي
وغيره أن القتل بغير الحديدة المشحوذ هو شبه العمد ورأوا فيه تغليظ الدية ومالك لا يرى شبه
العمد ولا يقول به وإنما القتل عنده ما ذكره الله تعالى عمدا وخطأ لا غير و قوله تعالى فجزاؤه جهنم
تقديره عند أهل السنة فجزاؤه إن جازاه بذلك أي هو أهل لذلك ومستحقه لعظيم ذنبه
قال ع ومن أقيم عليه الحد وقتل قودا فهو غير متبع في الآخرة والوعيد غير نافذ عليه إجماعا
وللحديث الصحيح عن عبادة بن الصامت أنه من عوقب في الدنيا فهو كفارة له و معنى الخلود هنا مدة
طويلة إن جازاه الله ويدل على ذلك سقوط لفظ التأبيد قال ع والجمهور على قبول توبته وروي
عن بعض العلماء أنهم كانوا يقصدون الإغلاظ والتخويف أحيانا فيطلقون أن لا تقبل توبته
منهم ابن شهاب وابن عباس فكان ابن شهاب من يفهم منه أنه قتل قال له توبتك مقبولة وإذا سأله من
لم يفعل قال لا توبة للقاتل وعن ابن عباس نحوه قال الداوودي وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال والله للدنيا وما فيها أهون على الله من قتل نفس بغير حق ومن أعان على قتل مسلم بشطر
كلمة لقي الله يوم يلقاه مكتوب على جبهته آيس من رحمة الله وعن معاوية أنه سمع النبي صلى الله
عليه وسلم يقول كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من قتل مؤمنا متعمدا أو مات كافرا وعن
أبي هريرة أنه سئل عن قاتل المؤمن هل له من توبة فقال لا والله الذي لا إله إلا هو لا يدخل الجنة
حتى يلج الجمل في سم الخياط قال ولو أن أهل السموات والأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله جميعا
في النار انتهى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا الآية تقول ضربت
في الأرض إذا سرت للتجارة أو غزو أو غيره مقترنة بفي وضربت الأرض دون في إذا قصدت
قضاء الحاجة وقال ص ضربتم أي سافرتم قال ع وسبب هذه الآية أن سرية من سرايا رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقيت رجلا له جمل ومتيع وقيل غنيمة فسلم على القوم وقال لا إله إلا الله محمد
رسول الله فحمل عليه أحدهم فقتله واختلف في تعيين القاتل والمقتول في هذه النازلة والذي
عليه الأكثر وهو في سير ابن إسحاق وفي مصنف أبي داوود وغيرهما أن القاتل محلم بن جثامة
والمقتول عامر بن الأضبط ولا خلاف أن الذي لفظته الأرض حين مات هو محلم بن جثامة
وقرأ جمهور السبعة فتبينوا وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا بالثاء المثلثة في الموضعين وفي الحجرات
وقرأ نافع وغيره السلم ومعناه الاستسلام أي ألقى بيده واستسلم لكم وأظهر دعوتكم و قرأ
باقي السبعة السلام بالألف يريد سلام ذلك المقتول على السرية لأن سلامه بتحية الإسلام مؤذن
بطاعته وانقياده وفي بعض طرق عاصم السلم بكسر السين المشددة وسكون اللام وهو الصلح
والمعنى المراد بهذه الثلاثة يتقارب وقرئ لست مؤمنا بفتح الميم أي لسنا نؤمنك و قوله تعالى فعند الله
مغانم كثيرة عدة منه سبحانه بما يأتي به من فضله من حلال دون ارتكاب محظور أي فلا تتهافتوا
واختلف في قوله كذلك كنتم من قبل فقال ابن جبير معناه كذلك كنتم مستخفين من قومكم بإسلامكم
فمن الله عليكم بإعزاز دينكم وإظهار شريعتكم فهم الآن كذلك كل واحد منهم خائف من قومه

متربص

متربص أن يصل إليكم فلم يصلح إذ وصل أن تقتلوه حتى تتبينوا أمره وقال ابن زيد المعنى كذلك
كنتم كفرة فمن الله عليكم بأن أسلمتم فلا تنكروا أن يكون هو كافرا ثم يسلم لحينه ثم وكد تبارك
وتعالى الوصية بالتبين وأعلم أنه خبير بما يعمله العباد وذلك منه خبر يتضمن تحذيرا منه
سبحانه أي فاحفظوا أنفسكم وجنبوا الزلل الموبق لكم و قوله تعالى لا يستوي القاعدون
من المؤمنين غير أولي الضرر الآية في قوله تعالى لا يستوي إبهام على السامع هو أبلغ من تحديد
المنزلة بين المجاهد والقاعد فالمتأمل يمشي مع فكرته ولا يزال يتخيل الدرجات بينهما و القاعدون
عبارة عن المتخلفين قلت وخرج أبو بكر بن الخطيب بسنده عن علي بن أبي طالب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة شجرة يخرج من أعلاها الحلل ومن أسفلها خيل بلق
من ذهب مسرجة ملجمة بالدر والياقوت لا تروث ولا تبول ذوات أجنحة فيجلس عليها أولياء
الله فتطير بهم حيث شاءوا فيقول الذين أسفل منهم يا أهل الجنة ناصفونا يا رب ما بلغ
هؤلاء هذه الكرامة فقال الله تعالى إنهم كانوا يصومون وكنتم تفطرون وكانوا يقومون
بالليل وكنتم تنامون وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون وكانوا يجاهدون العدو وكنتم
تجبنون انتهى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة غير بالرفع صفة للقاعدين وقرأ نافع وغيره
غير بالنصب استثناء من القاعدين وروي من غير ما طريق أن الآية نزلت لا يستوي القاعدون
من المؤمنين والمجاهدين فجاء ابن أم مكتوم حين سمعها فقال يا رسول الله هل من رخصة
فإني ضرير البصر فنزلت عند ذلك غير أولي الضرر وقال الفلتان بن عاصم رضي الله عنه كنا
قعودا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل عليه وكان إذا أوحي إليه دام بصره مفتوحة
عيناه وفرغ سمعه وبصره لما يأتيه من الله وكنا نعرف ذلك في وجهه قال فلما فرغ
قال للكاتب اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون إلى آخر الآية قال
فقام الأعمى فقال يا رسول الله ما ذنبنا قال فأنزل الله على رسوله فقلنا للأعمى إنه ينزل
عليه قال فخاف أن ينزل فيه شيء فبقي قائما مكانه يقول أتوب إلى رسول الله حتى فرغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للكاتب اكتب غير أولي الضرر و أهل الضرر هم أهل الأعذار
إذ قد أضرت بهم حتى منعتهم الجهاد قاله ابن عباس وغيره و قوله تعالى بأموالهم وأنفسهم هي
الغاية في كمال الجهاد قال ابن جريج الفضل بدرجة هو على القاعدين من أهل العذر قال ع
لأنهم مع المؤمنين بنياتهم كما هو مذكور في الحديث الصحيح قال ابن جريج والتفضيل
بالأجر العظيم والدرجات هو على القاعدين من غير عذر والحسنى الجنة التي وعدها المؤمنين
وكذلك قال السدي وغيره وقال ابن محيريز الدرجات هي درجات في الجنة سبعون ما بين
الدرجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة ت وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين
في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس
فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة انتهى وظاهر
أن تعديد الدرجات في الآية هي السبع المذكورة في براءة في قوله تعالى ذلك بأنهم لا يصيبهم
ظمأ الآية قال ع ودرجات الجهاد لو حصرت أكثر من هذا لكن يجمعها بذل النفس والاعتمال

بالبدن والمال في ان تكون كلمة الله هي العليا ولا شك ان بحسب مراتب الاعمال ودرجاتها
تكون مراتب الجنة ودرجاتها فالاقوال كلها متقاربة وباقي الاية وعد كريم وتانيس قوله
تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم الاية المراد بهذه الاية الى قوله
مصيرا جماعة من اهل مكة كانوا قد اسلموا فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم اقاموا مع قومهم
وفتن منهم جماعة فافتتنوا فلما كان امر بدر خرج منهم قوم مع الكفار فقتلوا ببدر فنزلت
الاية فيهم قال ع والذي يجري مع الاصول ان من مات من هؤلاء مرتدا فهو كافر وماواه
جهنم على جهة الخلود المؤبد وهذا هو ظاهر امر هؤلاء وان فرضنا فيهم ان من مات مؤمنا
واكره على الخروج او مات بمكة فانما هو عاص في ترك الهجرة ماواه جهنم على جهة العصيان
دون خلود وقوله تعالى توفاهم الملائكة يحتمل ان يكون فعلا ماضيا ويحتمل ان يكون مستقبلا
على معنى تتوفاهم فحذفت احدى التائين ويكون في العبارة اشارة الى ما ياتي من هذا المعنى في
المستقبل بعد نزول الاية وظالمي انفسهم نصب على الحال اي ظالميها بترك الهجرة وتوفاهم
الملائكة معناه تقبض ارواحهم قال الزجاج وحذفت النون من ظالمين تخفيفا كقوله
بالغ الكعبة وقول الملائكة فيم كنتم تقرير وتوبيخ وقول هؤلاء كنا مستضعفين في الارض
اعتذار غير صحيح اذ كانوا يستطيعون الحيل ويهتدون السبيل ثم وقفتهم الملائكة على
ذنبهم بقولهم الم تكن ارض الله واسعة والارض الاولى هي ارض مكة خاصة وارض الله
هي الارض بالاطلاق والمراد فتهاجروا فيها الى مواضع الامن وهذه المقالة انما هي بعد
توفي الملائكة لارواح هؤلاء وهي دالة على انهم ماتوا مسلمين والا فلو ماتوا كافرين لم يقل لهم شيء
من هذا ثم استثنى سبحانه من كان استضعافه من زمنى الرجال وضعفة النساء والولدان حقيقةً
قال ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين والحيلة لفظ عام لانواع اسباب التخلص والسبيل
سبيل المدينة فيما قاله مجاهد وغيره والصواب انه عام في جميع السبل ثم رجا الله هؤلاء بالعفو
عنهم والمراغم المتحول والمذهب قاله ابن عباس وغيره وقال مجاهد المراغم المزحزح عما يكره
وقال ابن زيد المراغم المهاجر وقال السدي المراغم المبتغي للمعيشة قال ع وهذا كله تفسير بالمعنى فاما
الخاص باللفظ فان المراغم هو موضع المراغمة فلو هاجر احد من هؤلاء المحبوسين بمكة لارغم
انوف قريش بحصوله في منعة منهم فتلك المنعة هي موضع المراغمة قال ابن عباس وغيره السعة
هنا هي السعة في الرزق وقال مالك السعة سعة البلاد قال ع وهذا هو المشبه للفصاحة ان
يريد سعة الارض وبذلك تكون السعة في الرزق واتساع الصدر وغير ذلك من وجوه الفرج
وهذا المعنى ظاهر من قوله تعالى الم تكن ارض الله واسعة قال مالك بن انس رحمه الله تعالى الاية
تعطي ان كل مسلم ينبغي له ان يخرج من البلاد التي تغير فيها السنن ويعمل فيها بغير الحق وقوله تعالى
ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت الاية حكم هذه الاية باق في
الجهاد والمشي الى الصلاة والحج ونحوه ت وفي البخاري حديث ابي امامة وسياتي عند قوله تعالى
فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ع والاية نزلت بسبب رجل من كنانة وقيل من خزاعة
اسمه ضمرة في قول الاكثر لما سمع قول الله تعالى الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا قال اني
لذو مال وعبيد وكان مريضا فقال اخرجوني الى المدينة فاخرج في سرير فادركه الموت بالتنعيم فنزلت

الاية بسببه قال ع ومن هذه الاية راى بعض العلماء ان من مات من المسلمين وقد خرج غازيا فله سهمه
من الغنيمة قاسوا ذلك على الاجر ووقع عبارة عن الثبوت وكذلك هي وجب لان الوقوع والوجوب
نزول في الاجرام بقوة فشبه لازم المعنى بذلك وباقي الاية بين قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس
عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة الاية ضربتم معناه سافرتم قال مالك والشافعي واحمد بن حنبل
وابن راهويه تقصر الصلاة في اربعة برد وهي ثمانية واربعون ميلا وحجتهم احاديث رويت
في ذلك عن ابن عمر وابن عباس وقال الحسن والزهري تقصر في مسيرة يومين وروي هذا ايضا عن
مالك وروي عنه تقصر في مسافة يوم وليلة وهذه الاقوال الثلاثة تتقارب في المعنى والجمهور
على جواز القصر في السفر المباح وقال عطاء لا تقصر الا في سفر طاعة والجمهور انه لا قصر في سفر معصية
والجمهور انه لا يقصر المسافر حتى يخرج من بيوت القرية وحينئذ هو ضارب في الارض وهو قول مالك
وجماعة المذهب والى ذلك الرجوع وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالمدينة اربعا
والعصر بذي الحليفة ركعتين وليس بينهما ثلث يوم ويظهر من قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا
ان القصر مباح او مخير فيه وقد روى ابن وهب عن مالك ان المسافر مخير فيه وقاله الابهري
وعليه حذاق المذهب وقال مالك في المبسوط القصر سنة وهذا هو المذهب الذي عليه الجمهور وعليه
جواب المدونة بالاعادة في الوقت لمن اتم في سفره وقال ابن سحنون وغيره القصر فرض وقوله تعالى
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وفي حديث يعلى بن امية قال قلت لعمر بن الخطاب ان الله تعالى يقول
ان خفتم وقد امن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ويفتنكم معناه يمتحنكم بالحمل عليكم واشتغال
نفوسكم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الظهر باصحابه قال المشركون لقد امكنكم محمد
واصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم فقال قائل منهم ان لهم اخرى في اثرها فانزل الله تعالى
بين الصلاتين ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا الى اخر صلاة الخوف وقوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة
الاية قال الجمهور الاية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يتناول الامراء بعده الى يوم القيامة
وكذلك جمهور العلماء على ان صلاة الخوف تصلى في الحضر اذا نزل الخوف قال الطبري فاقمت لهم
معناه حدودها وهيئتها وقوله تعالى فلتقم طائفة منهم معك امر بالانقسام وسائرهم وجاه العدو
ومعظم الروايات والاحاديث على ان صلاة الخوف انما نزلت الرخصة فيها في غزوة ذات الرقاع
واختلف من المامور باخذ الاسلحة هنا فقيل الطائفة المصلية وقيل بل الحارسة قال ع ولفظ
الاية يتناول الكل ولكن سلاح المصلين ما خف ت ومن المعلوم انه اذا كانت الطائفة المصلية
هي المامورة باخذ السلاح فالحارسة من باب احرى واختلفت الاثار في هيئة صلاة النبي صلى الله عليه
وسلم باصحابه صلاة الخوف وبحسب ذلك اختلف الفقهاء فروى يزيد بن رومان عن صالح بن خوات
عن سهل بن ابي حثمة انه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف يوم ذات الرقاع
فصفت طائفة معه وطائفة وجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من
صلاته ثم ثبت جالسا واتموا لانفسهم ثم سلم بهم وروى القاسم بن محمد عن صالح بن خوات
عن سهل هذا الحديث بعينه الا انه روى ان النبي صلى الله عليه وسلم حين صلى بالطائفة
الاخيرة ركعة سلم وقضت بعد سلامه وبحديث القاسم بن محمد اخذ مالك وكان رجع بعد ان

كان اولا يميل الى رواية يزيد بن رومان وروى عبد الرزاق عن مجاهد قال لم يصل النبي صلى الله عليه
وسلم صلاة الخوف الا مرتين مرة بذات الرقاع من ارض بني سليم ومرة بعسفان والمشركون بضجنان بينهم وبين
القبلة قال ع وظاهر اختلاف الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم يقتضي انه صلى صلاة الخوف في غير هذين
الموطنين وقد ذكر ابن عباس انه كان في غزوة ذي قرد صلاة خوف وقوله تعالى فاذا سجدوا فليكونوا
من ورائكم الاية المعنى فاذا سجدوا معك الركعة الاولى فلينصرفوا هذا على بعض الهيئات المروية
وقيل المعنى فاذا سجدوا ركعة القضاء وهذا على هيئة سهل بن ابي حثمة والضمير في قوله فليكونوا يحتمل ان
يكون للذين سجدوا ويحتمل ان يكون للطائفة القائمة اولا بازاء العدو ويجيء الكلام وصاة في حال الحذر
والحرب وقوله تعالى ود الذين كفروا لو تغفلون الاية اخبار عن معتقد القوم وتحذير من الغفلة لئلا
ينال العدو امله واسلحة جمع سلاح وفي قوله تعالى ميلة واحدة مبالغة اي مستاصلة لا يحتاج
معها الى ثانية وقوله تعالى ولا جناح عليكم الاية ترخيص قال ابن عباس نزلت بسبب عبد الرحمن بن عوف
كان مريضا فوضع سلاحه فعنفه بعض الناس قال ع كانهم تلقوا الامر باخذ السلاح على الوجوب
فرخص الله تعالى في هاتين الحالتين وينقاس عليهما كل عذر ثم قوى سبحانه نفوس المؤمنين بقوله ان الله اعد
للكافرين عذابا مهينا وقوله تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا الاية ذهب جمهور العلماء
ان هذا الذكر المامور به انما هو اثر صلاة الخوف على حد ما امروا عند قضاء المناسك بذكر الله فهو
ذكر باللسان والطمانينة في الاية سكون النفوس من الخوف وقال بعض المتاولين المعنى فاذا رجعتم من
سفركم الى الحضر فاقيموها تامة اربعا وقوله كتابا موقوتا معناه منجما في اوقات هذا ظاهر اللفظ
وروي عن ابن عباس ان المعنى فرضا مفروضا فهما لفظان بمعنى واحد كرر مبالغة وقوله تعالى ولا تهنوا
في ابتغاء القوم اي لا تلينوا وتضعفوا والوهن الضعف ومنه وهن العظم وابتغاء
القوم طلبهم وهذا تشجيع لنفوس المؤمنين وتحقير لامر الكفرة ثم تاكد التشجيع بقوله وترجون من
الله ما لا يرجون وهذا برهان بين ينبغي بحسبه ان تقوى نفوس المؤمنين وباقي الاية بين قوله
تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله الاية في هذه الاية تشريف للنبي صلى
الله عليه وسلم وتفويض اليه وتقويم ايضا على الجادة في الحكم وتانيب ما على قبول ما رفع اليه من امر بني
ابيرق بسرعة وقوله تعالى بما اراك الله معناه على قوانين الشرع اما بوحي ونص واما بنظر جار على سنن
الوحي وقد تضمن الله تعالى لانبيائه العصمة وقوله تعالى ولا تكن للخائنين خصيما قال الهروي خصيما اي
مخاصما ودافعا انتهى قال ع سببها باتفاق من المتاولين امر بني ابيرق وكانوا اخوة بشر وبشير ومبشر
وطعمة وكان بشر رجلا منافقا يهجو اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وينحل الشعر لغيره فكان المسلمون
يقولون والله ما هو الا شعر الخبيث فقال شعرا يتنصل فيه فمنه قوله أفي كل ما قال الرجال قصيدة
نحلت فقالوا ابن الابيرق قالها قال قتادة بن النعمان وكان بنو ابيرق اهل فاقة فابتاع عمي رفاعة بن زيد
حملا من درمك الشام فجعله في مشربة له وفي المشربة درعان له وسيفان فعدي على المشربة من الليل
فلما اصبح اتاني عمي رفاعة فقال يا ابن اخي تعلم انه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا
وذهب بطعامنا وسلاحنا قال فتحسسنا في الدار وسالنا فقيل لنا قد راينا بني ابيرق قد استوقدوا
في هذه الليلة نارا ولا نراه الا على بعض طعامكم قال وقد كان بنو ابيرق قالوا ونحن نسال والله ما نرى
صاحبكم الا لبيد بن سهل رجلا منا له صلاح واسلام فسمع ذلك لبيد فاخترط سيفه ثم اتى بني ابيرق

فقال والله ليخالطنكم هذا السيف او لتبينن هذه السرقة فقالوا اليك عنا ايها الرجل فوالله ما انت
بصاحبها فسالنا في الدار حتى لم نشك انهم اصحابها فقال عمي يا ابن اخي لو اتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبرته بهذه القصة فاتيته صلى الله عليه وسلم فقصصتها عليه فقال انظر في ذلك
فلما سمع ذلك بنو ابيرق اتوا رجلا منهم يقال له اسير بن عروة فكلموه في ذلك واجتمع اليه ناس من اهل
الدار فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان قتادة بن النعمان
وعمه عمدا الى اهل بيت منا اهل اسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة على غير بينة قال قتادة
فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمته فقال عمدت الى اهل بيت ذكر منهم اسلام وصلاح
فرميتهم بالسرقة من غير بينة قال فرجعت وقد وددت ان اخرج عن بعض مالي ولم اكلمه فاتيت
عمي فقال لي ما صنعت فاخبرته بما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله المستعان
فلم يلبث ان نزل القرآن انا انزلنا اليك الكتاب بالحق الايات قال فالخائنون بنو ابيرق والبريء
المرمي لبيد بن سهل والطائفة التي همت اسير واصحابه قال قتادة وغيره ولخص هذه القصة ونحوها
انما كان صاحبها طعمة بن ابيرق ويقال فيه طعيمة قال ع وطعمة بن ابيرق صرح بعد ذلك بالارتداد
وهرب الى مكة فروي انه نقب حائط بيت ليسرقه فانهدم الحائط عليه فقتله ويروى انه اتبع قوما
من العرب فسرقهم فقتلوه وقوله تعالى واستغفر الله ذهب الطبري الى ان المعنى استغفر من ذنبك
في خصامك للخائنين قال ع وهذا ليس بذنب لان النبي صلى الله عليه وسلم انما دافع عن الظاهر وهو
يعتقد براءتهم والمعنى واستغفر للمؤمنين من امتك والمتخاصمين بالباطل لا ان تكون ذا جدال عنهم
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال
قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر
له ما كان في مجلسه ذلك رواه ابو داود والترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان في صحيحيهما
وقال الترمذي واللفظ له حديث حسن صحيح غريب ورواه النسائي والحاكم ايضا من طرق عن
عائشة رضي الله عنها وغيرها انتهى وقوله تعالى ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم لفظ عام
يندرج تحته اصحاب النازلة ويتقرر به توبيخهم وفي قوله تعالى ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما
رفق وابقاء فان الخوان هو الذي تتكرر منه الخيانة كطعمة بن ابيرق والاثيم هو الذي يقصدها
فيخرج من هذا التشديد السارق مرة واحدة ونحو ذلك والخيانة للانفس هو بما يعود
عليها من الاثم والعقوبة في الدنيا والاخرة وقوله تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من
الله الاية الضمير في يستخفون للصنف المرتكب للمعاصي ويندرج في طي هذا العموم اهل الخيانة في النازلة
المذكورة واهل التعصب لهم والتدبير في هذا التوبيخ كل من فعل نحو فعلهم قال صاحب الكلم الفارقية
والحكم الحقيقية النفوس المرتكبة للمحارم المختفية بالماثم والمظالم شبيهة بالافاعي غارات افواهها
سما ونقصد من نفذ فيه عدوانا وظلما يجمع في ضمائرها سموم شرورها وضررها وتختال
لالقائها في الغافلين عن مكايدها وخدعها انتهى ومعنى وهو معهم بالاحاطة والعلم والقدرة
ويبيتون هم يدبرون ليلا ويحتمل ان تكون اللفظة ماخوذة من البيت اي يستترون في تدبير
بالجدارات وقوله تعالى ها انتم هؤلاء الخطاب للقوم الذين يتعصبون لاهل الريب والمعاصي ويندرج
في طي هذا العموم اهل النازلة وهو الاظهر عندي بحكم التاكيد بهؤلاء وهي اشارة الى حاضرين

ومن مصابيح البغوي عن ابي داوود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حالت شفاعته
دون حد من حدود الله فقد ضاد الله ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله
حتى ينزع ومن قال في مؤمن ما ليس فيه اسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال ويروى من اعان
على خصومة لا يدري احق ام باطل فهو في سخط الله حتى ينزع انتهى وقوله تعالى فمن يجادل الله
عنهم يوم القيامة الاية وعيد محض لما تمكن هذا الوعيد وقضت العقول بان لا مجادل لله سبحانه
ولا وكيل يقوم بامر العصاة عنه عقب ذلك بهذا الرجاء العظيم والمهل المنفسح فقال ومن يعمل
سوءا او يظلم نفسه الاية وباقي الاية بين وقوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ذهب بعض الناس
انهما لفظان بمعنى كرر لاختلاف اللفظ وقال الطبري انما فرق بين الخطيئة والاثم ان الخطيئة تكون
عن عمد وعن غير عمد والاثم لا يكون الا عن عمد وهذه الاية لفظها عام ويندرج تحت ذلك العموم
اهل النازلة المذكورة وبرئ النازلة هو لبيد كما تقدم اي ويتناول عموم الاية كل برئ وقوله
فقد احتمل بهتانا تشبيه اذ الذنوب ثقل ووزر فهو كالمحمولات وبهتانا معناه كذبا ثم وقف الله
تعالى نبيه على مقدار عصمته له وانها بفضل منه سبحانه ورحمته وقوله تعالى لهمت طائفة
معناه لجعلته همها وشغلها حتى تنفذه وهذا يدل على ان الالفاظ عامة في غير اهل النازلة ولا
فاهل التعصب لبني ابيرق وقع همهم وثبت ثم اخبر تعالى انهم لا يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء
قلت ثم ذكر سبحانه ما انعم به على نبيه من انزال الكتاب والحكمة وتعليمه ما لم يكن يعلم قال ابن العربي في
رحلته اعلم ان علوم القرآن ثلاثة اقسام توحيد وتذكير واحكام وعلم التذكير هو معظم القرآن
فانه مشتمل على الوعد والوعيد والخوف والرجا والقرب وما يرتبط بها ويدعو اليها ويكون عنها
وذلك معنى تتسع ابوابه وتمتد اطنابه انتهى وباقي الاية وعد كريم لنبيه عليه السلام وتقرير
نعمه لديه سبحانه لا اله غيره وقوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح
بين الناس الاية الضمير في نجواهم عائد على الناس اجمع وجاءت هذه الاية عامة التناول وفي عمومها يندرج
اصحاب النازلة وهذا من الفصاحة والايجاز المضمن لمعان كثيرة بعبارة واحدة قال النووي وروينا
في كتاب الترمذي وابن ماجه عن ام حبيبة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل
كلام ابن ادم عليه لا له الا امرا بمعروف او نهيا عن منكر او ذكر الله تعالى انتهى والنجوى المسارة وقد
تسمى بها الجماعة كما يقال قوم عدل وليست النجوى بمقصورة على الهمس في الاذن والمعروف لفظ
يعم الصدقة والاصلاح وغيرهما ولكن خصا بالذكر اهتماما اذ هما عظيما الغناء في مصالح العباد
ثم وعد تعالى بالاجر العظيم على فعل هذه الخيرات بنية وقصد رضى الله تعالى وقوله تعالى ومن يشاقق
الرسول الاية لفظ عام نزلت بسبب طعمة بن ابيرق لانه ارتد وسار الى مكة فاندرج الانحاء عليه في
طي هذا العموم المتناول لمن اتصف بهذه الصفات الى يوم القيامة وقوله تعالى نوله ما تولى وعيد
بان يترك مع فاسد اختياره في تودد الطاغوت ثم اوجب تعالى انه لا يغفر ان يشرك به وقد
مضى تفسير مثل هذه الاية وقوله تعالى ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا
مريدا الاية الضمير في يدعون عائد على من ذكر في قوله ومن يشاقق الرسول وان نافية بمعنى ما و
يدعون عبارة مغنية موجزة في معنى يعبدون ويتخذون الهة قلت وفي البخاري الاناث يعني
الموات حجرا ومدرا وما اشبهه انتهى وفي مصحف عائشة الا اوثانا ونحوه عن ابن عباس والمراد

الشيطان

بالشيطان هنا ابليس قاله الجمهور وهو الصواب لان سائر المقالة به تليق ومريدا معناه متمردا
عاتيا صليبا في غوايته واصل اللعن الابعاد والمفروض معناه في هذا الموضع المنحاز وهو ماخوذ
من الفرض وهو الحز في العود وغيره قال ع ويحتمل ان يريد واجبا ان اتخذه وبعث النار هو
نصيب ابليس وقوله ولاضلنهم الاية معنى اضلنهم اصرفهم عن طريق الهدى ولامنينهم لاسولن
لهم واماني لا تنحصر في نوع واحد والبتك القطع وقوله ولامرنهم فليغيرن خلق الله اختلف
المتاولون في معنى تغيير خلق الله وملاك تفسير هذه الاية ان كل تغيير ضار فهو داخل في الاية
وكل تغيير نافع فهو مباح وفي مختصر الطبري فليغيرن خلق الله قال ابن عباس خلق الله دين الله وعن
وعن ابراهيم ومجاهد والحسن وقتادة والضحاك والسدي وابن زيد مثله وفسر ابن زيد
لا تبديل لخلق الله لدين الله واختار الطبري هذا القول واستدل له بقوله تعالى ذلك الدين القيم
واجاز ان يدخل في الاية كل ما نهى الله عنه من معاصيه والترك لطاعته انتهى وهو حسن قال ع
واللامات كلها للقسم قال ص ولاضلنهم مفعوله محذوف اي عن الهدى وكذا ولامنينهم اي الباطل
وكذا ولامرنهم اي بالبتك فليبتكن وكذا ولامرنهم فليغيرن كلما اوجده الله للطاعة فيستعينون به
في المعصية انتهى ولما ذكر الله سبحانه عتو الشيطان وما توعد به من بث مكره حذر الله تبارك
وتعالى عباده بان شرط لمن يتخذه وليا جزاء الخسران وقوله تعالى يعدهم ويمنيهم اي يعدهم
باباطيله من المال والجاه وان لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك بقوله وما يعدهم الشيطان
الا غرورا ثم اخبر سبحانه بمصير المتخذين الشيطان وليا وتوعدهم بان ماواهم جهنم لا يدافعونها
بحيلة ولا يتروغون ومحيصا من حاص اذا راغ ونفر ومنه قول الشاعر نظم

ولم ندر ان حصنا من الموت حيصة كم العمر باق والمدى متطاول

ومنه الحديث فحاصوا حيصة حمر الوحش ولما ذكر سبحانه ما تقدم من الوعيد واقتضى
ذلك التحذير عقب ذلك عز وجل بالترغيب في ذكر حالة المؤمنين واعلم بصحة وعده
ثم قرر ذلك بالتوقيف عليه في قوله ومن اصدق ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب الاية الاماني
جمع امنية وهي ما يتشهاه المرء وتطمع نفسه فيه قال ابن عباس وغيره الخطاب لامة النبي
صلى الله عليه وسلم وفي مختصر الطبري عن مسروق وغيره قال احتج المسلمون واهل الكتاب فقال المسلمون
نحن اهدى وقال اهل الكتاب نحن اهدى فانزل الله هذه وعن مجاهد قالت العرب لن نبعث ولن نعذب
وقالت اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقالوا لن تمسنا النار الا
اياما معدودات قال الطبري وقول مجاهد اولى بالصواب وذلك ان المسلمين لم يجر لامانيهم ذكر
في ما مضى من الاي وانما جرى ذكر اماني نصيب الشيطان انتهى وعليه عول ص في سبب نزول
الاية اعني على تاويل مجاهد وقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال الجمهور ان لفظ الاية عام
فالكافر والمؤمن مجازى فاما مجازاة الكافر فالنار واما مجازاة المؤمن فنكبات الدنيا
فمن بقي له سوء الى الاخرة فهو في المشيئة يغفر الله لمن يشاء ويجازي من يشاء وقوله ومن يعمل
من الصالحات دخلت من للتبعيض اذ الصالحات على الكمال مما لا يطيقه البشر ففي هذا رفق
بالعباد ولكن في هذا التبعيض الفرائض وما امكن من المندوب اليه ثم قيد الامر بالايمان

من الله قيلا وقيل وقول وقال
ونصبه على التمييز قوله تعالى

اذ لا ينفع عمل دونه والنقير النكتة التي في ظهر النواة ومنه تنبت وعن ابن عباس ما تنقره
باصبعك ثم اخبر تعالى اخبارا موقفا على انه لا احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اي اخلص مقصده
وتوجهه واحسن في اعماله واتبع الحنيفية ملة ابراهيم امام العالم وقدوة الاديان ثم
ذكر سبحانه تشريفه لنبيه ابراهيم عليه السلام باتخاذه خليلا وسماه خليلا اذ كان خلوص
عبادته واجتهاده على الغاية التي يجري اليها المحب المبالغ وذهب قوم الى انه سمي خليلا من الخلة
بفتح الخاء لانه انزل خلته وفاقته بالله تعالى وكذلك شرف الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
بالخلة كما هو مصرح به في الحديث الصحيح وقوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض الاية
ذكر سبحانه سعة ملكه واحاطته بكل شيء عقب ذكر الدين وتبيين الجادة منه ترغيبا
في طاعته والانقطاع اليه سبحانه وقوله سبحانه ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم الاية
معنى قوله يفتيكم فيهن اي يبين لكم حكم ما سألتم عنه قال ع ويحتمل ما ان تكون في موضع رفع عطفا
على اسم الله عز وجل ويفتيكم ما يتلى عليكم في الكتاب يعني القرآن والاشارة بهذا الى ما تقدم من
الاية في امر النساء وهو قوله تعالى في صدر السورة وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا
ما طاب لكم من النساء الاية قالت عائشة نزلت هذه الاية اولا ثم سأل ناس بعدها رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن امرهن فنزلت ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن الاية وقوله
تعالى في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن معناه النهي عما كانت العرب تفعله من ضم
اليتيمة الجميلة بدون ما تستحقه من المهر ومن عضل الدميمة الغنية حتى تموت فيرثها
العاضل والذي كتب الله لهن هو توفية ما تستحقه من المهر وقوله تعالى وترغبون ان
تنكحوهن اي ان كانت الجارية غنية جميلة فالرغبة في نكاحها وان كانت بالعكس فالرغبة
عن نكاحها وقوله تعالى والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والذي يتلى في
المستضعفين من الولدان هو قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم الاية وذلك ان العرب كانت
لا تورث الصبية ولا الصبي الصغير ففرض الله تعالى لكل احد حقه وقوله تعالى وان تقوموا
لليتامى بالقسط عطف ايضا على ما تقدم والذي تلي في هذا المعنى قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم
الى اموالكم الى غير ذلك مما ذكر في مال اليتيم والقسط العدل وباقي الاية بين قوله تعالى وان
امرأة خافت من بعلها نشوزا الاية هذه الاية حكم من الله تعالى في امر المرأة التي تكون ذات
سن ونحو ذلك مما يرغب زوجها عنها فيعرض عليها الفرقة او الصبر على الاثرة فتريد هي بقاء العصمة
فهذه التي اباح الله بينهما الصلح ورفع الجناح فيه واختلف في سبب نزول الاية فقال ابن عباس
وجماعة نزلت في النبي عليه السلام وسودة بنت زمعة وفي المصنفات ان سودة لما كبرت وهبت
يومها لعائشة وقال ابن المسيب وغيره نزلت بسبب رافع بن خديج وامرأته خولة وقال مجاهد
نزلت بسبب ابي السنابل وامرأته ولفظ ابن العربي في احكامه قوله تعالى وان امرأة خافت من
بعلها نشوزا او اعراضا الاية قالت عائشة رضي الله هي المرأة تكون عند الرجل ليس بمستكثر
منها يريد ان يفارقها فتقول اجعلك من شاني في حل فنزلت الاية قال الفقيه ابو بكر ابن العربي رضي الله
على الصديقة المطهرة لقد وفت بما حملها ربها من العهد في قوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من

ايات الله والحكمة انتهى وقوله تعالى والصلح خير لفظ عام مطلق يقتضي ان الصلح الحقيقي الذي
تسكن اليه النفوس ويزول به الخلاف خير على الاطلاق ويندرج تحت هذا العموم ان صلح الزوجين
على ما ذكرنا خير من الفرقة وقوله تعالى واحضرت الانفس الشح معذرة عن عبيده تعالى اي لابد
للانسان بحكم خلقته وجبلته من ان يشح على ارادته حين يحتاج صاحبه على بعض ما يكره وخصص
المفسرون هذه اللفظة هنا فقال ابن جبير هو شح المرأة بالنفقة من زوجها وبقسمه لها ايامها
وقال ابن زيد الشح هنا منه ومنها قال ع وهذا حسن والشح الضبط على المعتقدات وفي الهمم والاموال
ونحو ذلك فما افرط منه ففيه بعض المذمة وهو الذي قال تعالى فيه ومن يوق شح نفسه
وما صار الى حيز منع الحقوق الشرعية او التي تقتضيها المروءة فهو البخل وهي رذيلة لكنها قد
تكون في المؤمن ومنه الحديث قيل يا رسول الله ايكون المؤمن بخيلا قال نعم واما الشح ففي
كل احد وينبغي ان لا يفرط الا على الدين ويدلك على ان الشح في كل احد قوله تعالى واحضرت الانفس
الشح وقوله ومن يوق شح نفسه فقد اثبت لكل نفس شحا وقوله عليه السلام وان تصدق
وانت صحيح شحيح وهذا لم يرد به واحد بعينه ويحتمل ان يقال ان تصدق وانت صحيح
بخيل وقوله تعالى وان تحسنوا ندب الى الاحسان في تحسين العشرة والصبر على خلق الزوجة وتتقوا
معناه تتقوا الله في وصيته بهن اذ هن عوان عندكم وقوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا الاية
معناه العدل التام على الاطلاق والمستوي في الافعال والاقوال والمحبة والجماع وغير ذلك وكان
صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه ثم يقول اللهم هذا فعلي فيما املك فلا تؤاخذني بما تملك
ولا املك فوصف الله سبحانه حالة البشر انهم بحكم الخلقة لا يملكون ميل قلوبهم الى بعض الازواج دون بعض م
ثم نهى سبحانه عن الميل كل الميل وهو ان يفعل فعلا يقصده من التفضيل وهو يقدر ان لا يفعله
فهذا هو كل الميل وان كان في امر حقير وقوله سبحانه فتذروها كالمعلقة اي لا هي ايم ولا ذات
زوج وجاء في التي قبل وان تحسنوا وفي هذه وان تصلحوا لان الاولى في مندوب اليه
وفي هذه في لازم اذ يلزمه العدل فيما يملك وقوله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته الاية
اي ان شح كل واحد من الزوجين فلم يتصالحا لكنهما تفرقا بطلاق فان الله تعالى يغني كل واحد
منهما عن صاحبه بفضله ولطائف صنعه في المال والعشرة والسعة وجود المرادات والتمكن منها
والواسع معناه الذي عنده خزائن كل شيء وقوله سبحانه ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه
على موضع الرجاء لهذين المفترقين ثم جاء بعد ذلك قوله وان تكفروا فان لله ما في السموات
وما في الارض تنبيها على استغنائه عن العباد ومقدمة للخبر بكونه غنيا حميدا ثم جاء بعد ذلك
قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله شهيدا وكيلا مقدمة للوعيد فهذه تكرار
وجوه هذا الخبر الواحد ثلاث مرات متقاربة ت وفي تمشية هذه عندي نظر والاحسن بقاء
الكلام على نسقه فقوله رحمه الله تنبيه على موضع الرجاء لهذين المفترقين حسن واما الذي فيه قلق
ما بعده من توجيهه وقوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم الاية
لفظ عام لكل من اوتي كتابا فان وصيته سبحانه لعباده لم تزل منذ اوجدهم ت قال
الاستاذ ابو بكر الطرطوشي في سراج الملوك ولما ضرب ابن ملجم عليا رضي الله عنه دخل منزله فاعترته
غشية ثم افاق فدعا اولاده الحسن والحسين ومحمدا فقال اوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة

وكلمة الحق في الرضا والغضب . والقصد في الغنا والفقر . والعدل على الصديق والعدو . والعمل في
النشاط والكسل . والرضى عن الله في الشدة والرخا . يا بني ما شر بعده الجنة بشر . وما خير بعده النار
بخير . وكل نعيم دون الجنة حقير . وكل بلاء دون النار عافية . من ابصر عيب نفسه شغل عن عيب
غيره . ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاته . ومن سل سيف البغي قتل به . ومن حفر لاخيه بئرا
وقع فيه . ومن هتك حجاب اخيه كشفت عورات بنيه . ومن خطيئته استعظم خطيئة غيره
ومن استغنى بعقله ذل . ومن تكبر على الناس ذل . ومن اعجب برايه ضل . ومن جالس العلماء وقر
ومن خالط الارذال حقر . ومن دخل مداخل السوء اتهم . ومن مزح استخف به . ومن
اكثر من شيء عرف به . ومن كثر كلامه كثر خطاؤه . ومن كثر خطاؤه قل حياؤه . ومن قل حياؤه قل
ورعه . ومن قل ورعه مات قلبه . ومن مات قلبه دخل النار . يا بني الادب خير ميراث
وحسن الخلق خير قرين . يا بني العافية عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت الا عن ذكر الله وواحد
في ترك مجالسة السفهاء . يا بني زينة الفقر الصبر . وزينة الغنا الشكر . يا بني لا شرف اعز
من الاسلام . ولا كرم اعز من التقوى . يا بني الحرص مفتاح التعب ومطية النصب طوبى
لمن اخلص لله عمله وعلمه وحبه وبغضه واخذه وتركه وكلامه وصمته وقوله
وفعله انتهى والوكيل القايم بالامور المنفذ فيها ما راه . وقوله ايها الناس مخاطبة للحاضرين
من العرب وتوقيف للسامعين لتحضر اذهانهم . وقوله باخرين يريد من نوعكم وتحتمل
الاية ان تكون وعيدا لجميع بني ادم ويكون الاخرين من غير نوعهم كالملائكة وقول الطبري
هذا الوعيد والتوبيخ للشافعين والمخاصمين في قصة بني ابيرق بعيد واللفظ انما يظهر
حسن رصفه بعمومه وانسحابه على العالم جملة او العالم الحاضر . وقوله تعالى من كان
يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة الاية اي من كان لا مراد له الا في ثواب
الدنيا ولا يعتقد ان ثم سواه فليس كما ظن بل عند الله سبحانه ثواب الدارين فمن قصد الاخرة
اعطاه الله من ثواب الدنيا واعطاه قصده ومن قصد الدنيا فقط اعطاه من الدنيا
ما قدر له وكان له في الاخرة العذاب والله تعالى سميع للاقوال بصير بالاعمال والنيات
وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل
امرء ما نوى الحديث قال النووي بلغنا عن ابن عباس انه قال انما يحفظ الرجل على قدر
نيته وقال غيره انما يعطى الناس على قدر نياتهم انتهى ثم خاطب سبحانه المومنين بقوله
كونوا قوامين بالقسط وهو العدل ومعنى شهداء لله اي لذاته ولوجهه ولمرضاته وقوله
ولو على انفسكم متعلق بشهداء هذا هو الظاهر الذي فسر عليه الناس وان هذه الشهادة
المذكورة في الحقوق ويحتمل ان يكون المعنى شهداء لله وشهادة المرء على نفسه هذا هو
بالوحدانية ويتعلق قوله ولو على انفسكم بقوامين بالقسط والتاويل الاول ابين
اقرار بالحقايق قال ص وقوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا ضمير يكن عايد على المشهود عليه
والضمير في بهما عايد على جنسي الغني والفقير انتهى قال ع وقوله اولى بهما اي هو انظر لهما
وروى الطبري ان هذه الاية هي بسبب نازلة بني ابيرق وقيام من قام فيها بغير القسط وقوله
سبحانه فلا تتبعوا الهوى نهي بين مرد مهلك وقوله سبحانه ان تعدلوا يحتمل ان يكون معناه
واتباع مرد
مخافة ان تعدلوا ويكون العدل هنا بمعنى العدول عن الحق ويحتمل ان يكون معناه محبة ان

تعدلوا ويكون العدل بمعنى القسط وقوله تعالى وان تلووا او تعرضوا الاية قال
ابن عباس هي في الخصمين يجلسان بين يدي القاضي فيكون لي القاضي واعراضه لاحدهما
على الاخر وقال ابن زيد وغيره هي في الشهود يلوي الشهادة بلسانه او يعرض عن ادائها
قال ع ولفظ الاية يعم القضاء والشهادة والتوسط بين الناس وكل انسان ماخوذ بان يعدل
والخصوم مطلوبون بعدل ما في القضاة فتامله وقد تقدم تفسير اللي وباقي الاية
وعيد . قوله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله اختلف من المخاطب بهذه
الاية فقيل الخطاب للمومنين ومعنى هذا الامر الثبوت والدوام وقالت فرقة الخطاب
لاهل الكتابين ورجحه الطبري وقيل الخطاب للمنافقين اي يا ايها الذين امنوا في الظاهر
ليكن ايمانكم حقيقة وقوله سبحانه ومن يكفر بالله الى اخر الاية وعيد وخبر مضمنه تحذير
المومنين من حالة الكفر وقوله سبحانه ان الذين امنوا ثم كفروا الاية قال مجاهد وابن زيد الاية
في المنافقين فان منهم من كان يومن ثم يكفر ثم يومن ثم يكفر ثم ازداد كفرا بان تم على
نفاقه حتى مات قال ع وهذا هو التاويل الراجح وتامل قوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم فانها
عبارة تقتضي ان هولاء محتوم عليهم من اول امرهم وكذلك ترددوا وليست هذه العبارة
مثل ان يقول لا يغفر الله لهم بل هي اشد فتامل الفرق بين العبارتين فانه دقيق غريب
الفصاحة التي في كتاب الله سبحانه وقوله سبحانه بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما في هذه
الاية دليل على ان التي قبلها انما هي في المنافقين ثم نص سبحانه من صفات المنافقين على
اشدها ضررا وهي موالاتهم الكافرين واطراحهم المومنين ونبه على فساد ذلك ليدعه
من عسى ان يقع في نوع منه من المومنين غفلة او جهالة او مسامحة ثم وقفهم سبحانه
على جهة التوبيخ فقال ايبتغون عندهم العزة والاستكثار اي ليس الامر كذلك فان
العزة لله جميعا يوتيها من يشاء وقد وعد بها المومنين وجعل العاقبة للمتقين
والعزة اصلها الشدة والقوة ومنه وعزني في الخطاب اي غلبني بشدته وقوله سبحانه وقد نزل
عليكم في الكتاب مخاطبة لجميع من اظهر الايمان من محقق ومنافق لانه اذا اظهر الايمان فقد
لزمه امتثال اوامر كتاب الله تعالى والاشارة بهذه الاية الى قوله تعالى واذا رايت الذين يخوضون
في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ونحو هذا من الايات والكتاب في هذا الموضع
القران وفي الاية دليل قوي على وجوب تجنب اهل البدع والمعاصي وان لا يجالسوا وقد
قيل نظم عن المرء لا تسل وسل عن قرينه . فكل قرين بالمقارن مقتد . وهذه المماثلة
ليست في جميع الصفات ثم توعد سبحانه المنافقين والكافرين بجمعهم في جهنم فتاكد بذلك
النهي عن مجالستهم وخلطتهم وقوله تعالى الذين يتربصون بكم الاية هذه صفة المنافقين
ويتربصون بكم معناه ينتظرون دور الدوائر عليكم فان كان فتح للمومنين ادعوا فيه النصيب
بحكم ما يظهرونه من موالات الكفار وهذا حال المنافقين ونستحوذ معناه نغلب على
امركم ونحوطكم ومنه استحوذ عليهم الشيطان معناه غلب على امرهم ثم سلى سبحانه المومنين
وانسهم بما وعدهم به في قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة اي وبينهم وينصفكم من جميعهم وبقوله
تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا اي يوم القيامة قاله علي رضي الله عنه

وعليه جميع اهل التاويل و السبيل الحجة والغلبة قلت الا ان ابن العربي لم يرتض هذا
التاويل قال وانما معنى الاية احد ثلاثة وجوه الاول ان يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا
يمحو دولة المؤمنين ويستبيح بيضتهم الثاني لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا الا ان يتواصوا
بالباطل ولا يتناهوا عن المنكر ويتباعدوا عن التوبة فيكون تسليط العدو من قبلهم وهذا
نفيس جدا الثالث لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا بالشرع فان وجد ذلك فبخلاف الشرع
ونزع بهذا علماؤنا بالاحتجاج على ان الكافر لا يملك العبد المسلم انتهى ومخادعة المنافقين هي
لاولياء الله ففي الكلام حذف مضاف اذ لا يقصد احد من البشر مخادعة الله سبحانه وقوله
وهو خادعهم عبارة عن عقوبتهم سماها باسم الذنب وقال ابن جريج والحسن والسدي وغيرهم من
المفسرين ان هذا الخدع هو ان الله تعالى يعطي لهذه الامة يوم القيمة نورا لكل انسان مؤمن او منافق
فيفرح المنافقون ويظنون انهم قد نجوا فاذا جاؤوا الى الصراط طفئ نور كل منافق ونهض
المؤمن فذلك قول المنافقين انظرونا نقتبس من نوركم فذلك هو الخدع الذي يجري على المنافقين
ثم ذكر تعالى كسلهم في الصلاة وتلك حال كل من يعمل كارها غير معتقد فيه الصواب بل تقية
او مصانعة قال ابن العربي في احكامه قوله تعالى ولا يذكرون الله الا قليلا روى مالك وغيره
عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تلك صلاة المنافقين تلك صلاة المنافقين تلك
صلاة المنافقين يجلس احدهم حتى اذا اصفرت الشمس وكانت بين قرني الشيطان قام ينقر اربعا
لا يذكر الله فيها الا قليلا قال ابن العربي وقد بين تعالى صلاة المؤمنين بقوله قد افلح المؤمنون الذين هم
في صلوتهم خاشعون ومن خشع خضع واستمر ولم ينقر صلاته ولم يستعجل انتهى ومذبذبين
معناه مضطربين لا يثبتون على حال والتذبذب الاضطراب فهؤلاء المنافقون مترددون
بين الكفار والمؤمنين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء كما قال صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل
الشاة العائرة بين الغنمين والاشارة بذلك الى حالتي الكفر والايمان وقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين الاية خطاب سبحانه للمؤمنين يدخل فيه
بحكم الظاهر المنافقون المظهرون للايمان ففي اللفظ رفق بهم وهم المراد بقوله سبحانه اتريدون
ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا لان هذا التوقيف انما هو لمن الم بشيء من الفعل المؤدي
الى هذا الحال والمؤمنون المخلصون ما الموا قط بشيء من ذلك ويقوي هذا المنزع
قوله تعالى من دون المؤمنين اي والمؤمنون العارفون المخلصون غيب عن هذه الموالاة
وهذا لا يقال للمؤمنين المخلصين بل المعنى يا ايها الذين اظهروا الايمان والتزموا لوازمه
والسلطان الحجة ثم اخبر تعالى عن المنافقين انهم في الدرك الاسفل من نار جهنم وذلك
لانهم اسرى غوائل من الكفار واشد تمكنا من اذى المسلمين قلت وايضا لانهم شاهدوا من معجزات
النبي صلى الله عليه وسلم وما جعل الله على يديه من الخوارق ما لم يشاهد غيرهم من
الكفار فكانت الحجة عليهم اعظم وكان كفرهم محض عناد وروي عن ابي هريرة وابن مسعود
وغيرهما انهم قالوا المنافقون في الدرك الاسفل من النار في توابيت من النار تغلق
عليهم ثم استثنى عز وجل التائبين من المنافقين ومن شروط التائب ان يصلح في قوله
وفعله ويعتصم بالله اي يجعله منعته وملجاه ويخلص دينه لله تعالى والا فليس بتائب وقوله

فاولئك

فاولئك مع المؤمنين اي في رحمة الله سبحانه وفي منازل الجنة ثم وعد سبحانه المؤمنين
الاجر العظيم وهو التخليد في الجنة قال ص فاولئك خبره مضمر والتقدير فاولئك مؤمنون
مع المؤمنين قاله ابو البقاء انتهى ثم قال سبحانه للمنافقين ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم
الاية اي اي منفعة له سبحانه في ذلك او حاجة قال ابو عبد الله اللخمي زعم الطبري ان قوله تعالى
ما يفعل الله بعذابكم خطاب للمنافقين ولا يكاد يقوم له على ذلك دليل يقطع به وليس في ذكر
المنافقين قبله ما يقتضي ان يحمل عليهم خاصة مع احتمال الاية للعموم فقطعه بان الاية
في المنافقين حكم لا يقوم به دليل انتهى وهو حسن اذ حمل الاية على العموم احسن والعجب من
ابن عطية كيف تبع الطبري في هذا التخصيص ويظهر والله اعلم انهما عولا في تخصيص الاية
على قوله تعالى وامنتم وهو محتمل ان يحمل في حق المنافقين على ظاهره وفي حق المؤمنين على معنى دمتم
على ايمانكم والله اعلم والشكر على الحقيقة لا يكون الا مقترنا بالايمان لكنه ذكر الايمان تاكيدا وتنبيها
على جلالة موقعه ثم وعد الله سبحانه بقوله وكان الله شاكرا عليما اي يتقبل اقل شيء من العمل
وينميه فذلك شكر منه سبحانه لعباده والشكور من البهائم الذي ياكل قليلا ويظهر به بدنه
والعرب تقول في مثل اشكر من بروقة لانها يقال تخضر من السحاب دون مطر وفي قوله
عليما تحذير وندب الى الاخلاص قوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الاية قراءة
الجمهور بضم الظاء وقرئ شاذا بفتحها واختلف على قراءة الجمهور فقالت فرقة المعنى لا يحب الله
ان يجهر احد بالسوء من القول الا من ظلم فلا يكره له الجهر به ثم اختلفت هذه الفرقة في كيفية
الجهر بالسوء وما هو المباح منه فقال ابن عباس وغيره لا باس لمن ظلم ان ينتصر ممن ظلمه بمثل ويجهر
له بالسوء من القول اي بما يوازي الظلامة وقال مجاهد وغيره نزلت في الضيف المحول
رحله فانه رخص له ان يجهر بالسوء من القول للذي لم يكرمه يريد بقدر الظلم والظلامة
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان
يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يؤذي جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل

فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن
بالله واليوم الاخر

خيرا او ليصمت انتهى وسميعا عليما صفتان لائقتان بالجهر بالسوء وبالظلم ايضا
فانه يعلمه ويجازي عليه ولما ذكر سبحانه عذر المظلوم في ان يجهر بالسوء لظالمه اتبع
ذلك عرض ابداء الخير واخفائه والعفو عن السوء ثم وعد عليه سبحانه بقوله فان
الله كان عفوا قديرا وعدا خفيا تقتضيه البلاغة ورغب سبحانه في العفو اذ
ذكر انها صفته مع القدرة على الانتقام قال ع ففي هذه الالفاظ اليسيرة معان كثيرة لمن
تاملها قال الداودي وعن ابن عمر انه قال لا يحب الله سبحانه ان يدعو احد على احد الا ان
يظلم فقد رخص له في ذلك انتهى قوله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله الى
الاية نزلت في اليهود والنصارى وقد تقدم بيان هذه المعاني وقوله تعالى والذين
امنوا بالله ورسله الاية لما ذكر سبحانه ان المفرقين بين الرسل هم الكافرون حقا
عقب ذلك بذكر المؤمنين بالله ورسله جميعا وهم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه
وسلم ليصرح بوعد هؤلاء كما صرح بوعيد اولئك فبين الفرق بين المنزلتين وقوله
يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء الاية قال قتادة سالت اليهود النبي

صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بكتاب من عند الله خاص لليهود يأمرهم فيه بالايمان بمحمد صلى
الله عليه وسلم ونحوه عن ابن جريج وزاد الى فلان والى فلان انك رسول الله ثم قال
سبحانه على جهة التسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم فقد سألوا موسى اكبر من ذلك وفي
الكلام محذوف يدل عليه المذكور تقديره فلا تبال يا محمد من سؤالهم وتشططهم فانها
عادتهم وجهرة علنا وليس على ان جهرة معمول لارنا حتى نراه جهارا اي عيانا واهل السنة
يعتقدون ان هؤلاء لم يسألوا محالا عقلا لكنه محال من جهة الشرع اذ قد اخبر تعالى على
انبيائه انه لا يرى سبحانه في هذه الدنيا والرؤية في الآخرة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم
بالخبر المتواتر وهي جائزة عقلا من غير تحديد ولا تكييف ولا تحيز كما هو تعالى معلوم
لا كالمعلومات كذلك مرئي لا كالمرئيات سبحانه هذه حجة اهل السنة وقولهم وقد تقدم قصص القوم
في البقرة وظلمهم هو تعنتهم وسؤالهم ما ليس لهم ان يسألوه وقوله تعالى ثم اتخذوا العجل ثم
ترتيب في الاخبار لا في نفس الامر التقدير ثم كان من امرهم ان اتخذوا العجل وذلك ان
اتخاذ العجل كان عند امر موسى الى المناجاة ولم يكن الذين صعقوا ممن اتخذ العجل لكن الذين
اتخذوه كانوا قد جاءتهم البينات وقوله سبحانه فعفونا عن ذلك يعني بما امتحنهم به من القتل
لانفسهم ثم وقع العفو عن الباقين منهم وقوله سبحانه فبما نقضهم ما زائدة مؤكدة التقدير
فبنقضهم فالآية مخبرة عن اشياء واقعوها هي ضد ما امروا به وحذف جواب هذا الكلام
بليغ مبهم متروك مع ذهن السامع تقديره لعناهم ونحوه ثم قال سبحانه وبكفرهم اي
بعيسى وقولهم على مريم بهتانا هو رميهم اياها بالزنا بعد رؤيتهم الآية في كلام عيسى في المهد
وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم الآية هذه الآية والتي قبلها عدد الله فيها اقوال بني
اسرائيل وافعالهم على اختلاف الازمان وتعاقب القرون فاجتمع من ذلك توبيخ خلفهم المعاصرين
لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهذه الطائفة التي قالت انا قتلنا المسيح غير الذين نقضوا
الميثاق في الطور وغير الذين اتخذوا العجل وقول بني اسرائيل انما هو الى قوله عيسى ابن مريم
وقوله تعالى رسول الله انما هو اخبار من الله تعالى بصفة لعيسى وهي الرسالة على جهة اظهار ذنب
هؤلاء المقرين بالقتل ولزمهم الذنب وهم لم يقتلوا عيسى لانهم صلبوا ذلك الشخص على انه عيسى
وعلى ان عيسى كذاب ليس برسول الله فلزمهم الذنب من حيث اعتقدوا ان قتلهم وقع في عيسى
قال ص وعيسى بدل او عطف بيان من المسيح ورسول الله كذلك ويجوز ان يكون صفة
لعيسى وان يكون نصبا على اضمار اعني قلت وهذا الاخير احسنها من جهة المعنى انتهى ثم اخبر سبحانه
ان بني اسرائيل ما قتلوا عيسى وما صلبوه ولكن شبه لهم واختلف الرواة في هذه القصة
والذي لا شك فيه ان عيسى عليه السلام كان يسيح في الارض ويدعو الى الله وكانت بنو اسرائيل
تطلبه وملكهم في ذلك الزمان يجعل عليه الجعائل وكان عيسى قد انضوى اليه الحواريون
يسيرون معه حيث سار فلما كان في بعض الاوقات شعر بامر عيسى فروي ان رجلا من اليهود
جعل له جعل فما زال ينقر عنه حتى دل على مكانه فلما احس عيسى واصحابه بتلاحق الطالبين
دخلوا بيتا بمرأى من بني اسرائيل فروي انهم عدوهم ثلاثة عشر وروي ثمانية عشر
وحصروا ليلا فروي ان عيسى فرق الحواريين عن نفسه تلك الليلة ووجههم الى الآفاق

وبقي هو ورجل معه فرفع عيسى والقي شبهه على الرجل فصلب ذلك وروي ان
الشبه القي على اليهودي الذي دل عليه فصلب وروي ان عيسى عليه السلام لما احيط بهم
فقال لاصحابه ايكم يلقى عليه شبهي فيقتل ويخلص هؤلاء وهو رفيقي في الجنة فقال سرجس انا
فالقي عليه شبه عيسى وروي ان شبه عيسى القي على الجماعة كلها فلما اخرجهم بنو اسرائيل نقصوا
واحدا من العدة فاخذوا واحدا ممن عليه الشبه حسب هذه الروايات التي ذكرناها فصلبوه
وروي ان الملك والمتناولين لم يخف عليهم امر عيسى لما رأوه من نقصان العدة واختلاط
الامر وقوله تعالى وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه الآية يعني اختلاف المحاولين لاخذه
لانهم حين فقدوا واحدا من العدد وتحدث برفع عيسى اضطربوا واختلفوا لكنهم
اجمعوا على صلب واحد من غير ثقة ولا يقين انه هو وقوله تعالى وما قتلوه يقينا قال ابن عباس
وجماعة المعنى وما صح ظنهم عندهم ولا تحققوه يقينا فالضمير في قتلوه عندهم عائد على
الظن كما تقول ما قتلت هذا الامر علما وعن السدي وما قتلوا امره يقينا ان الرجل هو عيسى
انتهى من مختصر الطبري وقال قوم الضمير عائد على عيسى اخبر سبحانه انهم ما قتلوه في الحقيقة جملة
واحدة لا يقينا ولا شكا لكن لما حصلت في ذلك الدعوى صار قتله عندهم مشكوكا فيه
وقال قوم من اهل اللسان الكلام تام في قوله وما قتلوه ويقينا مصدر مؤكد للنفي في
قوله وما قتلوه المعنى نخبركم يقينا او نقص عليكم او ايقنوا بذلك يقينا وقال ص بعد يقينا
كلام والظاهر ان الضمير في قتلوه عائد على عيسى لتتحد الضمائر ويقينا منصوب في موضع الحال
من فاعل قتلوه اي مستيقنين انه عيسى او نعت لمصدر محذوف اي قتلا يقينا انتهى وقوله بل
رفعه الله اليه يعني الى سمائه وكرامته وعيسى عليه السلام في السماء على ما تضمنه حديث
الاسراء في ذكر ابني الخالة عيسى ويحيى ذكره البخاري في حديث المعراج وذكره غيره وهو هنالك مقيم
حتى ينزله الله تعالى لقتل الدجال وليملأ الارض عدلا ويحيا فيها اربعين سنة ثم يموت كما
يموت البشر وقوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اختلف في معنى الآية فقال
ابن عباس وغيره الضمير في موته راجع الى عيسى والمعنى انه لا يبقى من اهل الكتاب احد اذا نزل عيسى
الى الارض الا يؤمن بعيسى كما يؤمن سائر البشر وترجع الاديان كلها واحدا بعيسى يرجعون
على دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ عيسى واحد من امته وعلى شريعته وامامنا منا
كما ورد في الحديث الصحيح وقال مجاهد وابن عباس ايضا وغيرهما الضمير في به عائد
لعيسى وفي موته للكتابي لكن عند المعاينة للموت فهو ايمان لا ينفعه وقال عكرمة الضمير في
به لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولو غرقا وسقط عليه جدار فانه يؤمن في ذلك الوقت
وفي مصحف ابي بن كعب قبل موتهم ففي هذه القراءة تقوية لعود الضمير على الكتابي
قال ص وان من اهل الكتاب الآية ان هنا نافية والمخبر عنه محذوف قامت صفته مقامه
اي وما احد من اهل الكتاب كما حذف في قوله وان منكم الا واردها وقوله وما منا الا
له مقام معلوم اي وما احد منا وما احد منكم قال الشيخ ابو حيان وليؤمنن به جواب قسم
محذوف والقسم وجوابه هو الخبر وكذا ايضا الا له مقام والا واردها هما الخبر قال الزجاج
وحذف احد مطلوب في كل نفي يدخله الاستثناء نحو ما قام الا زيد اي ما قام احد الا زيد

انتهى وقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الاية فبظلم معطوف
على قوله سبحانه فبما نقضهم والطيبات هنا هي الشحوم وبعض الذبائح والطير والحوت وغير ذلك
وقرأ ابن عباس طيبات كانت احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا يحتمل ان يريد صدهم في ذاتهم ويحتمل ان
يريد صدهم غيرهم واخذهم الربا هو الدرهم بالدرهمين الى اجلين ونحو ذلك مما مفسده وقد
نهوا عنه ثم استثنى سبحانه الراسخين منهم كعبد الله بن سلام ومخيريق ومن جرى مجراهم واختلف
الناس في قوله سبحانه والمقيمين الصلاة وكيف خالف اعرابها اعراب ما تقدم وما تأخر
فقال بعض نحاة البصرة والكوفة انما هذا من قطع النعوت اذا كثرت على النصب باعني والرفع
بعد ذلك بهم وقال قوم والمقيمين عطف على ما في قوله وما انزل من قبلك والمعنى يؤمنون
بالمقيمين الصلاة وهم الملائكة او من تقدم من الانبياء وقال قوم والمقيمين عطف على
الضمير في منهم وقال الآخرون بل على الكاف في قوله من قبلك وذا د ص ان المقيمين منصوب على
المدح قال وقرأ جماعة والمقيمون انتهى قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين
من بعده الاية سبب نزولها قول بعض احبار يهود ما انزل الله على بشر من شيء فانزل الله سبحانه الاية
تكذيبا لهم قال ع اسمعيل هو الذبيح في قول المحققين والوحي القاء المعنى في خفاء، وعرفه في الانبيا
بوساطة جبريل عليه وكلم الله سبحانه موسى بكلام دون تكييف ولا تحديد ولا حرف ولا
صوت والذي عليه الراسخون في العلم ان الكلام هو المعنى القائم في النفس ويخلق الله لموسى ادراكا من
جهة السمع يتحصل به الكلام وكما ان الله تعالى موجود لا كالموجودات معلوم لا كالمعلومات فكذلك
كلامه لا كالكلام وقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لانه رسلا بدل من الاول واراد سبحانه
ان يقطع بالرسل احتجاج من يقول لو بعث الي رسول لامنت والله سبحانه عزيز لا يغالبه شيء ولا حجة
عليه في افعاله فقطع الحجة حكمة منه سبحانه وقوله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك الاية سببها قول حكيم
اليهود ما انزل الله على بشر من شيء وقال ص لكن استدراك ولا يبتدا بها فتعين تقدير جملة
قبلها يبينها سبب النزول وهو انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل
لكن الله يشهد انتهى وقوله انزله بعلمه هذه الاية من اقوى متعلقات اهل السنة في اثبات علم الله
عز وجل خلافا للمعتزلة في انهم يقولون عالم بلا علم والمعنى عند اهل السنة انزله وهو يعلم انزاله
ونزوله وقوله سبحانه والملائكة يشهدون تقوية لامر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وردا
على اليهود وقوله سبحانه وكفى بالله شهيدا تقديره وكفى الله شهيدا لكنه دخلت الباء لتدل على
ان المراد اكتفوا بالله وباقي الاية بين قوله تعالى يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم
الاية خطاب لجميع الناس وهو دعاء الى الشرع ولو كان امرا من اوامر الاحكام ونحو هذا لكان يا ايها الذين
امنوا والرسول في الاية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال سبحانه وان تكفروا فان لله ما في السموات
والارض وهذا خبر بالاستغناء وان ضرر الكفر انما هو نازل بهم ثم خاطب سبحانه اهل
الكتاب من النصارى وهو ان يدعوا الغلو وهو تجاوز الحد وقوله في دينكم معناه في دين الله
الذي انتم مطلوبون به بان يوحدوا الله ولا تقولوا على الله الا الحق وليست الاشارة الى دينهم
المضلل وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبده ورسوله

وكلمته القاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق وان النار حق ادخله الله الجنة
على ما كان من عمل رواه مسلم والبخاري والنسائي وفي مسلم ادخله الله من اي ابواب
الجنة الثمانية شاء انتهى وقوله تعالى فامنوا بالله ورسله اي الذين من جملتهم عيسى ومحمد
عليهما السلام وقوله سبحانه انما الله اله واحد انما في هذه الاية حاصرة وسبحانه معناه
تنزيها له وتعظيما والاستنكاف اباية بانفة قال ع وقوله سبحانه ولا الملائكة المقربون
زيادة في الحجة وتقريب من الاذهان اي وهؤلاء الذين هم اعلى درجات المخلوقين لا
يستنكفون عن ذلك فكيف بسواهم وفي هذه الاية دليل على تفضيل الملائكة على الانبيا
وقوله سبحانه فسيحشرهم عبارة وعيد قال ع وهذا الاستنكاف انما يكون من الكفار عن
اتباع الانبياء وما جرى مجراه وقوله سبحانه يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم الاية
اشارة الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والبرهان الحجة النيرة الواضحة التي تعطي اليقين
التام والنور المبين يعني القرآن فيه بيان كل شيء وفي صحيح مسلم عن زيد بن ارقم
قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه
ووعظ وذكر ثم قال اما بعد الا ايها الناس فانما انا بشر مثلكم يوشك ان ياتيني رسول
ربي فاجيب وانا تارك ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله
واستمسكوا فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي
اذكركم الله ثلاثا في اهل بيتي الحديث وفي رواية كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به
واخذ به كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة انتهى وقوله سبحانه فاما الذين
امنوا بالله واعتصموا به اي اعتصموا بالله ويحتمل اعتصموا بالقرآن كما قال عليه السلام
القرآن حبل الله المتين من تمسك به عصم والرحمة والفضل الجنة ونعيمها ويهديهم
معناه الى الفضل وهذه هداية طريق الجنان كما قال تعالى سيهديهم ويصلح بالهم الاية
لان هداية الارشاد فقد تقدمت وتحصلت حين امنوا واعتصموا بكتابه فيهديهم
هنا بمعنى يعرفهم وباقي الاية بين قوله تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة تقدم
القول في تفسير الكلالة في صدر السورة وكان امر الكلالة عند عمر بن الخطاب رضي الله
عنه مشكلا والله اعلم ما الذي اشكل عليه منها وقول النبي صلى الله عليه وسلم له تكفيك
منها اية الصيف التي نزلت في اخر سورة النساء بيان فيه كفاية قال كثير من الصحابة هذه
الاية هي من آخر ما نزل وقوله سبحانه يبين الله لكم ان تضلوا التقدير لئلا تضلوا والله بكل
شيء عليم سبحانه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم هذه السورة مدنية باجماع قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا اوفوا بالعقود الاية امر في الوفاء بالعقود وهي الربوط في القول كان ذلك في
تعاهد على بر او في عقد نكاح او بيع او غيره فمعنى الاية امر جميع المؤمنين بالوفاء على عقد
جار على رسم الشريعة وفسر بعض الناس لفظ العقود بالعهود وقال ابن شهاب قرأت في
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتب لعمرو بن حزم حين بعثه الى نجران وفي صدره
هذا بيان من الله ورسوله يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود فكتب الايات الى ان الله سريع الحساب

قال ع واصوب ما يقال في هذه الآية ان تعم الفاظها بغاية ما تناول فيعم لفظ المؤمنين
في مؤمني اهل الكتاب وفي كل مظهر للايمان وان لم يبطنه وفي المؤمنين حقيقة ويعم لفظ
العقود في كل ربط بقول موافق للحق والشرع وقوله تعالى احلت لكم بهيمة الانعام اختلف في معنى
بهيمة الانعام فقال قتادة وغيره هي الانعام كلها ع كانه قال احلت لكم الانعام وقال الطبري قال
قوم بهيمة الانعام وحشيها وهذا قول حسن وذلك ان الانعام هي الثمانية الازواج وانضاف اليها من سائر
الحيوان ما يقال له انعام بمجموعه معها والبهيمة في كلام العرب ما ابهم من جهة نقص النطق والفهم
وقوله الا ما يتلى عليكم استثناء في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الآية وما في موضع نصب على اصل
الاستثناء وقوله سبحانه غير محلي الصيد نصب غير على الحال من الكاف والميم في قوله احلت لكم وهو استثناء
بعد استثناء قال ص وهذا هو قول الجمهور واعترض بانه يلزم منه تقييد الحلية بحالة كونهم
غير محلين الصيد وهم حرم والحلية ثابتة مطلقا قال م والجواب عندي عن هذا ان المفهوم
هنا متروك لدليل خارجي وكثير في القرآن وغيره من المفهومات المتروكة لمعارض ثم ذكر
ما نقله ابو حيان من الوجوه التي لم يرتضها م وما فيها من التكلف ثم قال ولا شك ان ما ذكره
الجمهور من انه حال وان لزم عنه الترك بالمفهوم فهو اولى من تخريج يبنو عنه المفهوم انتهى وقوله
سبحانه ان الله يحكم ما يريد تقوية لهذه الاحكام الشرعية المخالفة لمعهود احكام الجاهلية اي
فانت ايها السامع لنسخ التي عهدت تنبه فان الله الذي هو مالك الكل يحكم ما يريد لا معقب
لحكمه سبحانه قال ع وهذه الآية مما تلوح فصاحتها وكثرة معانيها على قلة الفاظها لكل ذي بصر
بالكلام ولمن عنده ادنى بصارة وقد حكى النقاش ان اصحاب الكندي قالوا للكندي ايها الحكيم
اعمل لنا مثل هذا القرآن فقال نعم اعمل لكم مثل بعضه فاحتجب اياما كثيرة ثم خرج فقال والله
ما اقدر عليه ولا يطيق هذا احد اني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة فنظرت فاذا هو قد
قد امر بالوفاء ونهى عن النكث وحلل تحليلا عاما ثم استثنى استثناء بعد استثناء ثم اخبر عن
قدرته وحكمته في سطرين ولا يستطيع احد ان ياتي بهذا الا في اجلاد وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا
لا تحلوا شعائر الله خطاب للمؤمنين حقا ان لا يتعدوا حدود الله في امر من الامور قال عطاء
ابن ابي رباح شعائر الله جميع ما امر به سبحانه او نهى عنه وهذا قول راجح فالشعائر جمع شعيرة
اي قد اشعر الله انها حده وطاعته فهي بمعنى معالم الله وقوله تعالى ولا الشهر الحرام اي لا تحلوه
بقتال ولا غارة والاظهر ان الشهر الحرام اريد به رجب ليشتد امره وهو شهر كان تحريمه مختصا
بقريش وكانت تعظمه ويحتمل انه اريد به الجنس في جميع الاشهر الحرم وقوله سبحانه ولا الهدي معناه
لا يستحل ولا يغار عليه ثم ذكر المقلد منه تاكيدا ومبالغة في التنبيه على الحرمة في التقليد هذا
كلام ابن عباس وقال الجمهور الهدي عام في انواع ما يهدى قربة والقلائد ما كان الناس يتقلدونه من
لحا السمر وغيره امنة لهم وقال ص والقلائد اي ولا ذوات القلائد وقيل المراد القلائد نفسها
مبالغة في النهي عن التعرض للهدي انتهى وقوله سبحانه ولا امين البيت الحرام اي قاصديه من
الكفار المعنى لا تحلوهم فتغيرون عليهم وهذا منسوخ بآية السيف بقوله تعالى فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم فكلما في هذه الآية مما يتصور في مسلم حاج فهو محكم وكل ما كان منها في الكفار
فهو منسوخ وقوله سبحانه يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا قال فيه جمهور المفسرين معناه

يبتغون الفضل من الارباح في التجارة ويبتغون مع ذلك رضوانه في ظنهم وطمعهم وهذه
الآية نزلت عام الفتح وفيها استيلاف من الله سبحانه للعرب ولطف بهم لتنبسط النفوس بتداخل
الناس ويردون الموسم فيستمعون القرآن ويدخل الايمان في قلوبهم وتقوم عليهم الحجة كالذي كان ثم
نسخ الله ذلك كله بعد عام في سنة تسع اذ حج ابو بكر رضي الله عنه ونودي في الناس بسورة
براءة وقوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا يجيء اباحة الصيد عقب التشديد فيه حسن في فصاحة القول
وقوله سبحانه فاصطادوا صيغة امر ومعناه الاباحة باجماع وقوله تعالى ولا يجرمنكم معناه لا يكسبنكم
وجرم الرجل معناه كسب وقال ابن عباس معناه لا يحملنكم والمعنى متقارب والتفسير الذي يخص اللفظ
هو معنى الكسب وقوله شنآن قوم الشنآن هو البغض فاما من قرأ شنان بفتح النون فالاظهر فيه
انه مصدر كانه قال لا يكسبنكم بغض قوم من اجل ان صدوكم عدوانا عليهم وظلما لهم وهذه
الآية نزلت عام الفتح سنة ثمان حين اراد المسلمون ان يستطيلوا على قريش والفافها المتظاهرين
على صد رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عام الحديبية وذلك سنة ست من الهجرة
فحصلت بذلك بغضة في قلوب المؤمنين وحسيكة للكفار فقيل للمؤمنين عن مكافاتهم واذ
لله فيهم ارادة خير وفي علمه ان منهم من يؤمن كالذي كان وقرا ابو عمرو وابن كثير ان صدوكم في معنى
ان وقع مثل ذلك في المستقبل وقراءة الجمهور امكن ثم امر سبحانه الجميع بالتعاون على البر والتقوى
قال قوم هما لفظان بمعنى وفي هذا تسامح والعرف في دلالة هذين ان البر يتناول الواجب والمندوب
والتقوى رعاية الواجب فان جعل احدهما بدل الآخر فبتجوز قلت وقال احمد بن نصر الداودي
قال ابن عباس البر ما امرت به والتقوى ما نهيت عنه انتهى وقد ذكرنا في غير هذا الموضع ان لفظ
التقوى يطلق على معان وقد بيناها في آخر سورة النور وفي الحديث الصحيح والله في عون العبد
ما كان العبد في عون اخيه قال ابن الفاكهاني عند شرحه لهذا الحديث وقد روينا في بعض الاحاديث
من سعى في حاجة اخيه المسلم قضيت له او لم تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وكتب
له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق انتهى من شرح الاربعين حديثا ثم نهى سبحانه عن التعاون
على الاثم والعدوان ثم امر بالتقوى وتوعد توعدا مجملا قال النووي وعن وابصة بن معبد
انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسال عن البر والاثم قال نعم فقال استفت قلبك البر ما اطمانت
اليه النفس واطمان اليه القلب والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وان افتاك الناس وافتوك
حديث حسن رويناه في مسند احمد يعني ابن حنبل والدارمي وغيرهما وفي الصحيح عن النواس بن سمعان
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في نفسك وكرهت ان يطلع
عليه الناس انتهى وقوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم الآية تعديد لما يتلى على الامة مما استثني
من بهيمة الانعام والدم معناه المسفوح ولحم الخنزير مقتض لشحمه باجماع وما اهل لغير
الله به قد تقدم والمنخنقة معناه التي تموت خنقا والموقوذة التي ترمى او تضرب بعصا
وشبهها والمتردية هي التي تتردى من علو الى اسفل فتموت والنطيحة فعيلة بمعنى مفعولة
وما اكل السبع يريد كل ما افترس ذو ناب واظفار من الحيوان وكانت العرب تاكل هذه المذكورات
ولم تعتقد ميتة الا ما مات بالوجع ونحو ذلك واختلف العلماء في قوله تعالى الا ما ذكيتم فقال ابن عباس
وجمهور العلماء الاستثناء من هذه المذكورات فما ادرك منها يطرف بعين او يحرك ذنبا او يده

براءة م

كودت

ما يتحقق انه لم تفض نفسه بل له حياة فانه يزكى على سنة الزكاة يؤكل وما فاضت نفسه فهو
الميتة وقال مالك مثل هذا القول وقال ايضا وهو المشهور عنه وعن اصحابه من اهل المدينة ان قوله
تعالى الا ما ذكيتم معناه من هذه المذكورات في وقت تصح فيه ذكاتها وهو ما لم ينفذ مقاتلها ويتحقق
انها لا تعيش ومتى صارت في هذا الحد فهي في حكم الميتة فالاستثناء عند مالك متصل كقول الجمهور
لكنه يخالف في الحال التي تصح فيها ذكاة هذه المذكورات واحتج لمالك بان هذه المذكورات لو كانت
تحرم بالموت لما كان في ذكرها فائدة لكن ذكر الميتة اولا يغني عنها ومن حجة المخالف ان قال انما ذكرت بسبب ان العرب
كانت تعتقد ان هذه الحوادث كالذكاة فلو لم يذكرها غير الميتة لظنت انها ميتة الوجع حسبما كانت
عليه والذكاة في كلام العرب الذبح وقوله تعالى سبحانه وما ذبح على النصب عطف على المحرمات
المذكورات والنصب حجارة تنصب يذبحون عليها قال ابن جريج وليست النصب باصنام الصنم
يصور وينقش وهذه حجارة تنصب وكانت العرب تعبدها قال ابن زيد ما ذبح على النصب
وما اهل به لغير الله شيء واحد قال ع ما ذبح على النصب جزء مما اهل به لغير الله لكن خص بالذكر
بعد جنسه لشهرة امره وقوله تعالى وان تستقسموا بالازلام حرم الله سبحانه طلب القسم وهو
النصيب او القسم بفتح القاف وهو المصدر بالازلام وهي سهام قال صاحب سلاح المؤمن
والاستقسام هو الضرب بها لاخراج ما قسم لهم وتمييزه بزعمهم انتهى والازلام للعرب على انواع منها
الثلاثة كان يتخذها كل انسان لنفسه على احدها افعل وعلى الاخر لا تفعل والثالث مهمل
لا شيء عليه فيجعلها في خريطة معه فاذا اراد فعل شيء ادخل يده وهي متشابهة فاخرج احدها
وائتمر له وانتهى بحسب ما يخرج له وان خرج القدح الذي لا شيء فيه اعاد الضرب وقوله سبحانه
ذلكم فسق اليوم اشارة الى الاستقسام بالازلام وقوله تعالى اليوم يئس الذين كفروا من دينكم
معناه عند ابن عباس وغيره من ان ترجعوا الى دينهم وظاهر امر النبي صلى الله عليه وسلم
وامر اصحابه وظهور الدين يقتضي ان ياس الكفار عن الرجوع الى دينهم قد كان وقع منذ زمان
وانما هذا الاياس عندي من اضمحلال امر الاسلام وفساد جمعه لان هذا امر كان يترجاه من بقي
من الكفار الا ترى الى قول اخي صفوان بن امية في يوم هوازن حين انكشف المسلمون وظنوا
هزيمة الا بطل السحر اليوم الى غير هذا من الامثلة وهذه الاية في قول الجمهور عمر بن الخطاب وغيره
نزلت في عشية يوم عرفة يوم الجمعة وفي ذلك اليوم ان محي امر المشركين من مشاعر الحج ولم يحضر
من المشركين الموسم بشر فيحتمل قوله تعالى اليوم اشارة ان تكون الى اليوم بعينه ويحتمل ان تكون
اشارة الى الزمن والوقت اي هذا الاوان يئس الكفار من دينكم وقوله تعالى الذين كفروا يعم
سائر الكفار من العرب وغيرهم وهذا يقوي ان الياس انما هو من انحلال امر الاسلام وامر
سبحانه بخشيته التي هي راس كل عبادة كما قال صلى الله عليه وسلم ومفتاح كل خير وقوله تعالى
اليوم اكملت لكم دينكم يحتمل الاشارة باليوم ما قد ذكرناه حكى الطبري ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يعش بعد نزول هذه الاية الا احدى وثمانين ليلة والظاهر انه عاش صلى الله عليه وسلم
اكثر بايام يسيرة قلت وفي سماع ابن القاسم قال مالك بلغني رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في اليوم الذي توفي فيه وقف على بابه فقال اني لا احل الا ما احل الله في كتابه ولا احرم
الا ما حرم الله في كتابه يا فاطمة بنت رسول الله ويا صفية عمة رسول الله اعملا لما عند الله

فاني لا اغني عنكما من الله شيئا قال ابن رشد هذا حديث يدل على صحته قول الله عز وجل
ما فرطنا في الكتاب من شيء وقال تبيانا لكل شيء فالمعنى في ذلك ان الله عز وجل نص على بعض الاحكام
واجمل القول في بعضها واحال على الادلة في سائرها بقوله ولو ردوه الى الرسول والى اولي
الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فبين النبي عليه السلام ما اجمله الله في كتابه كما امر حيث
يقول لتبين للناس ما نزل اليهم فما احل صلى الله عليه وسلم او حرم ولم يوجد في القرآن نصا فهو
مما بين من مجمل القرآن او علمه مما نصب من الادلة فيه فهذا معنى الحديث والله اعلم فما ينطق
صلى الله عليه وسلم عن الهوى ان هو الا وحي يوحى انتهى من البيان والتحصيل وفي الصحيح
ان عمر بن الخطاب قال له يهودي اية في كتابكم تقرؤونها لو علينا نزلت لاتخذنا ذلك
اليوم عيدا فقال له عمر اي اية هي فقال اليوم اكملت لكم دينكم فقال له عمر قد علمنا ذلك
اليوم نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة يوم الجمعة قال ع
ففي ذلك اليوم عيدان لاهل الاسلام الى يوم القيمة واتمام النعمة هو في ظهور الاسلام ونور العقائد
وكمال الدين وسعة الاحوال وغير ذلك مما اشتملت عليه هذه الملة الى دخول الجنة والخلود
في رحمة الله سبحانه جعلنا الله ممن اشتملته هذه النعمة وقوله سبحانه ورضيت لكم الاسلام
دينا يحتمل الرضى في هذا الموضع ان يكون بمعنى الارادة ويحتمل ان يكون صفة فعل عبارة
عن اظهار الله اياه لان الرضى من الصفات المترددة بين صفات الذات وصفات الافعال والله
تعالى قد اراد لنا الاسلام ورضيه لنا وثم اشياء يريد الله وقوعها ولا يرضاها وقوله سبحانه
فمن اضطر في مخمصة يعني من دعته ضرورة الى اكل الميتة وسائر تلك المحرمات وسئل صلى الله
عليه وسلم متى تحل الميتة للناس فقال اذا لم يصطبحوا ولم يغتبقوا ولم يحتفوا بقلا والمخمصة
المجاعة التي تخمص فيها البطون اي تضمر وقوله سبحانه غير متجانف لاثم هو بمعنى غير باغ ولا عاد
وقد تقدم تفسيره قال ص متجانف اي مائل منحرف انتهى وقد تقدم في البقرة وقوله تعالى
يسئلونك ماذا احل لهم سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر بقتل الكلاب
ساله عاصم بن عدي وغيره ماذا يحل لنا من هذه الكلاب قال ع وظاهر الاية ان السائلين انما
سالوا عما يحل للناس من المطاعم لان قوله تعالى قل احل لكم الطيبات ليس بجواب عما يحل للناس
اتخاذه من الكلاب الا ان يكون من باب اجابة السائل باكثر مما سئل عنه وهو موجود كثيرا من النبي
صلى الله عليه وسلم والطيب الحلال وقوله سبحانه وما علمتم اي وصيد ما علمتم قال الضحاك
وغيره وما علمتم من الجوارح مكلبين اصحاب كلاب لها معلمين انتهى واعلام مراتب التعليم ان يشلى
الحيوان فينشلي ويدعا فيجيب ويزجر بعد ظفره بالصيد فينزجر وجوارح جمع جارح اي
كاسب يقال جرح فلان واجترح اذا اكتسب ومنه وقوله تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار اي ما اكتسبتم
من حسنة وسيئة قال ع وقرا جمهور الناس وما علمتم بفتح العين واللام وقرا جمهور
الناس مكلبين بفتح الكاف وشد اللام والمكلب معلم الكلاب ومضريها ويقال لمن يعلم
غير كلب مكلب لانه يرد ذلك الحيوان كالكلب وقوله سبحانه تعلمونهن مما علمكم الله اي تعلمونهن
الحيلة في الاصطياد والتاني لتحصيل الحيوان وهذا جزء مما علمه الله الانسان فمن للتبعيض وقوله
سبحانه فكلوا مما امسكن عليكم يحتمل مما امسكن فلم ياكل منه شيئا ويحتمل مما امسكن

مكلبين هي الكلاب خاصة قال العراقي في
م

وقرا ابن عباس ومحمد بن الحنفية علمتم
بضم العين وكسر اللام اي من امر الجوارح
والصيد بها
م

وان اكلن منه ويجب هذا الاحتمال في جواز اكل الصيد اذا اكل منه الجارح وقوله
سبحانه واذكروا اسم الله عليه امر بالتسمية عند الارسال ومذهب مالك والجمهور ان التسمية
واجبة مع الذكر ساقطة مع النسيان فمن تركها عامدا فقد افسد الذبيحة والصيد ومن تركها
ناسيا سمى عند الاكل وكانت الذبيحة جائزة وفقه الصيد والذبح في معنى التسمية واحد ثم امر سبحانه
بالتقوى على الجملة والاشارة الى ما تضمنته هذه الآيات من الاوامر والنواهي في قوله تعالى ان الله
سريع الحساب وعيد وتحذير وقوله سبحانه اليوم احل لكم الطيبات اشارة الى الزمن والاوان والخطاب
للمؤمنين وقوله سبحانه وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم الطعام في هذه الآية الذبائح كذا قال
اهل التفسير واختلفوا في لفظة طعامهم فقال الجمهور هي الذبيحة كلها وقالت جماعة انما احل لنا طعامهم من
الذبيحة اي الحلال لهم منها لا ما لا يحل لهم كالطريف والشحوم المحضة واختلف في لفظة اوتوا فقالت
طائفة انما احل لنا ذبائح نصارى منهم لا من كان دخيلا في هذين الدينين وقال جمهور الامة ابن
عباس والحسن ومالك وغيرهم ان ذبيحة كل نصراني حلال كان من بني تغلب او غيرهم وكذلك اليهود
وتأولوا قول الله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم وقوله سبحانه وطعامكم حل لهم اي ذبائحكم فهذه
رخصة للمسلمين لا لاهل الكتاب لما كان الامر يقتضي ان شيئا قد تشرعنا فيه بالتذكية ينبغي لنا
ان نحميه منهم رخص الله تعالى لنا في ذلك دفعا للمشقة بحسب التجاوز وقوله والمحصنات عطف على
الطعام المحلل ذهب جماعة منهم مالك الى ان المحصنات في هذه الآية الحرائر فمنعوا نكاح الامة الكتابية
وذهب جماعة الى انهن العفائف فاجازوا نكاح الامة الكتابية والاجور في الآية المهور وانتزع بعض
العلماء من لفظ آتيتموهن انه لا ينبغي ان يدخل زوج بزوجته الا بعد ان يبذل من المهر ما يستحلها به
ومحصنين معناه متزوجين على السنة وقوله سبحانه ومن يكفر بالايمان اي بالامور التي يجب الايمان بها
وباقي الآية بين قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الآية قال
ابن العربي في احكامه لا خلاف بين العلماء ان هذه الآية مدنية كما انه لا خلاف ان الوضوء كان مفعولا
قبل نزولها غير متلو وكذلك قال علماؤنا كان بمكة سنة ومعناه كان مفعولا بالسنة وقوله اذا قمتم
معناه اذا اردتم القيام الى الصلاة انتهى قال زيد بن اسلم والسدي معنى الآية اذا قمتم من المضاجع يعني
النوم والقصد بهذا التأويل ان يعم الاحداث بالذكر وفي الآية على هذا التأويل تقديم وتأخير تقديره
يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة من النوم او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء يعني
الملامسة الصغرى فاغسلوا وهنا تمت احكام الحدث الاصغر ثم قال وان كنتم جنبا فاطهروا
فهذا حكم نوع آخر ثم قال للنوعين جميعا وان كنتم مرضى او على سفر فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا وقال بهذا التأويل محمد بن مسلمة من اصحاب مالك وغيره وقال جمهور اهل العلم معنى الآية اذا
قمتم الى الصلاة محدثين وليس في الآية على هذا تقديم ولا تأخير بل ترتب في الآية حكم واحد لما اتى
الى قوله فاطهروا ودخلت الملامسة الصغرى في قولنا محدثين ثم ذكر بعد ذلك بقوله وان
كنتم مرضى الى آخر الآية حكم عادم الماء من النوعين جميعا وكانت الملامسة هي الجماع وقال
ص اذا قمتم اي اذا اردتم وعبر بالقيام عن ارادته بانه مسبب عنها انتهى ومن حسن الاحاديث
واصحها في فضل الطهارة والصلاة ما رواه مالك في الموطأ عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بما يمحو الله به الخطايا

ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة (بعد الصلوة صح)
فذلكم الرباط فذلكم الرباط قال ابو عمر في التمهيد هذا الحديث من احسن ما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم في فضائل الاعمال قال صاحب كتاب العين الرباط ملازمة
الثغور والرباط مواظبة الصلاة ايضا انتهى والغسل في اللغة ايجاد الماء في المغسول مع
امرار شيء عليه كاليد والوجه ما واجه الناظر وقابله والناس كلهم على ان داخل العينين
لا يلزم غسله الا ما روي عن ابن عمر انه كان ينضح الماء في عينيه واليد لغة تقع على العضو
من المنكب الى اطراف الاصابع وحد الله سبحانه موضع الغسل منه بقوله الى المرافق واختلف
العلماء هل تدخل المرافق في الغسل ام لا وتحرير العبارة في هذا المعنى ان يقال اذا كان ما بعد الى ليس مما
قبلها فالحد اول المذكور بعدها (واذا كان ما بعدها صح) من جملة ما قبلها فالاحتياط يعطي ان الحد آخر المذكور
بعدها وكذلك يترجح دخول المرفقين في الغسل والروايتان عن مالك قال ابن العربي في احكامه
وقد روى الدارقطني وغيره عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم لما توضأ ادار
الماء على مرفقيه انتهى واختلف في رد اليدين في مسح الرأس هل هو فرض او سنة بعد الاجماع على ان
المسحة الاولى فرض فالجمهور انه سنة وقيل هو فرض والاجماع على استحسان مسح الرأس باليدين جميعا
وعلى الاجزاء بواحدة واختلف فيمن مسح باصبع واحدة والمشهور الاجزاء ويترجح عدم الاجزاء لانه
خروج عن سنة المسح وكأنه لعب الا ان يكون ذلك عن ضرر من مرض ونحوه فينبغي ان لا يختلف في
الاجزاء والباء في قوله تعالى برؤوسكم مؤكدة زائدة عند من يرى عموم الرأس والمعنى عنده وامسحوا
رؤوسكم وهي للالزاق المحض عند من يرى اجزاء بعض الرأس كأن المعنى اوجدوا مسحا برؤوسكم
فمن مسح ولو شعرة فقد فعل ذلك قال ابن العربي في احكامه وقد ثبت عن النبي صلى
الله عليه وسلم في صفة مسح الرأس انه اقبل بيديه وادبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما الى
قفاه ثم ردهما الى المكان الذي بدأ منه وفي البخاري فادبر بهما واقبل وهما صحيحان متوافقان
وهي مسألة من اصول الفقه في تسمية الفعل بابتدائه او بغايته انتهى وقرأ حمزة وغيره وارجلكم
بالخفض وقرأ نافع وغيره بالنصب والعامل اغسلوا ومن قرأ بالخفض جعل العامل اقرب
العاملين وجمهور الامة من الصحابة والتابعين على ان الفرض في الرجلين الغسل وان المسح لا يجزي
وفي الصحيح ويل للاعقاب من النار اذ راى صلى الله عليه وسلم اعقابهم تلوح قال ابن العربي
في القبس ومن قرأ وارجلكم بالخفض فانه اراد المسح على الخفين وهو احد التأويلات في الآية انتهى
وهذا هو الذي صححه في احكامه والكلام في قوله الى الكعبين كما تقدم في قوله الى المرفقين وفي صحيح مسلم
وغيره عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه
ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبلا عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة فقلت ما اجود هذه
فقال عمر التي قبلها اجود قال ما منكم من احد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله (واشهد صح)
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء
وقد اخرجه الترمذي من حديث ابي ادريس الخولاني عن عمر وزاد في آخره اللهم اجعلني من التوابين واجعلني
من المتطهرين انتهى مختصرا واختلف اللغويون في الكعبين والجمهور على انهما العظمان الناتئان في جنبي
الرجل والفاظ الآية تقتضي الموالاة بين الاعضاء قال مالك هو فرض مع الذكر ساقط مع النسيان

وروى الدارقطني في سننه من توضأ فذكر اسم الله على وضوئه كان طهورا لجسده ومن توضأ ولم
يذكر اسم الله على وضوئه كان طهورا لاعضائه انتهى من الكوكب الدري وكذلك تضمنت الفاظ الاية الترتيب
واطهروا امر لواجد الماء عند الجمهور وقال ابن الخطاب وغيره لا يتيمم الجنب البتة بل يدع الصلاة حتى يجد الماء
وقوله سبحانه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج الاية الارادة صفة ذات وجاء الفعل مستقبلا مراعاة
للحوادث التي تظهر عن الارادة والحرج الضيق والحرجة الشجر الملتف المتضايق ويجري مع معنى هذه الاية قول النبي صلى
الله عليه وسلم دين الله يسر وقوله عليه السلام بعثت بالحنيفية السمحة وجاء لفظ الاية العموم والشيء المذكور
بقرب هو امر التيمم والرخصة فيه وزوال الحرج بتحمل الماء ابدا وكذلك قال اسيد ما هي باول بركتكم يا آل
ابي بكر وقوله سبحانه ولكن يريد ليطهركم الاية اعلاء بما لا يوازي بشكر عظيم تفضله تبارك وتعالى ولعلكم
ترج في حق البشر وفي الحديث الصحيح عن ابي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر
الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله تملآن او تملأ ما بين السموات والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر
ضياء والقرآن حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها رواه الترمذي وفي رواية له التسبيح — مسلم و م
نصف الميزان والحمد لله تملأه والتكبير تملأ ما بين السموات والارض والصوم نصف الصبر وزاد في رواية
اخرى ولا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب للمؤمنين ونعمة الله اسم جنس يجمع الاسلام وحسن الحال وجمال
والميثاق هو ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة وبيعة الرضوان وكل موطن قال الناقة سمعنا
واطعنا هذا قول ابن عباس رضي الله عنه وجماعة من المفسرين وقال مجاهد الميثاق الماخوذ على النسم حين استخرجوا من ظهر آدم عليه السلام
والاول ارجح واليق بنمط الكلام وباقي الاية بين متكرر قال ابو عمر بن عبد البر في كتابه بهجة المجالس روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه له ما وعده ومن اوعده على عمل عقابا فان شاء
عذبه وان شاء غفر له وعن ابن عباس مثله انتهى وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم
قوم الاية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته والجمهور ان سبب هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما استعان بيهود في دية الرجلين الذين قتلهما عمرو بن امية الضمري وصاحبه قالوا نعم يا ابا القاسم ارن حتى
نصنع لك طعاما وننظر في معونتك فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل جدار وكان معه ابو بكر
وعمر وعلي فتوامرت يهود في قتله وقالوا من رجل يظهر على فيصب عليه حجرا يشدخه فجاء جبريل فاخبر النبي
صلى الله عليه وسلم الخبر فقام صلى الله عليه وسلم من مكانه وتوجه الى المدينة ونزلت الاية في ذلك ونرجح
هذا القول بما ياتي بعد من الايات في وصف غدر يهود ونقضهم المواثيق وقوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق
بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا هذه الاية المتضمنة للخبر عن نقضهم مواثيق الله تعالى تقوي ان الاية
المتقدمة في كف الايدي انما كانت في امر بني النضير والاجماع على ان النقيب كبير القوم القائم باموره قال
قتادة وغيره هؤلاء النقباء قوم كان من كل سبط تكفل كل واحد بسبطه بان يؤمنوا ويلتزموا التقوى
قال ع ونحو هذا كانت النقباء ليلة بيعة العقبة مع النبي صلى الله عليه وسلم والضمير في معكم لبني اسرائيل
اي معكم بنصري وحياطتي وتأييدي واللام في لئن هي المؤذنة بمجيء القسم ولام القسم هي في قوله لاكفرن والدليل على
ان هذه اللام انما هي مؤذنة انها قد يستغنى عنها احيانا ويتم الكلام دونها ولو كانت لام قسم لم يترتب
ذلك واقامة الصلاة توفية شروطها والزكاة هنا شيء من المال كان مفروضا عليهم فيما قال بعض
المفسرين وعزرتموهم معناه وقرتموهم وعظمتموهم ونصرتموهم وقرأ عاصم الجحدري وعزرتموهم
خفيفة الزاي حيث وقع وقرأ في سورة الفتح وتعزروه بفتح التاء وسكون العين وضم الزاي وسواء

[هامش: حتى تخلص اليه وقوله و اذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الاية خطاب م]

[هامش: هم]

السبيل

السبيل وسطه وسائر ما في الاية بين والله المستعان وقوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم
لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية الاية اي فبنقضهم والقسوة غلظ القلب ونبوه عن الرقة والموعظة
وصلابته حتى لا ينفعل للخير وقوله تعالى ونسوا حظا مما ذكروا به نص على سوء فعلهم بانفسهم اي كان
لهم حظ عظيم فيما ذكروا به فنسوه وتركوه ثم اخبر تعالى نبيه عليه السلام انه لا يزال في مؤتنف
الزمان يطلع على خائنة منهم وغائلة وامور فاسدة قال ن فرقة خائنة مصدر والمعنى على خيانة وقال
اخرون معناه على فرقة خائنة فهي اسم فاعل صفة لمؤنث وقوله تعالى فاعف عنهم واصفح منسوخ
بما في براءة وباقي الاية بين وقوله ومن الذين قالوا انا نصارى من متعلقة باخذنا التقدير واخذنا
من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم ويحتمل ان تكون معطوفة على خائنة منهم والاول ارجح وعلى قولهم
نصارى بقولهم ودعواهم من غير هو اسم شرعي يقتضي نصر دين الله وسموا به انفسهم دون استحقاق
وقوله سبحانه فاغرينا بينهم العداوة اي اثبتناها بينهم والصقناها والاغراء ماخوذ من الغراء
الذي يلصق به وقال البخاري الاغراء التسليط انتهى والضمير في بينهم يحتمل ان يعود على اليهود والنصارى لان
العداوة بينهم موجودة مستمرة ويحتمل ان يعود على النصارى فقط لانها امة متقاتلة بينها الفتن الى يوم
القيامة ثم توعدهم بعذاب الاخرة اذ صنعهم كفر يوجب الخلود في النار واعلم رحمك الله انه قد جاءت
آثار صحيحة في ذم الشحناء والتباغض والهجران لغير موجب شرعي ففي صحيح مسلم عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفتح ابواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد
لا يشرك بالله شيئا الا رجلا كانت بينه وبين اخيه شحناء فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا وفي
رواية تعرض الاعمال في كل يوم خميس واثنين فيغفر الله في ذلك لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا
الحديث انتهى وروى ابن المبارك في رقائقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرئ
مسلم ان يهاجر مسلما فوق ثلاث ليال فانهما ناكبان عن الحق ما داما على صرامهما فاولهما فيئا يكون
سبقه بالفيء كفارة له وان سلم عليه فلم يقبل ورد عليه سلامه ردت عليه الملائكة وردت على الآخر
الشيطان واذا ماتا على صرامهما لم يدخلا الجنة جميعا ابدا انتهى وسنده جيد ونصه قال ابن المبارك
اخبرنا شعبة عن يزيد الرشك عن معاذة العدوية قالت سمعت هشام بن عامر يقول سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وقوله لم يدخلا الجنة ليس على ظاهره في صحيح الآثار وقوله سبحانه
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب الاية اهل الكتاب لفظ
يعم اليهود والنصارى ولكن نوازل الاخفاء كالرجم وغيره انما حفظت لليهود لانهم كانوا
مجاوري رسول الله صلى الله عليه وسلم في مهاجره وفي اعلامه صلى الله عليه وسلم بخفي ما في
كتبهم وهو امي لا يكتب ولا يصحب القراء دليل على صحة نبوته لو الهمهم الله للخير ويعفو عن كثير اي لم يفضحهم
ابقاء عليهم والضمير في يعفو للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله قد جاءكم من الله نور هو محمد صلى الله عليه وسلم
وكتاب مبين هو القرآن ويحتمل ان يريد موسى عليه السلام والتوراة اي لو اتبعتموها حق الاتباع
والاول هو ظاهر الاية وهو اظهر وسبل السلام اي طرق السلامة والنجاة ويحتمل ان يكون السلام
هو اسم من اسماء الله تعالى فالمعنى طرق الله والظلمات الكفر والنور الايمان وباقي الاية بين متكرر وقوله سبحانه فقل
فمن يملك اي لا مالك ولا راد لارادة الله تعالى في المسيح ولا في غيره وقوله سبحانه يخلق ما يشاء اشارة
الى خلقه المسيح في رحم مريم من غير والد بل اختراعا كآدم عليه السلام وقوله سبحانه والله على كل قدير

[هامش: اى لم يدخلا الجنة ابدا بغتتين لبعضهم من بعض او يقع العفو ويحل الشفاعة حسب ما هو معلوم م]

عموم معناه الخصوص فيما عدا الذات والصفات والمحالات وقوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه الآية البنوة في قولهم هذا بنوة الحنان والرأفة لأنهم ذكروا أن الله سبحانه أوحى إلى إسرائيل أن أول ولدك بكري فضلوا بذلك وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ولو صح ما ورد لكان معناه بكرا في التشريف والنبوة ونحوه وكانت هذه المقالة منهم عند ما دعاهم النبي عليه السلام إلى الإيمان به وخوفهم العذاب فقالوا نحن لا نخاف ما تقول لأنا أبناء الله وأحباؤه وذكر ذلك ابن عباس وقد كانوا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم في غير ما موطن نحن ندخل النار فنقيم بها أربعين سنة فرد الله عليهم قولهم فقال لنبيه عليه السلام قل فلم يعذبكم بذنوبكم أي لو كانت منزلتكم منه فوق منازل البشر لما عذبكم وأنتم قد أقررتم أنه يعذبكم ثم ترك الكلام الأول وأضرب عنه غير مفسد له ودخل في غيره فقال بل أنتم بشر كسائر الناس والخلق أكرمهم عند الله أتقاهم يهدي من يشاء للإيمان فيغفر له ويورط من يشاء في الكفر فيعذبه ولله ملك السموات والأرض وما بينهما فله بحق الملك أن يفعل ما يشاء ولا معقب لحكمه وإليه المصير أي المرجع بالحشر والمعاد وقوله تعالى يا أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا محمد عليه السلام وقوله على فترة من الرسل أي على انقطاع من مجيئهم مدة ما والفترة سكون بعد حركة في الأجرام وتستعار في ذلك المعاني وقد قال عليه السلام لكل عمل شرة ولكل شرة فترة وفي الصحيح أن الفترة كانت بين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه السلام ستمائة سنة وهذه الآية نزلت بسبب قول اليهود ما أنزل الله على بشر بعد موسى من شيء قاله ابن عباس وقوله أن تقولوا معناه حذار أن تقولوا يوم القيامة ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقامت الحجة عليكم والله على كل شيء قدير فهو الهادي والمضل لا رب غيره وقوله سبحانه وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء الآية المعنى واذكر لهم يا محمد على جهة إعلامهم بغيب كتبهم ليتحققوا نبوتك ثم عدد عليهم تلك النعم فقال إذ جعل فيكم أنبياء الآية أي حاطة ومنقذون من النار وشرف في الدنيا والآخرة وجعلكم ملوكا لأن الملك شرف في الدنيا وحاطة في نوائبها وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين هو المن والسلوى والحجر والغمام وقال غيره كثرة الأنبياء وعلى هذا القول فالعالمون على العموم وعلى القول بأن المؤتى آيات موسى فالعالمون عالم زمانهم لأن ما أوتي النبي صلى الله عليه وسلم من آيات الله أكثر من ذلك والمقدسة معناه المطهرة قال ابن عباس هي الطور وما حولها وقال قتادة هي الشام قال الطبري ولا يختلف أنها بين الفرات وعريش مصر قال ع وتظاهرت الروايات أن دمشق هي قاعدة الجبارين ثم حذرهم موسى الارتداد على الأدبار وذلك هو الرجوع القهقرى والخاسر الذي قد نقص حظه ثم ذكر عز وجل أنهم تعنتوا ونكصوا فقالوا إن فيها قوما جبارين والجبار من الجبر كأنه لقدرته وغشمه وبطشه يجبر الناس على إرادته والنخلة الجبارة العالية التي لا تنال باليد وكان من خبر الجبارين أنهم كانوا أهل قوة فلما بعث موسى الاثني عشر نقيبا مطلعين من أمر الجبارين وأحوالهم رأوا لهم قوة وبطشا وتخيلوا أن لا طاقة لهم بهم فتعاقدوا بينهم على أن يخفوا ذلك من بني إسرائيل وأن يعلموا به موسى ليرى فيه أمر ربه فلما انصرفوا إلى بني إسرائيل خان منهم عشرة فعرفوا قراباتهم ومن وثقوا به ففشى الخبر حتى اعوج أمر بني إسرائيل وقالوا اذهب أنت وربك فقاتلا ولم يف من النقباء إلا يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ويقال فيه كالوث بثاء مثلثة
قوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون الله سبحانه قال أكثر المفسرين الرجلان يوشع بن نون وهو

ابن أخت موسى وكالب بن يوفنا أنعم الله عليهما بالإيمان الصحيح وربط الجأش والثبوت وقولهم اذهب أنت وربك فقاتلا الآية عبارة تقتضي كفرا وقيل المعنى اذهب أنت وربك يعينك وأن الكلام معصية لا كفر وذكر ابن إسحاق وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم كلم الناس يوم بدر وقال أشيروا علي أيها الناس فقال له المقداد بن الأسود يا رسول الله لسنا نقول كما قالت بنو إسرائيل اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ثم تكلم سعد بن معاذ بهذا المعنى ولما سمع موسى عليه السلام قولهم ورأى عصيانهم تبرأ إلى الله منهم وقال داعيا عليهم رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي يعني هارون وقوله فافرق بيننا دعاء حرج والمعنى افرق بيننا وبينهم حتى لا تشقى بفسقهم قال فإنها محرمة عليهم أي قال الله وحرم الله تعالى على بني إسرائيل دخول تلك المدينة أربعين سنة يتيهون في الأرض أي في أرض تلك النازلة وهو فحص التيه وهو على ما يحكى طول ثلاثين ميلا في عرض ستة فراسخ ويروى أنه لم يدخل المدينة أحد من ذلك الجيل إلا يوشع وكالوث وروي أن يوشع نبئ بعد كمال الأربعين سنة وخرج ببني إسرائيل من التيه وقاتل الجبارين وفتح المدينة وفي تلك الحرب وقفت له الشمس ساعة حتى استمر هزم الجبارين والتيه الذهاب في الأرض إلى غير مقصد معلوم وقوله سبحانه فلا تأس على القوم الفاسقين معناه فلا تحزن والخطاب بهذه الآية لموسى عليه السلام قال ابن عباس ندم موسى على دعائه على قومه وحزن عليهم فقال الله فلا تأس على القوم الفاسقين قوله سبحانه واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا الآية اتل معناه اسرد واسمعهم إياه وهذه من كتب الأول فهو من دلائل نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إذ هي من غامض كتب بني إسرائيل قال الفخر وفي الآية قولان أحدهما أنه تلا على الناس والثاني على أهل الكتاب انتهى وابنا آدم هما لصلبه وهما قابيل وهابيل وروت جماعة من المفسرين منهم ابن مسعود أن سبب هذا التقريب أن حواء كانت تلد في كل بطن ذكرا وأنثى فكان الذكر ينكح أنثى البطن الآخر ولا تحل له أخته توأمته فولدت مع قابيل أختا جميلة ومع هابيل أختا ليست كذلك فلما أراد آدم أن يزوجها من هابيل قال قابيل أنا أحق بأختي فأمرهما آدم فلم يأتمرا فاتفقوا على التقريب فتقبل قربان هابيل ووجب أن يأخذ أخت قابيل فحينئذ قال لأقتلنك وقول هابيل إنما يتقبل الله من المتقين كلام قبله محذوف تقديره ولم تقتلني وليس لي ذنب في قبول الله قرباني وإنما يتقبل الله من المتقين وإجماع أهل السنة في معنى هذه الألفاظ أنها اتقاء الشرك فمن اتقاه فهو موحد فأعماله التي تصدق فيها نيته مقبولة وأما المتقي للشرك والمعاصي فله الدرجة العليا من القبول والختم بالرحمة علم ذلك بإخبار الله تعالى لا أن ذلك يجب على الله عقلا قلت قول ابن عطية معنى هذه الألفاظ يعني حيث وقعت في الشرع وأما في هذه الآية فليس باتقاء الشرك على ما سيأتي وقول هابيل ما أنا بباسط يدي قال عبد الله ابن عمر وجمهور الناس كان هابيل أشد قوة من قابيل ولكنه تحرج وهذا هو الأظهر قال ع ومن هنا يقوى أن قابيل إنما هو عاص لا كافر لأنه لو كان كافرا لم يكن للتحرج هنا وجه وتبوء معناه تمضي متحملا وقوله بإثمي وإثمك قيل معناه بإثم قتلي وسائر آثامك وقيل المعنى بإثمي الذي يختص بي فيما فرط لي وهذا تأويل يعضده قول النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى بالظالم والمظلوم يوم القيامة فيؤخذ من حسنات الظالم فتزاد في حسنات المظلوم حتى ينتصف فإن

لم تكن له حسنات اخذ من سيئات المظلوم فطرح عليه وقوله وذلك جزاء الظالمين يحتمل ان
يكون من قول هابيل لاخيه ويحتمل ان يكون اخبارا من الله تعالى لمحمد عليه السلام قال الفخر وقوله
تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه قال المفسرون معناه سهلت له نفسه قتل اخيه انتهى وقوله
سبحانه فاصبح من الخاسرين اصبح عبارة عن جميع اوقاته وهذا مهيع كلام العرب ومنه اصبحت
لا احمل السلاح البيت وقول سعد فاصبحت بنو اسد تعزرني الى غير ذلك من استعمال العرب
ومن خسران قابيل ما صح وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما قتلت نفس ظلما الا كان
على ابن ادم الاول كفل منها وذلك انه اول من سن القتل وقوله سبحانه فبعث الله غرابا الاية قيل اصبح
ثاني يوم قتله يطلب اخفاء امر قتله فلم يدر ما يصنع به فبعث الله غرابا حيا الى غراب ميت
فجعل يبحث في الارض ويلقي التراب على الميت وظاهر الاية ان هابيل هو اول ميت من بني ادم ولذلك الغراب ص
جهل سنة المواراة وكذلك حكى الطبري عن ابن اسحق عن بعض اهل العلم بما في الكتب الاول
والسوءة العورة ويحتمل ان يراد الحالة التي تسوء الناظر ثم ان قابيل وارى اخاه وندم على ما كان
منه في معصية الله في قتله حيث لا ينفعه الندم واختلف العلماء في قابيل هل هو من الكفار او من
العصاة والظاهر انه من العصاة قال الفخر ولم ينتفع قابيل بندمه لان ندمه كان لاسباب منها
سخط ابويه واخوته وعدم انتفاعه بقتله ونحو ذلك ولما كان ندمه لاجل هذه الاسباب
لا لاجل الخوف من الله تعالى فلا جرم لم ينفعه هذا الندم وقوله تعالى من اجل ذلك هو اشارة الى
ما تضمنته هذه القصة من انواع المفاسد الحاصلة بسبب القتل الحرام لانه اشارة الى قصة
قابيل وهابيل وقوله سبحانه من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل الاية جمهور الناس على ان قوله من اجل
ذلك متعلق بقوله كتبنا اي من اجل هذه النازلة ومن جرائها كتبنا وقال قوم بل هو متعلق
بقوله من النادمين اي ندم من اجل ما وقع والوقف على ذلك والناس على الوقف من النادمين
ويقال فعلت ذلك من اجلك بفتح الهمزة ومن اجلك بكسرها وقوله سبحانه بغير نفس اي بغير
ان تقتل نفس نفسا والفساد في الارض يجمع الزنا والارتداد والحرابة وقوله سبحانه كانما قتل الناس
جميعا روي عن ابن عباس انه قال المعنى من قتل نفسا واحدة وانتهك حرمتها فهو مثل من قتل الناس جميعا
ومن ترك قتل نفس واحدة وصان حرمتها مخافة واستحياها فهو كمن احيا الناس جميعا قال
الحسن وابن زيد ومن احياها اي عفى عمن وجب له قتله مع القدرة وقيل غير هذا ثم اخبر تعالى
عن بني اسرائيل انهم جاءتهم الرسل بالبينات في هذا وفي سواه ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في كل
عصر يسرفون ويتجاوزون الحدود وقوله سبحانه انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الاية
روى انس بن مالك وغيره ان الاية نزلت في قوم عكل وعرينة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا
ثم انهم مرضوا واستوخموا المدينة فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يكونوا في لقاح الصدقة
وقال اشربوا من البانها وابوالها فخرجوا فيها فلما صحوا قتلوا الراعي واستاقوا الابل فبلغ النبي
صلى الله عليه وسلم خبرهم فبعث الطلب في اثارهم فاخذوا وفي جميع الرواة فقطع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ايديهم وارجلهم من خلاف وسمر اعينهم ويروى وسمل وتركهم في جانب
الحرة يستسقون فلا يسقون فقيل ان هذه الاية ناسخة لفعله صلى الله عليه وسلم بالعرنيين
ووقف الامر على هذه الحدود وقال جماعة انها غير ناسخة لذلك الفعل لان العرنيين مرتدون

لاسي

لاسيما وفي بعض الطرق سملوا اعين الرعاء وقالوا هذه الاية هي في المحارب المؤمن قال مالك
المحارب عندنا من حمل على الناس السلاح في مصر او برية فكابرهم عن انفسهم واموالهم دون نائرة
ولا دخل ولا عداوة ولهذا القول قال جماعة من اهل العلم قالوا الامام مخير فيه بان يعاقبه بما راى
من هذه العقوبات فاما قتل المحارب فبالسيف ضربة للعنق واما صلبه فبعد القتل عند جماعة وقال
جماعة بل يصلب حيا ويقتل بالطعن على الخشبة وروي هذا عن مالك والاظهر من الاية وهو الانكى
في النكال واما القطع فاليد من الرسغ والرجل من المفصل وقوله سبحانه او ينفوا من الارض
الظاهر ان الارض في هذه الاية هي ارض النازلة وقد جنب الناس قديما الارض التي اصابوا فيها
الذنوب ومنه حديث الذي ناء بصدره نحو الارض المقدسة وينبغي للامام ان كان هذا المحارب
المنفي مخوف الجانب يظن به انه يعود الى حرابه وافساده ان يسجنه في البلد الذي يغرب اليه وان كان
غير مخوف الجانب ترك مسرحا وهذا هو صريح مذهب مالك وقوله تعالى ذلك لهم خزي في
الدنيا الاية اشارة الى هذه الحدود التي توقع بهم فيحتمل الخزي لمن عوقب وعذاب الاخرة لمن سلم في
الدنيا وبالجملة فهم في المشيئة وقوله سبحانه الا الذين تابوا الاية استثنى عز وجل التائب
قبل ان يقدر عليه واخبر سبحانه بسقوط حقوقه عنه بقوله فاعلموا ان الله غفور رحيم
والعلماء على ان الاية في المؤمنين ويؤخذ المحارب بحقوق الناس وان تاب هذا هو الصحيح وقوله
سبحانه يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة الاية هذه الاية وعظ من الله
تعالى بعقب ذكر العقوبات النازلة بالمحاربين وهذا من ابلغ الوعظ لانه يرد على النفوس وهي خائفة
وجلة وابتغوا معناه اطلبوا والوسيلة القربة واما الوسيلة المطلوبة لنبينا محمد صلى الله عليه
وسلم فهي ارفع من هذا لان الدعاء له بالوسيلة والفضيلة انما هو ان يؤتاهما في الدنيا ويتصف
بهما ويكون ثمرة ذلك في الاخرة التشفيع في المقام المحمود ت وفي كلامه هذا ما لا يخفى وقد فسر النبي صلى
الله عليه وسلم الوسيلة التي كان يرجوها من ربه وانها درجة في الجنة لا ينبغي ان تكون الا لعبد من
عباد الله وارجو ان اكون انا هو الحديث وخص سبحانه الجهاد بالذكر وان كان داخلا في معنى الوسيلة
تشريفا له اذ هو قاعدة الاسلام وقوله سبحانه يريدون ان يخرجوا الاية اخبار بانهم يتمنون هذا قال الحسن
ابن ابي الحسن اذا فارت بهم النار قربوا من حاشيتها فحينئذ يريدون الخروج ويطمعون به وتاول
هو وغيره الاية على هذا قلت ويؤيده ما خرجه البخاري في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حيث
اتاه آتيان فاخذا بيده وفيه فاقبل الرجل الذي في النهر فاذا اراد ان يخرج رمى الرجل بحجر في فيه
ايضا فانطلقا الى ثقب مثل التنور اعلاه ضيق واسفله واسع تتوقد تحته نار فاذا اقترب ارتفعوا
فاذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة فقلت ما هذا فقالا انطلق الحديث واخبر سبحانه
عن هؤلاء الكفار انهم ليسوا بخارجين من النار بل عذابهم فيها مقيم مؤبد وقوله سبحانه والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما الاية قلت المسروق مال وغيره فشرط المال ان يكون نصابا
بعد خروجه مملوكا لغير السارق ملكا محترما تاما لا شبهة له فيه محرزا مخرجا منه الى
ما ليس بحرز له استسرارا فالنصاب ربع دينار او ثلاثة دراهم او ما يساوي ثلاثة دراهم
وقوله ايديهما يعني ايمان النوعين والنكال العذاب والنكل القيد وقوله سبحانه فمن تاب من
بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه الاية جمهور العلماء على ان توبة السارق لا تسقط عنه القطع

وقال الشافعي اذا تاب السارق قبل ان يتلبس الحكام باخذه فتوبته تدفع عنه حكم القطع قياسا
على توبة المحارب وقوله سبحانه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء الاية
اي فلا معقب لحكمه سبحانه ولا معترض عليه يفعل ما يشاء لا اله الا هو وقوله سبحانه يا ايها الرسول لا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر الاية تسلية لنبيه عليه السلام وتقوية لنفسه بسبب ما كان يلقى من طوائف
المنافقين واليهود والمعنى قد وعدناك النصر والظهور عليهم فلا يحزنك ما يقع منهم ومعنى يسارعون
في الكفر البدار الى نصره والسعي في كيده واطفاء نوره قال مجاهد وغيره قوله تعالى من الذين قالوا
امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم يراد به المنافقون وقوله سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين يراد
به اليهود ويحتمل ان يراد به اليهود مع المنافقين بان جميعهم يسمع الكذب بعضهم من بعض ويقبلونه
وكذلك جاءت عبارة سماعين في صيغة المبالغة اذ المراد انهم يقبلون ويستزيدون من ذلك وقوله سماعون
لقوم آخرين يحتمل ان يريد يسمعون منهم وذكر الطبري عن جابر ان المراد بالقوم الآخرين يهود فدك
وقيل يهود خيبر ويحتمل ان يكون معنى سماعون لقوم آخرين بمعنى جواسيس مسترقين الكلام
لينقلوه لقوم آخرين وهذا مما يمكن ان يتصف به المنافقون ويهود المدينة قلت وهذا هو
الذي نص عليه ابن اسحق في السير قال ع وقيل لسفيان بن عيينة هل جرى للجاسوس ذكر في
كتاب الله عز وجل قال نعم وتلا هذه الاية سماعون لقوم آخرين وقوله سبحانه يحرفون الكلم من
بعد مواضعه هذه صفة اليهود في معنى ما حرفوه من التوراة وفيما يحرفون به من الاقوال عند
كذبهم من بعد مواضعه اي من بعد ان وضع مواضعه وقصدت به وجوهه القويمة يقولون
ان اوتيتم هذا فخذوه روي ان يهود فدك قالوا ليهود المدينة استفتوا محمدا فان افتاكم بما نحن
عليه من الجلد والتجبيه فخذوه وان افتاكم بالرجم فاحذروا الرجم قاله الشعبي وغيره وقيل غير
هذا من وقايعهم فالاشارة بهذا الى التحميم والجلد في الزنا على قول ثم قال تعالى لنبيه عليه السلام على جهة قطع
الرجاء منهم ومن يرد الله فتنته اي محنته بالكفر فلن تملك له من الله شيئا ثم اخبر تعالى عنهم
الذين سبق لهم في علمه ان لا يطهر قلوبهم وان يكونوا مدنسين بالكفر لهم في الدنيا خزي بالذلة
والمسكنة التي ضربت عليهم في اقطار الارض وفي كل امة قال ص سماعون اي هم سماعون ومثله
اكالون انتهى وقوله سبحانه اكالون للسحت فعالون بناء مبالغة اي يتكرر اكلهم ويكثر والسحت
كل ما لا يحل كسبه من المال وقوله سبحانه فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير للنبي صلى
الله عليه وسلم ولحكام امته بعده وقال ابن عباس وغيره هذا التخيير منسوخ بقوله وان احكم بينهم
بما انزل الله وقال كثير من العلماء هي محكمة وهذا هو الاظهر ان شاء الله وفقه هذه الاية الاكم
مجمعة فيما علمت على ان حاكم المسلمين يحكم بين اهل الذمة في التظالم واما نوازل الاحكام التي لا تظالم
فيها فالحاكم مخير واذا رضي الخصمان فلا بد من رضى اساقفتهم واحبارهم قاله ابن القاسم في العتبية
قلت وعبارة الداودي قال مالك ولا يحكم بينهم اذا اختاروا الحكم الا في المظالم فيحكم بينهم بما انزل
الله ولا يحكم فيهم في الزنا الا ان يعلنوه فيعاقبون بسبب اعلانه ثم يردون الى اساقفتهم قال
مالك وانما رجم النبي صلى الله عليه وسلم اليهوديين قبل ان تكون لهم ذمة وقال ابن العربي في
احكامه انما انفذ النبي صلى الله عليه وسلم الحكم بينهم ليحقق تحريفهم وتبديلهم وكذبهم وكتمهم
ما في التوراة ومنه صفته صلى الله عليه وسلم فيها والرجم على زناتهم وعنه اخبر الله تعالى

بقوله

بقوله يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير
فيكون ذلك من اياته الباهرة وحججه البينة وبراهينه القاطعة الدامغة للامة المحرفة
اليهودية انتهى وقوله تعالى وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا امن الله سبحانه نبيه من ضررهم اذا اعرض
عنهم وحقر في ذلك شانهم وان حكمت اي اخترت الحكم في نازلة ما فاحكم بينهم بالقسط اي بالعدل
ثم قال سبحانه وكيف يحكمونك المعنى وكيف يحكمونك بنية صادقة وهم قد خالفوا حكم التوراة التي
يصدقون بها وتولوا عن حكم الله فيها فانت الذي لا يؤمنون بك احرى بان يخالفوا حكمك وهذا
انهم لا يحكمونه عليه السلام الا رغبة في ميله الى اهوائهم وقوله تعالى من بعد ذلك اي من بعد حكم
الله في التوراة في الرجم وما اشبهه وقوله سبحانه وما اولئك بالمؤمنين يعني بالتوراة وبموسى
وقوله سبحانه انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور اي ارشاد في المعتقد والشرائع والنور
ما يستضاء به من اوامرها ونواهيها والنبيون الذين اسلموا هم من لدن موسى بن عمران الى
نبينا عليه السلام واسلموا معناه اخلصوا وجوههم ومقاصدهم لله سبحانه وقوله للذين
هادوا متعلق بيحكم اي يحكمون بمقتضى التوراة لبني اسرائيل وعليهم والربانيون عطف على
النبيين اي ويحكم بها الربانيون وهم العلماء وقد تقدم تفسير الرباني والاحبار ايضا العلماء
واحدهم حبر بكسر الحاء وفتحها والاكثر استعمال الفتح فرقا بينه وبين الحبر الذي يكتب به وانما
اللفظ عام في كل حبر مستقيم فيما مضى من الزمن قبل مبعث نبينا محمد عليه السلام وقوله سبحانه
بما استحفظوا من كتاب الله اي بسبب استحفاظ الله تعالى اياهم امر التوراة واخذه العهد
عليهم في العمل والقول بها وعرفهم ما فيها فصاروا شهداء عليه وهؤلاء ضيعوا لما استحفظوا
حتى تبدلت التوراة والقرآن بخلاف هذا لقوله تعالى وانا له لحافظون وقوله سبحانه فلا تخشوا
الناس واخشون حكاية لما قيل لعلماء بني اسرائيل وقوله ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا نهي عن جميع
المكاسب الخبيثة بالعلم والتحيل للدنيا بالدين وهذا المعنى بعينه يتناول علماء هذه الامة وحكامها
ويحتمل ان يكون قوله فلا تخشوا الناس الى اخر الاية خطابا لامة نبينا محمد عليه السلام واختلف
العلماء في المراد بقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون فقالت جماعة المراد اليهود
بالكافرين والظالمين والفاسقين وروي في هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق
البراء بن عازب قال الفخر وتمسك الخوارج بهذه الاية في التكفير بالذنب واجيب بان الاية نزلت
في اليهود فتكون مختصة بهم قال الفخر وهذا ضعيف لان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب وهذه مسئلة خلاف في العام الوارد على سبب هل يبقى على عمومه او يقصر على سببه انتهى وقالت جماعة
عظيمة من اهل العلم الاية متناولة كل من لم يحكم بما انزل الله ولكنه في امراء هذه الامة كفر
معصية لا يخرجهم عن الايمان وهذا تاويل حسن وقيل لحذيفة بن اليمان انزلت هذه الاية في
بني اسرائيل فقال نعم الاخوة لكم بنو اسرائيل ان كانت لكم كل حلوة ولهم كل مرة لتسلكن طريقتهم
قد الشراك وقوله سبحانه وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الاية اي وكتبنا على بني اسرائيل في التوراة
ومعنى هذه الاية الخبر بان الله تعالى كتب فرضا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا فيجب في ذلك اخذ
نفسه ثم هذه الاعضاء المذكورة كذلك ثم استمر هذا الحكم في هذه الامة بما علم من شرع النبي صلى
الله عليه وسلم قال ابن عباس ورخص الله لهذه الامة ووسع لها بالدية ولم يجعل لبني اسرائيل دية فيما

نزل على موسى والجمهور ان النفس بالنفس عموم يراد به الخصوص في المتماثلين كما ورد في الحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقتل مسلم بكافر وكذلك قوله سبحانه والجروح قصاص عموم يراد
به الخصوص فيما يتماثل منها على النفس وكتب الفقه محل استيعاب الكلام على هذه المعنى قال ص
والجروح قصاص اي ذات قصاص انتهى وقوله سبحانه فمن تصدق به فهو كفارة له المعنى من تصدق
بجرحه او دم وليه وعفا فان ذلك العفو كفارة لذنوبه يعظم الله اجره بذلك قاله ابن عمر وغيره
وفي معناه حديث روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت وهو قوله صلى الله عليه وسلم ما من
رجل يصاب بشيء في جسده فيتصدق به الا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة رواه الترمذي
انتهى وقيل المعنى فذلك العفو كفارة للجارح عن ذلك الذنب كما ان القصاص كفارة واما اجر العافي
فعلى الله تعالى قاله ابن عباس وغيره وقيل المعنى اذا جنى جان فجهل وخفي امره فتصدق هذا الجاني
بان اعترف بذلك ومكن من نفسه فذلك الفعل كفارة لذنبه وقوله سبحانه وقفينا على اثارهم
بعيسى ابن مريم الاية والضمير في اثارهم للنبيين وقوله وهدى وموعظة للمتقين خص المتقون
بالذكر لانهم المقصود به في علم الله وان كان الجميع يدعا الى توحيد الله ويوعظ ولكن ذلك
على غير المتقين عمى وحيرة وقرا حمزة وحده وليحكم بكسر اللام وفتح الميم على لام كي ونصب
الفعل بها والمعنى واتيناه الانجيل ليتضمن الهدى والنور والتصديق وليحكم اهله بما انزل الله فيه
وقرا باقي السبعة وليحكم بسكون لام الامر وجزم الفعل ومعنى امره لهم بالحكم اي هكذا يجب
عليهم قلت واذ من لازم حكمهم بما انزل الله فيه اتباعهم لنبينا محمد عليه السلام والايمان به
كما يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل بما انزل الله فيه من الدلايل الدالة على نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم قيل والمراد بالفاسقين من لم يمتثل من النصارى انتهى وحسن عقب
ذلك التوقيف على وعيد من خالف ما انزل الله وقوله سبحانه ومهيمنا عليه اي جعل الله
القرآن مهيمنا على الكتب يشهد بما فيها من الحقايق وعلى ما نسبه المحرفون اليها فيصحح الحقايق
ويبطل التحريف وهذا هو معنى شاهد ومصدق ومؤتمن وامين حسب اختلاف عبارة المفسرين
في اللفظة وقال المبرد مهيمن اصله مؤتمن بني من امين ابدلت همزته هاء كما قالوا اراقت
الماء وهرقته واستحسنه الزجاج وقوله سبحانه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم
عما جاءك من الحق المعنى عند الجمهور ان اخترت ان تحكم فاحكم بينهم بما انزل الله وليست هذه
الاية ناسخة لقوله او اعرض عنهم ثم حذر الله تعالى نبيه عليه السلام من اتباع اهوائهم
وقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي لكل امة قاله الجمهور وهذا عندهم في الاحكام
واما في المعتقدات فالدين واحد لجميع المعتقدين فالدين واحد لجميع العالم ويحتمل ان يكون
المراد الانبياء لا سيما وقد تقدم ذكرهم وذكر ما انزل عليهم وتجيء الاية مع هذا الاحتمال
تنبيها لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم اي فاحفظ شرعتك ومنهاجك لئلا تستزلك اليهود
او غيرهم في شيء منه واكثر المتأولين على ان الشرعة والمنهاج بمعنى واحد وهي الطريق
وقال ابن عباس وغيره شرعة ومنهاجا سبيلا وسنة ثم اخبر سبحانه انه لو شاء لجعل
الناس امة واحدة ولكنه لم يشأ لانه اراد اختبارهم وابتلاءهم فيما اتاهم من الكتب
والشرائع كذا قال ابن جريج وغيره ثم امر سبحانه باستباق الخيرات في امتثال الاوامر وختم

قال الفخر قيل المراد وليحكم اهل الانجيل

سبحانه بالموعظة والتذكير بالمعاد فقال الى الله مرجعكم جميعا والمعنى فالبدار البدار وقوله سبحانه
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون معناه في الثواب والعقاب فتخبرون به اخبارا يقع وهذه الاية
بالغة في الفصاحة جمعت المعاني الكثيرة في الالفاظ اليسيرة وكل كتاب الله كذلك الا انا بقصورنا
يبين لنا في بعض اكثر مما يبين لنا في بعض وقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم
الاية الهوى مقصور يجمع على اهواء والهواء ممدود يجمع على اهوية ثم حذر تعالى نبيه عليه السلام
من اليهود ان يفتنوه بان يصرفوه عن شيء مما انزل الله عليه من الاحكام لانهم كانوا يريدون
ان يخدعوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له مرادا احكم لنا في نازلة كذا بكذا ونتبعك
على دينك وقوله سبحانه فان تولوا قبله محذوف تقديره فان حكموك واستقاموا فنعما ذلك
وان تولوا فاعلم الاية وخصص سبحانه اصابتهم ببعض الذنوب لا كلها لان هذا الوعيد
انما هو في الدنيا وذنوبهم نوعان نوع يخصهم ونوع يتعدى الى النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
وبه توعدهم الله في الدنيا وانما يعذبون بالكل في الاخرة وقال الفخر وجوز والبعض
في الذنوب الدنيا لان مجازاتهم بالبعض كافية في اهلاكهم وتدميرهم انتهى وقوله سبحانه
فاعلم الاية وعد للنبي صلى الله عليه وسلم وقد انجزه بقصة بني قينقاع وقصة قريظة والنضير
واجلاء عمر اهل خيبر وفدك وغيرهم وقوله سبحانه وان كثيرا من الناس لفاسقون اشارة اليهم
ويندرج في عموم الاية غيرهم وقوله سبحانه افحكم الجاهلية يبغون اشارة الى الكهان الذين كانوا
ياخذون الحلوان ويحكمون بحسب الشهوات ومن احسن من الله حكما اي لا احد احسن منه حكما
تبارك وتعالى وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء النهي عن
المخالطة المؤدية الى الامتزاج والمعاضدة وحكم هذه الاية باق وكل من اكثر مخالطة هذين
الصنفين فله حظه من هذا المقت الذي تضمنه قوله تعالى فانه منهم وسبب نزول هذه الاية
انه لما انقضت بدر وشجر امر بني قينقاع اراد النبي صلى الله عليه وسلم قتلهم فقام دونهم عبد الله
ابن سلول مخاصما وقال يا محمد احسن في موالي فاني امرؤ اخاف الدوائر فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد وهبتهم لك ونزلت الاية في ذلك وقوله سبحانه بعضهم اولياء بعض جملة
مقطوعة من النهي وقوله سبحانه ومن يتولهم منكم فانه منهم انحاء على عبد الله بن ابي وعلى
كل من اتصف بهذه الصفة وقوله سبحانه فترى الذين المعنى فترى يا محمد الذين في قلوبهم
مرض اشارة الى عبد الله بن ابي ومن تبعه من المنافقين على مذهبه في حماية بني قينقاع وقوله
سبحانه نخشى ان تصيبنا دائرة لفظ محفوظ عن عبد الله بن ابي ومن تبعه من المنافقين والدائرة
معناه نازلة من الزمان وانما كان ابن ابي يظهر انه يستبقيهم لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم
وانه الرأي وكان يبطن خلاف ذلك وقوله سبحانه فعسى الله ان ياتي بالفتح وهو ظهور
نبيه عليه السلام وعلو كلمته وتمكينه من بني قينقاع وقريظة والنضير وفتح مكة او امر
من عنده يهلك به اعداء الشرع وهو ايضا فتح لا يقع فيه للبشر سبب وقرا ابن الزبير فيصبح
الفساق على ما اسروا في انفسهم نادمين وقوله سبحانه يقول الذين امنوا اهؤلاء الذين اقسموا
بالله جهد ايمانهم قرا نافع وغيره بغير واو وقرا حمزة وغيره ويقول وقرا ابو عمرو
وحده ويقول بالواو ونصب اللام فذهب كثير من المفسرين الى ان هذا القول من المؤمنين

نهى الله سبحانه المؤمنين بهذه الاية عن اتخاذ اليهود والنصارى اولياء

بن ابي

انما هو اذا جاء الفتح وحصلت ندامة المنافقين وفضحهم الله تعالى حينئذ يقول المؤمنون اهؤلاء الذين
اقسموا الاية ويحتمل الاية ان تكون حكاية لقول المؤمنين في وقت قول الذين في قلوبهم مرض
نخشى ان تصيبنا دائرة اذ فهم منهم ان تمسكهم باليهود انما هو ارضاء لله ولرسوله فمقتهم النبي
صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وترك لهم النبي صلى الله عليه وسلم بني قينقاع رغبة في المصلحة
والانفة واما قراءة ابي عمرو ويقول بالنصب فلا يتجه معها ان يكون قول المؤمنين الا عند الفتح
وظهور ندامة المنافقين وفضيحتهم وقوله تعالى جهد ايمانهم نصب جهد على المصدر المؤكد والمعنى
اهؤلاء هم المقسمون باجتهاد منهم في الايمان انهم لمعكم فقد ظهر الان منهم من موالاة اليهود
وخذل الشريعة ما يكذب ايمانهم وقوله حبطت اعمالهم يحتمل ان يكون اخبارا من الله سبحانه
ويحتمل ان يكون من قول المؤمنين ويحتمل ان يكون قوله حبطت دعاء اي بطلت اعمالهم وقوله
سبحانه يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه الاية خطابا للمؤمنين الى يوم القيامة ومعنى
الاية ان الله عز وجل وعد هذه الامة ان من ارتد منها فانه يجيء سبحانه بقوم ينصرون الدين
ويغنون عن المرتدين قال الفخر وقدم تعالى محبته لهم على محبتهم له اذ لولا حبه لهم لما وفقهم
ان صاروا محبين له انتهى وفي كتاب القصد الى الله سبحانه للمحاسبي قلت للشيخ هل يلحق المحبين لله
عز وجل خوف قال نعم الخوف لازم لهم كلزوم الايمان لا يزول الا بزواله وهذا هو خوف عذاب
التقصير في بدايتهم حتى اذا صاروا الى خوف الفوت صاروا الى الخوف الذي يكون في اعلا
حالاتهم فكان الخوف الاول يطرقهم خطرات وصار خوف الفوت وطنا قلت فما الحالة التي تكشف
عن قلوبهم شديد الخوف والحزن قال الرجاء بحسن الظن لمعرفتهم بسعة فضل الله عز وجل
واطماعهم منه ان يظفروا بمرادهم اذا وردوا عليه ولولا حسن ظنهم بربهم لتقطعت انفسهم
حسرات وماتوا كمدا وقلت اي شيء اكثر شغلهم وما الغالب على قلوبهم في جميع احوالهم قال كثرة
الذكر لمحبوبهم على طريق الدوام والاستقامة لا يملون ولا يعزون وقد اجمع الحكماء ان من احب
شيئا اكثر من ذكره ثم قال ذو النون ما ولع احد بذكر الله الا افاد منه حب الله انتهى وفي
الاية الحاح على المنافقين وعلى من ارتد في مدة النبي صلى الله عليه وسلم قال الفخر وهذه الاية
اخبار بغيب وقد وقع الخبر على وفقه فيكون معجزا وقد ارتدت العرب وغيرهم في ايام ابي بكر
فنصر الله الدين والى بخير منهم انتهى وقوله سبحانه اذلة على المؤمنين معناه متذللين من قبل
انفسهم غير متكبرين وهذا كقوله عز وجل اشداء على الكفار رحماء بينهم وكقوله عليه السلام
المؤمن هين لين وفي قراءة ابن مسعود اذلة على المؤمنين غلظاء على الكافرين وقوله سبحانه ولا
يخافون لومة لائم اشارة الى الرد على المنافقين في انهم يعتذرون بملازمة الاخلاق والمعاش
من الكفار ويراعون امرهم ت وخرج ابو بكر بن الخطيب بسنده عن ابي ذر قال اوصاني
النبي صلى الله عليه وسلم بسبع اوصاني ان انظر الى من هو دوني ولا انظر الى من هو فوقي
يعني في شان الدنيا واوصاني بحب المساكين والدنو منهم واوصاني ان اقول الحق وان كان
مرا واوصاني ان اصل رحمي ولو ادبرت واوصاني الا اخاف في الله لومة لائم واوصاني
ان لا اسال الناس شيئا واوصاني ان استكثر من لا حول ولا قوة الا بالله انتهى وقوله سبحانه ذلك
فضل الله الاشارة بذلك الى كون القوم يحبون الله ويحبهم وواسع معناه ذو سعة فيما

يملك

يملك ويعطي وينعم به سبحانه وقوله عز وجل انما وليكم الله ورسوله الاية انما في هذه
الاية حاصرة وقرا ابن مسعود انما مولاكم الله والزكاة هنا لفظ عام للزكاة المفروضة
والتطوع بالصدقة ولكل افعال البر اذ هي منمية للحسنات مطهرة للمرء عن دنس السيئات ثم
وصفهم سبحانه بتكثير الركوع وخص بالذكر لكونه من اعظم اركان الصلاة وهي هيئة تواضع
فعبر به عن جميع الصلاة كما قال سبحانه والركع السجود هذا هو الصحيح وهو تاويل الجمهور
ولكن اتفق مع ذلك ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه اعطى خاتمه وهو راكع في الصدقة وان
ذلك لعلي فالاية عامة في جميع المؤمنين ثم اخبر تعالى ان من يتولى الله ورسوله والمؤمنين فانه
غالب كل من ناواه وجاءت العبارة عامة ان حزب الله هم الغالبون ثم نهى سبحانه المؤمنين
عن اتخاذ الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا وقد ثبت استهزاء الكفار في قوله سبحانه انا كفيناك
المستهزئين وثبت استهزاء اهل الكتاب في لفظ هذه الاية وثبت استهزاء المنافقين في قولهم
لشياطينهم انا معكم انما نحن مستهزئون ثم امر سبحانه بتقواه ونبه النفوس بقوله ان كنتم
مؤمنين وقوله سبحانه واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا الاية اخبار على اليهود
وتبيين لسوء فعلهم وقوله وان اكثرهم فاسقون معنى المحاورة هل تنقمون منا الا
مجموع هذه الحال من انا مؤمنون وانتم فاسقون كما تقول لمن تخاصمه هل تنقم مني الا
ان صدقت انا وكذبت انت وقال بعض المتاولين وان اكثركم معطوف على ما كانه قال الا
ان امنا بالله وبكتبه وان اكثركم وهذا مستقيم المعنى وقال اكثركم من حيث ان فيهم
من امن كابن سلام وغيره وقوله سبحانه قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة يعني مرجعا
عند الله يوم القيامة ومنه واذ جعلنا البيت مثابة للناس ومشى المفسرون في هذه
الاية على ان الذين امروا ان يقول لهم هل انبئكم هم اليهود والكفار المتخذون دينا
هزوا ولعبا قال ذلك الطبري وتوبع عليه ولم يسند في ذلك الى متقدم شيئا والاية
تحتمل ان يكون القول للمؤمنين اي قل يا محمد للمؤمنين هل انبئكم بشر من حال هؤلاء
الفاسقين في وقت المرجع الى الله اولئك اسلافهم الذين لعنهم الله وغضب عليهم وقوله
سبحانه وجعل هي بمعنى صير وقد تقدم قصص مسخهم قردة في البقرة وعبد الطاغوت تقديره
ومن عبد الطاغوت وقرا حمزة وحده وعبد الطاغوت بفتح العين وضم الباء وكسر التاء
من الطاغوت وذلك ان عبد في مبالغة كيقظ قال الفخر قيل الطاغوت هو العجل وقيل الطاغوت
احبارهم وكل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده انتهى ومكانا يريد في الاخرة فالمكان على
وجهه اي المحل اذ محلهم جهنم ويحتمل ان يريد في الدنيا فهي استعارة للمكانة والحالة وقوله سبحانه
واذا جاءوكم يعني اليهود وخاصة المنافقين منهم قاله ابن عباس وغيره وقوله والله اعلم بما
كانوا يكتمون اي من الكفر والرؤية هنا تحتمل ان تكون قلبية وان تكون بصرية وفي الاثم
اي موجبات الاثم واللام في لبئس لام قسم وقوله لولا ينهاهم الربانيون والاحبار تخصيص
في ضمنه توبيخ لهم قال الفخر والمعنى هلا ينهاهم انتهى قال الطبري كان العلماء يقولون
ما في القران اية اشد توبيخا للعلماء من هذه الاية ولا اخوف عليهم منها وقال الضحاك بن مزاحم ما في
القران اية اخوف عندي منها انا لا ننهى وقال نحو هذا ابن عباس وقوله سبحانه عن قولهم الاثم

يحتمل ان م

ظاهره ان الاثم هنا الكفر ويحتمل ان يراد سائر اقوالهم المنكرة في النبي عليه السلام والمؤمنين
وقرأ ابن عباس بئس ما كانوا يصنعون بغير لام القسم وقوله سبحانه وتعالى وقالت اليهود يد الله
مغلولة الآية الى قوله لا يحب المفسدين هذه الآية تعديد كبيرة في اقوالهم وكفرهم اي فمن يقول
هذه العظيمة فلا يستنكر نفاقه وسعيه في رد امر الله قال ابن عباس وجماعة معنى قولهم التبخيل وذلك
انهم لحقتهم سنة وجهد فقالوا هذه المقالة يعنون بها ان الله بخل عليهم بالرزق والتوسعة تعالى
الله عن قولهم وهذا المعنى يشبه ما في قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك فان المراد لا تبخل ومنه
قول النبي صلى الله عليه وسلم مثل البخيل والمتصدق في الحديث وذكر الطبري والنقاش ان هذه الآية نزلت في
فنحاص اليهودي وانه قالها وقوله سبحانه غلت ايديهم خبر يحتمل في الدنيا ويحتمل في الآخرة فان كان
خبرا عن الدنيا فالمعنى غلت ايديهم عن الخير والانفاق في وجوه البر ونحوه واذا كان خبرا عن الآخرة
فالمعنى غلت في النار قلت ويحتمل الامرين معا وقوله سبحانه بل يداه مبسوطتان العقيدة في هذا المعنى نفي
التشبيه عن الله سبحانه وانه ليس بجسم ولا جارحة ولا يشبه ولا يكيف ولا يتحيز ولا تحله الحوادث
تعالى عما يقول المبطلون علوا كبيرا قال ابن عباس في هذه الآية يداه نعمتاه ثم اختلفت عباراتهم
في تعيين النعمتين فقيل نعمة الدنيا ونعمة الآخرة وقيل النعمة الظاهرة والنعمة الباطنة والظاهر
ان قوله سبحانه بل يداه مبسوطتان عبارة عن انعامه على الجملة وعبر عنها باليدين جريا على طريقة العرب في قولهم
فلان ينفق بكلتا يديه ومنه قول الاعشى يداك يدا مجد فكف مفيدة • وكف اذا ما ضن بالمال تنفق •
ويؤيد ان اليدين هنا بمعنى الانعام قرينة الانفاق ثم قال تعالى لنبيه عليه السلام وليزيدن
كثيرا منهم يعني اليهود ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا ثم قال سبحانه والقينا بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيامة العداوة اخص من البغضاء لان كل عدو فهو يبغض وقد يبغض من ليس
بعدو والبغضاء قد لا تتجاوز النفوس وقد القى الله سبحانه الامرين على بني اسرائيل قال الفخر
وقد اوقع الله بين فرقهم الخصومة الشديدة وانتهى امرهم الى ان يكفر بعضهم بعضا وفي قوله
والقينا بينهم العداوة للآية قولان احدهما ان المراد ما بين اليهود والنصارى من العداوة لانه جرى
ذكرهم في قوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وهذا قول الحسن ومجاهد والثاني ما وقع من
العداوة بين فرق اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم موحدة وبعضهم
مشبهة وكذلك بين فرق النصارى كالملكانية والنسطورية واليعقوبية انتهى وقوله سبحانه
كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله استعارة بليغة قال مجاهد معنى الآية كلما اوقدوا نارا
لحرب النبي صلى الله عليه وسلم اطفأها الله فالآية بشارة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين
وباقي الآية بين وقوله سبحانه ولو ان اهل الكتاب امنوا الآية يحتمل ان يراد بها معاصرو النبي
صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يراد بها الاسلاف والمعاصرون وقوله ولو انهم اقاموا التوراة
اي اظهروا احكامها فهي كاقامة السوق واقامة الصلاة والانجيل يقتضي دخول النصارى
النصارى في لفظ اهل الكتاب في هذه الآية قلت وقال مكي معناه اقاموا التوراة والانجيل اي عملوا
بما فيها واقروا بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وبنبوته انتهى من الهداية وقوله وما انزل اليهم
من ربهم معناه من وحي وسنن على السنة الانبياء واختلف في معنى من فوقهم ومن تحت
ارجلهم فقال ابن عباس وغيره المعنى لاعطتهم السماء مطرها والارض نباتها بفضل الله

وقال الطبري وغيره ان الكلام استعارة ومبالغة في التوسعة كما يقال فلان قد عمه الخير من
قرنه الى قدمه وقوله سبحانه منهم امة مقتصدة معناه معتدلة والقصد والاقتصاد الاعتدال والرفق
والتوسط الحسن في الاقوال والافعال قال ابن زيد وهؤلاء هم اهل طاعة الله من اهل الكتاب قال ع وهذا
هو الراجح وقوله سبحانه يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية هذه الآية امر من الله تعالى للنبي
عليه السلام بالتبليغ على الاستيفاء والكمال لانه قد كان بلغ صلى الله عليه وسلم وانما امر في هذه
الآية بان لا يتوقف عن شيء مخافة احد وذلك ان رسالته عليه السلام تضمنت الطعن على
انواع الكفرة وبيان فساد حالهم فكان يلقى منهم صلى الله عليه وسلم عنتا وربما خافهم احيانا
قبل نزول هذه الآية فقال الله تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك اي كاملا والله يعصمك من الناس
قالت عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها من زعم ان محمدا كتم شيئا فقد اعظم الفرية والله تعالى يقول
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك الآية وقال عبد الله ابن شقيق كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتعقبه اصحابه يحرسونه فلما نزلت والله يعصمك من الناس خرج فقال يا ايها الناس
الحقوا بملاحقكم فان الله قد عصمني قلت خرج الترمذي هذا الحديث ايضا من طريق عائشة
كما وجب التبليغ عليه عليه السلام وجب على علماء امته وقد قال عليه السلام بلغوا عني ولو آية
وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله
امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه الى من ليس بفقيه رواه ابو داود
واللفظ له والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه قال الترمذي هذا حديث
حسن ورواه من حديث ابن مسعود وقال حديث حسن صحيح انتهى من السلاح وقال محمد بن كعب
القرظي نزلت هذه الآية بسبب الاعرابي الذي اخترط سيف النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله به
قال ابن العربي قوله والله يعصمك من الناس معناه يجعل بينك وبينهم حجابا يمنع من وصول
مكروههم اليك كعصام القربة يمنع سيلان الماء منها ولعلمائنا في الآية تأويلات اصحها
ان العصمة عامة في كل مكروه وان الآية نزلت بعد ان شج وجهه وكسرت رباعيته صلى الله عليه
وسلم وقيل انه اراد من القتل خاصة والاول اصح وقد كان صلى الله عليه وسلم اوتي بعض
هذه العصمة بمكة في قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين ثم كملت له العصمة بالمدينة فعصم من الناس
كلهم انتهى من كتابه في تفسير افعال الله الواقعة في القرآن ثم امر تعالى نبيه عليه السلام ان يقول
لاهل الكتاب الحاضرين معه لستم على شيء اي لستم على شيء مستقيم حتى تقيموا التوراة والانجيل وفي اقامتهما
الايمان بنبينا محمد عليه السلام ت وهذه الآية عندي من اخوف آية في القرآن كما اشار الى ذلك سفيان
فتأملها حق التأمل وقوله سبحانه وما انزل اليكم من ربكم الآية يعني به القرآن وقوله سبحانه
ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من امن بالله واليوم الآخر وعمل
صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا لفظ عام في كل مؤمن من ملة نبينا محمد
عليه السلام ومن غيرها من الملل فكان الفاظ الآية حصر بها الناس كلهم وبينت الطوائف على
اختلافها وهذا هو تأويل الجمهور وقد مضى الكلام في سورة البقرة فراجعه هناك وقرأ الجمهور
والصابئون وقرئ خارج السبعة والصابئين وهي بينة الاعراب واما على قراءة الجمهور فاختلف
في اعرابها ومذهب سيبويه والخليل ونحاة البصرة انه من المقدم الذي معناه التاخير كانه

قل ان الذين امنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون والصابئون والنصارى كذلك قال ص ووجه ثان ان الخبر محذوف اى ان الذين امنوا
لهم اجرهم وخبر الصابئين من امن وما بعده قال ابن عصفور وهو حسن جدا اذ ليس فيه اكثر من
حذف خبر ان للفهم وهو جائز في فصيح الكلام انتهى ت قال ابن ملك وهو اسهل من التقديم والتاخير
وقيل ان الصابئين في موضع نصب ولكنه جاء على لغة الذين يجمعون التثنية بالالف على كل حال والجمع بالواو على
كل حال قاله ابو البقا وقيل غير هذا وقوله سبحانه وحسبوا ان لا تكون فتنة المعنى في هذه الاية وظن هولاء
الكفرة بالله والعصاة من بني اسرائيل ان لا يكون من الله ابتلاء لهم واخذ في الدنيا فلجوا في شهواتهم وعموا
فيها اذ لم يبصروا الحق وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم حبك الشي يعمي ويصم وقوله سبحانه ثم تاب الله
عليهم قالت جماعة من المفسرين هذه التوبة هي ردهم الى بيت المقدس بعد الاخراج الاول ورد
ملكهم وحالهم ثم عموا وصموا بعد ذلك حتى اخرجوا الخرجة الثانية ولم ينجبروا ابدا ومعنى
تاب الله عليهم اى رجع بهم الى الطاعة والحق ومن فصاحة القران استناد هذا الفعل الشريف الى
الله تعالى واسناد العمى والصمم للذين هما عبارة عن ضلال اليهم ثم اخبر تعالى اخبارا موكدا بلام القسم
عن كفر القائلين ان الله هو المسيح بن مريم وهذا قول اليعقوبية من النصارى ثم اخبر تعالى عن قول
المسيح لهم فقال وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم الاية فضلوا هم وكفروا
بسبب ما راوا على يديه من الايات وقوله تعالى وما للظالمين من انصار يحتمل ان يكون من قول
عيسى عليه السلام لبني اسرائيل ويحتمل ان يكون اخبارا من الله سبحانه لنبيه محمد عليه السلام
وقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد الاية اخبار
موكد كالذي قبله عن هذه الطائفة الناطقة بالتثليث وهم فرق من النسطورية وغيرهم
ولا معنى لذكر اقوالهم في كتب التفسير وقوله سبحانه ثالث ثلاثة لا يجوز فيه الا الاضافة وخفض
ثلاثة لان المعنى احد ثلاثة فان قلت زيد ثالث اثنين او رابع ثلاثة جاز لك ان تضيف كما
تقدم وجاز لك ان لا تضيف وتنصب ثلاثة على معنى زيد يربع ثلاثة وقوله سبحانه وما من اله
الا اله واحد لانه خبر صادع بالحق وهو سبحانه الخالق المبدع المتصف بالصفات العلى سبحانه
تعالى عما يقول الظالمين علوا كبيرا ثم توعدهم ان لم ينتهوا عما يقولون ثم رفق عز وجل بهم
بتحضيضه اياهم على التوبة وعلى طلب المغفرة ثم وصف سبحانه نفسه بالغفران والرحمة
استجلابا للتائبين وتانيسا لهم ليكونوا على ثقة من الانتفاع بتوبتهم قال ص ليمسن
اللام فيه جواب قسم محذوف قبل اداة الشرط انتهى وقوله سبحانه وامه صديقة بناء مبالغة من
الصدق ويحتمل من التصديق وبه سمي ابو بكر الصديق وهذه الصفة لمريم تدفع قول من قال انها
نبية وقوله سبحانه كانا ياكلان الطعام تنبيه على نقص البشرية وعلى حال من الاحتياج الى الغذا تنتفي
معها الالوهية ويوفكون معناه يصرفون ومنه قوله عز وجل يوفك عنه من افك
والارض الماتفوكة التي صرفت عن ان يصيبها المطر والمطر في الحقيقة هو المصروف ولكن قيل ارض
ماتفوكة لما كانت ماتفوكا عنها وقوله سبحانه قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا
ولا نفعا والله هو السميع العليم الضر بفتح الضاد المصدر وبضمها الاسم وهو عدم الخير والسميع
لاقوالهم والعليم بنياتهم والغلو تجاوز الحد غلا السهم اذا تجاوز الغرض المقصود وتلك

المسافة هي غلوة وهذه المخاطبة هي للنصارى الذين غلوا في عيسى والقوم الذين نهي النصارى
عن اتباع اهوائهم بنو اسرائيل ووصف تعالى اليهود بانهم ضلوا قديما واضلوا كثيرا من
من اتباعهم ثم اكد الامر بتكرار قوله تعالى وضلوا عن سواء السبيل وقوله تعالى لعن الذين كفروا
من بني اسرائيل قال ابن عباس رضي الله عنه لعنوا بكل لسان لعنوا في التورية وفي الزبور والانجيل
والفرقان وقوله تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه الاية ذم الله سبحانه هذه الفرقة الملعونة
بانهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اى انهم كانوا يتجاهرون بالمعاصي وان نهى منهم ناه لم يمتنع
عن مواصلة العاصي ومواكلته وخلطته وروى ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الرجل من بني اسرائيل كان اذا راى اخاه على ذنب نهاه عنه تعذيرا فاذا كان من الغد لم يمنعه ما راى
منه ان يكون اكيله او خليطه فلما راى الله ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان
نبيهم داود وعيسى قال ابن مسعود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكيا فجلس فقال لا والله
حتى تاخذوا على يد الظالم فتاطروه على الحق اطرا والاطر على الحق على ان النهي عن المنكر واجب لمن اطاقه
ونهى بمعروف اى برفق وقول معروف وامن الضرر عليه وعلى المومنين فان تعذر على احد النهي
لشي من هذه الوجوه ففرض عليه الانكار بقلبه وان لا يخالط ذا المنكر وقال حذاق اهل
العلم ليس من شروط الناهي ان يكون سليما من المعصية بل ينهى العصاة بعضهم بعضا وقوله سبحانه
لبيس ما كانوا يفعلون اللام لام قسم وروى ابو داود عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة حق وقال كلمة عدل عند سلطان جائر او امير جائر انتهى وقوله سبحانه
قوله سبحانه النبيه محمد صلى الله عليه وسلم ترى كثيرا منهم يحتمل ان تكون روية عين فلا يريد الا معاصريه
ويحتمل ان تكون روية قلب وعلى هذا فيحتمل ان يريد المعاصرين له ويحتمل ان يريد اسلافهم
والذين كفروا عبدة الاوثان وقوله سبحانه لبيس ما قدمت لهم انفسهم الاية اى قدمته للاخرة
واجترحته ثم فسر قوله تعالى ان سخط الله عليهم فان سخط في موضع رفع بدل من ما ويحتمل ان يكون
التقدير هو ان سخط الله عليهم وقوله سبحانه ولكن ان كان المراد بالاسلاف فالنبي داود وعيسى وان
كان المراد معاصري نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فالمراد بالنبي هو صلى الله عليه وسلم وذهب بعض
المفسرين الى ان قوله سبحانه ترى كثيرا منهم كلام منقطع من ذكر بني اسرائيل وانه يعني به المنافقين
ونحوه لمجاهد وقوله تعالى لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا الاية
اللام في قوله لتجدن لام ابتدا وقال الزجاج هي لام قسم وهذا خبر مطلق منسحب على الزمان كله وهكذا
هو الامر حتى الان وذلك ان اليهود مرنوا على تكذيب الانبياء وقتلهم ومردوا على استشعار اللعنة وضرب
الذلة والمسكنة فهم قد لجت عداوتهم وكثر حسدهم فهم اشد عداوة للمومنين وكذلك كون
عبدة الاوثان والنيران واما النصارى فانهم يعظمون من اهل الاسلام من استشعروا منه صحة
دين ويستهينون من فهموا منه الفسق فانهم ان حاربوا فانما حربهم انفة لا ان شرعهم ياخذهم
بذلك واذا سالموا فسلمهم صاف واليهود لعنهم الله ليسوا على شي من هذه الخلال بل شانهم الخبث
والليّ بالالسنة والمكر والغدر ولم يصف الله تعالى النصارى بانهم اهل ود وانما وصفهم بانهم
اقرب من اليهود والمشركين وفي قوله سبحانه الذين قالوا انا نصارى اشارة الى معاصري نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم من النصارى انهم ليسوا على حقيقة النصرانية وانما هو قول منهم وزعم

هو قول منهم وزعم و قوله تعالى ذلك بان منهم قسيسين و رهبانا الاية معناه ذلك بان منهم اهل
خشية وانقطاع الى الله تعالى وعبادة وان لم يكونوا على هدى فهم يميلوا الى اهل العبادة والخشية
وليس عند اليهود ولا كان قط اهل ديارات وصوامع وانقطاع عن الدنيا بل هم معظمون لها متطاولون
في البنيان وامور الدنيا حتى كانهم لا يؤمنون بالاخرة فلذلك لا ترى فيهم زاهد قال الفخر القس
والقسيس اسم رئيس النصارى والجمع قسيسين وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وهو مما
وقع الوفاق فيه بين اللغتين انتهى و وصف سبحانه النصارى بانهم لا يستكبرون وهذا موجود
فيهم حتى الان واليهودي متى وجد عزا طغى وتجبر وتكبر ثم مدحهم سبحانه فقال واذا سمعوا ما انزل
الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع الاية قال النووي ينبغي للقاري ان يكون شانه الخشوع و التدبر
والخضوع وهذا هو المقصود والمطلوب به تنشرح الصدور وتستنير القلوب ودلايله اكثر من ان
تحصر واشهر من ان تذكر وقد بات جماعة من السلف يتلوا الواحد منهم اية واحدة ليلة كاملة او معظم
ليلة يتدبرها وصعق جماعة منهم عند سماع القران وقرائته ومات جماعة منهم ويستحب البكاء
والتباكي لمن لا يقدر على البكاء فان البكاء عند القراءة صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين
قال الله عز وجل ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وقد وردت اثار كثيرة في ذلك
انتهى من الحلية وذكر ابن عباس وابن جبير ومجاهد ان هذه الاية نزلت بسبب وفد بعثهم النجاشي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليروه ويعرفوا حاله فقرا النبي صلى الله عليه وسلم عليهم
القرآن فبكوا وامنوا ورجعوا الى النجاشي فامن ولم يزل مؤمنا حتى مات وصلى عليه النبي صلى الله عليه
وسلم وروي ان نعش النجاشي كشف للنبي صلى الله عليه وسلم فكان يراه من موضعه بالمدينة وجاء
الخبر بعد مدة ان النجاشي دفن في اليوم الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم عليه قال ابو صالح كانوا
سبعة وستين رجلا وقال ابن جبير كانوا سبعين عليهم ثياب الصوف وكلهم صاحب صومعة
اختارهم النجاشي وصدر الاية في قرب المودة عام فيهم ولا يتوجه ان يكون صدر الاية خاصا
فيمن امن وانما وقع التخصيص من قوله تعالى واذا سمعوا و جاء الضمير عاما اذ قد يحمل الجماعة
بفعل واحد منهم وفي هذا استدعاء للنصارى ولطف من الله بهم ليؤمنوا قال ص مما عرفوا
من الحق من الاولى لابتداء الغاية قال ابو البقاء ومعناها من اجل الذي عرفوا ومن الثانية لبيان
ما الموصولة انتهى قال العراقي تفيض اي تسيل منها العبرة و في الحديث اقروا القرآن وابكوا فان
لم تبكوا فتباكوا اخرجه البزار انتهى من الكوكب الدري و فيه عن البزار ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من خرج من عينيه مثل جناح ذباب دموعا من خشية الله لم يدخل النار حتى يلج اللبن في ضرعه
انتهى و قولهم مع الشاهدين يعني نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وامته قاله ابن عباس وغيره
وقال الطبري لو قال قايل معنى ذلك مع الشاهدين بتوحيدك من جميع العالم لكان صوابا وهو كلام
صحيح وكان ابن عباس خصص امة محمد لقول الله سبحانه وكذلك جعلناكم امة وسطا الاية و قولهم
وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق توقيف لانفسهم او محاجة لمن عارضهم من الكفار والقوم
الصالحون محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه قاله زيد وغيره من المفسرين ثم ذكر تعالى ما اثابهم
على من النعيم ايمانهم واحسانهم ثم ذكر سبحانه حال الكافرين المكذبين وانهم قرناء الجحيم و قوله سبحانه
يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قال ابن عباس وغيره نزلت بسبب جماعة من اصحاب

البنى عليه السلام بلغت منهم الموعظة وخوف الله تعالى الى ان حرم بعضهم النساء وبعضهم النوم
بالليل والطيب وهم بعضهم بالاختصاء فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اما انا فاقوم
وانام واصوم وافطر واتي النساء وانال الطيب فمن رغب عن سنتي فليس مني قال الطبري
كان فيما يتلى من رغب عن سنتك فليس من امتك وقد ضل عن سواء السبيل و الطيبات في هذه
المستلذات بدليل اضافتها الى ما احل الله وبقرينة ما ذكر من سبب الاية و قوله سبحانه ولا تعتدوا
قال عكرمة وغيره معناه في تحريم ما احل الله وقال الحسن بن ابي الحسن المعنى ولا تعتدوا فتحلوا
ما حرم الله فالنهيان على هذا تضمنا الطرفين كانه قال لا تشددوا فتحرموا حلالا ولا تترخصوا
فتحلوا حراما قلت وروى مالك في الموطا عن ابي النضر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما مات عثمان بن مظعون ومر بجنازته ذهبت ولم تلتبس منها بشيء قال ابو عمر في التمهيد هذا الحديث
في الموطا مقطوع وقد رويناه متصلا مسندا من وجه صالح حسن ثم اسند ابو عمر
عن عائشة قالت لما مات عثمان بن مظعون كشف النبي صلى الله عليه وسلم الثوب عن
وجهه وقبل بين عينيه وبكا بكاء طويلا فلما رفع على السرير قال طوبى لك يا عثمان لم تلبسك
الدنيا ولم تلبسها قال ابو عمر كان عثمان بن مظعون احد فضلاء العباد والزاهدين في الدنيا من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المتبتلين منهم وقد كان هو وعلي بن ابي طالب هما ان يترهبا ويتركا
الدنيا ويقبلا على العبادة ويحرما طيبات الطعام على انفسهما فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم الاية ونقل هذا معمر وغيره عن قتادة و قوله سبحانه ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم الايمان معناه شددتم وعقد اليمين كعقد الحبل والعهد وقال الحطيئة شعر
• قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم • شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا • قال الفخر
واما وجه المناسبة بين هذه الاية والتي قبلها فهو ما تقدم من ان قوما من الصحابة رضي
الله عنهم حرموا على انفسهم المطاعم والملاذ وحلفوا على ذلك فلما نهاهم الله تعالى عن ذلك قالوا
يا رسول الله وكيف نصنع بايماننا فانزل الله تعالى هذه الاية انتهى و قوله سبحانه فكفارته
اطعام عشرة مساكين اي اشباعهم مرة واحدة وحكم هولاء ان لا يتكرر واحد منهم في
كفارة يمين واحدة و اختلف في معنى قوله سبحانه من اوسط فرأى مالك وجماعة معه هذا
التوسط في القدر ورأى جماعة في الصنف والوجه ان يعم بلفظ الوسط القدر والصنف
فرأى مالك ان يطعم المسكين بالمدينة مدا بمد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك رطل
وثلث وهو اضيق المعيشة في المدينة ورأى في غيرها ان يتوسع و رأى من يقول ان
التوسط انما هو في الصنف ان يكون الرجل المكفر يتجنب ادنى ماكل الناس في البلد وينحط
عن الاعالي ويكفر بالوسط من ذلك ومذهب المدونة يراعي المكفر عيش البلد وتاول
العلماء في الحانث في اليمين بالله انه مخير في الاطعام والكسوة والعتق والعلماء على ان العتق
افضل ذلك ثم الكسوة ثم الاطعام وبدا الله تعالى عباده بالايسر فالايسر قال الفخر وبدا
سبحانه بالاطعام لانه اعم وجودا والمقصود منه التنبيه على انه سبحانه يراعي التخفيف والتسهيل
في التكاليف وثانيهما ان الاطعام افضل ت وهذا هو مشهور مذهب مالك انتهى
و يجزي عند مالك من الكسوة في الكفارة ما يجزي في الصلاة و قوله سبحانه او تحرير

رقبة اي مؤمنة قاله مالك وجماعة لان هذا المطلق راجع الى المقيد في عتق الرقبة في
قتل الخطا وقوله سبحانه فمن لم يجد معناه من لم يجد في ملكه احد هذه الثلاثة المذكورة واختلف
العلماء في حد هذا العادم ومتى يصح له الصيام فقال الشافعي ومالك وجماعة من العلماء اذا
كان المكفر لا يملك الا قوته وقوت عياله يومه وليلته فله ان يصوم فان كان عنده زائد على
ذلك ما يطعم عشرة مساكين لزمه الاطعام قال الطبري وقال اخرون جائز لمن لم يكن له فضل على
راس ماله الذي يتصرف فيه في معايشه ان يصوم وقرا ابي بن كعب وابن مسعود ثلاثة
ايام متتابعات وقال بذلك جماعة وقال مالك وغيره ان تابع فحسن وان فرق اجزاه
وقوله اذا حلفتم معناه واردتم الحنث او وقعتم فيه وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا انما الخمر
والميسر والانصاب والازلام رجس الاية قال ع وفي معنى الازلام الزجر بالطير واخذ
الفال في الكتب ونحوه مما يصنعه الناس واخبر ان هذه الاشياء رجس قال ابن عباس في هذه
الاية رجس اي سخط وقال ابن زيد الرجس الشر قال ع الرجس كل مكروه ذميم وقد يقال للعذاب
والرجز العذاب لا غيره والركس العذرة لا غير والرجس يقال للامرين وقوله سبحانه فاجتنبوه
امر باجتنابه وتحريم الخمر بظاهر القران ونص الاحاديث واجماع الامة وامر الخمر انما كان بتدريج
ونوازل كثيرة كقصة حمزة حين جب الاسنمة وقوله وهل انتم الا عبيد ابي ثم اعلم سبحانه ان الشيطان
انما يريد ان يوقع العداوة بسبب الخمر وما يفتري عليها بين المؤمنين وبسبب الميسر اذ كانوا
يتقامرون على الاموال حتى ربما بقي المقمور فقيرا فيحدث من ذلك ضغاين وعداوة فان لم يصل
الامر الى حد العداوة كانت بغضاء ولا تحسن عاقبة قوم متباغضين ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وباجتماع النفوس
والكلمة يحمى الدين ويجاهد العدو والبغضاء تنقض عرى الدين وتهدم عماد الحماية وكذلك
ايضا يريد الشيطان ان يصد المؤمنين عن ذكر الله وعن الصلاة ويشغلهم عنها باتباع الشهوات
والخمر والميسر والقمار كله من اعظم الافة في ذلك وفي قوله سبحانه فهل انتم منتهون وعيد زائد
على معنى انتهوا وقوله سبحانه ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية
قال ابن عباس وغيره لما نزل تحريم الخمر قال قوم من الصحابة يا رسول الله كيف بمن مات منا
وهو يشربها ويأكل الميسر ونحو هذا من القول فنزلت هذه الاية وهذا نظير سؤالهم
عمن مات على القبلة الاولى والجناح الاثم والحرج والتكرار في قوله اتقوا يقتضي في كل
واحدة زيادة على التي قبلها وفي ذلك مبالغة في هذه الصفات لهم وليست الاية وقفا
على من عمل الصالحات كلها واتقى كل التقوى بل هي لكل مؤمن وان كان عاصيا احيانا اذا
كان قد عمل من هذه الخصال الممدوحة ما استحق به ان يوصف بانه مؤمن عامل للصالحات
متق في غالب امره محسن فليس على هذا الصنف جناح فيما طعم مما لم يحرم عليهم وطعموا
معناه ذاقوا فصاعدا في رتبة الاكل والشرب وقد يستعار للنوم وغيره وحقيقته
في حاسة الذوق وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد اي ليختبرنكم
ليرى طاعتكم من معصيتكم وقوله بشيء يقتضي تبعيضا ومن يحتمل ان تكون للتبعيض ويحتمل
ان تكون لبيان الجنس كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقوله تعالى ليعلم الله من يخافه

بالغيب

بالغيب معناه ليستمر علمه سبحانه عليه وهو موجود اذ قد علم تعالى ذلك في الازل وبالغيب
قال الطبري معناه في الدنيا حيث لا يرى العبد ربه فهو غائب عنه والظاهر ان المعنى بالغيب من
الناس اي في الخلوة فمن خاف الله انتهى ت وقول الطبري اظهر ثم توعد تعالى من اعتدى بعد
النهي بالعذاب الاليم وهو عذاب الاخرة وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد
وانتم حرم الاية الصيد مصدر عومل معاملة الاسماء فاوقع على الحيوان المصيد ولفظ الصيد
هنا عام ومعناه الخصوص فيما عدا ما استثني وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الغراب والحداة والفارة والعقرب والكلب العقور واجمع
الناس على اباحة قتل الحية وبسط هذا في كتب الفقه وحرم جمع حرام وهو الذي يدخل في الحرم
او في الاحرام واختلف في قوله متعمدا فقال مجاهد وغيره معناه متعمدا لقتله ناسيا
لاحرامه فهذا يكفر واما ان كان ذاكرا لاحرامه فهذا اعظم من ان يكفر وقد حل ولا رخصة له
وقال جماعة من اهل العلم منهم ابن عباس ومالك والزهري وغيرهم المتعمد القاصد الذاكر لاحرامه للقتل م
فهو يكفر وكذلك الناسي والقاتل خطا يكفران وقرا نافع وغيره فجزاء مثل باضافة الجزاء الى المثل
وقرا حمزة وغيره جزاء بالرفع مثل بالرفع ايضا واختلف في هذه المماثلة كيف تكون فذهب الجمهور
الى ان الحكمين ينظران الى مثل الحيوان المقتول في الخلقة وعظم المراي فيجعلون ذلك من النعم جزاء
وذهب الشعبي وغيره الى ان المماثلة انما هي في القيمة ويقوم الصيد المقتول ثم يشتري بقيمته ندا
من النعم ورده الطبري وغيره هذا القول والنعم لفظ يقع على الابل والبقر والغنم اذا اجتمعت هذه
الاصناف فان انفرد كل صنف لم يقل نعم الا للابل وحدها ونص القران هذه النازلة على الحكمين
عدلين عالمين بحكم النازلة وبالتقدير فيها وعلى هذا جمهور الناس قال ابن وهب في العتبية من السنة
ان يخير الحكمان من اصاب الصيد كما خيره الله تعالى في ان يخرج هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام
مساكين او عدل ذلك صياما فان اختار الهدي حكم عليه بما يريانه نظيرا لما اصاب ما بينهما
وبين ان يكون عدل ذلك شاة لانها ادنى الهدي فما لم يبلغ شاة حكما فيه بالطعام ثم خير في
ان يطعمه او يصوم مكان كل مد يوما وكذلك في المدونة اذا اراد المصاب ان يطعم
او يصوم فان كان لما اصاب نظير من النعم فانه يقوم صيده طعاما لا دراهم قال وان قومه
دراهم واشترى بها طعاما لرجوت ان يكون واسعا والاول اصوب فان شاء اطعم وان
شاء صام مكان كل مد يوما وان زاد ذلك على شهرين او ثلاثة وقال يحيى بن عمر من اصحابنا انما
يقال كم من رجل يشبع من هذا الصيد فيعرف العدد ثم يقال كم من الطعام يشبع هذا العدد
فان شاء اخرج ذلك الطعام وان شاء صام عدد امداده وهذا قول حسن احتاط فيه لانه
قد تكون قيمة الصيد من الطعام قليلة فبهذا النظر يكثر الاطعام وقوله سبحانه هديا بالغ
الكعبة ذكرت الكعبة لانها ام الحرم والحرم كله منحر لهذا الهدي ولا بد ان يجمع في هذا
الهدي بين الحل والحرم حتى يكون بالغا الكعبة فالهدي لا ينحر الا في الحرم واختلف في الطعام
فقال جماعة الاطعام والصوم حيث شاء المكفر من البلاد وقال عطاء بن ابي رباح وغيره
الهدي والاطعام بمكة والصوم حيث شئت وقوله سبحانه ليذوق وبال امره الذوق هنا
مستعار والوبال سوء العاقبة والمرعى الوبيل هو الذي يتاذى به بعد اكله وعبر بامره عن جميع

حاله من قتل وتكفير وحكم عليه ومضى ماله او تعبه بالصوم واختلف في معنى قوله سبحانه عفا الله
عما سلف الآية فقال عطاء بن ابي رباح وجماعة غيره معناه عفا الله عما سلف في جاهليتكم من قتلكم الصيد في
الحرم ومن عاد الآن في الاسلام فان كان مستحلا فينتقم الله منه في الآخرة ويكفر في ظاهر الحكم وان كان عاصيا
فالنقمة هي في الزامه الكفارة فقط قالوا وكلما عاد المحرم فهو يكفر قال ع ويخاف المتورعون ان تبقى النقمة
مع التكفير وهذا هو قول الفقهاء مالك ونظرائه واصحابه رحمهم الله وقال ابن عباس وغيره اما المتعمد
فانه يكفر مرة ويعفو الله عن ذنبه فان اجترأ او عاد ثانيا فلا يحكم عليه ويقال له ينتقم الله منك كما قال
الله تعالى وقوله سبحانه والله عزيز ذو انتقام تنبيه على صفتين تقتضيان خوف من له بصيرة ومن خاف
ازدجر ومن هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل قلت والصيد
للهو مكروه وروى ابو داود في سننه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من سكن البادية
جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان افتتن انتهى وقوله سبحانه احل لكم صيد البحر وطعامه
متاعا لكم الآية البحر الماء الكثير ملحا كان او عذبا وكل نهر كبير بحر وطعامه كل ما قذف به وما طفا
عليه قال جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وهو مذهب مالك ومتاعا نصب على المصدر
والمعنى متعكم به متاعا تنتفعون وتتأدمون ولكم يريد حاضري البحر ومدنه وللسيارة المسافرين و
اختلف في مقتضى قوله سبحانه وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فتلقاه بعضهم على العموم من جميع جهاته
فقالوا ان المحرم لا يحل له ان يصيد ولا ان يأمر من يصيد ولا ان يأكل صيدا اصيد من اجله ولا
من غير اجله وان لحم الصيد باي وجه كان حرام على المحرم وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يرى باسا للمحرم
ان يأكل ما صاده حلال لنفسه او الحلال لمثله وقال بمثل قول عمر عثمان بن عفان والزبير بن العوام وهو
الصحيح لان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من الحمار الذي اصاده ابو قتادة وهو حلال والنبي عليه السلام
محرم ثم ذكر سبحانه بامر الحشر والقيامة مبالغة في التحذير ولما بان في هذه الآيات تعظيم الحرم والحرمة
بالاحرام من اجل الكعبة وانها بيت الله وعنصر هذه الفضائل ذكر سبحانه في قوله جعل الله الكعبة
البيت تنبيها سنة في الناس وهداهم لديه وحمل عليه الجاهلية الجهلاء من التزامهم ان الكعبة قوام والهدى
قوام والقلائد قوام اي امر يقوم للناس بالتأمين ووضع الحرب اوزارها واعلم تعالى ان التزام
الناس لذلك هو مما شرعه وارتضاه وجعل في هذه الآية بمعنى صير والكعبة بيت مكة وسمي كعبة
لتربيعه قال اهل اللغة كل بيت مربع فهو مكعب وكعبة وذهب بعض المتأولين الى ان معنى قوله
تعالى قياما للناس اي موضع وجوب قيام بالمناسك والتعبدات وضبط النفوس في الشهر الحرام ومع
الهدي والقلائد قال مكي معنا قياما للناس اي جعلها بمنزلة الرئيس الذي يقوم به امر اتباعه فهي
تحجزهم عن ظلم بعضهم بعضا وكذلك الهدي والقلائد جعل ذلك ايضا قياما للناس فكان الرجل اذا دخل
الحرم امن من عدوه واذا ساق الهدي كذلك لم يعرض له وكان الرجل اذا اراد الحج تقلد بقلادة من شعر
واذا رجع تقلد بقلادة من لحا شجر الحرم فلا يعرض له ولا يؤذى حتى يصل الى اهله قال ابن زيد
كان الناس كلهم فيهم ملوك تدفع بعضهم عن بعض ولم يكن في العرب ملوك تدفع عن بعضهم ظلم بعض
فجعل الله لهم البيت الحرام قياما يدفع بعضهم عن بعض انتهى من الهداية والشهر هنا اسم جنس
والمراد الاشهر الثلاثة باجماع من العرب وشهر مضر وهو رجب واما الهدي وكان امانا
لمن يسوقه لانه يعلم انه في عبادة لم يأت لحرب واما القلائد فكذلك كان الرجل اذا خرج يريد

لحج

الحج تقلد من لحا السمر او غيره شيئا وكان ذلك امانا له وكذلك اذا انصرف تقلد من شجر الحرم
وقوله ذلك اشارة الى ان جعل الله هذه الامور قياما وقوله سبحانه بكل شيء عليم عام عموما تاما
في الجزئيات ودقائق الموجودات والقول بغير هذا الحاد في الدين وكفر وقوله سبحانه ما على الرسول
الا البلاغ الآية اخبار للمومنين متضمنة الوعيد ان انحرفوا ولم يمتثلوا ما بلغ الرسول اليهم والله
يعلم ما تبدون وما تكتمون وقال الشيخ ابو محمد رضي الله عنه الحق تعالى مطلع على السرائر والظواهر في
كل نفس وحال فايما قلب رآه موثرا له حفظه من طوارق المحن ومضلات الفتن وقال رحمه الله
ما عرف الحق من لم يوثره وما اطاعه من لم يشكره انتهى وقوله سبحانه قل لا يستوي الخبيث والطيب
الآية لفظ عام في جميع الامور يتصور في المكاسب وعدد الناس والمعارف من العلوم ونحوها فالخبيث من هذا
كله لا يفلح ولا ينجب ولا يحسن له عاقبة والطيب وان قل نافع جميل العاقبة وينظر الى هذه
الآية قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا والخبث هو
الفساد الباطن في الاشياء حتى يظن بها الصلاح وهي بخلاف ذلك وقوله سبحانه فاتقوا الله يا اولى الالباب
تنبيه على لزوم الطاعات في المعتقدات والعمل وخص اولو الالباب بالذكر لانهم المتقدمون في تمييز هذه الامور والذي
لا ينبغي لهم اهمالها مع البابهم وادراكهم وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا لا تسئلوا عن اشياء
ان تبد لكم تسوكم الآية اختلف الرواة في سببها والظاهر من الروايات ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحت عليه الاعراب والجهال بانواع من السؤالات حسبما هو معلوم في الروايات فزجر الله تعالى
عن ذلك بهذه الآية واشياء اسم جمع شيء قاله ابن عباس ومعنى الآية لا تسألوا عن اشياء في ضمن الاخبار
عنها مساءة لكم اما بتكليف شرعي يلزمكم واما بخبر يسوؤكم ولكن اذا نزل القرآن بشيء وابتدأكم ربكم
بامر فحينئذ ان سألتم عن تفصيله وبيانه بين لكم وابدي ويحتمل قوله وان تسألوا عنها حين ينزل
القرآن تبد لكم ان يكون في معنى الوعيد كانه قال لا تسألوا وان سألتم لقيتم غب ذلك وصعوبته
قال النووي وعن ابي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل
فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم اشياء فلا تنتهكوها وسكت
عن اشياء رحمة بكم لا عن نسيان فلا تبحثوا عنها رويناه في سنن الدارقطني انتهى وفي صحيح البخاري
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دعوني ما تركتكم انما هلك من كان قبلكم بسؤالهم
واختلافهم على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم
انتهى وعفا الله عنها معناه تركها ولم يعرف بها وقوله قد سألها قوم من قبلكم الآية قال الطبري كقوم
صالح في سؤالهم الناقة وكبني اسرائيل في سؤالهم المائدة اي وكطلب الامم قديما العنت الذين من انبيائها
ثم لم تف بما كلفت وقوله سبحانه ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام الآية
اي لم يجعله سببا من ذلك ولا سنة لعباده المعنى ولكن الكفار فعلوا ذلك كعمرو بن لحي وغيره
من روسائهم يفترون على الله الكذب بقولهم هذه قربة الى الله واكثرهم يعني الاتباع لا يعقلون بل هم
يتبعون هذه الامور تقليدا وجعل في هذه الآية لا يتجه ان تكون بمعنى خلق ولا بمعنى صير وانما هي بمعنى
سن ولا شرع قال ص ما جعل ذهب ابن عطية والزمخشري الى انها بمعنى شرع قال ابن عطية ولا تكون
بمعنى خلق لان الله تعالى خلق هذه الاشياء كلها ولا بمعنى صير لعدم المفعول الثاني قال ابو حيان ولم يذكر
النحويون لها هذا وقد جاء حذف احد مفعولي ظن واخواتها قليلا فيحمل هذه على حذف المفعول الثاني

اي ما صير الله بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حاميا مشروعا وهو اولى من اثبات معنى لم يسم
فيها وذكر ابو البقا انها هنا بمعنى سمى انتهى قلت وحاصل كلام ابي حيان انه شهادة على نفي ولا تقدير
فيحمل كلام ابن عطيه على انه تفسير معنى لا تفسير اعراب و بحيرة فعيلة بمعنى مفعوله والبحر الشق كانوا
اذا انتجت الناقة عشرة بطون شقوا اذنها بنصفين طولا فهي مبحوره وتركت ترعا وترد الماء
ولا ينتفع بشي منها ويحرم لحمها اذا ماتت على النساء ويحل للرجال وذلك وكيفيا هي الناقة تسيب للالهة
والناقة ايضا اذا تابعت اثنتي عشرة اناثا ليس فيهن ذكر سيبت وكانت السوائب ايضا في
العرب كالقربة عند المرض يبرا منه والقدوم من السفر واذا نزل باحدهم امر يشكر الله
عليه تقرب بان يسيب ناقة فلا ينتفع منها بلبن ولا ظهر ولا غيره يرون ذلك كعتق بني ادم
ذكره السدي وغيره وكانت العرب تعتقد ان من عرض لهذه النوق فاخذها او انتفع بشي منها فان
تلحقه عقوبة من الله و الوصيلة قال الاكثر من الناس ان الوصيلة في الغنم قالوا اذا ولدت الشاة
ثلاثة بطون او خمسة فان كان اخرها جديا ذبحوه لبيت الالهة وان كان عناقا استحيوها
وان كان جديا وعناقا استحيوهما وقالوا هذه العناق وصلت اخاها فمنعته ان يذبح وعلى ان الوصيلة
في الغنم جاءت الروايات عن اكثر الناس وروي عن ابن المسيب ان الوصيلة من الابل و اما الحامي فانه
الفحل من الابل اذا ضرب في الابل عشر سنين وقيل اذا ولد من صلبه عشر وقيل اذا ولد من ولد
ولده قالوا حمى ظهره فيسيبونه لا يركب ولا يسخر في شي وعباب الفخر وقيل الحام الفحل اذا ركب ولد
ولده انتهى قلت والذي في البخاري والحام فحل الابل يضرب الضراب المعدود واذا قضى ضرابه
ودعوه للطواغيث واعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شي وسموه الحامي انتهى و قوله سبحانه واذا قيل لهم
يعني لهولاء الكفار المسنين لهذه الاشياء تعالوا الى ما انزل الله يعني القران الذي فيه التحريم
الصحيح قالوا حسبنا معناه كفانا قوله سبحانه يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم الاية قال ابو ثعلبة الخشني سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية
فقال ايتمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فاذا رايت دنيا موثرة وشحا مطاعا واعجاب كل ذي
راي برايه فعليك بخويصة نفسك وذر عوامهم فان وراءكم اياما اجر العامل فيها كاجر
خمسين منكم وهذا التاويل الذي لا نظر لاحد معه لانه مستوف للعلاج صادر عن النبي صلى
الله عليه وسلم وجملة ما عليه اهل العلم في هذا ان الامر بالمعروف متعين متى رجي القبول او رجي
رد الظالم ولو بعنف ما لم يخف الامر ضررا يلحقه في خاصته او فتنة يدخلها على المسلمين اما
بشق عصا واما بضرر يلحق طائفة من الناس فاذا خيف هذا فعليكم انفسكم محكم واجب ان
يوقف عنده و قوله سبحانه الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون هذا تذكير بالحشر
وما بعده وذلك مسل عن امور الدنيا مكروهها ومحبوبها روي عن بعض الصالحين انه قال
ما من يوم الا ويجي الشيطان فيقول ما تاكل وما تلبس واين تسكن فاقول له اكل الموت والبس
الكفن واسكن القبر قال ع فمن فكر في مرجعه الى الله سبحانه فهذا حاله قلت وخرج البغوي
في المسند المنتخب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا ايها الناس تعملون اعمالا تعزب عنكم
الى يوم القيامة ويوشك العوازب ان تؤب الى اهلها فمسرور بها ومكظوم انتهى من الكوكب الدري
والله المستعان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية

اثنان

اثنان الاية الى قوله يوم يجمع الله قال مكي هذه الاية عند اهل المعاني من اشكل ما في القران
اعرابا ومعنى وحكما قال ع هذا كلام من لم يقع له الثلج في تفسيرها وذلك بين من كتابه وبالله
نستعين لا نعلم خلافا ان سبب هذه الاية ان تميما الداري وعدي بن بدا وكانا نصرانيين سافرا الى
المدينة يريدان الشام لتجارتهما وقدم المدينة ايضا ابن ابي مارية مولى عمرو بن العاصي يريد الشام
تاجرا قال الفخر وكان مسلما فخرجوا رفقة فمرض ابن ابي مارية في الطريق واوصى الى تميم وعدي
ان يؤديا رحله الى اوليائه من بني سهم وروى ابن عباس عن تميم الداري انه قال برئ الناس من هذه الاية غيري
وغير عدي بن بدا وذكر القصة الا انه قال وكان معه جام فضة يريد به الملك فاخذته انا وعدي فبعناه بالف
وقسمنا ثمنه فلما اسلمت بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم تاثمت من ذلك فاتيت اهله فاخبرتهم الخبر
وادبت خمسمائة فوثبوا الى عدي فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف عمرو بن العاصي ورجل اخر معه
ونزعت من عدي خمسمائة قال ع واختلف الفاظ هذه القصة وما ذكرته هو عمود الامر ولم تصح لعدي
صحبة فيما علمت ولا ثبت اسلامه وقد صنفه في الصحابة بعض المتاخرين ولا وجه عندي لذكره في الصحابة
و اما معنى الاية من اولها الى اخرها فهو ان الله سبحانه اخبر المومنين ان حكمه في الشهادة على الموصي اذا حضره
الموت ان تكون شهادة عدلين فان كان في سفر وهو الضرب في الارض ولم يكن معه من المومنين احد
فليشهد شاهدين ممن حضره من اهل الكفر فاذا قدما واديا الشهادة على وصيته حلفا بعد الصلاة
انهما ما كذبا ولا بدلا وان ما شهدا به حق ما كتما فيه شهادة الله وحكم بشهادتهما فان عثر بعد ذلك
انهما كذبا او خانا ونحو هذا مما هو اثم حلف رجلان من اولياء الموصي في السفر وغرم الشاهدان
ما ظهر عليهما هذا معنى الاية على مذهب ابي موسى الاشعري وابن عباس وسعيد بن المسيب ويحيى بن يعمر
وابن جبير وابي مجلز وابراهيم وشريح وعبيدة السلماني وابن سيرين ومجاهد وغيرهم قالوا ومعنى
قوله منكم اي من المومنين ومعنى من غيركم من الكافرين قال بعضهم وذلك ان الاية نزلت ولا مومن الا بالمدينة
وكانوا يسافرون في التجارة مع انواع الكفرة واختلفت هذه الجماعة المذكورة فمذهب ابي موسى الاشعري
وغيره ان الاية محكمة ومذهب جماعة منهم انها منسوخة بقوله واشهدوا ذوي عدل منكم وبما عليه
اجماع جمهور الناس ان شهادة الكافر لا تجوز قال ع ولنرجع الان الى الاعراب ولنقصد القول المفيد
لان الناس خلطوا في تفسير هذه الاية تخليطا شديدا وذكر ذلك والرد عليه يطول وفي تبيين الحق الذي تتلقاه
الاذهان بالقبول مقنع والله المستعان فقوله تعالى شهادة بينكم هي الشهادة التي تحفظ فتؤدى ورفعها
بالابتداء والخبر في قوله اثنان و قوله تعالى اذا حضر احدكم الموت معناه اذا قرب الحضور والعامل في اذا
المصدر الذي هو شهادة وهذا على ان نجعل اذا بمنزلة حين لا تحتاج الى جواب ولك ان تجعل اذا في هذه الاية
المحتاجة الى الجواب لكن استغني عن جوابها بما تقدم في قوله شهادة بينكم اذ المعنى اذا حضر احدكم الموت
ان يشهد و قوله حين الوصية ظرف زمان والعامل فيه حضر وان شئت جعلته بدلا من اذا و
قوله ذوا عدل صفة لقوله اثنان ومنكم صفة ايضا بعد صفة و قوله من غيركم صفة لاخران
و قوله تحبسونهما صفة لاخران واعترض بين الموصوف والصفة بقوله ان انتم الى الموت وافاد
الاعتراض ان العدول الى الاخرين من غير الملة انما يكون مع ضرورة السفر وحلول الموت فيه واستغني
عن جواب ان لما تقدم من قوله واخران من غيركم و قال الجمهور من العلماء الصلاة هنا صلاة العصر
وقال ابن عباس انما هي صلاة الذميين واما العصر فلا حرمة لها عندهما و الفاء في قوله فيقسمان

عاطفة جملة على جملة لان المعنى تم في قوله من بعد الصلاة وقوله ان ارتبتم شرط لا يتوجه تحليف
الشاهدين الا به والضمير في قول الحالفين لا نشترى به عايد على القسم او على اسم الله وقوله لا نشترى
جواب يقتضيه قوله فيقسمان بالله لان اقسم ونحوه يتلقى بما يتلقى به الايمان وقوله ثمنا اى ذا ثمن
وخص ذو القربى بالذكر لان العرب ميل الناس الى قراباتهم واستهانتهم في جنب نفعهم ما لا يستهل
وقوله ولا نكتم شهادة الله اضاف الشهادة اليه تعالى من حيث هو الآمر باقامتها الناهي عن كتمانها وروى
عن الشعبي وغيره شهادة بالتنوين والله بقطع الالف دون مد وخفض الهاء وقال ايضا يقف على
الهاء من شهادة بالسكون ثم يقطع الالف المكتوبة من غير مد كما تقدم وروى عنه انه كان يقرأ الله
بمد الف الاستفهام في الوجهين اعني سكون الهاء من شهادة وتحريكها منونة منصوبة وروى
هذه التي هي تنوين شهادة ومد الف الاستفهام بعد عن علي بن ابي طالب قال ابو الفتح اما تسكين
هاء شهادة في الوقف عليها وقوله فان عثر استعارة لما يوقع على علمه بعد خفائه واستحقا اثما
معناه استوجباه من الله وكانا اهلا له لانهما ظلما وخانا وقوله تعالى فآخران اى اذا عثر
على خيانتهما فالاوليان باليمين واقامة القضية آخران من القوم الذين هم ولاة الميت واستحق
عليهم حظهم او نصيبهم او مالهم او ما شئت من هذه التقديرات وقرأ نافع وغيره استحق مضمومة
التاء والاوليان على تثنية الاولى وروى عن ابن كثير استحق بفتح التاء وكذلك روى حفص عن عاصم
وفي قوله استحق استعارة لانه لا وجه لهذا الاستحقاق الا الغلبة على الحال بحكم انفراد هذا الميت
وعدمه لقرابته او لاهل دينه فاستحق هنا كما تقول لظالم يظلمك هذا قد استحق على مالي او منزلي
بكلمة فتشبهه بالمستحق حقيقة اذ قد صور تصوره وتملك تملكه وهكذا هي استحق في الآية
على كل حال وان اسندت الى الرضيب ونحوه وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابي بكر استحق بضم
التاء الاولين على جمع اول ومعناها من القوم الذين استحق عليهم امرهم اذ غلبوا عليه ثم وصفهم
انهم اولون اى في الذكر في هذه الآية وذلك في قوله اثنان ذوا عدل منكم ثم بعد ذلك قال
وآخران من غيركم وقوله فيقسمان يعني الآخرين الذين يقومان مقام الشاهدين الزور وقولهما لشهادتنا
اى لما اخبرنا نحن به وذكرناه من نص القصة احق مما ذكراه اولا وحرفاه وما اعتدينا في قولنا هذا
وقولهما انا اذا لمن الظالمين تبري في صيغة الاستعظام والاستقباح للظلم وقوله تعالى ذلك ادنى
ان يأتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم لانه اشار بذلك الى جميع
ما حد قبل من حبس الشاهدين من بعد الصلاة لليمين ثم ان عثر على جورهما ردت اليمين وغرما
فذلك كله اقرب الى اعتدال هذا الصنف فما عسى ان ينزل من النوازل لانهم يخافون الفضيحة
ورد اليمين هذا قول ابن عباس وجمع الضمير في يأتوا ويخافوا اذ المراد صنف ونوع من الناس والمعنى ذلك
الحكم كله اقرب الى ان يأتوا واقرب الى ان يخافوا وباقي الآية بين قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل
ذهب قوم الى ان العامل في يوم ما تقدم من قوله سبحانه لا يهدي وذلك ضعيف ورصف الآية وبراعتها
انما هو ان يكون هذا الكلام مستانفا والعامل مقدرا اما اذكروا او تذكروا واحذروا
ونحو هذا مما حسن اختصاره لعلم السامع به والاشارة بهذا اليوم الى يوم القيمة وخص الرسل
بالذكر لانهم قادة الخلق وهم المكلمون اولا وماذا اجبتم معناه ما اجابتكم الامم وهذا
السؤال انما هو لتقوم الحجة على الامم واختلف الناس في معنى قولهم عليهم السلام لا علم لنا قال

للرسل

الطرى ذهلوا

ذهلوا عن الجواب لهول المطلع وقال الحسن وعن مجاهد انه قال يفزعون فيقولون لا علم لنا
وضعف بعض الناس هذا المنزع بقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وقال ابن عباس معنى الآية
لا علم لنا الا ما علمتنا انت اعلم به منا وقول ابن عباس حسن وهو اصوب هذه المناحي لانه
يتخرج على التسليم لله تعالى ورد الامر اليه اذ هو العالم بجميع ذلك على التفصيل والكمال فراوا التسليم
والخضوع لعلمه المحيط سبحانه قال مكي قال ابن عباس المعنى لا علم لنا الا علم انت اعلم به منا وهو
لخفيات الطرى وقيل لما كان السؤال عاما يقتضي بعمومه سؤالهم عن سير الامم وعلانيتها رد والامر
اذ ليس عندهم الا علم الظاهر قاله مكي وهذا القول حلا قول الطبري قال ومعنى مسئلة الله الرسل
عما اجيبوا انما هو لمعنى التوبيخ لمن ارسلوا اليه كما قال واذا الموؤدة سئلت انتهى من الهداية
قوله سبحانه اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك الآية قال هنا بمعنى يقول لان ظاهر
هذا القول انه في القيمة تقدمة لقوله سبحانه انت قلت للناس وقوله سبحانه واذ تخرج الموتى من
قبورهم وكف بني اسرائيل عنه عليه السلام هو دفعه حين احاطوا به في البيت مع الحواريين وكذلك
منعه منهم قبل ذلك الى تلك النازلة الاخيرة فهناك ظهر عظم الكف وقوله سبحانه واذ اوحيت
الى الحواريين هو من جملة تعديد النعم على عيسى عليه السلام والوحي في هذا الموضع اما ان يكون
وحي الهام او وحي امر وبالجملة فهو القاء معنى في خفاء اوصله سبحانه ويحمل الى نفوسهم كيف
شاء والرسول في هذه الآية عيسى وقول الحواريين واشهد يحتمل ان يكون مخاطبة منهم لله
سبحانه ويحتمل ان يكون لعيسى يوم القيمة مضمن الاعتراض لحيا نبينا محمد صلى الله عليه وامته
بان لله الحواريين في المائدة اذ هي مثال نافع لكل امة مع نبيها تقتدى بمحاسنه وتزدجر
عما ينفر منه من طلب الآيات ونحوه وقرأ الجمهور هل يستطيع ربك بالياء ورفع الباء
من ربك والمعنى هل يفعل ربك هذا وهل تقع منه اجابة اليه ولم يكن منهم هذا شك في قدرة الله
سبحانه اذ هم اعرف بالله من ان يشكوا في قدرته وقرأ الكسائي هل تستطيع ربك بالتاء ونصب
الباء من ربك المعنى هل تستطيع سؤال ربك وادغم اللام في التاء اعني الكسائي وقال قوم قال
الحواريون هذه المقالة في صدر الامر قبل علمهم بانه يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى ويظهر من
قوله عليه السلام اتقوا الله ان كنتم مؤمنين انكار لقولهم واقتراحهم للآيات والتعرض لسخط الله
بها وقلة طمأنينتهم الى ما قد ظهر ولما خاطبهم عليه السلام بهذه المخاطبة صرحوا بمقاصدهم التي حملتهم
على طلب المائدة فقالوا نريد ان نأكل منها فنشرف في العالم وتطمئن قلوبنا اى تسكن فكرنا في امرك
بالمعاينة لامر نازل من السماء باعيننا ونعلم علم الضرورة ومشاهدة ان قد صدقتنا فلا تعرضنا
الشبهة التي تعرض في علم الاستدلال وهذا يدل على ان مقالتهم كانت في ابتداء امرهم ثم استمروا
على ايمانهم وصبروا وهلك من كفر وقولهم ونكون عليها من الشاهدين اى من الشاهدين
بهذه النازلة الناقلين لها الى غيرنا الداعين الى هذا الشرع بسببها وروى ان الذي نحى بهم هذا المنحى
من الاقتراح هو ان عيسى عليه السلام قال لهم مرة هل لكم في صيام ثلاثين يوما لله سبحانه ثم ان سألتموه
حاجة قضاها فلما صاموها قالوا يا معلم الخير ان حق من عمل عملا ان يطعم فهل يستطيع ربك
فارادوا ان تكون المائدة عيد ذلك الصوم وقوله سبحانه قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا
مائدة من السماء الآية اى لما بهم عيسى الى ما سألوه فروى انه لبس جبة شعر ورداء شعر وقام يصلي

ويبكي والعيد المجتمع وقوله لاولنا واخرنا روي عن ابن عباس ان المعنى يكون مجتمعا لاولنا
واخرنا قال فاكل من المائدة حين وضعت اول الناس كما اكل اخرهم وآية منك اي علامة على
صدقي فاجاب الله تعالى دعوة عيسى عليه السلام وقال اني منزلها عليكم ثم شرط عليهم سبحانه شرطه المتعارف في
الامم انه من كفر بعد آية الاقتراح عذب اشد عذاب والجمهور ان المائدة نزلت كما اخبر الله
سبحانه واختلفوا في كيفية ذلك فقال ابو عبد الرحمن السلمي نزلت المائدة خبزا وسمكا وقال عطية
المائدة سمكة فيها طعم كل طعام وقال ابن عباس نزل خوان عليه خبز وسمك ياكلون منه اينما
نزلوا اذا شاءوا وقال عمار بن ياسر سالوا عيسى مائدة يكون عليها طعام لا ينفد فقيل لهم
فانها مقيمة لكم ما لم تخبئوا او تخونوا فان فعلتم عذبتم قال فما مضى يوم حتى خبئوا وخانوا
يعني بني اسرائيل فمسخوا قردة وخنازير وقال ميسرة كانت المائدة اذا وضعت لبني اسرائيل اختلفت
عليهم الايدي بكل طعام الا اللحم واكثر الناس في قصص المائدة مما رايت اختصاره لعدم سنده وقوله
سبحانه واذ قال الله يا عيسى ابن مريم انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله الاية اختلف
المفسرون في وقت وقوع هذا القول فقال السدي وغيره لما رفع الله عيسى الى السماء قالت النصارى
ما قالت وزعموا ان عيسى امرهم بذلك فساله الله تعالى عن قوله فقال سبحانك الاية ويجيء على هذا
قوله وان تغفر لهم اي في التوبة من الكفر لان هذا قاله وهم احياء في الدنيا قال ابن عباس
وجمهور الناس هذا القول من الله انما هو يوم القيامة يقول الله على رؤوس الخلائق فيرى الكفار تبريه
منهم ويعلمون ان ما كانوا فيه باطل فقال وعلى هذا التاويل يعني بقوله ونزل الماضي موضع
المستقبل دلالة على كون الامر وثبوته وقوله تعالى وان تغفر لهم معناه ان عذبت العالم كله
فبحقك فهم عبادك تصنع بحق الملك ما شئت لا اعتراض عليك وان غفرت وسبق ذلك في
علمك فلانك اهل لذلك لا معقب لحكمك ولا منازع لك فيقول عيسى على جهة التسليم والتبري عنهم مع
علمه بانهم كفرة قد حتم عليهم العذاب وهذا القول عندي ارجح ويتقوى بما ياتي بعد وهو قوله
سبحانه هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقوله سبحانك اي تنزيها لك عن ان يقال هذا وينطق به
ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق اي ما يكون لبشر محدث ان يدعي الالهية ثم قال ان كنت قلته
فقد علمته لانك احطت بكل شيء علما واحصيت كل شيء عددا فوفق الله عيسى لهذه الحجة البالغة
وقوله تعالى ما في نفسي خص النفس بالذكر لانها مظنة الكتم والانطواء على المعلومات والمعنى
ان الله سبحانه يعلم ما في نفس عيسى ويعلم كل امر مما عسى ان يكون في نفسه وقوله ولا اعلم ما في
نفسك معناه ولا اعلم ما عندك من المعلومات وما احطت به وذكر النفس هنا مقابلة لفظية
في اللسان العربي يقتضيها الايجاز وهذا ينظر من طرف خفي الى قوله ومكروا ومكر الله والله يستهزئ
بهم فتسمية العقوبة باسم الذنب انما قادها طلب المقابلة اللفظية اذ هي من فصيح الكلام وبارع العبارة
ثم اقر عيسى عليه السلام لله تعالى بانه سبحانه علام الغيوب اي ولا علم لي انا بغيب وقوله فلما توفيتني
اي قبضتني بالرفع والتصيير في السماء والرقيب الراعي وقوله فانك انت العزيز اي في قدرتك الحكيم في افعالك
والمعنى ان يكن لك في امتك معذبون فهم عبادك وان يكن مغفور لهم فعزتك وحكمتك تقتضي هذا
كله قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم فدخل تحت هذه العبارة كل مؤمن بالله سبحانه وكل
ما كان اتقى فهو ادخل في العبارة وجاءت هذه العبارة مشيرة الى عيسى عليه السلام في حاله وصدقه

الحافظ

يحصل

يحصل له بذلك في الموقف شرف عظيم وان كان اللفظ يعمه وسواه ثم ذكر سبحانه ما وعد
لهم برحمته وطوله جعلنا الله منهم بمنه وسعة جوده لا رب غيره ولا مرجو في الدارين سواه
وبالاية بين (?) جعل الله ما كتبناه من هذه الحروف نورا يسعى بين ايدينا بمنه والحمد لله كما هو
اهله وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما سورة الانعام قيل كلها مكية الا ايات
يسيرة قال ابن عباس نزلت سورة الانعام وحولها سبعون الف ملك لهم زجل يجأرون
بالتسبيح قلت وعن جابر بن عبد الله قال لما نزلت سورة الانعام سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الافق رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين وقال
صحيح على شرط مسلم انتهى من السلاح قوله عز وجل الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات
والنور قال علي بن عبد الرحمن البقرني (?) في شرحه للبرهانية قال الامام الفخر لفظ الحمد لله لم
معرفا لا يقال الا في حق الله عز وجل لانه يدل على التعظيم ولا يجوز ان يقال الحمد لزيد قاله سيبويه
وذكر ابن العربي في القانون عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من شيء احب الى الله من الحمد
وابلغ الحمد الحمد لله على كل حال قال ابن العربي وفي بعض الاثار ما من نعمة عظمت الا والحمد لله اعظم منها
انتهى قال ع وجعل هاهنا بمعنى خلق لا يجوز غير ذلك قال قتادة والسدي وجمهور من المفسرين
الظلمات الليل والنور النهار وقالت فرقة الظلمات الكفر والنور الايمان قال ع وهذا على جهة
التشبيه صحيح وعلى ما يفهمه عباد الاوثان غير جيد لانه اخراج لفظ بين في اللغة عن ظاهره
الحقيقي الى باطن لغير ضرورة وهذا هو طريق اللغز الذي برئ القران منه والنور ايضا هنا
للجنس وقوله تعالى ثم دالة على قبح فعل الذين كفروا لان المعنى ان خلقه السموات والارض وغيرها
الموجبة لحمده وتوحيده قد تقرر وآياته قد سطعت وانعامه بذلك على العباد قد تبين فكان
الواجب عليهم اخلاص التوحيد له ثم هم بعد هذا كله بربهم يعدلون اي يسوون ويمثلون
وعدل الشيء قرينه ومثيله والذين كفروا في هذا الموضع كل من عبد شيئا سوى الله الا ان السابق (?)
من حال النبي صلى الله عليه وسلم ان الاشارة الى عبدة الاوثان من العرب لمجاورتهم له ولفظ
الاية ايضا يشير الى المانوية العابدين للنور القائلين ان الخير من فعل النور والشر من فعل الظلام
وقوله تعالى هو الذي خلقكم من طين المعنى خلق آدم من طين وقوله سبحانه ثم قضى اجلا
واجل مسمى عنده اختلف في هذين الاجلين فقال الحسن بن ابي الحسن وغيره اجلا اجل الانسان
من لدن ولادته الى موته والاجل المسمى عنده من وقت موته الى حشره ووصفه بمسمى عنده لانه
استاثر سبحانه بعلم وقت القيامة وقال ابن عباس اجلا الدنيا واجل مسمى الاخرة وقيل غير هذا
وتمترون معناه تشكون وقوله سبحانه وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم
قال ع الكلام في هذه الاية ان حلول الله تعالى في الاماكن مستحيل تعالى ان يحويه مكان كما تقدس ان
يحده زمان بل كان قبل ان خلق المكان والزمان وهو الان على ما عليه كان واذا تقرر هذا
فقالت فرقة من العلماء تاويل ذلك على تقدير صفة محذوفة في اللفظ ثابتة في المعنى كانه قال
وهذا عندي افضل الاقوال واكثرها احرازا لفصاحة اللفظ وجزالة المعنى وايضاحه انه
اراد ان يدل على خلقه وآثار قدرته واحاطته واستيلائه ونحو هذه الصفات فجمع هذه

كلها فى قوله وهو الله اى الذى له هذه كلها فى السموات وفى الارض كانه قال وهو الله الخالق
الرازق المحيى المحيط فى السموات وفى الارض كما تقول زيد السلطان فى المشرق والمغرب والشام والعراق
فلو قصدت ذات زيد لقلت محالا واذا كان مقصد قولك الامر الناهى الناقض المبرم الذى يعزل
ويولى فى المشرق فاقمت السلطان مقام هذه كان فصيحا صحيحا فكذلك فى الاية اقام لفظة الله
مقام تلك الصفات المذكورة وقالت فرقة وهو الله ابتداء وخبر تم الكلام عنده ثم استانف
وتعلق قوله فى السموات بمفعول يعلم كانه قال وهو الله يعلم سركم وجهركم فى السموات وفى الارض وقوله
تعالى يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون خبر فى ضمنه تحذير وزجر وتكسبون لفظ عام لجميع
الاعتقادات والاقوال والافعال وقوله سبحانه وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها
معرضين تضمنت هذه الاية مذمة هولاء الذين يعدلون بالله سواه بانهم يعرضون عن كل اية
وكذبوا بالحق وهو محمد عليه السلام وما جاء به قال ص من اية من ايات ربهم من الاولى زائدة
للاستغراق وما بعدها فاعل باتيهم ومن الثانية للتبعيض انتهى وقوله سبحانه فسوف ياتيهم انباء
ما كانوا به يستهزءون هذا وعيد لهم شديد وهذه العقوبات التى توعدوا بها تعم عقوبات
الدنيا كبدر وغيرها وعقوبات الاخرة وقوله سبحانه الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم
فى الارض ما لم نمكن لكم هذا حض على العبرة والروية هنا روية القلب والقرن الامة المقترنة فى
مدة من الزمن واختلف فى مدة القرن كم هى فالاكثر انها ماية سنة وقيل غير هذا وقيل القرن الزمن نفسه
وهو على حذف مضاف تقديره من اهل قرن قال عياض فى الاكمال واختلف فى لفظ القرن وذكر
الحربى فيه الخلاف من عشر سنين الى ماية وعشرين ثم قال يعنى الحربى وليس منه شى واضح وارى القرن
كل امة هلكت فلم يبق منها احد انتهى والضمير فى مكناهم عائد الى القرن والمخاطبة فى لكم هى للمومنين
ولجميع المعاصرين لهم من سائر الناس والسماء هنا المطر ومدرارا بناء تكثير ومعناه يدر عليهم بحسب
المنفعة وقوله سبحانه وانشانا من بعدهم قرنا اخرين انشانا اخترعنا وخلقنا ويظهر من القرن انما
هو وفاة الاشياخ ثم ولادة الاطفال وقوله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس الاية لما اخبر
عنهم سبحانه بانهم كذبوا بكل ما جاءهم من اية اتبع ذلك بالحجة فيه والمعنى ولو نزلنا يا محمد عليك
كتابا اى كلاما مكتوبا فى قرطاس اى فى صحيفة فلمسوه بايديهم يريد انهم بالغوا فى ميزه وتقليبه
ليرتفع كل ارتياب لعاندوا فيه وتابعوا كفرهم وقالوا هذا سحر مبين وقوله سبحانه وقالوا لولا انزل
عليه ملك اى يصدق محمدا فى نبوته ثم رد الله عليهم بقوله ولو انزلنا ملكا لقضى الامر قال ابن عباس
وغيره فى الكلام حذف تقديره ولو انزلنا ملكا فكذبوه لقضى الامر بعذابهم ولم ينظروا حسب
ما سلف فى كل امة من هول روية الملك فى صورته ويويد هذا التاويل ما بعده من قوله ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا فان اهل التاويل مجمعون ان ذلك لانهم لم يكونوا يطيقون روية الملك فى
صورته فاذا قد تقعد انهم لا يطيقون روية الملك فى صورته فالاولى فى قوله لقضى الامر اى لماتوا
لهول رويته ثم لا ينظرون اى لا يوخرون ومما يويد هذا المعنى الحديث الوارد عن الرجلين اللذين
صعدا على الجبل يوم بدر ليريا ما يكون فى حرب النبى صلى الله عليه وسلم للمشركين فسمعا حس الملائكة
وقائلا يقول فى السحاب اقدم حيزوم فانكشف قناع قلب احدهما فمات لهول ذلك فكيف بروية
ملك فى خلقته وللبسنا اى لفعلنا لهم فى ذلك فعلا ملبسا يطرق لهم الى ان يلبسوا به وذلك

اولجنبا او كذبت بعد ان ظهرت لها وقالت
فرقة اى لقضى الامر اى لماتوا ام

لايحسن قلت وفى البخارى وللبسنا عليهم ما يلبسون لشبهنا وقوله سبحانه ولقد استهزئ برسل
من قبلك الاية تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم بالاسوة فى الرسل وتقوية لنفسه على محضوضيه
فى الشريقيا الحاق بحنوحيقا وقوله سبحانه قل سيروا فى الارض حض على الاعتبار باثار من مضى
ممن فعل مثل فعلهم وقوله سبحانه قل لمن ما فى السموات والارض قل لله قال بعض اهل التاويل في نقد
الكلام قل لمن ما فى السموات فاذا تحيروا فلم يجيبوا قل لله والصحيح من التاويل ان الله عز وجل
امر نبيه عليه السلام بقطعهم بهذه الحجة والبرهان القطعى الذى لا مدافعة فيه عندهم ولا عند احد
ليعتقد هذا المعتقد الذى بينه وبينهم ثم يترتب احتجاجه عليه فكان النبى صلى الله عليه وسلم قال
لهم يا ايها الكافرون العادلون بربهم لمن ما فى السموات والارض ثم سبقهم فقال لله اى لا مدافعة
فى هذا عندكم ولا عند احد ثم ابتدا مخبرا عن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة معناه قضاها وفى
هذا المعنى احاديث صحيحة ففى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم جعل الله الرحمة ماية جزء
فامسك عنده تسعة وتسعين جزءا وانزل فى الارض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق
حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه ولمسلم فى طريق اخر كل رحمة منها طباق ما بين
السماء والارض فاذا كان يوم القيامة اكملها بهذه الرحمة وخرج مسلم والبخارى وغيرهما عنه صلى الله
عليه وسلم قال لما خلق الله الخلق كتب فى كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتى تغلب غضبى وفى
طريق سبقت الى غير ذلك من الاحاديث انتهى قال ع فما اشقى من لم تسعه هذه الرحمات تغمدنا الله
بفضل منه ويتضمن هذا الاخبار عن الله سبحانه بانه كتب الرحمة تانيس الكفار ونفى ايئاسهم من رحمة
الله اذا نابوا واللام فى قوله ليجمعنكم لام قسم والكلام مستانف وهذا اظهر الاقوال
واصحها وقوله سبحانه الذين خسروا انفسهم فهم لا يومنون الذين رفع بالابتداء وخبره
فهم لا يومنون وقوله وله ما سكن فى الليل والنهار الاية وله عطف على قوله لله وسكن
هى من السكنى ونحوه اى ما ثبت وتقرر قاله السدى وغيره وقالت فرقة هو من السكون
وهو ضعيف وقوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض الاية قال الطبرى وغيره
امر عليه السلام ان يقول هذه المقالة للكفرة الذين دعوه الى عبادة اوثانهم فتجى الاية على
هذا جوابا لكلامهم قال ع وهذا يحتاج الى سند والصحيح انه لما قرر معهم ان الله
تعالى له ما فى السموات وما فى الارض وله ما سكن فى الليل والنهار امر ان يقول لهم على جهة التوبيخ
والتوقيف اغير الله الذى هذه افعاله اتخذ وليا بمعنى ان هذا خطا بين ممن يفعله والولى
لفظ عام للمعبود وغير ذلك ثم اخذ فى صفات الله تعالى فقال فاطر بخفض الراء نعت لله عز
وجل قال ص فاطر الجمهور بالجر ووجهه ابن عطية وغيره على انه نعت لله وابو البقاء على انه
بدل وكانه راى الفصل بين البدل والمبدل منه اسهل لان البدل على المشهور فى نية تكرار العامل
انتهى وفاطر معناه ابدع وخلق وانشا وفطر ايضا فى اللغة شق ومنه هل ترى من فطور
اى من شقوق يطعم ولا يطعم المقصد به يرزق ولا يرزق وقوله قل انى امرت الى عظيم
قال المفسرون المعنى من من هذه الامة وهذه الشريعة ولفظة عصيت عامة فى انواع
المعاصى ولكنها هاهنا انما تشير الى الشرك المنهى عنه واليوم العظيم هو يوم القيامة وقرا نافع
وغيره من يصرف عنه مسندا للمفعول وهو ضمير عائد على العذاب وقرا حمزة وغيره من

على جهة

يحتم المشركين والخاسرين خصمين وعلى محضرهم
والمهزين وقطع مغناه ولها
ر م

يصرف باسناد الفعل الى الضمير العائد الى ربي ويعمل في ضمير العذاب المذكور لكنه محذوف
وقوله وذلك اشارة الى صرف العذاب وحصول الرحمة والفوز النجاة قوله سبحانه وان
يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو يمسسك معناه يصبك وينلك والضر بضم الضاد
سوء الحال في الجسم وغيره وبفتحها ضد النفع ومعنى الاية الاخبار ان الاشياء كلها بيد الله ان
ضر فلا كاشف لضره وان اصاب بخير فكذلك ايضا وعن ابن عباس قال كنت خلف النبي صلى
الله عليه وسلم يوما فقال يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك
اذا سالت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان يضروك
بشئ لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف رواه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح وفي رواية غير الترمذي زيادة احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في
الرخاء يعرفك في الشدة واعلم ان ما اخطاك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطئك وفي
اخره واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا قال النووي هذا
حديث عظيم الموقع انتهى من الحلية وقرات فرقة واوحي الي هذا القران على بناء الفعل للفاعل
ونصب القران وفي اوحى ضمير يعود على الله وقوله لانذركم به ومن بلغ معناه على قول الجمهور وبلغ
القران اي لانذركم وانذر من بلغه ففي بلغ ضمير محذوف لانه في صلة من فحذف لطول
الكلام وقالت فرقة ومن بلغ الحلم وروي في معنى التاويل الاول اخبار وظاهر الاية انها في
عبدة الاصنام وذكر الطبري انه قد ورد من وجه لم تثبت صحته انها في قوم من اليهود
قالوا يا محمد ما تعلم مع الله الها غيره فقال لهم لا اله الا الله وبذلك امرت فنزلت الاية اعلم
وامر الله سبحانه نبيه عليه السلام ان يعلن بالتبري من شهادة الكفرة والاعلان بالتوحيد لله
عز وجل والتبري من اشراكهم قال الغزالي في الاحياء وينبغي للتالي ان يقدر انه المقصود بكل
خطاب في القران فان سمع امرا او نهيا قدر انه المنهي والمامور وكذا ما يقف عليه من القصص
فالمقصود به الاعتبار قال الله تعالى وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وقال
تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وقال واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ
قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القران فكانما كلمه الله عز وجل انتهى وقوله سبحانه الذين
اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم قال قتادة وغيره يعرفون محمدا عليه السلام وقوله
تعالى الذين خسروا انفسهم الاية روي ان لكل عبد له منزل في الجنة ومنزل في النار فالمؤمنون
ينزلون منازل اهل الكفر في الجنة والكافرون ينزلون منازل اهل الجنة في النار فهنا هي الخسارة بينة والربح
للاخرين وباقي الاية بين وقوله سبحانه ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم
الذين كنتم تزعمون المعنى واذكر يوم نحشرهم وقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا
ما كنا مشركين الفتنة في كلام العرب لفظة مشتركة تقال بمعنى حب الشئ والاعجاب به وتقال
بمعنى الاختبار ومن قال ان اصل الفتنة الاختبار من فتنة الذهب في النار ثم تستعار بعد ذلك
في غير ذلك فقد اخطا لان الاسم لا يحكم عليه بمعنى الاستعارة حتى يقطع عليه بانه استحال
حقيقته في الموضع الذي استعير له كقول ذي الرمة • ولف الثريا في ملاءته الفجر • ونحوه وفتنة
لا يستحيل ان تكون حقيقة في كل موضع قيلت عليه وباقي الاية مضى تفسيره عند قوله ولا

يكتمون الله حديثا فانظر هناك قال ع وعن قتادة من الفتنة هنا ان قالوا معذرتهم
وقال الضحاك كلامهم وقيل غير هذا مما هو في ضمن ما ذكرناه وقوله سبحانه انظر كيف كذبوا
على انفسهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والنظر نظر القلب وقال كذبوا في امر لم يقع اذ
هي حكاية عن القيامة فلا اشكال في استعمال الماضي فيها موضع المستقبل ويفيد لنا استعمال الماضي
تحقيقا في الفعل واثباتا له وهذا مهيع في اللغة وضل عنهم معناه ذهب فقاوهم في الدنيا
وكذبوا على الله وقوله سبحانه ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة جمع كنان وهو الغطاء
ان يفقهوه اي يفهموه والوقر الثقل وقوله سبحانه وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها الروية هنا
روية العين يريد كانشقاق القمر وشبهه وقولهم ان هذا الا اساطير الاولين اشارة الى القران
والاساطير جمع اسطار كاقوال واقاويل واسطار جمع سطر او سطر وقيل اساطير جمع اسطارة
وهي الترهات وقيل جمع اسطورة كاعجوبة واضحوكة وقيل هو اسم جمع لا واحد له من لفظه
كعبابيد وشماطيط والمعنى اخبار الاولين وقصصهم واحاديثهم التي تسطر وتحكى ولا تحقق
كالتواريخ وانما شبهها الكفار كانت مرادهم تنوير الله باقوالهم المبطلة وهم ينهون عنه
قال قتادة وغيره المعنى ينهون عن القران وقال ابن عباس وغيره ينهون عن النبي صلى الله
عليه وسلم والمعنى ينهون غيرهم ويبعدون هم بانفسهم والنأي التباعد قال ص وان يهلكون
ان نافية بمعنى ما وانفسهم مفعول يهلكون انتهى وما يشعرون معناه يعلمون علم حس
ونفي الشعور مذمة بالغة اذ البهائم تشعر وتحس فاذا قلت لا يشعر فقد نفيت عنه العلم
النفي العام الذي يقتضي انه لا يعلم ولا المحسوسات وقوله جلت عظمته ولو ترى اذ وقفوا
على النار الاية المخاطبة فيه للنبي صلى الله عليه وسلم وجواب لو محذوف تقديره في اخر الاية لرايت
هولا عظيما ونحوه ووقفوا معناه حبسوا ويحتمل قوله وقفوا على النار بمعنى دخلوها قاله الطبري
ويحتمل ان يكون اشرفوا عليها وعاينوها وقولهم يا ليتنا نرد معناه الى الدنيا وقوله سبحانه
بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاية تتضمن انهم كانوا يخفون امورا في الدنيا فظهرت
لهم يوم القيامة او ظهر وبال ذلك وعاقبته فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
وقيل ان الكفار كانوا اذا وعظهم النبي صلى الله عليه وسلم خافوا واخفوا ذلك الخوف لئلا يشعر
بهم اتباعهم فظهر لهم ذلك يوم القيامة ويصح ان يكون مقصد الاية الاخبار عن هول ما لقوه فعبر
عن ذلك بانهم ظهرت لهم مستورات هم في الدنيا من معاص وغيرها فكيف الظن بما كانوا
يعلنونه من كفر ونحوه وينظر الى هذا التاويل قوله تعالى في تعظيم شان يوم القيامة يوم تبلى السرائر
وقوله سبحانه ولو ردوا لعادوا والاخبار عن امر لا يكون كيف كان يوجد وهذا النوع مما استاثر الله
تعالى بعلمه فان اعلم بشئ منه علم والا لم يتكلم فيه قال الفخر قال المتكلمون هذه الاية من الدلالة
الظاهرة على فساد قول المعتزلة لان الله سبحانه حكى عن هؤلاء انهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
وما ذلك الا للقضاء السابق فيهم انتهى وقوله سبحانه ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين
هذا على تاويل الجمهور ابتداء كلام واخبار عنهم بهذه المقالة وان نافية ومعنى الاية عنهم التكذيب
بالحشر والعودة الى الله وقوله سبحانه اليس هذا بالحق الاشارة بهذا الى البعث الذي كذبوا
به في الدنيا وقولهم بلى وربنا ايمان لكنه حين لا ينفع وقوله فذوقوا استعارة بليغة والمعنى

باحاديث النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية عن رستم ونحوه ومجادلة الكفار ص

باشروع مباشرة الذائق و بغتة معناه فجاة تقول بغتني الامر اى فجئني ومنه قول الشاعر
نطـ ولكنهم بانوا ولم اخش بغتة . وافضع شئ حين يفجاوك البغت . ونصبها على المصدر في موضع الحال
و قولهم يا حسرتنا على ما فرطنا فيها نداء الحسرة على تعظيم الامر وتشنيعه و فرطنا معناه قصرنا
والضمير في قوله فيها عايد على الساعة اى في التقدمة لها قاله الحسن ويحتمل ان يعود على ضمير الدنيا اذ
المعنى يقتضيها ويجئ الظرفية فيه امكن قلت قال عبد الحق في العاقبة لا يعرف مقدار الحياة الا
الموتى لانهم قد ظهرت لهم الامور وانكشفت لهم الحقايق وبدت لهم المنازل وعلموا مقدار
الاعمال الصالحة ولما استبان لهم ذلك وعلموا مقدار ما ضيعوا وقيمة ما فيه فرطوا ندموا واسفوا وودوا
انهم الى الدنيا رجعوا فالذى عمل صالحا ود ان لو رجع الى الدنيا ليزداد من عمل الصالح ويكثر من تجر
الرابح والمقصر يود انه رد ليستدرك ما فيه فرط وقد قال عليه السلام ما من احد يموت الا ندم
قالوا وما ندامته يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم ان
لا يكون نزع خرجه الترمذي انتهى و قوله سبحانه وهم يحملون اوزارهم الواو واو الحال و الاوزار جمع وزر
بكسر الواو وهو الثقل من الذنوب و الوزر هنا تجوز وتشبيه بثقل الاحمال و من قال انه من الوزر وهو
الجبل الذى يلجا اليه فهو قول غير بين وقال الطبرى وغيره هذا على الحقيقة وروا في ذلك
خبرا ان المومن يلقاه عمله في احسن صورة واروحها فيسلم عليه ويقول طالما ركبتك في
الدنيا واجهدتك فاركبني اليوم فيحمله تمثال العمل وان الكافر يلقاه عمله في اقبح صورة وانتنها
فيشتمه ويقول انا عملك الخبيث طالما ركبتني في الدنيا بشهواتك فانا اركبك اليوم قال
فيحمل تمثال عمله الخبيث واوزاره على ظهره قلت والاحاديث الصحيحة في معنى ما ذكره الطبرى كثيرة
كاحاديث مانعي الزكاة وغيرها قال مكي وروى المقبرى عن ابي هريرة في حديث يرفعه قال اذا
كان يوم القيمة بعث الله مع كل امرئ مومن عمله وبعث مع الكافر عمله فلا يرى المومن شيا يروعه
ولا شيا يفزعه الا قال له عمله ابشر بالذى يسرك فانك لست بالذى يراد بهذا ولا يرى
الكافر شيا يروعه ويفزعه الا قال له عمله ابشر يا عدو الله بالذى يسوءك فوالله انك
انت الذى تراد بهذا انتهى و قوله سبحانه وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو الاية هذا ابتدا خبر
عن حال الدنيا والمعنى اذ كانت فانية لا طائل لها اشبهت اللعب واللهو الذى لا طائل له اذا انقضى
وهذه الاية تتضمن الرد على قولهم ان هى الا حياتنا الدنيا وهذا هو المقصود بها قال عبد الحق في
العاقبة اعلم رحمك الله ان حب الدنيا هو سبب طول الامل والاكباب عليها يمنع من الفكرة في
الخروج عنها والجهل بغوائلها يحمل على الارادة لها والازدياد منها لان من احب شيا احب الكون و
الازدياد منه ومن كان مشغوفا بالدنيا محبا لها قد خدعته بزخرفها واماله برونقها
كيف يحب مفارقتها او يحب مزايلتها هذا امر لم تجر العادة به ولا حدثنا عنه بل تجد من كان على
هذه الصفة اعمى عن طريق الخير اصم عن داعي الرشد افل الراى سيئ النظر ضعيف الايمان لم تترك
الدنيا ما لم يسمع به ولا ما لا يرى ثمارد بينه وشغله وحديثه دنياه لها ينظر ولها يسمع قد
ملات عينه وقلبه ثم قال واعلم ان اهل القبور انما يندمون على ما يتركون ويفرحون بما
يقدمون فما عليه اهل القبور يندمون اهل الدنيا عليه يقتتلون انتهى و قوله سبحانه قد نعلم انه
ليحزنك الاية اذا كانت من الله تعالى تتضمن استمرار العلم وقدمه فهي تعم المضى والحال والاستقبال قلت

يحزن

ونحو هذا لابى حيان قال وعبر هنا بالمضارع لان المراد الاتصاف بالعلم واستمراره ولم
يلحظ فيه الزمان كقولهم فلان يعطى ويمنع انتهى و قرا نافع وحده ليحزنك من احزن وقرا
الباقون ليحزنك من حزنت الرجل وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة لا يكذبونك
بتشديد الذال وفتح الكاف فقراها ابن عباس وردها على قارئ قرا عليه يكذبونك بضم اليا
وقال انهم كانوا يسمونك الامين و قرا نافع والكسائي بسكون الكاف وتخفيف الذال وهما قراءتان
مشهورتان صحيحتان وهما بمعنى واحد فمعنى لا يكذبونك اى لا يعتقدون كذلك وانهم يعلمون صدقك
ولكنهم يجحدون عنادا وظلما وهذا تاويل قتادة والسدى وغيرهما وحكى عن طائفة من الكفار انهم
كانت تقول انا نعلم ان محمدا صادق ولكن اذا امنا به فضلنا بنو هاشم بالنبوة فنحن لا نومن به ابدا
رويت هذه المقالة عن ابي جهل ومن جرى مجراه و اسند الطبرى ان جبريل وجد النبى صلى الله
عليه وسلم حزينا فساله فقال كذبني هولاء فقال انهم لا يكذبونك بل يعلمون انك صادق
ولكن الظالمين بايات الله يجحدون وجحد العناد جائز الوقوع بمقتضى النظر وظاهر القران تعظيم
الجحد وتحقيقه في كلام العرب الانكار بعد معرفة وهو ضد الاقرار و قوله سبحانه ولقد كذبت
رسل من قبلك فصبروا الاية قال ابن جريج والضحاك عزى الله نبيه عليه السلام ثم قوى سبحانه رجا
نبيه فيما وعده من النصر بقوله ولا مبدل لكلمات الله اى لا راد لامره وكلماته السابقات بما يكون
فكان المعنى فاصبر كما صبروا وانتظر ما ياتى وثق بهذه الاخبار فانه لا مبدل له و قوله جلت
عظمته وان كان كبر عليك اعراضهم الاية في الزام الحجة للنبى صلى الله عليه وسلم وتقسيم الاحوال
عليه حتى يتبين ان لا وجه الا الصبر والمعنى ان كنت تعظم تكذيبهم وكفرهم على نفسك وتلتزم الحزن
فان كنت تقدر على دخول سرب في اعماق الارض او على ارتقاء سلم في السماء فافعل اى ولست تقدر على شئ
من هذا ولا بد لك من التزام الصبر واحتمال المشقة و لو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من
الجاهلين في ان تاسف وتحزن على امر اراده الله وامضاه و روى الدارقطنى في سننه عن النبى صلى
الله عليه وسلم انه قال اذا اصاب احدكم هم او حزن فليقل سبع مرات الله ربى لا اشرك به شيا انتهى
من الكوكب الدرى و تاتيهم باية اى بعلامة وقال مكي والمهدوى والخطاب بقوله فلا تكونن من
الجاهلين للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد امته وهذا ضعيف لا يقتضيه اللفظ ت وما قاله ع
فيه عندى نظر لان هذا شان التاويل اخراج اللفظ عن ظاهره لموجب على ان ابا محمد مكيا رحمه
الله تعالى نقل هذا القول عن غيره نقلا ولفظه فلا تكونن من الجاهلين اى ممن لا يعلم ان الله لو شاء لجمع على
الهدى جميع خلقه وقيل معنى الخطاب لامة النبى صلى الله عليه وسلم والمعنى فلا تكونوا من الجاهلين
ومنه في القران كثير انتهى من الهداية و قوله سبحانه انما يستجيب الذين يسمعون الاية هذا من النمط
المتقدم في التسلية اى لا تحفل بمن اعرض فانما يستجيب لداعي الايمان الذين يفهمون الايات ويتلقون
البراهين بالقبول فعبر عن ذلك كله بيسمعون اذ هو طريق العلم وهذه لفظة يستعملها
الصوفية رضى الله عنهم اذا بلغت الموعظة من احد مبلغا شافيا قالوا سمع ثم قال تعالى
والموتى يريد الكفار اى هم بمثابة الموتى فعبر عنهم بضد ما عبر عن المومنين وبالصفة التى
تشبه حالهم في العمى عن نور الله والصمم عن وعي كلماته قاله مجاهد والحسن وقتادة و يبعثهم
الله يحتمل معنيين قال الحسن معناه يبعثهم بان يومنوا حين يوفقهم وقراءة الحسن ثم اليه

نقل م

يرجعون بالنار من فوق فتناسبت الآية وقال مجاهد وقتادة والموتى يريد الكفار يبعثهم
الله اي يحشرهم يوم القيامة ثم اليه اي الى سطوته وعقابه يرجعون وقوله سبحانه وقالوا لولا
نزل عليه آية من ربه لولا تحضيض بمعنى هلا ومعنى الآية هلا نزل على محمد بيان واضح كملك يشهد له
او كنز او غير ذلك من تشططهم المحفوظ في هذا ثم امر عليه السلام بالرد عليهم بان الله عز وجل قادر على
ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون انها لو نزلت ولم يؤمنوا لعوجلوا بالعذاب ويحتمل ولكن اكثرهم
لا يعلمون انه سبحانه انما جعل الانذار في آيات معرضة للنظر والتأمل ليهتدي قوم ويضل آخرون
وقوله سبحانه وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم المعنى في هذه الآية التنبيه على
آيات الله الموجودة في انواع مخلوقاته المنصوبة لمن فكر واعتبر كالدواب والطير ويدخل في هذين جميع
الحيوان وهي امم اي جماعات مماثلة للناس في الخلق والرزق والحياة والموت والحشر ويحتمل ان يريد
بالمماثلة في اوصاف غير كونها قال الطبري وغيره والمماثلة في انها يفعل باعمالها وتحاسب
ويقتص بعضها من بعض على ما روي في الاحاديث اي فاذا كان هذا يفعل بالبهائم فانتم احرى اذ انتم
مكلفون عقلاء وروى ابو ذر انه انتطحت عنزان بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتعلمون
فيما انتطحتا قلنا لا قال فان الله يعلم وسيقضي بينهما وقال مكي المماثلة في انها تعرف الله
وتعبده وقوله بجناحيه تأكيد وبيان وازالة للاستعارة المتعاهدة في هذه اللفظة اذ يقال
طائر السعد والنحس وقال تعالى الزمناه طائره في عنقه ويقال طار لفلان طائر كذا اي سهمه في المقتسمات
فقوله تعالى بجناحيه اخراج للطائر عن هذا كله وقوله سبحانه ما فرطنا في الكتاب من شيء التفريط التقصير
في الشيء مع القدرة على ترك التقصير قال ابو حيان فرطنا اي تعدى بفي ثم تضمن معنى اغفلنا فيتعدى الى مفعول
به وهو هنا كذلك فيكون من شيء في موضع المفعول به انتهى والكتاب القرآن وهو الذي يقتضيه
نظام المعنى في هذه الآيات وقيل اللوح المحفوظ ومن شيء على هذا القول عام في جميع الاشياء وعلى القول
بانه القرآن خاص وقوله يحشرون قالت فرقة من العلماء حشر البهائم بعثها واحتجوا بالاحاديث المضمنة ان الله
تعالى يقتص للجماء من القرناء ومن قال انما هي كناية عن العدل وليست بحقيقة فهو قول مرذول ينحو
الى القول بالرموز ونحوها وقوله سبحانه والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم الآية كأنه قال وما من
دابة ولا طائر ولا شيء الا وفيه آية منصوصة دالة على وحدانية الله تعالى ولكن الذين كذبوا
بآياتنا صم وبكم لا يتلقون ذلك ولا يقبلونه وظاهر الآية انها تعم كل مكذب وقال النقاش
نزلت في بني عبد الدار قال ع ثم تنسحب على سواهم وقوله في الظلمات خبر مبتدأ محذوف اي هم في الظلمات
او صفة لبكم اي كائنون في الظلمات او حال من الضمير المقدر في الخبر اي ضالون في الظلمات انتهى وقوله سبحانه
قل ارايتكم ابتداء احتجاج على الكفار الجاعلين لله شركاء والمعنى ارايتم اذا خفتم عذاب الله او خفتم هلاك
او خفتم الساعة اتدعون اصنامكم وتلجأون اليها في كشف ذلك ان كنتم صادقين في قولكم انها آلهة
بل انما تدعون الله الخالق الرازق فيكشف ما خفتموه ان شاء وتنسون اصنامكم اي تتركونهم فعبر
عن الترك بالنسيان مبالغة وجوهه الذي هو مع الترك ذهول واغفال فكيف يجعل الها من هذه حاله
في الشدائد والازمات وقوله سبحانه ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم الكلام حذف
تقديره فكذبوا فاخذناهم اي تابعناهم بالبأساء الآية والبأساء المصائب في الاموال
والضراء في الابدان هذا قول الاكثر وقيل قد يوضع كل واحد بدل الآخر والتضرع التذلل

كونها امما لا غير الا ان الشأن في حمل الآية بان تكون المماثلة في م

والاستكانة ومعنى الآية توعد الكفار وضرب المثل لهم ولولا تحضيض وهي التي تلي الفعل بمعنى هلا
وهذا على جهة المعاتبة لمذنب غائب واظهار سوء فعله مع تحسر ما عليه قلت اي مع تحسر ما باعتبار حال
البشر وقوله سبحانه فلما نسوا ما ذكروا به الآية عبر عن الترك بالنسيان وفتحنا عليهم ابواب كل شيء اي
من النعم الدنيوية بعد الذي اصابهم من البأساء والضراء وفرحوا معناه بطروا واعجبوا وظنوا
ان ذلك لا يبيد وانه دال على رضى الله عنهم وهو استدراج من الله تعالى وقد روي عن بعض العلماء رحم الله
عبدا تدبر هذه الآية حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وروى عقبة ابن عامر ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال اذا رايت الله يعطي العباد ما يشاؤون على معاصيهم فذلك استدراج ثم تلى فلما
نسوا ما ذكروا به الآية كلها واخذناهم في هذا الموضع معناه استأصلناهم وبغتة اي فجأة و
المبلس الحزين الباهت اليائس من الخير الذي لا يحير جوابا لشدة ما نزل به من سوء الحال وقوله
سبحانه فقطع دابر القوم الآية الدابر آخر القوم الذي يأتي من خلفهم وهذه كناية عن استئصال
شأفتهم ومحو آثارهم كأنهم وردوا العذاب حتى ورد آخرهم الذي دبرهم وحسن الحمد عقب
هذه الآية لجمال الافعال المتقدمة في ان ارسل سبحانه الرسل ولطف بالاخذ في البأساء والضراء المؤدية للتضرع
اليه فزجر ونعم وقطع في آخر الامر دابر الظلمة وذلك حسن ونعمة على المؤمنين فحسن الحمد عقب هذه الافعال
ويحمد سبحانه ينبغي ان يختم كل فعل وكل مقال اذ هو المحمود على كل حال لا رب غيره ولا خير الا خيره وقوله سبحانه
قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم الآية الاخذ معناه اذهب والضمير في به عائد على المأخوذ
يصدفون معناه يعرضون وينفرون ومنه قول الشاعر نظم اذا ذكرن حديثا قلن احسنه
وهن عن كل سوء يبتغى صدف وقوله سبحانه قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة الآية وعيد
وتهديد قال ع وارايتم عند سيبويه تنزل منزلة اخبروني ولذلك لا تحتاج الى مفعولين وقوله
بغتة معناه لم يتقدم عندكم علم منه وجهرة تبدو لكم مخايله ومباديه ثم يتوالى حتى ينزل قال
الحسن بن ابي الحسن بغتة ليلا وجهرة نهارا وقال مجاهد بغتة فجأة آمنين وجهرة وهم ينظرون
قال ابو حيان هل يهلك هل حرف استفهام معناه هنا النفي اي ما يهلك ولذلك دخلت الا
على ما بعدها انتهى وقوله سبحانه وما نرسل المرسلين الا مبشرين اي الا ليبشروا بانعامنا ورحمتنا
من آمن ومنذرين بعذابنا وعقابنا من كذب وكفر قال ابو حيان مبشرين ومنذرين
حالان فيهما معنى العلية اي ارسلناهم للتبشير والانذار انتهى ثم وعد سبحانه من سلك طريق البشارة
فآمن واصلح في امتثال الطاعة واوعد الآخرين وقوله سبحانه قل لا اقول لكم عندي خزائن الله
ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك الآية هذا من الرد على القائلين لولا نزل عليه آية والطالبين
ان ينزل ملك او تكون له جنة او كنز ونحو هذا والمعنى انما انا بشر وانما اتبع ما يوحى الي وهو
القرآن وسائر ما يأتيه من الله سبحانه وفي ذلك عبر وآيات لمن تأمل وقوله سبحانه قل هل يستوي
الاعمى والبصير اي هل يستوي المؤمن المفكر في الآيات مع الكافر المعرض عن النظر افلا تتفكرون
وجاء الامر بالفكرة في عبارة العرض والتحضيض وقوله وانذر به اي وانذر بالقرآن الذين هم مظنة
الايمان واهل للانتفاع والضمير في به عائد على ما يوحى وقوله سبحانه ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع
اخبار من الله سبحانه عن صفة الحال يوم الحشر قال الفخر قوله لعلهم يتقون قال ابن عباس معناه
وانذرهم لكي يخافوا في الدنيا وينتهوا عن الكفر والمعاصي انتهى وقوله سبحانه ولا تطرد الذين يدعون

ربهم بالغداة والعشي المراد بالذين ضعفة المؤمنين في ذلك الوقت في امور الدنيا كبلال
وصهيب وعمار وخباب وصبيح وذي الشمالين والمقداد ونحوهم وسبب الاية ان بعض اشراف
الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نحن لشرفنا واقدارنا لا يمكننا ان نختلط بهولاء فلو طردتهم
لاتبعناك وورد في ذلك حديث عن ابن مسعود وظاهر الامر انهم ارادوا بذلك الخديعة فنزلت الاية
و يدعون ربهم بالغداة والعشي قال الحسن بن ابي الحسن المراد به صلاة مكة التي كانت مرتين في اليوم بكرة
وعشية وقيل قوله بالغداة والعشي عبارة عن استمرار الفعل وان الزمن معمور به والمراد على هذا
الدعاء وقيل الصلوات الخمس قاله ابن عباس وغيره وقيل الدعاء وذكر الله واللفظة على وجهها
وقيل القرآن وتعلمه قاله ابو جعفر وقيل العبادة قاله الضحاك و قوله تعالى يريدون وجهه
قلت قال الغزالي في الجواهر النية والعمل بهما تمام العبادة فالنية احد جزئي العبادة لكنها خير
الجزئين ومعنى النية ارادة وجه الله تعالى بالعمل قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي يريدون وجهه ومعنى اخلاصها تصفيتها عن بواعث الثواب ثم قال الغزالي واذا عرفت
فضل النية وانها تحل حدقة المقصود فاجهد ان تستكثر من النية في جميع اعمالك حتى تنوي
بعمل واحد نيات كثيرة ولو صدقت رغبتك هديت الى طريق رشدك انتهى و قوله سبحانه ما عليك من
حسابهم من شيء قال الحسن والجمهور اي من حساب عملهم والمعنى انك لم تكلف شيئا غير دعائهم
و قوله فتطردهم هو جواب النفي في قوله ما عليك وقوله فتكون جواب النهي في قوله ولا
تطرد وفتنا بعضهم ببعض اي ابتلينا و ليقولوا معناه ليصير بحكم القدر الى ان يقولوا
على جهة الاستخفاف والهزء اهولاء من الله عليهم من بيننا قال اللام في ليقولوا لام الصيرورة
و قوله سبحانه اليس الله باعلم بالشاكرين اي يا ايها المستخفون لا الامر كما زعمتم فالله اعلم بمن يشكر
نعمه و قوله سبحانه واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم الاية قال الجمهور من المفسرين
هولاء هم الذين نهى الله عن طردهم وشفع ذلك بان امر سبحانه ان يسلم النبي عليه السلام عليهم
ويؤنسهم قال خباب بن الارت لما نزلت واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا الاية فكنا نأتي
النبي صلى الله عليه وسلم فيقول لنا سلام عليكم ونقعد معه فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا
فانزل الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الاية فكان يقعد معنا فاذا بلغ الوقت الذي
يقوم فيه قمنا وتركناه حتى يقوم وسلام عليكم ابتداء والتقدير سلام ثابت او واجب عليكم والمعنى
امنة لكم من عذاب الله في الدنيا والاخرة ولفظه لفظ الخبر وهو في معنى الدعاء قال الفخر وقوله
تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة النفس هنا بمعنى الذات والحقيقة لا بمعنى الجسم والله تعالى مقدس
منقدس عنه انتهى قلت قال ابن العربي في كتاب تفسير الافعال الواقعة في القرآن قوله تعالى كتب
ربكم على نفسه الرحمة قال علماؤنا كتب معناه اوجب وعندي انه كتب حقيقة قال النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله خلق القلم فقال له اكتب فكتب ما يكون الى يوم القيامة انتهى و قرأ عاصم وابن عامر
انه بفتح الهمزة في الاولى والثانية فانه الاولى بدل من الرحمة وانه الثانية خبر ابتداء مضمر تقديره
فامره انه غفور رحيم هذا مذهب سيبويه و قرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي انه بكسر
الهمزة في الاولى والثانية وقرأ نافع بفتح الاولى وكسر الثانية والجهالة في هذا الموضع تعم التي تضاد
العلم والتي تشبه بها وذلك ان المتعمد لفعل الشيء الذي قد نهي عنه تسمى معصيته تلك جهالة

قال مجاهد من الجهالة ان لا يعلم حلالا من حرام ومن جهالته ان يركب الامر قلت اي يتعمد
ومن الجهالة التي لا تضاد العلم قوله صلى الله عليه وسلم في استعاذته او اجهل او يجهل علي ومنها
قول الشاعر نظم الا لا يجهلن احد علينا ٭ فنجهل فوق جهل الجاهلينا ٭ قال الفخر قال الحسن
كل من عمل معصية فهو جاهل فقيل المعنى انه جاهل بمقدار ما فاته من الثواب وما استحقه
من العقاب قلت وايضا فهو جاهل بمقدار من عصاه انتهى والاشارة بقوله تعالى وكذلك نفصل
الايات الى ما تقدم من النهي عن طرد المؤمنين وبيان فساد منزع العارضين لذلك و نفصل الايات
تبينها وشرحها واظهارها قلت ومما يناسب هذا المحل ذكر شيء مما ورد في فضل المصافحة وقد اسند
ابو عمر في التمهيد عن عبد الرحمن بن الاسود عن ابيه وعلقمة انهما قالا من تمام التحية المصافحة
و روى مالك في الموطا عن عطاء الخراساني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصافحوا يذهب
الغل وتهادوا وتحابوا وتذهب الشحناء قال ابو عمر في التمهيد هذا الحديث يتصل من وجوه شتى حسان
كلها ثم اسند ابو عمر من طريق ابي داود وغيره عن البراء قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من مسلم يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل ان يتفرقا ثم اسند ابو عمر عن
البراء بن عازب قال لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ بيدي فقلت يا رسول
الله اذ كنت لاحسب ان المصافحة للعجم فقال نحن احق بالمصافحة منهم ما من مسلمين يلتقيان فياخذ
احدهما بيد صاحبه مودة بينهما ونصيحة الا القيت ذنوبهما بينهما واسند ابو عمر عن عمر بن الخطاب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان فتصافحا انزل الله عليهما مائة
رحمة تسعون منها للذي بدا بالمصافحة وعشرة للذي صوفح وكان احبهما الى الله احسنهما
بشرا بصاحبه انتهى وقد ذكرنا طرفا من اداب المصافحة في غير هذا الموضع فقف عليه ترشد فان
العلم انما يراد للعمل وبالله التوفيق و وليستبين سبيل المجرمين لانهم الذين اثاروا ما تقدم من
الاقوال وهو الاهم في هذا الموضع لانها ايات رد عليهم وايضا فتبيين سبيلهم يتضمن بيان سبيل
المؤمنين وتاول ابن زيد ان قوله المجرمين معني به الامرون بطرد الضعفة و قوله سبحانه
قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم الاية امر سبحانه نبيه عليه
السلام ان يجاهرهم بالتبري مما هم فيه و تدعون معناه تعبدون ويحتمل ان يريد
تدعون في اموركم وذلك من معنى العبادة واعتقادهم الاصنام الهة و قوله سبحانه
قل اني على بينة من ربي المعنى قل اني على امر بين و كذبتم به الضمير في به عائد على بين او على الرب
وقيل على القرآن وهو جلي وقال بعض المفسرين الضمير في به الثاني على ما والمراد بها الايات
المقترحة على ما قال بعض المفسرين وقيل المراد به العذاب وهو يترجح من وجهين احدهما من
جهة المعنى وذلك ان قوله وكذبتم به يتضمن انكم واقعتم ما تستوجبون به العذاب الا انه ليس
عندي والاخر من جهة لفظ الاستعجال الذي لم يات في القرآن الا للعذاب واما اقتراحهم
للايات فلم يكن باستعجال و قوله ان الحكم الا لله اي القضاء والانفاذ و يقص الحق اي يخبر به
والمعنى يقص القصص الحق وقرأ حمزة والكسائي وغيرهما يقضي الحق اي ينفذه و قوله سبحانه
قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم المعنى لو كان عندي الايات المقترحة

او العذاب على التاويل الاخر لقضي الامر اي لوقع الانفصال وتم التنازع لظهور الاية المقترحة او لنزول العذاب بحسب التاويل وقيل المعنى لقامت القيمة وقوله والله اعلم بالظالمين يتضمن الوعيد والتهديد وقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو مفاتح جمع مفتح وهذه استعارة عبارة عن التوصل الى الغيوب كما يتوصل في الشاهد بالمفتاح الى المغيب ولو كان جمع مفتاح لقال المفاتيح ويظهر ايضا ان مفاتح جمع مفتح بفتح الميم اي مواضع تفتح عن المغيبات ويؤيد هذا قول السدي وغيره مفاتح الغيب خزاين الغيب فاما مفتح بالكسر فهو بمعنى مفتاح قال الزهراوي ومفتح افصح وقال ابن عباس وغيره الاشارة بمفاتح الغيب الى الخمسة التي في اخر لقمان ان الله عنده علم الساعة الاية قلت وفي صحيح البخاري عن سالم بن عبد الله عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير انتهى وقوله سبحانه من ورقة اي من ورقة نبات ولا حبة في ظلمات الارض يريد في اشد حال التغيب وحكى بعض الناس عن جعفر بن محمد قولا ان الورقة يراد بها السقط من اولاد ادم والحبة يراد بها الذي ليس بسقط والرطب يراد به الحي واليابس يراد به الميت وهذا قول جار على طريقة الرموز ولا يصح عن جعفر بن محمد ولا ينبغي ان يلتفت اليه وقوله سبحانه الا في كتاب مبين قيل يعني كتابا على الحقيقة ووجه الفايدة فيه امتحان ما يكتبه الحفظة وذلك انه روي ان الحفظة يرفعون ما كتبوه ويعارضونه بهذا الكتاب المشار اليه ليتحققوا صحة ما كتبوه وقيل المراد الا في علم الله عز وجل المحيط بكل شي قال الفخر وهذا هو الاصوب ويجوز ان يقال ذكر الله تعالى ما ذكر من الورقة والحبة تنبيها للمكلفين على امر الحساب انتهى قال مكي قال عبد الله بن الحارث ما في الارض شجر ولا مغرز ابرة الا عليها ملك موكل ياتي الله بعلمها بيبسها اذا يبست ورطوبتها اذا رطبت وقيل المعنى في كتبها انه لتعظيم الامر ومعناه اعلموا ان هذا الذي ليس فيه ثواب ولا عقاب مكتوب فكيف ما فيه ثواب وعقاب انتهى من الهداية وقوله سبحانه وهو الذي يتوفاكم بالليل يعني به النوم ويعلم ما جرحتم اي ما كسبتم بجوارح اليد ويبعثكم يريد به الايقاظ والضمير في فيه عايد على النهار قاله مجاهد وغيره ويحتمل ان يعود الضمير على التوفي اي يوقظكم في التوفي اي في خلاله وتضاعيفه قاله عبد الله بن كثير وليقضى اجل مسمى المراد به اجال بني ادم ثم اليه مرجعكم يريد بالبعث والنشور ثم ينبيكم اي يعلمكم اعلام توقيف ومحاسبة ففي هذه الاية ايضاح الايات المنصوبة للنظر وفيها ضرب مثال للبعث من القبور لان هذا ايضا اماتة وبعث على نحو ما وقوله وهو القاهر فوق عباده القاهر ان اخذ صفة فعل اي مظهر القهر بالصواعق والرياح والعذاب فيصح ان يجعل فوق ظرفية للجهة لان هذه الاشياء انما تعاهدها العباد من فوقهم وان اخذ القاهر صفة ذات بمعنى القدرة والاستيلاء ففوق لا يجوز ان تكون للجهة وانما هي لعلو القدر والشان على حد ما تقول الياقوت فوق الحديد والاحرار فوق العبيد ويرسل عليكم معناه بينهم فيكم وحفظة جمع حافظ والمراد بذلك الملايكة الموكلون بكتب الاعمال وروي انهم الملايكة الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم يتعاقبون فيكم ملايكة بالليل وملايكة بالنهار وقاله السدي وقتادة وقال بعض المفسرين حفظة يحفظون الانسان من كل شي

حتى اجله والاول اظهر وقرا حمزة توفاه وقوله تعالى رسلنا يريد به على ما ذكر ابن عباس وجميع اهل التاويل ملايكة مقترنين بملك الموت يعاونونه ويأتمرون له ثم ردوا اي ردهم الله تعالى الى الله مولاهم وقوله الحق نعت لمولاهم ومعناه الذي ليس بباطل ولا مجاز الا له الحكم كلام مضمنه التنبيه وهز النفوس وهو اسرع الحاسبين قيل لعلي رضي الله عنه كيف يحاسب الله العباد في يوم واحد قال كما يرزقهم في الدنيا في يوم وقوله سبحانه قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية الاية هذه تماد في توبيخ العادلين بالله الاوثان وتركهم عبادة الرحمن الذي ينجي من الهلكات ويلجا اليه في الشدايد ودفع الملمات وظلمات البر والبحر يريد به شدايدهما فهو لفظ عام يستغرق ما كان من الشدايد بظلمة حقيقية وما كان بغير ظلمة والعرب تقول عام اسود ويوم مظلم ويوم ذو كواكب يريدون به الشدة قال قتادة وغيره المعنى من كرب البر والبحر وتدعونه في موضع الحال والتضرع صفة بادية على الانسان خفية معناه الاختفاء وقرا نافع وعاصم في رواية ابي بكر وخفية بكسر الخاء وقرا الاعمش وخيفة من الخوف وقوله سبحانه قل الله ينجيكم منها الاية سبق في الجدال الى الجواب اذ لا محيد عنه من كل كرب لفظ عام ايضا ليتضح العموم الذي في الظلمات ثم انتم اي بعد معرفتكم بهذا كله وتحققكم له انتم تشركون وقوله سبحانه قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم الاية هذا الخبار يتضمن الوعيد والاظهر من نسق الايات ان هذا الخطاب للكفار الذين تقدم ذكرهم وهو مذهب الطبري وقال ابي بن كعب وجماعة هو للمومنين وهم المراد وهذا الاختلاف انما هو بحسب ما يظهر من ان الاية تتناول معانيها المشركين والمومنين وفي البخاري وغيره من حديث جابر وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت الاية قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال اعوذ بوجهك فلما نزلت او من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك فلما نزلت او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض قال هذه اهون وايسر فاحتج بهذا من قال انها نزلت في المومنين قال الطبري وغيره ويمتنع ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم تعوذ لامته من هذه الاشياء التي توعد بها الكفار وهون الثالثة لانها بالمعنى هي التي دعا فيها فمنع حسب حديث الموطا وغيره ومن فوقكم او من تحت ارجلكم لفظ عام للمنطبقين على الانسان وقاله سعيد بن جبير ومجاهد وقوله سبحانه او يلبسكم شيعا معناه يخلطكم شيعا اي فرقا والباس القتل وما اشبهه من المكاره وفي قوله انظر كيف نصرف الايات استرجاع لهم وان كان لفظها لفظ تعجيب للنبي صلى الله عليه وسلم فمضمنها ان هذه الايات والدلايل انما هي لاستصرافهم عن طريق غيهم والتفقه الفهم وقوله سبحانه وكذب به قومك وهو الحق الضمير في به عايد على القران الذي فيه جاء تصريف الايات قاله السدي وهذا هو الظاهر ويحتمل ان يعود الضمير على الوعيد الذي تضمنته الاية ونحا اليه الطبري وقوله قل لست عليكم بوكيل معناه لست بمدفوع الى اخذكم بالايمان والهدى وهذا كان قبل نزول ايات الجهاد والامر وسوف تعلمون تهديد محض ووعيد وقوله سبحانه واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمومنون داخلون في الخطاب معه هذا هو الصحيح لان علة النهي وهي سماع الخوض في ايات الله تشملهم واياه فامر صلى الله عليه وسلم هو والمومنون ان ينابذوا الكفار بالقيام عنهم اذا استهزءوا وخاضوا ليتادبوا

هما

بذلك ويدعو الخوض والاستهزاء قلت ويدل على دخول المومنين مع النبي صلى الله عليه وسلم في
الخطاب قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزئ بها فلا تقعدوا
معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انتهى والخوض اصله في الماء ثم يستعمل بعد في غمرات الاشياء التي هي مجاهل تشبيها
بغمر الماء واما ينسينك اما شرط وتلزمها النون الثقيلة في الاغلب وقرا ابن عامر وحده ينسينك بتشديد
السين وفتح النون والمعنى واحد الا ان التشديد اكثر مبالغة والذكرى والذكر واحد في المعنى ووصفهم بالظالمين
متمكن لانهم وضعوا الشيء في غير موضعه واعرض في هذه الآية بمعنى المفارقة على حقيقة الاعراض واكمل
وجوهه ويدل على ذلك فلا تقعد وقوله سبحانه وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء روي انه
لما نزلت فلا تقعدوا معهم قال المومنون اذا كنا لا نقرب المشركين ولا نسمع اقوالهم فما يمكننا طواف ولا قضاء
عبادة في الحرم فنزلت لذلك وما على الذين يتقون الآية قال ع فالاباحة في هذا هي القدر الذي يحتاج
اليه من التصرف بين المشركين في عبادة ونحوها وقيل ان هذه الآية الاخيرة ليست باباحة بوجه وانما
معناه لا تقعدوا معهم ولا تقربوهم حتى تسمعوا استهزاءهم وخوضهم وليس نهيكم عن القعود لان عليكم
شيئا من حسابهم وانما هو ذكرى لكم ويحتمل المعنى ولكن ذكرى لهم لعلهم اذا جانبتموهم يتقون بالسلامة
عن الاستهزاء ويحتمل المعنى ولكن ذكروهم ذكرى وينبغي للمومن ان يمتثل حكم هذه الآية مع الملحدين
واهل الجدل والخوض فيه وحكى الطبري عن ابي جعفر انه قال لا تجالسوا اهل الخصومات فانهم الذين
يخوضون في آيات الله وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انا زعيم ببيت في رياض الجنة لمن ترك المراء
وان كان محقا وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا وببيت في اعلى الجنة لمن حسن
خلقه خرجه ابو داود من الكوكب الدري انتهى وقد ذكرنا هذا الحديث من غير طريق ابي داود بلفظ
اوضح من هذا وقوله سبحانه وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا هذا امر بالمتاركة وكان ذلك بحسب
قلة المومنين يومئذ قال قتادة ثم نسخ ذلك وما جرى مجراه بالقتال وقال مجاهد الآية انما هي للتهديد
والوعيد فهي كقوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا وليس فيها نسخ لانها متضمنة خبرا وهو التهديد
وغرتهم الحياة الدنيا اي خدعتهم من الغرور وهو الاطماع بما لا يتحصل فاغتروا بنعم الله وامهاله
وطمعهم في ذلك ما لا يتحصل من رحمته واعلم ان اعقل العقلاء مومن مقبل على آخرته قد جعل الموت نصب
عينيه ولم يغتر بزخارف الدنيا كما اغتر بها الحمقاء بل جعل همه واحدا هم المعاد وما هو صائر اليه
فقد روى البزار في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله
هم الدنيا ومن تشعبت به الهموم هموم الدنيا لم يبال الله تعالى في اي اوديتها هلك انتهى من الكوكب
الدري وقوله سبحانه وذكر به اي بالقرآن وقيل الضمير في به عائد على الذين وان تبسل في موضع المفعول
اي لئلا تبسل ومعناه تسلم قاله الحسن وعكرمة وقال قتادة تحبس وترهن وقال ابن عباس
تفضح وقال ابن زيد تجزى وهذه كلها متقاربة بالمعنى ومنه قول الشنفرى • هنالك لا ارجو حياة تسرني •
• سمير الليالي مبسلا بالجرائر • وباقي الآية بين وتعدل كل عدل اي وان تعط كل فدية وان عظمت
فتجعلها عدلا لها لا يقبل منها وقال ابو عبيدة وان تعدل هو من العدل المضاد للجور ورده الطبري
بالاجماع على ان توبة الكافر مقبولة قال ع ولا يلزم هذا الرد لان الامر انما هو يوم القيامة ولا تقبل
فيه توبة ولا عمل فلن وانجلى من هذا ان يحمل كلام ابي عبيدة على معنى انه لا يقبل منها عدل لها لاخلال
شرطه وهو الايمان وابسلوا معناه اسلموا بما اجترحوه من الكفر والحميم الماء الحار ومنه الحمام والحمة

وقوله سبحانه

وقوله سبحانه قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا المعنى قل في احتجاجك اتطيعون رايكم
في ان ندعو من دون الله والدعاء يعم العبادة وغيرها لان من جعل شيئا موضع دعائه فاياه
يعبد وعليه يتكل وما لا ينفعنا ولا يضرنا يعني الاصنام ونرد على اعقابنا تشبيه بمشي القهقرى وهي المشية
الدنية فاستعمل المثل فيمن رجع من خير الى شر وقوله سبحانه كالذي استهوته الشياطين في الكلام
محذوف تقديره ردا كردّ الذي واستهوته بمعنى استدعت هواه واماله هدانا بمعنى ارشدنا
فتقدير هذا كانه قال ايصلح ان نكون بعد الهدى نعبد الاصنام فيكون ذلك منا ارتدادا على العقب فيكون
كرجل على طريق واضح فاستهوته الشياطين فخرج عنه الى دعوتهم فبقي حائرا وقوله اصحاب على الطريق الذي
خرج منه فيشبه بالاصحاب على هذا المومنون الذين يدعون من ارتد الى الرجوع الى الهدى وهذا تاويل مجاهد
وابن عباس وائتنا من الاتيان بمعنى المجيء وقول من قال ان المراد بالذي في هذه الآية عبد الرحمن بن ابي بكر
وبالاصحاب ابواه قول ضعيف يرده قول عائشة في الصحيح ما نزل فينا من القرآن شيء الا براءتي
قلت تريد وقصة الغار اذ يقول لصاحبه وقوله ولا ياتل اولو الفضل منكم اذ نزلت في شان ابي بكر
وشان مسطح قال ع حدثني ابي رضي الله عنه قال سمعت الفقيه الامام ابا عبد الله المعروف
بالنحوي المجاور بمكة يقول من نازع احدا من الملحدين فانما ينبغي ان يرد عليه بالقرآن والحديث
فيكون كمن يدعو الى الهدى بقوله ائتنا ومن ينازعهم بالجدل ويحلق عليهم به فكانه يبعد من طريق الكفر
لكثر ليرد هذا الزائغ فهو يخاف عليه ان يضل قال ع وهذا انتزاع حسن جدا وباقي الآية بين وقوله
سبحانه وهو الذي خلق السموات والارض بالحق اي لم يخلقها باطلا لغير معنى بل لمعان مفيدة ولحقائق
بينة وقوله سبحانه يوم ينفخ في الصور الجمهور ان الصور هو القرن الذي قال فيه النبي صلى
الله عليه وسلم انه ينفخ فيه للصعق ثم للبعث وباقي الآية بين وقوله سبحانه واذ قال ابراهيم
لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة الى ربك وقومك في ضلال مبين قال الطبري نبه الله نبينا
محمدا صلى الله عليه وسلم على الاقتداء بابراهيم في محاجته قومه اذ كانوا اهل اصنام وكان قوم النبي
صلى الله عليه وسلم اهل اصنام وقوله اصناما آلهة مفعولان وذكر ان آزر ابا ابراهيم
كان نجارا محسنا ومهندسا وكان نمرود يتعلق بالهندسة والنجوم فحظي عنده آزر لذلك وكان
على خطة عمل الاصنام تعمل بامره وتدبيره ويطبع هو الصنم في نجم معلوم عنده وحينئذ يعبد
ذلك الصنم فلما نشا ابراهيم ابنه على الصفة التي تعلم كان ابوه يكلفه بيعها فكان ابراهيم ينادي
من يشتري ما يضره ولا ينفعه ويستخف بها ويجعلها في الماء منكوسة ويقول لها اشربي فلما اشتهر
امره بذلك واخذ في الدعاء الى الله عز وجل قال لابيه هذه المقالة واراك في هذا الموضع تشترك
فيها القلب والبصر ومبين بمعنى بين ظاهر واضح وقوله سبحانه وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض الآية المتقدمة تقضي بهداية ابراهيم عليه السلام والاشارة هنا بذلك هي الى تلك الهداية اي كما
هديناه الى الدعاء الى الله وانكار الكفر اريناه ملكوت السموات والارض ونري لفظها الاستقبال
ومعناها المضي وهذه الرؤية هي رؤية البصر وروي في ذلك ان الله عز وجل فرج لابراهيم عليه السلام
السموات والارض حتى راى ببصره الملكوت الاعلى والملكوت الاسفل وهذا قول مجاهد فرج له
السموات والارض فراى مكانه في الجنة وبه قال سعيد بن جبير وسلمان الفارسي وقيل هي رؤية
بصر في ظاهر الملكوت وقع له معها من الاعتبار ورؤية القلب ما لم يقع لاحد من اهل زمنه الذين بعث

ثاني م

[illegible]

اليهم قاله ابن عباس وغيره وقيل هي رؤية قلب راى بها ملكوت السموات والارض بفكرته ونظره
وملكوت بناء مبالغة وهي بمعنى الملك والعرب تقول لفلان ملكوت اليمن اي ملكه واللام في ليكون
متعلقة بفعل مؤخر تقديره وليكون من الموقنين اريناه والموقن العالم بالشيء علما لا يمكن ان يطرا
له فيه شك وروى عن ابن عباس في تفسير وليكون من الموقنين قال جلاله الامور سرها وعلانيتها
فلم يخف عليه شيء من اعمال الخلائق فلما جعل يلعن اصحاب الذنوب قال الله انك لا تستطيع هذا فرده
لا يرى اعمالهم وقوله عز وجل فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي الاية جن الليل ستر وغطى
بظلامه ذهب ابن عباس وناس كثيرون الى ان هذه القصة وقعت في حال صباه وقبل البلوغ
والتكليف ويحتمل ان تكون وقعت له بعد بلوغه وكونه مكلفا وحكى الطبري هذا عن فرقة وقالت
انه استفهم قومه على جهة التوقيف والتوبيخ اي هذا ربي وقد حكى ان نمرود جبار ذلك الزمن راى
له منجموه ان مولودا يولد في سنة كذا في عمله يكون خراب الملك على يديه فجعل يتبع الحبالى ويوكل بهن
حراسا فمن وضعت انثى تركت ومن وضعت ذكرا حمل الى الملك فذبحه وان ام ابراهيم حملت وكانت
شابة قوية فسترت حملها فلما قربت ولادها بعثت ابا ابراهيم الى سفر وتحيلت لمضيه ثم خرجت
الى غار فولدت فيه ابراهيم وتركته في الغار وكانت تتفقده فوجدته يتغذى بان يمص اصابعه
فيخرج له منها عسل وسمن ونحو هذا وحكى بل كان يغذوه ملك وحكى بل كانت ام تاتيه بالبان
النساء اللاتي ذبح ابناؤهن والله اعلم اي ذلك كان فشب ابراهيم اضعاف ما يشب غيره والملك في ذلك
يحس بولادته ويشدد في طلبه فمكث في الغار عشرة اعوام وقيل خمسة عشر سنة وانه نظر اول
ما عقل من الغار فراى الكوكب وجرت قصة الاية والله اعلم فان قلنا بانه وقعت له القصة في
الغار في حال الصبوة وعدم التكليف على ما ذهب اليه بعض المفسرين ويحتمله اللفظ فذلك ينقسم على وجهين
اما ان يجعل قوله هذا ربي تصميما واعتقادا وهذا باطل لان التصميم على الكفر لم يقع من الانبياء
صلوات الله عليهم واما ان يجعله تعريضا للنظر والاستدلال قال هذا المنير ربي ان عضدت
ذلك الدلائل وان قلنا ان القصة وقعت له في حال كبره وهو مكلف فلا يجوز ان يقول
هذا مصمما ولا معرضا للنظر لانها رتبة جهل وهو عليه السلام منزه معصوم من ذلك
كله فلم يبق الا ان يقولها على جهة التقرير لقومه والتوبيخ لهم واقامة الحجة عليهم في عبادة الاصنام
كانه قال هذا المنير ربي وهو يريد على زعمكم كما قال تعالى اين شركائي اي على زعمكم ثم
عرض ابراهيم عليهم من حركة الكوكب وافوله امارة الحدوث وانه لا يصلح ان يكون ربا ثم
في اخر اعظم منه واجرى كذلك ثم في الشمس كذلك فكانه يقول فاذا بان في هذه المنيرات
الرفيعة انها لا تصلح للربوبية فاصنامكم التي هي خشب وحجارة احرى ان يبين ذلك فيها ويعضد
عندي هذا التاويل قوله اني بريء مما تشركون قلت والى ترجيح هذا ذهب عياض في الشفاء
وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين الى ان ابراهيم انما قال ذلك مبكتا والتبكيت في كلام العرب
التقريع والتوبيخ منتهيا لقومه ومستدلا عليهم قال ع ومثل لهم بهذه الامور لانهم اهل نظر في
الكوكب وهو الزهرة في قول قتادة وقال السدي هو المشتري جانحا الى الغروب فلما افل
بزغ القمر وهو اول طلوعه فسرى الليل اجمع فلما بزغت الشمس زال ضوء القمر قبلها
لانتشار الصباح وخفي نوره ودنا ايضا من مغربه فسمى ذلك افولا لقربه من الافول التام

كان اصحابنا اعلم ونظر في الافلاك وهذا الامر كله انما وقع في ليلة واحدة م

على

التام على الغروب في التسمية وهذا الترتيب يستقيم في الليلة الخامسة عشر من الشهر الى ليلة عشرين
وليس يترتب في ليلة واحدة كما اجمع اهل التفسير الا في هذه الكيفية وبذلك يصح الغروب في افول
القمر وافل في كلام العرب معناه غاب وقيل معناه ذهب وهذا خلاف في عبارة فقط والبزوغ
في هذه الانوار اول الطلوع ومما يكون هذا الترتيب في ليلة من النجوم افول القمر لان افوله
لو قدرناه مغيبه لكان في ذلك بعد بزوغ الشمس وجميع ما قلناه تعطيه الاية ويهدي
يرشد وهذا اللفظ يؤيد قول من قال ان القصة في حال صغره والقوم الضالون هنا
عبدة المخلوقات كالاصنام وغيرها ولما افلت الشمس لم يبق شيء يمثل لهم به فظهرت حجته
وقوي بذلك على منابذتهم والتبري وقوله اني بريء مما تشركون يؤيد قول من قال
ان القصة في حال الكبر والتكليف ووجهت وجهي اي اقبلت بقصدي وعبادتي وتوحيدي وايماني
للذي فطر السموات والارض اي اخترعها وحنيفا اي مستقيما والحنف الميل فكانه مال عن كل
جهة الى القوام وقوله تعالى وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله اي اتراجعونني في الحجة في توحيد الله
وقد هدان اي قد ارشدني الى معرفته وتوحيده ولا اخاف ما تشركون به الضمير في به يعود على الله
والمعنى ولا اخاف الاصنام التي تشركونها بالله في الربوبية ويحتمل ان يعود على ما والتقدير ما تشركون بسببه م
وقوله الا ان يشاء ربي شيئا ليس من الاول وشيئا منصوب بيشاء ولما كانت قوة الكلام انه
لا يخاف ضررا استثنى مشيئة ربه تعالى في ان يريده بضرر وعلما نصب على التمييز وهو مصدر بمعنى
الفاعل كما تقول العرب تصبب زيد عرقا المعنى عرق زيد فكذلك المعنى هنا وسع علم ربي كل شيء
افلا تتذكرون توقيف وتنبيه واظهار لموضع التقصير منهم وقوله وكيف اخاف ما اشركتم
الاية الى لا تعلمون هي كلها من قول ابراهيم عليه السلام لقومه وهي حجته القاطعة لهم والمعنى
وكيف اخاف اصناما لا خطب لها اذ نبذتها ولا تخافون انتم الله عز وجل وقد اشركتم به في
الربوبية ما لم ينزل به عليكم سلطانا والسلطان الحجة ثم استفهم على جهة التقرير فاي
الفريقين مني ومنكم احق بالامن قال ابو حيان وكيف استفهام معناه التعجب والانكار انتهى
وقوله سبحانه الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الاية قال ابن اسحق وابن زيد وغيرهما
هذا قول من الله عز وجل ابتداء حكم وفصل عام لوقت محاجة ابراهيم وغيره ولكل مؤمن
تقدم او تاخر قال ع هذا هو البين الفصيح الذي يرتبط به معنى الاية ويحسن رصفها وهو
خبر من الله عز وجل ويلبسوا معناه يخلطوا والظلم في هذا الموضع الشرك تظاهرت بذلك
الاحاديث الصحيحة وفي قراءة مجاهد ولم يلبسوا ايمانهم بشرك وهم مهتدون اي راشدون
وقوله سبحانه وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه وتلك اشارة الى هذه الحجة المتقدمة
وقوله سبحانه نرفع درجات من نشاء الدرجات اصلها في الاجسام ثم تستعمل في المراتب والمنازل
المعنوية وقوله سبحانه ووهبنا له اسحق ويعقوب الاية ووهبنا عطف على اتينا واسحق
ابنه من سارة ويعقوب هو ابن اسحق وقوله ومن ذريته المعنى وهدينا من ذريته والضمير في
ذريته قال الزجاج جائز ان يعود على ابراهيم ويعترض هذا بذكر لوط عليه السلام اذ ليس هو
من ذرية ابراهيم بل هو ابن اخيه وقيل ابن اخته ويتخرج ذلك عند من يرى الخال ابا وقيل يعود
الضمير على نوح وهذا هو الجيد ورجحه وداود ويحتمل ان يكون بهدينا وكذا المتخير بحسبه

بوهبنا ويحتمل ان يكون م

وعد من الله عز وجل لمن احسن في عبادته وترغيب في الاحسان وفي هذه الاية ان عيسى عليه
عليه السلام من ذرية نوح او ابراهيم بحسب الاختلاف في عود الضمير من ذريته وهو ابن ابنته
وبهذا يستدل في الحجاج على ان ولد البنت من الذرية ويونس هو ابن متى وكلا فضلنا على العالمين
معناه عالمي زمانهم وقوله سبحانه ومن ابائهم وذرياتهم المعنى وهدينا من ابائهم وذرياتهم
واخوانهم جماعات فمن للتبعيض والمراد من امن منهم نبيا كان او غير نبي واجتبيناهم اي
وهدينا هم ارشدناهم الى الايمان والفوز برضى الله عز وجل والذرية الابناء ويطلق على
جميع البشر ذرية لانهم ابناء وقوله سبحانه ذلك هدى الله الاية ذلك اشارة الى النعمة في
قوله واجتبيناهم واولئك اشارة الى من تقدم والكتاب يراد به الصحف والتورية والانجيل
والزبور وقوله سبحانه فان يكفر بها هؤلاء اشارة الى كفار قريش والى كل كافر في ذلك العصر قاله
ابن عباس وقوله فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين هم مؤمنوا اهل المدينة قاله ابن عباس
وغيره والاية على هذا التاويل وان كان القصد بنزولها هذين الصنفين فهي تعم الكفرة والمؤمنين الى
يوم القيمة وقال الحسن وغيره المراد بالقوم من تقدم ذكره من الانبياء والمؤمنين وقال
ابو رجاء الملائكة قلت ويحتمل ان يكون المراد الجميع وقوله سبحانه اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده الظاهر في الاشارة باولئك الى المذكورين قبل من الانبياء ومن معهم من المؤمنين المهتدين
ومعنى الاقتداء اتباع الاثر في القول والفعل والسيرة وانما يصح اقتداؤه صلى الله عليه وسلم
بجميعهم في العقود والايمان والتوحيد الذين ليس بينهم فيه اختلاف واما اعمال الشرائع
فمختلفة وقد قال عز وجل لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا واعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم
هو وغيره مخاطب بشرع من قبله في العقود والايمان والتوحيد لانا نجد شرعنا ينبي ان الكفار
الذين كانوا قبل النبي صلى الله وسلم كابويه وغيرهما في النار ولا يدخل الله تعالى احدا النار
الا بترك ما كلف وذلك في قوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وغير ذلك وقال عن
المتكلمين ان العقل لا يوجب ولا يكلف وانما يوجب الشرع فالوجه في هذا ان يقال
ان ادم عليه السلام فمن بعده دعا الى توحيد الله عز وجل دعوة عامة واستمر ذلك على العالم فوجب على
الادمي ان يبحث على الشرع الامر بتوحيد الله تعالى وينظر في الادلة المنصوبة على ذلك بحسب ايجاب
الشرع النظر فيها او يؤمن ولا يعبد غير الله فمن فرضناه لم يجد سبيلا الى العلم بشرع
امر بتوحيد الله وهو مع ذلك لم يكفر ولا عبد صنما بل تخلى فاولئك اهل الفترات الذين
اطلق عليهم اهل العلم انهم في الجنة وهم بمنزلة الاطفال والمجانين ومن قصر في النظر
والبحث فعبد صنما او غيره فكفر فهذا تارك للواجب عليه مستوجب للعقاب بالنار
فالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ومن كان معه من الناس وقبله مخاطبون على السنة
الانبياء قبل بالتوحيد وغير مخاطبين بفروع شرائعهم اذ هي مختلفة واذ لم يدعهم
اليها نبي قال الفخر واحتج العلماء بهذه الاية على ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من جميع
الانبياء عليهم السلام وتقريره انا بينا ان خصال الكمال وصفات الشرف كانت مفرقة
فيهم ثم انه تعالى لما ذكر الكل امر محمدا عليه السلام ان يجمع من خصال الطاعة والعبودية
والاخلاق الحميدة كل الصفات التي كانت مفرقة فيهم باجمعهم ولما امره الله تعالى بذلك امتنع

يقال

ان يقال انه قصر في تحصيلها فثبت انه حصلها ومتى كان الامر كذلك ثبت انه اجتمع فيه من خصال
الخير ما كان فيهم مفرقا باسرهم ومتى كان الامر كذلك وجب ان يقال انه افضلهم بكليتهم والله
اعلم انتهى وقرا حمزة والكسائي فبهداهم اقتد بحذف الهاء في الوصل واثباتها في الوقف وهذا هو
القياس شبهه بالف الوصل في انها تقطع في الابتداء وتسقط في الوصل وقوله سبحانه قل لا اسالكم
عليه اجرا اي قل لهؤلاء الكفرة المعاندين لا اسالكم على دعاي اياكم بالقران الى عبادة الله اجرا ان
هو الا موعظة وذكرى ودعاء لجميع العالمين وقوله سبحانه وما قدروا الله حق قدره الاية قال ابن
عباس هذه الاية نزلت في بني اسرائيل قال النقاش وهي اية مدنية وقيل المراد رجل مخصوص منهم يقال
له مالك بن الصيف قاله ابن جبير وقيل فنحاص قاله السدي وقدروا هو من توفية القدر والمنزلة
وتعليله بقولهم ما انزل الله يقضي بانهم جهلوا ولم يعرفوا الله حق معرفته اذ احالوا
عليه بعثة الرسل قال الفخر قال ابن عباس ما قدروا الله اي ما عظموا الله حق تعظيمه وقال
الاخفش كلها صحيحة انتهى وروي ان مالك بن الصيف كان سمينا فجاء يخاصم النبي صلى الله عليه
وسلم بزعمه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدتك الله الست تقرا فيما انزل
على موسى ان الله يبغض الحبر السمين فغضب فقال والله ما انزل الله على بشر من شيء قال
الفخر وهذه الاية تدل على ان النكرة في سياق النفي تعم ولو لم تفد العموم لكان قوله تعالى
قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى الاية يعني التورية وقراطيس جمع قرطاس اي بطائق واوراقا
وتوبيخهم بالابداء والاخفاء هو على اخفائهم امر محمد صلى الله عليه وسلم وجميع ما عليهم فيه
حجة وقوله سبحانه وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم يحتمل وجهين احدهما ان يقصد به
الامتنان عليهم وعلى ابائهم والوجه الثاني ان يكون المقصود منه اي وعلمتم انتم واباؤكم ما لم تعلموه
فما انتفعتم به لاعراضكم وضلالكم ثم امره سبحانه بالمبادرة الى موضع الحجة اي قل الله هو
الذي هو الذي انزل الكتاب على موسى ثم امره سبحانه بترك من كفر واعرض وهذه اية منسوخة
باية القتال ان تؤولت موادعة ويحتمل ان لا يدخلها نسخ اذ جعلت تضمن تهديدا ووعيدا
مجردا من موادعة وقوله سبحانه وهذا كتاب انزلناه مبارك هذا اشارة الى القران وقوله
مصدق الذي بين يديه يعني التورية والانجيل لان ما تقدم فهو بين يدي ما تاخر ولتنذر ام القرى مكة
ثم ابتدا تبارك وتعالى بمدح قوم وصفهم واخبر عنهم انهم يؤمنون بالاخرة والبعث والنشور
ويؤمنون بالقران ويصدقون بحقيقته ثم قوى عز وجل مدحهم بانهم يحافظون على
صلاتهم التي هي قاعدة العبادات وام الطاعات واذا اضيفت الصلاة الى ضمير لم تكتب الا بالالف
ولا تكتب في المصحف بواو الا اذا لم تضف الى ضمير وقد جاءت اثار صحيحة في ثواب من حافظ على صلاته
وفي فضل المشي اليها ففي سنن ابي داود عن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بشر المشائين في الظلم
الى المسجد بالنور التام يوم القيمة وروى ابو داود ايضا بسنده عن سعيد بن المسيب قال احتضر رجل
من الانصار الموت فقال اني محدثكم حديثا ما احدثكموه الا احتسابا سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا توضا احدكم فاحسن الوضوء ثم خرج الى الصلاة لم يرفع قدمه اليمنى الا كتب الله له حسنة
ولم يضع قدمه اليسرى الا حط الله عز وجل عنه سيئة فليقرب او ليبعد فان اتى المسجد فصلى في جماعة
غفر له فان اتى المسجد وقد صلوا بعضا وبقي بعض صلى ما ادرك واتم ما بقي كان كذلك فان اتى

عباس

ما عرفوه حق معرفته وقيل ما عظموه حق قدره وعظمته وحق المقام

جاء به موسى

المسجد وقد صلوا فاتم الصلاة كان كذلك واخرج ابو داود عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فاحسن وضوءه ثم راح فوجد الناس قد صلوا اعطاه الله عز
وجل مثل اجر من صلاها او حضرها لا ينقص ذلك من اجورهم انتهى وقوله سبحانه ومن اظلم
ممن افترى على الله او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله هذه الفاظ
كذبا صح
عامة فكل من واقع شيئا مما يدخل تحت هذه الالفاظ فهو داخل في الظلم الذي عظمه الله عز
وجل وقال قتادة وغيره المراد بهذه الايات مسيلمة والاسود العنسي وقال عكرمة اولها
في مسيلمة والاخرى في عبد الله بن ابي سرح وقيل نزلت في النضر بن الحارث وبالجملة فالاية تتناول
من تعرض شيئا من معانيها الى يوم القيامة كطليحة الاسدي والمختار بن ابي عبيد وسواهما وقوله عز
وجل ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت الاية جواب لو محذوف تقديره لرايت عجبا او هولا
ونحو هذا وحذف هذا الجواب ابلغ في نفس السامع والظالمون لفظ عام في انواع الظلم الذي
هو الكفر والغمرات جمع غمرة وهي المصيبة المذهلة وهي مشبهة بغمرة الماء والملائكة يريد ملائكة
قبض الروح وباسطوا ايديهم كناية عن مدها بالمكروه وهذا المكروه هو لا محالة اوائل
العذاب واماراته قال ابن عباس وجوههم وادبارهم وقوله اخرجوا انفسكم حكاية لما تقوله
الملائكة والتقدير يقولون اخرجوا انفسكم وذلك على جهة الاهانة وادخال الغم عليهم ويحتمل
اخرجوا انفسكم من هذه المصائب والمحن ان كان ما زعمتموه حقا في الدنيا وفي ذلك توبيخ
وتوقيف على سالف فعلهم القبيح قلت والتاويل الاول هو الصحيح وقد اسند ابو عمر في التمهيد
عن ابن وضاح قال حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثم سنده عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي ايتها النفس الطيبة
كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان قال فلا يزال
يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيفتح لها فيقال من هذا فيقول فلان فيقال
مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وابشري بروح وريحان ورب
غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها يعني الى السماء السابعة واذا كان الرجل السوء حضرته
الملائكة عند موته قالوا اخرجي ايتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وابشري
بحميم وغساق وآخر من شكله ازواج فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج وذكر الحديث انتهى والهون الهوان
وقوله سبحانه بما كنتم تقولون على الله غير الحق الاية لفظ عام لانواع الكفر ولكنه يظهر منه
الايماء الى من قرب ذكره وقوله سبحانه ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة الاية هذه
حكاية عما يقال لهم عند قبض ارواحهم واعلم ايها الاخ ان هذه الاية الكريمة ونحوها من الاي وان كان
مساقها في الكفار فللمؤمن منها معتبر ومزدجر وقد قيل ان القبر بحر الندامة وقد روى
ابن المبارك في رقائقه بسنده عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من احد يموت
الا ندم قالوا وما ندمه يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان
كان مسيئا ندم ان لا يكون نزع انتهى وكما خلقناكم اول مرة تشبيها بالانفراد الاول في
وقت الخلقة وخولناكم معناه اعطيناكم ووراء ظهوركم اشارة الى الدنيا لانهم يتركون
ذلك موجودا وقوله سبحانه وما نرى معكم شفعاءكم توقيف على الخطا في عبادة الاصنام

واعتقادهم

الاصنام واعتقادهم انها تشفع وتقرب الى الله زلفى قال ابو حيان وما نرى لفظه لفظ
المستقبل وهو حكاية حال انتهى وقرأ نافع والكسائي بينكم بالنصب على انه ظرف والتقدير لقد تقطع
الاتصال والارتباط بينكم ونحو هذا وهذا وجه واضح وعليه فسره الناس مجاهد وغيره
وقرأ باقي السبعة بينكم بالرفع وقرأ ابن مسعود وغيره لقد تقطع ما بينكم وضل معناه
تلف وذهب وما كنتم تزعمون يريد دعواهم انها تشفع وانها تشارك الله في الالوهية تعالى
الله عن قولهم وقوله سبحانه ان الله فالق الحب والنوى هذا ابتداء تنبيه على العبرة والنظر ويتصل
المعنى بما قبله لان القصد ان الله فالق الحب والنوى لا هذه الاصنام قال قتادة وغيره هذه اشارة
الى فعل الله عز وجل في ان يشق جميع الحب عن جميع النبات الذي يكون منه ويشق النوى عن جميع الاشجار
الكائنة منه وقوله يخرج الحي من الميت الاية قال ابن عباس وغيره الاشارة الى اخراج الانسان الحي من
النطفة الميتة من الانسان الحي وكذلك نبات الحيوان من الطير وغيره وهذا القول ارجح ما قيل هنا
ولاخراج النطفة الميتة
وقوله سبحانه ذلكم الله ابتداء وخبر متضمن التنبيه فانى تؤفكون اي تصرفون وتصدون
وقوله فالق الاصباح اي شاقه ومظهره والفلق الصبح وحسبانا جمع حساب اي يجري بحساب هذا
قول ابن عباس وغيره وقال مجاهد وفي صحيح البخاري المراد بحسبان كحسبان الرحى وهو الدولاب
والعود الذي عليه دورانه وقوله سبحانه وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر الاية
هذه المخاطبة تعم المؤمنين والكافرين فالحجة بها على الكافرين قائمة والعبرة بها للمؤمنين ممكنة
وقوله سبحانه وهو الذي انشاكم من نفس واحدة يريد آدم عليه السلام فمستقر ومستودع
اختلف المتأولون في معنى الاستقرار والاستيداع فقال الجمهور مستقر في الرحم ومستودع
في ظهور الاباء حتى يقضي الله بخروجهم قال ابن عون مشيت الى منزل ابراهيم النخعي وهو مريض
فقالوا قد توفي فاخبرني بعضهم ان عبد الرحمن بن الاسود ساله عن مستقر ومستودع فقال
مستقر في الرحم ومستودع في الصلب وقال ابن عباس المستقر الارض والمستودع عند الرحمن وقال
ابن جبير المستودع في الصلب والمستقر في الاخرة قال الفخر والمنقول عن ابن عباس في اكثر الروايات
المستقر هو الارحام والمستودع الاصلاب ثم قرا ونقر في الارحام ما نشاء ومما يدل على قوة هذا القول
ان النطفة لا تبقى في صلب الاب زمانا طويلا والجنين في رحم الام يبقى زمانا طويلا ولما كان
المكث في الرحم اكثر مما في صلب الاب كان حمل الاستقرار على المكث في الرحم اولى انتهى قال ع والذي
يقتضيه النظر ان ابن آدم هو مستودع في ظهر ابيه وليس بمستقر فيه استقرارا مطلقا
لانه ينتقل لا محالة ثم ينتقل الى الرحم ثم ينتقل الى الدنيا ثم ينتقل ثم ينتقل الى الحشر ثم ينتقل
الى القبر صح
الى الجنة او الى النار فيستقر في احدهما استقرارا مطلقا وليس فيها مستودع لانه لا انتقال
له بعد وهو في كل رتبة متوسطة بين هذين الطرفين مستقر بالاضافة الى التي قبلها ومستودع
بالاضافة الى التي بعدها لان لفظ الوديعة يقتضي فيها نقلة ولا بد وقوله تعالى وهو الذي انزل
من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء السماء في هذا الموضع السحاب وكل ما اظلك فهو
سماء وقوله نبات كل شيء قيل معناه مما ينبت وقال الطبري المراد بكل شيء كل ما ينمو من جميع
الحيوان والنبات والمعادن وغير ذلك لان ذلك كله يتغذى وينمو بنزول الماء من السماء
والضمير في منه عائد على النبات وفي التابعة يعود على الخضر خضرا بمعنى اخضر ومنه قوله عليه السلام

الدنيا خضرة حلوة بمعنى خضراء وكان خضرا انما يأتي أبدا لمعنى النضارة وليس للون فيه
مدخل والخضر انما تمكنه في اللون وهو في النضارة تجوز وحبا متراكبا يعم جميع السنابل وما شاكلها
كالصنوبر والرمان وغير ذلك وقوله ومن النخل تقديره ويخرج من النخل والطلع اول ما يخرج
من النخل في اكمامه وقنوان جمع قنو وهو العذق بكسر العين وهي الكباسة والعرجون عوده كذي
ينتظم فيه التمر ودانية معناه قريبة من التناول قاله ابن عباس وغيره وقرأ الجمهور وجنات
بالنصب عطفا على قوله نبات وروي عن عاصم وجنات بالرفع على تقدير ولكم جنات ونحو هذا
والزيتون والرمان بالنصب اجماعا عطفا على قوله حبا ومشتبها وغير متشابه قال
قتادة معناه يتشابه في الورق ويتباين في الثمر وقال الطبري جائز ان يتشابه في الثمر ويتباين في الطعم
ويحتمل ان يريد يتشابه في الطعم ويتباين في المنظر وهذه الاحوال موجودة بالاعتبار في انواع الثمرات
وقوله سبحانه انظروا هو نظر بصر يترتب عليه فكرة قلب والثمر في اللغة جنى الشجر وما يطلع
وان سمي الشجر ثمارا فتجوز قرأ جمهور الناس وينعه بفتح الياء وهو مصدر ينع يينع اذا نضج
وبالضم قاله ابن عباس وقد يستعمل ينع بمعنى استقل واخضر ناضرا قال الفخر وقدم سبحانه
الزرع لانه غذاء والثمار فواكه وانما قدم النخل على الفواكه لان التمر يجري مجرى الغذاء بالنسبة
الى العرب انتهى وقوله سبحانه وجعلوا لله شركاء الجن جعلوا بمعنى صيروا والجن مفعول
وشركاء مفعول ثان قال م وجعلوا لله شركاء الجن جعلوا بمعنى صيروا والجمهور على نصب الجن
فقال ابن عطية وغيره هو مفعول اول لجعلوا وشركاء الثاني وجوزوا فيه ان يكون شركاء
بدلا من شركاء ولله في موضع المفعول الثاني وشركاء الاول ورده ابو حيان بان البدل لا يصح
ان يحل محل المبدل منه اذ لو قلت وجعلوا لله الجن لم يصح وشرط البدل ان يكون على نية
تكرار العامل على الاشهر او معمولا للعامل في المبدل منه على قول وهذا لا يصح كما ذكرنا قلت وفيه
نظر انتهى قلت وما قاله الشيخ ابو حيان عندي ظاهر وفي نظر الصفاقسي نظر وهذه الاية مشيرة
الى العادلين بالله والقائلين ان الجن تعلم الغيب العابدين للجن وكانت طوائف من العرب تفعل ذلك
وتستجير بجن الوادي في اسفارها ونحو هذا واما خرقوا البنين فاليهود في ذكر عزير والنصارى
في ذكر المسيح واما ذاكروا البنات فالعرب الذين قالوا الملائكة بنات الله تعالى الله عن قولهم
وكان الضمير في جعلوا وخرقوا لجميع الكفار اذ فعل بعضهم هذا وبعضهم هذا وبنحو هذا فسر السدي
وابن زيد وقرأ الجمهور وخلقهم بفتح اللام على معنى وهو خلقهم وفي مصحف ابن مسعود وهو
خلقهم والضمير في خلقهم يحتمل العودة على الجاعلين ويحتمل على المجعولين وقرأ السبعة سوى نافع وخرقوا
بتخفيف الراء بمعنى اختلقوا وافتروا وقرأ نافع وخرقوا بتشديد الراء على المبالغة قوله بغير
علم نص على قبح تقحمهم المجهلة وافترائهم الباطل على عمى وهو سبحانه يتنزه عن وصفهم الفاسد
المستحيل عليه تبارك وتعالى وبمعنى مبدع وانى بمعنى كيف وابن فهي استفهام في معنى التوقيف
والتقرير وهذه الاية رد على الكفار بقياس الغائب على الشاهد وقوله سبحانه وخلق كل شيء لفظ
عام لكل ما يجوز ان يدخل تحته صفات الله وكلامه فليس هو عموما مخصصا على ما ذهب اليه
قوم لان العموم المخصص هو ان يتناول العموم شيئا ثم يخرجه التخصيص وهذا لم يتناول
قط هذه التي ذكرناها واما هذا بمنزلة قول الانسان قتلت كل فارس وافحمت كل خصيم

فلم يخل القائل قط في هذا العموم الظاهر من لفظه واما قوله وهو بكل شيء عليم فهو
عموم على الاطلاق لانه سبحانه يعلم كل شيء لا رب غيره وباقي الاية بين وقوله سبحانه لا تدركه
الابصار وهو يدرك الابصار اجمع اهل السنة على ان الله عز وجل يرى يوم القيامة يراه المؤمنون
والوجه ان يبين جواز ذلك عقلا ثم يستند لورود السمع بوقوع ذلك الجائز واختصار تبيين
ذلك ان يعتبر بعلمنا بالله عز وجل فمن حيث جاز ان نعلمه لا في مكان ولا متحيزا ولا مقابلا ولم
يتعلق علمنا باكثر من الوجود جاز ان نراه غير مقابل ولا محاذ ولا مكيفا ولا محدودا وكان
الامام ابو عبد الله النحوي يقول مسألة العلم حلقت لحى المعتزلة ثم ورد الشرع بذلك
كقوله عز وجل وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وتعدية النظر بالى انما هو في كلام العرب بمعنى الرؤية
لا بمعنى الانتظار على ما ذهبت اليه المعتزلة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه
وتواتر وكثر نقله انكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر ونحوه من الاحاديث الصحيحة
على اختلاف الفاظها واستحال المعتزلة الرؤية بآراء مجردة وتمسكوا بقوله تعالى لا تدركه
الابصار وانفصل اهل السنة عن تمسكهم بان الاية مخصوصة والرؤية في الاخرة ثابتة باخبارها
وايضا فانا نفرق بين معنى الادراك ومعنى الرؤية ونقول انه عز وجل تراه الابصار
ولا تدركه وذلك ان الادراك يتضمن الاحاطة بالشيء والوصول الى اعماقه وحوزه من جميع
جهاته وذلك كله محال في اوصاف الله عز وجل والرؤية لا تفتقر الى ان يحيط الرائي بالمرئي
ويبلغ غايته وعلى هذا التأويل يترتب العكس في قوله وهو يدرك الابصار ويحسن
معناه ونحو هذا روي عن ابن عباس وقتادة وعطية العوفي فرقوا بين الرؤية والادراك
واللطيف المتلطف في خلقه واختراعه والبصائر جمع بصيرة فكأنه قال قد جاءكم في القرآن
والايات طرائق ابصار الحق والبصيرة للقلب مستعارة من ابصار العين والبصيرة ايضا
هي المعتقد وقوله سبحانه من ابصر ومن عمي عبارة مستعارة فيمن اهتدى ومن ضل وقوله وما
انا عليكم بحفيظ كان في اول الامر وقبل ظهور الاسلام ثم بعد ذلك كان صلى الله عليه
وسلم حفيظا على العالم اخذا لهم بالاسلام او السيف وقوله سبحانه وكذلك نصرف الايات
نرددها ونوضحها وقرأ الجمهور وليقولوا درست بكسر اللام على هذه لام الصيرورة اي
لما صار امرهم الى ذلك وقرأ نافع وغيره درست اي يا محمد درست في الكتب القديمة ما تجيئنا
به وقرأ ابن كثير وغيره دارست اي دارست غيرك وناظرته وقرأ ابن عامر درست باسناد
الفعل الى الايات كانهم اشاروا الى انها ترددت على اسماعهم حتى بليت في نفوسهم وانمحت و
اللام في ليقولوا وفي قوله ولنبينه متعلقتان بفعل متأخر تقديره صرفناها وذهب
بعض الكوفيين الى ان لا مضمرة بعد ان المقدرة في قوله وليقولوا فتقدير الكلام عندهم
ولئلا يقولوا درست كما اضمروها في قوله وليقولوا فتقدير الكلام عندهم ولئلا
لا يقولوا درست كما اضمروها في قوله يبين الله لكم ان تضلوا قال ع وهذا قلق ولا يجيزه
البصريون اضمارا لا في موضع من المواضع قلت ولكنه حسن جدا من جهة المعنى اذ لا يعلمون
انه درس او دارس احدا صلى الله عليه وسلم فتامله وقوله تعالى اتبع ما يوحى اليك

من ربك لا اله الا هو الاية هذه الاية فيها موادعة وهي منسوخة ولا تسبوا الذين يدعون
من دون الله الاية مخاطبة للمؤمنين والنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس وسببها
ان كفار قريش قالوا لابي طالب اما ان ينتهي محمد واصحابه عن سب الهتنا والغض منها واما
ان نسب الهه ونهجوه فنزلت الاية وحكمها على كل حال باق في الامة فلا يحل لمسلم ان يتعرض
الى ما يؤدي الى سب الاسلام او النبي عليه السلام او الله عز وجل وعبر عن الاصنام بالذين يدعون
وهي لا تعقل وذلك على معتقد الكفرة فيها وفي هذه الاية ضرب من الموادعة وعدوا معناه
من الاعتداء وبغير علم بيان لمعنى الاعتداء وقوله تعالى كذلك زينا لكل امة عملهم اشارة الى
ما زين لهؤلاء من التمسك باصنامهم وتزيين الله عمل الامم هو ما يخلقه سبحانه في النفوس
من المحبة للخير والشر وتزيين الشيطان هو ما يقذفه في النفوس من الوسوسة وخطرات السوء
وقوله ثم الى ربهم مرجعهم الاية تتضمن وعدا جميلا للمحسنين ووعيدا ثقيلا للمسيئين
وقوله سبحانه واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها والاية يريد علامة
وحكي ان الكفار لما نزلت ان نشا ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين
اقسموا حين ان نزلت امنوا فنزلت هذه الاية وحكي انهم اقترحوا ان يعود الصفا ذهبا
واقسموا على ذلك فقام النبي عليه السلام يدعو في ذلك فجاءه جبريل فقال له ان شئت اصبح ذهبا
فان لم يؤمنوا هلكوا عن اخرهم معاجلة كما فعل بالامم المقترحة وان شئت اخرتهم حتى
يتوب تائبهم ونزلت الاية قاله ابن العربي وقوله جهد ايمانهم يعني غاية الايمان التي بلغها
علمهم وانتهت اليها قدرتهم انتهى من الاحكام ثم قال تعالى قل لهم يا محمد على جهة الرد والتخطئة
انما الايات عند الله وليست عندي فتقترح علي ثم قال وما يشعركم قال مجاهد وابن زيد المخاطب
بهذا الكفار وقال الفراء وغيره المخاطب بها المؤمنون وما يشعركم معناه وما يعلمكم وما
يدريكم وقرا ابن كثير وغيره انها بكسر الالف على القطع واستئناف الاخبار فمن قرا تؤمنون
بالتاء وهي قراءة ابن عامر وحمزة استقامت المخاطبة اولا واخرا للكفار ومن قرا بالياء
وهي قراءة نافع وغيره فيحتمل ان يخاطب اولا واخرا المؤمنين ويحتمل ان يخاطب بقوله
وما يشعركم الكفار ثم يستانف الاخبار عنهم للمؤمنين وقرا نافع انها بفتح الالف فقيل
ان لا زائدة في قوله لا يؤمنون كما زيدت في قوله تعالى وحرام على قرية اهلكناها انهم
لا يرجعون ودعا الى التزام هذا حفظ المعنى لانها لو لم تكن زائدة لعاد الكلام عذرا
للكفار وفسد المراد بالاية وضعف الزجاج وغيره زيادة لا ومنهم من جعلها بمعنى لعلها
وحكاه سيبويه عن الخليل وهذا التاويل لا يحتاج معه الى تقدير زيادة لا وحكى الكسائي
انه كذلك في مصحف ابي وما ادراكم لعلها اذا جاءت ورجح ابو علي ان تكون لا زائدة
وبسط شواهده في ذلك وقوله سبحانه ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول
مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون المعنى على ما قالت فرقة ونقلب افئدتهم وابصارهم
في النار وفي لهيبها في الاخرة لما لم يؤمنوا في الدنيا ثم استانف على هذا ونذرهم في الدنيا
في طغيانهم يعمهون وقالت فرقة انما المراد بالتقليب التحويل عن الحق والهدى والزلـ

في الضلالة

في الضلالة والكفر ومعنى الاية ان هؤلاء الذين اقسموا انهم يؤمنون ان جاءت اية نحن
نقلب افئدتهم وابصارهم ان لو جاءت فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا اول مرة بما دعوا
اليه من عبادة الله عز وجل فاخبر الله تعالى هذا التاويل بصورة فعله بهم وقالت فرقة
قوله كما في هذه الاية انما هي بمعنى المجازاة اي لما لم يؤمنوا اول مرة نجازيهم بان نقلب
افئدتهم عن الهدى ونطبع على قلوبهم كانه قال ونحن نقلب افئدتهم وابصارهم جزاء لما لم
يؤمنوا اول مرة بما دعوا اليه من الشرع والضمير في به يحتمل ان يعود على الله عز وجل
او على القران او على النبي صلى الله عليه وسلم ونذرهم معناه نتركهم والطغيان التخبط
في الشر والافراط فيما يتناوله المرء ويعمهون معناه يترددون في حيرتهم قوله عز وجل
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى الاية اخبر سبحانه انه لو اتى بجميع ما اقترحوه من
انزال الملائكة واحياء سلفهم حسبما اقترحه بعضهم ان يحشر قصي وغيره فيخبر بصدق
محمد عليه السلام او يحشر عليهم كل شيء قبلا ما امنوا الا بالمشيئة واللطف الذي يخلقه ويخترعه
سبحانه في نفس من شاء لا رب غيره وقرا نافع وغيره قبلا معناه مواجهة ومعاينة قاله
ابن عباس وغيره ونصبه على الحال وقال المبرد معناه ناحية كما تقول لي قبل فلان دين قال ع
فنصبه على هذا هو على الظرف وقرا حمزة وغيره قبلا بضم القاف والباء واختلف في معناه فقال
بعضهم هو بمعنى قبلا بكسر القاف اي مواجهة كما تقول قبل ودبر وقال الزجاج والفراء هو
جمع قبيل وهو الكفيل اي وحشرنا عليهم كل شيء كفلاء بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقال
مجاهد وغيره هو جمع قبيل اي صنفا صنفا ونوعا نوعا والنصب في هذا كله على الحال ولكن
اكثرهم يجهلون اي يجهلون في اعتقادهم ان الاية تقتضي ايمانهم ولا بد فيقتضي اللفظ
ان الاقل لا يجهل فكان فيهم من يعتقد ان الاية لو جاءت لم يؤمن الا من يشاء الله منه ذلك
وقال مكي ولكن اكثرهم يجهلون اي في مخالفتك وهم يعلمون انك نبي صادق فيما
جئتهم به وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يداعب ابا سفيان بعد الفتح بمخصرة في
يده ويطعن بها ابا سفيان فاذا احرقته قال نح عني مخصرتك فوالله لو اسلمت اليك
هذا الامر ما اختلف عليك فيه اثنان فقال النبي صلى الله عليه وسلم اسالك بالذي
اسلمت له قتالك اياي عن اي شيء كان فقال ابو سفيان اتظن اني كنت اقاتلك
تكذيبا مني لك والله ما شككت في صدقك قط وما كنت اقاتلك الا حسدا مني
لك فالحمد لله الذي نزع ذلك من قلبي فكان النبي صلى الله عليه وسلم يشتهي ذلك منه
ويتبسم انتهى من الهداية وقوله سبحانه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس الاية
تتضمن تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وعرض القدوة عليه اي هذا الذي امتحنت
به يا محمد من الاعداء قد امتحن به غيرك من الانبياء ليبتلي اولي العزم منهم وشياطين
الانس والجن يريد المتمردين من النوعين ويوحي معناه يلقيه في اختفاء فهو كالمناجاة
والسرار وزخرف القول محسنه ومزينه بالاباطيل قاله عكرمة ومجاهد والزخرف
اكثر ما يستعمل في الشر والباطل وغرورا مصدر ومعناه يغرون به المضللين والضمير
في فعلوه عائد على اعتقادهم العداوة ويحتمل على الوحي الذي تضمنه يوحي وقوله سبحانه

قد دهم وما يفترون لفظ يتضمن الامر بالموادعة وهو منسوخ قال قتادة كل ذر في كتاب الله
منسوخ بالقتال وقوله سبحانه ولتصغى معناه لتميل قال الفخر والضمير في قوله ولتصغى اليه
افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة يعود على زخرف القول وكذلك في قوله وليرضوه وليقترفوا
معناه ليكتسبوا وقال الزجاج وليقترفوا اي ليختلقوا ويكذبوا والاول افصح انتهى والقراء على
كسر اللام في الثلاثة الافعال على انها لام كي معطوفة على غرورا وحكما ابلغ من حاكم اذ هي
صيغة للعدل من الحكام والحاكم جار على الفعل فقد يقال للجائر ومفصلا معناه مزال
الاشكال والكتاب اولا هو القران وثانيا اسم جنس للتوراة والانجيل والزبور والصحف
وقوله سبحانه فلا تكونن من الممترين تثبيت ومبالغة وطعن على الممترين قلت وقد تقدم التنبيه على
انه صلى الله عليه وسلم معصوم وان الخطاب له والمراد غيره ممن يمكن منه الشك وقوله
سبحانه وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا وليس بتمام من نقص ومثله ما وقع في كتب
السيرة وقولهم وتم حمزة على اسلامه في الحديث مع ابي جهل والكلمات ما انزل على عباده
ولا مبدل لكلمات الله معناه في معانيها وقوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك قال
ابن عباس الارض هنا الدنيا وحكي ان سبب هذه الاية ان المشركين جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم
في امر الذبائح وقالوا نأكل ما نقتل ونترك ما قتل الله فنزلت الاية ثم وصفهم تعالى
بانهم انما يقتدون بظنونهم ويتبعون تخرصهم والخرص الحزر والظن وهذه الاية
خبر في ضمنه وعيد للضالين ووعد للمهتدين وقوله سبحانه فكلوا مما ذكر اسم الله عليه
ان كنتم باياته مؤمنين الاية القصد بهذه الاية النهي عما ذبح للنصب وغيرها وعن
الميتة وانواعها ولا قصد في الاية الى ما نسي المؤمن فيه التسمية او تعمدها بالترك وقوله سبحانه
وما لكم الا تأكلوا الاية ما استفهامية يتضمن التقرير وقد فصل لكم ما حرم عليكم اي فصل من
الحلال وانتزعه بالبيان وما في قوله الا ما اضطررتم اليه يريد بها من جميع ما حرم كالميتة
وغيرها وهي في موضع نصب بالاستثناء والاستثناء منقطع وقوله سبحانه وان كثيرا
يريد الكفرة المحادين المجادلين ثم توعدهم سبحانه بقوله ان ربك هو اعلم بالمعتدين
قوله جلت عظمته وذروا ظاهر الاثم وباطنه نهي عام والظاهر والباطن يستوفيان
جميع المعاصي وقال قوم الظاهر الاعمال والباطن المعتقد وهذا ايضا حسن لانه عام و
روى ابن المبارك في رقائقه بسنده عن ابي امامة قال سال رجل النبي صلى الله عليه وسلم
ما الاثم قال ما حاك في صدرك فدعه وروى ابن المبارك ايضا بسنده ان رجلا قال يا رسول
الله ما يحل لي مما يحرم علي فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عليه ثلاث مرات كل ذلك يسكت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اين السائل فقال انا ذا يا رسول الله فقال ما انكر قلبك فدعه
انتهى وقد ذكرنا معناه من طرق في غير هذا الموضع فاغنى عن اعادته ثم توعد تعالى كسبة الاثم
بالمجازاة على ما اكتسبوه من ذلك والاقتراف الاكتساب وقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
وانه لفسق الاية مقصد الاية النهي عن الميتة اذ هي جواب لقول المشركين تتركون ما قتل الله ومع
ذلك فلفظها يعم ما تركت التسمية عليه من ذبائح الاسلام وبهذا العموم تعلق ابن عمر وابن
سيرين والشعبي وغيرهم فقالوا ما تركت التسمية عليه لم يؤكل عمدا كان او نسيانا وجمهور

العلماء

العلماء على انه يؤكل ان تركها نسيانا بخلاف العمد وقيل يؤكل سواء تركت عمدا او نسيانا الا ان
يكون مستخفا وقوله سبحانه وان الشياطين قال عكرمة هم مردة الانس من مجوس فارس وذلك
انهم كانوا يوالون قريشا على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ليوحون الى اوليائهم من قريش ليجادلوهم
بقولهم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل الله فذلك من مخاطبتهم هو الوحي والاولياء هم
قريش وقال ابو زيد وعبد الله بن كثير الشياطين الجن واللفظة على وجهها واولياؤهم كفرة قريش ووحيهم
بالوسوسة وعلى السنة الكهان ونهى سبحانه عن طاعتهم بلفظ يتضمن الوعيد وعرض اصعب مثال في انه
يشبه المؤمن بمشرك قال ابن العربي قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم سمى الله تعالى ما يقع
في القلوب من الالهام وحيا وهذا مما يطلقه شيوخ المتصوفة وينكره جهال المتوسمين بالعلم
ولم يعلموا ان الوحي على ثلاثة اقسام وان اطلاقه في جميعها جائز في دين الله انتهى من احكام القران
وقوله سبحانه او من كان ميتا فاحييناه لما تقدم ذكر المؤمنين وذكر الكافرين مثل سبحانه في
الطائفتين بان شبه الذين امنوا بعد كفرهم باموات احيوا هذا قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما
وشبه الكافرين وحيرة جهلهم بقوم في ظلمات معنى يترددون فيها ولا يمكنهم الخروج منها ليبين عز وجل الفرق
بين الطائفتين والبون بين المنزلتين ونورا امكن ما يعنى به الايمان قيل ويحتمل ان يراد به النور
الذي يؤتاه المؤمن يوم القيامة جعلنا في هذه الاية بمعنى صيرنا فهي تتعدى الى مفعولين الاول مجرميها
اكابر وقدم الاهم اذ لعلة كبرهم اجرموا ويصح ان يكون المفعول الاول اكابر ومجرميها صفة
والمفعول الثاني في كل قرية وليمكروا نصب بلام الصيرورة والاكابر جمع اكبر كما الافاضل جمع افضل
قال الفخر وانما جعل المجرمين اكابر لاجل رياستهم اقدر على الغدر والمكر وترويج الباطل من غيرهم ولان
كثرة المال والجاه يحمل الانسان على المبالغة في حفظهما وذلك الحفظ لا يتم الا بجميع الاخلاق الذميمة
كالغدر والمكر والكذب والغيبة والنميمة والايمان الكاذبة ولو لم يكن للمال والجاه سوى ان الله
حكم بانه انما وصف بهذه الاوصاف الذميمة من كان له مال وجاه لكفى ذلك دليلا على خساسة المال
والجاه انتهى وما ذكره في المال والجاه هو الاغلب وما يشعرون اي ما يعلمون وقوله سبحانه واذا
جاءتهم اية اي علامة ودليل على صحة الشرع تشططوا وقالوا لن نؤمن حتى يفلق لنا البحر ويحيا لنا
الموتى ونحو ذلك فرد الله عز وجل عليهم بقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته في من اصطفاه وانتخبه لا فيمن
كفر وجعل يتشطط على الله عز وجل قال الفخر قال المفسرون قال الوليد بن المغيرة لو كانت النبوة حقا
لكنت اولى بها قال الضحاك اراد كل واحد من هؤلاء الكفرة ان يخص بالوحي والرسالة كما اخبر الله عنهم
سبحانه بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة انتهى ثم توعد سبحانه بان هؤلاء المجرمين من
الاكابر في الدنيا سيصيبهم عند الله صغار وذلة وقوله سبحانه فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام الاية من شرط ويشرح جواب الشرط والاية نص في ان الله تعالى يريد هدى المؤمن وضلال
الكافر وهذا عند جميع اهل السنة بالارادة القديمة التي هي صفة ذاته تبارك وتعالى
والهدى هنا هو خلق الايمان في القلب وشرح الصدر هو تسهيل الايمان وتحبيبه واعداد القلب
لقبوله وتحصيله والصدر عبارة عن القلب وفي يشرح ضمير يعود على اسم الله عز وجل نصا في
اللفظ والمعنى ولا يحتمل غيره والقول بانه عائد على المهتدي قول يتركب عليه مذهب القدرية في
خلق الاعمال ويجب ان يعتقد ضعفه والحذر منه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

لما نزلت هذه الاية قالوا يا رسول الله كيف يشرح الصدر قال اذا نزل النور في القلب
انشرح له الصدر وانفسح قالوا وهل لذلك علامة يا رسول الله قال نعم الانابة الى دار الخلود
والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت والقول في قوله ومن يرد ان
يضله كالقول في قوله فمن يرد الله ان يهديه وقرا حمزة وغيره حرجا بفتح الراء وروي ان
عمر بن الخطاب قراها يوما بفتح الراء فقراها له بعض الصحابة بكسر الراء فقال ابغوني رجلا
من كنانة وليكن راعيا وليكن من بني مدلج فلما جاءه قال له يا فتى ما الحرجة عندكم قال
له يا فتى ما الحرجة عندكم قال الشجرة تكون بين الاشجار لا تصل اليها راعية ولا وحشية
قال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل اليه شيء من الخير وقوله سبحانه كانما يصعد في السماء اي كان
هذا الضيق الصدر متى حاول الايمان او فكر فيه يجد صعوبته عليه والعياذ بالله كصعود
الصعود في السماء قاله ابن جريج وغيره وفي السماء يريد من سفل الى علو ويحتمل الاية ان يكون
التشبيه بالصاعد في عقبة كؤود كانه يصعد بها في الهواء ويصعد معناه يعلو ويصعد معناه
يتكلف من ذلك ما يشق عليه وقوله كذلك يجعل الله الرجس اي وكما كان الهدى كله من الله
والضلال بارادته عز وجل ومشيئته كذلك يجعل الله الرجس قال اهل اللغة الرجس ياتي بمعنى
العذاب وياتي بمعنى النجس وقوله سبحانه وهذا صراط ربك مستقيما الاية هذا اشارة الى
القران والشرع الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وفصلنا
معناه بينا ووضحنا وقوله سبحانه لقوم يذكرون اي للمومنين والضمير في قوله لهم دار
السلام عائد عليهم والسلام يتجه ان يكون اسما من اسماء الله عز وجل ويتجه ان يكون مصدرا
بمعنى السلامة منه وقوله سبحانه عند ربهم يريد في الاخرة بعد الحشر وليهم اي ولي الانعام
عليهم وبما كانوا يعملون اي بسبب ما كانوا يقدمون من الخير ويفعلون من الطاعات
والبر وقوله عز وجل ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس
المعنى واذكر يوم وفي الكلام حذف تقديره نقول يا معشر الجن وقوله قد استكثرتم
معناه افرطتم ومن الانس يريد في اضلالهم واغوائهم قاله ابن عباس وغيره وقال الكفار
من الانس هم اولياء الجن ملوحين على جهة الاعتذار عن الجن ربنا استمتع بعضنا ببعض
اي انتفع وذلك كاستعاذتهم بالجن اذ كان العربي اذا نزل واديا نادى يا رب الوادي
اني استجير بك في هذه الليلة ثم يرى سلامته انما هي بحفظ جني ذلك الوادي ونحو ذلك و
بلوغ الاجل هو الموت وقيل هو الحشر وقوله تعالى قال النار مثواكم الاية اخبار من الله تعالى
عما يقول لهم يوم القيامة اثر كلامهم المتقدم ومثواكم اي موضع ثوائكم كمقامكم الذي هو
موضع الاقامة قاله الزجاج والاستثناء في قوله الا ما شاء الله قالت فرقة ما بمعنى من
والمراد الا من شاء الله ممن امن في الدنيا بعد ان كان من هولاء الكفرة وقال الطبري ان المستثنى
هي المدة التي بين حشرهم الى دخولهم النار وقال الطبري عن ابن عباس انه كان يتاول في هذا الاستثناء
انه مبلغ حال هولاء في علم الله ثم اسند اليه انه لا ينبغي لاحد ان يحكم على الله في قوله ان
لا ينزلهم جنة ولا نارا قال ع والاجماع على التخليد الابدي في الكفار ولا يصح هذا عن ابن
عباس رضي الله عنه قال ص الا ما شاء الله قيل استثناء منقطع اي لكن ما شاء الله من

العذاب

من العذاب الزائد على النار وقيل متصل واختلفوا في تقديره فقيل هو استثناء من الاشخاص
وهم من امن في الدنيا ورد بانه يختلف زمن المستثنى والمستثنى منه فيكون منقطعا
لا متصلا لان من شرط المتصل اتحاد زمانى المخرج والمخرج منه انتهى وقيل غير هذا و
قوله سبحانه وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا على بعض ونجعلهم اولياء النقم منهم قال ع وقد
حفظ هذا في استعمال الصحابة والتابعين كقول ابن الزبير لطو الان فم الذباب قبل كظيم الشيطان
وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون قوله عز وجل يا معشر الجن والانس
الم ياتكم هذا الكلام داخل في القول يوم الحشر قال الفخر قال اهل اللغة المعشر كل جماعة
امرهم واحد ويحصل بينهم معاشرة ومخالطة فالمعشر المعاشر انتهى ومنكم يعني من
الانس قاله ابن جريج وغيره وقال ابن عباس من الطائفتين ولكن رسل الجن هم رسل
الانس هم النذر ويقصون من القصص وقولهم شهدنا اقرارا منهم بالكفر وقوله سبحانه
وغرتهم الحياة الدنيا فصيحة تضمنت ان كفرهم كان باذم الموجوع لهم وهو الاغترار
الذي لا يوافقه عاقل ويحتمل غرتهم بمعنى اشبعتهم واطغتهم بحلواها كما يقال غر الطائر
فرخه وقوله وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين الجمع بين هذه الاية وبين التي فيها
انكار المشركين الاشراك هو اما بانها طوائف واحدة في مواطن شتى وقوله ذلك ان لم
يكن اي ذلك الامر والقرى المدن والمراد اهل القرى وبظلم يحتمل معنيين احدهما انه لم يكن
سبحانه ليهلكهم دون نذارة فيكون ظلما لهم والله ليس بظلام للعبيد والاخر ان الله عز وجل
لم يهلكهم بظلم واقع منهم دون ان ينذرهم وهذا هو البين القوي وذكر الطبري رحمه
الله التاويلين وقوله سبحانه ولكل درجات مما عملوا الاية اخبار من الله سبحانه ان المومنين في
الاخرة على درجات من التفاضل بحسب اعمالهم وتفضل المولى سبحانه عليهم ولكن كل راض
بما اعطي غاية الرضى والمشركون ايضا على دركات من العذاب قلت وظاهر الاية ان الجن
يثابون وينالون الدرجات والدركات وقد ترجم البخاري على ذلك فقال ذكر الجن و
ثوابهم وعقابهم لقوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم الاية الى قوله وما ربك
بغافل عما يعملون قال الداودي قال الضحاك من الجن من يدخل الجنة وياكل ويشرب
انتهى وقوله سبحانه وربك الغني ذو الرحمة ان يشا يذهبكم ويستخلف من بعدكم
ما يشاء متضمنه وعيدا وتحذيرا من بطش الله عز وجل في التعجيل بذلك واما
مع المهملة ومرور الجديدين فذلك عادته سبحانه في الخلق باذهاب خلق واستخلاف
اخرين قوله سبحانه انما توعدون لات هو من الوعيد بقرينة وما انتم بمعجزين
اي وما انتم بناجين هربا فتعجزون طالبكم ثم امر سبحانه نبيه عليه السلام ان يتوعدهم
بقوله اعملوا فستعرفون عاقبة عملكم الفاسد وصيغة افعل هنا هي بمعنى الوعيد
والتهديد وعلى مكانتكم معناه على حالكم وطريقتكم وعاقبة الدار اي مال الاخرة
ويحتمل مال الدنيا بالنصر والظهور ففي الاية اعلام بغيب وقوله وجعلوا لله مما ذرا
يعني مشركي العرب الذين تقدم الرد عليهم من اول السورة وذرا معناه خلق وانشا
وبث وسبب نزول هذه الاية ان العرب كانت تجعل من غلاتها وزروعها وثمار

بعضا قال قتادة معناه نجعل بعضهم ولي بعض في الكفر والظلم
وقال قتادة ايضا المعنى نجعل بعضهم يلي بعضا دخولا النار
وقال ابن زيد معناه نسلط بعض الظالمين

الدنيا م

واماما نافيه

والانعام هاجزءًا تسميه لله وجزءًا تسميه لاصنامها وكانت عادتها التحفي والاهتبال
بنصيب الاصنام اكثر منها بنصيب الله اذ كانوا يعتقدون ان الاصنام بها فقر وليس
ذلك بالله سبحانه وكانوا اذا جمعوا الزرع فهبت الريح فحملت من الذي لله الى الذي
لشركائهم اقروه واذا حملت من الذي لشركائهم الى الذي لله ردوه واذا لم يصيبوا في نصيب
شركائهم شيئا قالوا لابد للآلهة من نفقة فيجعلون نصيب الله تعالى في ذلك قال هذا
المعنى ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم انهم كانوا يفعلون هذا ونحوه من الفعل وكذلك
في الانعام كانوا اذا اصابتهم السنة اكلوا نصيب الله وتحاموا نصيب شركائهم وقوله
سبحانه وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم الكثير هنا من كان يئد
من مشركي العرب والشركاء هاهنا الشياطين الآمرون بذلك المزينون له والحاملون
عليه ايضا من بني آدم والقصد من الآية الذم للوأد والانحاء على فعلته وليردوهم
معناه ليهلكوهم من الردى وليلبسوا معناه ليخلطوا وقوله سبحانه ولو شاء الله ما فعلوه
يقتضي ان لا شيء الا بمشيئة الله عز وجل وفيها رد على من قال بان المرء يخلق افعاله وقوله
فذرهم وعيد محض وقوله سبحانه وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء
بزعمهم وانعام حرمت ظهورها الآية تتضمن ما شرعوه لانفسهم والتزموه على جهة القربة
كذبا منهم على الله سبحانه وحجر معناه التحجير وهو المنع والتحريم وانعام لا يذكرون اسم الله
عليها قال جماعة من المفسرين انهم كانت لهم سنة في انعام ما ان لا يحج عليها فكانت تركب في
كل وجه الا في الحج وقالت فرقة بل ذلك في الذبائح جعلوا لآلهتهم نصيبا منها لا يذكرون
الله على ذبحها وقوله سبحانه وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم
على ازواجنا الآية كان من مذاهبهم الفاسدة في بعض الانعام ان يحرموا ما ولدت على
نسائهم ويخصصونه لذكورهم فان وازواجنا يريد به جماعة النساء التي هي معدة ان تكون
ازواجا قاله مجاهد وقوله وان يكن ميتة يعني انه كان من سنتهم ان ما خرج من
الاجنة ميتا من تلك الانعام الموقوفة فهو حلال للرجال والنساء جميعا وكذلك
ما مات من الانعام الموقوفة نفسها ثم اعقب تعالى بوعيدهم على ما وصفوا انه من قربات
وقوله سبحانه قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم الآية تتضمن التشنيع بسوء فعلهم
والتعجب من سوء حالهم فيما ذكر قال عكرمة وكان الوأد في ربيعة وفي مضر قال ع وكان
جمهور العرب لا يفعله ثم ان فاعله كان منهم من يفعله خوف العيلة والاقتار وكان
منهم من يفعله غيرة مخافة السبا وقد ضلوا لخادعهم بالحيرة وما كانوا يريد في هذه
الفعلة ويحتمل ان يريد وما كانوا قبل ضلالهم بهذه الفعلة مهتدين ولكنهم زادوا
بهذه الفعلة ضلالا وقوله عز وجل وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات
الآية تنبيه على مواضع الاعتبار وانشأ معناه خلق واخترع ومعروشات قال
ابن عباس ذلك في ثمر العنب منها ما عرش وسمك ومنها ما لم يعرش ومتشابها
يريد في المنظر وغير متشابه في الطعم قاله ابن جريج وغيره وكلوا من ثمره نص الاباحة
وقوله سبحانه وآتوا حقه يوم حصاده قال ابن عباس وجماعة هي في الزكاة المفروضة

قال ع وهذا القول معترض بان السورة مكية وبانه لا زكاة فيما ذكر من الرمان وما في
معناه وحكى الزجاج ان هذه الآية قيل فيها انها نزلت بالمدينة وقال مجاهد وغيره بل
قوله وآتوا حقه يوم حصاده ندب الى اعطاء حقوق من المال غير الزكاة والسنة ان يعطي
الرجل من زرعه عند الحصاد وعند الذرو وعند تكديسه وعند البيدر فاذا صفي وكال
اخرج من ذلك الزكاة وقالت طائفة هذا حكم صدقات المسلمين حتى نزلت الزكاة المفروضة
فنسختها قال ع والنسخ غير مترتب في هذه الآية ولا تعارض بينها وبين الزكاة بل تنبني
هذه على الندب وتلك على الفروض وقوله سبحانه ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين نهي عن الاسراف
اما للناس على التمنع عن ادائها لان ذلك اسراف في الفعل واما للولاة عن التسلط على
الناس والاذاية لهم وكل قد قيل به في تأويل الآية وقوله ومن الانعام حمولة وفرشا حمولة
عطف على نبات ومعروشات التقدير وانشأ من الانعام حمولة والحمولة ما يحمل الاثقال
من الابل والبقر عند من عادته ان يحمل عليها والفرش ما لا يحمل ثقلا كالغنم وصغار الابل
والبقر هذا هو المروي عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وغيرهم ولا مدخل في الآية
لغير الانعام وقوله كلوا مما رزقكم الله نص اباحة وازالة ما سنه الكفرة من البحيرة
والسائبة وغير ذلك ثم تابع النهي عن تلك السنن الآفكة بقوله سبحانه ولا تتبعوا
خطوات الشيطان وهو جمع خطوة اي لا تمشوا في طريقه قلت ولفظ البخاري خطوات
من الخطو والمعنى آثاره قوله سبحانه ثمانية ازواج الخلف في نصبها فقيل البدل من ما في قوله كلوا
مما رزقكم الله وقيل على الحال وقيل على البدل من قوله حمولة وفرشا وهذا اصوب الاقوال واجراها
مع معنى الآية والزوج الذكر والزوج الانثى كل منهما زوج صاحبه وهي اربعة انواع فتجيء
ثمانية ازواج والضأن جمع ضائنة وضائن وقوله سبحانه قل آلذكرين حرم ام الانثيين
هذا تقسيم على الكفار حتى يتبين كذبهم على الله اي لا بد ان يكون حرم الذكرين فيلزمكم
تحريم جميع الذكور او الانثيين فيلزمكم تحريم جميع الاناث اما اشتملت عليه ارحام الانثيين
فيلزمكم تحريم الجميع وانتم لم تلتزموا شيئا يوجبه هذا التقسيم وفي هذه السؤالات تقريع
وتوبيخ ثم اتبع تقريعهم بقوله نبئوني بعلم اي اخبروني بعلم اي من جهة نبوة او كتاب من كتب الله
ان كنتم صادقين وان شرط وجوابه في نبئوني وقوله سبحانه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل
آلذكرين حرم القول في هذه الآية في المعنى وترتيب التقسيم كما تقدم وكأنه قال انتم الذين تدعون
ان الله حرم خصائص من هذه الانعام لا يخلو تحريمه من ان يكون في الذكرين او في الانثيين او فيما اشتملت
عليه ارحام الانثيين لكنه لم يحرم لا هذا ولا هذا فلم يبق الا انه لم يقع تحريم قال الفخر والصحيح
عندي ان هذه الآية لم ترد على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم بل هي على سبيل الانكار وحاصل الكلام استفهام م
انكم لا تعترفون بنبوة احد من الانبياء فكيف تثبتون هذه الاحكام المختلفة انتهى وقوله سبحانه
ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا استفهام على جهة التوبيخ وشهداء جمع شهيد وباقي
الآية بين وقوله سبحانه قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الآية
هذه الآية نزلت بمكة ولم يكن في الشريعة في ذلك الوقت شيء محرم غير هذه الاشياء ثم نزلت
سورة المائدة بالمدينة وزيد في المحرمات كالخمر واكل كل ذي ناب من السباع مما وردت به

السنة قال ع ولفظة التحريم اذا وردت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها
صالحة ان تنتهي بالشيء المذكور غاية المنع والحظر وصالحة بحسب اللغة ان تقف دون الغاية
في حيز الكراهية ونحوها فما اقترنت به قرينة التسليم من الصحابة والمتاولين واجمع عليه الكل
منهم ولم تضطرب فيه الفاظ الاحاديث وامضاه الكل ووجب بالشرع ان يكون تحريمه قد وصل
الغاية من الحظر والمنع ولحق بالخنزير والميتة وهذه صفة تحريم الخمر وما اقترنت به قرينة
اضطراب الفاظ الحديث واختلف الائمة فيه مع علمهم بالاحاديث كقوله عليه السلام كل ذي ناب من
السباع حرام وقد روى عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكل كل ذي ناب من السباع
ثم اختلف الصحابة ومن بعدهم في تحريم ذلك فجاز لهذه الوجوه لمن ينظر ان يحمل لفظ التحريم
على المنع الذي هو الكراهية ونحوها وما اقترنت به قرينة التاويل كتحريمه عليه السلام لحوم
الحمر الانسية فتاول بعض الصحابة الحاضرين ذلك لانها لم تخمس وتاول بعضهم ان ذلك لئلا
تفنى حمولة الناس وتاول بعضهم التحريم المحض وثبت في الامة الاختلاف في تحريم لحمها فجائز لمن ينظر من العلماء
ان يحمل لفظ التحريم بحسب اجتهاده وقياسه على الكراهية ونحوها وبا في الاية بين وقوله
سبحانه وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية هذا خبر من الله سبحانه يتضمن تكذيب
اليهود في قولهم ان الله لم يحرم علينا شيئا وانما حرمنا على انفسنا ما حرم اسرائيل على نفسه
وكل ذي ظفر يراد به الابل والانعام والاوز ونحوه من الحيوان الذي هو غير منفرج الاصابع
وله ظفر واخبرنا سبحانه في هذه الاية بتحريم الشحوم عليهم وهي الثروب وشحم الكلى وما كان
شحما خالصا خارجا عن الاستثناء الذي في الاية واختلف في تحريم ذلك على المسلمين من تباعهم
فعن مالك كراهية شحومهم من غير تحريم وقوله سبحانه الا ما حملت ظهورهما والحوايا ما تحوى في
البطن واستدار وهي المصارين والحشوة ونحوها وقال ابن عباس وغيره هي المباعر وقوله
او ما اختلط بعظم يريد في سائر الشخص وقوله سبحانه ذلك جزيناهم ببغيهم يقتضي ان
هذا التحريم انما كان عقوبة لهم على بغيهم واستعصائهم على انبيائهم وقوله سبحانه وانا لصادقون
اخبار يتضمن التعريض بكذبهم في قولهم ما حرم الله علينا شيئا وقوله سبحانه فان كذبوك
اي فيما اخبرت به ان الله حرمه عليهم فقل ربكم ذو رحمة واسعة اي في امهاله اذ لم يعاجلكم
بالعقوبة مع شدة جرمكم ولكن لا تغتروا بسعة رحمته فان له باسا لا يرد عن القوم المجرمين
اما في الدنيا واما في الاخرة وهذه الاية وما جانسها من ايات مكة من نقع حكمها باية القتال ثم اخبر
سبحانه نبيه عليه السلام بان المشركين سيحتجون لتصويب ما هم عليه من شركهم وتديُّنهم بتحريم
تلك الاشياء بامهال الله تعالى لهم وتقرير حالهم وانه لو شاء غير ذلك لما تركهم على تلك الحال
ولا حجة لهم فيما ذكروه لانه سبحانه شاء اشراكهم واقدارهم على الاكتساب ويلزمهم على احتجاجهم ان
تكون كل طريقة وكل نحلة صوابا اذ كلها لو شاء الله لم تكن وفي الكلام حذف يدل عليه
تناسق الكلام كانه قال سيقول المشركون كذا وكذا وليس في ذلك حجة ولا شيء يقتضي تكذيبك
ولكن كذب الذين من قبلهم بنحو هذه الشبهة من ظنهم ان ترك الله لهم دليل على رضاه بحالهم
وفي قوله عز وجل حتى ذاقوا باسنا وعيد شديد وقوله سبحانه هل عندكم من علم
اي من قبل الله قل فلله الحجة البالغة يريد البالغة غاية المقصد في الامر الذي يحتج له ثم اعلم

سبحانه

يريد ما اختلط بالشحم في الظهر والجنب ونحو ذلك وابو صالح الآيات ما حملت ظهورهما

سبحانه انه لو شاء الهدى العالم باسره وهلم معناه هات وهي ح متعدية وقد تكون بمعنى اقبل
فلا تتعدى وبعض العرب يجعلها اسم فعل كرويدك وبعضهم يجعلها فعلا ومعنى الاية قل هاتوا
شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم ما زعمتم تحريمه فان شهدوا اي فرضا لو اتوا احدا وزور
شهادة او خبر عن نوع ونحو ذلك فتجنب انت ذلك ولا تشهد معهم ت وهذه الاية والتي
بعدها من نوع ما تقدم من الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ممن يمكن ذلك
منهم وهم بربهم يعدلون اي يجعلون له اندادا يسوونهم به تعالى الله عن قولهم وقوله
سبحانه قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا هذا امر من الله عز وجل لنبيه
عليه السلام ان يدعو جميع الخلق الى سماع تلاوة ما حرم الله بشرع الاسلام المبعوث
به الى الاسود والاحمر وما نصب بقوله اتل وهي بمعنى الذي وان في قوله ان لا تشركوا
في موضع رفع بتقدير الامر ان وذلك ان وقال كعب الاحبار هذه الايات هي مفتتح
التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الاية وقال
ابن عباس هذه الايات هي المحكمات المذكورات في آل عمران اجتمعت عليها شرائع الخلق ولم تنسخ
قط في ملة وقد قيل انها العشر الكلمات المنزلة على موسى والاملاق الفقر وعدم المال قاله
ابن عباس وغيره قال الثعلبي خوف الفقر قرينة الكفر وحسن الثقة بالرب سبحانه نتيجة
الايمان انتهى من التحبير وقوله سبحانه ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن قال مجاهد
التي هي احسن التجارة فيه والاشد هنا الحزم والنظر في الامور وحسن التصرف
فيها وليس هذا بالاشد المقرون ببلوغ الاربعين بل هذا يكون مع صغر السن في ناس كثير وقوله سبحانه واوفوا
الكيل والميزان امر بالاعتدال وقوله سبحانه لا نكلف نفسا الا وسعها يقتضي ان هذه
الاوامر انما هي فيما يقع تحت قدرة البشر من التحفظ والتحرز وقوله سبحانه واذا
قلتم فاعدلوا يتضمن الشهادة والاحكام والتوسط بين الناس وغير ذلك وقوله ولو كان ذا قربى
اي ولو كان ميل الحق على قرابتكم وقوله سبحانه وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
الاشارة بهذا هي الى الشرع الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقال الطبري
الاشارة هي الى هذه الوصايا التي تقدمت من قوله قل تعالوا وقال ابن مسعود ان
الله سبحانه جعل طريقا صراطا مستقيما طرفه محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه ونهايته
الجنة وتتشعب منه طرق فمن سلك الجادة نجا ومن خرج الى تلك الطرق افضت
به الى النار وقال ايضا خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال
هذا سبيل الله ثم خط عن يمين ذلك وعن شماله خطوطا فقال هذه سبل على كل سبيل
منها شيطان يدعو اليها ثم قرا هذه الاية قال ع وهذه الاية تعم اهل الاهواء
والبدع والشذوذ في الفروع وغير ذلك من اهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام
هذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد ولعلكم ترجى بحسبنا ومن حيث
كانت المحرمات الاول لا يقع فيها عاقل قد نظر بعقله جاءت العبارة لعلكم
تعقلون والمحرمات الاخر شهوات وقد يقع فيها من العقلاء من لم يتذكر وركوب
الجادة الكاملة تتضمن فعل الفضائل وتلك درجة التقوى وقوله سبحانه

ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن ثم في هذه الآية إنما هي مهلتها في ترتيب القول
الذي أمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كأنه قال ثم مما قضيناه أنا آتينا موسى الكتاب ويدعو
إلى ذلك أن موسى عليه السلام متقدم بالزمان على نبينا محمد عليه السلام وتلاوته ما حرم الله
والكتاب التوراة وتماما مصدر وقوله على الذي أحسن مختلف في معناه فقالت فرقة الذي بمعنى
الذين وأحسن فعل ماض صلة الذين وكأن الكلام وآتينا موسى الكتاب تفضلا على المحسنين من أهل ملته
وإتماما للنعمة عليهم وهذا تأويل مجاهد ويؤيده ما في مصحف ابن مسعود تماما على الذين أحسنوا
وقالت فرقة المعنى تماما على ما أحسن هو من عبادة ربه تعالى موسى عليه السلام وهذا تأويل الربيع وقتادة
وقالت فرقة المعنى تماما على الذي أحسن الله فيه إلى عباده من النبوءات وسائر النعم وبلقاء ربهم أي بالبعث
وقوله عز وجل وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون هذا إشارة
إلى القرآن ومبارك وصف بما فيه من التوسعات وأنواع الخيرات ومعناه منماة خيره مكثر والبركة
الزيادة والنمو فاتبعوه دعاء إلى الدين واتقوا أمر بالتقوى العامة في جميع الأشياء بقرينة قوله لعلكم
ترحمون وأن في قوله أن تقولوا في موضع نصب والعامل فيه أنزلناه والتقدير وهذا كتاب
أنزلناه كراهية أن تقولوا والطائفتان اليهود والنصارى بإجماع المتأولين والدراسة القراءة
والتعلم بها ومعنى الآية إزالة الحجة من أيدي قريش وسائر العرب ولما تقرر أن البينة قد
جاءتهم والحجة قد قامت عليهم حسن بعد ذلك أن يقع التقرير بقوله سبحانه فمن أظلم ممن كذب بآيات الله
وصدف عنها أي حاد عنها وزاغ وأعرض وسيجزي الذين وعيد وقوله سبحانه هل ينظرون أي ينتظرون
يعني العرب المتقدم الآن ذكرهم والملائكة هنا ملائكة الموت الذين يصحبون عزرائيل المخصوص
بقبض الأرواح قاله مجاهد وقتادة وابن جريج وقوله سبحانه أو يأتي ربك قال الطبري لموقف الحساب يوم
القيامة وأسند ذلك إلى قتادة وجماعة من المتأولين وقال الزجاج إن المراد أو يأتي عذاب ربك قال ع وعلى
كل تأويل فإنما هو بحذف مضاف تقديره أمر ربك أو حساب ربك فالإتيان المفهوم من اللغة مستحيل
على الله تعالى ألا ترى أن الله عز وجل يقول فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فهذا إتيان قد وقع على المجاز
وحذف المضاف قال الفخر والجواب المعتمد عليه هنا أن هذا حكاية مذهب الكفار واعتقادهم فلا تفتقر
إلى تأويله وأجمعوا على أن المراد بهذه الآيات علامات القيامة انتهى قلت وما ذكره الفخر من هذه حكاية مذهب
الكفار هي دعوى تفتقر إلى دليل وقوله سبحانه أو يأتي بعض آيات ربك قال مجاهد وغيره هي إشارة إلى
طلوع الشمس من مغربها بدليل الحديث الذي بعدها قال ع ويصح أن يريد سبحانه بقوله أو يأتي بعض آيات ربك
ما يقطع بوقوعه من أشراط الساعة ثم خصص سبحانه بقوله يوم يأتي بعض آيات ربك الآية التي ترفع
التوبة معها وقد بينت الأحاديث الصحاح في البخاري ومسلم أنها طلوع الشمس من مغربها ومقصد الآية
تهديد الكفار بأحوال لا يخلون منها وقوله أو كسبت في إيمانها خيرا يريد جميع أعمال البر وهذا اللفظ
هو للعصاة المؤمنين كما أن قوله لم تكن آمنت من قبل هو للكافرين فالآية المشار إليها تقطع توبة
الصنفين قال الداودي قوله تعالى أو كسبت في إيمانها خيرا يريد أن النفس المؤمنة التي ارتكبت الكبائر
لا يقبل منها التوبة وتكون في مشيئة الله تعالى إن لم تتب وعن عائشة إذا خرجت أول الآيات
طرحت الأقلام وحبست الحفظة وشهدت الأجساد على الأعمال انتهى وقوله سبحانه قل انتظروا إنا منتظرون
لفظ يتضمن الوعيد وقوله سبحانه إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء قال ابن عباس

وغيره المراد بالذين اليهود والنصارى أي فرقوا دين إبراهيم ووصفهم بالشيع إذ كل طائفة
منهم لها فرق واختلافات ففي الآية حض للمؤمنين على الائتلاف وترك الاختلاف قال أبو الأحوص وأم سلمة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم أي فرقوا ذلك الإسلام وقرأ حمزة والكسائي فارقوا ومعناه تركوا
قوله سبحانه لست منهم في شيء أي لا تشفع لهم ولا لهم بك تعلق وهذا على الإطلاق في الكفار وعلى جهة
المبالغة في العصاة وقوله سبحانه إنما أمرهم إلى الله الآية وعيد محض وقال السدي هذه آية لم يؤمر
فيها بقتال فهي منسوخة بالقتال قال ع و الآية خبر لا يدخله نسخ ولكنها تضمنت بالمعنى أمرا بموادعة
فيشبه أن يقال إن النسخ وقع في ذلك المعنى الذي تقرر ونسخه في آيات أخر وقوله سبحانه من
جاء بالحسنة فله عشر أمثالها الآية قال ابن مسعود وغيره الحسنة هنا لا إله إلا الله والسيئة
الكفر قال ع الآية خبر لا يدخله نسخ ولكنها تضمنت بالمعنى أمرا بموادعة فيشبه أن يقال
إن النسخ وقع في ذلك المعنى الذي تقرر ونسخه في آيات أخر قوله سبحانه من جاء بالحسنة
فله عشر أمثالها الآية قال ابن مسعود وغيره الحسنة هنا لا إله إلا الله والسيئة الكفر قال ع وهذه
هي الغاية من الطرفين وقالت فرقة ذلك لفظ عام في جميع الحسنات والسيئات وهذا هو الظاهر
وتقدير الآية من جاء بالحسنة فله ثواب عشر أمثالها وقرأ يعقوب وغيره فله عشر بالتنوين
أمثالها بالرفع وقوله سبحانه قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم
في غاية الوضوح والبيان وقيما نعت للدين ومعناه مستقيما وملة بدل من الدين وقوله سبحانه
قل إن صلاتي ونسكي الآية أمر من الله عز وجل لنبيه عليه السلام أن يعلن بأن مقصده في صلاته وطاعته
من ذبيحة وغيرها وتصرفه مدة حياته وحاله من الإخلاص والإيمان عند مماته إنما هو لله عز
وجل وإرادة وجهه وطلب رضاه وفي إعلان النبي صلى الله عليه وسلم بهذه المقالة ما يلزم
الناس التأسي به حتى يلتزموا في جميع أعمالهم قصد وجه الله عز وجل ويحتمل أن يريد بهذه المقالة أن صلاته
ونسكه وحياته وموته بيد الله عز وجل وله تصرفه في جميع ذلك كيف شاء سبحانه ويكون
قوله وبذلك أمرت على هذا التأويل راجعا إلى قوله لا شريك له فقط أو راجعا إلى القول وعلى
التأويل الأول يرجع إلى جميع ما ذكر من صلاة وغيرها وقالت فرقة النسك في هذه الآية الذبائح
قال ع ويحسن تخصيص الذبيحة بالذكر في هذه الآية أنها نازلة قد تقدم ذكرها والجدال
فيها في السورة وقالت فرقة النسك في الآية جميع أعمال الطاعات من قولك نسك فلان فهو ناسك إذا
تعبد وقرأ السبعة سوى نافع ومحياي بفتح الياء وقرأ نافع وحده ومحياي بسكون الياء وقال
أبو حيان وفيه جمع بين ساكنين وسوغ ذلك ما في الألف من المد القائم مقام الحركة انتهى وقوله
وأنا أول المسلمين أي من هذه الأمة وقوله عز وجل قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء الآية
حكى النقاش أنه روي أن الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع يا محمد إلى ديننا واعبد
آلهتنا واترك ما أنت عليه ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها في دنياك وآخرتك فنزلت
هذه الآية وهي استفهام يقتضي التوبيخ لهم أي معناه أطلب وكأنه قال أفيحسن عندكم
أن أطلب إلها غير الله الذي هو رب كل شيء وما ذكرتم من كفالتكم باطل ليس الأمر كما تظنون
فلا تكسب كل نفس من شر وإثم إلا عليها وحدها ولا تزر أي لا تحمل وازرة أي حاملة حمل أخرى
وثقلها والوزر أصله الثقل ثم استعمل في الإثم تجوزا واستعارة ثم إلى ربكم مرجعكم تهديد ووعيد

الآية في أهل البدع والأهواء والفتن ومن جرى
مجراهم من أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

وقوله فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اي في امري في قول بعضكم هو ساحر هو شاعر
الى غير ذلك قاله بعض المتاولين وهذا التاويل يحسن في هذا الموضع وان كان اللفظ
يعم جميع انواع الاختلاف بين الاديان والملل والمذاهب وغير ذلك وخلائف جمع خليفة
اي يخلف بعضكم بعضا لان من اتى خليفة لمن مضى وهذا يتصور في جميع الامم وسائر
اصناف الناس ولكنه يحسن في امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان يسمى اهلها بجملتهم خلائف
للامم وليس لهم من يخلفهم اذ هم اخر الامم وعليهم تقوم الساعة وروى الحسن بن ابي الحسن
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال توفون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله عز وجل
ويروى وانتم اخرها واكرمها على الله وقوله ورفع بعضكم فوق بعض درجات لفظ عام في المال
والقوة والجاه وجودة النفس والاذهان وغير ذلك وكل ذلك انما هو ليختبر الله سبحانه الخلق
فيرى المحسن من المسيء ولما اخبر الله عز وجل بهذا انفسح للناس ميدان العمل وحضهم سبحانه على
الاستباق الى الخير وعد وتوعد تخويفا منه وترجية فقال ان ربك سريع العقاب
اما باخذاته في الدنيا واما بعقاب الاخرة وحسن ان يوصف عقاب الاخرة بسريع لما كان
متحققا مضمون الاتيان والوقوع وكل ما هو ات قريب وانه لغفور رحيم ترجية لمن اذنب واراد
التوبة وهذا في كتاب الله كثير اقتران الوعيد بالوعد لطفا من الله سبحانه بعباده اللهم
اجعلنا ممن شملته رحمتك وغفرانك بجودك وامتنانك ومن كلام الشيخ الولي العارف ابي الحسن
الشاذلي رحمه الله قال من اراد ان لا يضره ذنب فليقل رب اعوذ بك من عذابك يوم تبعث
عبادك واعوذ بك من عاجل العذاب ومن سوء الحساب فانك لسريع العقاب وانك
لغفور رحيم رب اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا فاغفر لي وتب علي لا اله الا انت سبحانك اني
كنت من الظالمين بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه
وسلم **سورة الاعراف** هي مكية قاله الضحاك وغيره وقال مقاتل هي مكية الا قوله
واسالهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الى قوله من ظهورهم ذرياتهم فان هذه
الاية مدنية **قوله** جلت عظمته المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه
لتنذر به وذكرى للمؤمنين تقدم القول في تفسير الحروف المقطعة في اوائل السور والحرج
الضيق ومنه الحرجة للشجر الملتف الذي قد تضايق والحرج هاهنا يعم الشك والخوف
والهم وكل ما يضيق الصدر والضمير منه عائد على الكتاب اي بسبب من اسبابه وقوله سبحانه
فلا يكن في صدرك حرج منه اعتراض في اثناء الكلام ولذلك قال بعض الناس ان فيه
تقديما وتاخيرا وقوله وذكرى معناه تذكرة وارشاد وقوله سبحانه اتبعوا ما انزل اليكم
من ربكم امر يعم جميع الناس ولا تتبعوا من دونه اي من دون ربكم اولياء يريد كل ما عبد واتبع
من دون الله وقليلا نعت لمصدر نصب بفعل مضمر وقال مكي هو منصوب بالفعل الذي
بعده وما في قوله ما تذكرون مصدرية وقوله سبحانه وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا
بياتا او هم قائلون قالت فرقة المراد وكم من اهل قرية وقالت فرقة اللفظ يتضمن هلاك
القرية واهلها وهو اعظم في العقوبة والفاء في قوله سبحانه فجاءها باسنا بعد ذلك
وبياتا نصب على المصدر في موضع الحال وقائلون من القائلة وانما خص وقت الدعة والسكون

لان مجيء العذاب فيهما افظع واهول لما فيه من البغت والفجاءة قال ابو حيان او للتفصيل اي
جاء بعضهم باسنا ليلا وبعضهم نهارا انتهى وقوله عز وجل فما كان دعواهم اذ جاءهم باسنا
الا ان قالوا انا كنا ظالمين هذه الاية يتبين هنا ان المراد في الاية قبلها اهل القرى والدعوى
في كلام العرب تاتي لمعنيين احدهما الدعاء ومنه قوله عز وجل فما زالت تلك دعواهم والثاني
الادعاء وهذه الاية تحتمل المعنيين ثم استثنى سبحانه من غير الاول كانه قال لم يكن منهم دعاء
او ادعاء الا الاقرار والاعتراف اي هذا كان بدل الدعاء او الادعاء واعترافهم وقولهم انا
كنا ظالمين هو في المدة ما بين ظهور العذاب الى اتيانه على انفسهم وفي ذلك مهلة بحسب نوع العذاب
تتسع لهذه المقالة وغيرها وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما هلك
قوم حتى يعذروا من انفسهم وقوله سبحانه فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين
الاية وعيد من الله عز وجل لجميع العالم اخبر سبحانه انه يسأل الامم اجمع عما بلغ اليهم عنه وعن
جميع اعمالهم ويسأل النبيين عما بلغوا وهذا هو سؤال التقرير فان الله سبحانه قد
احاط علما بكل ذلك قبل السؤال فاما الانبياء والمؤمنون فيعقبهم جوابهم رحمة وكرامة واما
الكفار ومن نفذ عليه الوعيد من العصاة فيعقبهم جوابهم عذابا وتوبيخات وروى
ابو عمر بن عبد البر في كتاب فضل العلم بسنده عن مالك انه قال بلغني ان العلماء يسألون
يوم القيامة كما تسأل الانبياء يعني عن تبليغ العلم انتهى وخرج ابو نعيم الحافظ من حديث الاعمش
عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من عبد يخطو خطوة الا يسأل عنها ما اراد بها وقد ذكرنا
حديث مسلم عن ابي برزة في غير هذا الموضع وخرج الطبري بسنده عن ابن عمر قال سمعت النبي صلى
الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقفه بين يديه فيسأله
عن جاهه كما يسأله عن عمله انتهى وروى مالك عن يحيى بن سعيد قال بلغني ان اول ما ينظر
فيه من عمل المرء الصلاة فان قبلت نظر فيما بقي من عمله وان لم تقبل منه لم ينظر في شيء من عمله
وروى ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه معنى هذا الحديث مرفوعا عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من اعمالهم الصلاة
قال يقول ربنا عز وجل للملائكة انظروا في صلاة عبدي اتمها ام نقصها فان كانت تامة كتبت
له تامة وان كان انتقص منها شيئا قال انظروا هل لعبدي من تطوع فان كان له تطوع قال اتموا
لعبدي فريضته من تطوعه ثم توخذ الاعمال على ذلك انتهى من التذكرة وقوله سبحانه فلنقصن
عليهم اي فلنسردن عليهم اعمالهم قصة قصة بعلم اي بحقيقته ويقين وما كنا غائبين وقوله
عز وجل والوزن يومئذ الحق التقدير والوزن الحق ثابت او ظاهر يومئذ اي يوم
القيامة قال جمهور الامة ان الله عز وجل اراد ان يبين لعباده ان الحساب والنظر يوم القيامة
هو في غاية التحرير ونهاية العدل بامر قد عرفوه في الدنيا وعهدته افهامهم فميزان القيامة له
عمود وكفتان على هيئة موازين الدنيا وجمع لفظ الموازين اذ في الميزان موزونات كثيرة
فكانه اراد التنبيه عليها قال الفخر والاظهر اثبات موازين في يوم القيامة لا ميزان ولحمل لفظ
الايات وحمل الموازين على الموزونات او على الميزان الواحد يوجب العدول عن ظاهر اللفظ وذلك
انما يصار اليه عند تعذر حمل الكلام على ظاهره ولا مانع هاهنا منه فوجب اجراء اللفظ على حقيقته

فكما لم يمتنع اثبات ميزان له كفتان فكذلك لا يمتنع اثبات موازين بهذه الصفة وما
الموجب لتركه والمصير الى التاويل انتهى قال ابو حيان موازينه جمع باعتبار الموزونات وهذا
على مذهب الجمهور في ان الميزان واحد وقال الحسن لكل واحد ميزان فالجمع اذا حقيقة انتهى
والآيات هنا البراهين والاوامر والنواهي قوله سبحانه ولقد مكناكم في الارض وجعلنا
لكم فيها معايش والآية خطاب لجميع الناس والمعايش بكسر الياء دون همز جمع معيشة وهي
لفظة تعم المأكول الذي يعاش به والتحرف الذي يؤدي اليه وقليلا نصب بتشكرون ويحتمل ان
تكون ما مع الفعل بتاويل المصدر وقليلا نعت لمصدر محذوف تقديره شكرا قليلا شكركم
او شكرا قليلا تشكرون وقوله سبحانه ولقد خلقناكم ثم صورناكم الآية هذه الآية معناها
التنبيه على موضع العبرة والتعجب من غريب الصنعة واسداء النعمة ولتخلف العلماء في ترتيب
هذه الآية لان ظاهرها يقتضي ان الخلق والتصوير لبني آدم قبل القول للملائكة ان يسجدوا
وقد صححت الشريعة ان الامر لم يكن كذلك فقالت فرقة المراد بقوله سبحانه ولقد
خلقناكم ثم صورناكم آدم وان الخطاب لبنيه وقال مجاهد المعنى ولقد خلقناكم ثم
صورناكم في صلب آدم وفي وقت استخراج ذرية آدم من ظهره امثال الذر في صورة البشر
ويترتب في هذين القولين ان تكون ثم على بابها في الترتيب والمهلة وقال ابن عباس والربيع
ابن انس اما خلقناكم فآدم واما صورناكم فذريته في بطون الامهات من خلق وتصوير ثم
لترتيب الاخبار بهذه الحال وقال قتادة وغيره بل ذلك كله في بطون الامهات الا الترتيب للجمل
في انفسها وقوله سبحانه فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك الا تسجد
اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون
لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين
قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم تقدم الكلام على قصص الآية في سورة
البقرة وما في قوله ما منعك استفهام على جهة التوبيخ والتقريع ولا في قوله الا تسجد
قيل هي زائدة والمعنى ما منعك ان تسجد وكذلك قال ابو حيان انها زائدة في قوله تعالى
لئلا يعلم اهل الكتاب قال ويدل على زيادتها سقوطها في قوله تعالى ما منعك ان تسجد في ص انتهى
وجواب ابليس اللعين ليس بمطابق لما سئل عنه لكن جاء الكلام يتضمن الجواب والحجة علم
فكانه قال منعني فضلي عليه اذ انا خير منه وظن ابليس ان النار افضل من الطين وليس
كذلك بل هما في درجة واحدة من حيث هما جماد مخلوق ولما ظن ان صعود النار وخفتها
يقتضي فضلا على سكون الطين وبلادته قاس ان ما خلق منها افضل مما خلق من طين
فاخطأ قياسه وذهب عليه ان الروح الذي نفخ في آدم ليس من طين وقال الطبري ذهب
عليه ما في النار من الطيش والخفة والاضطراب وفي الطين من الاناة والتثبت والحلم و
روي عن الحسن وابن سيرين انهما قالا اول من قاس ابليس وما عبدت الشمس والقمر الا
بالمقاييس وهذا القول منهما ليس هو بانكار للقياس وانما خرج كلامهما نهيا عما كان
في زمنهما من مقاييس الخوارج وغيرهم فارادا حمل الناس على الجادة وقوله سبحانه
فاهبط منها الآية يظهر منه انما اهبط اولا واخرج من الجنة وصار في السماء لان الاخبار

تظاهرت انه اغوى آدم وحواء من خارج الجنة ثم امر آخرا بالهبوط من السماء مع آدم
وحواء والحية وقوله انك من الصاغرين حكم عليه بضد معصيته التي عصى بها وهي الكبرياء
فعوقب بالحمل عليه بخلاف شهوته وامله والصغار الذل قاله السدي ومعنى انظرني اخرني فاعطاه
الله النظرة الى النفخة الاولى قاله اكثر الناس وهو الاصح والاشهر في الشرع وقوله فبما يريد
القسم كقوله تعالى في الآية الاخرى فبعزتك واغويتني قال الجمهور معناه اضللتني من الغي وعلى
هذا المعنى قال محمد بن كعب القرظي قاتل الله القدرية لابليس اعلم بالله منهم يريد انه اعلم ان الله
يهدي ويضل وقوله لاقعدن لهم صراطك المعنى لاعترضن لهم في طريق شرعك وعبادتك
ومنهج النجاة فلاصدنهم عنه ومنه قوله عليه السلام ان الشيطان قعد لابن آدم في طرقه
فنهاه عن الاسلام وقال تترك دين آبائك فعصاه فاسلم فنهاه عن الهجرة وقال تدع اهلك و
بلدك فعصاه فهاجر فنهاه عن الجهاد وقال تقتل وتترك ولدك فعصاه فجاهد فله الجنة الحديث
وقوله ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم
شاكرين قال اخرج منها مذؤوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين مقصد الآية
ان ابليس اخبر عن نفسه انه ياتي اضلال بني آدم من كل جهة فعبر عن ذلك بالفاظ تقتضي
الاحاطة بهم وفي اللفظ تجوز وهذا قول جماعة من المفسرين وقال الفخر وقوله لاقعدن
لهم صراطك اي على صراطك لجمع النحاة على تقدير على في هذا الموضع انتهى وقوله ولا تجد اكثرهم
شاكرين اخبر اللعين انه سيفعل ذلك ظنا منه وتوسما في خلقة آدم حين راى خلقته
اشياء مختلفة فعلم انه سيكون لهم شيم تقتضي طاعته كالغل والحسد والشهوات ونحو ذلك
قال ابن عباس وقتادة ان ابليس لم يقل انه ياتي بني آدم من فوقهم ولا جعل الله له سبيلا الى
ان يحول بينهم وبين رحمة الله وعفوه ومنه وما ظنه ابليس صدقه الله عز وجل ومنه
قوله سبحانه ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين فجعل اكثر العالم
كفرة ويبينه قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح يقول الله عز وجل يا آدم اخرج
بعث النار فيقول يا رب وما بعث النار فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين
الى النار وواحد الى الجنة ونحوه مما يخص امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما انتم
في الامم الا كالشعرة البيضاء في الثور الاسود وشاكرين معناه مؤمنين لان ابن آدم لا يشكر
نعمة الله الا بان يؤمن قاله ابن عباس وغيره وقوله سبحانه اخرج منها اي من الجنة مذؤوما
اي معيبا اي مقصيا مبعدا لمن تبعك بفتح اللام هي لام قسم وقال ابو حيان الظاهر
انها الموطئة للقسم ومن شرطية في موضع رفع بالابتداء وحذف جواب الشرط لدلالة
جواب القسم عليه ويجوز ان تكون لام ابتداء ومن موصولة في موضع رفع بالابتداء
والقسم المحذوف وجوابه وهو لاملأن في موضع رفع خبرها انتهى قال الفخر وقيل مذؤوما
اي مخذولا فالمذؤوم المحتقر قاله الليث وقال ابن الانباري المذؤوم المذموم وقال الفراء
ذامته اذا عبته انتهى وباقي الآية بين اللهم انا نعوذ بك من جهد البلاء وسوء القضاء ودرك
الشقاء وشماتة الاعداء وقوله عز وجل ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث
شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين واذا امر الانسان بشيء هو متلبس به فانما

المقصد بذلك ان يسمر على حاله ويتمادى في هيئته وقوله سبحانه لادم اسكن هو من هذا البنا وقد تقدم الكلام في سورة البقرة على الشجرة وتعيينها وقوله هذه قال الاصل هذي والها بدل من اليا ولذلك كسرت الذال اذ ليس في كلامهم ها تانيث قبلها كسرة انتهى وقوله عز وجل فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سواتهما الوسوسة الحديث في اختفا همسا وسرارا من الصوت والوسواس صوت الحلي فشبه الهمس به وسمي القا الشيطان في نفس ابن ادم وسوسة اذ هي ابلغ السرار واخفاه هذا حال الشيطان معنا الان واما مع ادم فيمكن ان تكون وسوسته بمجاورة خفيه او بالقا في نفس واللام في ليبدي هي في قول الاكثر لام الصيرورة والعاقبة ويمكن ان تكون لام كي على بابها وما ووري معناه ما ستر من قولك واري يواري اذا ستر والسوءة الفرج والدبر ويشبه ان يسمى بذلك لان منظره يسوء وقالت طائفة ان هذه العبارة انما قصد بها انها كشفت لهما معايبهما وما يسوءهما ولم يقصد بها العورة وهذا القول يحتمل لان ذكر خصف الورق يرده الا ان يقدر الضمير في عليهما عايدا على بدنيهما فيصح وقوله سبحانه وقال ما نهاكما الاية هذا القول المحكي عن ابليس يدخله من التاويل ما دخل الوسوسة فيمكن ان يقول هذا مخاطبة وحوارا ويمكن ان يقولها القا في النفس ووحيا والا ان تقديره عند سيبويه والبصريين الا كراهية ان وتقديره عند الكوفيين الا ان لا على اضمار لا ويرجح قول البصريين ان اضمار الاسما احسن من اضمار الحروف وقرا جمهور الناس ملكين بفتح اللام وقرا ابن عباس ملكين بكسرها ويويده قوله وملك لا يبلى وقال بعض الناس يوخذ من هذه الالفاظ ان الملائكة افضل من البشر وهي مسالة اختلف الناس فيها وتمسك كل فريق بظواهر من الشريعة والفضل بيد الله يوتيه من يشا وقاسمهما اي حلف لهما بالله وهي مفاعلة اذ قبول المحلوف له اليمين كالقسم وقوله عز وجل فدلاهما بغرور قال ع يشبه عندي ان تكون هذه استعارة من الرجل يدلي اخر من هوة بحبل قد ارم او بسبب ضعيف يغتر به فاذا تدلى به وتورك عليه انقطع به وهلك فشبه الذي يغر بالكلام حتى يصدقه فيقع في مصيبة بالذي يدلي من هوة بسبب ضعيف وقوله سبحانه بدت قيل تمزقت عنهما ثياب الجنة وملابسها وتطايرت تبريا منهما وبخصفان معناه يلصقانها المخصف لاشفا وضم الورق بعضه الى بعض وهو معنى ما تقدم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان ادم عليه السلام كان يمشي في الجنة كانه النخلة السحوق فلما اكل من الشجرة وبدت له حالة فر على وجهه فاخذت شجرة بشعر راسه فقال لها ارسليني فقالت ما انا بمرسلتك فناداه ربه جل وعلا امني تفر يا ادم فقال لا يا رب ولكن استحييك يا رب فقال اما كان لك فيما منحتك من الجنة مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يا رب ولكن وعزتك ما ظننت ان احدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا وقوله عن تلكما يويد بحسب اللفظ انه انما اشار الى شجرة مخصوصة وا قل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين اشارة الى الاية التي

في طه

اي بالخرز بالخياطة فالخياط يخصفان يؤلفان الورق بعضه الى بعض م

١٤٣

طه في قوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى وهذا هو العهد الذي نسيه ادم على مذهب من جعل النسيان على بابه وقولهما ربنا ظلمنا انفسنا اعتراف من ادم وحوا عليهما السلام وطلب للتوبة والستر والتغمد بالرحمة فطلب ادم هذا فاجيب وطلب ابليس النظرة ولم يطلب التوبة فوكل الى سو رايه قال الضحاك وغيره هذه هي الكلمات التي تلقاها ادم من ربه وقوله عز وجل قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو المخاطبة بقوله اهبطوا قال ابو صالح والسدي والطبري وغيرهم هي لادم وحوا وابليس والحية وقالت فرقة هي مخاطبة لادم وذريته وابليس وذريته قال ع وهذا ضعيف لعدمهم في ذلك الوقت قلت وما ضعفه رحمه الله صححه في سورة البقرة فتامله هناك وعداوة الحية معروفة روى قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما سالمناهن منذ حاربناهن وقوله سبحانه يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم الاية خطاب لجميع الامم وقت النبي صلى الله عليه وسلم والسبب والمراد قريش ومن كان من العرب يتعرى في طوافه بالبيت قاله مجاهد ففيهم نزلت هذه الاربع ايات وقوله سبحانه انزلنا يحتمل التدريج اي لما انزل المطر وكان عنه جميع ما يلبس ويحتمل ان يريد بانزلنا خلقنا كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد ولباسا عام في جميع ما يلبس ويواري يستر وقرا الجمهور وريشا وقرا عاصم وابو عمرو ورياشا وهما عبارتان عن سعة الرزق ورفاهية العيش وجودة الملبس والتمتع وقال البخاري قال ابن عباس وريشا المال انتهى وقرا نافع وغيره ولباس بالنصب وقرا حمزة وغيره بالرفع وقوله ذلك من ايات الله اشارة الى جميع ما انزل من اللباس والريش وحكى النقاش ان الاشارة الى لباس التقوى اي هو في العبد اية وامارة من الله تعالى انه قد رضي عنه ورحمه وقال ابن عباس التقوى هو السمت الحسن في الوجه وقاله عثمان بن عفان على المنبر وقال ابن عباس ايضا هو العمل الصالح وقال عروة بن معبد الجهني هو الحيا وقال ابن عباس ايضا لباس التقوى العفة قال ع وهذه كلها مثل وهي من لباس التقوى ولعلهم تزج بحسبهم ومبلغهم من المعرفة وقوله عز وجل يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الاية خطاب لجميع العالم والمقصود بها في ذلك الوقت من كان يطوف من العرب بالبيت عريانا قيل كانت العرب تطوف عراة الا الحمس وهم قريش ومن والاها وهذا هو الصحيح ثم نودي بمكة في سنة تسع لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان والفتنة في هذه الاية الاستهوا والغلبة على النفس واضاف الاخراج في هذه الاية الى ابليس تجوزا لما كان هو السبب في ذلك قال ابو حيان كما اخرج الكاف في موضع نصب اي فتنة مثل فتنة اخراج ابويكم انتهى وقوله سبحانه انه يراكم الاية زيادة في التحذير واعلام بان الله عز وجل قد مكن ابليس من بني ادم في هذا القدر وبحسب ذلك يجب ان يكون التحرز بطاعة الله سبحانه وقبيل الشيطان يريد نوعه وصنفه وذريته والشيطان موجود وهو جسم قال النووي وروينا في كتاب ابن السني عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر ما بين اعين الجن وعورات بني ادم ان يقول الرجل المسلم اذا اراد ان

بطرح ثيابه بسم الله الذي لا اله الا هو انتهى وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ستر ما بين الجن وعورات بني ادم اذا دخلوا الكنف ان يقولوا بسم الله رواه
الترمذي وقال اسناده ليس بالقوي قال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم يجوز
ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعا
واما الاحكام كالحلال والحرام والبيع والنكاح والطلاق وغير ذلك فلا يعمل فيها الا بالحديث الاحكام
الصحيح او الحسن الا ان يكون في احتياط شيء من ذلك كما اذا ورد حديث ضعيف
بكراهة بعض البيوع او الانكحة فان المستحب ان يتنزه عنه ولكن لا يجب انتهى ونحوه لابي
عمر بن عبد البر في كتاب فضل العلم ثم اخبر تعالى عز وجل انه صير الشياطين اولياء اي
صحابة ومداخلين للكفرة الذين لا ايمان لهم وقوله واذا فعلوا وما بعده داخل في
صفة الذين لا يؤمنون والفاحشة في هذه الاية وان كان اللفظ عاما هي كشف العورة
عند الطواف فقد روي عن الزهري انه قال ان في ذلك نزلت هذه الايات وقاله ابن عباس
ومجاهد وقوله عز وجل قل امر ربي بالقسط تضمن معنى اقسطوا ولذلك عطف عليه
قوله واقيموا حملا على المعنى والقسط العدل واختلف في قوله سبحانه واقيموا وجوهكم عند كل مسجد
فقال مجاهد والسدي اراد الى الكعبة والمقصد على هذا شرع القبلة والتزامها وقيل اراد الامر
باحضار النية لله في كل صلاة والقصد نحوه كما تقول وجهت وجهي لله قاله الربيع وقيل المراد اباحة
الصلاة في كل موضع من الارض اي حيث ما كنتم فهو مسجد لكم تلزمكم عند الصلاة اقامة
وجوهكم فيه لله عز وجل وقوله سبحانه كما بدأكم تعودون قال ابن عباس وقتادة ومجاهد
المعنى كما اوجدكم واخترعكم كذلك يعيدكم بعد الموت والوقف على هذا التاويل تعودون
وفريقا نصب بهدى والثاني منصوب بفعل تقديره وعذب فريقا وقال جابر بن عبد الله
وغيره وروي معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المراد الاعلام بان من سبقت له من الله
الحسنى وكتب سعيدا كان في الاخرة سعيدا ومن كتب انه من اهل الشقاء كان في الاخرة شقيا
ولا يتبدل من الامور التي احكمها ودبرها وانفذها شيء فالوقف على هذا التاويل في قوله تعودون
غير حسن وفريقا على هذا التاويل نصب على الحال والثاني عطف على الاول ويحسبون انهم
مهتدون معناه يظنون قال الطبري وهذه دليل على خطأ من زعم ان الله لا يعذب احدا على معصية
ركبها او ضلالة اعتقدها الا ان ياتيها على علم منه بموضع الصواب وقوله سبحانه يا بني ادم خذوا
زينتكم عند كل مسجد الاية هذا خطاب عام لجميع العالم كانه قدموا وامروا بهذه الاشياء بسبب
عصيان حاضري ذلك الموقف من مشركي العرب فيها والزينة الثياب الساترة قاله مجاهد
وغيره وعند كل مسجد اي عند كل موضع فهي اشارة الى الصلوات وستر العورة فيها قلت و
من المستحسن هنا ذكر شيء مما جاء في اللباس من احسن الاحاديث في ذلك واصحها ما رواه مالك في
الموطأ عن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ازرة المؤمن الى
انصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما اسفل من ذلك ففي النار قال ذلك ثلاث
مرات لا ينظر الله الى من جر ازاره بطرا وحدث ابو عمر في التمهيد بسنده عن ابن عمر قال فيما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الازار فهو في القميص يعني ما تحت الكعبين من القميص في النار

كما قال في الازار وقد روى ابو خيثمة زهير بن معاوية قال سمعت ابا اسحاق السبيعي يقول
ادركتهم وقمصهم الى نصف الساق او قريب من ذلك وكم احدهم لا يجاوز يده انتهى وروى ابو داود وود
عن اسماء بنت يزيد قالت كان يد كم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرسغ واما احب اللباس
فما رواه ابو داود عن ام سلمة قالت كان احب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص
انتهى وجاء في المسبل وعيد شديد وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل اسبل ازاره
ان هذا كان يصلي وهو مسبل ازاره وان الله لا يقبل صلاة رجل مسبل ازاره رواه ابو داود
انتهى وقوله سبحانه وكلوا واشربوا اباحة لما التزموه من تحريم اللحم والودك في ايام الموسم
قاله ابن زيد وغيره ويدخل في ذلك البحيرة والسائبة ونحو ذلك نص على ذلك قتادة
وقوله ولا تسرفوا معناه ولا تفرطوا قال اهل التاويل يريد تسرفوا بان تحرموا ما لم
يحرم الله عز وجل واللفظة تقتضي النهي عن السرف مطلقا ومن تلبس بفعل مباح فان مشى
فيه على القصد واوسط الامور فحسن وان افرط حصل ايضا من المسرفين وقال ابن عباس في
هذه الاية احل الله الاكل والشرب ما لم يكن سرفا او مخيلة قال ابن العربي قوله تعالى كلوا واشربوا
ولا تسرفوا الاسراف تعدي الحد فنهاهم الله سبحانه عن تعدي الحلال الى الحرام وقيل لا تزيدوا على قدر
الحاجة واختلف فيه على قولين فقيل حرام وقيل مكروه وهو الاصح فان قدر الشبع يختلف
باختلاف البلدان والازمان والاسنان والطعمان انتهى من احكام القرآن وقوله سبحانه قل من حرم زينة
الله التي اخرج لعباده اي قل لهم على جهة التوبيخ وزينة الله هي ما حسنته الشريعة وقررته
وزينة الدنيا كل ما اقتضته الشهوة وطلب العلو في الارض كالمال والبنين والطيبات قال
الجمهور يريد المحللات وقال الشافعي وغيره هي المستلذات اي من الحلال وانما قاد الشافعي الى هذا تحريمه
المستقذرات كالوزغ ونحوها فانه يقول هي من الخبائث قلت وقال مكي المعنى قل من حرم زينة
الله اي اللباس الذي يزين الانسان بان يستر عورته ومن حرم الطيبات من الرزق في الحج وقيل عني
بذلك ما كانت الجاهلية تحرمه من السوائب والبحائر انتهى وقوله سبحانه قل هي للذين امنوا
في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال ابن جبير المعنى قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا
ينتفعون بها في الدنيا ولا يتبعهم اثمها يوم القيامة وقال ابن عباس والضحاك والحسن وقتادة
وغيرهم المعنى هو ان يخبر صلى الله عليه وسلم ان هذه الطيبات الموجودات هي في الحياة الدنيا
للذين امنوا وان كانت ايضا لغيرهم معهم وهي يوم القيامة خالصة لهم اي لا يشركهم
احد في استعمالها في الاخرة وقرا نافع وحده خالصة بالرفع والباقون بالنصب وقوله
سبحانه كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون اي كما فصلنا هذه الاشياء المتقدمة الذكر
نفصل الايات اي نبين الامارات والعلامات والهدايات لقوم لهم علم ينتفعون به وقوله سبحانه
انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن الاية لما تقدم انكاره ما حرمه الكفار بارائهم
اتبعه بذكر ما حرم الله عز وجل والفواحش في اللغة ما فحش وشنع واصله من القبح
في النظر وهي هنا انما هي اشارة الى ما نص الشرع على تحريمه فكل ما حرمه الشرع فهو
فاحش والاثم لفظ عام في جميع الافعال والاقوال التي يتعلق بمرتكبها اثم هذا قول الجمهور
وقال بعض الناس هي الخمر وهذا قول مردود لان هذه السورة مكية وانما حرمت الخمر بالمدينة

بعد أحد والبغي التعدي وتجاوز الحد وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون من أنه حرم البحيرة
والسائبة ونحوه وقوله سبحانه ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
المعنى ولكل أمة أجل موقت لمجيء العذاب إذا كفروا وخالفوا أمر ربهم فأنتم أيتها الأمة كذلك
قاله الطبري وغيره وقوله ساعة لفظ عين به الجزء القليل من الزمن والمراد جميع أجزائه والمعنى
لا يستأخرون ساعة ولا أقل منها ولا أكثر وقوله عز وجل يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم
يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا
واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون الخطاب في هذه الآية لجميع العالم وإن
هي شرطية دخلت عليها ما مؤكدة وكان هذا الخطاب لجميع الأمم قديمها وحديثها هو متمكن
لهم ومتحصل منه لحاضري نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن هذا حكم الله في العالم منذ أنشأه
ويأتينكم مستقبل وضع موضع ماض ليفهم أن الإتيان باق وقت الخطاب لتقوى الإشارة
بصحة النبوءة إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا على مراعاة وقت نزول الآية وأسند الطبري
إلى أبي سيار السلمي قال إن الله سبحانه خاطب آدم وذريته فقال يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم
الآية قال ثم نظر سبحانه إلى الرسل فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم
وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون الحديث قال ع ولا محالة أن هذه المخاطبة
في الأزل وقيل المراد بالرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ذكره النقاش ويقصون أي يسردون
ويوردون والآيات لفظ جامع لآيات الكتب المنزلات وللعلامات التي تقترن بالأنبياء و
نفي الخوف والحزن يعم جميع أنواع المكاره وأنكادها وقوله سبحانه فمن أظلم ممن افترى على
الله كذبا أو كذب بآياته الآية هذه آية وعيد واستفهام على جهة التقرير أي لا أحد أظلم منه
والكتاب هو اللوح المحفوظ في قول الحسن وغيره وقيل ما تكتبه الحفظة ونصيبهم من ذلك
هو الكفر والمعاصي قاله مجاهد وغيره وقيل هو القرآن وحظهم فيه سواد الوجه يوم القيامة
وقال الربيع بن أنس وغيره المعنى بالنصيب ما سبق لهم في أم الكتاب من رزق وعمر وخير
وشر في الدنيا ورجحه الطبري واحتج له بقوله تعالى بعد ذلك حتى إذا جاءتهم رسلنا أي عند
انقضاء ذلك وكان معنى الآية على هذا التأويل أولئك يتمتعون ويتصرفون في الدنيا بقدر ما كتب
لهم حتى إذا جاءتهم رسلنا لموتهم وهذا تأويل جماعة وعلى هذا يترتب ترجيح الطبري وقالت
فرقة رسلنا يريد بهم ملائكة العذاب يوم القيامة ويتوفونهم معناه عندهم يستوفونهم
عددا في السوق إلى جهنم وقوله سبحانه حكاية عن الرسل أين ما كنتم تدعون استفهام تقرير
وتوبيخ وتوقيف على خزي وتدعون معناه تعبدون وتؤملون وقولهم ضلوا عنا
معناه هلكوا وتلفوا وفقدوا ثم ابتداء الخبر عن المشركين بقوله سبحانه وشهدوا
على أنفسهم أنهم كانوا كافرين وقوله سبحانه قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس
في النار هذه حكاية ما يقول الله سبحانه لهم يوم القيامة بواسطة ملائكة العذاب نسأل الله
العافية وعبر عن يقول بقال لتحقق وقوع ذلك وصدق القصة وهذا كثير وخلت حكاية
عن حال الدنيا أي ادخلوا في النار في جملة الأمم السابقة لكم في الدنيا الكافرة ت وكذا قدم
أبو حيان في جملة أمم قال وقيل في بمعنى مع أي مع أمم وقد تقدم له في البقرة أن في تجيء

للمصاحبة كقوله تعالى ادخلوا في أمم قد خلت انتهى وقد تقدم ذكر الجن لأنهم أعرق في الكفر
وإبليس أصل الضلالة والإغواء وهذه الآية نص في أن كفرة الجن في النار والذي يقتضيه
النظر أن مؤمنيهم في الجنة لأنهم عقلاء مكلفون مبعوث إليهم آمنوا وصدقوا وقد بوب
البخاري رحمه الله باب في ذكر الجن وثوابهم وعقابهم وذكر عبد الجليل أن مؤمني الجن
يكونون ترابا كالبهائم وذكر في ذلك حديثا مجهولا وما أراه يصح والله أعلم والأخت
في هذه الآية أخت الملة قال ص في النار متعلق بخلت أو بمحذوف وهو صفة لأمم أي في
أمم سابقة في الزمان كائنة من الجن والإنس كائنة في النار ويحتمل أن يتعلق بادخلوا على
أن في الأولى بمعنى مع والثانية للظرفية وإذا اختلف مدلول الحرفين جاز تعلقهما بمحل
واحد انتهى وادّاركوا معناه تلاحقوا أصله تداركوا أدغم فجلبت ألف الوصل وقال البخاري
اداركوا اجتمعوا انتهى وقوله سبحانه قالت أخراهم لأولاهم معناه قالت الأمم الأخيرة التي وجدت
ضلالات متقررة وسننا كاذبة مستعملة للأولى التي شرعت ذلك وافترت على الله وسلكت سبيل
الضلال ابتداء ربنا هؤلاء أضلونا أي طرقوا لنا طريق الضلال قال لكل ضعف أي عذاب مشدد
على الأول والآخر ولكن لا تعلمون أي المقادير وصور التضعيف وقوله سبحانه وقالت أولاهم
لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل أي قد استوت حالنا وحالكم فذوقوا العذاب بما كنتم
وهو من كلام الأمة المتقدمة للمتأخرة وقيل قوله فذوقوا من كلام الله عز وجل لجميعهم و
قوله سبحانه إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة
الآية هذه آية عامة لجميع الكفرة قديمهم وحديثهم وقرأ نافع وغيره لا تفتح بتشديد التاء الثانية
وقرأ أبو عمرو تفتح بالتاء أيضا وسكون الفاء وتخفيف التاء الثانية وقرأ حمزة يفتح بالياء من
أسفل وتخفيف التاء ومعنى الآية لا يرتفع لهم عمل ولا روح ولا دعاء فهي عامة في نفي
ما يوجب للمؤمنين قاله ابن عباس وغيره ثم نفى سبحانه عنهم دخول الجنة وعلق كونه بكون
محال وهو أن يدخل الجمل في ثقب الإبرة حيث يدخل الخيط والجمل كما عهد والسم كما عهد وقرأ
جمهور المسلمين الجمل واحد الجمال وقرأ ابن عباس وغيره الجمّل بضم الجيم وتشديد الميم وهو
حبل السفينة والسم ثقب الإبرة وغيرها وكذلك أي وعلى هذه الصفة وبمثل هذا
الحتم وغيره نجزي المشركين وأهل الجرائم على الله لهم من جهنم مهاد أي فراش ومسكن
ومضجع يتمهدونه وهي لهم غواش جمع غاشية وهي ما يغشى الإنسان أي يغطيه ويستره
من جهة فوق وقوله لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون هذه آية
وعد مخبرة أن جميع المؤمنين هم أصحاب الجنة ولهم الخلد فيها ثم اعترض بها القول بعقب
الصفة التي شرطها في المؤمنين باعتراض يخفف الشرط ويرجّي في رحمة الله ويعلم أن دينه
يسر وهذه الآية نص في أن الشريعة لا يتقرر من تكاليفها شيء لا يطاق وقد تقدم ذلك في سورة
البقرة والوسع معناه الطاقة وهو القدر الذي يتسع له قدر البشر وقوله سبحانه ونزعنا ما
في صدورهم من غل أخبار من الله عز وجل أنه ينقي قلوب ساكني الجنة من الغل والحقد وذلك أن
صاحب الغل متعذب به ولا عذاب في الجنة وورد في الحديث الغل على باب الجنة كمبارك الإبل
قد نزعه الله من قلوب المؤمنين والغل الحقد والإحنة الخفية في النفس وقالوا الحمد لله الذي

هدانا لهذا الاشارة بهذا تتجه ان تكون الى الايمان والاعمال الصالحة المؤدية الى الجنة ويحتمل
ان تكون الى الجنة نفسها اى ارشدنا الى طرقها وقرا ابن عامر وحده ما كنا لنهتدى بسقوط
الواو وكذلك هى فى مصاحف اهل الشام ووجهها ان الكلام متصل مرتبط بما قبله ولما
راوا تصديق ما جاءت به الانبياء عن الله سبحانه وعاينوا انجاز المواعيد قالوا لقد جاءت
رسل ربنا بالحق ونودوا اى قيل لهم بصياح وهذا النداء من قبل الله وان مفسرة لمعنى النداء
بمعنى اى وقوله بما كنتم تعملون لا على طريق وجوب ذلك على الله تعالى لكن بقرينة رحمته وتغمده
والاعمال امارة من الله سبحانه وطريق الى قوة الرجاء ودخول الجنة انما هو بمجرد رحمته والقسم
فيها على قدر العمل واورثتم مشيرة الى الاقسام وقوله سبحانه ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار
ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا الآية هذا النداء من اهل الجنة لاهل النار تقريع وتوبيخ
وزيادة فى الكرب وهو بان يشرفوا عليهم ويخلق الادراك فى الاسماع والابصار وقوله
سبحانه فاذن مؤذن بينهم اى اعلم معلم الظالمون هنا الكافرون وحكى غير واحد
ان طاووس دخل على هشام بن عبد الملك فقال له اتق الله واحذر يوم الاذان فقال وما يوم
الاذان قال قوله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين فصعق هشام فقال طاووس
هذا ذل الوصف فكيف ذل المعاينة انتهى ويبغونها عوجا اى يطلبونها او يطلبون لها والضمير
فى يبغونها عائد على السبيل وقوله سبحانه وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا
بسيماهم وبينهما اى بين الجنة والنار ويحتمل بين الجمعين والحجاب هو السور الذى ذكره
عز وجل فى قوله فضرب بينهم بسور له باب قاله ابن عباس وقال مجاهد الاعراف حجاب بين
الجنة والنار وقال ابن عباس ايضا هو تل بين الجنة والنار وذكر الزهراوى حديثا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان احدا جبل يحبنا ونحبه يمثل بين الجنة والنار يجلس عليه اقوام يعرفون
كلا بسيماهم هم ان شاء الله من اهل الجنة والاعراف جمع عرف وهو المرتفع من الارض ومنه
عرف الفرس وعرف الديك لعلوهما وقال بعض الناس سمى الاعراف اعرافا لان اصحابه يعرفون
الناس قال ع وهذه عجمة وانما المراد على اعراف ذلك الحجاب اى اعاليه وقوله رجال قال الجمهور انهم
رجال من البشر ثم اختلفوا فى تعيينهم فقال شرحبيل بن سعد هم المستشهدون فى سبيل الله الذين خرجوا
عصاة لآبائهم وذكر الطبرى فى ذلك حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم وانه تعادل عقوقهم
واستشهادهم وقال ابن عباس وغيره هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ووقع فى مسند
خيثمة بن سليمان فى آخر الجزء الخامس عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم توضع
الموازين يوم القيمة فتوزن الحسنات والسيئات فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صوابة دخل الجنة
ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صوابة دخل النار قيل يا رسول الله فمن استوت حسناته
وسيئاته قال اولئك اصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون وقيل غير هذا من التأويلات
قال ع واللازم من الآية ان على اعراف ذلك السور او على موضع مرتفع عن الفريقين
حيث شاء الله تعالى رجالا من اهل الجنة يتأخر دخولهم ويقع لهم ما وصف بالاعتبار
ويعرفون كلا بسيماهم اى بعلامتهم من بياض الوجوه وحسنها فى اهل الجنة وسوادها
وقبحها فى اهل النار الى غير ذلك من حيز هؤلاء وحيز هؤلاء وقوله لم يدخلوها وهم يطمعون

المراد به اهل الاعراف فقط وهو تأويل ابن مسعود والسدى وقتادة والحسن وقال والله
ما جعل ذلك الطمع فى قلوبهم الا لخير اراده بهم قال ع وهذا هو الاظهر الاليق مما قيل فى
هذه الآية ولا نظر لاحد مع قول النبى صلى الله عليه وسلم وقوله سبحانه ونادى اصحاب الاعراف رجالا
يعرفونهم يريد من اهل النار ما اغنى عنكم جمعكم ما استفهام بمعنى التقرير والتوبيخ وما الثانية
مصدرية وجمعكم لفظ يعم المال والاجناد والخول وقوله سبحانه اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم
الله برحمة ادخلوا الجنة اهل الاعراف هم القائلون اهؤلاء اشارة الى اهل الجنة والذين خوطبوا
هم اهل النار والمعنى اهؤلاء الضعفاء فى الدنيا الذين حلفتم ان الله لا يعبأ بهم قيل لهم ادخلوا
الجنة وقال النقاش اقسم اهل النار ان اصحاب الاعراف داخلون النار معهم فنادتهم الملائكة اهؤلاء
ثم نادت اصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وقرا عكرمة دخلوا الجنة على الاخبار بفعل ماض وقوله
سبحانه ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء الآية لفظ النداء يتضمن ان اهل
النار وقع لهم علم بان اهل الجنة يسمعون نداهم وجائز ان يكون ذلك وهم يرونهم بادراك
يجعله الله لهم على بعد السفل من العلو وجائز ان يكون ذلك والسور والحجاب المتقدم الذكر وروى
ان ذلك النداء هو عند اطلاع اهل الجنة عليهم وقوله سبحانه او مما رزقكم الله اشارة الى الطعام
قاله السدى فيقول لهم اهل الجنة ان الله حرم طعام الجنة وشرابها على الكافرين واجابة اهل الجنة
بهذا الحكم هو عن امر الله تعالى ومعنى قوله سبحانه الذين اتخذوا دينهم لهوا اى بالاعراض والاستهزاء
بمن يدعوهم الى الاسلام وغرتهم الحياة الدنيا اى خدعتهم بزخرفها واعتقادهم انها الغاية
القصوى وقوله سبحانه فاليوم ننساهم هو خبر من الله سبحانه عما يفعل بهم والنسيان هنا
بمعنى الترك اى نتركهم فى العذاب كما تركوا النظر للقاء هذا اليوم قاله ابن عباس وجماعة
وما كانوا عطف على ما من قوله كما نسوا ويحتمل ان تقدر ما الثانية زائدة ويكون قوله
وكانوا عطفا على قوله نسوا وقوله سبحانه ولقد جئناهم بكتاب الضمير فى جئناهم لمن تقدم
ذكره والكتاب اسم جنس واللام فى لقد لام قسم وقال يحيى بن سلام تم الكلام فى يجحدون
وهذا الضمير لمكذبى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو هذا ابتداء كلام آخر والمراد بالكتاب
القرآن وعلى علم معناه على بصيرة وقوله سبحانه هل ينظرون اى ينتظرون الا تأويله اى
ماله وعاقبته يوم القيمة قاله ابن عباس وغيره وقال السدى ماله فى الدنيا وقعة بدر وغيرها
ويوم القيمة ايضا ثم اخبر تعالى ان ما لهؤلاء الذين يوم القيمة يقع معهم ندمهم ويقولون
تأسفا على ما فاتهم من الايمان لقد جاءت رسل ربنا بالحق فالتأويل على هذا من آل يؤول
ونسوه يحتمل ان يكون بمعنى الترك ويأتى فى الآية بين قلت وهذا التقريب ترجح تأويل ابن سلام
المتقدم وقوله سبحانه ان ربكم الله الذى خلق السموات فى ستة ايام الآية خطاب عام يقتضى التوحيد
والحجة عليه بدلائله وجاء فى التفسير والاحاديث ان الله سبحانه ابتدأ الخلق يوم الاحد وكملت
المخلوقات يوم الجمعة وهذا كله والكشاف الكبير فى قدرة الله سبحانه سواء قال فى ستة ايام
ستة اصلها سدسة ابدلوا من السين تاء ثم ادغموا الدال فى التاء وتصغيرها سديس
وسديسة انتهى وقوله سبحانه ثم استوى على العرش معناه عند ابى المعالى وغيره من
حذاق المتكلمين بالملك والسلطان وخص العرش بالذكر تشريفا له اذ هو اعظم المخلوقات فهو

سبحانه الا له الخلق والامر الا استفتاح كلام واخذ المفسرون الخلق بمعنى المخلوقات اى هى كلها
ملكه واختراعه واخذوا الامر مصدرا من امر يأمر قال ع ويحتمل ان تؤخذ لفظة الخلق على
المصدر من خلق يخلق خلقا اى له هذه الصفة اذ هو الموجد للاشيا بعد العدم ويؤخذ
الامر على انه واحد الامور فيكون بمنزلة قوله واليه يرجع الامر كله والى الله ترجع الامور وكيف
ما تؤولت الاية فالجميع لله سبحانه وتبارك لا ينصرف فى كلام العرب فلا يقال منه يتبارك والعالمين
جمع عالم وقوله عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين هذا امر بالدعا وتعبد به
ثم قرن سبحانه بالامر به صفات تحسن معه وقوله تضرعا معناه بخشوع واستكانة والتضرع
لفظة تقتضى الجهر لان التضرع انما يكون باشارات جوارح وهيئات اعضاء تقترن بالطلب
وخفية يريد فى النفس خاصة وقد اثنى الله على ذلك فى قوله سبحانه اذ نادى ربه ندا خفيا ونحو هذا
قول النبى صلى الله عليه وسلم خير الذكر الخفى والشريعة مقررة ان السر فيما لم يعترض من اعمال
البر اعظم اجرا من الجهر ت ونحو هذا لابن العربى لما تكلم على هذه الاية قال الاصل فى الاعمال الفرضية
الجهر والاصل فى الاعمال النفلية السر وذلك لما يتطرق الى النفل من الريا والتظاهر بها فى
الدنيا والتفاخر على الاصحاب بالاعمال وقلوب الخلق جبلت بالميل الى اهل الطاعة انتهى من الاحكام و
قوله سبحانه انه لا يحب المعتدين يريد فى الدعاء وان كان اللفظ عاما والاعتداء فى الدعاء على وجوه
منها الجهر الكثير والصياح وفى الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون
اصم ولا غائبا ومنها ان يدعو فى محال ونحو هذا من التشطط وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى اسئلك الجنة وما قرب اليها
من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وقال البخارى انه لا يحب المعتدين
اى فى الدعاء وغيره انتهى ت قال الخطابى وليس معنى الاعتداء الاكثار فقد جاء عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال ان الله يحب الملحين فى الدعاء وقال اذا دعا احدكم فليستكثر فانما هو يسئل ربه
انتهى وروى ابو داود فى سننه عن عبد الله بن مغفل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
سيكون فى هذه الامة قوم يعتدون فى الطهور والدعاء انتهى وقوله سبحانه ولا تفسدوا فى الارض
الاية الفاظها عامة تتضمن كل فساد قل او كثر بعد صلاح قل او كثر والقصد بالنهى هو على العموم
وتخصيص شى دون شى فى هذا الحكم الا ان يقال على جهة المثال وقوله سبحانه وادعوه خوفا وطمعا
امر بان يكون الانسان فى حالة ترقب وتخوف وتامل لله عز وجل حتى يكون الخوف والرجا كالجناحين
للطائر يحملانه فى طريق استقامته وان انفرد احدهما هلك الانسان وقد قال كثير من العلماء ينبغى ان
يغلب الخوف الرجا طول الحياة فاذا جاء الموت غلب الرجاء وقد قال كثير من العلماء ان يكون الخوف
اغلب على المرء بكثير وهذا كله طريق احتياط ومنه تمنى الحسن البصرى ان يكون الرجل الذى هو
اخر من يدخل الجنة وتمنى سالم مولى ابى حذيفة ان يكون من اصحاب الاعراف ثم انس سبحانه بقوله
ان رحمة الله قريب من المحسنين وقوله سبحانه وهو الذى يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته
حتى اذا اقلت سحابا ثقالا الاية هذه اية اعتبار واستدلال وقرا عاصم الرياح بالجمع بشرا
بالباء المضمومة والشين الساكنة وروى عنه بشرا بضم الباء والشين ومن جمع الريح فى
هذه الاية فهو اسعد وذلك ان الرياح حيث وقعت فى القران فهى مقترنة بالرحمة كقوله ومن اياته

ان يرسل الرياح مبشرات واكثر ذكر الريح مفردة انما هو بقرينة عذاب كقوله سبحانه وفى عاد
اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وقد تقدم ايضاح هذا فى سورة البقرة ومن قرأ فى هذه الاية
الريح بالافراد فانما يريد به اسم الجنس وايضا فتقييدها بنشر يزيل الاشتراك والارسال فى الريح
هو بمعنى الاجرا والاطلاق ونشرا اى تنشر السحاب واما بشرا بضم الباء والشين فجمع بشير كنذير
ونذر والرحمة فى هذه الاية المطر وبين يدى اى امام رحمته وقدامها واقلت معناه رفعته من الارض
واستقلت به وثقالا معناه من الما والعرب تصف السحاب بالثقل والريح تسوق السحاب من ورائه
فهو سوق حقيقة والضمير فى سقناه عائد على السحاب ووصف البلد بالموت استعارة بسبب
شعثه وجدوبته والضمير فى قوله فانزلنا به يحتمل ان يعود على السحاب اى منه ويحتمل ان يعود على البلد
ويحتمل ان يعود على الريح وقوله تبارك وتعالى كذلك نخرج الموتى يحتمل مقصدين احدهما ان يراد
كهذه القدرة العظيمة هى القدرة على احياء الموتى وهذا مثال لها الثانى ان يراد ان هكذا نصنع
بالاموات من نزول المطر عليهم حتى يحيوا به حسبما وردت به الاثار فيكون الكلام خبرا لا مثالا وقوله
سبحانه والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه متممة للمعنى الاول فى الاية قبلها معرفة بعادة الله سبحانه
فى انبات الارضين فمن اراد ان يجعلها مثلا لقلب المؤمن وقلب الكافر كما هو يحكى عن ابن عباس
ومجاهد وقتادة والسدى فذلك مترتب لكن الفاظ الاية لا تقتضى ان المثال قصد به ذلك
والطيب هو الجيد التراب الكريم الارض وخص باذن ربه مدحا وتشريفا وهذا كما تقول
لمن تغض منه انت كما شا الله فهى عبارة تعطى فى مدح او ذم والخبيث هو السباخ ونحوها
من ردى الارض والنكد العسر القليل كذلك نصرف الايات اى هكذا نبين الامور ويشكرون معناه
يؤمنون ويثنون بالاء الله سبحانه قوله عز وجل لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم
اعبدوا الله مالكم من اله غيره انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأ من قومه انا لنراك
فى ضلال مبين قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربى
وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون قال الطبرى اقسم الله تعالى انه ارسل نوحا وكذا قال ابو حيان
لقد اللام جواب قسم محذوف انتهى وغيره بالرفع بدل من قوله من اله لانه فى موضع رفع ويجوز
ان يكون نعتا على الموضع لان التقدير مالكم اله غيره والملأ الجماعة من الاشراف قيل بانهم
يتمالؤون اى يملؤون النفس والعين ويحتمل من اذا تمالؤوا على امرهم وقولهم انا لنراك يحتمل
من رؤية البصر ويحتمل من رؤية القلب وهو الظاهر فى ضلال اى فى اتلاف وجهالة بما تسلك
وقوله لهم جوابا عن هذا ليس بى ضلالة مبالغة فى حسن الادب والاعراض عن الجفاء منهم وتناول
رفيق وسعة صدر حسبما تقتضيه خلق النبوة وقوله ولكنى رسول تعرض لمن يريد النظر
والبحث والتامل فى المعجزة وقوله عليه السلام واعلم من الله ما لا تعلمون لفظ مضمنه الوعيد
لا سيما وهم لم يسمعوا قط بامة عذبت وقوله اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم
لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه فى الفلك واغرقنا الذين
كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين الاستفهام على جهة التقرير والتوبيخ وقوله على رجل منكم
لينذركم قيل على بمعنى مع وقيل هو على حذف مضاف تقديره على لسان رجل ويحتمل ان يكون
معناه منزل على رجل منكم اذ كل ما ياتى من الله سبحانه فله حكم النزول ولعلكم ترج بحسب حال

نوح ومعتقد وقوله سبحانه فانجيناه والذين معه الاية وفي التفسير ان الذين كانوا
مع نوح في السفينة اربعون رجلا وقيل ثمانون رجلا وثمانون امراة وقيل عشرة وقيل
ثمانية قاله قتادة وقيل سبعة والله اعلم وفي كتب الحديث للترمذي وغيره ان جميع الخلق
الآن من ذرية نوح عليه السلام وقوله عمين جمع عم وبريد عمي البصائر وانبئ في الحديث
الشفاعة وغيره ان نوحا اول الرسل وقوله سبحانه والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون قال الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة
وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم
رسالات ربي وانا لكم ناصح امين عاد اسم الحي وهم عرب فيما يذكر واخاهم نصب بارسلنا
وهو معطوف على نوح وهذه ايضا نذارة من هود عليه السلام وقوله افلا تتقون استعطاف
الى التقوى والايمان وقوله اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا اجئتنا
لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين وقوله وزادكم
في الخلق اي في الخلقة والبسطة الكمال في الطول والعرض قيل زادكم على اهل عصركم وقال الطبري
زادكم على قوم نوح وقاله قتادة قال ع واللفظ يقتضي ان الزيادة على جميع العالم وهو الذي يقتضيه
ما يذكر عنهم وروي ان طول الرجل منهم كان مائة ذراع وطول اقصرهم ستون ونحو هذا والآلاء جمع
الى على معنى وهي النعمة ومنه قال الطبري وعاد هولاء فيما حدث ابن اسحاق من ولد عاد بن ارم بن ارم
ابن عوص بن سام بن نوح وكانت مساكنهم الشحر ما والى حضرموت الى عمان قال السدي وكانوا بالاحقاف
وهي الرمال وكانت بلادهم اخصب بلاد فردها الله صحاري وفي علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان قبر
هود عليه السلام هنالك في كثيب احمر تخالطه مدرة ذات اراك وسدر وكانوا قد فشوا في جميع
الارض وملكوا كثيرا بقوتهم وعددهم وظلموا الناس وكانوا ثلاث عشرة قبيلة وكانوا اصحاب
اوثان فبعث الله اليهم هودا من افضلهم واوسطهم نسبا فدعاهم الى توحيد الله سبحانه والى
ترك الظلم قال ابن اسحق لم يامرهم فيما يذكر بغير ذلك فكذبوه وعتوا واستمروا على ذلك الى ان
اراد الله تعالى انفاذ امره امسك عنهم المطر ثلاث سنين فشقوا بذلك وكان الناس في ذلك الزمان
اذا دهمهم امر فزعوا الى المسجد الحرام بمكة فدعوا الله فيه تعظيما له مؤمنهم وكافرهم
واهل مكة يومئذ العماليق وسيدهم رجل يسمى معاوية بن بكر فاجتمعت عاد على ان تجهز منهم وفدا الى
مكة يستسقون الله لهم فبعثوا قيل بن عنز ولقيم بن هزال وعتيل بن صند بن عاد الاكبر ومرثد بن
ابن سعد وكان هذا مؤمنا يكتم ايمانه وجلهمة بن الخيبري في سبعين رجلا من قومهم فلما قدموا
مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم فانزلهم واقاموا عنده شهرا
يشربون وتغنيهم الجرادتان قينتا معاوية ولما راى معاوية اقامتهم وقد بعثهم عاد للغوث
اشفق على عاد وكان ابن اختهم امه كلهدة ابنة الخيبري اخت جلهمة وقال هلك اخوالي و
علي ان يامر اضيافه بالانصراف عنه فشكا ذلك الى قينتيه فقالتا اصنع شعرا نغني به عسى
ان ننبههم فقال شعرا

الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يصبحنا غماما
فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا لا يبينون الكلاما

من ارض اليمن و

من العطش الشديد فليس نرجو به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير فقد امست نساؤهم عياما
وان الوحش ياتيهم جهارا ولا تخشى لعادي سهاما
وانتم هاهنا فيما اشتهيتم نهاركم وليلكموا التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلاما

فغنت به الجرادتان فلما سمعت القوم قال بعضهم يا قوم انما بعثكم قومكم لما حل بهم فادخلوا
هذا الحرم وادعوا لعل الله يغيثهم فخرجوا لذلك فقال لهم مرثد بن سعد انكم والله ما تسقون
بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وامنتم سقيتم واظهر ايمانه يومئذ فخالفه الوفد وقالوا لمعاوية
ابن بكر احبس عنا مرثدا ولا يدخل معنا الحرم فانه قد اتبع هودا ومضوا الى الحرم فاستسقى قيل
ابن عنز وقال يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشا الله سبحانه
سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداهم مناد من السحاب يا قيل اختر لنفسك ولقومك
من هذا السحاب فقال قيل قد اخترت السوداء فانها اكثر ماء فنودي قد اخترت رمادا رمددا
لا تبقي من عاد احدا لا والدا ولا ولدا الا جعلتهم همدا وساق الله السحابة السوداء التي اختارها
قيل الى عاد حتى خرجت عليهم من واد يقال له المغيث فلما راوها قالوا هذا عارض ممطرنا
حتى عرفت انها ريح امراة من عاد يقال لها مهدد فصاحت وصعقت فلما افاقت قيل لها ما رايت
قالت رايت ريحا كشهب النار امامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام
حسوما والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد احدا الا اهلكته فاعتزل هود ومن معه من المؤمنين في
حظيرة ما يصيبه من الريح الا ما يلتذ به قال ع وهذه قصص وقع في تفسير الطبري مطولة وفي
غير ذلك فاقتضبت عيون ذلك بحسب الايجاز وفي خبرهم ان الريح كانت تدمغهم بالحجارة وترفع
الظعينة عليها المراة حتى تلقيها في البحر وفي خبرهم ان اقوياءهم كان احدهم يسد بنفسه
مهب الريح حتى تغلبه فتلقيه في البحر فيقوم اخر مكانه حتى هلك الجميع وقال زيد بن اسلم بلغني ان
ضبعا ربت اولادها في حجاج عين رجل منهم وفي خبرهم ان الله سبحانه لما اهلكهم بعث طيرا
فنقلت جيفهم حتى طرحتها في البحر وذلك قوله سبحانه فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم وفي بعض ما روي
من شانهم ان الريح لم تبعث قط الا بمكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة فغلبتهم فذلك
قوله سبحانه فاهلكوا بريح صرصر عاتية وروي ان هودا لما هلكت عاد نزل بمن آمن معه الى
مكة فكانوا بها حتى ماتوا والله اعلم اي ذلك كان وقولهم اجئتنا لنعبد الله وحده الاية ظاهر في
وحده انهم انكروا ان يتركوا اصنامهم ويفردوا العبادة لله مع اقرارهم بالاله الخالق
المبدع وهذا هو الاظهر فيهم وفي عباد الاوثان كلهم ولا يجحدون ربوبية الله تعالى الا من
افرطت غباوته وقولهم فاتنا بما تعدنا تصميم على التكذيب واستعجال للعقوبة وقوله سبحانه
قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم
ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه برحمة
منا الاية اعلمهم بان القضاء قد نفذ وحل عليهم الرجس وهو السخط والعذاب وقوله اتجادلونني
في اسماء اي في مسميات سميتموها آلهة وقطعنا دابر استعارة تستعمل فيمن يستاصل بالهلاك

والدابر الذي يدبر القوم ويأتي خلفهم فاذا انتهى القطع والاستيصال الى ذلك فلم يبق احد
وقوله كذبوا باياتنا دال على المعجزة وان لم تتعين ت ومن معجزاته قوله فكيدوني جميعا ثم
لا تنظرون على ما ياتي ان شاء الله تعالى في موضعه وقوله سبحانه والى ثمود اخاهم صالحا قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم اية فذروها
تأكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم وقرا الجمهور والى ثمود بغير صرف على انه
القبيلة وقرا يحيى بن وثاب والاعمش والى ثمود بالصرف على ارادة الحي والقراءتان فصيحتان
مستعملتان وقد قال تعالى الا ان ثمود اكفروا ربهم واخاهم عطف على نوح والمعنى وارسلنا
الى ثمود اخاهم وهي اخوة نسب وهم قوم عرب فهود وصالح عربيان وكذلك اسمعيل
عليه السلام نظر قلت النظر الذي اشار اليه لا يخفى عليك وذلك ان اسمعيل والده ابراهيم عليهما
السلام اعجمي وتعلم اسمعيل العربية من العرب الذين نزلوا عليه بمكة حسبما ذكره اهل السير
فهذا وجه النظر الذي اشار اليه وفي نظره رحمه الله نظر يمنعني من البحث معه ما انا قاصد
من الايجاز والاختصار دون البسط والانتشار نعم خرج ابو بكر الاجري من حديث ابي ذر رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال واربعة من العرب هود وشعيب وصالح ونبيك
يا ابا ذر انتهى ولم يذكر اسمعيل فهذا الحديث قد يعضد ما قال ع وصالح عليه السلام هو صالح
ابن عبيد بن عابر بن ارم بن سام بن نوح كذا ذكر مكي قال وهب بعثه حين راهق الحلم ولما
هلك قومه ارتحل بمن معه الى مكة فاقاموا بها حتى ماتوا فقبورهم بين دار الندوة والحجر وكذا
ارتحل هود بمن معه الى مكة صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وقوله قد جاءتكم بينة اي اية
او حجة او موعظة بينة من ربكم قال بعض الناس ان صالحا جاء بالناقة من تلقاء نفسه
وقال الجمهور بل كانت مقترحة وهذا اليق بما ورد في الاثار من امرهم روي ان قومه طلبوا منه
اية تضطرهم الى الايمان وقالوا يا صالح ان كنت صادقا فادع لنا ربك يخرج لنا من هذه الهضبة
وفي بعض الروايات من هذه الصخرة لصخرة بالحجر ناقة عشراء فدعا الله فتمخضت تلك
الهضبة وانشقت عن ناقة عظيمة وروي انها كانت حاملا فولدت سقبها المشهور وروي
انه خرج معها فصيلها من الصخرة وقيل لها ناقة الله تشريفا لها وتخصيصا وهي اضافة
خلق الى خالق وجعل الله لها شربا يوما ولهم شرب يوم وكانت في شربها وحلبها في المفسرين
وكانت خلقا عظيما تاتي الى الماء بين جبلين فيزحمانها من العظم وقد سمت ثمود الماء في يوما
بيوم وكانت الناقة ترد يومها فتستوفي ماء بيرهم شربا ويحلبونها ما شاء والله من لبن ثم
تمكث يوما وترد بعد ذلك غبا فاستمر ذلك ما شاء الله حتى ملتها ثمود وقالوا ما نصنع
باللبن الماء احب الينا منه وكان سبب الملل فيما روي انها كانت تصيف في بطن الوادي وادي
الحجر وتشتو في ظاهره وكانت مواشيهم تفر منها فتمالوا على ملل الناقة وروي ان صالحا
اوحى الله اليه ان قومك سيعقرون الناقة وينزل بهم العذاب عند ذلك فاخبرهم
بذلك فقالوا عياذا بالله ان نفعل ذلك فقال ان لم تفعلوا انتم اوشك ان يولد فيكم
من يفعله وقال لهم صفته عاقرها احمر اشقر ازرق اللون فولد قدار على الصفة المذكورة
فكان الذي عقرها بالسيف وقيل بالسهم في ضرعها وهرب فصيلها عند ذلك فصعد على

جبل يقال له القارة فرغا ثلاثا فقال صالح هذا ميعاد ثلاثة ايام للعذاب وامرهم قبل
رغاء الفصيل ان يصلوا اليه فيندفع عنهم العذاب به فراموا الصعود اليه في الجبل
فارتفع الجبل في السماء حتى ما تناله الطير وحين رغا الفصيل وروي ان صالحا عليه
السلام قال لهم حين رغا الفصيل ستصفر وجوهكم في اليوم الاول وتحمر في الثاني
وتسود في الثالث فلما ظهرت العلامة التي قال لهم ايقنوا بالهلاك واستعدوا
ولطخوا ابدانهم بالمر وحفروا القبور وتحنطوا وتكفنوا في الانطاع فاخذتهم
الصيحة وخرج صالح ومن امن معه حتى نزل رملة فلسطين وقد اكثر الناس في هذا
القصص وهذا القدر كاف ومن اراد استيفاء هذا القصص فليطالع الطبري
قال ع وبلاد ثمود هي بين الشام والمدينة وهي التي مر بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع المسلمين في غزوة تبوك فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا فيصيبكم مثل
ما اصابهم ثم اعتجر بعمامته واسرع السير حتى جاز الوادي صلى الله عليه وسلم قلت ولفظ
البخاري ثم قنع راسه واسرع السير الحديث وقوله سبحانه واذكروا اذ جعلكم خلفاء من
بعد عاد وبواكم في الارض معناه مكنكم وهي مستعملة في المكان وظروفه والقصور
جمع قصر وهي الدور التي قصرت على بقاع من الارض مخصوصة بخلاف بيوت العمود
وقصرت عن الناس قصرا تاما والنحت النجر في الشيء الصلب كالحجر والعود ونحوه وكانوا
ينحتون الجبال لطول اعمارهم وتعثوا معناه تفسدوا قاله ابو حيان ومفسدين حال مؤكدة
انتهى والذين استكبروا هم الاشراف والعظماء الكفرة والذين استضعفوا هم العامة
والاغفال في الدنيا وهم اتباع الرسل وقولهم اتعلمون استفهام على معنى الاستهزاء و
الاستخفاف فاجاب المؤمنون بالتصديق والصرامة في دين الله فحملت الانفة الاشراف على
مناقضة المؤمنين في مقالتهم واستمروا على كفرهم وقوله سبحانه فعقروا الناقة يقتضي
بتشريكهم اجمعين في الضمير ان عقر الناقة كان على تمالئ منهم واتفاق وكذلك روي ان قدارا
لم يعقرها حتى كان يستشير وعتوا معناه خشنوا وصلبوا ولم يذعنوا للامر والشرع وصمموا
على تكذيبه واستعجلوا النقمة بقولهم ائتنا بما تعدنا فحل بهم العذاب والرجفة ما تؤثره
الصيحة او الطامة التي يرجف بها الانسان وهو ان يتحرك ويضطرب ويرتعد ومنه
فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده وروي ان صيحة ثمود كان فيها من كل
صوت مهول وكانت مفرطة شقت قلوبهم فجثموا على صدورهم والجاثم اللاطئ بالارض
على صدره فجاثمين معناه باركين قد صعق بهم وهو تشبيه بجثوم الطير وجثوم الرماد
وقال بعض المفسرين معناه حمما محترقين كالرماد الجاثم وذهب صاحب هذا القول الى
ان الصيحة اقترن بها صواعق محرقة وروي ان الصيحة اصابت كل من كان منهم في شرق
الارض وغربها الا رجلا كان في الحرم فمنعه الحرم ثم هلك بعد خروجه من الحرم ففي
مصنف ابي داود قيل يا رسول الله من ذلك الرجل قال ابو رغال وذكره الطبري ايضا
عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الخبر يرد ما في السيرة ان ابا رغال هو دليل الفيل وقوله
فتولى عنهم اي تولى عنهم وقت عقر الناقة وذلك قبل نزول العذاب وكذلك روي انه عليه

السلام خرج من بين اظهرهم قبل نزول العذاب وهو الذي يقتضيه مخاطبته لهم ويحتمل ان
يكون خطابه لهم وهم موتى على جهة التفجع عليهم وذكر حالهم او غير ذلك كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم
اهل قليب بدر قاله الطبري وقيل انه لم يهلك امة ونبيها معها وروي انه ارتحل بمن معه حتى جاء مكة فاقام
بها حتى مات ولفظ التولي يقتضي اليأس من خيرهم واليقين في اهلاكهم وقوله ولكن لا تحبون
الناصحين عبارة عن تغليبهم الشهوات على الرأي السديد اذ كلام الناصح صعب مضاد للشهوة الذي ينصح
ولذلك تقول العرب امر مبكياتك لا امر مضحكاتك وقوله سبحانه ولوطا اذ قال اتأتون الفاحشة لقومه
ما سبقكم بها من احد من العالمين انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون وما
كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امراته
كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين • لوط عليه السلام ونصبه
اما بارسلنا المتقدمة في الانبياء واما بفعل محذوف تقديره واذكر لوطا والفاحشة اتيان الذكور في
الادبار وروي انه لم تكن هذه المعصية في امة قبلهم وحكم هذه الفاحشة عند مالك وغيره الرجم احصن
او لم يحصن وحرق ابو بكر الصديق رضي الله عنه رجلا عمل عمل قوم لوط وقرا نافع وغيره انكم على الخبر
كأنه فسر الفاحشة والاسراف الزيادة المفسدة ولم تكن مراجعة قومه بالحجاج منهم ولا بمدافعة عقلية
وانما كانت بكفر وخذلان ويتطهرون معناه يتنزهون عن حالنا وعادتنا قال قتادة عابوهم
بغير عيب وذموهم بغير ذم واستثنى الله سبحانه امراة لوط عليه السلام من الناجين واخبر انها هلكت
والغابر هو الباقي هذا هو المشهور في اللغة وقد يجيء الغابر بمعنى الماضي وكذا حكى اهل اللغة غبر بمعنى
بقي وبمعنى مضى وقوله سبحانه وامطرنا عليهم الاية اي بحجارة وروي ان الله تعالى بعث جبريل فاقتلعها بجناحه
وهي ست مدن وقيل خمس وقيل اربع فرفعها حتى سمع اهل السماء الدنيا صراخ الديكة ونباح الكلاب ثم عكسها
ورد اعلاها اسفلها وارسلها الى الارض وتبعتهم الحجارة مع هذا فاهلكت من كان منهم في سفر او خارجا
من البقع المرفوعة وقالت امراة لوط حين سمعت الوجبة واقوماه والتفتت فاصابتها صخرة فقتلتها
وقوله سبحانه والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من
ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها الاية فقيل
مدين اسم بلد وقطر وقيل اسم قبيلة وقيل هم اولاد مدين بن ابراهيم الخليل وهذا بعيد
روي ان لوطا هو جد شعيب لامه وقال المكي كان تزوج بنت لوط واخاهم منصوب بارسلنا
اول القصص والبينة اشارة الى معجزته ولا تبخسوا معناه ولا تظلموا ومنه قولهم تحسبها
حمقاء وهي باخس اي ظالمة خادعة وقال سوء في البخس هو النقص قلت ويحتمل والله اعلم
ان البخس هو ما اعتاده الناس من ذم السلع ليتوصلوا بذلك الى رخصها فتامله والله اعلم
بما اراد سبحانه قال ابو حيان ولا تبخسوا تتعدى الى مفعولين تقول بخست زيدا حقه اي نقصته
اياه انتهى واشياءهم يريد امتعتهم واموالهم ولا تفسدوا لفظ عام في دقيق الفساد
وجليله وكذلك الاصلاح عام ذلكم خير لكم اي عند الله ان كنتم مؤمنين اي بشرط الايمان
والا فلا ينفع عمل دون ايمان وتوحيد ولا تقعدوا بكل صراط الاية قال السدي هذا نهي
عن العشارين والمتقبلين ونحوه من اخذ اموال الناس بالباطل والصراط الطريق وذلك
انهم كانوا يكثرون من هذا لانه من قبيل بخسهم ونقصهم الكيل والوزن وقال ابو هريرة رضي

الله هو نهي عن السلب وقطع الطريق وكان ذلك من فعلهم وروي في ذلك حديثا عن النبي
صلى الله عليه وسلم وما تقدم من الاية يؤيد هذين القولين وقال ابن عباس وغيره قوله
ولا تقعدوا نهي لهم عما كانوا يفعلونه من رد الناس عن شعيب وذلك انهم كانوا يقعدون على
الطرقات المفضية الى شعيب فيتوعدون من اراد المجيء اليه ويصدونه وما بعد هذا من الالفاظ
يشبه هذا القول والضمير في به يحتمل ان يعود على اسم الله وان يعود على شعيب في قول من راى القعود على
الطرق للرد عن شعيب قاله الداودي وعن مجاهد وتبغونها عوجا يلتمسون لها الزيغ انتهى ثم عدد
عليهم نعم الله تعالى وانه كثرهم بعد قلة عددهم وقيل اغناهم بعد فقر ثم حذرهم ومثل لهم
بمن امتحن من الامم وقوله وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا الاية
قوله فاصبروا تهديد للطائفة الكافرة وقوله او لتعودن في ملتنا معناه او لتصيرن وعاد في كلام
العرب على وجهين احدهما عاد الشيء الى حال قد كان فيها قبل ذلك وهي على هذا الوجه لا تتعدى فان عديت
فبحرف ومنه قول الشاعر نظم الا ليت الشباب جديد • وعمر تولى يا بثين يعود • ومنه قول
الله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه والوجه الثاني ان تكون بمعنى صار وعاملة عملها ولا تتضمن
ان الحال قد كانت متقدمة ومنه قول الشاعر • تلك المكارم لا قعبان من لبن • شيبا بماء فعادا بعد ابوالا •
ومنه قول الآخر وعاد راسي كالثغام ومنه قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم على ان هذه محتملة
فقوله في الاية او لتعودن وشعيب عليه السلام لم يكن قط كافرا يقتضي انها بمعنى صار واما في
جهة المؤمنين به بعد كفرهم فيترتب المعنى الآخر ويخرج عنه شعيب وقوله او لو كنا كارهين توقيف
منه لهم على شنعة المعصية وطلب ان يقروا بالسنتهم باكراه المؤمنين على الاخراج ظلما وغشما
قال ص قد افترينا على الله هو بمعنى المستقبل لانه سد مسد جواب الشرط وهو ان عدنا وهو جوابه
على قول انتهى وقوله الا ان يشاء الله ربنا يحتمل ان يريد الا ان يسبق علينا من الله في ذلك سابق
سوء وينفذ منه قضاء لا يرد قال ع والمؤمنون هم المجوزون لذلك واما شعيب فقد عصمته
النبوة وهذا اظهر ما يحتمل القول ويحتمل ان يريد استثناء ما يمكن ان يتعبد الله به المؤمنين
مما يفعله الكفار من القربات وقيل ان هذا الاستثناء انما هو تستر وتأدب وقوله ربنا كل شيء علما
معنى وسع علم ربنا كل شيء كما تقول تصبب زيد عرقا اي تصبب عرق زيد ووسع بمعنى احاط
وقوله افتح معناه احكم وقوله على الله توكلنا استسلام لله سبحانه وتمسك بلطفه وذلك يؤيد
التأويل الاول في قوله الا ان يشاء الله وقوله سبحانه وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم
شعيبا الاية اي قال الملأ لاتباعهم ومقلديهم والرجفة الزلزلة الشديدة التي ينال الانسان معها
اهتزاز وارتعاد واضطراب فيحتمل ان فرقة من قوم شعيب هلكت بالرجفة وفرقة بالظلة ويحتمل
ان الرجفة والظلة كانتا في حين واحد قلت والرجفة هي الصيحة يرجف بها الفؤاد وكذلك
هو مصرح بها في قصة قوم شعيب في قوله سبحانه واخذت الذين ظلموا الصيحة الاية وقوله سبحانه
كان لم يغنوا الضمير في قوله عائد على الذين كذبوا ويغنوا معناه يقيموا بنعمة وخفض عيش وهذا فيها م
اللفظ فيه قوة الاخبار عن هلاكهم ونزول النقمة بهم والتنبيه على العبرة والاتعاظ بهم ونحو
هذا قول الشاعر نظم كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا • انيس ولم يسمر بمكة سامر • قال
ع فغنيت في المكان انما يقال في الاقامة التي هي مقترنة بتنعم وعيش مرضي وقوله يا قوم لقد ابلغتكم

رسالات ربي ونصحت لكم الآية يقتضي حزناً وإشفاقاً لما رأى هلاك قومه إذ كان أمله
فيهم غير ذلك ولما وجد في نفسه ذلك طلب أن يثير في نفسه سبب التسلي عنهم فجعل يعدد معاصيهم
وإعراضهم ثم قال لنفسه لما نظر وفكر فكيف آسى على قوم كافرين ونحو هذا قوله صلى
الله عليه وسلم لأهل قليب بدر وآسى معناه أحزن قال مكي وسلى شعيب بمن معه حتى سكن كمده
إلى أن ماتوا بها قوله جلت عظمته وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء
لعلهم يضرعون أخبر سبحانه أنه ما بعث نبياً في قرية وهي المدينة إلا أخذ أهلها المكذبين له
بالبأساء وهي المصائب في المال وعوارض الزمن والضراء وهي المصائب في البدن كالأمراض ونحوها
لعلهم يضرعون أي ينقادون إلى الإيمان وهكذا قولهم الحمى أضرعتني لك ثم بدلنا مكان السيئة وهي
البأساء والضراء الحسنة وهي السراء والنعمة حتى عفوا معناه كثروا يقال عفا النبات والريش
إذا كثر نباته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم احفوا الشوارب واعفوا اللحى ولما بدل الله
حالهم بالخير لطفاً بهم فنموا رأوا أن إصابة الضراء والسراء إنما هي بالاتفاق وليست بقصد
كما يخبر النبي صلى الله عليه وسلم واعتقدوا أنما أصابهم من ذلك إنما هو كالاتفاق الذي كان
لآبائهم فجعلوه مثالاً أي قد أصاب هذا آباءنا فلا ينبغي لنا أن ننكره ثم أخبر سبحانه أنه أخذ هذه
الطوائف التي هذا معتقدها وقوله سبحانه ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم
بركات من السماء والأرض الآية من بركات المطر والنبات وتسخير الرياح والشمس والقمر في مصالح
العباد وهذا بحسب ما يدركه نظر البشر ولله سبحانه خدام غير ذلك لا يحصى عددهم وما في
علم الله أكثر وقوله سبحانه أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون الآية تتضمن
وعيد الكافرين المعاصرين لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه لما أخبر عما فعل في الأمم الخالية
ومن يؤمن هؤلاء أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك وهذا استفهام على جهة التوقيف والبأس
العذاب ومكر الله هي إضافة مخلوق إلى الخالق والمراد فعل يعاقب به مكرة الكفرة والعرب تسمي
العقوبة باسم الذنب وقوله سبحانه أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها الآية هذه ألف
تقرير دخلت على واو العطف ويهدي معناه يبين فيحتمل أن يكون المبين هو الله سبحانه ويحتمل
أن يكون المبين قوله أن لو نشاء أي علمهم بذلك وقال ابن عباس ومجاهد وابن زيد يهدي معناه
يتبين وهذه أيضاً آية وعيد أي ألم يظهر لوارثي الأرض بعد أولئك الذين تقدم ذكرهم
وما حل بهم أنا نقدر لو شئنا أصبناهم بذنوبهم كما فعلنا بمن تقدم وفي العبارة وعظ بحال
من سلف من المهلكين وقوله سبحانه تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم
بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين تلك ابتداء والقرى قال
قوم هو نعت والخبر نقص وعندي أن القرى هي خبر الابتداء وفي ذلك معنى التعظيم لها ولمهلكها
كما قيل في قوله ذلك الكتاب وكما قال عليه السلام أولئك الملأ وكقول ابن الصلت تلك المكارم
وهذا كثير ثم ابتدأ سبحانه الخبر عن جميعهم بقوله ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا
ليؤمنوا بما كذبوا من قبل هذا الكلام يحتمل وجوهاً من التأويل أحدها أن يريد أن الرسول
جاء لكل فريق منهم فكذبوه لأول أمره ثم استبانت حجته وظهرت الآيات الدالة على صدقه
مع استمرار دعوته فلجوا في كفرهم ولم يؤمنوا بما سبق به تكذيبهم والثاني من الوجوه أن يريد

وقوله بغتة أي فجأة ولحقت أسف وبغتاً
للسابقين ثم في تقديم حلمه سبحانه م

فما كان آخرهم في الزمن ليؤمن بما كذب به أولهم في الزمن بل مشى بعضهم على سنن بعض في
الكفر أشار إلى هذا التأويل النقاش والثالث أنهم لو ردوا من الآخرة إلى الدنيا لم يكن منهم
إيمان قاله مجاهد وقرنه بقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه والرابع أنه يحتمل فما كانوا ليؤمنوا
بما سبق في علم الله سبحانه أنهم مكذبون به وذكر هذا التأويل المفسرون وقوله سبحانه وما وجدنا
لأكثرهم من عهد الآية أخبر سبحانه أنه لم يجد لأكثرهم ثبوتاً على العهد الذي أخذه سبحانه على ذرية آدم
وقت استخراجهم من ظهره قاله أبو العالية عن أبي بن كعب ويحتمل أن يكون المعنى وما وجدنا لأكثرهم
التزام عهد وقبول وصاة مما جاءتهم به الرسل عن الله ولا شكر أنعم الله عز وجل قال ص لأكثرهم
يحتمل أن يعود على الناس أو على أهل القرى أو الأمم الماضية انتهى قوله عز وجل ثم بعثنا من بعدهم
موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه فظلموا بها الآيات في هذه الآية عام في التسع وغيرها والضمير في
بعدهم عائد على الأنبياء المتقدم ذكرهم وعلى أممهم وقوله سبحانه فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين فيه وعيد وتحذير للكفرة المعاصرين لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله سبحانه
وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قرأ نافع
وحده علي بإضافة على إليه وقرأ الباقون على بسكون الياء قال الفارسي معنى هذه القراءة أن
على وضعت موضع الباء كأنه قال حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق وقال قوم حقيق صفة
لرسول تم عندها الكلام وعلى خبر مقدم وأن لا أقول ابتداء وإعراب أن على قراءة من سكن الياء
خفض وعلى قراءة من فتحها مشددة رفع وفي قراءة عبد الله حقيق أن لا أقول وهذه المخاطبة
إذا تؤملت غاية في التلطف ونهاية في القول اللين الذي أمر به النبي صلى الله عليه وسلم وقوله
قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين
البينة هنا إشارة إلى جميع آياته وهي على المعجزة منها أدل وهذا من موسى عليه السلام عرض
نبوته ومن فرعون استدعاء خرق العادة الدالة على الصدق وظاهر هذه الآية وغيرها أن
موسى عليه السلام لم تنبن شريعته إلا على بني إسرائيل فقط ولم يدع فرعون وقومه إلا إلى إرسال
بني إسرائيل وذكره لعله يتذكر أو يخشى وقوله فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين روي أن موسى
فلقيه ويجاوره فرعون فقال لأعوانه خذوه فألقى موسى العصى فصارت ثعباناً وهمت بفرعون
فهرب منها وقال السدي إنه أحدث وقال يا موسى كفه عني فكفه وقال نحوه سعيد بن جبير
ويقال إن الثعبان وضع أسفل الحية في الأرض وأعلاها على شرفات القصر والثعبان الحية
الذكر وهو أهول وأجرى قاله الضحاك وقال قتادة صارت حية أشعر ذكراً وقال ابن عباس غرزت
ذنبها في الأرض ورفعت صدرها إلى فرعون وقوله مبين معناه لا تخييل فيه بل هو بين
أنه ثعبان حقيقة ونزع يده معناه من جيبه أو من كمه حسب الخلاف في ذلك وقوله فإذا
هي بيضاء للناظرين قال مجاهد كاللبن أو أشد بياضاً وروي أنها كانت تظهر منيرة شفافة
كالشمس تأتلق وكان موسى عليه السلام آدم أحمر إلى السواد ثم كان يرد يده فترجع إلى
لون بدنه قال ع فهاتان الآيتان عرضهما عليه السلام للمعارضة ودعا إلى الله بهما وخرق
العادة بهما قلت وظاهر الآية كما قال وليس في الآية ما يدل على أنه أراد بإلقاء العصى [illegible]
والتخويف كما يدل عليه ما تقدم ذكره مما في القصص قوله عز وجل قال الملأ من قوم فرعون

ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون لا محالة انهم خافوا امر موسى
وجاله وظنوه كل المحال وقوله فماذا تامرون الظاهر انه من كلام الملأ بعضهم لبعض وقيل
هو من كلام فرعون لهم وروى كردم عن نافع تامرون بكسر النون وكذلك في الشعراء وما
استفهام وذا بمعنى الذي فهما ابتداء وخبر وفي تامرون ضمير عائد على الذي تقديره تامرون
به ويجوز ان تجعل ما بمنزلة اسم واحد في موضع نصب بتامرون ولا يضمر فيه على هذا و
قوله قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم اشار الملأ على
فرعون بان يؤخر موسى وهارون ويدع النظر في امرهما ويجمع السحرة وحكى النقاش انه لم يكن
يجالس فرعون ولد غية وانما كانوا اشرافا ولذلك اشاروا بالارجاء ولم يشيروا بالقتل
وقالوا ان قتلته دخلت على الناس شبهة ولكن اغلبه بالحجة وقوله سبحانه وجاء السحرة فرعون
قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين الاجر هنا الاجرة واختلف
الناس في عدد السحرة على اقوال كثيرة ليس لها سند يوقف عنده والحاصل من ذلك انهم
جمع عظيم وقوله سبحانه قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال القوا
فلما القوا سحروا اعين الناس وخير السحرة موسى في ان يتقدم او يتاخر وهذا فعل
المدل الواثق بنفسه والظاهر ان التقدم في التخيلات والمخارق انجح لان بديهتها تمضي
بالنفوس فليظهر الله امر نبوة موسى قوى نفسه ويقينه ووثق بالحق فاعطاهم التقدم
فنشطوا وسروا حتى اظهر الله الحق وابطل سعيهم وقوله سبحانه سحروا اعين الناس اي
لهم فعلا ما زائدا على ما يحدثونه من التزويق واسترهبوهم بمعنى ارهبوهم اي فزعوهم
ووصف الله سحرهم بالعظم ومعنى ذلك من كثرته وروي انهم جلبوا ثلثمائة وستين
بعيرا موقرة بالحبال والعصي فلما القوها تحركت وملأت الوادي يركب بعضها بعضا
فاستهول الناس ذلك واسترهبهم قال الزجاج قيل انهم جعلوا فيها زيبقا فكانت لا تستقر
قوله سبحانه واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون روي ان موسى عليه
السلام لما كان يوم الجمع خرج متوكئا على عصاه ويده في يد اخيه وقد صف له السحرة في عدد
عظيم حسبما ذكر فلما القوا واسترهبوا اوحى الله الى موسى فالقى فاذا هي ثعبان مبين فعظم
حتى كان كالجبل وروي ان السحرة لما القوا والقى موسى جعلوا يرقون وجعلت حبالهم تعظم
وجعلت عصى موسى تعظم حتى سدت الافق وابتلعت الكل وروي ان الثعبان استوفى تلك
الحبال والعصي اكلا واعدمها الله عز وجل ومد موسى يده الى فمه فعاد عصى كما كان فعلم السحرة
ان ذلك ليس من عند البشر فخروا سجدا مومنين بالله ورسوله وتلقف معناه تبتلع
وتزدرد وقرأ ابن جبير تلقم بالميم قوله سبحانه فوقع الحق الاية اي نزل ووجد وقال ابو حيان
فوقع اي ظهر والحق يريد به سطوع البرهان وظهور الاعجاز وما كانوا يعملون لفظ يعم سحر
السحرة وسعي فرعون وشيعته والضمير في قوله فغلبوا عائد على جميعهم ايضا وفي قوله فانقلبوا
صاغرين اي ان قدرنا انقلاب الجمع قبل ايمان السحرة فهم في الضمير وان قدرناه بعد ايمانهم
فليسوا في الضمير ولا لحقهم صغار لانهم امنوا واستشهدوا رضي الله عنهم وقوله سبحانه
والقى السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون قال فرعون امنتم به قبل

ان

ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين لما راى السحرة من عظيم القدرة ما تيقنوا به
نبوة موسى امنوا بقلوبهم وانضاف الى ذلك الاستهوال والاستعظام والفزع من قدرة الله عز
وجل فخروا لله سبحانه متطارحين قائلين بالسنتهم امنا برب العالمين رب موسى وهرون
قال ع وهرون اخو موسى اسن منه بثلاث سنين وقول فرعون امنتم به قبل ان اذن
لكم دليل على وهنه وضعف امره لانه انما جعل ذنبهم عدم اذنه والضمير في به يحتمل ان يعود على
اسم الله عز وجل ويحتمل ان يعود على موسى عليه السلام وعنفهم فرعون بالايمان قبل اذنه ثم
الزمهم ان هذا كان على اتفاق منهم وروي في ذلك عن ابن عباس وابن مسعود ان موسى اجتمع مع
رئيس السحرة واسمه شمعون فقال له موسى ارايت ان غلبتكم اتومنون بي فقال نعم فعلم بذلك
فرعون فلهذا قال ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة ثم توعدهم وقوله سبحانه قالوا انا الى
ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا الاية هذا استسلام
من مومني السحرة واتكال على الله سبحانه وثقة بما عنده وقرأ الجمهور تنقم بكسر القاف
ومعناه وما تعد علينا ذنبا تواخذنا به الا ان امنا قال ابن عباس وغيره فيهم اصبحوا
سحرة وامسوا شهداء قال ابن عباس لما امنت السحرة اتبع موسى ستمائة الف من بني اسرائيل
وقول ملإ فرعون اتذر موسى وقومه مقالة تتضمن اغراء فرعون وتحريضه وقوله
ويذرك والهتك روي ان فرعون كان في زمنه للناس الهة من بقر واصنام وغير ذلك
وكان فرعون قد شرع ذلك وجعل نفسه الاله الاعلى فقوله على هذا انا ربكم الاعلى انما هو
بالنسبة الى تلك المعبودات وقيل ان فرعون كان يعبد حجرا يعلقه في صدره كانه ياقوتة
او نحوها وعن الحسن نحوه وقوله سنقتل ابناءهم المعنى سنستمر على ما كان عليه من تعذيبهم
وقوله وانا فوقهم يريد في المنزلة والتمكن في الدنيا وقاهرون يقتضي تحقيرهم
اي هم اقل من ان يهتم بهم قلت وهذا من عدو الله تجلد والا فقد قال فيما اخبر الله
به عنه ان هولاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون وقوله
عز وجل قال موسى لقومه استعينوا بالله الاية لما قال فرعون سنقتل ابناءهم وتوعدهم
قال موسى لبني اسرائيل يثبتهم بالله ويعدهم عن الله استعينوا بالله والارض هنا ارض
الدنيا وهو الاظهر وقيل المراد هنا ارض الجنة واما في الثانية فارض الدنيا لا غير و
الصبر في هذه الدنيا يعم الانتظار الذي هو عبادة والصبر في المناجزات والباس وقولهم
اوذينا من قبل ان تاتينا يعنون به الذبح الذي كان في المدة التي كان فرعون يتخوف
فيها ان يولد المولود الذي يخرب ملكه ومن بعد ما جئتنا يعنون به وعيد فرعون وسائر
ما كان خلال تلك المدة من الاخافة لهم وقال ابن عباس والسدي انما قالت بنو اسرائيل
هذه المقالة حين اتبعهم فرعون واضطرهم الى البحر قال ع وبالجملة فهو كلام يجري مع
المعهود من بني اسرائيل من اضطرابهم على انبيائهم وقلة يقينهم واستعطاف موسى لهم بقوله
عسى ربكم ان يهلك عدوكم ووعده لهم بالاستخلاف في الارض يدل على انه يستدعي
نفوسا نافرة ويقوي هذا الظن في جهة بني اسرائيل سلوكهم هذا السبيل في غير ما قصة

وقوله فينظر كيف تعملون تنبيه وحض على الاستقامة وقد استخلفوا في مصر في زمن
داود وسليمان وقد فتحوا بيت المقدس مع يوشع قوله جلت عظمته ولقد اخذنا آل
فرعون بالسنين اي بالجدوب والقحوط وهذه سيرة الله في الامم وقوله ونقص من الثمرات
اي حتى روي ان النخلة من نخلهم لا تحمل الا ثمرة واحدة وقال نحوه رجاء بن حيان وفعل الله
سبحانه بهم هذا لينيبوا ويزدجروا عما هم عليه من الكفر اذ احوال الشدة ترقق القلوب
وترغب فيما عند الله سبحانه وقوله عز وجل فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم
سيئة يطيروا بموسى ومن معه الآية كان القصد في اصابتهم بالقحط والنقص من الثمرات
ان ينيبوا او يرجعوا فاذا هم قد ضلوا وجعلوها تشاؤما بموسى فكانوا اذا اتفق لهم
اتفاق حسن في غلات ونحوها قالوا هذه لنا وبسببنا واذا نالهم ضر قالوا هذا بسبب
موسى وشؤمه قاله مجاهد وغيره وقرأ الجمهور يطيروا بالياء وشد الطاء والياء الاخيرة
وقرأ طلحة بن مصرف وغيره تطيروا بالتاء وتخفيف الطاء وقرأ مجاهد تشاءموا بموسى بالتاء
من فوق وبلفظ الشؤم وقوله سبحانه الا انما طائرهم عند الله معناه حظهم ونصيبهم قاله
ابن عباس وهو ماخوذ من زجر الطير فسمي ما عند الله من القدر للانسان طائرا لما كان الانسان
يعتقد ان كل ما يصيبه انما هو بحسب ما يراه في الطائر فهي لفظة مستعارة وقوله مهما اصله
عند الخليل ماما فبدلت الالف الاولى هاء وقال سيبويه هي مه ما خلطتا وهي حرف واحد
لمعنى واحد وقال غيره معناها مه اي كف وما جزاء ذكره الزجاج وهذه الآية تتضمن
طغيانهم وعتوهم على انفسهم بالكفر والتجبر وقوله سبحانه فارسلنا عليهم الطوفان وقطعهم صح
الآية الطوفان مصدر من قولك طاف يطوف فهو عام في كل شيء يطوف الا ان استعمال العرب
له كثر في الماء والمطر الشديد قال ابن عباس وغيره الطوفان في هذه الآية المطر الشديد اصابهم
وتوالى عليهم حتى هدم بيوتهم وضيق عليهم وقيل طم فيض النيل عليهم وروي في كيفيته قصص
كثير وقالت عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الطوفان المراد في هذه الآية هو الموت
قلت ولو صح هذا النقل لم يبق لاحد مجال وروي ان الله عز وجل لما والى عليهم المطر غرق ارضهم
وامتنعوا من الزراعة فقالوا يا موسى ادع لنا ربك في كشف هذا الغرق ونحن نؤمن فدعا
فكشفه الله عنهم فانبتت الارض نباتا حسنا فنكثوا وقالوا ما نود انا لم نمطر وما هذا
الا احسان من الله الينا فبعث الله عليهم الجراد فاكل جميع ما انبتت الارض فروى ابن وهب
عن مالك انه اكل حتى ابوابهم واكل الحديد والمسامير وضيق عليهم غاية التضييق وترك الله
من نباتهم ما يقوم به الرمق فقالوا لموسى ادع لنا ربك في كشف الجراد ونحن نؤمن فدعا
فكشف ورجعوا الى كفرهم فبعث الله عليهم القمل وهي الدبا صغار الجراد الذي يثب
ولا يطير قاله ابن عباس وغيره وقرأ الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم فهي على هذا
القمل المعروف وروي ان موسى مشى بعصاه الى كثيب اهيل فضربه فانتشر كله قملا في
مصر ثم انهم قالوا ادع لنا ربك في كشف هذا فدعا فرجعوا الى طغيانهم وكفرهم
فبعث الله عليهم الضفادع فكانت تدخل في فرشهم وبين ثيابهم واذا هم الرجل
ان يتكلم وثب الضفدع في فمه وقال ابن جبير كان الرجل يجلس الى ذقنه في الضفادع

قال ابن عباس لما ارسلت الضفادع عليهم وكانت برية سمعت واطاعت فجعلت
تقذف انفسها في القدور وهي تغلي فاثابها الله بحسن طاعتها برد الماء فقالوا يا موسى
ادع في كشف هذا فدعا فكشف فرجعوا الى كفرهم فبعث الله عليهم الدم فرجع ماؤهم
الذي يستقونه ويحصل عندهم دما فروي انه كان يستقي القبطي والاسرائيلي باناء
واحد فاذا اخرج الماء الذي يلي القبطي يرجع دما والذي يلي الاسرائيلي ماء الى نحو هذا
وشبهه من العذاب بالدم المنقلب عن الماء هذا قول جماعة المتأولين وقال زيد بن اسلم انما
سلط الله عليهم الرعاف فهذا معنى قوله والدم وقوله آيات مفصلات التفصيل اصله في
الاجرام ازالة الاتصال فهو تفريق شيئين فاذا استعمل في المعاني فيراد به انه فرق بينها وازيل
اشتباكها واشكالها فيجيء من ذلك بيانها وقالت فرقة مفصلات يراد به مفرقات
بالزمن قال الفخر قال المفسرون كان العذاب يبقى عليهم من السبت الى السبت وبين العذاب
والعذاب شهر وهذا معنى قوله آيات مفصلات على هذا التأويل اي فصل بين بعضها
وبعض بزمان تمتحن فيه احوالهم وينظر ايقبلون الحجة والدليل ام يستمرون على الخلاف
والتقليد انتهى وقوله عز وجل ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد
عندك الآية والرجز العذاب والظاهر من الآية ان المراد بالرجز هنا العذاب المتقدم الذكر
من الطوفان والجراد وغيره وقال قوم ان الرجز هنا طاعون انزله بهم والله اعلم وهذا
يحتاج الى سند وقولهم بما عهد عندك لفظ يعم جميع الوسائل بين الله وبين موسى من طاعة
من موسى ونعمة من الله تبارك وتعالى ويحتمل ان يكون ذلك منهم على جهة القسم على موسى وقولهم
لئن كشفت اي بدعائك لنؤمنن ولنرسلن قسم وجوابه وهذا عهد من فرعون وملائه
وروي انه لما انكشف العذاب قال فرعون لموسى اذهب ببني اسرائيل حيث شئت فخالفه
بعض ملائه فرجع فنكث واذا هنا للمفاجاة والاجل يراد به غاية كل واحد منهم بما يخصه
من الهلاك والموت كما تقول اخرت كذا الى وقت وانت لا تريد وقتا بعينه فاللفظ متضمن
توعدا ما وكانوا عنها غافلين عما تضمنته الآيات من النجاة والهدى وقوله سبحانه واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها الآية الذين كانوا يستضعفون
كناية عن بني اسرائيل ومشارق الارض ومغاربها قال الحسن وغيره هي الشام وقالت فرقة
يريد الارض كلها وهذا يتجه اما على المجاز لانه ملكهم بلادا كثيرة واما على الحقيقة في
انه ملك ذريتهم وهو سليمان بن داود ويترجح التاويل الاول بوصف الارض بانها
التي باركنا فيها سبحانه وقوله سبحانه وتمت كلمة ربك الحسنى اي ما سبق لهم في علمه وكلامه
في الازل من النجاة من عدوهم والظهور عليه قاله مجاهد وقوله يعرشون قال ابن عباس
ومجاهد معناه يبنون قال ع رايت للحسن البصري رحمه الله انه احتج بقوله سبحانه وتمت
كلمة ربك الى اخر الآية على انه ينبغي ان لا يخرج على ملوك السوء وانما ينبغي ان يصبر عليهم
فان الله سبحانه يدمرهم ورايت لغيره انه اذا قابل الناس البلاء بمثله وكلهم الله اليه واذا
قابلوه بالصبر وانتظار الفرج اتى الله بالفرج وروي هذا ايضا عن الحسن وقوله سبحانه
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي بحر القلزم فاتوا على قوم قيل هم الكنعانيون وقيل هم

قوم من لخم وجذام والعكوف في كلام العرب هم الرجال خاصة يعكفون العكوف الملازمة على أصنام لهم قيل كانت بقرا وقال ابن جريج كانت تماثيل بقر من نحاس وعيدان ونحو وذلك كان فتنة العجل وقولهم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة يظهر منه استحسانهم لما رأوا من تلك الآلهة بجهلهم فأرادوا أن يكون ذلك في شرع موسى وفي جملة ما يتقرب به إلى الله وإلا فبعيد أن يقولوا لموسى اجعل لنا صنما نفرده بالعبادة ونكفر بربك وعلى هذا الذي قلت يقع التشبيه والذي نصه صلى الله عليه وسلم في قول أبي واقد الليثي اجعل لنا يا رسول الله ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله أكبر قلتم والله كما قال بنو إسرائيل اجعل لنا إلها كما لهم آلهة لتتبعن سنن من قبلكم الحديث ولم يقصد أبو واقد بمقالته فسادا وقال بعض الناس كان ذلك من بني إسرائيل كفرا ولفظة الإله تقتضي ذلك وهذا محتمل وما ذكرته أولا أصح والله أعلم قلت وقولهم هذا إلهكم وإله موسى وجواب موسى هنا يقوي الاحتمال الثاني نعم يجب أن يعتقد أن مثل هذه المقالة إنما صدرت من أشرارهم وقريبي العهد بالكفر قال الشيخ الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي ثم السهيلي ذكر النقاش في قوله تعالى فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم أنهم كانوا من لخم وكانوا يعبدون أصناما على صور البقر وأن السامري كان أصله منهم ولذلك نزع إلى عبادة العجل انتهى والله أعلم وهذا هو معنى ما تقدم من كلام قلت وقوله إن هؤلاء متبر ما هم فيه أي مهلك مدمر ردي العاقبة والتبار الهلاك وإناء متبر أي مكسور وكسارته تبر ومنه تبر الذهب لأنه كسارة وقوله فيه يعم جميع حالهم وباطل معناه فاسد ذاهب مضمحل وأبغيكم معناه أطلب ثم عدد عليهم في هذه الآية النعم التي يجب من أجلها أن لا يكفروا به ولا يرغبوا في عبادة غيره فقال وإذ أنجيناكم من آل فرعون الآيات ويسومونكم معناه يحملونكم ويكلفونكم ومساومة البيع ينظر إلى هذا فإن كل واحد من المتساومين يكلف صاحبه إرادته ثم فسر سوء العذاب بقوله يقتلون أبناءكم الآية وقوله سبحانه وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر الآية قال ابن عباس وغيره الثلاثين ليلة هي شهر ذي القعدة وأن العشر هي عشر ذي الحجة وروي أن الثلاثين إنما وعد بأن يصومها وأن مدة المناجاة هي العشر وحيث ورد أن المواعدة هي أربعون ليلة فذلك إخبار بجملة الأمر وهو في هذه الآية إخبار بتفصيله والمعنى في قوله وكلمه ربه أنه خلق له إدراكا سمع به الكلام القديم الذي هو صفة ذاته وكلام الله سبحانه لا يشبه كلام المخلوقين وليس في جهة من الجهات وكما هو موجود لا كالموجودات ومعلوم لا كالمعلومات كذلك كلامه لا يشبه الكلام الذي فيه علامات الحدوث وجواب لما في قوله قال والمعنى أنه لما كلمه الله عز وجل وخصه بهذه المرتبة طمحت همته إلى رتبة الرؤية وتشوق إلى ذلك فسأل ربه رؤيته ورؤية الله عند أهل السنة جائزة عقلا لأنه من حيث هو موجود تصح رؤيته قالوا لأن الرؤية للشيء لا تتعلق بصفة من صفاته أكثر من الوجود فموسى عليه السلام لم يسأل ربه محالا وإنما سأل جائزا وقوله سبحانه لن تراني ولكن انظر إلى الجبل الآية ليس بجواب من سأل محالا ولن تنفي الفعل المستقبل ولو بقينا مع هذا النفي بمجرده لقضينا أنه لا يراه موسى أبدا ولا في الآخرة لكن ورد من جهة أخرى بالحديث المتواتر أن أهل الإيمان يرون الله يوم القيامة فموسى

عليه

عليه السلام أحرى برؤيته قلت وأيضا قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة فهو نص في الرؤية وبينه صلى الله عليه وسلم ففي الترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة قال أبو عيسى وقد روي هذا الحديث من غير وجه مرفوعا وموقوفا انتهى قال مجاهد وغيره إن الله عز وجل قال لموسى لن تراني ولكن سأتجلى للجبل هو أقوى منك وأشد فإن استقر وأطاق الصبر لهيبتي فستمكنك رؤيتي قال ع فعلى هذا إنما جعل الله الجبل مثالا قلت وقول ابن عطية ولو بقينا مع هذا النفي بمجرده لقضينا أنه لا يراه موسى أبدا ولا في الآخرة قول مرجوح لم يتفطن له رحمه الله والحق الذي لا شك فيه أن لن لا تقتضي النفي المؤبد قال بدر الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ابن مالك في شرح التسهيل ولن كغيرها من حروف النفي في جواز كون استقبال المنفي بها منقطعا عند حد وغير منقطع وذكر الزمخشري في أنموذجه أن لن لتأبيد النفي وحامله على ذلك اعتقاده أن الله تعالى لا يرى وهو اعتقاد باطل لصحة ثبوت الرؤية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واستدل على عدم اختصاصها بالتأبيد بمجيء استقبال المنفي بها مغيا إلى غاية ينتهي بانتهائها كما في قوله تعالى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى وهو واضح انتهى ونحوه لابن هشام ولفظه ولا تفيد لن توكيد النفي خلافا للزمخشري في كشافه ولا تأبيده خلافا له في أنموذجه وكلاهما دعوى بلا دليل قيل ولو كانت للتأبيد لم يقيد منفيها باليوم في فلن أكلم اليوم إنسيا ولكان ذكر الأبد في فلن يتمنوه أبدا تكرارا والأصل عدمه انتهى من المغني وقوله سبحانه فلما تجلى ربه للجبل التجلي هو الظهور من غير تشبيه ولا تكييف وقوله جعله دكا المعنى جعله أرضا دكا يقال ناقة دكاء أي لا سنام لها وخر موسى صعقا أي مغشيا عليه قاله جماعة المفسرين قال ص وخر معناه سقط وقوله سبحانك أي تنزيها لك كذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تبت إليك معناه من أن أسألك الرؤية في الدنيا وأنت لا تبيحها فيها قال ع ويحتمل عندي أنه لفظ قاله عليه السلام لشدة هول المطلع ولم يعن التوبة من شيء معين ولكنه لفظ لائق بذلك المقام والذي يتحرر منه أهل السنة أن تكون توبته من سؤال المحال كما زعمت المعتزلة وقوله وأنا أول المؤمنين أي من قومه قاله ابن عباس وغيره أو من أهل زمانه إن كان الكفر قد طبق الأرض وأول المؤمنين بأنك لا ترى في الدنيا قاله أبو العالية وقوله سبحانه فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين فيه تأديب وتقنيع وحمل على جادة السلامة ومثال لكل أحد في حاله فإن جميع النعم من عند الله سبحانه بمقدار وكل الأمور بمرأى منه ومسمع وكتبنا له في الألواح من كل شيء أي من كل شيء ينفع في معنى الشرع وقوله لكل شيء مثله وقوله بقوة أي بجد وصبر عليها قاله ابن عباس وقوله بأحسنها يحتمل معنيين أحدهما التفضيل كما إذا عرض مثلا مباحان كالعفو والقصاص فيأخذون بالأحسن منهما والمعنى الثاني يأخذون بحسن وصف الشريعة بجملتها كما تقول الله أكبر دون مقايسة وقوله سبحانه سأريكم دار الفاسقين

الرؤية هنا رؤية عين هذا هو الاظهر الا ان المعنى يتضمن الوعد للمؤمنين والوعيد للفاسقين
ودار الفاسقين قيل هي مصر والمراد فرعون وقيل الشام والمراد العمالقة وقيل جهنم والمراد
الكفرة بموسى وقيل غير هذا مما يفتقر الى صحة اسناد وقوله جلت عظمته سأصرف عن آياتي
الذين يتكبرون في الارض المعنى سأمنع واصد قال سفيان بن عيينة الآيات هنا كل كتاب منزل
قال ابن عطية والمعنى عن فهمها وتصديقها وقال ابن جريج الآيات العلامات المنصوبة الدالة على
الوحدانية والمعنى عن النظر فيها والتفكر والاستدلال بها واللفظ يعم الوجهين والمتكبرون
بغير حق في الارض هم الكفار قلت ويدخل في هذا المعنى من تشبه بهم من عصاة المؤمنين ومعنى
في هذه الاية سأجعل الصرف عن الآيات عقوبة للمتكبرين على تكبرهم وقوله وان يروا كل آية
لا يؤمنوا بها حتم من الله على الطائفة التي قدر عليهم ان لا يؤمنوا وقوله ذلك اشارة الى
الصرف المتقدم وقوله سبحانه واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار
الخوار صوت البقر وقرأت فرقة له جوار بالجيم اى صياح ثم بين سبحانه سوء فطرهم وقرر
فساد اعتقادهم بقوله الم يروا انه لا يكلمهم الاية وقوله وكانوا ظالمين اخبار عن جميع احوالهم
ماضيا وحالا ومستقبلا وقد مر في البقرة قصة العجل فاغنى عن اعادته قال ابو عبيدة يقال
لمن ندم على امر وعجز عنه سقط في يده وقول بني اسرائيل لئن لم يرحمنا ربنا انما كان
بعد رجوع موسى وتغييره عليهم ورؤيتهم انهم قد خرجوا من الدين ووقعوا في الكفر
وقوله سبحانه ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا يريد رجع من المناجاة والاسف
قد يكون بمعنى الغضب الشديد واكثر ما يكون بمعنى الحزن والمعنيان مترتبان هنا
وعبارة ص غضبان صفة مبالغة والغضب غليان القلب بسبب ما يؤلم واسفا من اسف
فهو اسف كفرق فهو فرق يدل على ثبوت الوصف ولو ذهب به مذهب الزمان لقيل آسف
على وزن فاعل والاسف الحزن انتهى وقوله اعجلتم معناه اسابقتم قضاء ربكم واستعجلتم
اتياني قبل الوقت الذي قدر به قال سعيد بن جبير عن ابن عباس كان سبب القائه الالواح
غضبه على قومه في عبادتهم العجل وغضبه على اخيه في اهمال امرهم قال ابن عباس لما القاها
تكسرت فرفع اكثرها الذي فيه تفصيل كل شيء وبقي الذي في نسخته الهدى
والرحمة وهو الذي اخذ بعد ذلك قال ابن عباس كانت الالواح من زمرد وقيل من ياقوت
وقيل من زبرجد وقيل من خشب والله اعلم وقوله ابن ام استعطاف برحم الام اذ هو الصق
القرابات وقوله كادوا معناه قاربوا ولم يفعلوا وقوله ولا تجعلني مع القوم الظالمين
يريد عبدة العجل وقوله سبحانه ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة
في الحياة الدنيا وقد وقع ذلك النيل بهم في عهد موسى عليه السلام فالغضب والذلة
هو امرهم بقتل انفسهم وقال بعض المفسرين الذلة الجزية ووجه هذا القول ان الغضب
والذلة بقيت في عقب هؤلاء وقال ابن جريج الاشارة الى من مات من عبدة العجل قبل التوبة
بقتل الانفس والى من فر فلم يكن حاضرا وقت القتل والغضب من الله عز وجل ان اخذ
بمعنى الارادة فهو صفة ذات وان اخذ بمعنى العقوبة واحلال النقمة فهو صفة فعل وقوله
وكذلك نجزي المفترين المراد اولا اولئك الذين افتروا على الله سبحانه في عبادة

العجل وتكون قوة اللفظ تعم كل مفتر الى يوم القيامة وقد قال سفيان بن عيينة وابو قلابة
وغيرهما كل صاحب بدعة او فرية ذليل واستدلوا بالاية وقوله سبحانه والذين عملوا
السيئات الاية تضمنت وعدا بانه سبحانه يغفر للتائبين وقرأ معاوية بن قرة ولما سكن
عن موسى الغضب قال ابو حيان واللام في لربهم يرهبون مقوية لوصول الفعل وهو يرهبون
الى مفعوله المتقدم وقال الكوفيون زائدة وقال الاخفش لام المفعول له اى لاجل ربهم
انتهى قلت قال ابن هشام في المغني ولام التقوية هي المزيدة لتقوية عامل ضعف ما بالتأخير
نحو لربهم يرهبون وان كنتم للرؤيا تعبرون او لكونه فرعا في العمل نحو مصدقا لما معهم
فعال لما يريد وقد اجتمع التأخير والفرعية في وكنا لحكمهم شاهدين انتهى وقوله واختار
موسى قومه الاية قال الفخر قال جماعة النحويين معناه واختار موسى من قومه فحذف من
يقال اخترت من الرجال زيدا واخترت الرجال زيدا انتهى قال ع معنى هذه الاية ان موسى عليه السلام
اختار من قومه هذه العدة ليذهب بهم الى موضع عبادة وابتهال ودعاء فيكون منه ومنهم
اعتذار الى الله سبحانه من خطإ بني اسرائيل في عبادة العجل وقد تقدم في سورة البقرة قصصهم
قالت فرقة من العلماء ان موسى عليه السلام لما اعلمه الله سبحانه بعبادة بني اسرائيل العجل
وبصفته قال موسى اى رب ومن اخاره قال انا قال موسى فانت يارب اضللتهم ان هي الا
فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء اى الامور بيدك تفعل ما تريد قوله واكتب
لنا في هذه الدنيا حسنة الاية اكتب معناه اثبت واقض والكتب مستعمل في كل ما يخلد
وحسنة لفظ عام في كل ما يحسن في الدنيا من عافية وطاعة لله سبحانه وغير ذلك حسنة
الاخرة الجنة لا حسنة دونها ولا مرمى وراءها وهدنا بضم الهاء معناه تبنا وقوله سبحانه
قال عذابي اصيب به من اشاء يحتمل ان يريد بالعذاب الرجفة التي نزلت بالقوم ثم اخبر سبحانه
عن رحمته ويحتمل وهو الاظهر ان الكلام قصد به الخبر عن عذابه وعن رحمته وتصريفه
ذلك في خليقته كما يشاء سبحانه ويندرج في عموم العذاب اصحاب الرجفة وقرأ الحسن
ابن ابي الحسن وطاوس وعمرو بن فائد من اساء من الاساءة ولا تعلق فيه للمعتزلة ولطيب
القراء في التحفظ من هذه القراءة وحملهم على ذلك شحهم على الدين وقوله سبحانه ورحمتي وسعت
كل شيء قال بعض العلماء هو عموم في الرحمة وخصوص في قوله كل شيء والمراد من سبق علم الله
ان يرحمهم وقوله سبحانه فسأكتبها اى اقدرها واقضيها وقال نوف البكالي ان موسى عليه السلام
قال اجعلني وفادتي لامة محمد عليه السلام وقوله ويؤتون الزكاة المخصصة بالمال وروي عن ابن عباس
ان المعنى يؤتون الاعمال التي يزكون بها انفسهم وقوله سبحانه الذين يتبعون الرسول النبي الامي
الاية هذه الالفاظ اخرجت اليهود والنصارى من الاشتراك الذي يظهر في قوله فسأكتبها
للذين يتقون وخلصت هذه العدة لامة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وغيره
قلت وهذه الاية الكريمة معلمة بشرف هذه الامة على العموم في كل من آمن بالله تعالى واقر برسالة
النبي صلى الله عليه وسلم ثم هم يتفاوتون بعد في الشرف بحسب تفاوتهم في حقيقة
الاتباعية للنبي صلى الله عليه وسلم قال الغزالي رحمه الله في الاحياء وانما امته صلى الله
عليه وسلم من اتبعه وما اتبعه الا من اعرض عن الدنيا واقبل على الاخرة فانه ما دعا الا الى

الله واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما تعرض عن الدنيا وتقبل
على الآخرة تسلك سبيله الذي سلكه صلى الله عليه وسلم وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته
وبقدر ما اتبعته صرت من امته وبقدر ما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته
والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى انتهى فان
اردت اتباع النبي صلى الله عليه وسلم على الحقيقة واقتفاء اثره فابحث عن سيرته وخلقه في
كتب الحديث والتفسير قال ابن قطان في تصنيفه الذي صنفه في الآيات والمعجزات والقول في
زهده وعبادته وتواضعه وشمائله ومعاليه صلى الله عليه وسلم انه ملك من اقصى اليمن الى
صحراء عمان الى اقصى الحجاز ثم توفي عليه السلام وعليه دين ودرعه مرهونة في طعام لاهله ولم
يترك دينارا ولا درهما ولا شيد قصرا ولا غرس نخلا ولا شقق نهرا وكان ياكل على الارض ويجلس
على الارض ويلبس العبا ويجالس المساكين ويمشي في الاسواق ويتوسد يده ويلعق اصابعه ويرقع
ثوبه ويخصف نعله ويصلح خصته ويمتهن لاهله ولا ياكل متكئا ويقول انا عبد الله آكل كما ياكل
العبد ويقتص من نفسه ولا يرى ضاحكا ملء فيه ولو دعي الى ذراع لاجاب ولو اهدي اليه كراع لقبل
لا ياكل وحده ولا يضرب عبده ولا يمنع رفده ولا ضرب قط بيده الا في سبيل الله وقام حتى ورمت
قدماه فقيل له انفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا
شكورا وكان يسمع لجوفه ازيز كازيز المرجل من البكاء اذا قام بالليل صلى الله عليه وسلم وعلى
آله واتباعه صلاة دائمة الى يوم القيامة انتهى وقال الفخر قوله الذين يتبعون الرسول قال بعضهم الاشارة
بذلك الى من تقدم ذكره من بني اسرائيل والمعنى يتبعونه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا صفته في التوراة
وسيجدونه مكتوبا في الانجيل وقال بعضهم بل المراد من لحق من بني اسرائيل ايام النبي صلى الله عليه وسلم
فبين تعالى ان هؤلاء اللاحقين لا تكتب لهم رحمة الآخرة الا اذا اتبعوا النبي الامي قال الفخر وهذا
القول اقرب انتهى وقوله يجدونه اي يجدون صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ففي
البخاري وغيره عن عبد الله بن عمرو ان في التوراة من صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك
المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو
ويصفح ولن اقبضه حتى اقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله فيفتح به قلوبا غلفا
واذانا صما واعينا عميا وفي البخاري فيفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا ونص
كعب الاحبار نحو هذه الالفاظ الا انه قال قلوبا غلوفا واذانا صموما وقوله سبحانه يامرهم
بالمعروف الآية يحتمل ان يكون ابتداء كلام وصف به النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون متعلقا
بيجدونه في موضع الحال على تجوز اي يجدونه في التوراة امرا بشرط وجوده والمعروف ما عرف
بالشرع وكل معروف من جهة المروءة فهو معروف بالشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم بعثت
لاتمم محاسن الاخلاق والمنكر مقابله والطيبات عند مالك هي الحلال والخبائث هي المحرمات وكذلك
قال ابن عباس والاصر الثقل وبه فسر هنا قتادة وغيره والاصر ايضا العهد وبه فسر ابن عباس
وغيره وقد جمعت هذه الآية المعنيين فان بني اسرائيل قد كان اخذ عليهم عهد ان يقوموا باعمال ثقال
فوضع عنهم بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن جبير الاصر انما هو اسم جنس عنده يراد به الجميع و

والاغلال

والاغلال التي كانت عليهم عبارة مستعارة ايضا لتلك الاثقال كقطع الجلد من اثر البول
وان لا دية ولا بد من قتل القاتل الى غير ذلك هذا قول جمهور المفسرين وقال ابن زيد انما المراد بالاغلال
قول الله عز وجل في اليهود غلت ايديهم فمن آمن بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم زالت عنه الدعوة
وتغليها ومعنى عزروه اي وقروه فالتعزير والنصر مشاهدة خاصة للصحابة واتباع
النور يشترك فيه معهم المؤمنون الى يوم القيامة والنور كناية عن جملة الشرع وشبه الشرع وهداه
بالنور اذ القلوب تستضيء به كما يستضيء البصر بالنور وقوله سبحانه قل يا ايها الناس اني
رسول الله اليكم جميعا هذا امر من الله سبحانه لنبيه باشهار الدعوة العامة وهذه من
خصائصه صلى الله عليه وسلم من بين سائر الرسل فانه صلى الله عليه وسلم بعث الى
الناس كافة والى الجن وكل نبي انما بعث الى فرقة دون العموم وقوله سبحانه فآمنوا بالله
ورسوله الآية حض على اتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله الذي يؤمن بالله وكلماته
اي يصدق بالله وكلماته والكلمات هنا الآيات المنزلة من عند الله كالتوراة والانجيل وقوله
واتبعوه لفظ عام يدخل تحته جميع الزامات الشريعة جعلنا الله من متبعيه على ما يلزم بمنه
ورحمته فان اردت الفوز ايها الاخ فعليك باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم
شريعته وتعظيم جميع اسبابه قال عياض ومن اعظامه صلى الله عليه وسلم واكباره اعظام
جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته ومعاهده وما لمسه عليه السلام او عرف به
حدث ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى
باكيا منشدا

ولما راينا رسم من لم يدع لنا ... فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول عليه السلام انشا يقول

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ... قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرجال حرام
قربتنا من خير من وطئ الحصا ... فلها علينا حرمة وذمام

وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق ياتي الى بيت مولاه
راكبا لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت على قدمي قال عياض وجدير لمواطن عمرت
بالوحي والتنزيل. وتردد فيها جبريل وميكائيل. وعرجت منها الملائكة والروح وضجت
عرصاتها بالتقديس والتسبيح. واشتملت تربتها على جسد سيد البشر. وانتشر عنها
من دين الله وسنة رسوله ما انتشر. مدارس آيات. ومساجد وصلوات. ومشاهد
الفضائل والخيرات. ومعاهد البراهين والمعجزات. ان تعظم عرصاتها. وتتنسم نفحاتها.
وتقبل ربوعها وجدرانها. يا دار خير المرسلين ومن به. هدي الانام وخص بالآيات.
عندي لاجلك لوعة وصبابة. وتشوق متوقد الجمرات. الابيات انتهى من الشفا وقوله
سبحانه ومن قوم موسى امة يهدون اي يرشدون انفسهم وهذا الكلام يحتمل ان يريد به
وصف المؤمنين منهم على عهد موسى وما والى من الزمن فاخبر سبحانه انه كان في بني اسرائيل
على عتوهم وخلافهم من اهتدى واتقى وعدل ويحتمل ان يريد الجماعة التي آمنت بنبينا

محمد صلى الله عليه وسلم من بني اسرايل على جهة الاستجلاب لايمان جميعهم وقوله اسباطا بدل
من اثنتي والتمييز الذي بين العدد محذوف تقديره اثنتي عشرة فرقة او قطعة اسباطا و
قوله سبحانه واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتي عشرة عينا
قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام الاية انبجست بمعنى انفجرت وقد تقدم الكلام على هذه
المعاني في البقرة وقوله سبحانه واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وادخلوا الباب
سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل
لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون والقرية هي بيت المقدس وقيل اريحا وبدل
معناه غير اللفظ وقوله سبحانه واسالهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الاية قال بعض المتاولين
ان اليهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم قالوا ان بني اسرائيل لم يكن فيهم عصيان ولا معاندة
لما امروا به فنزلت هذه الاية موبخة لهم فسؤالهم انما هو على جهة التوبيخ والقرية هنا ايلة
قاله ابن عباس وغيره وقيل مدين وحاضرة البحر اي البحر فيها حاضر ويحتمل ان يريد معنى الحضارة
على جهة التعظيم لها اي هي الحاضرة في مدن البحر ويعدون معناه يخالفون الشرع من عدا يعدو
وشرعا اي مقبلة اليهم مصطفة كما تقول اشرعت الرماح اذا مدت مصطفة وعبارة البخاري
شرعا اي شوارع انتهى والعامل في قوله ويوم لا يسبتون قوله لا تاتيهم وهو ظرف مقدم ومعنى
قوله كذلك الاشارة الى امر الحوت وفتنتهم به هذا على من وقف على تاتيهم ومن وقف على كذلك
فالاشارة الى كثرة الحيتان شرعا اي فما اتى منها يوم لا يسبتون فهو قليل ونبلوهم اي نمتحنهم
بفسقهم وعصيانهم وقد تقدم في البقرة قصصهم وقوله سبحانه واذ قالت امة منهم لم تعظون
قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قال جمهور المفسرين ان بني اسرائيل افترقت
ثلاث فرق فرقة عصت وفرقة نهت وهاجرت وتكلمت واعتزلت وفرقة اعتزلت
ولم تعص ولم تنه وان هذه الفرقة لما رات مهاجرة الناهية وطغيان العاصية وعتوها
قالت للناهية لم تعظون قوما يريدون العاصية الله مهلكهم او معذبهم فقالت الناهية
موعظتنا معذرة الى الله اي اقامة عذر ومعنى مهلكهم اي في الدنيا او معذبهم في الاخرة
والضمير في قوله نسوا للمنهيين وهو ترك سمي نسيانا مبالغة وما في قوله ما ذكروا به بمعنى الذي
والسوء لفظ عام في جميع المعاصي الا ان الذي يختص هنا بحسب قصص الاية هو صيد الحوت
والذين ظلموا هم العاصون وقوله بعذاب بيس معناه مؤلم موجع شديد واختلف في الفرقة
التي لم تعص ولم تنه فقيل نجت مع الناجين وقيل هلكت مع العاصين وقوله بما كانوا يفسقون
اي لاجل ذلك وعقوبة عليه والعتو الاستعصاء وقلة الطواعية وقوله سبحانه فقلنا لهم كونوا
يحتمل ان يكون قولا بلفظ من ملك اسمعهم وكان اذهب في الاغراب والهول والاصغار ويحتمل
ان يكون عبارة عن القدرة المكونة لهم قردة وخاسئين معناه مبعدين فخاسئين خبر
بعد خبر وهذا اختيار ابي الفتح وضعف فروي ان الشباب منهم مسخوا قردة والرجال الكبار
مسخوا خنازير وقوله سبحانه واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب
معنى هذه الاية واذ علم الله ليبعثن وتقتضي قوة الكلام ان ذلك العلم منه سبحانه مقترن بانفاذ
وامضاء كما تقول في امر عزمت عليه علم الله لافعلن وقال الطبري وغيره تاذن تالى والضمير

في عليهم لبني اسرائيل وقوله من يسومهم قال ابن عباس هي اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم
وامته يسومون اليهود سوء العذاب قال ع والصحيح ان هذا حالهم في كل قطر ومع كل ملة و
يسومهم معناه يكلفهم ويحملهم وسوء العذاب الظاهر منه انه الجزية والاذلال وقد ختم الله
عليهم هذا وحط ملكهم فليس في الارض راية ليهودي ثم حسن في اخر الاية التنبيه على سرعة العقاب والتخويف
لجميع الناس ثم رجا سبحانه بقوله وانه لغفور رحيم لطفا منه بعباده جل وعلا وقطعناهم في الارض
معناه فرقناهم في الارض قال الطبري عن جماعة من المفسرين ليس في الارض بقعة الا وفيها معشر
من اليهود والظاهر من المشار اليهم في هذه الاية انهم الذين بعد سليمان وقت زوال ملكهم والظاهر
انهم قبل من عيسى عليه السلام لانه لم يكن فيهم صالح بعد كفرهم بعيسى صلى الله عليه وسلم وبلوناهم
معناه امتحناهم بالحسنات اي بالصحة والرخاء ونحو هذا مما هو بحسب راي ابن ادم ونظره
والسيئات مقابلات هذه لعلهم يرجعون الى الطاعة وقوله سبحانه فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب
الاية خلف معناه حدث خلفهم وبعدهم وخلف باسكان اللام يستعمل الاشهر في الذم وقوله ياخذون
عرض هذا الادنى اشارة الى الرشا والمكاسب الخبيثة والعرض ما يعرض ويعن ولا يثبت والادنى
اشارة الى عيش الدنيا وقولهم سيغفر لنا مع علمهم بما في كتاب الله من الوعيد على المعاصي واصرارهم
وانهم بحال اذا امكنتهم ثانية ارتكبوها فهولاء عجزة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم والعاجز
من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله فهولاء قطعوا بالمغفرة وهم مصرون وانما يقول سيغفر لنا من
اقلع وندم وقوله سبحانه الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب الاية تشديد في لزوم قول الحق على الله
في الشرع والاحكام وقوله ودرسوا ما فيه معطوف على قوله الم يوخذ لانه بمعنى المضي والتقدير
اليس قد اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه وبهذا الفعلين تقوم الحجة عليهم في قول
الباطل وقرا ابو عبد الرحمن السلمي وادارسوا ما فيه ثم وعظ وذكر تبارك وتعالى بقوله والدار
الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون وقرا ابو عمرو افلا يعقلون بالياء من اسفل وقوله
سبحانه والذين يمسكون بالكتاب عطف على قوله للذين يتقون وقرا عاصم وحده في رواية
ابي بكر يمسكون بسكون الميم وتخفيف السين وقرا الاعمش الذين استمسكوا وقوله عز وجل
واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة نتقنا معناه اقتلعنا ورفعنا وقد تقدم قصص الاية في البقرة
وقوله سبحانه واذكروا ما فيه اي تدبروه واحفظوا اوامره ونواهيه فاوقفوا وقوله سبحانه
واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا
بلى شهدنا الاية قوله من ظهورهم قال النحاة هو بدل اشتمال من قوله من بني ادم وتواترت
الاحاديث في تفسير هذه الاية عن النبي صلى الله عليه وسلم من طرق ان الله عز وجل استخرج من ظهر
ادم عليه السلام نسم بنيه ففي بعض الروايات كالذر وفي بعضها كالخردل وقال محمد بن كعب انها
الارواح جعلت لها مثالات وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اخذوا من ظهر ادم كما يوخذ بالمشط من الراس وجعل الله لهم عقولا كنملة سليمان واخذ عليهم العهد
بانه ربهم وان لا اله غيره فاقروا بذلك والتزموه واعلمهم انه سيبعث الرسل اليهم مذكرة وداعية
فشهد بعضهم على بعض وشهد الله عليهم وملايكته شهدنا رواه عبد الله بن عمر وعن النبي صلى الله
عليه وسلم وقوله سبحانه ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين الاية المعنى لئلا تقولوا

هواها

او مخافة ان لا يقولوا والمعنى في هذه الاية ان الكفرة لو لم يؤخذ عليهم عهد ولا جاءهم
رسول مذكر بما تضمنه العهد من توحيد الله وعبادته لكانت لهم حجتان احدهما
ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين والاخرى كنا تباعا لاسلافنا فكيف نهلك والذنب
انما هو لمن طرق لنا واضلنا فوقع شهادة بعضهم على بعض او شهادة الملائكة عليهم لتنقطع
لهم هذه الحجج و قوله سبحانه واتل عليهم نبأ الذي اتيناه اياتنا قال ابن عباس هو رجل من
الكنعانيين الجبارين اسمه بلعم وقيل بلعام بن باعورا وقيل غير هذا وكان في جملة الجبابرة
الذين غزاهم موسى عليه السلام فلما قرب منهم موسى لجؤوا الى بلعام وكان صالحا مستجاب الدعوة
وقيل كان عنده علم من صحف ابراهيم ونحوها وقيل كان يعلم اسم الله الاعظم قاله ابن عباس
ايضا وهذا الخلاف هو في المراد بقوله اتيناه اياتنا فقال له قومه ادع على موسى وعسكره فقال
لهم وكيف ادعو على نبي مرسل فما زالوا به حتى فتنوه فخرج حتى اشرف على جبل يرى منه عسكر موسى
وكان قد قال لقومه لا افعل حتى استامر ربي ففعل فنهي عن ذلك فقال لهم قد نهيت فما زالوا
به حتى قال سأستامر ثانية ففعل فسكت عنه فاخبرهم فقالوا ان الله لم يدع نهيك الا
وقد اراد ذلك فخرج فلما اشرف على العسكر جعل يدعو على موسى فتحول لسانه بالدعاء لموسى
والدعاء على قومه فقالوا له ما تقول فقال اني لا املك هذا وعلم انه قد اخطا فروي انه
قد خرج لسانه على صدره فقال لقومه اني قد هلكت ولكن لم يبق لكم الا الحيلة فاخرجوا النساء
الى عسكر موسى على جهة التجر وغيره ومروهن ان لا تمنع امراة من رجل فانهم اذا زنوا هلكوا
ففعلوا فخرج النساء فزنا بهن رجال بني اسرائيل وجاء فنحاص بن العيزار بن هارون فانتظم
برمحه امراة ورجلا من بني اسرائيل ورفعهما على اعلاء الرمح فوقع في بني اسرائيل الطاعون
فمات منهم في ساعة سبعون الفا ثم ذكر المعتمر عن ابيه ان موسى عليه السلام قتل بعد ذلك
الرجل المنسلخ من ايات الله قال المهدوي وروي انه دعا على موسى انه لا يدخل مدينة الجبارين
فاجيب ودعا عليه موسى ان ينسى اسم الله الاعظم فاجيب وفي هذه القصة روايات كثيرة
تحتاج الى صحة اسناد فانسلخ عبارة عن البراءة منها والانفصال والبعد كالمنسلخ من الثياب
والجلد وفاتبعه الشيطان اي صيره تابعا كذا قال الطبري اما لضلالة رسمها له واما لنفسه
و من الغاوين اي من الضالين و لو شئنا لرفعناه بها قال ابن عباس وجماعة معنى
لرفعناه بها اي لشرفنا ذكره ورفعنا منزلته لدينا بهذه الايات التي اتيناه ولكنه اخلد الى الارض
اي تقاعس الى الحضيض الاسفل الاخس من شهوات الدنيا ولذاتها وذلك ان الارض وما
ارتكن فيها هي الدنيا وكل ما عليها فان ومن اخلد الى الفاني فقد حرم حظ الاخرة الباقية قلت
قال الهروي قوله اخلد الى الارض معناه سكن الى لذاتها واتبع هواه يقال اخلد الى كذا اي
ركن اليه واطمان به انتهى قال عبد الحق الاشبيلي رحمه الله في العاقبة واعلم رحمك الله ان
لسوء الخاتمة اعاذنا الله منها اسبابا ولها طرق وابواب اعظمها الاكباب على الدنيا والاعراض
عن الاخرى وقد سمعت بقصة بلعام بن باعورا وما كان اتاه الله تعالى من اياته واطلعه عليه
من بيانه وما اراه من عجائب ملكوته اخلد الى الارض واتبع هواه فسلبه الله سبحانه جميع
ما كان اعطاه وتركه مع من استماله واغواه انتهى وقوله فمثله كمثل الكلب شبيه في انه كان

اياتنا

ضالا

ضالا قبل ان يؤتى الايات ثم اوتيها وكان ايضا ضالا لم تنفعه فهو كالكلب في انه لا يفارق اللهث
في كل حال هذا قول الجمهور وقال السدي وغيره ان هذا الرجل عوقب في الدنيا بانه كان يلهث كما يلهث
الكلب فشبه به صورة وهيئة وذكر الطبري عن ابن عباس ان معنى ان تحمل عليه ان تطرده و قوله ذلك مثل
القوم الذين كذبوا باياتنا اي هذا المثل يا محمد مثل هؤلاء الذين كانوا ضالين قبل ان تاتيهم بالهدى
والرسالة ثم جئتهم بها فبقوا على ضلالهم ولم ينتفعوا بذلك فمثلهم كمثل الكلب و قوله فاقصص
القصص اي اسرد عليهم ما يعلمون انه من الغيوب التي لا يعلمها الا اهل الكتاب الماضية ولست
منهم لعلهم يتفكرون في ذلك فيؤمنوا و قوله سبحانه من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فاولئك
هم الخاسرون القول فيه ان ذلك كله من عند الله الهداية منه وبخلقه واختراعه وكذلك الاضلال
وفي الاية تعجب من حال المذكورين و قوله سبحانه ولقد ذرانا لجهنم كثيرا وفي ضمنه وعيد للكفار
و ذرا معناه خلق واوجد مع بث ونشر و قوله سبحانه لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون
بها ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل لما كانت هذه الصفة للكافر المعرضة
عن النظر في ايات الله لم ينفعهم النظر بالقلب ولا بالعين ولا ما سمعوا من الايات والمواعظ استحقوا الوصف
بانهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون والفقه الفهم اولئك كالانعام في ان الانعام لا تفقه
الاشياء ولا تعقل المقاييس ثم حكم سبحانه بانهم اضل لان الانعام تلك هي بنيتها وهؤلاء معدون للفهم
والنظر ثم بين سبحانه بقوله اولئك هم الغافلون الطريق الذي صاروا به اضل من الانعام وهو
الغفلة والتقصير قال الفخر اما قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل فتقريره ان الانسان وسائر الحيوانات
متشاركة في قوة هذه الطبيعة الغاذية والنامية والمولدة ومتشاركة ايضا في منافع الحواس الخمس
الباطنة والظاهرة وفي احوال التفكر والتخيل والتذكر وانما حصل الامتياز بين الانسان وسائر الحيوانات
في القوة العقلية والفكرية التي تهديه الى معرفة الحق فلما اعرض الكفار عن احوال العقل والفكر ومعرفة
الحق كانوا كالانعام بل هم اضل لان الحيوانات لا قدرة لها على تحصيل هذه الفضائل وقد قال الحكيم شعرا

الروح من عند رب العرش مبدؤه وتربة الارض اصل الجسم والبدن
قد الف الملك الجبار بينهما ليصلحا لقبول الامر والمحن
فالروح في غربة والجسم في وطن فلتعرفن ذمام النازح الوطن

انتهى و قوله سبحانه ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها الاية سبب هذه الاية على ما روي ان ابا جهل سمع بعض
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقرا فيذكر الله في قرانه ومرة يذكر الرحمن ونحو ذلك فقال محمد يزعم ان
الاله واحد وانما يعبد الهة كثيرة فنزلت هذه الاية ومن اسماء الله تعالى ما ورد في القران ومنها ما ورد
في الحديث وتواتر وهذا هو الذي ينبغي ان يعتمد عليه و قوله سبحانه وذروا الذين يلحدون في اسمائه قال
ابن زيد معناه اتركوهم فالاية على هذا منسوخة وقيل معناه الوعيد كقوله تعالى ذرني ومن خلقت
وحيدا وذرهم ياكلوا ويتمتعوا يقال الحد ولحد بمعنى جار ومال وانحرف والحد اشهر ومنه
لحد القبر و معنى الالحاد في اسماء الله عز وجل ان يسموا اللات نظيرا الى اسم الله قاله ابن عباس والعزى نظيرا الى العزيز
قاله مجاهد ويسمون الله ربا ويسمون اوثانهم اربابا و قوله سبحانه سيجزون ما كانوا يعملون وعيد محض
و قوله وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من
حيث لا يعلمون الاية تتضمن الاخبار عن قوم اهل ايمان واستقامة وهداية وظاهرها يقتضي كل

من الجن والانس هذا خبر من الله تعالى انه خلق لسكنى
جهنم والاحتراق فيها كثيرا

مؤمن من لدن ادم عليه السلام الى قيام الساعة وروى عن كثير من المفسرين انها في امة نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم وروي في ذلك حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه الاية لكم وقوله سبحانه والذين
كذبوا باياتنا الاية وعيد والاشارة الى الكفار وسنستدرجهم معناه سنسوقهم شيئا بعد شيء ودرجة
بعد درجة بالنعم عليهم والامهال لهم حتى يغتروا ويظنوا انهم لا ينالهم عقاب وقوله من حيث لا يعلمون
اي من حيث انهم لا يعلمون انه استدراج لهم ليزدادوا اثما وقوله املي معناه اؤخرهم ملاوة من
الدهر اي مدة ومتين معناه قوي وقوله سبحانه اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة الاية تقرير يقارنه
توبيخ للكفار والوقف على قوله اولم يتفكروا ثم ابتدا القول بنفي ما ذكروه فقال ما بصاحبهم من
جنة اي بمحمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون المعنى اولم يتفكروا انه ما بصاحبهم من جنة
ويظهر من وصف الاية انها باعثة لهم على الفكرة في امره صلى الله عليه وسلم وانه ليس به جنة
كما احالهم بعد هذه الاية على النظر وقال الفخر قوله تعالى اولم يتفكروا امر بالتفكر والتامل والتدبر
وفي اللفظ محذوف والتقدير اولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة والجنة حالة من الجنون
كالجلسة ودخول من في قوله من جنة يوجب نفي انواع الجنون انتهى وقوله سبحانه اولم ينظروا في ملكوت
السموات والارض الاية النظر هنا بالقلب عبرة وفكرة وملكوت بناء عظمة ومبالغة وقوله وما خلق
الله من شيء لفظ يعم جميع ما ينظر فيه ويستدل به من الصنعة الدالة على الصانع ومن نفس
الانسان وحواسه ومواضع رزقه والشيء واقع على الموجودات وان عسى عطف على قوله ملكوت
والمعنى توقيفهم على ان لم يقع لهم نظر في شيء من هذا ولا في انهم قرب اجالهم فماتوا ففات
اوان التدارك ووجب عليهم المحذور ثم وقفهم باي حديث او امر يقع ايمانهم وتصديقهم
اذا لم يقع بامر فيه نجاتهم ودخولهم الجنة ونحو هذا المعنى قول الشاعر وعن اي نفس بعد
نفسي اقاتل والضمير في بعده يراد به القرآن وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وقصته وامره
اجمع وقيل هو عائد على الاجل اي بعد الاجل اذ لا عمل بعد الموت وقوله سبحانه من يضلل الله
فلا هادي له الاية هذا شرط وجواب مضمنه اليأس منهم والمقت لهم لان المراد ان هذا
قد نزل بهم والطغيان الافراط في الشيء وكانه مستعمل في غير الصلاح والعمه الحيرة وقوله سبحانه
يسألونك عن الساعة قال قتادة السائلون هم قريش وقال ابن عباس هم احبار اليهود
قلت وفي سيرة ابن هشام ان السائلين من احبار اليهود حبل بن ابي قشير وشمويل بن زيد
انتهى والساعة القيامة وكل من كان تحتاج وبعث الجميع وايان معناه متى وهي مبنية على الفتح قال
الشاعر نظم
ايان تقضي حاجتي ايانا … اما ترى لفعلها ابانا
ومرساها معناه منتهاها ومنها ماخوذ مرسى السفينة ومرساها رفع بالابتدا والخبر ايان
وعبارة البخاري ايان مرساها متى خروجها انتهى ويجليها معناه يظهرها وقوله سبحانه
ثقلت في السموات والارض قيل معناه ثقل ان تعلم ويوقف على حقيقة وقتها وقال الحسن
ابن ابي الحسن معناه ثقلت هيئتها والفزع على اهل السموات والارض لا تاتيكم الا بغتة اي
فجاة وقوله سبحانه يسألونك كانك حفي قال ابن عباس وغيره المعنى يسألونك عنها كانك
حفي اي متحف ومتهمم بهم وهذا ينحو الى ما قالت قريش يا محمد انا قرابتك فخبرنا بوقت
الساعة وقال ابن زيد وغيره معناه كانك حفي بها وقوله سبحانه ولكن اكثر الناس يعلمون

قال الطبري معناه لا يعلمون ان هذا الامر لا يعلمه الا الله بل يظن اكثرهم انه مما يعلمه البشر
وقوله سبحانه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله الاية هذا امر بان يبالغ في الاستسلام
ويتجرد عن المشاركة في قدرة الله وغيبه وان يصف نفسه لهؤلاء السائلين بانه لا يملك من
منافعها ومضارها لنفسه الا ما استثنى الله وشاء وهذا الاستثناء منقطع والخبر انه
لو كان يعلم الغيب لعمل بحسب ما يأتي ولاستعد لكل شيء استعداد من يعلم قدر ما يستعد له وهذا
لفظ عام في كل شيء وقوله وما مسني السوء يحتمل وجهين ويكليهما قيل احدهما اما معطوفة على قوله
لاستكثرت من الخير وابتدا يخبر بنفي السوء عنه وهو الجنون الذي رموه به قال مؤرج السوء
السوء الجنون بلغة هذيل قلت واما الثاني على قول الاول فلا يريد بالسوء الجنون ويترجح الثاني بجوار
قوله سبحانه ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم الاية ولقوم يؤمنون يحتمل معنيين احدهما لقوم
يطلب منهم الايمان وهؤلاء الناس اجمع والثاني ان يخبر انه نذير ويتم الكلام ثم يبتدئ يخبر انه بشير
للمؤمنين به فهذا وعد لمن حصل ايمانه وقوله منها هو ما تقدم ذكره من ان ادم نام فاستخرجت
قصرى اضلاعه وخلقت منها حواء وقوله ليسكن اليها اي ليأنس ويطمئن وكان هذا كله في
الجنة ثم ابتدا بحالة اخرى هي في الدنيا بعد هبوطهما فقال فلما تغشاها اي غشيها وهي كناية
عن الجماع والحمل الخفيف هو المني الذي تحمله المراة في رحمها وقوله فمرت به اي استمرت وقرا
ابن عباس فاستمرت به وقرا ابن مسعود فاستمرت بحملها وقرا عبد الله بن عمرو بن العاص فمارت به
اي جاءت به وذهبت وتصرفت كما تقول مارت الريح مورا واثقلت دخلت في الثقل كما تقول
اصبح وامسى والضمير في دعوا على هذا عائد على ادم وحواء وروي في قصص ذلك ان الشيطان اشار على
حواء ان تسمي هذا المولود عبد الحارث وهو اسم ابليس وقال لها ان لم تفعلي قتلته فزعموا
انهما اطاعاه حرصا على حياة المولود فهذا هو الشرك الذي جعلا لله في التسمية فقط وقال الطبري
والسدي في قوله فتعالى الله عما يشركون كلام منفصل من خبر ادم وحواء يراد به مشركو العرب
قلت وتنزيه ادم وحواء عن طاعتهما لابليس ولم اقف بعد على صحة ما روي في هذا القصص ولو
صح لوجب تاويله نعم روى الترمذي عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما
حملت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال لها سميه عبد الحارث فسمته عبد الحارث
فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وامره قال الترمذي هذا حديث حسن غريب انفرد به عمر بن
ابراهيم عن قتادة وعمر شيخ بصري انتهى وهذا الحديث ليس فيه انهما اطاعاه وعلى كل حال الواجب التوقف
والتنزيه لمن اجتباه الله وحسن التاويل ما امكن وقد قال ابن العربي في توهين هذا القول
وتزييفه وهذا القول ونحوه مذكور في ضعيف الحديث في الترمذي وغيره وفي الاسرائيليات
التي ليس لها ثبات ولا يعول عليها من له قلب فان ادم وحواء وان كان غرهما بالله الغرور فلا
يلدغ المؤمن من جحر مرتين وما كانا بعد ذلك ليقبلا له نصحا ولا يسمعا له قولا والقول
الاشبه بالحق ان المراد بهذا جنس الادميين انتهى من الاحكام قال ع وقوله صالحا معناه
غلاما وقال ابن عباس وهو الاظهر بشرا سويا سليما وقال قوم انما الغرض من هذه الاية
تعديد النعمة في الازواج وفي تسهيل النسل والولادة ثم ذكر سوء فعل المشركين الموجب
للعقاب فقال مخاطبا لجميع الناس هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها

يريد ادم وحوا اى واستمرت حالكم واحدا كذلك فهذه نعمة يخص كل احد بجزء منها ثم جاء
قوله فلما تغشاها الى اخر الاية وصف لحال الناس واحدا واحدا اى يفعلون فاذا اتاهما الله ولدا صالحا
سليما كما ارادوه صرفوه عن الفطرة الى الشرك فهذا فعل المشركين قال ابن العربى فى احكامه وهذا
القول هو الاشبه بالحق واقرب للصدق وهو ظاهر الاية وعمومها الذى يشمل جميع متناولاتها ويسلم فيها
عن النقص الذى لا يليق بجهال البشر فكيف بسادتهم وانبيائهم انتهى وهو كلام حسن وبالله التوفيق و
قرا نافع وعاصم فى رواية ابى بكر شركا بكسر الشين وسكون الراء على المصدر وقرا ابن كثير وابو عمرو
وحمزة والكسائى وحفص عن عاصم شركا على الجمع وهى بينة على هذا التاويل الاخير وقلقة على قول من قال
ان الاية الاولى فى ادم وحوا وفى مصحف ابى بن كعب فلما اتاهما صالحا اشركا فيه وقوله ايشركون ما لا يخلق
شيا الاية ذهب بعض من قال بالقول الاول ان هذه الاية فى ادم وحوا على ما تقدم وفيه قلق وتعسف من
التاويل فى المعنى وانما تتسق هذه الايات ويروق نظمها ويتناصر معناها على التاويل الاخير فانهم قالوا
ان الاية فى مشركى الكفار الذين يشركون الاصنام فى العبادة واياها اراد بقوله ما لا يخلق وعبر عن الاصنام
بهم كانها تعقل على اعتقاد الكفار فيها وبحسب اسمائها ويخلقون معناه يخلقون ويصنعون يعنى الاصنام تنحت ويحتمل
ان يكون المعنى وهولاء المشركون يخلقون فكان حقهم ان يعبدوا خالقهم لا من لا يخلق شيا وقرا عبد الرحمن
عما تشركون بالتاء من فوق اتشركون وقوله وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم
صامتون من قال ان الايات فى ادم عليه السلام قال هذه مخاطبة مستانفة للنبى صلى الله عليه وسلم
وامته فى امر الكفار المعاصرين للنبى صلى الله عليه وسلم ومن قال بالقول الاخر قال ان هذه مخاطبة
للمومنين والكافرين على قراءة من قرا ايشركون بالياء من تحت وللكفار فقط على قراءة من قرا بالتاء
من فوق على جهة التوقيف اى هذه حال الاصنام معكم ان دعوتموهم لم يجيبوكم وقوله سبحانه
ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين الاية
مخاطبة للكفار فى تحقير شان اصنامهم وقوله فادعوهم اى فاختبروا فان لم يستجيبوا فهم كما وصفنا
وقوله سبحانه الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها الاية الغرض
من هذه الاية الهم حواس الحى واوصافه فاذا قالوا لا حكموا بانها جمادات من غير شك لا خير عندها
قال الزهراوى المعنى انتم افضل منهم بهذه الجوارح النافعة فكيف تعبدونهم ثم امر سبحانه نبيه
عليه السلام ان يعجزهم بقوله قل ادعوا شركاءكم اى استنجدوهم واستنفروهم الى اضرارى وكيدوا ولا
تؤخرون والمعنى ان كانوا الهة فسيظهر فعلكم ولما احال على الاستنجاد بالهتهم فى ضررهم واراهم ان الله سبحانه
هو القادر على كل شئ لا انتم عقب بالاستناد الى الله سبحانه والتوكل عليه والاعلام بانه وليه وناصره فقال
ان ولى الله الذى نزل الكتاب بالحق وهو يتولى الصالحين وقوله سبحانه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون
نصركم ولا انفسهم ينصرون انما تكرر القول فى هذا وترددت الايات فيه لان امر الاصنام وتعظيمها كان
متمكنا من نفوس العرب فى ذلك الزمن ومستوليا على عقولها فاوعب القول فى ذلك لطفا منه سبحانه بهم
وقوله وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا الاية فرقة هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وامته فى امر الكفار
والهاء والميم فى قوله تدعوهم للكفار ووصفهم بانهم لا يسمعون ولا يبصرون اذ لم يتحصل لهم بالنظر
والاسماع فايدة قاله مجاهد والسدى وقال الطبرى المراد بالضمير المذكور الاصنام ووصفهم بالنظر
كناية عن المحاذاة والمقابلة ولما فيها من تخييل النظر كما تقول دار فلان تنظر الى دار فلان وقوله سبحانه

خذ العفو وامر بالعرف الاية وصية من الله سبحانه لنبيه تعم جميع امته واخذ بجميع مكارم الاخلاق قال
الجمهور معنى خذ العفو اقبل من الناس فى اخلاقهم واقوالهم ومعاشرتهم ما اتى عفوا دون تكلف فالعفو هنا
الفضل والصفو قال مكى قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف الاية قال بعض اهل العلماء فى هذه الاية بيان قول
النبى صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم فهذه الاية قد جمعت معانى كثيرة وفوائد عظيمة وجمعت كل
خلق حسن لان فى اخذ العفو صلة القاطعين والصفح عن الظالمين واعطاء المانعين وفى الامر بالمعروف
تقوى الله وطاعته وصلة الرحم وصون الجوارح عن المحرمات وسمى هذا ونحوه عرفا لان كل نفس تعرفه
وتركن اليه وفى الاعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وتنزيه النفس عن مخاطبة السفيه ومنازعة
اللجوج وغير ذلك من الافعال المرضية انتهى من الهداية وامر بالعرف معناه بكل ما عرفته النفوس
مما لا ترده الشريعة ومن ذلك ان تعطى من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك الحديث
فالعرف بمعنى المعروف وقوله عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه
سميع عليم هذه الاية وصية من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم تعم امته رجلا رجلا
والنزغ حركة فيها فساد وقل ما تستعمل الا فى فعل الشيطان لان حركته مسرعة مفسدة ومنه
قول النبى صلى الله عليه وسلم لا يشر احدكم على اخيه بالسلاح لا ينزغ الشيطان فى يده فالمعنى
فى هذه الاية فاما تلمن لمة من الشيطان فاستعذ بالله وعبارة البخارى ينزغنك يستخفنك
انتهى ونزغ الشيطان عام فى الغضب وتحسين المعاصى واكتساب الغوائل وغيرها وفى جامع الترمذى
عن النبى صلى الله عليه وسلم ان للملك لمة وان للشيطان لمة بالرفض والاستعاذة استعال
معناه طلب ان يعاذ وعاذ معناه لاذ وانضوى واستجار قال الفخر قال ابن زيد لما نزل قوله تعالى
واعرض عن الجاهلين قال النبى صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل قوله تعالى واما
ينزغنك من الشيطان نزغ وقوله انه سميع عليم يدل على ان الاستعاذة لا تفيد الا اذا حضر فى القلب
العلم بمعنى الاستعاذة فكانه تعالى قال اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك فانى سميع واستحضر معانى
الاستعاذة بعقلك وقلبك فانى عليم بما فى ضميرك وفى الحقيقة القول اللسانى دون المعارف
العقلية عديم الفائدة والاثر انتهى قوله سبحانه ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا
الاية خرجت مخرج المدح للمتقين والتقوى هنا عامة فى اتقاء الشرك والمعاصى وقرا ابن كثير وغيره
طيف قال ابو على الطيف كالخاطر والطيف كالخطرة وقوله تذكروا اشارة الى الاستعاذة
المامور بها والى ما لله عز وجل من الاوامر والنواهى فى النازلة التى يقع تعرض الشيطان
فيها وقرا ابن الزبير من الشيطان تاملوا فاذا هم وفى مصحف ابى بن كعب اذا طاف من الشيطان
طائف تاملوا وقوله مبصرون من البصيرة اى فاذا هم قد تبينوا الحق ومالوا اليه والضمير فى
اخوانهم عائد على الشيطان وفى يمدونهم عائد على الكفار وهم المراد بالاخوان هذا قول
الجمهور وقرا جميع السبعة غير نافع يمدونهم من مددت وقرا نافع يمدونهم من امددت قال
الجمهور هما بمعنى واحد الا ان المستعمل فى المحبوب امد والمستعمل فى المكروه مد فقراءة الجماعة
جارية على المنهاج المستعمل وقراءة نافع هى مقيدة بقوله فى الغى كما يجوز ان تقيد البشارة فتقول بشره
بشر ومد الشيطان للكفرة اى ومن تحامتهم هو بالتزيين لهم والاغواء المتتابع وقوله
ثم لا يقصرون من اقصر والضمير عائد على الجميع اى هولاء لا يقصرون عن الاغواء وهولاء

قال ابن عطيه وعن هانين الامرين هى الخواطر والبحور حشرة
فالاخذ بالواجب على جملة الملك بالامتثال والاستدامة
ولمة الشيطان بالرفض

لا يقصرون في الطاعة للشيطان وقوله سبحانه واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها بها
فيما روي ان الوحي كان يتاخر احيانا فكان الكفار يقولون هلا اجتبيتها اي اخترعتها فامر الله عز وجل
ان يجيب بالتسليم لله وان الامر في الوحي اليه ينزله متى شاء ثم اشار بقوله هذا بصائر الى القران
اي علامات هدى وانوار تستضيء القلوب به وقوله واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم
ترحمون ذكر الطبري وغيره ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا بمكة يتكلمون في المكتوبة بحوائجهم فنزلت
الاية امرهم بالاستماع والانصات في الصلاة واما قول من قال انها في الخطبة فضعيف لان الاية مكية والخطبة
لم تكن الا بعد الهجرة والفاظ الاية على الجملة تتضمن تعظيم القران وتوقيره وذلك واجب في كل حال
والانصات السكوت قال الزجاج ويجوز ان يكون فاستمعوا له وانصتوا اي اعملوا بما فيه ولا تجاوزوه
قال ابن العربي في احكامه روى الترمذي وابو داود عن عبادة بن الصامت قال صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلاة الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال اني لاراكم تقرءون وراء امامكم
قلنا يا رسول الله اي والله فقال لا تفعلوا الا بام القران فانه لا صلاة لمن لم يقرا بها وقد روى الناس
في قراءة المومنين خلف الامام بفاتحة الكتاب احاديث كثيرة واعظمهم في ذلك اهتبالا الدارقطني
وقد جمع البخاري في ذلك جزءا وكان رايه قراءة الفاتحة خلف الامام في الصلاة الجهرية وهي
احدى روايات مالك وهو اختيار الشافعي انتهى وقد تقدم اول الكتاب ما اختاره ابن العربي وقوله سبحانه
واذكر ربك في نفسك الاية مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم تعم جميع امته وهو امر من الله
تعالى بذكره وتسبيحه وتقديسه والثناء عليه بمحامده والجمهور على ان الذكر لا يكون في النفس
ولا يراعى الا بحركة اللسان ويدل على ذلك من هذه الاية قوله ودون الجهر من القول وهذه مرتبة
السر والمخافتة وقال الفخر المراد بقوله تعالى واذكر ربك كونه عالما بمعاني الاذكار التي يقولها
باللسان مستحضرا لصفات الجلال والعظمة وذلك ان الذكر باللسان اذا كان عاريا عن الذكر
بالقلب كان عديم الفائدة الا ترى ان الفقهاء اجمعوا ان الرجل اذا قال بعت واشتريت وهو لا يعرف
معاني هذه الالفاظ ولا يفهم منها شيئا فانه لا ينعقد البيع والشراء فكذا هاهنا قال المتكلمون و
الاية تدل على اثبات كلام النفس وقوله تعالى ولا تكن من الغافلين يدل على ان الذكر القلبي يجب ان يكون
دائما وان لا يغفل الانسان لحظة عن استحضار جلال الله وكبريائه بقدر الطاقة البشرية وتحقيق
القول في هذا ان بين الروح والبدن علاقة عجيبة لان كل شيء يحصل في البدن يصعد منه
نتائج الى الروح الا ترى ان الانسان اذا تخيل الشيء الحامض ضرس منه واذا تخيل حالة
مكروهة او غضب سخن بدنه انتهى وتضرعا معناه تذللا وخضوعا النحاس وخيفة
اي خوفا انتهى وقوله بالغدو والاصال معناه دابا في كل يوم وفي اطراف النهار ولا تكن
من الغافلين تنبيه منه عز وجل ولما قال سبحانه ولا تكن من الغافلين جعل بعد ذلك مثالا
من اجتهاد الملائكة ليبعث على الجد في طاعة الله سبحانه وتعالى قال صاحب الكلم الفارقية غفلة
ساعة عن ربك مكدرة لمراة قلبك فكيف بغفلة جميع عمرك انتهى قال ابن عطاء الله لا تترك
الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لان غفلتك عن وجود ذكره اشد من غفلتك في
وجود ذكره فعسى ان يرفعك من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر
مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجود

غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز انتهى قال ابن العربي في احكامه قوله تعالى
ولا تكن من الغافلين اي فيما امرت به وكلفته وهذا خطاب له عليه السلام والمراد به جميع امته
انتهى وقوله الذين عند ربك يريد به الملائكة وقوله عند انما يريد في المنزلة والتشريف والقرب في
المكانة لا في المكان فهم بذلك عنده ثم وصف سبحانه حالهم من تواضعهم وادمانهم
العبادة والتسبيح والسجود وفي الحديث اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع شبر
الا وفيه ملك قائم او راكع او ساجد وهذا موضع سجدة قال عبد الرحمن بن محمد عفا الله عنه
كمل ما انتخبناه في تفسير السورة والحمد لله على ما انعم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى
الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما سورة الانفال مدنية كلها قال مجاهد
الا اية واحدة وهي قوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية ولا خلاف ان هذه السورة نزلت
في شان بدر وامر غنائمه قوله عز وجل يسالونك عن الانفال الاية النفل والنافلة في
كلام العرب الزيادة على الواجب والاكثر في هذه الاية ان السوال انما هو عن حكم الانفال وعن ابي
امامة الباهلي قال سالت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا اهل بدر نزلت حين اختلفنا
وساءت اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا وجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسمه عليه السلام
بين المسلمين عن بواء يريد عن سواء فكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين
قال ويجيء من مجموع الاثار المذكورة هنا ان نفوس اهل بدر تنافرت ووقع فيها ما يقع في نفوس
البشر من ارادة الاثرة لا سيما من ابلى فانزل الله عز وجل الاية فرضي المسلمون وسلموا فاصلح الله
ذات بينهم ورد عليهم غنائمهم قال بعض اهل التاويل عكرمة ومجاهد كان هذا الحكم من الله
سبحانه لرفع الشغب ثم نسخ بقوله واعلموا انما غنمتم من شيء الاية وهذا اولى الاقوال واصحها
قوله سبحانه واصلحوا ذات بينكم تصريح بانه شجر بينهم اختلاف ومالت النفوس الى التشاح وذات
في هذا الموضع يراد بها نفس الشيء وحقيقته والذي يفهم من بينكم هو معنى يعم جميع الوصل
والالتحامات والمودات وذات ذلك هو المامور باصلاحها اي نفسه وعينه وبافي الاية
بين وقوله سبحانه انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية انما لفظ لا تفارقه
المبالغة والتاكيد حيث وقع ويصلح مع ذلك للحصر بحسب القرينة فقوله هنا انما المومنون
ظاهرها انها للمبالغة والتاكيد فقط اي الكاملون قال الشيخ ابو عبد الله محمد بن محمد
ابن احمد الانصاري الساحلي المالقي في كتابه الذي الفه في السلوك واعلم ان الانسان
مطلوب بطهارة نفسه وتزكيتها وطرق التزكية وان كثرت فطريق الذكر اسرعها نفعا
واقربها مراما وعليه درج اكثر مشايخ التربية ثم قال والذكر ضد النسيان والمطلوب
منه عمارة الباطن بالله تعالى في كل زمان ومع كل حال لان الذكر يدل على المذكور تعالى فذكره
يدل دائما يوجب المحبة له والمعرفة به والذكر وان اختلفت الفاظه ومعانيه فلكل معنى من
معانيه اختصاص بنوع من التخلية والتزكية ثم قال والذكر على قسمين ذكر العامة وذكر الخاصة
اما ذكر العامة وهو ذكر الاجور فهو ان يذكر العبد ربه بما شاء من ذكره لا يقصد
غير الاجور والثواب واما ذكر الخاصة فهو ان يذكر العبد مولاه باذكار معلومة على
صفة مخصوصة لينال بذلك المعرفة بالله سبحانه بطهارة نفسه من كل خلق ذميم

وقال ... نزلت فيّ اربع آيات
... سعد بن ابي وقاص ...
... الانفال

وتخليتها بكل خلق كريم انتهى ووجلت معناه فزعت ورقت وخافت وبهذه المعاني فسرتها
العلماء وتليت معناه سردت وقرئت والآيات هنا القرآن المتلو ومن حسن الكلام كما قيل
ان تيقظت يقظة قلبية وانتبهت انتباهة حقيقية لم تر في وقتك ساعة لغير ذكر ربك و
استشعار عظمته ومهابته والاقبال على طاعته وما في وقت الغافل فضلة عن ما خلق له من
عبادة خالقه والاهتمام بمصالح آخرته والاستعداد لمعاده واعرف العبيد بجلال مولاه اخلاهم
عما سواه واكثرهم لهجا بذكره وتعظيما لامره وتحسينا لما دلائل صنعه وبدائع حكمته
واشدهم شوقا الى لقائه ومشاهدته انتهى وزيادة الايمان على وجوه كلها خارج عن نفس التصديق
ومنها ان المؤمن اذا كان لم يسمع حكما من احكام الله عز وجل في القرآن فنزل على النبي صلى الله عليه
وسلم فسمعه فآمن به زاد ايمانا الى سائر ما قد آمن به اذ لكل حكم تصديق خاص وهذا يترتب
فيمن بلغه ما لم يكن عنده من الشرع الى يوم القيامة وتترتب زيادة الايمان بزيادة الدلائل ولهذا
قال مالك الايمان يزيد ولا ينقص وتترتب بزيادة الاعمال البرة على قول من يرى ان لفظة الايمان
واقعة على التصديق والطاعات وهؤلاء يقولون يزيد وينقص وقوله سبحانه وعلى ربهم يتوكلون
عبارة جامعة لمصالح الدنيا والآخرة اذا اعتبرت وعمل بحسبها في ان يمتثل الانسان ما امر به ويبلغ في
ذلك اقصى جهده دون عجز وينتظر بعد ما وعده به من نصر او رزق او غيره وهذه اوصاف
جميلة وصف الله بها فضلاء المؤمنين فجعلها غاية للامة يستبق اليها الافاضل ثم اتبع ذلك
وعدهم ووسمهم باقامة الصلاة ومدحهم بها حضا على ذلك ومما رزقناهم ينفقون قال جماعة
من المفسرين هي الزكاة وانما حملهم على ذلك اقتران الكلام باقامة الصلاة والا فهو لفظ عام في الزكاة
ونوافل الخير وصلاة المستحقين ولفظ ابن عباس في هذا المعنى محتمل وقوله سبحانه لهم درجات
ظاهره وهو قول الجمهور ان المراد مراتب الجنة ومنازلها ودرجاتها على قدر اعمالهم ورزق كريم
يريد به مآكل الجنة ومشاربها وكريم صفة تقتضي رفع المذام كقولك ثوب كريم وقوله سبحانه
كما اخرجك ربك من بيتك بالحق الآية اختلف في معنى هذه الآية فقال الفراء التقدير امض لامرك في
الغنائم وان كرهوا كما اخرجك ربك قال ع ويحرر هذا المعنى عندي ان يقال هذه الكاف شبهت هذه
القصة التي هي اخراجه من بيته بالقصة المتقدمة التي هي سؤالهم عن الانفال كانهم سألوا
عن النفل وتشاجروا فاخرج الله ذلك عنهم فكانت فيه الخيرة كما كرهوا في هذه القصة انبعاث النبي
صلى الله عليه وسلم فاخرجه الله من بيته فكانت في ذلك الخيرة وعلى هذا التأويل يمكن ان يكون قوله
يجادلونك كلاما مستانفا يراد به الكفار اي يجادلونك في شريعة الاسلام من بعد ما تبين الحق
فيها كانما يساقون الى الموت في الدعاء الى الايمان وهذا الذي ذكرت بان يجادلونك في الكفار منصوص وقاله
مجاهد وغيره المعنى في الآية كما اخرجك ربك من بيتك على كراهية من فريق منهم كذلك يجادلونك
في قتال كفار مكة ويودون غير ذات الشوكة من بعد ما تبين لهم انك انما تفعل ما امرت به
لا ما يريدون هم وقائل هذه المقالة يقول ان المجادلين هم المؤمنون وقائل المقالة الاولى
يقول ان المجادلين هم المشركون وهذان القولان يتم بهما المعنى ويحسن وصف اللفظ وقيل غير هذا
وقوله من بيتك يريد من المدينة يثرب قاله الجمهور وقوله سبحانه واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
انها لكم الآية في هذه الآية قصص حسن محل استيفائها كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

لابن هشام

لابن هشام والخاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه وقيل اوحي اليه ان ابا سفيان
ابن حرب قد اقبل من الشام بالعير التي فيها تجارة قريش واموالها قال لاصحابه ان عير قريش قد عنت
لكم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها قال فانبعث معه من خف وثقل قوم وكرهوا الخروج
واسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلوي على من تعذر ولا ينتظر من غاب ظهره فسار في ثلاثمائة وثلاثة
عشر او نحو ذلك من اصحابه بين مهاجري وانصاري وقد ظن الناس باجمعهم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يلقى حربا فلم يكثر استعدادهم وكان ابو سفيان في خلال ذلك يستقصي ويحذر
فلما بلغه خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ضمضم بن عمرو الغفاري الى مكة يستنفر اهلها
ففعل ضمضم فخرج اهل مكة في الف رجل او نحو ذلك فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خروجهم
اوحى الله اليه وحيا غير متلو يعده احدى الطائفتين فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصحابه بذلك فسروا وودوا ان تكون لهم العير التي لا قتال معها فلما علم ابو سفيان بقرب رسول
الله صلى الله عليه وسلم منه اخذ طريق الساحل وابعد وفات ولم يبق الا لقاء اهل مكة
واشار بعض الكفار على بعض بالانصراف وقالوا هذه عيرنا قد نجت فلننصرف فحرش ابو جهل
ولج حتى كان امر الواقعة وقال بعض المؤمنين نحن لم نخرج لقتال ولم نستعد له فجمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وهو بواد يسمى ذفران وقال اشيروا علي ايها الناس فقام
ابو بكر فتكلم واحسن وحرض الناس على لقاء العدو فاعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستشارة
فتكلم المقداد بن الاسود الكندي فقال لا نقول لك يا رسول الله كما قالت بنو اسرائيل اذهب
انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن نقول انا معكما مقاتلون والله لو اردت
بنا برك الغماد يعني مدينة الحبشة لقاتلنا معك من دونها فسر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بكلامه ودعا له بخير ثم قال اشيروا علي ايها الناس فكلمه سعد بن معاذ وقيل سعد بن
عبادة ويحتمل انهما معا فقال يا رسول الله كانك ايانا تريد معشر الانصار فقال النبي صلى
الله عليه وسلم اجل فقال انا قد آمنا بك واتبعناك وبايعناك فامض لامر الله فوالله لو خضت
بنا هذا البحر لخضناه معك فقال النبي صلى الله عليه وسلم امضوا على بركة الله فكاني
انظر الى مصارع القوم فالتقوا وكانت وقعة بدر قلت وفي صحيح البخاري من حديث عائشة في
خروج ابي بكر من مكة فلقيه ابن الدغنة عند برك الغماد الحديث وليست بمدينة الحبشة فالله اعلم
ولعلهما موضعان انتهى والشوكة عبارة عن السلاح والحدة وقوله سبحانه ويريد الله ان يحق
الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين المعنى ويريد الله ان يظهر الاسلام ويعلي دعوة الشرع بكلماته
التي سبقت في الازل والدابر الذي يدبر القوم اي ياتي في آخرهم واذا قطع فقد اتى على آخرهم
بشرط ان يبدأ الاهلاك من اولهم وهي عبارة في كل من اتى الاهلاك عليه وقوله سبحانه ليحق
الحق اي ليظهر الحق الذي هو دين الاسلام ويبطل الباطل اي الكفر وتستغيثون معناه تطلبون
الغوث وممدكم اي مكثركم ومقويكم من امددته ومردفين معناه متبعين وقرأ سائر
السبعة غير نافع مردفين بكسر الدال ونافع بفتحها وروي عن ابن عباس خلف كل ملك
ملك وهذا معنى التتابع يقال ردف واردف اذا اتبع وجاء بعد الشيء ويحتمل ان
يراد مردفين بعضهم بعضا وانشد الطبري شاهدا على ان اردف بمعنى جاء تابعا قول الشاعر

اذا الجوزاء اردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا
والثريا تطلع قبل الجوزاء وروي في الصحيح الاشهر ان الملائكة قاتلت يوم بدر واختلف
في غيره قال ابن اسحق حدثني عبد الله بن ابي بكر انه حدث عن ابن عباس قال حدثني رجل من بني
غفار قال اقبلت انا وابن عم لي حتى صعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر
الوقعة على من تكون فننتهب مع من ينتهب قال فبينما نحن في الجبل اذ دنت منا سحابة فسمعنا
فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم فاما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات
مكانه واما انا فكدت اهلك ثم تماسكت قال ابن اسحاق وحدثني عبد الله بن ابي بكر عن بعض
بني ساعدة عن ابي اسيد مالك بن ربيعة وكان شهد بدرا قال بعد ان ذهب بصره
لو كنت اليوم ببدر ومعي بصري لاريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا اشك ولا اتمارى
انتهى من سيرة ابن هشام وقوله سبحانه وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم الضمير في
جعله عائد على الوعد وهذا عندي امكن الاقوال من جهة المعنى وقيل عائد على المدد والامداد
وقيل عائد على الارداف وقيل على الالاف وقوله وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم توقيف
على ان الامر كله لله وان تكسب المرء لا يغني اذا لم يساعده القدر وان كان مطلوبا بالجد كما ظاهر
صلى الله عليه وسلم بين درعين وقوله سبحانه اذ يغشاكم النعاس امنة منه المقصد تعديد
نعمه سبحانه على المؤمنين في يوم بدر والتقدير اذكروا اذ فعلنا بكم كذا واذ فعلنا كذا فالعامل
في اذ اذكروا وقرا نافع يغشيكم بضم الياء وسكون الغين وقرا حمزة وغيره يغشيكم
بفتح الغين وشد الشين المكسورة وقرا ابن كثير وغيره يغشاكم بفتح الياء والف بعد الشين
النعاس بالرفع ومعنى يغشيكم يغطيكم والنعاس اخف النوم وهو الذي يصيب الانسان
وهو واقف او ماش وينص على ذلك قصص هذه الاية انهم انما كان بهم خفق بالرؤوس
وقوله امنة مصدر من امن يامن امنا وامنة وامانا والهاء فيه لتانيث المصدر
كما هي في المساءة والحماقة والمشقة وروي عن ابن مسعود انه قال النعاس عند حضور
القتال علامة امن وهو من الله وهو في الصلاة من الشيطان قال ع وهذا انما طريقه الوحي
فهو لا محالة يسند وقوله سبحانه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وذلك ان القوم من
المؤمنين لحقتهم جنابات في سفرهم وعدموا الماء قرب بدر وصلوا كذلك فوسوس الشيطان
في نفوس بعضهم مع تخويفه لهم من كثرة العدو وقلتهم وايضا فكانت بينهم وبين ماء بدر
مسافة من رمل دهس تسوخ فيه الارجل وكانوا يتوقعون ان يسبقهم الكفار الى ماء بدر
فانزل الله تلك المطرة فسالت الاودية فاغتسلوا وطهرهم الله تعالى فذهب رجز الشيطان
وتدمث الطريق وتلبدت تلك الرمال فسهل عليهم طريقهم فسر المؤمنون وتبينوا
من فعل الله بهم ذلك قصد المعونة لهم فطابت نفوسهم واجتمعت وتشجعت فذلك
الربط على قلوبهم وتثبيت الاقدام على الرملة اللينة والضمير في به عائد على هذا الاحتمال على
الماء ويحتمل عوده على ربط القلوب ويكون تثبيت الاقدام عبارة عن النصر والمعونة
في موطن الحرب ونزول الملائكة كان في الزمن قبل تغشية النعاس ولم يترتب كذلك
في الاية اذ المقصد فيها تعديد النعم فقط وقوله فثبتوا الذين امنوا وتثبيتهم يكون

بفئاتهم وبحضورهم وباقوالهم المؤنسة ويحتمل ان يكون التثبيت بما يلقيه الملك في
القلب بلمته من توهم الظفر واحتقار الكفار وبخواطر تشجعه قال ع ويقوي هذا
التاويل مطابقة قوله تعالى سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب وعلى هذا التاويل
يجي قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب مخاطبة للملائكة ويحتمل ان يكون مخاطبة
للمؤمنين وقوله سبحانه فاضربوا فوق الاعناق قال عكرمة هي على بابها واراد الرؤوس
وهذا ابين الاقوال قال ع ويحتمل عندي ان يريد وصف ابلغ ضربات العنق واحكمها
وهي الضربة التي تكون فوق عظم العنق ودون عظم الراس في المفصل كما وصف دريد
ابن الصمة فيجي على هذا فوق الاعناق متمكنا والبنان قالت فرقة هي المفاصل حيث كانت
من الاعضاء وقالت فرقة البنان الاصابع وهذا هو الصحيح لانه اذا قطع البنان لم
ينتفع صاحبه بشيء من اعضائه واستاسر وشاقوا معناه خالفوا ونابذوا وقطعوا
وهو ماخوذ من الشق وهو القطع والفصل بين شيئين وعبر المفسرون عن قوله
شاقوا اي صاروا في شق غير شقه قال ع وهذا وان كان معناه صحيحا فتحرير الاشتقاق
انما هو ما ذكرناه وقوله فان الله شديد العقاب جواب للشرط تضمن وعيدا وتهديدا وقوله
سبحانه ذلكم فذوقوه المخاطبة للكفار اي ذلك الضرب والقتل وما اوقع الله بهم يوم بدر
فكانه قال الامر ذلكم فذوقوه وكذا قدره سيبويه وقال بعضهم يحتمل ان يكون ذلكم في موضع
نصب كقولك زيدا فاضربه وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا الاية
زحفا يراد به متقابلي الصفوف والاشخاص اي يزحف بعضهم الى بعض واصل الزحف الاندفاع
على الالية ثم سمي كل ماش الى اخر في الحرب اذ في مشيته من التماهل والتباطي ما في مشي الزاحف
وفي هذا المعنى شواهد من كلام العرب ونهى الله سبحانه في هذه الاية عن تولي الادبار وهذا مقيد
بالشريطة المنصوصة في مثلي المؤمنين والفرار هنالك كبيرة موبقة بظاهر القران والحديث
واجماع الاكثر من الامة وقوله ومن يولهم يومئذ دبره الاية قال الجمهور لانه الاشارة بيومئذ الى
يوم اللقاء الذي يتضمنه قوله اذا لقيتم وحكم الاية باق الى يوم القيمة بشرط الضعف الذي بينه
الله سبحانه قلت قال ابن رشد وهذا ما لم يبلغ عدد المسلمين اثني عشر الفا فان بلغ حرم الفرار
وان زاد المشركون على الضعف للحديث لن تغلب اثنا عشر الفا من قلة فان اكثر اهل العلم خصصوا
بهذا الحديث عموم الاية وعن مالك مثله انتهى وفهم ع الحديث على التعجب ذكره عند قوله ويوم
حنين وما قاله ابن رشد هو الصواب والله اعلم ومتحرفا لقتال يراد به الذي يرى ان فعله
ذلك انكى للعدو ونصبه على الحال وكذلك نصب متحيزا واما الاستثناء فهو من المولين الذين
تضمنهم من والفئة هنا الجماعة الحاضرة للحرب هذا قول الجمهور وقوله سبحانه فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى هذه الالفاظ ترد على من يزعم ان افعال
العباد خلق لهم ومذهب اهل السنة انها خلق للرب كسب للعبد وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
اخذ يومئذ ثلاث قبضات من حصى وتراب فرمى بها في وجوه القوم فانهزموا عند اخر رمية
ويروى انه قال يوم بدر شاهت الوجوه وهذه الفعلة ايضا كانت يوم حنين بلا خلاف و
ليبلي المؤمنين اي يصيبهم ببلاء حسن وظاهر وصفه بالحسن يقتضي انه اراد الغنيمة والظفر والعزة

والله سميع لاستغاثتكم عليم بوجه الحكمة في جميع افعاله لا اله الا هو قوله سبحانه ذلكم اشارة الى
ما تقدم من قتل الله لهم ورميه اياهم وموضع ذلكم من الاعراب رفع قال سيبويه التقدير
الامر ذلكم وموهن معناه مضعف مبطل وقوله سبحانه ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الاية
قال اكثر المفسرين هذه الاية مخاطبة لكفار مكة روي ان قريشا لما عزموا على الخروج الى حماية
العير تعلقوا باستار الكعبة واستفتحوا وروي ان ابا جهل قال صبيحة يوم بدر اللهم انصر احب
الفئتين اليك واظهر خير الدينين عندك اللهم اقطعنا للرحم فاحنه الغداة ونحو هذا فقال لهم
ان تطلبوا الفتح فقد جاءكم اي كما ترونه عليكم لا لكم وفي هذا توبيخ لهم وان تنتهوا عن كفركم
وغيكم فهو خير لكم وان تعودوا للاستفتاح نعد بمثل واقعة بدر وباقي الاية بين وقوله سبحانه
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله الاية قيل ان الاية نزلت بسبب اختلافهم في النفل
ومجادلتهم في الحق وكراهيتهم خروج النبي صلى الله عليه وسلم وتولوا اصله تتولوا وانتم
تسمعون يريد دعاءه لكم بالقران والمواعظ وقوله كالذين قالوا يريد الكفار اما من قريش
لقولهم سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا واما الكفار على الاطلاق وقوله سبحانه ان شر
الدواب عند الله الصم البكم مقصد الاية بيان ان هذه الصنيفة العاتية من الكفار هي شر
الناس عند الله سبحانه وانها في اخس المنازل لديه وعبر بالدواب تاكيدا لذمهم وقوله الصم البكم عبارة
عما في قلوبهم وعدم انشراح صدورهم وادراك عقولهم وقوله ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم اي
اسماع تفهم وهدى ولو اسمعهم اي ولو فهمهم لتولوا بحكم القضاء السابق فيهم ولاعرضوا عما
تبين لهم من الهدى وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول الاية استجيبوا
بمعنى اجيبوا وقوله لما يحييكم قال مجاهد والجمهور والمعنى للطاعة وما تتضمنه من القران
وهذا احياء مستعار لانه من موت الكفر والجهل والطاعة تؤدي الى الحياة الدائمة في الاخرة
وقوله سبحانه واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يحتمل وجوها منها انه لما امرهم سبحانه
بالاستجابة في الطاعة حضهم على المبادرة والاستعجال واعلمهم انه يحول بين المرء وقلبه
بالموت والقبض اي فبادروا الطاعات ويلتئم مع هذا التاويل قوله وانه اليه تحشرون
اي فبادروا الطاعات وتزودوها ليوم الحشر ومنها ان يقصد اعلامهم ان قدرة الله وعلمه
واحاطته حائلة بين المرء وقلبه فكان هذا المعنى يحض على المراقبة والخوف لله المطلع على الضمائر
حكى هذا التاويل عن قتادة ويحتمل ان يريد تخويفهم ان لم يمتثلوا الطاعات ويستجيبوا
لله وللرسول ان يحل بهم ما حل بالكفار الذين ارادهم بقوله ولو اسمعهم لتولوا وهم
معرضون لان حتمه عليهم بانهم لو سمعوا لم ينتفعوا يقتضي انه قد حال بينهم وبين قلوبهم
ومنها ان يكون المعنى ترجية لهم بان الله يبدل الخوف الذي في قلوبهم من كثرة العدو
فيجعله جراة وقوة وبضد ذلك للكفار اي فان الله تعالى مقلب القلوب كما كان قسم النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل غير هذا قال مكي وقال الطبري هذا خبر من الله عز وجل
انه بقلوب العباد منهم لها وانه يحول بينهم وبينها اذا شاء حتى لا يدرك الانسان شيئا من املك
ايمان ولا كفر ولا يعي شيئا ولا يفهم شيئا الا باذنه ومشيئته وقد كان النبي صلى الله عليه
وسلم كثيرا ما يقول في دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك انتهى من الهداية وروى

ملك

مالك بن انس والنسائي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ابي بن كعب وهو في الصلاة
فلم يجب واسرع في بقية صلاته فلما فرغ جاء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الم يقل الله عز
وجل يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فقال ابي لا جرم يا رسول الله
لا تدعوني ابدا الا اجبتك الحديث بطوله واختلاف الفاظه وفي البخاري ومسلم ان ذلك وقع مع ابي
سعيد بن المعلى وروي انه وقع نحوه مع ابي سعيد بن المعلى وروي انه وقع نحوه مع حذيفة
ابن اليمان في غزوة الخندق وقوله عز وجل واتقوا فتنة لا تصيبن الذين منكم خاصة
في الاية تاويلات اسبقها الى النفس ان الله سبحانه حذر جميع المؤمنين من فتنة ان اصابت لم
تخص الظلمة فقط بل تصيب الكل من ظالم وبري وهذا تاويل الزبير بن العوام والحسن البصري
وكذلك تاول ابن عباس فانه قال امر الله المؤمنين في هذه الاية ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم
فيعمهم العذاب وخاصة نعت لمصدر محذوف تقديره اصابة خاصة فهي نصب على الحال
وقرا علي بن ابي طالب وغيره لتصيبن الذين باللام على جواب قسم والمعنى على هذا وعيد
للظلمة فقط وقوله سبحانه واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون الاية هذه اية تتضمن تعديد
نعم الله تعالى على المؤمنين واذ ظرف لمعمول واذكروا تقديره واذكروا حالكم الكائنة او الثابتة
اذ انتم ولا يجوز ان تكون اذ ظرفا للذكر وانما يعمل الذكر في اذ لو قدرناها مفعولة و
اختلف في الحال المشار اليه بهذه الاية فقالت فرقة وهي الاكثر هي حال المؤمنين بمكة في وقت
بداءة الاسلام والناس الذين يخاف تخطفهم كفار مكة والماوى المدينة والتاييد بالنصر وقعة
بدر وما انجر معها وفي قرنها والطيبات الغنائم وسائر ما فتح الله عليهم به وقالت فرقة الحال
المشار اليها هي حالهم في غزوة بدر والناس الذين يخاف تخطفهم على هذا عسكر مكة وسائر
القبائل المجاورة فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتخوف من بعضهم والماوى على هذا والتاييد
بالنصر هو الامداد بالملائكة والتغلب على العدو والطيبات الغنيمة وقوله سبحانه يا ايها الذين
امنوا لا تخونوا الله والرسول الاية هذا خطاب لجميع المؤمنين الى يوم القيامة وهو يجمع انواع
الخيانات كلها قليلها وكثيرها والخيانة التنقيص للشيء باختفاء وهي مستعملة في ان يفعل
الانسان خلاف ما ينبغي من حفظ امر ما مالا كان او سرا او غير ذلك والخيانة لله عز وجل
هو في تنقص اوامره في سر وقوله وتخونوا اماناتكم قال الطبري يحتمل ان يكون داخلا في النهي كانه قال
لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا اماناتكم ويحتمل ان يكون المعنى لا تخونوا الله والرسول
فذلك خيانة لاماناتكم وقوله فتنة يريد محنة وامتحانا واختبارا ليرى كيف العمل في جميع
ذلك وقوله وان الله عنده اجر عظيم يريد فوز الاخرة فلا تدعوا حظكم منه للحيطة على
اموالكم وابنائكم فان المدخور للاخرة اعظم اجرا وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا ان تتقوا
الله وعد للمؤمنين بشرط التقوى والطاعة لله سبحانه ويجعل لكم فرقانا معناه فرقا بين حقكم
وباطل من ينازعكم بالنصر والتاييد وعبر قتادة وبعض المفسرين عن الفرقان هاهنا
بالنجاة وقال مجاهد والسدي معناه مخرجا ونحو هذا مما يعمه ما ذكرناه وقد
يوجد للعرب استعمال الفرقان كما ذكر المفسرون وعلى ذلك شواهد منها قول الشاعر

وكيف ارجي الخلد والموت طالبي   وما لي من كاس المنية فرقان

قال ابن رشد والحسن ما قيل في معنى قوله تعالى يجعل لكم فرقانا اي فصلا بين الحق والباطل
حتى يعرفوا ذلك بقلوبهم ويهتدوا اليه انتهى من البيان وقوله سبحانه واذ يمكر بك الذين
كفروا الآية تذكير بحال مكة وضيقها مع الكفرة وجميل صنع الله تعالى في جميع ذلك والمكر
المخاتلة والتداهي تقول فلان يمكر بفلان اذا كان يستدرجه وهذا المكر الذي ذكر الله تعالى
في هذه الآية هو باجماع من المفسرين اشارة الى اجتماع قريش في دار الندوة بمحضر ابليس في صورة
شيخ نجدي على ما نص ابن اسحق في السيرة الحديث بطوله وهو الذي كان خروج رسول الله صلى
الله عليه وسلم بسببه ولا خلاف ان ذلك كان بعد موت ابي طالب ففي القصة ان
ابا جهل قال الرأي ان ناخذ من كل بطن في قريش فتى قويا جلدا فيجتمعون ثم ياخذ كل واحد
منهم سيفا وياتون محمدا في مضجعه فيضربونه ضربة رجل واحد فلا تقدر بنو هاشم
على قتال قريش باسرها فياخذون العقل ونستريح منه فقال النجدي صدق الفتى
هذا الرأي لا رأي غيره فافترقوا على ذلك فاخبر الله تعالى بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم
واذن له في الخروج الى المدينة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من ليلته وقال
لعلي بن ابي طالب التف في برد الحضرمي واضطجع في مضجعي فانه لا يضرك شيء ففعل فجاء
فتيان قريش فجعلوا يرصدون الشخص وينتظرون قيامه فيثورون به فلما قام رأوا عليا
فقالوا له اين صاحبك فقال لا ادري وفي كثير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عليهم
وهم في طريقه فطمس الله اعينهم عنه وجعل على رأس كل واحد منهم ترابا ومضى لوجهه
فجاءهم رجل فقال ما تنتظرون قالوا محمدا قال اني رأيته الآن جائيا من ناحيتكم وهو
لا محالة وضع التراب على رؤوسكم فمد كل واحد يده الى رأسه فاذا عليه التراب وجاءوا الى
مضجع النبي صلى الله عليه وسلم فوجدوا عليا فركبوا وراءه في كل صعب وذلول
وهو بالغار ومعنى ليثبتوك ليسجنوك قاله عطاء وغيره وقال ابن عباس وغيره ليقيدوك
وقوله سبحانه واذا تتلى عليهم آياتنا يعني القرآن قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا
وقولهم ان هذا الا اساطير الاولين اي قصصهم المكتوبة المسطورة واساطير جمع اسطورة
ويحتمل جمع اسطار وتواترت الروايات عن ابن جريج وغيره ان قائل هذه المقالة هو النضر
ابن الحارث وذلك انه كان كثير السفر الى فارس والحيرة فكان قد سمع من قصص الرهبان
واخبار رستم واسفنديار فلما سمع القرآن ورأى فيه اخبار الانبياء والامم قال لو شئنا لقلنا
مثل هذا وكان النضر من مردة قريش النائلين من النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت فيه آيات
كثيرة من كتاب الله عز وجل وامكن الله منه يوم بدر وقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم
صبرا بالصفراء في منصرفه من بدر في موضع يقال له الاثيل وكان اسر المقداد فلما امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه قال المقداد اسيري يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه كان يقول في كتاب الله ما قد علمتم ثم اعاد الامر بقتله فاعاد المقداد مقالته
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغن المقداد من فضلك فقال المقداد هذا الذي
اردت فضربت عنق النضر وقوله سبحانه واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
الآية روي عن مجاهد وغيره ان قائل هذه المقالة هو النضر بن الحارث المذكور وفيه

نزلت

نزلت الآية قال ع ويترتب ان يقول النضر مقالة وينسبها القرآن الى جميعهم لان النضر كان
موسوما بالنبل والفهم مسكونا الى قوله وكان اذا قال قولا قاله منهم كثير واتبعوه عليه
حسبما يفعله الناس ابدا بعلمائهم وفقهائهم خ واخرج البخاري بسنده عن انس بن مالك قال
قال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا
بعذاب اليم فنزلت وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الى عن المسجد الحرام انتهى والمشار اليه
بهذا هو القرآن وشرع محمد صلى الله عليه وسلم والذي حمله على هذه المقالة هو الحسد
فعميت بصائرهم عن الهدى وصمموا على ان هذا ليس بحق نعوذ بالله من جهد البلاء وسوء
القضاء وحكى ابن فورك ان هذه المقالة خرجت منهم مخرج العناد وهذا بعيد في التأويل
ولا يقول هذا على جهة العناد عاقل وقراءة الناس انما هي بنصب الحق على انه خبر كان ويكون
هو فصلا فهو حينئذ اسم وامطر انما تستعمل غالبا في المكروه ومطر في الرحمة قاله ابو عبيدة وقوله
سبحانه وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الآية قالت فرقة نزلت هذه الآية كلها بمكة وقالت
فرقة نزلت كلها بعد وقعة بدر حكاية عما مضى وقال ابن ابزى نزل قوله وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون عند خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة في طريقه الى المدينة
وقد بقي بمكة مؤمنون يستغفرون ونزل قوله وما لهم ألا يعذبهم الله الى آخر الآية
بعد بدر عند ظهور العذاب عليهم قلت وهذا التأويل بين وعليه اعتمد عياض في الشفا قال
وفي الآية تأويل آخر ثم ذكر حديث الترمذي عن ابي موسى الاشعري قال قال النبي صلى
الله عليه وسلم انزل الله تعالى علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار انتهى قال ع واجمع المتأولون
على ان معنى قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ان الله عز وجل لم يعذب قط امة ونبيها
بين اظهرها اي فما كان ليعذب هذه الامة وانت فيهم بل كرامتك لديه اعظم وقوله عز وجل
وما لهم ألا يعذبهم الله توعد بعذاب الله والضمير في قوله اولياءه عائد على الله سبحانه او على
المسجد الحرام كل ذلك جيد وروي الاخير عن الحسن وقال الطبري عن الحسن بن ابي الحسن ان
قوله سبحانه وما لهم ألا يعذبهم الله ناسخ لقوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
قال ع وفيه نظر لانه خبر لا يدخله نسخ وقوله سبحانه وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء
وتصدية المكاء الصفير قاله ابن عباس والجمهور والتصدية عند اكثر الناس التصفيق وذهب
اكثر المفسرين الى ان المكاء والتصدية انما احدثهما الكفار عند مبعث النبي صلى الله عليه
وسلم لتقطع عليه وعلى المؤمنين قراءتهم وصلاتهم وتخلط عليهم فلما نفى الله
تعالى ولايتهم للبيت امكن ان يعترض منهم معترض بان يقول وكيف لا نكون اولياءه
ونحن نسكنه ونصلي عنده فقطع سبحانه هذا الاعتراض بان قال وما كان صلاتهم
الا المكاء والتصدية قال ع والذي مر بي من امر العرب في غير ما ديوان ان المكاء والتصدية
كان من فعل العرب قديما قبل الاسلام على جهة التقرب به والتشرع وعلى هذا يستقيم تعييرهم
وتنقصهم بان شرعهم وصلاتهم لم تكن رهبة ولا رغبة وانما كانت مكاء وتصدية
من نوع اللعب ولكنهم كانوا يتزيدون فيهما وقت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ليشغلوه

وامنه عن القراءة والصلاة وقوله سبحانه فذوقوا العذاب الاية اشارة الى عذابهم
ببدر بالسيف قاله الحسن وغيره فيلزم ان هذه الاية الاخيرة نزلت بعد بدر ولابد
قال ع والاشبه ان الكل نزل بعد بدر حكاية عما مضى وقوله سبحانه ان الذين كفروا
ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله الاية لما قتل من قتل ببدر رجع ابناؤهم
وقراباتهم فقالوا لمن خلص ماله في العير ان محمدا قد نال منا ما ترون ولكن اعينونا
بهذا المال الذي كان سبب الوقعة فلعلنا ان ننال منه ثارا يريدون نفقته في غزوة
احد وقوله سبحانه فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون الحسرة التلهف على
فائت وهذا من اخبار القرآن بالغيوب قبل ان تكون فكان كما اخبر ثم اخبر سبحانه عن
الكافرين انهم يحشرون الى جهنم والحشر الجمع وقوله سبحانه ليميز الله الخبيث من الطيب وقرا
حمزة والكسائي ليميز الله بضم الياء وفتح الميم وشد الياء قال ابن عباس وغيره المعنى بالخبيث الكفار
وبالطيب المؤمنون وقال ابن سلام والزجاج الخبيث ما انفقه المشركون في الصد عن سبيل الله
والطيب هو ما انفقه المؤمنون في سبيل الله قال ع روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله سبحانه وتعالى يخرج يوم القيامة من الاموال ما كان صدقة او قربة ثم يامر بسائر ذلك
فيلقى في النار وعلى التاويلين فقوله سبحانه ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا
انما هي عبارة عن جميع ذلك وضمه وتاليف اشتاته وتكاثفه بالاجتماع ويركمه في
كلام العرب يكثفه ومنه سحاب مركوم وعبارة البخاري فيركمه فيجمعه انتهى وقوله
سبحانه ان ينتهوا يعني عن الكفر يغفر لهم ما قد سلف لان الاسلام يجب ما قبله
وان يعودوا يريد به الى القتال ولا يصح ان يتاول وان يعودوا الى الكفر لانهم
لم ينفصلوا عنه وقوله فقد مضت سنة الاولين عبارة تجمع الوعيد والتهديد
والتمثيل بمن هلك من الامم في سالف الدهر بعذاب الله حين صد في وجه نبيه وبمن
هلك في يوم بدر بسيف الاسلام وقوله سبحانه وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال ابن عباس
وابن عمر وغيرهما الفتنة الشرك قال ع وهذا هو الظاهر ويفسر هذه الاية قوله صلى الله
عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله الحديث وقال ابن اسحق معناها حتى
لا يفتن احد عن دينه كما كانت قريش تفعل بمكة بمن اسلم وقوله ويكون الدين كله لله اي
لا يشرك معه صنم ولا وثن ولا يعبد غيره سبحانه ثم قال تعالى فان انتهوا اي عن الكفر فان
الله بصير بعملهم مجاز عليه عند ثوابه وجميل المقارضة عليه وقوله سبحانه وان
تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير معادل لقوله فان انتهوا المعنى وان
تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله تعالى ينصركم عليهم وهذا محض وعد بالنصر والظفر والمولى
ها هنا الموالي والمعين والمولى في اللغة على معان هذا الذي يليق بهذا الموضع منها والمولى
الذي هو السيد المقترن بالعبد يعم المؤمنين والمشركين وقوله عز وجل واعلموا انما غنمتم من شيء
فان لله خمسه الاية الغنيمة في اللغة ما يناله الرجل بسعي ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الصيام
في الشتاء هي الغنيمة الباردة وقوله من شيء ظاهره العموم ومعناه الخصوص فاما الناض والمتاع والاطفال
والنساء وما لا يؤكل لحمه من الحيوان ويصح تملكه فالامام ياخذ خمسه ويقسم الباقي في الجيش

البارده

واما الارض فقال فيها مالك يقسمها الامام ان راى ذلك صوابا كما فعل النبي صلى الله
عليه وسلم بخيبر ولا يقسمها بل يتركها لنوائب المسلمين ان اداه اجتهاده الى ذلك كما فعل
عمر بن الخطاب رضي الله عنه بارض مصر وبسواد الكوفة واما الرجال ومن شارف البلوغ من
الصبيان فالامام عند مالك وجمهور العلماء مخير فيهم على خمسة اوجه منها القتل وهو مستحسن
في اهل الشجاعة والنكاية ومنها الفداء وهو مستحسن في ذي المنصب الذي ليس بشجاع ولا
يخاف منه راي ومكيدة لانتفاع المسلمين بالمال الذي يؤخذ منه ومنها المن وهو
مستحسن فيمن يرجى ان يحنو على سبي المسلمين ونحو ذلك من القرائن ومنها الاسترقاق
ومنها ضرب الجزية والترك في الذمة واما الطعام والغنم ونحوها مما يؤكل فهو مباح في بلد
العدو اكله وما فضل منه كان في المغنم ومحل استيعاب فروع هذا الفصل كتب الفقه
وقوله وما انزلنا على عبدنا اي من النصر والظهور الذي انزله الله سبحانه يوم بدر ويحتمل
ان تكون الاشارة الى قرآن نزل يوم بدر او في قصة يوم بدر ويوم الفرقان معناه يوم الفرق بين
الحق والباطل واعزاز الاسلام واذلال الشرك والجمعان يريد جمع المسلمين وجمع الكفار وهو
يوم بدر ولا خلاف في ذلك وقوله سبحانه والله على كل شيء قدير يعضد ان قوله وما انزلنا
على عبدنا يراد به النصر والظفر اي الايات والعظائم من غلبة القليل للكثير وذلك بقدرة
الله عز وجل الذي هو على كل شيء قدير وقوله سبحانه اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة
القصوى والركب اسفل منكم العدوة شفير الوادي وحرفه الذي يتعذر المشي فيه بمنزلة
رحا البئر لانها عدت ما في الوادي من ماء ونحوه ان يتجاوز الوادي اي منعته ومنه
قول الشاعر: عدتني عن زيارتك العوادي ... وحالت دونها حرب زبون
وقرا ابن كثير وابو عمرو بالعدوة بكسر العين وقوله الدنيا والقصوى انما هو بالاضافة
الى المدينة وبين المدينة ووادي بدر موضع الوقعة مرحلتان والدنيا من الدنو والقصوى
من القصو وهو البعد والركب باجماع من المفسرين عير ابي سفيان وقوله اسفل في موضع خفض
تقديره في مكان اسفل كذا قال سيبويه وكان الركب ومدبر امره ابو سفيان بن حرب قد
نكب عن بدر حين نذر بالنبي صلى الله عليه وسلم واخذ سيف البحر فهو اسفل بالاضافة
الى اعلى الوادي وقوله سبحانه ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد المقصد من الاية لو تواعدتم
لاختلفتم في الميعاد بسبب العوارض التي تعرض للناس الا مع تيسير الله الذي تمم ذلك وهذا
كما تقول لصاحبك في امر سناه الله تعالى دون تعب كثير لو بنينا على هذا وسعينا فيه لم يتم هكذا
ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا اي لينفذ ويظهر امرا قد قدر في الازل مفعولا لكم
بشرط وجودكم في وقت وجودكم وهذا كله معلوم عنده عز وجل لم يتجدد له به علم قوله
عز وجل ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة قال الطبري المعنى ليقتل من قتل
من الكفار قريش وغيرهم ببيان من الله واعذار بالرسالة ويحيى ايضا ويعيش من عاش عن
بيان منه ايضا واعذار لا حجة لاحد عليه سبحانه قلت قال ابو عمر بن عبد البر في كتاب فضل
العلم في قوله عز وجل ليهلك من هلك عن بينة الاية البينة ما بان من الحق انتهى وقال ابن اسحق

تبيين نعمة الله سبحانه في شان قصة بدر وتبيين
سبحانه ما يسر من ذلك والمعنى لو

وغيره معنى ليهلك اي ليكفر ويحيى اي ليؤمن فالحياة والهلاك على هذا البنا وبل مستعار
وقوله واذ يريكهم الله في منامك قليلا الاية وتظاهرت الروايات ان هذه الاية نزلت في رؤيا
راها رسول الله صلى الله عليه وسلم راى فيها عدد الكفار قليلا فاخبر بذلك اصحابه
فقويت نفوسهم وحرصوا على اللقاء قاله مجاهد وغيره والظاهر انه راهم صلى
الله عليه وسلم في نومه قليلا قدرهم وباسهم ويحتمل انه راهم قليلا عددهم فكان
تاويل رؤياه انهزامهم والفشل الخور عن الامر ولتنازعتم اي لتخالفتم الامر يريد في
اللقاء والحرب وسلم لفظ يعم كل مخوف وقوله سبحانه واذ يريكموهم اذ التقيتم الاية
وهذه الرؤية هي في اليقظة بالجماع وهي الرؤية التي كانت حين التقوا ووقعت العين على العين
والمعنى ان الله تعالى لما اراده من انفاذ قضائه في نصرة الاسلام واظهار دينه قلل كل
طائفة في عيون الاخرى فوقع الخلل في التخمين والحزر الذي يستعمله الناس في هذا لتجسر
كل طائفة على الاخرى وتتسبب اسباب الحرب والامر المفعول المذكور في الايتين هو القصة
باجمعها وقوله والى الله ترجع الامور تنبيه على ان الحول باجمعه لله وان كل امر فله واليه
وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون
واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا الاية هذا امر من الله سبحانه بما فيه داعية
النصر وسبب العز وهي وصية منه سبحانه بحسب التقليد الذي في اية الضعف و
الفئة الجماعة اصلها فئوة وهي من فاوت جمعت ثم امر سبحانه بالذكر له هنالك اذ هو
عصمة المستنجد ووزر المستعين المعين قال قتادة افترض الله ذكره عند اشغل ما يكون
عند الضراب والسيوف قال ع وهذا ذكر خفي لان رفع الصوت في موطن القتال رديء
مكروه اذا كان الغاطا فاما ان كان من الجميع عند الحملة فحسن فانه فت في عضد العدو
قال قيس بن عباد كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يكرهون الصوت عند ثلاث
عند قراءة القرآن وعند الجنائز وعند القتال وقال النبي صلى الله عليه وسلم اطلبوا
اجابة الدعاء عند القتال واقامة الصلاة ونزول الغيث وقال ابن عباس يكره التلثم
عند القتال قال النووي وسئل الشيخ ابو عمرو بن الصلاح عن القدر الذي يصير به
المؤمن من الذاكرين الله كثيرا فقال اذا واظب على الاذكار المأثورة المثبتة صباحا ومساء
وفي الاوقات والاحوال المختلفة ليلا ونهارا وهي مبينة في كتب عمل اليوم والليلة
كان من الذاكرين الله كثيرا والله سبحانه اعلم انتهى من الحلية قلت واحسن من هذا جوابه
صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون
الله كثيرا والذاكرات رواه مسلم والترمذي وعنده قالوا وما المفردون يا رسول الله
قال المستهترون في ذكر الله يضع الذكر عنهم اثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا قال
صاحب سلاح المؤمن المستهترون في ذكر الله هو بفتح التائين المثناتين يعني الذين اولعوا
به يقال استهتر فلان بكذا اي ولع به والله اعلم انتهى فقد بين صلى الله عليه وسلم
هنا صفة الذاكرين الله كثيرا وقد نقلنا في غير هذا المحل بيان صفة الذاكرين الله

كثيرا

كثيرا بنحو هذا من طريق ابن المبارك واذا كان العبد مستهترا بذكر مولاه انس به واحبه
واحب لقاءه فلم يبال بلقاء العدو وان هي الا احدى الحسنيين اما النصر وهو الاغلب
لمن هذه صفته او الشهادة وذلك مناه ومطلبه انتهى وتفلحون تنالون امالكم
والجمهور على ان الريح هنا مستعارة قال مجاهد الريح النصر والقوة وذهبت ريح اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم احد وقوله سبحانه واصبروا الى اخر الاية تتميم
في الوصية وعدة مؤنسة وقوله سبحانه ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم الاية
الاشارة الى كفار قريش والبطر الاشر وغمط النعمة وروي ان ابا سفيان لما احرز عيره بعث
الى قريش وقال ان الله قد سلم عيركم فارجعوا فاتى راي الجماعة على ذلك فخالف ابو جهل وقال
والله لا نفعل حتى ناتي بدرا وكانت بدر سوقا من اسواق العرب لها يوم موسم فننحر عليها
الابل ونشرب الخمر وتعزف علينا القينات وتسمع بنا العرب ويهابنا الناس فهذا
معنى قوله تعالى ورئاء الناس وقوله سبحانه واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب
لكم اليوم من الناس الضمير في لهم عائد على الكفار والشيطان ابليس نفسه والذي عليه
الجمهور وتظاهرت به الروايات ان ابليس جاء كفار قريش ففي السيرة لابن هشام انه جاءهم
بمكة وفي غيرها انه جاءهم وهم في طريقهم الى بدر وقد لحقهم خوف من بني بكر وكنانة
لحروب كانت بينهم فجاءهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم وهو سيد من ساداتهم
فقال لهم اني جار لكم ولن تخافوا من قومي وهم لكم اعوان على مقصدكم ولن يغلبكم احد
فروي انه لما التقى الجمعان كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما راى الملائكة نكص فقال له
الحارث افرارا يا سراقة فلم يلو عليه وروي انه قال له ما تضمنته الاية وروي ان عمير بن وهب
او الحارث بن هشام قال له اين اي يا سراقة فلم يلو ومثل ع عدو الله فذهب ووقعت
الهزيمة فتحدثوا ان سراقة فر بالناس فبلغ ذلك سراقة بن مالك فاتى مكة فقال لهم والله
ما علمت بشيء من امركم حتى بلغتني هزيمتكم ولا رايتكم ولا كنت معكم قلت قال ابن اسحاق ذكر
لي انهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقة لا ينكرونه حتى اذا كان يوم بدر والتقى الجمعان
نكص عدو الله على عقبيه فاوردهم ثم اسلمهم انتهى من السيرة لابن هشام وقوله اني جار لكم
اي انتم في ذمتي وحماي وتراءت تفاعلت من الرؤية اي راى هؤلاء هؤلاء وقوله نكص على
عقبيه اي رجع من حيث جاء واصل النكوص في اللغة الرجوع القهقرى وقوله اني ارى
ما لا ترون يريد الملائكة وهو الخبيث انما شرط ان لا غالب لكم من الناس فلما راى
الملائكة وخرق العادة خاف وفر وقوله اني اخاف الله قال الزجاج وغيره خاف مما راى
من الامر وهوله انه يومه الذي انظر اليه ويقوي هذا انه راى خرق العادة ونزول الملائكة
للحرب وقوله سبحانه واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض الاية قال المفسرون
ان هؤلاء الموصوفون بالنفاق انما هم من عسكر الكفار ممن كان الاسلام داخل قلوبهم
خرجوا مع المشركين الى بدر منهم مكره وغير مكره فلما اشرفوا على المسلمين ورأوا قلتهم
ارتابوا وقالوا مشيرين الى المسلمين غر هؤلاء دينهم قال ع ولم يذكر احد ممن شهد بدرا
بنفاق الا ما ظهر بعد ذلك من معتب بن قشير فانه القائل يوم احد لو كان لنا من الامر

شئ ما قلنا ها هنا وقد يحتمل ان يكون منافقوا المدينة لما وصلهم خروج قريش في
قوة عظيمة قالوا هذه المقالة ثم اخبر الله سبحانه بان من توكل عليه وفوض امره اليه فان
عزة سبحانه وحكمته كفيلة بنصره وقوله سبحانه ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة
يضربون وجوههم وادبارهم الاية هذه الاية تتضمن التعجب مما حل بالكفار يوم بدر قاله
مجاهد وغيره وفي ذلك وعيد لمن بقي منهم وقوله وادبارهم قال جل المفسرين يريد استاههم
ولكن الله كريم كنى وقال ابن عباس والحسن اراد ظهورهم وما ادبر منهم وباقي الاية بين
وقوله سبحانه كداب ال فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات الله فاخذهم الله بذنوبهم
الاية الداب العادة في كلام العرب وهو ماخوذ من داب على العمل اذا لازمه وقوله سبحانه
ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم الاية معنى هذه الاية
الاخبار بان الله سبحانه اذا انعم على قوم نعمة فانه بلطفه ورحمته لا يبدا بتغييرها وتنكيدها
حتى يجيء ذلك منهم بان يغيروا حالهم التي تراد وتحسن منهم فاذا فعلوا ذلك غير الله نعمته
عندهم بنقمته منهم ومثال هذا نعمة الله على قريش بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا
به فغير الله تلك النعمة بان نقلها الى غيرهم من الانصار واحل بهم عقوبته وقوله كداب ال
فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم هذا التكرير هو بمعنى لهم
للاول اذ الاول داب في ان هلكوا لما كفروا وهذا الثاني داب في ان لم تغير نعمهم حتى غيروا
ما بانفسهم والاشارة بقوله والذين من قبلهم الى قوم شعيب وصالح وهود ونوح وغيرهم
وقوله سبحانه ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت
منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون لجمع المتاولون ان الاية نزلت في بني قريظة
وهي بعد تعم كل من اتصف بهذه الصفة الى يوم القيامة وقوله في كل مرة يقتضي ان النقض
قد تكرر منهم وحديث قريظة هو انهم عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا يحاربوه
ولا يعينوا عليه عدوا من غيرهم فلما اجتمعت الاحزاب على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة
غلب على ظن بني قريظة ان النبي صلى الله عليه وسلم مغلوب ومستاصل وخدعهم حيي
ابن اخطب النضري كعب بن اسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم فغدروا ووالوا
قريشا وامدوهم بالسلاح والادراع فلما انجلت تلك الحال عن النبي صلى الله عليه وسلم
امره الله تعالى بالخروج اليهم وحربهم فاستنزلوا وضربت اعناقهم بحكم سعد واستيعاب
قصتهم في السير وانما اقتضبت منها ما يخص تفسير الاية وقوله سبحانه فاما تثقفنهم في الحرب
الاية معنى تثقفنهم تاسرهم وتحصلهم في ثقافك او تلقاهم بحال ضعف تقدر عليهم فيها وتغلبهم
ومعنى فشرد اي طرد وابعد وخوف والشريد المبعد عن وطن او نحوه فمعنى الاية فان اسرت
هؤلاء الناقضين في حربك لهم فافعل بهم من النقمة ما يكون تشريدا لمن ياتي خلفهم في مثل طريقهم
وعبارة البخاري فشرد فرق انتهى والضمير في لعلهم عائد على الفرقة المشردة وقال ابن عباس المعنى
نكل من خلفهم وقالت فرقة معناه سمع بهم والمعنى متقارب ومعنى خلفهم اي بعدهم و
يذكرون اي يتعظون وقوله سبحانه واما تخافن من قوم خيانة الاية قال اكثر المفسرين ان الاية
في بني قريظة والذي يظهر من الفاظ الاية ان امر بني قريظة قد انقضى عند قوله فشرد بهم

من خلفهم ثم ابتدا تبارك وتعالى في هذه الاية بما يصنعه في المستقبل مع من يخاف منه خيانة
الى اخر الدهر وبنو قريظة لم يكونوا في حد من يخاف خيانة وقوله فانبذ اليهم اي الق اليهم عهدهم
وقوله على سواء قيل معناه حتى يكون الامر في بيانه والعلم به على سواء منك ومنهم فتكونون في
استشعار الحرب سواء وذكر الفراء ان المعنى فانبذ اليهم على اعتدال وسواء من الامر اي بين
لهم على قدر ما ظهر منهم لا تفرط ولا تفجا بحرب بل افعل بهم مثل ما فعلوا بك يعني
موازنة ومقايسة وقرا نافع وغيره ولا تحسبن بالتاء مخاطبة النبي صلى الله عليه
وسلم وسبقوا معناه فاتوا بانفسهم وانجوها انهم لا يعجزون اي يفلتون ولا يعجزون
طالبهم وروي ان الاية نزلت فيمن افلت من الكفار في بدر وغيره فالمعنى لا تظنهم ناجين
بل هم مدركون وقرا حمزة وغيره ولا يحسبن بالياء من تحت وبفتح السين وقوله
سبحانه واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاية المخاطبة في هذه الاية لجميع المؤمنين
وفي صحيح مسلم الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي ولما كانت الخيل
هي اصل الحرب واوزارها والتي عقد الخير في نواصيها خصها الله تعالى بالذكر تشريفا
لها ولما كانت السهام من انجع ما يتعاطى في الحرب وانكاه في العدو واقربه تناولا للارواح
خصها صلى الله عليه وسلم بالذكر لشرفها والتنبيه عليها قلت وفي صحيح مسلم عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من تعلم الرمي وتركه فليس منا او قد عصى وفي سنن ابي داود
والترمذي والنسائي عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة انفس الجنة صانعه يحتسب في صنعته الخير
والرامي به ومنبله فارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبوا كل شيء يلهو به الرجل باطل
الا رميه بقوسه وتاديبه فرسه وملاعبته امراته انتهى ورباط الخيل مصدر من ربط
ولا يكثر ربطها الا وهي كثيرة ويجوز ان يكون مصدرا من رابط واذا ربط كل واحد
من المؤمنين فرسا لاجل صاحبه فقد حصل بينهم رباط وذلك الذي حض عليه في الاية
وقد قال عليه السلام من ربط فرسا في سبيل الله فهو كالباسط يده بالصدقة لا يقبضها والاحاديث
في هذا المعنى كثيرة قلت وقد ذكرنا بعض ما ورد في فضل الرباط في ال عمران قال
صاحب التذكرة وعن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من رابط ليلة في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبا من غير شهر رمضان اعظم
اجرا من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ورباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين في
شهر رمضان افضل عند الله واعظم اجرا اراه قال من عبادة الفي سنة صيامها وقيامها
فان رده الله الى اهله سالما لم تكتب عليه سيئة الف سنة وتكتب له من الحسنات ويجرى له
اجر الرباط الى يوم القيامة قال القرطبي في تذكرته فدل هذا الحديث على ان رباط يوم في رمضان
يحصل له هذا الثواب الدائم وان لم يمت مرابطا خرج هذا الحديث والذي قبله ابن ماجه
انتهى من التذكرة وترهبون معناه تخوفون وتفزعون والرهبة الخوف وقوله واخرين
من دونهم فيه اقوال قيل هم المنافقون وقيل فارس وقيل غير هذا قال ع ويحسن ان
يقدر قوله لا تعلمونهم بمعنى لا تعلمونهم فازعين راهبين وقال ص لا تعلمونهم بمعنى لا تعرفونهم

كان له كالف ليلة صيامها وقيامها وعن ابي ابن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرباط يوم في سبيل الله

فتعدى للواحد ومن عداه الى اثنين فقدم محاربين واستبعد لعدم تقدم ذكره فهو ممنوع
عند بعضهم وغير جيد عند بعضهم انتهى قوله سبحانه وان جنحوا للسلم فاجنح لها جنح الرجل الى الامر
اذا مال اليه وعاد الضمير في لها مؤنثا اذ السلم بمعنى المسالمة والهدنة وذهب جماعة الى ان هذه
الاية منسوخة والضمير في جنحوا هو للذين نبذ اليهم على سواء وقوله سبحانه وان يريدوا ان يخدعوك بان
يظهروا السلم ويبطنوا الغدر والخيانة فان حسبك الله اي كافيك ومعطيك نصره وايدك
معناه قواك وبالمؤمنين يريد الانصار بذلك تظاهرت اقوال المفسرين وقوله والف بين قلوبهم

فان حسبك الله الضمير في قوله وان يريدوا
عائد على الكفار الذين قيل فيهم وان جنحوا اي وان
يريدوا ان يخدعوك

الاية اشارة الى العداوة التي كانت بين الاوس والخزرج قال ع ولو ذهب ذاهب الى عموم المؤمنين في
المهاجرين والانصار وجعل التاليف ما كان بين جميعهم من التحاب لساغ ذلك وقال ابن مسعود
نزلت هذه الاية في المتحابين في الله وقال مجاهد اذا تراءى المتحابان في الله وتصافحا تحاتت خطاياهما
فقال له عبدة بن ابي لبابة ان هذا اليسير فقال له لا تقل ذلك فان الله تعالى يقول لو انفقت ما في
الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم قال عبدة فعرفت انه افقه مني قال ع وهذا كله تمثيل حسن
بالاية لا ان الاية نزلت في ذلك وقد روى سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن
مالفة لا خير فيمن لم يالف ولا يؤلف قال ع والتشابه سبب الالفة فمن كان من اهل الخير
الف اشباهه والفوه قلت وفي صحيح البخاري الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف
وما تناكر منها اختلف انتهى وروى مالك في الموطأ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة اين المتحابون بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم
لا ظل الا ظلي قال ابو عمر بن عبد البر في التمهيد وروينا عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال يا عبد الله بن مسعود اتدري اي عرى الايمان اوثق قلت الله ورسوله اعلم قال
الولاية في الله الحب والبغض في الله ورواه البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم
ايضا وعن عبد الله في قوله تعالى لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
ولكن الله الف بينهم قال نزلت في المتحابين في الله قال ابو عمر واما قوله اليوم اظلهم في ظلي
فانه اراد والله اعلم في ظل عرشه وقد يكون الظل كناية عن الرحمة كما قال تعالى ان المتقين في
ظلال وعيون يعني بذلك ما هم فيه من الرحمة والنعيم وقوله سبحانه يا ايها النبي حسبك
الله ومن اتبعك من المؤمنين قال النقاش نزلت هذه الاية بالبيداء في غزوة بدر وحكي عن ابن
عباس انها نزلت في الاوس والخزرج وقيل نزلت حين اسلم عمر وكمل المسلمون اربعين قاله
ابن عمر وانس فهي على هذا مكية وحسبك في كلام العرب وشرعك بمعنى كافيك ويكفيك
والمحسب الكافي قالت فرقة معنى الاية يكفيك الله ويكفيك من اتبعك فمن في موضع رفع
وقال الشعبي وابن زيد معنى الاية حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين فمن في موضع
نصب عطفا على موضع الكاف لان موضعها نصب على المعنى بيكفيك سد حسبك مسدها
قال ص ورد بان الكاف ليس موضعها نصب بل جر بالاضافة فحسب اليها اضافة صحيحة
انتهى وقوله سبحانه يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال الاية حرض المؤمنين اي حثهم
وحضهم وقوله سبحانه ان يكن منكم الى اخر الاية لفظ خبر ضمنه وعد بشرط لان قوله
ان يكن منكم عشرون صابرون بمنزلة ان يقال ان يصبر منكم عشرون يغلبوا

ضمنه

ضمنه
الامر بالصبر قال الفخر وحسن هذا التكليف لما كان مسبوقا بقوله حسبك الله ومن اتبعك
من المؤمنين فلما وعد الله المؤمنين بالكفاية والنصر كان هذا التكليف سهلا لان من تكفل
الله بنصره فان اهل العالم لا يقدرون على اذايته انتهى وتظاهرت الروايات عن ابن عباس
وغيره من الصحابة بان ثبوت الواحد للعشرة كان فرضا على المؤمنين ثم لما شق ذلك عليهم حط
الفرض الى ثبوت الواحد للاثنين وهذا هو نسخ الاثقل بالاخف وقوله لا يفقهون معناه
لا يفهمون مراشدهم ولا مقصد قتالهم لا يريدون به الا الغلبة الدنياوية فهم يخافون
الموت اذا صبر لهم ومن يقاتل ليغلب او يستشهد فيصير الى الجنة اثبت قدما لا محالة وقوله
والله مع الصابرين لفظ خبر في ضمنه وعد وحض على الصبر ويلحظ منه وعيد لمن لم يصبر
بانه يغلب وقوله سبحانه ما كان لنبي ان يكون له اسرى الاية قال ع هذه الاية تتضمن عندي
معاتبة من الله عز وجل لاصحاب نبيه عليه السلام والمعنى ما كان ينبغي لكم ان تفعلوا هذا
الفعل الذي اوجب ان يكون للنبي اسرى قبل الاثخان ولذلك استمر الخطاب لهم بتريدون
والنبي صلى الله عليه وسلم لم يامر باستبقاء الرجال وقت الحرب ولا اراد صلى الله عليه وسلم
قط عرض الدنيا وانما فعله جمهور مباشري الحرب وجاء ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
في الاية مشيرا الى دخوله عليه السلام في العتب حين لم ينه عن ذلك حين رآه من العريش
وانكره سعد بن معاذ ولكنه صلى الله عليه وسلم شغله بغت قلت وظهور النصر عن
النهي ومر كثير من المفسرين على ان هذا التوبيخ انما كان بسبب اشارة من اشار على النبي صلى
الله عليه وسلم باخذ الفدية حين استشارهم في شان الاسرى والتاويل الاول احسن
والاثخان هو المبالغة في القتل والجراحة ثم امر بمخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم
فقال تريدون عرض الدنيا اي مالها الذي يعن ويعرض والمراد ما اخذ من الاسرى من
الاموال والله يريد الاخرة اي عمل الاخرة وذكر الطبري وغيره ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال للناس ان شئتم اخذتم فداء الاسرى ويقتل منكم في الحرب سبعون على عددهم وان
شئتم قتلوا وسلمتم فقالوا ناخذ المال ويستشهد منا وذكر عبد الرحمن بن حميد بسنده
ان جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم بتخيير الناس هكذا وعلى هذا فلا
في هذا التخيير من عند الله فانه اعلام بغيب واذا خير رضي الله عنهم فكيف يقع التوبيخ بعد بقوله
تعالى لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فهذا يدلك على صحة ما قدمناه ان العتب انما هو على استبقاء
الرجال وقت الهزيمة رغبة في اخذ المال وهو الذي اقول به وذكر المفسرون في هذه الاية تحليل الغنائم
ولا اقول ذلك لان تحليل المغنم قد تقدم قبل بدر في السرية التي قتل فيها ابن الحضرمي وانما المبتدع
في بدر استبقاء الرجال لاجل المال والذي من الله به فيها الحاق فدية الكافر بالمغانم التي تقدم تحليلها
وقوله سبحانه لولا كتاب من الله سبق الاية قال ابن عباس وابو هريرة والحسن وغيرهم
الكتاب هو ما كان الله قضاه في الازل من احلال الغنائم والفداء لهذه الامة وقال مجاهد وغيره الكتاب
السابق مغفرة الله لاهل بدر وقيل الكتاب السابق هو ان لا يعذب الله احدا بذنب الا بعد النهي
عنه حكاه الطبري قال ابن العربي في احكام القرآن وهذه الاقوال كلها صحيحة ممكنة لكن
اقواها ما سبق من احلال الغنيمة وكانوا قد غنموا اول غنيمة في الاسلام حين ارسل النبي صلى الله

عليه وسلم عبد الله بن جحش انتهى وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو نزل في هذا
الامر عذاب لنجا منه عمر بن الخطاب وفي اخر وسعد بن معاذ وذلك ان رايهما كان ان تقتل الاسرى
وقوله سبحانه فكلوا مما غنمتم الاية نص على اباحة المال الذي اخذ من الاسرى والحاق له بالغنيمة
التي كان تقدم تحليلها وقوله سبحانه يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم
خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم روي ان الاسرى ببدر اعلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لهم ميلا
الى الاسلام وانهم ان رجعوا الى قومهم سعوا في جلبهم الى الاسلام قال ابن عباس الاسرى في هذه الاية عباس واصحابه
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم امنا بما جئت به ونشهد انك رسول الله ولننصحن لك على قومنا فنزلت
هذه الاية ومعنى الكلام ان كان هذا عن جد منكم وعلم الله من نفوسكم الخير والاسلام فانه سيجبر
عليكم افضل مما اعطيتم فدية ويغفر لكم جميع ما اجترحتموه وروي ان العباس بن عبد المطلب رضي
الله عنه قال في وفي اصحابي نزلت هذه الاية وقال حين اعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من مال البحرين
ما قدر ان يقل هذا خير مما اخذ مني وانا بعد ارجو ان يغفر الله لي وروي عنه انه قال ما اود ان هذه
الاية لم تنزل ولي الدنيا باجمعها وذلك ان الله تعالى قد اتاني خيرا مما اخذ مني وانا ارجو ان يغفر لي وقوله
فقد خانوا الله من قبل اي بالكفر فامكن الله منهم اي بان جعلهم اسرى والله عليم بما يبطنونه حكيم فيما
يجازيهم به وقوله سبحانه ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين
اووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض مقصد هذه الاية وما بعدها تبيين منازل المهاجرين والانصار
والمومنين الذين لم يهاجروا وذكر المهاجرين بعد الحديبية فقدم اولا ذكر المهاجرين وهم اصل الاسلام
وتامل تقديم عمر لهم في الاستشارة وهاجر معناه هجر اهله وقرابته وهجروه والذين اووا ونصروا هم
الانصار فحكم سبحانه على هاتين الطائفتين بان بعضهم اولياء بعض فقال كثير من المفسرين هذه
الموالاة هي الموازرة والمعاونة واتصال الايدي وعليه فسر الطبري الاية وهذا الذي قالوه لازم من لفظ
الاية وقال ابن عباس وغيره الموالاة هي في المواريث وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اخا بين المهاجرين
والانصار فكان المهاجري اذا مات ولم يكن له بالمدينة ولي مهاجري ورثه اخوه الانصاري وكان المسلم الذي
لا يهاجر لا ولاية بينه وبين قريبه المهاجري ولا يرثه ثم نسخ ذلك بقوله سبحانه واولوا الارحام الاية
وعلى التاويلين ففي الاية حض على الهجرة قال ابو عبيدة الولاية بالكسر من وليت الامر اليه فهي من السلطان
وبالفتح هي من المولى يقال مولى بين الولاية بفتح الواو وقوله سبحانه وان استنصروكم يعني استدعاهم
هؤلاء المومنون الذين لم يهاجروا نصركم فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم
عليهم فان ذلك غدر ونقض للميثاق وقوله سبحانه والذين كفروا بعضهم اولياء بعض وذلك
يجمع الموارثة والمعاونة والنصرة وهذه العبارة تحريض واقامة لنفوس المومنين كما تقول لمن تريد
تحريضه عدوك مجتهد اي فاجتهد انت وحكى الطبري في تفسير هذه الاية عن قتادة انه قال ابى الله ان يقبل
ايمان من امن ولم يهاجر وذلك في صدر الاسلام وفيهم قال النبي صلى الله عليه وسلم انا بريء من مسلم اقام
بين مشركين لا تتراءى ناراهما الحديث على اختلاف الفاظه وقول قتادة انما هو فيمن كان يقيم متربصا
يقول من غلب كنت معه وكذلك ذكر في كتاب الطبري وغيره والضمير في قوله الا تفعلوه قيل
هو عائد على الموازرة والمعاونة ويحتمل على الميثاق المذكور ويحتمل على النصر للمسلمين المستنصرين ويحتمل على
الموارثة والتزامها ويجوز ان يعود مجملا على جميع ما ذكر والفتنة المحنة بالحرب وما انجر معها

من المعادات

من المعادات والجلاء والاسر والفساد الكبير ظهور الشرك وقوله سبحانه والذين امنوا
وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المومنون حقا تضمنت
الاية تخصيص المهاجرين والانصار وتشريفهم بهذا الوصف العظيم قلت وهي مع ذلك عند التامل
يلوح منها تاويل قتادة المتقدم فتامله والرزق الكريم هو طعام الجنة كذا ذكر الطبري وغيره
قال ابن العربي في احكامه واذا كان الايمان في القلب حقا ظهر ذلك في استقامة الاعمال بامتثال
الامر واجتناب المنهي عنه واذا كان مجازا قصرت الجوارح في الاعمال اذ لم تبلغ قوته اليها انتهى
والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم قوله من بعد يريد من بعد الحديبية
وذلك ان الهجرة من بعد ذلك كانت اقل رتبة من الهجرة قبل ذلك وكان يقال لها الهجرة الثانية و
جاهدوا معكم لفظ يقتضي انهم تبع لا صدر وقوله سبحانه واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في
كتاب الله قال من تقدم ذكره هذه في المواريث وهي ناسخة للحكم المتقدم ذكره وقالت طائفة
منهم مالك ان الاية ليست في المواريث وهذا فرار عن توريث الخال والعمة ونحو ذلك وقالت فرقة
هي في المواريث الا انها نسخت باية المواريث المبينة وقوله في كتاب الله معناه القرآن اي ذلك
مثبت في كتاب الله وقيل في اللوح المحفوظ كمل تفسير السورة والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه وسلم تسليما سورة التوبة وهي مدنية الا ايتين قوله لقد جاءكم رسول من انفسكم
الى اخرها وتسمى سورة التوبة قال حذيفة وغيره وتسمى الفاضحة قاله ابن عباس قال وما زال ينزل
ومنهم ومنهم حتى ظن انه لا يبقى احد وهي من اخر ما انزل على النبي صلى الله عليه وسلم قال علي رضي الله عنه
لابن عباس بسم الله الرحمن الرحيم امان وبراءة نزلت بالسيف ونبذ العهد فلذلك لم تبدأ
بالامان قوله عز وجل براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين تقدير هذه الايات براءة
ويصح ان يرتفع براءة بالابتداء والخبر في قوله الى الذين وبراءة معناه تخلص وتبر من العهود التي بينكم و
الكفار البادئين بالنقض قال ابن العربي في احكامه تقول برئت من الشيء ابرأ براءة فانا منه بريء
اذا ازلته من نفسك وقطعت سبب ما بينك وبينه انتهى ومعنى فسيحوا في الارض اذهبوا فيها
مسرحين امنين كالسيح من الماء وهو الجاري المنبسط قال الضحاك وغيره من العلماء كان من العرب من له عهد بينه
وبين النبي صلى الله عليه وسلم جملة وكان منهم من بينه وبينهم عهد وتحسس منهم نقض وكان منهم من
بينه وبينهم عهد ولم ينقضوا فقوله فسيحوا في الارض اربعة اشهر هو اجل ضربه لمن كان بينه
وبينهم عهد وتحسس منهم نقضه واول هذا الاجل يوم الاذان واخره انقضاء العشر الاول من ربيع
الاخر وقوله سبحانه فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حكم مباين للاول والحكم به في المشركين الذين
لا عهد لهم البتة فجاء اجل تامينهم خمسين يوما اولها يوم الاذان واخرها انقضاء المحرم وقوله الا
الذين عاهدتم يريد به الذين لهم عهد ولم ينقضوا ولا تحسس منهم نقض وهم فيما روي بنو ضمرة
من كنانة كان بقي من عهدهم يوم الاذان تسعة اشهر قوله عز وجل واعلموا انكم غير معجزي الله اي
لا تفلتون الله ولا تعجزونه هربا وقوله واذان من الله ورسوله الاية اي اعلام ويوم الحج الاكبر قال عمر
وغيره هو يوم عرفة وقال ابو هريرة وجماعة هو يوم النحر وتظاهرت الروايات ان عليا اذن بهذه
الايات يوم عرفة اثر خطبة ابي بكر ثم من يعينه في الاذان بها كابي هريرة وغيره وتتبعوا بها ايضا اسواق
العرب كذي المجاز وغيره وهذا هو سبب الخلاف فقالت فرقة يوم الحج الاكبر عرفة حيث وقع اول الاذان

وقال آخرون هو يوم النحر حيث وقع اكمال الاذان وقال سفيان بن عيينة المراد باليوم ايام
الحج كلها كما تقول يوم صفين ويوم الجمل ويتجه ان يوصف بالاكبر على جهة المدح لا بالاضافة
الى اصغر معين بل يكون المعنى الاكبر من سائر الايام فتامله ولخصنا ما تختلج اليه هذه الآية
على ما ذكر مجاهد وغيره من صورة تلك الحال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح مكة
سنة ثمان فاستعمل عليها عتاب بن اسيد وقضى امر حنين والطائف وانصرف الى المدينة فاقام بها
حتى خرج الى تبوك ثم انصرف من تبوك في رمضان سنة تسع فاراد الحج ثم نظر في ان المشركين يحجون
تلك السنة ويطوفون عراة فقال لا اريد ان اراهم ذلك فامر ابا بكر على الحج بالناس وانفذه ثم اتبعه
علي بن ابي طالب رضي الله عنه على ناقته العضباء وامره ان يؤذن في الناس باربعين آية صدر سورة
براءة وقيل ثلاثين وقيل عشرين وفي بعض الروايات عشر آيات وفي بعضها تسع آيات وامره ان يؤذن
الناس باربعة اشياء وهي ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة وفي
بعض الروايات ولا يدخل الجنة كافر ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله
عهد فاجله اربعة اشهر يسيح فيها فاذا انقضت فان الله بريء من المشركين ورسوله قال ع
واقول انهم كانوا ينادون بهذا كله فاربعة اشهر للذين لهم عهد وتحسس منهم نقض وذكر
الطبري ان العرب قالت يومئذ نحن نبرأ من عهدك ثم لام بعضهم بعضا وقالوا ما تصنعون
وقد اسلمت قريش فاسلموا كلهم ولم يسح احد قال ع وحج دخل الناس في دين الله افواجا وقوله سبحانه
ان الله بريء من المشركين ورسوله اي ورسوله بريء منهم وقوله فان تبتم اي عن الكفر وقوله سبحانه
الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم
الى مدتهم هذا هو الاستثناء الذي تقدم ذكره وقرا عكرمة وغيره ينقضوكم بالضاد المعجمة
ويظاهروا معناه يعاونوا والظهير المعين وقوله ان الله يحب المتقين تنبيه على ان الوفاء بالعهد
من التقوى وقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم الانسلاخ خروج الشيء عن الشيء المتلبس به كانسلاخ
الشاة عن الجلد فشبه انصرام الاشهر بذلك وقوله سبحانه فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
الآية قال ابن زيد هذه الآية وقوله سبحانه فاما منا بعد واما فداء هما محكمتان اي ليست احداهما
ناسخة للاخرى قال ع هذا هو الصواب وقوله وخذوهم معناه الاسر وقوله كل مرصد معناه
مواضع الغرة حيث يرصدون ونصب كل على الظرف او باسقاط الخافض تقديره في كل مرصد وقوله
فان تابوا اي عن الكفر وقوله وان احد من المشركين استجارك اي طلب منك عهدا وجوارا يأمن به
حتى يسمع كلام الله يعني القرآن والمعنى يفهم احكامه قال الحسن وهذه آية محكمة وذلك سنة الى
يوم القيامة وقوله سبحانه الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام الآية قال ابن اسحق هي قبائل بني بكر
كانوا دخلوا وقت الحديبية في العهد فامر المسلمون باتمام العهد لمن لم ينقض منهم وقوله سبحانه
كيف وان يظهروا عليكم الآية في الكلام حذف تقديره كيف يكون لهم عهد ونحوه وفي كيف
هنا تاكيد للاستبعاد الذي في الاولى وقوله لا يرقبون معناه لا يراعوا ولا يحفظوا وقرا الجمهور
الا وهو الله عز وجل قاله مجاهد وابو مجلز وهو اسمه بالسريانية وعرب ويجوز ان
يراد به العهد والعرب تقول للعهد والحلف والجوار ونحو هذه المعاني الال والذمة ايضا بمعنى الحلف
والجوار ونحوه وقوله سبحانه وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الآية ويليق هنا

نفس الى مدته وفي بعض الروايات من كان
بينه وبين رسول الله عهد

نقضه والاشفاق الى المدة لمن لم يخبر
منهم

شيء

شيء من حكمه طعن الذمي في الدين والمشهور من مذهب مالك انه اذا فعل شيئا من ذلك مثل
تكذيب الشريعة وسب النبي صلى الله عليه وسلم قتل وقوله سبحانه فقاتلوا ائمة الكفر اي
رؤوسهم واعيانهم الذين يقودون الناس اليه واصوب ما يقال في الآية انه لا يعني بها معين وانما
وقع الامر بقتال ائمة الناكثين للعهود من الكفرة الى يوم القيامة واقتضت حال كفار العرب ومحاربي
النبي صلى الله عليه وسلم ان تكون الاشارة اليهم اولا ثم كل من دفع في صدر الشريعة الى يوم القيامة
فهو بمنزلتهم وقرا الجمهور لا ايمان لهم جمع يمين اي لا ايمان لهم يوفى بها وتبر وهذا المعنى
يشبه الآية وقرا ابن عامر وحده من السبعة لا ايمان لهم وهذا يحتمل وجهين احدهما لا تصديق
لهم قال ابو علي وهذا غير قوي لانه تكرير وذلك وصف ائمة الكفر بانهم لا ايمان لهم والوجه
في كسر الالف انه مصدر من امنته ايمانا ومنه قوله تعالى وامنهم من خوف فالمعنى انهم لا يؤمنون
كما يؤمن اهل الذمة الكتابيون اذ المشركون ليس لهم الا الاسلام او السيف قال ابو حاتم فسر
الحسن قراءته لا اسلام لهم قال ع والتكرير الذي فر ابو علي منه متجه لانه بيان المهم الذي يوجب
قتلهم وقوله عز وجل الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول الآية عرض
وتحضيض قال والمراد باخراج الرسول اخراجه من المدينة وهذا مستقيم كغزوة احد
والاحزاب وقال السدي المراد من مكة وقوله سبحانه وهم بدءوكم اول مرة قيل يراد افعالهم
بمكة بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين وقال مجاهد يراد به ما بدأت به قريش من معونة
بني بكر حلفائهم على خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم فكان هذا بدء النقض
وقال الطبري يعني فعلهم يوم بدر قال الفخر قال ابن اسحق والسدي والكلبي نزلت هذه الآية
في كفار مكة نكثوا ايمانهم بعد عهد الحديبية واعانوا بني بكر على خزاعة انتهى وقوله
سبحانه اتخشونهم استفهام على معنى التقرير والتوبيخ فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين
كاملي الايمان وقوله سبحانه قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم قررت الآيات قبلها افعال الكفرة
ثم حض على القتال مقترنا بذنوبهم لتنبعث الحمية مع ذلك ثم جزم الامر بقتالهم في هذه
الآية مقترنا بوعد وكيد يتضمن النصر عليهم والظفر بهم وقوله يعذبهم الله بايديكم
معناه بالقتل والاسر ويخزهم معناه يذلهم على ذنوبهم يقال خزي الرجل يخزى خزيا
اذا ذل من حيث وقع في عار واخزاه غيره وخزي يخزى خزاية اذا استحيا واما قوله تعالى
ويشف صدور قوم مؤمنين فيحتمل ان يريد جميع المؤمنين لان كل ما يهد من الكفر هو
شفاء من هم صدور المؤمنين ويحتمل ان يريد تخصيص قوم من المؤمنين وروي انهم
خزاعة قاله مجاهد والسدي ووجه تخصيصهم انهم الذين نقض فيهم العهد ونالتهم الحرب
وكان يومئذ في خزاعة مؤمنون كثير ويقتضي ذلك قول الخزاعي المستنصر بالنبي صلى الله عليه وسلم
ثمت اسلمنا فلم ننزع يدا وفي آخر الرجز وقتلونا ركعا وسجدا وقرا جمهور الناس ويتوب
بالرفع على القطع مما قبله والمعنى ان الآية استانفت الخبر بانه قد يتوب على بعض هؤلاء الكفرة
الذين امر بقتالهم وعبارة ص ويتوب الجمهور بالرفع على الاستئناف وليس بداخل في جواب الامر
لان توبته سبحانه على من يشاء ليست جزاء على قتال الكفار وقوله عز وجل ام حسبتم ان تتركوا
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الآية خطاب للمؤمنين كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة الآية

ومعنى الاية اظننتم ان تتركوا دون اختبار وامتحان والمراد بقوله ولما يعلم الله اى لما يعلم الله ذلك موجودا كما علمه اولا بشرط الوجود وليس يحدث له علم تبارك وتعالى عن ذلك ووليجة معناه بطانة ودخيلة وهو ماخوذ من الولوج فالمعنى امرا باطنا مما ينكر وفى الاية طعن على المنافقين الذين اتخذوا الولايج قال الفخر قال ابو عبيدة كل شئ ادخلته في شئ ليس منه فهو وليجة واصله من الولوج قال الواحدي يقال هو وليجة للواحد والجمع وقوله سبحانه ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله الى قوله انما يعمر مساجد الله من امن بالله الاية لفظ هذه الاية الخبر وفي ضمنها امر المومنين بعمارة المساجد وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان قلت زاد ابن الخطيب في روايته فان الله تعالى يقول انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر انتهى من ترجمة محمد بن عبد الله وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ضمن لمن كان المساجد بيته الامن والامان والجواز على الصراط يوم القيمة خرجه علي بن عبد العزيز البغوي في المسند المنتخب له وروى البغوي ايضا في هذا المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اوطن الرجل المساجد بالصلاة والذكر تبشبش الله به كما يتبشبش اهل الغايب بغايبهم اذا قدم عليهم انتهى من الكوكب الدري قيل ومعنى يتبشبش اى يفرح به وقوله ولم يخش الا الله يريد خشية التعظيم والعبادة وهذه مرتبة العدل من الناس ولا محالة ان الانسان يخشى غيره ويخشى المحاذير الدنيا وينبغي ان يخشى في ذلك كله قضا الله وتصريفه وقوله سبحانه اجعلتم سقاية الحاج الاية سقاية الحاج كانت في بني هاشم وكان العباس يتولاها في الحسن ولما نزلت هذه الاية قال العباس ما اراني الا تارك السقاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقيموا عليها فهي خير لكم وعمارة المسجد قيل هي حفظه ممن يظلم فيه او يقول هجرا وكان ذلك الى العباس وقيل هي السدانة وخدمة البيت خاصة وكان ذلك في بني عبد الدار وكان يتولاها عثمان بن طلحة وابن عمه شيبة واقرها النبي صلى الله عليه وسلم لهما ثاني يوم الفتح وقال خذاها خالدة تالدة لا ينازعكموها الا ظالم واختلف الناس في سبب نزول هذه الاية فقال مجاهد امروا بالهجرة فقال العباس انا اسقي الحاج وقال عثمان بن طلحة انا حاجب الكعبة وقال محمد بن كعب ان العباس وعليا وعثمان بن طلحة تفاخروا فنزلت الاية وقيل غير هذا وقوله سبحانه الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله لما حكم سبحانه في الاية المتقدمة بان الصنفين لا يستوون بين ذلك في هذه الاخيرة واوضحه فعدد الايمان والهجرة والجهاد بالمال والنفس وحكم ان اهل هذه الخصال اعظم درجة عند الله من جميع الخلق ثم حكم لهم بالفوز برحمته ورضوانه والفوز بلوغ البغية اما في نيل رغبة او نجاة من هلكة وتنظر هذه الاية الى معنى هذا الحديث دعوا لي اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه لان اصحاب هذه الخصال على سيوفهم انبنى الاسلام وتمهد الشرع وقوله سبحانه يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان هذا وعد كريم من رب رحيم وفي الحديث الصحيح اذا استقر اهل الجنة في الجنة يقول الله عز وجل لهم هل رضيتم فيقولون وكيف لا نرضى يا ربنا فيقول اني ساعطيكم افضل من ذلك رضواني ارضى عنكم فلا اسخط عليكم ابدا الحديث وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباكم واخوانكم

اوليا

اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ظاهر هذه المخاطبة انها لجميع المومنين كافة وهي باقية الحكم الى يوم القيامة وروت طائفة انها نزلت في الحض على الهجرة ورفض بلاد الكفر وقوله سبحانه قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم الاية هذه الاية تقوي مذهب من راى ان هذه والتي قبلها انما مقصودهما الحض على الهجرة وفي ضمن قوله فتربصوا وعيد بين وقوله بامره قال الحسن الاشارة الى عذاب او عقوبة من الله تعالى وقال مجاهد الاشارة الى فتح مكة وذكر الابناء في هذه الاية دون التي قبلها لما جلبت ذكرهم المحبة والابناء صدد المحبة وليسوا كذلك ان تتبع اراوهم كما في الاية المتقدمة واقترفتموها معناه اكتسبتموها ومساكن جمع مسكن بفتح الكاف مفعل من سكن وما كان هذا معتل الفاء فانما ياتي على مفعل بكسر العين كموعد وموطن وقوله سبحانه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين هذه مخاطبة لجميع المومنين يعدد الله تعالى نعمه عليهم والمواطن المشاهد لها بدر والخندق والنضير وقريظة وخيبر وغيرها وحنين واد بمكة بين مكة والطائف وقوله اذ اعجبتكم كثرتكم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حين راى جملته اثني عشر الفا لن نغلب اليوم من قلة وروي ان رجلا من اصحابه قالها فاراد الله تعالى اظهار العجز فظهر حين فر الناس قلت العجب جائز في حق غير النبي صلى الله عليه وسلم وهو معصوم منه صلى الله عليه وسلم والصواب في وهم الحديث انه خرج مخرج الاخبار لا على وجه العجب وعلى هذا فهمه ابن رشد وغيره وانه اذا بلغ عدد المسلمين اثني عشر الفا حرم الفرار وان زاد عدد المشركين على الضعف وعليه عول في الفتوى وقوله تعالى وضاقت عليكم الارض بما رحبت معناه برحبها كانه قال على ما هي عليه في رحبها وسعتها لشدة الحال وصعوبتها فما مصدرية وقوله سبحانه ثم وليتم مدبرين اي فررتم عن النبي صلى الله عليه وسلم واختصار هذه القصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وكان في عشرة الاف من اصحابه وانضاف اليهم الفان من الطلقا فصار في اثني عشر الفا سمع بذلك كفار العرب فشق عليهم فجمعت له هوازن والفافها وعليهم مالك ابن عوف النضري وثقيف وعليهم عبد ياليل بن عمرو وانضاف اليهم اخلاط من الناس حتى كانوا ثلاثين الفا فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اجتمعوا بحنين فلما تصاف الناس حمل المشركون من محان الوادي فانهزم المسلمون قال قتادة وكان يقال ان الطلقا من اهل مكة فروا وقصدوا القاء الهزيمة في المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء قد اكتنفه العباس عمه وابن عمه ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وبين يديه ايمن ابن ام ايمن وثم قتل رحمه الله والنبي صلى الله عليه وسلم يقول • انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب • فلما راى نبي الله صلى الله عليه وسلم شدة الحال نزل عن بغلته الى الارض قاله البراء بن عازب واستنصر الله عز وجل فاخذ قبضة من تراب وحصى فرمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانصار وامر العباس ان ينادي اين اصحاب الشجرة اين اصحاب البقرة فرجع الناس عنقا واحدا للحرب وتصاحوا في السيوف والطعن والضرب وهنالك قال عليه السلام الان حمي الوطيس وهزم الله المشركين واعلى كلمة الاسلام الى يوم الدين قال يعلى بن عطا فحدثني ابناء المنهزمين عن ابائهم قالوا لم يبق منا احد الا دخل عينيه من ذلك التراب واستيعاب هذه القصة في كتاب السير ومدبرين نصب على الحال المؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا والمؤكدة هي التي يدل ما قبلها

سورة م

عليها كدلالة التولي على الادبار وقوله سبحانه ثم انزل الله سكينته الاية السكينة النصر الذي سكنت
اليه ومعه النفوس والجنود الملايكة والرعب قال ابو حاجز يزيد بن عامر كان في اجوافنا مثل
ضربة الحجر في الطست من الرعب وعذب الله الذين كفروا اي بالقتل والاسر وروى ابو داود عن سهل
بن الحنظلية انهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فاطنبوا السير حتى كان عشية
فحضرت الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فارس فقال يا رسول الله اني انطلقت بين
ايديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا انا بهوازن على بكرة ابيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا الى
حنين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله الحديث انتهى
فكانوا كذلك غنيمة بحمد الله كما اخبر صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
انما المشركون نجس قال ابن عباس وغيره معنى الشرك هو الذي نجسهم كنجاسة الخمر ونص
الله سبحانه في هذه الاية على المشركين وعلى المسجد الحرام فقاس مالك رحمه الله وغيره جميع
جميع الكفار من اهل الكتاب وغيرهم على المشركين وقاس سائر المساجد على المسجد الحرام ومنع من
دخول الجميع في جميع المساجد وقوله فلا يقربوا يقتضي امر المسلمين بمنعهم وقوله بعد عامهم هذا يريد
بعد عام تسع من الهجرة وهو عام حج ابو بكر بالناس وقوله سبحانه وان خفتم عيلة اي فقرا فسوف
يغنيكم الله من فضله وكان المسلمون لما منع المشركون من الموسم وهم كانوا يجلبون الاطعمة والتجارات
قذف الشيطان في نفوسهم الخوف من الفقر وقالوا من اين نعيش فوعدهم الله سبحانه بان يغنيهم من
فضله فكان الامر كما وعد فاسلمت العرب فتمادى حجهم وتجرهم واغنى الله من فضله بالجهاد والظهور
على الامم وقوله سبحانه قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الاية هذه الاية تضمنت قتال
اهل الكتاب قال مجاهد وعند نزول هذه الاية اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزو الروم
ومشى في غزوة تبوك ونفى سبحانه عن اهل الكتاب الايمان بالله واليوم الاخر من حيث تركوا شرع الاسلام
وايضا فكانت عقائدهم غير مستقيمة لانهم تشعبوا وقالوا عزير ابن الله والله ثالث ثلاثة
وغير ذلك ولهم ايضا في البعث اراء فاسدة كشراء منازل الجنة من الرهبان الى غير ذلك من الهذيان
ولا يدينون دين الحق اي لا يطيعون ولا يمتثلون ومنه قول عائشة رضي الله عنها ما عقلت ابوي
الا وهما يدينان الدين والدين هنا الشريعة قال ابن القاسم واشهب وسحنون وتوخذ الجزية
من مجوس العرب والامم كلها واما عبدة الاوثان والنيران وغير ذلك فجمهور العلماء على قبول
الجزية منهم وهو قول مالك في المدونة وقال الشافعي وابو ثور لا توخذ الجزية الا من اليهود والنصارى
والمجوس فقط واما قدرها في مذهب مالك وغيره فاربعة دنانير على اهل الذهب واربعون
درهما على اهل الفضة وهذا في العنوة واما الصلح فهو ما صولحوا عليه قليلا او كثيرا وقوله حتى
عن يد يحتمل وجوها منها ان يريد عن قوة منكم عليهم وقهر واليد في كلام العرب القوة ومنها سوق
الذمي لها بيده لا ان يبعثها مع رسول ليكون في ذلك اذلال لهم ومنها ان يريد نقدها ناجزا
تقول بعته يدا بيد اي لا يؤخر وانها ومنها ان يريد عن استسلام يقال القى فلان بيده اذا عجز
واستسلم وقوله سبحانه وقالت اليهود عزير ابن الله الذي كثر في كتب اهل العلم ان فرقة
من اليهود قالت هذه المقالة وروي انه قالها نفر يسير منهم فنحاص وغيره قال النقاش ولم
يبق الان يهودي يقولها بل انقرضوا قال ع فاذا قالها ولو واحد من رؤسائهم توجهت شنعة

المقالة

المقالة على جماعتهم وحكى الطبري وغيره ان بني اسرائيل اصابتهم فتن وجلاء وقيل مرض
واذهب الله عنهم التورية في ذلك ونسوها وكان علماؤهم قد دفنوها اول ما احسوا بذلك
البلاء فلما طالت المدة فقدت التورية جملة فحفظها الله عزيرا كرامة منه له فقال لبني اسرائيل ان
الله قد حفظني التورية فجعلوا يدرسونها من عنده ثم ان التورية المدفونة وجدت فاذا هي مساوية
لما كان عزير يدرس فضلوا وقالوا ان هذا لم يتهيا لعزير الا وهو ابن الله نعوذ بالله من الضلال
وقوله بافواههم اي بمجرد الدعوى من غير حجة ولا برهان ويضاهون قراءة الجماعة ومعناه يحاكون
ويماثلون والاشارة بقوله الذين كفروا من قبل اما لمشركي العرب اذ قالوا الملايكة بنات الله
قاله الضحاك واما لامم سالفة قبلها واما للصدر الاول من كفرة اليهود والنصارى ويكون يضاهي
لمعاصري النبي صلى الله عليه وسلم وان كان الضمير في يضاهون للنصارى فقط كانت الاشارة بالذين
كفروا من قبل الى اليهود وعلى هذا فسر الطبري وحكاه غيره عن قتادة وقوله قاتلهم الله دعاء عليهم
عام بانواع الشر وعن ابن عباس ان المعنى لعنهم الله قال الداودي وعن ابن عباس قاتلهم الله لعنهم الله
وكل شيء في القرآن قتل فهو لعن انتهى واني يؤفكون اي يصرفون عن الخير وقوله سبحانه اتخذوا
احبارهم الاية هذه الاية يفسرها ما حكاه الطبري ان عدي بن حاتم قال جئت النبي صلى الله عليه
وسلم وفي عنقي صليب ذهب فقال يا عدي اطرح هذا الصليب من عنقك فسمعته يقرأ اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله فقلت يا رسول الله وكيف ذلك ونحن لم نعبدهم فقال
اليس تستحلون ما احلوا وتحرمون ما حرموا قلت نعم قال فذلك ومعنى سبحانه تنزيها له ونور
الله في هذه الاية هداه الصادر عن القرآن والشرع وقوله بافواههم عبارة عن قلة حيلتهم وضعفها
وقوله بالهدى يعم القرآن وجميع الشرع وقوله ليظهره على الدين كله وقد فعل ذلك سبحانه فالضمير في
ليظهره عائد على الدين وقيل على الرسول وهذا وان كان صحيحا فالتاويل الاول ابرع منه واليق
بنظام الاية وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس
بالباطل المراد بهذه الاية بيان نقائص المذكورين ونهي المؤمنين عن تلك النقائص مترتب
ضمن ذلك واللام في لياكلون لام التوكيد وصورة هذا الاكل بانهم ياخذون من اموال اتباعهم ضرائب
وفروضا باسم الكنائس والبيع وغير ذلك مما يوهمونهم ان النفقة فيه من الشرع والتقرب الى
الله وهم خلال ذلك يحتجنون تلك الاموال كالذي ذكره سلمان في كتاب السير عن الراهب الذي استخرج
كنزه وقوله ويصدون عن سبيل الله اي عن شريعة الاسلام والايمان بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وقوله سبحانه والذين ابتداء وخبره فبشرهم والذي يظهر من الفاظ الاية انه لما ذكر نقص الاحبار والرهبان
الاكلين المال بالباطل ذكر بعد ذلك بقول عام نقص الكانزين المانعين حق المال وقرأ طلحة
ابن مصرف الذين يكنزون بغير واو وعلى هذه القراءة يجري قول معاوية ان الاية في اهل الكتاب
وخالفه ابو ذر فقال بل هي فينا ويكنزون معناه يجمعون ويحفظون في الاوعية وليس من
شرط الكنز الدفن والتوعد في الكنز انما وقع على منع الحقوق منه وعلى هذا كثير من العلماء وقال
علي رضي الله عنه اربعة الاف درهم فما دونها نفقة وما زاد عليها فهو كنز وان اديت زكاته
وقال ابو ذر وجماعة معه ما فضل من مال الرجل على حاجة نفسه فهو كنز وهذان القولان
يقتضيان ان الذم في حبس المال لا في منع زكاته فقط قلت وحدث ابو بكر بن الخطيب بسنده عن علي بن ابي

وابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله فرض للفقراء في اموال الاغنياء قدر ما يسعهم
فان منعوهم حتى يجوعوا او يعروا او يجهدوا حاسبهم الله حسابا شديدا وعذبهم عذابا نكرا انتهى
وقوله سبحانه فتكوى بها جباههم الاية قال ابن مسعود والله لا يمس دينار دينارا بل يمد الجلد
حتى يكوى بكل دينار وبكل درهم قال الفخر قال ابو بكر الوراق وخصت هذه المواضع بالذكر
لان صاحب المال اذا رأى الفقير قبض جبينه واذا جلس الى جنبه تباعد عنه وولى ظهره انتهى
قوله سبحانه ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله هذه الاية والتي بعدها تتضمن
ما كانت العرب عليه في جاهليتها من تحريم شهور الحل وتحليل شهور الحرمة واذا نص ما كانت العرب
تفعله تبين معنى الايات فالذي تظاهرت به الروايات ويتخلص من مجموع ما ذكره الناس ان العرب
كانت لا عيش لاكثرها الا من الغارات واعمال سلاحها فكانوا اذا توالت عليهم حرمة الاشهر الحرم صعب
عليهم واملقوا وكان بنو فقيم من كنانة اهل دين في العرب وتمسك بشرع ابراهيم عليه السلام
فانتدب منهم القلمس وهو حذيفة بن عبد فقيم فنسأ الشهور للعرب ثم خلفه على ذلك بنوه
وذكر الطبري وغيره ان الامر كان في عدوان قبل بني مالك بن كنانة وكانت صورة فعلهم ان العرب
كانت اذا فرغت من حجها جاء اليه من شاء منهم مجتمعين فقالوا انسئنا شهرا اي اخر عنا حرمة المحرم
واجعلها في صفر فيحل لهم المحرم فيغيرون فيه ثم يلتزمون حرمة صفر ليواطئوا عدة الاشهر الحرم الاربعة
قال مجاهد ويسمون ذلك الصفر المحرم ثم يسمون ربيعا الاول صفرا وربيعا الآخر ربيعا الاول
وهكذا في سائر الشهور وتجيء السنة من ثلاثة عشر شهرا اولها المحرم المحلل ثم المحرم الذي هو في
الحقيقة صفر وفي هذا قال الله عز وجل ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا اي ليست ثلاثة
عشر شهرا ثم كانت حجة ابي بكر في ذي القعدة حقيقة وهم يسمونه ذا الحجة ثم حج رسول الله
صلى الله عليه وسلم سنة عشر في ذي الحجة حقيقة فذلك قوله عليه السلام ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وقوله في كتاب الله اي كتبه واثبته في اللوح المحفوظ
وغيره فهي صفة فعل مثل خلقه ورزقه وليست بمعنى قضائه وتقديره لان تلك هي قبل
خلق السموات والارض وقوله سبحانه منها اربعة حرم نص على تفضيل هذه الاربعة وتشريفها
قال قتادة اصطفى الله من الملائكة والبشر رسلا ومن الشهور المحرم ورمضان ومن البقع المساجد المحرم
ومن الايام الجمعة ومن الليالي ليلة القدر ومن الكلام ذكره فينبغي ان يعظم ما عظم الله وقوله
سبحانه ذلك الدين القيم قالت فرقة معناه الحساب المستقيم وقال ابن عباس فيما حكى المهدوي
معناه القضاء المستقيم قال ع والاصوب عندي ان يكون الدين هاهنا على اشهر وجوهه اي
ذلك الشرع والطاعة وقوله فلا تظلموا فيهن اي في الاثني عشر شهرا اي لا تظلموا انفسكم بالمعاصي
في الزمن كله وقال قتادة المراد الاربعة الاشهر وخصصت تشريفا لها قال سعيد بن المسيب كان
النبي صلى الله عليه وسلم يحرم القتال في الاشهر الحرم بما انزل الله في ذلك حتى نزلت براءة وقوله
تعالى وقاتلوا المشركين معناه فيهن فالحرى في غيرهن وقوله كافة معناه جميعا وقوله سبحانه
انما النسيء يعني فعل العرب في تاخيرهم الحرمة زيادة اي جار مع كفرهم بالله وخلوهم
في الكفر متكثر بهذا الفعل الذي هو باطل في نفسه ومما وجد في اشعارهم قول جذل الطعان

وقد

وقد علمت معد ان قومي ... كرام الناس ان لهم كراما
السنا الناسئين على معد ... شهور الحل نجعلها حراما

وقوله سبحانه يحلونه عاما ويحرمونه عاما معناه عاما من الاعوام وليس يريد ان تلك كانت مداولة وقوله
سبحانه ليواطئوا عدة ما حرم الله معناه ليوافقوا والمواطأة الموافقة وقوله سبحانه يا ايها
الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض هذه الاية بلا خلاف انها
نزلت عتابا على تخلف من تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وكانت سنة تسع
من الهجرة بعد الفتح بعام غزا فيها الروم في عشرين الفا راكب وراجل والنفر هو التنقل بسرعة
من مكان الى مكان وقوله اثاقلتم اصله تثاقلتم وكذا قرأ الاعمش وهو نحو قوله اخلد الى الارض
وقوله ارضيتم تقرير والمعنى ارضيتم نزر الدنيا على خطير الاخرة وحظها الاسعد قال ابن هشام
فمن من قوله من الاخرة للبدل انتهى ثم اخبر سبحانه وتعالى ان الدنيا بالاضافة الى الاخرة قليل
نزر فتعطي قوة الكلام التعجب من ضلال من يرضى النزر الفاني بدل الكثير الباقي قلت وفي صحيح
مسلم والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم
اصبعه في اليم فلينظر بما ترجع قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى وقوله سبحانه الا تنفروا
يعذبكم شرط وجواب ولفظ العذاب عام يدخل تحته انواع عذاب الدنيا والاخرة وقوله
ويستبدل قوما غيركم توعد بان يبدل لرسوله عليه السلام قوما لا يقعدون عند استنفاره
اياهم والضمير في قوله ولا تضروه شيئا عائد على الله عز وجل ويحتمل ان يعود على النبي صلى الله
عليه وسلم وهو اليق وقوله سبحانه الا تنصروه فقد نصره الله هذا ايضا شرط وجواب
ومعنى الاية انكم ان تركتم نصره فالله متكفل به اذ قد نصره في موضع القلة والانفراد
وكثرة العدو ولن يترك نصره الان وقوله اذ اخرجه الذين كفروا واسند الاخراج اليهم تذنيبا
لهم ولما كان مقصد ابي سفيان بن الحارث الفخر في قوله من طردت مطرد لم يقره النبي
صلى الله عليه وسلم على ما علم في كتب السيرة والاشارة الى خروج النبي صلى الله عليه وسلم
من مكة وفي صحبته ابو بكر واختصار القصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظر
اذن الله سبحانه في الهجرة من مكة وكان ابو بكر حين ترك ذمة ابن الدغنة قد اراد الخروج
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اصبر لعل الله ان يسهل الصحبة فلما اذن الله لنبيه في الخروج
تجهز من دار ابي بكر وخرجا فبقيا في الغار الذي في جبل ثور في غربي مكة ثلاث ليال وخرج
المشركون في اثرهم حتى انتهوا الى الغار وطمس عليهم الاثر وقال ابو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم
لو نظر احدهم الى قدمه لرآنا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما
هكذا في الحديث الصحيح ويروى ان العنكبوت نسجت على باب الغار ويروى ان الحمامة عششت عند باب
الغار وكان يروح عليهما باللبن عامر بن فهيرة وقوله تعالى ثاني اثنين معناه احد اثنين وقوله
ان الله معنا يريد بالنصر والنجاة واللطف وقوله سبحانه وكلمة الله هي العليا يريد لا اله الا الله
وقيل الشرع باسره وقوله سبحانه انفروا خفافا وثقالا معنى الخفة والثقل هاهنا مستعار
لمن يمكنه السفر بسهولة ومن يمكنه بصعوبة واما من لا يمكنه كالعمى ونحوهم فخارج عن هذا
وقال ابو طلحة ما اسمع الله عذر احدا وخرج الى الشام فجاهد حتى مات وقال ابو ايوب ما اجد

ابدا الا خفيفا او ثقيلا وقوله سبحانه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون تنبيه وهز للنفوس وقوله
سبحانه لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك هذه الاية في المنافقين المتخلفين
في غزوة تبوك وكشف ضمايرهم واما الايات التي قبلها فعامة فيهم وفي غيرهم والمعنى لو
كان هذا الغزو لعرض اي لمال وغنيمة تنال قريبا بسفر قاصد يسير لبادروا لا لوجه الله ولكن
بعدت عليهم الشقة وهي المسافة الطويلة وقوله ويحلفون بالله يريد المنافقين وهذا الخبر
بغيب وقوله عز وجل عفا الله عنك لم اذنت لهم هذه الاية هي في صنف مبالغ في النفاق واستاذنوا
دون اعتذار منهم الجد بن قيس ورفاعة بن التابوت ومن اتبعهم قال مجاهد ان بعضهم قال نستاذنه
فان اذن في القعود قعدنا والا قعدنا فقدم له العفو قبل العتاب اكراما له صلى الله عليه وسلم وقالت
فرقة بل قوله سبحانه عفا الله عنك استفتاح كلام كما تقول اصلحك الله واعزك الله ولم يكن منه
عليه السلام ذنب يعفى عنه لان صورة الاستنفار وقبول الاعذار مصروفة الى اجتهاده وقوله حتى
يتبين لك الذين صدقوا اي في استيذانك وانك لو لم تاذن لهم خرجوا معك وقوله وتعلم
الكاذبين اي بحالهم لو لم تاذن لانهم عزموا على العصيان اذنت لهم او لم تاذن وقال الطبري
معناه حتى تعلم الصادقين في ان لهم عذرا والكاذبين في ان لا عذر لهم والاول اصوب والله اعلم
واما قوله سبحانه في سورة النور فاذا استاذنوك لبعض شانهم الاية ففي غزوة الخندق نزلت
وارتابت قلوبهم اي شكت ويترددون اي يتحيرون اذ كانوا تخطر لهم صحة امر النبي صلى الله
عليه وسلم احيانا وانه غير صحيح احيانا فهم مذبذبون وقوله سبحانه ولو ارادوا الخروج لاعدوا
له عدة اي لو ارادوا الخروج بنياتهم لنظروا في ذلك واستعدوا له وقوله ولكن كره الله انبعاثهم
قال ص ولكن اصلها ان تقع بين نقيضين وضدين وخلافين على خلاف فيه انتهى وانبعاثهم
نفوذهم لهذه الغزوة والتثبيط التكسيل وكسر العزم وقوله سبحانه وقيل اقعدوا يحتمل ان يكون
حكاية عن الله سبحانه اي قال الله في سابق قضائه اقعدوا مع القاعدين ويحتمل ان يكون حكاية
عنهم اي كانت هذه مقالة بعضهم لبعض ويحتمل ان يكون عبارة عن اذن النبي صلى الله عليه وسلم لهم
في القعود اي لما كره خروجهم يسر ان قلت لهم اقعدوا مع القاعدين والقعود هنا عبارة عن التخلف
وكراهية الله انبعاثهم رفق بالمومنين وقوله سبحانه لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا الخبال
الفساد في الاشياء المولفة كالمودات وبعض الاجرام ولا وضعوا معناه لاسرعوا السير خلالكم
معناه فيما بينكم قال ص خلالكم جمع خلل وهو الفرجة بين الشيئين وانتصب على الظرفية لا وضعوا
ويبغونكم حال انتهى والايضاع سرعة السير ووقعت لا اوضعوا بالف بعد لا في المصحف وكذلك
وقعت في قوله تعالى او لا اذبحنه ويبغونكم الفتنة اي يطلبون لكم الفتنة وفيكم سماعون لهم
قال مجاهد وغيره معناه جواسيس الاخبار ينقلونها اليهم وقال الجمهور معناه وفيكم مطيعون يسمعون
سماعون لهم وقوله سبحانه لقد ابتغوا الفتنة من قبل في هذه الاية تحقير شانهم ومعنى قوله
من قبل ما كان من حالهم في احد وغيرها ومعنى قوله وقلبوا لك الامور دبروها ظهرا لبطن
وسعوا بكل حيلة ومنهم من يقول ائذن لي نزلت في الجد بن قيس واسند الطبري ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اغزوا تبوك تغنموا بنات الاصفر فقال الجد ائذن لنا ولا تفتنا
بالنساء وقال ابن عباس ان الجد قال ولكني اعينك بمالي وقوله سبحانه الا في الفتنة سقطوا اي

في الذي اظهروا الفرار منه وقوله سبحانه ان تصبك حسنة الاية الحسنة هنا بحسب
الغزوة هي الغنيمة والظفر والمصيبة الهزيمة والخيبة واللفظ عام بعد ذلك كل محبوب ومكروه
ومعنى قولهم قد اخذنا امرنا من قبل اي قد اخذنا بالحزم في تخلفنا ونظرنا لانفسنا ثم امر تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم فقال قل لهم يا محمد لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وهو اما ظفر وسرور عاجلا
واما ان نستشهد فندخل الجنة وباقي الاية بين وقوله سبحانه قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين
اي قل للمنافقين والحسنيين الظفر او الشهادة وقوله او بايدينا يريد القتل وقوله سبحانه
قل انفقوا طوعا او كرها الاية سببها ان الجد بن قيس حين قال ائذن لي ولا تفتني قال
اني اعينك بمال فنزلت هذه الاية فيه وهي عامة بعده قوله عز وجل وما منعهم ان تقبل منهم
نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله الاية وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان ثواب الكافر على افعاله البر هو في الطعمة يطعمها ونحو ذلك وهذا مقنع لا يحتاج
معه الى نظر واما ان ينتفع بها في الاخرة فلا وكسالى جمع كسلان وقوله سبحانه فلا تعجبك اموالهم
ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا الاية حقر في الاية شان المنافقين
وعلل اعطاء الله لهم الاموال والاولاد بارادته تعذيبهم بها في الحيوة الدنيا اي وفي الاخرة قال
ابن زيد وغيره تعذيبهم بها في الدنيا هو بمصائبها ورزاياها هي لهم عذاب اذ لا يوجرون
عليها ومن ذلك قهر الشرع لهم على اداء الزكوات والحقوق والواجبات قال الفخر اما كون
كثرة الاموال والاولاد سببا للعذاب في الدنيا فحاصل من وجوه منها ان كل ما كان من حب
الانسان للشيء اشد واقوى كان حزنه وتالم قلبه على فراقه اعظم واصعب ثم عند الموت
يعظم حزنه وتشتد حسرته لمفارقته المحبوب فالمشغوف بحب المال والولد لا يزال في تعب
فيحتاج في الاموال وتحصيلها الى تعب شديد ومشقة عظيمة ثم عند حصولها يحتاج
الى متاعب اشد واصعب في حفظها وصونها لان حفظ المال بعد حصوله اصعب من
اكتسابه ثم انه لا ينتفع الا بالقليل من تلك الاموال فالتعب كثير والنفع قليل ثم قال
واعلم ان الدنيا حلوة خضرة والحواس الخمس مائلة اليها فاذا كثرت وتوالت استغرق
فيها وانصرف الانسان بكليته اليها فيصير ذلك سببا لحرمانه من ذكر الله ثم انه يحصل في
قلبه نوع قسوة وقوة وقهر وكلما كان المال والجاه اكثر كانت تلك القسوة اقوى والى ذلك الاشارة
بقوله ان الانسان ليطغى ان راه استغنى فظهر ان كثرة الاموال والاولاد سبب قوي في زوال
حب الله وحب الاخرة من القلب وفي حصول الدنيا وشهواتها في القلب فعند الموت كان
الانسان ينتقل من البستان الى السجن ومن مجالسة الاقرباء والاحبة الى موضع الغربة
والكربة فيعظم تالمه ويقوى حزنه ثم عند الحشر حلالها حساب وحرامها عقاب
فثبت ان كثرة الاموال والاولاد سبب لحصول العذاب في الدنيا والاخرة انتهى ثم اخبر
سبحانه انهم ليسوا من المومنين وانما هم يفرقون منهم والفرق الخوف قوله سبحانه
لو يجدون ملجا الملجا من لجا يلجا اذا اوى واعتصم وقرا الجمهور مغارات بفتح الميم
وهي الغيران في اعراض الجبال او مدخلا معناه السرب والنفق في الارض وهو تفسير

ابن عباس في هذه الالفاظ وقرا جمهور الناس يجمحون ومعناه يسرعون قال الفخر قوله
وهم يجمحون اي يسرعون اسراعا لا يرد وجوههم شيء ومن هذا يقال جمح الفرس وفرس جموح
وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام انتهى قوله عز وجل ومنهم من يلمزك الاية اي ومن المنافقين
من يلمزك اي يعيبك ويأخذ منك في الغيبة ومنه قول الشاعر نظم

اذا لقيتك تبدي لي مكاشرة   وان اغيب فانت الهامز اللمزة

ومنه قوله سبحانه ويل لكل همزة لمزة قوله سبحانه ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله الاية
المعنى لو ان هؤلاء المنافقين رضوا قسمة الله الرزق لهم وما اعطاهم على يدي رسوله واقروا بالرغبة
الى الله لكان خيرا لهم وحذف الجواب لدلالة ظاهر الكلام عليه وذلك من فصيح الكلام وايجازه
وقوله سبحانه انما الصدقات للفقراء الاية انما في هذه الاية حاصرة تقتضي وقوف الصدقات
على الثمانية الاصناف وانما اختلف في صورة القسمة ومذهب مالك وغيره ان ذلك على قدر
الاجتهاد وبحسب الحاجة واما الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد والزهري
وابن زيد وغيرهم المساكين الذين يسعون ويسالون والفقراء هم الذين يتصاونون
وهذا القول احسن ما قيل في هذا وتحريره ان الفقير هو الذي لا مال له الا انه لم يذل نفسه
ولا يذل وجهه وذلك اما لتعففه مفرط واما لبلغة تكون له كالحلوبة وما اشبهها
والمسكين هو الذي يقترن به تذلل وخضوع وسؤال فهذه هي المسكنة ويقوي هذا ان الله سبحانه
قد وصف بني اسرائيل بالمسكنة وقرنها بالذلة مع غناهم واذا تاملت ما قلناه بان انهما صنفان
موجودان في المسلمين قلت وقد اكثر الناس في الفرق بين الفقير والمسكين واولى ما يعول عليه
ما ثبت في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى مالك عن ابي الزناد عن الاعرج عن
ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة
واللقمتان والتمرة والتمرتان انما المسكين الذي ليس له غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه
ولا يقوم فيسال الناس انتهى وقال ابو عمر في التمهيد هذا الحديث فقال كانه اراد والله اعلم
ليس المسكين على تمام المسكنة وعلى الحقيقة الا الذي لا يسال الناس انتهى واما العاملون
فهم جباتها يستنيبهم الامام في السعي على الناس وجمع صدقاتهم قال الجمهور لهم قدر تعبهم
ومؤنتهم واما المؤلفة قلوبهم فكانوا مسلمين وكافرين مستترين مظهرين للاسلام
حتى وثقه الاستيلاف في اكثرهم واستيلافهم انما كان لتجلب الى الاسلام منفعة او تدفع عنه مضرة
والصحيح بقاء حكمهم ان احتيج اليهم واما الرقاب فمذهب مالك وغيره هو ابتداء عتق مؤمن
واما الغارم فهو الرجل يركبه دين في غير معصية ولا سفه كذا قال العلماء واما في سبيل الله
فهو الغازي وان كان مليا ببلده واما ابن السبيل فهو المسافر وان كان غنيا ببلده وسمي
المسافر ابن السبيل لملازمته السبيل ومن ادعى الفقر صدق الا لريبة فيكلف حج البينة
واما ان ادعى انه غارم او ابن السبيل او غاز ونحو ذلك مما لا يعلم الا منه فلا يعطى الا ببينة
واهل بلد الصدقة احق بها الا ان تفضل فضلة فتنقل الى غيرهم قال ابن حبيب وينبغي
للامام ان يامر سعاته بتفريقها بالمواضع التي جبيت فيها ولا يحمل منها شيء الى الامام

وفي الحديث تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم وقوله سبحانه فريضة من الله اي موجبة
محدودة وقوله سبحانه ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله
ويؤمن للمؤمنين اي ومن المنافقين ويؤذون لفظ يعم انواع اذايتهم له صلى الله عليه وسلم وخص بعد
ذلك من قولهم هو اذن وروي ان قائل هذه المقالة نبتل بن الحارث وكان من مردة المنافقين وفيه
قال صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث وكان ثائر الراس
منتفش الشعر احمر العينين اسفع الخدين مشوها قال الحسن البصري ومجاهد قولهم هو اذن اي يسمع
معاذيرنا ويقبلها اي فنحن لا نبالي من الوقوع فيه وهذا تنقص بقلة الحزم وقال ابن عباس
وغيره انهم ارادوا بقولهم هو اذن اي يسمع كل ما ينقل اليه عنا ويصغي اليه ويقبله فهذا تشك
منه عليه السلام ومعنى اذن سماع وهذا من باب تسمية الشيء بالشيء اذا كان منه بسبب كما يقال
للربيئة عين وكما يقال للمسنة من الابل التي قد بزل نابها ناب وقيل معنى الكلام ذو اذن اي ذو سماع
وقيل انه مشتق من قولهم اذن للشيء اذا استمع ومنه قول الشاعر نظم

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به   وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا

وقرا نافع اذن بسكون الذال فيهما وقرا الباقون بضمها فيهما وكلهم قرا بالاضافة الى خير الا ما روي
عن عاصم وقرا الحسن وغيره قل اذن خير بتنوين اذن ورفع خير وهذا جار على تاويله المتقدم ومعنى
من يقبل معاذيركم خير لكم ورويت هذه القراءة عن عاصم ومعنى اذن على الاضافة اي سماع خير
وحق ويؤمن بالله معناه يصدق بالله ويؤمن للمؤمنين قيل معناه يصدق المؤمنين واللام زائدة
وقيل يقال امنت لك بمعنى صدقتك ومنه وما انت بمؤمن لنا قال ع وعندي ان هذه التي معها
اللام في ضمنها باء فالمعنى ويصدق للمؤمنين بما يخبرونه به وكذلك وما انت بمؤمن لنا بما نقوله
قلت ولما كانت اخبار المنافقين تصل الى النبي صلى الله عليه وسلم تارة باخبار الله وتارة باخبار
المؤمنين وهم عدول ناسب اتصال قوله سبحانه يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين بما قبله ويكون التصديق
هنا خاصا بهذه القضية وان كان ظاهر اللفظ عاما اذ من المعلوم انه صلى الله عليه وسلم لم يزل
مصدقا بالله وقرا جميع السبعة الا حمزة ورحمة بالرفع عطفا على اذن وقرا حمزة وحده ورحمة
بالخفض عطفا على خير وخصص الرحمة للذين آمنوا اذ هم الذين فازوا ونجوا بالرسول صلى الله عليه
وسلم ويحلفون بالله لكم يعني المنافقين وقوله والله ورسوله احق ان يرضوه التقدير عند سيبويه
والله احق ان يرضوه فحذف الخبر من الجملة الاولى لدلالة الثانية عليه وقيل الضمير في يرضوه عائد
على المذكور كما قال رؤبة نظم   فيها خطوط من سواد وبلق   كانه في الجلد توليع البهق
اي كان المذكور وقوله انه من يحادد الله ورسوله الاية يحادد معناه يخالف ويشاقق وقوله
سبحانه يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم يحذر خبر عن حال قلوبهم قال
الزجاج وغيره معنى يحذر الامر وان كان لفظه لفظ الخبر كانه قال ليحذر وقوله قل استهزءوا لفظه
لفظ الامر ومعناه التهديد ثم اخبر سبحانه انه مخرج لهم ما يحذرونه الى حيز الوجود وقد فعل
ذلك تبارك وتعالى في سورة براءة فهي تسمى الفاضحة لانها فضحت المنافقين وقوله سبحانه ولئن
سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الاية نزلت على ما ذكر جماعة من المفسرين في وديعة بن ثابت
وذلك انه كان مع قوم من المنافقين كانوا يسيرون في غزوة تبوك فقال بعضهم هذا يريد ان يفتح قصور

الشام ويأخذ حصون بني الاصفر هيهات هيهات فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك
وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب وذكر الطبري عن عبد الله بن عمر انه قال رأيت قائل
هذه المقالة وديعة متعلقا بحقب ناقة النبي صلى الله عليه وسلم يماشيها والحجارة تنكبه وهو يقول
انما كنا نخوض ونلعب والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ثم حكم سبحانه
عليهم بالكفر فقال لهم لا تعتذروا قد كفرتم الآية وقوله سبحانه ان يعف عن طائفة منكم يريد فيما
ذكر المفسرون رجلا واحدا قيل اسمه مخشي بن حمير قاله ابن اسحق وذكر جميعهم انه استشهد باليمامة
وقد كان قد تاب وتسمى عبد الرحمن فدعا الله ان يستشهد ويجهل امره فكان كذلك ولم يوجد
جسده وكان مخشي مع المنافقين الذين قالوا انما كنا نخوض ونلعب فقيل كان منافقا ثم
تاب توبة صحيحة وقيل كان مسلما مخلصا الا انه سمع المنافقين فضحك لهم ولم ينكر عليهم
فعفى الله عنه في كلا الوجهين ثم اوجب العذاب لباقي المنافقين الذين قالوا ما تقدم و
قوله سبحانه المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يريد في الحكم والمنزلة في الكفر ولما تقدم
قبل وما هم منكم حسن هذا الاخبار ويقبضون ايديهم اي عن الصدقة وفعل الخير و
نسوا الله اي تركوه حين تركوا اتباع نبيه وشرعه فنسيهم اي فتركهم حين لم يهدهم
والكفار في الآية المعلنون وقوله هي حسبهم اي كافيهم وقوله تعالى اي كافيهم وقوله تعالى
كالذين من قبلكم اي انتم ايها المنافقون كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة فعصوا
فاهلكوا فانتم اولى بالاهلاك لمعصيتكم وضعفكم والخلاق الحظ من القدر والدين وجميع
حال المرء فخلاق المرء الشيء الذي هو به خليق والمعنى عجلوا حظهم في دنياهم وتركوا الآخرة
فاتبعتموهم انتم اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة المعنى وانتم ايضا كذلك ويحتمل
ان يريد باولئك المنافقين قوله سبحانه الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود الآية
المعنى الم يأت هؤلاء المنافقين خبر الامم السالفة التي عصت الله بتكذيب رسله فاهلكها
وقوم ابراهيم نمرود واصحابه وتباع دولته واصحاب مدين قوم شعيب والمؤتفكات اهل القرى
الاربعة او السبعة التي بعث اليهم لوط عليه السلام ومعنى المؤتفكات المنصرفات والمنقلبات افكت
فائتفكت لانها جعل اعاليها اسفلها ولفظ البخاري والمؤتفكات ائتفكت انقلبت بهم الارض
انتهى والضمير في اتتهم رسلهم عائد على هذه الامم المذكورة ثم عقب سبحانه بذكر المؤمنين وما من
به عليهم من حسن الاعمال ترغيبا وتنشيطا للمبادرة لما به امر لطفا منه بعباده سبحانه لا رب
غيره ولا خير الا خيره وقوله سبحانه ويقيمون الصلاة قال ابن عباس هي الصلوات الخمس قال ع وبحسب
هذا تكون الزكاة هي المفروضة والمدح عندي بالنوافل ابلغ اذ من يقيم النوافل احرى باقامة
الفرض والسين في قوله سيرحمهم مدخلة في الوعد مهلة لتكون النفوس تتنعم برجائه سبحانه
وفضله سبحانه زعيم بالانجاز وذكر الطبري في قوله تعالى ومساكن طيبة عن الحسن انه سأل
عنها عمران بن الحصين وابا هريرة فقالا على الخبير سقطت سألنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال قصر في الجنة من اللؤلؤ فيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة
خضراء في كل بيت سبعون سريرا ونحو هذا مما يشبه هذه الالفاظ او يقرب منها فاختصرتها
طلب الايجاز قلت وتمام الحديث من الاحياء وكتاب الآجري المعروف بالنصيحة عن الحسن عن عمران

ابن

ابن الحصين وابي هريرة قالا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين
وفي كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام وفي كل بيت سبعون وصيفة
ويعطى المؤمن في كل غداة يعني من القوة ما يأتي على ذلك اجمع واما قوله سبحانه ورضوان من الله
اكبر ففي الحديث الصحيح ان الله عز وجل يقول لعباده اذا استقروا في الجنة هل رضيتم فيقولون
وكيف لا نرضى يا ربنا فيقول اني ساعطيكم افضل من هذا كله رضواني ارضى عليكم فلا اسخط عليكم
ابدا الحديث وقوله اكبر يريد اكبر من جميع ما تقدم ومعنى الآية والحديث متفق وقال الحسن بن ابي الحسن
وصل الى قلوبهم برضوان الله من اللذة والسرور ما هو عندهم واقر لاعينهم من كل شيء اصابوه
من لذة الجنة قال الامام الفخر وانما كان الرضوان اكبر لانه عند العارفين نعيم روحاني وهو اشرف
من النعيم الجسماني انتهى انظره في اوائل آل عمران قال ع ويظهر ان يكون قوله تعالى ورضوان من الله اكبر اشارة
الى منازل المقربين الشاربين من تسنيم والذين يرون كما يرى النجم الغابر في الافق وجميع من في الجنة
راض والمنازل مختلفة وفضل الله متسع والفوز النجاة والخلاص ومن ادخل الجنة فقد فاز والمقربون
هم في الفوز العظيم والعبارة عندي بسرور وكمال اجود من العبارة عنها بلذة واللذة ايضا مستعملة في
هذا وقوله سبحانه يا ايها النبي جاهد الكفار اي بالسيف والمنافقين اي باللسان والتعنيف والاكفهرار
في الوجه وباقامة الحدود عليهم قال الحسن واكثر ما كانت الحدود يومئذ تصيب المنافقين و
مذهب الطبري ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرفهم ويسترهم واما قوله واغلظ عليهم
فلفظة عامة في الافعال والاقوال ومعنى الغلظ خشن الجانب فهي ضد قوله تعالى واخفض
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقوله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا الآية نزلت في الجلاس
ابن سويد وقوله لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمر فسمعها منه ربيبه او رجل آخر
فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء الجلاس يحلف بالله ما قال هذه الكلمة فنزلت الآية وكلمة
الكفر هي مقالته هذه لان مضمنها قوي في التكذيب قال مجاهد وقوله وهموا بما لم ينالوا يعني
ان الجلاس قد كان هم بقتل صاحبه الذي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال قتادة نزلت في عبد الله
ابن ابي ابن سلول وقوله في غزوة المريسيع ما مثلنا ومثلهم الا كما قال الاول سمن كلبك يأكلك ولئن
رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فوقفه فحلف انه لم
يقل ذلك فنزلت الآية مكذبة له قلت وزاد ابن العربي في احكامه قولا ثالثا ان الآية في جماعة المنافقين
قاله الحسن وهو صحيح لعموم القول ولوجود المعنى فيه وفيهم انتهى وحدث ابو بكر بن الخطيب
بسنده قال سئل سفيان بن عيينة عن الهم أيؤاخذ به صاحبه قال نعم اذا كان عزما الم تسمع الى قوله
تعالى وهموا بما لم ينالوا الآية الى قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم فجعل عليهم فيه التوبة قال سفيان
الهم يسود القلب انتهى قال ع وعلى تأويل قتادة فالاشارة بكلمة الكفر الى تمثيل ابن ابي سمن
كلبك يأكلك قال قتادة والاشارة بهموا الى قوله لئن رجعنا الى المدينة وقال الحسن هم
المنافقون من اظهارهم الشرك ومكابرة النبي صلى الله عليه وسلم بما لم ينالوا وقال تعالى بعد اسلامهم
ولم يقل بعد ايمانهم لان ذلك لم يجاوز السنتهم وقوله سبحانه وما نقموا الا ان اغناهم الله
ورسوله من فضله الآية كان الكلام وما نقموا الا ما حقه ان يشكر وذكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم في اغنائهم من حيث كثرت اموالهم من الغنائم ورسول الله صلى الله عليه وسلم سبب

في ذلك وعلى هذا الحديث قال عليه السلام للانصار في غزوة حنين كنتم عالة فاغناكم
الله قال العراقي نقموا اي انكروا وقال ص الا ان اغناهم الله ان وصلتها مفعول نقموا اي
ما كرهوا الا اغناء الله اياهم وقيل هي مفعول من اجله والمفعول به محذوف اي ما كرهوا الايمان
الا لاغنائه انتهى ثم فتح سبحانه لهم باب التوبة رفقا بهم ولطفا فروي ان الجلاس تاب من النفاق
وقال ان الله قد ترك لي باب التوبة فاعترف واخلص وحسنت توبته وقوله سبحانه ومنهم
من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن الاية هذه الاية نزلت في ثعلبة بن حاطب الانصاري
وقال الحسن في معتب بن قشير معه واختصار ما ذكر الطبري وغيره من امره انه جاء الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع لنا الله ان يجعل لي مالا فاني لو كنت ذا مال لقضيت حقوقه
وفعلت فيه الخير فراده رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه
فعاودها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الا تريد ان تكون مثل رسول الله ولو دعوت الله
ان يسير الجبال معي ذهبا لسارت فاعاد عليه حتى دعا له النبي صلى الله عليه وسلم فاتخذ غنما فنمت
كما ينمو الدود حتى ضاقت به المدينة فتباعد بها وكثرت غنمه حتى كان لا يصلي الا الجمعة ثم كثرت حتى
تنحى بعيدا فترك الصلاة ونجم نفاقه ونزل خلال ذلك فرض الزكاة فبعث النبي صلى الله عليه وسلم
مصدقين بكتابه فاخذ زكاة الغنم فلما بلغوا ثعلبة وقرا الكتاب قال هذه اخت الجزية ثم قال لهم
دعوني حتى ارى رايي فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروه قال ويح ثعلبة ثلاثا ونزلت
الاية فيه فحضر القصة قريب ثعلبة فخرج اليه فقال ادرك امرك فقد نزل فيك كذا وكذا فخرج
ثعلبة حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغب ان يؤدي زكاته فاعرض عنه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال ان الله امرني ان لا اخذ زكاتك فبقي كذلك حتى توفي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم ورد ثعلبة على ابي بكر ثم على عمر ثم على عثمان يرغب الى كل واحد منهم ان ياخذ منه زكاة
فكلهم رد ذلك وفي قوله تعالى فاعقبهم نص في العقوبة على الذنب بما هو اشد منه وقوله الى
يوم يلقونه يقتضي موافاتهم على النفاق قال ابن العربي وفي ضمير يلقونه قولان احدهما انه
عائد على الله تعالى والثاني انه عائد على النفاق مجازا على تقدير الجزاء كانه قال فاعقبهم نفاقا
في قلوبهم الى يوم يلقون جزاءه انتهى من الاحكام ويلمزون معناه ينالون بالسنتهم واكثر
الروايات في سبب نزول الاية ان عبد الرحمن بن عوف تصدق باربعة الاف فامسك مثلها
وقيل هو عمر بن الخطاب تصدق بنصف ماله وقيل عاصم بن عدي تصدق بمائة وسق فقال
المنافقون ما هذا الا رياء فنزلت الاية في هذا كله واما المتصدق بقليل فهو ابو عقيل تصدق
بصاع من تمر فقال بعضهم ان الله غني عن صاع ابي عقيل وخرجه البخاري وقيل ان الذي لمز
في القليل هو ابو خيثمة قاله كعب بن مالك وفيسخرون منهم معناه يستهزئون ويستخفون
وروى مسلم عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر
النهار قال فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار متقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر
فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما راى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فامر بلالا
فاذن واقام فصلى ثم خطب فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة الى اخر
الاية ان الله كان عليكم رقيبا والاية التي في الحشر اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد تصدق

رجل

رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة فجاء رجل
من الانصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت قال ثم تتابع الناس حتى رايت كومين من
طعام وثياب حتى رايت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كانه مذهبة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها بعده من غير
ان ينقص من اجورهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من
عمل بها بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شيء انتهى وقوله سبحانه استغفر لهم او لا تستغفر
لهم المعنى ان الله تعالى خير نبيه في هذا كانه قال له ان شئت فاستغفر لهم وان شئت لا تستغفر
لهم ثم اعلمه انه لا يغفر لهم وان استغفر سبعين مرة وهذا هو الصحيح في تاويل الاية لقول
النبي صلى الله عليه وسلم لعمر ان الله قد خيرني فاخترت ولو علمت اني لو زدت على السبعين يغفر
لهم لزدت الحديث وظاهر لفظ الحديث ورفض الزام دليل الخطاب وظاهر صلاته صلى الله
عليه وسلم على ابن ابي ان كفره لم يكن يقينا عنده ومحال ان يصلي على كافر ولكنه راى ما ظهر
من الاقرار ووكل سريرته الى الله عز وجل وعلى هذا كان ستر المنافقين واذا ترتب كما قلنا التخيير في
هذه الاية صح ان ذلك التخيير هو الذي نسخ بقوله تعالى في سورة المنافقين سواء عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم قلت والظاهر ان الايتين بمعنى فلا نسخ فتامله ولولا الاطالة لافصحت
ذلك قال ع واما تمثيله بالسبعين دون غيرها من الاعداد فانه عدد كثيرا ما يجيء غاية ومقنعا
في الكثرة وقوله ذلك اشارة الى امتناع الغفران وقوله عز وجل فرح المخلفون بمقعدهم خلاف
رسول الله الاية هذه الاية تتضمن وصف حالهم على جهة التوبيخ وفي ضمنها وعيد وقوله المخلفون
لفظ يقتضي تحقيرهم وانهم الذين ابعدهم الله من رضاه ومقعد بمعنى القعود وخلاف معناه
بعد ومنه قول الشاعر نظم فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى تاهب لاخرى مثلها فكان قد
يريد بعد الذي مضى وقال الطبري هو مصدر خالف يخالف وقولهم لا تنفروا في الحر كان هذا
القول منهم لان غزوة تبوك كانت في شدة الحر وطيب الثمار وقوله فليضحكوا قليلا اشارة الى مدة
العمر في الدنيا وقوله وليبكوا كثيرا اشارة الى تابيد الخلود في النار فجاء بلفظ الامر ومعناه الخبر عن
حالهم ونفذ بالكلام وليبكوا كثيرا اذ هم معذبون جزاء بما كانوا يكسبون وخرج ابن ماجه
بسنده عن يزيد الرقاشي عن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يرسل البكاء على اهل النار فيبكون
حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الاخدود لو ارسلت فيها السفن لجرت
وخرجه ابن المبارك ايضا عن انس قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس ابكوا فان
لم تبكوا فتباكوا فان اهل النار تسيل دموعهم في وجوههم كانها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل
الدماء فتقرح العيون فلو ان سفنا ازجيت فيها لجرت انتهى من التذكرة وقوله سبحانه فان رجعك
الله الى طائفة منهم الاية يشبه ان تكون هذه الطائفة قد حتم عليها بالموافاة على النفاق
وعينوا للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله وماتوا وهم فاسقون نص في موافاتهم على ذلك
ومما يؤيد هذا ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم عينهم لحذيفة بن اليمان وكان الصحابة اذا
راوا حذيفة تاخر عن الصلاة على جنازة تاخروا عنها وروي عن حذيفة انه قال يوما بقي من المنافقين
كذا وكذا وقوله اول مرة هو بالاضافة الى وقت الاستئذان والخالفون جمع من تخلف من نساء

وصبيان واهل عذر وتظاهرت الروايات انه صلى الله عليه وسلم صلى على عبد الله بن ابي بن سلول
وان قوله ولا تصل على احد منهم نزلت بعد ذلك وقد خرج ذلك البخاري من رواية عمر بن الخطاب
انتهى وقوله سبحانه ولا تعجبك اموالهم واولادهم تقدم تفسير مثل هذه الاية والطول في هذه الاية
المال قاله ابن عباس وغيره والاشارة بهذه الاية الى الجد بن قيس ونظرائه والقاعدون الزمنى واهل
العذر في الجملة والخوالف النساء جمع خالفة هذا قول جمهور المفسرين وقال ابو جعفر النحاس يقال للرجل
الذي لا خير فيه خالفة فهذا جمعه بحسب اللفظ والمراد اخسة الناس واخلافهم ونحوه عن النضر بن شميل وقالت
فرقة الخوالف جمع خالف كفارس وفوارس طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون اي لا يفهمون والخيرات
والخيرات جمع خيرة وهو المستحسن من كل شيء وقوله سبحانه اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ذلك الفوز العظيم اعد معناه يسر وهيأ وباقي الاية بين وقوله سبحانه وجاء المعذرون من الاعراب
الاية قال ابن عباس وغيره هولاء كانوا مومنين وكانت اعذارهم صادقة واصل اللفظة المعتذرون
فقلبت التاء ذالا وادغمت وقال قتادة وفرقة معه بل الذين جاءوا كفرة وقولهم وعذرهم
كذب قال ص والمعنى تكلفوا العذر ولا عذر لهم كذبوا الله ورسوله اي في ايمانهم انتهى قوله
سيصيب الذين كفروا منهم الاية قوله منهم يريد ان المعذرين كانوا مومنين فتامله قال ابن اسحق
المعذرون نفر من بني غفار وهذا يقتضي انهم مومنون قوله جلت عظمته ليس على الضعفاء
ولا على المرضى الاية يقول ليس على اهل الاعذار من ضعف بدن او مرض او عدم نفقة اثم و
الحرج الاثم وقوله اذا نصحوا يريد بنياتهم واقوالهم سرا وجهرا ما على المحسنين من سبيل اي من
لائمة تناط بهم ثم اكد الرجاء بقوله سبحانه والله غفور رحيم وقرا ابن عباس والله لاهل الاساءة
غفور رحيم وهذا على جهة التفسير اشبه منه على جهة التلاوة لخلافه المصحف واختلف فيمن
المراد بقوله الذين لا يجدون ما ينفقون فقالت فرقة نزلت في بني مقرن ستة اخوة وليس في
الصحابة اخوة غيرهم وقيل كانوا سبعة وقيل نزلت في عائذ بن عمرو المزني قاله قتادة وقيل في
عبد الله بن مغفل المزني قاله ابن عباس وقوله عز وجل ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم هذه الاية نزلت
في البكائين واختلف في تعيينهم فقيل في ابي موسى الاشعري ورهطه وقيل في بني مقرن وعلى هذا
جمهور المفسرين وقيل نزلت في سبعة نفر من بطون شتى فهم البكاؤون وقال مجاهد البكاؤون
هم بنو مقرن من مزينة ومعنى قوله لتحملهم اي على ظهر يركب ويحمل عليه الاثاث قلت وقصة
ابي موسى ورهطه الاشعريين مذكورة في الصحيح قال ابن العربي في احكامه والقول بان الاية نزلت
في ابي موسى واصحابه هو الصحيح انتهى وقوله عز وجل انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم
اغنياء الاية هذه الاية نزلت في المنافقين المتقدم ذكرهم عبد الله بن ابي والجد بن قيس ومعتب و
غيرهم وقوله اذا رجعتم يريد من غزوة تبوك ومعنى لن نومن لكم لن نصدقكم والاشارة بقوله
قد نبانا الله من اخباركم الى قوله ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم ونحوه من الايات وقوله
سبحانه وسيرى الله عملكم توعد والمعنى فيقع الجزاء عليه قال الاستاذ ابو بكر الطرطوشي اعمل للدنيا بقدر
مقامك فيها واعمل للاخرة بقدر بقائك فيها واستحي من الله بقدر قربه منك واطعه بقدر
حاجتك اليه وخفه بقدر قدرته عليك واعصه بقدر صبرك على النار انتهى من سراج الملوك وقوله
ثم تردون الاية يريد البعث من القبور وقوله عز وجل سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم الاية

قيل

قيل ان هذه من اول ما نزل في شان المنافقين في غزوة تبوك وقوله انهم رجس اي نتن وقذر
وناهيك بهذا الوصف محطة دنياوية ثم عطف بمحطة الاخرة فقال وماواهم جهنم اي مسكنهم
وقوله فان ترضوا الى اخر الاية شرط يتضمن النهي عن الرضا عنهم وحكم هذه الاية يستمر في كل مغموص
عليه ببدعة ونحوها وقوله سبحانه الاعراب اشد كفرا ونفاقا هذه الاية نزلت في المنافقين كانوا
في البوادي ولا محالة ان خوفهم هناك اقل من خوف منافقي المدينة فالسنتهم لذلك مطلقة ونفاقهم
انجم واجدر معناه احرى وقال ص معناه احق والحدود هنا السنن والاحكام وقوله سبحانه
ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما الاية نص في المنافقين منهم والدوائر المصائب ويحتمل ان تشتق
من دوران الزمان والمعنى ينتظر بكم ما تاتي به الايام وتدور به ثم قال على جهة الدعاء عليهم دائرة
السوء وكل ما كان بلفظ دعاء من جهة الله عز وجل فانما هو بمعنى ايجاب الشيء لان الله تعالى لا
يدعو على مخلوقاته وهي في قبضته ومن هذا ويل لكل همزة لمزة وويل للمطففين فهي كلها
احكام تامة تضمنها خبره تعالى قلت وهذه قاعدة جيدة وما وقع له رحمه الله مما ظاهره مخالف
لهذه القاعدة وجب تاويله بما ذكر هنا وقد وقع له ذلك بعد هذا في قوله صرف الله قلوبهم
بانهم قوم لا يفقهون قال يحتمل ان يكون دعاء عليهم ويحتمل ان يكون خبرا اي استوجبوا ذلك
وقد اوضح ذلك عند قوله قتل اصحاب الاخدود فانظره هناك وقوله سبحانه ومن الاعراب
من يومن بالله قال قتادة هذه ثنية الله تعالى من الاعراب وروي ان هذه الاية نزلت في
بني مقرن وقاله مجاهد ويتخذ في الايتين بمعنى يجعله قصده والمعنى ينوي بنفقته ما
ذكر الله عنهم وصلوات الرسول دعاؤه ففي دعائه خير الدنيا والاخرة والضمير في قوله انها
يحتمل عوده على النفقة ويحتمل عوده على الصلوات وباقي الاية بين وقوله سبحانه والسابقون
من المهاجرين والانصار الاية قال ابو موسى الاشعري وغيره السابقون الاولون
الاولون من صلى للقبلتين وقال عطاء هم من شهد بدرا وقال الشعبي من ادرك بيعة الرضوان
والذين اتبعوهم باحسان يريد سائر الصحابة ويدخل في هذا اللفظ التابعون وسائر الامة
لكن بشريطة الاحسان وقرا عمر بن الخطاب وجماعة والانصار بالرفع عطفا على والسابقون
وقرا ابن كثير من تحتها الانهار وقرا الباقون تحتها باسقاط من وقوله سبحانه وممن حولكم
من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق الاشارة بمن حولكم الى جهينة
ومزينة واسلم وغفار وعصية ولحيان وغيرهم من القبائل المجاورة للمدينة فاخبر سبحانه
عن منافقيهم وتقدير الاية ومن اهل المدينة قوم او منافقون هذا احسن ما حمل اللفظ ومردوا
قال ابو عبيدة معناه مرنوا عليه ولجوا فيه وقيل غير هذا مما هو قريب منه وقال ابن زيد قاموا
عليه لم يتوبوا كما تاب الاخرون والظاهر من اللفظة ان التمرد في الشيء او المرود عليه
انما هو اللجاج والاشتهار به والعتو على الزاجر وركوب الراس في ذلك وهو مستعمل في الشر
لا في الخير ومنه شيطان مريد ومارد وقال ابن العربي في احكامه مردوا على النفاق
اي استمروا عليه وتحققوا به انتهى ذكر بعده قوله تعالى اتخذوا مسجدا ضرارا ثم نفى عز وجل
علم نبيه بهم على التعيين وقوله سبحانه سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم لفظ
الاية يقتضي ثلاث مواطن من العذاب ولا خلاف بين المتاولين ان العذاب العظيم الذي
يردون اليه هو عذاب الاخرة واكثر الناس ان العذاب المتوسط هو عذاب القبر واختلف

في عذابهم المرة الاولى فقال ابن عباس عذابهم باقامة حدود الشرع عليهم مع كراهيتهم فيه وقال
ابن اسحاق عذابهم هو همهم بظهور الاسلام وعلو كلمته وقال ابن عباس ايضا وهو الاشهر عنه عذابهم هو فضيحتهم
ووسمهم بالنفاق وقيل غير هذا وقوله عز وجل وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية قال ابن عباس وابو عثمان هذه الآية
في الاعراب وهي عامة في الامة الى يوم القيامة قال ابو عثمان ما في القرآن آية ارجى عندي لهذه الامة منها وقال
مجاهد بل نزلت هذه الآية في ابي لبابة الانصاري خاصة في شأنه في بني قريظة لما اشار لهم الى حلقه ثم ندم وربط
نفسه في سارية من سواري المسجد وقالت فرقة عظيمة بل نزلت هذه الآية في شأن المخلفين عن غزوة تبوك قلت
وخرج البخاري بسنده عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني الليلة آتيان فابتعثاني
فانتهيا الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر من خلقهم كاحسن ما انت راء وشطر
كاقبح ما انت راء قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء
عنهم فصاروا في احسن صورة قالا لي هذه جنة عدن وهذا منزلك قالا اما القوم الذين كانوا شطر منهم
حسن وشطر منهم قبيح فانهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فتجاوز الله عنهم انتهى وقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة
الآية روي ان الجماعة التائبة لما تيب عليها قالوا يا رسول الله انا نريد ان نتصدق باموالنا زيادة في توبتنا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اني لا اعرض لاموالكم الا بامر من الله فتركهم حتى نزلت هذه الآية فهم المراد بها فروي انه صلى
الله عليه وسلم اخذ ثلث اموالهم مراعاة لقوله تعالى من اموالهم فهذا هو الذي تظاهرت به اقوال المتأولين وقالت
جماعة من الفقهاء المراد بهذه الآية الزكاة المفروضة وقوله تعالى تطهرهم بها وتزكيهم بها احسن ما يحتمل ان تكون
هذه الافعال مسندة الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وقوله سبحانه وصل عليهم معناه ادع لهم فان دعائك لهم
سكون لانفسهم وطمأنينة ووقار فهي عبارة عن صلاح المعتقد والضمير في قوله الم يعلموا قال ابن زيد
يراد به الذين لم يتوبوا من المتخلفين ويحتمل ان يراد به الذين تابوا وقوله ويأخذ الصدقات قال الزجاج معناه
ويقبل الصدقات وقد جاءت احاديث صحاح في معنى الآية منها حديث ابي هريرة ان الصدقة تكون قدر اللقمة يأخذها
الله بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربي احدكم فلوه او فصيله حتى تكون مثل الجبل ونحو هذا من الاحاديث التي هي عبارة
عن القبول والتحفي بصدقة العبد وقوله عن عباده بمعنى من وقوله سبحانه وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة الآية هذه الآية صيغتها صيغة امر مضمنة الوعيد وقال
الطبري المراد بها الذين اعتذروا من المتخلفين وتابوا قال ع والظاهر ان المراد بها الذين اعتذروا
ولم يتوبوا وهم المتوعدون وهم الذين في ضمير الم يعلموا ومعنى فسيرى الله عملكم اي موجودا معرضا
للجزاء عليه بخير او شر قال ابن العربي في احكامه قوله سبحانه وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
هذه الآية نزلت بعد ذكر المؤمنين ومعناها الامر اي اعملوا بما يرضي الله سبحانه واما الآية المتقدمة وهي قوله
تعالى قد نبأنا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله فانها نزلت بعد ذكر المنافقين ومعناها التهديد
وذلك لان النفاق موضع ترهيب والايمان موضع ترغيب فقوبل اهل كل محل من الخطاب بما يليق بهم
انتهى وقوله سبحانه وآخرون مرجون لامر الله عطف على قوله اولا وآخرون اعترفوا ومعنى الارجاء
التأخير والمراد بهذه الآية فيما قال ابن عباس وجماعة الثلاثة الذين خلفوا وهم كعب بن مالك وصاحباه
كما سيأتي ان شاء الله وقيل انما نزلت في غيرهم من المنافقين الذين كانوا معرضين للتوبة مع بنائهم
مسجد الضرار وعلى هذا يكون الذين اتخذوا باسقاط واو العطف بدلا من آخرون او خبر مبتدأ
تقديره هم الذين وقرأ عاصم وعوام القراء والناس في كل قطر الا بالمدينة والذين اتخذوا وقرأ اهل المدينة نافع

وغير

وغيرهم الذين اتخذوا باسقاط الواو على انه مبتدأ والخبر لا يزال بنيانهم واما الجماعة المرادة
بالذين اتخذوا مسجدا فهم منافقو بني غنم بن عوف وبني سالم بن عوف واسند الطبري عن ابن اسحاق عن
الزهري وغيره انه قال اقبل النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك حتى نزل بذي اوان بلد بينه وبين
المدينة ساعة من النهار وكان اصحاب مسجد الضرار قد كانوا اتوه صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى
تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة وانا نحب ان تأتينا
فتصلي لنا فيه فقال اني على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا ان شاء الله لاتيناكم فصلينا لكم
فيه فلما اقفل ونزل بذي اوان نزل عليه في شأن مسجد الضرار فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
مالك بن الدخشم ومعن بن عدي او اخاه عاصم بن عدي فقال انطلقا الى هذا المسجد الظالم اهله
فاهدماه وحرقاه فانطلقا مسرعين ففعلا وحرقاه وذكر النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث لهدمه وتحريقه عمار بن ياسر ووحشيا مولى المطعم بن عدي وكان بانوه اثني عشر رجلا
منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير ونبتل بن الحارث وغيرهم وروي انه لما بنى صلى الله عليه
وسلم مسجدا في بني عمرو بن عوف وقت الهجرة وهو مسجد قباء وتشرف القوم بذلك حسدهم
من ثم رجال من بني عمهم من بني غنم بن عوف وبني سالم بن عوف وكان فيهم نفاق وكان موضع
مسجد قباء مربطا لحمار امرأة من الانصار اسمها لية فكان المنافقون يقولون والله لا نصبر على
الصلاة في مربط حمار لية ونحو هذا من الاقوال وكان ابو عامر المعروف بالراهب منهم وهو
ابو حنظلة غسيل الملائكة وكان سيدا من نظراء عبد الله بن ابي بن سلول فلما جاء الله بالاسلام
نافق ولم يزل مجاهرا بذلك فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق ثم خرج في جماعة من المنافقين
فحزب على النبي صلى الله عليه وسلم الاحزاب فلما ردهم الله بغيظهم اقام ابو عامر بمكة مظهرا العداوة
فلما فتح الله مكة هرب الى الطائف فلما اسلم اهل الطائف خرج هاربا الى الشام يريد قيصر منتصرا
به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب الى المنافقين من قومه ان ابنوا مسجدا مقاومة
لمسجد قباء وتحقيرا له فاني سآتي بجيش من الروم اخرج به محمدا واصحابه من المدينة فبنوه وقالوا
سيأتي ابو عامر ويصلي فيه فذلك قوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله يعني ابا عامر
وقولهم سيأتي ابو عامر وقوله ضرارا اي داعية للتضارر من جماعتين وقوله وتفريقا بين
المؤمنين يريد تفريقا بين الجماعة التي كانت تصلي في مسجد قباء فان من جاور مسجدهم كانوا يصرفونه
اليه وذلك داعية لصرفه عن الايمان وقيل اراد بقوله بين المؤمنين جماعة مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وروي ان مسجد الضرار لما هدم واحرق اتخذ مزبلة ترمى فيها الاقذار والقمامات
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت لا تقم فيه ابدا كان لا يمر بالطريق التي هو فيها وقوله
لمسجد اسس على التقوى قيل ان اللام لام قسم وقيل هي لام الابتداء كما تقول لزيد احسن الناس فعلا وهي
مقتضية تأكيدا وذهب ابن عباس وفرقة من الصحابة والتابعين الى ان المراد بمسجد اسس على
التقوى مسجد قباء وروي عن ابن عمر وابي سعيد وزيد بن ثابت انه مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم ويليق القول الاول بالقصة الا ان القول الثاني مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
ولا نظر مع الحديث قال ابن العربي في احكامه وقد روى ابن وهب عن مالك ان المراد بمسجد اسس
على التقوى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال الله تعالى وتركوك قائما وكذلك روى عنه

ابن القاسم وقد روى الترمذى عن ابى سعيد الخدرى قال تمارى رجلان فى المسجد الذى اسس
على التقوى من اول يوم فقال رجل هو مسجد قبا وقال الاخر هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مسجدى هذا قال ابو عيسى هذا حديث صحيح خرجه مسلم انتهى
ومعنى ان تقوم فيه اى بصلاتك وعبادتك وقوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا اختلف الضمير فى
ايضا هل يعود على مسجد النبى صلى الله عليه وسلم او على مسجد قبا يروى ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال يا معشر الانصار انى رايت الله اثنى عليكم فى الطهور فماذا تفعلون قالوا يا رسول الله انا
راينا جيراننا من اليهود يتطهرون بالماء يريدون الاستنجاء ففعلنا نحن كذلك فلما جاء الاسلام
لم ندعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تدعوه اذا والبنيان الذى اسس على شفا جرف هو مسجد
الضرار باجماع والشفا الحاشية والشفير وهار معناه متهدم بال وهو من هار يهور فالجارى
هار هاير تهورت البير اذا تهدمت وانهارت مثله انتهى وتاسيس البنا على تقوى انما هو بحسن
النية فيه وقصد وجه الله تعالى واظهار شرعه كما صنع فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وفى
مسجد قبا والتاسيس على شفا جرف هار انما هو بفساد النية وقصد الريا والتفريق بين المؤمنين
فهذه تشبيهات صحيحة بارعة وقوله سبحانه فانهار به فى نار جهنم الظاهر منه انه خارج مخرج المثل
وقيل بل ذلك حقيقة وان ذلك المسجد بعينه انهار فى نار جهنم قاله قتادة وابن جريج وروى عن جابر
ابن عبد الله وغيره انه قال رايت الدخان يخرج منه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى
فى بعض الكتب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راه حين انهار بلغ الارض السابعة ففزع
لذلك صلى الله عليه وسلم وروى انهم لم يصلوا فيه اكثر من ثلاثة ايام وهذا كله باسناد لين والله
اعلم واسند الطبرى عن خلف بن ياسين قال رايت مسجد المنافقين الذى ذكره الله فى القران
فرايت فيه مكانا يخرج منه الدخان وذلك فى زمن ابى جعفر المنصور وروى شبيه بهذا او نحوه
عن ابن جريج اسنده الطبرى قال ابن العربى فى احكامه وفى قوله تعالى فانهار به فى نار جهنم مع قوله فامه
هاوية اشارة الى ان النار تحت كما ان الجنة فوق انتهى والريبة الشك وقد يسمى ريبة فساد المعتقد
ومعنى الريبة فى هذه الاية امر يعم الغيظ والحنق ويعم اعتقاد صواب فعلهم ونحو هذا مما يودى كله الى
الارتياب فى الاسلام فمقصد الكلام لا يزال هذا البنيان الذى هدم لهم يبقى فى قلوبهم حزازة واثر
سو وبالشك فسر ابن عباس الريبة وبالجملة ان الريبة هنا تعم معانى كثيرة ياخذ كل منافق منها بحسب
قدره من النفاق وقوله الا ان تقطع قلوبهم بضم التاء يعنى بالموت قاله ابن عباس وغيره وفى مصحف
ابى حتى الممات وفيه حتى تقطع وقوله عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة هذه الاية نزلت فى البيعة الثالثة وهى بيعة العقبة الكبرى وهى التى اناف فيها رجال الانصار
على السبعين وذلك انهم اجتمعوا مع النبى صلى الله عليه وسلم عند العقبة فقالوا اشترط لك
ولربك والمتكلم بذلك عبد الله بن رواحة فاشترط نبى الله حمايته مما يحمون منه انفسهم واشترط
لربه التزام الشريعة وقتال الاحمر والاسود فى الدفع عن الحوزة فقالوا ما لنا على ذلك يا نبى الله
فقال الجنة فقالوا نعم ربح البيع لا نقيل ولا نقال وفى بعض الروايات ولا نستقيل فنزلت
الاية فى ذلك وهكذا نقله ابن العربى فى احكامه عن عبد الله بن رواحة ثم ذكر من طريق
الشعبى عن ابى امامة اسعد بن زرارة نحو كلام ابن رواحة قال ابن العربى وهذا وان كان

سنده مقطوعا فان معناه ثابت من طرق ثم الاية بعد ذلك عامة فى كل من جاهد فى سبيل
الله من امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة قال بعض العلماء ما من مسلم الا ولله
فى عنقه هذه البيعة وفى بها او لم يف وفى الحديث ان فوق كل بر برا حتى يبذل العبد دمه
فاذا فعل فلا بر فوق ذلك واسند الطبرى عن كثير من اهل العلم انهم قالوا ثامن الله تعالى فى
هذه الاية عباده فاغلى لهم وقاله ابن عباس وغيره وهذا تاويل الجمهور وقال ابن عيينة
معنى الاية اشترى منهم انفسهم ان لا يعملوها الا فى طاعته واموالهم ان لا ينفقوها الا فى سبيله
فالاية على هذا اعم من القتل فى سبيل الله وقوله يقاتلون فى سبيل الله على تاويل ابن عيينة مقطوع
ومستانف واما على تاويل الجمهور من ان الشرا والبيع انما هو مع المجاهدين فهو فى موضع
الحال وقوله سبحانه وعدا عليه حقا فى التورية والانجيل والقرآن قال المفسرون يظهر من قوله
فى التورية والانجيل والقران ان كل امة امرت بالجهاد ووعدت عليه قال ع ويحتمل ان
ميعاد امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تقدم ذكره فى هذه الكتب والله اعلم قال ص وقوله
فاستبشروا ليس للطلب بل بمعنى ابشروا كاستوقد قال ابو عمر بن عبد البر فى كتابه المسمى ببهجة
المجالس روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجز له
ما وعده ومن اوعده على عمل عقابا فان شاء عذبه وان شاء غفر له وعن ابن عباس مثله انتهى
وباقى الاية بين قال الفخر واعلم ان هذه الاية مشتملة على انواع من التاكيد فاولها قوله سبحانه
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم فكون المشترى هو الله المنزه عن الكذب والحيلة
من ادل الدلايل على تاكيد هذا العهد والثانى انه عبر عن ايصال هذا الثواب بالبيع والشرا وذلك حق
مؤكد وثالثها قوله وعدا ووعد الله حق ورابعها قوله عليه وكلمة على للوجوب وخامسها قوله
حقا هو تاكيد للتحقيق وسادسها قوله فى التوراة والانجيل والقران وذلك يجرى مجرى
اشهاد جميع الكتب الالهية وجميع الانبياء والمرسلين على هذه المبايعة وسابعها ومن اوفى بعهده
من الله وهو غاية فى التاكيد وثامنها وهو فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وهو ايضا مبالغة
فى التاكيد وتاسعها قوله وذلك هو الفوز وعاشرها قوله العظيم فثبت اشتمال هذه الاية على
هذه الوجوه العشرة فى التاكيد والتقرير والتحقيق انتهى وقوله عز وجل التائبون العابدون الى
قوله وبشر المؤمنين هذه الاوصاف هى من صفات المؤمنين الذين ذكر الله انه اشترى منهم
انفسهم واموالهم ومعنى الاية على ما تقتضيه اقوال العلماء والشرع انها اوصاف الكملة من المؤمنين
ذكرها سبحانه ليستبق اليها اهل التوحيد حتى يكونوا فى اعلى رتبة والاية الاولى مستقلة
بنفسها يقع تحت تلك المبايعة كل موحد قاتل فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا وان لم
يتصف بهذه الصفات التى فى هذه الاية الثانية او باكثرها وقالت فرقة بل هذه الصفات
جاءت على جهة الشرط والايتان مرتبطتان فلا يدخل فى المبايعة الا المؤمنون الذين هم على
هذه الاوصاف وهذا تحريج وتضييق والاول اصوب والله اعلم والشهادة ماحية لكل ذنب
الا المظالم للعباد وقد روى ان الله عز وجل يحمل على الشهيد مظالم العباد ويجازيهم عنه ختم الله
لنا بالحسنى والسايحون معناه الصايمون وروى عن عايشة انها قالت سياحة هذه الامة
الصيام اسنده الطبرى وروى انه من كلام النبى صلى الله عليه وسلم قال الفخر ولما كان اصل السياحة

الاستمرار على الذهاب في الارض سمي الصايم سايحا لاستمراره على فعل الطاعة وترك المنهي
عنه من المفطرات قال الفخر وعندي فيه وجه آخر وهو ان الانسان اذا امتنع من الاكل والشرب
والوقاع وسد على نفسه باب الشهوات انفتحت له ابواب الحكمة وتجلت له انوار عالم الجلال
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه
على لسانه فيصير من السائحين في عالم جلال الله المنتقلين من مقام الى مقام ومن درجة الى درجة
انتهى قال ع ونقل بعض الناس وهو في كتاب النقاش السائحون هم الجائلون بافكارهم في قدرة
الله وملكوته وهذا قول حسن وهي من افضل العبادات والراكعون الساجدون هم المصلون
الصلوات كذا قال اهل العلم ولكن لا يختلف في ان من يكثر النوافل هو ادخل في الاسم واعرق
في الاتصاف وقوله والحافظون لحدود الله لفظ عام تحته التزام الشريعة قلت قال البخاري
قال ابن عباس الحدود الطاعة قال ابن العربي في احكامه وقوله والحافظون لحدود الله خاتمة
البيان وعموم الاشتمال لكل امر ونهي انتهى وقوله سبحانه وبشر المؤمنين قيل هو لفظ عام امر
صلى الله عليه وسلم ان يبشر امته جميعا بالخير من الله وقيل بل هذه الالفاظ خاصة لمن لم
يغز اي لما تقدم في الاية وعد المجاهدين وفضلهم امر صلى الله عليه وسلم ان يبشر سائر المؤمنين
ممن لم يغز بان الايمان مخلص من النار والحمد لله رب العالمين وقوله سبحانه ما كان للنبي والذين
امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية جمهور المفسرين ان هذه الاية نزلت في شان ابي طالب
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه حين احتضر فوعظه وقال اي عم قل لا اله
الا الله كلمة احاج لك بها عند الله وكان بالحضرة ابو جهل وعبد الله بن ابي امية فقالا
له يا ابا طالب ارغب عن ملة عبد المطلب فقال ابو طالب يا محمد والله لولا اني اخاف
ان يعير بها ولدي من بعدي لاقررت بها عينك ثم قال هو على ملة عبد المطلب ومات على ذلك
اذ لم يسمع منه النبي صلى الله عليه وسلم ما قال له العباس فنزلت انك لا تهدي من احببت فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك فكان يستغفر له حتى نزلت هذه الاية
فترك نبي الله الاستغفار لابي طالب وروي ان المؤمنين لما راوا نبي الله يستغفر لابي طالب
جعلوا يستغفرون لموتاهم فلذلك دخلوا في النهي والاية على هذا ناسخة لفعله صلى الله عليه
وسلم اذ افعاله في حكم الشرع المستقر وقال ابن عباس وقتادة وغيرهما انما نزلت الاية بسبب
جماعة من المؤمنين قالوا نستغفر لموتانا كما استغفر ابراهيم عليه السلام لابيه فنزلت الاية في
ذلك وقوله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الاية المعنى لا حجة ايها المؤمنون في استغفار
ابراهيم عليه السلام فان ذلك لم يكن الا عن موعدة واختلف في ذلك فقيل عن موعدة من ابراهيم
وذلك قوله ساستغفر لك ربي انه كان بي حفيا وقيل عن موعدة من ابيه في انه سيؤمن فقوي
طمعه فحمله ذلك على الاستغفار له حتى نهي عنه وموعدة من الوعد واما تبين له انه عدو
لله قيل ذلك بموته على الكفر وقيل بان ذلك نهي عنه وهو حي وقوله سبحانه ان ابراهيم
لاواه حليم ثناء من الله تعالى على ابراهيم عليه السلام والاواه معناه الخائف الذي يكثر التاوه
من خوف الله عز وجل والتاوه التفجع الذي يكثر حتى ينطق الانسان معه باوه ومن هذا المعنى
قول المثقب العبدي اذا ما قمت ارحلها بليل تاوه آهة الرجل الحزين

وروى

ويروى اهه وروي ان ابراهيم عليه السلام كان يسمع وجيب قلبه من الخشية كما تسمع اجنحة
النسور وللمفسرين في الاواه عبارات كلها ترجع الى ما ذكرته قلت وروى ابن المبارك
في رقائقه قال اخبرنا عبد الحميد بن بهرام قال حدثنا شهر بن حوشب قال حدثني
عبد الله بن شداد قال قال رجل يا رسول الله ما الاواه قال الاواه الخاشع الدعاء المتضرع قال
الله سبحانه ان ابراهيم لاواه حليم انتهى وحليم معناه صابر محتمل عظيم العقل والحلم العقل
وقوله سبحانه وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم الاية معناه التانيس للمؤمنين وقيل
ان بعضهم خاف على نفسه من الاستغفار للمشركين فنزلت الاية مؤنسة اي ما كان الله
بعد ان هدى الى الاسلام وانقذ من النار ليحبط ذلك ويضل اهله لمواقعتهم ذنبا لم يتقدم
من الله عنه نهي فاما اذا بين لهم ما يتقون من الامور ويتجنبون من الاشياء فحينئذ من
واقع شيئا من ذلك بعد النهي استوجب العقوبة وباقي الاية بين وقوله سبحانه لقد تاب
الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية التوبة من الله تعالى هو رجوعه بعبده من حالة
الى ارفع منها فقد تكون في الاكثر رجوعا من حالة طاعة الى اكمل منها وهذه توبته
سبحانه في هذه الاية على نبيه عليه الصلاة والسلام واما توبته على المهاجرين والانصار فمعرضة
لان تكون من تقصير الى طاعة وجد في الغزو ونصرة الدين واما توبته على الفريق الذي
كاد ان يزيغ فرجوع من حالة محطوطة الى حالة غفران ورضى وقال الشيخ ابو الحسن الشاذلي
رحمه الله في هذه الاية ذكر الله سبحانه توبة من لم يذنب لئلا يستوحش من اذنب لانه ذكر النبي
والمهاجرين والانصار ولم يذنبوا ثم قال وعلى الثلاثة الذين خلفوا فذكر من لم يذنب
ليؤنس من قد اذنب انتهى من لطائف المنن وساعة العسرة يريد وقت العسرة والعسرة
الشدة وضيق الحال والعدم وهذا هو جيش العسرة الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم
من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزه عثمان بن عفان رضي الله عنه بالف جمل والف
دينار وجاء ايضا رجل من الانصار بسبع مائة وسق من تمر وهذه غزوة تبوك قلت
وعن ابن عباس انه قيل لعمر بن الخطاب حدثنا عن شان ساعة العسرة فقال عمر خرجنا الى
تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع
حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ثم يجعل ما بقي على كبده فقال ابو بكر يا رسول
الله ان الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله فقال اتحب ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى
مالت السماء فاظلت ثم سكبت فملئوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر
رواه الحاكم في مستدركه على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين يعني مسلما
والبخاري انتهى من السلاح ووصل النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك الى اوائل بلاد
العدو فصالحه اهل اذرح وايلة وغيرها على الجزية ونحوها وانصرف والزيغ المذكور
هو ما همت به طائفة من الانصراف لما لقوا من المشقة والعسرة قاله الحسن وقيل
زيغها انما كان بظنون لها ساءت في معنى عزم النبي صلى الله عليه وسلم على تلك الغزوة
لما رأته من شدة الحال وقوة العدو المقصود ثم اخبر عز وجل انه تاب ايضا على هذا الفريق
وراجع به وانس باعلامه للامة بانه رؤوف رحيم والثلاثة الذين خلفوا هم كعب بن مالك

وهلال بن امية الواقفي ومرارة بن الربيع العامري وقد خرج حديثهم بكماله البخاري
ومسلم وهو في السيرة فلذلك اختصرنا سوقه وهم الذين تقدم فيهم وآخرون مرجون
لامر الله ومعنى خلفوا اخروا وترك النظر في امرهم قال كعب وليس تخلفنا عن الغزو وهو
بين من لفظ الاية وقوله ان لا ملجا من الله الا اليه ظنوا هنا بمعنى ايقنوا قال الشيخ ابن
ابي جمرة رحمه الله قال بعض اهل التوفيق اذا نزلت بي نازلة ما من اي نوع كانت فالهمت
فيها اللجا فلا ابالي بها واللجا على وجوه منها الاشتغال بالذكر والتعبد وتفويض الامر له
عز وجل لقوله تعالى على لسان نبيه من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي
السائلين ومنها الصدقة ومنها الدعا فكيف بالمجموع وقوله سبحانه ثم تاب عليهم ليتوبوا
لما كان هذا القول في تعديد النعم بدا في ترتيبه بالجهة التي هي عن الله عز وجل
ليكون ذلك منبها على تلقي النعم من عنده لا رب غيره ولو كان القول في تعديد ذنب
لكان الابتداء بالجهة التي هي عن المذنب كما قال عز وجل فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ليكون
ذلك اشد تقريرا للذنب عليهم وهذا من فصاحة القران وبديع نظمه ومعجزات
سياقه وبيان هذه الاية ومواقع الفاظها انما يكمل مع مطالعة حديث الثلاثة
الذين خلفوا في الكتب المذكورة فانظره وانما عظم ذنبهم واستحقوا عليه ذلك لان
الشرع يطلبهم من الجد فيه بحسب منازلهم منه وتقدمهم فيه اذ هم اسوة وحجة
للمنافقين والطاعنين اذ كان كعب من اهل العقبة وصاحباه من اهل بدر وفي هذا
ما يقتضي ان الرجل العالم المقتدى به اقل عذرا في السقوط من سواه وكتب الاوزاعي
رحمه الله الى ابي جعفر المنصور في اخر رسالة واعلم ان قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم
لن تزيد حق الله عليك الا عظما ولا طاعته الا وجوبا ولا الناس فيما خالف ذلك منك
الا انكارا والسلام وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين هذا
الامر بالكون مع الصادقين حسن بعد قصة الثلاثة حين نفعهم الصدق وذهب بهم
عن منازل المنافقين وكان ابن مسعود يتاول الاية في صدق الحديث واليه نحا كعب
ابن مالك وقوله سبحانه ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله
الاية هذه معاتبة للمؤمنين من اهل يثرب وقبائل العرب المجاورة على التخلف عن النبي صلى
الله عليه وسلم في غزوة تبوك وقوة الكلام تعطي الامر بصحبته اين ما توجه غازيا
وبذل النفوس دونه والمخمصة مفعلة من خموص البطن وهو ضموره واستعير
ذلك لحالة الجوع اذ الخموص ملازم له ومنه قول الاعشى نظم

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم … وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

وقوله ولا ينالون من عدو نيلا لفظ عام لقليل ما يصنعه المؤمنون بالكفرة من
مال او ايراد هوان وكثيره ونيلا مصدر نال وفي الحديث ما ازداد قوم من اهليهم في
سبيل الله بعدا الا ازدادوا من الله قربا قلت وروى ابو داود في سننه عن ابي مالك الاشعري
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من فصل في سبيل الله فمات او قتل
فهو شهيد او وقصته فرسه او بعيره او لدغته هامة او مات على فراشه اي حتف

شاء الله فانه شهيد وان له الجنة انتهى قال ابن العربي في احكامه قوله عز وجل ولا يقطعون
واديا الا كتب لهم يعني الا كتب لهم ثوابه ولذلك قال ان المجاهد ان ارواث دوابه وابوالها
حسنات له وكذا اعطى سبحانه لاهل العذر من الاجر ما اعطى للقوي العامل بفضله ففي
الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الغزوة بعينها ان بالمدينة قوما ما سلكتم
واديا ولا قطعتم شعبا الا وهم معكم حبسهم العذر انتهى وقوله سبحانه وما كان المؤمنون
لينفروا كافة قالت فرقة ان المؤمنين الذين كانوا بالبادية سكانا ومبعوثين لتعليم
الشرع لما سمعوا قول الله عز وجل ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب الاية اهمهم
ذلك فنفروا الى النبي صلى الله عليه وسلم خشية ان يكونوا عصاة في التخلف عن الغزو
فنزلت هذه الاية في نفرهم وقالت فرقة سبب الاية ان المنافقين لما نزلت الاية في المتخلفين
قالوا هلك اهل البوادي فنزلت الاية مقيمة لعذر اهل البوادي قال ع فيجيء قوله ما كان
لاهل المدينة ومن حولهم عموما في اللفظ والمراد به في المعنى الجمهور والاكثر وتجيء هذه الاية
مبينة لذلك وقالت فرقة هذه الاية ناسخة لكل ما ورد من الزام الكافة النفير والقتال
وقال ابن عباس ما معناه ان هذه الاية مختصة بالبعوث والسرايا والاية المتقدمة ثابتة الحكم
مع خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغزو وقالت فرقة يشبه ان يكون التفقه في
الغزو وفي السرايا لما يرون من نصرة الله لدينه واظهاره العدد القليل من المؤمنين على
الكثير من الكافرين وعلمهم بذلك صحة دين الاسلام ومكانته قال ع والجمهور على ان التفقه
انما هو بمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته وقيل غير هذا قلت وصح
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا
وقد استنفر صلى الله عليه وسلم الناس في غزوة تبوك واعلن بها حسبما هو مصرح به في حديث
كعب بن مالك في الصحاح فكان العتب متوجها على من تاخر عنه بعد العلم فيظهر والله اعلم ان
الاية الاولى باق حكمها كما قال ابن عباس وتكون الثانية ليست في معنى الغزو بل في شان
التفقه في الدين على الاطلاق وهذا هو الذي يفهم من استدلالهم بالاية على فضل العلم وقد
قالت فرقة ان هذه الاية ليست في معنى الغزو وانما سببها قبائل من العرب اصابتهم مجاعة
فنفروا الى المدينة لمعنى المعاش فكادوا يفسدونها وكان اكثرهم غير صحيح الايمان
وانما اضرعه الجوع فنزلت الاية في ذلك والانذار في الاية عام للكفر والمعاصي والحذر منها
ايضا كذلك قال ابن المبارك في رقائقه اخبرنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي قال اذا
اراد الله تبارك وتعالى بعبد خيرا جعل فيه ثلاث خلال فقها في الدين وزهادة في الدنيا
وبصرا بعيوبه انتهى وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار قيل
ان هذه الاية نزلت قبل الامر بقتال الكفار كافة فهي من التدريج الذي كان اول الاسلام
قال ع وهذا ضعيف فان هذه السورة من اخر ما نزل وقالت فرقة معنى الاية ان الله
تبارك وتعالى امر فيها المؤمنين ان يقاتل كل فريق منهم الجنس الذي يليه من الكفرة وقوله سبحانه
وليجدوا فيكم غلظة اي خشونة وباسا ثم توعد سبحانه في اخر الاية وحض على التقوى التي هي
ملاك الدين والدنيا وبها يلقى العدو وقد قال بعض الصحابة انما تقاتلون الناس باعمالكم

سبحانه مع المتقين ومن كان الله معه فلن يغلب وقوله تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول
ايكم زادته هذه ايمانا الاية هذه الاية نزلت في شان المنافقين وقولهم ايكم زادته هذه ايمانا
يحتمل ان يكون لمنافقين مثلهم او لقوم من قرابتهم على جهة الاستخفاف والتحقير لشان
السورة ثم ابتدا عز وجل الرد عليهم بقوله فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وذلك انه
اذا انزلت سورة حدث للمؤمنين بها تصديق خاص لم يكن قبل فتصديقهم بما تضمنته السورة
من اخبار وامر ونهي امر زائد على الذي كان عندهم قبل فهذا وجه من زيادة الايمان ووجه
اخر ان السورة ربما تضمنت دليلا او تنبيها على دليل فيكون المؤمن قد عرف الله بعدة ادلة فاذا
نزلت السورة زادت في ادلته ووجه اخر من وجوه الزيادة ان الانسان ربما عارضه شك
يسير او لاحت له شبهة مشغبة فاذا نزلت السورة ارتفعت تلك الشبهة والذين في قلوبهم
مرض المنافقون والرجس في اللغة بمعنى القذر ويجي بمعنى العذاب وحال هولاء المنافقين
هي قذر وهي عذاب عاجل كفيل باجل واذا تجدد كفرهم بسورة فقد زاد كفرهم فذلك
زيادة رجس الى رجسهم وقوله سبحانه اولا يرون يعني المنافقون وقرا حمزة اولا ترون
بالتاء من فوق على معنى اولا ترون ايها المؤمنون انهم يفتنون اي يختبرون وقال مجاهد
بمرضة او مرضتين والذي يظهر مما قبل الاية ومما بعدها ان الفتنة والاختبار انما هي بكشف
الله اسرارهم وافشائه عقائدهم اذ يعلمون ان ذلك من عند الله وبهذا تقوم الحجة عليهم
واما الاختبار بالمرض فهو في المؤمنين وقوله سبحانه واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم المعنى واذا
ما انزلت سورة فيها فضيحة اسرار المنافقين نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد اي هل معكم
من ينقل عنكم هل يراكم من احد حين تدبرون اموركم ثم انصرفوا اي عن طريق الاهتداء وذلك
انهم وقت كشف اسرارهم والاعلام بمغيبات امورهم يقع لهم لا محالة تعجب وتوقف ونظر
فلو اريد بهم خيرا لكان ذلك الوقت مظنة الاهتداء وقد تقدم بيان قوله صرف الله
قلوبهم وقوله عز وجل لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية مخاطبة للعرب في قول الجمهور وهذا
على جهة تعديد النعمة عليهم اذ جاء بلسانهم وبما يفهمونه من الاغراض والفصاحة وشرفوا
به غابر الدهر وقوله من انفسكم يقتضي مدحا لنسبه صلى الله عليه وسلم وانه من صميم
العرب وشرفها وقرا عبد الله بن قسيط المكي بفتح الفا من انفسكم ورويت عن النبي صلى
الله عليه وسلم وقوله ما عنتم معناه عنتكم فما مصدرية والعنت المشقة وهي هنا لفظة
عامة اي عزيز عليه ما شق عليكم من قتل واسار وامتحان بحسب الحق واعتقادكم ايضا معه حريص
عليكم اي على ايمانكم وهداكم وقوله بالمؤمنين رؤوف رحيم اي مبالغ في الشفقة عليهم قال
ابو عبيدة الرافة ارق الرحمة ثم خاطب سبحانه نبيه بقوله فان تولوا اي اعرضوا فقل حسبي
الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم هذه الاية من اخر ما نزل

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

تفسير سورة يونس عليه السلام بعضها نزل بمكة وبعضها بالمدينة قوله عز وجل الر تلك
ايات الكتاب الحكيم المراد بالكتاب القران والحكيم بمعنى محكم ويمكن ان يكون حكيم بمعنى ذي حكمة
فهو على النسب وقوله عز وجل اكان للناس عجبا الاية قال ابن عباس وغيره سبب هذه الاية استبعاد قريش

ان يبعث

ان يبعث الله بشرا رسولا والقدم هنا ما قدم واختلف في المراد بها هاهنا فقال ابن عباس
ومجاهد والضحاك وغيرهم هي الاعمال الصالحة من العبادات وقال الحسن بن ابي الحسن وقتادة هي شفاعة
محمد عليه الصلاة والسلام وقال ابن عباس ايضا وغيره هي السابقة في اللوح المحفوظ وهذا اليق
الاقوال بالاية ومن هذه اللفظة قول حسان لنا القدم العليا اليك وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع
ومن هذه اللفظة قوله صلى الله عليه وسلم حتى يضع الجبار فيها قدمه اي ما قدم لها هذا على ان الجبار
اسم الله تعالى والصدق هنا بمعنى الصلاح وقال البخاري قال زيد بن اسلم قدم صدق محمد صلى الله
عليه وسلم وقولهم ان هذا لسحر مبين انما هو بسبب انه فرق بذلك كلمتهم وحال بين القريب وقريبه
فاشبه ذلك ما يفعله الساحر فظنهم القاصر فسموه سحرا وقوله سبحانه ان ربكم الله الذي
خلق السموات في ستة ايام الاية هذا ابتداء دعاء الى عبادة الله عز وجل وتوحيده وذكر بعض الناس
ان الحكمة في خلق الله تعالى هذه الاشياء في مدة محدودة ممتدة وفي القدرة ان يقول كن فيكون
انما هي ليعلم عباده التؤدة والتماهل في الامور قال ع وهذا مما لا يوصل الى تعليله وعلى هذا
هي الاجنة في البطون وخلق الثمار وغير ذلك والله عز وجل قد جعل لكل شي قدرا وهو اعلم بوجه
الحكمة في ذلك وقوله سبحانه يدبر الامر يصح ان يريد بالامر اسم الجنس من الامور ويصح ان يريد
الامر الذي هو مصدر امر يامر وتدبيره لا اله الا هو انما هو الانفاذ لانه قد احاط بكل شي علما قال
مجاهد يدبر الامر معناه يقضيه وحده وقوله سبحانه ما من شفيع الا من بعد اذنه رد على العرب في اعتقادها
ان الاصنام تشفع لها عند الله وذلكم الله اي الذي هذه صفاته فاعبدوه ثم قررهم على هذه
الايات والعبر فقال افلا تذكرون وقوله اليه مرجعكم جميعا الاية انباء بالبعث وقوله يبدا
الخلق يريد النشاة الاولى والاعادة هي البعث من القبور وليجزي هي لام كي والمعنى ان الاعادة
انما هي ليقع الجزاء على الاعمال وقوله بالقسط اي بالعدل وقوله والذين كفروا ابتداء والحميم
الحار المسخن وحميم النار فيما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا ادناه الكافر من فيه تساقطت
فروة راسه وهو كما وصفه سبحانه يشوي الوجوه وقوله سبحانه هو الذي جعل الشمس ضياء
والقمر نورا الاية هذا استمرار على وصف ايات الله سبحانه والتنبيه على صنعته الدالة على وحدانيته
وعظيم قدرته وقوله وقدره منازل يحتمل ان يعود الضمير على القمر وحده لانه المراعى في
معرفة عدد السنين والحساب عند العرب ويحتمل ان يريد الشمس والقمر معا لكنه
اجتزا بذكر احدهما كما قال والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله لتعلموا عدد السنين
والحساب اي رفقا بكم ورفعا للالتباس في معايشكم وغير ذلك مما يضطر فيه الى معرفة التواريخ
وقوله لقوم يعلمون انما خصهم لان نفع هذا فيهم ظهر وقوله سبحانه ان في اختلاف الليل
والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات اي اعتبار وتنبيه والايات العلامات وخصص
القوم المتقين تشريفا لهم اذ الاعتبار فيهم يقع ونسبتهم الى هذه الاشياء المنظور فيها
افضل من نسبة من لم يهتد ولا اتقى وقوله سبحانه ان الذين لا يرجون لقاءنا الاية قال ابو عبيدة
وغيره يرجون في هذه الاية بمعنى يخافون واحتجوا ببيت ابي ذويب نظم

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها   وخالفها في بيت نوب عوامل

وقال ابن سيده والفراء لفظة الرجا اذا جاءت منفية فانها تكون بمعنى الخوف فعلى هذا

التأويل معنى الاية ان الذين لا يرجون لقانا وقال بعض اهل العلم الرجاء في هذه الاية على بابه
وذلك ان الكافر المكذب بالبعث لا يحسن ظنا بانه يلقى الله ولا له في الاخرة امل اذ لو كان له
فيها امل لقارنه لا محالة خوف وهذه الحال من الخوف المقارن هي القايدة الى النجاة قال ع
والذي اقول به ان الرجا في كل موضع هو على بابه وان بيت الهذلي معناه لم يرج فقد لسعها
قال ابن زيد هذه الاية في الكفار وقوله سبحانه ورضوا بالحياة الدنيا يريد كانت منتهى غرضهم
وقال قتادة في تفسير هذه الاية اذا شئت رأيت صاحب هذا الموصوف صاحب دنيا لها
يغضب ولها يرضى ولها يفرح ولها يهتم ويحزن وكان قتادة صورها في العصاة ولا يترتب
ذلك الا مع تأول الرجا على بابه لان المؤمن العاصي مستوحش من اخرته فاما على التأويل الاول
فمن لا يخاف لقاء الله فهو كافر وقوله واطمأنوا بها تكميل في معنى القناعة بها والرفض لغيرها
وقوله والذين هم عن اياتنا غافلون يحتمل ان يكون ابتداء اشارة الى فرقة اخرى قاله ع
عقب سبحانه بذكر الفرقة الناجية فقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم
الاية الهداية في هذه الاية تحتمل وجهين احدهما ان يريد انه يديمهم ويثبتهم الثاني ان يريد
انه يرشدهم الى طريق الجنان في الاخرة وقوله بايمانهم يحتمل ان يريد بسبب ايمانهم ويحتمل
ان يكون الايمان هو نفس الهدى اي يهديهم الى طريق الجنة بنور ايمانهم قال مجاهد يكون لهم
ايمانهم نورا يمشون به ويتركب هذا التأويل على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان
العبد المؤمن اذا قام من قبره للحشر تمثل له رجل جميل الوجه طيب الرائحة فيقول من انت
فيقول انا عملك الصالح فيقوده الى الجنة وبعكس هذا في الكافر ونحو هذا مما اسنده الطبري
وغيره وقوله سبحانه دعواهم فيها سبحانك اللهم تقديس وتسبيح وتنزيه لجلاله
سبحانه عن كل ما لا يليق به سبحانه وقال علي بن ابي طالب في ذلك هي كلمات رضيها الله تعالى
لنفسه وقال طلحة بن عبيد الله قلت يا رسول الله ما معنى سبحان الله فقال تنزيها
لله من كل سوء وحكي عن بعض المفسرين انهم راوا ان هذه الكلمة انما يقولها المؤمن
عندما يشتهي الطعام فانه اذا راى طائرا او غير ذلك قال سبحانك اللهم فنزلت تلك
المرادة بين يديه فوق ما اشتهى رواه ابن جريج وسفيان بن عيينة وعبارة الداودي عن ابن جريج
دعواهم فيها قال اذا مر بهم الطائر يشتهونه كان دعواهم به سبحانك اللهم فياكلون منه
ما يشتهون ثم يطير واذا جاءتهم الملائكة بما يشتهون سلموا عليهم فذلك قوله تحيتهم فيها
سلام واذا اكلوا حاجتهم قالوا الحمد لله رب العالمين فذلك قوله واخر دعواهم ان الحمد لله رب
العالمين انتهى وقوله سبحانه وتحيتهم فيها سلام يريد تسليم بعضهم على بعض والتحية ماخوذة من
تمني الحياة للانسان والدعاء بها يقال حياه ويحييه ومنه قول زهير بن جناب
من كل ما نال الفتى ۞ قد نلته الا التحية ۞ يريد دعاء الناس للملوك بالحياة وقال بعض
العلماء وتحيتهم يريد تسليم الله عز وجل عليهم والسلام ماخوذ من السلامة واخر دعواهم
خاتمة دعائهم وكلامهم في كل موطن حمد الله وشكره على ما اسبغ عليهم من نعمه وقال
ابن العربي في احكامه وفي تفسير هذه الاية قولان الاول ان الملك ياتيهم بما يشتهون فيقول
سلام عليكم اي سلمتم فيردون عليه فاذا اكلوا قالوا الحمد لله رب العالمين الثاني ان معنى تحيتهم

اى دعاؤهم فيها

اى تحية

اى تحية بعضهم بعضا وقد ثبت في الخبر ان الله خلق ادم ثم قال له اذهب الى اولئك
النفر من الملائكة فسلم عليهم فجاءهم فقال لهم سلام عليكم فقالوا له وعليك السلام
ورحمة الله تعالى فقال له هذه تحيتك وتحية ذريتك من بعدك الى يوم القيامة وبين في
القران انها تحيتهم في الجنة فهي تحية موضوعة من اول الخلقة الى غير نهاية وقد روى
ابن القاسم عن مالك في قول الله تعالى تحيتهم فيها سلام اي هذا السلام الذي بين اظهركم وهذا
اظهر الاقوال والله اعلم انتهى وقرا الجمهور ان الحمد لله وهي عند سيبويه ان المخففة
من الثقيلة قال ابو الفتح فهي بمنزلة قول الاعشى نظم
في فتية كسيوف الهند قد علموا ۞ ان هالك كل من يحفى وينتعل
وقوله سبحانه ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم هذه الاية
نزلت في دعاء الرجل على نفسه او ولده او ماله فاخبر سبحانه انه لو فعل مع الناس في
اجابته الى المكروه مثل ما يريد فعله معهم في اجابته الى الخير لاهلكهم وحذف بعد
ذلك جملة يتضمنها الظاهر تقديرها فلا يفعل ذلك فنذر الذين لا يرجون لقانا
الاية وقيل ان هذه الاية نزلت في قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء وقيل نزلت في قولهم ائتنا بما تعدنا وما جرى مجراه والعمه الخبط
في ضلال وقوله سبحانه واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه الاية وهذه الاية
ايضا عتاب على سوء الخلق من بعض الناس ومضمنه النهي عن مثل هذا والامر بالتسليم
الى الله والضراعة اليه في كل حال والعلم بان الخير والشر بيده لا رب غيره وقوله
لجنبه في موضع الحال كانه قال مضطجعا والضر عام لجميع الامراض والرزايا وقوله سبحانه
مر يقتضي ان نزولها في الكفار ثم هي بعد تتناول كل من دخل تحت معناها من
كافر وعاص وقوله سبحانه ولقد اهلكنا القرون من قبلكم الاية اية وعيد للكفار وضرب
امثال لهم وخلائف جمع خليفة وقوله لننظر معناه لنبين في الوجود ما علمناه
ازلا لكن جرى القول على طريق الايجاز والفصاحة والمجاز وقال عمر رضي الله عنه
ان الله تعالى انما جعلنا خلفاء لينظر كيف عملنا فاروا الله احسن اعمالكم في السر والعلانية
وقوله سبحانه واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقانا يعني بعض كفار
قريش ائت بقران غير هذا او بدله ثم امر سبحانه نبيه ان يرد عليهم بالحق الواضح فقال
قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به وادراكم بمعنى اعلمكم تقول ادريت بالامر وادريت
به غيري ثم قال فقد لبثت فيكم عمرا من قبله يعني الاربعين سنة قبل بعثته عليه السلام اي فلم
تجربوني في كذب ولا تكلمت بشيء من هذا افلا تعقلون ان من كان على هذه الصفة لا يصح
منه كذب بعد ان ولى عمره وتقاصر امله واشتدت حنكته وخوفه لربه وقوله فمن اظلم
استفهام وتقرير اي لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بايات الله
بعد بيانها والضمير في يعبدون لكفار قريش وقولهم هولاء شفعاؤنا عند الله هذا
قول النبلاء منهم ثم امر سبحانه نبيه ان يقررهم ويوبخهم بقوله اتنبئون الله بما لا يعلم في
السموات ولا في الارض وذكر السموات لان من العرب من يعبد الملائكة والشعرى وبحسب

هذا لحسن ان يقول هو لا شفعاؤنا وقيل ذلك على تجوز في الاصنام التي لا تعقل وقوله
سبحانه وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا قالت فرقة المراد آدم كان امة واحدة
ثم اختلف الناس بعده وقالت فرقة المراد آدم وبنوه من لدن نزوله الى قتل احد ابنيه
الاخر ويحتمل ان يريد كان الناس صنفا واحدا بالفطرة معدا للاهتداء وقد تقدم الكلام
على هذا في قوله سبحانه كان الناس امة واحدة وقوله ولولا كلمة سبقت من ربك يريد
قضاه وتقديره لبني آدم بالآجال الموقتة ويحتمل ان يريد الكلمة في امر القيامة وان الثواب
والعقاب انما يكون حينئذ وقوله قل انما الغيب لله اي ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وقوله
فانتظروا وعيد وقوله سبحانه واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم الاية هذه الاية
في الكفار وهي بعد تتناول من العصاة من لا يؤدي شكر الله عند زوال المكروه عنه ولا يرتدع
بذلك عن معاصيه وذلك في الناس كثير والرحمة هنا بعد الضراء كالمطر بعد القحط والامن
بعد الخوف ونحو هذا مما لا ينحصر والمكر الاستهزاء والطعن عليها من الكفار واطراح الشكر
والخوف من العصاة وقال ابو علي اسرع من سرع لا من اسرع يسرع اذ لو كان من اسرع يسرع
لكان شاذا قال ع وفي الحديث في نار جهنم لهي اسود من القار وما حفظ للنبي عليه الصلاة والسلام
فليس بشاذ ص ورد بان اسود من فعل لا من افعل تقول سود فهو اسود وانما امتنع من سود
ونحوه عند البصريين لانه لون انتهى وقوله سبحانه هو الذي يسيركم في البر والبحر الاية تعديد
نعم منه سبحانه على عباده وقوله دعوا الله مخلصين له الدين اي نسوا الاصنام والشركاء
وافردوا الدعاء لله سبحانه وذكر الطبري في ذلك عن بعض العلماء حكاية قول العجم هيا
شراهيا ومعناه يا حي يا قيوم ويبغون معناه يفسدون وقوله متاع الحيوة الدنيا
متاع خبر مبتدا محذوف تقديره هو متاع او ذلك متاع ومعنى الاية انما بغيكم وافسادكم
مضر لكم وهو في حالة الدنيا ثم تلقون عقابه في الاخرة قال سفيان بن عيينة انما بغيكم على
انفسكم متاع الحياة الدنيا اي تعجل لكم عقوبته وعلى هذا قالوا البغي يصرع اهله قال ع
وقالوا الباغي مصروع قال تعالى ثم بغي عليه لينصرنه الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما ذنب اسرع عقوبة من بغي وقوله سبحانه انما مثل الحيوة الدنيا اي تفاخر الحياة الدنيا
وزينتها بالمال والبنين اذ مصير ذلك للفناء كمطر نزل من السماء فاختلط به نبات الارض
اي اختلط النبات بعضه ببعض بسبب الماء ولفظ البخاري قال ابن عباس فاختلط به نبات الارض
فنبت بالماء من كل لون انتهى واخذت الارض لفظة كثرت في مثل هذا كقوله خذوا زينتكم
والزخرف التزين بالالوان وقرا ابن مسعود وغيره وتزينت وهذه اصل قراءة الجمهور
وقوله وظن اهلها على بابها وهذا الكلام فيه تشبيه جملة امر الحياة الدنيا بهذه الجملة
الموصوفة احوالها وحتى غاية وهي حرف ابتداء لدخولها على اذا ومعناها متصل الى
قوله قادرون عليها ومن بعد ذلك بدا الجواب والامر الاتي واحد الامور كالريح و
الصر والسموم ونحو ذلك وتقسيم ليلا ونهارا تنبيه على الخوف وارتفاع الامن في كل وقت
وحصيدا بمعنى محصودا اي تالفا مستهلكا كان لم تغن اي كان لم تنعم ولم تنضر ولم تعمر
بغضارتها ومعنى الاية التحذير من الاغترار بالدنيا اذ هي معرضة للتلف كنبات هذه

الارض وخص بالمتفكرين بالذكر تشريفا للمنزلة وليقع التسابق الى هذه الرتبة والله
يدعوا الى دار السلام الاية نص ان الدعاء الى الشرع عام في كل بشر والهداية التي هي الارشاد
مخصصة بمن قدر ايمانه والسلام هنا قيل هو اسم من اسماء الله والمعنى يدعو الى داره التي هي الجنة
وقيل السلام بمعنى السلامة وقوله سبحانه للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال الجمهور الحسنى الجنة
والزيادة النظر الى الله عز وجل وفي صحيح مسلم من حديث صهيب فيكشف الحجاب فما اعطوا
شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم عز وجل وفي رواية ثم تلا هذه الاية للذين احسنوا الحسنى وزيادة
واخرج هذه الزيادة النسائي من صهيب واخرجها عن صهيب ايضا ابو داود والطيالسي
انتهى من التذكرة وقوله سبحانه ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة الاية يرهق معناه يغشى
مع غلبة وتضييق والقتار الغبار المسود وقوله سبحانه والذين كسبوا السيئات جزاء
سيئة بمثلها قالت فرقة التقدير لهم جزاء سيئة بمثلها وقالت فرقة التقدير لهم جزاء
سيئة الكفر والمعاصي والعاصم المنجي والمجير واغشيت كسيت والقطع جمع قطعة وقرا
ابن كثير والكسائي قطعا من الليل بسكون الطاء وهو الجزء من الليل والمراد الجزء من سواده
وباقي الاية بين ومكانكم اسم فعل الامر ومعناه قفوا واسكنوا قلت قال ابو حيان وقدر
باثبتوا واما من قدره بالزموا مكانكم فمردود لان الزموا متعد ومكانكم لا يتعدى فلا يقدر
به والا لكان متعديا واسم الفعل على حسب الفعل ان متعديا فمتعديا وان لازما فلازم واعتذر
بانه يمكن ان يكون تقديره بالزموا تفسير معنى لا تفسير اعراب فلا اعتراض انتهى قال ع فاخبر
سبحانه عن حالة تكون لعبدة الاوثان يوم القيامة يؤمرون بالاقامة في موقف الخزي مع
اصنامهم ثم ينطق الله شركاءهم بالتبري منهم وقوله فزيلنا بينهم معناه فرقنا في الحجة
والمذهب روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الكفار اذا راوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب
قيل لهم اتبعوا ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد هؤلاء فتقول الاصنام والله ما كنا نسمع
ولا نعقل وما كنتم ايانا تعبدون فيقولون والله لاياكم كنا نعبد فتقول الالهة فكفى
بالله شهيدا بيننا وبينكم الاية وظاهر الاية ان محاورتهم انما هي مع الاصنام دون الملائكة
وعيسى بدليل القول لهم مكانكم انتم وشركاؤكم ودون فرعون ومن عبد من الجن
بدليل قولهم ان كنا عن عبادتكم لغافلين وان هذه عند سيبويه المخففة من الثقيلة موجبة
ولزمها اللام فرقا بينها وبين ان النافية وعند الفراء ان نافية بمعنى ما واللام
بمعنى الا وقرا نافع وغيره تبلوا بالباء الموحدة بمعنى تختبر وقرا حمزة والكسائي تتلوا
بتاءين بمعنى تتبع وتطلب ما اسلفت من اعمالها قلت قال ابو حيان كقوله ان المريب يتبع المريبا
كما رايت الذيب يتلو الذيبا اي يتبعه انتهى ويصح ان يكون بمعنى تقرا كتبها التي تدفع اليها
وقوله ومن يدبر الامر الاية تدبير الامر عام في جميع الاشياء وذلك استقامة الامور كلها
على ارادته عز وجل وليس تدبيره سبحانه بفكر وروية وتغيرات تعالى عن ذلك بل علمه سبحانه
محيط كامل دائم فسيقولون الله اي لا مندوحة لهم عن ذلك ولا تمكنهم المباهتة بسواه
فاذا اقروا بذلك فقل افلا تتقون في افترائكم وجعلكم الاصنام الهة وقوله فذلكم الله
ربكم الاية يقول فهذا الذي هذه صفاته ربكم الحق اي المستوجب للعبادة والالوهية واذا

كان كذلك فتشريك غيره ضلال وغير حق قال ع وعبارة القرآن في سوق هذه المعاني
تفوق كل تفسير براعة وايجازا ووضوحا وحكمت هذه الاية بانه ليس بين الضلال والحق
منزلة ثالثة في هذه المسالة التي هي توحيد الله تعالى وكذلك هو الامر في نظائرها من
مسائل الاصول التي الحق فيها في طرف واحد لان الكلام فيها انما هو في تقرير وجود ذات كيف هي
وذلك بخلاف مسائل الفروع التي قال الله تعالى فيها لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله
فانى تصرفون تقرير كما قال فاين تذهبون ثم قال كذلك حقت اى كما كانت صفات الله كما وصف
وعبادته واجبة كما تقرر وانصراف هؤلاء كما قدر عليهم كذلك حقت كلمات ربك الاية وقرا ابو عمرو
وغيره كلمة على الافراد الذي يراد به الجمع كما يقال للقصيدة كلمة فعبر عن وعيد الله تعالى بكلمة
وقوله سبحانه قل هل من شركائكم من يبدا الخلق ثم يعيده الاية توقيف على قصور الاصنام وعجزها
وتنبيه على قدرة الله عز وجل وتوفكون معناه تصرفون وتحرمون وارض مافوكة اذا لم يصبها
مطر فهي بمعنى الخيبة وقوله تعالى قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق اى يبين طرق الصواب
ثم وصف الاصنام بانها لا تهتدي الا ان تهدى وقوله الا ان يهدى فيه تجوز لانا نجدها
لا تهتدي وان هديت وقال بعضهم هي عبارة عن انها لا تنتقل الا ان تنقل ويحتمل ان يكون
ما ذكر الله من تسبيح الجمادات هو اهتداؤها وقرا نافع وابو عمرو يهدى بسكون الهاء وتشديد
الدال وقرا ابن كثير يهدي بفتح الياء والهاء وشد الدال وهذه رواية ورش عن نافع وقرا حمزة
والكسائي يهدي بفتح الياء وسكون الهاء ومعنى هذه القراءة امن لا يهدي احدا الا ان يهدى ذلك الاحد
ووقف القراء فما لكم ويبدا وكيف تحكمون وقوله سبحانه وما يتبع اكثرهم الا ظنا الاية
اخبر الله سبحانه عن فساد طريقتهم وضعف نظرهم وانه ظن ثم بين منزلة الظن من المعارف
وبعده عن الحق وقوله سبحانه وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله ولكن تصديق
الذي بين يديه هذا رد لقول من يقول ان محمدا يفترى القران والذي بين يديه التوراة والانجيل
وهم يقطعون انه لم يطالع الكتب ولا هو في بلده ولا في قومه وتفصيل الكتاب هو تبيينه
وقوله ام يقولون افتراه الاية ام هذه ليست بالمعادلة لهمزة الاستفهام في قوله ازيد قايم
ام عمرو ومذهب سيبويه انها بمنزلة بل ثم عجزهم سبحانه بقوله قل فاتوا بسورة من مثله
وادعوا من استطعتم الاية والتحدي في هذه الاية عند الجمهور وقع بجهتي الاعجاز اللتين في
القران احدهما النظم والرصف والايجاز والجزالة كل ذلك في التعريف والاخرى المعاني
من الغيب لما مضى ولما يستقبل وحين تحداهم بعشر مفتريات انما تحداهم بالنظم
وحده ثم قال ع هذا قول جماعة المتكلمين ثم اختار ان الاعجاز في الاثنين انما وقع في النظم لا
في الاخبار بالغيوب قلت والصواب ما تقدم للجمهور واليه رجع في سورة هود واوجه اعجاز
القران اكثر من هذا وانظر الشفا وقوله من استطعتم احالة على شركائهم وقوله سبحانه
بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه الاية المعنى ليس الامر كما قالوا من انه مفترى بل كذبوا بما لم يحيطوا
بعلمه ولما ياتهم تاويله اى ما يؤول اليه امره كما هو في قوله هل ينظرون الا تاويله
وعلى هذا فالاية تتضمن وعيدا والذين من قبلهم من الامم الانبياء وقوله سبحانه ومنهم من
يؤمن به الاية اى ومن قريش من يؤمن بهذا الرسول ولهذا الكلام معنيان قالت

اى تفسيره وبيانه ويحتمل ان يريد بما لم ياتهم تاويله

فرقة

فرقة معناه من هؤلاء القوم من سيؤمن في المستقبل ومنهم من حتم عليه انه لا يؤمن به
ابدا وقالت فرقة معناه ومنهم من يؤمن بهذا الرسول الا انه يكتم ايمانه حفظا لرياسته
او خوفا من قومه كالفتية الذين قتلوا مع الكفار ببدر قال ع وفائدة الاية على هذا
التاويل التفريق لكلمة الكفار واضعاف نفوسهم وفي قوله وربك اعلم بالمفسدين تهديد
ووعيد وقوله سبحانه وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم الاية فيها منابذة ومتاركة
قال كثير من المفسرين منهم ابن زيد هذه الاية منسوخة بالقتال وباقي الاية بين وقوله
سبحانه ويوم يحشرهم الاية وعيد بالحشر وخزيهم فيه وتعارفهم على جهة التلاوم وخزي
من بعضهم لبعض حيث لا ينفع ذلك وقوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله الى اخرها حكم
من الله عز وجل على المكذبين بالخسران وفي اللفظ اغلاظ وقيل ان هذا الكلام من كلام
المحشورين على جهة التوبيخ لانفسهم قلت والاول ابين وقوله واما نرينك الاية اما شرط
وجوابه فالينا والرؤية في نرينك بصرية ومعنى هذه الاية الوعيد بالرجوع الى الله تعالى
اى ان اريناك عقوبتهم او لم نرها فهم على كل حال راجعون الينا الى الحساب والعذاب ثم
مع ذلك فالله شهيد من اول تكليفهم على جميع اعمالهم فثم لترتيب الاخبار لا لترتيب القصص في
انفسها واما هي ان زيدت عليها ما ولاجلها جاز دخول النون الثقيلة ولو كانت ان وحدها
لم يجز ص واعترض بان مذهب سيبويه جواز دخولها وان لم تكن ما انتهى وقوله سبحانه
ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط قال مجاهد وغيره المعنى فاذا
جاء رسولهم يوم القيامة للشهادة عليهم صير قوم للجنة وقوم للنار فذلك القضاء بينهم بالقسط
وقوله سبحانه ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا
الا ما شاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون الاية الضمير في يقولون لكفار
قريش وسؤالهم عن الوعد تحرير منهم بزعمهم للحجة اى هذا العذاب الذي توعدنا به حدد
لنا وقته لنعلم الصدق في ذلك من الكذب ثم امر الله تعالى نبيه ان يقول على جهة الرد عليهم
قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله ولكل امة اجل انفرد الله بعلم حده ووقته
وباقي الاية بين وقوله ماذا يستعجل منه المجرمون اى فما تستعجلون منه وانتم لا قبل لكم به
والضمير في منه يحتمل ان يعود على الله عز وجل ويحتمل ان يعود على العذاب وقوله اثم اذا ما وقع
امنتم به المعنى اذا وقع العذاب وعاينتموه امنتم حينئذ وذلك غير نافعكم بل جوابكم الان وقد كنتم
تستعجلونه مكذبين ويستنبؤونك معناه يستخبرونك وهي على هذا تتعدى الى مفعولين
احدهما الكاف والاخر الجملة وقيل هي بمعنى يستعلمونك فعلى هذا تحتاج الى ثلاثة مفاعيل ص ورد
بان الاستنباء لا يحفظ تعديه الى ثلاثة ولا استعلم الذي هو بمعناه انتهى والحق هو قيل الاشارة
الى الشرع والقران وقيل الى الوعيد وهو اظهر وقوله اى وربي اى بمعنى نعم وهي لفظة تتقدم
القسم وتجيء بعد حرف القسم وقد لا يجيء تقول اى وربي واى ربي ومعجزين معناه مفلتين
وقوله سبحانه ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به واسروا الندامة الاية
واسروا لفظة تجيء بمعنى اخفوا وهي حينئذ من السر وتجيء بمعنى اظهروا وهي حينئذ من اسارير الوجه
ص قال ابو البقاء وهو مستانف وهو حكاية ما يكون في الاخرة وقوله تعالى الا ان لله

ما في السموات والارض الاية الا استفتاح وتنبيه وبا في الاية بين و قوله سبحانه يا ايها الناس
قد جاتكم موعظة من ربكم الاية هذه اية خوطب بها جميع العالم و الموعظة القران لان الوعظ
انما هو بقول يامر بالمعروف ويزجر ويرقق القلوب ويعد ويوعد وهذه صفة الكتاب العزيز
و قوله من ربكم يريد لم يختلقها محمد ولا غيره و ما في الاية الصدور يريد به الجهل ونحوه و قوله
موعظة بحسب الناس اجمع وجعله هدى ورحمة بحسب المومنين فقط وهذا تفسير صحيح المعنى
اذا تامل بان وجهه و قوله سبحانه قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال ابن عباس
وغيره الفضل الاسلام والرحمة القران وقال ابو سعيد الخدري الفضل القران والرحمة
ان جعلهم من اهله وقال زيد بن اسلم والضحاك الفضل القران والرحمة الاسلام قال ع
ولا وجه عندي لشي من هذا التخصيص الا ان يستند منه شي للنبي صلى الله عليه وسلم وانما
الذي يقتضيه اللفظ ويلزم منه ان الفضل هو هداية الله تعالى الى دينه والتوفيق الى
اتباع شرعه والرحمة هي عفوه وسكنى جنته التي جعلها جزاء على التشرع بالاسلام والايمان
به ومعنى الاية قل يا محمد لجميع الناس بفضل الله وبرحمته فليقع الفرح منكم لا بامور الدنيا
وما يجمع من حطامها فان قيل كيف امر الله بالفرح في هذه الاية وقد ورد ذمه في قوله
فرح فخور وفي قوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قيل ان الفرح اذا ورد مقيدا في خير فليس
بمذموم وكذلك هو في هذه الاية واذا ورد مقيدا في شر او مطلقا لحقه ذم اذ ليس من
افعال الاخرة بل ينبغي ان يغلب على الانسان حزنه على ذنبه وخوفه لربه و قوله مما يجمعون
يريد مال الدنيا وحطامها الفاني المردي في الاخرة و قوله سبحانه قل ارايتم ما انزل الله لكم
من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا الاية قال ص ارايتم مضمن معنى اخبروني وما موصولة
قال ع هذه المخاطبة لكفار العرب الذين جعلوا البحائر والسوائب وغير ذلك و قوله انزل لفظة
فيها تجوز و قوله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة انه وعيد لما تحقق عليهم
بتقسيم الاية التي قبلها انهم مفترون على الله عظم في هذه جرم الافتراء اي ظنهم في غاية الرداءة بحسب
سوء افعالهم ثم ثنى بذكر الفضل على الناس في الامهال لهم مع الافتراء والعصيان اذ الامهال لهم داعية
الى التوبة والانابة ثم الاية نعم جميع فضل الله سبحانه وجميع تقصير الخلق و قوله عز وجل وما
تكون في شان الاية قصد هذه الاية وصف احاطة الله عز وجل بكل شي لا رب غيره ومعنى اللفظ
وما تكون يا محمد والمراد هو وغيره في شان من جميع الشوون و ما تتلو منه الضمير عائد على شان
اي فيه وبسببه من قران ويحتمل ان يعود الضمير على جميع القران وقال ص ضمير منه عائد على
شان ومن قران تفسير للضمير انتهى وهو حسن ثم عم سبحانه بقوله ولا تعملون من عمل وفي قوله
سبحانه الا كنا عليكم شهودا تحذير وتنبيه قلت وهذه الاية عظيمة الموقع لاهل المراقبة تثير من
قلوبهم اسرارا ويغترفون من بحر فيضها انوارا و تفيضون معناه تاخذون وتنهضون
بجد و ما يعزب معناه وما يغيب عن ربك من مثقال ذرة و الكتاب المبين هو اللوح المحفوظ
ويحتمل ما كتبته الحفظة و قوله سبحانه الا ان اولياء الله الاية الا استفتاح وتنبيه و اولياء
الله هم المومنون الذين والوه بالطاعة والعبادة وهذه الاية يعطي ظاهرها ان من امن
واتقى الله فهو داخل في اولياء الله وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الولي و روي عن النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم انه سيل من اولياء الله فقال الذين اذا رايتهم ذكرت الله قال ع وهذا وصف
لازم للمتقين لانهم يخشون ويخشعون و روي عنه ايضا صلى الله عليه وسلم انه قال اولياء
الله قوم تحابوا في الله واجتمعوا في ذاته ولم تجمعهم قرابة ولا مال يتعاطونه و روى الدارقطني
في سننه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خيار عباد الله الذين اذا راوا ذكر الله وشرار
عباده المشاوون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبراء العيب انتهى من الكوكب
الدري و قوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعني في الاخرة ويحتمل في الدنيا لا يخافون
احدا من اهل الدنيا ولا من اعراضها ولا يحزنون على ما فاتهم منها والاول اظهر والعموم في
ذلك صحيح لا يخافون في الاخرة جملة ولا في الدنيا الخوف الدنياوي و ذكر الطبري عن جماعة
من العلماء مثل ما في الحديث في الاولياء انهم هم الذين اذا راهم احد ذكر الله و روي
فيهم حديث ان اولياء الله هم قوم يتحابون في الله ويجعل لهم يوم القيمة منابر من نور وتنير وجوههم
فهم في عرصة القيمة لا يخافون ولا يحزنون و روى عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء تغبطهم الانبياء والشهداء لمكانهم من الله قالوا ومن هم يا رسول الله
قال قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام ولا اموال الحديث و قرا الا ان اولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون قلت وقد خرج هذا الحديث ابو داود والنسائي قال ابو داود في هذا الحديث فوالله
ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور ذكره باسناد احسن انتهى و رواه ايضا ابن المبارك في رقائقه
بسنده عن ابي مالك الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم اقبل على الناس فقال يا ايها الناس اسمعوا
واعقلوا واعلموا ان لله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء على مجالسهم
وقربهم من الله فقال اعرابي انعتهم لنا يا نبي الله فقال هم ناس من افناء الناس لم تصل بينهم ارحام
متقاربة تحابوا في الله وتصافوا يضع الله لهم يوم القيمة منابر من نور فيجلسهم عليها فيجعل
وجوههم نورا وثيابهم نورا يفزع الناس يوم القيمة وهم لا يفزعون وهم اولياء الله
الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون و قوله تعالى لهم البشرى الاية اما بشرى الاخرة فهي بالجنة
بلا خلاف قولا واحدا وذلك هو الفضل الكبير و اما بشرى الدنيا فتظاهرت الاحاديث
من طرق عن النبي صلى الله عليه وسلم انها الرويا الصالحة يراها المومن او ترى له قال قتادة
والضحاك البشرى في الدنيا هي ما يبشر به المومن عند موته وهو حي عند المعاينة ويصح
ان تكون بشرى الدنيا ما في القران من الايات المبشرات ويقوى ذلك بقوله لا تبديل لكلمات الله
ويوول قوله صلى الله عليه وسلم هي الرويا انه اعطى مثالا لا انه جميع البشرى و قوله سبحانه لا تبديل
لكلمات الله يريد لا خلف لمواعيده ولا رد في امره وقد اخذ ذلك ابن عمر على نحو غير هذا وجعل
التبديل المنفي في الالفاظ وذلك انه روي ان الحجاج خطب فقال الا ان عبد الله بن الزبير
قد بدل كتاب الله فقال له عبد الله بن عمر انك لا تطيق ذلك انت ولا ابن الزبير لا تبديل لكلمات
الله وقد روي هذا النظر عن ابن عباس في غير مقاولة الحجاج ذكره البخاري و قوله تعالى
ولا يحزنك قولهم اي قريش فهذه الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولفظة القول
تعم جحودهم واستهزاءهم وخداعهم وغير ذلك ثم ابتداء فقال ان العزة لله جميعا
اي لا يقدرون لك على شي ولا يوذونك الا بما شاء الله ففي الاية وعيد لهم ثم استفتح

بقوله الا ان لله من في السموات ومن في الارض اي بالملك والاحاطة وما يتبع يصح ان تكون
ما استفهاما ويصح ان تكون نافية قلت ورجح هذا الثاني وقوله ان يتبعون الا الظن
وان هم الا يخرصون ان نافية ويخرصون معناه يحدسون ويخمنون قوله عز وجل هو الذي
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه الاية في هذه الالفاظ ايجاز واحالة على ذهن السامع لان العبرة هي
في ان الليل مظلم فيسكن فيه والنهار مبصر اينصرف فيه فذكر طرفا من هذا وطرفا من الجهة
الثانية ودل المذكوران على المتروكين وقوله يسمعون يريد يعون والضمير في قالوا للكفار العرب
ثم الاية بعد تعم كل من قال نحو هذا القول كالنصارى وسبحانه معناه تنزيها له وبراءة من
ذلك قسم بهذا النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ان عندكم من سلطان بهذا ان نافية والسلطان
الحجة وكذلك معناه حيث تكرر في القران ثم وبخهم تعالى بقوله اتقولون على الله ما لا تعلمون
وقوله سبحانه ان الذين يفترون الاية توعدهم بانهم لا يظفرون ببغية ولا يبقون في
نعمة اذ هي حالة من يصير الى العذاب وان نعم في دنياه يسيرا وقوله متاع مرفوع على انه خبر ابتدا
اي ذلك متاع قال ص متاع جواب سوال مقدر كانه قيل كيف لا يفلحون وهم في الدنيا مفلحون
بانواع التلذذات فقيل ذلك متاع فهو خبر مبتدا محذوف انتهى وهذا القول الذي
قدم ص يفهم من كلام ابن عطية وقول نوح عليه الصلاة والسلام يا قوم ان كان كبر عليكم
مقامي الاية المقام وقوف الرجل لكلام او خطبة او نحوه والمقام بضم الميم اقامته ساكنا
في موضع او بلد ولم يقرا هنا بضم الميم فيما علمت وتذكيره وعظه وزجره وقوله فاجمعوا
من اجمع الرجل على الشيء اذا عزم عليه ومنه الحديث ما لم يجمع مكثا وامركم يريد به قدرتكم
وحيلكم وشركاءكم نصب بفعل مضمر كانه قال وادعوا شركاءكم فهو من باب

علفتها تبنا وماء باردا حتى شتت همالة عيناها

وفي مصحف ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم قال الفارسي وقد ينتصب الشركاء بواو مع
وكما قالوا جاء البرد والطيالسة وقوله ثم لا يكن امركم عليكم غمة اي ملتبسا مشكلا ومنه
قوله عليه السلام في الهلال فان غم عليكم وقوله تعالى ثم اقضوا الي ولا تنظرون اي انفذوا
قضاءكم نحوي ولا تؤخروني والنظرة التاخير وقوله سبحانه فكذبوه فنجيناه ومن معه
في الفلك وجعلناهم خلائف مضى شرح هذه المعاني وقوله سبحانه فانظر كيف كان عاقبة
المنذرين مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم يشاركه في معناها جميع الخلق وقوله ثم بعثنا
من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملائه باياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين
معنى هذه الايات ضرب المثل لحاضري نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليعتبروا بمن سلف والبينات
المعجزات والضمائر في كانوا ليؤمنوا وفي كذبوا تعود على اثنان على قوم الرسل وقيل
الضمير في كذبوا يعود على قوم نوح وقد تقدم تفسير نظيرها في الاعراف وقوله سبحانه فلما
جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا السحر مبين الاية يريد بالحق ايتي العصا واليد وقوله
اسحر هذا قالت فرقة هو حكاية عن موسى عنهم ثم اخبرهم موسى عن الله ان الساحرين
لا يفلحون ثم اختلفوا في معنى قول قوم فرعون فقال بعضهم قالها منهم كل مستفهم جاهل بالامر
فهو يسال عنه وهذا ضعيف وقال بعضهم بل قالوا ذلك على معنى التعظيم للسحر الذي راوه

وقوله ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم في القصص من بعد نوح عليه السلام وقوله تعالى فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين

وقالت

وقالت فرقة ليس ذلك حكاية من موسى عنهم وانما هو من كلام موسى وتقدير الكلام اتقولون للحق
لما جاءكم سحر ثم ابتدا بتوقيفهم بقوله اسحر هذا على جهة التوبيخ وقولهم لتلفتنا اي لتصرفنا
وتلوينا وتردنا عن دين ابائنا يقال لفت الرجل عنق الاخر اذا لواه ومنه قولهم التفت فانه
افتعل من لفت عنقه اذا لواه والكبرياء مصدر من الكبر والمراد به في هذا الموضع الملك قاله
اكثر المتاولين لانه اعظم تكبر الدنيا وقرا ابو عمرو وحده به السحر بهمزة الاستفهام ممدودة
وفي قراءة ابي ما اتيتم به سحر والتعريف هنا في السحر ارتب لانه قد تقدم منكرا في قولهم ان هذا
لسحر فجاء هنا بلام العهد قال ابو حيان لما قال الفراء انما قال السحر بالالف واللام لان النكرة اذا اعيدت اعيدت بال
وتبعه ابن عطية ورد بان شرط ما ذكراه اتحاد مدلول النكرة المعادة له قوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون
رسولا فعصى فرعون الرسول وهنا السحر المنكر هو ما اتى به موسى والمعرف ما اتوا به هم فاختلف مدلولهما
والاستفهام هنا على سبيل التحقير انتهى وهو حسن وقوله ان الله سيبطله ايجاب عن عدة من الله
تعالى وقوله ان الله لا يصلح عمل المفسدين يحتمل ان يكون ابتداء خبر من الله عز وجل ويحتمل ان يكون
من كلام موسى عليه السلام وكذلك قوله ويحق الله الحق الاية يحتمل الوجهين وكون ذلك كله من كلام موسى
اقرب وهو الذي ذكر الطبري واما قوله تعالى بكلماته فمعناه بكلماته السابقة الازلية في الوعد
بذلك وقوله عز وجل فما امن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم اختلف المتاولون
في عود الضمير الذي في قومه فقالت فرقة هو عائد على موسى وذلك في اول مبعثه وملا
الذرية هم اشراف بني اسرائيل قال ابو حيان وهذا هو الظاهر وقالت فرقة الضمير في قومه عائد على فرعون
وضمير ملئهم عائد على الذرية قال ع ومما يضعف عود الضمير على موسى ان المعروف من اخبار بني اسرائيل
انهم كانوا قوما قد تقدمت فيهم النبوات ولم يحفظ قط ان طائفة من بني اسرائيل كفرت به فدل على ان
الذرية من قوم فرعون وقوله سبحانه وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا الاية هذا
ابتداء حكاية قول موسى لجماعة من بني اسرائيل مونسا لهم ونادبا الى التوكل على الله عز وجل الذي بيده
التصرف قال المحاسبي قلت لابي جعفر محمد بن موسى ان الله عز وجل يقول وعلى الله فتوكلوا
ان كنتم مومنين فما السبيل الى هذا التوكل الذي ندب الله اليه وكيف دخول الناس فيه قال ان الناس
متفاوتون في التوكل وتوكلهم على قدر ايمانهم وقوة علومهم قلت فما معنى ايمانهم قال تصديقهم
بمواعيد الله عز وجل وثقتهم بضمان الله تبارك وتعالى قلت من اين فضلت الخاصة منهم على العامة
والتوكل في عقد الايمان مع كل من امن بالله عز وجل قال ان الذي فضلت به الخاصة على العامة دوام
سكون القلب عن الاضطراب والهدو عن الحركة فعند ها يا فتى استراحوا من عذاب الحرص وفكوا
من اسر الطمع واعتقوا عن عبودية الدنيا وابنائها وحظوا بالروح في الدارين جميعا فطوبى لهم
وحسن ماب قلت فما الذي يولد هذا في الحال التي ذكرت قال دوام لزوم المعرفة والاعتماد على الله عز وجل وترك
الحيل والثبات في الممارسة حتى يالفها الفا ويختارها اختيارا فيصير التوكل والهدو والسكون والرضا
والصبر له شعارا ودثارا انتهى من كتاب القصد الى الله سبحانه وقولهم ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم
الظالمين المعنى لا تنزل بنا بلاء بايديهم او بغير ذلك مدة محاربتنا لهم فيفتنون لذلك ويعتقدون
صلاح دينهم وفساد ديننا قاله مجاهد وغيره فهذا الدعاء على هذا التاويل يتضمن دفع فصلين
احدهما القتل والبلاء الذي توقعه المومنون والاخر ظهور الشرك باعتقاد اهله انهم اهل الحق

ونحو هذا قوله صلى الله عليه وسلم بئس الميت ابو امامة لليهود والمشركين يقولون لو كان نبيا لم
يمت صاحبه ودخل ع في سورة الممتحنة قول ابن عباس ان معنى لا تجعلنا فتنة للذين كفروا لا تسلطهم
علينا فيفتنونا انظره هنالك وقوله سبحانه واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ لقومكما بمصر
بيوتا روي ان فرعون اخاف بني اسرائيل وهدم لهم مواضع كانوا اتخذوها للصلاة ونحو هذا فاوحى الله الى
موسى وهرون ان تبوآ اي اتخذا وتخيرا لبني اسرائيل بمصر بيوتا قال مجاهد مصر في هذه الآية الاسكندرية
ومصر ما بين اسوان والاسكندرية وقوله سبحانه واجعلوا بيوتكم قبلة قيل معناه مساجد قاله ابن عباس
وجماعة قالوا خافوا فامروا بالصلاة في بيوتهم وقيل معناه موجهة الى القبلة قاله ابن عباس ايضا ومن
هذا حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير بيوتكم ما استقبل به القبلة وقوله واقيموا الصلاة
خطاب لبني اسرائيل وهذا قبل نزول التوراة لانها لم تنزل الا بعد اجازة البحر وقوله وبشر المؤمنين
امر لموسى عليه السلام قال الطبري وقيل هو امر لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام وهذا غير متمكن وقوله
سبحانه وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة الآية هذا غضب من موسى على القبط ودعاء عليهم
لما عتوا وعاندوا وقدم للدعاء تقرير نعم الله عليهم وكفرهم بها وآتيت معناه اعطيت واللام في ليضلوا
لام كي ويحتمل ان تكون لام الصيرورة والعاقبة المعنى آتيتهم ذلك فصار امرهم الى كذا وقرأ حمزة وغيره
ليضلوا بضم الياء على معنى ليضلوا غيرهم وقوله ربنا اطمس على اموالهم هو من طمس الاثر والعين وطمس
الوجوه منه وتكرير قوله ربنا استغاثة كما يقول الداعي يا الله يا الله وروي انهم لما دعا موسى بهذه الدعوة
رجع سكرهم حجارة ودراهمهم ودنانيرهم وحبوب اطعمتهم رجعت حجارة قاله قتادة وغيره وقال
مجاهد وغيره معناه اهلكها ودمرها وقوله واشدد على قلوبهم بمعنى اطبع واختم عليهم بالكفر قاله مجاهد
والضحاك وقوله فلا يؤمنوا مذهب الاخفش وغيره ان الفعل منصوب عطفا على قوله ليضلوا وقيل
منصوب في جواب الامر وقال الفراء والكسائي هو مجزوم على الدعاء وجعل رؤية العذاب نهاية وغاية وذلك
لعلمه من الله ان المؤمن عند رؤية العذاب لا ينفعه ايمانه في ذلك الوقت ولا يخرجه من كفره ثم اجاب
الله دعوتهما قال ابن عباس العذاب هنا الغرق وروي ان هرون كان يؤمن على دعاء موسى فلذلك نسب الدعوة
اليهما قاله محمد بن كعب القرظي قال البخاري وعدوا من العدوان انتهى وقول فرعون آمنت انه لا اله الا الذي
آمنت به بنو اسرائيل الآية روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام قال مخافة ان تلحقه
رحمة الله وفي بعض الطرق مخافة ان يقول لا اله الا الله فتلحقه الرحمة قال ع فانظر الى كلام فرعون
ففيه مجهلة وتلعثم ولا عذر لاحد في جهل هذا وانما العذر فيما لا سبيل الى علمه كقول علي رضي الله عنه
اهللت باهلال كاهلال النبي صلى الله عليه وسلم والحال الطيبين والطيبين بهذا كثيرة مختلفة الالفاظ والمعنى
واحد وقوله سبحانه آلآن وقد عصيت قبل وهذا على جهة التوبيخ والاعلان بالنقمة منه وهذا الكلام
يحتمل ان يكون من ملك موصل عن الله او كيف شاء الله ويحتمل ان يكون هذا الكلام معنى حاله وصورة
خزيه وهذه الآية نص في رد توبة المعاين وقوله سبحانه اليوم ننجيك ببدنك الآية يقوي انها صورة حاله
لان هذه الالفاظ انما يظهر انها قيلت بعد غرقه وسبب هذه المقالة على ما روي ان بني اسرائيل بعد
عندهم غرق فرعون وهلاكه لعظمته في نفوسهم وكذب بعضهم ان يكون فرعون يموت فنجي على نجوة
من الارض حتى رآه جميعهم ميتا كانه ثور احمر وتحققوا غرقه والجمهور على تشديد ننجيك فقالت فرقة
معناه من النجاة اي من غمرات البحر والماء وقال جماعة معناه نلقيك على نجوة من الارض وهي ما ارتفع

قيل ما ابغضت احدا قط بغضي لفرعون ولقد سمعته يقول
آمنت الآية فاخذت من حال البحر فملأت فمه

ما ارتفع منها وقرأ يعقوب بسكون النون وتخفيف الجيم وقوله ببدنك قالت فرقة معناه
بشخصك وقالت فرقة معناه بدرعك وقرأ الجمهور خلفك اي من اتى بعدك وقرئ شاذا
لمن خلقك بفتح اللام والقاف المعنى ليجعلك الله آية له عند عباده وباقي الآية بين وقوله سبحانه ولقد بوأنا
بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم المعنى ولقد اخترنا لبني
اسرائيل احسن اختيار واحللناهم من الاماكن احسن محل ومبوأ صدق اي يصدق فيه ظن قاصده
وساكنه ويعني بهذه الآية احلالهم بلاد الشام وبيت المقدس قاله قتادة وابن زيد وقيل بلاد الشام
ومصر والاول اصح وقوله سبحانه فما اختلفوا اي في نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وهذا
التخصيص هو الذي وقع في كتب المتأولين كلهم وهو تأويل يحتاج الى سند والتأويل الذي
يحتمله اللفظ ان بني اسرائيل لم يكن لهم اختلاف على موسى في اول حاله فلما جاءهم العلم والاوامر
وغرق فرعون اختلفوا فالآية ذامة لهم قلت فر رحمه الله من التخصيص ووقع فيه فلو عمم اختلافهم
على انبيائهم موسى وغيره وعلى نبينا لكان احسن وما ذهب اليه المتأولون من التخصيص احسن لقرينة
قوله فان كنت في شك فالربط بين الآيتين واضح والله اعلم وقوله عز وجل فان كنت في شك
الآية الصواب في معنى الآية انها مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بها سواه من كل من
يمكن ان يشك او يعارض ت وروينا عن ابي داود سليمان بن الاشعث قال حدثنا احمد
بن حنبل قال ثنا يزيد بن هرون ثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء في القرآن كفر قال عياض في الشفا وتأول بمعنى الشك وبمعنى
الجدال انتهى والذين يقرؤون الكتاب من قبلك من اسلم من اهل الكتاب كابن سلام وغيره وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت هذه الآية انا لا اشك ولا اسأل ثم جزم سبحانه الخبر
بقوله لقد جاءك الحق من ربك واللام في لقد لام قسم وقوله مما انزلنا اليك يريد به من ان
بني اسرائيل لم يختلفوا في امره الا من بعد مجيئه عليه الصلاة والسلام هذا قول اهل التأويل قاطبة
قال ع وهذا هو الذي يشبه ان ترجى ازالة الشك فيه من قبل اهل الكتاب ويحتمل اللفظ ان
يريد بما انزلنا جميع الشرع قلت وهذا التأويل عندي ابين اذ الحصر وان كان قد استبعده
ابن عطية ويكون المراد بما انزلنا ما ذكره سبحانه من قصصهم وذكره عنه عليه السلام وذكر
انبيائهم وصفهم وسيرهم ونبأ اخبارهم الموافقة لما في كتبهم المنزلة على انبيائهم
كالتوراة والانجيل والزبور والصحف وتكون هذه الآية تنظر الى قوله سبحانه ما كان حديثا
يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه فتأمله والله اعلم واما قوله هذا قول اهل
التأويل قاطبة فليس كذلك وقد تكلم صاحب الشفا فاحسن ولفظه واختلف في معنى الآية
فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت في شك الآية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل
وهو قوله تعالى قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الآية ثم قال عياض وقيل ان هذا الشك
الذي امر غير النبي عليه الصلاة والسلام بسؤال الذين يقرءون الكتاب عنه انما هو فيما قصه
الله تعالى من اخبار الامم لا فيما دعى اليه من التوحيد والشريعة انتهى وقوله سبحانه فلا تكونن
من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله الآية مما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
والمراد سواه قال ع ولهذا فائدة ليست في مخاطبة الناس به وذلك شدة التخويف لانه اذا كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر من مثل هذا فغيره من الناس اولى ان يحذر ويبقى على
نفسه وقوله سبحانه ان الذين حقت عليهم كلمة ربك اى حق عليهم في الازل وخلقهم لعذابه
لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية الا في الوقت الذي لا ينفعهم فيه الايمان كما صنع فرعون واشباهه
وذلك وقت المعاينة وقوله تعالى فلولا كانت قرية امنت الاية وفي مصحف ابي وابن مسعود فهلا
والمعنى فيهما واحد واصل لولا التحضيض او الدلالة على منع امر لوجود غيره ومعنى الاية فهلا امن
اهل قرية وهم على مهل لم يلتبس العذاب بهم فيكون الايمان نافعا لهم في هذه الحال ثم استثنى
قوم يونس فهو بحسب اللفظ استثناء منقطع وهو بحسب المعنى متصل لان تقديره ما امن
اهل قرية الا قوم يونس وروي في قصة قوم يونس ان القوم لما كفروا اى تمادوا على
كفرهم اوحى الله تعالى اليه ان انذرهم العذاب لثالثة ففعل فقالوا هو رجل لا يكذب
فارقبوه فان اقام بين اظهركم فلا عليكم وان ارتحل عنكم فهو نزول العذاب لا شك
فيه فلما كان الليل تزود يونس وخرج عنهم فاصبحوا فلم يجدوه فتابوا ودعوا الله
وامنوا ولبسوا المسوح وفرقوا بين الامهات والاولاد من الناس والبهائم وكان العذاب
فيما روي عن ابن عباس على ثلثي ميل منهم وروي على ميل وقال ابن جبير غشيهم العذاب كما يغشى
الثوب القبر فرفع الله عنهم العذاب فلما مضت الثالثة وعلم يونس ان العذاب لم ينزل
بهم قال كيف انصرف وقد وجدوني في كذب فذهب مغاضبا كما ذكر الله سبحانه في
غير هذه الاية وذهب الطبري الى ان قوم يونس خصوا من بين الامم بان تيب عليهم من بعد
معاينة العذاب وذكر ذلك عن جماعة من المفسرين وليس كذلك والمعاينة التي لا تنفع التوبة معها
هي تلبس العذاب او الموت بشخص الانسان كقصة فرعون واما قوم يونس فلم يصلوا هذا الحد
قلت وما قاله الطبري عندي ابين ومتعناهم الى حين يريد الى اجلهم المقدر في الازل وروي ان قوم
يونس كانوا بنينوى من ارض الموصل وقوله سبحانه افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين المعنى افانت
تكره الناس بادخال الايمان في قلوبهم والله عز وجل قادر على ذلك والرجس يعني العذاب وقوله
سبحانه قل انظروا ماذا في السموات والارض الاية امر للكفار بالاعتبار والنظر في المصنوعات الدالة على
على الصانع من ايات السموات وافلاكها وكواكبها وسحابها ونحو ذلك والارض ونباتها ومعادنها
وغير ذلك والمعنى انظروا في ذلك بالواجب فهو ينهيكم الى المعرفة بالله وبوحدانيته ثم
اخبر سبحانه ان الايات والنذر وهم الانبياء لا تغني الا بمشيئته فما على هذا نافية ويجوز ان
تكون استفهاما متضمنه نفي وقوع الغناء وفي الاية على هذا توبيخ لمعاصري النبي صلى الله عليه وسلم
قال ص والنذر جمع نذير اما مصدر بمعنى الانذارات واما بمعنى منذر انتهى وقوله سبحانه
فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم الاية وعيد اذا لجوا في الكفر حل بهم العذاب
وقوله سبحانه ثم ننجي رسلنا والذين امنوا اى عادة الله سلفت بانجاء رسله ومتبعيهم
عند نزول العذاب بالكفرة كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين قال ص اى مثل ذلك الانجاء الذي
نجينا الرسل ومؤمنيهم ننجي من امن بك انتهى وخط المصحف في هذه اللفظة ننج بجيم مطلقة
دون ياء وكلهم قرأ ننجي مشددة الجيم الا الكسائي وحفصا عن عاصم فانهما قرأ بسكون
النون وتخفيف الجيم وقوله سبحانه قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الاية مخاطبة

عامة

عامة للناس اجمعين الى يوم القيامة وقوله وان اقم وجهك للدين حنيفا الاية الوجه في هذه
الاية بمعنى المنحى والمقصد اى اجعل طريقك واعمالك للدين والشرع وقوله تعالى ولا تكونن
من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الاية قد تقدم ان ما كان من هذا النوع
فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقوله سبحانه وان يمسسك الله بضر فلا كاشف
له الا هو الاية مقصود هذه الاية ان الحول والقوة لله والضر لفظ جامع لكل ما يكرهه
الانسان وقوله وان يردك بخير لفظ تام العموم وقوله سبحانه قل يا ايها الناس قد
جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه وهذه مخاطبة لجميع الكفار مستمرة مدى
الدهر والحق هو القرآن والشرع الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وقوله وما انا عليكم
بوكيل منسوخة بالقتال وقوله سبحانه واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين
وقوله حتى يحكم الله وعد للنبي صلى الله عليه وسلم بان يغلبهم كما وقع وهذا الصبر منسوخ ايضا
باية القتال بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله
وصحبه وسلم سورة هود عليه السلام مكية الا نحو ثلاث ايات قال الداودي وعن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه قلت يا رسول الله لقد اسرع اليك الشيب قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات
وعم يتساءلون واذا الشمس كورت وفي رواية عن ابن عباس هود واخواتها انتهى وقوله عز وجل
الر كتاب احكمت اياته اى اتقنت واجيدت وبهذه الصفة كان القران في الازل ثم فصل
بتقطيعه وتبيين احكامه واوامره على محمد نبيه عليه الصلاة والسلام في ازمنة مختلفة فثم
على بابها فالاحكام صفة ذاتية والتفصيل انما هو بحسب من يفصل له والكتاب باجمعه محكم
ومفصل والاحكام هو ضد النسخ والتفصيل الذي هو خلاف الاجمال انما يقال الان مع ما ذكرناه
باشتراك قال ص ثم فصلت ثم للترتيب في الاخبار لا لترتيب لوقوع في الزمان ولدن بمعنى عند انتهى
قال الداودي وعن الحسن احكمت اياته قال احكمت بالامر والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد
وعنه فصلت بالثواب والعقاب انتهى وقدم النذير لان التحذير من النار هو الاهم وان استغفروا
ربكم اى اطلبوا مغفرته وذلك بطلب دخولكم في الاسلام ثم توبوا من الكفر يمتعكم متاعا حسنا
ووصف المتاع بالحسن لطيب عيش المؤمن برجائه في ثواب ربه وفرحه بالتقرب اليه باداء
مفترضاته والسرور بمواعيده سبحانه والكافر ليس في شيء من هذا ويؤت كل ذي فضل اى كل
ذي احسان فضله فيحتمل ان يعود الضمير من فضله على ذي فضل اى ثواب فضله ويحتمل ان يعود
على الله عز وجل اى يؤتي الله كل ذي فضل وعمل صالح من المؤمنين ونحو هذا المعنى ما وعد
سبحانه من تضعيف الحسنات وان تولوا فاني اخاف عليكم اى فقل اني اخاف عليكم عذاب يوم
كبير وهو يوم القيامة وقوله الا انهم يثنون صدورهم الاية قيل ان هذه الاية نزلت في الكفار
الذين كانوا اذا لقيهم النبي صلى الله عليه وسلم تطامنوا وثنوا صدورهم كالمستتر وردوا
اليه ظهورهم وغشوا وجوههم بثيابهم تباعدا منه وكراهية للقائه وهم يظنون
ان ذلك يخفى عليه او عن الله عز وجل وقيل استعارة للغل والحقد الذي كانوا ينطوون عليه
فمعنى الاية الا انهم يسرون العداوة ويتكتمون بها ليخفى في ظنهم عن الله وهو سبحانه حين تغشيهم
ثيابهم وابلاغهم في التستر يعلم ما يسرون ويستغشون معناه يجعلونها اغشية واغطية

قال ص وقرا الجمهور يثنون بفتح اليا مضارع ثنى الشي ثنيا طواه انتهى وقرا ابن عباس
وجماعة تثنوني صدورهم بالرفع على وزن تفعوعل وهي تحتمل المعنيين المتقدمين وحكى الطبري
عن ابن عباس على هذه القراءة ان هذه الاية نزلت في قوم كانوا لا ياتون النسا والحدث الا ويتغشون
ثيابهم كراهية ان يفضوا بفروجهم الى السما قوله عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
الاية المراد جميع الحيوان المحتاج الى الرزق والمستقر صلب الاب والمستودع بطن الام وقيل غير هذا
وقد تقدم وقوله في كتاب اشارة الى اللوح المحفوظ قال ص ليبلوكم اللام متعلقة بخلق وقيل
بفعل محذوف اي اعلم بذلك ليبلوكم انتهى ولئن قلت اللام في لئن موذنة بان اللام في ليقولن
لام قسم لا جواب شرط وقولهم ان هذا الا سحر مبين تناقض منهم لانهم مقرون بان الله خلق
السموات والارض وهم مع ذلك ينكرون ما هو ايسر من ذلك وهو البعث من القبور اذ خلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس ولئن اخرنا عنهم العذاب اي الموعد به الى امة معدودة
اي مدة معدودة ليقولن ما يحبسه اي ما هذا الحابس لهذا العذاب على جهة التكذيب
وحاق معناه حل واحاط البخاري حاق نزل ولئن اذقنا الانسان منا رحمة الاية الرحمة هنا
تعم جميع ما ينتفع به من مطعوم وملبوس وجاه وغير ذلك والانسان هنا اسم جنس والمعنى
ان هذا الخلق في سجية الانسان ثم استثنى منهم الذين ردتهم الشرايع والايمان الى الصبر والعمل
الصالح وكفور هنا من كفر النعمة والنعماء تشمل الصحة والمال والضرا من الضر وهو ايضا شامل
ولفظة ذهب السيئات عني تقتضي بطرا وجهلا ان ذلك بانعام من الله تعالى والسيئات هنا كل ما
يسو في الدنيا والفرح هنا مطلق فلذلك ذم اذ الفرح انهمال النفس ولا يأتي الفرح في القرآن
ممدوحا الا اذا قيد بانه في خير وقوله الا الذين صبروا استثنا متصل على ما قدمناه من
ان الانسان عام يراد به الجنس وهو الصواب ومن قال انه مخصوص بالكافر قال هاهنا
الاستثنا منقطع وهو قول ضعيف من جهة المعنى لا من جهة اللفظ لان صفة الكفر
لا تنطلق على جميع الناس كما تقتضي لفظة الانسان واستثنى الله تعالى من الماشين على سجية
الانسان هولاء الذين حملتهم الاديان على الصبر على المكاره والمثابرة على عبادة الله وليس شي من ذلك
في سجية البشر وانما حمل على ذلك خوف الله وحب الدار الاخرة والصبر على العمل الصالح لا ينفع الا مع
هداية وايمان ثم وعد تعالى اهل هذه الصفة بالمغفرة للذنوب والتفضل بالاجر والتنعيم وقوله
سبحانه فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضايق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز
سبب هذه الاية ان كفار قريش قالوا يا محمد لو تركت سب الهتنا وتسفيه ابائنا لجالسناك
واتبعناك وقالوا ايت بقران غير هذا او بدله ونحو هذا من الاقوال فخاطب الله تعالى نبيه
عليه السلام على هذه الصورة من المخاطبة ووقفه بها توقيفا رادا على اقوالهم ومبطلا لها
وليس المعنى انه عليه الصلاة والسلام هم بشي من ذلك فزجر عنه فانه لم يرد قط ترك شي مما
اوحي اليه ولا ضاق صدره به وانما كان يضيق صدره باقوالهم وافعالهم وبعدهم عن الايمان
قال ابو حيان وابن عطية وعبر بضايق وان كان اقل استعمالا من ضيق لمناسبة تارك
ولان ضايق وصف عارض بخلاف ضيق فانه يدل على الثبوت والصالح هنا الاول بالنسبة اليه
صلى الله عليه وسلم والضمير في به عائد على البعض ويحتمل ان يعود على ما وان يقولوا اي كراهة

ان يقولوا

ان يقولوا ولئلا يقولوا ثم انسه بقوله انما انت نذير اي هذا القدر هو الذي فوض اليك والله
تعالى بعد ذلك هو الوكيل الممضي لايمان من شاء وكفر من شاء ام يقولون افتراه ام بمعنى بل والافترا
اخص من الكذب ولا يستعمل الا فيما بهت به المرء وكابر وقوله سبحانه فاتوا بعشر سور مثله مفتريات
وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين قد تقدم تفسير نظيرها وقد تقدم
هذه الاية متقدمة على التي في يونس اذ لا يصح ان يعجزوا في واحدة ثم يكلفوا عشرا قال ع وقايل
هذا القول لم يلحظ ما ذكرناه من الفرق بين التكليفين في كمال المماثلة مرة كما هو في يونس او وقوفها
على النظم مرة كما هو هنا وقوله ان كنتم صادقين يريد في ان القرآن مفترى وقوله سبحانه
فان لم يستجيبوا على هذا التاويل عائدا على معبوداتهم والثاني ان تكون مخاطبة من الله تعالى
للمومنين ويكون قوله على هذا فاعلموا بمعنى دوموا على علمكم قال مجاهد قوله تعالى فهل انتم مسلمون
هو لاصحاب محمد عليه الصلاة والسلام وقوله سبحانه من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الاية
قال قتادة وغيره هي في الكفرة وقال مجاهد هي في الكفرة واهل الريا من المومنين والى هذا
ذهب معاوية والتاويل الاول ارجح بحسب تقدم ذكر الكفار وقال ابن العربي في احكامه بل الاية
عامة في كل من ينوي غير الله بعمله كان معه ايمان او لم يكن وفي هذه الاية بيان لقوله صلى الله عليه
وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرء ما نوى وذلك ان العبد لا يعطى الا على وجه قصده
وبحكم ما ينعقد في ضميره وهذا امر متفق عليه وقوله نوف اليهم اعمالهم فيها قيل ذلك في صحة
ابدانهم وادرار ارزاقهم وقيل ان هذه مطلقة وكذلك التي في حم عسق من كان
يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه الاية الى اخرها قيدتهما وفسرتهما الاية التي في سورة سبحان
وهي قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الاية فاخبر سبحانه ان العبد
ينوي ويريد والله يحكم ما يريد ثم ذكر ابن العربي الحديث الصحيح في النفر الثلاثة الذين كانت
اعمالهم ريا وهم رجل جمع القران ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال وقول الله لكل
واحد منهم ماذا عملت ثم قال في اخر الحديث ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتي وقال
يا ابا هريرة اولئك الثلاثة اول خلق الله تسعر بهم النار ثم قرا قوله تعالى اولئك الذين ليس لهم في
الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها اي في الدنيا وهذا نص في مراد الاية والله اعلم انتهى وحبط
معناه بطل وسقط وهي مستعملة في فساد الاعمال قال ص قوله ما صنعوا ما بمعنى الذي
او مصدرية وفيها متعلق بحبط والضمير في فيها عائد على الاخرة اي ظهر حبوط ما صنعوا في
الاخرة او متعلق بصنعوا فيكون عائدا على الدنيا انتهى والباطل كل ما تقتضي ذاته ان لا تنال
به غاية في ثواب ونحوه وقوله سبحانه افمن كان على بينة من ربه الاية في الاية تاويلات قال ع والراجح
عندي من الاقوال في هذه الاية ان يكون افمن للمومنين او لهم وللنبي صلى الله عليه وسلم معهم
والبينة القران وما تضمن والشاهد الانجيل يريد او اعجاز القرآن في قول والضمير في
يتلوه للبينة وفي منه للرب تعالى والضمير في قبله للبينة ايضا وغير هذا مما ذكر محتمل قال قيل اذا كان
الضمير في قبله عائدا على القران فلم لم يذكر الانجيل وهو قبله بينه وبين كتاب موسى فالجواب انه
خص التورية بالذكر لانه مجمع عليه والانجيل ليس كذلك لان اليهود تخالف فيه فكان الاستشهاد
بما تقوم به الحجة اولى وهذا يجري مع قول الجن انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى والاحزاب هاهنا

لكم في هذه الاية تاويلان احدهما ان يكون المخاطبة من النبي صلى الله عليه وسلم للكفار اي ويكون ضمير يستجيبوا لم

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور بابن عبد ...
١١٧٥ وكفى عبده

يراد بهم جميع الامم وروى سعيد بن جبير عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما من احد يسمع بي من هذه الامة ولا من اليهود والنصارى ثم لا يؤمن بي الا دخل النار
قال سعيد فقلت اين مصداق هذا في كتاب الله حتى وجدته في هذه الاية وكنت اذا سمعت حديثا
عن النبي صلى الله عليه وسلم طلبت مصداقه في كتاب الله عز وجل وقرا الجمهور من مرية بكسر
الميم وهو الشك والضمير في منه عايد على كون الكفرة موعدهم النار وسائر الاية بين وقوله تعالى
ويقول الاشهاد قالت فرقة يريد الشهداء من الانبياء والملائكة وقالت فرقة الاشهاد بمعنى المشاهدين
ويريد جميع الخلايق وفي ذلك اشادة بهم وتشهير لخزيهم وروي في هذا حديث ان الله يخزي احد
يوم القيمة الا ويعلم ذلك جميع من شهد المحشر وباقي الاية بين مما تقدم في غيرها قال ص وقوله
الا لعنة الله على الظالمين يحتمل ان يكون داخلا في مفعول القول واليه نحى بعضهم انتهى وقوله
سبحانه ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون يحتمل وجوها احدها انه وصف سبحانه
هولاء الكفار بهذه الصفة في الدنيا على معنى انهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به ولا يبصرون
كذلك والثاني انه يكون وصفهم بذلك من اجل بغضهم في النبي صلى الله عليه وسلم فهم لا يستطيعون
ان يحملوا نفوسهم على السمع منه والنظر اليه وما في هذين الوجهين نافية الثالث ان يكون
التقدير يضاعف لهم العذاب بما كانوا اي بسبب ما كانوا فما مصدرية وباقي الاية بين وقوله
سبحانه انهم في الاخرة هم الاخسرون ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم الاية الخبر
قد تقدم بيانها واخبتوا قال قتادة معناه خشعوا وقيل معناه انابوا قاله ابن عباس وقيل
اطمانوا قاله مجاهد وقيل خافوا قاله ابن عباس ايضا وهذه اقوال بعضها قريب من بعض وقوله
سبحانه مثل الفريقين الاية الفريقان الكافرون والمومنون شبه الكافر بالاصم والاعمى وشبه
المومن بالبصير وبالسميع فهو تمثيل بمثالين وقوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم
نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم فقال الملا الذين كفروا من
قومه ما نراك الا بشرا مثلنا الاية فيها تمثيل لقريش وكفار العرب واعلام بان محمدا عليه
الصلاة والسلام ليس بدعا من الرسل والاراذل جمع الجمع فقيل جمع ارذل وقيل جمع اراذل
وهم سفلة الناس ومن لا خلاق له ولا يبالي ما يقول ولا ما يقال له وقرا الجمهور بادي
الراي بياء دون همز من بدا يبدو ويحتمل ان يتعلق بادي الراي بنراك اي وما نراك باول
نظر واقل فكرة وذلك هو بادي الراي الا ومتبوعك اراذلنا ويحتمل ان يتعلق بقوله اتبعك
اي وما نراك بادي الراي الا الاراذل ثم يحتمل على هذا قوله بادي الراي معنيين احدهما
ان يريد وا اتبعك في ظاهر امرهم وعسى ان بواطنهم ليست معك والثاني ان يريدوا اتبعوك باول نظر
وبالراي البادي دون تثبت ويحتمل ان يكون قولهم بادي الراي وصفا منهم لنوح اي تدعي
عظيما وانت مكشوف الراي لا حصافة لك ونصبه على الحال او على الصفة لبشرا وقوله سبحانه
قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده الاية كانه قال ارايتم
ان هداني الله واضلكم اجبركم على الهدى وانتم له كارهون وعبارة نوح عليه السلام كانت بلغته
دالة على المعنى القايم بنفسه وهذا هو المفهوم من هذه العبارة العربية فهذا استفهام ان يقال
قال كذا وكذا اذ القول ما افاد المعنى القايم في النفس وقوله على بينة اي على امر بين جلي وقرا

الجمهور

الجمهور فعميت ولذلك وجهان من المعنى احدهما خفيت والثاني ان يكون المعنى فعميتم انتم عنها وقوله
انلزمكموها يريد الزام جبر كالقتال ونحوه واما الزام الايجاب فهو حاصل وقوله وما انا
بطارد الذين امنوا يقتضي ان قومه طلبوا طرد الضعفاء الذين بادروا الى الايمان به نظير ما اقترحت
قريش وتزدري اصله تزتري تفتعل من زرى يزري ومعنى تزدري تحتقر والخير هنا يظهر فيه
انه خير الاخرة اللهم الا ان يكون ازدراؤهم من جهة الفقر فيكون الخير المال وقد قال بعض المفسرين
حيث ما ذكر الله الخير في القران فهو المال قال ع وفي هذا الكلام تحامل والذي يشبه ان يقال انه
حيث ما ذكر الخير فان المال يدخل فيه قلت وهذا ايضا غير ملخص والصواب ان الخير اعم من ذلك
كله وانظر قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فانه يشمل المال وغيره ونحوه وافعلوا الخير لعلكم
تفلحون وانظر قوله عليه الصلاة والسلام اللهم لا خير الا خير الاخرة وقوله تعالى ان علمتم فيهم خيرا فهنا
لا مدخل للمال الا على تجوز وقد يكون الخير المراد به المال فقط وذلك بحسب القراين كقوله تعالى
ان ترك خيرا الاية وقوله الله اعلم بما في انفسهم تسليم لله تعالى وقال بعض المتاولين هو رد على قولهم اتبعك
اراذلنا في ظاهر امرهم حسب ما تقدم في بعض التاويلات ثم قال اني اذا اي لو فعلت ذلك لمن الظالمين
وقولهم قد جادلتنا معناه قد طال منك هذا الجدال والمراد بقولهم بما تعدنا العذاب والهلاك
وما انتم بمعجزين اي مفلتين وقوله سبحانه ام يقولون افتراه الاية قال الطبري وغيره هذه الاية
اعترضت في قصة نوح وهي في شان النبي صلى الله عليه وسلم مع قريش قال ع ولو صح هذا بسند
لوجب الوقوف عنده والا فهو يحتمل ان يكون في شان نوح عليه السلام ويتسق الاية ويكون الضمير في
افتراه عايدا على ما توعدهم به او على جميع ما اخبرهم به وام بمعنى بل وقوله سبحانه واوحي الى
نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن الاية قيل لنوح هذا بعد ان طال عليه كفر القرن بعد
القرن به وكان ياتيه الرجل بابنه فيقول يا بني لا تصدق هذا الشيخ فهكذا عهد الي جدي
كذابا مجنونا رواه عبيد بن عمير وغيره فروي انه لما اوحي اليه ذلك دعا فقال رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا وتبتئس من البؤس ومعناه لا تحزن وقوله باعيننا يمكن ان
يريد بمراى منا فيكون عبارة عن الادراك والرعاية والحفظ ويكون جمع الاعين للعظمة
لا للتكثير كما قال عز من قايل فنعم القادرون والعقيدة انه تعالى منزه عن الحواس والتشبيه
والتكييف لا رب غيره ويحتمل قوله باعيننا اي بملايكتنا الذين جعلناهم عيونا على مواضع
حفظك ومعونتك فيكون الجمع على هذا التاويل للتكثير وقوله ووحينا معناه وتعليمنا
له صورة العمل بالوحي وروي في ذلك ان نوحا عليه السلام لما جهل كيفية صنع السفينة
فاوحى الله اليه ان اصنعها على مثال جؤجؤ الطاير الى غير ذلك مما عمله نوح من عملها وقوله
ولا تخاطبني في الذين ظلموا الاية قال ابن جريج في هذه الاية قدم الله الى نوح في ان لا يشفع
فيهم وقوله ويصنع الفلك التقدير فشرع يصنع فحكيت حال الاستقبال والملا هنا الجماعة
وقوله سخروا منه الاية السخر الاستجهال مع استهزاء وانما سخروا منه في ان صنعها في برية
وقوله فانا نسخر منكم قال الطبري يريد في الاخرة قال ع ويحتمل الكلام وهو الارجح ان يريد
انا نسخر منكم الان والعذاب المخزي هو الغرق والمقيم هو عذاب الاخرة والامر واحد الامور ويحتمل
ان يكون مصدر امر فمعناه امرنا للماء بالفوران وفار معناه انبعث بقوة واختلف الناس

في التنور والذي عليه الاكثر منهم ابن عباس وغيره انه هو التنور الخبز الذي يوقد فيه
وقيل كانت امارة جعلها الله لنوح اي اذا فار التنور فاركب في السفينة وقوله سبحانه قلنا
احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن امن الاية الزوج يقال
في مشهور كلام العرب للواحد مما له ازواج فيقال هذا زوج لهذا وهما زوجان والزوج
ايضا في كلام العرب النوع وقوله واهلك عطف على ما عمل فيه احمل والاهل هنا القرابة وبشرط
من امن منهم خصصوا تشريفا ثم ذكر من امن وليس من الاهل واختلف في الذين سبق عليهم القول
بالعذاب فقيل انه ابنه يام او كنعان وقيل امراته العه بالعين المهملة وقيل هو عموم فيمن
لم يؤمن من اهل نوح ثم قال سبحانه اخبارا عن حالهم وما امن معه الا قليل وقوله وقال
اركبوا فيها اي وقال نوح لمن معه اركبوا فيها وقوله بسم الله يصح ان يكون في موضع الحال من
ضمير اركبوا اي اركبوا متبركين باسم الله او قائلين بسم الله ويجوز ان يكون بسم الله مجراها
ومرساها جملة ثانية من مبتدا وخبر لا تعلق لها بالاولى كانه امرهم اولا بالركوب ثم
اخبر ان مجراها ومرساها باسم الله قال الضحاك كان نوح اذا اراد جري السفينة قال
بسم الله جرت واذا اراد وقوفها قال بسم الله فتقف وقرا الجمهور بضم الميم من مجراها ومرساها
على معنى اجراها وارساها وقرا الاخوان اعني حمزة والكسائي وحفص بفتح ميم مجراها
وكسر الراء وكلهم ضم الميم في مرساها قلت قوله وكسر الراء يريد امالتها وفي كلامه تسامح ولفظ
البخاري مجراها مسيرها ومرساها موقفها وهو مصدر اجريت وارسيت انتهى قال النووي
وروينا في كتاب السني بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال امان لامتي من الغرق اذا
ركبوا ان يقولوا بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وما قدروا الله حق
قدره الاية هكذا في النسخ اذا ركبوا ولم يقل في السفينة انتهى وقوله وكان في معزل اي
في ناحية في بعد عن السفينة او عن الدين واللفظ يعمهما وقوله ولا تكن مع الكافرين
يحتمل ان يكون نهيا محضا مع علمه بانه كافر ويحتمل ان يكون خفي عليه كفره والاول ابين
وقوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الظاهر ان لا عاصم اسم فاعل على بابه وقوله الا
من رحم يريد الا الله الراحم فمن كناية عن الله المعنى لا عاصم اليوم الا الذي رحمنا وقوله سبحانه
يا ارض ابلعي ماءك الاية البلع تجرع الشيء وازدراده والاقلاع عن الشيء تركه وغيض
معناه نقص واكثر ما يجيء فيما هو بمعنى الجفوف وقوله وقضي الامر اشارة الى جميع القصة
بعث الماء واهلاك الامم وانجاء اهل السفينة قال ع وتظاهرت الروايات وكتب التفسير
بان الغرق نال جميع اهل الارض وعم الماء جميعها قاله ابن عباس وغيره وذلك بين من امر
نوح بحمل الازواج من كل الحيوان ولولا خوف فنائها من جميع الارض ما كان ذلك وروي
ان نوحا عليه السلام ركب في السفينة من عين وردة بالشام اول يوم من رجب
واستوت السفينة على الجودي في ذي الحجة واقامت عليه شهرا وقيل له اهبط في يوم
عاشوراء فصامه هو ومن معه وروي ان الله تعالى اوحى الى الجبال ان السفينة ترسى على
واحد منها فتطاولت كلها وبقي الجودي وهو جبل بالموصل في ناحية الجزيرة لم يتطاول
تواضعا لله فاستوت السفينة بامر الله عليه وقال الزجاج الجودي هو بناحية امد وقال

قوم هو عندنا باقردا واكثر الناس في قصص هذه الاية والله اعلم بما صح من ذلك
وقوله وقيل بعدا يحتمل ان يكون من قول الله عز وجل عطفا على قوله وقيل الاول ويحتمل
ان يكون من قول نوح والمؤمنين والاول اظهر وقوله ان ابني من اهلي الاية احتجاج من نوح
عليه السلام ان الله امره بحمل اهله وابنه من اهله فينبغي ان يحمل فاظهر الله له ان المراد من
امن من الاهل وهذه الاية تقتضي ان نوحا عليه السلام ظن ان ابنه مؤمن وقوله انه ليس من
اهلك اي الذين عمهم الوعد لانه ليس على دينك وان كان ابنك بالولادة وقوله عمل غير صالح جعله
وصفا له بالمصدر على جهة المبالغة في وصفه بذلك كما قالت الخنساء تصف ناقة ذهب
عنها ولدها ترتع ما غفلت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار
اي ذات اقبال وادبار وبين هذه قراءة الكسائي انه عمل غير صالح فعلا ماضيا ونصب غير
على المفعول بعمل وقول من قال بان الولد كان لغية خطا محض وهذا قول ابن
عباس والجمهور قالوا واما قوله تعالى فخانتاهما فان الواحدة كانت تقول للناس هو مجنون
والاخرى كانت تنبه على الاضياف واما خيانة غير هذا فلا وبعضد المعنى لشرف النبوة ه
وجوز المهدوي ان يعود الضمير في انه على السؤال اي ان سؤالك اياي ما ليس لك به علم عمل
غير صالح قاله النخعي وغيره انتهى والاول ابين وعليه الجمهور وبه صدر المهدوي ومعنى قوله
فلا تسالني ما ليس لك به علم اي اذا وعدتك فاعلم يقينا انه لا خلف في الوعد فاذا
رايت ولدك لم يحمل فكان الواجب عليك ان تقف وتعلم ان ذلك بحق واجب عند الله
قال ع ولكن نوحا عليه السلام حملته شفقة النبوة وسجية البشر على التعرض لنفحات
الرحمة وعلى هذا القدر وقع عتابه ولذلك جاء بتلطف وترفيع في قوله سبحانه اني
اعظك ان تكون من الجاهلين ويحتمل قوله فلا تسالني ما ليس لك به علم اي لا تطلب مني امرا
لا تعلم المصلحة فيه علم اليقين ونحا الى هذا ابو علي الفارسي وهذا والاول في المعنى واحد
وقوله رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم انابة منه عليه السلام وتسليم لامر ربه
والسؤال الذي وقع النهي عنه انما هو سؤال العزم الذي معه محاجة وطلبة ملحة فيما
قد حجب وجه الحكمة فيه واما السؤال على جهة الاسترشاد والتعلم فغير داخل في هذا
ثم قيل له اهبط بسلام وذلك عند نزوله من السفينة والسلام هنا السلامة والامن
والبركات الخير والنمو في كل الجهات وهذه العدة تعم جميع المؤمنين الى يوم القيمة قاله محمد بن كعب
القرظي ثم قطع قوله وامم على وجه الابتداء وهؤلاء هم الكفار الى يوم القيمة وقوله سبحانه
تلك اشارة الى القصة وباقي الاية بين وقوله عز وجل والى عاد اخاهم هودا الاية
عطف على قوله لقد ارسلنا نوحا الى قومه وقوله ويا قوم استغفروا ربكم الاية الاستغفار
طلب المغفرة فقد يكون ذلك باللسان وقد يكون بانابة القلب وطلب الاسترشاد وقوله
ثم توبوا اليه اي بالايمان من كفركم والتوبة عقد في ترك متوب منه يتقدمها علم
بفساد المتوب منه وصلاح ما يرجع اليه ويقترن بها ندم على فارط المتوب منه لا ينفك
منه وهو من شروطها ومدرارا بناء تكثير وهو من درّ يدر وقد تقدم في قصة عاد
وقوله سبحانه ويزدكم قوة الى قوتكم ظاهره العموم في جميع ما يحسن الله تعالى فيه الى العباد ويحتمل

ان حض القوم بالذكر اذ كانوا اقوى العوالم فوعدوا بالزيادة فيما يجي وافيه ثم
نهاهم عن التولي عن الحق وقولهم عن قولك اي لا يكون قولك سبب تركنا وقال ص
عن قولك حال من الضمير في تاركي اي صادرين عن قولك وقيل للتعليل كقوله الا عن موعدة
وقولهم ان نقول الآية معناه ما نقول الا ان بعض الهتنا التي ضللت عبدتها اصابك
بجنون يقال عراه يعره واعتراه يعتريه اذا الم به وقوله فكيدوني جميعا اي انتم واصنامكم
ويذكر ان هذه كانت له عليه السلام معجزة وذلك انه حرض جماعتهم عليه مع انفراده وقوتهم
وكفرهم فلم يقدروا على نيله بسوء وتنظرون معناه تؤخرون اي عاجلوني بما قدرتم
عليه وقوله ان ربي على صراط مستقيم يريد ان افعال الله عز وجل في غاية الاحكام
وقوله الصدق ووعد الحق وعتيد من عند اذا عتا واتبعوا في هذه الدنيا لعنة الآية
حكم عليهم بهذه لموافاتهم على الكفر ولا يلعن معين حي لا من كافر ولا من فاسق ولا من
بهيمة كل ذلك مكروه بالاحاديث قلت وتعبيره بالكراهة لعله يريد بها التحريم ويوم ظرف
ومعناه ان اللعنة عليهم في الدنيا وفي يوم القيمة ثم ذكر العلة الموجبة لذلك وهي كفرهم
بربهم وباقي الآية بين قوله عز وجل والى ثمود اخاهم صالحا الآية التقدير وارسلنا
الى ثمود وانشاكم من الارض اي اخترعكم واوجدكم وذلك باختراع ادم عليه السلام وقال
ابو حيان من الارض لابتداء الغاية باعتبار الاصل المتولد منه النبات المتولد منه الغذاء المتولد
منه المني ودم الطمث المتولد عنه الانسان وقد نقل في هذا الموضع نحو هذا ثم اشار
الى مرجوحيته وانه داع الى القول بالتولد قال ابن العربي في احكامه قوله تعالى واستعمركم فيها
اي خلقكم لعمارتها ولا يصح ان يقال هو طلب من الله لعمارتها كما زعم بعض الشافعية قلت
والمفهوم من الآية انها سيقت مساق الامتنان عليهم انتهى وقولهم يا صالح قد كنت فينا مرجوا
قبل هذا قال جمهور المفسرين معناه مسودا نؤمل فيك ان تكون سيدا سادا مسد الاكابر
وقولهم واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب معناه مريب ملبس مبهم وقوله ارايتم اي
اتدبرتم فالرؤية قلبية واتاني منه رحمة يريد النبوة وما انضاف اليها وقال ص
قد تقرر في ارايتم انها بمعنى اخبروني انتهى والتخسير هو من الخسارة وليس من التخسير في
هذه الآية الا هم وفي حيزهم وهذا كما تقول لمن توصيه انا اريد بك خيرا وانت
تريد بي شرا وقال ص غير تخسير من خسر وهو هاهنا للنسبة كفسقته وفجرته اذا نسبته
اليهما قلت وقد نقل الثعلبي عن الحسين بن الفضل قال لم يكن صالح في خسارة حين قال
فما تزيدونني غير تخسير وانما المعنى ما تزيدونني بما تقولون الا نسبتي اياكم الى الخسارة
وهو من قول العرب فسقته وفجرته اذا نسبته الى الفسوق والفجور انتهى وهو حسن
وباقي الآية بين قد تقدم الكلام في قصصها واخذ الذين ظلموا الصيحة قال ابو البقاء في
حذف التاء من اخذ ثلاثة اوجه احدها انه فصل بين الفعل والفاعل والثاني ان التانيث
غير حقيقي والثالث ان الصيحة بمعنى الصياح فحمل على المعنى انتهى وقد اشار ع الى الثلاثة
واختار الاخير وقوله سبحانه ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى الرسل الملائكة قال
المهدوي بالبشرى يعني بالولد وقيل البشرى بهلاك قوم لوط انتهى قالوا سلاما اي سلمنا عليك

سلاما

سلاما وقرا حمزة والكسائي قالوا سلاما قال سلم فيحتمل ان يريد بالسلم السلام ويحتمل ان يريد
بالسلم ضد الحرب وحنيذ بمعنى محنوذ ومعناه بعجل مشوي نضيج يقطر ماؤه وهذا القطر
يفصل الحنيذ من جملة المشويات وهيئة المحنوذ في اللغة الذي يغطى بحجارة او رمل محمي او حائل
بينه وبين النار يغطى به والمعرض من الشواء الذي يصفف على الجمر والمضهب الشواء الذي بينه
وبين النار حائل يكون الشواء عليه لا مدفونا به والتحنيذ في تضمير الخيل هو ان يغطى الفرس بجل على
جل لينصب عرقه ونكرهم على ما ذكر كثير من الناس معناه انكرهم واوجس منهم خيفة
من امتناعهم من الاكل عرف من جاء بشر ان لا يؤكل طعامه المنزول به قال ابن العربي في احكامه
ذهب الليث بن سعد الى ان الضيافة واجبة لقوله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله
واليوم الاخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة وما وراء ذلك صدقة وفي رواية ثلاثة ايام
ولا يحل له ان يثوي عنده حتى يحرجه وهذا حديث صحيح خرجه الائمة واللفظ للترمذي وذهب
علماء الفقه الى ان الضيافة لا تجب وحملوا الحديث على الندب قال ابن العربي والذي اقول به ان
الضيافة فرض على الكفاية ومن الناس من قال انها واجبة في القرى حيث لا ماوى ولا طعام بخلاف
الحواضر لتيسر ذلك فيها قال ابن العربي ولا شك ان الضيف كريم والضيافة كرامة فان كان عديما
فهي فريضة انتهى واوجس معناه احس والوجيس ما يعتري النفس عند الحذر واوائل
الفزع وقوله سبحانه فضحكت قال الجمهور هو الضحك المعروف وذكر الطبري ان ابراهيم عليه السلام
لما قدم العجل قالوا له انا لا ناكل طعاما الا بثمن فقال لهم ثمنه ان تذكروا الله تعالى
عليه في اوله وتحمدوه في اخره فقال جبريل لاصحابه بحق اتخذ الله هذا خليلا ثم بشر
الملائكة سارة باسحاق وبان اسحاق سيلد يعقوب ويسمى ولد الولد من الوراء وهو
قريب من معنى وراء في الظروف اذ هو ما يكون خلف الشيء وبعده ت وقال ص ووراء هنا
استعمل غير ظرف لدخول من عليها اي ومن بعد اسحاق انتهى وقولها يا ويلتا الالف بدل
بدل من ياء الاضافة اصلها يا ويلتي ومعنى يا ويلتا في هذا الموضع العبارة عما دهم
النفس من العجب في ولادة عجوز ومن امر الله واحد الامور وقوله سبحانه رحمة الله وبركاته
عليكم اهل البيت يحتمل ان يكون دعاء وان يكون خبرا ص ونصب اهل البيت على النداء
وعلى الاختصاص او على المدح انتهى وهذه الآية تعطي ان زوجة الرجل من اهل بيته ت
وهي هنا من اهل البيت على كل حال لانها من قرابته وابنة عمه والبيت في هذه الآية
وفي سورة الاحزاب بيت السكنى وقوله فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى
يجادلنا اي اخذ يجادلنا في قوم لوط وقوله تعالى ان ابراهيم لحليم اواه منيب وصف
عليه السلام بالحلم قيل لانه لم يغضب قط لنفسه الا ان يغضب لله وامر بالاعراض عن
المجادلة لان بغرضي انها انما كانت في الكفرة حرصا على اسلامهم وامر ربك واحد الامور اي
نفذ فيهم قضاؤه سبحانه وهذه الآية مقتضية ان الدعاء انما هو ان يوفق الله الداعي
الى طلب المقدور فاما الدعاء في طلب غير المقدور فغير مجد ولا نافع قلت والكلام
في هذه المسالة متسع رحب ومن احسن ما قيل فيها قول الغزالي في الاحياء فان
قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا يرد فالجواب ان من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء

سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما ان الكفر سبب لرد النعم والمناسب لكل وجه كثير انتهى وقد اطال في المسالة ولولا الاطالة لاتيت بنبذ يثلج لها الصدر وخرج الترمذي في جامعه عن ابي خزامة واسمه رفاعة عن ابيه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ارايت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا قال هي من قدر الله قال ابو عيسى هذا حديث حسن وفي بعض النسخ حسن صحيح انتهى فليس وراء هذا الكلام من سيد المعصومين مرمى لاحد وتامل جواب الفاروق لابي عبيدة حين همّ بالرجوع من اجل الدخول على ارض بها الطاعون وهي الشام وقوله سبحانه ولما ان جاءت رسلنا لوطا الرسل هنا الملائكة اضياف ابراهيم قال المهدوي والرسل هنا هم جبريل وميكائيل واسرافيل ذكره جماعة من المفسرين انتهى والله اعلم بتعيينهم فان صح في ذلك خبر صير اليه والا فالواجب الوقف وسيء بهم اي اصابه سوء والذرع مصدر ماخوذ من الذراع ولما كان الذراع موضع قوة الانسان قيل في الامر الذي لا طاقة به ضاق بهذا الامر ذراع فلان وذرع فلان اي حيلته بذراعه وتوسعوا في هذا حتى قلبوه فقالوا فلان رحب الذراع اذا وصفوه باتساع القدرة وعصيب اسم فاعل معناه يعصب الناس بالشر فهو من العصابة ثم كثر وصفهم لليوم بعصيب ومنه وقد سلكوا في يوم عصيب وبالجملة فعصيب في موضع شديد وصعب الوطاة ويهرعون معناه يسرعون ومن قبل كانوا يعملون السيئات اي كانت عادتهم اتيان الفاحشة في الرجال وقوله هؤلاء بناتي هن اطهر لكم يعني بالتزويج وقولهم وانك لتعلم ما نريد اشارة الى الاضياف فلما راى لوط استمرارهم في غيهم قال على جهة التفجع والاستكانة لو ان لي بكم قوة ع ولو ان جوابها محذوف اي لفعلت كذا وكذا وروي ان الملائكة وجدت عليه حين قال هذه الكلمات وقالوا ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد فالعجب منه لما استكان قال ع وانما خشي لوط عليه السلام ان يمهل الله اولئك العصاة حتى يعصوه في الاضياف كما امهلهم فيما قبل ذلك ثم ان جبريل عليه السلام ضرب القوم بجناحه فطمس اعينهم ثم امروا لوطا بالسرى واعلموه بان العذاب نازل بالقوم فقال لهم لوط فعذبوهم الساعة فقالوا له ان موعدهم الصبح اي بهذا امر الله ثم انسوه في قلقه بقولهم اليس الصبح بقريب والقطع القطعة من الليل قال ص الا امراتك ابن كثير وابو عمرو بالرفع والباقون بالنصب فقيل كلاهما استثناء من احد وقيل النصب على الاستثناء من اهلك انتهى وقوله سبحانه وامطرنا عليها حجارة من سجيل ذهبت فرقة منهم ابن عباس الى ان الحجارة التي رموا بها كانت كالاجر المطبوخ كانت من طين قد تحجر وان سجيلا معناها ماء وطين وهذا القول هو الذي عليه الجمهور وقالت فرقة من سجيل معناه من جهنم لانه يقال سجيل وسجين حفظ فيها بدل النون لاما وقيل غير هذا ومنضود معناه بعضه فوق بعض متتابع ومسومة اي معلمة بعلامة قوله تعالى وما هي اشارة الى الحجارة والظالمون قيل يعني قريشا وقيل يريد عموم كل من اتصف بالظلم وهذا هو الاصح وقيل يعني

بهذا

بهذا الاعلام بان هذه البلاد قريبة من مكة وما تقدم ابين وقوله عز وجل والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير الاية قوله بخير قال ابن عباس معناه في رخص من الاسعار وقيل قوله بخير عام في جميع نعم الله تعالى وتعثوا معناه تسعون في فساد يقال عثي يعثو وعثي يعثى اذا افسد وقوله بقية الله خير لكم قال ابن عباس معناه الذي يبقي الله لكم من اموالكم بعد توفيتكم الكيل والوزن خير لكم مما تستكثرون على غير وجهه وهذا تفسير يليق بلفظ الاية وقال مجاهد طاعة الله وهذا لا يعطيه لفظ الاية قال ع وقرا الحسن تقية اي تقواه قال ع وانما المعنى عندي ابقاء الله عليكم ان اطعتم وقولهم اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا قالت فرقة ارادوا الصلوات المعروفة وروي ان شعيبا عليه السلام كان اكثر الانبياء صلاة وقال الحسن لم يبعث الله نبيا الا فرض الله عليه الصلاة والزكاة وقيل ارادوا دعواتك وذلك ان من حصل في رتبة من خير او شر ففي الاكثر تدعوه رتبته الى التزيد من ذلك النوع فمعنى هذا لما كنت مصليا تجاوزت الى ذم شرعنا وحالنا فكان حاله من الصلاة حسنة على ذلك فقيل امرته كما قال تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال ص وابن عطية او ان نفعل معطوف على ما نعبد واو للتنويع وظاهر حالهم الذي اشاروا اليه هو بخس الكيل والوزن الذي تقدم ذكره وروي ان الاشارة الى قرضهم الدينار والدرهم واجراء ذلك مع الصحيح على جهة التدليس قاله محمد بن كعب القرظي وتاول ايضا بمعنى تبديل السكك التي يقصد بها اكل اموال الناس قال ابن العربي قال ابن المسيب قطع الدنانير والدراهم من الفساد في الارض وكذلك قال زيد ابن اسلم في هذه الاية وفسرها به ومثله عن يحيى بن سعيد من رواية مالك قال ابن العربي واذا كان قطع الدنانير والدراهم وقرضها من الفساد عوقب من فعل ذلك وقرض ذلك الدراهم غير كسرها فان الكسر فساد الوصف والقرض تنقيص للقدر وهو اشد من كسرها فهو كالسرقة انتهى من الاحكام مختصرا وبعضه بالمعنى وقولهم انك لانت الحليم الرشيد قيل انهم قالوه على جهة الحقيقة اي انت حليم رشيد فلا ينبغي لك ان تنهانا عن هذه الاحوال وقيل انما قالوا هذا على جهة الاستهزاء وقوله ورزقني منه رزقا حسنا اي سالما من الفساد الذي ادخلتم في اموالكم وجواب الشرط الذي في قوله ان كنت على بينة من ربي محذوف تقديره اضل كما ضللتم او اترك تبليغ رسالة ربي ونحو هذا وقوله لا يجرمنكم معناه لا يكسبنكم وشقاقي معناه مشاقتي وعداوتي وان مفعوله بيجرمنكم قال ص وابن عطية وما قوم لوط منكم ببعيد اي زمانا بعيدا او مكانا قال ص ودود ودود بناء مبالغة من ود الشيء اذا احبه واثره ع ومعناه ان افعاله سبحانه ولطفه بعباده لما كانت في غاية الاحسان اليهم كانت كفعل من يتودد ويود المصنوع له وقولهم ما نفقه كقول قريش قلوبنا في اكنة والظاهر من قولهم انا لنراك فينا ضعيفا انهم ارادوا ضعيف الانتصار والقدرة وان رهطه الكفرة يراعون فيه والرهط جماعة الرجل وقولهم رجمناك اي بالحجارة قاله ابن زيد وقيل بالسب باللسان وقولهم بعزيز اي بذي منعة

وعزة ومنزلة والظهري الشيء الذي يكون وراء الظهر وذلك يكون في الكلام على وجهين
اما بمعنى الاطراح كما تقول جعلت كلامي وراء ظهرك ودبر اذنك وعلى هذا المعنى حملها
الجمهور الآية اي اتخذتم امر الله وشرعه وراء ظهوركم اي غير مراعى واما بان يستند اليه
ويلجأ كما قال عليه الصلاة والسلام والجأت ظهري اليك وعلى هذا المعنى حمل الآية قوم اي
وانتم تتخذون الله سند ظهوركم وعماد آمالكم وقوله اعملوا على مكانتكم معناه على حالاتكم
وفيه تهديد وقوله سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا
اني معكم رقيب والصحيح ان الوقف في قوله اني عامل وقوله سبحانه واخذت الذين ظلموا
الصيحة الآية الصيحة هي صيحة جبريل عليه السلام وقوله سبحانه كان لم يغنوا فيها الآية يغنوا معناه
يقيمون بنعمة وخفض عيش ومنه المغاني وهي المنازل المعمورة بالاهل وضمير فيها عائد على
الديار وقوله بعدا مصدر دعا به كقولك سحقا للكافرين وفادت هذه قولهم سلام عليكم
لان بعد الجاد عن شيء قد وجب وتحصل وتلك انما هي دعاء مرجي ومعنى البعد في قراءة بعدت
بكسر العين الهلاك وهي قراءة الجمهور ومنه قول خرنق بنت هفان نظم

لا يبعدن قومي الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر

ومنه قول مالك بن الريب

يقولون لا تبعد وهم يدفنونني ... واين مكان البعد الا مكانيا

واما من قرا بعدت وهو السلمي وابو حيوة فهو من البعد الذي هو ضد القرب ولا يدعى به الا على
مبغوض قال ع وقال ابن الانباري من العرب من يسوي بين الهلاك والبعد الذي هو ضد القرب
فيقولون فيهما بعد يبعد وبعد يبعد انتهى وقوله سبحانه فاتبعوا امر فرعون اي وخالفوا
امر موسى وما امر فرعون برشيد اي بمرشد الى خير وقال ع برشيد اي بمصيب في مذهبه
يقدم قومه اي يقدمهم الى النار والورد في هذه الآية هو ورود دخول قال ص والورد فاعل
بئس والمورود المخصوص بالذم وفي الاول حذف اي مكان الورد ليطابق المخصوص بالذم
وجوز ابن عطية وابو البقاء ان يكون المورود صفة لمكان الورد والمخصوص محذوف
اي بئس مكان الورد المورود النار والورد يجوز ان يكون مصدرا بمعنى الورود او بمعنى
الواردة من الابل وقيل الورد بمعنى الجمع الوارد والمورود صفة لهم والمخصوص بالذم
ضمير محذوف اي بئس القوم المورود بهم هم انتهى واتبعوا في هذه يريد دار الدنيا وقوله
بئس الرفد المرفود اي بئس العطاء المعطى لهم وهو العذاب والرفد في كلام العرب العطية
وقوله سبحانه ذلك من انباء القرى الآية ذلك اشارة الى ما تقدم من ذكر العقوبات النازلة
بالامم المذكورة منها قائم وحصيد اي منها قائم الجدرات والتتبيب الخسران ومنه تبت
يدا ابي لهب وقوله وكذلك اشارة الى ما ذكر من الاخذات في الامم وهي آية وعيد تعم قرى المؤمنين
والكافرين فان ظالمة اعم من كافرة وقد يمهل الله تعالى بعض الكفرة واما الظلمة فمعاجلون
في الغالب وقد يملي لبعضهم وفي الحديث من رواية ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله يملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته وقرا وكذلك اخذ ربك اذ اخذ القرى وهي
ظالمة الآية وهذه قراءة الجماعة وهي تعطي بقاء الوعيد واستمراره في الزمان ان في ذلك
لآية اي لعبرة وعلامة اهتداء لمن خاف عذاب الآخرة ثم عظم الله امر الآخرة فقال ذلك

يوم

يوم مجموع له الناس وهو يوم الحشر وذلك يوم مشهود يشهده الاولون والآخرون
من الملائكة والانس والجن والحيوان في قول الجمهور وما نؤخره الا لاجل معدود لا ينفك
عنه ولا يتاخر قال ص والظاهر ان ضمير فاعل يأتي يعود على ما عاد عليه ضمير نؤخره
والناصب ليوم لا تكلم والمعنى لا تكلم نفس يوم يأتي ذلك اليوم الا باذنه سبحانه انتهى
وقوله فمنهم عائد على الجمع الذي يتضمنه قوله نفس اذ هو اسم جنس يراد به الجمع فاما الذين
شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق وهي اصوات المكروبين والمحزونين والمعذبين
ونحو ذلك قال قتادة الزفير اول صوت الحمار والشهيق آخره فصياح اهل النار كذلك
وقال ابو العالية الزفير من الصدر والشهيق من الحلق والظاهر ما قال ابو العالية وقوله
سبحانه خالدين فيها ما دامت السموات والارض يروى عن ابن عباس ان الله خلق السموات والارض
من نور العرش ثم يردهما الى هنالك في الآخرة فلهما ثم بقاء دائم وقيل معنى ما دامت
السموات والارض العبارة عن التأبيد بما تعهده العرب وذلك ان من فصيح كلامها اذا
ارادت ان تخبر عن شيء بتأبيد ان تقول لا افعل كذا وكذا امد الدهر وما ناح
الحمام وما دامت السموات والارض وقيل غير هذا قال ص وقيل المراد سموات الآخرة وارضها
يدل عليه قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات واما قوله الا ما شاء ربك فالاستثناء فيه
ثلاثة اقوال احدها انه متصل اي الا ما شاء ربك من اخراج الموحدين وعلى هذا
يكون قوله فاما الذين شقوا عاما في الكفرة والعصاة ويكون الاستثناء من خالدين
وهذا قول قتادة وجماعة الثاني ان هذا الاستثناء ليس بمتصل ولا منقطع وانما هو
على طريق الاستثناء الذي ندب اليه الشرع في كل كلام فهو على نحو قوله تعالى لتدخلن المسجد
الحرام ان شاء الله الثالث ان الا في هذه الآية بمعنى سوى والاستثناء منقطع وهذا قول
الفراء فانه يقدر الاستثناء المنقطع بسوى وسيبويه يقدره بلكن اي سوى ما شاء الله زائدا
على ذلك ويؤيد هذا التأويل قوله بعد عطاء غير مجذوذ وقيل سوى ما اعد الله لهم من
انواع العذاب واشد من ذلك كله سخطه سبحانه عليهم وقيل الاستثناء في الآيتين
من الكون في النار والجنة وهو زمان الموقف وقيل الاستثناء في الآية الاولى من طول
المدة وذلك على ما روي ان جهنم تخرب ويعدم اهلها وتخفق ابوابها فهم على هذا يخلدون
حتى يصير امرهم الى هذا قال ع وهذا قول مختل والذي روي ونقل عن ابن مسعود وغيره
انما يخلي من النار انما هو الدرك الاعلى المختص بعصاة المؤمنين وهذا الذي يسمى جهنم
وسمي الكل بجهنم تجوزا قلت وهذا هو الصواب ان شاء الله وهو تأويل صاحب العاقبة ان
الذي يخرب ما يخص عصاة المؤمنين وتقدم الكلام على نظير هذه الآية في الانعام وهو
قوله خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم قال ع والاقوال المترتبة في الاستثناء
الاول مترتبة في الاستثناء الثاني في الذين سعدوا الا تأويل من قال هو استثناء المدة
التي تخرب فيها جهنم فانه لا يترتب هنا والمجذوذ المقطوع والاشارة بقوله مما يعبد
هؤلاء الى كفار العرب وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص معناه من العقوبة وقال
الداودي عن ابن عباس وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص قال ما قدر لهم من خير وشر

انتهى و لقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه اي اختلف الناس عليه فلا يعظم عليك يا محمد امر من كذبك وقال ع فيه الظاهر عوده على الكتاب ويجوز ان يعود على موسى وقيل في بمعنى على اي عليه انتهى و الكلمة هنا عبارة عن الحكم والقضاء لقضي بينهم اي لفصل بين المؤمن والكافر بنعيم هذا وعذاب هذا و وصف الشك بالمريب تقوية لمعنى الشك فهذه الاية يحتمل ان يكون المراد بها امة موسى ويحتمل ان يراد بها معاصري النبي صلى الله عليه وسلم وان يعمهم اللفظ احسن ويؤيده قوله وان كلا قرا نافع وابن كثير وان كلا لما و قرا ابو عمرو والكسائي بتشديد ان وقرا حمزة وحفص بتشديد ان وتشديد لما فالقراءتان المتقدمتان بمعنى فان فيهما على بابها وكلا اسمها وعرفها ان تدخل على خبرها لام وفي الكلام قسم تدخل لامه ايضا على خبر ان فلما اجتمع لامان فصل بينهما بما هذا قول ابي علي والخبر في قوله ليوفينهم وهذه الاية وعيد ومعنى الاية ان كل الخلق موفى عمله

و قوله عز وجل فاستقم كما امرت ومن تاب معك امر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستقامة وهو عليها انما هو امر بالدوام والثبوت وهو امر لسائر الامة و روي ان بعض العلماء راى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا رسول الله بلغنا عنك انك قلت شيبتني هود هود واخواتها فما الذي شيبك من هود فقال له قوله عز وجل فاستقم كما امرت قال ع والتاويل المشهور في قوله عليه السلام شيبتني هود واخواتها انه اشارة الى ما فيها مما حل بالامم السالفة فكان حذره على هذه مثل ذلك شيبه عليه السلام و قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار الاية الركون السكون الى الشيء والرضا به قال ابو العالية الركون الرضاء قال ابن زيد الركون الادهان قال ع فالركون يقع على قليل هذا المعنى وكثيره والنهي هنا يترتب من معنى الركون على الميل اليهم بالشرك معهم الى اقل الرتب من ترك التغيير عليهم مع القدرة والذين ظلموا هنا هم الكفرة ويدخل بالمعنى اهل المعاصي و قوله سبحانه واقم الصلاة طرفي النهار الاية لا خلاف ان الصلاة في هذه الاية يراد بها الصلوات المفروضة واختلف في طرفي النهار وزلف الليل فقيل الطرف الاول الصبح والثاني الظهر والعصر والزلف المغرب والعشاء قاله مجاهد وغيره و روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في المغرب والعشاء وليست الظهر في هذه الاية على هذا القول بل هي في غيرها قال ع والاول احسن الاقوال عندي ورجح الطبري قول ان الطرفين الصبح والمغرب وهو قول ابن عباس وغيره وانه لظاهر الا ان عموم الصلوات الخمس بالاية اولى و الزلف الساعات القريب بعضها من بعض و قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ذكر جمهور المتاولين من صحابة وتابعين الى ان الحسنات يراد بها الصلوات الخمس والى هذه الاية ذهب عثمان رضي الله عنه في وضوئه على المقاعد وهو تاويل مالك و قال مجاهد الحسنات قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قال ع وهذا كله انما هو على جهة المثال في الحسنات ومن اجل ان الصلوات الخمس هي معظم الاعمال والذي يظهر ان لفظ الاية عام في الحسنات خاص في السيئات بقوله عليه السلام ما اجتنبت الكبائر و روي ان هذه الاية نزلت في رجل من الانصار وهو ابو اليسر بن عمرو وقيل اسمه عباد خلا بامراة فقبلها وتلذذ بها فيما دون الجماع ثم جاء الى عمر فشكا اليه فقال له

قد ستر

قد ستر الله عليك فاستر على نفسك فقلق الرجل فجاء ابا بكر فشكا اليه فقال له مثل مقالة عمر فقلق الرجل فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فصلى معه ثم اخبره وقال اقض فيّ ما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلها زوجة غاز في سبيل الله قال نعم فوبخه النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما ادري فنزلت هذه الاية فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقراها عليه فقال معاذ بن جبل يا رسول الله اهذا له خاصة قال بل للناس عامة قال ابن العربي في احكامه وهذا الحديث صحيح رواه الائمة كلهم انتهى قال ع وروي ان الاية كانت نزلت قبل ذلك واستعملها النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الرجل وروي ان عمر قال ما حكي عن معاذ وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الجمعة الى الجمعة والصلوات الخمس ورمضان الى رمضان كفارات لما بينها اذا اجتنبت الكبائر و قوله ذلك ذكرى اشارة الى الصلوات اي هي سبب الذكرى وهي العظة ويحتمل ان يكون اشارة الى الاخبار بان الحسنات يذهبن السيئات ويحتمل ان تكون اشارة الى جميع ما تقدم من الاوامر والنواهي والقصص في هذه السورة وهو تفسير الطبري فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية الاية لولا هي للتحضيض لكن يقترن بها هنا معنى التفجع والتاسف الذي ينبغي ان يقع من كل بشر على هذه الامم الذي لم تهتد وهذا نحو قوله سبحانه يا حسرة على العباد و القرون من قبلنا قوم نوح وعاد وثمود ومن تقدم ذكرهم و قوله اولوا بقية من عقل وتمييز ودين ينهون عن الفساد وانما قيل بقية لان الشرائع والدول ونحوها قوتها في اولها ثم لا تزال تضعف فمن ثبت في وقت الضعف فهو بقية الصدر الاول و الفساد في الارض هو الكفر وما اقترن به من المعاصي وهذه الاية فيها تنبيه لهذه الامة وحض على تغيير المنكر ثم استثنى الله عز وجل القوم الذين نجاهم مع انبيائهم وهم قليل بالاضافة الى جماعاتهم و قليلا استثناء منقطع اي لكن قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد و المترف المنعم الذي شغلته ترفته عن الحق حتى هلك و ما كان ربك ليهلك القرى بظلم منه سبحانه وتعالى عن ذلك و لو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة اي مؤمنة لا يقع منهم كفر قاله قتادة ولكنه عز وجل لم يشأ ذلك فهم لا يزالون مختلفين في الاديان والاراء والملل هذا تاويل الجمهور و الا من رحم ربك اي بان هداه الى الايمان و قوله تعالى ولذلك خلقهم قال الحسن اي وللاختلاف خلقهم قال ع وذلك ان الله تعالى خلق خلقا للسعادة وخلقا للشقاوة ثم يسر كلا لما خلق وهذا نص في الحديث الصحيح وجعل بعد ذلك الاختلاف في الدين على الحق هو امارة الشقاوة وبه علق العقاب فيصح ان يحمل قول الحسن هنا وللاختلاف خلقهم اي لثمرة الاختلاف وما يكون عنه من شقاوة او سعادة وقال اشهب سالت مالكا عن هذه الاية فقال خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير وقيل غير هذا و قوله تعالى وتمت كلمة ربك اي نفذ قضاؤه وحق امره واللام في لاملان لام قسم و قوله سبحانه وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وكلا مفعول مقدم بنقص وما بدل من قوله وكلا و نثبت به فؤادك اي نؤنسك فيما تلقاه

اولوا بقية

ويجعل لك الاسوة وجاءك في هذه الحق قال الحسن هذه اشارة الى دار الدنيا وقال
ابن عباس هذه اشارة الى السورة وهو قول الجمهور قال ع ووجه تخصيص هذه
السورة بوصفها بحق والقرآن كله حق ان ذلك يتضمن معنى الوعيد للكفرة والتنبيه
للناظر اي جاءك في هذه السورة الحق الذي اصاب الامم الماضية وهذا كما يقال
عند الشدائد جاء الحق وان كان الحق يأتي في غير الشدائد ثم وصف سبحانه ان ما تضمنته السورة
هو موعظة وذكرى للمؤمنين وقوله سبحانه وقل للذين لا يؤمنون اعملوا الاية آية وعيد
وقوله تعالى ولله غيب السموات والارض الاية آية تعظيم وانفراد بما لا حظ للمخلوق فيه ثم
امر سبحانه العبد بعبادته والتوكل عليه وفيهما زوال همه وصلاحه ووصوله الى
رضوان الله تعالى فقال فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون
اللهم اجعلنا ممن توكل عليك ووفقه لعبادتك كما ترضاه وصلى الله على سيدنا
محمد واله وصحبه وسلم تسليما بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما سورة يوسف عليه السلام هذه
السورة مكية والسبب في نزولها ان اليهود امروا كفار مكة ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه
عن السبب الذي احل بني اسرائيل بمصر فنزلت السورة وقيل سبب نزولها تسلية النبي صلى
الله عليه وسلم عما يفعله به قومه بما فعل اخوة يوسف بيوسف وسورة يوسف
لم يتكرر من معانيها شيء في القرآن كما تكررت قصص الانبياء ففيها حجة على من اعترض بان
الفصاحة تمكنت بترداد القول وفي تلك القصص حجة على من قال في هذه لو كررت
لفترت فصاحتها قوله عز وجل الر تلك ايات الكتاب المبين الكتاب هنا القرآن ووصفه
بالمبين من جهة بيان احكامه وحلاله وحرامه ومواعظه وهداه ونوره من جهة بيان
اللسان العربي وجودته والضمير في انزلناه للكتاب وقرآنا حال وعربيا صفة له وقيل
قرآنا توطئة للحال وعربيا حال وقوله سبحانه نحن نقص عليك احسن القصص الاية روي
ابن مسعود ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا لو قصصت علينا يا رسول
الله فنزلت هذه الاية ثم ملوا ملة فقالوا لو حدثتنا يا رسول الله فنزلت الله نزل
احسن الحديث كتابا متشابها الاية والقصص الاخبار بما جرى من الامور قوله بما اوحينا
اليك اي بوحينا اليك هذا والقرآن نعت لهذا ويجوز فيه البدل والضمير في قبله للقصص
العام لما في جهة القرآن منه ومن الغافلين اي عن معرفة هذا القصص وعبارة المهدوي
قال قتادة اي نحن نقص عليك من الكتب الماضية واخبار الامم السالفة احسن القصص
بوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين عن اخبار الامم انتهى وقوله سبحانه
اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قيل
انه رأى كواكب حقيقة والشمس والقمر فتأولها يعقوب اخوته وابويه وهو قول الجمهور وقيل
الاخوة والاب والخالة لان امه كانت ميتة وروي ان رؤيا يوسف خرجت بعد اربعين
سنة وقيل بعد ثمانين سنة وقوله قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك
كيدا من هنا ومن فعل اخوة يوسف بيوسف يظهر انهم لم يكونوا انبياء في ذلك الوقت و ما

وما وقع في كتاب الطبري لابن زيد انهم كانوا انبياء يرده القطع بعصمة الانبياء عن الحسد الدنياوي
وعن عقوق الاباء وتعريض مؤمن للهلاك والتوامر في قتله وقوله وكذلك يجتبيك ربك اي
يختارك ويصطفيك ويعلمك من تأويل الاحاديث قال مجاهد وغيره هي عبارة الرؤيا وقال
الحسن هي عواقب الامور وقيل هي عامة لذلك وغيره من المغيبات ويتم نعمته عليك الاية يريد النبوة
وما انضاف اليها من سائر النعم ويروى ان يعقوب علم هذا من دعوة اسحاق له حين تشبه
بعيصو وما في الاية بين وقوله سبحانه لقد كان في يوسف واخوته ايات للسائلين اذ كل احد
ينبغي ان يسأل عن مثل هذا القصص اذ هي مقر العبر والاتعاظ وقولهم واخوه يريدون به
يامين وهو اصغر من يوسف ويقال له بنيامين قيل وهو شقيقه احب الى ابينا منا اي
لصغرهما وموت امهما وهذا من حب الصغير هي فطرة البشر وقولهم ونحن عصبة اي جماعة تضر
وتنفع وتحمي وتخذل اي لنا كانت تنبغي المحبة والمراعاة والعصبة في اللغة الجماعة وقولهم لفي ضلال مبين
اي لفي انتلاف وخطاء في محبة يوسف واخيه وهذا هو معنى الضلال وانما يصغر قدره ويعظم
بحسب الشيء الذي يقع فيه الانتلاف ومبين معناه ظاهر للمتأمل وقولهم اواطرحوه ارضا اي
بارض بعيدة فارضا مفعول ثان باسقاط حرف الجر والضمير في بعده عائد على يوسف او قتله
وطرحه وصالحين قال مقاتل وغيره انهم ارادوا اصلاح الحال عند ابيهم والقائل منهم لا تقتلوا
هو روبيل اسنهم قاله قتادة وابن اسحق وقيل هو شمعون قاله مجاهد وهذا عطف منه على
اخيه لا محالة لما اراد الله من انفاذ قضائه والغيابة ما غاب عنك والجب البئر التي لم تطو
انتهى والسيارة جمع سيار وروي ان جماعة من الاعراب التقطت يوسف عليه السلام وقوله
سبحانه قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون الاية المتقدمة تقتضي ان
اباهم قد كان علم منهم ارادة السوء في جهة يوسف وهذه الاية تقتضي انهم علموا هو منه بعلمه
ذلك وقرأ ابو عمرو وابن عامر نرتع ونلعب بالنون فيهما واسكان العين والباء ونرتع على هذا
من الرتوع وهي الاقامة في الخصب والمرعى في اكل وشرب وقرأ ابن كثير نرتع ونلعب بالنون
فيهما وكسر العين واسكان الباء وقد روي عنه ويلعب بالياء ونرتع على هذا من رعاية
الابل وقال مجاهد من المراعات اي يرعى بعضنا بعضا ويحرسه وقرأ عاصم وحمزة والكسائي يرتع
ويلعب باسناد ذلك كله الى يوسف وقرأ نافع يرتع ويلعب فيرتع على هذا من رعاية الابل
قال ابو علي وقراءة ابن كثير نرتع بالنون ويلعب بالياء منتزعها حسن لاسناد النظر في المال و
الرعاية اليهم واللعب الى يوسف لصباه ولعبهم هذا داخل في اللعب المباح والمندوب كاللعب
بالخيل والرمي وعللوا طلبه والخروج به بما يمكن ان يستهوي يوسف لصباه من الرتوع واللعب و
النشاط وانما خاف يعقوب عليه السلام الذئب دون سواه وخصصه لانه كان الحيوان
العادي المنبث في القطر ولصغر يوسف واجمعوا معناه عزموا وقوله سبحانه واوحينا
اليه يحتمل ان يكون الوحي الى يوسف ح برسول ويحتمل ان يكون بالهام او بنوم وكل
ذلك قد قيل وقرأ الجمهور لتنبئنهم بالتاء من فوق وقوله وهم لا يشعرون قال ابن جريج معناه
لا يشعرون وقت التنبئة انك يوسف وقال قتادة لا يشعرون بوحينا اليك وقوله سبحانه
وجاءوا اباهم عشاء يبكون اي وقت العشاء وقرأ الحسن عشى على مثال دجى جمع عاشر

ومعنى ذلك اصابهم عشا من البكا او شبه العشا اذ كذلك هي عين الباكي لانه يتغاشى ومثل
شريح امراة تبكي وهي مبطلة ببكاها هولا وقرا الاية ونستبق معناه على الاقدام وقيل بالرمي
اي ننتضل هو نوع من المسابقة قاله الزجاج وقولهم وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق لنا في معتقدنا
وقوله سبحانه وجاءوا على قميصه بدم كذب روي انهم اخذوا سخلة او جديا فذبحوه ولطخوا به قميص

ولو كنا صادقين اي ولو كنا موثوقين بالصدق ويحتمل ان يكون قولهم ولو كنا صادقين م

يوسف وقالوا ليعقوب هذا قميصه فاخذه وبكا ثم تامله فلم ير خرقا ولا اثر ناب فاستدل بذلك
على كذبهم وقال لهم متى كان الذيب حليما ياكل يوسف ولا يخرق قميصه واستند الفقهاء الى هذه
في اعمال الامارات في مسائل كالقسامة بها قول مالك الى غير ذلك قال الشعبي كان في القميص ثلاث
ايات دلالته على كذبهم وشهادته في قده ورد بصر يعقوب به ووصف الدم بالكذب الذي هو مصدر

فصحح هذه القصة ابن عباس وغيره واجمعوا انه استدل على كذبهم بصحة القميص م

على جهة المبالغة ثم قال لهم يعقوب بل سولت لكم اي زينت وجعلت سولا ومرادا امرا اي صنعا
قبيحا بيوسف وقوله فصبر جميل اما على حذف المبتدا اي فشاني صبر جميل واما على حذف الخبر تقديره
فصبر جميل امثل وجميل الصبر ان لا تقع شكوى الى بشر وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بث لم يصبر
صبرا جميلا وقوله والله المستعان على ما تصفون تسليم لامر الله تعالى وتوكل عليه وقوله سبحانه
وجاءت سيارة فارسلوا واردهم قيل ان السيارة جاءت في اليوم الثاني من طرحه والسيارة
بناء مبالغة للذين يرددون السير في الطرق قال ص والسيارة جمع سيار وهو الكثير السير في الارض انتهى
والوارد هو الذي ياتي الماء يستقي منه لجماعته وهو يقع على الواحد وعلى الجماعة وروي ان مدلي
الدلو كان يسمى مالك بن دعر وروي ان هذا الجب الذي كان بالاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب
ويقال ادلى دلوه اذا القاه ليستقي الماء وفي الكلام حذف تقديره فتعلق يوسف بالحبل فلما بصر به
المدلي قال يا بشراي وروي ان يوسف كان يومئذ ابن سبع سنين ويرجح هذا لفظة غلام فانها
لما بين الحولين الى البلوغ فان قيلت فيما فوق ذلك فعلى استصحاب حال وتجوز وقرا نافع وغيره
يا بشراي باضافة البشرى الى المتكلم وبفتح الياء على ندائها كانه يقول احضري فهذا وقتك وقرا حمزة والكسائي
يا بشرى ويميلان ولا يضيفان وقرا عاصم كذلك الا انه يفتح الراء ولا يميل واختلف في تاويل هذه
القراءة فقال السدي كان في اصحاب الوارد رجل اسمه بشرى فناداه واعلمه بالغلام وقيل هو نداء البشرى
كما قدمناه وقوله سبحانه واسروه بضاعة قال مجاهد وذلك ان الوراد خشوا من تجار الرفقة
ان قالوا وجدناه ان يشاركوهم في الغلام الموجود يعني ويمنعوهم من تملكه ان كانوا خيارا
فاسروا بينهم ان يقولوا ابضعه معنا بعض اهل المصر وبضاعتها والبضاعة القطعة من المال
يتجر فيها بغير نصيب من الربح ماخوذة من قولهم بضعت اي قطعت وقيل الضمير في اسروه يعود على
اخوة يوسف وقوله سبحانه وشروه بثمن بخس شروه هنا بمعنى باعوه قال الداودي وعن ابي
عبيدة وشروه اي باعوه فاذا ابتعت انت قلت اشتريت انتهى وقال ابن العربي في احكامه
قوله تعالى وشروه بثمن بخس يقال شريت بمعنى بعت وشريت بمعنى اشتريت لغة انتهى وعلى هذا
فلا مانع من حمل اللفظ على ظاهره ويكون شروه بمعنى اشتروه قال ع روي ان اخوة يوسف
لما علموا ان الوراد قد اخذوه جاؤوهم فقالوا هذا عبد قد ابق منا ونحن نبيعه منكم
فقارهم يوسف على هذه المقالة خوفا منهم ولينفذ الله امره والبخس مصدر وصف به
الثمن وهو بمعنى النقص وقوله دراهم معدودة عبارة عن قلة الثمن لانها دراهم لم تبلغ

ان توزن

ان توزن لقلتها وذلك انهم كانوا لا يزنون ما كان دون الاوقية وهي اربعون درهما
وقوله سبحانه وكانوا فيه من الزاهدين وصف يترتب في اخوة يوسف وفي الوراد ولكنه في اخوة
يوسف اشد واما الوراد فان تمسكهم به وتجرهم يمانع زهدهم الا على تجوز قال ابن العربي

يوسف ادب اذ حقيقة الزهد في الشي اخراج حبه من القلب ورفضه من اليد وهذا كان حال اخوته م

في احكامه وكانوا فيه من الزاهدين اي اخوته والوراد اما اخوته فلان مقصودهم زوال عينه
واما الوراد فلانهم خافوا اشتراك اصحابهم معهم انتهى وقوله سبحانه وقال الذي اشتراه من مصر لامراته
اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا روي ان مبتاع يوسف ورد به مصر البلد المعروف ولذلك لا ينصرف فعرضه
في السوق وكان اجمل الناس فوقعت فيه مزايدة بلغ ثمنا عظيما فقيل وزنه من ذهب ومن فضة
ومن حرير فاشتراه العزيز وكان حاجب الملك وخازنه واسم الملك الريان بن الوليد وقيل مصعب بن
الريان وهو احد الفراعنة واسم العزيز المذكور قطيفين قاله ابن عباس وقيل اظفير وقيل قطور
واسم امراته راعيل قاله ابن اسحاق وقيل زليخا قال البخاري ومثواه مقامه وقوله او نتخذه ولدا اي نتبناه وكان
فيما يقال لا ولد له ثم قال تعالى وكذلك اي وكما وصفنا مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه فعلنا
ذلك والاحاديث الرؤيا في النوم قاله مجاهد وقيل احاديث الانبياء والامم والضمير في امره يحتمل ان يعود على
يوسف قاله الطبري ويحتمل ان يعود على الله عز وجل قاله ابن جبير فيكون اخبارا منها على قدرة الله
عز وجل ليس في شان يوسف خاصة بل عاما في كل امر والاشد استكمال القوة وتناهي بنية
الانسان وهما اشدان اولهما البلوغ والثاني الذي تستعمله العرب وقوله سبحانه اتيناه حكما
ويحتمل ان يريد بالحكم السلطان في الدنيا وحكما بين الناس وتدخل النبوة وتاويل الاحاديث وغير

يحتمل ان يريد بالحكم الحكمة والنبوة وهذا على الاشد الاعلى م

ذلك في قوله وعلما وقال ابن العربي اتيناه حكما وعلما الحكم هو العمل بالعلم انتهى وقوله سبحانه وكذلك
نجزي المحسنين عبارة فيها وعد للنبي صلى الله عليه وسلم اي فلا يهولنك فعل الكفرة وعتوهم عليك
فالله يصنع للمحسنين اجمل صنع وقوله سبحانه وراودته التي هو في بيتها عن نفسه المراودة هي
الملاطفة في السوق الى غرض والتي هو في بيتها هي زليخا امراة العزيز وقوله عن نفسه كناية
عن غرض المواقعة وظاهر هذه النازلة انها كانت قبل ان تنبأ عليه السلام وقولها هيت
لك معناه الدعاء اي تعال واقبل على هذا قال الحسن معناها هلم قال البخاري وقال عكرمة
هيت لك بالحورانية هلم وقال ابن جبير تعاله انتهى وقرا هشام عن ابن عامر هيت لك بكسر
الهاء والهمز وضم التاء ورويت عن ابي عمرو وهذا يحتمل ان يكون بمعنى تهيات ومعاذ نصب على
المصدر ومعنى الكلام اعوذ بالله ثم قال انه ربي احسن مثواي فيحتمل ان يعود الضمير في انه على
الله عز وجل ويحتمل ان يريد العزيز سيده اي فلا يصلح لي ان اخونه وقد اكرم مثواي وائتمنني
قال مجاهد وغيره ربي معناه سيدي واذا حفظ الادمي لاحسانه فهو عمل زاك واحرى ان يحفظ
ربه والضمير في قوله انه لا يفلح مراد به الامر والشان فقط وحكي عن بعض المفسرين ان يوسف عليه
السلام لما قال معاذ الله ثم دافع الامر باحتجاج وملاينة امتحنه الله تعالى بالهم بما هو به
ولو قال لا حول ولا قوة الا بالله ودافع بعنف وتغيير لم يهم بشي من المكروه وقوله سبحانه
وهم بها اختلف في هم يوسف فقال ع والذي اقول به في هذه الاية ان كون يوسف عليه
السلام نبيا في وقت هذه النازلة لم يصح ولا تظاهرت به رواية فاذا كان ذلك فهو مؤمن قد اوتي
حكما وعلما ويجوز عليه الهم الذي هو ارادة الشي دون مواقعته وان يستصحب الخاطر الردي

على ما في ذلك من الخطيئة وان فرضناه نبيا في ذلك الوقت فلا يجوز عليه عندي الا الهم
الذي هو الخاطر ولا يصح عندي شيء مما ذكر من حل تكة ونحو ذلك لان العصمة مع النبوة
وللهم بالشيء مرتبتان فالخاطر المجرد دون استصحاب يجوز عليه ومع استصحاب لا يجوز عليه
اذ الاجماع منعقد ان الهم بالمعصية واستصحاب التلذذ بها غير جائز ولا داخل في التجاوز
قلت قال عياض والصحيح ان شاء الله تنزيههم ايضا قبل النبوة من كل عيب وعصمتهم من
كل ما يوجب الريب ثم قال عياض بعد هذا واما قول الله سبحانه ولقد همت به وهم بها
لولا ان رأى برهان ربه فعلى طريق كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليس
بسيئة لقوله عليه السلام عن ربه اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية
في همه اذا واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس
سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق
فيكون ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الآية اي من هذا الهم
او يكون ذلك منه على طريق التواضع انتهى واختلف في البرهان الذي رآه يوسف فقيل
ناداه جبريل يا يوسف تكون في ديوان الانبياء وتفعل فعل السفهاء وقيل رأى يعقوب
عاضا على ابهامه وقيل غير هذا وقيل كان البرهان فكرته في عذاب الله ووعيده على المعصية و
البرهان في كلام العرب الشيء الذي يعطي القطع واليقين كان مما يعلم ضرورة او بخبر قطعي
او بقياس نظري وان في قوله لولا ان رأى في موضع رفع تقديره لولا رؤيته برهان
ربه لفعل وذهب قوم الى ان الكلام تم في قوله ولقد همت به وان جواب لولا في قوله وهم
بها وان المعنى لولا ان رأى البرهان لهم اي فلم يهم عليه السلام وهذا قول يرده لسان العرب
واقوال السلف ت وقد ساق عياض هذا القول مساق الاحتجاج به متصلا بما نقلناه عنه انفا
ولفظه وكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام
فيه تقديم وتأخير اي ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها وقد قال الله
عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقد قال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء
وقال معاذ الله الآية انتهى وكذا نقله الداودي ولفظه وقد قال سعيد بن الحداد في الكلام
تقديم وتأخير ومعناه انه لولا ان رأى برهان ربه لهم فلما رأى البرهان لم يهم انتهى
قال ابن العربي في احكامه وقد اخبر الله سبحانه عن حال يوسف من حين بلوغه بانه اتاه
حكما وعلما والحكم هو العمل وكلام الله صادق وخبره صحيح ووصفه حق فقد عمل يوسف
بما علمه الله من تحريم الزنا وتحريم خيانة السيد في اهله فما تعرض لامرأة العزيز ولا اناب
الى المراودة بل ادبر عنها وفر منها حكمة خص بها وعمل بما علمه الله تعالى وهذا يطمس وجوه
الجهلة من الناس والغفلة من العلماء في نسبتهم الى الصديق ما لا يليق واقل ما اقتحموا
من ذلك هتك السراويل والهم بالفتك فيما رواه من تأويل وحاشاه من ذلك فما لهؤلاء
المفسرين لا يكادون يفقهون حديثا يقولون فعل فعل والله تعالى قال انما هم بها قال
علماء الصوفية ان فائدة قوله تعالى ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما ان الله عز وجل اعطاه
العلم والحكم ايام غلبة الشهوة لتكون ذلك سببا للعصمة انتهى والكاف من قوله تعالى كذلك

لنصرف

لنصرف عنه السوء متعلقة بمضمر تقديره جرت افعالنا واقدارنا كذلك لنصرف
ويصح ان يكون الكاف في موضع رفع بتقدير عصمناه كذلك وقرأ ابن كثير وغيره المخلصين
بكسر اللام في سائر القرآن ونافع وغيره بفتحها وقوله تعالى واستبقا الباب الآية معناه
تسابق كل واحد منهما صاحبه الى الباب هي لترده الى نفسها وهو ليهرب عنها فقبضت في اعلى قميصه
فتخرق القميص عند طوقه ونزل التخريق الى اسفل القميص قال البخاري والفيا اي وجدا
الفوا اباهم وجدوهم انتهى والقد القطع واكثر ما يستعمل فيما كان طولا والقط يستعمل
فيما كان عرضا والفيا وجدا والسيد الزوج قاله زيد بن ثابت ومجاهد وقوله سبحانه
قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الآية قال نوف الشامي كان يوسف عليه السلام
لم يبن على كشف القصة فلما بغت عليه غضب فقال الحق فاخبر انها هي راودته عن نفسه
فروي ان الشاهد كان ابن عمها قال انظروا الى القميص وقال ابن عباس كان رجلا من خاصة
الملك قاله مجاهد وغيره والضمير في رأى هو للعزيز وهو القائل انه من كيدكن قاله الطبري
وقيل بل الشاهد قال ذلك ونزع بهذه الآية من يرى الحكم بالامارة من العلماء فانها معتمدهم
ويوسف في قوله يوسف اعرض عن هذا منادى قال ابن عباس ناداه الشاهد وهو الرجل
الذي كان مع العزيز اعرض عن هذا معناه عن الكلام به اي اكتمه ولا تتحدث به ثم رجع اليها
فقال واستغفري لذنبك اي استغفري زوجك وسيدك وقال من الخاطئين ولم يقل من
الخاطئات لان الخاطئين اعم وقوله سبحانه وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها
عن نفسه نسوة جمع قلة وجمع التكثير نساء ويروى ان هؤلاء النسوة كن اربعا امرأة خبازه
وامرأة ساقيه وامرأة بوابه وامرأة سجانه والعزيز الملك والفتى الغلام وعرفه في المملوك
ولكنه قد قيل في غير المملوك ومنه اذ قال موسى لفتاه واصل الفتى في اللغة الشاب
ولكن لما كان جل الخدمة شبابا استعير لهم اسم الفتى وشغفها معناه بلغ حتى صار من قلبها
موضع الشغاف وهو على اكثر القول غلاف من اغشية القلب وقيل الشغاف سويداء
القلب وقيل الشغاف داء يصل الى القلب فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن ليحضرن
واعتدت لهن متكأ اي اعدت ويسرت ما يتكأ عليه من فرش ووسائد وغير ذلك
وقرأ ابن عباس وغيره متكا بضم الميم وسكون التاء وتنوين الكاف واختلف في معناها
فقيل هو الاترج وقيل هو اسم يعم جميع ما يقطع بالسكين وقولها اخرج عليهن امر
ليوسف واطاعها بحسب الملك وقوله اكبرنه معناه اعظمنه واستهولن جماله هذا
قول الجمهور وقطعن ايديهن اي كثرن الحز فيها بالسكاكين وقرأ ابو عمرو وحده حاشا لله
وقرأ سائر السبعة حاش لله اي حاش يوسف لطاعته لله او لمكانته من الله ان يرمى
بما رميته به او يدعى الى مثله لان تلك افعال البشر وهو ليس منهم انما هو ملك هكذا
رتب بعضهم معنى هذا الكلام على القراءتين وقرأ الحسن وغيره ما هذا بشرا ان هذا الا
ملك كريم بكسر اللام من ملك وعلى هذه القراءة فالكلام فصيح لما استعظمن حسن صورته
قلن ما هذا مما يصلح ان يكون عبدا بشرا ان هذا الا مما يصلح ان يكون ملكا كريما قلت وفي
صحيح مسلم من حديث الاسراء ثم عرج بنا الى السماء الثالثة ففتح لنا فاذا انا بيوسف

صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطى شطر الحسن فرحب بى ودعا لى بخير انتهى وقولها فذلكن الذى لمتننى فيه المعنى فهذا الذى لمتننى فيه وقطعتن ايديكن بسببه هو الذى جعلنى ضالة فى هواه ثم اقرت امرأة العزيز للنسوة بالمراودة واستامنت اليهن فى ذلك اذ علمت انهن قد عذرنها واستعصم معناه طلب العصمة وتماسك بها وعصانى ثم جعلت تتوعده وهو يسمع لقولها ولئن لم يفعل ما آمره الآية واعترض ابو حيان بان تفسير استعصم باعتصم اولى من جعله للطلب اذ لا يلزم من طلب الشىء حصوله انتهى واللام فى ليسجنن لام القسم واللام الاولى هى الموذنة بمجىء القسم والصاغرون الاذلاء وقول يوسف عليه السلام رب السجن احب الى قوله من الجاهلين كلام يتضمن التشكى الى الله من حاله معهن واصب ماخوذ من الصبوة وهى فعال الصبا ومن ذلك قول دريد بن الصمة

صبا ما صبا حتى علا الشيب راسه فلما علاه قال للباطل ابعد

قال ص اصب معناه امل وهو جواب الشرط والصبا افراط الشوق انتهى فاستجاب له ربه اى اجابه الى ارادته وصرف عنه كيدهن فى ان احال بينه وبين المعصية وقوله سبحانه ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات ليسجننه حتى حين بدا معناه ظهر ولما ابا يوسف عليه السلام من المعصية ويئست منه امرأة العزيز طالبته بان قالت لزوجها ان هذا الغلام العبرانى قد فضحنى فى الناس وهو يعتذر اليهم ويصف الامر بحسب اختياره وانا محبوسة محجوبة فاما اذنت لى فخرجت الى الناس فاعتذرت وكذبته واما حبسته كما انا محبوسة فحينئذ بدا لهم سجنه وليسجننه جملة دخلت عليها لام القسم والآيات ذكر فيها اهل التفسير انها قد القميص وخمش الوجه وحز النساء ايديهن وكلام الصبى على ما روى قال ع ومقصد الكلام انما هو انهم رأوا سجنه بعد ظهور الآيات المبرئة له من التهمة فهكذا يبين ظلمهم له والحين فى كلام العرب وفى هذه الآية لوقت من الزمن غير محدود يقع للقليل والكثير وذلك بين من موارده فى القرآن وقوله سبحانه ودخل معه السجن فتيان الآية المعنى فسجنوه فدخل معه السجن غلامان سجنا ايضا وروى انهما كانا للملك الاعظم الوليد بن الريان احدهما خبازه واسمه مجلث والآخر ساقيه واسمه نبوا وروى ان الملك اتهمهما بان الخباز منهما اراد سمه ووافقه على ذلك الساقى فسجنهما قاله السدى فلما دخل يوسف السجن استمال الناس فيه بحسن حديثه وفضله ونبله وكان يسلى حزينهم ويعود مريضهم وينال لفقيرهم ويندبهم الى الخير فاحبه الفتيان ولزماه واحبه صاحب السجن والقيم عليه وكان يوسف عليه السلام قد قال لاهل السجن انى اعبر الرؤيا واجيد وروى عن ابن مسعود ان الفتيين استعملاها ليمتحناه فقط ليجرباه وروى عن مجاهد انهما راءا ذلك حقيقة فقال احدهما انى ارانى اعصر خمرا قيل فيه انه سمى العنب خمرا بالمآل وقيل هى لغة ازدعمان يسمون العنب خمرا وفى قراءة ابى وابن مسعود اعصر عنبا وقوله انا نراك من المحسنين قال الجمهور يريدان فى العلم وقال الضحاك وقتادة المعنى من المحسنين فى جريه مع اهل السجن واجماله معهم وقوله عز وجل لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما روى عن السدى وابن اسحق ان يوسف

عليا

عليه السلام لما ادعى الشرة تعبيرا منه راى الخبز وانها تؤذن بقتله ذهب الى غير ذلك من الحديث عسى ان لا يطالباه بالتعبير فقال لهما معلما بعظيم علمه للتعبير انهما لا يجيكما طعام فى منامكما تريان انكما رزقتماه الا اعلمتكما بتاويل ذلك الطعام اى بما يؤول اليه امره فى اليقظة قبل ان يظهر ذلك التاويل الذى اعلمكما به فروى انهما قالا ومن اين لك ما تدعيه من العلم وانت لست بكاهن ولا منجم فقال لهما ذلك مما علمنى ربى ثم نهض ينحى لهما على الكفر ويقبحه ويحسن الايمان بالله فروى انه قصد فى ذلك وجهين احدهما تنسيتهما امر تعبير ما سالا عنه اذ فى ذلك النذارة بقتل احدهما والآخر الطماعية فى ايمانهما لياخذ المقتول بحظه من الايمان وتسلم له آخرته وقال ابن جريج اراد يوسف عليه السلام لا ياتيكما طعام فى اليقظة قال ع فعلى هذا انما اعلمهم بانه يعلم مغيبات لا تتعلق لهما برؤيا وقصد بذلك احد الوجهين المتقدمين وهذا على ما روى انه نبى فى السجن فاخبارة كاخبار عيسى عليه السلام وقوله تركت مع انه لم يتشبث بها جائز صحيح وذلك انه اخبر عن تجنبه من اول بالترك وساق لفظ الترك استجلابا لهما عسى ان يتركا الترك الحقيقى الذى هو بعد الاخذ فى الشىء والقوم المتروك ملتهم الملك واتباعه واتبعت الآية تمادى من يوسف عليه السلام فى دعائهما الى الملة الحنيفية وقوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شىء من هى الزائدة المؤكدة التى تكون مع الجحود وقوله لا يشكرون يريد الشكر التام الذى فيه الايمان بالله عز وجل وقوله يا صاحبى السجن ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار وصفه لهما بصاحبى السجن من حيث سكناه كما قال اصحاب الجنة واصحاب النار ونحو ذلك ويحتمل ان يريد صحبتهما له فى السجن كانه قال يا صاحبى فى السجن وعرضه عليهما بطلان امر الاوثان بان وصفها بالتفرق ووصف الله تعالى بالوحدة والقهر تلطف حسن واخذ بيسير الحجة قبل كثيرها الذى ربما نفرت منه طباع الجاهل وعاندته وهكذا الوجه فى محاجة الجاهل ان يؤخذ بدرجة يسيرة من الاحتجاج يقبلها فاذا قبلها لزمته عنها درجة اخرى فوقها ثم كذلك ابدا حتى يصل الى الحق وان اخذ الجاهل بجميع المذهب الذى يساق اليه دفعة اباه للحين وعانده ولقد ابتلى بارباب متفرقين من يخدم ابناء الدنيا ويؤملهم وقوله ما تعبدون من دونه الا اسماء الآية المعنى ما تعبدون من دونه الوهية ولا لكم تعلق بالاله الا بحسب ان سميتم اصنامكم آلهة فليست عبادتكم لاله الا بالاسم فقط لا بالحقيقة واما الحقيقة فهى وسائر الحجارة والخشب سواء وانما تعلقت عبادتكم بحسب الاسم الذى وضعتم فذلك هو معبودكم ومفعول سميتم الثانى محذوف تقديره آلهة هذا على ان الاسماء يراد بها ذوات الاصنام واما على المعنى المختار من ان عبادتهم انما هى لمعان تعطيها الاسماء وليست موجودة فى الاصنام فقوله سميتموها بمنزلة وضعتموها ان الحكم الا لله اى ليس لاصنامكم والقيم معناه المستقيم واكثر الناس لا يعلمون لجهالتهم وكفرهم ثم نادى يا صاحبى السجن ثانية لتجتمع انفسهما لسماع الجواب فروى انه قال لنبوا اما انت فتعود الى مرتبتك وسقاية ربك وقال لمجلث اما انت فتصلب وذلك كله بعد ثلاث فروى انهما قالا له ما راينا شيئا وانما تحالمنا لنجربك وروى انه لم يقل ذلك الا الذى حدثه بالصلب

الا اسماء اى مسميات ويحتمل وهو الراجح المختار ان يريد ما تعبدون من دونه

وقيل كانا رايا شيئا فانكرا فاخبرهما يوسف عن غيب علمه من الله تعالى ان الامر قد قضي
ووافق القدر وقوله وقال للذي ظن انه ناج منهما الاية الظن هنا بمعنى اليقين لان
ما تقدم من قوله قضي الامر يلزم ذلك وقال قتادة الظن هنا على بابه لان عبارة
الرؤيا ظن قال ع وقول يوسف عليه السلام قضي الامر دال على وحي ولا يترتب قول قتادة
الا بان يكون معنى قوله قضي الامر اي قضي كلامي وقلت ما عندي وتم والله اعلم بما يكون
بعد وفي الاية تاويل اخر وهو ان يكون ظن مسندا الى الذي قيل له انه يسقي ربه خمرا لانه
داخله السرور بما بشره وعلى غلب ظنه ومعتقده انه ناج وقوله اذكرني عند ربك يحتمل ان
يريد ان يذكره بعلمه ومكانته ويحتمل ان يذكره بمظلمته وما امتحن به بغير حق او يذكره
بجملة ذلك والضمير في انساه قيل هو عائد على يوسف اي نسي في ذلك الوقت ان يشتكي
الى الله فروي ان جبريل جاءه فعاتبه عن الله عز وجل في ذلك قيل اوحى الله اليه يا يوسف من
اتخذت دوني وكيلا لاطيلن سجنك والله اعلم بصحته وقيل الضمير في انساه عائد على الساقي قاله ابن
اسحق اي نسي ذكر يوسف عند ربه وهو الملك والبضع مختلف فيه والاكثر انه من الثلث
الى العشر قاله ابن عباس وعلى هذا فقه مذهب مالك في الدعا والايمان وقال قتادة البضع
من الثلث الى التسعة ويقوي هذا قوله صلى الله عليه وسلم لابي بكر الصديق في قصة
خطره مع قريش في غلبة الروم لفارس اما علمت ان البضع من الثلث الى التسع وقوله سبحانه
وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف يروى انه قال رايتها خارجة
من نهر وراها سبع عجاف فاكلت تلك السمان وحصلت في بطونها وراى السنابل ايضا
كما ذكر والعجاف التي بلغت غاية الهزال ثم قال لحاضريه يا ايها الملأ افتوني في رؤياي
ان كنتم للرؤيا تعبرون وعبارة الرؤيا ماخوذة من عبر النهر وهو تجاوزه من شط الى شط
فكان عابر الرؤيا ينتهي الى تاويلها قال ص وانما لم يضف سبع الى عجاف لان اسم العدد
لا يضاف الى الصفة الا في الشعر انتهى وقوله سبحانه قالوا اضغاث احلام الاية الضغث
في كلام العرب اقل من الحزمة واكثر من القبضة من النبات والعشب ونحوه وربما كان ذلك من جنس
واحد وربما كان من اخلاط النبات والمعنى ان هذا الذي رايته ايها الملك اختلاط من الاحلام
بسبب النوم ولسنا من اهل العلم بما هو مختلط ورديء والاحلام جمع حلم وهو ما يخيل الى الانسان في
منامه والاحلام والرؤيا مما اثبتته الشريعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله
وهي المبشرة والحلم المحزن من الشيطان فاذا راى احدكم ما يكره فليتفل عن يساره ثلاث وليقل
اعوذ بالله من شر ما رايت فانها لا تضره وما كان عن حديث النفس في اليقظة فانها لا يلتفت اليه
ولما سمع الساقي الذي نجا هذه المقالة من الملك ومراجعة اصحابه تذكر يوسف وعلمه بالتاويل
فقال مقالته في هذه الاية وادكر اصله اذتكر من الذكر قلبت التاء دالا وادغم الاول في الثاني
وقرا الجمهور الناس بعد امة وهي المدة من الدهر وقرا ابن عباس رضي الله عنهما بعد امه وهو النسيان
وقرا مجاهد وشبل بعد امه بسكون الميم وهو مصدر من امه اذا نسي ويقوله اذكر تقوى
قول من قال ان الضمير في انساه عائد على الساقي والامر محتمل وقرا الجمهور انا انبئكم وقرا
الحسن بن ابي الحسن انا انبيكم وكذلك في مصحف ابي وقوله فارسلون استيذان في المضي

وقوله يوسف ايها الصديق افتنا المعنى فجاء الرسول وهو الساقي الى يوسف فقال له يوسف
ايها الصديق وسماه صديقا من حيث كان جرب صدقه في غير ما شيء وهو بناء مبالغة من الصدق
ثم قال له افتنا في سبع بقرات اي فيمن راى في المنام سبع بقرات وقوله لعلهم يعلمون اي
تاويل هذه الرؤيا فيزول هم الملك لذلك وهم الناس وقيل لعلهم يعلمون مكانتك من العلم
وكنه فضلك فيكون ذلك سببا لتخلصك ودابا معناه ملازمة لعادتكم في الزراعة وقوله
فما حصدتم فذروه في سنبله اشارة الى براي نافع بحسب طعام مصر وحنطتها التي لا تبقى عامين
بوجه الا بحيلة ابقائها في السنبل والمعنى اتركوا الزرع في السنبل الا ما لا غنى عنه للاكل فيجتمع
الطعام هكذا ويتركب ويوكل الاقدم فالاقدم وروي ان يوسف عليه السلام لما خرج ووصف
هذا الترتيب للملك واعجبه امره قال له الملك قد اسندت اليك تولي هذا الامر في الاطعمة
هذه السنين المقبلة فكان هذا اول ما ولي يوسف وتحصنون معناه تحرزون وتخزنون
قاله ابن عباس وهو ماخوذ من الحصن وهو الحرز والملجا ومنه تحصن النساء لانه بمعنى التحرز
وقوله يغاث الناس جائز ان يكون من الغيث وهو قول ابن عباس وجمهور المفسرين اي يمطرون
ويجوز ان يكون من اغاثهم الله اذا فرج عنهم ومنه الغوث وهو الفرج وفيه يعصرون قال
جمهور المفسرين هي من عصر النباتات كالزيتون والعنب والقصب والسمسم والفجل ومصالحهم كلها
كثيرة وقوله سبحانه وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول الاية لما راى الملك وحاضروه نبل
التعبير وحسن الراي وتضمن الغيب في امر العام الثامن مع ما وصف به من الصدق عظم يوسف في نفس
الملك وقال ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك يعني الملك فاساله ما بال النسوة اللاتي
قطعن ايديهن وقصده عليه السلام بيان براءته من الامر كله وتنكب عن ذكر امراة العزيز حسن عشرة ورعاية
لذمام ملك العزيز له وفي صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك عن النبي صلى
الله عليه وسلم ولو لبثت لبث يوسف لاجبت الداعي المعنى لو كنت انا لبادرت بالخروج ثم حاولت
بيان عذري بعد ذلك وذلك ان هذه القصص والنوازل انما هي معرضة ليقتدي الناس بها
الى يوم القيامة فاراد صلى الله عليه وسلم حمل الناس على الاحزم من الامور وذلك ان التارك لمثل هذه
الفرصة ربما نتج له بسبب خلاف مقصوده وان كان يوسف قد امن من ذلك بعلمه من الله فغيره من
الناس لا يامن ذلك فالحالة التي ذهب النبي صلى الله عليه وسلم نفسه اليها حالة حزم وما فعله يوسف لتقتدى
به وما فعله يوسف عليه السلام حالة صبر وتجلد قال ابن العربي في احكامه وانظر الى عظيم حلم يوسف
عليه السلام ووفور ادبه كيف قال ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن فذكر النساء جملة لتدخل فيهن
امراة العزيز مدخل العموم بالتلويح دون التصريح انتهى وهذه كانت اخلاق نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم اذ كان لا يقابل احدا بمكروه وانما يقول ما بال اقوام يفعلون كذا من غير تعيين وبالجملة
فكل خصلة حميدة مذكورة في القرآن اتصف بها الانبياء والاصفياء فقد اتصف
بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان خلقه القرآن كما روته عائشة في الصحيح وكما
ذكر الله سبحانه اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده انتهى وقوله ان ربي بكيدهن عليم
فيه وعيد وقوله ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه المعنى فجمع الملك النسوة وامراة العزيز
معهن وقال لهن ما خطبكن الاية اي اي شيء كانت قصتكن فجاوب النساء بجواب جيد تظهر

رآه وتحقق منزلته من العفة والخير ومن
عفته بطرفه اذا وقع نظره عليه باسم

منه براءة انفسهن واعطين يوسف بعض براءة فقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء فلما سمعت
امراة العزيز مقالتهن وحيدتهن حضرتها بنية وتحقيق فقالت الآن حصحص الحق
اي تبين الحق بعد خفائه قاله الخليل وغيره قال البخاري حاش وحاشى تنزيه واستثناء
وحصحص وضح انتهى ثم اقرت على نفسها بالمراودة والتزمت الكذب وابرأت يوسف البراءة
التامة منه وقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب الى قوله ان ربي غفور رحيم اختلف فيه
اهل التاويل هل هو من قول يوسف او من قول امراة العزيز وقوله سبحانه وقال الملك
ائتوني به استخلصه لنفسي المعنى ان الملك لما تبينت له براءة يوسف وتحقق في القصة
امانته وفهم ايضا صبره وعلو همته عظمت منزلته وتيقن حسن خلاله فقال ائتوني به
استخلصه لنفسي فلما جاءه وكلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال ابن العربي في
احكامه قوله انك اليوم لدينا مكين امين اي متمكن مما اردت امين على ما ائتمنت عليه
من شيء اما امانته فلظهور براءته واما مكانته فلثبوت عفته ونزاهته انتهى ولما فهم
يوسف عليه السلام من الملك انه عزم على تصريفه والاستعانة بنظره قال اجعلني على خزائن
الارض لما في ذلك من مصالح العباد قال ع وطلبة يوسف عليه السلام للعمل انما هي حسبة
منه عليه السلام لرغبته في ان يقع العدل وجائز ايضا للمرء ان يثني على نفسه بالحق
اذا جهل امره والخزائن لفظ عام لجميع ما تختزنه المملكة من طعام ومال وغيره وقوله
وكذلك مكنا ليوسف في الارض الاشارة بذلك الى جميع ما تقدم من جميل صنع الله
به فروي ان العزيز مات في تلك الليالي وقال ابن اسحاق بل عزله الملك ثم مات اظفير
فولاه الملك مكانه وزوجه زوجته فلما دخل عليها عروسا قال لها اليس هذا خيرا
مما كنت اردت فدخل يوسف بها فوجدها بكرا وولدت له ولدين وروي ايضا
ان الملك عزل العزيز وولى يوسف موضعه ثم عظم ملك يوسف وتغلب على حال
الملك اجمع قاله مجاهد واسلم الملك اخر امره ودرس امر العزيز وذهبت دنياه ومات
وافتقرت زوجته وشاخت فلما كان في بعض الايام لقيت يوسف في طريق والجنود
حوله ووراءه وعلى رأسه بنود عليها مكتوب هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني
وسبحان الله وما انا من المشركين فصاحت به وقالت سبحان من اعز العبيد بالطاعة
واذل الارباب بالمعصية فعرفها وقالت له تعطف علي وارزقني شيئا فدعا لها وكلمها واشفق
لحالها ودعا الله تعالى فرد عليها جمالها وتزوجها روي في نحو هذا من القصص ما لا يوقف
على صحته ويطول الكلام بسوقه وباقي الاية بين واضح للمستبصرين ونور وشفاء القلوب
العارفين قوله ليوسف ابو البقاء اللام زائدة اي مكنا يوسف ويجوز ان لا تكون
زائدة فالمفعول محذوف اي مكنا ليوسف الامور انتهى وقوله سبحانه وجاء اخوة
يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون قال السدي وغيره سبب مجيئهم
ان المجاعة اتصلت ببلادهم وكان الناس يمتارون من عند يوسف وهو في
رتبة العزيز المتقدم وكان لا يعطي الوارد اكثر من حمل بعير يسوي بين الناس فلما
ورد اخوته عرفهم ولم يعرفوه لبعد العهد وتغير سنه ولم يقع لهم بسبب ملكه م

ولسانه

ولسانه م
القبطي ظن عليه وروي في بعض القصص انه لما عرفهم اراد ان يخبروه بجميع امرهم فباحثهم
بان قال لهم بترجمان اظنكم جواسيس فاحتاجوا الى التعريف بانفسهم فقالوا نحن ابناء رجل
صديق وكنا اثني عشر ذهب منا واحد في البرية وبقي اصغرنا عند ابينا وجئنا نحن للميرة
وسقنا بعير الباقي منا وكانوا عشرة ولهم احد عشر بعيرا فقال لهم يوسف ولم تخلف احدكم
قالوا لمحبة ابينا فيه قال فاتوني بهذا الاخ حتى اعلم حقيقة قولكم وارى لم احبه ابوكم اكثر
منكم ان كنتم صادقين وروي في القصص انهم وردوا مصر واستاذنوا على العزيز فانتسبوا
في الاستيذان فعرفهم وامر بانزالهم وادخلهم في ثاني يوم على هيئة عظيمة للملكة وروي انه كان
متلثما ابدا سترا لجماله وانه كان يأخذ الصواع فينقره ويفهم من طنينه صدق الحديث من
كذبه فسألوا عن اخبارهم فكلما صدقوا قال لهم يوسف عليه السلام صدقتم فلما قالوا وكان
لنا اخ اكله الذئب اطن يوسف الصواع وقال كذبتم ثم تغير لهم وقال اراكم جواسيس وكلفهم
سوق الاخ الباقي ليظهر صدقهم في ذلك في قصص طويل جاءت الاشارة اليه في القرآن والجهاز
ما يحتاج اليه المسافر من زاد ومتاع وقوله بأخ لكم ص نكره ليريهم انه لا يعرفه وفرق بين مررت بغلام
لك وغلامك ففي الاول انت جاهل به وفي الثاني انت عالم به لان التعريف يفيد نوع عهد
في الغلام بينك وبين المخاطب انتهى وقول يوسف الا ترون اني اوفي الكيل الاية يرغبهم في نفسه
اخرا ويؤنسهم ويستميلهم والمنزلين يعني المضيفين ثم توعدهم بقوله فان لم تأتوني به
فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اي في المستانف وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
كان يوسف يلقي حصاة في اناء فضة مخوص بالذهب فيطن فيقول لهم ان هذا الاناء يخبرني
ان لكم ابا شيخا وروي ان ذلك الاناء به كان يكيل الطعام اظهارا لعزته بحسب غلائه وروي
ان يوسف استوفى في تلك السنين اموال الناس ثم املاكهم وظاهر كل ما فعله يوسف
معهم انه بوحي وامر والا فكان بر يعقوب يقتضي ان يبادر اليه ويستدعيه لكن الله تعالى
اعلمه بما يصنع ليكمل اجر يعقوب ومحنته وتتفسر رؤيا الاولى وقوله لعلهم يعرفونها يريد
لعلهم يعرفون لها يدا وتكرمة يرون حقها فيرغبون في الرجوع الينا واما رد البضاعة فاوجه
فيه لعل وقيل قصد يوسف برد البضاعة عليهم ان يتحرجوا من اخذ الطعام بلا ثمن فيرجعوا لدفع الثمن
وهذا ضعيف من وجوه وسرورهم بالبضاعة وقولهم هذه بضاعتنا ردت يكشف ان
يوسف لم يقصد هذا وانما قصد ان يستميلهم ويصلهم ويظهر ان ما فعله يوسف من صلتهم
وجبرهم في تلك الشدة كان واجبا عليه وقيل علم عدم البضاعة والدراهم عند ابيه فرد البضاعة
اليهم لئلا يمنعهم العدم من الرجوع اليه وقيل جعلها توطئة لجعل السقاية في رحل اخيه بعد ذلك
ليبين انه لم يسرق لمن يتامل القصة والظاهر من القصة انه انما اراد الاستيلاف وصلة الرحم
اصل نكتل نكتيل وقولهم منع منا الكيل ظاهره انهم اشاروا الى قوله فلا كيل لكم عندي فهو خوف
في المستانف وقيل اشاروا الى بعير يامين والاول ارجح ثم تضمنوا له حفظه وحيطته
وقول يعقوب عليه السلام هل آمنكم عليه الاية هل توقيف وتقرير ولم يصرح بمنعهم لما راى
في ذلك من المصلحة لكنه اعلمهم بقلة طمانينته اليهم ولكن ظاهر امرهم انهم قد انابوا الى الله
سبحانه وانتقلت حالهم فلم يخف على يامين كخوفه على يوسف وقرأ نافع وغيره خير حفظا

وقرا حمزة وغيره خير حافظا ونصب ذلك في القرائين على التمييز وينبغي ان يحفظ الله خير من
حفظكم فاستسلم يعقوب عليه السلام لله وتوكل عليه وقولهم ما نبغي يحتمل ان تكون
ما استفهاما قاله قتادة ونبغي من البغية اي ماذا نطلب بعد هذه التكرمة هذا
مالنا رد الينا مع ميرتنا قال الزجاج ويحتمل ان تكون ما نافية اي ما بقي لنا ما نطلب ويحتمل
ايضا ان تكون ايضا نافية ونبغي من البغي اي ما تعدينا فكذبنا على هذا الملك ولا في وصف
اجماله واكرامه هذه البضاعة ردت وقرا ابو حيوة ما تبغي على مخاطبة يعقوب ويحتمل
بمعنى ما تريد وما تطلب وقولهم ونزداد كيل بعير يريد بعير اخيهم اذ كان يوسف انما حمل
لهم عشرة ابعرة ولم يحمل الحادي عشر لغيبة صاحبه وقولهم ذلك كيل يسير قيل معناه يسير
على يوسف ان يعطيه وقال السدي يسير اي سريع لا نحبس فيه ولا نمطل وقوله فلما اتوه موثقهم
الاية اي لما عاهدوه اشهد الله بينه وبينهم بقوله الله على ما نقول وكيل والوكيل القيم الحافظ
الضامن وقوله الا ان يحاط بكم لفظ عام لجميع وجوه الغلبة وانظر ان يعقوب عليه السلام
قد توثق في هذه القضية واشهد الله تعالى ووصى بنيه واخبر بعد ذلك بتوكله فهذا توكل
مع سبب وهو توكل جميع المؤمنين الا من شذ في رفض السعي بالكلية وقنع بالماء وبقل
البرية فتلك غاية التوكل وعليها بعض الانبياء عليهم السلام والشاذون منهم متبتلون
سنين التسبب الجائز قال الشيخ العارف بالله عبد الله بن ابي جمرة رضي الله عنه وقد اشتمل
القرآن على احكام عديدة فمنها التعلق بالله تعالى وترك الاسباب ومنها عمل الاسباب في الظاهر
وخلو الباطن من التعلق بها وهو اجلها وازكاها لان ذلك جمع بين الحكمة وحقيقة التوحيد
وذلك لا يكون الا للافراد الذين من الله عليهم بالتوفيق ولذلك مدح الله تعالى يعقوب
عليه السلام في كتابه فقال وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانه عمل الاسباب
واجتهد في توفيتها وهو مقتضى الحكمة ثم رد الامر كله لله تعالى واستسلم اليه وهو حقيقة
التوحيد فقال وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله فاثنى الله تعالى عليه من اجل جمعه
بين هاتين الحالتين العظيمتين انتهى وقوله لا تدخلوا من باب واحد قيل خشي عليهم
العين لكونهم احد عشر لرجل واحد وكانوا اهل جمال وبسطة قاله ابن عباس
وغيره وقوله سبحانه ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم روي انه لما ودعوا اباهم قال
لهم بلغوا ملك مصر سلامي وقولوا له ان ابانا يصلي عليك ويدعو لك ويشكر صنيعك
معنا وفي كتاب ابي منصور انه خاطبه بكتاب قرئ على يوسف فبكى وقوله سبحانه ما كان
يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها اعتبابه قولهم لم يكن في ذلك
دفع قدر الله بل كان اربا ليعقوب قضاه فالاستثناء ليس من الاول والحاجة هي ان
يكون طيب النفس بدخولهم من ابواب متفرقة خوف العين ونظير هذا الفعل ان النبي
صلى الله عليه وسلم سد كوة في قبر بحجر وقال ان هذا لا يغني شيئا الا انه تطييب لنفس الحي
ثم اثنى الله عز وجل على يعقوب بانه لقن ما علمه الله من هذا المعنى وان اكثر الناس ليس
كذلك وقال قتادة معناه لعامل بما علمه وقال سفيان من لا يعمل لا يكون عالما قال ع وهذا
لا يعطيه اللفظ اما انه صحيح في نفسه يرجحه المعنى وما تقتضيه منزلة يعقوب عليه السلام

وقوله

وقوله اني انا اخوك قال ابن اسحاق وغيره اخبره بانه اخوه حقيقة واستكتمه وقال له لا تبالي بكل
ما تراه من المكروه في تحيلي في اخذك منهم وكان يامين شقيق يوسف وقوله فلا تبتئس بما كانوا
يعملون يحتمل ان يشير الى ما عمله الاخوة ويحتمل الاشارة الى ما يعمله فتيان يوسف من امر
السقاية ونحو ذلك وتبتئس من البؤس اي لا تحزن ولا تهتم وهكذا عبر المفسرون وقوله
سبحانه فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون
هذا من الكيد الذي يسره الله ليوسف عليه السلام وذلك انه كان في دين يعقوب
ان يستعبد السارق وكان في دين مصران يضرب ويضعف عليه الغرم فعلم يوسف ان اخوته
لثقتهم ببراءة ساحتهم سيدعون في السرقة الى حكمهم فتحيل لذلك واستسهل الامر على ما فيه
من رمي ابرياء وادخال الهم على يعقوب وعليهم لما علم في ذلك من الصلاح في الاجل وبوحي
لا محالة وارادة من الله محنتهم بذلك والسقاية الاناء الذي به يشرب الملك وبه كان يكيل
الطعام للناس هكذا نص جمهور المفسرين ابن عباس وغيره وروي انه كان من فضة وهذا
قول الجمهور وكان هذا الجعل بغير علم من يامين قاله السدي وهو الظاهر فلما فصلت
العير باوقارها وخرجت من مصر فيما روي امر بهم فحبسوا واذن مؤذن ايتها العير
انكم لسارقون ومخاطبة العير مجاز والمراد اربابها قلت قال الهروي قوله تعالى ايتها العير العير
الابل والحمير التي يحمل عليها الاحمال واراد اصحاب العير وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم يا خيل
الله اركبي اراد يا اصحاب خيل الله اركبي وانث ايتها لانه جعلها للعير وهي جماعة انتهى فلما سمع اخوة
يوسف هذه المقالة اقبلوا عليهم وساءهم ان يرموا بهذه المنقبة وقالوا ماذا تفقدون
ليقع التفتيش فتظهر براءتهم ولم يلوذوا بالانكار من اول بل سالوا كمال الدعوى عسى ان
يكون فيها ما تبطل به فلا يحتاج الى خصام قالوا نفقد صواع الملك وهو المكيال وهو السقاية
قال ابو عبيدة يؤنث الصواع من حيث سمي سقاية ويذكر من حيث هو صواع قلت ولفظ ابي
عبيد الهروي قال الاخفش الصاع يذكر ويؤنث قال الله تعالى ثم استخرجها من وعاء
اخيه فانث وقال ولمن جاء به حمل بعير فذكر لانه عني به الصواع انتهى وقوله ولمن جاء به حمل
بعير اي لمن دل على سارقه وجبر الصواع وهذا جعل والزعيم الضامن في كلام العرب وقوله
تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض روي ان اخوة يوسف كانوا ردوا البضاعة الموجودة
في الرحال وتحرجوا من اخذ الطعام بلا ثمن فلذلك قالوا لقد علمتم اي لقد علمتم منا التحري
وروي انهم كانوا قد اشتهروا بمصر بصلاح وتعفف وكانوا يجعلون الاكمة في افواه ابلهم
لئلا تنال زروع الناس فلذلك قالوا لقد علمتم والتاء في تالله بدل من الواو ولا تدخل التاء في القسم
الا في هذا الاسم قال ابن العربي في احكامه قال الطبري قوله تعالى فهو جزاؤه من وجد في رحله
على حذف مضاف تقديره جزاؤه استعباده واسترقاقه من وجد في رحله انتهى وقولهم كذلك
نجزي الظالمين اي هذه سنتنا وديننا في اهل السرقة ان يتملك السارق كما تملك هو الشيء
المسروق وقوله سبحانه فبدا باوعيتهم الاية بداوة ايضا من اوعيتهم تمكين للحيلة وابعاد الظهور
الحيلة واضاف الله سبحانه الكيد الى ضميره لما خرج القدر الذي ابيح به ليوسف اخذ اخيه
مخرج ما هو في اعتقاد الناس كيد وقال السدي والضحاك كدنا معناه صنعنا ودين الملك فسره

وقوله وانا به زعيم قال ...الزعيم هو المؤذن
الذي قال ايتها العير

ابن عباس بسلطانه وفسره قتادة بالقضاء والحكم وهذا متقارب قال ابن العربي في احكامه
قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك اذ كان الملك لا يرى استرقاق
السارق وانما كان دينه ان يأخذ المجني عليه من السارق مثلي السرقة الا ان يشاء الله التزام
الاخوة لدين يعقوب بالاسترقاق فقضى عليهم به انتهى قال ع والاستثناء في هذه الآية حكاية
حال التقدير الا ان شاء الله ما وقع من هذه الحيلة وروى ابو عمر بن عبد البر بسنده عن مالك عن زيد
انه قال في قوله عز وجل نرفع درجات من نشاء قال بالعلم انتهى من كتاب العلم وقوله وفوق كل ذي
علم عليم المعنى ان البشر في العلم درجات فكل عالم فلا بد من اعلم منه فاما من البشر واما الله عز وجل
فهذا تأويل الحسن وقتادة وابن عباس وروى ايضا عن ابن عباس انما العليم الله وهو فوق
كل ذي علم عليم قال ابن عطاء الله في التنوير اعلم ان العلم حيث ما تكرر في الكتاب العزيز وفي
السنة فانما المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة انتهى قال الشيخ
العارف ابو القاسم عبد الرحمن بن يوسف اللجاي رحمه الله اذا كملت للعبد ثلاث خصال وصدق فيها انفجر
العلم من قلبه على لسانه وهي الزهد والاخلاص والتقوى قال ع ولا مطمع في هذا العلم المذكور الا بعد
معالجة القلب من علله التي تشينه والطمع والحرص والفسوق والمداهنة والحقد والعداوة
وكلما عددناه من العلل وما لم نعدده راجع الى اصل واحد وهو حب الدنيا لانها عنه يتفرع
كل شر وعنه يتشعب كل قبيح فاذا زالت هذه العلل ظهر الصدق والاخلاص والتواضع والحلم و
الورع والقناعة والزهد والصبر والرضا والانس والمحبة والشوق والتوكل والخشية والحزن
وقصر الامل وامتزاج النية بالعمل فينبع العلم وينتفي الجهل ويضيء القلب بنور الهدى وينبلج
الايمان وتتضح المعرفة ويتسع اليقين ويتقوى الالهام وتبدو الفراسات ويصفى السر
وتنجلي الاسرار وتوجد الفوائد قال رحمه الله وليس بين العبد والترقي من سفل الى علو الا حب
الدنيا فان الترقي يتعذر من اجل حبها لانها جاذبة الى العالم الظلماني وطباع النفوس لذلك
مائلة فان اردت ان تقتفي اثر الذاهبين الى الله تعالى فاستخف بدنياك وانظرها
بعين الزوال وانزل نفسك عند اخذ القوت منها منزلة المضطر الى الميتة والسلام انتهى
وروي ان المفتش كان اذا فرغ من رحل رحل فلم يجد فيه شيئا استغفر الله عز وجل
من فعله ذلك وظاهر كلام قتادة وغيره ان المستغفر هو يوسف حتى انتهى الى رحل
بنيامين فقال ما اظن هذا الفتى رضي بهذا ولا اخذ شيئا فقال له الاخوة والله لا تبرح
حتى تفتشه فهو اطيب لنفسك ونفوسنا ففتش رحله فاخرج السقاية وروي ان اخوة يوسف
لما رأوا ذلك عنفوا بنيامين وقالوا له كيف سرقت هذه السقاية فقال لهم والله ما فعلت
فقالوا له من وضعها في رحلك قال الذي وضع البضاعة في رحالكم والضمير في قوله استخرجها
عائد على السقاية ويحتمل على السرقة وقوله سبحانه قالوا ان يسرق اي قال اخوة يوسف ان هذا
قد سرق فغير بدع من ابني راحيل لان اخاه يوسف قد كان سرق فهذا من الاخوة
انحاء على ابني راحيل يوسف ويامين وهذه الاقوال منهم عليهم السلام انما كانت بحسب
الظاهر وموجب الحكم في النازلتين فلم يعنوا في غيبة ليوسف وانما قصدوا الاخبار
بامر جرى لتزول المعرة عنهم وتختص بهذين الشقيقين واما ما روي في سرقة يوسف

فالجمهور

فالجمهور على ان عمته كانت ربته فلما شب اراد يعقوب اخذه منها فولعت به واشفقت
من فراقه فاخذت منطقة اسحق وكانت متوارثة عندهم فنطقته بها من تحت
ثيابه فوجدت عنده فاسترقته حسبما كان في شرعهم وبقي عندها حتى ماتت فصار عند
ابيه وقوله فاسرها يوسف يعني اسر الحزة التي حدثت في نفسه من قول الاخوة وقوله انتم
شر مكانا الآية الظاهر منه انه قالها افصاحا كانه اسر لهم كراهية مقالتهم ثم وبخهم
بقوله انتم شر مكانا اي بسوء افعالكم والله اعلم ان كان ما وصفتموه حقا وفي اللفظ
اشارة الى تكذيبهم ومما يقوي هذا عندي انهم تركوا الشفاعة بانفسهم وعدلوا الى الشفاعة
بابيهم عليه السلام وقالت فرقة لم يقل هذا الكلام الا في نفسه وانه تفسير للذي اسر في نفسه
فكان المراد قال في نفسه انتم شر مكانا وذكر الطبري هنا قصصا اختصرته انه لما استخرج
السقاية من رحل يامين قال اخوته يا بني راحيل لا يزال البلاء ينالنا منكم فقال
يامين بل بنو راحيل ينالهم البلاء منكم ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في
رحلي الذي وضع الدراهم في رحالكم فقالوا لا تذكر الدراهم لئلا نؤخذ بها ثم دخلوا
على يوسف فاخذ الصواع فنقره فطن فقال انه يخبرني انكم ذهبتم باخ لكم فبعتموه فسجد
يامين وقال ايها العزيز سل صواعك هذا يخبرك بالحق في قصص يطول اختصرنا
اختصاره وروي ان روبيل غضب ووقف شعره حتى خرج من ثيابه فامر يوسف بنيا له
فمسه فسكن غضبه فقال روبيل لقد مسني احد من ولد يعقوب ثم انهم تشاوروا في
محاربة يوسف وكانوا اهل قوة لا يدانون في ذلك فلما احس يوسف بذلك قام الى روبيل
فلببه وصرعه فرأوا من قوته ما استعظموه وقالوا يا ايها العزيز الآية وخاطبوه باسم
العزيز اذ كان في تلك الخطة بعزل الاول او موته على ما روي في ذلك وقولهم فخذ
احدنا مكانه يحتمل ان يكون ذلك منهم مجازا ويحتمل ان يكون حقيقة على طريق الحمالة
حتى يصل يامين الى ابيه ويعرف يعقوب جلية الامر فمنع يوسف من ذلك وقال معاذ
الله الآية وقوله سبحانه فلما استيئسوا منه الآية يقال يئس واستيأس بمعنى واحد قال البخاري
خلصوا نجيا اعتزلوا والجمع انجية وللاثنين والجمع نجي ولنجية انتهى وقال الهروي خلصوا
نجيا اي تميزوا عن الناس متناجين انتهى وكبيرهم قال مجاهد هو شمعون كان كبيرهم
رأيا وعلما وان كان روبيل اسنهم وقال قتادة هو روبيل لانه اسنهم وهذا اظهر
ووجه الطبري وذكرهم اخوة ميثاق ابيهم لتأتنني به الا ان يحاط بكم وقوله فلن ابرح الارض
قال ص برح التامة بمعنى ذهب وظهر ومنه برح الخفاء اي ظهر والمتوجه هنا معنى ذهب
لكنه لا ينصب الظرف المكاني المختص الا بواسطة في فاحتيج الى تضمينه معنى فارق و
الارض مفعول به ولا يجوز ان تكون ابرح ناقصة انتهى وقوله ارجعوا الى ابيكم الامر
بالرجوع قيل هو من قول كبيرهم وقيل هو من قول يوسف والاول اظهر وذكر
الطبري ان يوسف قال لهم اذا اتيتم اباكم فاقرؤوا عليه السلام وقولوا له ان ملك مصر يدعو لك
ان لا تموت حتى ترى ولدك يوسف ليعلم ان في ارض مصر صديقين مثله وقرأ الجمهور
سرق وروي عن الكسائي وغيره انه سرق بنية للمفعول وما شهدنا الا بما علمنا اي بالعيان

الظاهر والعلم في الغيب الى الله ليس ذلك في حفظنا هذا تأويل ابن اسحق ثم استشهدوا
بالقرية التي كانوا فيها وهي مصر قاله ابن عباس والمراد اهلها قال البخاري سولت اي زينت
وقول يعقوب عسى الله ان يأتيني بهم جميعا يعني يوسف ويامين وروبيل الذي لم يبرح
الارض ورجاؤه هذا من جهة حسن ظنه بالله سبحانه في كل حال ومن جهة رؤيا يوسف المنتظرة
فانه كان ينتظرها ومنها ما اخبروه عن ملك مصر انه يدعوه برؤية ابنه وقوله سبحانه
وتولى عنهم اي زال بوجهه عنهم ملتجئا الى الله وقال يا اسفا على يوسف قال الحسن خصت
هذه الامة بالاسترجاع الا ترى الى قول يعقوب يا اسفا قال ع والمراد يا اسفي لكن هذه
لغة من يرد ياء الاضافة الفا نحو يا غلاما ويا ابتا ولا يبعد ان يجتمع الاسترجاع ويا اسفي
لهذه الامة وليعقوب عليه السلام وروي ان يعقوب عليه السلام حزن حزن سبعين ثكلى واعطي
اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله قط رواه الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو كظيم
بمعنى كاظم كما قال والكاظمين الغيظ ووصف يعقوب بذلك لانه لم يشك الى احد و
انما كان يكمد في نفسه ويمسك همه في صدره فكان يكظمه اي يرده الى قلبه فلا وهو
ينظر الى قول النبي صلى الله عليه وسلم القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول الا ما يرضي
الرب الحديث ذكر هذا صلى الله عليه وسلم عند موت ولده ابراهيم قال ابن المبارك
في رقائقه اخبرنا معمر عن قتادة في قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم
قال كظم على الحزن فلم يقل الا خيرا انتهى قال ابن العربي في احكامه وفي الحديث الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في موت ابنه ابراهيم ان العين تدمع والقلب يحزن
ولا نقول الا ما يرضي الرب وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون وقال ايضا في الصحيح صلى
الله عليه وسلم ان الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب وانما يعذب بهذا واشار
الى لسانه او يرحم انتهى خرجه البخاري وغيره وقوله تعالى قالوا تالله تفتؤ الاية تالله
لا تفتؤ فحذف لا في هذا الموضع من القسم لدلالة الكلام عليها فمن ذلك قول امرئ القيس

فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي

ومنه قول الاخر وتالله يبقى على الايام ذو حيد اراد لا ابرح ولا يبقى وفتئ بمنزلة ما
زال وبرح في المعنى والعمل تقول والله ما فتئت قاعدا كما تقول ما زلت وما برحت وعبارة
الداودي وعن ابن عباس تفتؤ اي لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضا انتهى و
الحرض الذي قد نهاه الهرم او الحزن الى حال فساد الاعضاء والبدن والحس يقال
رجل حارض اي ذاهب وحزن ومنه قول الشاعر

اني امرؤ لج بي حب فاحرضني حتى بليت وحتى شفني السقم

والحرض بالجملة الذي فسد ودنا موته قال مجاهد الحرض ما دون الموت وفي حديث النبي
صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن يمرض حتى يحرضه المرض الا غفر له انتهى من رقائق ابن
المبارك ثم اجابهم يعقوب بقوله انما اشكو بثي وحزني الى الله اي اني لست ممن يجزع
ويضجر وانما اشكو الى الله البث ما في صدر الانسان مما هو معتزم ان يبثه وينشره
وقال ابو عبيدة وغيره البث اشد الحزن قال الداودي عن ابن جبير من بث فلم يصبر ثم قرأ

انما

انما اشكو بثي وحزني الى الله انتهى وقوله ولا تيأسوا من روح الله الاية والروح الرحمة ثم
جعل اليأس من رحمة الله وتفريجه من صفة الكافرين اذ فيه اما التكذيب بالربوبية
واما الجهل بصفات الله تعالى والبضاعة القطعة من المال يقصد بها شراء شيء ولزمها عرف
الفقه فيما لا حظ لحاملها من الربح والمزجاة معناها المدفوعة المتحيل لها وبالجملة فمن
يسوق شيئا ويتلطف في تسييره فقد ازجاه فاذا كانت الدراهم مدفوعة نازلة القدر
تحتاج الى ان يعتذر معها ويشفع لها فهي مزجاة فقيل كان ذلك لانها كانت زيوفا قاله ابن عباس
وقيل كانت بضاعتهم عروضا وقولهم وتصدق علينا معناه ما بين الدراهم الجياد وبين هذه
المزجاة قاله السدي وغيره وقال الداودي عن ابن جريج وتصدق علينا قال اردد علينا اخانا
وهو حسن انتهى وقوله تعالى قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون
روي ان يوسف عليه السلام لما قالوا له مسنا واهلنا الضر واستعطفوه رق
ورحمهم قال ابن اسحق وارفض دمعه باكيا فشرع في كشف امره اليهم فيروى انه حسر قناعه
وقال لهم هل علمتم الاية وما فعلتم بيوسف واخيه اي من التفريق بينهما في الصغر وما نالهما
بسببكم من المحن اذ انتم جاهلون نسبهم اما الى جهل المعصية واما الى جهل الشباب وقلة
الحنكة فلما خاطبهم هذه المخاطبة تنبهوا ووقع لهم من الظن القوي وقرائن الحال انه
يوسف فقالوا ائنك لانت يوسف مستفهمين فاجابهم يوسف كاشفا امره قال
انا يوسف وهذا اخي وباقي الاية بين وقوله سبحانه قالوا تالله لقد آثرك الله علينا
وان كنا لخاطئين هذا منهم استنزال ليوسف واقرار بالذنب في ضمنه استعطاف منهم
وآثرك لفظ يعم جميع التفضيل وقوله لا تثريب عليكم اليوم عفو جميل وقال عكرمة
اوحى الله الى يوسف بعفوك عن اخوتك رفعت لك ذكرك والتثريب اللوم والعقوبة
وما جرى معهما من سوء معتقد ونحوه وعبر بعض الناس عن التثريب بالتعيير ووقف
بعض القراء على عليكم وابتدأ اليوم يغفر الله لكم ووقف اكثرهم اليوم وابتدأ يغفر الله
لكم على جهة الدعاء وهو تأويل ابن اسحق والطبري وهو الصحيح والراجح في المعنى لان الوقف
الاخر فيه حكم على مغفرة الله اللهم الا ان يكون ذلك بوحي وقوله اذهبوا بقميصي هذا
فالقوه على وجه ابي قال النقاش روي ان هذا القميص كان من ثياب الجنة كساه الله
ابراهيم ثم توارثه بنوه قال ع وهذا يحتاج الى سند والظاهر انه قميص يوسف كسائر القمص
وقول يوسف يأت بصيرا فيه دليل على ان هذا كله بوحي واعلام من الله تعالى وروي
ان يعقوب وجد ريح يوسف وبينه وبين القميص مسيرة ثمانية ايام قاله ابن عباس وقال
ص هاجت ريح فحملت عرفه وقول يعقوب اني لاجد ريح يوسف مخاطبة لحاضريه
فروي انهم كانوا حفدته وقيل كانوا بعض بنيه وقيل كانوا قرابته وتفندون معناه
تردون رأيي وتدفعون في صدره وهذا هو التفنيد لغة قال منذر بن سعيد يقال
شيخ مفند اي قد فسد رأيه والذي يشبه ان تفنيدهم ليعقوب انما كان لانهم كانوا يعتقدون
ان هواه قد غلبه في جانب يوسف وقال ص معنى تفندون تسفهون انتهى وقولهم انك لفي
ضلالك القديم يريدون لفي انتلافك في محبة يوسف وليس بالضلال الذي هو في العرف

ضد الرشاد لان ذلك من الجفا الذي لا يسوغ لهم مواجهته به وقوله سبحانه فلما ان جاء
البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا روي عن ابن عباس ان البشير كان يهوذا لانه كان جاء
بقميص الدم وبصيرا معناه مبصرا وروي انه قال للبشير على اي دين تركت يوسف قال
على الاسلام قال الحمد لله الآن كملت النعمة وقوله تعالى قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا
الآية روي ان يوسف عليه السلام لما غفر لاخوته وتحققوا ان اباهم يغفر لهم قال
بعضهم لبعض ما يغني عنا هذا ان لم يغفر الله لنا فطلبوا حينئذ من يعقوب ان يطلب لهم
المغفرة من الله تعالى واعترفوا بالخطا فقال لهم يعقوب سوف استغفر لكم ربي قال وعن ابن
عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه اذا كان ليلة الجمعة فان استطعت ان
تقوم في ثلث الليل الاخر فانها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب وقد قال اخي يعقوب لبنيه
سوف استغفر لكم ربي يقول حتى تاتي ليلة الجمعة وذكر الحديث رواه الترمذي وقال حديث
حسن غريب لا نعرفه الا من حديث الوليد بن مسلم ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين وقال
صحيح على شرط الشيخين يعني البخاري ومسلما انتهى من السلاح وقوله سبحانه اوى اليه ابويه
قال ابن اسحق والحسن اراد بالابوين اباه وامه وقيل اراد اباه وخالته قال ع والاول اظهر
بحسب اللفظ الا ان يثبت بسند ان امه قد كانت ماتت وقوله ان شاء الله امنين هذا
الاستثناء هو الذي ندب القرآن اليه ان يقوله الانسان في جميع ما ينفذه في المستقبل
والعرش سرير الملك وخروا له سجدا اي سجود تحية فقيل كان كالسجود المعهود عندنا من
وضع الجبهة بالارض وقيل بل دون ذلك كالركوع البالغ ونحوه مما كان سيرة تحياتهم
للملوك في ذلك الزمان واجمع المفسرون انه سجود تحية لا سجود عبادة وقال الحسن الضمير في
له لله عز وجل ورد هذا القول على الحسن وقوله عز وجل وقال يا ابت هذا تاويل
رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا المعنى قال يوسف ليعقوب هذا السجود الذي كان منكم
هو ما آلت اليه رؤياي قديما في الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر قد جعلها ربي حقا ثم
اخذ عليه السلام يعدد نعم الله عليه وقال قد اخرجني من السجن وترك ذكر اخراجه من الجب
لان في ذلك تجديد فعل اخوته وخزيهم وتحريك تلك الغوائل وتخبيث النفوس ووجه
الخبر انه خرج من الجب الى الرق ومن السجن الى الملك فالنعمة هنا اوضح وان ربي لطيف
لما يشاء اي من الامور ان يفعله انه هو العليم الحكيم قال ع ولا وجه في ترك تعريف يوسف اباه
منذ خرج من السجن الى العز الا الوحي من الله تعالى لما اراد ان يمتحن به يعقوب وبنيه
واراد من صورة جمعهم لا اله الا هو وقال النقاش كان ذلك الوحي في الجب وهو قوله سبحانه
واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وهذا محتمل وقوله رب قد آتيتني من
الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث الآية ذكر كثير من المفسرين ان يوسف عليه السلام لما عدد في
هذه الآية نعم الله عنده تشوق الى لقاء ربه ولقاء الجلة وصالحي سلفه وغيرهم من المؤمنين
وراى ان الدنيا قليلة فتمنى الموت في قوله توفني مسلما والحقني بالصالحين وقال ابن عباس لم يتمن
الموت غير يوسف وذكر المهدوي تاويلا آخر وهو الاقوى عندي انه ليس في الآية تمني موت وانما
تمنى عليه السلام الموافاة على الاسلام لا الموت وكذا قال القرطبي في التذكرة ان معنى الآية اذا جاء اجلي توفني

مسلما

مسلما وهذا القول هو المختار عند اهل التاويل والله اعلم انتهى وقوله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين
احدكم الموت لضر نزل به انما يريد ضر الدنيا كالفقر والمرض ونحو ذلك ويبقى تمني الموت مخافة
فساد الدين مباحا وقد قال صلى الله عليه وسلم في بعض ادعيته واذا اردت بالناس فتنة
فاقبضني اليك غير مفتون وقوله انت وليي اي القائم بامري الكفيل بنصرتي ورحمتي وقوله عز
وجل ذلك من انباء الغيب توجيه اليك ذلك اشارة الى ما تقدم من قصة يوسف وهذه الآية
تعريض لقريش وتنبيه على صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفي ضمن ذلك الطعن على مكذبيه
والضمير في لديهم عائد على اخوة يوسف واجمعوا معناه عزموا والامر هنا هو القاء يوسف في الجب وحكى
الطبري عن ابي عمران الجوني انه قال والله ما قص الله نباهم ليعيرهم انهم الانبياء من اهل
الجنة ولكن الله قص علينا نباهم لئلا يقنط عبده وقوله سبحانه وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين
الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله وما تسألهم عليه من اجر الآية توبيخ للكفرة واقامة
الحجة عليهم ثم ابتدا الاخبار عن كتابه العزيز انه ذكر وموعظة لجميع العالم نفعنا الله به ووفر
حظنا منه وقوله سبحانه وكاين من آية في السموات والارض يعني بالآية هنا المخلوقات المنصوبة للاعتبار
الدالة على توحيد خالقها سبحانه وفي مصحف عبد الله يمشون عليها وقوله سبحانه وما يؤمن اكثرهم
بالله الا وهم مشركون قال ابن عباس هي في اهل الكتاب وقال مجاهد وغيره هي في العرب وقيل
نزلت بسبب قول قريش في الطواف والتلبية لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع احدهم يقول لبيك لا شريك لك يقول له قط
قط اي قف هنا ولا تزد الا شريكا هو لك والغاشية ما يغشى ويغطي ويعم وبغتة اي فجاة
وهذه الآية من قوله وكاين وان كانت في الكفار فان العصاة ياخذون من الفاظها بحظ ويكون
الايمان حقيقة والشرك لغويا كالرياء فقد قال عليه الصلاة والسلام الرياء الشرك الاصغر وقوله
سبحانه قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة الآية اشارة الى دعوة الاسلام والشريعة باسرها
قال ابن زيد المعنى هذا امري وسنتي ومنهاجي والبصيرة اسم لمعتقد الانسان في الامر من
الحق واليقين وقوله انا ومن اتبعني يحتمل ان يكون انا تاكيدا للضمير المستكن في ادعو ومن معطوف
عليه انتهى وسبحان الله تنزيه لله اي وقل سبحان الله متبريا من الشرك وقوله سبحانه وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا يوحى اليهم الآية تتضمن الرد على من استغرب ارسال الرسل من البشر والقرى المدن
قال الحسن لم يبعث الله رسولا قط من اهل البادية قال ع والتبدي مكروه الا في الفتن وحين
يفر بالدين ولا يعترض هذا ببدو يعقوب لان ذلك البدو لم يكن في اهل عمود بل هو تقرو في
منازل وربوع وايضا انما جعله بدوا بالاضافة الى مصر كما هي بنات الحواضر بدو بالاضافة
الى الحواضر ثم احال سبحانه على الاعتبار في الامم السالفة ثم حض سبحانه على الآخرة والاستعداد لها
بقوله ولدار الآخرة خير الآية قال ص ولدار الآخرة خرجه الكوفيون على انه من اضافة الموصوف
لصفته واصله وللدار الآخرة والبصريون على انه من حذف الموصوف واقامة صفته مقامه
واصله ولدار المدة الآخرة او النشاة الآخرة انتهى وتضمن قوله تعالى افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ان الرسل الذين بعثهم الله من اهل القرى دعوا
اممهم فلم يؤمنوا بهم حتى نزلت بهم المثلات فصاروا في حيز من يعتبر بعاقبته فلهذا المضمن حسن

ان تدخل حتى في قوله حتى اذا استيئس الرسل وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر
وظنوا انهم قد كذبوا بتشديد الذال وقرا الباقون كذبوا بضم الكاف وكسر الذال المخففة
فاما الاولى فمعناها ان الرسل ظنوا ان اممهم قد كذبتهم والظن هنا يحتمل ان يكون بمعنى اليقين
ويحتمل ان يكون الظن على بابه ومعنى القراءة الثانية على المشهور من قول ابن عباس وابن جبير
اي حتى اذا استيئس الرسل من ايمان قومهم وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما
ادعوه من النبوة او فيما توعدوهم به من العذاب لما طال الامهال واتصلت العافية جاءهم
واسند الطبري ان مسلم بن يسار قال لسعيد بن جبير يا ابا عبد الله اية بلغت مني كل مبلغ حتى اذا
استيئس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا فهذا هو الموت ان تظن الرسل انهم قد كذبوا مخففة
فقال له ابن جبير يا ابا عبد الرحمن انما يئس الرسل من قومهم ان يجيبوهم وظن قومهم ان
الرسل قد كذبتهم فقام مسلم الى سعيد فاعتنقه وقال فرجت عني فرج الله عنك قال ع
فرضي الله عنهم كيف كان خلقهم في العلم وقال بهذا التاويل جماعة وهو الصواب واما تاويل من
قال ان المعنى وظنوا انهم قد كذبهم من اخبرهم عن الله فغير صحيح ولا يجوز هذا على الرسل
واين العصمة والعلم قلت قال عياض فان قيل فما معنى قوله تعالى حتى اذا استيئس الرسل وظنوا
انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما قالته عائشة رضي الله عنها معاذ الله
ان تظن الرسل ذلك بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيئسوا ظنوا ان من وعدهم
النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل الضمير في ظنوا عائد على الاتباع والامم
لا على الانبياء والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة وبهذا المعنى قرا
مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف
بالانبياء انتهى من الشفا وقوله سبحانه جاءهم نصرنا اي بتعذيب اممهم الكافرة فنجي من
نشاء اي من اتباع الرسل ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اي الكافرين الباس العذاب وقوله
سبحانه لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب اي في قصص يوسف واخوته وسائر
الرسل الذين ذكروا على الجملة ولما كان ذلك كله في القرآن قال عنه ما كان حديثا يفترى
والذي بين يديه التوراة والانجيل وباقي الاية بين واضح قلت كنت في وقت انظر في سيرة
لابن هشام واتامل في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم وافاضل اصحابه رضي الله
عنهم اجمعين وسلك بنا مناهجهم المرضية والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه وسلم تسليما

سورة الرعد

قيل مكية الا بعض ايات وقيل مدنية والظاهر
ان المدني فيها كثير قوله عز وجل المر تلك ايات الكتاب والذي انزل اليك من ربك
الحق قال ابن عباس هذه الحروف هي من قوله انا الله اعلم وارى وقوله سبحانه الله الذي رفع
السموات بغير عمد ترونها الاية قال جمهور الناس لا عمد للسموات البتة وهذا هو الحق والعمد
اسم جمع وقوله سبحانه ثم استوى على العرش ثم هنا للعطف لجمل لا للترتيب لان الاستواء
على العرش قبل ففي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه
على الماء ثم خلق السموات والارض وقد تقدم القول في هذا وفي معنى الاستواء قلت

والمعتقد في هذا انه سبحانه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي اراده استواء
منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش
وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته كان الله ولا شيء معه كان سبحانه قبل
ان يخلق المكان والزمان وهو الآن على ما عليه كان وقوله سبحانه وسخر الشمس والقمر تنبيه
على القدرة وفي ضمن الشمس والقمر الكواكب ولذلك قال كل يجري اي كل ما هو في معنى الشمس والقمر
والاجل المسمى هو انقضاء الدنيا وفناء هذه البنية يدبر الامر معناه يبرمه وينفذه
وعبر بالتدبير تقريبا للافهام وقال مجاهد يدبر الامر معناه يقضيه وحده ولعلكم بلقاء
ربكم توقنون اي توقنون بالبعث وقوله سبحانه وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي لما
فرغت ايات السماء ذكرت ايات الارض والرواسي الجبال الثابتة وقوله سبحانه جعل فيها
زوجين اثنين في هذه الاية الصنف والنوع وليس بالزوج المعروف في المتلازمين الفردين
من الحيوان وغيره ومنه قوله سبحانه سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض الاية ومنه
وانبتنا فيها من كل زوج بهيج وهذه الاية تقتضي ان كل ثمرة فموجود منها نوعان فان اتفق ان
يوجد من ثمرة اكثر من نوعين فغير ضار في معنى الاية وقطع جمع قطعة وهي الاجزاء وقيد
منها في هذا المثال ما جاور وقرب بعضه من بعض لان اختلاف ذلك في الاكل اغرب وقرا الجمهور
وجنات بالرفع عطفا على اعناب وقرا ابن كثير وغيره وزرع بالرفع في الكل عطفا على قطع
وصنوان جمع صنو وهو الفرع يكون مع الاخر في اصل واحد قال البراء بن عازب الصنوان في هذه الاية
المجتمع وغير الصنوان المفترق فردا فردا وفي الصحيح ان عم الرجل صنو الاب وانما نص على الصنوان في
هذه الاية لانها بمثابة التجاور في القطع تظهر فيها غرابة اختلاف الاكل والاكل بضم الهمزة اسم ما يؤكل
والاكل المصدر وحكى الطبري عن ابن عباس قطع متجاورات اي واحدة سبخة والاخرى عذبة
ونحو هذا من القول وقال قتادة المعنى قرى متجاورات قال ع وهذا وجه من العبرة كانه قال
وفي الارض قطع مختلفات بتخصيص الله لها بمعان فهي تسقى بماء واحد ولكن تختلف فيما تخرجه
والذي يظهر من وصفه لها بالتجاور انها من تربة واحدة ونوع واحد وموضع العبرة في
هذا ابين وعلى المعنى الاول قال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بني آدم الارض واحدة
وينزل عليها ماء واحد من السماء فتخرج هذه زهرة وثمرة وتخرج هذه سبخة وملحا وخبثا وكذلك
الناس خلقوا من آدم فنزلت عليهم من السماء تذكرة فرقت قلوب وخشعت وقست قلوب
ولهت قال الحسن والله ما جالس احد القرآن الا قام عنه بزيادة او نقصان قال الله تعالى
وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقوله سبحانه
وان تعجب فعجب قولهم ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد المعنى وان تعجب يا محمد من جهالتهم
واعراضهم عن الحق فهم اهل لذلك وعجب غريب قولهم انعود بعد كوننا ترابا خلقا جديدا
اولئك الذين كفروا بربهم لتصميمهم على الجحد وانكارهم للبعث واولئك الاغلال في اعناقهم
اي في الاخرة ويحتمل ان يكون خبرا عن كونهم مغللين عن الايمان كقوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وقوله سبحانه ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة الاية تبيين
لخطابهم كطلبهم سقوط كسف من السماء ونحو هذا مع نزول ذلك بانا ابن كثير وقرا الجمهور

المثلات بفتح الميم وضم الثاء وقرأ مجاهد المثلات بفتح الميم والثاء اي الاخذة الفذة بالعقوبة ثم رجى
سبحانه بقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ثم خوف بقوله وان ربك لشديد العقاب قال ابن المسيب
لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله ومغفرته ما تهنا احد عيشا ولولا عقابه
لاتكل كل احد وقال ابن عباس ليس في القران ارجى من هذه الآية والمثلات هي العقوبات المنكلات التي تجعل الانسان
مثلا يتمثل به ومنه التمثيل بالقتلى ومنه المثلة بالعبيد ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه هذه من
اقتراحهم والآية هنا يراد بها الاشياء التي سمتها قريش كالملك والكنز وغير ذلك ثم اخبر تعالى بانه
منذر وهاد لكل قوم وهاد على هذا التاويل بمعنى داع الى طريق الهدى وقال مجاهد وابن زيد المعنى انما انت
منذر ولكل امة سلفت هاد اي نبي يدعوهم اي فليس امرك يا محمد ببدع ولا منكر وهذا يشبه غرض الآيات
وقالت فرقة الهادي في هذه الآية الله عز وجل والالفاظ تقلق عن هذا المعنى ويعرف ان الله تعالى هو الهادي من غير هذا
الموضع والقول الاول اولى ما تاول في الآية وقوله سبحانه الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد
هذه الآية امثال منبهات على قدرة الله تعالى القاضية بتجويز البعث وما تغيض الارحام معناه ما تنقصه الخلف
للناس ولون في صورة الزيادة والنقصان وجمهور المتاولين على ان غيض الرحم هو نقص الدم على الحمل وقال الضحاك
غيض الرحم ان تسقط المراة الولد والزيادة ان تضعه لمدة كاملة ونحوه لقتادة وقوله وكل شيء عنده
بمقدار عام في كل ما يدخله التقدير والغيب ما غاب عن الادراكات والشهادة ما شوهد من الامور وقوله الكبير
صفة تعظيم والمتعالي من العلو وقوله سبحانه سواء منكم من اسر القول الآية اي لا يخفى على الله شيء والسارب في اللغة
المتصرف كيف شاء وقوله سبحانه له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله المعنى جعل الله للعبد
معقبات يحفظونه في كل حال من كل ما جرى القدر باندفاعه فاذا جاء المقدور الواقع اسلم المرء و
المعقبات على هذا التاويل الحفظة على العباد اعمالهم والحفظة لهم ايضا قاله الحسن وروي فيه عن
عثمان بن عفان حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اقوى التاويلات في الآية وعبارة البخاري
معقبات ملائكة حفظة يعقب الاول منها الآخر انتهى وقالت فرقة الضمير في له عائد على اسم الله المتقدم ذكره اي
لله معقبات يحفظون عبده والضمير في قوله يديه وما بعده من الضمائر عائدة على العبد ثم ذكر سبحانه انه لا يغير
هذه الحال من الحفظ للعبد حتى يغير العبد ما بنفسه والمعقبات الجماعات التي يعقب بعضها بعضا وهي الملائكة و
ينظر هذا الى قول النبي صلى الله عليه وسلم يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار الحديث وفي قراءة
ابي بن كعب من بين يديه ورقيب وقرا ابن عباس ورقباء من خلفه يحفظونه بامر الله وقوله يحفظونه
اي يحرسونه ويذبون عنه ويحفظون ايضا اعماله ثم اخبر تعالى انه اذا اراد بقوم سوءا فلا مرد له ولا
حافظ منه وقوله سبحانه هو الذي يريكم البرق الآية قد تقدم في اول البقرة تفسير هذه والظاهر ان الخوف
انما هو من صواعق البرق والطمع في الماء الذي يكون معه وهو قول الحسن والسحاب جمع سحابة ولذلك
جمع الصفة والثقال معناه بحمل الماء قاله قتادة ومجاهد والعرب تصفه بذلك وروى ابو هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع الرعد قال سبحان من يسبح الرعد بحمده وقال ابن ابي زكريا من قال
اذا سمع الرعد سبحان الله وبحمده لم تصبه صاعقة قلت وعن عبد الله بن عمر قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا سمع الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا
قبل ذلك رواه الترمذي والنسائي والحاكم في المستدرك ولفظهم واحد انتهى من السلاح قال الداودي
وعن ابن عباس قال من سمع الرعد فقال سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير

فان اصا

فان اصابته صاعقة فعلي ديته انتهى وقوله سبحانه ويرسل الصواعق الآية قال ابن جريج كان سبب
نزولها قصة اربد وعامر بن الطفيل سالا النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعل الامر بعده لعامر بن الطفيل
ويدخلا في دينه فابى عليه الصلاة والسلام ثم توامرا في قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر
لاربد انا اشغله لك بالحديث واضربه انت بالسيف فجعل عامر يحدثه واربد لا يصنع شيئا
فلما انصرفا قال له عامر والله يا اربد لا خفتك ابدا ولقد كنت اخافك قبل هذا فقال له اربد
والله لقد اردت اخراج السيف فما قدرت على ذلك ولقد كنت اراك بيني وبينه افاضربك
فمضيا للحشد على النبي صلى الله عليه وسلم فاصابت اربد صاعقة فقتلته والمحال القوة والاهلاك
قلت وفي صحيح البخاري المحال العقوبة قوله عز وجل له دعوة الحق الضمير في له عائد على اسم الله
عز وجل قال ابن عباس ودعوة الحق لا اله الا الله يريد وما كان من الشريعة في معناها
والذين يراد به ما عبد من دون الله والضمير في يدعون لكفار قريش وغيرهم ومعنى الكلام
والذين يدعوهم الكفار في حوائجهم ومنافعهم لا يجيبونهم بشيء ثم مثل سبحانه مثالا لاجابتهم
بالذي يبسط كفيه نحو الماء ويشير اليه بالاقبال الى فيه فلم يبلغ فمه ابدا فكذلك اجابة
هؤلاء والانتفاع بهم لا يقع وقوله هو يريد الماء وهو البالغ والضمير في بالغه للفم ويصح
ان يكون هو يراد به الفم وهو البالغ ايضا والضمير في بالغه للماء لان الفم لا يبلغ الماء ابدا على تلك الحال
ثم اخبر سبحانه عن دعاء الكافرين انه في اتلاف وضلال لا يفيد وقوله تعالى ولله يسجد من في السموات
والارض الآية تنبيه على قدرته وعظمته سبحانه وتسخير الاشياء له والطعن على الكفار التاركين
للسجود ومن تقع على الملائكة عموما وسجودهم طوع واما اهل الارض فالمؤمنون داخلون في من
وسجودهم ايضا طوع واما سجود الكفرة فهو الكره وذلك على معنيين فان جعلنا السجود هذه الهيئة
المعهودة فالمراد من الكفرة من اسلم خوف سيف الاسلام كما قاله قتادة وان جعلنا السجود الخضوع
الخضوع والتذلل حسبما هو في اللغة فيدخل الكفار اجمعون في من لانه ليس من كافر الا ويلحقه من
التذلل والاستكانة لقدرة الله تعالى انواع اكثر من ان تحصى بحسب رزاياه واعتباراته وقوله
سبحانه وظلالهم بالغدو والاصال اخبار عن ان الظلال لها سجود لله تعالى كقوله تعالى اولم يروا الى ما خلق الله
من شيء يتفيؤ ظلاله الآية وقال مجاهد ظل الكافر يسجد طوعا وهو كاره وروي ان الكافر اذا سجد
لصنمه فان ظله يسجد لله حينئذ وباقي الآية بين ثم مثل الكافر والمؤمن بقوله قل هل يستوي الاعمى
والبصير وشبه الكافر بالاعمى والكفر بالظلمات وشبه المؤمن بالبصير والايمان بالنور وقوله
سبحانه قل الله خالق كل شيء لفظ عام يراد به الخصوص كما تقدم ذكره في غير هذا الموضع وقوله سبحانه
انزل من السماء ماء يراد به المطر فسالت اودية بقدرها الاودية ما بين الجبال من الانخفاض والخنادق
وقوله بقدرها يحتمل ان يريد بما قدر لها من الماء ويحتمل ان يريد بقدر ما تحمله على قدر
صغرها وكبرها وقوله فاحتمل بمعنى حمل كما قدر وقد قال ص والزبد ما يحمله
السيل من غثاء ونحوه والرابي المنتفخ الذي قد ربا ومنه الربوة وقوله سبحانه ومما توقدون
عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله المعنى ومن الاشياء التي توقدون عليها ابتغاء الحلي
وهي الذهب والفضة او ابتغاء الاستمتاع بها في المرافق وهي الحديد والرصاص والنحاس ونحوها
من الاشياء التي توقدون عليها فاخبر تعالى ان من هذه ايضا اذا احمي عليها يكون لها زبد

مماثل للزبد الذي يحمله السيل ثم ضرب سبحانه ذلك مثلا للحق والباطل اي ان الماء الذي تشربه
الارض من السيل فيقع النفع به هو كالحق والزبد الذي يجمد وينفش ويذهب هو كالباطل
وكذلك ما يخلص من الذهب والفضة والحديد ونحوه هو كالحق وما يذهب في الدخان
هو كالباطل وقوله جفاء مصدر من قولهم جفأت القدر اذا غلت حتى خرج زبدها وذهب
وقال ابو حيان جفاء حال اي مضمحلا متلاشيا ابو البقاء وهمزته منقلبة عن واو وقيل اصل انتهى
وقوله ما ينفع الناس يريد الخالص من الماء ومن تلك الاجساد وقوله سبحانه للذين استجابوا
لربهم الحسنى ابتداء كلام والحسنى الجنة والذين لم يستجيبوا هم الكفرة وسوء الحساب هو التقصي على
المحاسب وان لا يقع في حسنات من التجاوز شيء قاله شهر بن حوشب والنخعي وفرقد السبخي وغيرهم
وقوله سبحانه افمن يعلم انما انزل من ربك الحق كمن هو اعمى المعنى اسواء من هداه الله فعلم صدق نبوتك
وامن بك كمن هو اعمى البصيرة باق على كفره روي ان هذه الاية نزلت في حمزة بن عبد المطلب
وابي جهل وهي بعد هذا مثال في جميع العالم انما يتذكر اولوا الالباب انما في هذه الاية حاصرة
اي انما يتذكر فيؤمن ويراقب الله من له لب ثم اخذ في وصفهم فقال الذين يوفون
بعهد الله الاية قال الثعلبي قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان خلال مسيرة الى ثمانية ابواب الجنة
وقال ابو بكر الوراق هذه ثمان جسور فمن اراد القربة من الله عبرها انتهى وباقي الاية الفاظها
واضحة وانوارها لذوي البصائر لائحة ويدرءون يدفعون قال الغزالي لما ذكر هذه وكذا من
اثر غرور الدنيا على نعيم الاخرة فليس من ذوي الالباب ولذلك لا تنكشف له اسرار الكتاب انتهى
وجنات بدل من عقبى وتفسير لها وعدن هي مدينة الجنة ووسطها ومعناها جنات الاقامة من
عدن في المكان اذا اقام فيه طويلا ومنه المعادن وجنات عدن يقال هي مسكن الانبياء والشهداء
والعلماء فقط قاله عبد الله بن عمرو بن العاص وروي ان لها خمسة الاف باب وقوله ومن صلح اي عمل صالحا
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم اي يقولون سلام عليكم والمعنى هذا بما صبرتم
وباقي الاية واضح وقوله سبحانه والذين ينقضون عهد الله الاية هذه صفة حال مضادة
للمتقدمة نعوذ بالله من سخطه وقوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء الاية لما اخبر عمن تقدم
وصفه ان لهم اللعنة وسوء الدار انحى بعد ذلك على اغنيائهم وحقر شأنهم وشأن اموالهم
المعنى ان هذا كله بمشيئة الله يهب الكافر المال ليهلكه به ويقدر على المؤمن ليعظم بذلك
اجره وذخره وقوله ويقدر من التقدير المناقض للبسط والاتساع يقول الذين كفروا لولا
انزل عليه اية من ربه قل ان الله يضل من يشاء الاية رد على مقترحي الايات من كفار قريش
كما تقدم وقوله سبحانه الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الذين بدل من من في قوله من
اناب وطمأنينة القلوب هي الاستكانة والسرور بذكر الله والسكون به كمالا به ورضى بالثواب
عليه وجودة اليقين ثم قال سبحانه الا بذكر الله تطمئن القلوب اي لا بالايات المقترحة التي ربما
كفر بعدها فنزل العذاب والذين الثاني مبتدأ وخبره طوبى لهم واختلف في معنى طوبى
فقال ابن عباس طوبى اسم الجنة بالحبشية وقيل طوبى اسم الجنة بالهندية وقيل طوبى اسم شجرة في الجنة
وبهذا تواترت الاحاديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام لا يقطعها
الحديث وقال ص غبطة لهم قال القرطبي والصحيح انها شجرة للحديث المرفوع انتهى قلت وروي في

طوبى شجرة في الجنة ص
طوبى فعلى من طاب والجمهور انها مفرد مصدر كسقيا
وبشرى قاله القسطلاني تمام

الحافظ

الحافظ ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي في تاريخه عن شيخه ابي نعيم الاصبهاني بسنده
عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له يا رسول الله طوبى لمن رآك وامن بك قال طوبى
لمن رآني وامن بي ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن امن بي ولم يرني فقال له رجل يا رسول الله ما طوبى قال
شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب اهل الجنة تخرج من اكمامها انتهى من ترجمة احمد بن ابي الحسن وقوله
تعالى كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم اي كما اجرينا عادتنا كذلك ارسلناك الاية
وقولهم وهم يكفرون بالرحمن قال قتادة نزلت في قريش لما كتب في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم
في قصة الحديبية فقال قائلهم نحن لا نعرف الرحمن قال ع وذلك منهم اباية اسم فقط وهروب
عن هذه العبارة التي لم يعرفوها الا من قبل النبي صلى الله عليه وسلم والمتاب المرجع كالمآب لان
التوبة هي الرجوع وقوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض الاية قال ابن عباس
وغيره ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ازح عنا وسير جبلي مكة فقد ضيقا علينا
واجعل لنا ارضنا قطع غراسة وحرث واحي لنا اباءنا واجدادنا وفلانا وفلانا فنزلت الاية في ذلك
معلمة انهم لا يؤمنون ولو كان كل ذلك وقوله تعالى افلم ييأس الذين امنوا الاية ييأس معناه يعلم وهي لغة
هوازن وقرأ علي بن ابي طالب وابن عباس وجماعة افلم يتبين ثم اخبر سبحانه عن كفار قريش والعرب انهم
لا يزالون تصيبهم قوارع من سرايا النبي صلى الله عليه وسلم وغزواته ثم قال او تحل انت يا محمد
قريبا من دارهم هذا تأويل ع وقال الحسن بن ابي الحسن المعنى وتحل القارعة قريبا من دارهم
ووعد الله على قول ابن عباس وغيره هو فتح مكة وقال الحسن الاية عامة في الكفار الى يوم القيامة وان
حال الكفرة هكذا الى يوم القيامة ووعد الله قيام الساعة والقارعة الرزية التي تقرع قلب صاحبها وقوله
سبحانه ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية تأنيس وتسلية له عليه السلام قال البخاري فامليت اي اطلت
من الملي والملاوة ومنه يقال للواسع الطويل من الارض ملا من الارض انتهى وقوله افمن هو
قائم على كل نفس بما كسبت اي هو احق بالعبادة ام الجمادات وقوله قل سموهم اي سموا من له صفات
يستحق بها الالوهية ومكرهم يعم اقوالهم وافعالهم التي كانت بسبيل مناقضة الشرع ولهم
عذاب في الحياة الدنيا اي بالقتل والاسر والجدب وغير ذلك واشق من المشقة اي اصعب
والواقي الساتر على جهة الحماية من الوقاية وقوله سبحانه مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها
الانهار اكلها دائم وظلها قد تقدم تفسير نظيره وقوله اكلها معناه ما يؤكل فيها وقوله سبحانه
والذين اتيناهم الكتاب يفرحون الاية قال ابن زيد المراد بالاية من امن من اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام وغيره قال ع والمعنى مدحهم وباقي الاية بين وقوله سبحانه يمحو الله ما يشاء
ويثبت معناه ان الله سبحانه يمحو من الامور ما يشاء ويغيرها عن احوالها مما سبق في علمه محوه
وتغييره ويثبتها في الحالة التي نقلها اليها حسب ما سبق في علمه قال ع واصوب ما يفسر به
ام الكتاب انه كتاب الامور المجزومة التي قد سبق القضاء فيها بما هو كائن وسبق ان لا تبدل
ويبقى المحو والتثبيت في الامور التي سبق في القضاء ان تبدل وتمحى وتثبت قاله نحو قتادة وقوله
سبحانه واما نرينك بعض الذي نعدهم ان شرط دخلت عليها ما وقوله او نتوفينك او
عاطفة وقوله فانما جواب الشرط ومعنى الاية ان نبقك يا محمد لترى بعض الذي نعدهم او نتوفينك
قبل ذلك ففي كلا الوجهين فانما يلزمك البلاغ فقط والضمير في قوله اولم يروا عائد على كفار قريش

كالذي في نعدهم وقوله تعالى نأتي يعني بالقدرة والامر والارض يريد بها اسم الجنس وقيل
يريد ارض الكفار المذكورين المعنى ألم يروا انا نأتي الارض هؤلاء بالفتح عليك فننقصها بما يدخل
في دينك من القبائل والبلاد المجاورة لهم فما يؤمنهم ان تمكنك منهم ايضا قاله ابن عباس وهذا
على ان الاية مدنية ومن قال ان الارض اسم جنس جعل انتقاص الارض بتخريب العمران الذي يحله
الله بالكفار وقيل الانتقاص بموت البشر ونقص الثمرات والبركة وقيل بموت العلماء والاخيار
قاله ابن عباس ايضا وكل ما ذكر يدخل في لفظ الاية وجملة معنى هذه الاية الموعظة وضرب المثل و
قال ابو عمر بن عبد البر في كتاب العلم بسنده عن عطاء بن ابي رباح في معنى ننقصها من اطرافها قال ذهاب
فقهائها وخيار اهلها وعن وكيع نحوه وقال الحسن نقصانها هو ظهور المسلمين على المشركين قال ابو
و قول عطاء في تأويل الاية حسن انتهى وقوله سبحانه فلله المكر جميعا اي العقوبات التي احلها بهم
وسماها مكرا على عرف تسمية العقوبة باسم الذنب وباقي الاية تحذير ووعيد ويقول الذين
كفروا لست مرسلا المعنى ويكذبك يا محمد هؤلاء الكفرة ويقولون لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا
اي شاهدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب قال قتادة يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام وغيره
كمل تفسير سورة بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه و
وسلم تسليما سورة ابراهيم عليه السلام هذه السورة مكية الا الآيتين وهما قوله عز وجل
ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا الى آخر الآيتين ذكره مكي والنقاش قوله عز وجل الر
كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور قال القاضي ابو الطيب وابو المعالي وغيرهما
ان الانزال لم يتعلق بالكلام القديم الذي هو صفة الذات لكن بالمعاني التي فهمها الله تعالى جبريل عليه
السلام من الكلام وقوله لتخرج الناس من الظلمات الى النور في هذه اللفظة تشريف للنبي صلى الله عليه
وسلم وعم الناس اذ هو مبعوث الى جميع الخلق وقرأ نافع وابن عامر الله الذي له ما في السموات وما في
الارض برفع اسم الله على القطع والابتداء وقرأ الباقون بخفض الهاء وويل معناه وشدة و
وباقي الاية بين وقوله سبحانه وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم الاية هذه الاية
طعن ورد على المستغربين امر محمد صلى الله عليه وسلم وباقي الاية بين وقوله سبحانه وذكرهم
بايام الله اي عظهم بالتهديد بنقم الله التي احلها بالامم الكافرة قبلهم وبالتعديد لنعمه
عليهم وعبر عن النعم والنقم بالايام اذ هي في ايام وفي هذه العبارة تعظيم هذه الكوائن المذكر
بها وفي الحديث الصحيح بينما موسى في قومه يذكرهم بايام الله الحديث في قصة موسى مع الخضر
قال عياض في الاكمال ايام الله نعماؤه انتهى وقال الداودي وعن النبي صلى الله عليه وسلم وذكرهم
بايام الله قال بنعم الله وعن قتادة لايات لكل صبار شكور قال نعم والله العبد اذا ابتلي صبر
واذا اعطي شكر انتهى قال ابن العربي في احكامه وفي ايام الله قولان احدهما نعمه والثاني نقمه
انتهى وقوله واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم الاية تأذن بمعنى اذن اي اعلم قال بعض
العلماء الزيادة على الشكر ليست في الدنيا وانما هي من نعم الآخرة والدنيا اهون من ذلك قال
ابن عطية وجائز ان يزيد الله المؤمن على شكره من نعم الدنيا والآخرة والكفر هنا يحتمل ان يكون
على بابه ويحتمل ان يكون كفر النعم لا كفر الجحد وفي الاية ترجية وتخويف وحكى الطبري عن سفيان
وعن الحسن انهما قالا معنى الاية لئن شكرتم لازيدنكم من طاعتي قال ابن عطية وضعفه الطبري

وليس كما قال بل هو قوي حسن فتامله قلت وتضعيف الطبري بين من حيث التخصيص والاصل
التعميم وقوله ألم يأتكم هذا ايضا من التذكير بايام الله وقوله فردوا ايديهم في افواههم قيل معناه
ردوا ايدي انفسهم في افواه انفسهم اشارة على الانبياء بالسكوت وقال الحسن ردوا ايدي
انفسهم في افواه الرسل تسكيتا لهم وهذا اشنع في الرد وقوله عز وجل قالت رسلهم أفي الله شك
التقدير أفي الوهية الله شك او أفي وحدانية الله شك وما في قوله مما تدعوننا مصدرية ويحتمل
ان تكون موصولة بمعنى الذي قال الداودي عن ابي عبيدة لمن خاف مقامي يحان حيث اقيمه بين
يدي للحساب انتهى قال عبد الحق في العاقبة قال الربيع بن خثيم من خاف الوعيد قرب عليه البعيد
ومن طال امله ساء عمله انتهى وباقي الاية بين وقوله سبحانه واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد
استفتحوا اي طلبوا الحكم والفتح الحاكم والمعنى ان الرسل استفتحوا اي سألوا الله تبارك
وتعالى انفاذ الحكم بنصرهم وقيل بل استفتح الكفار على نحو قول قريش عجل لنا قطنا وعلى نحو
قول ابي جهل يوم بدر اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما لا نعرف فاحنه الغداة وهذا قول
ابن زيد وقرأت فرقة واستفتحوا بكسر التاء على معنى الامر للرسل وهي قراءة ابن عباس
ومجاهد وابن محيصن وخاب معناه خسر ولم ينجح والجبار المتعظم في نفسه والعنيد الذي
يعاند ولا ينقاد وقوله من ورائه قال الطبري وغيره معناه من امامه وعلى ذلك حمل
قوله تعالى وكان وراءهم ملك وليس الامر كما ذكروا بل الوراء هنا وهناك على بابه اي هو ما يأتي
بعد في الزمان وذلك ان التقدير في هذه الحوادث بالامام والوراء انما هو بالزمان وما تقدم
فهو امام وهو بين اليد كما تقول في التوراة والانجيل انهما بين يدي القرآن والقرآن وراءهما
وعلى هذا فما تأخر في الزمان وراء المتقدم ويسقى من ماء صديد الصديد القيح والدم
وهو ما يسيل من اجساد اهل النار قاله مجاهد والضحاك وقوله يتجرعه ولا يكاد يسيغه
عبارة عن صعوبة امره عليهم وروي ان الكافر يؤتى بالشربة من شراب اهل النار فيتكرهها فاذا
ادنيت منه شوت وجهه وسقطت فيها فروة رأسه فاذا شربها قطعت امعاءه وهذا
الخبر مفرق في آيات من كتاب الله عز وجل ويأتيه الموت من كل مكان اي من كل شعرة في بدنه
قاله ابراهيم التيمي وقيل من جميع جهاته الست وما هو بميت اي لا يراح بالموت ومن ورائه عذاب
غليظ قال الفضيل بن عياض العذاب الغليظ حبس الانفاس في الاجساد وفي الحديث يخرج عنق من
النار يتكلم بلسان طلق ذلق لها عينان تبصر بهما ولها لسان تتكلم به فتقول اني امرت بمن جعل
مع الله الها آخر وبكل جبار عنيد وبمن قتل نفسا بغير نفس فتنطلق بهم قبل سائر الناس بخمسمائة
عام فتنطوي عليهم فتقذفهم في جهنم خرجه البزار انتهى من الكوكب الدري وقوله في يوم عاصف
وصف اليوم بالعصوف وهي من صفة الريح بالحقيقة لما كانت في اليوم كما قال الشاعر
ونمت وما ليل المطي بنائم وباقي الاية بين وبرزوا لله جميعا معناه صاروا في البراز وهي
الارض المتسعة فقال الضعفاء وهم الاتباع للذين استكبروا وهم القادة واهل الراي
وقولهم سواء علينا أجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص المحيص المفر والملجأ مأخوذ من
حاص يحيص اذا نفر وفر ومنه في حديث هرقل فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب
وروي عن ابن زيد وعن محمد بن كعب ان اهل النار يقولون انما نال اهل الجنة الرحمة

بالصبر على طاعة الله فيقالوا فلنصبر فيصبرون خمسمائة سنة ولا ينفعون فيقولون
هلم فلنرجع فيضجون ويصيحون ويبكون خمسمائة سنة اخرى ثم يقولون هذه المقالة
سواء علينا الاية وظاهر الاية انهم انما يقولونها في موقف العرض وفت البروز بين يدي
الله عز وجل و قوله عز وجل وقال الشيطان لما قضي الامر الاية المراد هنا بالشيطان ابليس
الاقدم و روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق عقبة بن عامر انه قال يقوم يوم القيمة
خطيبان احدهما ابليس يقوم في الكفرة بهذه الالفاظ والثاني عيسى بن مريم يقوم ما قلت لهم
الا ما امرتني به الاية و روي في حديث ان ابليس انما يقوم بهذه الالفاظ في النار على اهلها
عند قولهم ما لنا من محيص في الاية المتقدمة فعلى هذه الرواية يكون معنى قوله قضي الامر اي
حصل اهل النار في النار واهل الجنة في الجنة وهو تاويل الطبري و قوله وما كان لي عليكم من
سلطان اي من حجة بينة و الا ان دعوتكم استثناء منقطع ويحتمل ان يريد بالسلطان
في هذه الاية الغلبة والقدرة والملك اي ما اضطررتكم ولا خوفتكم بقوة مني بل عرضت
عليكم شيئا فاتى رايكم عليه و قوله فلا تلوموني يريد بزعمه اذ لا ذنب لي و لوموا انفسكم
اي في سوء نظركم في اتباعي وقلة تثبتكم ما انا بمصرخكم المصرخ المغيث والصارخ المستغيث
واما التصريخ فهو مصدر بمنزلة البريخ و قوله اني كفرت بما اشركتمون لي ما مصدرية
وكانه يقول اني الان كافر باشراككم اياي مع الله قبل هذا الوقت فهذا تبر منه قال تعالى
ويوم القيمة يكفرون بشرككم و قوله عز وجل وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم الاذن هنا عبارة عن القضاء والامضاء
و قوله عز وجل الم تر كيف ضرب الله الاية الم تر بمعنى الم تعلم قال ابن عباس وغيره الكلمة الطيبة
هي لا اله الا الله شبهها الله تعالى بالشجرة الطيبة وهي النخلة في قول الاكثر المتاولين
فكان هذه الكلمة اصلها ثابت في قلوب المؤمنين وفضلها وما يصدر عنها من الافعال
الزكية وانواع الحسنات هو فرعها يصعد الى السماء من قبل العبد والحين القطيعة من الزمان
غير محدودة كقوله تعالى ولتعلمن نباه بعد حين وقد يقتضي لفظة الحين بقرينتها التحديد
كهذه الاية و الكلمة الخبيثة هي كلمة الكفر وما قاربها من كلام السوء في الظلم ونحوه و الشجرة
الخبيثة قال اكثر المفسرين هي شجرة الحنظل ورواه انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
وهذا عندي على جهة المثل اجتثت اي اقتلعت جثتها بنزع الاصول وبقيته في غاية
الوهي والضعف فتقلبها اقل ريح فالكافر يرى ان بيده شيئا وهو لا يستقر ولا يغني
عنه كهذه الشجرة التي يظن بها على بعد او للجهل بها انها شيء نافع وهي خبيثة الجنى غير
باقية و قوله عز وجل يثبت الله الذين امنوا الاية القول الثابت في الحيوة الدنيا كلمة الاخلاص
والنجاة من النار قول لا اله الا الله والاقرار بالنبوة وهذه الاية تعم العالم من لدن ادم عليه
السلام الى يوم القيمة قال طاوس وقتادة وجمهور العلماء الحيوة الدنيا هي مدة حيوة
الانسان وفي الاخرة وقت سواله في قبره وقال البراء بن عازب وجماعة في الحيوة الدنيا
هي وقت سواله في قبره ورواه البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم في لفظ متاول وفي الاخرة
هي يوم القيمة عند العرض والاول احسن ورجحه الطبري ت ولفظ البخاري عن

عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اذا سئل في القبر يشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الاية انتهى و حديث البراء خرجه البخاري ومسلم
وابو داود والنسائي وابن ماجه قال صاحب التذكرة وقد روى هذا الحديث ابو هريرة
وابن مسعود وابن عباس وابو سعيد الخدري قال ابو سعيد الخدري وكنا في جنازة مع النبي صلى
الله عليه وسلم فقال ايها الناس ان هذه الامة تبتلى في قبورها فاذا الانسان دفن
وتفرق عنه اصحابه جاءه ملك بيده مطراق فاقعده فقال ما تقول في هذا الرجل الحديث
وفيه فقال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين امنوا بالقول الاية انتهى قال
قال ابو عمر بن عبد البر وروينا من طرق ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر كيف بك يا عمر
اذا جاءك منكر ونكير اذا مت وانطلق بك قومك فقاسوا ثلاثة اذرع وشبرا في ذراع وشبر
ثم غسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك فوضعوك فيه ثم اهالوا عليك التراب فاذا
انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق
الخاطف يجران شعورهما معهما مرزبة لو اجتمع عليها اهل الارض لم يقلبوها فقال عمر يا رسول
الله ان فرقنا فحق لنا ان نتفرق ابعث على ما نحن عليه قال نعم ان شاء الله قال اذا اكفيكهما انتهى
و الظالمين في هذه الاية الكافرون و يفعل الله ما يشاء اي بحق الملك فلا راد لامره ولا معقب
لحكمه و جاءت في احاديث صحيحة في مسائلة العبد في قبره وجماعة السنة تقول ان الله سبحانه
يخلق للعبد في قبره ادراكات وتحصيلا اما بحياة كالمتعارفة واما بحضور النفس وان لم تتلبس
بالجسد كالمعروف في قدرة الله تبارك وتعالى غير ان الاحاديث الصحيحة في انه يسمع خفق
النعال و منها انه يرى الضوء كان الشمس دانت للغروب و منها انه يرجع و منها انه يرجع
و منها فيعاد روحه الى جسده وهذا كله يتضمن الحياة فسبحان من له هذه القدرة العظيمة
و قوله عز وجل الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا المراد بالذين بدلوا نعمة الله كفرة
قريش وقد خرجه البخاري وغيره مسندا عن ابن عباس انتهى والتقدير بدلوا شكر نعمة الله
كفرا ونعمة الله تعالى في هذه الاية هو محمد صلى الله عليه وسلم ودينه و احلوا قومهم اي من
اطاعهم وكان الاشارة والتعنيف انما هو للرؤوس والاعلام و البوار الهلاك قال عطاء بن
يسار نزلت هذه الاية في قتلى بدر و الانداد جمع ند وهو المثيل والمراد الاصنام و اللام في
قوله ليضلوا بضم الياء لام كي وبفتحها لام عاقبة وصيرورة والقراءتان سبعيتان
و قوله عز وجل قل لعبادي الذين امنوا الاية العباد جمع عبد وعرفه في التكرمة بخلاف
العبيد و السر صدقة التنفل و العلانية المفروضة وهذا هو مقتضى الاحاديث و فسر
ابن عباس هذه الاية بزكاة الاموال وكذلك فسر الصلاة بانها الخمس وهذا عندي
منه تقريب للمخاطب و الخلال مصدر من خالل اذا واد وحابا ومنه الخلة والخليل
والمراد بهذا اليوم يوم القيمة و قوله عز وجل الله الذي خلق الاية هذه الاية تذكير بالاية
سبحانه وتنبيه على قدرته التي فيها احسان الى البشر لتقوم الحجة عليهم و قوله بامره مصدر امر
بامره وهذا راجع الى الكلام القديم القائم بالذات و دائبين معناه متماديين و منه قوله
صلى الله عليه وسلم لصاحب الجمل الذي بكى ولجهش اليه ان هذا الجمل شكى الي انك

ما احد يقوم على راسه ملك بيده مطراق الا قبل
فقال النبي صلى الله عليه وسلم

انك بجيعه وتدبه اى تديمه فى الخدمة والعمل وظاهر الاية ان معناه دائبين فى الطلوع
والغروب وما بينهما من المنافع للناس التى لا تحصى كثرة وعن ابن عباس انه قال معناه دائبين فى طاعة الله
وقوله عز وجل واتاكم من كل ما سالتموه المعنى ان جنس الانسان بجملته قد اوتى من كل ما شانه
ان يسئل وينتفع به وعن ابن عباس وغيره من كل ما سالتموه بتنوين كل ورويت عن نافع وقوله
تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اى لكثرتها وعظمها فى الحواس والقوى والايجاد بعد
العدم والهداية للايمان وغير ذلك وقال طلق بن حبيب ان حق الله اثقل من ان يقوم به العباد
ونعمه اكثر من ان يحصيها العباد ولكن اصبحوا توابين وامسوا توابين قلت ومن الكلم الفارقية
ايها الحريص على نيل عاجل حظه ومراده الغافل عن الاستعداد لمعاده تنبه لعظم من
وجودك بايجاده وبقاءك بارفاده ودوامك بامداده انت طفل فى حجر لطفه ومهد
عطفه وحضانة حفظه يغذوك بلبان بره ويقلبك بايدى اياديه وفضله وانت
غافل عن تعظيم امره وجاهل بما اولاك من لطيف سره وفضلك به على كثير من خلقه اذكر
عهد الايجاد ودوام الامداد والافراد وحالتى الاصدار والايراد وفاتحة المبداء وخاتمة
المعاد انتهى وقوله عز وجل ان الانسان لظلوم كفار يريد به النوع والجنس المعنى توجد
فيه هذه الخلال وهى الظلم والكفر فان كانت هذه الخلال من جاحد فهى بصفة وان كانت
من عاص فهى بصفة اخرى وقوله عز وجل واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا تقدم
تفسيره وقوله عز وجل واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس
فمن تبعنى فانه منى واجنبنى معناه امنعنى يقال جنبه وجنبه اذا امنعه من الامر وحماه منه
قلت وكذا قال ابو حيان واجنبنى معناه امنعنى اصله من الجانب وعن المهدوى اى اجعلنى جانبا
من عبادتها وقال الثعلبى واجنبنى اى بعدنى واجعلنى منها على جانب بعيد انتهى وهذه الالفاظ
كلها متقاربة المعانى واراد ابراهيم عليه السلام بنى صلبه واما فى نسله فمنهم من عبد الاصنام
وهذا الدعاء من الخليل عليه السلام يقتضى افراط خوفه على نفسه ومن حصل فى رتبته
فكيف يخاف ان يعبد صنما لكن هذه الاية ينبغى ان يقتدى بها فى الخوف وطلب حسن
الخاتمة والاصنام هى المنحوتة على خلقة البشر وما كان منحوتا على غير خلقة البشر
فهى اوثان قاله الطبرى عن مجاهد ونسب الى الاصنام انها اضلت كثيرا من الناس تجوزا وحقيقة
الاضلال انما هو لمخترعها سبحانه وقيل اراد بالاصنام هنا الدنانير والدراهم وقوله ومن
عصانى ظاهره بالكفر لمعادلة قوله فمن تبعنى فانه منى واذا كان ذلك كذلك فقوله
فانك غفور رحيم معناه حين يتوبوا على الكفر حتى يؤمنوا لا انه اراد ان الله يغفر لكافر وحمله على هذه
العبارة ما كان ياخذ نفسه به من القول الجميل والنطق الحسن وجميل الادب صلى الله
عليه وسلم قال قتادة اسمعوا قول الخليل صلى الله عليه وسلم والله ما كانوا طعانين
ولا لعانين وكذلك قال نبى الله عيسى عليه السلام وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم
واسند الطبرى عن عبد الله بن عمر وحديثا ان النبى صلى الله عليه وسلم تلى هاتين الايتين
ثم دعا لامته فبشر فيهم وكان ابراهيم التيمى يقول من يامن على نفسه بعد خوف
ابراهيم الخليل على نفسه من عبادة الاصنام وقوله ومن ذريتى يريد اسمعيل عليه السلام

وذلك

وذلك ان سارة لما غارت بهاجر بعد ان ولدت اسمعيل تشوش قلب ابراهيم منها فروى
انه ركب البراق هو وهاجر والطفل فجاء فى يوم واحد من الشام الى بطن مكة فتركهما هنالك
وركب منصرفا من يومه ذلك وكان ذلك كله بوحى من الله تعالى فلما مضى دعى بمضمن هذه
الاية واما كيفية بقاء هاجر وما صنعت وسائر خبر اسمعيل ففى كتاب البخارى وغيره وفى
السير ذكر ذلك كله مستوعبا قلت وفى صحيح البخارى من حديثه الطويل فى قصة ابراهيم
مع هاجر وولدها لما حمل الى مكة قال وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما
هنالك ووضع عند هاجر جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفا ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسمعيل
فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انيس ولا شى فقالت له ذلك مرارا
وجعل لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق
ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهولاء الدعوات
ورفع يديه فقال رب انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم حتى بلغ يشكرون
الحديث بطوله وفى طريق قالت يا ابراهيم الى من تتركنا قال الى الله عز وجل قالت رضيت انتهى
وفى هذا الحديث من الفوائد لارباب القلوب والمتوكلين والثقة بالله سبحانه ما يطول بنا سرده
فاليك استخراجها ولما انقطعت هاجر وابنها الى الله تعالى اواهما الله وانبع لهما ماء زمزم المبارك ثم
جعله غذاء قال ابن العربى وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له قال ابن العربى
ولقد كنت مقيما بمكة سنة سبع وثمانين واربعمائة وكنت اشرب ماء زمزم كثيرا وكلما
شربت نويت به العلم والايمان ونسيت ان اشربه للعمل ففتح لى العلم ويا ليتنى شربته لهما معا
حتى يفتح لى فيهما ولم يقدر فكان صغوى الى العلم اكثر منه الى العمل انتهى من الاحكام ومن فى قوله
ومن ذريتى للتبعيض لان اسحق كان بالشام والوادى ما بين الجبلين وليس من شرطه ان يكون
فيه ماء وجمعه الضمير فى قوله ليقيموا يدل على ان الله قد علمه ان ذلك الطفل سيعقب هنالك
ويكون له نسل واللام فى ليقيموا لام كى هذا هو الظاهر ويصح ان تكون لام الامر كانه رغب
الى الله سبحانه ان يوفقهم لاقامة الصلاة والافئدة القلوب جمع فؤاد سمى بذلك لانقاده
ماخوذ من فاد ومنه المفتاد وهو مستوقد النار حيث يشوى اللحم وقوله من الناس تبعيض
ومراده المؤمنون وباقى الاية بين وقوله رب اجعلنى مقيم الصلاة دعاء ابراهيم عليه السلام
فى امر كان مثابرا عليه متمسكا به ومتى دعا الانسان فى مثل هذا فانما القصد ادامة ذلك
الامر واستمراره قال السهيلى قوله تعالى رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى بحرف التبعيض ولذلك
اسلم بعض ذريته دون بعض انتهى وفاقا لما تقدم الان وقوله ربنا اغفر لى ولوالدى
اختلف فى تاويل ذلك فقالت فرقة كان هذا قبل ياسه من ايمان ابيه وتبيينه انه عدو لله
فاراد اباه وامه فانها كانت مؤمنة وقيل اراد ادم ونوحا عليهما السلام وقرا الزهرى وغيره
ولولدى على انه دعا لاسمعيل واسحق وانكرها عاصم الجحدرى وقال ان مصحف ابى بن كعب ولابوى
وقوله عز وجل ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يوخرهم ليوم الاية هذه الاية
بجملتها فيها وعيد للظالمين وتسلية للمظلومين والخطاب بقوله تحسبن للنبى صلى الله عليه
وسلم وتشخص فيه الابصار معناه تحد النظر لفرط الفزع ولفرط ذلك يشخص المحتضر والمهطع

المسرع في مشيه قاله ابن جبير وغيره وذلك بذلة واستكانة كاسراع الاسير ونحوه وهذا ارجح الاقوال وقال ابن عباس الاهطاع شدة النظر من غير ان يطرف وقال ابن زيد المهطع الذي لا يرفع راسه قال ابو عبيدة قد يكون الاهطاع الوجهين جميعا الاسراع وادامة النظر والمقنع هو الذي يرفع راسه قدما بوجهه نحو الشيء ومن ذلك قول الشاعر: يباكرن العضاة بمقنعات نواجذهن كالحداء الوقيع: يصف الابل عند رعيها اعالي الشجر وقال الحسن في تفسير هذه الاية وجوه الناس يوم القيمة الى السماء لا ينظر احد الى احد وذكر المبرد فيما حكي عنه مكي ان الاقناع يوجد في كلام العرب بمعنى خفض الراس من الذلة قال ابن عطية والاول اشهر وقوله سبحانه لا يرتد اليهم طرفهم اي لا يطرفون من الحذر والجزع وشدة الحال وقوله وافئدتهم هواء تشبيه محض وجهة التشبيه يحتمل ان تكون في فراغ الافئدة من الخير والرجاء والطمع في الرحمة فهي منخرقة مشبهة الهواء في تفرغه من الاشياء وانخراقه ويحتمل ان يكون في اضطراب افئدتهم وجيشانها في صدورهم وانها تجيء وتذهب وتبلغ على ما روي حناجرهم فهي في ذلك كالهواء الذي هو ابدا في اضطراب وقوله سبحانه وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب المراد باليوم يوم القيمة على انه مفعول بانذر ولا يجوز ان يكون ظرفا لان القيمة ليست بمواطن انذار قال الشيخ العارف بالله عبد الله بن ابي جمرة يجب التصديق بكل ما اخبر الله ورسوله به ولا يتعرض الى الكيفية في كل ما جاء من امر ما غاب عنا واحوال يوم القيمة فان امرها لا تسعه العقول وطلب الكيفية فيه ضعف في الايمان وانما يجب الجزم بالتصديق بجميع ما اخبر الله به انتهى قال الغزالي فاعلم العلماء واعرف الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والايات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج بضميره فلو لم يكن للعاقل هم ولا غم الا التفكر في خطر تلك الاحوال وما الذي ينكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة او سعادة دائمة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين ايدينا انتهى من الاحياء وقوله اولم تكونوا الاية معناه يقال لهم وقوله ما لكم من زوال هو المقسم عليه وهذه الاية ناظرة الى ما حكى الله سبحانه عنهم في قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وقوله سبحانه وسكنتم الاية المعنى يقول عز وجل وسكنتم ايها المعرضون عن ايات الله من جميع العالم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر من الامم السالفة فنزلت بهم المثلات وكان ذلك حكمة الاعتبار والاتعاظ وقوله وعند الله مكرهم اي جزاء مكرهم وقرا السبعة سوى الكسائي وان كان مكرهم لتزول بكسر اللام من لتزول وفتح الاخيرة وهذا على ان تكون ان نافية بمعنى ما ومعنى الاية تحقير مكرهم وانه ما كان لتزول منه الشرائع والنبوات واقدار الله بها التي هي كالجبال في ثبوتها وقوتها هذا تاويل الحسن وجماعة المفسرين ويحتمل عندي هذه القراءة ان تكون بمعنى تعظيم مكرهم اي وان كان شديدا وقرا الكسائي وان كان مكرهم لتزول منه الجبال بفتح اللام الاولى من لتزول وضم الاخيرة وهي قراءة ابن عباس وغيره ومعنى الاية تعظيم مكرهم وشدته اي انه مما يشقى به ويزيل الجبال عن مستقراتها لقوته ولكن الله تعالى ابطله ونصر اولياءه وهذا اشد في العبرة وقرا علي وابن مسعود وعمر بن الخطاب وابي وان كاد مكرهم وذكر ابو حاتم ان في قراءة ابي ولولا كلمة الله لزال من مكرهم الجبال وقوله سبحانه فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله الاية تثبيت للنبي عليه الصلاة والسلام ولغيره من امته ولم يكن النبي عليه الصلاة والسلام ممن يحسب مثل هذا ولكن خرجت العبارة هكذا والمراد بما فيها من الزجر غيره ان الله عزيز لا يمتنع منه شيء ذو انتقام من الكفرة وقوله سبحانه يوم تبدل

الارض

الارض الاية يوم ظرف للانتقام المذكور قبله وروي في تبديل الارض اخبار منها في الصحيح يبدل الله هذه الارض بارض عفراء بيضاء كانها فضة نقي قلت وفي الصحيح ان الله يبدلها خبزة ياكل المؤمن منها من تحت قدميه وروي انها تبدل ارضا من فضة وروي انها ارض كالفضة من بياضها وروي انها تبدل من نار قال ابن عطية وسمعت من ابي رحمه الله انه روي ان التبديل يقع في الارض ولكن يبدل لكل فريق ما يقتضيه حاله فالمؤمن يكون على خبز ياكل منه بحسب حاجته اليه وفريق يكون على فضة ان صح السند بها وفريق الكفرة يكون على نار ونحو هذا مما كله واقع تحت قدرة الله عز وجل واكثر المفسرين على ان التبديل يكون بارض بيضاء عفراء لم يعص الله فيها ولا سفك فيها دم وليس فيها معلم لاحد وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمنون وقت التبديل على الصراط وروي انه قال الناس حينئذ اضياف الله فلا يعجزهم ما لديه وفي صحيح مسلم من حديث ثوبان في سؤال الحبر وقوله يا محمد اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فقال صلى الله عليه وسلم هم في الظلمة دون الجسر الحديث بطوله وخرج مسلم وابن ماجه جميعا قالا ثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثم اسند عن عائشة قالت سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فاين يكون الناس قال على الصراط وخرجه الترمذي من حديث عائشة قالت يا رسول الله والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فاين يكون المؤمنون يومئذ قال على الصراط يا عائشة قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى من التذكرة وترى المجرمين اي الكفار مقرنين اي مربوطين في قرن وهو الحبل الذي تشد به رؤوس الابل والبقر والاصفاد هي الاغلال واحدها صفد والسرابيل القمص والقطران هو الذي تهنا به الابل وللنار فيه اشتعال شديد فلذلك جعل الله قمص اهل النار منه وقرا عمر بن الخطاب وعلي وابو هريرة وابن عباس وغيرهم من قطر ان والقطر القصدير وقيل النحاس وروي عن عمر انه قال ليس بالقطران ولكنه النحاس يسربلونه وان صفته وهو الذائب الحار الذي قد تناهى حره قاله الحسن قد سعرت عليه جهنم منذ خلقت فتناهى حره وقوله سبحانه ليجزي الله كل نفس ما كسبت لانه جاء من لفظة الكسب بما يعم المسيء والمحسن لينبه على المحسنين ايضا يجازى باحسانه خيرا وقوله سبحانه هذا بلاغ للناس الاية اشارة الى القران والوعيد الذي تضمنه والمعنى هذا بلاغ
للناس ولينذروا به وليذكر
اولوا الالباب انتهى

الجزء الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحجر مكية قوله عز وجل الر تلك ايات الكتاب وقرآن مبين قال مجاهد وقتادة
الكتاب في الآية ما نزل من الكتب قبل القرآن ويحتمل ان يراد بالكتاب القرآن ثم تعطف الصفة عليه
وربما للتقليل وقد تجي شاذة للتكثير وقال قوم ان هذه من ذلك وانكر الزجاج ان تكون رب
للتكثير واختلف المتاولون في الوقت الذي يود فيه الكفار لو كانوا مسلمين فقالت فرقة
هو عند معاينة الموت حكى ذلك الضحاك وقالت فرقة هو عند معاينة اهوال يوم القيمة وقال
ابن عباس وغيره هو عند دخولهم النار ومعرفتهم بدخول المؤمنين الجنة وروي فيه حديث من طريق
ابي موسى وقوله سبحانه ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الاية وعيد وتهديد وما فيه من المهادنة منسوخ باية السيف
وروى ابن المبارك في رقايقه قال اخبرنا الاوزاعي عن عروة بن رويم قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم شرار امتي الذين ولدوا في النعيم وغذوا به همتهم الوان الطعام والوان الثياب يتشدقون في الكلام
انتهى وقوله فسوف يعلمون وعيد ثان وحكى الطبري عن بعض العلماء انه قال الاول في الدنيا والثاني
في الآخرة فكيف تطيب حياة بين هذين الوعيدين وقوله ويلههم الامل اي يشغلهم املهم في
الدنيا والتزيد منها قال عبد الحق في العاقبة اعلم رحمك الله ان تقصير الامل مع حب الدنيا
متعذر وانتظار الموت مع الاكباب عليها غير متيسر ثم قال واعلم ان كثرة الاشتغال بالدنيا
والميل بالكلية اليها ولذة امانيها تمنع حرارة ذكر الموت ان ترد على القلب اذا امتلا بشي لم يكن
لشي اخر فيه منزل ولم تلف الموعظة فيه محلا قابلا قال ابن سماك رحمه الله الموتى لم يبكوا من الموت
ولكنهم بكوا من حسرة الفوت فاتتهم والله دار لم يتزودوا منها ودخلوا دارا لم يتزودوا لها
انتهى وانما حصل لهم الفوت بسبب استغراقهم في الدنيا وطول الامل الملهي عن المعاد الهمنا الله

رشدنا بمنه وكرمه وقوله سبحانه وما اهلكنا من قرية الاية اي فلا تستبطئن هلاكهم فليس
من قرية مهلكة الا باجل وكتاب معلوم محدود وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر الاية
القايلون هذه المقالة هم كفار قريش ولوما بمعنى لولا فتكون تحضيضا كما هي في هذه الاية
وفي البخاري لوما تاتينا هلا تاتينا وقوله الا بالحق قال مجاهد المعنى بالرسالة والعذاب والظاهر ان
معناه كما ينبغي ويحق من الوحي والمنافع التي اراد ها الله لعباده لا على اقتراح كافر ثم ذكر عادته سبحانه
في الامم من انه لم ياتهم باية اقتراح الا ومعها العذاب في اثرها ان لم يومنوا والنظرة التاخير
وقوله سبحانه انا نحن نزلنا الذكر رد على المستخفين في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر وقوله
وانا له لحافظون قال مجاهد وغيره الضمير في له عايد على القران المعنى وانا له لحافظون من ان يبدل
او يغير وقوله سبحانه ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
اي لا يضيق صدرك يا محمد بما يفعله قومك من الاستهزا في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر
وغير ذلك والشيعة الفرقة التابعة لراس ما قال الفرا في شيع الاولين انه من اضافة الموصوف الى صفته
كحق اليقين وجانب الغربي وتاوله البصريون على حذف الموصوف اي في شيع الامم الاولين انتهى وقوله سبحانه
كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يومنون به وقد خلت سنة الاولين يحتمل ان يكون الضمير في
نسلكه يعود على الذكر المحفوظ المتقدم وهو القرآن ويكون الضمير في به عايدا عليه ايضا ويحتمل ان
يعود الضميران معا على الاستهزاء والشرك ونحوه وتكون الباء في به باء السبب اي لا يومنون بسبب
شركهم واستهزائهم ويحتمل ان يكون الضمير في نسلكه عايدا على الاستهزاء والشرك والضمير في به عايد
على القران والمعنى في ذلك كله ينظر بعضه الى بعض ونسلكه معناه ندخله والمجرمين هنا يراد بهم
كفار قريش ومعاصروا النبي صلى الله عليه وسلم وقوله لا يومنون به عموم معناه الخصوص فيمن
حتم عليه وقوله وقد خلت سنة الاولين اي على هذه الوتيرة ولو فتحنا عليهم اي على قريش وكفرة
العصر والضمير في قوله فظلوا عايد عليهم وهو تاويل الحسن ويعرجون معناه يصعدون ويحتمل ان
يعود على الملايكة اي ولو راوا الملايكة يصعدون ويتصرفون في باب مفتوح في السما لما امنوا وهذا
تاويل ابن عباس وقرا السبعة سوى ابن كثير سكرت بضم السين وشد الكاف وقرا ابن كثير بتخفيف
الكاف تقول العرب سكرت الريح تسكر سكورا اذا ركدت ولم تنفذ لما كانت بسبيله اولا وسكر الرجل من
الشراب اذا تغيرت حاله وركد ولم ينفذ لما كان بسبيله ان ينفذ فيه وتقول العرب سكرت الثبوق في
مجاري الما سكرا اذا طمسته وصرفت الما عنه فلم ينفذ لوجهه قال ع فهذه اللفظة سكرت
بشد الكاف ان كانت من سكر الشراب او من سكور الريح فهي فعل عدي بالتضعيف وان كانت من سكر مجاري
الما فتضعيفها للمبالغة لا للتعدي لان المخفف من فعله متعد ومعنى هذه المقالة منهم اي غيرت ابصارنا
عما كانت عليه فهي لا تنفذ وهي تعطينا حقايق الاشيا كما كانت تفعل وقوله سبحانه ولقد جعلنا في
السما بروجا البروج المنازل واحدها برج وسمي بذلك لظهوره ومنه تبرج المراة ظهورها وبدوها
وحفظ السما هو بالرجم بالشهب على ما تضمنته الاحاديث الصحاح قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الشياطين
تقرب من السما افواجا قال فينفرد المارد منها فيعلو فيسمع فيرمى بالشهاب فيقول لاصحابه وهو يلتهب
فيزيد الشياطين في ذلك ويلقونه الى الكهنة فيزيدون مع الكلمة ماية ونحو هذا الحديث والاصمعي لكن
ويظهر ان الاستثنا من الحفظ وقال محمد بن يحيى عن ابيه الا من استرق السمع فانها لم تحفظ منه

وقوله موزون قال الجمهور معناه مقدر محرر بقصد وارادة فالوزن على هذا مستعار وقوله ومن لستم له برازقين يحتمل ان يكون عطفا على معايش كان الله تعالى عدد النعم في المعايش وهي ما يؤكل ويلبس ثم عدد النعم في الحيوان والعبيد وغير ذلك مما ينتفع به الناس وليس عليهم رزقهم وقوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه قال ابن جريج هو المطر خاصة قال ع وينبغي ان يكون اعم من هذا في كثير من المخلوقات وقوله سبحانه وارسلنا الرياح لواقح اي ذات لقح يقال لقحت الناقة والشجر فهي لاقحة اذا حملت فالوجه في الريح ملقحة لا لاقحة قال الداودي وعن ابن عمر الرياح ثمان اربع رحمة واربع عذاب فالرحمة المرسلات والمبشرات والناشرات والذاريات واما العذاب فالصرصر والعقيم والقاصف والعاصف وهما في البحر انتهى وقوله جلت عظمته وانا لنحن نحيي ونميت الاية هذه الايات مع الايات التي قبلها تضمنت العبرة والدلالة على قدرة الله تعالى وما يوجب توحيده وعبادته المعنى وانا لنحن نحيي من نشا باخراجه من العدم الى الوجود الحياة ونميت بازالة الحياة عمن كان حيا ونحن الوارثون اي لا يبقى شيء سوانا وكل شيء هالك الا وجهه لا رب غيره ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين اي من لدن ادم الى يوم القيمة قال ابن العربي في احكامه روى الترمذي وغيره في سبب نزول هذه الاية عن ابن عباس انه قال كانت امراة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس ولا والله ما رايت مثلها قط قال وكان بعض المسلمين اذا صلوا تقدموا وبعضهم يستاخر فاذا سجدوا نظروا اليها من تحت ايديهم فانزل الله الاية ثم قال ابن العربي وفي شرح المراد بهذه الاية خمسة اقوال احدها هذا القول الثاني المتقدمين في الخلق الى اليوم والمتاخرين الذين لم يخلقوا بعد بيانا ان الله يعلم الموجود والمعدوم قاله قتادة وجماعة الثالث من مات ومن بقي قاله ابن عباس ايضا الرابع المستقدمين سائر الامم والمستاخرين في المعصية

امة محمد صلى الله عليه وسلم قاله مجاهد الخامس قال الحسن معناه المتقدمين في الطاعة والمتاخرين

انتهى ت والحديث المتقدم ان صح فلا بد من تاويله فان الصحابة ينزهون عن فعل ما ذكر فيه فلعل ان ذلك صدر من بعض المنافقين او بعض الاعراب الذين قرب عهدهم بالاسلام ولم يرسخ الايمان في قلوبهم واما ابن عباس فقد كان يومئذ صغيرا بلا شك هذا ان كانت الاية مدنية فان كانت مكية فهو يومئذ في سن الطفولية وبالجملة فالظاهر ضعف هذا الحديث من وجوه انتهى وبالاية تبين ولقد خلقنا الانسان يعني ادم قال ابن عباس خلق من ثلاثة من طين لازب وهو اللازق الجيد ومن صلصال وهو الارض الطيبة يقع عليها الماء ثم ينحسر فتشقق وتصير مثل الخزف ومن حما مسنون وهو الطين فيه الحماة والمسنون قال معمر هو المنتن وهو من اسن الماء اذا تغير وورد من جهة التصريف وقيل غير هذا وفي الحديث ان الله تعالى خلق ادم من جميع انواع التراب الطيب والخبيث والاسود والاحمر وقوله والجان يراد به جنس الشياطين وسئل وهب بن منبه عنهم فقال هم اجناس قال ع والمراد بهذه الخلقة ابليس ابو الجن وقوله من قبل لان ابليس خلق قبل ادم بمدة والسموم في كلام العرب افراط الحر حتى يقتل من نار او شمس او ريح واما اضافة النار الى السموم في هذه الاية فيحتمل ان تكون النار انواعا ويكون السموم امرا يختص بنوع منها فصح الاضافة ح وان لم يكن هذا فيخرج هذا على قولهم مسجد الجامع ودار الاخرة على حذف مضاف قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين قال يا ابليس

ما لك الا تكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون اخبر الله سبحانه الملائكة بعجب عندهم وذلك انهم كانوا مخلوقين من نور فهي مخلوقات لطاف فاخبرهم سبحانه انه يخلق جسما حيا ذا بشرة وانه يخلقه من صلصال والبشرة هي وجه الجلد في الاظهر من القول وقوله من روحي اضافة خلق وملك الى خالق ومالك وقول ابليس لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال الاية ليست ابايته نفس كفره عند الحذاق لان ابايته انما هي معصية فقط وانما كفره بمقتضى قوله وتعليله اذ يقتضي ان الله خلق خلقا مفضولا وكلف خلقا افضل منه ان يذل له فكانه قال وهذا جور وقد تقدم تفسير اكثر هذه المعاني وقوله عز وجل قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الاية قوله بما اغويتني قال ابو عبيدة وغيره اقسم بالاغواء قال ع وكانه جعله بمنزلة قوله رب بقدرتك علي وقضائك ويحتمل ان تكون باء السبب وقوله سبحانه هذا صراط علي مستقيم المعنى هذا امر الي مصيره والعرب تقول طريقك في هذا الامر على فلان اي اليه يصير النظر في امرك والاية تتضمن وعيدا وظاهر قوله عبادي الخصوص في اهل الايمان والتقوى فيكون الاستثناء منقطعا وان اخذنا العباد عموما كان الاستثناء متصلا ويكون في الاقل في القدر من حيث لا قدر للكفار والنظر الاول احسن وانما الغرض ان لا يقع في استثناء الاكثر من الاقل وان كان الفقهاء قد جوزوه وقوله سبحانه ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام امنين الاية السلام هنا يحتمل ان يكون السلامة ويحتمل ان يكون التحية

وقوله لموعدهم اي موضع اجتماعهم اعاذنا الله من عذابه وعاملنا بمحض جوده وكرمه

والغل الحقد قال الداودي عن النبي صلى الله عليه وسلم ونزعنا ما في صدورهم من غل الاية قال اذا خلص المؤمن من الصراط حبسوا على صراط بين الجنة والنار فيقتص من بعضهم لبعض بمظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة والله لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة لمنزله في الدنيا انتهى والسرر جمع سرير ومتقابلين الظاهر ان معناه في الوجوه اذ الاسرة متقابلة فهي احسن في الرتبة قال مجاهد لا ينظر احدهم في قفا صاحبه وقيل غير هذا مما لا يعطيه اللفظ والنصب التعب ونبئ معناه اعلم قال الغزالي في منهاجه ومن الايات اللطيفة الجامعة بين الرجا والخوف قوله سبحانه نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم ثم قال في عقبه وان عذابي هو العذاب الاليم لئلا يستولي عليك الرجاء بمرة وقوله تعالى شديد العقاب ثم قال في عقبه ذي الطول لئلا يستولي عليك الخوف واعجب من ذلك قوله تعالى ويحذركم الله نفسه ثم قال في عقبه والله رؤوف بالعباد واعجب منه قوله تعالى من خشي الرحمن فعلق الخشية باسم الرحمن دون غيره اسم الجبار والمنتقم والمتكبر ونحوه ليكون تخويفا في تامين وتحريكا في تسكين كما تقول اما تخشى الوالدة الرحيمة اما تخشى الوالد الشفيق والمراد من ذلك ان يكون الطريق عدلا فلا تذهب الى امن او قنوط جعلنا الله واياكم من المتدبرين لهذا الذكر الحكيم العاملين بما فيه انه الجواد الكريم انتهى وقوله سبحانه ونبئهم عن ضيف ابراهيم الاية هذا ابتداء قصص بعد انصرام الغرض الاول والضيف مصدر وصف به فهو للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد وقوله انا منكم وجلون اي فزعون وانما وجل منهم لما قدم اليهم العجل الحنيذ فلم يرهم ياكلون وكانت عندهم العلامة المؤمنة اكل الطعام وكذلك هو في غابر الدهر امنة للنازل والمنزول به وقوله ان مسني الكبر اي في حالة قد مسني فيها الكبر وقول ابراهيم عليه السلام فبم تبشرون

تقرير على جهة التعجب والاستبعاد لكبرهما او على جهة الاحتقار وقلة المبالاة بالمسرات
الدنيوية لمضي العمر واستيلاء الكبر وقولهم بشرناك بالحق فيه شدة ما اى بشرنا بما بشرت
به ولا تكن من القانطين والقنوط اتم الياس وقوله سبحانه قال فما خطبكم ايها المرسلون
لفظة الخطب انما تستعمل في الامور الشدائد وقولهم الا آل لوط استثناء منقطع والآل
القوم الذين يؤول امرهم الى المضاف اليه كذا قال سيبويه وهذا نص في ان لفظة آل ليست
لفظة اهل كما قال النحاس وقوله الا امراته استثناء متصل والاستثناء بعد الاستثناء يرد المستثنى
الثاني في حكم الامر الاول والغابرين هنا اى الباقين في العذاب وغبر من الاضداد يقال في
الماضي وفي الباقي وقول الرسل للوط بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اى بما وعدك الله من
تعذيبهم الذي كانوا يشكون فيه والقطع الجزء من الليل وقوله سبحانه واتبع ادبارهم اى
كن خلفهم وفي ساقتهم حتى لا يبقى منهم احد ولا يلتفت ماخوذ من الالتفات الذي هو نظر
العين قال مجاهد المعنى لا ينظر احد وراءه ونهوا عن النظر مخافة الغفلة وتعلق
النفس بمن خلف وقيل لئلا تنفطر قلوبهم من معاينة ما جرى على القرية في رفعها
وطرحها وقوله سبحانه وقضينا اليه ذلك الامر اى امضيناه وحتمنا به ثم ادخل في
الكلام اليه من حيث اوحى ذلك اليه واعلمه الله به وقوله يستبشرون اى بالاضياف
طمعا منهم في الفاحشة وقولهم اولم ننهك عن العالمين روي انهم كانوا تقدموا اليه في
ان لا يضيف احدا والعمر والعمر بفتح العين وضمها واحد وهما مدة الحياة ولا يستعمل في
القسم الا بالفتح وفي هذه الآية شرف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لان الله عز وجل اقسم
بحياته ولم يفعل ذلك مع بشر سواه قال ابن عباس ت قال ص اللام في لعمرك للابتداء والكاف
خطاب للوط عليه السلام والتقدير قالت الملائكة له لعمرك واقتصر على هذا وما ذكره ع
هو الذي عول عليه عياض وغيره قال ابن العربي في احكامه قال المفسرون باجمعهم اقسم الله تعالى في
هذه الآية بحياة محمد صلى الله عليه وسلم ولا ادري ما اخرجهم عن ذكر لوط الى ذكر محمد عليهما
السلام وما المانع ان يقسم الله بحياة لوط ويبلغ به من التشريف ما شاء وكل ما يعطي الله
للوط من فضل ويؤتيه من شرف فلنبينا محمد عليه السلام ضعفاه لانه اكرم على الله منه
واذا اقسم الله بحياة لوط فحياة نبينا محمد عليه السلام ارفع ولا يخرج من كلام الى كلام آخر غيره
لم يجر له ذكر لغير ضرورة انتهى ت وما ذكره الجمهور احسن لان الخطاب خطاب مواجهة ولانه
تفسير صحابي وهو مقدم على غيره ويعمهون معناه يترددون في حيرتهم ومشرقين معناه
قد دخلوا في الاشراق وهو سطوع ضوء الشمس وظهوره قاله ابن زيد وهذه الصيحة هي
صيحة الوجبة وليست كصيحة ثمود واهلكوا بعد الفجر مصبحين واستوفاهم الهلاك مشرقين
وباقي قصص الآية تقدم تفسيره والمتوسمون قال مجاهد المتفرسون وقال ايضا المعتبرون
وقيل غير هذا وهذا كله تفسير بالمعنى واما تفسير اللفظة فالمتوسم هو الذي ينظر في وسم المعنى
فيستدل به على المعنى وكان معصية هؤلاء ابقت من العذاب والاهلاك وسما فمن رأى الوسم
استدل على المعصية به واقتاده النظر الى تجنب المعاصي لئلا ينزل به ما نزل بهم ومن شعر هذه
اللفظة قول الشاعر نظم توسمته لما رايت مهابة عليه وقلت المرء من آل هاشم

والضمير

والضمير في قوله وانها لبسبيل مقيم يحتمل ان يعود على المدينة المهلكة اي انها في طريق ظاهر بين
للمعتبر وهذا تاويل مجاهد وغيره ويحتمل ان يعود على الآيات ويحتمل ان يعود على الحجارة ويقويه ما روي عنه صلى
الله عليه وسلم انه قال ان حجارة العذاب معلقة بين السماء والارض منذ الفي سنة لعصاة امتي وقوله
سبحانه وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم الايكة الغيضة والشجر الملتف المخضر قال
الشاعر: الا انما الدنيا غضارة ايكة ... اذا اخضر منها جانب جف جانب
وكان هؤلاء قوما يسكنون غيضة ويرتفقون بها في معايشهم فبعث الله اليهم شعيبا فكفروا به فسلط الله
عليهم الحر فدام عليهم سبعة ايام ثم رأوا سحابة فخرجوا فاستظلوا بها فامطرت عليهم وحكى الطبري
قال بعث الله شعيبا الى امتين كفرتا فعذبتا بعذابين مختلفين اهل مدين عذبوا بالصيحة واصحاب
الايكة بالظلة وقوله وانهما لبامام مبين الضمير في انهما يحتمل ان يعود على مدينة قوم لوط
ومدينة اصحاب الايكة ويحتمل ان يعود على لوط وشعيب عليهما السلام اى انهما على طريق من
الله وشرع مبين والامام في كلام العرب الشيء الذي يهتدى به ويؤتم به فقد يكون الطريق وقد
يكون الكتاب وقد يكون الرجل المقتدى به ونحو هذا ومن رأى عود الضمير على المدينتين قال
الامام الطريق وقيل على ذلك الكتاب الذي سبق فيه اهلاكهم واصحاب الحجر هم ثمود وقد تقدم
قصصهم والحجر مدينتهم وهي ما بين المدينة وتبوك وقال المرسلين من حيث يلزم من تكذيب
رسول واحد تكذيب الجميع اى القول في المعتقد واحد وقوله ينحتون من الجبال بيوتا امنين
النحت النقر بالمعاول وآمنين قيل معناه من انهدامها وقيل من حوادث الدنيا وقيل من الموت
لاغترارهم بطول الاعمار واصح ما يظهر في ذلك انهم كانوا يامنون عواقب الآخرة فكانوا لا يعملون
بحسبها وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اى لم تخلق عبثا ولا سدى
وان الساعة لآتية اى فلا تهتم يا محمد باعمال الكفرة فانا لهم بالمرصاد وقوله عز وجل ولقد
آتيناك سبعا من المثاني ذهب ابن مسعود وغيره الى ان السبع المثاني هنا هي السبع الطوال البقرة وآل عمران
والنساء والمائدة والانعام والمص والانفال مع براءة وذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم الى
ان السبع المثاني هنا آيات الفاتحة وهو نص حديث ابي بن كعب وغيره ت وهذا هو الصحيح
وقد تقدم ذلك اول الكتاب وقوله سبحانه لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم حكى الطبري
عن سفيان بن عيينة انه قال هذه الآية آمرة بالاستغناء بكتاب الله عن جميع زينة الدنيا قال ع فكانه قال
ولقد آتيناك عظيما خطيرا فلا تنظر الى غير ذلك من امور الدنيا وزينتها التي متعنا بها انواعا من هؤلاء
الكفرة ومن هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم من اوتي القرآن فرأى ان احدا اعطي افضل مما اعطي
فقد عظم صغيرا وصغر عظيما ت وفي صحيح مسلم عن ابي سعيد قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخطب الناس فقال لا والله ما اخشى عليكم الا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا الحديث وفي رواية
اخوف ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا قالوا وما زهرة الدنيا يا رسول الله قال بركات
الارض الحديث وفي رواية ان مما اخاف عليكم بعدي ما يفتح لكم من زهرة الدنيا وزينتها الحديث انتهى
والاحاديث في هذا الباب اكثر من ان يحصيها كتاب قال الغزالي في المنهاج واذا انعم الله عليك بنعمة
الدين فاياك ان تلتفت الى الدنيا وحطامها فان ذلك منك لا يكون الا ضربا من التهاون بما اولاك
مولاك من نعم الدارين اما تسمع قوله تعالى لسيد المرسلين ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم

لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الاية تقديره ان من اوتي الكتاب القرآن العظيم
حق له ان لا ينظر الى الدنيا الحقيرة نظرة باستحلاء فضلا عن ان يكون له فيها رغبة فليلتزم
الشكر على ذلك فانه الكرامة التي حرص عليها الخليل لابيه والمصطفى عليه السلام لعمه فلم يفعل
واما حطام الدنيا فان الله سبحانه يصبه على كل كافر وفرعون وملحد وزنديق وجاهل وفاسق الذين
هم اهون خلقه عليه ويصرفه عن كل نبي وصفي وصديق وعالم وعابد الذين هم اعز خلقه
عليه حتى انهم لا يكادون يصيبون كسرة وخرقة ويمن عليهم سبحانه بان لا يلطخهم بقذرها
انتهى وقال ابن العربي في احكامه قوله تعالى لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم المعنى اعطيناك
الآخرة فلا تنظر الى لذة الدنيا وقد اعطيناك العلم فلا تتشاغل بالشهوات وقد منحناك لذة القلب
فلا تنظر الى لذة البدن وقد اعطيناك القرآن فاستغن به فمن استغنى به لا يطمح بنظره الى زخارف الدنيا
وعنده معارف المولى حيي بالباقي وفني عن الفاني انتهى وقوله سبحانه وقل اني انا النذير المبين كما
انزلنا على المقتسمين قال ع والذي اقول في هذا ان المعنى وقل اني انا نذير كما قال قبلك رسلنا
وانزلنا عليهم كما انزلنا عليك واختلف في المقتسمين من هم فقال ابن عباس وابن جبير المقتسمين
هم اهل الكتاب الذين فرقوا دينهم وجعلوا كتاب الله اعضاء امنوا ببعض وكفروا ببعض وقال
نحوه مجاهد وقالت فرقة المقتسمون هم كفار قريش جعلوا القرآن سحرا وشعرا وكهانة
وجعلوه اعضاء بهذا التقسيم وقالت فرقة عضين جمع عضة وهي اسم للسحر خاصة بلغة
قريش وقاله عكرمة ت وقال الواحدي كما انزلنا على المقتسمين الذين اقتسموا طرق مكة
يصدون الناس عن الايمان انتهى من مختصره وقوله سبحانه فوربك لنسألنهم اجمعين ضمير
عام ووعيد محض يأخذ كل احد بحسب جرمه وعصيانه فالكافر يسأل عن التوحيد والرسل
وعن كفره وقصده به والمؤمن العاصي يسأل عن تضييعه وكل مكلف عما كلف القيام به وفي
هذا المعنى احاديث قال ابن عباس في هذه الاية يقال لهم لم عملتم كذا وكذا قال وقوله تعالى
فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان معناه لا يقال له ماذا اذنبت لان الله تعالى اعلم بذنبه
منه وقوله سبحانه فاصدع بما تؤمر اصدع معناه انفذ وصرح بما بعثت به واعرض عن المشركين
من ايات المهادنة التي نسختها اية السيف قاله ابن عباس ثم اعلمه الله تعالى بانه قد كفاه المستهزئين
به من كفار مكة ببوائق اصابتهم من الله تعالى قال ابن اسحاق وغيره وهم الذين قذفوا في قليب بدر
كابي جهل وغيره انتهى وقوله سبحانه ولقد نعلم انه يضيق صدرك بما يقولون انه تأنيس للنبي صلى الله
عليه وسلم واليقين هنا الموت قاله ابن عمر وجماعة قال الداودي وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما اوحي الي ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من
الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين انتهى وبالله التوفيق بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم سورة النحل مكية غير آيات يسيرة يأتي بيانها ان شاء
الله قوله سبحانه اتى امر الله فلا تستعجلوه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال جبريل في
سرد الوحي اتى امر الله وثب رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما فلما قال فلا تستعجلوه سكن
وقوله امر الله قال فيه جمهور المفسرين انه يريد القيامة وفيها وعيد للكفار وقيل المراد نصر
محمد صلى الله عليه وسلم فمن قال الامر القيامة قال ان قوله تعالى فلا تستعجلوه رد على المكذبين

بالبعث

بالبعث القائلين متى هذا الوعد والخلاف المتأولون في قوله تعالى ينزل الملائكة بالروح فقال
مجاهد الروح النبوة وقال ابن عباس الروح الوحي وقال قتادة بالرحمة والوحي وقال الربيع بن انس
كل كلام الله روح ومنه قوله تعالى اوحينا اليك روحا من امرنا وقال الزجاج الروح ما تحيى به
القلوب من هداية الله عز وجل وهذا قول الحسن وروى الداودي عن ابن عباس قال الروح خلق من
خلق الله وامر من امر الله على صورة بني آدم وما ينزل من السماء ملك الا ومعه روح كالحفيظ عليه
لا يتكلم ولا يراه ملك ولا شيء مما خلق الله وعن مجاهد خلق من خلق الله لهم ايد وارجل انتهى والله
اعلم بحقيقة ذلك وهذا امر لا يقال بالرأي فان صح فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم وجب الوقوف
عنده انتهى ومن في قوله من يشاء هي للانبياء وقوله تعالى خلق الانسان من نطفة يريد بالانسان
الجنس وقوله خصيم يحتمل ان يريد به الكفرة الذين يجادلون في ايات الله قال الحسن البصري
ويحتمل ان يريد اعم من هذا على ان الاية تعديد نعمة الذهن والبيان على البشر وقوله سبحانه والانعام
خلقها لكم فيها دفء الدفء السخانة وذهاب البرد بالاكسية ونحوها وقيل الدفء تناسل الابل وقال
ابن عباس هو نسل كل شيء والمعنى الاول هو الصحيح والمنافع البانها وما تصرف منها وحرثها
والنضح عليها وغير ذلك قوله جمال اي في المنظر وتريحون معناه حين تردونها وقت الرواح
الى المنازل وتسرحون معناه تخرجونها غدوة الى السرح والاثقال الامتعة وقيل الاجسام
كقوله واخرجت الارض اثقالها اي اجساد بني آدم وسميت الخيل خيلا لاختيالها في مشيها ت
ويجب على من ملكه الله شيئا من هذا الحيوان ان يرفق به ويشكر الله تعالى على هذه النعمة التي خولها
وقد روى مالك في الموطأ عن ابي عبيد مولى سليمان بن عبد الملك عن خالد بن معدان يرفعه
قال ان الله رفيق يحب الرفق ويرضاه ويعين عليه ما لا يعين على العنف فاذا ركبتم هذه الدواب
العجم فانزلوها منازلها فان كانت الارض جدبة فانجوا عليها بنقيها وعليكم بسير الليل فان
الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار واياكم والتعريس على الطريق فانها طرق الدواب ومأوى
الحيات وذكر ابو عمر في التمهيد هذا الحديث بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة
فاما الرفق فمحمود في كل شيء وما كان الرفق في شيء الا زانه وقد روى مالك بسنده عن عائشة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يحب الرفق في الامر كله وامر المسافر في الخصب بان يمشي
رويدا ويكثر النزول لترعى دابته فاما الارض الجدبة فالسنة للمسافر ان يسرع السير ليخرج عنها
وبدابته شيء من اللحم والقوة والنقي في كلام العرب الشحم والودك انتهى وروى ابو داود عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم ان تتخذوا ظهور دوابكم منابر فان الله انما سخرها
لكم لتبلغكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس وجعل لكم الارض فعليها فاقضوا حاجتكم انتهى
وقوله سبحانه ويخلق ما لا تعلمون عبرة منصوبة على العموم اي ان مخلوقات الله من الحيوان وغيره
لا يحيط بعلمها بشر بل ما يخفى عنه اكثر مما يعلمه وقوله سبحانه وعلى الله قصد السبيل الاية هذه
ايضا من اجل نعم الله تعالى اي على الله تقويم طريق الهدى وتبيينه بنصب الادلة وبعث الرسل والى
هذا ذهب المتأولون ويحتمل ان يكون المعنى ان من سلك السبيل القاصد فعلى الله ورحمته وتنعيمه
طريقه والى ذلك مصيره وطريق قاصد معناه بين مستقيم قريب والالف واللام في السبيل
للعهد وهي سبيل الشرع وقوله ومنها جائر طريق اليهود والنصارى وغيرهم والضمير في منها يعود على

السبيل التي يتضمنها معنى الآية وقوله سبحانه فيه تسيمون يقال اسام الرجل ماشيته اذا ارسلها
ترعى وقوله سبحانه وما ذرأ لكم معناه بث ونشر ومختلفا ألوانه اي أصنافه ويحتمل ان يكون
التنبيه على اختلاف الألوان من حمرة وصفرة وغير ذلك والأول أبين وقوله سبحانه وهو الذي سخر البحر
لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون البحر الماء الكثير ملحا كان او عذبا قال ابن العربي في احكامه
قوله تعالى وتستخرجوا منه حلية تلبسونها يعني به اللؤلؤ والمرجان وهذا امتنان عام للرجال
والنساء فلا يحرم عليهم شيء من ذلك انتهى ومواخر جمع ماخرة والمخر في اللغة الصوت الذي يكون
من هبوب الريح على شيء يشق او يصحب في الجملة الماء فيترتب منه ان يكون المخر من الريح وان
يكون من السفينة ونحوها وهو في هذه الآية من السفن وقال بعض النحاة المخر في كلام العرب
الشق يقال مخر الماء الارض وهذا ايضا بين ان يقال فيه للفلك مواخر وقوله وسبلا لعلكم
تهتدون يحتمل ان تهتدون في مشيكم وتصرفكم في السبل ويحتمل تهتدون بالنظر في
دلالة هذه المصنوعات على صانعها وعلامات وبالنجم هم يهتدون قال ابن عباس العلامات معالم
الطرق بالنهار والنجوم هداية الليل وهذا قول حسن فانه عموم بالمعنى واللفظة عامة وذلك ان كل
ما دل على شيء واعلم به فهو علامة والنجم هنا اسم جنس وهذا هو الصواب وقوله سبحانه وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها الآية وبحسب العجز عن عد نعم الله تعالى يلزم ان يكون الشاكر لها مقصرا
عن بعضها فلذلك قال الله عز وجل ان الله لغفور رحيم اي عن تقصيركم في الشكر عن جميعها
نحا هذا المنحى الطبري ويرد عليه ان نعمة الله في قول العبد الحمد لله رب العالمين مع شرطها من
النية والطاعة يوازي جميع النعم ولكن اين قولها بشروطها والمخاطبة بقوله وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها عامة لجميع الناس الذين تدعون من دون الله اي تدعونهم آلهة
وأموات يراد به الذين تدعون من دون الله ورفع اموات على انه خبر مبتدأ مضمر تقديره هم اموات
وقوله غير احياء اي لم يقبلوا حياة قط ولا اتصفوا بها وقوله سبحانه وما يشعرون ايان يبعثون
اي وما يشعر الكفار متى يبعثون الى التعذيب وقوله لا جرم عبرت فرقة من اللغويين عن معناها
بلا بد ولا محالة وقال فرقة معناها حقا ان الله ومذهب سيبويه ان لا نفي لما تقدم من الكلام وجرم
معناه وجب وحق ونحو هذا مذهب الزجاج ولكن مع مذهبهما لا ملازمة لجرم لا تنفك هذه
من هذه وقوله سبحانه انه لا يحب المستكبرين عام في الكافرين والمؤمنين يأخذ كل احد منهم بقسطه
قال الشيخ العارف بالله عبد الله ابن ابي جمرة رحمه الله موت النفوس حياتها من احب ان يحيى يموت
ببذل اهل التوفيق نفوسهم وهوانها عليهم نالوا ما نالوا وبحب اهل الدنيا نفوسهم هانوا بها
وطرأ عليهم الهوان هنا وهنا وقد ورد في الحديث انه ما من عبد الا وفي رأسه حكمة بيد ملك
فان تعاظم وارتفع ضرب الملك في رأسه وقال له اتضع وضعك الله وان تواضع رفعه الملك
وقال له ارتفع رفعك الله من الله علينا بما به يقربنا اليه بمنه انتهى وقوله سبحانه واذا قيل
لهم يعني كفار قريش ماذا انزل ربكم يقال ان سببها النضر بن الحارث واللام في قوله ليحملوا
يحتمل ان تكون لام العاقبة ويحتمل ان تكون لام كي ويحتمل ان تكون لام الامر على الحتم عليهم والصغار
الموجب لهم وقوله سبحانه ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم من للتبعيض وذلك ان هذا

وقوله سبحانه الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة
اي منكرة لقول لا اله الا الله قلت وهذا كما حكى عنهم سبحانه في قوله اجعل
الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب
٣

الرأس

الرأس المضل يحمل وزر نفسه ووزرا من وزر كل من ضل بسببه ولا ينقص من اوزار اولئك شيء
والاوزار هي الاثقال وقوله سبحانه قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم الآية قال ابن عباس
وغيره من المفسرين الاشارة بالذين من قبلهم الى نمرود الذي بنى صرحا ليصعد فيه الى السماء بزعمه
فلما افرط في علوه وطوله في السماء فرسخين على ما حكى النقاش بعث الله عليه ريحا فهدمته وخر
سقفه عليه وعلى اتباعه وقيل ان جبريل هدمه بجناحه والقى اعلاه في البحر وانجعف
من اسفله وقالت فرقة المراد بالذين من قبلهم جميع من كفر من الامم المتقدمة ومكر ونزلت به
عقوبة وقوله على هذا فأتى الله بنيانهم من القواعد الى آخر الآية تمثيل وتشبيه اي حالهم كحال
من فعل به وقوله يخزيهم لفظ يعم جميع المكاره التي تنزل بهم وذلك كله راجع الى ادخالهم النار وخلودهم
فيها وتشاقون معناه تحاربون اي تكونون في شق والحق في شق والذين اوتوا العلم هم الملائكة
فيما قال بعض المفسرين وقال يحيى بن سلام هم المؤمنون قال ع والصواب ان يعم جميع من آتاه الله علم
ذلك من ملائكة وانبياء وغيرهم وقد تقدم تفسير الخزي وانه الفضيحة المخجلة وفي الحديث
ان العار والتخزية لتبلغ من العبد في المقام بين يدي الله تعالى ما يتمنى ان ينطلق به الى النار وينجو من
ذلك المقام اخرجه البغوي في المسند المنتخب له انتهى من الكوكب الدري وقوله سبحانه الذين تتوفاهم
الملائكة ظالمي انفسهم الذين نعت للكافرين في قول اكثر المتأولين والملائكة يريد القابضين
لارواحهم والسلم هنا الاستسلام واللام في قوله فلبئس لام تأكيد والمثوى موضع الاقامة وقوله
سبحانه وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم الآية لما وصف سبحانه مقالة الكفار الذين قالوا اساطير
الاولين عادل ذلك بذكر مقالة المؤمنين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واوجب لكل
فريق ما يستحق وقولهم خيرا جواب بحسب السؤال واختلف في قوله تعالى للذين احسنوا الى آخر
الآية هل هو ابتداء كلام او هو تفسير للخير الذي انزل الله في الوحي على نبيه خبرا ان من احسن
في الدنيا بالطاعة فله حسنة في الدنيا ونعيم في الآخرة وروى انس بن مالك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في
الآخرة وقوله سبحانه جنات عدن يدخلونها الآية تقدم تفسير نظيرها وطيبين عبارة عن
صالح حالهم واستعدادهم للموت والطيب الذي لا خبث معه وقول الملائكة سلام عليكم بشارة
من الله تعالى وفي هذا المعنى احاديث صحاح يطول ذكرها روى ابن المبارك في رقائقه عن محمد بن كعب
القرظي قال اذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك الموت فقال السلام عليك يا ولي الله
الله يقرئك السلام ثم نزع بهذه الآية الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم انتهى
وقوله سبحانه بما كنتم تعملون علق سبحانه دخولهم الجنة باعمالهم من حيث جعل الاعمال امارة
لادخال العبد الجنة ولا معارضة بين الآية وقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل احد الجنة بعمله
قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله بفضل منه ورحمة فان الآية ترد
بالتأويل الى معنى الحديث قال ع ومن الرحمة والتغمد ان يوفق الله العبد الى اعمال برة ومقصد الحديث
نفي وجوب ذلك على الله تعالى بالعقل كما ذهب اليه فريق من المعتزلة وقوله سبحانه هل ينظرون
الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم ينظرون معناه ينتظرون
ونظر متى كانت من رؤية العين فانما تعديها العرب بالى وما لم تتعد بالى فهي بمعنى انتظر ومنه

انظرونا نقتبس من نوركم ومعنى الكلام ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم ظالمي انفسهم
وقوله او ياتي امر ربك وعيد يتضمن قيام الساعة او عذاب الدنيا ثم ذكر تعالى ان هذا كان فعل الامم
قبلهم فعوقبوا وقوله سبحانه فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاء ذلك في الدنيا والاخرة وحاق بهم
معناه نزل وحاط وقوله سبحانه وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء الاية تقدم
تفسير نظيرها في الانعام وقولهم ولا حرمنا يريد من البحيرة والسائبة والوصيلة وغير ذلك وقوله
سبحانه ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله الاية الى قوله فان الله لا يهدي من يضل وقوله
قرا حمزة والكسائي وعاصم لا يهدي بفتح الياء وكسر الدال وذلك على معنيين اي ان الله من قضى
باضلاله لا يهدي والمعنى الثاني ان العرب تقول هدى الرجل بمعنى اهتدى وقوله سبحانه واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت الضمير في اقسموا لكفار قريش ثم رد الله تعالى عليهم بقوله بلى فاوجب بذلك
البعث واكثر الناس في هذه الاية المكذبون بالبعث وقوله سبحانه ليبين التقدير بلى يبعثهم
ليبين لهم الذي يختلفون فيه وقوله سبحانه انما قولنا لشيء اذا اردناه الاية المقصد بهذه الاية
اعلام منكري البعث بهوان امره على الله تعالى وقربه في قدرته لا رب غيره وقوله سبحانه والذين
هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هؤلاء هم الذين هاجروا الى ارض الحبشة هذا قول الجمهور وهو
الصحيح في سبب الاية لان هجرة المدينة لم تكن وقت نزول الاية والاية تتناول كل من هاجر اولا
واخرا وقرا جماعة خارج السبع لنثوينهم واختلف في معنى الحسنة هنا فقالت فرقة الحسنة عدة
شريفة وهي المدينة وذهبت فرقة الى ان الحسنة عامة في كل امر مستحسن يناله ابن آدم وفي
هذا القول يدخل ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يعطي المال وقت القسمة الرجل من
المهاجرين ويقول خذ ما وعدك الله في الدنيا والاجر الاخرة اكبر ثم يتلو هذه الاية ويدخل في هذا
القول النصر على العدو وفتح البلاد وكل امل بلغه المهاجرون والضمير في يعلمون عائد على كفار
قريش وقوله الذين صبروا من صفة المهاجرين وقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم
هذه الاية رد على كفار قريش الذين استبعدوا ان يبعث الله بشرا رسولا ثم قال تعالى فاسألوا اي
قل لهم فاسألوا واهل الذكر هنا احبار اليهود والنصارى قاله ابن عباس وغيره وهو اظهر الاقوال
وهم في هذه النازلة خاصة انما يخبرون بان الرسل من البشر واخبارهم حجة على هؤلاء وقد
ارسلت قريش الى يهود يثرب يسالونهم ويستندون اليهم قوله بالبينات متعلق بفعل مضمر تقديره
ارسلناهم بالبينات وقالت فرقة الباء متعلقة بارسلنا في اول الاية والتقدير على هذا
وما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا ففي الاية تقديم وتاخير والزبر الكتب المزبورة
وقوله سبحانه لتبين للناس ما نزل اليهم الاية قلت وقد فعل صلى الله عليه وسلم ذلك فبين
عن الله واوضح وقد اوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم فاعرب عن دين الله واوضح و
لنذكر الان طرفا من حكمه وفصيح كلامه بحذف اسانيده قال عياض في الشفا واما كلامه
صلى الله عليه وسلم المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه الماثورة فمنها ما لا يوازى
فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم
يد على من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى
لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم

يتكلم

ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت عن شر فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم يؤتك
الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا الموطؤون
اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله
ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق
الامهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن
وخير الامور اوسطها وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله
الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسالك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها امري
وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وتعصمني
بها من كل سوء اللهم اني اسالك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء
الى غير ذلك من بيانه وحسن كلامه مما روته الكافة عن الكافة مما لا يقاس به غيره وحاز فيه
سبقا لا يقدر قدره كقوله السعيد من وعظ بغيره والشقي من شقي في بطن امه واخواتها
مما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في ادنى حكمها وقال صلى الله عليه وسلم
بيد اني من قريش ونشات في بني سعد فجمع الله له بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة
الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التاييد الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري
انتهى فليس بعد بيان الله ورسوله بيان لمن عمر الله قلبه بالايمان وقوله سبحانه افامن الذين مكروا
السيئات الاية تهديد لكفار مكة ونصب السيئات بمكروا وعدي مكروا لانه في معنى عملوا قال
البخاري قال ابن عباس في تقلبهم اي في اختلافهم انتهى وقال المهدوي قال قتادة تقلبهم في
اسفارهم الضحاك في تقلبهم بالليل انتهى وقوله على تخوف اي على جهة التخوف والتخوف التنقص
وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خفي عليه معنى التخوف في هذه الاية واراد الكتب الى الامصار
يسأل عن ذلك فيروى انه جاءه فتى من العرب فقال يا امير المؤمنين ان ابي يتخوفني مالي فقال
عمر الله اكبر او ياخذهم على تخوف ومنه قول النابغة

تخوفهم حتى اذل سراتهم ... بطعن ضرار بعد فتح الصفائح

وهذا التنقص يتجه به الوعيد على معنيين احدهما ان يهلكهم ويخرج ارواحهم على تخوف اي
افذاذا ينتقصهم بذلك الشيء بعد الشيء ويصيرهم الى ما اعد لهم من العذاب وفي هذه الرتبة
الثالثة من الوعيد رافة ورحمة وامهال ليتوب التائب ويرجع الراجع والثاني ما قاله الضحاك
ان ياخذ بالعذاب طائفة او قرية ويترك اخرى ثم كذلك حتى يهلك الكل وقالت فرقة التخوف
هنا من الخوف اي ياخذهم بعد تخوف ينالهم يعذبهم به وقوله سبحانه اولم يروا الى ما خلق الله
من شيء يتفيؤا الاية قوله من شيء لفظ عام في كل شخص وجرم له ظل كالجبال والشجر وغير ذلك
وفاء الظل رجع ولا يقال الفيء الا من بعد الزوال في مشهور كلام العرب لكن هذه الاية
الاعتبار فيها من اول النهار الى اخره فكان الاية جارية في بعض على تجوز كلام العرب واقتضائه
والرؤية هنا رؤية القلب ولكن الاعتبار برؤية القلب هنا انما تكون في مرئيات بالعين
وعن اليمين والشمائل هنا فيه تجوز واتساع وذكر الطبري عن الضحاك قال اذا زالت الشمس
سجد كل شيء قبل القبلة من نبت او شجر ولذلك كان الصالحون يستحبون الصلاة في ذلك

الوقف قال الداودي وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اربع قبل الظهر بعد الزوال
تحسب بمثلهن في صلاة السحر قال وليس شيء الا يسبح لله تلك الساعة وقرا تتفيؤ ظلاله الاية
كلها انتهى والداخر المتصاغر المتواضع وقوله سبحانه يخافون ربهم عام لجميع الحيوانات ومن
فوقهم يريد فوقية القدرة والعظمة والقهر وقوله سبحانه وله ما في السموات والارض السموات
هنا كل ما ارتفع من الخلق من جهة فوق فيدخل في ذلك العرش والكرسي وغيرهما والدين الطاعة
والملك والواصب الدائم قاله ابن عباس ثم ذكر سبحانه بنعمه تبدئة ثم ذكر بها وقت المرض والنجا
العبادة اليه سبحانه والضر وان كان يعم كل مكروه فاكثر ما يجيء عن رزايا البدن وتجأرون معناه
ترفعون اصواتكم باستغاثة وتضرع ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون
الفريق هنا يراد به المشركون الذين يرون ان للاصنام افعالا من شفاء المرضى وجلب النفع ودفع
الضر فهم اذا شفاهم الله عظموا اصنامهم واضافوا ذلك الشفاء اليها وقوله سبحانه ليكفروا
يجوز ان يكون اللام لام الصيرورة ويجوز ان تكون لام امر على معنى التهديد وقوله بما اتيناهم
اي بما انعمنا عليهم وقوله سبحانه ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم اي لما لا يعلمون
له حجة وبرهانا ويحتمل ان يريد بنفي العلم الاصنام اي لجمادات لا تعلم شيئا نصيبا والنصيب
المشار اليه هو ما كانت العرب سنته من الذبح لاصنامها والقسم من الغلات وغيرها وقوله سبحانه
ويجعلون لله البنات سبحانه الاية تعديد لقبائح الكفرة في قولهم الملائكة بنات الله تعالى عن
قولهم المراد بقوله ولهم ما يشتهون الذكران من الاولاد وقوله ظل وجهه مسودا عبارة
عما يعلوا وجه المغموم قال ص ظل تكون بمعنى صار وبمعنى اقام نهارا على الصفة المسندة الى
اسمها ويحتمل هنا الوجهين انتهى وكظيم بمعنى كاظم والمعنى انه يخفي وجده وهمه بالانثى
ومعنى يتوارى يتغيب من القوم وقراء الجحدري ايمسكها ام يدسها وقرا الجمهور على هون وقرا الجحدري
على هوان ومعنى الاية يدبر ايمسك هذه الانثى على هوان يتحمله وهم يتجلد له ام يئدها
فيدفنها حية وهو الدس في التراب وقوله سبحانه للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء قالت
فرقة مثل في هذه الاية بمعنى صفة اي لهؤلاء صفة السوء ولله المثل الاعلى قال ع وهذا
لا يضطر اليه لانه خروج عن اللفظ بقوله مثل على بابه فلهم على الاطلاق ومثل السوء في كل سوء
ولا غاية اخزى من عذاب النار ولله سبحانه المثل الاعلى على الاطلاق ايضا اي الكمال المستغني وقوله
سبحانه ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة الضمير في عليها عائد على الارض وتمكن
ذلك مع انه لم يجر لها ذكر لشهرتها وتمكن الاشارة اليها وسمع ابو هريرة رجلا يقول ان الظالم لا يهلك
الا نفسه فقال ابو هريرة بلى ان الله ليهلك الحبارى في وكرها هزلا بذنوب الظلمة والاجل المسمى في
هذه الاية هو بحسب شخص شخص وقوله ما يكرهون يريد البنات وقوله سبحانه وتصف السنتهم
الكذب ان لهم الحسنى قال مجاهد وقتادة الحسنى الذكور من الاولاد وقالت فرقة يريد الجنة
قال ع ويؤيده قوله لا جرم ان لهم النار وقرا السبعة سوى نافع مفرطون بفتح الراء وتخفيفها
اي مقدمون الى النار وقرا نافع مفرطون بكسر الراء المخففة اي متجاوزون الحد في معاصي الله
وقوله سبحانه تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك الاية هذه الاية ضرب مثل لهم بمن سلف في
ضمنها وعيد لهم وتأنيس للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله فهو وليهم اليوم يحتمل ان يريد اليوم يوم القيامة اي وليهم في ذلك اليوم ويحتمل ان يريد يوم الحكاية اي فهو وليهم في الحال وقوله سبحانه

الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه لتبين في موضع المفعول من اجله اي الا لاجل البيان والذي
اختلفوا فيه لفظ عام لانواع كفر الكفرة لكن الاشارة هنا الى تشريكهم الاصنام في الالهية ثم
اخذ سبحانه ان ينص العبر المؤدية الى بيان وحدانيته وعظيم قدرته فبدا بنعمة المطر التي
هي ابين العبر المؤدية الى بيان وهي ملاك الحياة وهي في غاية الظهور لا يخالف فيها عاقل
وقوله سبحانه مما في بطونه الضمير عائد على الجنس وعلى المذكور وهذا كثير وقوله سبحانه
سائغا للشاربين السائغ السهل في الشرب اللذيذ ت وعن ابن عباس قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم من اطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه واطعمنا خيرا منه ومن
سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وقال صلى الله عليه وسلم ليس شيء
يجزي مكان الطعام والشراب غير اللبن رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي
واللفظ له هذا حديث حسن انتهى من السلاح وقوله سبحانه ومن ثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه سكرا ما يسكر هذا هو المشهور في اللغة قال ابن عباس نزلت هذه الاية
قبل تحريم الخمر واراد بالسكر الخمر وبالرزق الحسن جميع ما يشرب ويؤكل حلالا من هاتين
الشجرتين فالحسن هنا الحلال وقال بهذا القول ابن جبير وجماعة وصحح ابن العربي هذا القول
ولفظه والصحيح ان ذلك كان قبل تحريم الخمر فان هذه الاية مكية باتفاق العلماء وتحريم
الخمر مدني انتهى من احكام القرآن وقال مجاهد وغيره السكر المائع من هاتين الشجرتين
كالخل والرب والنبيذ والرزق الحسن العنب والتمر قال الطبري والسكر ايضا في كلام العرب ما يطعم
ورجح الطبري هذا القول ولا مدخل للخمر فيه ولا نسخ في الاية قوله تعالى واوحى ربك الى النحل الاية
الوحي في كلام العرب القاء المعنى من الموحي الى الموحى اليه في خفاء فمنه الوحي الى الانبياء برسالة
الملك ومنه وحي الرؤيا ومنه وحي الالهام وهو الذي في ايتنا باتفاق من المتاولين والوحي
ايضا بمعنى الامر كما قال تعالى بان ربك اوحى لها وقد جعل الله بيوت النحل في هذه الثلاثة الانواع
اما في الجبال وكواها واما في متجوف الاشجار واما فيما يعرش ابن ادم من الاجباح والحيطان ونحوها
وعرش هنا معناه هيأ والسبل الطرق وهي مسالك الهواء في الطيران وغيره وذللا يحتمل ان يكون
حالا من النحل اي مطيعة منقادة قاله قتادة قال ابن زيد فهم يخرجون بالنحل ينتجعون وهي
تتبعهم وقرا اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما الاية ويحتمل ان يكون حالا من السبل
اي مسهلة مستقيمة قال مجاهد لا يتوعر عليها سبيل تسلكه ثم ذكر تعالى على جهة تعديد النعمة
والتنبيه على العبرة امر العسل في قوله يخرج من بطونها شراب وجمهور الناس على ان العسل يخرج من
افواه النحل اختلاف الالوان في العسل بحسب اختلاف النحل والمراعي الفصول ت قال الهروي قوله تعالى
يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه وذلك انه يستحيل في بطونها ثم تمجه من افواهها انتهى قوله فيه
شفاء للناس الضمير للعسل قاله الجمهور قال ابن العربي في احكامه وقد روى الائمة واللفظ للبخاري
عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى والعسل وروى ابو سعيد الخدري
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه عسلا ثم اتاه الثانية
فقال اسقه عسلا ثم اتاه فقال فعلت فما ازداد ذلك الا استطلاقا فقال عليه السلام صدق الله وكذب
بطن اخيك اسقه عسلا فسقاه فبرأ وروى ان عوف بن مالك الاشجعي مرض فقيل له الا نعالجك

لتبين

فقال ائتونى بما سماء فان الله تعالى يقول ونزلنا من السماء ماء مباركا وائتونى بعسل فان الله تعالى
يقول فيه شفاء للناس وائتونى بزيت فان الله تعالى يقول من شجرة مباركة فجاؤه بذلك كله فخلطه
جميعا ثم شربه فبرئ انتهى وقوله سبحانه ومنكم من يرد الى ارذل العمر ارذل العمر الذى تفسد فيه الحواس ويختل
النطق وخص ذلك بالرذيلة وان كانت حالة الطفولة كذلك من حيث كانت هذه لا رجاء معها
وقال بعض الناس اول ارذل العمر خمس وسبعون سنة روى ذلك عن على رضى الله عنه قال ع وهذا
فى الاغلب وهذا لا ينحصر الى مدة معينة وانما هو بحسب انسان انسان ورب من يكون ابن خمسين
سنة وهو فى ارذل عمره ورب ابن تسعين ليس فى ارذل عمره واللام فى لكى يشبه ان تكون لام الصيرورة
والمعنى ليصير امره بعد العلم بالاشياء الى ان لا يعلم شيئا وهذه عبارة عن قلة علمه لا انه لا يعلم
شيئا البتة قوله سبحانه والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق الآية اخبار يراد به العبرة وانما هى قاعدة بنى المثل
عليها والمثل هو ان المفضلين لا يصح منهم ان يساهموا مماليكهم فيما اعطوا حتى تستوى احوالهم
فاذا كان هذا فى البشر فكيف تنسبون ايها الكفرة الى الله انه يسمح بان يشرك فى الالوهية الاوثان
والاصنام وغيرها مما عبد من دونه وهم خلقه وملكه هذا تاويل الطبرى وحكاه عن ابن عباس
قال المفسرون هذه الآية كقوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء
فيما رزقناكم فانتم فيه سواء الآية ثم وقفهم سبحانه على جحدهم بنعمته فى تنبيهه لهم على مثل هذا من
مواضع النظر المؤدية الى الايمان قوله سبحانه والله جعل لكم من انفسكم ازواجا الآية هذه ايضا تعديد
نعم والازواج هنا الزوجات وقوله من انفسكم يحتمل ان يريد خلقة حواء من نفس آدم وهذا قول قتادة
والاظهر عندى ان يريد بقوله من انفسكم اى من نوعكم لقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم والحفدة
قال ابن عباس هم اولاد البنين وقال الحسن هم بنوك وبنو بنيك وقال مجاهد والحفدة الانصار
والاعوان وقيل غير هذا ولا خلاف ان معنى الحفد الخدمة والبر والمشى مسرعا فى الطاعة ومنه فى القنوت
واليك نسعى ونحفد والحفدان ايضا خبب فوق المشى وقوله سبحانه فلا تضربوا لله الامثال الآية
اى لا تمثلوا الله الامثال وهو ماخوذ من قولك هذا ضرب هذا اى مثيله والضرب النوع وقوله سبحانه
ضرب الله مثلا عبدا مملوكا الآية الذى هو مثل فى هذه الآية هو عبد بهذه الصفة مملوك لا يقدر على
شئ من المال ولا امر نفسه وانما هو مسخر بارادة سيده مدبر وبازاء العبد فى المثل رجل موسع
عليه فى المال وهو يتصرف فيه بارادته واختلف الناس فى الذى له المثل فقال ابن عباس وقتادة هو
مثل الكافر والمؤمن وقال مجاهد والضحاك هذا المثل والمثل الآخر الذى بعده انما هو مثل لله تعالى وللاصنام
فتلك كالعبد المملوك الذى لا يقدر على شئ والله تعالى تتصرف قدرته دون معقب وكذلك فسر الزجاج على
نحو قول مجاهد وهذا التاويل اصوب لان الآية تكون من معنى ما قبلها فى تبيين امر الله والرد على امر الاصنام
وقوله الحمد لله اى على ظهور الحجة وقوله سبحانه وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم الآية هذا مثل لله
عز وجل وللاصنام فهى كالابكم الذى لا نطق له ولا يقدر على شئ الكل الثقيل المؤنة كما الاصنام تحتاج ان
تنقل وتخدم ويتعذب بها ثم لا ياتى من جهتها خير ابدا والذى يامر بالعدل هو الله تعالى وقوله سبحانه وما امر
الساعة الآية المعنى على ما قاله قتادة وغيره ما تكون الساعة وقيامها فى قدرة الله تعالى الا ان يقول لها كن فلو
اتفق على ان يقف على ذلك محصل من البشر لكانت من السرعة بحيث يشك هل هى كلمح البصر او هى اقرب
ولمح البصر هو وقوعه على المرئى وقوله سبحانه الم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء الآية الجو مسافة ما بين السماء

والارض وقيل هو مما يلى السماء منها والآية عبرة بينة المعنى تفسيرها تكلف بحت ويوم ظعنكم معناه
رحلكم والاصواف للضان والاوبار للابل والاشعار للمعز ولم تكن بلادهم بلاد قطن وكتان
فلذلك اقتصر على هذه ويحتمل ان ترك ذكر القطن والكتان والحرير اعراضا عن السرف اذ ملبس
عباد الله الصالحين انما هو الصوف فهو اول ذلك واولاه لانه شعار المتقين ولباس الرهبان
واشارة الصحابة والتابعين واختيار الزهاد والعارفين واليه نسب جماعة من الناس الصوفية
لانه لباسهم فى الغالب انتهى والاثاث متاع البيت واحدها اثاثة هذا قول ابى زيد الانصارى
وقال غيره الاثاث جميع انواع المال ولا واحد له من لفظه قال ع والاشتقاق يقوى هذا المعنى
الاعم لان حال الانسان تكون بالمال اثيثة كما تقول شعر اثيث اذا كثر والتف والسرابيل جميع
ما يلبس على جميع البدن وذكر وقاية الحر اذ هو امس فى تلك البلاد والبرد معدوم فى الاكثر وايضا
فذكر احدهما يدل على الآخر وعن عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من لبس ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذى كسانى ما اوارى به عورتى واتجمل به فى حياتى ثم عمد الى الثوب
الذى خلق فتصدق به كان فى كنف الله وفى حفظ الله وفى ستر الله حيا وميتا رواه الترمذى و
له وابن ماجه والحاكم فى المستدرك وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اشترى عبد ثوبا بدينار او نصف دينار فحمد الله عليه الا لم يبلغ ركبتيه حتى يغفر الله له
رواه الحاكم فى المستدرك وقال هذا حديث لا اعلم فى اسناده احدا ذكر بجرح انتهى والسرابيل
التى تقى البأس هى الدروع ونحوها ومنه قول كعب بن زهير فى المهاجرين

شم العرانين ابطال لبوسهم ... من نسج داود فى الهيجا سرابيل

والبأس مس الحديد فى الحرب وقرأ الجمهور تسلمون وقرأ ابن عباس تسلمون من السلامة
فتكون اللفظة مخصوصة فى بأس الحرب وقوله سبحانه ويوم نبعث من كل امة شهيدا
اى شاهدا على كفرهم وايمانهم ثم لا يؤذن لهم اى لا يؤذن لهم فى المعذرة وهذا فى
موطن دون موطن ولا هم يستعتبون تقول استعتبت الرجل اذا كفيته ما عتب فيه كما تقول اشكيته
اذا كفيته ما شكى وقال قوم معناه لا يسئلون ان يرجعوا عما كانوا عليه فى الدنيا وقال
الطبرى معنى يستعتبون يعطون الرجوع الى الدنيا فتقع منهم توبة وعمل ت وهذا هو الراجح
وهو الذى تدل عليه الاحاديث وظواهر الآيات فى غير ما موضع وقوله سبحانه واذا رأى الذين
اشركوا شركاءهم اى اذا رأوهم بالابصار قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الآية كانهم ارادوا بهذه
المقالة تكذيب المعبودين وقوله سبحانه فالقوا اليهم القول الآية الضمير فى القوا للمعبودين ارادهم الله
بتكذيب المشركين وقد قال سبحانه فى آية اخرى فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون
الآية انظر تفسيرها فى سورة يونس وغيرها قوله والقوا الى الله يومئذ السلم الضمير فى القوا هنا
عائد على المشركين والسلم الاستسلام قوله زدناهم عذابا فوق العذاب الآية روى فى ذلك عن ابن مسعود
ان الله سبحانه يسلط عليهم عقارب وحيات لها انياب كالنخل الطوال وقال عبيد بن عمير حيات
لها انياب كالنخل ونحو هذا وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاصى ان لجهنم سواحل فيها هذه الحيات
وهذه العقارب فيفر الكافر الى السواحل فتلقاه هذه الحيات والعقارب فيفرون الى النار فتتبعهم
حتى يجد حر النار فيرجع قال وهى فى اسراب وقوله سبحانه ويوم نبعث فى كل امة شهيدا يعنى رسولها

بمعنى تعتبون

ويجوز ان يبعث الله شهودا من الصالحين مع الرسل وقد قال بعض الصحابة اذا رأيت احدا
على معصية فانهه فان اطاعك والا كنت شهيدا عليه يوم القيمة وقوله سبحانه وجئنا بك
شهيدا على هؤلاء الاشارة بهؤلاء الى هذه الامة قوله عز وجل ان الله يأمر بالعدل والاحسان
الاية قال ابن مسعود رضي الله عنه اجمع اية في كتاب الله هذه الاية وروي ان عثمان بن مظعون رضي الله
عنه قال لما نزلت هذه الاية قرأتها على ابي طالب فتعجب وقال يا آل غالب اتبعوه تفلحوا فوالله
ان الله ارسله ليأمر بمكارم الاخلاق قال ع والعدل فعل كل مفروض والاحسان فعل
كل مندوب اليه وايتاء ذي القربى لفظ يقتضي صلة الرحم ويعم جميع اسداء الخير الى القرابة والفحشاء
الزنا قاله ابن عباس ويتناول اللفظ سائر المعاصي التي شنعتها ظاهرة والمنكر اعم منه لانه
يعم جميع المعاصي والرذائل على اختلاف انواعها والبغي هو انشاء ظلم الانسان والسعاية فيه وكفيلا
معناه متكفلا بوفائكم وباقي الاية بين وقوله سبحانه ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها الاية شبهت
هذه الاية الذي يحلف او يعاهد ويبرم عقده بالمرأة التي تغزل غزلها وتفتله محكما ثم
تنقض قوى ذلك الغزل فتحله بعد ابرامه وانكاثا نصب على الحال والنكث النقض والعرب
تقول انتكث الحبل اذا انتقضت قواه والدخل الدغل بعينه وهو الذرائع والخدع والغدر وذلك
ان المحلوف له مطمئن فيتمكن الحالف من ضرره وقوله سبحانه ان تكون امة هي اربى
من امة المعنى لا تنقضوا الايمان من اجل ان تكونوا قبيلة ازيد من قبيلة في العدد والعز
والقوة ويبلوكم اي يختبركم والضمير في به يحتمل ان يعود على الربا اي ان الله ابتلى عباده بالتحاسد
وطلب بعضهم الظهور على بعض واختبرهم بذلك ليرى من يجاهد نفسه ممن يتبع هواها
وباقي الاية وعيد بيوم القيمة قوله سبحانه ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم الاية الدخل كما تقدم
الغوائل والخدائع وكرر مبالغة قال الثعلبي قال ابو عبيدة كل امر لم يكن صحيحا فهو دخل انتهى
وقوله فتزل قدم بعد ثبوتها استعارة للمستقيم الحال يقع في الاموال ثم اخبر تعالى ان ما عنده
من نعيم الجنة ومواهب الاخرة خير لمن اتقى وعلم واهتدى ثم بين سبحانه الفرق بين حال
الدنيا وحال الاخرة بان هذه تنفد وتنقضي عن الانسان او ينقضي عنها ومنن الاخرة باقية
دائمة وصبروا معناه عن الشهوات وعلى مكاره الطاعات وهذه اشارة الى الصبر عن شهوة كسب
المال بالوجوه المكروهة واختلف الناس في معنى الحياة الطيبة قال ابن عباس هو الرزق
الحلال وقال الحسن وعلي بن ابي طالب هي القناعة قال ع والذي اقول به ان طيب الحياة اللازم
للصالحين انما هو بنشاط نفوسهم ونبلها وقوة رجائهم والرجا للنفس امر ملذ فهذا الطيب
حياتهم وانهم احتقروا الدنيا فزالت همومها عنهم فان انضاف الى هذا مال حلال وصحة
او قناعة فذلك كمال والا فالطيب فيما ذكرناه راتب وقوله سبحانه ولنجزينهم الاية وعد
بنعيم الجنة قال ابو حيان وروي عن نافع بالياء التفاتا من ضمير المتكلم الى ضمير الغيبة وينبغي ان يكون
على تقدير قسم ثان لا معطوفا على فلنحيينه فيكون من عطف جملة قسمية وكلتاهما محذوفة
وليس من عطف جواب لتغاير الاسناد انتهى وقوله سبحانه فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله
الاية التقدير فاذا اخذت في قراءة القرآن والاستعاذة ندب وقال عطاء التعوذ واجب ولفظ
الاستعاذة هو على رتبة هذه الاية والرجيم المرجوم باللعنة وهو ابليس ثم اخبر تعالى ان ابليس

شر عظيم وقوله سبحانه ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا هذه الاية نهي عن الرشا

ليس

ليس له ملكة ولا رياسة هذا ظاهر السلطان عندي في هذه الاية وذلك ان السلطان ان
جعلناه الحجة فليس لابليس حجة في الدنيا على احد لا على مؤمن ولا على كافر الا ان يتأول ما تأول
ليس له سلطان يوم القيمة فيستقيم ان يكون بمعنى الحجة لان ابليس له حجة على الكافرين انه
دعاهم بغير دليل فاستجابوا له من قبل انفسهم ويتولونه معناه يجعلونه وليا والضمير في
به يحتمل ان يعود على اسم الله عز وجل والظاهر انه يعود على اسم العدو الشيطان بمعنى من اجله وبسببه
فكانه قال والذين هم بسببه مشركون بالله وهذا الاخبار بان لا سلطان للشيطان على المؤمنين
بعقب الامر بالاستعاذة يقتضي ان الاستعاذة تصرف كيده كانها متضمنة للتوكل على الله
والانقطاع اليه وقوله سبحانه واذا بدلنا اية مكان اية يعني بهذا التبديل النسخ قالوا انما انت مفتر
اي قال كفار مكة وروح القدس هنا هو جبريل بلا خلاف وقوله سبحانه ولقد نعلم انهم يقولون
انما يعلمه بشر قال ابن عباس كان بمكة غلام اعجمي لبعض قريش يقال له بلعام وكان النبي صلى الله
عليه وسلم يعلمه الاسلام ويرومه عليه فقال بعض الكفار هذا يعلم محمدا وقيل اسم الغلام
جبر وقيل يسار وقيل يعيش والاعجمي هو الذي لا يتكلم بعربية واما العجمي فقد يتكلم بالعربية
ونسبته قائمة وقوله سبحانه انما يفتري الكذب بمعنى انما يكذب وهذه مقاومة للذين
قالوا للنبي عليه السلام انما انت مفتر ومن في قوله من كفر بدل من قوله الكاذبون
وروي ان قوله سبحانه واولئك هم الكاذبون يراد به مقيس بن صبابة واشباهه
ممن كان آمن ثم ارتد باختياره من غير اكراه وقوله سبحانه الا من اكره اي كبلال وعمار بن ياسر
وامه وخباب وصهيب واشباههم ممن كان يؤذى في الله سبحانه فربما سامح بعضهم بما اراد
الكفار من القول لما اصابه من تعذيب الكفرة فروي ان عمار بن ياسر فعل ذلك فاستثناه الله
تعالى في هذه الاية وبقيت الرخصة عامة في الامة بعده وروي ان عمار بن ياسر شكى الى النبي صلى الله
عليه وسلم ما صنع به العذاب وما سامح به من القول فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف تجد
قلبك قال اجده مطمئنا بالايمان قال فاجبهم بلسانك فانه لا يضرك وان عادوا فعد وقوله
سبحانه ولكن من شرح بالكفر صدرا معناه انبسط باختياره وقد ذكر ع هنا نبذا من مسائل
الاكراه تركت ذلك خشية التطويل واذ محل بسطها كتب الفقه قوله سبحانه ذلك بانهم
استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة الاية ذلك اشارة الى الغضب والعذاب الذي توعد به قبل هذه الاية
والضمير في انهم لمن شرح بالكفر صدرا وقوله سبحانه ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا
الاية قال ابن اسحاق نزلت هذه الاية في عمار بن ياسر وعياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد
قال ع وذكر عمار في هذا عندي غير قويم فانه ارفع من طبقة هؤلاء وانما هؤلاء من تاب ممن شرح
بالكفر صدرا ففتح الله له باب التوبة في اخر الاية وقال عكرمة والحسن نزلت هذه الاية في شأن
عبد الله بن ابي سرح واشباهه فكانه يقول من بعد ما فتنهم الشيطان وهذه الاية مدنية بلا خلاف
وان وجد فهو ضعيف وقرأ الجمهور من بعد ما فتنوا مبنيا للمفعول وقرأ ابن عباس وحده
من بعد ما فتنوا بفتح الفاء والتاء اي فتنوا انفسهم والضمير في بعدها عائد على الفتنة او على
الفعلة او الهجرة او التوبة والكلام يعطيها وان لم يجر لها ذكر صريح وقوله يوم تأتي كل نفس
المعنى لغفور رحيم يوم ونفس الاولى هي النفس المعروفة رحيم يوم فلا يوقف على رحيم وقال

وقوله وهذا لسان عربي مبين وهذا سرد لسان ونطق لسان

ص يوم تاتي ظرف منصوب برحيم او مفعول به باذكر انتهى وهذا الاخير اظهر والله اعلم قوله
سبحانه وتوفى كل نفس ما عملت اي يجازى كل من احسن باحسانه وكل من اساء باساءته وقوله
سبحانه وضرب الله مثلا قرية كانت امنة الاية قال ابن عباس القرية هنا مكة والمراد بهذه الضمائر
كلها في الاية اهل مكة ويتوجه عندي في الاية انها قصد بها قرية غير معينة جعلت مثلا
لمكة على معنى التحذير لاهلها ولغيرها من القرى الى يوم القيمة وهو الذي يفهم من كلام
حفصة ام المؤمنين والانعم جمع نعمة وقوله سبحانه فاذاقها الله لباس الجوع والخوف استعارة
اي لما باشرهم ذلك صار كاللباس والضمير في جاءهم لاهل مكة والرسول محمد صلى الله عليه
وسلم والعذاب الجوع وامر بدر ونحو ذلك ان كانت الاية مدنية وان كانت مكية فهو الجوع فقط
وقوله سبحانه فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا الاية هذا ابتداء كلام اخر اي وانتم ايها المؤمنون
ايها المؤمنون لستم كهذه القرية فكلوا واشكروا الله على تباين حالكم من حال الكفرة وقوله
طيبا اي مستلذا اذ فيه ظهور النعمة ويحتمل ان يكون الطيب بمعنى الحلال كرر مبالغة
وتاكيدا وقوله سبحانه ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام الاية
هذه الاية مخاطبة للكفار الذين حرموا البحائر والسوائب قال ابن العربي في احكامه ومعنى الاية
لا تصفوا الاعيان بانها حلال وحرام من قبل انفسكم وانما المحرم والمحلل هو الله سبحانه قال
ابن وهب قال مالك لم يكن من فتيا الناس ان يقولوا هذا حلال وهذا حرام ولكن يقولون
انا اكره هذا ولم اكن لاصنع هذا وكان الناس يطيعون ذلك ويرضونه ومعنى هذا ان التحليل
والتحريم انما هو لله كما تقدم بيانه فليس لاحد ان يصرح بهذا في عين من الاعيان الا ان يكون
البارئ تعالى يخبر بذلك عنه وما يؤدي اليه الاجتهاد في انه حرام يقول فيه اني اكره كذا وكذلك
كان مالك يفعل اقتداء بمن تقدم من اهل الفتوى وقوله متاع قليل اشارة الى عيشهم في
الدنيا ولهم عذاب اليم بعد ذلك في الاخرة وقوله سبحانه ما قصصنا عليك من قبل اشارة الى
ما في سورة الانعام من ذي الظفر والشحوم وقوله سبحانه ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم
تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم هذه اية تانيس لجميع العالم فهي
تتناول كل كافر وعاص تاب من سوء حاله قالت فرقة الجهالة هنا العمد والجهالة عندي في هذا
الموضع ليست ضد العلم بل هي تعدي الطور وركوب الراس ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم او اجهل او يجهل علي وقد تقدم بيان هذا وقل ما يوجد في العصاة من لم يتقدم له علم في
خطر المعصية التي يواقع وقوله سبحانه ان ابراهيم كان امة قانتا لله الاية لما كشف الله فعل
اليهود وتحكمهم في شرعهم بذكر ما حرم عليهم اراد ان يبين بعدهم عن شرع ابراهيم عليه السلام
والامة في اللغة لفظة مشتركة تقع للحين وجمع الكثير وللرجل المنفرد بطريقة وحده
وعلى هذا الوجه سمي ابراهيم عليه السلام امة قال مجاهد سمي ابراهيم امة لانفراده بالايمان
في وقته مدة ما وفي البخاري انه قال لسارة ليس على الارض اليوم مؤمن غيري وغيرك وفي
البخاري قال ابن مسعود الامة معلم الخير والقانت المطيع الدائم على العبادة والحنيف
المائل الى الخير والصلاح وقوله سبحانه واتيناه في الدنيا حسنة الاية الحسنة لسان الصدق
وامامته لجميع الخلق هذا قول جميع المفسرين وذلك ان كل امة متشرعة فهي مقرة ان

ايمانها بايمان ابراهيم وانه قدوتها وانه كان على الصواب ت وهذا كلام فيه بعض اجمال
وقد تقدم في غير هذا الموضع بيانه فلا نطول بسرده وقوله سبحانه ان اتبع ملة ابراهيم الاية الملة الطريقة
في عقائد الشرع وقوله سبحانه انما جعل السبت الاية اي لم يكن من ملة ابراهيم وانما جعله الله فرضا
عاقب به القوم المختلفين فيه قاله ابن زيد وذلك ان موسى عليه السلام امر بني اسرائيل ان يجعلوا
من الجمعة يوما مختصا بالعبادة وامرهم ان يكون يوم الجمعة فقال جمهورهم بل يكون يوم السبت
لان الله فرغ فيه من خلق مخلوقاته فقال غيرهم بل نقبل ما امر به موسى فراجعهم الجمهور فتابعهم الاخرون
فالزمهم الله يوم السبت الزاما قويا عقوبة لهم ثم لم يكن منهم ثبوت بل عصوا فيه وتعدوا فاهلكهم
وورد في الحديث الصحيح ان اليهود والنصارى اختلفوا في اليوم الذي يختص من الجمعة فاخذ هؤلاء السبت
وهؤلاء الاحد فهدانا نحن الى يوم الجمعة قال صلى الله عليه وسلم فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه
فليس الاختلاف المذكور في الاية هو الاختلاف الذي في هذا الحديث ت يعني ان الاختلاف المذكور في الاية
هو بين اليهود فيما بينهم والاختلاف المذكور في الحديث الصحيح هو فيما بين اليهود والنصارى وقوله
سبحانه ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة هذه الاية نزلت بمكة امر عليه السلام ان
يدعو الى دين الله وشرعه بتلطف وهكذا ينبغي ان يوعظ المسلمون الى يوم القيمة وقوله سبحانه وان
عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الاية مدنية نزلت في شان التمثيل بحمزة وغيره في يوم احد
ووقع ذلك في صحيح البخاري وغيره وقال النبي صلى الله عليه وسلم لئن اظفرني الله بهم لامثلن بثلاثين وفي
كتاب النحاس وغيره بسبعين منهم فقال الناس ان ظفرنا لنفعلن ولنفعلن فنزلت هذه الاية
ثم عزم النبي صلى الله عليه وسلم على الصبر عن المجازات بالتمثيل في القتلى ويروى انه عليه السلام قال
لاصحابه اما انا فاصبر كما امرت فماذا تصنعون قالوا نصبر يا رسول الله كما ندبتنا وقوله وما صبرك
الا بالله اي بمعونة الله وتاييده على ذلك وقوله سبحانه ولا تحزن عليهم قيل الضمير في قوله عليهم يعود على
الكفار اي لا تتاسف على ان لم يسلموا وقالت فرقة بل يعود على القتلى حمزة واصحابه الذين حزن عليهم
صلى الله عليه وسلم والاول اصوب وولا تك في ضيق مما يمكرون قرا الجمهور ضيق بفتح الضاد وقرا
ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان ان الله مع الذين اتقوا اي بالنصر والمعونة والذين هم محسنون
هم الذين يزيدون فيما ندب اليه من فعل الخير بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما سورة الاسرا هذه السورة مكية الا ثلاث
ايات قال ابن مسعود في بني اسرائيل والكهف انهما من العتاق الاول وهي من تلادي يريد انهن من قديم كسبه
قوله عز وجل سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام جل العلماء على ان الاسراء كان بشخصه
صلى الله عليه وسلم وانه ركب البراق من مكة ووصل الى بيت المقدس وصلى فيه وقالت عائشة
ومعاوية انما اسري بروحه والصحيح ما ذهب اليه الجمهور ولو كانت منامه ما امكن قريشا التشنيع
ولا فضل ابو بكر بالتصديق ولا قالت له ام هانئ لا تحدث الناس بهذا فيكذبوك الى غير هذا من الدلائل
واما قول عائشة فانها كانت صغيرة ولم تحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك معاوية
قال ابن العربي قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده قال علماؤنا لو كان للنبي صلى الله عليه وسلم اسم هو
اشرف منه لسماه الله به في تلك الحالة العلية وقال الاستاذ جمال الاسلام ابو القاسم عبد الكريم بن
هوازن لما رفعه الله الى حضرته السنية وارقاه فوق الكواكب العلوية الزمه اسم العبودية تواضعا

اطبق اهل التفسير ان هذه الاية م...

واجلالا للعبودية انتهى من الاحكام وسبحان مصدر معناه تنزيها لله وروى طلحة بن عبيد الله
الفياض احد العشرة انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اخبرني ما معنى سبحان الله قال تنزيه الله من كل سوء
وكان الاسراء فيما قال مقاتل وقتادة قبل الهجرة بعام وقيل بعامين ونصف والمتحقق ان ذلك كان بعد شق الصحيفة
وقيل بيعة العقبة ووقع في الصحيحين لشريك بن ابي نمر وهم في هذا المعنى فانه روى حديث الاسراء فقال
فيه وذلك قبل ان يوحى اليه ولا خلاف بين المحدثين ان هذا وهم من شريك قال ص اسرى بعبده يعني
سرى وليست همزته للتعدية بل كسقى واسقى والباء للتعدية وليلا ظرف للتاكيد لان السرى لا يكون
لغة الا بالليل وقيل يعني في جوف الليل فلم يكن ادلاجا ولا ادلاجا والمسجد الاقصى بيت المقدس والاقصى
البعيد والبركة حوله من وجهين احدهما النبوة والشرائع والرسل الذين كانوا في ذلك القطر وفي نواحيه
والاخر النعم من الاشجار والمياه والارض المفيدة وقوله سبحانه لنريه من اياتنا يريد لنري محمدا بعينيه
اياتنا في السموات والملائكة والجنة والسدرة وغير ذلك من العجائب مما راه تلك الليلة ولا خلاف في
ان في هذا الاسراء فرضت الصلوات الخمس على هذه الامة وقوله سبحانه انه هو السميع البصير وعيد للمكذبين
بامر الاسراء اي هو السميع لما تقولون البصير بافعالكم وآتينا موسى الكتاب يعني التوراة وقوله الا
لا تتخذوا من دوني وكيلا الاية التقدير ان لا تتخذوا يا ذرية فذرية منصوب على النداء وهذه مخاطبة
للعالم ويتجه نصب ذرية على انه مفعول بتتخذوا ويكون المعنى ان لا تتخذوا بشرا الها من دون الله وقرا ابو عمرو
وحده لا يتخذوا بالياء على لفظ الغائب والوكيل هنا من التوكل اي متوكلا عليه في الامور فهو ند لله بهذا
الوجه وقال مجاهد وكيلا شريكا ووصف نوح بالشكر لانه كان يحمد الله في كل حال وعلى كل نعمة على المطعم
والمشروب والملبس والبراز وغير ذلك صلى الله عليه وسلم قاله سلمان الفارسي وغيره قال ابن المبارك
في رقائقه اخبرنا ابن ابي ذئب المقبري عن ابيه عن عبد الله بن سلام ان موسى عليه السلام قال يا رب ما الشكر
الذي ينبغي لك قال يا موسى لا يزال لسانك رطبا من ذكري وقد رويناه مسندا عن النبي صلى الله عليه وسلم
اعني قوله لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله وقوله سبحانه وقضينا الى بني اسرائيل الاية قالت فرقة
قضينا معناه في ام الكتاب قال ع وانما يلبس في هذا المكان تعدية قضينا بالى وتلخيص المعنى عندي ان هذا
الامر هو مما قضاه الله عز وجل في ام الكتاب على بني اسرائيل والزمهم اياه ثم اخبرهم به في التوراة
على لسان موسى فلما اراد هنا الاعلام لنا بالامرين جميعا في ايجاز جعل قضينا دالة على النفوذ في ام الكتاب
وقرن بها دالة على انزال الخبر بذلك الى بني اسرائيل والمعنى المقصود مفهوم خلال هذه الالفاظ ولهذا فسر
ابن عباس مرة بان قال قضينا الى بني اسرائيل معناه اعلمناهم وقال مرة قضينا عليهم والكتاب هنا التوراة
لان القسم في قوله لتفسدن غير متوجه مع ان يجعل الكتاب هو اللوح المحفوظ وقال ص ع وقضينا
مضمن معنى اوحينا ولذا تعدى بالى واصله ان يتعدى بنفسه الى مفعول واحد كقوله سبحانه فلما قضى
موسى الاجل انتهى وهو حسن موافق لكلام ع قوله ولتعلن اي تتجبرن وتطلبن في الارض العلو
ومقتضى الاية ان الله سبحانه اعلم بني اسرائيل في التوراة انه سيقع منهم عصيان وكفر لنعم الله وانه سيرسل
عليهم امة تغلبهم وتقتلهم ثم يرحمهم بعد ذلك ويجعل لهم الكرة ويردهم الى حالهم من الظهور ثم
تقع منهم ايضا تلك المعاصي والقبائح فيبعث الله تعالى عليهم امة اخرى تخرب ديارهم وتقتلهم وتجليهم
جلاء مبرحا واعطى الوجود بعد ذلك هذا الامر كله قيل كان بين المرتين مائتا سنة وعشرون سنة
ملكا مؤيدا بانبياء وقيل سبعون سنة وقوله سبحانه فاذا جاء وعد اولاهما الضمير في اولاهما عائد على

قوله مرتين وعبر عن الشر بالوعد لانه قد صرح بذكر المعاقبة قال ص ع وعد اولاهما اي موعود وهو
العقاب لان الوعد سبق بذلك وقيل هو على حذف مضاف اي وعد عقاب اولاهما انتهى وهو معنى ما تقدم
واختلف الناس في العباد المبعوثين وفي صورة الحال اختلافا كثيرا شديدا متباعدا عيونه ان بني اسرائيل
عصوا وقتلوا زكريا عليه السلام فغزاهم سنجاريب ملك بابل قاله ابن اسحاق وابن جبير وقال ابن
عباس غزاهم جالوت من اهل الجزيرة وقيل غزاهم بخت نصر وروي انه دخل قبل في جيش
من الفرس وهو خامل يسير في مطبخ الملك فاطلع من جور بني اسرائيل على ما لم تعلمه الفرس فلما
انصرف الجيش ذكر ذلك للملك الاعظم فلما كان بعد مدة جعله الملك رئيس جيش وبعثه فخرب
بيت المقدس وقتلهم وجلاهم ثم انصرف فوجد الملك قد مات فملك موضعه واستمرت حاله
حتى ملك الارض بعد ذلك وقالت فرقة انما غزاهم بخت نصر في المرة الاخرة حين عصوا وقتلوا
يحيى بن زكريا وصورة قتله ان الملك اراد ان يتزوج بنت امراته فنهاه يحيى عنها فعز ذلك على امراته فزينت
بنتها وجعلتها تسقي الملك خمرا وقالت لها اذا راودك عن نفسك فتمنعي حتى يعطيك الملك ما تتمنين
فاذا قال لك تمني علي ما اردت فقولي راس يحيى بن زكريا ففعلت الجارية ذلك فردها الملك مرتين
واجابها في الثالثة فجيء بالراس في طست ولسانه يتكلم وهو يقول لا يحل لك وجرى دم يحيى فلم ينقطع
فجعل الملك عليه التراب حتى ساوى سور المدينة والدم ينبعث فلما غزاهم الملك الذي بعث عليهم بحسب
الخلاف الذي فيه قتل منهم على الدم سبعين الفا حتى سكن هذا مقتضى خبرهم وفي بعض الروايات زيادات
ونقص وقرا الناس فجاسوا وقرا ابو السمال فحاسوا بالحاء وهما بمعنى الغلبة والدخول قسرا وقال مورج جاسوا
خلال الازقة ت قال ص جاسوا مضارعه يجوس ومصدره جوس وجوسان ومعناه التردد خلال
ظرفاي وسط الديار انتهى وقوله سبحانه ثم رددنا لكم الكرة الاية عبارة عما قاله سبحانه لبني اسرائيل في
التوراة وجعل رددنا موضع نرد لما كان وعد الله في غاية الثقة وانه واقع لا محالة فعبر عن مستقبل
بالماضي وهذه الكرة هي بعد الجلوة الاولى كما وصفنا فغلبت بنو اسرائيل على بيت المقدس وملكوا فيه
وحسنت حالهم برهة من الدهر واعطاهم الله الاموال والاولاد وجعلهم اكثر نفيرا اي اكثر الناس
فلما قال الله اني سافعل بكم هكذا عقب بوصيتهم في قوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم الاية المعنى انكم
بعملكم تجازون ووعد الاخرة معناه من المرتين وقوله ليسوءوا اللام لام امر وقيل المعنى بعثناهم
ليسوءوا وليدخلوا فهي لام كي كلها والضمير للعباد اولي الباس الشديد والمسجد مسجد بيت
المقدس وليتبروا معناه ليفسدوا بغشم وركوب راس وقوله ما علوا اي ما علوا عليه من الاقطار
وملكوه من البلاد وقيل ما ظرفية والمعنى مدة علوهم وغلبتهم على البلاد وقوله سبحانه عسى
ربكم ان يرحمكم الاية يقول الله عز وجل لبقية بني اسرائيل عسى ربكم ان اطعتم في انفسكم واتقيتم
ان يرحمكم وهذه العدة ليست برجوع دولة وانما هي بان يرحم المطيع منهم وكان من الطاعة
اتباعهم لعيسى ومحمد عليهما السلام فلم يفعلوا وعادوا الى الكفر والمعصية فعاقبهم الله
بضرب الذلة عليهم وقتلهم واذلالهم بيد كل امة والحصير من الحصر بمعنى السجن ونحو
هذا فسره مجاهد وغيره وقال الحسن الحصير في الاية اراد به ما يفترش ويبسط كالحصير المعروف
عند الناس قال ع وذلك الحصير ايضا هو ماخوذ من الحصر وقوله سبحانه ان هذا
القرآن يهدي للتي هي اقوم الاية يهدي في هذه الاية بمعنى يرشد ويتوجه فيها ان تكون بمعنى يدعو
التي يريد بها الحالة والطريقة وقالت فرقة التي هي اقوم لا اله الا الله والاول اعم والاخر

الكبير الجنة قال ابن وهب سمعت مالكا يقول ان استطعت ان تجعل القرآن اماما فافعل
فهو الامام الذي يهدي الى الجنة قال ابو سليمان الداراني ربما اقف في الاية الواحدة خمس ليال ولولا اني
ادع التفكر فيها ما جزتها وقال ربما ياتي على احدكم من انه اذا ابتدا السورة اراد اخرها قال
الباجي وروى ابن لبابة عن العتبي انه رأى عبد الرحمن بن القاسم في النوم فقال له ما فعل الله بك
قال وجدت عنده ما احببت قال له فاي اعمالك وجدت افضل قال تلاوة القرآن قال قلت له فالمسائل
وكان يشير باصبعه كانه يلشيها فكنت اساله عن ابن وهب فيقول هو في عليين انتهى من سنن الصالحين
وقوله سبحانه ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا سقطت الواو من يدع
في خط المصحف قال ابن عباس وقتادة ومجاهد هذه الاية نزلت ذامة لما يفعله الناس
من الدعاء على اموالهم في وقت الغضب والضجر فاخبر سبحانه انهم يدعون بالشر في ذلك الوقت
كما يدعون بالخير في وقت التثبت فلو اجاب الله دعاءهم اهلكهم لكنه سبحانه يصفح ولا يجيب
دعاء الضجر المستعجل ثم عذر سبحانه بعض العذر في ان الانسان له عجلة فطرية والانسان هنا
يريد به الجنس قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس وسلمان الاشارة الى ادم لما نفخ الروح في
راسه عطس وابصر فلما مشى الروح في بدنه قبل ساقيه اعجبته نفسه فذهب ليمشي مستعجلا
لذلك فلم يقدر والمعنى على هذا فانتم ذوو عجلة موروثة من ابيكم وقالت فرقة معنى الاية معاتبة
الناس في دعائهم بالشر كما يحبون ان يدعوا بالخير قول هذه الفرقة نقله ع غير ملخص
وقوله سبحانه وجعلنا الليل والنهار ايتين الاية هنا العلامة المنصوبة للنظر والعبرة
وقوله سبحانه فمحونا اية الليل قالت فرقة سبب تغييب القمر ان الله تعالى خلق الشمس والقمر مضيئين
فمحى بعد ذلك القمر محاه جبريل بجناحه ثلاث مرات فمن هنالك كلفه وقالت فرقة ان قوله
فمحونا اية الليل انما يريد في اصل خلقته وجعلنا اية النهار مبصرة اي يبصر بها ومعها ليبتغي
الرزق وفضل الله وجعل سبحانه القمر مخالفا لحال الشمس ليعلم به العدد من السنين والحساب
للاشهر والايام ومعرفة ذلك في الشرع انما هو من جهة الشمس وحكى عياض في المدارك في ترجمة العباس
ابن قيس قال روي عن القاز بن قيس انه كان يقول ما من يوم ياتي الا ويقول انا خلق جديد وعلى ما يفعل في
شهيد فخذ مني قبل ان ابيد فاذا امسى ذلك اليوم خر لله ساجدا وقال الحمد لله الذي لم يجعلني اليوم
العقيم انتهى والتفصيل البيان قوله سبحانه وكل انسان الزمناه طائره في عنقه قال ابن عباس طائره
ما قدر له وعليه وخاطب الله العرب في هذه الاية بما تعرف وذلك انه كان من عادتها التيمن والتشاؤم
بالطير في كونها سانحة وبارحة وكثر ذلك حتى فعلته بالظباء وحيوان الفلا وسمت ذلك كله تطيرا
وكانت تعتقد ان تلك الطيرة قاضية بما يلقى الانسان من خير وشر قد سبق به القضاء فاخبرهم
تعالى في هذه الاية باوجز لفظ وابلغ اشارة ان جميع ما يلقى الانسان من خير وشر قد سبق به
القضاء والزم حظه وعمله وتكسبه في عنقه وذلك في قوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره
في عنقه فعبر عن الحظ والعمل اذ هما متلازمان بالطائر قاله مجاهد وقتادة بحسب معتقد العرب في
التطير ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا هذا الكتاب هو عمل الانسان وخطيئاته اقرا كتابك
اي يقال له اقرا كتابك واسند الطبري عن الحسن انه قال يا ابن ادم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان
كريمان احدهما عن يمينك يكتب حسناتك والاخر عن شمالك يحفظ سيئاتك فامل ما شئت واقلل
او اكثر حتى اذا مت طويت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك حتى نخرج لك يوم القيامة كتابا

القمر لا من جهة م

تلقاه

تلقاه منشورا اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قد عدل والله فيك من جعلك حسيب
نفسك قال ع فعلى هذه الالفاظ التي ذكر الحسن يكون الطائر ما يتحصل مع ابن ادم من عمله في قبره فتامل
لفظه وهذا قول ابن عباس وقال قتادة في قوله اقرا كتابك انه سيقرا يومئذ من لم يكن يقرا واذا
اردنا ان نهلك قرية امرنا قرا الجمهور امرنا على صيغة الماضي وعن نافع وابن كثير في بعض ما روي
عنهما آمرنا بمد الهمزة بمعنى كثرنا وقرا ابو عمرو بخلاف عنه امّرنا بتشديد الميم وهي قراءة ابي عثمان
النهدي وابي العالية وابن عباس ورويت عن علي قال الطبري القراءة الاولى معناها امرناهم
بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها وهو قول ابن عباس وابن جبير والثانية معناها كثرناهم والثالثة
هي من الامارة اي ملكناهم على الناس قال الثعلبي واختار ابو عبيد وابو حاتم قراءة الجمهور وقال
ابو عبيد وانما اخترت هذه القراءة لان المعاني الثلاثة تجتمع فيها وهي معنى الامر والامارة والكثرة
انتهى قلت وعبارة ابن العربي امرنا مترفيها يعني بالطاعة ففسقوا بالمخالفة انتهى من كلامه على الافعال الواقعة
في القرآن والمترف الغني من المال المتنعم والترفه النعمة وفي مصحف ابي بن كعب فيها بعثنا اكابر
مجرميها فمكروا فيها وقوله سبحانه فحق عليها القول وعيد لها اي الذي قاله رسولهم والتدمير الاهلاك
مع طمس الاثار وهدم البنا وقوله سبحانه وكم اهلكنا من القرون الاية مثال لقريش ووعيد
لهم اي لستم ببعيد مما حصلوا فيه ان كذبتم واختلف في القرن وقد روى محمد بن القاسم في ختنه
عبد الله بن بسر قال وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على راسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قلت
كم القرن قال مائة سنة قال محمد بن القاسم فما زلنا نعد له حتى كمل مائة سنة ثم مات رحمه الله والباء
في قوله بربك زائدة التقدير وكفى ربك وهذه الباء انما تجيء في مدح او ذم وقد تجيء كفى دون
باء كقول الشاعر شعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا وكقول الشاعر ويخبرني عن غائب المرء هديه
كفى الهدي عما غيب المرء مخبرا قوله سبحانه وتعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد
الاية المعنى فان الله يعجل لمن يريد من هؤلاء ما يشاء سبحانه على قراءة النون او ما يشاء هذا المريد على
قراءة الياء وقوله لمن نريد شرط كاف على القراءتين وقال ابن اسحاق الفزاري المعنى لمن نريد هلكته و
المدحور المهان المبعد المذلل المسخوط عليه وقوله سبحانه ومن اراد الاخرة اي ارادة يقين وايمان
بها وبالله ورسالاته ثم شرط سبحانه في مريد الاخرة ان يسعى لها سعيها وهو ملازمة اعمال الخير على
حكم الشرع فاولئك كان سعيهم مشكورا ولا يشكر الله سعيا ولا عملا الا اثاب عليه وغفر بسببه
ومنه قوله سبحانه كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك يحتمل ان يريد بالعطاء الطاعات لمريدي
الاخرة والمعاصي لمريدي العاجلة وروي هذا التاويل عن ابن عباس ويحتمل ان يريد بالعطاء رزق الدنيا
وهو تاويل الحسن بن ابي الحسن وقتادة المعنى انه سبحانه يرزق في الدنيا مريدي العاجلة ومريدي
الاخرة وانما يقع التفاضل والتباين في الاخرة ويتناسب هذا المعنى مع قوله وما كان عطاء ربك
محظورا اي ممنوعا وقل ما تصلح هذه العبارة لمن يمد بالمعاصي وقوله انظر كيف فضلنا بعضهم الاية
تدل دلالة ما على ان العطاء في الاولى هو في الرزق وباقي الاية اوضح من ان يبين وقوله سبحانه لا تجعل
مع الله الها اخر فتقعد مذموما مخذولا هذه الاية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد جميع الخلق
قاله الطبري وغيره ولا مرية في ذم من نحت عودا او حجرا واشركه في عبادة ربه قال ص فتقعد
اي فتصير بهذا فسر الفراء وغيره انتهى والخذلان في هذا باسلام الله لعبده وان لا يتكفل له بنصره

في الاغلب م

صلى الله عليه وسلم في حديث الرجل الذي سقى الكلب عطشان فشكر الله له فغفر له وقوله م

والمخذول الذي اسلمه ناصره والخاذل من الظباء التي تترك ولدها وقوله سبحانه وقضى ربك الا
تعبدوا الا اياه قضى في هذه الاية هي بمعنى امر والزم واوجب عليكم وهكذا قال الناس وأقول
ان المعنى وقضى ربك امره فالمقضي هنا هو الامر وفي مصحف ابن مسعود ووصى ربك وهي قراءة
ابن عباس وغيره والضمير في تعبد والجميع الخلق وعلى هذا التاويل مضى السلف والجمهور ويحتمل ان
تكون قضى على مشهورها في الكلام ويكون الضمير في تعبدوا للمؤمنين من الناس الى يوم القيمة وقوله
فلا تقل لهما اف معنى اللفظة انها اسم فعل كان الذي يريد ان يقول اضجر او اتقذر او اكره ونحو هذا
يعبر ايجازا بهذه اللفظة فتعطي معنى الفعل المذكور واذا كان النهي عن التافيف فما فوقه من
باب احرى وهذا هو مفهوم الخطاب الذي المسكوت عنه حكم المذكور قال ع وقرا الجمهور الذل بضم
الذال وهو ضد العز وقرا ابن عباس وغيره بكسرها وهو الانقياد ضد الصعوبة انتهى وبيان
الاية بين قال ابن الحاجب في منتهى الوصول وهو المختصر الكبير المفهوم ما دل عليه اللفظ في غير محل النطق
وهو مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة فالاول ان يكون حكم المفهوم موافقا للمنطوق في
الحكم ويسمى فحوى الخطاب ولحن الخطاب كتحريم الضرب من قوله تعالى ولا تقل لهما اف وكالجزاء بما
فوق المثقال من قوله تعالى ومن يعمل مثقال ذرة وكتادية ما دون القنطار من قوله تعالى ومن اهل الكتاب
من ان تامنه بقنطار يؤده اليك وعدم تادية ما فوق الدينار من قوله تعالى بدينار لا يؤده وهو
من قبيل التنبيه بالادنى على الاعلى وبالاعلى على الادنى فلذلك كان الحكم في المسكوت اولى وانما يكون ذلك
اذا عرف المقصود من الحكم وانه اشد مناسبة في المسكوت كهذه الامثلة ومفهوم المخالفة
ان يكون المسكوت عنه مخالفا للمنطوق به في الحكم ويسمى دليل الخطاب وهو اقسام مفهوم الصفة
مثل في الغنم السائمة الزكاة ومفهوم الشرط مثل وان كن اولات حمل ومفهوم الغاية مثل حتى
تنكح زوجا غيره ومفهوم انما مثل انما الربا في النسيئة ومفهوم الاستثناء مثل لا اله الا الله
ومفهوم العدد الخاص مثل فاجلدوهم ثمانين جلدة ومفهوم حصر المبتدا العالم زيد وشرط
مفهوم المخالفة عند قائليه ان لا يظهر ان المسكوت عنه اولى ولا مساويا كمفهوم الموافقة
والا يخرج مخرج الاعم الاغلب مثل وربائبكم اللاتي في حجوركم فاما مفهوم الصفة فقال به
الشافعي ونفاه الغزالي وغيره وفسر الجمهور الاوابين الرجاعين الى الخير وهي لفظة لزم عرفها اهل
الصلاح ت قال عبد الحق الاشبيلي واعلم ان الميت كالحي فيما يعطاه ويهدى اليه بل الميت اكثر
واكثر لان الحي قد يستقل ما يهدى ويستحقر ما يتحف به والميت لا يستحقر شيا من ذلك
ولو كان مقدار جناح بعوضة او وزن مثقال ذرة لانه يعلم قيمته وقد كان يقدر عليه
وضيعه وقد قال عليه السلام اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث الا من صدقة جارية
او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له فهذا دعاء الولد يصل الى والده وينتفع به وكذلك امره
عليه السلام بالسلام على القبور والدعاء لهم ما ذاك الا لكون ذلك الدعاء لهم والسلام عليهم يصل
اليهم ويأتيهم والله اعلم وروي انه عليه الصلوة والسلام انه قال الميت في قبره كالغريق ينتظر دعوة
تلحقه من ابنه او اخيه او صديقه فاذا لحقته كانت احب اليه من الدنيا وما فيها والاخبار في
هذا الباب كثيرة انتهى من العاقبة ت وروى مالك في الموطا عن يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب
انه قال كان يقال الرجل ليرفع بدعاء ولده من بعده واشار بيده نحو السماء قال ابو عمر وقد روينا

باسناد جيد ثم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليرفع العبد الدرجة
فيقول اي رب اني لي هذه الدرجة فيقول باستغفار ابنك لك انتهى من التمهيد وروينا في سنن
ابي داود ان رجلا من بني سلمة قال يا رسول الله هل بقي من بر ابوي شيء ابرهما به بعد موتهما قال
نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما
واكرام صديقهما انتهى وقوله سبحانه وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل الاية قال
الجمهور الاية وصية للناس كلهم بصلة قرابتهم خوطب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم والمراد
الامة والحق في هذه الاية ما يتعين له من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة عند الحاجة بالمال
والمعونة من كل وجه قال بنحو هذا الحسن وابن عباس وعكرمة وغيرهم والتبذير انفاق
المال في فساد او سرف في مباح وقوله تعالى واما تعرضن عنهم اي عمن تقدم ذكره من المساكين وابن
السبيل فقل لهم قولا ميسورا اي فيه ترجية بفضل الله وتانيس بالميعاد الحسن ودعاء في توسعة
الله وعطائه وروي انه صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد نزول هذه الاية اذا لم يكن عنده
ما يعطي يرزقنا الله واياكم من فضله والرحمة على هذا التاويل الرزق المنتظر وهذا قول ابن عباس
وغيره والميسور من اليسر وقوله سبحانه ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك استعارة لليد المقبوضة
عن الانفاق جملة واستعير لليد التي تستنفد جميع ما عندها غاية البسط ضد الغل وكل هذا في
انفاق الخير واما انفاق الفساد فقليله وكثيره حرام والملامة هنا لاحقة بمن يطلب من المستحقين
فلا يجد ما يعطي والمحسور الذي قد استنفدت قوته تقول حسرت البعير اذا اتعبته حتى لم تبق له قوة
ومنه البصر الحسير قال ابن العربي وهذه الاية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته
وكثيرا ما جاء هذا المعنى في القرآن فان النبي صلى الله عليه وسلم كان سيدهم وواسطتهم الى
ربهم عبر به عنهم على عادة العرب في ذلك انتهى من الاحكام الحسير هو الكال وان ربك يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر معنى يقدر يضيق وقوله سبحانه انه كان بعباده خبيرا بصيرا اي يعلم مصلحة
قوم في الفقر ومصلحة اخرين في الغنى وقال بعض المفسرين ان الاية اشارة الى حال العرب
التي كان يصلحها الفقر وكانت اذا شبعت طغت ت وهذا التاويل يعضده قوله تعالى ولو بسط
الله الرزق لعباده لبغوا في الارض الاية ولا خصوصية لذكر العرب الا من حيث ضرب
المثل وقوله سبحانه ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق الاية نهي عن الواد الذي كانت العرب تفعله
والاملاق الفقر وعدم الملك وروى ابو داود عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كانت له انثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها قال يعني الذكور ادخله الله الجنة ع
انتهى والحق الذي تقتل به النفس قد فسره النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا يحل دم المسلم الا باحدى
ثلاث خصال كفر بعد ايمان او زنا بعد احصان وقتل نفس وما في هذا المعنى من حرابة او زندقة
ونحو ذلك ومن قتل مظلوما اي بغير الوجوه المذكورة فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل
للتشافي ولانه الذم عند جماعة من العلماء ولقتل ذلك عند اخرين والسلطان الحجة والملك الذي
جعل اليه من التخيير في قبول الدية والعفو قاله ابن عباس قال البخاري قال ابن عباس كل سلطان في
القرآن فهو حجة انتهى وقال قتادة السلطان القود وقوله سبحانه فلا يسرف في القتل المعنى فلا يتعدى

الولي امر الله بان يقتل قاتل وليه او يقتل اثنين بواحد الى غير ذلك من وجوه التعدي وقرا حمزة
والكسائي وابن عامر فلا تسرف بالتاء من فوق قال الطبري على معنى الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والائمة بعده قال ع ويصح ان يراد به الولي اي فلا تسرف ايها الولي والضمير في انه عائد على الولي
وقيل على المقتول وفي قراءة ابي بن كعب فلا تسرفوا في القتل ان ولي المقتول كان منصورا وباقي الاية
قد تقدم بيانه قال الحسن القسطاس هو القبان وهو القرسطون وقيل القسطاس هو الميزان صغيرا كان
او كبيرا قال ع وسمعت ابي رحمه الله يقول رايت الواعظ ابا الفضل الجوهري رحمه الله في جامع عمرو
بن العاص يعظ الناس في الوزن فقال في جملة كلامه ان في هيئة اليد بالميزان عظة وذلك ان الاصابع يجيء منها
صورة المكتوبة الف ولامان وهاء فكان الميزان يقول الله الله قال ع وهذا وعظ جميل والتاويل
في هذه الاية المآل قاله قتادة ويحتمل ان يكون التاويل مصدر تاول اي يتاول عليكم الخير في جميع
اموركم اذا احسنتم الكيل والوزن وقال ص تاويلا اي عاقبة وقوله سبحانه ولا تقف معناه تقل
ولا تتبع واللفظة تستعمل في القذف ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نحن بنو النضر لا نقفو
امنا ولا ننتفي من ابينا واصل هذه اللفظة من اتباع الاثر تقول قفوت الاثر وحكى الطبري عن
فرقة انها قالت قفا وقاف مثل عثا وعاث فمعنى الاية ولا تتبع لسانك من القول ما لا علم لك به وبالجملة
فهذه الاية نهي عن قول الزور والقذف وما اشبه ذلك من الاقوال الكاذبة الردية ان السمع
والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا عبر عن هذه الحواس باولئك لان لها ادراكا وجعلها
في هذه الاية مسؤولة فهي حالة من يعقل ت قال ص وما توهمه ابن عطية من ان اولئك يختص
بمن يعقل ليس كذلك اذ لا خلاف بين النحاة في جواز اطلاق اولاء واولئك على ما لا يعقل ت وقد نقل ع
الجواز عن الزجاج وفي الفية ابن مالك نظم وباولى اشر لجمع مطلقا فقال على بدله اي سواء كان
مذكرا او مؤنثا واكثر ما يستعمل فيمن يعقل وقد يجيء لغيره كقوله نظم ذم المنازل بعد منزلة اللوى
والعيش بعد اولئك الايام وقد حكى ع البيت وقال الرواية فيه الاقوام والله اعلم انتهى والضمير
في عنه يعود على ما ليس للانسان به علم ويكون المعنى ان الله تعالى يسال سمع الانسان وبصره وفؤاده
عما قال مما لا علم له به فيقع تكذيبه من جوارحه وتلك غاية الخزي ويحتمل ان يعود على كل التي
هي السمع والبصر الكلم الفارقية لا تدع جدولا وسمعك يجري فيه اجاج الباطل فلهب باطنك
بنار الحرص على اقبال السمع فمع تغور فيه المعاني المسموعة الى قرار وعاء القلب فان كانت شريفة
لطيفة شرفته ولطفته وهذبته وزكته وان كانت رذيلة رذلته وخبثته وكذلك كل منفذ
من منافذ القلب فالحواس كالجداول والزواضع ترضع من اثداء الاشياء التي تلابسها وتاخذ ما فيها
من اوصافها ومعايبها وتؤديها الى القلب الخمس وتنهيها انتهى وقوله سبحانه ولا تمش في الارض مرحا قرا
الجمهور مرحا بفتح الراء مصدر مرح يمرح اذا تسبب سرورا بدنياه مقبلا على راحته فنهى الانسان
ان يكون مشيه في الارض على هذا الوجه وقرات فرقة مرحا بكسر الراء ثم قيل له انك ايها المرح
المختال الفخور لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال بفخرك وكبرك وخرق الارض قطعها ومسحها بالمشي
وقوله سبحانه كل ذلك كان سيئه قرا نافع وابن كثير وابو عمرو سيئة فالاشارة بذلك على هذه
القراءة الى ما تقدم ذكره مما نهي عنه كقوله اف وقذف الناس والمرح وغير ذلك وقرا عاصم

والفؤاد والمعنى ان الله تعالى يسال الانسان عما حواه سمعه وبصره وفؤاده كما صاحب

واذ

وابن عامر وحمزة والكسائي سيئه على اضافة سيء الى الضمير فيكون الاشارة على هذه القراءة الى جميع
ما ذكر في هذه الايات من بر ومعصية ثم اختص ذكر السيء منه بانه مكروه عند الله تعالى وقوله سبحانه
ذلك مما اوحى اليك ربك الاية الاشارة بذلك الى هذه الاداب التي تضمنتها هذه الايات المتقدمة والحكمة
قوانين المعاني المحكمة والافعال الفاضلة ت فينبغي للعاقل ان يتادب باداب الشريعة وان
يحسن العشرة مع عباد الله وروى الامام فخر الدين ابن الخطيب في شرح اسماء الله الحسنى كان بعض المشايخ
يقول مجامع الخير محصورة في امرين صدق مع الحق وخلق مع الخلق انتهى وذكر هشام بن عبد الله القرطبي في
تاريخه المسمى ببهجة النفوس قال دخل عبد الملك بن مروان على معاوية وعنده عمرو بن العاص فلم يلبث
ان نهض فقال معاوية لعمرو ما اكمل مروءة هذا الفتى فقال له عمرو انه اخذ باخلاق اربعة وترك
اخلاقا ثلاثة اخذ باحسن البشر اذا لقي وباحسن الاستماع اذا حدث وباحسن الحديث اذا حدث وباحسن
الرد اذا خولف وترك مزاح من لا يوثق بعقله وترك مخالطة لئام الناس وترك من الحديث ما يعتذر
منه انتهى وقوله سبحانه ولا تجعل مع الله الها اخر الاية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره والمدحور
المهان المبعد قوله سبحانه ولقد صرفنا في هذا القران ليذكروا اي صرفنا فيه الحكم والمواعظ وقوله سبحانه
اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا قال سعيد بن جبير وغيره معنى الكلام لابتغوا اليه سبيلا في افساد ملكه
ومضاهاته في قدرته وعلى هذا فالاية بيان للتمانع وجارية مع قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
قال ع ونقتضب شيئا من الدليل على انه لا يجوز ان يكون مع الله تبارك وتعالى اله غيره على ما قال
ابو المعالي وغيره انا لو فرضنا ان يريد احدهما تسكين جسم والاخر تحريكه ومستحيل ان تنفذ الارادتان
ومستحيل ان لا تنفذ جميعا فيكون الجسم لا متحركا ولا ساكنا فان صحت ارادة احدهما دون
الاخر فالذي لم تتم ارادته ليس باله فان قيل نفرضهما لا يختلفان قلنا اختلافهما جائز غير ممتنع عقلا
والجائز في حكم الواقع ودليل اخر انه لو كان الاثنان لم يمتنع ان يكونوا ثلاثة وكذلك ويتسلسل الى
ما لا نهاية له ودليل اخر ان الجزء الذي لا يتجزى من المخترعات لا تتعلق به الا قدرة واحدة لا يصح
فيها اشتراك والاخر كذلك دائما فكل جزء انما يخترعه واحد وهذه نبذة شرحها بحسب التقصي
يطول وقوله سبحانه وان من شيء الا يسبح بحمده الاية اختلف الناس في هذا التسبيح هل هو
حقيقة او مجاز ت والصواب انه حقيقة ولولا خشية الاطالة لاتينا من الدلائل على ذلك بما
يثلج له الصدر وقوله سبحانه واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة الاية
يعني كفار مكة وحجابا مستورا يحتمل ان يريد به حماية نبيه منهم وقت قراءته وصلاته بالمسجد
الحرام كما هو معلوم ومشهود ويحتمل انه اراد انه جعل بين فهم الكفرة وبين فهم ما يقرا صلى
الله عليه وسلم حجابا فالاية على هذا التاويل في معنى التي بعدها وقال الواحدي قوله تعالى واذا قرات
القران الاية نزلت في قوم كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرا القران فحجبه الله عن اعينهم
عند قراءة القران حتى كانوا يمرون به ولا يرونه وقوله مستورا اي ساترا والاكنة جمع كنان
وهو ما غطى الشيء والوقر الثقل في الاذن المانع من السمع وهذه كلها استعارات للاضلال الذي
حفهم الله به وقوله سبحانه نحن اعلم بما يستمعون به الاية هذا كما تقول فلان يستمع باعراض وتغافل
واستخفاف وما بمعنى الذي قيل المراد بقوله واذ هم نجوى اجتماعهم في دار الندوة ثم انتشرت
عنهم وقوله سبحانه انظر كيف ضربوا لك الامثال حكى الطبري انها نزلت في الوليد بن المغيرة واصحابه

وقوله افاصفاكم ربكم بالبنين الاية
حقا لعزو ... شنيع علم وفاتهم

وقوله سبحانه فلا يستطيعون سبيلا اى الى افساد امرك واطفا نورك وقولهم أئذا كنا عظاما
ورفاتا الاية فى انكارهم البعث وهذا منهم تعجب وانكار واستبعاد والرفات من الاشيا ما مر
عليه الزمن حتى بلغ غاية البلا وقرب من حالة التراب وقال ابن عباس فتاتا غبارا وقال مجاهد
ترابا وقوله سبحانه قل كونوا حجارة وحديدا الاية المعنى قل لهم يا محمد كونوا ان استطعتم هذه الاشياء
الصعبة الممتنعة التى لا بد من بعثكم ثم احتج عليهم سبحانه فى الاعادة بالفطرة الاولى من حيث خلقهم
واخترعهم من تراب وقوله سبحانه فسينغضون اليك رؤوسهم معناه يرفعون ويخفضون يريد على
جهة التكذيب والاستهزاء قال الزجاج وهو تحريك من يبطل الشى ويستبطيه ومنه قول الشاعر
نظم انغض نحوى راسه واقنعا كانما ابصر شيا اطمعا ويقال نغضت السن اذا تحركت قال الطبرى
وابن سلام عسى من الله واجبة فالمعنى هو قريب وفى ضمن اللفظ توعد وقوله سبحانه يوم يدعوكم بدل
من قوله قريبا ويظهر ان يكون المعنى هو يوم جوابا لقولهم متى هو ويريد يدعوكم من قبوركم بالنفخ فى
الصور لقيام الساعة وقوله فتستجيبون اى بالقيام والعودة والنهوض نحو الدعوة وقوله بحمده قال ابن جبير
ان جميع العالمين يقومون وهم يحمدون الله ويمجدونه لما يظهر لهم من قدرته ص ابو البقا بحمده حال
اى حامدين وقيل بحمده من قول الرسول اى وذلك بحمد الله على صدق خبرى ووقع فى لفظ ابن عطية حين
فسر هذا المعنى عسى ان الساعة قريبة وهو تركيب لا يجوز لا تقول عسى ان زيد قائم انتهى وقوله سبحانه
وتظنون ان لبثتم الا قليلا يحتمل معنيين احدهما انهم لما رجعوا الى حالة الحياة وتصرف الاجساد
وقع لهم ظن انهم لم ينفصلوا عن حال الدنيا الا قليلا لمغيب علم مقدار الزمن عنهم اذ من فى
الاخرة لا يقدر زمن الدنيا اذ هم لا محالة اشد مفارقة لها من النائمين وعلى هذا التاويل
عول الطبرى والاخر ان يكون الظن بمعنى اليقين فكانه قال يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتتيقنون
انكم انما لبثتم قليلا من حيث هو منقض منحصر وحكى الطبرى عن قتادة انهم لما راوا اهوال يوم
القيمة احتقروا الدنيا فظنوا انهم لبثوا فيها قليلا وقوله سبحانه وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن
اختلف الناس فى التى هى احسن فقالت فرقة هى لا اله الا الله وعلى هذا فالعباد جميع الخلق وقال الجمهور التى
هى احسن المحاورة الحسنة بحسب معنى معنى قال الحسن يقول يغفر الله لك يرحمك الله وقوله لعبادى خاص
بالمومنين قالت فرقة امر المومنين فيما بينهم بحسن الادب وخفض الجناح والانة القلب واطراح
نزغات الشيطان ومعنى النزغ حركة الشيطان بسرعة ليوجب فسادا وعداوة الشيطان البينة هى
من قصة آدم عليه السلام فيما بعد وقالت فرقة انما امر الله فى هذه الاية المومنين بالانة القول
للمشركين بمكة ايام المهادنة ثم نسخت باية السيف وقوله سبحانه ربكم اعلم بكم يقوى هذا التاويل اذ هو
مخاطبة لكفار مكة بدليل قوله وما ارسلناك عليهم وكيلا فكان الله عز وجل امر المومنين ان لا يخاشنوا
الكفار فى الدين ثم قال للكفار انه اعلم بهم ورجاهم وخوفهم ومعنى يرحمكم بالتوبة عليكم من الكفر
قاله ابن جريج وغيره وقوله سبحانه وآتينا داود زبورا قرا الجمهور زبورا بفتح الزاى وهو فعول بمعنى
بمعنى مفعول وهو قليل لم يجى الا فى قدوع وركوب وحلوب وقرا حمزة بضم الزاى قال قتادة
زبور داود مواعظ ودعاء وليس فيه حلال ولا حرام وقوله سبحانه قل ادعوا الذين زعمتم من
دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا هذه الاية ليست فى عبدة الاصنام وانما هى فى
عبدة من يعقل كعيسى وامه وعزير ونحوهم قاله ابن عباس فلا يملكون كشف الضر ولا تحويله

ثم

ثم اخبر تعالى ان هولاء المعبودين يطلبون التقرب الى الله والتزلف اليه وان هذه حقيقة حالهم قوله
تعالى ويرجون رحمته الاية قال عز الدين بن عبد السلام فى اختصاره لرعاية المحاسبى الخوف والرجا وسيلتان
الى فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات والمكروهات ولكن لا بد من الاكباب على استحضار ذلك والتدبر منه
فى اكثر الاوقات حتى يصير الثواب والعقاب نصب عينيه فيحثاه على فعل الخيرات والطاعات وترك المخالفات
ولن يحصل له ذلك الا بتفريغ القلب من كل شى سوى ما يفكر فيه ويعينه على الفكر وقد مثل
القلب المريض بالشهوات بالثوب المتسخ الذى لا تزول درانه الا بتكرير غسله وحته وقرضه انتهى
وباقى الاية بين وقوله سبحانه وان من قرية الا نحن مهلكوها الاية اخبر سبحانه فى هذه الاية انه ليس
مدينة من المدن الا هى هالكة قبل يوم القيمة بالموت والفنا وهذا مع سلامته واخذها
جزاجزا او هى معذبة ماخوذة مرة واحدة وقوله فى الكتاب يريد فى سابق القضا وما خطه
القلم فى اللوح المحفوظ المسطور المكتوب اسطارا وقوله سبحانه وما منعنا ان نرسل بالايات الاية
هذه العبارة فى منعنا هى على ظاهر ما تفهم العرب فسمى سبحانه سبق قضائه بتكذيب من كذب وتعذيبه
منعنا وسبب هذه الاية ان قريشا اقترحوا على النبى صلى الله عليه وسلم ان يجعل لهم الصفا ذهبا
ونحو هذا من الاقتراحات فاوحى الله الى نبيه عليه السلام ان شيت فعلت ذلك لهم ثم ان لم يومنوا
عاجلتهم بالعقوبة وان شيت استانيت بهم عسى ان اجتبى منهم مومنين فقال عليه السلام بل تستانى
بهم يا رب فاخبر سبحانه بمعاجلة الامم التى جاءتهم الايات المقترحة فلم يومنوا كثمود وغيرهم
قال الزجاج اخبر تعالى ان موعد كفار هذه الامة الساعة بقوله تعالى بل الساعة موعدهم فهذه الاية
تنظر الى ذلك ومبصرة اى ذات ابصار وهى عبارة عن بيان امر الناقة ووضوح اعجازها وقوله
فظلموا بها اى بعقرها وبالكفر فى امرها ثم اخبر تعالى انه انما يرسل بالايات غير المقترحة تخويفا
للعباد وهى ايات معها امهال فمن ذلك الكسوف والزلزلة والرعد وقوس قزح وغير ذلك
وايات الله المعتبر بها ثلاثة اقسام فقسم عام فى كل شى اذ حيثما وضعت نظرك وجدت اية
وهنا فكرة العلماء وقسم معتاد غبا كالكسوف ونحوه وهنا فكرة الجهلة وقسم خارق للعادة
وقد انقضى بانقضاء النبوة وانما يعتبر به توهما لما سلف منه وقوله سبحانه واذ قلنا لك ان ربك
احاط بالناس هذه الاية خبر للنبى صلى الله عليه وسلم بانه محفوظ من الكفرة آمن فليبلغ رسالة
ربك ولا تتهيب احدا من المخلوقين قاله الطبرى ونحوه للحسن والسدى وقوله سبحانه وما جعلنا
الرويا التى اريناك الا فتنة للناس الجمهور ان هذه الرويا رويا عين ويقظة وذلك ان النبى صلى الله
عليه وسلم لما كان صبيحة الاسرا واخبر بما راى فى تلك الليلة من العجائب قال الكفار ان هذا
لعجب واستبعدوا ذلك فافتتن بهذا قوم من ضعفة المسلمين فارتدوا وشق ذلك على النبى صلى
الله عليه وسلم فنزلت هذه الايات فعلى هذا يحسن ان يكون معنى قوله احاط بالناس اى فى
اضلالهم وهدايتهم اى فلا تهتم يا محمد بكفر من كفر وقال ابن عباس الرويا فى هذه الاية هى
رويا النبى صلى الله عليه وسلم انه يدخل مكة فجعل فى سنة الحديبية فصد فافتتن المسلمون
لذلك يعنى بعضهم وليس بفتنة كفر وقوله والشجرة الملعونة فى القران معطوفة على قوله
الرويا اى جعلنا الرويا والشجرة فتنة والشجرة الملعونة فى قول الجمهور هى شجرة الزقوم وذلك
ان امرها لما نزل فى سورة والصافات قال ابو جهل وغيره هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم

فى هذه الاية انه لم يمنعه جل وعلا من ارسال الايات المقترحة الا الاستيناء اذ قد سلفت عادته سبحانه م

ثم بن عم انها انبتت الشجر وما نعرف الزقوم الا التمر بالزبد ثم احضر تمرا وزبدا وقال لاصحابه
تزقموا فافتتن ايضا بهذه المقالة بعض الضعفاء قال الطبري عن ابن عباس ان الشجرة الملعونة يريد
الملعون آكلها لانها لم يجر لها ذكر قال ع ويصح ان يريد الملعونة هنا فاكد الامر بقوله في القرآن وقالت
فرقة الملعونة المبعدة اى المكروهة وهذا قريب في المعنى من الذى قبله ولاشك ان ماينبت في اصل
الجحيم هو في غاية البعد من رحمة الله سبحانه قوله سبحانه ونخوفهم يريد كفار مكة قوله أرايتك هذا الذى
كرمت على الكاف في ارايتك هي كاف خطاب ومبالغة في التنبيه لاموضع لها من الاعراب فهي زائدة
ومعنى ارايت تاملت ونحوه كان المخاطب ينبه المخاطب ليستجمع لما ينصه بعد وقوله لاحتنكن معناه
لاميلن ولاجرن وهو ماخوذ من تحنيك الدابة وهو ان يشد على حنكها بحبل وغيره فتنقاد
والسنة تحتنك المال اى تجترمه وقال الطبري لاحتنكن معناه لاستاصلن وعن ابن عباس لاستولين
وقال ابن زيد لاضلن قال ع وهذا بدل اللفظ لا تفسير قوله اذهب فمن تبعك منهم وما بعده
من الاوامر هي صيغة افعل بمعنى التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم والموفور المكمل واستفزز
معناه استخف واخدع قوله بصوتك قيل هو الغنا والمزامير والملاهي لانها اصوات كلها مختصة
بالمعاصي فهي مضافة الى الشيطان قاله مجاهد وقيل بدعائك اياهم الى طاعتك قال ابن عباس صوته
دعاء كل من دعى الى معصية الله والصواب ان يكون الصوت يعم جميع ذلك قوله واجلب هو ل
والجلبة الصوت الكثير المختلط الهايل قوله بخيلك ورجلك قيل هذا مجاز واستعارة بمعنى اسع سعيك
وابلغ جهدك وقيل حقيقة وان له خيلا ورجلا من الجن قاله قتادة وقيل المراد فرسان الناس ورجالتهم
المتصرفون في الباطل فانهم كلهم اعوان لابليس على غيرهم قاله مجاهد وشاركهم في الاموال
والاولاد عام لكل معصية يصنعها الناس بالمال ولكل ما يصنع في امر الذرية من المعاصي كالايلاد
بالزنا وكتسميتهم عبد شمس وابا الكويفر وعبد الحارث وكل اسم مكروه ومن ذلك وأد البنات و
ذلك صبغهم في اديان الكفر وغير هذا وما ادخله النقاش من وطئ الجن وانه يحبل المراة من
الانس وضعيف كله ت اما ما ذكر من الحبل فلاشك في ضعفه وفساد قول ناقله ولم ار في ذلك
حديثا صحيحا ولا سقيما ولو امكن الحبل من الجن كما زعم ناقله لكان ذلك شبهة يدرا بها الحد عمن
ظهر بها حمل من النساء اللواتي لا ازواج لهن لاحتمال ان يكون حملها من الجن كما زعم هذا القايل وهو
باطل واما ما ذكر من الوطئ فقد قيل ذلك وظواهر الاحاديث تدل عليه وقد خرج البخاري ومسلم
وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان
احدكم اذا اراد ان ياتي اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان
يقدر بينهما ولد لم يضره شيطان ابدا فظاهر قوله عليه السلام اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان
ما رزقتنا يقتضي ان لهذا اللعين مشاركة ما في هذا الشان وقد سمعت من شيخنا ابي الحسن علي
ابن عثمان الزواوي المانجلاتي سيد علماء بجاية في وقته قال حدثني بعض الناس ممن يوثق به يخبر عن
زوجته انها تجد هذا الامر قال المخبر واصغيت الى ما اخبرت به الزوجة فسمعت حس ذلك
الشيء والله اعلم وقوله سبحانه ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر وازجاء الفلك سوقه بالريح اللينة
والمجاديف ولتبتغوا من فضله لفظ يعم التجر وغيره وهذه الاية المباركة توقيف على آلاء الله وفضله
ورحمته بعباده والضر هنا لفظ يعم الغرق وغيره واهول حالات البحر اضطرابه وتموجه

وضل

وضل معناه تلف وفقد وقوله أعرضتم اى فلم تفكروا في جميل صنع الله بكم وقوله كفورا اى بالنعم
والانسان هنا الجنس الحاصب العارض الرامي بالبرد والحجارة ومنه الحاصب الذي اصاب قوم
لوط والحصب الرمي بالحصباء والقاصف الذي يكسر كل ما يلقى ويقصفه وتارة معناه مرة اخرى
والتبيع الذي يتبع ثارا اودينا ومن هذه اللفظة قوله صلى الله عليه وسلم اذا اتبع احدكم على
ملي فليتبع فالمعنى لا تجدون من يتبع فعلنا بكم ويطلب نصرتكم وهذه الايات انوارها واضحة للمهتدين
قوله جلت عظمته ولقد كرمنا بني آدم الاية عدد الله سبحانه على بني آدم ما خصهم به من المزايا
من بين ساير الحيوان ومن افضل ما اكرم به الآدمي العقل الذي يعرف الله تعالى ويفهم كلامه ويوصل
الى نعيمه وقوله سبحانه على كثير ممن خلقنا المراد بالكثير المفضول الحيوان والجن واما الملائكة فهم
الخارجون عن الكثير المفضول وليس في الاية ما يقتضي ان الملائكة افضل من الانس كما زعمت
فرقة بل الامر محتمل ان يكونوا افضل من الانس ويحتمل التساوي وقوله يوم ندعوا كل اناس
بامامهم فيقال يا امة محمد ويا اتباع فرعون ونحو هذا ويحتمل ان يريد مع امامهم اى تجي
كل امة معها امامها من هاد او مضل واختلف في الامام فقال ابن عباس والحسن كتابهم الذي
فيه اعمالهم وقال قتادة ومجاهد نبيهم وقال ابن زيد كتابهم الذي نزل عليهم وقالت فرقة متبعهم
من هاد او مضل ولفظة الامام تعم هذا كله وقوله سبحانه فمن اوتي كتابه بيمينه حقيقة في القيامة
صحايف تتطاير وتوضع في الايمان لاهل الايمان وفي الشمايل لاهل الكفر والخذلان وتوضع في ايمان
المذنبين الذين ينفذ عليهم الوعيد فيستفيدون منها انهم غير مخلدين في النار وقوله سبحانه يقرؤون
كتابهم عبارة عن السرور بها اى يرددونها ويتاملونها وقوله سبحانه ولا يظلمون فتيلا اى ولا اقل
قوله سبحانه ومن كان في هذه اعمى قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد الاشارة بهذه الى
الدنيا اى من كان في هذه الدار اعمى عن النظر في آيات الله وعبره والايمان بانبيائه فهو في الاخرة
اعمى على معنى انه حيران لا يتوجه له صواب ولا ينجح له نجح قال مجاهد فهو في الاخرة اعمى عن حجته
ويحتمل ان يكون صفة تفضيل اى اشد عمى وحيرة لانه قد باشر الخيبة وراى مخايل العذاب
ويقوي هذا التاويل قوله عطفا عليه واضل سبيلا الذي هو افعل من كذا والاعمى في هذه الاية
هو عمى القلب وقال سيبويه لا يقال اعمى من كذا انما هو في عمى العين الذي لا تفاضل فيه واما في
القلب فيقال ذلك لانه يقع فيه التفاضل ت وكذا قال ص قوله سبحانه وان كادوا ليفتنونك
عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره الاية الضمير في قوله كادوا هو لقريش وقيل لثقيف
فاما لقريش فقال ابن جبير ومجاهد نزلت الاية لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندعك
تستلم الحجر الاسود حتى تمس اصنامنا واوثاننا على معنى التشرع وقال ابن اسحاق وغيره انهم اجتمعوا اليه
ليلة فعظموه وقالوا له انت سيدنا ولكن اقبل على بعض امرنا ونقبل على بعض امرك فنزلت
الاية في ذلك قال ع فهي في معنى قوله ودوا لو تدهن فيدهنون واما لثقيف فقال ابن عباس
وغيره لانهم طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوخرهم بعد اسلامهم سنة يعبدون
فيها اللات وقالوا انما نريد ان ناخذ ما يهدى لها ولكن ان خفت ان تنكر عليك ذلك العرب فقل اوحى
الله ذلك الي فنزلت الاية في ذلك ت والله اعلم بصحة هذا التاويل وقد تقدم ما يجب
اعتقاده في حق النبي عليه السلام فالزمه تفلح وقوله واذا لاتخذوك خليلا توقيف على

على ما نجاه الله منه من مخالفة الكفار والولاية لهم وقوله سبحانه ولولا ان ثبتناك الاية
تعديد نعمه على النبي صلى الله عليه وسلم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه
الاية قال اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين وقرا الجمهور تركن بفتح الكاف والنبي صلى الله عليه وسلم
لم يركن لكنه كان بحسب همه بموافقتهم طمعا منه في استيلافهم وذهب ابن الانباري الى ان معنى الاية لقد
كادوا يخبروا عنك انك ركنت ونحو هذا ذهب في ذلك الى نفي الهم عن النبي صلى الله عليه وسلم فحمل
اللفظ ما لا يحتمل وقوله شيئا قليلا يبطل ذلك ت وجزى الله ابن الانباري خيرا وان تنزيه سائر
الانبياء واجب فكيف بسيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين قال ابو الفضل
عياض في الشفا قوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين
عاتب الله نبينا عليه السلام قبل وقوع ما يوجب العتاب ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرائط
المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدا بتثبيته وسلامته قبل ذكر ما عاتبه عليه
وخيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تامينه قال عياض رحمه الله
على المؤمن المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه ان يتادب بآداب القرآن في قوله
وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية
انتهى قال ع وهذا الهم من النبي صلى الله عليه وسلم انما كان خطرة مما لا يمكن دفعه ولذلك
قيل كدت وهي تعطي انه لم يركن ثم قيل شيئا قليلا اذ كانت المقاربة التي تضمنها كدت قليلة
خطرة لم تتاكد في النفس وقوله اذا لاذقناك الاية الآية تبطل ايضا ما ذهب اليه ابن الانباري
ت وما ذكره ع رحمه الله من البطلان لا يصح وما قدمناه عن عياض احسن فتامله وقوله ضعف
الحياة قال ابن عباس وغيره يريد ضعف عذاب الحياة وضعف الممات وقوله سبحانه وان كادوا
ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها قال الحضرمي الضمير في كادوا اليهود بالمدينة وناحيتها ذهبوا
الى المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذه الارض ليست بارض الانبياء فان كنت نبيا فاخرج
الى الشام فانها ارض الانبياء فنزلت الاية واخبر سبحانه ان رسول الله لو خرج لم يلبثوا بعده الا قليلا
وقالت فرقة الضمير لقريش وقال ابن عباس وقد وقع استفزازهم واخراجهم له فلم يلبثوا خلفه
الا قليلا يوم بدر وقال مجاهد ذهبت قريش الى هذا ولكنه لم يقع منها لانه لما اراد الله سبحانه
استبقاء قريش وان لا يستاصلها اذن لرسوله في الهجرة فخرج من الارض باذن الله لا بقهر قريش
واستبقيت قريش ليسلم منها ومن اعقابها من اسلم ت قال ص قوله لا يلبثون جواب قسم محذوف
اي والله ان استفززت فخرجت لا يلبثون خلفك انتهى وقوله سبحانه سنة من قد ارسلنا قبلك
من رسلنا الاية معنى الاية الاخبار ان سنة الله تعالى في الامم الخالية وعادته انها اذا اخرجت نبيها
من بين اظهرها نالها العذاب واستاصلها فلم تلبث بعده الا قليلا وقوله اقم الصلاة لدلوك
الشمس الاية اجماع المفسرين على ان الاشارة هنا الى الصلوات المفروضة والجمهور ان دلوك الشمس زوالها
والاشارة الى الظهر والعصر وغسق الليل اشير به الى المغرب والعشاء وقران الفجر يريد به صلاة الصبح
فالاية تعم جميع الصلوات والدلوك في اللغة هو الميل فاول الدلوك هو الزوال وآخره هو الغروب قال
ابو حيان واللام في لدلوك الشمس الظرفية بمعنى بعد انتهى وغسق الليل اجتماعه وتكاثف ظلمته
وعبر عن صلاة الصبح خاصة بالقرآن لان القرآن هو عظمها اذ قراءتها طويلة مجهور بها و

وقوله سبحانه ان قران الفجر كان مشهودا معناه يشهده حفظة النهار وحفظة الليل من الملائكة
حسبما ورد في الحديث الصحيح يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فيجتمعون في صلاة
الصبح وصلاة العصر الحديث بطوله وفي مسند البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان
افضل الصلوات صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة وما احسب من شهدها منكم الا مغفورا له
انتهى من الكوكب الدري ومن الليل فتهجد به من للتبعيض التقدير ووقتا من الليل اي وقم وقتا
والضمير في به عائد على المقدر ويحتمل ان يعود على القران فتهجد معناه اطرح الهجود عنك والهجود
النوم فالمعنى ووقتا من الليل اسهر به في صلاة وقراءة وقال علقمة وغيره التهجد بعد نومة وقال
الحجاج بن عمرو وانما التهجد بعد رقدة وقال الحسن التهجد ما كان بعد العشاء الآخرة وقوله نافلة لك قال ابن
عباس معناه زيادة لك في الفرض قال وكان قيام الليل فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد
انما هي نافلة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه مغفور له والناس يحطون بمثل ذلك خطاياهم يعني ويجبرون
بها فرائضهم حسبما ورد في الحديث قال صاحب المدخل وهو ابو عبد الله بن الحاج وقد قالوا ان من كان
يتنفل منه القرآن فليقم به في الليل فان ذلك يثبته له ببركة امتثال السنة سيما الثلث الاخير من
الليل لما ورد في ذلك من البركات والخيرات وفي قيام الليل من الفوائد جملة فلا ينبغي لطالب العلم ان يفوته
منها شيء فمنها انه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق اليابس من الشجرة الثاني انه ينور
القبر الثالث انه يحسن الوجه الرابع انه يذهب الكسل وينشط البدن الخامس ان موضعه تراه الملائكة
من السماء كما يتراءى الكوكب الدري لنا في السماء وقد روى الترمذي عن ابي امامة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه من داب الصالحين قبلكم وان قيام الليل قربة الى الله
تعالى ومنهاة عن الاثام وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد وروى ابو داود في سننه
عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام بعشر آيات لم يكتب من
الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بالف كتب من المقنطرين انتهى قوله
سبحانه عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا عدة من الله عز وجل لنبيه وهو امر الشفاعة
الذي يتدافعه الانبياء حتى ينتهي الى النبي صلى الله عليه وسلم والحديث بطوله في البخاري ومسلم
قال ابن العربي في احكامه واختلف في وجه كون قيام الليل سببا للمقام المحمود على قولين
للعلماء احدهما ان الباري تعالى يجعل من يشاء من فضله سببا لفضله من غير معرفة لنا بوجه الحكمة
الثاني ان قيام الليل فيه الخلوة بالباري تعالى والمناجاة معه دون الناس فيعطى الخلوة به ومناجاته
في القيامة فيكون مقاما محمودا ويتفاضل فيه الخلق بحسب درجاتهم واجلهم فيه درجة نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم فيعطى من المحامد ما لم يعط احد ويشفع فيشفع انتهى وقوله سبحانه وقل رب
ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق الاية ظاهر الاية والاحسن ان يكون دعاء عاما في جميع
الله حالته في كل ما يتناول من الامور ويحاول من الاسفار والاعمال وينتظر من تصرف المقادير
في الموت والحياة فهي على اتم عموم معناه رب اصلح لي وردي في كل الامور وصدري وذهب
المفسرون الى تخصيص اللفظ فقال ابن عباس وغيره ادخلني المدينة واخرجني من مكة وقال
ابن عباس ايضا الادخال بالموت في القبر والاخراج البعث وقيل غير هذا وما قدمته من العموم التام
الذي يتناول هذا كله اصوب والصدق هنا صفة تقتضي دفع المذام واستيعاب المدح والجعل

من لدنك سلطانا قال مجاهد يعني حجة تنصرني بها على الكفار وقوله سبحانه وقل جاء الحق الآية قال
قتادة الحق القرآن والباطل الشيطان وقالت فرقة الحق الإيمان والباطل الكفران وقيل غير هذا والصواب
تعميم اللفظ بالغاية الممكنة فيكون التفسير جاء الشرع بجميع ما انطوى فيه وزهق الكفر بجميع ما انطوى
فيه وهذه الآية نزلت بمكة وكان يستشهد بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وقت طعنه
الأصنام وسقوطها لطعنه إياها بالمخصرة وقوله سبحانه وننزل من القرآن ما هو شفاء أي استشفاء بحسب إزالته
للريب وكشف غطاء القلب وشفاء أيضا من الأمراض بالرقى والتعويذ ونحوه وقوله وإذا أنعمنا
على الإنسان أعرض ونأى بجانبه يحتمل أن يكون الإنسان عاما للجنس فالكافر بالغ في الإعراض
والعاصي آخذ بحظ منه ونأى أي بعد قوله قل كل يعمل على شاكلته أي على ما يليق به قال ابن عباس على
شاكلته معناه على ناحيته وقال قتادة معناه على ناحيته وعلى ما ينوي قوله سبحانه فربكم أعلم بمن هو أهدى
سبيلا توعد بين قوله سبحانه ويسألونك عن الروح روى ابن مسعود أن اليهود قال بعضهم لبعض
سلوا محمدا عن الروح فإن أجاب فيه عرفتم أنه ليس بنبي قال ع وذلك أنه كان عندهم في التوراة أن الروح
مما انفرد الله تعالى بعلمه ولا يطلع عليه أحد من عباده فسألوه فنزلت الآية وقيل إن الآية مكية والسائلون
هم قريش بإشارة اليهود واختلف الناس في الروح المسؤول عنه أي روح هو فقال الجمهور وقع السؤال
عن الأرواح التي في الأشخاص الحيوانية ما هي فالروح اسم جنس على هذا وهذا هو الصواب وهو المشكل
الذي لا تفسير له وقوله من أمر ربي يحتمل أن الروح من جملة أمور الله التي استأثر سبحانه بعلمها وهي
إضافة خلق إلى خالق قال ابن راشد في مرقبته أخبرني شيخي شهاب الدين القرافي عن ابن دقيق
العيد أنه رأى كتابا لبعض الحكماء في حقيقة النفس وفيه ثلاثمائة قول قال رحمه الله وكثرة الخلاف
يؤذن بكثرة الجهالات ثم علماء الإسلام اختلفوا في جواز الخوض فيها على قولين ولكل حجة يطول بنا
سردها ثم القائلون بالجواز اختلفوا هل هي عرض وجوهر أو ليست بجوهر ولا عرض ولا توصف
بأنها داخل الجسم ولا خارجه وإليه ميل الإمام أبي حامد وغيره والذي عليه المحققون من المتأخرين
أنها جسم نوراني شفاف سار في الجسم سريان النار في الفحم والدليل على أنها في الجسم قوله تعالى فلولا إذا
بلغت الحلقوم فلو لم تكن في الجسم لم يقل ذلك وقد أخبرني الفقيه الخطيب أبو محمد الرجيني رحمه الله
عن الشيخ الصالح أبي الطاهر الركراكي رحمه الله قال حضرت وليا من الأولياء حين النزع فشاهدت
نفسه قد خرجت من جسده ثم تشكلت على رأسه بشكله وصورته ثم صعدت إلى السماء وصعدت
نفسي معها فلما انتهينا إلى السماء الدنيا شاهدت بابا ورجل ملك ممدودة عليه فأزال ذلك الملك
رجله وقال لنفس ذلك الولي اصعدي فصعدت فأرادت نفسي أن تصعد معها فقال لها ارجعي فقد بقي
لك وقت قال فرجعت فشاهدت الناس دائرين على جسمي وقائل يقول مات وآخر يقول لم يمت قد خلت
من أنفي أو قال من عيني انتهى ت وهذه الحكاية صحيحة ورجال إسنادها ثقات معروفون
بالفضل فابن راشد هو شارح ابن الحاجب الفرعي والرجيني معروف عند أهل قرطبة وأبو الطاهر
من أكابر الأولياء معظم عند أهل تونس مزاره وقبره بالزلاج معروف زرته رحمه الله وقرأ الجمهور
وما أوتيتم واختلف فيمن خوطب بذلك فقالت فرقة السائلون فقط وقالت فرقة العالم كله
وقد نص على ذلك صلى الله عليه وسلم على ما حكاه الطبري وقوله ولئن شئنا المعنى وما
أوتيتم بالمحسات وجميع المخلوق من العلم إلا قليلا فالله يعلم من علمه من شاء ويدع ما شاء

ولئن

ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك وقوله إلا رحمة استثناء منقطع أي لكن رحمة من
ربك تمسك عليها قال الداودي وما روي عن ابن مسعود من أنه سينزع القرآن من الصدور
وترفع المصاحف لا يصح وإنما قال سبحانه ولئن شئنا فلم يشأ سبحانه وفي الحديث عنه صلى الله عليه
وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون قال البخاري وهم
أهل العلم ولا يكون العلم مع فقد القرآن انتهى كلام الداودي وهو حسن جدا وقد جاء في الصحيح
ما هو أبين من هذا وهو قوله صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينتزع العلم انتزاعا ولكن يقبض
العلم بقبض العلماء الحديث قوله سبحانه قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن
الآية سبب هذه الآية أن جماعة من قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لو جئتنا بآية
غريبة غير هذا القرآن فإنا نقدر نحن على المجيء بمثله فنزلت هذه الآية المصرحة بالتعجيز لجميع الخلائق
قال ص واللام في لئن اجتمعت اللام الموطئة للقسم وهي الداخلة على الشرط كقوله لئن أخرجوا
ولئن قوتلوا والجواب بعد للقسم لتقدمه ذو خبره لا للشرط هذا مذهب البصريين خلافا للفراء
في إجازته الأمرين إلا أن الأكثر أن يجيء جواب قسم انتهى الظهير المعين قال ع وفهمت العرب بفصاحتها
بخلوص فهمها في ميز الكلام ودربتها به ما لا نفهمه نحن ولا كل من خالطته حضارة ففهموا العجز
ضرورة ومشاهدة وعلمه الناس بعدهم استدلالا ونظرا ولكل حصل علم قطعي لكن ليس في
مرتبة واحدة قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآية روي في
قول هذه المقالة للنبي صلى الله عليه وسلم حديث طويل مقتضاه أن عتبة وشيبة ابني ربيعة
وعبد الله بن أبي أمية والنضر بن الحارث وغيرهم من مشيخة قريش وسادتها اجتمعوا
عليه فعرضوا عليه أن يملكوه إن أراد الملك أو يجمعوا كثيرا من المال إن أراد الغنى ونحو
هذا من الأقاويل فدعاهم صلى الله عليه وسلم عند ذلك إلى الله وقال إنما جئتكم بأمر من
الله فيه صلاح دنياكم ودينكم فإن أطعتم فحسن وإلا صبرت حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا
له ح فإن كان ما تزعمه حقا ففجر لنا من الأرض ينبوعا الحديث بطوله والينبوع الماء النابع
وخلالها ظرف ومعناه أثناءها وفي داخلها وقوله كما زعمت إشارة إلى ما تلي عليهم قبل ذلك في قوله
سبحانه إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء الآية والكسف الشيء المقطوع
وقال الزجاج المعنى أو تسقط السماء علينا طبقا وقوله قبيلا معناه مقابلة وعيانا وقيل
معناه ضامنا وزعيما بتصديقك ومنه القبالة وهي الضمان وقيل معناه نوعا وجنسا
لا نظير له عندنا أو يكون لك بيت من زخرف قال المفسرون الزخرف الذهب في هذا
الموضع أو ترقى في السماء أي في الهواء علوا ويحتمل أن يريد السماء المعروفة وهو أظهر
وذكر ع هنا كلمات الواجب طرحها ولهذا أعرضت عنها وترقى معناه تصعد ويروى أن قائل
هذه المقالة هو عبد الله بن أبي أمية ويروى أن جماعة طلبت هذا النحو منه فأمر الله عز وجل
أن يقول سبحان ربي أي تنزيها له من الإتيان إليكم مع الملائكة قبيلا ومن اقتراحي أنا عليه
هذه الأشياء وهل أنا بشر إنما علي البلاغ المبين فقط وقوله مطمئنين أي وادعين فيها
مقيمين قوله سبحانه قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم روي أن من تقدم الآن ذكرهم من قريش
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم في آخر قولهم فلتجئ معك طائفة من الملائكة تشهد لك بصدقك

في ثبوتك ودوى لهم قالوا فمن يشهد لك ففي ذلك نزلت الآية اي الله يشهد بيني وبينك
ثم اخبر سبحانه انه يحشرهم على الوجوه حقيقة وفي هذا المعنى حديث قيل يا رسول الله كيف
يمشي الكافر على وجهه قال أليس الذي امشاه في الدنيا على رجلين قادر على ان يمشيه في الآخرة على
وجهه قال قتادة بلى وعزة ربنا وهذا الحديث قد خرجه الترمذي من طريق ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم
الحديث وقوله كلما خبت اي كلما فرغت من احراقهم فسكن اللهيب القائم عليهم قدر ما يعاد وذلك
ثم تثور فتلك زيادة السعير قاله ابن عباس قال ع فالزيادة في حيزهم واما جهنم فعلى حالها
من الشدة لا تفتر بها وخبت النار معناه سكن اللهيب والجمر على حاله وخمدت معناه سكن
الجمر وضعف وهمدت معناه طفيت جملة وقوله سبحانه ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا الآية
الاشارة بذلك الى الوعيد المتقدم بجهنم وقوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض
الآية الرؤية في هذه الآية هي رؤية القلب وهذه الآية احتجاج عليهم بما استبعدوه من البعث
والاجل هنا يحتمل ان يريد به القيامة ويحتمل ان يريد اجل الموت وقوله سبحانه قل لو انتم
تملكون خزائن رحمة ربي الآية الرحمة في هذه الآية المال والنعم التي تصرف في الارزاق وقوله
خشية الانفاق المعنى خشية عاقبة الانفاق وهو الفقر وقال بعض اللغويين انفق الرجل
معناه افتقر كما تقول اترب واقتر وقوله وكان الانسان قتورا اي ممسكا يريد ان في طبعه ومنتهى
نظره ان الاشياء تتناهى وتفنى فهو لو ملك خزائن رحمة الله لامسك خشية الفقر وكذلك
يظن ان قدرة الله تقف دون البعث وليس الامر كذلك بل قدرته لا تتناهى قوله سبحانه
ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات الآية اتفق المتأولون والرواة ان الآيات الخمس التي في سورة الاعراف
هي من هذه التسع وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم واختلفوا في الاربع
وفي هذه الانفاق نظر وروي في هذا صفوان بن عسال ان يهوديا من يهود المدينة قال لآخر سر بنا
الى هذا النبي نسأله عن آيات موسى فقال له الآخر لا تقل له انه نبي فانه لو سمعها صار له اربعة اعين
قال فسألا النبي صلى الله عليه وسلم فسألاه فقال هي ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرفوا ولا تزنوا
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تمشوا ببري الى سلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تأكلوا
الربا ولا تقذفوا المحصنات ولا تفروا يوم الزحف وعليكم خاصة معشر يهود ان لا تعدوا في
السبت انتهى وقد ذكر ع هذا الحديث قوله فسئل بني اسرائيل اذ جاءهم اي اذ جاءهم موسى واختلف في
قوله مسحورا فقالت فرقة هو مفعول على بابه وقال الطبري هو بمعنى ساحر كما قال حجابا مستورا
وقرأ الجمهور لقد علمت وقرأ الكسائي اي لقد علمت بتاء المتكلم مضمومة وهي قراءة علي بن ابي طالب
وغيره وقال ما علم عدو الله قط وانما علم موسى والاشارة بهؤلاء الى التسع وقوله بصائر جمع بصيرة
وهي الطريقة اي طرائق يهتدى بها والمثبور المهلك قاله مجاهد فاراد ان يستفزهم اي يستخفهم
ويقتلهم والارض هنا ارض مصر ومتى ذكرت الارض عموما فانما يراد بها ما يناسب قصة
المتكلم فيها واقتضبت هذه الآية قصص بني اسرائيل مع فرعون وانما ذكرت عظم الامر وخطيره
وذلك طرفاه اراد فرعون غلبتهم وقتلهم وهذا كان بدأ الامر فاغرقه الله وجنوده وهذا
كان نهاية الامر ثم ذكر سبحانه امر بني اسرائيل بعد اغراق فرعون بسكنى ارض الشام ووعد

الآخرة هو يوم القيامة واللفيف الجمع المختلط الذي قد لف بعضه الى بعض وقوله سبحانه وبالحق
انزلناه يعني القرآن نزل بالمصالح والسداد للناس بالحق نزل يريد بالحق في اوامره ونواهيه واخباره
وقرأ جمهور الناس فرقناه بتخفيف الراء معناه بيناه واوضحناه وجعلناه فرقانا وقرأ جماعة
خارج السبع فرقناه بتشديد الراء اي انزلناه شيئا بعد شيء لا جملة واحدة ويناسب هذا المعنى
قوله لتقرأه على الناس على مكث وتاولت فرقة قوله على مكث اي على ترسل في التلاوة وترتيل
هذا قول مجاهد وابن عباس وابن جريج وابن زيد والتاويل الآخر اي على مكث وتطاول في المدة
شيئا بعد شيء وقوله سبحانه قل آمنوا به او لا تؤمنوا فيه تحقير للكفار وضرب من التوعد والذين من
قبله قالت فرقة هم مؤمنوا اهل الكتاب والاذقان اسافل الوجوه حيث يجتمع اللحيان قال
الواقدي ان كان وعد ربنا اي بانزال القرآن وبعث محمد لمفعولا وقوله سبحانه ويخرون للاذقان
يبكون ويزيدهم خشوعا هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم وحض لكل من توسم بالعلم
وحصل منه شيئا ان يجري الى هذه الرتبة النفيسة وحكى الطبري عن التيمي انه قال ان
من اوتي من العلم ما لم يبكه لخليق ان لا يكون اوتي علما ينفعه لان الله سبحانه نعت العلماء
ثم تلا هذه الآية كلها انتهى والله لكذلك وانما يخشى الله من عباده العلماء اللهم انفعنا
بما علمتنا ولا تجعله حجة علينا بفضلك ونقل الغزالي عن ابن عباس انه قال اذا قرأتم سجدة
سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه قال الغزالي فان لم
يحضره حزن وبكاء كما يحضر ارباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فان
ذلك من اعظم المصائب انتهى كلام الغزالي واعلم ان الخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بعظمة
الله تعالى ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا في الصلاة وغيرها فان موجب الخشوع استشعار
عظمة الله ومعرفة اطلاعه على العبد ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع
وليست مختصة بالصلاة ثم قال وقد دلت الاخبار على ان الاصل في الصلاة الخشوع
وحضور القلب وان مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد قال واعلم ان المعاني التي
تتم بها حياة الصلاة يجمعها ست جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء
والحياء فحضور القلب ان يفرغه عن غير ما هو ملابس له والتفهم امر زائد على الحضور واما
التعظيم فهو امر وراء الحضور والفهم واما الهيبة فامر زائد على التعظيم وهي عبارة عن
خوف منشأه التعظيم واما التعظيم فهو حالة القلب تتولد من معرفتين احداهما معرفة جلال
الله سبحانه وعظمته والثانية معرفة حقارة النفس واعلم ان حضور القلب سببه الهمة
فان قلبك تابع لهمتك فلا يحضر الا فيما اهمك ومهما اهمك امر حضر القلب شاء ام ابى
والقلب اذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعطلا بل يكون حاضرا فيما الهمة مصروفة
اليه انتهى من الاحياء وقوله سبحانه قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الآية سبب نزول هذه
الآية ان بعض المشركين سمع النبي صلى الله عليه وسلم يدعو يا الله يا رحمن فقالوا كان محمد
يأمرنا بدعاء اله واحد وهو يدعو الهين قاله ابن عباس فنزلت الآية مبينة انها اسماء
لمسمى واحد وتقدير الآية اي الاسماء تدعوه به فانت مصيب فله الاسماء الحسنى وفي صحيح
البخاري بسنده عن ابن عباس في قوله سبحانه ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال

نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة كان اذا صلى باصحابه رفع صوته
بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن انزله ومن جاء به فقال الله تبارك
وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك اى بقرآنك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن
ولا تخافت بها عن اصحابك ولا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا واسند البخاري عن عائشة
ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قالت انزل ذلك في الدعاء انتهى قال الغزالي في الاحياء
وقد جاءت احاديث تقتضي استحباب السر بالقرآن واحاديث تقتضي استحباب الجهر به والجمع
بينهما ان يقال ان التالي اذا خاف على نفسه الرياء والتصنع او تشويش مصل فالسر افضل وان
امن ذلك فالجهر افضل لان العمل فيه اكثر ولان فائدته ايضا تتعدى الى غيره والخير
المتعدي افضل من اللازم ولانه يوقظ قلب القارئ ويجمع همته الى الفكر فيه ويصرف اليه
سمعه ويطرد عنه النوم برفع صوته ولانه يزيد في نشاطه في القراءة ويقلل من كسله
ولانه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون سببا في اعانته على الخير ويسمعه بطال غافل فينشط
بسببه ويشتاق لخدمة خالقه فمهما حضرت نية من هذه النيات فالجهر افضل وان
اجتمعت هذه النيات تضاعف الاجر وبكثرة النيات تزكوا اعمال الابرار وتتضاعف اجورهم
انتهى وقوله سبحانه ولم يكن له ولي من الذل هذه الآية رادة على كفرة العرب في قولهم لولا
اولياء الله لذل تعالى الله عن قولهم وقيد سبحانه نفي الولاية له بطريق الذل وعلى جهة
الانتصار اذ ولايته سبحانه موجودة بتفضله ورحمته لمن والى من صالح عباده قال مجاهد
المعنى لم يحالف احدا ولا ابتغى نصر احد سبحانه لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

سورة الكهف

هذه السورة مكية في قول جمهور المفسرين وروي عن فرقة ان اول السورة نزل بالمدينة الى
قوله جرزا والاول اصح وهي من افضل سور القرآن وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
الا اخبركم بسورة عظمها ما بين السماوات والارض لمن جاء بها من الاجر مثل ذلك قالوا اي
سورة هي يا رسول الله قال سورة الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين
الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام وقد رواه انس ومن قرأها اعطي نورا بين السماء والارض
ووقي بها فتنة القبر وعن البراء بن عازب قال كان رجل يقرأ سورة الكهف والى جانبه فرس
مربوط بشطنين فتغشته سحابة تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر فلما اصبح اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال تلك السكينة نزلت بالقرآن رواه البخاري واللفظ
له ومسلم والترمذي والنسائي والرجل المبهم في الحديث هو اسيد بن حضير وفي الحديث الصحيح
من طريق النواس بن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن ادرك الدجال منكم فليقرأ عليه فواتح
سورة الكهف وذكر الحديث رواه مسلم وغيره زاد ابو داود فانها جواركم من فتنته
وعن ابي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ عشر آيات من اول سورة الكهف
عصم من الدجال رواه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي واللفظ لمسلم وفي رواية لمسلم وابي
داود من آخر الكهف وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الكهف
كما انزلت كانت له نورا من مقامه الى مكة ومن قرأ بعشر آيات من آخرها فخرج الدجال لم يسلط عليه

رواه الترمذي والحاكم في المستدرك والنسائي وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وله في رواية
من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة اضاء له من النور ما بين الجمعتين وقال صحيح الاسناد واخرجه
الدارمي في مسنده موقوفا ورواته متفق على الاحتجاج بهم الا ابا هاشم يحيى بن دينار الرماني وقد وثقه
احمد ويحيى وابو زرعة وابو حاتم انتهى من السلاح قوله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب كان
حفص عن عاصم يسكت عند قوله عوجا سكتة خفيفة وعند مرقدنا في يس وسبب هذه
البداءة في هذه السورة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سألته قريش عن المسائل الثلاث الروح واصحاب
الكهف وذي القرنين حسبما امرتهم به اليهود قال لهم صلى الله عليه وسلم غدا اخبركم بجواب ما سألتم
ولم يقل ان شاء الله فعاتبه الله عز وجل وامسك عنه الوحي خمسة عشر يوما وارجف به كفار قريش
وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ منه فلما انقضى الامد الذي اراد الله عتاب نبيه جاءه الوحي
بجواب ما سألوا عنه وغير ذلك فافتتح الوحي بالحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب وهو القرآن وقوله
ولم يجعل له عوجا اي لم يزل له عن طريق الاستقامة والعوج فقد الاستقامة ومعنى قيما مستقيما قاله
ابن عباس وغيره وقيل معناه انه قيم على سائر الكتب بتصديقها ولم يرتضه ع قال ويصح ان يكون
بمعنى قيم قيامه بامر الله على العالم وهذا معنى يؤيده ما بعده من النذارة عذاب الدنيا ببدر
وغيرها ومن لدنه اي من عنده والمعنى لينذر العالم والاجر الحسن نعيم الجنة ويتقدمه خير الدنيا
وقوله تعالى ان يقولون الا كذبا اي ما يقولون فهي نافية وقوله سبحانه فلعلك باخع نفسك
هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والباخع نفسه هو مهلكها قال ع لعل للترجي في
المحبوب وللاشفاق في المحذور وهي هنا للاشفاق انتهى وقوله على آثارهم استعارة فصيحة
من حيث لهم ادبار وتباعد عن الايمان فكانهم من فرط ادبارهم قد بعدوا فهو في آثارهم يحزن
عليهم وقوله بهذا الحديث اي بالقرآن والاسف المبالغة في حزن او غضب وهو في هذا الموضع
لحزن لانه على من لا يملك ولا هو تحت يد الآسف ولو كان الاسف من مقتدر على من هو في قبضته
وملكه لكان غضبا كقوله تعالى فلما آسفونا اي اغضبونا قال قتادة اسفا حزنا وقوله سبحانه
انا جعلنا ما على الارض زينة لها الآية بسط في التسلية اي لا تهتم للدنيا واهلها فامرها وامرهم
اقل لفناء ذلك وذهابه فانا انما جعلنا ما على الارض زينة وامتحانا واختبارا وفي معنى هذه الآية
قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا
الدنيا واتقوا النساء لنبلوهم اي لنختبرهم وفي هذا وعيد ما قال سفيان الثوري احسنهم عملا ازهدهم
فيها وقال ابو عاصم العسقلاني احسن عملا اترك لها قال ع وكان ابي رحمه الله يقول احسن العمل اخذ
بحق وانفاق في حق واداء الفرائض واجتناب المحارم والاكثار من المندوب اليه وقوله سبحانه
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا اي يرجع ذلك كله ترابا والجرز الارض التي لا شيء فيها من
عمارة وزينة فهي البلقع وهذه حالة الارض العامرة لا بد لها من هذا في الدنيا جزءا جزءا من الارض
ثم يعمها ذلك باجمعها عند الفناء والصعيد وجه الارض وقيل الصعيد التراب خاصة
وقوله سبحانه ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ليسوا بعجب من آيات
الله فلا يعظم ذلك عليك بحسب ما عظمه السائلون فان سائر آيات الله اعظم من
قصتهم وهو قول ابن عباس وغيره واختلف الناس في الرقيم فقالوا اما هو لخلاف كثيرا

فقيل الرقيم كتاب في لوح نحاس وقيل من لوح رصاص وقيل في لوح حجارة كتبوا فيه قصة
اهل الكهف وقيل غير هذا وروي عن ابن عباس انه قال ما ادري ما الرقيم قال ع ويظهر من هذه الروايات
انهم كانوا قوما مؤرخين وذلك من نبل المملكة وهو امر مفيد وقوله سبحانه اذ اوى الفتية الى
الكهف الفتية فيما روي قوم من ابناء اشراف مدينة دقيوس الملك الكافر ويقال فيه دقليوس وروي
انهم كانوا مطوقين مسورين بالذهب وهم من الروم اتبعوا دين عيسى وقيل كانوا قبل عيسى واختلفت
الرواة في قصتهم ونذكر من الخلاف عيونه وما لا تستغني الآية عنه فروى مجاهد عن ابن عباس ان هؤلاء الفتية
كانوا في دين ملك يعبد الاصنام فوقع للفتية علم من بعض الحواريين حسب ما ذكر النقاش او من مؤمني الامم
قبلهم فآمنوا بالله ورأوا ببصائرهم قبيح فعل الناس فرفع امرهم الى الملك فاستحضرهم وامرهم بالرجوع الى دينه
فقالوا له فيما روي ربنا رب السموات والارض الآية فقال لهم الملك انكم شبان اغمار لا عقل لكم وانا لا اعجل
عليكم وضرب لهم اجلا ثم سافر خلال الاجل فتشاور الفتية في الهروب بأديانهم فقال لهم احدهم اني اعرف كهفا في
جبل كذا فلنذهب اليه وروت فرقة ان امر اصحاب الكهف انما كان انهم من ابناء الاشراف حضر عيد لاهل المدينة
فرأى الفتية ما ينتحله الناس في ذلك العيد من الكفر وعبادة الاصنام فوقع الايمان في قلوبهم واجمعوا على مفارقة
دين الكفر وروي انهم خرجوا يلعبون بالصولجان والكرة وهم يدحرجونها الى نحو طريقهم لئلا يشعر الناس
بهم حتى وصلوا الى الكهف واما الكلب فروي انه كان كلب صيد لبعضهم وروي انهم وجدوا في طريقهم راعيا له كلب
فاتبعهم الراعي على رأيهم وذهب الكلب معهم فدخلوا الغار وروت فرقة ان الله سبحانه ضرب على آذانهم عند ذلك
لما اراد من سترهم وخفي على اهل المملكة مكانهم وعجب الناس من غرابة فقدهم فأرخوا ذلك ورقموه
في لوحين من رصاص ونحاس وجعلوه على باب المدينة وقيل على رواية ان الملك بنى باب الغار انهم
دفنوا ذلك في بناء الملك على الغار وروت فرقة ان الملك لما علم بذهاب الفتية امر بقص آثارهم الى باب الغار وامر
بالدخول عليهم فهاب الرجال ذلك فقال له بعض وزرائه ألست انما تريد ايها الملك ان اخرجتهم قتلهم قال نعم فقال
اي قتلة ابلغ من الجوع والعطش ابن عليهم باب الغار ودعهم يموتوا فيه ففعل وقد ضرب الله على آذانهم
كما تقدم ثم اخبر الله سبحانه عن الفتية لما اووا الى الكهف اي تحصنوا وجعلوه مأوى لهم وموضع اعتصام
دعوا الله تعالى بان يؤتيهم من عنده رحمة وهي الرزق فيما ذكر المفسرون وان يهيئ لهم من امرهم رشدا
اي خلاصا جميلا وهذا الدعاء منهم كان في امر دنياهم وألفاظه تقتضي ذلك وقد كانوا على ثقة من رشد
الآخرة ورحمتها وينبغي لكل مؤمن ان يجعل دعاءه في امر دنياه هذه الآية الكريمة فقط فانها كافية
ويحتمل ذكر الرحمة ان يراد بها امر الآخرة وقوله تعالى فضربنا على آذانهم الآية عبارة عن القاء الله تعالى النوم
عليهم وقوله عددا نعت للسنين يقصد به العبارة عن التكثير وقوله لنعلم عبارة عن خروج ذلك الشيء الى الوجود
اي لنعلم ذلك موجودا والا فقد كان سبحانه علم اي الحزبين احصى الامد والحزبان الفريقان والظاهر من
الآية ان الحزب الواحد هم الفتية اذ ظنوا لبثهم قليلا والحزب الثاني هم اهل المدينة الذين بعث الفتية
على عهدهم حين كان عندهم التاريخ بامر الفتية وهذا قول الجمهور من المفسرين واما قوله
احصى فالظاهر الجيد فيه انه فعل ماض وامدا منصوب به على المفعول والامد الغاية وتأتي عبارة عن المدة
وقال الزجاج احصى هو افعل ويعترض بان افعل لا يكون من فعل رباعي الا في الشاذ واحصى فعل رباعي
ويحتج لقول الزجاج بان افعل من الرباعي قد كثر كقولك ما اعطاه للمال وكقوله عليه السلام في صفة
جهنم اسود من القار وفي صفة حوضه ابيض من اللبن وقد تقدم ان اسود من سود وماد

من النقد وقال مجاهد امدا معناه عددا وهذا تفسير بالمعنى وقوله سبحانه وتعالى وزدناهم
هدى اي يسرناهم للعمل الصالح والانقطاع الى الله عز وجل ومباعدة الناس والزهد في الدنيا
وهذه زيادات على الايمان وقوله سبحانه وربطنا على قلوبهم عبارة عن شدة عزم وقوة صبر ولما كان
الفزع وخور النفس يشبه بالتناسب الانحلال حسن في شدة النفس وقوة التصميم ان يشبه الربط
ومنه يقال فلان رابط الجأش اذا كان لا تفرق نفسه عند الفزع والحرب وغيرها ومنه الربط على
قلب ام موسى وقوله تعالى اذ قاموا يحتمل ان يكون وصف قيامهم بين يدي الملك الكافر فانه مقام يحتاج
الى الربط على القلوب ويحتمل ان يعبر بالقيام عن انبعاثهم بالعزم الى الهروب الى الله تعالى ومنابذة الناس
كما تقول قام فلان الى امر كذا اذا اعتزم عليه بغاية الجد وبهذه الالفاظ التي هي قاموا قالوا تعلقت
الصوفية في القيام والقول والشطط الجور وتعدي الحد والغلو بحسب امر امر وسلطان الحجة
وقال قتادة المعنى بعذر بين ثم عظموا اجرام الداعين مع الله غيره وظلمهم بقولهم فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا وقوله واذ اعتزلتموهم الآية المعنى قال بعضهم لبعض وبهذا يترجح قوله تعالى
اذ قاموا فقالوا انما المراد به اذ عزموا ونفذوا لامرهم وفي مصحف ابن مسعود وما يعبدون
من دون الله ومضمن هذه الآية الكريمة ان بعضهم قال لبعض اذ قد فارقنا الكفار وانفردنا بالله تعالى
فلنجعل الكهف مأوى ونتكل على الله تعالى فانه سيبسط لنا رحمته وينشرها علينا ويهيئ لنا من امرنا
مرفقا وهذا كله دعاء بحسب الدنيا وهم على ثقة من الله في امر آخرتهم وقرأ نافع وغيره مرفقا
بفتح الميم وكسر الفاء وقرأ حمزة وغيره بكسر الميم وفتح الفاء ويقالان معا في الامر والجارحة حكاه الزجاج
وقوله سبحانه وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين تزاور اي تميل واذا غربت تقرضهم معناه تتركهم
والمعنى انهم كانوا لا تصيبهم شمس البتة وهو قول ابن عباس وحكى الزجاج وغيره قال كان باب الكهف
ينظر الى بنات نعش وذهب الزجاج الى ان فعل الشمس كان آية من الله تعالى دون ان يكون باب الكهف الى
جهة توجب ذلك والفجوة المتسع قال قتادة في فضاء منه ومنه الحديث فاذا وجد فجوة نص وقوله
سبحانه ذلك من آيات الله الاشارة الى الامر بجملته وقوله سبحانه ونقلبهم ذات اليمين الآية ذكر بعض المفسرين
ان تقليبهم انما كان حفظا من الارض وروي عن ابن عباس انه قال لو مستهم الشمس لاحرقتهم ولولا التقليب
لاكلتهم الارض وظاهر كلام المفسرين ان التقليب كان بامر الله وفعل ملائكته ويحتمل ان يكون باقدار الله
اياهم على ذلك وهم في غمرة النوم وقوله وكلبهم اكثر المفسرين على انه كلب حقيقة قال ع وحدثني ابي
رحمه الله قال سمعت ابا الفضل ابن الجوهري في جامع مصر على منبر وعظه سنة تسع وستين واربعمائة
من احب اهل الخير نال من بركتهم كلب احب اهل فضل وصحبهم فذكره الله في محكم تنزيله والوصيد العتبة
التي لباب الكهف او موضعها ان لم تكن وقال ابن عباس الوصيد الباب والاول اصح والباب الموصد هو
المغلق ثم ذكر سبحانه وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم الاشارة بذلك الى الامر الذي ذكر الله في جهتهم
والعبرة التي فعلها سبحانه فيهم والبعث التحريك عن سكون واللام في ليتساءلوا لام الصيرورة وقول القائل
لبثتم يقتضي انه هجس في خاطره طول نومهم واستشعر ان امرهم خرج عن العادة بعض الخروج
وظاهر امرهم انهم انتبهوا في حال من الوقت والهواء الزمني لا يباين الحالة التي ناموا فيها وقولهم فابعثوا
احدكم بورقكم يروى انهم انتبهوا وهم جياع وان المبعوث هو يمليخا وروي ان باب الكهف انهدم
بناء الكفار منه لطول السنين ويروى ان راعيا هدمه ليدخل فيه غنمه فاخذ يمليخا ثيابا

ورثة منكرة ولبسها وخرج من الكهف فانكر ذلك البناء المهدوم اذ لم يعرفه بالامس ثم مشى
فجعل ينكر الطريق والمعالم ويتحير وهو في ذلك لا يشعر بشعوره تامل بل يكذب ظنه فيما تغير
عنده حتى بلغ باب المدينة فرأى على بابها امارة الاسلام فزادت حيرته وقال كيف هذا ببلد دقيوس
وبالامس كنا معه تحت ما كنا فنهض الى باب آخر فرأى نحوا من ذلك حتى مشى الابواب كلها فزادت
حيرته ولم يميز بشرا وسمع الناس يقسمون باسم عيسى فاستراب بنفسه وظن انه جن وانفسد عقله
فبقي حيران يدعو الله تعالى ثم نهض الى باب الطعام الذي اراد اشتراءه فقال يا عبد الله بعني من طعامك
بهذا الورق فدفع اليه دراهم كاخفاف الربع فيما ذكر فعجب لها البائع ودفعها الى آخر يعجبه وتعاطاها
الناس وقالوا له هذه دراهم عهد فلان الملك من اين انت وكيف وجدت هذا الكنز فجعل يبهت
ويعجب وقد كان بالبلد مشهورا هو وبيته فقال ما اعرف غير اني واصحابي خرجنا بالامس من هذه
المدينة فقال الناس هذا مجنون اذهبوا به الى الملك ففزع عند ذلك فذهب به حتى جيء به الى
الملك فلما لم يرد فيوس لكافر تانس وكان ذلك الملك مؤمنا فاضلا يسمى بيدوسيس فقال له الملك
اين وجدت هذا الكنز فقال له انما خرجت انا واصحابي امس من هذه المدينة فاوينا الى الكهف الذي
في جبل انجلوس فلما سمع الملك ذلك قال في بعض ما روي لعل الله قد بعث لكم ايها الناس آية فلنسر الى
الكهف حتى نرى اصحابه فساروا وروي انه او بعض جلسائه قال هؤلاء هم الفتية الذين ورخ امرهم على عهد
دقيوس الملك وكتب على لوح النحاس بباب المدينة فسار الملك اليهم وسار الناس معه فلما انتهوا الى الكهف
قال تمليخا ادخل عليهم لئلا يرعبوا فدخل عليهم فاعلمهم بالامر وان الامة امة اسلام فروي انهم سروا
وخرجوا الى الملك وعظموه وعظمهم ثم رجعوا الى كهفهم واكثر الروايات على انهم ماتوا حين حدثهم
تمليخا فانتظرهم الناس فلما ابطأ خروجهم دخل الناس اليهم فرعب كل من دخل ثم اقدموا فوجدوهم
موتى فتنازعوا بحسب ما يأتي وفي هذه القصص من الاختلاف ما تضيق به الصحف فاختصرته وذكرت
المهم الذي به تفسير الفاظ الآية واعتمدت الاصح والله المعين برحمته وفي هذه البعثة بالورق
الوكالة وصحتها **و** ازكى معناه اكثر فيما ذكر عكرمة وقال ابن جبير المراد احل **و**قولهم يرجموكم قال
الزجاج بالحجارة وهو الاصح وقال حجاج يرجموكم معناه بالقول **و**قوله سبحانه وكذلك اعثرنا عليهم
الاشارة في قوله وكذلك الى بعثهم ليتساءلوا اي كما بعثناهم اعثرنا عليهم **و**الضمير في قوله ليعلموا يحتمل
ان يعود على الامة المسلمة الذين بعث اهل الكهف على عهدهم والى هذا ذهب الطبري وذلك انهم
فيما روي دخلتهم حينئذ فتنة في امر الحشر وبعث الاجساد من القبور فشك في ذلك بعض الناس واستبعدوه
وقالوا انما تحشر الارواح فشق ذلك على ملكهم وبقي حيران لا يدري كيف يبين امره لهم حتى لبس المسوح
وقعد على الرماد وتضرع الى الله في حجة وبيان فاعثرهم الله على اهل الكهف فلما بعثهم الله وتبين للناس
امرهم سر الملك ورجع من كان شك في بعث الاجساد الى اليقين به والى هذا وقعت الاشارة بقوله اذ
يتنازعون على هذا التأويل ويحتمل ان يعود الضمير في يعلموا على اصحاب الكهف وقوله اذ يتنازعون
على هذا التأويل ابتداء خبر عن القوم الذين بعثوا على عهدهم والتنازع على هذا التأويل انما هو في
امر البناء او المسجد لا في امر القيامة وقد قيل ان التنازع انما هو في ان اطلعوا عليهم فقال بعضهم هم اموات
وبعضهم هم احياء وروي ان بعض القوم ذهبوا الى طمس الكهف عليهم وتركهم فيه مغيبين فقالت
فقالت الطائفة الغالبة على الامر لنتخذن عليهم مسجدا فاتخذوه قال قتادة الذين غلبوا هم الولاة

وقوله

وقوله سبحانه سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم الآية الضمير في سيقولون يراد به اهل التوراة من
معاصري نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم اختلفوا في عدد اهل الكهف **و**قوله رجما بالغيب معناه
ظنا وهو مستعار من الرجم كان الانسان يرمي الموضع المشكل المجهول عنده بظنه المرة بعد المرة يرجمه
به عسى ان يصيب **و**الواو في قوله وثامنهم كلبهم طريق النحاة فيها انها واو عطف دخلت في آخر الكلام
اخبارا عن عددهم لتفصل امرهم وتدل على ان هذا نهاية ما قيل ولو سقطت لصح الكلام وتقول
فرقة منها ابن خالويه هي واو الثمانية وذكر ذلك الثعلبي عن ابي بكر بن عياش وان قريشا كانت تقول في عددها
ستة سبعة وثمانية تسعة فتدخل الواو في الثمانية قال **ع** وهي في القرآن في قوله والناهون
عن المنكر وفي قوله وفتحت ابوابها واما قوله وابكارا وقوله وثمانية ايام فليست بواو الثمانية بل هي لازمة
اذ لا يستغني الكلام عنها وقد امر الله سبحانه نبيه في هذه الآية ان يرد علم عدتهم اليه ثم قال ما يعلمهم الا قليل يعني
من اهل الكتاب وكان ابن عباس يقول انا من ذلك القليل وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم قال **ع** ويدل
على هذا من الآية انه لما حكى سبحانه قول من قال ثلاثة وخمسة قرن بالقول انه رجم بالغيب ثم حكى هذه المقالة
ولم يقدح فيها بشيء وايضا فيقوى ذلك على القول بواو الثمانية لانها انما تكون حيث عدد الثمانية صحيح
قوله سبحانه فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا معناه على بعض الاقوال اي بظاهر ما اوحينا اليك وهو رد علم
عدتهم الى الله تعالى وقيل معنى الظاهر ان يقول ليس كما تقولون ونحو هذا ولا يحتج هو على امر مقرر في ذلك وقال
التبريزي ظاهرا معناه ذاهبا وانشد وتلك شكاة ظاهر عنك عارها ولم يبح له في هذه الآية ان يماري
ولكن قوله الا مراء مجاز من حيث يماريه اهل الكتاب سميت مراجعته لهم مراء ثم قيد بانه ظاهر ففارق
المراء الحقيقي المذموم **و**المراء مشتق من المرية وهو الشك فكانه المشاككة **ت** وفي سماع ابن القاسم قال
كان سليمان بن يسار اذا ارتفع الصوت في مجلسه او كان مراء اخذ نعليه ثم قام قال ابن رشد هذا من ورعه
وفضله والمراء في العلم منهي عنه فقد جاء انه لا تؤمن فتنته ولا تفهم حكمته انتهى من البيان والضمير في
قوله ولا تستفت فيهم عائد على اهل الكهف وفي قوله منهم على اهل الكتاب **و**قوله فلا تمار فيهم اي في عدتهم
وقوله سبحانه ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله قد تقدم ان هذه الآية عتاب من الله تعالى لنبيه
حيث لم يستثن والتقدير الا ان تقول الا ان يشاء الله او الا ان تقول ان شاء الله والمعنى الا ان تذكر مشيئة
الله **و**قوله سبحانه واذكر ربك اذا نسيت قال ابن عباس والحسن معناه الاشارة الى الاستثناء اي ولتستثن
بعد مدة اذا نسيت اولا لتخرج من جملة من لم يعلق فعله بمشيئة الله وقال عكرمة واذكر ربك اذا غضبت
وعبارة الواحدي واذكر ربك اذا نسيت اي تبين الاستثناء بمشيئة الله فاذكره وقله اذا تذكرت انتهى
وقوله سبحانه وقل عسى ان يهدين ربي الآية الجمهور ان هذا دعاء مامور به والمعنى عسى ان يرشدني ربي فيما
استقبل من امري والآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهي بعد تعم جميع امته وقال الواحدي وقل عسى ان يهدين
ان يعطيني ربي من الآيات من الدلالات على النبوة ما يكون اقرب في الرشد وادل من قصة اصحاب الرقيم ثم جعل الله
له ذلك حيث اتاه علم غيوب المرسلين وخبرهم انتهى **قوله** سبحانه ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين الآية
قال قتادة وغيره الآية حكاية عن بني اسرائيل قالوا ذلك واحتجوا بقراءة ابن مسعود وفي مصحفه وقالوا
لبثوا في كهفهم ثم امر الله نبيه بان يرد العلم اليه ردا على مقالتهم وتقييدا لهم وقال المحققون بل قوله
تعالى ولبثوا في كهفهم الآية خبر من الله تعالى عن مدة لبثهم **قوله** تعالى قل الله اعلم بما لبثوا اي فليزل اختلاف الخائضين
ايها المخرصون **و**ظاهر قوله سبحانه وازدادوا تسعا انها اعوام **قوله** سبحانه ابصر به واسمع اي ما اسمعه

وما ابصره قال قتادة لا احد ابصر من الله ولا اسمع قال ع وهذه عبارات عن الادراك ويحتمل
المعنى ابصر به اى بوحيه وارشاده هداك وحججك والحق من الامور واسمع به العالم فتكون
اللفظتان امرين لا على وجه التعجب و قوله سبحانه ما لهم من دونه من ولي الضمير يحتمل ان يرجع الى
اهل الكهف ويحتمل ان يرجع الى معاصري النبي صلى الله عليه وسلم من الكفار ويكون في الاية تهديد لهم
و قوله سبحانه واتل ما اوحي اليك اى اتبع وقيل سرد بتلاوتك ما اوحي اليك من كتاب ربك لا نقض في
قوله و لا مبدل لكلماته وليس لك سواه جانب تميل اليه وتستند و الملتحد الجانب الذي يمال اليه ومنه اللحد
قال النووي يستحب لتالي القرآن اذا كان منفردا ان يكون ختمه في الصلوة ويستحب ان يكون ختمه اول الليل او
اول النهار وروينا في مسند الامام المجمع على حفظه وجلالته واتقانه وبراعته ابي محمد الدارمي رحمه الله تعالى
عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال اذا وافق ختم القرآن اول الليل صلت عليه الملايكة حتى يصبح
وان وافق ختمه آخر الليل صلت عليه الملايكة حتى يمسي قال الترمذي هذا حديث حسن وعن طلحة
ابن مصرف قال من ختم القرآن اية ساعة كانت من النهار صلت عليه الملايكة حتى يمسي وايه ساعة كانت من الليل
صلت عليه الملايكة حتى يصبح وعن مجاهد نحوه انتهى و قوله سبحانه واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم الاية قد تقدم تفسيرها و قوله سبحانه ولا تعد عيناك عنهم اى لا تتجاوز عنهم الى ابناء الدنيا وقرا
الجمهور من اغفلنا قلبه بنصب الباء على معنى جعلناه غافلا و الفرط يحتمل ان يكون بمعنى التفريط
ويحتمل ان يكون بمعنى الافراط والاسراف وقد فسر المتاولون بالعبارتين و قوله سبحانه وقل الحق من
ربكم المعنى وقل يا محمد هذا القرآن هو الحق و قد ذم الله تعالى الغافلين عن ذكره والمعرضين
عن اياته في غير ما اية من كتابه فيجب الحذر مما وقع فيه اوليك ولقد احسن العارف في قوله غفلة ساعة
عن ربك مكدرة لمرآة قلبك فكيف بغفلتك جميع عمرك وقد روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم ترة فان
شاء الله عذبهم وان شاء غفر لهم رواه ابو داود والترمذي والنساي والحاكم وابن حبان في
صحيحيهما وهذا لفظ الترمذي وقال حديث حسن وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم و الترة بكسر
التاء المثناة من فوق وتخفيف الراء النقص وقيل التبعة و لفظ ابن حبان الا كان عليهم حسرة يوم
القيامة وان دخلوا الجنة انتهى من السلاح و قوله فمن شاء فليومن الاية توعد وتهديد اى فليختر
كل امري لنفسه ما يجده غدا عند الله عز وجل و قال الداودي عن ابن عباس فمن شاء فليومن
ومن شاء فليكفر يقول من شاء الله له الايمان امن ومن شاء الله له الكفر كفر هو كقوله وما تشاون
الا ان يشاء الله رب العالمين وقال غيره هو كقوله اعملوا ما شئتم بمعنى الوعيد والقولان معا
صحيحان و اعتدنا ماخوذ من العتاد وهو الشي المعد الحاضر و السرادق هو الجدار المحيط كالحجار
التي تدور وتحيط بالفسطاط وقد تكون من نوع الفسطاط اديما او ثوبا او نحوه وقال الزجاج السرادق
كل ما احاط بشي واختلف في سرادق النار فقال ابن عباس سرادقها حايط من نار وقالت فرقة
سرادقها دخان يحيط بالكفار وهو قوله تعالى انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب وقيل غير هذا وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق ابي سعيد الخدري انه قال سرادق النار اربعة جدر كثف
عرض كل جدار مسيرة اربعين سنة و المهل قال ابو سعيد وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم هو
دردي الزيت اذا انتهى حره وقال ابو سعيد وغيره هو كل ما اذيب من ذهب او فضة وقالت

فرقه

فرقة المهل الصديد والدم اذا اختلطا ومنه قول ابي بكر رضي الله عنه في الكفن انما هو للمهلة
يريد لما يسيل من الميت في قبره ويقوي هذا بقوله سبحانه ويسقى من ماء صديد و المرتفق الشي
الذي يطلب رفقه و قوله سبحانه ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا
تقدم تفسير نظيره والله الموفق بفضله و اساور جمع اسوار وهي ما كان من الحلي في الذراع
وقيل اساور جمع اسورة واسورة جمع سوار و السندس رقيق الديباج والاستبرق ما غلظ
منه فهو استبرق من البريق و الارايك جمع اريكة وهي السرر في الحجال و الضمير في قوله وحسنت للجنات
وحكى النقاش عن ابي عمران الجوني انه قال الاستبرق الحرير المنسوج بالذهب قوله واضرب لهم
مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب الاية الضمير في لهم عايد على الطايفة المتجبرة
التي ارادت من النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرد فقراء المومنين فالمثل مضروب للطايفتين اذ الرجل
الكافر صاحب الجنتين هو بازاء متجبري قريش او بني تميم على الخلاف في ذلك والرجل المومن المقر بالربوبية
هو بازاء فقراء المومنين و حففناهما بمعنى جعلنا ذلك لهما من كل جهة وظاهر هذا المثل انه بامر وقع
في الوجود وعلى ذلك فسر اكثر المتاولين فروي في ذلك انهما كانا اخوين من بني اسرايل ورثا اربعة
الاف دينار فصنع احدهما بماله ما ذكر واشترى عبيدا وتزوج واثرى وانفق الاخر ماله في طاعة الله
عز وجل حتى افتقر والتقيا ففخر الغني ووبخ المومن فجرت بينهما هذه المحاورة و روي انهما كانا
شريكين حدادين كسبا مالا كثيرا وصنعا نحو ما روي في امر الاخوين فكان من امرهما ما قص الله تعالى في كتابه
قال السهيلي وذكر ان هذين الرجلين هما المذكوران في والصافات في قوله تعالى قال قايل منهم اني كان لي قرين يقول
اينك لمن المصدقين الى قوله فاطلع فراه في سواء الجحيم الى قوله لمثل هذا فليعمل العاملون انتهى قوله
سبحانه كلتا الجنتين اتت اكلها الاكل ثمرها الذي يوكل ولم تظلم منه شيئا اى لم تنقص عن العرف
الاتم الذي يشبه فيها ومنه قول الشاعر، تظلمني مالي كذا ولوى يدي، لوى يده الله الذي هو غالبه
و قرا الجمهور ثمر وثمره بضم الثاء والميم فقال ابن عباس وغيره الثمر جميع المال من الذهب والفضة
والحيوان وغير ذلك وقال ابن زيد هي الاصول و المحاورة مراجعة القول وهو من حار يحور قوله
انا اكثر منك مالا واعز نفرا هذه المقالة بازاء مقالة متجبري قريش وبني تميم على ما تقدم في
سورة الانعام و قوله واعز نفرا يضعف قول من قال انهما اخوان فتامله والله اعلم بما صح
من ذلك و قوله سبحانه ودخل جنته وهو ظالم لنفسه الاية افرد الجنة من حيث الوجود كذلك
اذ لا يدخلهما معا في وقت واحد وظلمه لنفسه كفره وعقايده الفاسدة في الشك في البعث وشكه في
حدوث العالم ان كانت اشارته بهذه الى هيية من السموات والارض وانواع المخلوقات وان كانت اشارته
الى جنته فقط فانما الكلام تساخف واغترار مفرط وقلة تحصيل كانه من شدة العجب بها والسرور
افرط في وصفها بهذا القول ثم قاس ايضا الاخرة على الدنيا وظن انه لم يمل له في دنياه الا لكرامته
يستوجبها في نفسه فقال فان كان ثم رجوع فستكون لي كذا وكذا قوله قال له صاحبه وهو المومن
و قوله خلقك من تراب اشارة الى ادم عليه السلام و قوله لكنا هو الله ربي معناه لكن انا هو
الله ربي و روى هارون عن ابي عمرو لكنه هو الله ربي وبها في الاية بين و قوله ولولا اذ دخلت
جنتك الاية وصية من المومن للكافر و لولا تحضيض بمعنى هلا و ما تحتمل ان تكون بمعنى الذي
بتقدير الذي شاء الله كاين وفي شاء ضمير عايد على ما ويحتمل ان تكون شرطية بتقدير ما شاء الله كان

او خبر مبتدا محذوف تقديره هو ما شاء الله او الامر ما شاء الله و قوله لا قوة الا بالله تسليم
وتفويض لقول الكافر ما اظن ان تبيد هذه ابدا وفي الحديث ان هذه الكلمة كنز من كنوز الجنة اذا
قالها العبد قال الله عز وجل اسلم عبدي واستسلم قال النووي وروينا في سنن ابي داود والترمذي
والنسائي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال يعني اذا خرج من بيته بسم الله توكلت على
الله ولا حول ولا قوة الا بالله يقال له هديت وكفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان قال
الترمذي حديث حسن زاد ابو داود في روايته فيقول يعني الشيطان لشيطان آخر كيف لك برجل
قد هدي وكفي ووقي انتهى و روى الترمذي عن ابي هريرة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله فانها من كنز الجنة انتهى قال المحاسبي في رعايته واذا
عزم العبد في القيام بجميع حقوق الله سبحانه وتعالى فليرغب اليه في المعونة من عزمه على اداء حقوقه
ودعاه وناجاه بقلب راغب راهب اليه انساني ان لم تذكرني واعجز ان لم تقوني واجزع ان لم تصبرني
وعزم وتوكل واستغاث واستعان وتبرأ من الحول والقوة الا به وقطع رجاه من نفسه
ووجه رجاه كله الى خالقه فانه يجد الله عز وجل قريبا مجيبا متفضلا متحننا انتهى قال
ابن العربي في احكامه قال علماؤنا ينبغي لكل من دخل منزله ان يقول كما قال تعالى ما شاء الله لا قوة
الا بالله انتهى و قوله فعسى ربي ان يؤتيني خيرا من جنتك هذا الترجي بعسى يحتمل ان يريد به في
الدنيا ويحتمل ان يريد به في الاخرة وتمني ذلك في الاخرة اشرف واذهب مع الخير والصلاح وان
يكون يراد به الدنيا اذهب في نكاية هذا المخاطب و الحسبان العذاب كالبرد والصر ونحوه و الصعيد
وجه الارض و الزلق الذي لا يثبت فيه قدم يعني تذهب منافعها حتى منفعة المشي فهي وحل
لا تنبت ولا تثبت فيها قدم و قوله واحيط بثمره الاية هذا خبر من الله عن احاطة العذاب
بمال هذا المتمثل به و يقلب كفيه يريد يضع بطن احدهما على ظهر الاخرى وذلك فعل المتلهف
المتاسف و قوله خاوية على عروشها يريد ان السقوف وقعت وهي العروش ثم تهدمت الحيطان
عليها فهي خاوية والحيطان على العروش فرع رحمه الله لفظ خاوية في سورة الحج والنمل بخالية
والاحسن ان تفسر هنا وفي الحج بساقطة واما التي في النمل فيتجه ان تفسر بخالية وبساقطة
قال الزبيدي في مختصر العين خوت الدار باد اهلها وخوت تهدمت انتهى وقال الجوهري في كتابه المسمى
تاج اللغة وصحاح العربية خوت النجوم خيا امحلت وذلك اذا سقطت ومنه قوله تعالى فتلك
بيوتهم خاوية على عروشها اي ساقطة على سقوفها انتهى وهو تفسير بارع وبه اقول وقد تقدم
ايضاح هذا المعنى في سورة البقرة و قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا قال بعض المفسرين هي حكاية عن
مقالة هذا الكافر في الاخرة ويحتمل ان يكون قالها في الدنيا على جهة التوبة بعد حصول المصيبة ويكون
فيها زجر لكفار قريش وغيرهم و الفئة الجماعة التي يلجأ اليها عنه الى نصرها و قوله سبحانه هنالك يحتمل ان يكون
ظرفا لقوله منتصرا ويحتمل ان تكون الولاية مبتدأ وهنالك خبره وقرأ حمزة والكسائي الولاية بكسر
الواو وهي بمعنى الرياسة ونحوه وقرأ الباقون بفتح الواو وهي بمعنى الموالاة والصلة ونحوه و قرأ
ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع على النعت للولاية وقرأ الباقون بالخفض على النعت لله عز وجل و
قرأ الجمهور عقبا بضم العين والقاف والعقب بمعنى العاقبة قوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا يريد
حياة الانسان كماء انزلناه من السماء فاختلط به اي فاختلط النبات بعضه ببعض بسبب الماء فاصبح

هشيما

ولم تمطر في نوئها والخوت مثله وخوت الدار خواء ممدودا اقوت وكذلك اذا سقطت

هشيما اي صار عبارة عن صيرورته الى ذلك الهشيم المتفتت من يابس العشب و تذروه بمعنى تفرقه
فمعنى هذا المثل تشبيه حال المرء في حياته وماله وعزته وبطره بالنبات الذي له خضرة ونضرة عن الماء
النازل ثم يعود بعد ذلك هشيما ويصير الى عدم فمن كان له عمل صالح يبقى في الاخرة فهو الفائز قوله
سبحانه المال والبنون زينة الحياة الدنيا لفظه لفظ الخبر لكن معه قرينة الصفة للمال والبنين
لانه في المثل قبل حقر امر الدنيا وبينه وكانه يقول المال والبنون زينة الحياة الدنيا المحقرة فلا تتبعوها
نفوسكم والجمهور ان الباقيات الصالحات هي الكلمات المذكور فضلها في الاحاديث سبحان الله والحمد لله ولا
اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد جاء به مصرحا به من لفظ النبي صلى
الله عليه وسلم في قوله وهن الباقيات الصالحات قوله سبحانه خير عند ربك ثوابا وخير املا اي صاحبها
ينتظر الثواب وينبسط امله فهو خير من حال ذي المال والبنين دون عمل صالح و عن ابي سعيد
الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استكثروا من الباقيات الصالحات قيل وما هي يا رسول
الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله رواه النسائي وابن حبان
في صحيحه انتهى من السلاح و في صحيح مسلم عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
احب الكلام الى الله تعالى اربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لا يضرك بايهن بدأت و في
صحيح مسلم ايضا عن ابي مالك الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الطهور شطر الايمان والحمد لله
تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن او تملأ ما بين السموات والارض الحديث انتهى قال ابن العربي في
احكامه وروى مالك عن سعيد بن المسيب ان الباقيات الصالحات قول العبد الله اكبر وسبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله و قال ابن عباس وغيره ان الباقيات الصالحات
الصلوات الخمس انتهى وما تقدم اولى و من كلام الشيخ الولي العارف ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه قال
عليك بالمطهرات الخمس في الاقوال والمطهرات الخمس في الافعال والتبري من الحول والقوة في جميع الاحوال
وغض بعقلك الى المعاني القائمة بالقلب واخرج عنها وعنه الى الرب واحفظ الله يحفظك واحفظ
الله تجده امامك واعبد الله بها وكن من الشاكرين فالمطهرات الخمس في الاقوال سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله والمطهرات في الافعال الصلوات الخمس والتبري
من الحول والقوة هو قولك لا حول ولا قوة الا بالله انتهى و قوله سبحانه وترى الارض بارزة يحتمل
ان الارض لذهاب الجبال والظراب والشجر برزت وانكشفت ويحتمل ان يريد بروز اهلها من بطنها للحشر
و المغادرة الترك و عرضوا على ربك صفا اي صفوفا وفي الحديث الصحيح يجمع الله الاولين
والاخرين في صعيد واحد صفوفا يسمعهم الداعي وينفذهم البصر الحديث بطوله وفي حديث
آخر اهل الجنة يوم القيامة مائة وعشرون صفا انتم منها ثمانون صفا و قوله سبحانه لقد جئتمونا
كما خلقناكم اول مرة يفسره قول النبي صلى الله عليه وسلم انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا
كما بدأنا اول خلق نعيده و قوله سبحانه ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الاية
الكتاب اسم جنس يراد به كتب الناس التي احصتها الحفظة لواحد واحد ويحتمل ان يكون الموضوع
كتابا واحدا حاضرا وباقي الاية بين و قوله الا ابليس كان من الجن قالت فرقة ابليس لم يكن من
الملائكة بل هو من الجن قالت فرقة ابليس لم يكن من الملائكة بل هو من الجن وهم الشياطين
المخلوقون من مارج من نار وجميع الملائكة انما خلقوا من نور واختلفت هذه الفرقة فقال

بعضها ابليس من الجن وهو ابوهم وبدايتهم كادم من الانس وقالت فرقة بل كان ابليس
وقبيله جنا لكن جميع الشياطين اليوم من ذريته كنوح من الانس واحتجوا بهذه الاية وقوله ففسق
معناه فخرج عن امر ربه وطاعته قوله عز وجل افتتخذونه وذريته اى افتتخذون ابليس وقوله وذريته
ظاهر اللفظ يقتضي ان الموسوسين من الشياطين الذين يامرون بالمنكر ويحملون على الاباطيل
وقوله سبحانه بئس للظالمين بدلا اى بدل ولاية الله عز وجل بولاية ابليس وذريته وذلك
هو التعوض من الحق بالباطل وقوله سبحانه ما اشهدتهم خلق السموات والارض الاية الضمير في اشهدتهم
عائد على الكفار وعلى الناس بالجملة فتضمنت الاية الرد على طوائف من المنجمين واهل الطبائع والمتحكمين
من الاطباء وسواهم من كل من يتخرص في هذه الاشياء وقيل عائد على ذرية ابليس فالاية على هذا
تتضمن تحقيرهم والقول الاول اعظم فائدة واقول ان الغرض اولا بالاية هم ابليس وذريته
وبهذا الوجه يتجه الرد على الطوائف المذكورة وعلى الكهان والعرب المصدقين لهم والمعظمين
للجن حين يقولون اعوذ بعزيز هذا الوادي اذ الجميع من هذه الفرق متعلقون بابليس وذريته وهم
اضلوا الجميع فهم المراد الاول بالمضلين وتندرج هذه الطوائف في معناهم وقرا الجمهور وما
كنت وقرا ابو جعفر والجحدري وما كنت والعضد استعارة للمعين والموازر ويوم يقول
نادوا شركائي اى على جهة الاستغاثة بهم واختلف في قوله موبقا فقال ابن عباس معناه مهلكا وقال عبد الله
ابن عمرو وانس بن مالك ومجاهد موبقا هو واد في جهنم يجري بدم وصديد قال انس يحجز بين اهل
النار وبين المومنين قوله سبحانه وظنوا انهم مواقعوها اى مباشروها واطلق الناس الظن هنا بمعنى
اليقين قال ع والعبارة بالظن لا تجيء ابدا في موضع يقين تام قد قاله الحس بل اعظم درجاته ان
تجيء في موضع متحقق لكنه لم يقع ذلك المظنون والا فقد يقع ويحس لا يكاد يوجد في كلام العرب
العبارة عنه بالظن وتامل هذه الاية وتامل كلام العرب وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الكافر ليرى جهنم ويظن انها مواقعته من مسيرة اربعين سنة والمصرف المعدل
والمراغ وهو ماخوذ من الانصراف من شيء الى شيء قوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل
وكان الانسان اكثر شيء جدلا الانسان هنا يراد به الجنس وقد استعمل صلى الله عليه وسلم الاية على
العموم في مروره بعلي ليلا وامره له بالصلاة بالليل فقال علي انما انفسنا بيد الله او كما قال
فخرج صلى الله عليه وسلم وهو يضرب فخذه بيده ويقول وكان الانسان اكثر شيء جدلا قوله سبحانه
وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى الاية الناس هنا يراد بهم كفار عصر النبي صلى الله عليه
وسلم سنة الاولين هي عذاب الامم المذكورة في القران او ياتيهم العذاب قبلا اى مقابلة عيانا والمعنى
عذابا غير المعهود فتظهر فائدة التقسيم وقد وقع ذلك لهم يوم بدر وكان حالهم تقتضي التاسف
عليهم وعلى ضلالهم ومصيرهم باراتهم الى الخسران عافانا الله من ذلك وليدحضوا معناه ليزهقوا
والدحض الطين وقوله فلن يهتدوا اذا ابدا لفظ عام يراد به الخاص ممن حتم الله عليه
انه لا يومن ولا يهتدي ابدا كابي جهل وغيره وقوله سبحانه بل لهم موعد قالت فرقة هو اجل
الموت وقالت فرقة هو عذاب الاخرة وقال الطبري يوم بدر والحشر وقوله سبحانه لن يجدوا
من دونه موئلا اى لا يجدون عنه منجى يقال وال الرجل يئل اذا نجا ثم عقب سبحانه توعدهم
بذكر الامثلة من القرى التي نزل بها ما توعد هولاء بمثله والقرى المدن والاشارة الى عاد

وثمود وغيرهم وباقي الاية بين قال ص وقوله لما ظلموا اي لما اشعار بعلة الهلاك وبهذا استدل
ابن عصفور على حرفيته لما لان الظرف لا دلالة فيه على العلة قوله سبحانه واذ قال موسى لفتاه
لا ابرح الاية موسى هو ابن عمران وفتاه هو يوشع بن نون وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان موسى عليه السلام جلس يوما في مجلس لبني اسرائيل وخطب فابلغ فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك
قال لا فاوحى الله اليه بلى عبدنا خضر فقال يا رب دلني على السبيل الى لقيه فاوحى الله اليه ان يسير بسيف
البحر حتى يبلغ مجمع البحرين فاذا افتقد الحوت فانه هنالك وامر ان يتزود حوتا ويرتقب زواله ففعل
موسى ذلك وقال لفتاه على جهة امضاء العزيمة لا ابرح اي لا ازال وانما قال هذه المقالة وهو سائر
قال السهيلي كان موسى عليه السلام اعلم بعلم الظاهر وكان الخضر اعلم بعلم الباطن واسرار الملكوت وكانا
بحرين اجتمعا بمجمع البحرين والخضر شرب من عين الحياة فهو حي الى ان يخرج الدجال وانه الرجل الذي
يقتله الدجال وقال البخاري وطائفة من اهل الحديث منهم شيخنا ابو بكر بن العربي رحمه الله انه مات
الخضر قبل انقضاء المائة من قوله عليه السلام ارايتكم ليلتكم هذه الى راس مائة عام منها لا يبقى على الارض
ممن هو عليها احد يعني ممن كان حيا حين قال هذه المقالة واما اجتماع الخضر مع النبي صلى الله عليه
وسلم وتعزيته لاهل بيته فمروي من طرق صحاح وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضراء قال الخطابي الفروة وجه الارض
ثم انشد على ذلك شاهدا انتهى واختلف الناس في مجمع البحرين فقال مجاهد وقتادة هو مجتمع بحر فارس
وبحر الروم وقالت فرقة مجمع البحرين هو عند طنجة وقيل غير هذا واختلف في الحقب فقال ابن عباس
وغيره الحقب الزمان غير محدود وقال عبد الله بن عمرو ثمانون سنة وقال مجاهد سبعون سنة
وقيل … سنة وقوله فلما بلغا مجمع بينهما الضمير في بينهما للبحرين قاله مجاهد وفي الحديث الصحيح ثم
انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اتيا الصخرة ووضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت
في المكتل فخرج منه فسقط في البحر واتخذ سبيله في البحر سربا اي مسلكا في جوف الماء فصار عليه مثل
الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد
قال موسى لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ويعني بالنصب تعب الطريق قال ولم
يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي امره الله به قال له فتاه ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت
الحوت يريد ذكر ما جرى فيه وما انسانيه اي ان اذكره الا الشيطان واتخذ سبيله في البحر عجبا
قال فكان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا فقال موسى ذلك ما كنا نبغي فارتدا على اثارهما قصصا
قال فرجعا يقصان اثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر
واني بارضك السلام قال انا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال انك
لن تستطيع معي صبرا يعني لا تطيق ان تصبر على ما تراه من علمي لان الظواهر التي هي علمك لا تعطيه
وكيف تصبر على ما تراه خطا ولم تخبر بوجه الحكمة فيه يا موسى اني على علم من علم الله علمنيه
لا تعلمه يريد علم الباطن وانت على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه يريد علم الظاهر فقال له
موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا فقال له الخضر فان اتبعتني فلا تسالني عن
شيء حتى احدث لك منه ذكرا اي حتى اشرح لك ما ينبغي شرحه فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت
بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول يقول بغير اجر فلما ركبا في

السفينة لم يفجأ موسى إلا والخضر قد قلع لوحًا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم
حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئًا إمرًا أي شيئًا شنيعًا من الأمور
وقال مجاهد الإمر المنكر قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرًا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من
أمري عسرًا قال لي أبي بن كعب قال النبي صلى الله عليه وسلم فكانت الأولى من موسى نسيانًا قال وجاء عصفور
فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص
هذا العصفور من هذا البحر وفي رواية ما علمي وعلمك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر
بمنقاره من البحر وفي رواية ما علمك وعلمي وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور
منقاره قال ع وهذا التشبيه فيه تجوز إذ لا يوجد في المحسوسات أقوى في القلة من نقطة بالإضافة
إلى البحر فكأنها لا شيء ولم يتعرض الخضر لموازنته بين المثال وبين علم الله تعالى إذ علمه سبحانه غير متناه
ونقطة البحر متناهية ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلامًا
يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فأخذه فاقتلعه فقتله فقال له موسى أقتلت نفسًا زكية
قال ع قيل كان هذا الغلام لم يبلغ الحلم فلهذا قال موسى زاكية وقالت فرقة بل كان بالغًا وقوله بغير
نفس يقتضي أنه لو كان عن قتل نفس لم يكن به بأس وهذا يدل على كبر الغلام وإلا فلو كان لم يحتلم لم يجب
قتله بنفس ولا بغير نفس ت وهذا إذا كان شرعهم كشرعنا وقد يكون شرعهم أن النفس بالنفس
عمومًا في البالغ وغيره وفي العمد والخطأ فلا يلزم من الآية ما ذكر وقوله لقد جئت شيئًا نكرًا معناه
شيئًا ينكر قال ع ونصف القرآن بعدد حروفه انتهى إلى النون من قوله نكرًا قال ألم أقل لك إنك لن
تستطيع معي صبرًا قال وهذه أشد من الأولى قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني
عذرًا فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارًا يريد أن
ينقض قال مائل فقال الخضر بيده هكذا فأقامه فقال موسى قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت
عليه أجرًا قال سعيد بن جبير أجرًا نأكله قال هذا فراق بيني وبينك إلى قوله ذلك تأويل ما لم تسطع عليه
صبرًا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما قال سعيد
فكان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا وكان يقرأ وأما الغلام فكان
كافرًا وكان أبواه مؤمنين وفي رواية للبخاري يزعمون عن غير سعيد بن جبير أن اسم الملك هدد بن بدد
والغلام المقتول اسمه فيما يزعمون حيسور ويقال جيسور الملك يأخذ كل سفينة غصبًا فأردت إذا هي
مرت به أن يدعها لعيبها فإذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها منهم من يقول سدوها بقارورة
ومنهم من يقول بالقار كان أبواه مؤمنين وكان كافرًا فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا أي
يحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرًا منه زكاة لقوله أقتلت
نفسًا زاكية وأقرب رحمًا هما به أرحم منهما بالأول الذي قتل خضر وزعم غير سعيد أنهما
أبدلا جارية وأما داود بن أبي عاصم فقال عن غير واحد إنها جارية انتهى لفظ البخاري
رحمه الله ت وتحرينا في هذا المختصر بحمد الله التحقيق فيما علقناه بجهد الاستطاعة والله المستعان
وهو المسؤول أن ينفع به بجوده وكرمه قال ع ويشبه أن تكون هذه القصة أيضًا أصلًا
للآجال في الأحكام التي هي ثلاثة وأيام التلوم ثلاثة فتأمله وقوله سبحانه فأبوا أن يضيفوهما
وفي الحديث أنهما كانا يمشيان على مجالس القوم أو اللئام يستطعمانهم قال ع وهذه عبارة مصرحة

بهوان

بهوان الدنيا على الله عز وجل ص وقوله فراق بيني الجمهور بالإضافة قال أبو البقاء أي تفريق وصلنا
وقرأ ابن أبي عبلة فراق بالتنوين أبو البقاء فبين منصوب على الظرف انتهى قال ع ووراءهم هو عندي
على بابه وذلك أن هذه الألفاظ إنما تجيء مراعًى بها الزمن وذلك أن الحادث المقدم الموجود هو الأمام
والذي يأتي بعد هو الوراء وتأمل هذه الألفاظ في مواضعها حيث وردت تجدها تطرد ومن قرأ
أمامهم أراد في المكان قال ع وفي الحديث أن هذا الغلام طبع يوم طبع كافرًا والضمير في خشينا للخضر
قال الداودي قوله فخشينا أن يرهقهما أي علمنا انتهى الزكاة شرف الخلق والوقار والسكينة المنطوية
على خير ونية الرحم الرحمة وروي عن ابن جريج أنهما بدلا غلامًا مسلمًا وروي عنه أنهما بدلا جارية
وحكى النقاش أنها ولدت هي وذريتها سبعين نبيًا وذكر المهدوي عن ابن عباس وهذا بعيد ولا تعرف
كثرة الأنبياء إلا في بني إسرائيل وهذه المرأة لم تكن فيهم واختلف الناس في ذكر الكنز المذكور هنا
فقال ابن عباس كان علمًا في مصحف مدفون وقال عمر مولى غفرة كان لوحًا من ذهب قد كتب عجبًا
للموقن بالرزق كيف يتعب وعجبًا للموقن بالحساب كيف يغفل وعجبًا للموقن بالموت كيف يفرح وروي
نحو هذا مما هو في معناه قال الداودي وكان تحته كنز لهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذهب
وفضة انتهى فإن صح هذا الحديث فلا نظر لأحد معه فالله أعلم أي ذلك كان قوله سبحانه وكان
أبوهما صالحًا ظاهر اللفظ والسابق منه إلى الذهن أن والدهما دنية وقيل هو الأب السابع وقيل
العاشر فحفظا فيه وفي الحديث إن الله تعالى يحفظ الرجل الصالح في ذريته وقول الخضر وما فعلته
عن أمري يقتضي أنه نبي وقد اختلف فيه فقيل هو نبي وقيل هو عبد صالح وليس بنبي وكذلك
اختلف في موته وحياته والله أعلم بجميع ذلك ومما يقتضي موته قوله صلى الله عليه وسلم أرأيتكم
ليلتكم هذه فإن إلى رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد وذكر القرطبي في تذكرته
عن عمرو بن دينار أن الخضر وإلياس عليهما السلام بالحياة فإذا رفع القرآن ماتا قال القرطبي وهذا
هو الصحيح انتهى وحكايات من رأى الخضر من الأولياء لا تحصى فلا نطيل بسردها وانظر لطائف
المنن لابن عطاء الله وقوله ذلك تأويل أي مآل وحكى السهيلي أنه لما حان للخضر وموسى أن يفترقا
قال له الخضر لو صبرت لأتيت على ألف عجب كلها أعجب مما رأيت فبكى موسى وقال للخضر أوصني يرحمك
الله فقال يا موسى اجعل همك في معادك ولا تخض فيما لا يعنيك ولا تأمن الخوف في أمنك ولا تيأس
من الأمن في خوفك وتدبر الأمور في علانيتك ولا تذر الإحسان في قدرتك فقال له موسى زدني رحمك الله
فقال له الخضر يا موسى إياك واللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير أحدًا
وابك على خطيئتك يا ابن عمران انتهى وقوله سبحانه ويسألونك عن ذي القرنين الآية ذو القرنين
هو الملك الإسكندر اليوناني واختلف في وجه تسميته بذي القرنين وأحسن ما قيل فيه أنه كان ذا ظفيرتين
من شعر هما قرناه التمكين له في الأرض ملك الدنيا ودانت له الملوك كلها وروي أنه جميع من ملك
الدنيا أربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان سليمان بن داود عليهما السلام والإسكندر والكافران
نمرود وبخت نصر وقوله سبحانه وآتيناه من كل شيء سببًا معناه علمًا في كل أمر وأقيسة يتوصل بها إلى
معرفة الأشياء وقوله كل شيء عموم معناه الخصوص في كل ما يمكنه أن يعلمه ويحتاج إليه وقوله
فأتبع سببًا أي طريقًا مسلوكة قرأ نافع وابن كثير وحفص عن عاصم في عين حمئة أي ذات حمأة
وقرأ الباقون في عين حامية أي حارة وذهب الطبري إلى الجمع بين الأمرين فقال يحتمل أن تكون

العين حارة ذات حماة واستدل بعض الناس على ان ذي القرنين نبي بقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين
ومن قال انه ليس بنبي قال كانت هذه المقالة من الله بالهام قال ع القول بانه نبي ضعيف واما ان تعذب
معناه بالقتل على الكفر واما ان تتخذ فيهم حسنا اي ان امنوا وذهب الطبري الى ان اتخاذ الحسن هو الاسر
مع كفرهم ويحتمل ان يكون الاتخاذ ضرب الجزية ولكن تقسيم ذي القرنين بعد هذا الامر الى كفر وايمان
يرد هذا القول بعض الرد وظلم في هذه الاية بمعنى كفر وقوله عذابا نكرا اي تنكره الاوهام لعظمه وتنزيله
والحسنى يراد بها الجنة قوله ثم اتبع سببا المعنى ثم سلك ذو القرنين الطرق المؤدية الى مقصده وكان ذو القرنين
على ما وقع في كتب التاريخ يدوس الارض بالجيوش الثقال والسيرة الحميدة والحزم المستيقظ والتأييد
المتواصل وتقوى الله عز وجل فما لقي امة ولا مر بمدينة الا ذلت ودخلت في طاعته وكل من
عارضه او توقف عن امره جعله عظة وآية لغيره وله في هذا المعنى اخبار كثيرة وغرائب محل ذكرها
كتب التاريخ وقوله وجدها تطلع على قوم المراد بالقوم الزنج قاله قتادة وهم الهنود وما وراءهم
وقال الناس في قوله لم نجعل لهم من دونها سترا معناه انه ليس لهم بنيان اذ لا تحمل ارضهم البناء وانما يدخلون
من حر الشمس في اسراب وقيل يدخلون في ماء البحر قاله الحسن وغيره واكثر المفسرين في هذا المعنى
والظاهر من اللفظ انها عبارة بليغة عن قرب الشمس منهم ولو كان لهم سراب لغنى لكان سترا كثيفا وقوله
كذلك فعل معهم كفعله مع الاولين اهل المغرب فاوجز بقوله كذلك وقوله حتى اذا بلغ بين السدين
الاية السدان فيما ذكر اهل التفسير جبلان سدا مسالك تلك الناحية وبين طرفي الجبلين فتح هو
موضع الردم وهذان الجبلان في طرف الارض مما يلي المشرق ويظهر من الفاظ التواريخ انهما الى ناحية
الشمال وقوله سبحانه وجد عندهما قوما قال السهيلي هم اهل جابلص ويقال لها بالسريانية جرجيسا
يسكنها قوم من اهل ثمود بقيتهم الذين امنوا بصالح وقوله تعالى وجدها تطلع على قوم هم اهل جابلق
وهم من نسل مؤمني قوم عاد الذين امنوا بهود ويقال لها بالسريانية مرقيسيا ولكل واحدة من
المدينتين عشرة الف باب بين كل بابين فرسخ ومر بهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا
فدعاهم فاجابوه وامنوا به ودعا من وراءهم من الامم فلم يجيبوه في حديث طويل رواه الطبري
عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم انتهى والله اعلم
بصحته ويأجوج ومأجوج قبيلتان من بني ادم لكنهم ينقسمون انواعا كثيرة اختلف الناس في عددها
والخلف في اقدار هم الذي وصفوهم به فقيل اكل بني ادم وقالت فرقة افسادهم هو الظلم
والغشم وسائر وجوه الافساد المعلوم من البشر وهذا اظهر الاقوال وقولهم فهل نجعل لك خرجا
استفهام على جهة حسن الادب والخرج المجبي وهو الخراج وقرأ عاصم وحمزة والكسائي خراجا
وروي في امر يأجوج ومأجوج ان ارزاقهم هي من التنين يمطرون بها ونحو هذا مما لم يصح وروي
ايضا ان الذكر منهم لا يموت حتى يولد له الف والانثى كذلك وروي انهم يتسافدون في الطرق كالبهائم
واخبارهم تضيق بها الصحف فاختصرت ذلك لعدم صحته ت والذي يصح من ذلك كثرة
عددهم على الجملة على ما هو معلوم من حديث اخرج بعث النار وغيره من الاحاديث وقوله
ما مكني فيه ربي خير المعنى قال لهم ذو القرنين ما بسطه الله لي من القدرة والملك خير من خرجكم
ولكن اعينوني بقوة الابدان وهذا من تأييد الله تعالى له فانه تهدى في هذه المحاورة الى الانفع الانزه
فان القوم لو جمعوا له الخراج الذي هو المال لم يعنه منهم احد ولو كلوه الى البنيان ومعونتهم بالقوة اجمل به

وقوله

وقوله اتوني زبر الحديد الاية قرأ حمزة وغيره ائتوني بمعنى جيئوني وقرأ نافع وغيره اتوني
بمعنى اعطوني وهذا كله انما هو استدعاء المناولة واعمال القوة والزبر جمع زبرة وهي القطعة
العظيمة منه والمعنى فرصفه وبناه حتى اذا ساوى بين الصدفين وهما الجبلان وقوله قال انفخوا
الى اخر الاية معناه انه كان يأمر بوضع طاقة من الزبر والحجارة ثم يوقد عليها حتى تحمى ثم يؤتى بالنحاس المذاب
او بالرصاص او بالحديد بحسب الخلاف في القطر فيفرغه على تلك الطاقة المنضدة فاذا التأم واستد
استأنف رصف طاقة اخرى الى ان استوى العمل وقال اكثر المفسرين القطر النحاس المذاب ويؤيد
هذا ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فقال يا رسول الله اني رأيت سد يأجوج ومأجوج
قال كيف رأيته قال رأيته كالبرد طريقة صفراء وطريقة حمراء وطريقة سوداء فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم قد رأيته ويظهروه معناه يعلونه بصعود فيه ومنه قوله في الموطأ والشمس في حجرتها قبل ان
تظهر وما استطاعوا له نقبا لبعد عرضه وقوته ولا سبيل سوى هذين اما ارتقاء واما نقب
وروي ان في طوله ما بين طرفي الجبلين مائة فرسخ وفي عرضه خمسين فرسخا وروي غير هذا مما لم نقف
على صحته فاختصرناه اذ لا غاية للتخرص وقوله في الاية انفخوا يريد بالاكيار وقوله هذا رحمة من ربي
الاية القائل ذو القرنين واشار بهذا الى الردم والقوة عليه والانتفاع به والوعد يحتمل ان يريد به يوم
القيامة ويحتمل ان يريد وقت خروج يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وغيره دكا مصدر دككت اذا هدمت
ورضضت وناقة دكاء اي لا سنام لها والضمير في تركنا لله عز وجل وقوله يومئذ يحتمل ان يريد به يوم القيامة
ويحتمل ان يريد به يوم كمال السد والضمير في قوله بعضهم على هذا ليأجوج ومأجوج واستعارة الموج لهم
عبارة عن الحيرة وتردد بعضهم في بعض كالمولهين من خوف ونحوه فشبههم بموج البحر الذي يضطرب
بعضه في بعض وقوله ونفخ في الصور الى اخر الاية معنى به يوم القيامة بلا احتمال لغيره والصور في قول الجمهور
وظاهر الاحاديث الصحاح هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل للقيامة وقوله سبحانه وعرضنا جهنم
يومئذ للكافرين معناه ابرزناها لهم لتجمعهم وتحطمهم ثم اكد بالمصدر عبارة عن شدة الحال
وقوله اعينهم في غطاء عن التبصر والمعنى الذي كانت فكرهم بينها وبين ذكري والنظر في شرعي حجاب وعليها غطاء
وكانوا لا يستطيعون سمعا يريد لاعراضهم ونفارهم عن دعوة الحق وقرأ الجمهور افحسب بكسر السين بمعنى
اظنوا وقرأ علي بن ابي طالب وغيره وابن كثير بخلاف عنه افحسب بسكون السين وضم الباء بمعنى اكافيهم ومنتهى
غرضهم وفي مصحف ابن مسعود افظن الذين كفروا وهذه حجة لقراءة الجمهور وقوله ان يتخذوا عبادي
من دوني قال جمهور المفسرين يريد كل من عبد من دون الله كالملائكة وعزير وعيسى والمعنى ان الامر
ليس كما ظنوا بل ليس لهم من ولاية هؤلاء المذكورين ولا يجدون عندهم منتفعا واعتدنا معناه يسرنا
والنزل موضع النزول والنزل ايضا ما يقدم للضيف او القادم من الطعام عند نزوله ويحتمل
ان يريد بالاية هذا المعنى ان المعد لهم بدل النزل جهنم والاية تحتمل الوجهين ثم قال تعالى قل هل ننبئكم
بالاخسرين اعمالا الاية المعنى قل لهؤلاء الكفرة على جهة التوبيخ هل نخبركم بالذين خسر عملهم وضل
سعيهم في الحياة الدنيا وهم مع ذلك يظنون انهم يحسنون فيما يصنعونه فاذا طلبوا ذلك فقل لهم
اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه وعن سعد بن ابي وقاص في معنى قوله تعالى وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا قال هم عباد اليهود والنصارى واهل الصوامع والديارات وعن علي هم الخوارج ويضعف
هذا كله قوله تعالى بعد ذلك اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه وليس هذه الطوائف ممن يكفر بالله ولقائه

وانما هذه صفة مشركي عبدة الاوثان وعلي وسعد رضي الله عنهما ذكرا قوما اخذوا بحظهم
من صدر الاية وقوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا يريد انهم لا حسنة لهم توزن لان اعمالهم قد
حبطت اي بطلت ويحتمل المجاز والاستعارة كأنه قال فلا قدر لهم عندنا يومئذ وهذا معنى الاية عندي
وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالاكول الشروب الطويل فلا يزن جناح بعوضة
ثم قرا فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا وقوله ذلك اشارة الى ترك اقامة الوزن وقوله سبحانه ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس اختلف المفسرون في الفردوس فقال قتادة انه اعلى الجنة
وربوتها وقال ابو هريرة انه جبل تتفجر منه انهار الجنة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا
سالتم الله فاسالوه الفردوس ت ففي البخاري من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في
الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سالتم الله
فاسالوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة انتهى وقوله
لا يبغون عنها حولا الحول بمعنى التحول قال مجاهد متحولا واما قوله سبحانه قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي
الاية روي ان سبب الاية ان اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم كيف تزعم انك نبي الامم كلها وانك
اعطيت ما يحتاج الناس من العلم وانت مقصر قد سئلت في الروح ولم تجب فيه ونحو هذا من القول فانزل
الله الاية معلمة باتساع معلومات الله عز وجل وانها غير متناهية وان الوقوف دونها ليس ببدع
فالمعنى لو كان البحر مدادا تكتب به معلومات الله لنفد قبل ان يستوفيها وكلمات ربي هي المعاني القائمة
بالنفس وهي المعلومات ومعلومات الله عز وجل لا تتناهى والبحر متناه ضرورة وذكر الغزالي في اخر المنهاج
ان المفسرين يقولون في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ان هذه الكلمات التي يقول الله عز وجل
لاهل الجنة في الجنة باللطف والاكرام مما لا تكيفه الاوهام ولا يحيط به علم مخلوق وحق ان
يكون ذلك كذلك وهو عطاء العزيز العليم على مقتضى الفضل العظيم والجود الكريم لمثل هذا فليعمل
العاملون انتهى وقوله مددا اي زيادة ت وكذلك قرأ الهروي ولفظه وقوله تعالى ولو جئنا بمثله
مددا اي زيادة انتهى قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم اي انما انا بشر ينتهي علمي حيث يوحى الي ومهم ما يوحى الي
انما الهكم اله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا والاية تعطي في الشرك بالله تعالى وقال ابن جبير
في تفسيرها لا يرائي في عمله وقد ورد في حديث انها نزلت في الريائين وروى ابن المبارك في رقائقه
قال اخبرنا عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه انه قال كان يتصفا من الريا فيقول لها كان من نفسك فرضيته
نفسك لها فانه من نفسك فعاتبها وما كان من نفسك فكرهته نفسك لها فانه من الشيطان فتعوذ
بالله منه وكان ابو حازم يقول ذلك واسند ابن المبارك عن عبد الرحمن بن ابي امية قال كلما كرهته لعبد
فليس منه انتهى وخرج الترمذي عن ابي سعيد بن ابي فضالة الانصاري وكان من الصحابة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع الله الناس يوم القيمة ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان اشرك في عمل عمله
لله احدا فليطلب ثوابه من عند غير الله فان الله اغنى الشركاء عن الشرك قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب انتهى
وقد خرج مسلم معناه ت ومما جربته من خواص هذه السورة ان من اراد ان يستيقظ اي وقت شاء
فليقرا عند نومه من قوله سبحانه افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء الى اخر السورة فانه
يستيقظ باذن الله في الوقت الذي نواه ولكن قراءته عند اخر ما يغلب عليه النعاس بحيث لا يتحدث له
عقب القراءة خواطر هذا مما لا شك فيه وهو من عجائب القران المقطوع بها والله الموفق بفضله تنبيه

وروينا في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان في الليل
لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسال الله خيرا من امر الدنيا والاخرة الا اعطاه اياه وذلك كل ليلة فان
اردت ان تعرف هذه الساعة فاقرا عند نومك من قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت
لهم جنات الفردوس الى اخر السورة فانك تستيقظ في تلك الساعة ان شاء الله تعالى بفضله وتتكرر تيقظك
ومهما استيقظت فادع ولك وهذا مما الهمنيه الله سبحانه فاستفده وما كتبته لك الا بعد استخارة
واياك ان تدعو هنا على مسلم ولو كان ظالما فان خالفتني فالله حسيبك وبين يديه اكون خصيمك
وانا ارغب اليك ان تشركني في دعائك اذا افدتك هذه الفائدة العظيمة وكن شحيحا بها وللقران
اسرار يطلع عليها من يشاء من اوليائه جعلنا الله منهم بفضله بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما **سورة مريم عليها السلام** هذه السورة
مكية باجماع الا السجدة منها فقيل مكية وقيل مدنية قوله عز وجل كهيعص قد تقدم الكلام
في فواتح السور وقوله ذكر رحمة ربك مرتفع بقوله كهيعص في قول فرقة وقيل ارتفع على انه
خبر مبتدا محذوف تقديره هذا ذكر وحكى ابو عمرو الداني عن ابن يعمر انه قرا ذكر رحمة ربك
بفتح الذال وكسر الكاف المشددة ونصب رحمة وقوله نادى معناه بالدعاء والرغبة قال ابن العربي
في احكامه وقوله تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا يناسب قوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وفي الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي وذلك لانه ابعد من الرياء فاما
دعاء زكريا فانما كان خفيا لوجهين احدهما انه كان ... والثاني لانه ذكر في دعائه احوالا تفتقر الى
الاخفاء كقوله واني خفت الموالي من ورائي وهذا مما يكتم بانتهى وهن العظم معناه ضعف والشيب
مستعار للشيب من اشتعال النار وقوله ولم اكن بدعائك رب شقيا شكر لله تعالى على سالف ايديه عنده معناه
قد احسنت الي فيما سلف وسعدت بدعائي اياك فالانعام يقتضي ان يشفع اوله اخره ت وهكذا قرره الداودي
ولفظه ولم اكن بدعائك رب شقيا يقول كنت تعرفني الاجابة فيما مضى وقاله قتادة انتهى وقوله
واني خفت الموالي الاية قيل معناه خاف ان يرث الموالي ماله والموالي بنو العم والقرابة وقوله من ورائي من
بعدي وقالت فرقة انما كان مواليه مهملين للدين فخاف بموته ان يضيع الدين فطلب وليا يقوم
بالدين بعده حكى هذا القول الزجاج وفيه انه لا يجوز ان يسال زكريا من يرث ماله اذ الانبياء لا تورث
قال ع وهذا يؤيده قول النبي صلى الله عليه وسلم انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة
والاظهر الاليق بزكريا عليه السلام ان يريد وراثة العلم والدين فتكون الوراثة مستعارة وقد بلغه الله
امله وقال ابن هشام ومن ورائي متعلق بالموالي او بمحذوف هو حال من الموالي او مضافا اليهم اي كائنين
من ورائي او فعل الموالي من ورائي ولا يصح تعلقه بخفت لفساد المعنى انتهى من المغني وخفت الموالي هي قراءة
الجمهور وعليها هو هذا التفسير وقرا عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وابن عباس رضي الله عنه وجماعة خفت بفتح
الخاء والفاء وشدها وكسر التاء والمعنى على هذا انقطع اولياي وماتوا وعلى هذه القراءة
فانما طلب وليا يقوم بالدين قال ابن العربي في احكامه ولم يخف زكريا وارث المال وانما اراد
النبوة وعليها خاف ان تخرج من عقبه وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا معشر الانبياء
لا نورث ما تركناه صدقة انتهى وقرا علي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهما يرثني وارث من ال
يعقوب وقوله فهب لي قال ابن مالك في شرح الكافية اللام هنا لام التعدية وقاله ولده في شرح الخلاصة
قال ابن هشام والاولى عندي ان يمثل للتعدية بنحو ما اكرم زيدا لعمرو وما احبه لبكر انتهى

الرزق ما يكفي وذلك لانه ابعد من الرياء فاما دعاء زكريا فانما كان خفيا لوجهين احدهما انه كان م

وقوله من آل يعقوب يريد يرث منهم الحكمة والعلم والنبوة ورضيا معناه مرضيا والعاقر من النساء
التي لا تلد من غير كبرة وكذلك العاقر من الرجال وقوله لم نجعل له من قبل سميا معناه في اللغة لم نجعل له
مشاركا في هذا الاسم اعلم بتسمية به قبل يحيى وهذا قول ابن عباس وغيره وقيل سميا معناه مثلا ونظيرا
وفي هذا بعد لانه لا يفضل ابراهيم وموسى اللهم الا ان يفضل في خاص كالسودد والحصر والعتي المبالغة في الكبر او
العود او شيب الرأس او عقيلة ما وزكريا هو من ذرية هارون عليه السلام ومعنى قوله سويا فيما قال
الجمهور صحيحا من غير علة ولا خرس وقال ابن عباس ذلك عائد على الليالي اراد كاملات مستويات وقوله فاوحى
اليهم قال قتادة وغيره كان ذلك باشارة وقال مجاهد بل بكتابة في التراب قال ع وكلا الوجهين وحي وقوله
ان سبحوا قال قتادة معناه صلوا السبحة والسبحة الصلاة وقالت فرقة بل امرهم بذكر الله وقول
سبحان الله وقوله بقوة اي العلم به والحفظ له والعمل به والالتزام للوازمه وصبيا يريد شابا لم
يبلغ حد الكهول ففي لفظ صبي على هذا تجوز واستصحاب حال وروى معمر ان الصبيان دعوا يحيى الى
اللعب وهو طفل فقال اني لم اخلق للعب فتلك الحكمة التي آتاه الله عز وجل وهو صبي وقال ابن عباس
من قرأ القرآن قبل ان يحتلم فهو ممن اوتي الحكمة صبيا والحنان الرحمة والشفقة والمحبة قاله
جمهور المفسرين وهو تفسير اللغة ومن شواهد الحنان في قول ـــــــ النابغة
ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا ٭ حنانيك بعض الشر اهون من بعض ٭ وقال عطاء بن ابي رباح
حنانا من لدنا بمعنى تعظيما من لدنا قال ع وهو ايضا ما عظم من الامر لاجل الله ومنه قول
زيد بن عمرو بن نفيل في خبر بلال والله لئن قتلتم هذا العبد لاتخذن قبره حنانا قال ص قال
ابو عبيدة واكثر ما يستعمل مثنى انتهى والزكاة التنمية والتطهير في وجوه الخير قال مجاهد كان
طعام يحيى العشب وكان للدمع في خده مجاري ثابتة ولم يكن جبارا عصيا روي ان يحيى عليه السلام لم يواقع
معصية قط صغيرة ولا كبيرة والبر الكثير البر والجبار المتكبر كانه يجبر الناس على اخلاقه وقوله
وسلام عليه قال الطبري وغيره معناه وامان عليه قال ع والاظهر عندي انها التحية المتعارفة
وهي اشرف وانبه من الامان لان الامان متحصل له بنفي العصيان عنه وهو اقل درجاته وانما
الشرف في ان سلم الله عليه وحياه في المواطن التي الانسان فيها في غاية الضعف والحاجة وقلة الحيلة
واذكر في الكتاب مريم الكتاب هو القرآن والانتباذ التنحي قال السدي انتبذت لتطهر من حيض
وقال غيره لتعبد الله قال ع وهذا احسن وقوله شرقيا يريد في جهة المشرق من مساكن اهلها وكانوا
يعظمون جهة المشرق قاله الطبري وقال بعض المفسرين اتخذت المكان بشرقي المحراب وقوله فاتخذت
من دونهم حجابا اي لتستتر به عن الناس لعبادتها والروح جبريل وقوله سبحانه قالت اني اعوذ
بالرحمن منك المعنى قالت مريم للملك الذي تمثل لها بشرا لما رأته قد خرق الحجاب الذي اتخذته
فاساءت به الظن اعوذ بالرحمن منك ان كنت ذا تقى فقال لها جبريل عليه السلام انما انا رسول ربك
لاهب لك غلاما وقرأ ابو عمرو ونافع بخلاف عنه ليهب قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر
ولم اك بغيا البغي الزانية وروي ان جبريل عليه السلام حين قاولها هذه المقاولة نفخ في
جيب درعها فسرت النفخة باذن الله حتى حملت منها قاله وهب بن منبه وغيره وقال ابي بن كعب
دخل الروح المنفوخ في فمها فذلك قوله تعالى فحملته اي حملت الغلام ويذكر انها كانت بنت ثلاث
عشرة سنة فلما احست بذلك وخافت تعنيف الناس وان يظن بها الشر انتبذت اي تنحت مكانا

بعيدا

بعيدا حياء ووقارا على وجهها واجاءها معناه اضطرها وهو تعدية جاء بالهمزة والمخاض الطلق
وشدة الولادة واوجاعها وروي انها بلغت الى موضع كان فيه جذع نخلة بال يابس في اصله
مذود بقرة على جرية ماء فاشتد بها الامر هنالك واحتضنت الجذع لشدة الوجع وولدت عيسى
عليه السلام فقالت عند ولادتها لما رأته من صعوبة الحال من غير ما وجه يا ليتني مت قبل هذا
من جهة الدين خوف ان يظن بها الشر وخوف ان تفتتن بتعيير قومها وهذا مباح وعلى هذا الحد
تمناه عمر وكنت نسيا اي شيئا متروكا محتقرا والنسي في كلام العرب الشيء الحقير الذي شانه ان ينسى
فلا يتألم لفقده كالوتد والحبل للمسافر ونحوه وهذه القصة تقتضي انها حملت واستمرت حاملا على
عرف البشر واستحيت من ذلك ومرت بسببه وهي حامل وهو قول جمهور المتأولين وروي عن ابن عباس
انه قال ليس الا ان حملت فوضعت في ساعة واحدة والله اعلم وظاهر قوله فاجاءها المخاض انها كانت
على عرف النساء وقوله سبحانه فناداها من تحتها قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم فناداها من تحتها على ان
من فاعل ينادي والمراد بمن عيسى قاله مجاهد والحسن وابن جبير وابي بن كعب وقال ابن عباس
المراد بمن جبريل ولم يتكلم عيسى حتى اتت به قومها والقول الاول اظهر وابين وبه يتبين عذرها
ولا تبقى بها استرابة وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم من تحتها بكسر الميم واختلفوا ايضا
فقالت فرقة المراد عيسى وقالت فرقة المراد جبريل المحاور لها قبل قالوا وكان في بقعة اخفض من
البقعة التي كانت هي عليها والاول اظهر وقرأ ابن عباس فناداها ملك من تحتها السري من الرجال
العظيم السيد والسري ايضا الجدول من الماء وبحسب هذا اختلف الناس في هذه الآية فقال قتادة
وابن زيد اراد جعل تحتك عظيما من الرجال له شأن وقال الجمهور اشار لها الى الجدول ثم امرها بهز الجذع
اليابس لترى آية اخرى وقالت فرقة بل كانت النخلة مطعمة رطبا وقال السدي كان الجذع مقطوعا
واجرى تحتها النهر لحينه قال ع والظاهر من الآية ان عيسى هو المكلم لها وان الجذع كان يابسا
فهي آيات تسليها وتسكن اليها قال ص قوله وهزي اليك تقرر في علم النحو ان الفعل لا يتعدى الى
ضمير متصل وقد رفع المتصل وهما لمدلول واحد واذا تقرر هذا فاليك لا يتعلق بهزي ولكن
يمكن ان يكون اليك حالا من جذع النخلة فيتعلق بمحذوف اي هزي بجذع النخلة منتهيا اليك انتهى
والباء في قوله تعالى بجذع زائدة مؤكدة جنيا معناه قد طاب وصلح للاجتناء وهو من جنيت
الثمرة وقال عمرو بن ميمون ليس شيء للنفساء خير من التمر والرطب وقري العين مأخوذة من القر
وذلك انه يحكى ان دمع الفرح بارد المس ودمع الحزن سخن المس وقيل غير هذا قال ص وقري عينا
اي طيبي نفسا م ابو البقاء عينا تمييز انتهى وقوله سبحانه فاما ترين من البشر احدا الآية المعنى ان الله
عز وجل امرها على لسان جبريل او ابنها على الخلاف المتقدم بان تمسك عن مخاطبة البشر وتحيل على
ابنها في ذلك ليرتفع عنها خجلها وتبين الآية فيقوم عذرها وظاهر الآية انها ابيح لها ان تقول
مضمن هذه الالفاظ التي في الآية وهو قول الجمهور وقالت فرقة معنى فقولي بالاشارة لا بالكلام
قال ص وقوله فقولي جواب الشرط وبينهما جملة محذوفة يدل عليها المعنى اي فاما ترين من البشر
احدا وسألك او حاورك الكلام فقولي انتهى وصوما معناه عن الكلام اذ اصل الصوم الامساك
وقرأت فرقة اني نذرت للرحمن صمتا ولا يجوز في شرعنا نذر الصمت فروي ان مريم عليها السلام
لما اطمأنت بما رأت من الآيات وعلمت ان الله سيبين عذرها اتت به تحمله مدلة من المكان القصي

الذي كانت منتبذة به والفري العظيم الشنيع قاله مجاهد والسدي واكثر استعماله في السوء واختلف في
معنى قوله تعالى يا اخت هرون فقيل كان لها اخ اسمه هرون لان هذا الاسم كان كثيرا في بني اسرائيل وروى
المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسله الى نجران في امر من الامور فقال له النصارى ان صاحبك
يزعم ان مريم هي اخت هرون وبينهما في المدة ستمائة سنة قال المغيرة فلم ادر ما اقول فلما قدمت على النبي صلى الله
عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال الم يعلموا انهم كانوا يسمون باسماء الانبياء والصالحين قال ع فالمعنى انه
اسم وافق اسما وقيل نسبوها الى هرون اخي موسى لانها من نسله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان اخا
صداء اذن فهو يقيم وقال قتادة نسبوها الى هرون اسم رجل صالح في ذلك الزمن وقالت فرقة بل كان
في ذلك الزمن رجل فاجر اسمه هرون نسبوها اليه على جهة التعيير والله اعلم بصحة هذا وما رواه
المغيرة ان ثبت فهو المعول عليه وقولهم ما كان ابوك امرأ سوء ما كان ابوك ولا امك اهلا لهذه
الفعلة فكيف انت جئت بها والبغي التي تبغي الزنا اي تطلبه وقوله سبحانه فاشارت اليه يقوى قول من
قال ان امرها بقولي انما اريد به الاشارة وقوله اتاني الكتاب يعني الانجيل ويحتمل ان يراد التوراة
والانجيل وانا في معناه قضى بذلك سبحانه وانفذه في سابق حكمه وهذا نحو قوله اتى امر الله واوصاني
بالصلاة والزكاة قيل هما المشروعتان في البدن والمال وقيل الصلاة الدعاء والزكاة التطهر من كل عيب
ونقص ومعصية والجبار المتعظم وهي خلق مقرونة بالشقاء لانها مناقضة لجميع الناس فلا يلقى
صاحبها من احد الا مكروها وكان عليه السلام في غاية التواضع ياكل الشجر ويلبس الشعر ويجلس على الارض ويأوي
اذا جنه الليل لا مسكن له قال قتادة وكان يقول سلوني فاني لين القلب صغير في نفسي وقالت فرقة ان
عيسى كان اوتي الكتاب وهو في سن الطفولية وكان يصوم ويصلي قال ع وهذا في غاية الضعف ت
وضعفه من جهة سنده والا فالعقل لا يحيله سيما وامره كله خرق عادة وفي قصص هذه الاية
عن ابن زيد وغيره انهم لما سمعوا كلام عيسى اذعنوا وقالوا ان هذا لامر عظيم وقوله سبحانه ذلك عيسى
ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون المعنى قل يا محمد لمعاصريك من اليهود والنصارى ذلك الذي هذه
قصته عيسى بن مريم وقرأ نافع وعامة الناس قول الحق برفع القول على معنى هذا هو قول الحق
وقرأ عاصم وابن عامر قول الحق بنصب القول على المصدر وقوله وان الله ربي وربكم الاية
هذا من تمام القول الذي امر به محمد صلى الله عليه وسلم ان يقوله ويحتمل ان يكون من قول عيسى
ويكون قوله وان بفتح الهمزة عطفا على قوله الكتاب وقد قال وهب بن منبه عهد عيسى اليهم ان الله
ربي وربكم ت وما ذكره وهب مصرح في القرآن ففي آخر المائدة ما قلت لهم الا ما امرتني به ان
ان اعبدوا الله ربي وربكم الاية وامتراؤهم في عيسى هو اختلافهم فيقول بعضهم لزنية وهم اليهود
ويقول بعضهم هو الله تعالى الله عن قولهم فهذا هو امتراؤهم وسياتي شرح ذلك باثر هذا قوله فاختلف
الاحزاب من بينهم هذا ابتداء خبر من الله سبحانه لمحمد عليه السلام بان بني اسرائيل اختلفوا احزابا
اي فرقا وقوله من بينهم بمعنى من تلقائهم ومن انفسهم ثار شرهم وان الاختلاف لم يخرج عنهم بل كانوا
هم المختلفين وروي في هذا عن قتادة ان بني اسرائيل جمعوا من انفسهم اربعة احبارا غاية في المكانة
والجلالة عندهم وطلبوهم ان يبينوا لهم امر عيسى فقال احدهم عيسى هو الله تعالى عن قولهم
فقال له الثلاثة كذبت واتبعه اليعقوبية ثم قيل للثلاثة فقال احدهم عيسى ابن الله فقال له
الاثنان كذبت واتبعه النسطورية ثم قيل للاثنين فقال احدهما عيسى احد ثلاثة الله اله ومريم اله

وعيسى اله

وعيسى اله فقال له الرابع كذبت واتبعه الاسرائيلية فقيل للرابع فقال عيسى عبد الله وكلمته القاها
الى مريم فاتبع كل واحد فريق من بني اسرائيل ثم اقتتلوا فغلب المؤمنون وقتلوا وظهرت اليعقوبية
على الجميع والويل الحزن والثبور وقيل ويل واد في جهنم ومشهد يوم عظيم هو يوم القيامة وقوله سبحانه
اسمع بهم وابصر اي ما اسمعهم وابصرهم يوم يرجعون الينا ويرون ما نصنع بهم لكن الظالمون اليوم
اي في الدنيا في ضلال مبين اي بين وانذرهم يوم الحسرة وهو يوم ذبح الموت قاله الجمهور وفي هذا
حديث صحيح خرجه البخاري وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الموت يجاء به في صورة كبش املح فيذبح
على الصراط بين الجنة والنار وينادى يا اهل الجنة خلود لا موت ويا اهل النار خلود لا موت ثم
قرأ وانذرهم يوم الحسرة الاية قال ع وعند ذلك تصيب اهل النار حسرة لا حسرة مثلها وقال ابن
زيد وغيره يوم الحسرة هو يوم القيامة قال ع ويحتمل ان يكون يوم الحسرة اسم جنس شامل لحسرات
كثيرة بحسب مواطن الاخرة منها يوم موت الانسان واخذ الكتاب بالشمال وغير ذلك وهم في
غفلة يريد في الدنيا وقوله سبحانه انا نحن نرث الارض الاية عبارة عن بقائه بعد فناء خلقه لا
اله غيره وقوله سبحانه واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا الاية قوله اذكر اي وشهر
لان الله سبحانه هو الذاكر والكتاب هو القرآن والصديق بناء للمبالغة فكان ابراهيم عليه السلام يوصف
بالصدق في افعاله واقواله وقوله يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن الاية قال الطبري
اخاف بمعنى اعلم قال ع والظاهر عندي انه خوف على بابه وذلك ان ابراهيم عليه السلام في وقت
هذه المقالة لم يكن آيسا من ايمان ابيه ت ونحو هذا عبارة المهدوي قال قيل اخاف معناه اعلم اي
اني اعلم ان مت على ما انت عليه ويجوز ان يكون اخاف على بابها ويكون المعنى اني اخاف ان تموت
على كفرك فيمسك العذاب انتهى وقوله لارجمنك قال الضحاك وغيره معناه بالقول اي لاشتمنك
وقال الحسن معناه لارجمنك بالحجارة وقالت فرقة معناه لاقتلنك وهذان القولان بمعنى
واحد وقوله واهجرني على هذا التأويل انما يترتب بانه امر على حاله كانه قال ان لم تنته لاقتلنك بالرجم
ثم قال له واهجرني اي مع انتهائك ومليا معناه دهرا طويلا مأخوذ من الملوين وهما الليل والنهار
هذا قول الجمهور وقوله قال سلام عليك اختلف في معنى تسليمه على ابيه فقال بعضهم هي تحية مفارق
وجوزوا تحية الكافر وان يبدأ وقال الجمهور ذلك التسليم بمعنى المسالمة لا بمعنى التحية قال الطبري
معناه وهذا قول الجمهور وهم لا يرون ابتداء الكافر بالسلام وقال النقاش حليم خاطب سفيها
كما قال تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقوله سأستغفر لك ربي معناه سادعو الله تعالى ان
يهديك فيغفر لك بايمانك ولما تبين له انه عدو لله تبرأ منه والحفي المتهمم المتلطف وهذا شكر
من ابراهيم لنعم الله تعالى عليه ثم اخبر ابراهيم عليه السلام بانه يعتزلهم اي يصير عنهم بمعزل ويروى
انهم كانوا بارض كوثا فرحل عليه السلام حتى نزل بارض الشام وفي سفرته تلك لقي الجبار الذي اخذ منه
هاجر الحديث بطوله وتدعون بمعنى تعبدون وقوله عسى ترج في ضمنه خوف شديد وقوله سبحانه
فلما اعتزلهم الاية اخبار من الله تعالى لنبيه عليه السلام انه لما رحل ابراهيم عن بلد ابيه وقومه
عوضه الله من ذلك ابنه اسحاق وابن ابنه يعقوب وجعل له الولد تسلية وشد العضد واسحاق
اصغر من اسماعيل ولما حملت هاجر باسماعيل غارت سارة فحملت باسحاق هذا فيما روي ووهبنا لهم
من رحمتنا يريد العلم والمنزلة والشرف في الدنيا والنعيم في الاخرة وكل ذلك من رحمة الله ولسان الصدق هو

الثناء الباقي عليهم آخر الابد قاله ابن عباس وابراهيم الخليل وبنيه معظمة في جميع الامم والملل صلى الله
عليهم اجمعين قال ص كلا جعلنا ابو البقا هو منصوب بجعلنا انتهى قوله سبحانه واذكر في الكتاب موسى اي جهة
التشريف له وناديناه هو تكليم الله تعالى له والايمن صفة للجانب وكان على يمين موسى والا فالجبل لا يمنة له نفسه
ولا يسرة ويحتمل ان يكون الايمن مأخوذ من اليمن وقربناه اي تقريب تشريف والنجي من المناجاة وقوله
سبحانه واذكر في الكتاب اسمعيل هو ايضا من لسان الصدق المضمون بقاء الثناء على ابراهيم عليه السلام واسمعيل
هو ابو العرب اليوم وذلك ان اليمنية والمضرية ترجع الى ولد اسمعيل وهو الذبيح في قول الجمهور وهو الراجح من
وجوه منها قوله تعالى ومن وراء اسحاق يعقوب فولد بشر ابواه بان سيكون منه ولد كيف يؤمر بذبحه
ومنها ان امر الذبح كان بمنى بلا خلاف وما روي قط ان اسحاق دخل تلك البلاد واسمعيل نشأ بها وكان ابوه يزوره
مرارا كثيرة يأتي من الشام ويرجع من يومه على البراق وهو مركب الانبياء ومنها قوله عليه السلام انا ابن الذبيحين
وهو ابوه عبد الله والذبيح الثاني ابوه اسمعيل ومنها ترتيب آيات سورة الصافات فانها تكاد تنص على ان الذبيح غير اسحاق ووصفه
الله تعالى بصدق الوعد لانه كان مبالغا في ذلك روي انه وعد رجلا ان يلقاه في موضع وبقي في انتظاره يوما وليلة
فلما كان في اليوم الآخر جاء الرجل فقال له اسمعيل ما زلت هنا في انتظارك منذ امس وقد فعل مثله نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم قبل مبعثه خرجه الترمذي وغيره قال سفيان بن عيينة اسوأ الكذب الخلف وكيعا ودحي الابريا بالتهم
واهله المراد بهم قومه وامته قاله الحسن وفي مصحف ابن مسعود وكان يأمر قومه وادريس عليه السلام من
اجداد نوح عليه السلام ورفعناه مكانا عليا قالت فرقة من العلماء رفع الى السماء قال ابن عباس كان ذلك بامر الله وقوله
وبكيا قالت فرقة هو جمع باك وقالت فرقة هو مصدر بمعنى البكاء التقدير وبكوا بكيا واحتج الطبري ومكي لهذا
القول بان عمر رضي الله عنه قرأ سورة مريم فسجد ثم قال هذا السجود فاين البكي يعني البكاء قال ع ويحتمل ان
يريد عمر فاين الباكون وهذا الذي ذكره عن عمر ذكره ابو حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم وقوله سبحانه فخلف من
بعدهم خلف الآية الخلف بسكون اللام يستعمل اذا كان الآتي مذموما هذا مشهور كلام العرب والمراد بالخلف من
كفر وعصى بعد من بني اسرائيل ثم يتناول معنى الآية من سواهم الى يوم القيامة واضاعوا الصلاة يكون بتركها وبجحدها و
باضاعة اوقاتها وروى ابو داود الطيالسي في مسنده بسنده عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا احسن الرجل الصلاة فاتم ركوعها وسجودها قالت الصلاة حفظك الله كما حفظتني فترفع
واذا اساء الصلاة فلم يتم ركوعها ولا سجودها قالت الصلاة ضيعك الله كما ضيعتني وتلف كما يلف الثوب الخلق
فيضرب بها وجهه انتهى من التذكرة والشهوات عموم والغي الخسران وقاله ابن زيد وقد يكون الغي بمعنى الضلال
والتقدير يلقون جزاء الغي وقال عبد الله بن عمرو وابن مسعود غي واد في جهنم وبه وقع التوعد في هذه الآية وقال
ص غيا عندهم كل شر كما ان الرشاد كل خير انتهى وجنات عدن بدل من الجنة في قوله يدخلون الجنة وقوله بالغيب
اي اخبرهم من ذلك بما غاب عنهم وفي هذا مدح لهم على سرعة ايمانهم وبدارهم اذ لم يعاينوا ومأتيا مفعول على بابه وقال
جماعة من المفسرين هو مفعول في اللفظ بمعنى فاعل فمأتيا بمعنى آت وهذا بعيد ن وهذا هو الظاهر وعليه عمدة
واللغو السقط من القول وقوله بكرة وعشيا يريد في التقدير وقوله سبحانه وما نتنزل الا بامر ربك الآية
قال ابن عباس وغيره سبب هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم ابطأ عنه جبريل مرة فلما جاءه قال يا جبريل
قد اشتقتك افلا تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت هذه الآية وقال الضحاك ومجاهد سببها ان جبريل تأخر عن النبي
عليه السلام عند قوله في السؤال المتقدم في سورة الكهف غدا اخبركم وقال الداودي عن مجاهد قد ابطأت الرسل
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتى جبريل عليه السلام فقال ما حبسك قال وكيف نأتيكم وانتم لا تقصون اظفاركم

ولا تأخذون شواربكم ولا تستاكون وما نتنزل الا بامر ربك انتهى وقد جاءت في فضل السواك
آثار كثيرة فمنها ما رواه البزار في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد اذا تسوك
ثم قام يصلي قام الملك خلفه فيستمع لقراءته فيدنو منه حتى يضع فاه على فيه فما يخرج من فيه شيء
من القرآن الا صار في جوف الملك انتهى من الكوكب الدري وفيه عن ابن ابي شيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال صلاة على اثر سواك افضل من سبعين صلاة بلا سواك انتهى وفي البخاري ان السواك مطهرة للفم مرضاة
للرب انتهى وقوله له ما بين ايدينا وما خلفنا الآية المقصود بهذه الآية الاشعار بملك الله تعالى
لملائكته وان قليل تصرفهم وكثيره انما هو بامره وانتقالهم من مكان الى مكان انما هو بحد منه وقوله
وما كان ربك نسيا اي ممن يلحقه نسيان لبعثنا اليك فنسيا فعيل من النسيان والذهول عن الامور
وقرأ ابن مسعود وما نسيك ربك وقوله سميا قال قوم معناه موافقا في الاسم قال ع وهذا يحسن
فيه ان يريد بالاسم ما تقدم من قوله رب السموات والارض وما بينهما اي هل تعلم من يسمى بهذا الاسم
او يوصف بهذه الصفة وذلك ان الامم والفرق لا يسمون بهذا الاسم وثنا ولا شيئا سوى الله تعالى قال
القشيري في التحبير قوله تعالى واصطبر لعبادته الاصطبار نهاية الصبر ومن صبر ظفر ومن لازم وصل
وفي معناه انشدوا

اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للابواب ان يلجا

وانشدوا ايضا

اني رأيت وفي الايام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد في شيء يطالبه ... فاستصحب الصبر الا فاز بالظفر

انتهى وقال ابن عباس وغيره سميا معناه مثيلا او شبيها ونحو ذلك وهذا قول حسن وكان السمي بمعنى المسامي
والمضاهي فهو من السمو قوله سبحانه ويقول الانسان ائذا ما مت لسوف اخرج حيا الانسان اسم جنس يراد به الكافر و
روي ان سبب نزول هذه الآية هو ان رجالا من قريش كانوا يقولون هذا ونحوه وذكر ان القائل هو ابي
بن خلف وقيل ان القائل هو العاصي بن وائل وفي قوله ولم يك شيئا دليل على ان المعدوم لا يسمى شيئا وقال ابو علي
الفارسي اراد شيئا موجودا قال ع وهذه من ابي علي نزعة اعتزالية فتأملها والضمير في لنحشرنهم عائد على
الكفار القائلين ما تقدم ثم اخبر تعالى انه يقرن بهم الشياطين المغوين لهم وجثيا جمع جاث فاخبر سبحانه انه
يحضر هؤلاء المنكرين للبعث مع الشياطين فيجثون حول جهنم وهي قعدة الخائف الذليل على ركبتيه كالاسير و
قال ابن زيد الجثي شر الجلوس والشيعة الفرقة المرتبطة بمذهب واحد المتعاونة فيه فاخبر سبحانه انه ينزع
من كل شيعة اعتاها واولاها بالعذاب فيكون مقدما الى النار قال ابو الاحوص المعنى نبدأ بالاكابر فالاكابر
جرما واي هنا بنيت لما حذف الضمير العائد عليها من صدر صلتها وكان التقدير ايهم هو اشد وصليا مصدر
صلي يصلي اذا باشر وقوله وان منكم الا واردها قسم والواو تقتضيه ويفسره قول النبي صلى الله عليه
وسلم من مات له ثلاثة اولاد لم تمسه النار الا تحلة القسم وقرأ ابن عباس وجماعة وان منهم بالهاء على ارادة
الكفار قال ع ولا شغب في هذه القراءة وقالت فرقة من الجمهور القارئين منكم المعنى قل لهم يا محمد فالخطاب
بمنكم للكفرة وتأويل هؤلاء ايضا سهل التناول وقال الاكثر المخاطب العالم كله ولا بد من ورود الجميع ثم اختلفوا
في كيفية ورود المؤمنين فقال ابن مسعود وابن عباس وخالد بن معدان وابن جريج وغيرهم هو ورود
دخول لكنها لا تعدو على المؤمنين ثم يخرجهم الله عز وجل منها بعد معرفتهم بحقيقة ما نجوا منه
وروى جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الورود في هذه الآية هو الدخول وقد اتفق
كثير من العلماء من تحقق الورود مع الجهل بالصدر جعلنا الله من الناجين بفضله ورحمته وقالت

وفرقة هو ورود اشراف واطلاع وقرب كما تقول وردت الماء اذا جئته وليس يلزم ان تدخل فيه قالوا
وحسب المؤمن بهذا هولا ومنه قوله تعالى ولما ورد ماء مدين وردت فرقة اثر ان الله تعالى يجعل
الناس يوم القيامة جاثية الاعلى كانها اهالة فيأتي الخلق كلهم برهم وفاجرهم فيقفون عليها ثم تنوخ
باهلها وينجو المؤمنون الفائزون لم ينلهم ضر قالوا فهذا هو الورود قال المهدوي وعن قتادة قال
يرد الناس جهنم وهي سوداء مظلمة فاما المؤمنون فاضاءت لهم حسناتهم فنجوا منها واما الكفار فاوبقتهم
سيئاتهم فاحتبسوا بذنوبهم انتهى وروت حفصة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار احد
من اهل بدر والحديبية قالت فقلت يا رسول الله واين قول الله وان منكم الا واردها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمه ثم ننجي الذين اتقوا ورجح الزجاج هذا القول بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى اولئك عنها مبعدون ت وحديث حفصة هذا خرجه مسلم وفيه افلم تسمعيه يقول
ثم ننجي الذين اتقوا وروى ابن المبارك في رقائقه انه لما نزلت هذه الآية وان منكم الا واردها ذهب
ابن رواحة الى بيته فبكى فجاءت امرأته فبكت وجاء الخادم فبكت وجاء اهل البيت فبكوا يبكون فلما
انقطعت عبرته قال يا اهلاه ما يبكيكم قالوا لا ندري ولكن رأيناك بكيت فبكينا فقال آية نزلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبئني فيها ربي اني وارد النار ولم ينبئني اني صادر عنها فذلك الذي ابكاني
انتهى وقال ابن مسعود ورودهم هو جوازهم على الصراط وذلك ان الحديث الصحيح تضمن ان الصراط
منصوب على متن جهنم والحتم الامر المنفذ المجزوم والذين اتقوا معناه اتقوا الكفر ونذر دالة على انهم
كانوا فيها قال ابو عمر بن عبد البر في التمهيد بعد ان ذكر رواية جابر وابن مسعود في الورود وروي عن كعب انه
تلا وان منكم الا واردها فقال اتدرون ما ورودها انه يجاء بجهنم فتمسك للناس كانها متن اهالة
يعني الودك الذي على القدر من المرقة حتى اذا استقرت عليها اقدام الخلائق برهم وفاجرهم نادى
منادٍ ان خذي اصحابك وذري اصحابي فيخسف بكل ولي لها فلهي اعلم بهم من الوالد بولده وينجو
المؤمنون ندية ثيابهم وروي هذا المعنى عن ابي نضرة وزاد وهو معنى قوله تعالى فاستبقوا الصراط
فانى يبصرون انتهى وقوله سبحانه واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا اي الفريقين
الآية هذه الآية حكاية عن كفار قريش وانهم انما انعم الله عليهم لاجل انهم على الحق بزعمهم الندي والنادي
المجلس ثم رد الله سبحانه حجتهم وحقر امرهم فقال وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا
اي فلم يغن ذلك عنهم شيئا والاثاث المال العين والعرض والحيوان وقرأ نافع وغيره ورئيا بالهمزة بعدها
ياء من رؤية العين قال البخاري ورئيا منظرا وقرأ نافع ايضا واهل المدينة وريا بياء مشددة فقيل
هي بمعنى القراءة الاولى وقيل هي بمعنى الري في السقيا اذ اكثر النعم من الري والمطر وقرأ ابن جبير وابن
عباس ويزيد البربري وزيا بالزاي المعجمة بمعنى الملبس واما قوله سبحانه قل من كان في الضلالة فليمدد
له الرحمن مدا فيحتمل ان يكون بمعنى الدعاء والابتهال كانه يقول الاضل منا ومنكم مد الله له اي املى
له حتى يؤول ذلك الى عذابه ويحتمل ان يكون بمعنى الخبر اي ان سنة الله تعالى هذه عادته الاملاء للضالين حتى اذا راوا ما يوعدون
اما العذاب اي في الدنيا بنصر الله للمؤمنين عليهم واما الساعة فيصيرون الى النار والجند الناصرون
القائمون بامر الحرب وشر مكانا بازاء قولهم خير مقاما واضعف جندا بازاء قولهم احسن نديا
ت ولما ذكر سبحانه ضلالة الكفرة وافتخارهم بنعم الدنيا عقب ذلك بذكر نعمة الله على المؤمنين في
انه يزيدهم هدى في الارتباط بالاعمال الصالحة والمعرفة بالدلائل الواضحة وقد تقدم تفسير الباقيات

الصالحات

الصالحات عن النبي صلى الله عليه وسلم وانها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقد قال
صلى الله عليه وسلم لابي الدرداء خذهن قبل ان يحال بينك وبينهن فهن الباقيات الصالحات وهن من كنوز
الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال خذوا جنتكم قالوا يا رسول الله امن عدو حضر قال من النار
قالوا وما هي يا رسول الله قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وهن الباقيات الصالحات وكان ابو الدرداء
يقول اذا ذكر هذا الحديث لاهللن ولاكبرن الله ولاسبحنه حتى اذا رآني الجاهل ظنني مجنونا ت ولو ذكرنا
ما ورد من صحيح الاحاديث في هذا الباب لخرجنا بالاطالة عن مقصود الكتاب قوله سبحانه افرأيت الذي
كفر بآياتنا هو العاصي بن وائل السهمي قاله جمهور المفسرين وكان خبره ان خباب بن الارت كان قينا في
الجاهلية فعمل له عملا واجتمع له دين فجاءه يتقاضاه فقال له العاصي لا اقضيك حتى تكفر بمحمد فقال له
خباب لا اكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك قال العاصي اومبعوث انا بعد الموت قال نعم قال فانه اذا كان ذلك
فسيكون لي مال وولد وعند ذلك اقضيك دينك فنزلت الآية في ذلك وقال الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة
قال ع وقد كانت للوليد ايضا اقوال تشبه هذا الغرض ت الآن لمسند الصحيح في البخاري هو الاول وقوله
ام اتخذ عند الرحمن عهدا معناه بالايمان والاعمال الصالحة وكلا زجر ورد هذا المعنى لازم لكلا ثم اخبر
سبحانه ان قول هذا الكافر سيكتب على معنى حفظه عليه ومعاقبته به ومد العذاب هو اطالته وتعظيمه
وقوله سبحانه ونرثه ما يقول اي هذه الاشياء التي سمى انه يؤتاها في الآخرة يرث الله ماله منها في الدنيا باهلاكه
وتركه لها قالوا انه مستغنا وقال النحاس نرثه ما يقول معناه نحفظه عليه لنعاقبه به ومنه قوله عليه
السلام العلماء ورثة الانبياء اي حفظة ما قالوا قال ع وكان هذا المجرم يورث هذه المقالة وقوله
ويكونون عليهم ضدا معناه يجيئهم في خلاف ما كانوا املوه في معبوداتهم فيؤول لهم ذلك الى ذلة وضد
ما املوه من العز وغيره وهذه صفة عامة وتؤزهم معناه تقلقهم وتحركهم الى الكفر والضلال
قال قتادة تزعجهم ازعاجا قال ابن زيد تشليهم اشلاء ومنه ازيز القدر وهو غليانه وحركته ومنه
الحديث اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته يصلي وهو يبكي ولصدره ازيز كازيز المرجل ت
هذا الحديث خرجه مسلم وابو داود عن مطرف عن ابيه وقال الفراء تؤزهم اي تدفعهم انتهى وقوله
سبحانه فلا تعجل عليهم اي لا تستبطئ عذابهم وقوله سبحانه يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال ع
وظاهر هذه الوفادة انها بعد انقضاء الحساب وانما هي النهوض الى الجنة وكذلك سوق المجرمين انما
هو لدخول النار وقال المفسرون معناه ركبانا وهذه عادة الوفود لانهم سراة الناس واحسنهم
شكلا وانما شبههم بالوفد هيبة وكرامة وروي عن علي انهم يجيئون ركبانا على النوق المحلاة
بحلي الجنة خطمها من ياقوت وزبرجد ونحو هذا وروى عمرو بن قيس الملائي انهم يركبون على
تماثيل من اعمالهم الصالحة هي في غاية الحسن وروي انه يركب كل واحد منهم ما احب فمنهم من يركب
الابل ومنهم من يركب الخيل ومنهم من يركب السفن فتجيء عائمة بهم وقد ورد في الضحايا انها مطايا إياكم
الى الجنة واكثر هذه فيها ضعف من جهة الاسناد والسوق يتضمن هوانا والورد العطاش قاله ابن عباس
وابو هريرة والحسن واختلف في الضمير في قوله يملكون فقالت فرقة هو عائد على المجرمين اي لا يملكون ان
يشفع لهم وعلى هذا فالاستثناء منقطع اي لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا يشفع له والعهد على هذا
الايمان قال ابن عباس العهد لا اله الا الله وفي الحديث يقول الله تعالى يوم القيامة من كان له عندي عهد
فليقم قال ع ويحتمل ان يكون المجرمون يعم الكفرة والعصاة اي الا من اتخذ عند الرحمن عهدا من عصاة

المؤمنين فانه يشفع لهم ويكون الاستثناء متصلا وقالت فرقة الضمير في قوله لا يملكون للمتقين
قوله الا من اتخذ الآية اى الا من كان له عمل صالح مبرور فيشفع فيشفع ويحتمل الآية ان يراد بمن النبي
صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى اتخذ الرحمن ولدا قال ابن المبارك في سنن الصالحين له روى عن ابن مسعود
انه قال ان الجبل ليقول للجبل يا فلان هل مر بك اليوم ذاكر لله فان قال نعم سر به ثم قرا عبد الله وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا الى قوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا قال افترونها
تسمع الزور ولا تسمع الخير انتهى وهكذا رواه ابن المبارك في رقائقه وما ذكره ابن مسعود لا يقال
من جهة الرأي وقد روي عن انس وغيره بنحوه قال ابن المبارك باثر كلامه المتقدم وروى جعفر بن زيد
عن انس بن مالك انه قال ما من صباح ولا رواح الا وتنادي بقاع الارض بعضها بعضا اى جارة
هل مر بك اليوم عبد يصلي او يذكر الله فمن قائلة لا ومن قائلة نعم فاذا قالت نعم رات لها فضلا بذلك
انتهى وقوله سبحانه لقد جئتم شيئا ادا الآية الاد الامر الشنيع الصعب وقال الهروي ادا اى عظيما
انتهى والانفطار الانشقاق والهد الانهدام قال محمد بن كعب كاد اعداء الله ان يقيموا علينا الساعة
وقوله ان كل من في السموات الآية ان نافية بمعنى ما وقوله فردا يتضمن عدم النصر والحول والقوة اى لا مجير
له مما يريد الله به وعبارة الثعلبي فردا اى وحيدا بعمله ليس معه من الدنيا شيء وهذه الآية تنظر الى قوله
تعالى ولقد جئتمونا فرادى الآية وقوله سبحانه سيجعل لهم الرحمن ودا ذهب اكثر المفسرين الى ان هذا الود
هو القبول الذي يضعه الله لمن يحب من عباده حسبما في الحديث الصحيح المأثور وقال عثمان بن عفان انها
في قول النبي صلى الله عليه وسلم من اسر سريرة البسه الله رداءها والحديث المتقدم المشار اليه اصله في
الموطأ ولفظه مالك عن سهيل بن ابي صالح السمان عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا احب الله العبد قال لجبريل يا جبريل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في
اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض واذا ابغض العبد
قال مالك لا احسبه الا قال في البغض مثل ذلك قال ابو عمر في التمهيد وممن روى هذا الحديث عن سهيل بهذا الاسناد
مثله فذكر البغض من غير شك معمر وعبد العزيز بن المختار وحماد بن سلمة قالوا في آخره واذا ابغض
بمثل ذلك ولم يشكوا قال ابو عمر وقال المفسرون في قوله تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا يحبهم ويحببهم الى الناس
وقال مجاهد وابن عباس ثم اسند ابو عمر عن كعب انه قال والله ما استقر لعبد ثناء في اهل الدنيا
حتى يستقر له في اهل السماء قال كعب وقرات في التوراة انه لم تكن محبة لاحد من اهل الارض الا كان
بدؤها من الله ينزلها على اهل السماء ثم ينزلها على اهل الارض ثم قرات القرآن فوجدت فيه
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا واسند ابو عمر عن قتادة قال قال هرم
بن حيان ما اقبل عبد بقلبه الى الله الا اقبل الله بقلوب اهل الايمان عليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم
انتهى قال ابن المبارك في رقائقه اخبرنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال قيل يا رسول الله من اهل
الجنة قال من لا يموت حتى يملأ مسامعه مما يحب قال قيل يا رسول الله من اهل النار قال من لا يموت
حتى يملأ مسامعه مما يكره انتهى قال ع وفي حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من عبد الا وله في السماء صيت فان كان حسنا وضع في الارض حسنا وان كان سيئا وضع
كذلك قلت وهذا الحديث خرجه ابو داود في كتاب الزهد قوله سبحانه فانما يسرناه بلسانك
اى القرآن لتبشر به المتقين اى بالجنة والنعيم الدائم والعز في الدنيا وقوما لدا هم قريش ومعناه

مجادلين مخاصمين والالد المخاصم المبالغ في ذلك ثم مثل لهم باهلاك من قبلهم اذ كانوا اشد منهم
والالد واعظم قدرا والركز الصوت الخفي بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما سورة طه وهي مكية قوله سبحانه طه ما انزلنا عليك القرآن
لتشقى قيل طه اسم من اسماء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قيل معناه يا رجل بالسريانية وقيل بغيرها من
لغات العجم قال البخاري قال ابن جبير طه يا رجل بالنبطية انتهى وحكى الطبري انها لغة يمنية في عك وانشد الطبري

شعر
دعوت بطه في القتال فلم يجب ... فخفت عليه ان يكون موائلا

وقال آخر
ان السفاهة طه من خلائقكم ... لا بارك الله في القوم الملاعين

وقالت فرقة من العلماء سبب نزول الآية ان قريشا لما نظرت الى عيش النبي صلى الله عليه وسلم وتقشفه وكثرة عبادته
قالت ان محمدا مع ربه في شقاء فنزلت الآية رادة عليهم واسند عياض في الشفا من طريق ابي ذر الهروي عن الربيع
بن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعني طأ الارض
يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من الاكرام له وحسن المعاملة انتهى قال
ع لتشقى الا تذكرة علتان لقوله ما انزلنا انتهى وقد تقدم القول في مسألة الاستواء وبالآية بين
قال ابن هشام قوله تعالى وان تجهر بالقول اى فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى فالجواب محذوف
انتهى قوله سبحانه وهل اتاك حديث موسى اذ راى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس
او اجد على النار هدى هذا الاستفهام هو توقيف مضمنه تنبيه النفس الى استماع ما يورد عليها وهذا كما
يبدأ الرجل اذا اراد اخبارك بامر عجيب فيقول اعلمت كذا وكذا ثم يبدأ يخبرك وكان من قصة موسى عليه
السلام انه رحل من مدين باهله بنت شعيب وهو يريد ارض مصر وقد طالت مدة جنايته هنالك
فرجا خفاء امره وكان فيما يزعمون رجلا غيورا فكان يسير الليل باهله ولا يسير بالنهار مخافة كشف
الناس فضل عن طريقه في ليلة مظلمة فبينما هو كذلك وقد قدح بزنده فلم يور شيئا اذ راى نارا
فقال لاهله امكثوا اى اقيموا وذهب هو الى النار فاذا هي مضطرمة في شجرة خضراء يانعة قيل كانت من عناب
وقيل من عوسج وقيل من عليقة فكلما دنا منها تباعدت منه ومشت فاذا رجع عنها اتبعته فلما راى ذلك
ايقن ان هذا من امور الله الخارقة للعادة ونودي وانقضى امره كله في تلك الليلة هذا قول الجمهور وهو
الحق وما حكي عن ابن عباس انه قال اقام في ذلك الامر حولا فغير صحيح عن ابن عباس وآنست معناه احسست
والقبس الجذوة من النار تكون على راس عود والهدى اراد هدى الطريق اى لعلي اجد مرشدا لي او دليلا
وفي قصة موسى باسرها تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عما لقي في تبليغه من المشقات صلى الله
عليه وعلى آله والضمير في قوله اتاها عائد على النار وقوله نودي كناية عن تكليم الله له وقرأ نافع وغيره
اني بكسر الهمزة على الابتداء وقرأ ابو عمرو وابن كثير اني بفتحها على معنى لاجل اني انا ربك فاخلع نعليك
واختلف في السبب الذي من اجله امر بخلع النعلين فقالت فرقة كانتا من جلد حمار ميت فامر بطرح
النجاسة وقالت فرقة بل كانت نعلاه من جلد بقرة ذكي لكن امر بخلعهما لينال بركة الوادي المقدس
وتمس قدماه تربة الوادي قال ع وتحتمل الآية معنى آخر هو الاليق بها عندي وهو ان الله تعالى امره ان يتأدب
ويتواضع لعظم الحال التي حصل فيها والعرف عند الملوك ان تخلع النعال ويبلغ الانسان الى غاية
تواضعه وكان موسى عليه السلام امر بذلك على هذا الوجه ولا نبالي كيف كانت نعلاه من ميتة او غيرها
والمقدس معناه المطهر وطوى معناه مرتين فقالت فرقة معناه قدس مرتين وقالت فرقة

صميمهم فكانت بصيرته في حمايتهم وكتبه وكان يعرف ذلك أعيان بني إسرائيل ثم وقعت له قضية
القبطي المتقاتل مع الإسرائيلي على ما سيأتي إن شاء الله تعالى وعدد الله سبحانه على موسى في هذه الآية ما تضمنته
هذه القصة من لطفه سبحانه في كل فصل وتخليصه من قصة إلى أخرى وهذه الفتون التي فتنه
بها أي خبره وخلصه حتى صلح للنبوة وسلم لها وقوله ما يوحى أبهم به تعظيما للأمر وجلالته وهذا
كقوله تعالى إذ يغشى السدرة ما يغشى وأوحى إلى عبده ما أوحى وهو كثير في القرآن والكلام الفصيح وقوله
فليلقه اليم خبر خرج في صيغة الأمر مبالغة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم قوموا فلأصل لكم فأخرج
الخبر في صيغة الأمر لنفسه مبالغة وهذا كثير والمراد بالعدو في الآية فرعون ثم أخبر تعالى موسى أنه ألقى عليه
محبة منه فقالت فرقة أراد القبول الذي يضعه الله في الأرض لخيار عباده وكان حظ موسى منه في غاية
الوفر وهذا أقوى ما قيل هنا من الأقوال وقرأ الجمهور ولتصنع بكسر اللام وضم التاء على معنى ولتغذى وتطعم
وتربى وقوله على عيني معناه بمرأى منا وقوله على قدر أي لميقات محدود للنبوة التي قد أرادها الله واصطنعتك
معناه جعلتك موضع الصنيعة ومقر الإجمال والإحسان وقوله لنفسي إضافة تشريف وهذا كما تقول
بيت الله ونحوه والصيالي وعبر بالنفس عن شدة القرب وقوة الاختصاص وقوله سبحانه ولا
تنيا في ذكري معناه لا تبطئا ولا تضعفا تقول ونى فلان يني إذا تباطأ فيه عن ضعف والونى الكلال
والفشل في البهائم والإنس وفي مصحف ابن مسعود ولا تهنا في ذكري معناه لا تلينا من قولك
هين لين فقولا له قولا لينا أي حسنا له الكلمة مع إكمال الدعوة قال ابن العربي في أحكامه
وفي الآية دليل على جواز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللين لمن معه القوة وفي الإسرائيليات أن
موسى أقام بباب فرعون سنة لا يجد من يبلغ كلامه حتى لقيه حين خرج فجرى له ما قص الله علينا
من خبره وكان ذلك تسلية لمن جاء بعده من المؤمنين في سيرتهم مع الظالمين انتهى وقولهما إننا
نخاف أن يفرط معناه يعجل ويتسرع إلينا بمكروه وقوله عز وجل إنني معكما أي بالنصر والمعونة
وقوله سبحانه فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم الآية جملة ما دعي
إليه فرعون الإيمان وإرسال بني إسرائيل وأما تعذيبه بني إسرائيل فبذبح أولادهم وتسخيرهم
وإذلالهم وقولهما والسلام على من اتبع الهدى يحتمل أن يكون آخر كلام فيقوى أن يكون السلام بمعنى
التحية كأنهما رغبا بها عنه وجريا على العرف في التسليم عند الفراغ من القول ويحتمل أن يكون
في درج القول فيكون خبرا بأن السلامة للمهتدين وبهذين المعنيين قال كل فرقة من العلماء وقوله
أعطى كل شيء خلقه قالت فرقة المعنى أعطى كل موجود من مخلوقاته خلقته وصورته
أي أكمل ذلك له وأتقنه ثم هدى أي يسر كل شيء لمنافعه وهذا أحسن ما قيل هنا وأشرف
وأعم في الموجودات وقول فرعون ما بال القرون الأولى يحتمل ما بال القرون الأولى لم تبعث لها
ولم يوجد أمرك عندها ويحتمل أن يريد فرعون قطع الكلام والرجوع إلى سؤال موسى عن حالة
من سلف من الأمم روغانا في الحجة وحيدة وقيل البال الحال فكأنه سأله عن حالهم وقول موسى
علمها عند ربي في كتاب يريد في اللوح المحفوظ ولا يضل معناه لا يتلف ويعمه والأزواج
هنا بمعنى الأنواع وقوله شتى نعت للأزواج أي مختلفة وقوله كلوا وارعوا أنعامكم بمعنى هي
صالحة للأكل والرعي فخرج العبارة في صيغة الأمر لأنه أرجى الأفعال وأهزها للنفوس والنهى جمع
نهية والنهية العقل الناهي عن القبائح وقوله سبحانه منها خلقناكم يريد من الأرض وفيها نعيدكم

أي

أي بالموت والدفن ومنها نخرجكم أي بالبعث يوم القيامة ولقد أريناه آياتنا إخبار لنبينا محمد صلى
الله عليه وسلم وقوله كلها عائد على الآيات التي رآها فرعون لا أنه رأى كل آية لله تبارك وتعالى وإنما المعنى
أن الله أراه آيات ما كاليد والعصا والطمسة وغير ذلك وكانت رؤيته لهذه الآيات مستوعبة يرى الآية
كلها كاملة ومعنى سوى أي عدلا ونصفة أي حالنا فيه مستوية وقالت فرقة معناه مستويا
من الأرض لا وهد فيه ولا نشز فقال موعدكم يوم الزينة وروي أن يوم الزينة كان عيدا لهم ويوما
مشهورا وقيل هو يوم كسر الخليج الباقي إلى اليوم وقوله وأن يحشر الناس عطف على الزينة فهو في موضع
خفض فتولى فرعون فجمع كيده أي جمع السحرة وأمرهم بالإعداد لموسى فهذا هو كيده ثم أتى فرعون
بجمعه فقال موسى للسحرة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا وهذه مخاطبة محذر وندبهم في هذه
الآية إلى قول الحق إذ رأوه وأن لا يباهتوا بكذب فيسحتكم أي يهلككم ويذهبكم فلما سمع السحرة هذه
المقالة هالهم هذا المنزع ووقع في نفوسهم من مهابته شديد موقع وتنازعوا أمرهم والتنازع يقتضي
اختلافا كان بينهم في السر فقائل منهم يقول هو محق وقائل يقول هو مبطل ومعلوم أن جميع تناجيهم إنما
كان في أمر موسى والنجوى المسارة أي كل واحد يناجي من يليه سرا مخافة من فرعون أن يتبين له
فيهم ضعف وقالت فرقة إنما كان تناجيهم بالآية التي بعد هذا وإن هذين لساحران وقرأ نافع وابن عامر
وحمزة والكسائي إن هذان لساحران فقالت فرقة قوله إن بمعنى نعم كما قال صلى الله عليه وسلم
إن الحمد لله برفع الحمد وقالت فرقة إن هذه القراءة على لغة بلحارث بن كعب وهي إبقاء ألف التثنية
في حال النصب وتعزى هذه اللغة لكنانة وتعزى لخثعم وقال الزجاج في الكلام مضمر تقديره إنه هذان لساحران
وقرأ أبو عمرو وحده إن هذين لساحران وقرأ ابن كثير إن هذان لساحران بتخفيف نون إن وتشديد
نون هذان لساحران وقرأ حفص عن عاصم إن بالتخفيف هذان بتخفيفه أيضا لساحران وعبر كثير
من المفسرين عن الطريقة بالسادة أهل العقل والحجا وحكوا أن العرب تقول فلان طريقة قومه أي سيدهم
والأظهر في الطريقة هنا أنها السيرة والمملكة والمثلى تأنيث أمثل أي الفاضلة الحسنة وقرأ جمهور القراء
فأجمعوا بقطع الألف وكسر الميم على معنى أنفذوا واعزموا وقرأ أبو عمرو وحده فاجمعوا من جمع أي ضموا
سحركم بعضه إلى بعض وقوله صفا أي مصطفين وتداعوا إلى هذا لأنه أهيب وأظهر لهم وأفلح معناه ظفر
ببغيته والآية بين مما تقدم وقوله فأوجس عبارة عما يعتري نفس الإنسان إذا وقع ظنه في أمر على شيء
يسوءه وعبر المفسرون عن أوجس بأضمر وهذه العبارة أعم من أوجس بكثير إنك أنت الأعلى أي الغالب وروي
في قصص هذه الآية أن فرعون لعنه الله جلس في علية له طولها ثمانون ذراعا والناس تحته في بسيط وجاء
سبعون ألف ساحر فألقوا من حبالهم وعصيهم ما فيه وقر ثلاثمائة بعير فهال الأمر ثم إن موسى عليه السلام ألقى
عصاه من يده فاستحالت ثعبانا وجعلت تنمو حتى روي أنها عبرت النهر بذنبها وقيل البحر وفرعون في هذا كله يضحك
ويرى أن الاستواء حاصل ثم أقبلت تأكل الحبال والعصي حتى أفنتها ثم فغرت فاها نحو فرعون ففزع عند ذلك
واستغاث بموسى فمد موسى يده إليها فرجعت عصا كما كانت فنظر السحرة وعلموا الحق ورأوا عدم الحبال والعصي
وأيقنوا أن الأمر من الله عز وجل فآمنوا رضي الله عنهم وقوله سبحانه فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب
هرون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من
خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل قال ص في على بابها وقيل بمعنى على ن والأول أصوب ولتعلمن
أينا قوله أينا يريد نفسه ورب موسى عليه السلام وقال الطبري يريد نفسه وموسى والأول أذهب

مع محرفة فرعون وباقي الاية بين ثم قال السحرة لفرعون لن نؤثرك اي لن نفضلك ونفضل
السلامة منك على ما راينا من حجة الله تعالى واياته وعلى الذي فطرنا هذا قول جماعة ان الواو في قوله والذي
عاطفة وقالت فرقة هي واو القسم فطرنا وفطرنا اي خلقنا واخترعنا فافعل يا فرعون ما شئت
وانما قضاؤك في هذه الحيوة الدنيا والاخرة من وراء ذلك لنا بالنعيم ولك بالعذاب الاليم وهؤلاء السحرة
لخلف الناس هل نفذ فيهم وعيد فرعون ام لا والامر في ذلك محتمل وقولهم والله خير وابقى رد
لقول فرعون اينا اشد عذابا وابقى قوله عز وجل انه من يات ربه مجرما فان له جهنم الاية قالت فرقة
هذه الاية بجملتها من كلام السحرة لفرعون على جهة الموعظة والبيان فيما فعلوه وقالت فرقة بل هي من
كلام الله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبه على قبح ما فعل فرعون وحسن ما فعل السحرة وموعظة
وتحذير قد تضمنت القصة المذكورة مثاله وقوله لا يموت فيها ولا يحيى مختص بالكافر فانه
معذب عذابا ينتهي به الى الموت ثم لا يجهز عليه فيستريح بل يعاد جلده ويجدد عذابه واما من يدخل
النار من المؤمنين بالمعاصي فهم قبل ان تخرجهم الشفاعة في غمرة قد قاربوا الموت الا انهم لا يجهز عليهم
ولا يجدد عذابهم فهذا فرق ما بينهم وبين الكفار وفي الحديث الصحيح انهم يماتون فيها اماتة
وهذا هو معناه لانه لا موت في الاخرة وتزكى معناه اطاع الله واخذ بازكى الامور قوله سبحانه ولقد
اوحينا الى موسى هذا استيناف اخبار عن شيء من امور موسى وباقي الاية بين وقد تقدم ذكر ما يخصها من
القصص قوله سبحانه لا تخاف دركا اي من فرعون وجنوده ولا تخشى غرقا من البحر وقوله ما غشيهم
ابهام اهول من النص وهذا كقوله اذ يغشى السدرة ما يغشى واضل فرعون يريد منا ولما مر الى مثل
النهاية وما هدى مطابق لقوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد وقوله يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم
الاية ظاهر هذه الاية ان هذا القول قيل لبني اسرائيل حين عند حلول النعم التي عددها الله عليهم ويحتمل
ان يكون هذه المقالة خوطب بها معاصرو النبي صلى الله عليه وسلم المعنى هذا فعلنا باسلافكم ويكون
الاية على هذا اعتراضا في اثناء قصة موسى القصد به توبيخ هؤلاء الحضور اذلم يصبر سلفهم على اداء شكر نعم الله
تعالى والمعنى الاول اظهر وابين قوله سبحانه وواعدناكم جانب الطور الايمن وقصص هذه الايات ان الله سبحانه
انجى بني اسرائيل واغرق فرعون وعد بني اسرائيل ان يسير الى جانب الطور سيناء ليكلم ربه حسبما ياتي
وقرا جمهور الناس فيحل بكسر الحاء ويحلل بكسر اللام وقرا الكسائي وحده بضمها ومعنى الاول فيجب
ومعنى الثاني فيقع وينزل وهوى معناه سقط اي هوى في جهنم وفي سخط الله عافانا الله من ذلك
ثم رجا سبحانه عباده بقوله واني لغفار لمن تاب الاية والتوبة من ذنب ما نصح مع الاقامة على غيره وهي
توبة مفيدة واذا تاب العبد ثم عاود الذنب بعينه بعد مدة فيحتمل عند حذاق اهل السنة ان لا يعيد الله
تعالى عليه الذنب الاول لان التوبة قد كانت محضة ويحتمل ان يعيده لانها توبة لم يواف بها واضطرب
الناس في قوله سبحانه ثم اهتدى من حيث وجدوا الهدى ضمن الايمان والعمل فقالت فرقة ثم لزم الاسلام
حتى يموت عليه وقيل غير هذا والذي يقوى في معنى ثم اهتدى ان يكون ثم حفظ معتقداته من
ان يخالف الحق في شيء من الاشياء فان الاهتداء على هذا الوجه غير الايمان وغير العمل ورب مؤمن
عمل صالحا فاوبقه عدم الاهتداء كالقدرية والمرجئة وساير اهل البدع فمعنى ثم اهتدى
ثم مشى في عقايد الشرع على طريق قويم جعلنا الله منهم وفي حفظ المعتقدات ينحصر معظم
امر الشرع وقوله سبحانه وما اعجلك عن قومك يا موسى الاية وقصص هذه ان موسى عليه

السلام لما شرع في النهوض ببني اسرائيل الى جانب الطور حيث كان الموعد ان يكلم الله موسى
بما لهم فيه من شرف العاجل والاجل راى موسى عليه السلام على جهة الاجتهاد ان يتقدم
وحده مبادرا لامر الله سبحانه طلبا لرضاه وحرصا على القرب منه وشوقا الى مناجاته واستخلف
عليهم هرون وقال لهم موسى تسيرون الى جانب الطور فلما انتهى موسى عليه السلام وناجاه ربه زاده في
الاجل عشرا وحينئذ وقفه على معنى استعجاله دون القوم ليخبره موسى عليه السلام انهم على الاثر فيقع
الاعلام لهم بما صنعوا واعلمه موسى انه انما استعجلهم طلب الرضا فاعلمه الله سبحانه انه قد فتن بني
اسرائيل اي اختبرهم بما صنعه السامري ويحتمل ان يريد القيناهم في فتنة فلما اخبر الله تعالى موسى
بما وقع رجع موسى الى قومه غضبان اسفا وباقي الاية بين وقد تقدم قصصها مستوفى وسمى
العذاب غضبا من حيث هو عن الغضب وقرا نافع وعاصم بملكنا بفتح الميم وقرا حمزة والكسائي
بملكنا بضمها وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بملكنا بكسرها فاما فتح الميم فهو مصدر من
ملك والمعنى ما فعلنا ذلك بانا ملكنا الصواب ولا وفقنا له بل غلبتنا انفسنا واما كسر الميم فقد كثر
استعماله فيما تحوزه اليد ولكن يستعمل في الامور التي يبرمها الانسان ومعناها كمعنى التي قبلها والمصدر
مضاف في الوجهين الى الفاعل وقولهم ولكنا حملنا اوزارا الاية سموها اوزارا من حيث هي ثقيلة
الاجرام او من حيث تاثموا في قذفها وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي حملنا بفتح الحاء والميم وقولهم فكذلك
القى اي فكما قذفنا نحن فكذلك ايضا القى السامري قال ع وهذه الالفاظ تقتضي ان العجل لم يصنعه
السامري ثم اخبر الله تعالى عن فعل السامري بقوله فاخرج لهم عجلا ومعنى قوله جسدا اي شخصا لا
له وقيل معناه جسدا لا يتغذى والخوار صوت البقر قالت فرقة منهم ابن عباس كان هذا العجل
يخور ويمشي وقيل غير هذا قوله سبحانه فقالوا يعني بني اسرائيل هذا الهكم واله موسى فنسي موسى
الهه وذهب يطلبه في غير موضعه ويحتمل ان يكون قوله فنسي في التاويل الاول بمعنى الذهول
وفي الثاني بمعنى الترك وعلى التاويل الاول عول الطبري وهو ظاهر ولقد قال لهم هرون من قبل ذلك اي من قبل ان ياتي موسى
العجل قول هرون فاتبعوني اي الى الطور الذي وعدكم الله تعالى اليه واطيعوا امري فيما ذكرته لكم فقال
بنو اسرائيل حين وعظهم هرون وندبهم الى الحق لن نبرح عابدين لهذا الاله عاكفين عليه اي ملازمين
له ويحتمل قوله ان لا تتبعني اي بمن معك من بني اسرائيل نحو جبل الطور ويحتمل قوله ان لا تتبعني الى لا تسير
بسيرتي وعلى طريقتي في الاصلاح والتسديد وقوله يا ابن ام قالت فرقة ان هرون لم يكن لموسى اخا
الا من امه قال ع وهذا ضعيف وقالت فرقة كان شقيقه وانما دعاه بالام استعطافا
برحم الام وقول موسى ما خطبك يا سامري هو كما تقول ما شانك وما امرك لكن لفظة الخطب تقتضي
انتهارا لان الخطب مستعمل في المكاره وبصرت بضم الصاد من البصيرة وقرات فرقة بكسرها
فيحتمل ان يراد من البصيرة ويحتمل من البصر وقرا حمزة والكسائي بما لم تبصروا بالتاء من فوق
يريد موسى مع بني اسرائيل والرسول هنا هو جبريل عليه السلام والاثر هو تراب تحت حافر فرسه
وقوله فنبذتها اي على الحلي فكان منها ما تري وكذلك سولت لي نفسي اي وكما وقع وحدث قررته
لي نفسي وجعلته لي سولا واربا حتى فعلته وكان موسى عليه السلام لا يقتل بني اسرائيل الا في حد
او بوحي فعاقبه باجتهاد نفسه بان ابعده ونحاه عن الناس وامر بني اسرائيل باجتنابه واجتناب
قبيلته وان لا يؤاكلوا ولا يناكحوا ونحو هذا وجعل ان يقول مدة حياته لا مساس يعني لا مماسة

دوح

اخبار من الله عن حاله اي نسي دينه وطريق الحق فالضلال

ولا اذا نه وقرا الجمهور لن تخلفه بفتح اللام اى لن يقع فيه خلف وقرا ابن كثير وابو عمرو
وتخلفه بكسر اللام على معنى لن تستطيع الروغان والحيدة عن موعد العذاب ثم وبخه عليه
السلام بقوله وانظر الى الهك الاية وظلت وظل معناه اقام يفعل الشى نهارا ولكنها تستعمل في
الدايب ليلا ونهارا بمثابة طفق وقرا ابن عباس وغيره لنحرقنه بضم الراء وضم النون بمعنى لنبردنه
بالمبرد وقرا نافع وغيره لنحرقنه وهى قراءة تحتمل الحرق بالنار وتحتمل بالمبرد وفي مصحف ابن مسعود
لنذبحنه ثم لنحرقنه ثم لننسفنه وهذه القراءة مع رواية من روى ان العجل صار لحما ودما وعلى
هذه الرواية يتركب ان يكون هناك حرق بنار والا فاذا كان جمادا من ذهب ونحوه فانما هو حرق بمبرد
اللهم الا ان تكون اذابة ويكون النسف مستعملا لتفريقه في اليم مذابا وقرات فرقة لننسفنه بكسر السين
وفرقة بضمها والنسف تفريق الريح الغبار وكل ما هو مثله كتفريق الغربال ونحوه فهو نسف واليم غمر
الماء من بحر او نهر وكلما غمر الانسان من الماء فهو يم والاول في قوله لنحرقنه لام قسم وقال مكي رحمه الله واسند
ان موسى عليه السلام كان مع السبعين في المناجاة وحينئذ وقع امر العجل وان الله اعلم موسى بذلك فكتمه موسى
عنهم وجاء بهم حتى سمعوا لغط بنى اسرائيل حول العجل فحينئذ اعلمهم قال ع وهذه رواية ضعيفة والجمهور على
خلافها وانما تعجل موسى عليه السلام وحده فوقع امر العجل ثم جاء موسى وصنع ما صنع بالعجل ثم خرج
بعد ذلك بالسبعين على معنى الشفاعة في ذنب بنى اسرائيل وان يطلعهم ايضا على امر المناجاة فكان لموسى
عليه السلام نهضتان والله اعلم قوله سبحانه كذلك نقص عليك مخاطبة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
اى كما قصصنا عليك نبأ بنى اسرائيل كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق مدتك والذكر
القران وقوله من اعرض عنه يريد الكفر به وزرقا قالت فرقة معناه يحشرون اول قيامهم
سود الالوان زرق العيون وهو تشويه ثم يعمون بعد ذلك وهى مواطن وقالت فرقة اراد
زرق الالوان وهى غاية في التشويه لانهم يجيئون كلون الرماد ومهيع كلام العرب ان يسمى
هذا اللون ازرق ويتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا اى يتخافت المجرمون بينهم اى يتسارون
والمعنى انهم لهول المطلع وشدة ذهاب اذهانهم قد عزب عنهم قدر مدة لبثهم واختلف الناس
فيما ذا فقالت فرقة في دار الدنيا ومدة العمر وقالت فرقة في الارض مدة البرزخ وامثلهم طريقة
معناه اثبتهم نفسا يقول ان لبثتم الا يوما اى فهم في هذه المقالة يظنون ان هذا قدر لبثهم قوله
سبحانه ويسئلونك عن الجبال الاية السائل قيل رجل من ثقيف وقيل السائل جماعة من المؤمنين وروى
ان الله تعالى يرسل على الجبال فيدكدكها حتى تكون كالعهن المنفوش ثم تتوالى عليها حتى تعيدها كالهباء
المنبث فذلك هو النسف والقاع المستوى من الارض والصفصف نحوه في المعنى والامت ما يعترى الارض
من ارتفاع وانخفاض وقوله لا عوج له يحتمل ان يريد الاخبار به اى لا شك فيه ولا يخالف
وجوده خبره ويحتمل ان يريد لا يجد لاحد عن اتباع الداعي والمشي نحو صوته والخشوع التطامن
والتواضع وهو في الاصوات استعارة بمعنى الخفاء والهمس الصوت الخفى الخافت وهو تخافتهم بينهم
وكلامهم السر ويحتمل ان يريد صوت الاقدام وفي البخاري همسا صوت الاقدام انتهى ومن في
قوله الا من اذن له الرحمن يحتمل ان تكون للشافع ويحتمل ان تكون للمشفوع فيه وعنت الوجوه
معناه ذلت وخضعت ومنه العانى الاسير ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في امر النساء هن عوان
عندكم وهذه حالة الناس يوم القيامة قال ص وعنت عنا يعنو ذل وخضع قال امية بن ابى الصلت

مليك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنو الوجوه وتخضع انتهت
واحاديث الشفاعة قد استفاضت وبلغت حد التواتر ومن اعظمها شفاعة ارحم الراحمين
ففي صحيح مسلم من حديث ابي سعيد الخدري قال فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع
النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما
لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر على افواه الجنة وفيه فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم
الخواتيم يعرفهم اهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه
الحديث وخرج ابو القاسم اسحاق بن ابراهيم الختلي بسنده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا فرغ الله من القضاء بين خلقه اخرج كتابا من تحت العرش ان رحمتي سبقت
غضبي وانا ارحم الراحمين قال فيخرج من النار مثل اهل الجنة او قال مثلي اهل الجنة قال واكثر
ظني انه قال مثلي اهل الجنة مكتوب بين اعينهم عتقاء الله انتهى من التذكرة وقد خاب من حمل ظلما
معناه خاب لم ينجح ولا ظفر بمطلوب والظلم يعم الشرك والمعاصي وخيبة كل حامل بقدر ما حمل
من الظلم وقوله سبحانه ومن يعمل من الصالحات معادل لقوله من حمل ظلما والظلم والهضم هما متقاربان
في المعنى ولكن من حيث تناسقا في هذه الاية ذهب قوم الى تخصيص كل واحد منهما بمعنى
فقالوا الظلم ان تعظم عليه سيآته وتكثر اكثر مما يجب والهضم ان ينقص من حسناته ويبخسها
وكلهم قرا فلا يخاف على الخبر غير ابن كثير فانه قرا فلا يخف على النهى وكذلك انزلناه قرانا
عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم بحسب توقع البشر وترجيهم يتقون الله ويخشون عقابه
فيؤمنون ويتذكرون نعمه عندهم وما حذرهم من اليم عذابه هذا تاويل فرقة في قوله
او يحدث لهم ذكرا وقالت فرقة معناه او يكسبهم شرفا ويبقى عليهم ايمانهم ذكرا صالحا
في الغابرين وقوله سبحانه ولا تعجل بالقران الاية قالت فرقة سببها ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يخاف وقت تكليم جبريل له ان ينسى اول القران فكان يقرا قبل ان يستتم جبريل عليه
السلام الوحى فنزلت في ذلك وهى على هذا في معنى قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل
غير هذا قوله سبحانه ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسى الاية العهد هنا في معنى الوصية والشى الذي عهد الى
ادم عليه السلام هو ان لا يقرب الشجرة ت قال عياض واما قوله سبحانه فعصى ادم ربه فغوى
اى جهل فان الله تعالى اخبر بعذره بقوله تعالى ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسى الاية قيل نسى ولم
ينو المخالفة فلذلك قال تعالى ولم نجد له عزما اى قصدا للمخالفة وقيل غير هذا مما لا ارى له
ذكرها هنا ولله در ابن العربي حيث قال يجب تنزيه الانبياء عما نسبه اليهم الجهال ولكن البارى
سبحانه بحكمه النافذ وقضائه السابق اسلم ادم الى الاكل من الشجرة متعمدا للاكل ناسيا للعهد
فقال في نعته وعصى ادم وقال في بيان عذره ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسى فتعلق العهد
غير متعلق النسيان وجاز للمولى ان يقول في عبده لحقه عصى تثريبا ويعود عليه بفضله
فيقول نسى تقريبا ولا يجوز لاحدنا ان يطلق ذلك على ادم او يذكره الا في تلاوة القران
او قول النبي عليه السلام انتهى من الاحكام قوله سبحانه ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى المعنى ان لك
يا ادم في الجنة نعمة تامة لا يصيبك فيها جوع ولا عرى ولا ظما ولا بروز للشمس يؤذيك
وهو الضحا وقوله فوسوس اليه ص عدى هنا بالى على معنى انهى الوسوسة اليه وفي الاعراف

بالالام فقال ابو البقا بمعنى ذكر لهما انتهى ثم اعلم سبحانه ان من اتبع هداه فلا يضل في الدنيا
ولا يشقى في الاخرة وان من اعرض عن ذكر الله وكفر به فان له معيشة ضنكا والضنك النكد
الشاق من عيش والمنازل ونحو ذلك وهل هذه المعيشة الضنك تكون في الدنيا او في البرزخ
او في الاخرة اقوال ت ويحتمل في الجميع قال القرطبي قال ابو سعيد الخدري وابن مسعود ضنكا
عذاب القبر وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتدرون فيمن انزلت هذه الاية فان
له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى اتدرون ما المعيشة الضنك قالوا الله ورسوله اعلم قال
عذاب الكافر في قبره والذي نفسي بيده انه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا اتدرون ما التنين تسعة وتسعون
حية لكل حية تسعة اروس ينفخن في جسمه ويلسعنه ويخدشنه الى يوم القيمة ويحشر من قبره الى
موقفه اعمى انتهى من التذكرة فان صح هذا الحديث فلا نظر لاحد معه وان لم يصح فالصواب حمل
الاية على عمومها والله اعلم قال الثعلبي قال ابن عباس فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى قال ضمن الله لمن تابع
القران من ان يضل في الدنيا او يشقى في الاخرة وفي لفظ اخر ضمن الله تعالى لمن قرا القران الحديث
وعنه من قرا القران واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيمة سوء الحساب انتهى قوله سبحانه
ونحشره يوم القيمة اعمى قالت فرقة عمى البصر وهذا هو الاوجه واما عمى البصيرة فهو حاصل للكافر
قوله سبحانه كذلك اتتك اياتنا فنسيتها النسيان هنا الترك ولا مدخل للذهول في هذا الموضع وتنسى
ايضا بمعنى تترك في العذاب وقوله سبحانه افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون المعنى ولم يتبين لهم
وقرات فرقة نهد بالنون والمراد بالقرون المهلكين عاد وثمود والطوائف التي كانت قريش تجوز
على بلادهم في المرور الى الشام وغيره ثم اعلم عز وجل نبيه ان العذاب كان يصير لهم لزاما لولا كلمة سبقت
من الله تعالى في تاخيره عنهم الى اجل مسمى عنده فتقدير الكلام ولولا كلمة سبقت في التاخير واجل مسمى لكان
العذاب لزاما كما تقول لو كان حتما او واقعا لكنه قدم واخر لتشتبه رؤوس الاي واختلف في
الاجل المسمى هل هو يوم القيمة او موت كل واحد منهم او يوم بدر وفي صحيح البخاري ان يوم بدر هو
اللزام وهو البطشة الكبرى يعني وقع في البخاري من تفسير ابن مسعود وليس هو من تفسير النبي صلى الله
عليه وسلم قال ص ولزاما اما مصدر واما بمعنى ملزم واجاز ابو البقا ان يكون جمع لازم كقايم
وقيام انتهى ثم امر الله نبيه عليه السلام بالصبر على اقوالهم انه ساحر انه كاهن انه كذاب الى غير ذلك قوله
سبحانه وسبح بحمد ربك قال اكثر المفسرين هذه اشارات الى الصلوات الخمس فقبل طلوع الشمس صلاة الصبح
وقبل غروبها صلاة العصر ومن اناء الليل العشاء واطراف النهار المغرب والظهر قال ابن العربي والصحيح
ان المغرب من طرف الليل لا من طرف النهار انتهى من الاحكام وقالت فرقة اناء الليل المغرب والعشاء واطراف
النهار الظهر وحدها ويحتمل اللفظ ان يراد به قول سبحان الله وبحمده وقالت فرقة في الاية
اشارة الى نوافل فمنها اناء الليل ومنها قبل طلوع الشمس ركعتا الفجر ويتعذر على هذا التاويل قوله وقبل غروبها
اذ ليس ذلك الوقت وقت نفل على ما علم الا ان يتاول ما قبل الغروب بما قبل العصر وفيه بعد قال ص
بحمد ربك في موضع الحال اي وانت حامد انتهى وقرا الجمهور لعلك ترضى بفتح التاء اي لعلك تثاب
على هذه الاعمال بما ترضى به قال ابن العربي في احكامه وهذه الاية تماثل قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك
فترضى وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال انكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر فان استطعتم ان
لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس يعني صلاة الصبح وقبل غروبها فافعلوا وفي الحديث الصحيح ايضا

من صلى البردين دخل الجنة انتهى وقرا الكسائي وابو بكر عن عاصم ترضى اي لعلك تعطى ما يرضيك
ثم امر سبحانه نبيه بالاحتقار لشان الكفرة والاعراض عن اموالهم وما في ايديهم من الدنيا اذ ذلك
منحسر عنهم صاير الى خزي والازواج الانواع فكانه قال الى ما متعنا به اقواما منهم واصنافا وقوله زهرة
الحياة الدنيا شبه سبحانه نعم هولاء الكفرة بالزهر وهو ما اصفر من النور وقيل الزهر النور جملة
لان الزهر له منظر ثم يضمحل عن قرب فكذلك مال هولاء ثم اخبر سبحانه نبيه ان ذلك انما هو ليختبرهم
ويجعله فتنة لهم وامرا يجازون عليه اسوء الجزاء لفساد تقلبهم فيه ص وزهرة منصوب على الذم او مفعول
ثان لمتعنا مضمن معنى اعطينا انتهى ورزق الله تعالى الذي احله للمتقين من عباده خير وابقى اي رزق
الدنيا خير ورزق الاخرة ابقى وبين انه خير من رزق الدنيا ثم امره سبحانه بان يامر اهله بالصلاة و
يمتثلها معهم ويصطبر عليها ويلازمها وتكفل هو سبحانه برزقه لا اله الا هو واخبر ان العاقبة للمتقين
بنصره في الدنيا ورحمته في الاخرة وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل في عمومه جميع امته وروي
ان عروة بن الزبير كان اذا راى شيئا من اخبار السلاطين واحوالهم بادر الى منزله فدخله وهو يقرا ولا تمدن
عينيك الاية الى قوله وابقى ثم ينادي الصلاة الصلاة يرحمكم الله ويصلي وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوقظ اهل
داره لصلاة الليل ويصلي هو ويتمثل بالاية قال الداودي وعن عبد الله بن سلام قال كان النبي صلى الله عليه
وسلم اذا نزل باهله ضيق او شدة امرهم بالصلاة ثم قرا وامر اهلك بالصلاة الى قوله للتقوى انتهى قال
ابن عطاء الله في التنوير واعلم ان هذه الاية علمت اهل الفهم عن الله سبحانه كيف يطلبون رزقهم فاذا
توقفت عليهم اسباب المعيشة اكثروا من الخدمة والموافقة وقرعوا باب الرزق بمعاملة الرزاق
ثم قال وسمعت شيخنا ابا العباس المرسي يقول والله ما رايت العز الا في رفع الهمة عن الخلق واذكر
رحمك الله هنا ولله العزة ولرسوله فمن العز الذي اعز الله به المومن رفع همته الى مولاه وثقته به
دون من سواه واستحي من الله بعد ان كساك حلة الايمان وزينك بزينة العرفان ان تستولي عليك
الغفلة والنسيان حتى تميل الى الاكوان او تطلب من غيره وجود احسان ثم قال ورفع الهمة عن الخلق هو
ميزان ذوي الكمال ومسبار الرجال وكما توزن الذوات كذلك توزن الاحوال والصفات انتهى ومن
كتاب صفوة التصوف لابي الفضل محمد بن طاهر المقدسي الحافظ حدث بسنده عن ابن عمر قال اتى النبي
صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله حدثني حديثا واجعله موجزا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
صل صلاة مودع كانك تراه فان كنت لا تراه فانه يراك واياس مما في ايدي الناس تعش غنيا واياك
وما يعتذر منه ورواه ابو ايوب الانصاري بمثله عن النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وقالوا لولا ياتينا
بآية من ربه اي بعلامة مما اقترحناها عليه ثم وبخهم سبحانه بقوله اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى
اي التوراة وغيرها ففيها اعظم شاهد واكبر اية له سبحانه وقوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله
اي من قبل ارسالنا اليهم محمدا لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا الاية وروى ابو سعيد الخدري عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال يحتج على الله تعالى يوم القيمة ثلاثة الهالك في الفترة والمغلوب على عقله والصبي الصغير
فيقول المغلوب على عقله رب لم تجعل لي عقلا ويقول الصبي نحوه ويقول الهالك في الفترة رب لم ترسل
الي رسولا ولو جاءني لكنت اطوع خلقك لك قال فترفع لهم نار ويقال لهم ردوها فيردها من كان في
علم الله انه سعيد ويكع عنها الشقي فيقول الله تعالى اياي عصيتم فكيف برسلي لو اتتكم قال ع اما الصبي
والمغلوب على عقله فبين امرهما واما صاحب الفترة فليس ككفار قريش قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لان

لان كفار قريش وغيرهم ممن علم وسمع عن نبوة ورسالة في اقطار الارض ليس بصاحب فترة وقد قال صلى الله
عليه وسلم ابي وابوك في النار ورأى عمرو بن لحي في النار الى غير هذا مما يطول ذكره وانما صاحب الفترة
يفرض ادمي لم يطرأ اليه ان الله بعث رسولاً ولا دعى الى دين وهذا قليل الوجود الان يشذ في اطراف
الارض والمواضع المنقطعة عن العمران والصحيح ان شاء الله ان اولاد المشركين في الجنة واما
اولاد المسلمين ففي الجنة من غير شك متفق عليه وقد اسند ابو عمر في التمهيد من طريق انس عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال سألت ربي اللاهين من ذرية البشر ان لا يعذبهم فاعطانيهم قال ابو عمر عن انس عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اولاد المشركين خدم اهل الجنة وذكر البخاري حديث الرؤيا الطويل وفيه
واما الرجل الطويل الذي في الروضة فانه ابراهيم عليه السلام واما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة
قال فقيل يا رسول الله واولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واولاد المشركين
وفيه وانه والصبيان حوله اولاد الناس وظاهره العموم في جميع اولاد الناس انتهى من التمهيد والذل
والخزي مقترنان بعذاب الاخرة وقوله قل كل الى كل منا ومنكم متربص والتربص التأني والصراط الطريق
وهذا وعيد بين والله الموفق بفضله بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما سورة الانبياء عليهم السلام مكية باجماع
قوله عز وجل اقترب للناس حسابهم الاية روي ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كان يبني جدارا فمر به اخر يوم نزول هذه السورة فقال الذي يبني الجدار ماذا انزل اليوم من القرآن
فقال الاخر نزل اليوم اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون فنفض يده من
البنيان وقال والله لا بنيت قال ابو بكر بن العربي قال لي شيخي في العبادة لا يذهب لك
الزمان في مصاولة الاقران ومواصلة الاخوان ولم ار للخلاص شيئا اقرب من طريقين اما
ان يغلق الانسان على نفسه بابه واما ان يخرج الى موضع لا يعرف فيه فان اضطر الى مخالطة الناس
فليكن معهم ببدنه ويفارقهم بقلبه ولسانه فان لم يستطع فبقلبه ولا يفارق السكوت قال
طيبي في الحفيد ولايتها انشد

انست بوحدتي ولزمت بيتي فدام الانس لي ونمى السرور
وادبني الزمان فلا ابالي هجرت فلا ازار ولا ازور
ولست بسائل ما دمت حيا اسار الجيش ام ركب الامير

انتهى من التذكرة وقوله اقترب للناس حسابهم عام في جميع الناس وان كان المشار اليه في ذلك
الوقت كفار قريش ويدل على ذلك ما بعد من الايات قال ع اقترب بمعنى الفعل المجرد
وهو قرب وقيل اقترب ابلغ للزيادة وهم في غفلة الواو للحال انتهى وقوله وهم في غفلة
معرضون يريد الكفار ويأخذ عصاة المؤمنين من هذه الالفاظ قسطهم ت ايها الاخ اشعر
قلبك مهابة ربك فانه مالك . وتاهب للقدوم عليه فقد ان ارتحالك . انتبه من
سكرة لذاتك وعيشة شهواتك . واغنم غفلاتك . ومقراض الفنا يعمل في ثوب حياتك .
ويفصل اجزاء عمرك جزءا جزءا في سائر ساعاتك . كل نفس من انفاسك جزء منقرض من
جملة ذاتك . وبذهاب الاجزاء تذهب الجمل . انتهى جملة تولد خذاها دها وابعاضها الى ان
يستوفي سائرها عساكر الاقضية والاقدار . محدقة باسوار الاعمار تهدمها بمعاول
الليل والنهار . فلو اضاء لنا مصباح الاعتبار . لم يبق لنا في جميع اوقاتنا سكون ولا قرار .

انتهى

انتهى من الكلام القارفيه في الحكم الحقيقية قوله ما يأتيهم من ذكر وما بعده مخصوص بالكفار
الذكر القرآن ومعناه محدث نزوله لا هو في نفسه وقوله وهم يلعبون جملة في موضع الحال اي
استماعهم في حال لعب فهو غير نافع ولا واصل الى النفس وقوله لاهية حال بعد حال واختلف النحاة
في اعراب قوله واسروا النجوى الذين ظلموا ومذهب سيبويه رحمه الله ان الضمير في اسروا فاعل وان
الذين بدل منه قال وليس في القرآن لغة من قال اكلوني البراغيث ومعنى اسروا النجوى تكلموا بينهم في السر
والمناجاة بعضهم لبعض وقال ابو عبيدة اسروا اظهروا وهو من الاضداد ثم بين تعالى الامر الذي
تناجوا به وهو قول بعضهم لبعض هل هذا الا بشر مثلكم ثم قال بعضهم لبعض على جهة التوبيخ بزعمهم
افتأتون السحر المعنى افتتبعون السحر وانتم تبصرون ثم امر الله تعالى نبيه ان يقول لهم وللناس
جميعا قل ربي يعلم القول في السماء والارض اي يعلم اقوالكم هذه وهو بالمرصاد في المجازاة عليها ثم
عدد سبحانه جميع ما قالته طوائفهم ووضع الاضراب بكل مقالة عن المتقدمة لها ليبين
اضطراب امرهم فقال بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر والاضغاث الاخلاط ثم
قوله سبحانه اقتراحهم انه نصطرهم كناقة صالح وغيرها وقولهم كما ارسل الاولون دال على
معرفتهم باتيان الرسل الامم المتقدمة وقوله سبحانه ما امنت قبلهم المعنى محذوف يدل عليه
تقديره والاية التي طلبوها عادتنا ان القوم ان كفروا بها عاجلناهم وما امنت قرية من
القرى التي نزلت بها هذه الاية الا فهذه كانت تؤمن وقوله اهلكناها جملة في موضع الصفة
لقرية والجمل اذا اتبعت النكرات فهي صفات لها واذا اتبعت المعارف فهي احوال منها وقوله سبحانه
وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا اهل الذكر الاية هذه الاية رد على من استبعد
منهم ان يبعث الله بشرا رسولا والذكر كل ما يأتي من تذكير الله عباده فاهل القرآن اهل ذكر
واما المحال على سؤالهم في هذه الاية فلا يصح ان يكون اهل القرآن في ذلك الوقت لانهم كانوا
خصومهم وانما احيلوا على سؤال احبار اهل الكتاب من حيث كانوا موافقين لقريش على ترك الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله سبحانه وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام قيل الجسد من
الاشياء ما لا يتغذى وقيل الجسد يعم المتغذي من الاجسام وغير المتغذي فجعلهم جسدا على التأويل
الاول منفي وعلى الثاني موجب والنفي واقع على صفته وقوله سبحانه ثم صدقناهم الوعد
الاية هذه اية وعيد وقوله ومن نشاء يعني من المؤمنين والمسرفون الكفار ثم وبخهم سبحانه
بقوله لقد انزلنا اليكم كتابا يعني القرآن فيه ذكركم اي شرفكم وذكركم اخر الدهر وفي هذا
تحريض لهم ثم اكد التحريض بقوله افلا تعقلون وكم للتكثير وقصمنا معناه اهلكنا واصل
القصم الكسر في الاجرام فاذا استعير للقوم والقرية ونحو ذلك فهو ما يشبه الكسر وهو اهلاك
وانشأنا اي بثثنا امة اخرى غير المهلكة وقوله فلما احسوا باسنا وصف عن حال قرية من قرى
المجملة ولا قيل كانت باليمن تسمى حضور بعث الله اليها رسولا فقتلوه فارسل الله عليهم بخت نصر صاحب
بني اسرائيل فهزم مواجيشه مرتين فنهض في الثالثة بنفسه فلما هزمهم واخذ القتل فيهم ركضوا
هاربين ويحتمل ان لا يريد قرية بعينها وان هذا حال كل قرية من القرى المعذبة اذا احسوا
بالعذاب اي من اي نوع كان اخذوا في الفرار واحسوا باشروه بالحواس ص اذا هم منها
يركضون اذا الفجائية وهي وما بعدها جواب لما انتهى وقوله لا تركضوا يحتمل على الرواية

المتقدمة ان يكون من قول رجال بخت نصر على جهة الخداع والاستهزاء بهم فلما انهزموا زاجرهم
امر بخت نصر ان ينادى فيهم يا ثارات النبى المقتول فقتلوا بالسيف عن آخرهم قال ع وهذا كله
مروى ويحتمل ان يكون لا تركضوا الى آخر الآية من كلام ملائكة العذاب على جهة الهزء بهم وقوله
حصيدا اى بالعذاب كحصيد الزرع بالمنجل وخامدين اى موتى مشبهين بالنار اذا طفيت ثم
وعظ سبحانه الناس معتبرين بقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وقوله سبحانه
لو اردنا ان نتخذ لهوا الآية ظاهر الآية الرد على من قال من الكفار فى امر مريم وما ضارعه من
الكفر تعالى الله عن قول المبطلين وان فى قوله ان كنا فاعلين يحتمل ان تكون شرطية ويحتمل ان تكون
نافية بمعنى ما كنا فاعلين وكل هذا قد قيل والحق عام فى القران والرسالة والشرع وكل ما هو حق و
يدمغه معناه يصيبه فى دماغه وذلك مهلك فى البشر فكذلك الحق يهلك الباطل والويل الخزى وقيل
اسم واد فى جهنم وانه المراد فى هذه الآية وهذه مخاطبة للكفار الذين وصفوا الله عز وجل بما لا يجوز
عليه تعالى الله عن قولهم وقوله ومن عنده الآية عند هنا ليست فى المسافة انما هى تشريف فى
المنزلة ولا يستحسرون اى لا يكلون والحسير من الابل المعيى وقوله لا يفترون وفى الترمذى
عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى ارى ما لا تعلمون واسمع ما لا تسمعون اطت
السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله الحديث
قال ابو عيسى هذا حديث صحيح وفى الباب عن عائشة وابن عباس وانس انتهى من اصل الترمذى اعنى
جامعه وقوله سبحانه ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون اى يحيون غيرهم ثم بين تعالى
امر التمانع بقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقد تقدم ايضاح ذلك عند قوله تعالى
اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا وقوله هذا ذكر من معى وذكر من قبلى يحتمل ان يريد بالاشارة بقوله
هذا جميع الكتب المنزلة قديمها وحديثها انها تبين ان الخالق واحد لا شريك له ويحتمل ان
يريد بقوله هذا القران والمعنى فيه نبا الاولين والاخرين بنص اخبار الاولين وذكر الغيوب
فى امورهم حسب ما هى فى الامور المتقدمة وذكر الاخرين بالدعوة وبيان الشرع لهم ثم حكم
عليهم سبحانه بان اكثرهم لا يعلمون الحق لاعراضهم عنه وليس المعنى فهم معرضون وكذلك
لانهم لا يعلمون بل المعنى فهم معرضون
لا يعلمون الحق وبالآية بين ثم عدد سبحانه نوعا آخر من كفرهم بقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
الآية كقول بعضهم اتخذ الملائكة بنات وكمقالة النصارى فى عيسى بن مريم واليهود فى عزير
قوله سبحانه بل عباد مكرمون عباد تشمل الملائكة وعيسى وعزيرا قال ص بل اضراب عن نسبة
الولد اليه تعالى عن ذلك وعباد خبر مبتدا محذوف اى هم عباد قاله ابو البقاء انتهى قوله
سبحانه لا يسبقونه بالقول عبارة عن حسن طاعتهم ومراعاتهم لامتثال الامر ثم اخبر سبحانه
انهم لا يشفعون الا لمن ارتضى الله ان يشفع له قال بعض المفسرين لاهل لا اله الا الله والمشفق
المبالغ فى الخوف المحترق النفس من الفزع على امر ما قوله سبحانه ومن يقل منهم انى اله من دونه
الآية المعنى ومن يقل منهم كذا ان لو قاله وليس منهم من قال هذا وقال بعض المفسرين المراد بقوله
ومن يقل الآية ابليس وهذا ضعيف لان ابليس لم يرو قط انه ادعى ربوبية ثم وقفهم سبحانه على
عبرة دالة على وحدانيته جلت قدرته فقال اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا
والرتق الملتصق بعضه ببعض الذى لا صدع فيه ولا فتح ومنه امراة رتقاء والخلف فى معنى

قوله

قوله كانتا رتقا ففتقناهما فقالت فرقة كانت السماء ملتصقة بالارض ففتقهما الله بالهواء
وقالت فرقة كانت السموات ملتصقة بعضها ببعض والارضون كذلك ففتقهما الله سبحانه وتعالى
وعلى هذين القولين الرؤية الموقف عليها رؤية القلب وقالت فرقة السماء قبل المطر رتق والارض
قبل النبات رتق ففتقهما الله بالمطر والنبات كما قال تعالى والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع و
هذا قول حسن يجمع العبرة وتعديد النعمة والحجة بمحسوس بين ويناسب قوله تعالى وجعلنا من الماء
كل شئ حى اى من الماء الذى كان عن الفتق فيظهر معنى الآية ويتوجه الاعتبار وقالت فرقة السماء
والارض رتق بالظلمة ففتقهما الله بالضوء والرؤية على هذين القولين رؤية العين وباقى
الآية بين قال ص قال الزجاج السموات جمع اريد به الواحد ولذا قال كانتا وقال الحوفى كانتا والسموات
جمع لانه اراد الصنفين انتهى وقوله سقفا محفوظا الحفظ هنا عام فى الحفظ من الشياطين ومن
الوهاء والسقوط وغير ذلك من الآفات والفلك الجسم الدائر دوران اليوم والليلة ويسبحون معناه
يتصرفون وقالت فرقة الفلك موج مكفوف وراوا قوله يسبحون من السباحة وهى العوم وقوله سبحانه
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد الآية وتقدير الكلام افهم الخالدون ان مت وقوله سبحانه كل نفس ذائقة
الموت الآية موعظة بليغة لمن وفق قال ابو نعيم كان الثورى اذا ذكر الموت لا ينتفع به اياما انتهى من التذكرة
للقرطبى وفى العاقبة لعبد الحق وقد امر النبى صلى الله عليه وسلم بذكر الموت واعاد القول فيه تهويلا
لامره وتعظيما لشانه ثم قال واعلم ان كثرة ذكر الموت يردع عن المعاصى ويلين القلب القاسى فالحزن
ما دام عاقلا فقط الا وجدته حذرا من الموت حزينا من اجله ثم قال واعلم ان طول الامل يكسل
عن العمل ويورث التوانى ويخلد الى الارض ويميل الى الهوى وهذا امر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج الى بيان ولا يطلب
صاحبه ببرهان كما ان قصره يبعث على العمل ويحمل على المبادرة ويحث على المسابقة قال النبى صلى الله
انا النذير والموت المغير والساعة الموعد ذكره الفقيه ابو الحسن بن صخر فى الفوائد انتهى ونبلوكم
معناه نختبركم وقدم الشر عن لفظة الخير لان ان تقدم الاقل والاردى ومنه قوله تعالى
فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فبدا فى التقسيم بامة محمد بالظالم وفتنة معناه
امتحانا قوله سبحانه واذا رآك الذين كفروا يعنى ابا جهل وغيره وان بمعنى ما وفى الكلام حذف تقديره
يقولون اهذا الذى قال ص ان نافية والظاهر انها وما دخلت عليه جواب اذا انتهى وقوله سبحانه
وهم بذكر الرحمن هم كافرون روى ان الآية نزلت حين انكروا هذه اللفظة وقالوا ما نعرف الرحمن
الا فى اليمامة وظاهر الكلام ان الرحمن قصد به العبارة عن الله تعالى ووصف سبحانه الانسان الذى هو اسم جنس بانه
خلق من عجل وهذا على جهة المبالغة كما تقول للرجل البطال انت من لعب ولهو قوله سبحانه لو يعلم الذين كفروا
حين لا يكفون عن وجوههم النار الآية حذف جواب لو ايجازا لدلالة الكلام عليه وتقدير المحذوف لما
استعجلوا ونحوه وذكر الوجوه لشرفها من الانسان ثم ذكر الظهور ليبين عموم النار لجميع ابدانهم
والضمير فى قوله بل تاتيهم بغتة للساعة التى تصيرهم الى العذاب ويحتمل ان يكون للنار وينظرون معناه
يؤخرون وحاق معناه حل ونزل ويكلؤكم اى يحفظكم وقوله سبحانه ولا هم منا يصحبون يحتمل
وتزكيته ونحو هذا وقوله افلا يرون انا ناتى الارض ننقصها من اطرافها الآية ناتى الارض معناه
بالقدرة ونقص الارض اما ان يريد بتخريب المعمور واما بموت البشر وقال قوم النقص من الاطراف
موت العلماء ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم متوعدا لهولاء الكفرة بقوله ولئن

مستهم نفحة من عذاب ربك الاية والنفحة الخطرة والمسة والمعنى ولئن مستهم صدمة من عذاب لبندمن
وليقرن بظلمهم وبافى الاية بين وقال الثعلبى نفحة اى طرف قاله ابن عباس انتهى وقوله سبحانه اليوم القيمة قال
ابو حيان اللام للظرفية بمعنى فى انتهى وذكر القرطبى فى تذكرته قال العلماء اذا انقضى الحساب كان بعده وزن
الاعمال لان الوزن للجزاء فينبغى ان يكون بعد المحاسبة واختلف فى الميزان والحوض ايهما قبل الاخر قال ابو الحسن
القابسى والصحيح ان الحوض قبل الميزان وذهب صاحب القوت وغيره الى ان حوض النبى صلى الله عليه وسلم انما هو بعد الصراط
قال القرطبى والصحيح ان للنبى صلى الله عليه وسلم حوضين وكلاهما يسمى كوثرا وان الحوض الذى يذاد عنه
من بدل وغير يكون فى الموقف قبل الصراط وكذلك حياض الانبياء عليهم السلام تكون فى الموقف على ما ورد فى ذلك من
الاخبار انتهى والفرقان الذى اوتى موسى وهرون قيل التوراة وهى الضياء والذكر وقالت فرقة الفرقان هو ما رزقهما
الله تعالى من نصر وظهور على فرعون وغير ذلك والضياء التوراة والذكر بمعنى التذكرة وقوله سبحانه وهذا
ذكر مبارك يعنى القران ثم وقفهم سبحانه تقريرا وتوبيخا هل يصح لهم انكار بركته وما فيه من الدعاء الى الله
والى صالح العمل وقوله سبحانه ولقد اتينا ابراهيم رشده الاية الرشد عام فى جميع المراشد وانواع الخيرات
قال الثعلبى رشده اى توفيقه وقيل صلاحه انتهى وقوله وكنا به عالمين مدح لابراهيم عليه السلام اى عالمين بما
اهل له وهذا نحو قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته والتماثيل الاصنام وقوله وتالله لاكيدن اصنامكم
الاية روى انه حضرهم عيد لهم فعزم قوم منهم على ابراهيم فى حضوره طمعا منهم ان يستحسن شيئا من احوالهم
فمشى معهم فلما كان فى الطريق انثنى عزمه على التخلف عنهم فقعد وقال لهم انى سقيم فمر به جمهورهم ثم قال فى خلوة من نفسه
وتالله لاكيدن اصنامكم فسمعه قوم من ضعفتهم ممن كان يسير فى اخر الناس وقوله بعد ان تولوا مدبرين معناه
الى عيدهم ثم انصرف ابراهيم عليه السلام الى بيت اصنامهم فدخله ومعه قدوم فوجد الاصنام قد وقفت
اول ثم الذى يليه فالذى يليه وقد جعلوا اطعمتهم فى ذلك اليوم بين يدى الاصنام تبركا لينصرفوا من ذلك العيد
الى اكله فجعل عليه السلام يقطعها بذلك القدوم ويهشمها حتى افسد اشكالها حاشا الكبير فانه تركه بحاله
وعلق القدوم فى يده وخرج عنها وجذاذا معناه قطعا صغارا والجذ القطع والضمير فى اليه اظهر ما فيه انه عائد
على ابراهيم اى فعل هذا كله توخيا منه ان يعقب ذلك منهم رجعة اليه والى شرعه ويحتمل ان يعود على
كبيرهم وقوله سبحانه من فعل هذا الاية المعنى فانصرفوا من عيدهم فراوا ما حدث بالهتهم فقالوا من فعل
هذا بالهتنا وقالوا الثانى الضمير فيه للقوم الضعفة الذين سمعوا قول ابرهيم تالله لاكيدن اصنامكم وقوله
على اعين الناس يريد فى الحفل وبمحضر الجمهور وقوله يشهدون يحتمل ان يريد الشهادة عليه بفعله او بقوله
او غلبة لعوديه الى عقوبته وقوله سبحانه بل فعله كبيرهم هذا معنى الاحتجاج عليهم اى انه غار من ان يعبد هو
وتعبد الصغار معه ففعل هذا بها لذلك وفى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابرهيم
الا ثلاث كذبات قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله للملك هى اختى وكانت مقالته هذه فى ذات الله
وذهبت فرقة الى ان معنى الحديث لم يكذب ابراهيم اى لم يقل كلاما ظاهره الكذب ويشبه الكذب
وذهبت الفراء الى جهة اخرى فى التاويل بان قال قوله فعله ليس من الفعل وانما هو فلعله على جهة التوقع
حذف اللام على قوله علة بمعنى لعله ثم خففت اللام ع وهذا تكلف قال عياض واعلم اكرمك الله ان هذه
الكلمات كلها خارجة عن الكذب لا فى القصد ولا فى غيره وهى داخلة فى باب المعاريض التى فيها مندوحة
عن الكذب فاما قوله بل فعله كبيرهم هذا فانه علق خبره بشرط نطقه وكانه قال ان كان ينطق فهو فعله
على طريق التبكيت لقومه انتهى ثم ذكر بقية التوجيه وهو واضح لا نطيل بذكره قوله سبحانه فرجعوا الى

قالوا م

لاكيدن ... بشاهدون عقوبته

انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون اى فى توقيف هذا الرجل على هذا الفعل وانتم معكم من تسئلون
ثم راوا ببديهة العقل ان الاصنام لا تنطق فقالوا لابراهيم حين نكسوا فى حيرتهم لقد علمت ما هؤلاء
ينطقون فوجدها ابرهيم عند هذه المقالة موضع الحجة ووقفهم موبخا لهم بقوله افتعبدون من دون
الله ما لا ينفعكم شيئا الاية ثم حقرشانهم وشانها فى قوله اف لكم ولما تعبدون من دون الله الاية
ص وقولهم لقد علمت جواب قسم محذوف معمول للقول محذوف فى موضع الحال اى قائلين لقد علمت انتهى وقال
الثعلبى فرجعوا الى انفسهم تفكروا بعقولهم فقالوا ما نراه الا كما قال انكم انتم الظالمون فى عبادتكم الاصنام
الصغار مع هذا الكبير انتهى وما قدمناه عن ع هو الاوجه وافّ لفظة تقال عند المستقذرات من الاشياء
ويستعار ذلك للمستقبح من المعانى ثم اخذتهم العزة بالاثم وانصرفوا الى طريق الغلبة والغشم فقالوا حرقوه
وروى ان قائل هذه المقالة رجل من الاكراد من اعراب فارس اى من باديتها فخسف الله به الارض فهو
يتجلجل فيها الى يوم القيمة وروى انه لما اجمع امرهم على تحريقه حبسه نمرود الملك وامر بجمع الحطب حتى
اجتمع منه ما شاء الله ثم اضرم نارا فلما ارادوا طرح ابرهيم لم يقدروا على القرب منها فجاءهم ابليس
لعنه الله فى صورة شيخ فقال لهم انا اصنع لكم الة يلقى بها فعلمهم صنعة المنجنيق ثم اخرج ابرهيم عليه السلام فشد
رباطا ووضع فى كفة المنجنيق ورمى به فتلقاه جبريل فقال له الك حاجة فقال اما اليك فلا ت قال
ابن عطاء الله فى التنوير وكن ابراهيميا اذ زج به فى المنجنيق فتعرض له جبريل فقال الك حاجة فقال اما
اليك فلا واما الى الله فبلى قال فاساله قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فانظر كيف رفع همته عن الخلق ووجهها الى
الملك الحق فلم يستغث بجبريل ولا احتال على السؤال بل راى ربه اقرب اليه من جبريل ومن سؤاله
فلذلك سلمه من نمرود ونكاله وانعم عليه بنواله وافضاله انتهى وقوله سبحانه قلنا يا نار كونى بردا
وسلاما قال بعض العلماء فيما روى ان الله لو لم يقل وسلاما لهلك ابرهيم من برد النار وروى انه لما
وقع فى النار سلمه الله واحترق الحبل الذى ربط به وقد اكثر الناس فى قصته فاختصرناه لعدم صحة اكثره
وروى ان ابراهيم كان له بساط وطعام فى تلك النار كل ذلك من الجنة وروى ان العيدان اينعت واثمرت
له هنالك ثمارها وروى انه لو ان هذه النار مسجونة لا تحرق فرموا فيها شيخا منهم فاحترق
والله اعلم بما كان من ذلك ت قال صاحب المغنم فى اسم الله الاعظم وهو من الائمة المحدثين وعن الامام
احمد بن حنبل رحمه الله انه يكتب للمحموم ويعلق عليه بسم الله الرحمن الرحيم بالله يا الله محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم اللهم رب جبريل وميكائيل اشف حامله
بحولك وقوتك وجبروتك يا ارحم الراحمين انتهى وقوله وسلاما معناه وسلامة والكيد هو
ما ارادوه من حرقه قوله سبحانه ونجيناه ولوطا الاية روى ان ابراهيم عليه السلام لما خرج من النار
احضره النمرود وقال له فى بعض قوله يا ابراهيم اين جنود ربك الذى تزعم فقال ابراهيم سيريك فعل
اضعف جنوده فبعث الله تعالى على نمرود واصحابه سحابة من بعوض فاكلتهم عن اخرهم ودوابهم حتى كانت
العظام تلوح بيضا ودخلت منها بعوضة فى راس نمرود فكان راسه يضرب بالعيدان وغيرها ثم هلك
وخرج ابراهيم عليه السلام وابن اخيه لوطا من تلك الارض مهاجرين وهى كوثا من العراق ومع
ابراهيم ابنة عمه سارة زوجته وفى تلك السفرة لقى الجبار الذى رام اخذها منه واختلف فى الارض التى
بورك فيها ونجى اليها ابراهيم ولوط عليهما السلام فقالت فرقة هى مكة وقال الجمهور فنزل ابراهيم بالسبع
من ارض فلسطين وهى برية الشام ونزل لوط بالمؤتفكة والنافلة العطية وباقى الاية بين

وخبائث قرية لوط هو اتيان الذكور وتضارطهم في مجالسهم الى غير ذلك من قبيح افعالهم
وقوله سبحانه في نوح ونصرناه من القوم الاية لما كان حاصل نصرته النجاة وكانت غلبة قومه بامر اجنبي
منه حسن ان يقول نصرناه من القوم ولا تتمكن هنا على ما قاله ص عدي نصرناه بمن لتضمنه
معنى نجيناه وعصمناه ومنعناه وقال ابو عبيدة من بمعنى على قلت وهذا اولى واما الاول ففيه نظر
لان تلك الالفاظ المقدرة كلها غير مرادفة لنصرنا انتهى ت وكذا يظهر من كلام ابن هشام ترجيح كما في
وذكر هولاء الانبياء عليهم السلام ضرب مثل لقصة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه ونجاة
الانبياء عليهم السلام وهلاك مكذبيهم ضمنها توعد لكفار قريش قوله تعالى وداود وسليمن المعنى واذكر داود
وسليمن هكذا قدره جماعة من المفسرين ويحتمل ان يكون المعنى واتينا داود و النفش الرعي ليلا وقضى
الحكم في الاسلام تضمين ارباب الغنم ما افسدت بالليل لان على اهلها ان تثقفوها وعلى اهل الزرع حفظها
بالنهار هذا مقتضى الحديث في ناقة البراء بن عازب وهو مذهب مالك وجمهور الائمة وفي كتاب
ابن سحنون ان الحديث انما جاء في امثال المدينة التي هي حيطان محدقة واما البلاد التي هي زروع متصلة
غير محظرة فيضمن ارباب النعم ما افسدت بالليل والنهار قال ص والضمير في قوله لحكمهم يعود للحاكمين والمحكوم
له وعليه وعليه ابو البقاء وقيل الضمير لداود وسليمن فقط وجمع لان الاثنين جمع انتهى قال ابن العربي
في احكامه المواشي على قسمين ضوار وغير ضوار وهكذا قسمها مالك فالضواري هي المعتادة باكل
الزرع والثمار فقال مالك تغرب وتباع ببلد لا زرع فيه ورواه ابن القاسم في الكتاب وغيره قال ابن
حبيب وان كره ذلك اربابها وكان قول مالك في الدابة التي ضريت بفساد الزرع ان تغرب وتباع واما
ما لا يستطاع الاحتراز منه فلا يؤمر صاحبه باخراجه عن ملكه وهذا بين انتهى و قوله يسبحن اي
يصلين سبحان الله وهذا قول الاكثر وذهبت فرقة منهم منذر بن سعيد الى انه بمعنى يصلين معناه يصلين
واللبوس في اللغة السلاح فمنه الدرع وغيره قال ص واللبوس بمعنى ملبوس كالركوب بمعنى مركوب قال
الشاعر   عليها اسود ضاريات لبوسهم   سوابغ بيض لا تخرقها النبل
ولسليمن الريح اي وسخرنا لسليمن الريح هذا على قراءة النصب وقرات فرقة الريح بالرفع وروي
ان الريح العاصفة كانت تهب على سرير سليمن الذي فيه بساطه وقد مد حول البساط بالخشب والالواح
صنع سريرا يحمل جميع عسكره واقواته فتقله من الارض في الهواء ثم تتولاه الريح الرخاء بعد ذلك فتحمله الى
حيث اراد سليمن قال ص والعصف الشدة والرخاء اللين انتهى و قوله تعالى الى الارض التي باركنا فيها اختلف
فيها فقالت فرقة هي الشام وكانت مسكنه وموضع ملكه وقد قال بعضهم ان صفة الريح هي في القفول على
عادة البشر والدواب في الاسراع الى الوطن وان الرخاء كانت في البداءة حيث شاء اي حيث يقصد لان
ذلك وقت تان وتدبير وتقلب رأي ويحتمل ان يريد الارض التي يسير اليها سليمن كائنة ما كانت وذلك
انه لم يكن يسير الى ارض الا اصلحها الله تعالى ولا بركة اعظم من هذا و الغوص الدخول في الماء والارض والعمل دون
ذلك البنيان وغيره من الصنائع والخدمة ونحوه وكنا لهم حافظين قيل معناه من افسادهم ما صنعوه
وقيل غير هذا ت و قوله سبحانه وانت ارحم الراحمين هذا الاسم مبارك مناسب لحال ايوب عليه السلام
وقد روي عن اسامة بن زيد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملكا موكلا بمن يقول
يا ارحم الراحمين فمن قالها ثلاثا قال له الملك ان ارحم الراحمين قد اقبل عليك فسل رواه الحاكم
في مستدركه وعن انس بن مالك قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وهو يقول يا ارحم الراحمين

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سل فقد نظر الله اليك رواه الحاكم انتهى من السلاح وقصص
ايوب عليه السلام مطول الاختلاف وتلخيص بعض ذلك ان ايوب عليه السلام اصابه الله بالاكلة في بدنه
فلما عظمت وتقطع بدنه اخرجه الناس من بينهم ولم يبق معه غير زوجته ويقال كانت بنت يوسف
الصديق عليه السلام قيل اسمها رحمة وقيل في ايوب انه من بني اسرائيل وقيل انه من الروم من قرية عيصوا
وكانت زوجته تسعى عليه وتاتيه بما ياكل وتقوم عليه ودام عليه ضره مدة طويلة و روي ان ايوب
عليه السلام لم يزل صابرا شاكرا لا يدعو في كشف ما به حتى ان الدودة تسقط منه فيردها فمر به قوم كانوا
يعادونه فشمتوا به فلج في دعائه فاستجيب له وكانت امرته غائبة عنه في بعض شانها فانبع الله له عينا وامره بالشرب
منها فبرئ باطنه وامره بالاغتسال منها فبرئ ظاهره ورد الى فضل جماله واتي باحسن ثياب وهب رجل من جراده
من ذهب فجعل يحفن منه في ثوبه فناداه ربه سبحانه يا ايوب الم اكن اغنيتك عن هذا قال بلى يا رب ولكن
لا غنى بي عن بركتك فبينما هو كذلك اذ جاءت امراته فلم تره في الموضع فجزعت وظنت انه ازيل وجعلت
تتوله فقال لها ما شانك ايتها المراة فهابته لحسن هيئته وقالت اني فقدت مريضا كان في هذا الموضع
ومعالم المكان قد تغيرت وتاملته في اثناء المقاولة فرات ايوب فقالت له انت ايوب فقال لها نعم واعتنقها
وبكى فروي انه لم يفارقها حتى اراه الله جميع ماله حاضرا بين يديه و اختلف الناس في اهله وولده الذين
اتاه الله فقيل كان ذلك كله في الدنيا فرد الله عليه ولده باعيانهم وجعل مثلهم له عدة في الاخرة
وقيل بل اوتي جميع ذلك في الدنيا من اهل ومال ت وقد ذكر ع في صدر القصة ان الله سبحانه اذن
لابليس لعنه الله في اهلاك مال ايوب وفي اهلاك بنيه وقرابته ففعل ذلك اجمع والله اعلم بصحة ذلك ولو صح
لوجب تاويله و قوله سبحانه وذكرى للعابدين اي وتذكرة وموعظة للمؤمنين ولا يعبد الله الا مومن و قوله
سبحانه واسمعيل وادريس المعنى واذكر اسمعيل وادريس و قوله سبحانه وذا النون اذ ذهب مغاضبا التقدير
واذكر ذا النون قال السهيلي اضاف ذكر الله تعالى يونس هنا في موضع الثناء قال وذا النون وقال في الاية
الاخرى ولا تكن كصاحب الحوت والمعنى واحد ولكن بين اللفظين تفاوت كبير في حسن الاشارة الى
الحالتين وتنزيل الكلام في الموضعين والاضافة بذي اشرف من الاضافة بصاحب لان قولك ذو يضاف به الى
التابع وصاحب يضاف به الى المتبوع انتهى و النون الحوت وصاحبه يونس بن متى عليه السلام وهو نبي من اهل نينوى
وقوله تعالى مغاضبا قيل انه غاضب قومه حين طال عليه امرهم وتعنتهم فذهب فارا بنفسه وقد كان الله
تعالى امره بملازمتهم والصبر على دعائهم فكان ذلك ذنبه اي خروجه عن قومه بغير اذن ربه ت قال عياض
والصحيح في قوله اذ ذهب مغاضبا قيل مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما
لا لربه اذ مغاضبة الله تعالى معاداة له ومعاداة الله كفر لا تليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء عليهم السلام
وفرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه بما وعدهم به من العذاب و قوله سبحانه فظن ان لن نقدر عليه
بالتشديد وذلك كما قيل لحسن ظنه بربه انه لا يقضي عليه بعقوبة وقال عياض في موضع اخر وليس في قصة
يونس نص على ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله تعالى عليه خروجه
عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل لما وعدهم العذاب ثم عفي عنهم قال والله لا القاهم بوجه كذاب
ابدا وهذا كله ليس فيه نص على معصية انتهى و قوله سبحانه فظن ان لن نقدر عليه قيل معناه
ان لن نضيق عليه في مذهبه من قوله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقرا الزهري نقدر بضم
النون وفتح القاف وشد الدال ونحوه عن الحسن و روي ان يونس عليه السلام سجد في جوف الحوت حين سمع

تسبيح الحيتان في قعر البحر وقوله إني كنت من الظالمين يريد فيما خالف فيه من ترك ملازمة
قومه والصبر عليهم هذا أحسن الوجوه فاستجاب الله له ت وليس في هذه الكلمة ما يدل أنه
اعترف بذنب كما أشار إليه بعضهم وفي الحديث الصحيح دعوة أخي ذي النون في بطن الحوت
لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ما دعا بها عبد مؤمن وقال مسلم إلا استجيب له الحديث
انتهى وعن سعد بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى لا إله إلا أنت سبحانك
إني كنت من الظالمين أيما مسلم دعا بها في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه ذلك أعطي أجر شهيد وإن
برئ برئ وقد غفر الله له جميع ذنوبه أخرجه الحاكم في المستدرك انتهى من السلاح وذكر صاحب السلاح
أيضا عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن
الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله
له رواه الترمذي واللفظ له والنسائي والحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد وزاد فيه من طريق آخر
فقال رجل يا رسول الله هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم تسمع
إلى قول الله عز وجل ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين انتهى والغم ما كان نال يونس في بطن الحوت
وقوله سبحانه وزكريا إذ نادى ربه الآية تقدم أمر زكريا قوله سبحانه وأصلحنا له زوجه قيل بأن جعلت
ممن يحمل وهي عاقر قاعد وعموم اللفظة يتناول جميع الإصلاح قوله تعالى ويدعوننا رغبا
ورهبا المعنى أنهم يدعون في وقت تعبداتهم وهم بحال رغبة ورجاء ورهبة وخوف في
حال واحدة لأن الرغبة والرهبة متلازمتان والخشوع التذلل بالبدن المتركب على التذلل بالقلب
قال القشيري في رسالته سئل الجنيد عن الخشوع فقال تذلل القلوب لعلام الغيوب قال سهل
ابن عبد الله من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان انتهى قوله سبحانه والتي أحصنت فرجها المعنى واذكر
التي أحصنت فرجها وهي الجارحة المعروفة هذا قول الجمهور وفي إحصانها هو المدح وقالت فرقة
الفرج هنا هو فرج ثوبها وهذا قول ضعيف وقد تقدم أمرها وعكس ع رحمه الله في سورة التحريم
النقل فقال قال الجمهور هو فرج الدرع قوله تعالى إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون
يحتمل أن يكون منقطعا خطابا للمعاصرين نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ثم أخبر عن الناس أنهم تقطعوا
ثم وعد وأوعد ويحتمل أن يكون متصلا بقصة مريم وابنها ص أبو حيان وتقطعوا أمرهم أي
فرقوا يريد أنه منصوب على إسقاط حرف الجر وقيل عدي تقطعوا بنفسه لأنه بمعنى قطعوا أي فرقوا انتهى
قال ت أمتكم أمة واحدة أي دينكم دين واحد انتهى وقرأ الجمهور بالسبعة وحرام وقرأ حمزة والكسائي
وحفص عن عاصم وحرم معناه جزم وحتم على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون إلى الدنيا فيتوبون
ويستعتبون بل هم صائرون إلى العقاب وقالت فرقة حرام وحرم أي ممتنع قوله سبحانه حتى إذا فتحت يأجوج
ومأجوج الآية يحتمل حتى في هذه الآية أن تتعلق بيرجعون ويحتمل أن تكون حرف ابتداء وهو الأظهر
بسبب إذا لأنها تقتضي جوابا واختلف هنا في الجواب والذي أقول به أن الجواب في قوله فإذا هي شاخصة
وهذا هو المعنى الذي قصد ذكره قال ص وقال أبو البقاء حتى إذا متعلقة في المعنى بحرام أي يستمر
الامتناع إلى هذا الوقت ولا عمل لها في إذا انتهى وقرأ الجمهور فتحت بتخفيف التاء وقرأ ابن عامر وحده
فتحت بالتشديد روي أن يأجوج ومأجوج يشرفون في كل يوم على الفتح فيقولون غدا نفتح ولا
يردون المشيئة إلى الله عز وجل فإذا كان غدا وجدوه كأوله حتى إذا أذن الله في فتحه قال فيقولون

غدا نفتحه إن شاء الله عز وجل فيجدونه كما تركوه قريب الانفتاح فيفتحونه ت وقد نقلنا في سورة
الكهف كثيرا من أخبار يأجوج ومأجوج فأغنانا عن إعادته وهذه عادتنا في هذا المختصر أسأل الله
أن ينفعني وإياكم به ويجعله نورا بين أيدينا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم والحدب
كل مسنم من الأرض كالجبل والظرب والكدية والقبر ونحوه قالت فرقة والمراد بقوله وهم يأجوج و
مأجوج يعني أنهم يطلعون من كل ثنية ومرتفع ويعمون الأرض من كثرتهم وقالت فرقة المراد
بقوله وهم جميع العالم وإنما هو تعريف بالبعث من القبور وقرأ ابن عباس من كل جدث بالجيم والثاء المثلثة
وهذه القراءة تؤيد هذا التأويل وينسلون معناه يسرعون في تطامن وأسند الطبري عن أبي سعيد قال
يخرج يأجوج ومأجوج فلا يتركون أحدا إلا قتلوه إلا أهل الحصون فيمرون على بحيرة طبرية فيمر آخرهم
فيقول كان هنا مرة ماء قال فيبعث الله عليهم النغف حتى تكسر أعناقهم فيقول أهل الحصون لقد هلك
أعداء الله فيدلون رجلا ينظر فيجدهم قد هلكوا قال فينزل الله ماء من السماء فيقذف بهم في البحر فيطهر الأرض
منهم وفي حديث حذيفة نحو هذا وفي آخره قال وعند ذلك طلوع الشمس من مغربها وقوله سبحانه واقترب
الوعد الحق يريد يوم القيامة وقوله هي مذهب سيبويه أنها ضمير القصة وجوز الفراء أن تكون ضمير الأبصار
تقدمت لدلالة الكلام ومجيء ما يفسرها والشخوص بالبصر إحداد النظر دون أن يطرف وذلك
يعتري من الخوف المفرط ونحوه وباقي الآية بين وقوله عز وجل إنكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم الآية مخاطبة لكفار مكة أي إنكم وأصنامكم حصب جهنم والحصب ما توقد به النار لأنها تحصب
به أي ترمى وأما أن تكون لغة في الحطب إذا رمي وأما قبل أن يرمى فلا يسمى حصبا إلا بتجوز وحرق
الأصنام في النار على جهة التوبيخ لعابديها ومن حيث تقع ما لمن يعقل اعترض في هذه الآية
عبد الله بن الزبعرى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن عزيرا وعيسى ونحوهما قد عبدا من دون
الله فيلزم أن يكونوا حطبا لجهنم فنزلت إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية والورود في هذه
الآية ورود الدخول والزفير صوت المعذب وهو كنهيق الحمير وشبهه لأنه من صدره وقوله
سبحانه لا يسمعون حسيسها هذه صفة الذين لهم الحسنى وذلك بعد دخولهم الجنة لأن الحديث
يقتضي أن في الموقف تزفر جهنم زفرة لا يبقى نبي ولا ملك إلا جثا على ركبتيه قال البخاري الحسيس
والحس واحد وهو الصوت الخفي انتهى والفزع الأكبر عام في كل هول يكون في يوم القيامة فكأن
يوم القيامة بجملته هو الفزع الأكبر وقوله سبحانه وتتلقاهم الملائكة يريد بالسلام عليهم والتبشير
لهم أي هذا يومكم الذي وعدتم فيه الثواب والنعيم والسجل في قول فرقة هو الصحيفة التي يكتب فيها
والمعنى كما يطوى السجل من أجل الكتاب الذي فيه فالمصدر مضاف إلى المفعول وهكذا قال البخاري السجل
الصحيفة انتهى وما خرجه أبو داود في مراسيله من أن السجل اسم رجل من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم
قال السهيلي فيه هذا غير معروف انتهى قوله سبحانه كما بدأنا أول خلق نعيده يحتمل معنيين أحدهما أن يكون خبرا
عن البعث أي كما اخترعنا الخلق أولا على غير مثال كذلك ننشئهم تارة أخرى فنبعثهم من القبور
والثاني أن يكون خبرا عن أن كل شخص يبعث يوم القيامة على هيئته التي خرج بها إلى الدنيا ويؤيد
هذا قوله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول
خلق نعيده وقوله كما بدأنا الكاف متعلقة بقوله نعيده وقالت فرقة الزبور هنا يعم جميع الكتب

المنزلة لانه ماخوذ من زبرت الكتاب اذا كتبته والذكر اراد به اللوح المحفوظ وقالت فرقة
الزبور هو زبور داود والذكر التوراة وقالت فرقة الزبور ما بعد التوراة من الكتب والذكر
التوراة وقالت فرقة الارض هنا ارض الدنيا اي كلما نالها المؤمنون من الارض وقالت فرقة
اراد ارض الجنة واستشهدوا بقوله تعالى واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء قوله سبحانه
ان في هذا لبلاغا الاشارة بهذا الى هذه الآيات المتقدمة في قول فرقة وقالت فرقة الاشارة الى القرآن
بجملته والعبادة تتضمن الايمان وقوله سبحانه وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قالت فرقة هو صلى الله
عليه وسلم رحمة للعالمين عموما اما المؤمنين فواضح واما الكافرين فلان الله تعالى رفع عنهم ما كان يصيب الامم
والقرون قبلنا من التعجيل بانواع العذاب المستأصلة كالطوفان وغيره وقوله اذنتكم معناه
عرفتكم بنذارتي واردت ان تشاركوني في معرفة ما عندي من الخوف عليكم من الله وقال البخاري
اذنتكم اعلمتكم فاذا اعلمتهم فانت وهم على سواء انتهى ثم اخبر انه لا يعرف تعيين وقت عقابهم هل هو
قريب ام بعيد وهذا اهول واخوف قال ص وان ادري بمعنى ما ادري انتهى والضمير في قوله لعله عائد
على الاملاء لهم وفتنة معناه امتحان وابتلاء والمتاع ما يستمتع به مدة الحياة ثم امر تعالى ان يقول
على جهة الدعاء رب احكم بالحق وهذا دعاء فيه توعد ثم توكل في آخر الآية واستعانة بالله تعالى
قال الداودي وعن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا شهد قتالا قال رب احكم بالحق انتهى

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

سورة الحج مكية سوى ثلاث آيات قوله هذان خصمان الى تمام ثلاث آيات هذا قول ابن عباس ومجاهد
وقال الجمهور السورة مختلطة منها مكي ومنها مدني وهذا هو الاصح لان الآيات تقتضي ذلك
قوله عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الزلزلة التحريك العنيف
وذلك مع نفخة الفزع ومع نفخة الصعق حسبما تضمنه حديث ابي هريرة من ثلاث نفخات
والجمهور على ان زلزلة الساعة هي كالمعهودة في الدنيا الا انها في غاية الشدة واختلف المفسرون في
الزلزلة المذكورة هل هي في الدنيا على القوم الذين تقوم عليهم القيامة ام هي في يوم القيامة على جميع العالم
فقال الجمهور هي في الدنيا والضمير في ترونها عائد عندهم على الزلزلة وقوى قولهم ان الرضاع والحمل
انما هو في الدنيا وقالت فرقة الزلزلة في يوم القيامة والضمير عندهم عائد على الساعة والذهول الغفلة عن الشيء
بطريان ما يشغل عنه من هم او وجع او غيره قال ابن زيد المعنى تترك ولدها للكرب الذي نزل بها
ت وخرج البخاري وغيره عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل
يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك ربنا وسعديك فيقول اخرج بعث النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل
الف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحد الى الجنة فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى
الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد الحديث انتهى وهذا الحديث نص صريح في
يوم القيامة وانظر قوله يوما يجعل الولدان شيبا وقوله واذا العشار عطلت تجده موافقا للحديث
وجاء في حديث ابي هريرة فيما ذكره علي بن معبد ان نفخة الفزع تمتد وان ذلك يوم الجمعة
في النصف من شهر رمضان فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب ثم تكون سرابا ثم ترتج الارض باهلها
رجا وتضع الحوامل ما في بطونها ويشيب الولدان وترى الناس سكارى ثم ينظرون الى السماء فاذا هي

كالمهل

كالمهل ثم انشقت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم والموتى لا يعلمون شيئا من ذلك قلت يا رسول الله
فمن استثنى الله عز وجل حين يقول ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله قال
اولئك هم الشهداء انتهى مختصرا وهذا الحديث ذكره الطبري والثعلبي وصححه ابن العربي في سراج المريدين
وقال عبد الحق بل هو حديث منقطع لا يصح والذي عليه المحققون ان هذه الاهوال هي بعد البعث قاله
صاحب التذكرة وغيره انتهى والحمل بفتح الحاء ما كان في بطن او على رأس شجرة وقوله سبحانه وترى
الناس سكارى تشبيه لهم اي من الهم ثم نفى عنهم السكر الحقيقي الذي هو من الخمر قاله الحسن وغيره وقرأ حمزة
والكسائي سكرى في الموضعين قال سيبويه وقوم يقولون سكرى جعلوه مثل مرضى ثم جعلوا روبى مثل سكرى
وهم المستثقلون نوما من شرب الرائب وقوله سبحانه ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان
مريد قال ابن جريج هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث وابي بن خلف وقيل في ابي جهل بن هشام ثم هي
بعد تتناول كل من اتصف بهذه الصفة ومجادلتهم في ان الله تعالى لا يبعث من يموت والشيطان هنا
هو مغويهم من الجن ويحتمل من الانس والمريد المتجرد من الخير الى الشر ومنه الامرد والشجرة المرداء اي العارية
من الورق وصرح ممرد اي مملس والضمير في عليه عائد على الشيطان قاله قتادة ويحتمل ان يعود على المجادل
وانه في موضع رفع على المفعول الذي لم يسم فاعله وانه الثانية عطف على الاولى مؤكدة مثلها وقيل هي
مكررة للتاكيد فقط وهذا معترض بان الشيء لا يؤكد الا بعد تمامه وتمام ان الاولى انما هو
بصلتها في قول الشعر ص وكذا لا يعطف عليه ولسيبويه في مثل هذا انه بدل وقيل انه الثانية خبر مبتدأ
محذوف تقديره فشانه انه يضله قال ع ويظهر لي ان الضمير في انه الاولى للشيطان وفي
الثانية لمن الذي هو المتولي وقرأ ابو عمرو فانه بالكسر فيهما قوله عز وجل يا ايها الناس ان كنتم في ريب
من البعث الآية هذا احتجاج على العالم بالبداءة الاولى وضرب سبحانه في الآية مثلين اذا اعتبرهما الناظر جوز
في العقل البعثة من القبور ثم ورد الشرع بوقوع ذلك وقوله فانا خلقناكم من تراب يريد
آدم ثم من نطفة يريد المني والنطفة تقع على قليل الماء وكثيره ثم من علقة يريد من الدم الذي
تعود النطفة اليه في الرحم والمقارن للنطفة والعلق الدم الغبيط وقيل العلق الشديد الحمرة ثم
من مضغة يريد مضغة لحم على قدر ما يمضغ وقوله مخلقة معناه متممة وغير مخلقة اي غير متممة
اي التي تسقط قاله مجاهد واللفظة بناء مبالغة من خلق ولما كان الانسان فيه اعضاء متباينة وكل واحد
منها مختص بخلق حسن في جملته تضعيف الفعل لان فيه خلقا كثيرة وقوله سبحانه لنبين لكم
قالت فرقة معناه امر البعث ونقر اي ونحن نقر في الارحام والاجل المسمى مختلف بحسب جنين
جنين فثم من يسقط وثم من يكمل امره ويخرج حيا وقوله سبحانه ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم
ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا قد تقدم بيان هذه المعاني
وارذل العمر هو حصول الانسان في آخر زمانه واختلال العقل والقوة فهذا مثال واحد يقتضي
للمعتبر ان القادر على هذه المناقل المتقن لها قادر على اعادة تلك الاجسام التي اوجدها بهذه
المناقل الى حالها الاولى وقوله عز وجل وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت
وربت وانبتت من كل زوج بهيج هذا هو المثال الثاني الذي يعطي للمعتبر فيه جواز بعث الاجساد وذلك
ان احياء الارض بعد موتها بين فكذلك الاجساد وهامدة معناه ساكنة دارسة بالية
واهتزاز الارض هو حركتها بالنبات وغير ذلك مما يعتريها بالماء وربت معناه نشزت

وارتفعت ومنه الربوة وهو المكان المرتفع والزوج النوع والبهيج من البهجة وهي الحسن
قاله قتادة وغيره وقوله ذلك اشارة الى كل ما تقدم ذكره وباقي الاية بين وقوله سبحانه
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم الاية الاشارة بقوله ومن الناس الى القوم الذين تقدم
ذكرهم وكررت هذه الاية على جهة التوبيخ فكأنه يقول فهذه الامثال في غاية الوضوح ومن الناس
مع ذلك من يجادل وثاني حال من الضمير في يجادل وقوله ثاني عطفه عبارة عن المتكبر المعرض قاله ابن
عباس وغيره وذلك ان صاحب الكبر يرد وجهه عما يتكبر عنه فهو يرد وجهه ويصعر خده
ويولي صفحته ويلوي عنقه ويثني عطفه وهذه هي عبارات المفسرين والعطف الجانب وقوله تعالى
ذلك بما قدمت يداك اي يقال له ذلك واختلف في الوقف على قوله يداك فقيل لا يجوز لان التقدير
وبان الله اي ان هذا هو العدل فيك بجرائمك وقيل يجوز بمعنى والامر ان الله ليس بظلام للعبيد قوله
سبحانه ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية نزلت في اعراب وقوم لا يقين لهم كان احدهم اذا اسلم
فاتفق له اتفاقات حسان من نمو مال وولد يرزقه وغير ذلك قال هذا دين جيد وتمسك به لهذه المعاني
وان كان الامر بخلاف ذلك تشاءم به وارتد كما فعل العرنيون قال هذا المعنى ابن عباس وغيره وقوله على حرف
معناه على انحراف منه عن العقيدة البيضاء وقال البخاري على حرف على شك ثم اسند عن ابن عباس ما تقدم
من حال الاعراب انتهى وقوله يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه يريد الاوثان ومعنى يدعوا
يعبد ويدعوا ايضا في ملماته واللام في قوله لمن ضره لام موذنة بمجيء القسم والثانية في لبئس لام القسم
والعشير القريب المعاشر في الامور وفي الحديث في شأن النساء ويكفرن العشير يعني الزوج قال ابو عمر بن
عبد البر قال اهل اللغة العشير الخليط من المعاشرة والمخالطة ومنه قوله عز وجل لبئس المولى ولبئس العشير
انتهى من التمهيد والذي يظهر ان المراد بالمولى والعشير هو الوثن الذي ضره اقرب من نفعه وهو قول مجاهد ثم
عقب سبحانه بذكر حالة اهل الايمان وذكر ما وعدهم به فقال ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار الاية ثم اخذت الاية في توبيخ اولئك الاولين كأنه يقول هؤلاء العابدون
على حرف صحبهم القلق وظنوا ان الله لن ينصر محمدا واتباعه ونحن انما امرناهم بالصبر وانتظار وعدنا
فمن ظن غير ذلك فليمدد بسبب وهو الحبل وليختنق هل يذهب بذلك غيظه قال هذا المعنى قتادة
وهذا على جهة المثل السائر قولهم دونك الحبل فاختنق والسماء على هذا القول الهواء علوا فكأنه اراد
سقفا او شجرة ولفظ البخاري وقال ابن عباس بسبب الى سقف البيت انتهى والجمهور على ان القطع هنا هو
الاختناق قال الخليل وقطع الرجل اذا اختنق بحبل ونحوه ثم ذكر الاية ويحتمل المعنى من ظن ان محمدا
لا ينصر فليمت كمدا هو منصور لا محالة فليختنق هذا الظان غيظا وكمدا ويؤيد هذا ان الطبري
والنقاش قالا ويقال نزلت في نفر من بني اسد وغطفان قالوا نخاف ان ينصر محمد فينقطع الذي
بيننا وبين حلفائنا من يهود من المنافع والمعنى الاول الذي قيل للعابد على حرف ليس بهذا ولكنه بمعنى
من قلق واستبطأ النصر وظن ان محمدا لا ينصر فليختنق سفاهة اذ تعدى الامر الذي حد له في
الصبر وانتظار صنع الله وقال مجاهد الضمير في ينصره عائد على من والمعنى من كان من المتقلقين من
المؤمنين وما في قوله ما يغيظ بمعنى الذي ويحتمل ان تكون مصدرية حرفا فلا عائد عليها وابين الوجوه
في الاية التأويل الاول وباقي الاية بين قوله تعالى وكثير من الناس اي ساجدون مرحومون بسجودهم
وقوله سبحانه وكثير حق عليه العذاب معادل له ويؤيد هذا قوله تعالى بعد هذا ومن يهن الله فما له

من مكرم

من مكرم الاية قوله سبحانه هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت الاية في المتبارزين يوم بدر
وهم ستة نفر حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث برزوا لعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة
وشيبة بن ربيعة قال علي بن ابي طالب انا اول من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدي الله تعالى واقسم
ابو ذر على هذا القول ووقع ان الاية فيهم في صحيح البخاري رحمه الله وقال ابن عباس الاشارة الى المؤمنين واهل
الكتاب وذلك انه وقع بينهم تخاصم فقالت اليهود نحن اقدم دينا منكم ونحو هذا فنزلت الاية وقال مجاهد
وجماعة الاشارة الى المؤمنين والكفار على العموم قال ع وهذا قول تعضده الاية وذلك انه تقدم قوله
وكثير من الناس المعنى هم مؤمنون ساجدون لله قال وكثير حق عليه العذاب ثم اشار الى هذين الصنفين
بقوله هذان خصمان والمعنى ان الايمان واهله والكفر واهله خصمان منذ كانا الى يوم القيامة بالعداوة
والجدال والحرب وخصم مصدر يوصف به الجمع والواحد ويدل على انه اراد الجمع قوله اختصموا فانها
قراءة الجمهور وقرأ ابن ابي عبلة اختصما وهذه التأويلات متفقة في المعنى وقد ورد اول
ما يقضى به بين الناس يوم القيامة في الدماء ومن المعلوم ان اول مبارزة وقعت في الاسلام مبارزة علي
واصحابه فلا جرم كانت اول خصومة وحكومة يوم القيامة وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم
نحن الآخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق وفي رواية المقضي بينهم
وقوله في ربهم اي في شأن ربهم وصفاته وتوحيده ويحتمل في رضى ربهم وفي ذاته وقال ع في ربهم
اي في دين ربهم انتهى ثم بين سبحانه حكم الفريقين فتوعد تعالى الكفار بعذابه الاليم وقطعت معناه
جعلت لهم بتقدير كما يفصل الثوب وروي انها من نحاس ويصهر معناه يذاب وقيل معناه ينضج
قيل ان الحميم بحرارته يهبط كل ما في الجوف ويكشطه ويسلته وقد روى ابو هريرة نحوه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه يسلته ويبلغ به قدميه ويذيبه ثم يعاد كما كان قوله سبحانه كلما ارادوا ان
يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها روي فيه ان لهب النار اذا ارتفع رفعهم فيصلون الى ابواب النار فيريدون
الخروج فتردهم الزبانية بمقامع وهي المقادع قوله سبحانه ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات الاية معادلة لقوله فالذين كفروا واللؤلؤ الجوهر واخبر سبحانه ان لباسهم فيها حرير لانه من
كمال حالات الدنيا قال ابن عباس لا تشبه امور الاخرة امور الدنيا الا في الاسماء فقط واما الصفات
فمتباينة والطيب من القول لا اله الا الله وما جرى معها من ذكر وتسبيح وتقديس وسائر كلام
اهل الجنة من محاورة وكلام وحديث طيب فانها لا تسمع فيها لاغية وصراط الحميد هو طريق الله الذي
دعا عباده اليه ويحتمل ان يريد بالحميد نفس الطريق فاضاف اليه على حد اضافته في قوله وان الاخرة وفي
البخاري وهدوا الى الطيب اي الهموا الى قراءة القرآن وهدوا الى صراط الحميد اي الى الاسلام انتهى وقوله سبحانه ان
الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله هذه الاية نزلت في عام الحديبية حين صد النبي صلى الله عليه
وسلم وجاء يصدون مستقبلا اذ هو فعل يديمونه وخبر ان محذوف مقدر عند سيبويه
تقديره خسروا وهلكوا والعاكف المقيم في البلد والبادي القادم عليه من غيره وقوله بالحاد
قال ابو عبيدة الباء فيه زائدة قال ابن العربي في احكامه وجعل الباء زائدة لا يحتاج اليه في سبيل العربية
لان حمل المعنى على الفعل اولى من حمله على الحروف فيقال المعنى ومن يهم فيه بميل لان الالحاد هو الميل
في اللغة الا انه قد صار في عرف الشرع ميلا مذموما فرفع الله الاشكال وبين سبحانه ان الميل بالظلم

هو المراد هنا انتهى قال ع والالحاد الميل وهو يشمل جميع المعاصي من الكفر الى الصغاير فلعظم حرمة المكان
توعد الله تعالى على نية السيئة فيه ومن نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب بذلك الا في مكة هذا قول ابن مسعود
وجماعة من الصحابة وغيرهم قال ع وقوله ان لا تشرك ان مفسرة لقول مقدر اي قلنا له او موحين له
لا تشرك وفي تقدير الاول نظر انظره انتهى قوله تعالى وطهر بيتي للطايفين والقايمين الاية تطهير البيت
عام في الكفر والبدع وجميع الانجاس والدماء وغير ذلك والقايمون هم المصلون وخص سبحانه من الاركان
الصلاة اعظمها وهو القيام والركوع والسجود وروي ان ابراهيم عليه السلام لما امر بالاذان بالحج قال يا رب
واذا اذنت فمن يسمعني فقيل له ناد يا ابراهيم فعليك النداء وعلينا البلاغ فصعد على ابي قبيس وقيل على
حجر المقام ونادى ايها الناس ان الله قد امركم بحج هذا البيت فحجوا فروي ان يوم نادى اسمع كل من يحج الى يوم القيامة
في اصلاب الرجال واجابه كل شيء في ذلك الوقت من جماد وغيره لبيك اللهم لبيك فجرت التلبية على ذلك
قاله ابن عباس وابن جبير ورجالا جمع راجل والضامر قالت فرقة اراد بها الناقة وذلك انه يقال ناقة
ضامر وقالت فرقة لفظ ضامر يشمل كل ما اتصف بذلك من ناقة وجمل وغير ذلك قال ع وهذا هو الاظهر
وفي تقديم رجالا تفضيل المشاة في الحج واليه نحا ابن عباس قال ابن العربي في احكامه وقوله تعالى ياتين
رد الضمير الى الابل تكرمة لها لقصدها الحج مع اربابها كما قال تعالى والعاديات ضبحا في خيل الجهاد تكرمة لها حين
سعت في سبيل الله انتهى والفج الطريق الواسعة والعميق معناه البعيد وقال الشاعر

اذا الخيل جاءت من فجاج عميقة … يمد بها في السير اشعث شاحب

والمنافع في هذه الاية التجارة في قول اكثر المتاولين ابن عباس وغيره وقال ابو جعفر محمد بن علي اراد الاجر ومنافع
الاخرة وقال مجاهد بعموم الوجهين ت واظهرها عندي قول ابي جعفر يظهر ذلك من مقصد الاية والله
اعلم وقال ابن العربي والصحيح القول بالعموم انتهى وقوله سبحانه ويذكروا اسم الله في ايام معلومات
على ما رزقهم من بهيمة الانعام ذهب قوم الى ان المراد ذكر اسم الله على النحر والذبح وقالوا ان في
ذكر الايام دليلا على ان الذبح في الليل لا يجوز وهو مذهب مالك واصحاب الراي وقالت فرقة فيها مالك
واصحابه الايام المعلومات يوم النحر ويومان بعده وقوله فكلوا منها ندب واستحب اهل العلم ان ياكل الانسان
من هديه او اضحيته وان يتصدق بالاكثر والبايس الذي قد مسه ضر الفاقة وبؤسها والمراد اهل الحاجة
والتفث ما يصنعه المحرم عند حله من تقصير شعر وحلقه وازالة شعث ونحوه وليوفوا
نذورهم وهو ما معهم من هدي وغيره وليطوفوا بالبيت العتيق يعني طواف الافاضة الذي هو من
واجبات الحج قال الطبري ولا خلاف بين المتاولين في ذلك قال مالك هو واجب ويرجع تاركه من وطنه الا ان
يطوف طواف الوداع فانه يجزيه عنه ويحتمل ان تكون الاشارة بالاية الى طواف الوداع وقد اسند
الطبري عن عمرو بن ابي سلمة قال سالت زهيرا عن قوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق فقال هو طواف الوداع
وقاله مالك في الموطا والعتيق في وجه وصف البيت بالعتيق فقال مجاهد وغيره عتيق اي قديم وقال
ابن الزبير لان الله اعتقه من الجبابرة وقيل اعتقه من غرق الطوفان وقيل غير هذا وقوله ذلك يحتمل
ان يكون في موضع رفع بتقدير فرضكم ذلك او الواجب ذلك ويحتمل ان يكون في موضع نصب بتقدير
امتثلوا ذلك ونحو هذا الاضمار ولحسن الاشارة مضمر احسنها مظهرا ونحو هذه الاشارة البليغة قول
زهير نظم هذا وليس كمن يعيي بخطته … وسط الندي اذا ما ناطق نطقا

والحرمات المقصودة هنا هي افعال الحج وقال ابن العربي في احكامه الحرمات امتثال ما امر
الله به واجتناب ما نهى فان للقسم الاول حرمة المبادرة الى الامتثال وللثاني حرمة الانكفاف
والانزجار انتهى وقوله فهو خير ظاهره انها ليست للتفضيل وانما هي عدة بخير ويحتمل ان يجعل خير
للتفضيل على تجوز في هذا الموضع ص فهو خير له اي في التعظيم خير له انتهى قوله تعالى فاجتنبوا الرجس
من الاوثان يحتمل معنيين احدهما ان تكون من لبيان الجنس اي الرجس الذي هو الاوثان فيقع
النهي عن رجس الاوثان فقط ويبقى ساير الارجاس نهيها في غير هذا الموضع والمعنى الثاني ان تكون من
لابتداء الغاية فكانه نهاهم عن الرجس عموما ثم عين لهم مبداه الذي منه يلحقهم اذ عبادة
الاوثان جامعة لكل فساد ورجس ويظهر ان الاشارة الى الذبايح التي كانت للاوثان فيكون هذا مما تلي
عليهم والمروي عن ابن عباس وابن جريج ان الاية نهي عن عبادة الاوثان والزور عام في الكذب
والكفر وذلك ان كل ما عدا الحق فهو كذب وباطل وقال ابن مسعود وغيره ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال عدلت شهادة الزور بالشرك وتلا هذه الاية والزور مشتق من الزور
وهو الميل ومنه في جانب فلان زور ويظهر ان الاشارة الى زور اهل الجاهلية في تحريم وتحليل ما كانوا
قد شرعوا في الانعام وحنفاء معناه مستقيمين او مايلين الى الحق بحسب ان لفظة حنف من الاضداد
اذ تقع على الاستقامة وتقع على الميل والسحيق البعيد وقوله سبحانه ذلك ومن يعظم شعاير الله
التقدير في هذا الموضع الامر ذلك والشعاير جمع شعيرة وهي كل شيء لله عز وجل فيه امر اشعر
واعلم قال الشيخ ابن ابي جمرة ومن يعظم شعاير الله فانها من تقوى القلوب قال تعظيم شعاير
الله كان من التبقيع او من التبشير او بمن شاء الله زيادة في الايمان وقوة في اليقين انتهى وقال العراقي
في ارجوزته اعلام طاعته هي الشعاير البيت وقالت فرقة وقصد بالشعاير في هذه الاية الهدي
والانعام المشعرة ومعنى تعظيمها التسمين والاهتبال بامرها قاله ابن عباس وغيره ثم اختلف المتاولون
في قوله سبحانه لكم فيها منافع الاية فقال مجاهد وقتادة اراد للناس في انعامهم منافع من الصوف
واللبن والاكل وغير ذلك ما لم يبعثها ربها هديا فاذا بعثها فهو الاجل المسمى وقال عطاء اراد لكم
في الهدي المبعوث منافع من الركوب والاحتلاب لمن اضطر والاجل نحرها وتكون ثم من قوله
ثم محلها لترتيب الجمل لان المحل قبل الاجل ومعنى الكلام عند هاتين الفرقتين ثم محلها موضع
النحر وذكر البيت لانه اشرف الحرم وهو المقصود بالهدي وغيره وقال ابن زيد والحسن وابن عمر
ومالك الشعاير في هذه الاية مواضع الحج ومعالمه بمنى وعرفة والمزدلفة والصفا والمروة والبيت وغير
ذلك وفي الاية التي تاتي ان البدن من الشعاير والمنافع التجارة وطلب الرزق او الاجر والمغفرة والاجل
المسمى الرجوع الى مكة لطواف الافاضة ومحلها ماخوذ من احلال المحرم والمعنى ثم اخر هذا كله الى طواف
الافاضة بالبيت العتيق فالبيت على هذا التاويل مراد بنفسه قاله مالك في الموطا ت واظهر هذه
التاويلات عندي تاويل عطاء وفي الثالث بعض تكلف ثم اخبر سبحانه انه جعل لكل امة من الامم المومنة
منسكا اي موضع نسك وعبادة هذا على ان المنسك ظرف ويحتمل ان يريد به المصدر كانه
قال عبادة والناسك العابد وقال مجاهد سنة في هراقة دماء الذبايح له لانه رازق ذلك
وقوله ليذكروا اسم الله معناه امرناهم عند ذبايحهم بذكر الله وان يكون الذبح له لانه
رازق ذلك وله اسلموا اي امنوا ويحتمل ان يريد استسلموا ثم امر سبحانه نبيه عليه السلام ان يبشر

بشارة على الاطلاق وهي ابلغ من المفسرة لانها مرسلة مع نهاية التبجيل للمخبتين المتواضعين الخاشعين
المؤمنين والخبت ما انخفض من الارض والمخبت المتواضع الذي مشيه متطامن كانه في حدود
من الارض وقال عمرو بن اوس المخبتين الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا قال ع وهذا مثال
شريف من خلق المؤمنين الهينين اللينين وقال مجاهد هم المطمئنون بامر الله ووصفهم سبحانه
بالخوف والوجل عند ذكر الله وذلك لقوة يقينهم ومراقبتهم لربهم وكانهم بين يديه
ووصفهم بالصبر وباقامة الصلاة وادامتها وروي ان هذه الاية قوله وبشر المخبتين نزلت في
ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وقوله سبحانه والبدن جعلناها لكم من شعائر الله البدن
جمع بدنة وهي ما اشعر من ناقة او بقرة قاله عطاء وغيره وسميت بذلك لانها تبدن اي تسمن
وقيل بل هذا الاسم خاص بالابل والخير هنا قيل فيه ما قيل في المنافع الذي تقدم ذكرها والصواب
عمومه في خير الدنيا والاخرة وقوله عليها يريد عند نحرها صواف اي مصطفة وقرا ابن مسعود
وابن عمر وابن عباس وغيرهم صوافن جمع صافنة وهي التي قد رفعت احدى يديها بالعقل لئلا تضطرب
ومنه في الخيل الصافنات الجياد ووجبت معناه سقطت وقوله فكلوا منها ندب وكل العلماء يستحب
ان ياكل الانسان من هديه وفيه اجر وامتثال اذ كان اهل الجاهلية لا ياكلون من هديهم ونحر بحقول
في القانع انه السائل والمعتر المعترض من غير سؤال قاله الحسن ومجاهد وغيرهما وعكست فرقة
هذا القول فحكى الطبري عن ابن عباس انه قال القانع المستغني بما اعطيته والمعتر هو المعترض وحكى
عنه انه قال القانع المتعفف والمعتر السائل قال ع يقال قنع الرجل بفتح النون يقنع قنوعا فهو قانع
اذا سال فالقانع هو السائل بفتح النون في الماضي وقنع بكسر النون يقنع قناعة فهو قنع اذا تعفف
واستغنى ببلغته قاله الخليل بن احمد وقوله لن ينال الله لحومها الاية عبارة مبالغة وهي بمعنى لن
ترفع عنده سبحانه وتحصل بسبب ثواب المعنى ولكن تنال الرفعة عنده وتحصل الحسنة لديه بالتقوى
قوله تعالى لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين روي ان قوله وبشر المحسنين نزلت في الخلفاء
الاربعة حسب ما تقدم في التي قبلها وظاهر اللفظ العموم في كل محسن وقوله سبحانه ان الله يدافع عن الذين
امنوا الاية وقرا ابو عمرو وابن كثير يدفع ولولا دفع الله قال ابو علي اجريت دافع مجرى دفع كعاقبت
اللص وطارقت النعل قال ابو الحسن الاخفش يقولون دافع الله عنك ودفع عنك الا ان دفع اكثر في
الكلام قال ع ويحسن يدافع لانه قد عن للمؤمنين من يدفعهم ويؤذيهم فيجيء دفعه سبحانه مدافعة عنهم
وروي ان هذه الاية نزلت بسبب المؤمنين لما كثروا بمكة واذاهم الكفار هم بعضهم ان يقتل من امكنه
من الكفار ويغتال ويغدر فنزلت هذه الاية الى قوله كفور ثم اذن الله سبحانه في قتال المؤمنين لمن
قاتلهم من الكفار بقوله اذن للذين يقاتلون وقوله بانهم ظلموا معناه كان الاذن بسبب انهم
ظلموا قال ابن جريج وهذه الاية اول ما نقضت الموادعة قال ابن عباس وابن جبير نزلت عند هجرة
النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقال ابو بكر الصديق لما سمعتها علمت انه سيكون قتال ت وهذا
الحديث خرجه الترمذي قال ابن العربي ومعنى اذن ابيح وقرئ يقاتلون بكسر التاء وفتحها فعلى
قراءة الكسر تكون الاية خبرا عن فعل المأذون لهم وعلى قراءة الفتح فالاية خبر عن فعل غيرهم وان
الاذن وقع من اجل ذلك لهم ففي فتح التاء بيان سبب القتال وقد كان الكفار يتعمدون النبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين بالاذاية ويعاملونهم بالنكاية وقد قتل ابو جهل سمية ام عمار بن ياسر وعذب بلال وبعد

ذلك جاء الانتصار بالقتال انتهى ت ووعد الله سبحانه بالنصر في قوله وان الله على نصرهم لقدير قوله
سبحانه الذين اخرجوا من ديارهم يريد كل من خرج من مكة واذاه اهلها حتى اخرجوه باذايتهم طائفة
الى الحبشة وطائفة الى المدينة ونسب الاخراج الى الكفار لان الكلام في معرض تقدير الذنب والزامه
واخراجه لهم وقولهم الا ان يقولوا ربنا الله استثناء منقطع قال ص واجاز ابو اسحق وغيره ان يكون في موضع
جر بدلا من حق اي بغير موجب سوى التوحيد كذي ينبغي ان يكون موجب الاخراج ومثله هل تنقمون
منا الا ان امنا بالله ت انتهى وهو حسن من حيث المعنى والانتقاد عليه مزيف وقوله ولولا دفع
الله الناس الاية تقوية للامر بالقتال وذكر انه لولا القتال والجهاد لتغلب على الحق في كل امة هذا اصوب تاويلات الاية والصومعة
موضع العبادة وهي بناء مرتفع منفرد حديد الاعلى والاصمع من الرجال الحديد القول وكانت قبل الاسلام
مختصة برهبان النصارى وعباد الصابئين قاله قتادة ثم استعمل في مئذنة المسلمين والبيع كنائس
النصارى واحدها بيعة وقال الطبري قيل هي كنائس اليهود ثم ادخل عن مجاهد ما لا يقتضي ذلك ثم الصلوات
الصلوات منسكة لكل امة واستعير الهدم للصلوات من حيث تعطيلها او اراد موضع صلوات وقال ابو
الصلوات مساجد الصابئين وقيل غير هذا وقوله يذكر فيها الضمير عائد على جميع ما تقدم ثم وعد سبحانه بنصرة
دينه وشرعه وفي ذلك حض على القتال والجد فيه ثم الاية تعم كل من نصر حقا الى يوم القيامة وقوله
سبحانه الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة قالت فرقة هذه الاية في الخلفاء الاربعة والعموم في هذا
كله ابين وبه يتجه الامر في جميع الناس وانما الاية اخذ عهد على كل من مكن على قدر ما مكن والاية امكن
ما هي في الملوك وقوله سبحانه ولله عاقبة الامور توعد لمخالف عن هذه الاوامر التي تقتضيها الاية لمن مكن و
قوله سبحانه وان يكذبوك يعني قريشا فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط
واصحاب مدين وكذب موسى الاية فيها وعيد لقريش واملي معناه امهلت والنكير مصدر بمعنى الانكار
وبئر معطلة قيل هو معطوف على العروش وقيل على القرية وهو اصوب ثم وبخهم سبحانه على الغفلة وترك الاعتبار
بقوله افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها وهذه الاية تقتضي ان يكون العقل في القلب
وذلك هو الحق ولا ينكر ان للدماغ اتصالا بالقلب يوجب فساد العقل متى اختل الدماغ وقوله فتكون
نصب بالفاء في جواب الاستفهام صرف الفعل من الجزم الى النصب وقوله سبحانه فانها لا تعمى الابصار لفظ مبالغة
كانه قال ليس العمى عمى العين وانما العمى كل العمى عمى القلب ومعلوم ان الابصار تعمى ولكن المقصود ما ذكرناه وهذا
كقوله عليه السلام ليس الشديد بالصرعة وليس المسكين بهذا الطواف والضمير في انها للقصة ونحوها من
التقدير والضمير في يستعجلونك لقريش وقوله ولن يخلف الله وعده وعيد واخبار بان كل شيء الى
وقت محدود والوعد هنا مقيد بالعذاب قوله سبحانه وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اي
من هذه السنين فكان المعنى فما اجهل من يستعجل هذا وكرر قوله وكاين لانه جلب معنى اخر ذكر اولا القرى
المهلكة دون املاء بل بعقب التكذيب ثم ثنى سبحانه بالمهلة لئلا يفرح هولاء بتاخر العذاب عنهم وباقي
الاية بين والرزق الكريم الجنة ومعاجزين معناه مغالبين كانهم طلبوا عجز صاحب الايات والايات
تقتضي تعجيزهم فصارت مفاعلة قوله سبحانه وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى
القى الشيطان في امنيته الاية ت قال عياض وقد توجه هاهنا لبعض الطاعنين سؤال منها ما روي
من ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا سورة والنجم وقال افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى قال عياض اكرمك الله ان لنا الكلام على

مشكل هذا من ماخذين احدهما في توهين اصله والثاني على تقدير تسليمه اما الماخذ الاول
فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما
اولع به وبمثله المفسرون والمورخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح
وسقيم وصدق القاضي ابو بكر بن العلي المالكي رحمه الله حيث يقول لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء
والتفسير ثم قال عياض قال ابو بكر البزار وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
باسناد متصل يجوز ذكره وانما يعرف عن الكلبي قال عياض والكلبي ممن لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره
لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار وقد اجمعت الامة على عصمته عليه السلام ونزاهته عن مثل
هذا انتهى ومثله ونحوه لابن عطية قال وهذا الحديث الذي فيه هي الغرانقة وقع في كتب
التفسير ونحوها ولم يدخله البخاري ولا مسلم ولا ذكره في علمي مصنف مشهور بل يقتضي مذهب اهل
الحديث ان الشيطان القى ولا يعينون هذا السبب ولا غيره قال ع وحدثني ابي رحمه الله انه لقي بالمشرق
من شيوخ العلماء والمتكلمين من قال هذا لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم في التبليغ
وانما الامر يعني على تقدير صحته ان الشيطان نطق بلفظ اسمعه الكفار عند قول النبي صلى الله عليه
وسلم افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وقرب صوته من صوت النبي صلى الله عليه
وسلم حتى التبس الامر على المشركين وقالوا محمد قراها هذا على تقدير صحته وقد دون هذا التاويل عن الامام
ابي المعالي قال عياض وقد اعاذنا الله من صحته وقد حكى محمد بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال
ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك في المشركين ومعنى قوله تعالى تمنى اي تلا ومنه قوله
تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم اياته
وعبارة البخاري وقال ابن عباس اذا تمنى القى الشيطان في امنيته اي اذا حدث القى الشيطان في حديثه
فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم اياته ويقال امنيته قراءته انتهى قال عياض وقيل معنى الاية هو ما يقع
للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو اذا قرا فينتبه لذلك ويرجع عنه انتهى وقوله سبحانه ليجعل
ما يلقي الشيطان فتنة الفتنة الامتحان والاختبار والذين في قلوبهم مرض هم عامة الكفار
والقاسية قلوبهم خواص منهم عتاة كابي جهل وغيره والشقاق البعد عن الخير والكون في شق غير
شق الصلاح والذين اوتوا العلم هم اصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والضمير في انه عائد على القران
فتخبت له قلوبهم معناه تتطامن وتخضع وهو ماخوذ من الخبت وهو المطمئن كما تقدم ولا
يزال الذين كفروا في مرية منه اي من القران والمرية الشك حتى تاتيهم الساعة يعني يوم القيامة قوله سبحانه
والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا الاية ابتدا معنى اخر وذلك انه لما مات عثمان بن
مظعون وابو سلمة بن عبد الاسد قال بعض الناس من قتل من المهاجرين افضل ممن مات حتف انفه
فنزلت هذه الاية مسوية بينهم في ان الله تعالى يرزق جميعهم رزقا حسنا وليس هذا بقاض بتساويهم
في الفضل وظاهر الشريعة ان المقتول افضل وقد قال بعض الناس المقتول والميت في سبيل الله شهيدان
ولكن للمقتول مزية ما اصابه في ذات الله والرزق الحسن يحتمل ان يريد به رزق الشهداء عند ربهم
في البرزخ ويحتمل ان يريد بعد يوم القيامة في الجنة وقرات فرقة مدخلا بضم الميم من ادخل فهو
محمول على الفعل المذكور وقرات فرقة مدخلا بفتح الميم من دخل فهو محمول على فعل مقدر تقديره
فيدخلون مدخلا ثم اخبر سبحانه عن من عاقب من المؤمنين من ظلمه من الكفرة ووعد المبغي عليه

وربما غلب بعضهم قتل عدوه فيكون قد عم ... مقدم وبعضهم مقتضيه

بانه ينصره وذكر ان هذه الاية نزلت في قوم من المؤمنين لقيهم كفار في الاشهر الحرم فابى المؤمنون
من قتالهم وابى المشركون الا القتال فلما اقتتلوا جد المؤمنون ونصرهم الله فنزلت الاية
فيهم وجعل تقصير الليل وزيادة النهار وعكسهما ايلاجا تجوزا وتشبيها وباقي الاية
بين وقوله سبحانه الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير
له ما في السموات وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد قوله فتصبح اعيان عن استقبال ان نزول
الماء وروي عن عكرمة انه قال هذا لا يكون الا بمكة وتهامة قال ع ومعنى هذا انه اخذ قوله
فتصبح مقصودا به صباح ليلة المطر وذهب الى ان ذلك لا يختص في سائر البلاد بل ياخر قال ع وقد
شاهدت هذا في السوس الاقصى نزل المطر ليلا بعد قحط واصبحت تلك الارض الرملة التي
تسفيها الرياح قد اخضرت بنبات ضعيف في قبو ت وقد شاهدت انا ذلك بصحراء سواكن المشرق
وهي في حكم مكة الا ان البحر قد حال بينهما وذلك ان التعدية من جدة الى سواكن مقدار يوم
في البحر او اقل بالريح المعتدلة وكان ذلك في اول الخريف واجرى الله العادة ان امطار تلك
البلاد تكون بالخريف هذا هو الغالب ولما شاهدت ذلك تذكرت هذه الاية الكريمة فسبحان الله ما اعظم
قدرته واللطيف المحكم للامور برفق وقوله سبحانه الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض والفلك
تجري في البحر بامره اي سخر لنا ما في الارض من الحيوان والمعادن وسائر المرافق وباقي الاية بين مما ذكر في
غير هذا الموضع وقوله سبحانه لكل امة جعلنا منسكا الاية المنسك المصدر فهو بمعنى العبادة
والشرعة وهو ايضا موضع النسك وقوله هم ناسكوه يعطي ان المنسك المصدر ولو كان
الموضع لقال هم ناسكون فيه قوله سبحانه وان جادلوك الاية موادعة محضة نسختها اية السيف
وباقي الاية وعيد وقوله سبحانه ان ذلك في كتاب يعني اللوح المحفوظ وقوله سبحانه ان ذلك على
الله يسير يحتمل ان تكون الاشارة الى الحكم في الاختلاف وقوله سبحانه واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يعني ان كفار قريش كانوا اذا تلي عليهم القران وسمعوا ما فيه
من رفض الهتهم والدعاء الى التوحيد عرفت المساءة في وجوههم والمنكر من معتقدهم وعداوتهم
وانهم يريدون ويتسرعون الى السطو بالتالين والسطو ايقاع ببطش ثم امر تعالى نبيه عليه
السلام ان يقول لهم على جهة التوعيد والتقريع انبئكم اي اخبركم بشر من ذلكم والاشارة
بذلكم الى السطو ثم ابتدا بخبر كان قائلا قال له وما هو قال النار اي نار جهنم وقوله وعدها الله
الذين كفروا ويحتمل ان يكون ان الله وعدهم النار فيكون الوعد في الشر ويحتمل انه اراد ان الله سبحانه
وعد النار بان يطعمها الكفار فيكون الوعد على بابه اذ الذي يقتضي قولها هل من مزيد ونحو ذلك
ان ذلك من مسارها ت والاظهر الاول قوله سبحانه وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه
الاية ذكر تعالى امر سلب الذباب وذلك انهم كانوا يضمخون اوثانهم بانواع الطيب فكان الذباب
يتسلط ويذهب بذلك الطيب وكانوا يتالمون من ذلك فجعلت مثلا واختلف المتاولون
في قوله تعالى ضعف الطالب والمطلوب فقالت فرقة اراد بالطالب الاصنام وبالمطلوب
الذباب اي انهم ينبغي ان يكونوا طالبين لما يسلب من طيبهم على معهود الانفة في الحيوان وقيل
في عطاء ذلك والاية لئلا قال ع ويحتمل ان يريد بضعف الطالب وهو الذباب في استلابه ما على
الاصنام وضعف الاصنام في ان لا منعة لهم وبالجملة فدلتهم الاية على ان الاصنام في اخطة ...

ولحسن منزلة لو كانوا يعقلون و وما قدروا الله حق قدره المعنى ما وقوه حقه سبحانه من تعظيم
والتوحيد قوله سبحانه الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس الاية نزلت بسبب قول الوليد
ابن المغيرة ءانزل عليه الذكر من بيننا ص ابو البقاء ومن الناس اى رسلا انتهى ثم امر سبحانه بعبادته وخص
الركوع والسجود بالذكر تشريفا للصلاة واختلف الناس هل في هذه الاية سجدة ام لا فقال ابن
العربي في احكامه قوله سبحانه يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا اتفقها قوم على انها سجدة تلاوة وسجدوا فيها
وقال اخرون هو سجود الصلاة فقصروه عليه وراى عمر رضي الله عنه وابنه عبد الله انها سجدة
تلاوة واني لاسجدها واراها كذلك لما روى ابن وهب وغيره عن مالك وغيره انتهى قوله سبحانه
وافعلوا الخير ندب فيما عدا الواجبات وهذه الاية الكريمة عامة في انواع الخيرات ومن اعظمها
الشفقة والرافة على خلق الله ومواساة الفقراء واهل الحاجة وقد روى ابو داود والترمذي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري كساه الله من خضر الجنة وايما
مسلم اطعم مسلما على جوع اطعمه الله من ثمار الجنة وايما مسلم سقى مسلما على ظما سقاه
الله من الرحيق المختوم انتهى و روى علي بن عبد العزيز البغوي في المسند المنتخب عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ايما مسلم كسا مسلما ثوبا كان في حفظ الله ما بقيت عليه منه رقعة و روى
ابن ابي شيبة في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايما اهل عرصة ظل فيهم امرؤ جائعا فقد برئت
منهم ذمة الله انتهى من الكوكب الدري و قوله سبحانه وجاهدوا في الله حق جهاده قال فرقة الاية في جهاد
الكفار وقالت فرقة بل هي اعم من هذا وهو جهاد النفس وجهاد الكفار والظلمة وغير ذلك امر عباده
بان يفعلوا ذلك في ذات الله حق فعله قال ع والعموم حسن وبين ان عرف اللفظة يقتضي القتال في
سبيل الله و قوله هو اجتباكم اى تخيركم و وما جعل عليكم في الدين من حرج اي من تضييق وذلك ان الملة
حنيفية سمحة ليست كشدائد بني اسرائيل وغيرهم بل فيها التوبة والكفارات والرخص ونحو هذا مما
يكثر عده و ورفع الحرج عن هذه الامة لمن استقام منهم على منهاج الشرع واما السلابة والسراق واصحاب
الحدود فهم ادخلوا الحرج على انفسهم بمفارقتهم الدين وليس في الدين اشد من الزام رجل لاثنين في سبيل الله
ومع صحة اليقين وجودة العزم لا حرج و وملة منصوب بفعل مضمر من الاغراء و قوله هو سماكم
قال ابن زيد الضمير لابراهيم والاشارة الى قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقال ابن عباس وقتادة
ومجاهد الضمير لله تعالى و ومن قبل معناه في الكتب القديمة و وفي هذا اي في القران وهذه اللفظة تضعف
قول من قال الضمير لابراهيم عليه السلام ولا يتوجه الا على تقدير محذوف من الكلام مستانف قال ص
هو قيل يعود على الله تعالى وقيل على ابراهيم وعلى هذا فيكون في هذا القران اي وسميتم بسببه فيه
انتهى و قوله سبحانه ليكون الرسول شهيدا عليكم اي بالتبليغ انتهى و قوله وتكونوا شهداء على الناس
اي بتبليغ رسلهم اليهم على ما اخبركم نبيكم ثم امر سبحانه بالصلاة المفروضة ان تقام ويدام عليها بجميع
حدودها و بالزكاة ان تؤدى ثم امر سبحانه بالاعتصام اي بالتعلق به والخلوص له وطلب النجاة منه
ورفض التوكل على سواه و قوله سبحانه هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير المولى في هذه الاية معناه الذي
يليكم نصره وحفظه وباقي الاية بين بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
واله وصحبه وسلم سورة المومنين مكية قوله تعالى قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم
خاشعون اخبر الله عن فلاح المومنين وانهم نالوا البغية واحرزوا البقاء الدائم ت وعن عمر بن الخطاب

رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي سمع عند وجهه صلى
الله عليه وسلم دوي كدوي النحل فانزل عليه يوما فمكثنا ساعة وسري عنه فاستقبل القبلة ورفع
يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا توثر علينا
وارضنا وارض عنا ثم قال انزل علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المومنون حتى
ختم عشر ايات رواه الترمذي واللفظ له والحاكم والنسائي في السنن وقال صحيح الاسناد انتهى من السلاح
المومن ت وقد نص بعض ائمتنا على وجوب الخشوع في الصلاة قال الغزالي رحمه الله ومن مكايد
الشيطان ان يشغلك في الصلاة بفكر الاخرة وتدبير فعل الخيرات لتمتنع عن فهم ما تقراه واعلم ان
كل ما شغلك عن معاني قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها انتهى
من الاحياء و روي عن مجاهد ان الله تعالى لما خلق الجنة واتقن حسنها قال قد افلح المومنون ثم
وصف تعالى هولاء المفلحين فقال الذين هم في صلاتهم خاشعون و الخشوع التطامن وسكون
الاعضاء والوقار وهذا انما يظهر في الاعضاء ممن في قلبه خوف واستكانة لانه اذا خشع قلبه
خشعت جوارحه و روي ان سبب الاية ان المسلمين كانوا يلتفتون في صلاتهم يمنة ويسرة فنزلت
هذه الاية وامروا ان يكون بصر المصلي حذاء قبلته او بين يديه وفي الحرم الى الكعبة و واللغو سقط
القول وهذا يعم جميع ما لا خير فيه ويجمع اداب الشرع وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه اي يعرضون عن اللغو وكان الاثر فيها موادعة و والذين هم للزكاة فاعلون ذهب الطبري
وغيره الى انها الزكاة المفروضة في الاموال وهذا بين ويحتمل اللفظ ان يريد بالزكاة الفضائل
كانه اراد الازكى من كل فعل كما قال تعالى خيرا منه زكاة واقرب رحما قوله تعالى والذين هم لفروجهم
حافظون الى قوله هم العادون يقتضي تحريم الزنا والاستمناء ومواقعة البهائم وكل ذلك في
قوله وراء ذلك ويريد وراء هذا الحد والعادي الظالم و والامانات والعهد يجمع كل ما تحمله الانسان
من امر دينه ودنياه قولا وفعلا وهذا يعم معاشرة الناس والمواعيد وغير ذلك و ورعاية ذلك
حفظه والقيام به والامانة اعم من العهد اذ كل عهد فهو امانة وقرا الجمهور صلواتهم وقرا
حمزة والكسائي صلاتهم بالافراد و الوارثون يريد الجنة وفي الحديث عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى جعل لكل انسان مسكنا في الجنة ومسكنا في النار فاما المومنون فياخذون منازلهم
ويرثون منازل الكفار ويجعل الكفار في منازلهم في النار ت وخرجه ابن ماجه ايضا بمعناه
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا له منزلان منزل في الجنة
ومنزل في النار فاذا مات ودخل النار ورث اهل الجنة منزله فذلك قوله تعالى
اولئك هم الوارثون قال القرطبي في التذكرة اسناده صحيح انتهى من التذكرة قال ع ويحتمل
ان يسمى الله تعالى حصولهم في الجنة وراثة من حيث حصلوها دون غيرهم وفي الحديث عنه صلى الله
عليه وسلم ان الله احاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرس غراسها بيده
وقال لها تكلمي فقالت قد افلح المومنون فقال طوبى لك منزل الملوك خرجه البغوي في
المسند المنتخب له انتهى من الكوكب الدري و قوله سبحانه ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
اختلف في قوله الانسان فقال قتادة وغيره اراد ادم عليه السلام لانه استل من طين وقال
ابن عباس وغيره المراد ابن ادم و القرار المكين من المراة هو موضع الولد و المكين المتمكن و العلقة

ئل

الذى حدم

انعالم

الدم الغريض والمضغة بضعة اللحم قدر ما يمضغ واختلف الناس في الخلق الآخر
فقال ابن عباس وغيره هو نفخ الروح فيه وقال ابن عباس ايضا خروجه الى الدنيا وقال ايضا
تصرفه في امور الدنيا وقيل هو نبات شعره قال ع وهذا التخصيص كله لا وجه له وانما هو
عام في هذا وغيره من وجوه النطق وحسن المحاولة وتبارك مطاوع بارك فكانها بمنزلة تعالى
وتقدس من معنى البركة وقوله احسن الخالقين معناه الصانعين يقال لمن صنع شيئا خلقه
وذهب بعض الناس الى نفي هذه اللفظة عن الناس فقال ابن جريج انما قال الخالقين لانه تعالى اذن لعيسى
في ان يخلق واضطرب بعضهم في ذلك قال ع ولا تنفى اللفظة عن البشر في معنى الصنع وانما هي منفية
بمعنى الاختراع والايجاد من العدم وقوله سبحانه ثم انكم بعد ذلك لميتون اي بعد هذه الاحوال المذكورة
ويريد بالسبع الطرائق السموات والطرائق كل ما كان طبقات بعضه فوق بعض ومنه طارقت نعلي ويجوز
ان تكون الطرائق بمعنى المبسوطات من طرقت الشيء وقوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر
الآية ظاهر الآية انه ماء المطر واسند ابو بكر الخطيب في اول تاريخ بغداد عن ابن عباس عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال انزل الله من الجنة الى الارض خمسة انهار سيحون وهو نهر الهند
وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر انزلها الله تعالى
من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل فاستودعها
الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم فذلك قوله تعالى وانزلنا
من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض فاذا كان عند خروج ياجوج وماجوج ارسل الله تعالى
جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم كله والحجر من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت
موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع ذلك كله الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به
لقادرون فاذا ارتفعت هذه الاشياء من الارض فقد اهلها خير الدين والدنيا وفي رواية
خير الدنيا والآخرة انتهى فان صح هذا الحديث فلا نظر لاحد معه ونقل ابن العربي في احكامه هذا
الحديث ايضا عن ابن عباس وغيره ثم قال في آخره وهذا جائز في القدرة ان صحت به الرواية
انتهى قال ع وقال بعض العلماء اراد المطر وقال بعضهم انما اراد الانهار الاربعة سيحان وجيحان والفرات
والنيل قال ع والصواب ان هذا كله داخل تحت الماء الذي انزله الله تعالى وقوله تعالى لكم فيها فواكه
كثيرة يحتمل ان يعود الضمير على الجنات فيشمل انواع الفواكه ويحتمل ان يعود على النخيل والاعناب
خاصة اذ فيها مراتب وانواع والاول اعم لسائر الثمرات وقوله وشجرة عطف على جنات ويريد بها
الزيتونة وهي كثيرة في طور سيناء من ارض الشام وهو الجبل الذي كلم فيه موسى عليه السلام قاله ابن عباس
وغيره والطور الجبل الذي في كلام العرب واختلف في سيناء فقال قتادة معناه الحسن وقال الجمهور
هو اسم الجبل كما تقول جبل احد وقرا الجمهور تنبت بفتح التاء وضم الباء فالتقدير تنبت ومعها
الدهن كما تقول خرج زيد بسلاحه وقرا ابن كثير وابو عمرو تنبت بضم التاء وكسر الباء واختلف
التقدير على هذه القراءة فقالت فرقة الباء زائدة كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقالت
فرقة التقدير تنبت جناها ومعه الدهن فالمفعول محذوف وقيل نبت وانبت بمعنى فيكون
كما مضى في قراءة الجمهور والمراد بالآية تعديد النعم على الانسان وبالحجة بين قوله سبحانه ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا

من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم الآية هذا ابتداء تمثيل لكفار قريش
بامم كفرت بانبيائها فاهلكوا وفي ضمن ذلك الوعيد بان يحل بهؤلاء ما حل باولئك والملأ الاشراف
والجنة الجنون وحتى حين معناه الى وقت يريحكم القدر منه ثم ان نوحا عليه السلام دعا على قومه حين
يئس منهم وان كان دعاؤه في هذه الآية ليس بنص وانما هو ظاهر من قوله بما كذبون فهذا يقتضي طلب
العقوبة واما النصر مجردها فكانت تكون بردهم الى الايمان وقوله عز وجل فاوحينا اليه ان اصنع
الفلك باعيننا ووحينا فاذا جاء امرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا
من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت انت ومن معك على
الفلك فقل الحمد لله قوله باعيننا عبارة عن الادراك هذا مذهب الحذاق ووقفت الشريعة على اعين وعين
ولا يجوز ان يقال عينان من حيث لم توقف الشريعة على التثنية ووحينا معناه في كيفية العمل ووجه
البناء بجميع حكم السفينة وما يحتاج اليه وامرنا يحتمل ان يكون واحد الامور ويحتمل ان يكون
واحد الاوامر والصحيح من الاقوال في التنور انه تنور الخبز وانها امارة كانت بين الله تعالى وبين نوح
عليه السلام وقوله فاسلك معناه فادخل يقال سلك واسلك بمعنى وقرا حفص عن عاصم من كل
بالتنوين والباقون بغير تنوين والزوجان كل ما شانه الاصطحاب من كل شيء نحو الذكر والانثى من الحيوان
ونحو النعال وغيرها هذا موقع اللفظ في اللغة وقوله واهلك يريد قرابته ثم استثنى من سبق عليه القول
بانه كافر وهو ابنه وامراته ثم امر نوح ان لا يراجع ربه ولا يخاطبه شافعا في احد من الظالمين ثم
امر بالدعاء في بركة المنزل وقوله سبحانه ان في ذلك لآيات خطاب لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم
اخبر سبحانه انه يبتلي عباده الزمن بعد الزمن على جهة الوعيد لكفار قريش بهذا الاخبار واللام في
لمبتلين لام التوكيد ومبتلين معناه مصيبين ببلاء ومختبرين اختبارا يؤدي الى ذلك وقوله سبحانه
ثم انشانا من بعدهم قرنا آخرين قال الطبري رحمه الله ان هذا القرن هم ثمود وهم قوم صالح قال ع وفي جل الروايات
ما يقتضي ان قوم عاد اقدم الا انهم لم يهلكوا بالصيحة ع وهو ظاهر ترتيب قصص القرآن ان عادا
اقدم واترفناهم معناه نعمناهم وبسطنا لهم في الاموال والارزاق وقولهم ايعدكم استفهام على جهة
الاستبعاد وانكم الثانية بدل من الاولى عند سيبويه وقولهم هيهات هيهات استبعاد وهيهات احيانا تلي
الفاعل دون لام تقول هيهات مجيء زيد اي بعد ذلك ومنه قول جرير

فهيهات هيهات العقيق ومن به ... وهيهات خل بالعقيق نواصله

واحيانا يكون الفاعل محذوفا وذلك عند وجود اللام كهذه الآية التقدير بعد الوجود لما توعدون
قال ع ورد بانه حذف الفاعل وحذف المصدر وهو الوجود وذلك غير جائز عند البصريين
وذكر ابو البقاء ان اللام زائدة وما فاعل اي بعد ما توعدون قال ابو حيان وهذا تفسير معنى
لا اعراب لانه لم تثبت مصدرية هيهات انتهى وقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا اراد وانه لا وجود لنا
غير هذا الوجود وانما نموت منا طائفة فتذهب وتجيء طائفة جديدة وهذا هو كفر الدهرية
وقوله قال عما قليل ليصبحن نادمين المعنى قال الله لهذا النبي الداعي عما قليل يندم قومك على
كفرهم حين لا ينفعهم الندم ومن ذكر الصيحة ذهب الطبري الى انهم قوم ثمود وقوله بالحق اي
بما استحقوا بافعالهم وبما حق منا في عقوبتهم والغثاء ما يحمله السيل من زبده الذي لا ينتفع به
فيشبه كل هامد وتالف بذلك قال ابو حيان وبعدا منصوب بفعل محذوف اي بعدوا بعدا اي هلكوا

انتهى ثم اخبر سبحانه انه انشأ بعد هؤلاء امما كثيرة لكل امة باجل وفي كتاب لا تتعداه في وجودها وعند
موتها و تترى مصدر من تواتر الشيء و قوله سبحانه فاتبعنا بعضهم بعضا في الاهلاك و قوله تعالى وجعلناهم
احاديث يريد احاديث مثل وقل ما يستعمل الجعل حديثا الا في الشر و عالين معناه قاصدين للعلو بالظلم
و قولهم وقومهما لنا عابدون معناه خادمون متذللون و الطريق المعبد المذلل ومنه قول كثير
يريد بالعرف و قوله سبحانه ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة و لعلهم يريد بني اسرائيل لان التوراة انما نزلت
بعد هلاك فرعون والقبط و الربوة المرتفع من الارض و القرار التمكن وبين ان ماء هذه الربوة يرى
معينا جاريا على وجه الارض قاله ابن عباس فالمعين الظاهر الجاري للعين فالميم زائدة وهو الذي يجري لا
كالبير ونحوه ويحتمل ان يكون من قولهم معن الماء اذا كثر وهذه الربوة هي الموضع الذي فرت اليه مريم
وقت وضع عيسى عليه السلام هذا قول بعض المفسرين واختلف الناس في موضع الربوة فقال ابن المسيب هي الغوطة
بدمشق وهذا اظهر الاقوال لان صفة الغوطة انها ذات قرار ومعين على الكمال وقال كعب الاحبار الربوة بيت
المقدس وزعم ان في التوراة ان بيت المقدس اقرب الارض الى السماء وانه يزيد على الارض ثمانية عشر ميلا قال ع ويترجح
ان الربوة في بيت لحم من بيت المقدس لان ولادة عيسى هنالك كانت وحينئذ كان الايواء وقال ابن العربي حكى اختلاف كثير
في تعيين هذه الربوة على اقوال منها ما تفسيره لغة ومنها ما تفسيره نقلا فيفتقر صحته الى سند الى النبي صلى الله عليه
وسلم الا ان ها هنا نكتة وذلك انه اذا نقل الناس نقلا متواترا ان هذا موضع كذا وان هذا الامر جرى كذا
وقع العلم به ولزم قبوله لان الخبر المتواتر ليس من شرطه الايمان وخبر الاحاد لا بد من كون المخبر به بصفة
الايمان لانه بمنزلة الشاهد والخبر المتواتر بمنزلة العيان وقد بينا ذلك في اصول الفقه والذي شاهدت عليه الناس
ورايتهم يعينونه تعيين تواتر موضع في سفح الجبل في غربي دمشق انتهى وما ذكره من ان المتواتر ليس من شرطه الا
هذا هو الصحيح وفيه خلاف الا انا لا نسلم ان هذا متواتر لاختلال شرطه انظر مختصر ابن الحاجب قوله
سبحانه يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم يحتمل ان يكون معناه وقلنا يا ايها الرسل
وقالت فرقة الخطاب بقوله يا ايها الرسل للنبي صلى الله عليه وسلم قال ع والوجه في هذا ان يكون الخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم وخرج بهذه الصيغة ليفهم وجيزا ان المقالة قد خوطب بها كل نبي وهي طريقتهم التي ينبغي لهم
الكون عليها كما تقول لعالم يا علماء انكم ائمة يقتدى بكم فتمسكوا بعلمكم وقال الطبري الخطاب لعيسى وضعف
في تاويل الاية انه امر للمرسلين كما هو نص صريح في الحديث فلا معنى للتردد في ذلك وقد روى مسلم والترمذي
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر
المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وقال يا ايها
الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب
ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك انتهى قوله تعالى وان هذه امتكم
امة واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون و هذه الاية تقوي ان قوله زبرا
تعالى يا ايها الرسل انما هو مخاطبة لجميعهم وانه بتقدير حضورهم واذا قدرت يا ايها الرسل مخاطبة للنبي
صلى الله عليه وسلم قلق اتصال هذه واتصال قوله فتقطعوا ومعنى الامة هنا الملة والشريعة والاشارة
بهذه الى الحنيفية السمحة ملة ابراهيم عليه السلام وهو دين الاسلام و قوله سبحانه فتقطعوا يريد الامم اي افترقوا
وليس بفعل مطاوع كما تقول تقطع الثوب بل هو فعل متعد بمعنى قطعوا و قرا نافع زبرا جمع زبور
وهذه القراءة تحتمل معنيين احدهما ان الامم تنازعت كتبا منزلة فاتبعت فرقة الصحف وفرقة التوراة

وفرقة الانجيل ثم حرفت الكل وبدلت وهذا قول قتادة والثاني انهم تنازعوا امرهم كتبا وضعوها
وضلالات الفوها قاله ابن زيد وقرا ابو عمرو بخلاف عنه زبرا بضم الزاي وفتح الباء ومعناها فرقا كزبر الحديد
ومن حيث كان ذكر الامم في هذه الاية مثالا لقريش خاطب الله سبحانه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في شانهم متصلا
بقوله فذرهم اي فذر هؤلاء الذين هم بمنزلة من تقدم و الغمرة ما عمهم من ضلالهم وفعل بهم فعل الماء
الغمر بما حصل فيه و الخيرات هنا نعم الدنيا و قوله سبحانه والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة الاية
واسند الطبري عن عائشة قالت قلت يا رسول الله قوله تعالى يؤتون ما اتوا هي في الذي يزني ويسرق قال لا
يا بنت ابي بكر بل هي في الرجل يصوم ويتصدق ويصلي وقلبه وجل يخاف ان لا يتقبل منه قال ع ولا نظر مع الحديث
و الوجل نحو الاشفاق والخوف وصفة هذا الوجل ما تخالط فينبغي ان يكون ابدا تحت خوف من ان يكون
ينفذ عليه الوعيد بتخليطه واما التقي والتائب فخوفه امر الخاتمة وما يطلع عليه بعد الموت و في قوله
تعالى انهم الى ربهم راجعون تنبيه على الخاتمة وقال الحسن معناه الذين يفعلون ما يفعلون من البر ويخافون
ان لا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم وهذه عبارة حسنة و روي عن الحسن ايضا انه قال المؤمن يجمع احسانا وشفقة
والمنافق يجمع اساءة وامنا ت ولهذا الخطب العظيم اطال الاولياء في هذه الاية تحزنهم واجروا على الوجنات مدامعهم
قال ابن المبارك في رقائقه اخبرنا سفيان قال انما الحزن على قدر البصيرة قال ابن المبارك واخبرنا مالك بن مغول
عن رجل عن الحسن قال ما عبد الله بمثل طول الحزن وقال ابن المبارك اخبرنا مسعر عن عبد الاعلى التيمي قال ان من
اوتي من العلم ما لا يبكيه لخليق ان لا يكون اوتي علما ينفعه لان الله تعالى نعت العلماء فقال ان الذين اوتوا
العلم من قبله اذا يتلى عليهم الى قوله يخرون للاذقان يبكون انتهى قوله سبحانه اولئك يسارعون في الخيرات وهم
لها سابقون اي اليها سابقون وهذا قول بعضهم في قوله لها وقالت فرقة معناه وهم من اجلها سابقون وقال
الطبري عن ابن عباس المعنى سبقت لهم السعادة في الازل وهم لها ورجحه الطبري بان اللام متمكنة في المعنى و قوله
سبحانه ولدينا كتاب ينطق بالحق ظاهر ما قيل فيه انه اراد كتاب احصاء الاعمال الذي ترفعه الملائكة وقيل
الاشارة الى القران والاول اظهر و قوله سبحانه بل قلوبهم في غمرة من هذا اختلف في الاشارة بقوله من هذا هل هي
الى القران او الى كتاب الاحصاء او الى الدين بجملته او الى النبي صلى الله عليه وسلم و لهم اعمال اي من الفساد
هم لها عاملون في الحال والاستقبال و المترف المنعم في الدنيا الذي هو منهمك في الترف و يجأرون معناه يستغيثون
بصياح كصياح البقر وكثر استعمال الجؤار في البشر ومنه قول الاعشى شعر يراوح من صلوات المليك شعر
طورا سجودا وطورا جؤارا شعر وقال ص جأر الى الله تعالى اي تضرع قاله الجوهري انتهى وذهب مجاهد وغيره
الى ان هذا العذاب المذكور هو الوعيد بيوم بدر وقيل غير هذا و قوله لا تجأروا اليوم اي يقال لهم يوم
العذاب لا تجأروا اليوم و قوله قد كانت اياتي تتلى عليكم يعني القران و تنكصون معناه ترجعون وراءكم وهذه
استعارة للاعراض والادبار عن الحق و مستكبرين حال و الضمير في به عائد على الحرم والمسجد وان لم يتقدم
له ذكر لشهرته والمعنى انكم تعتقدون في نفوسكم ان لكم بالمسجد الحرام اعظم الحقوق على الناس والمنزلة عند الله
فانتم تستكبرون لذلك وليس الاستكبار من الحق وقالت فرقة الضمير عائد على القران والمعنى يحدث لكم سماع اياتي
كبرا وطغيانا وهذا قول جيد و ذكر منذر بن سعيد ان الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بما
بعده كان الكلام تم في قوله مستكبرين ثم قال بمحمد عليه السلام سامرا تهجرون و سامرا حال وهو مفرد
بمعنى الجمع يقال قوم سمر وسمر وسامر ومعناه سامر الليل ماخوذ من السمر وهو ما يقع على الاشخاص من ضوء القمر
وكانت العرب تجلس للسمر تتحدث وهذا اوجب معرفتها بالنجوم لانها تجلس في الصحراء فترى الطوالع من الغوارب

وقرأ ابو رجاء سامرا وقرأ ابن عباس وغيره سمّرا وكانت قريش تسمر حول الكعبة في باطلها وكفرها وقرأ
السبعة غير نافع تهجرون بفتح التاء وضم الجيم قال ابن عباس معناه تهجرون الحق وذكر الله وتقطعونه
من الهجران المعروف وقال ابن زيد هو من هجر المريض اذا هذى اي تقولون اللغو من القول قاله ابو حاتم
وقرأ نافع وحده تُهجِرون بضم التاء وكسر الجيم وهي قراءة اهل المدينة ومعناه تقولون الفحش والهجر
من القول وهذه اشارة الى سبّهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قاله ابن عباس وغيره ثم وبخهم سبحانه بقوله
افلم يدبروا القول لانهم بعد التدبر والنظر الفاسد قال بعضهم شعر وبعضهم سحر وغير ذلك وام
جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين اي ليس ببدع بل قد جاء اباءهم الاولين وهم سالف الامم الرسل
كنوح وابراهيم واسمعيل وغيرهم وفي هذا التاويل نظر ويتجوز ان نجعل سالف الامم اباء اذ الناس في الجملة
اخرهم من اولهم وام لم يعرفوا رسولهم المعنى الم يعرفوا صدقه وامانته مدة عمره صلى الله عليه وسلم
وقوله سبحانه ولو اتبع الحق اهواءهم قال ابن جريج وابو صالح الحق الله تعالى قال ع وليس هذا من نمط
الاية وقال غيرهما الحق هو الصواب المستقيم قال ع وهذا هو الاحرى ويستقيم على هذا فساد السموات والارض
ومن فيهن لو كان بحكم هوى هولاء وذلك انهم جعلوا لله شركاء واولادا ولو كان هذا حقا لم يكن لله
عز وجل الصفات العلية ولو لم تكن له سبحانه لم تكن الصنعة ولا القدرة كما هي وكان ذلك فساد السموات
والارض ومن فيهن لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا قوله سبحانه بل اتيناهم بذكرهم قال ابن عباس
بوعظهم ويحتمل بشرفهم وهو قرىء وام تسألهم خرجا الخرج والخراج بمعنى وهو المال الذي يجبى
ويوتى به لاوقات محدودة وقوله سبحانه فخراج ربك خير يريد ثوابه ويحتمل ان يريد فخراج ربك
رزقه ويؤيده قوله وهو خير الرازقين والصراط المستقيم دين الاسلام وناكبون اي حائدون
ومعرضون قاله البخاري لناكبون لعادلون انتهى قال ابو حيان يقال نكب عن الطريق ونكّب بالتشديد
اي عدل عنه انتهى ثم اخبر تعالى عنهم انهم لو زال عنهم القحط ومنّ الله عليهم بالخصب ورحمهم بذلك
لبقوا على كفرهم ولجّوا في طغيانهم وهذه الاية نزلت في المدة التي اصابت فيها قريشا السنون الجدبة والجوع الذي
دعا به النبي صلى الله عليه وسلم في قوله اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف الحديث ولقد اخذناهم
بالعذاب قال ابن عباس وغيره هو الجوع والجدب حتى اكلوا الجلود وما جرى مجراها وروي انهم لما بلغهم الجهد
ركب ابو سفيان وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال يا محمد الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين
قال بلى قال قد قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع وقد اكلنا العلهز فنزلت الاية واستكانوا
معناه تواضعوا وانخفضوا وقوله سبحانه حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد الاية توعّد بعذاب
غير معين وهذا هو الصواب وهذه المجاعة انما كانت بعد وقعة بدر والمبلس الذي قد نزل به شر ويئس
من زواله ونسخه بخير ثم ابتدأ تعالى تعديد نعمه في نفس تعديدها استدلال بها على عظم قدرته
سبحانه فقال وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار انشأ بمعنى اخترع والافئدة القلوب وذرأ بث وخلق
وقوله بل قالوا والجحد قبله مقدر كانه قال ليس لهم نظر في هذه او نحو هذا والاولون يشير به الى الامم الكافرة
كعاد وثمود وقوله تعالى لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل الاية قولهم واباؤنا ان حكي مقالة غيرهم
فمرادهم من سلف من العالم جعلوهم اباء من حيث النوع واحد وكونهم سلفا وفيه تجوز وان
حكى ذلك عن الاولين فالامر مستقيم فيهم قوله سبحانه قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون
لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون

قل

قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون
امر الله سبحانه وتعالى نبيه عليه السلام ان يوقفهم على هذه الاشياء التي لا يمكنهم الا الاقرار بها ويلزم من الاقرار
بها توحيد الله واذعانهم لشرعه ورسالة رسله وقرأ الجميع في الاول لله بلا خلاف واختلفوا في الثاني والثالث فقرأ
ابو عمرو وحده الله جوابا على اللفظ وقرأ باقي السبعة لله جوابا على المعنى كان قال في السؤال لمن ملك السبع السموات
وقوله سبحانه فانى تسحرون توقيف وتشبيه لما وقع منهم من التخليط ووضع الافعال والاقوال غير مواضعها بما يقع من المسحور
عبّر عنهم بذلك وقالت فرقة تسحرون معناه تمنعون وحكى بعضهم ذلك لغة والاجارة المنع والمعنى ان الله
اذا اراد منع احد فلا يقدر عليه واذا اراد اخذه فلا مانع له وقوله سبحانه وانهم لكاذبون اي فيما
ذكروه من الصاحبة والولد والشريك تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وفي قوله سبحانه وما كان معه من
اله الاية دليل التمانع وهذا هو الفساد الذي تضمنه قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
والجزء المخترع محال ان تتعلق به قدرتان فصاعدا وقد تقدم الكلام على هذا الدليل فاغنى عن اعادته
ص قوله اذا جواب لمحذوف تقديره لو كان معه اله اذا لذهب وقوله عالم الغيب المعنى هو عالم الغيب
وقرأ ابو عمرو وغيره عالم بالجر اتباعا للمكتوبة وقوله سبحانه قل رب اما تريني ما يوعدون رب
فلا تجعلني في القوم الظالمين امر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يدعو لنفسه بالنجاة من عذاب الظلمة
ان كان قضى ان يريه ذلك وان شرط وما زائدة وتريني جزم بالشرط لزمته النون الثقيلة وهي لازمة
اما عند المبرد ويجوز عند سيبويه ان تفارق لكن استعمال القران لزومها فمن هنالك الزمه
المبرد وهذا الدعاء فيه استصحاب الخشية والتحذير من الامر المعذب من اجله ثم نظيره لسائر
الامة دعاء في حسن الخاتمة وقوله ثانيا رب اعتراض بين الشرط وجوابه وقوله سبحانه ادفع
بالتي هي احسن السيئة امر بالصفح ومكارم الاخلاق وما كان منها لهذا فهو محكم باق في الامة
ابدا وما كان بمعنى الموادعة فمنسوخ باية القتال وقوله نحن اعلم بما يصفون يقتضي انها اية موادعة
وقال مجاهد الدفع بالتي هي احسن هو السلام تسلم عليه اذا لقيته وقال الحسن والله لا يصيبها
احد حتى يكظم غيظه ويصفح عما يكره وفي الاية عدة للنبي صلى الله عليه وسلم اي اشتغل انت
بهذا وكل امرهم الينا ثم امره سبحانه بالتعوذ من همزات الشياطين وهي سورات الغضب التي لا يملك الانسان
فيها نفسه وكانها هي التي كانت تصيب المومنين مع الكفار فتقع المجادلة فلذلك اتصلت بهذه الاية
وقال ابن زيد همزات الشياطين الجنون وفي مصنف ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اللهم اني اعوذ بك من همز الشيطان همزه ونفخه ونفثه قال ابو داود همزه الموتة ونفخه الكبر
ونفثه السحر قال ع والنزغات وسورات الغضب من الشيطان وهي المتعوذ منها في الاية واصل الهمز الدفع
والوخز بيد وغيرها ت قال صاحب سلاح المومن وهمزات الشياطين خطراتها التي تخطرها بقلب الانسان
انتهى وقال الواحدي همزات الشياطين نزغاتها ووساوسها انتهى وقوله سبحانه حتى اذا جاء احدهم الموت قال
رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت حتى في هذا الموضع حرف ابتداء والضمير في قوله احدهم
للكفار وقوله ارجعون اي الى الحياة الدنيا والنون في ارجعون نون العظمة وقال النبي صلى
الله عليه وسلم لعائشة اذا عاين المومن قالت له الملائكة نرجعك فيقول الى دار الهموم والاحزان
بل قدما الى الله واما الكافر فيقول ارجعون لعلي اعمل صالحا وقوله كلا رد وزجر وقوله انها كلمة هو
قائلها يحتمل ثلاثة معان احدها الاخبار المؤكد بان هذا الشيء يقع ويقول هذه الكلمة الثاني ان يكون

المعنى انها كلمة لا تغني اكثر من انه يقولها ولا نفع له فيها ولا غوث الثالث ان تكون اشارة الى انه لو رد لعاد والضمير في ورائهم للكفار والبرزخ في كلام العرب الحاجز بين المسافتين ثم يستعار لما عدا ذلك وهو هنا للمدة التي بين موت الانسان وبين بعثه هذا اجماع من المفسرين قوله عز وجل فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ الاية قال ابن مسعود وغيره هذا عند النفخة الثانية وقيام الناس من القبور فهم حينئذ لهول المطلع واشتغال كل امرئ بنفسه قد انقطعت بينهم الوسائل وزال انتفاع الانساب فلذلك نفاها سبحانه والمعنى فلا انساب نافعة وروي عن قتادة انه ليس احد ابغض الى الانسان في ذلك اليوم ممن يعرف لانه يخاف ان يكون له عنده مظلمة وفي ذلك اليوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه ويفرح كل احد يومئذ ان يكون له حق على ابنه وابيه وقد ورد بهذا حديث وكان ارتفاع التساؤل لهذه الوجوه ثم تاتي في القيامة مواطن يكون فيها التساؤل والتعارف قال ع وهذا التاويل حسن وهو مروي المعنى عن ابن عباس وذكر البزار من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ملكا موكل بالميزان فيؤتى بابن ادم فيوقف بين كفتي الميزان فان ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها ابدا وان خف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا انتهى من العاقبة وروى ابو داود في سننه عن عائشة انها ذكرت النار فبكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون اهليكم يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما في ثلاث مواطن فلا يذكر احد احدا عند الميزان حتى يعلم ايخف ميزانه ام يثقل وعند الكتاب حين يقال هاؤم اقرؤوا كتابيه حتى يعلم اين يقع كتابه افي يمينه ام في شماله ام من وراء ظهره وعند الصراط اذا وضع بين ظهري جهنم انتهى وتلفح النار اصابتها بالوهج والاحراق والكلوح انكشاف الشفتين عن الاسنان وقد شبه ابن مسعود ما في الاية بما يعتري رؤوس الكباش اذا شيطت بالنار فانها تكلح ومنه كلوح الكلب والاسد ت وفي الترمذي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته الحديث قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب انتهى وهذا هو المعول عليه في فهم الاية واما قول البخاري كالحون معناه عابسون فغير ظاهر ولعله لم يقف على الحديث قوله سبحانه الم تكن اياتي اي يقال لهم والايات هنا القران وقرا حمزة شقاوتنا ثم وقع جوابهم بحسب ما حتم الله من عذابهم بقوله اخسؤوا فيها ولا تكلمون ويقال ان هذه الكلمة اذا سمعوها يئسوا من كل خير فتطبق عليهم جهنم ويقع الياس عافانا الله من عذابه بمنه وقوله اخسؤوا زجر وهو مستعمل في زجر الكلاب قوله عز وجل انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا الاية الهاء في انه مبهمة وهي ضمير الامر والشان والفريق المشار اليه كل مستضعف من المؤمنين يتفق ان يكون حاله مع كفار مثل هذه الحالة ونزلت الاية في كفار قريش مع صهيب وعمار وبلال ونظرائهم ثم هي عامة فيمن جرى مجراهم قديما وبقية الدهر وقرا نافع وحمزة والكسائي سخريا بضم السين والباقون بكسرها فقيل هما بمعنى واحد ذكر ذلك الطبري وقال ابو زيد الانصاري انهما بمعنى الهزء وقال ابو عبيدة وغيره ان ضم السين من السخرة والتخديم وكسرها من السخر وهو الاستهزاء ومعنى الاستهزاء هنا اليق الا في قوله وكنتم منهم تضحكون

قوله

وقوله سبحانه كم لبثتم في الارض عدد سنين الاية قوله في الارض قال الطبري معناه في الدنيا احياء وعن هذا وقع السؤال ونسوا لفرط هول العذاب حتى قالوا يوما او بعض يوم والغرض توقيفهم على ان اعمارهم قصيرة اداهم الكفر الى عذاب طويل عافانا الله من ذلك بمنه وقال الجمهور معناه كم لبثتم في جوف التراب امواتا قال ع وهذا هو الاصوب من حيث انكروا البعث وكان قولهم انهم لا يقومون من التراب وقوله اخرا انكم الينا لا ترجعون يقتضي ما قلناه ت الايات محتملة للمعنيين والله اعلم بما اراد سبحانه قال البخاري قال ابن عباس فسئل العادين اي الملائكة انتهى ص قرا الجمهور العادين بشد الدال اسم فاعل من عد وقرا الحسن والكسائي في رواية العادين بتخفيف الدال اي الظلمة وان من قوله ان لبثتم نافية اي ما لبثتم الا قليلا انتهى وعبثا معناه باطلا لغير غاية مرادة وخرج ابو نعيم الحافظ عن حنش الصنعاني عن ابن مسعود انه قرا في اذن مبتلى افحسبتم انما خلقناكم عبثا الى اخر السورة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان رجلا موقنا قراها على جبل لزال انتهى وخرجه ابن السني ايضا ذكره النووي وقوله سبحانه فتعالى الله الملك الحق المعنى فتعالى الله عن مقالتهم في دعوى الشريك والصاحبة والولد ثم توعد سبحانه عبدة الاوثان بقوله فانما حسابه عند ربه وفي حرف عبد الله ثم امر تعالى نبيه بالدعاء فقال وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين

وفي حرف عبد الله عند ربك

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

سورة النور مدنية

قوله تعالى سورة انزلناها وفرضناها الاية معناه فرضنا اوجبنا واثبتنا قال الثعلبي والواحدي فرضناها اي اوجبنا ما فيها من الاحكام انتهى وقال البخاري قال ابن عباس سورة انزلناها بيناها انتهى وما تقدم ابين ص فرضناها الجمهور بتخفيف الراء اي فرضنا احكامها وابو عمرو وابن كثير بتشديد الراء اما للمبالغة في الايجاب واما لان فيها فرائض شتى انتهى والايات البينات امثالها ومواعظها واحكامها قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما الاية هذه الاية ناسخة لاية الحبس باتفاق وحكم المحصنين منسوخ باية الرجم والسنة المتواترة على ما تقدم في سورة النساء وقرا الجمهور رافة بهمزة ساكنة من راف اذا رق ورحم والرافة المنهي عنها هي في اسقاط الحد اي اقيموه ولا بد وهذا تاويل ابن عمر وغيره وقال قتادة وغيره هي في تخفيف الضرب عن الزناة ومن رايهم ان يخفف ضرب الخمر والفرية دون ضرب الزناة قوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين اي اغلاظا على الزناة وتوبيخا لهم ولا خلاف ان الطائفة كلما كثرت فهو اليق بامتثال الامر واختلف في اقل ما يجزئ فقال الزهري الطائفة ثلاثة فصاعدا وقال عطاء لا بد من اثنين وهذا هو مشهور قول مالك فراها موضع شهادة قوله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة مقصد الاية تشنيع الزنا وتشنيع امره وانه محرم على المؤمنين ويراد بقوله لا ينكح اي لا يطا فالنكاح هنا بمعنى الجماع كقوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره وقد بينه صلى الله عليه وسلم في الصحيح انه بمعنى الوطء حيث قال لا حتى تذوقي عسيلته الحديث وتحتمل الاية وجوها اخر هذا احسنها قوله سبحانه والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء الاية نزلت بسبب القاذفين وذكر تعالى في الاية قذف النساء من حيث هو اهم والشنيع وقذف الرجال داخل في حكم الاية بالمعنى والاجماع على ذلك والمحصنات هنا العفائف وشدد تعالى على القاذف في اربعة شهداء رحمة بعباده وسترا لهم وحكم شهادة الاربعة ان تكون على معاينة مبالغة كالمرود في المكحلة في موطن واحد فان اضطرب منهم واحد جلد الثلاثة والجلد الضرب ثم امر تعالى ان لا تقبل للقذفة المحدودين شهادة ابدا وهذا يقتضي مدة اعمارهم ثم حكم بفسقهم ثم

استثنى تعالى من تاب واصلح من بعد القذف فالاستثناء غير عامل في جلده باجماع وعامل
في فسقه باجماع واختلف في عمله في رد الشهادة والجمهور انه عامل في رد الشهادة فاذا تاب القاذف
قبلت شهادته ثم اختلفوا في صورة توبته فقيل بان يكذب نفسه والا لم تقبل وقالت فرقة
منها مالك توبته ان يصلح ويحسن حاله وان لم يرجع عن قوله بالتكذيب واختلف فقهاء
المالكية متى تسقط شهادة القاذف فقال ابن الماجشون بنفس قذفه وقال ابن القاسم وغيره
لا تسقط حتى يجلد فان منع من جلده مانع عفو او غيره لم ترد شهادته قال اللخمي شهادته في مدة الاجل
للاثبات موقوفة وتابوا معناه رجعوا وقد رجح الطبري وغيره قول مالك واختلف ايضا على القول
بجواز شهادته فقال مالك تجوز في كل شيء باطلاق وكذلك كل من حد في شيء وقال سحنون من حد في شيء فلا
تجوز شهادته في مثل ما حد فيه واتفقوا فيما احفظ على ولد الزنا ان شهادته لا تجوز في الزنا وقوله سبحانه
والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم الاية لما رمى هلال بن امية الواقفي زوجته
بشريك بن سحماء عزم النبي صلى الله عليه وسلم على ضربه حد القذف فنزلت هذه الاية حسبما هو
مشروح في الصحاح فجمعهما صلى الله عليه وسلم في المسجد وتلاعنا وجاء ايضا عويمر العجلاني فرمى امرأته
ولاعن والمشهور ان نازلة هلال قبل وانها سبب الاية والازواج في هذه الاية يعم المسلمات والكافرات والاماء
فكلهن يلاعنهن الزوج للانتفاء من الحمل وتختص الحرة بدفع حد القذف عن نفسها وقرأ السبعة
غير نافع ان لعنة وان غضب بتشديد ان فيهما ونصب اللعنة والغضب والعذاب المدرأ في قول
الجمهور هو الحد وجعلت اللعنة للرجل الكاذب لانه مفتر مباهت فابعد باللعنة وجعل الغضب
الذي هو اشد على المرأة التي باشرت المعصية بالفعل ثم كذبت وباهلت بالقول والله اعلم واجمع
مالك واصحابه على وجوب اللعان بادعاء الرؤية زنا لا وطء من الزوج بعده وذلك مشهور المذهب
وقول مالك ان اللعان يجب بنفي حمل يدعي قبله استبراء ويستحب من الفاظ اللعان ان يمشي مع ترتيب
القرآن ولفظه فيقول الزوج اشهد بالله لرأيت هذه المرأة تزني واني في ذلك لمن الصادقين
ثم يقول في الخامسة ان لعنة الله علي ان كنت من الكاذبين واما اللعان في نفي الحمل فيقول ما هذا
الولد مني وتقول المرأة اشهد بالله ما زنيت وانه في ذلك لمن الكاذبين ثم تقول غضب الله علي
ان كان من الصادقين فان منع جهلهما من ترتيب هذه الالفاظ واتيا بما في معناها اجزأ ذلك ومشهور
المذهب ان نفس تمام اللعان بينهما فرقة ولا يحتاج الى تفريق حاكم وتحريم اللعان ابدي باتفاق فيما احفظ
من مذهب مالك وجواب لولا محذوف تقديره لكشف الزناة بايسر من هذا او لاخذهم
بعقابه ونحو هذا قوله تعالى ان الذين جاءوا بالافك الاية نزلت في شأن ام المؤمنين عائشة
رضي الله عنها ففي البخاري في غزوة بني المصطلق عن عائشة رضي الله عنها قالت وانزل الله العشر ايات
في براءتي ان الذين جاءوا بالافك الايات والافك الزور والكذب وحديث الافك في البخاري ومسلم
وغيرهما مستوعب والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين وقوله سبحانه لا تحسبوه خطاب لكل من
ساءه ذلك من المؤمنين قوله تعالى بل هو خير لكم معناه انه تبرئة في الدنيا وترفيع من الله تعالى في ان
نزل وحيه بالبراءة من ذلك واجر جزيل في الاخرة وموعظة للمؤمنين في غابر الدهر
والكبر مستعمل في المأثم والاشارة بقوله تعالى والذي تولى كبره هي الى عبد الله بن ابي ابن سلول
وغيره من المنافقين وكبره مصدر من كبر الشيء وعظمه ولكن استعملت العرب ضم الكاف

في السن وقوله سبحانه لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا الاية الخطاب للمؤمنين حاشى
متولي كبره وفي هذا عتاب للمؤمنين اي كان الانكار واجبا عليهم ويقيس فضلاء المؤمنين الامر على انفسهم فاذا
كان ذلك يبعد فيهم فام المؤمنين ابعد لفضلها ووقع هذا النظر السديد من ابي ايوب وامرأته وذلك
انه دخل عليها فقالت يا ابا ايوب اسمعت ما قيل فقال نعم وذلك الكذب اكنت انت يا ام ايوب تفعلين ذلك
قالت لا والله قال فعائشة والله افضل منك قالت ام ايوب نعم وهذا الفعل ونحوه هو الذي
عاتب الله فيه المؤمنين اذ لم يفعله جميعهم والضمير في قوله لولا جاءوا للذين تولوا الكبر وقوله تعالى ولولا
فضل الله عليكم ورحمته لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم هذا عتاب من الله تعالى بليغ في تعاطيهم هذا
الحديث وان لم يكن المخبر والمخبر مصدقين ولكن نفس التعاطي والتلقي من لسان الى لسان والافاضة في الحديث
هو الذي وقع العتاب فيه وقرأ ابن يعمر وعائشة رضي الله عنها وهي اعلم بهذا الامر اذ تلقونه بفتح التاء
وكسر اللام وضم القاف ومعنى هذه القراءة من قول العرب ولق الرجل ولقا اذا كذب وحكى
الطبري ان هذه اللفظة ماخوذة من الولق الذي هو اسراعك بالشيء بعد الشيء يقال ولق في سيره اذا اسرع
والضمير في تحسبونه للحديث والخوض فيه والاذاعة له وقوله تعالى سبحانك اي تنزيها لله ان يقع هذا
من زوج نبيه وحقيقة البهتان ان يقال في الانسان ما ليس فيه والغيبة ان يقال في الانسان
ما فيه ثم وعظهم تعالى في العودة الى مثل هذه الحال قوله سبحانه ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة
في الذين امنوا الاية قال مجاهد وغيره الاشارة بهذه الاية الى المنافقين وعذابهم الاليم في الدنيا
الحدود وفي الاخرة النار وقالت فرقة الاية عامة في كل قاذف وهذا هو الاظهر وقوله تعالى والله يعلم البريء
من المذنب ويعلم سائر الامور وجواب لولا ايضا محذوف تقديره لفضحكم بذنوبكم ولعذبكم
ونحوه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان الاية خطوات جمع خطوة وهي ما بين القدمين
في المشي فكان المعنى لا تمشوا في سبيله وطرقه وفي قوله سبحانه ولولا فضل الله عليكم ورحمته
ما زكى منكم من احد ابدا ما يردع العاقل عن الاشتغال بغيره ويوجب الاهتمام باصلاح نفسه قبل
هجوم منيته وحلول رمسه وحدث ابو عمر في التمهيد بسنده عن اسمعيل بن كثير قال سمعت مجاهدا
يقول ان الملائكة مع ابن ادم فاذا ذكر اخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك مثله واذا ذكره
بشر قالت الملائكة ابن ادم المستور عورته اربع على   واحمد الله الذي ستر عورتك انتهى وروينا
في سنن ابي داود عن سهل بن معاذ بن انس الجهني عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حمى مؤمنا
من منافق اراه قال بعث الله ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ومن رمى مسلما بشيء يريد به شينه
حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال وروينا ايضا عن ابي داود بسنده عن جابر بن عبد الله وابي
طلحة بن سهل الانصاري انهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ يخذل
امرأ مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله في موطن يحب
فيه نصرته انتهى وقوله تعالى ولا يأتل اولو الفضل منكم الاية المشهور من الروايات ان هذه الاية
نزلت في قصة ابي بكر رضي الله عنه ومسطح بن اثاثة وكان ابو بكر ينفق عليه لمسكنته فلما وقع
امر الافك بلغ ابا بكر انه وقع مسطح مع من وقع فحلف ابو بكر لا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة
ابدا فجاءه مسطح معتذرا وقال انما كنت اسمع ولا اقول فنزلت الاية والفضل والسعة هنا في المال
ثم قال تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم الاية اي كما تحبون عفو الله لكم عن ذنوبكم فكذلك اغفروا

معناه يعلم

وما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله في موضع يحب فيه نصرته

لمن دونكم فروي ان ابا بكر قال بلى احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح ما كان يجري عليه من النفقة
والاحسان قال ابن العربي في احكامه وفي هذه الآية دليل على ان الحنث اذا رآه الانسان خيرا هو اولى من البر
لقول النبي صلى الله عليه وسلم فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه انتهى
وقال بعض الناس هذه ارجى آية في كتاب الله عز وجل من حيث لطف سبحانه بالقذفة العصاة بهذا
اللفظ قال ع وانما تعطي الآية تفضلا من الله تعالى في الدنيا وانما الرجاء في الآخرة اما ان الرجاء في هذه
الآية بقياس اي اذا امر اولي النعمة بالعفو فطرد هذا التفضل بسعة رحمته سبحانه لا رب غيره
وانما آيات الرجاء قوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم وقوله الله لطيف بعباده وسمعت
ابي رحمه الله يقول ارجى آية في كتاب الله عندي وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وقال بعضهم
ارجى آية قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الآية قال
ابن جبير هذه الآية خاصة في رماة عائشة وقال ابن عباس وغيره بل ولجميع ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم لمكانهن من الدين ولم يقرن بآخر الآية توبة قال ع وقاذف غيرهن له اسم الفسق وذكر
له التوبة ولعن الدنيا الابعاد وضرب الحد والعامل في قوله تعالى يوم فعل مضمر تقديره يعذبون يوم او نحو
هذا والدين في هذه الآية الجزاء وفي مصحف ابن مسعود وابي يومئذ يوفيهم الله الحق دينهم بتقديم
الصفة على الموصوف وقوله تعالى الخبيثات للخبيثين الآية قال ابن عباس الموصوف بالخبيث والطيب الاقوال
والافعال وقال ابن زيد الموصوف بالخبيث والطيب النساء والرجال ومعنى هذا التفريق بين حكم
ابن ابي واشباهه وبين حكم النبي صلى الله عليه وسلم وفضلاء صحابته وامته وقوله تعالى اولئك
مبرؤن اشارة الى الطيبين المذكورين وقيل الاشارة باولئك الى عائشة رضي الله عنها ومن في
معناها وقوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا سبب هذه الآية فيما روى الطبري ان
امرأة من الانصار قالت لي اكون في منزلي على الحال التي لا احب ان يراني احد عليها لا والد ولا ولد
وانه لا يزال يدخل علي رجل من اهلي وانا على تلك الحال فنزلت هذه الآية ثم هي عامة في الامة غابر الدهر
وبيت الانسان هو الذي لا احد معه فيه او الذي فيه زوجته او امته وما عدا هذا فهو غير بيته
وتستأنسوا معناه تستعلموا من في البيت وتستبصروا تقول آنست اذا علمت عن حس
واذا ابصرت وقوله تعالى آنستم منهم رشدا واستأنس وزنه استفعل فكان المعنى في تستأنسوا ان تطلبوا
ان تعلموا ما يؤنسكم ويؤنس اهل البيت منكم واذا طلب الانسان ان يعلم امر البيت الذي يريد دخوله
فذلك يكون بالاستئذان على من فيه او بان يتنحنح ويشعر بنفسه باي وجه امكنه ويتأنى
قدر ما يتحفظ منه ويدخل اثر ذلك وذهب الطبري في تستأنسوا الى انه بمعنى حتى تؤنسوا اهل
البيت بانفسكم بالتنحنح والاستئذان ونحوه وتؤنسوا نفوسكم بان تعلموا ان قد شعر بكم
قال ع وتصريف الفعل يأبى ان يكون من انس وقرأ ابي وابن عباس حتى تستأذنوا وتسلموا وصورة
الاستئذان ان يقول الانسان السلام عليكم أادخل فان اذن له دخل وان امر بالرجوع انصرف
وان سكت عنه استأذن ثلاثا ثم ينصرف جاءت في هذا كله آثار والضمير في قوله تجدوا فيها للبيوت التي
هي بيوت الغير واسند الطبري عن قتادة انه قال قال رجل من المهاجرين لقد طلبت عمري كله هذه الآية
فما ادركتها ان استأذن على بعض اخواني فيقول لي ارجع فارجع وانا مغتبط لقوله تعالى هو ازكى لكم
وقوله تعالى والله بما تعملون عليم توعد لاهل التجسس وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا

وقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين يعني تؤولهم ذهب الآن الآية في المنافقين على عبد الله بن ابي ونحوه

يا رسول الله

غير

غير مسكونة الآية اباح الله سبحانه في هذه الآية رفع الاستئذان في كل بيت لا يسكنه احد لان العلة
في الاستئذان خوف الكشفة على الحرمات فاذا زالت العلة زال الحكم وبالآية بين ظاهر وعن مالك
رحمه الله انه بلغه انه كان يستحب اذا دخل البيت غير المسكون ان يقول الذي يدخله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
انتهى اخرجه في الموطأ وقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم الاظهر في من ان تكون للتبعيض بخلاف الفروج
اذ حفظها عام لها والبصر هو الباب الاكبر الى القلب وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته ووجب التحذير
منه وحفظ الفرج هو عن الزنا وعن كشفه حيث لا يحل ت النواظر صوارم مشهورة فاغمدها
في غمد الغض والحياء من نظر المولى والا جرحك بها عدو الهوى لا ترسل بريد النظر فيجلب لقلبك رديء الفكر
وغض البصر يورث القلب نورا واطلاقه يقدح في القلب نارا انتهى من الكلم الفارقية في الحكم الحقيقية قال ابن
العربي في احكامه وقوله تعالى ذلك ازكى لهم يريد اطهر وانمى يعني اذا غض بصره كان اطهر له من الذنوب
وانمى لعمله في الطاعة قال ابن العربي ومن غض البصر كف التطلع الى المباحات من زينة الدنيا وجمالها كما قال تعالى لنبيه
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى
يريد ما عند الله تعالى انتهى وقوله وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن الآية امر الله تعالى النساء في
هذه الآية بغض البصر عن كل ما يكره من جهة الشرع النظر اليه وفي حديث ام سلمة قالت كنت انا
وعائشة عند النبي صلى الله عليه وسلم فدخل ابن ام مكتوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم احتجبن
فقلنا انه اعمى فقال صلى الله عليه وسلم افعميا وان انتما ومن الكلام هنا كالتي قبلها قال ابن العربي في احكامه
وكما لا يحل للرجل ان ينظر الى المرأة لا يحل للمرأة ان تنظر الى الرجل فان علاقته بها كعلاقتها به وقصده
منها كقصدها منه ثم استدل بحديث ام سلمة المتقدم انتهى وحفظ الفرج يعم الفواحش وستر العورة
وما دون ذلك مما فيه حفظ ثم امر تعالى بان لا يبدين زينتهن الا ما ظهر من الزينة قال ابن مسعود ظاهر
الزينة هو الثياب وقال ابن جبير وغيره الوجه والكفان والثياب وقيل غير هذا قال ع ويظهر لي بحكم الفاظ
الآية ان المرأة مأمورة بان لا تبدي وان تجتهد في الاخفاء لكل ما هو زينة ووقع الاستثناء في كل ما غالبا
فظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه واصلاح شأن فيما ظهر على هذا الوجه فهو المعفو عنه وذكر
ابو عمر في التمهيد في تفسير الآية كما تقدم قال وروي عن ابي هريرة قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها
قال القلب والفتخة قال جرير بن حاتم القلب السوار والفتخة الخاتم انتهى من التمهيد وقوله تعالى وليضربن
بخمرهن على جيوبهن قال ابن العربي الجيب هو الطوق والخمار هو المقنعة قال ع سبب الآية ان النساء كن في ذلك
الزمان اذا غطين رؤوسهن بالاخمرة سدلنها من وراء الظهر فيبقى النحر والعنق والاذنان لا ستر على ذلك
فامر الله تعالى بلي الخمار على الجيوب وهيئة ذلك يستر جميع ما ذكرناه وقالت عائشة رضي الله عنها رحم
الله المهاجرات الاول لما نزلت هذه الآية عمدن الى اكثف المروط فشققنها اخمرة وضربن بها على الجيوب وقوله سبحانه
او نسائهن يعني جميع المؤمنات ويخرج منه نساء المشركين وكتب عمر الى ابي عبيدة بن الجراح ان يمنع اهل
فامتثل م الذمة اذ يدخلن الحمام مع نساء المسلمين وقوله سبحانه او ما ملكت ايمانهن يدخل فيه الاماء الكتابيات
والعبيد وقال ابن عباس وجماعة لا يدخل العبد على سيدته فيرى شعرها الا ان يكون وغدا وقوله تعالى
او التابعين يريد الاتباع ليطعموا وهم فسول الرجال الذين لا اربة لهم في الوطء ويدخل في هذه الصفة
المجبوب والشيخ الفاني وبعض المعتوهين والذي لا اربة له من الرجال قليل والاربة الحاجة الى الوطء
والطفل اسم جنس ويقال الطفل ما لم يراهق الحلم ويظهروا معناه يطلعوا بالوطء وقوله تعالى ولا يضربن

بارجلهن الاية قيل سببها ان امراة مرّت على قوم فضربت برجلها الارض وصوّت الخلخال وسماع
هذه الزينة اشد تحريكا للشهوة من ابدائها ذكره الزجاج ثم امر سبحانه بالتوبة مطلقة عامة من كل
شيء صغير وكبيره وقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم الايم من لا زوج له او لا زوج لها فالايم يقال للرجل
والمراة وقوله والصالحين يريد للنكاح وهذا الامر بالنكاح يختلف بحسب شخص شخص ففي نازلة
يتصور وجوبه وفي نازلة الندب وغير ذلك حسب ما هو مذكور في كتب الفقه قال ابن العربي في احكامه
قوله تعالى والصالحين من عبادكم الاظهر فيه انه امر بانكاح العبيد والاماء كما امر بانكاح الايامى
وذلك بيد السادات في العبيد والاماء كما هو في الاحرار بيد الاولياء انتهى ثم وعد تعالى باغناء الفقراء
المتزوجين طلب رضاء الله عنهم واعتصاما من معاصيه ثم امر تعالى كل من يتعذر عليه النكاح
ان يستعفف حتى يغنيهم الله من فضله اذ الغالب من موانع النكاح عدم المال فوعد سبحانه المستعفف بالغنا
والمكاتبة مفاعلة من حيث يكتب هذا على نفسه وهذا على نفسه ومذهب مالك ان الامر
بالكتابة هو على الندب وقال عطاء ذلك واجب وهو ظاهر مذهب عمر بن الخطاب وقوله ان علمتم
فيهم خيرا قالت فرقة الخير هنا المال وقال مالك انه ليقال الخير القوة والاداء وقال ابو عبيدة
السلماني الخير هو الصلاح في الدين وقوله واتوهم قال المفسرون هو امر لكل مكاتب ان يضع عن عبده
من مال كتابته وراى مالك هذا الامر على الندب ولم ير لقدر الوضيعة حدا واستحسن علي بن
ابي طالب ان يوضع عنه الربع وقيل الثلث وقيل العشر وراى عمر ان يكون ذلك من اول نجومه
مبادرة للخير وخوفا ان لا يدرك اخرها وراى مالك وغيره ان يكون الوضع من اخر نجم
وعلة ذلك انه ربما عجز العبد فرجع هو وماله الى السيد فعادت اليه وضيعته وهي شبه الصدقة
ت والظاهر ان هذا لا يعد رجوعا كما لو رجع اليه بالميراث وراى الشافعي وغيره ان الوضيعة
واجبة يحكم بها وقال الحسن وغيره الخطاب بقوله تعالى واتوهم للناس اجمعين في ان يتصدقوا
على المكاتبين وقال زيد بن اسلم انما الخطاب لولاة الامور وقوله سبحانه ولا تكرهوا فتياتكم على
البغاء ان اردن تحصنا الاية روى ان سبب نزول الاية هو ان عبد الله بن ابي بن سلول كانت له امة
فكان يامرها بالزنا والكسب به فشكت ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية فيه وفيمن
فعل فعله من المنافقين وقوله ان اردن تحصنا راجع الى الفتيات وذلك ان الفتاة اذا ارادت
التحصن فحينئذ يمكن ويتصور ان يكون السيد مكرها ويمكن ان ينهى عن الاكراه واذا كانت الفتاة لا تريد
التحصن فلا يتصور ان يقال للسيد لا تكرهها لان الاكراه لا يتصور فيها وهي مريدة للفساد فهذا
امر في سادة وفتيات حالهم هذه وذهب هذا النظر عن كثير من المفسرين فقال بعضهم ان اردن
راجع الى الايامى في قوله وانكحوا الايامى منكم وقال بعضهم هذا الشرط في قوله ان اردن ملغى ونحو
هذا مما هو ضعيف والله الموفق للصواب برحمته ت ومما اختاره هو الذي عول عليه ابن العربي
ونصه وانما ذكر الله تعالى ارادة التحصن من المراة لان ذلك يصور الاكراه فاما اذا كانت هي
راغبة في الزنا لم يتحصل اكراه فحصلوه ان شاء الله انتهى من الاحكام وقرا ابن مسعود وغيره
فان الله من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ثم عدد تعالى نعمه على المؤمنين في قوله ولقد انزلنا
اليكم ايات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة ليقع التحفظ مما وقع اولئك فيه
قوله تعالى الله نور السموات والارض الاية النور في كلام العرب الاضواء المدركة بالبصر ويستعمل مجازا

نيا

فيما صح من المعاني ولاح فيقال كلام له نور ومنه الكتاب المنير والله تعالى ليس كمثله شيء فواضح
انه ليس من الاضواء المدركة ولم يبق الا المعنى منور السموات والارض اي به وبقدرته انارت اضواؤها
واستقامت امورها كما تقول الملك نور الامة اي به قوام امورها وصلاح جملتها والامر في الملك
مجاز وهو في صفة الله تعالى حقيقة محضة وقرا ابو عبد الرحمن السلمي وغيره الله نور بفتح النون
والواو المشددة وفتح الراء والضمير في نوره يعود على الله تعالى قاله جماعة وهو اوضح الاقوال فيه كما
تقول ناقة الله وبيت الله ثم اختلفوا في المراد بهذا النور فقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
هو المؤمن وقيل هو الايمان والقران وفي قراءة ابي بن كعب مثل نور المؤمنين والمشكاة هي الكوة
غير النافذة فيها القنديل ونحوه وهذه الاقوال الثلاثة يطرد فيها مقابلة جزء من المثال بجزء من
الممثل فعلى قول من قال الممثل محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول كعب الاحبار فرسول الله صلى الله عليه وسلم
هو المشكاة او صدره والمصباح هو النبوة وما يتصل بها من علمه وهداه والزجاجة قلبه
والشجرة المباركة هي الوحي والزيت هو الحجج والبراهين وعلى قول من قال ان الممثل به هو المؤمن وهو
قول ابي بن كعب فالمشكاة صدره والمصباح الايمان والعلم والزجاجة قلبه والشجرة القران والزيت
هو الحجج والحكمة التي تضمنها قال ابي فهو على احسن الحال يمشي في الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الاموات
ويحتمل الاية معنى اخر وهو ان يريد مثل نور الله الذي هو هداه في الوضوح كهذه الجملة من النور الذي
تتخذونه انتم على هذه الصفة التي هي ابلغ صفات النور الذي هو بين ايديكم ايها البشر وقال ابو موسى
المشكاة الحديدة او الرصاصة التي يكون فيها القنديل في جوف الزجاجة والاول اصح وقوله في زجاجة لانه
جسم شفاف المصباح فيه انور منه في غير الزجاج والمصباح الفتيل بناره وقوله كانها كوكب دري
اي في الانارة والضوء وذلك يحتمل معنيين اما ان يريد انها المصباح كذلك واما ان يريد انها
في نفسها لصفائها وجودة جوهرها وهذا التاويل ابلغ في التعاون على الضياء قال الضحاك الكوكب الدري
الزهرة وقرا نافع وغيره يوقد اي المصباح وقوله من شجرة اي من زيت شجرة والمباركة المنماة
قوله تعالى لا شرقية ولا غربية قال الحسن اي ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا وانما هو مثل ضربه الله
لنوره ولو كانت في الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية وقيل غير هذا قوله سبحانه يكاد زيتها يضيء الاية
مبالغة في صفة صفائه وحسنه قوله نور على نور اي هذه كلها معاون تكامل بها هذا النور
الممثل به وفي هذا الموضع تم المثال وباقي الاية بين وقوله سبحانه في بيوت اذن الله ان ترفع قال ابن عباس
وغيره هي المساجد المخصوصة بعبادة الله التي من عادتها ان تنور بهذا النوع من المصابيح وقوله
اذن الله ان ترفع بمعنى امر وقضى وترفع قيل معناه تبنى وتعلى قاله مجاهد وغيره كقوله واذ يرفع
ابراهيم القواعد من البيت وقال الحسن معناه تعظم ويرفع شانها وذكر اسمه تعالى هو بالصلاة والعبادة
قولا وفعلا يسبح له فيها اي في المساجد بالغدو والاصال قال ابن عباس اراد ركعتي الضحى والعصر وان ركعتي
الضحى لفي كتاب الله وما يغوص عليها الا غواص ثم وصف تعالى المسبحين بانهم لمراقبتهم امر الله تعالى
وطلبهم رضاه لا يشغلهم عن الصلاة وذكر الله تعالى شيء من امور الدنيا وعن عمر رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الناس في صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي فينادي
مناد سيعلم اهل الجمع لمن الكرم اليوم ثلاث مرات ثم يقول اين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن
المضاجع ثم يقول اين الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الى اخر الاية ثم ينادي مناد

وقراء ابن كثير وابو عمرو توقد بفتح التاء والدال والمراد المصباح م

سيعلم اهل الجمع لمن الكرم ثم يقول ابن الحامدون الذين يحمدون ربهم مختصر رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين وله طرق عن ابي اسحاق انتهى من السلاح ورواه ايضا ابن المبارك من طريق ابن عباس قال اذا كان يوم القيمة نادى مناد ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الحامدون لله تعالى على كل حال فيقومون فيسرحون الى الجنة ثم ينادي ثالثة ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الذين كانت لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار فيقومون فيسرحون الى الجنة انتهى من التذكرة والزكاة هنا عند ابن عباس الطاعة وقال الحسن هي الزكاة المفروضة في المال واليوم المخوف هو يوم القيمة ومعنى الاية ان ذلك اليوم لشدة هوله القلوب والابصار مضطربة قلقة منقلبة ت ومن الكلم الفارقية سعادة القلب اقباله على مقلبه والعالم بما ماله ومنقلبه القلوب بحار جواهرها المعارف وسواحلها الالسنة وغواصها الفكرة النافذة غواص بحر الصدور يغوص بصورته في طلب مكسبه والعارف يغوص بمعنى قلبه في بحار غيب ربه فيلتقط جواهر الحكمة ودرر قلوب العارفين كالبحار تنعقد في اصدافها ضمائرهم جواهر المعارف والاسرار والقلوب كالاراضي الى من اسلمت اليه قلبك يبذر فيه ما عنده اما يبذر نفسه ووسواسه كعفن المسوس ويبذر فيه معرفته بالرب المقدس انتهى ت فاذا اردت سلامة ذاتك في ذلك اليوم فليكن قلبك الان مقبلا على طاعة مولاك فانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم قال الواحدي تتقلب فيه القلوب من الطمع في النجاة والخوف من الهلاك والابصار تتقلب في اي ناحية يوخذ بهم اذات اليمين ام ذات الشمال ومن اي جهة يوتون كتبهم انتهى وقوله تعالى ليجزيهم اي فعلوا ذلك ليجزيهم احسن ما عملوا اي ثواب احسن ما عملوا ولما ذكر تعالى حال المؤمنين وتنوير قلوبهم عقب ذلك بذكر الكفرة واعمالهم فقال والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة وهي جمع قاع والقاع المنخفض البسيط من الارض وبريد بجادة جاء موضعه الذي يخيله فيه ويحتمل ان يعود الضمير في جاءه على السراب ثم يكون بعد ذلك في الكلام متروك يدل عليه الظاهر تقديره فكذلك الكافر يوم القيمة يظن عمله نافعا حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وقوله ووجد الله عنده اي بالمجازات والضمير في عنده عائد على العمل وفي الاية بين وعيد وقوله تعالى او كظلمات عطف على قوله كسراب وهذا المثال الاخير تضمن صفة اعمالهم في الدنيا اي انهم من الضلال في مثل هذه الظلمة المجتمعة من هذه الاشياء وذهب بعض الناس الى ان في هذا المثال اجزاء تقابل اجزاء من الممثل به فقال الظلمات الاعمال الفاسدة والمعتقدات الباطلة والبحر اللجي صدر الكافر وقلبه واللجي معناه ذو اللجة وهو معظم الماء وغمره والجماع ما به اشد ظلمة والموج هو الضلال والجهالة التي قد غمرت قلبه والسحاب هو شهوته في الكفر واعراضه عن الايمان قال ع وهذا التاويل سائغ والايعد رهذا التقابل سائغ وهو اذا اخرج يده لم يكد يراها لفظ يقتضي مبالغة الظلمة واختلف في هذه اللفظة هل معناها انه لم يرها البتة او معناها انه راها بعد عسر وشدة وكاد ان لا يراها ووجه ذلك ان كاد اذا صحبها حرف النفي وجب الفعل الذي بعدها واذا لم يصحبها انتفى الفعل وكاد معناها قارب وقوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قالت فرقة يريد في الدنيا اي من لم يهده الله لم يهتد وقالت فرقة اراد في الاخرة اي من لم يرحمه الله وينور حاله بالمغفرة والرحمة فلا رحمة له قال ع والاول ابين واليق بلفظ الاية وايضا فذلك متلازم فان نور الاخرة انما هو لمن نور قلبه في الدنيا قوله تعالى الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض الاية الرؤية هنا قلبية والتسبيح هنا التنزيه والتعظيم والاية عامة عند المفسرين

المسوس بها

لكل شيء من العقلاء والجمادات قوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه قال الزجاج وغيره المعنى كل قد علم الله صلاته وتسبيحه وقال المعنى كل قد علم صلاة نفسه وتسبيح نفسه وقالت فرقة المعنى كل قد علم صلاة الله وتسبيح الله الذين امرهما وهداه اليهما فهذه اضافة خلق الى خالق وفي الاية وعيد وتزجي معناه تسوق والركام الذي يركب بعضه بعضا ويتكاثف والودق المطر قال النحاة من خلاله اي من بين اضعاف السحاب انتهى قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد قيل ذلك حقيقة وقد جعل الله تعالى في السماء جبالا من برد وقالت فرقة ذلك مجاز وانما اراد وصف كثرة وهذا كما تقول عند فلان جبال من مال وجبال من علم ت وحمل اللفظ على حقيقته اولى ان لم يمنع من ذلك مانع ومن كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي ابي علي التنوخي احد الرواة عن ابي الحسن الدارقطني والحاضر به قال اخبرنا ابو بكر الصولي عن بعض العلماء قال رايت امراة بالبادية وقد جاء البرد فذهب بزرع لها فجاء الناس يعزونها فرفعت راسها الى السماء وقالت اللهم انت المامول لاحسن الخلف وبيدك التعويض مما تلف فافعل بنا ما انت اهله فان ارزاقنا عليك واما لنا مصروفة اليك قال فلم ابرح حتى مر رجل من الاجلاء فحدثت بما كان فوهب لها خمسمائة دينار فاجاب الله دعوتها وفرج في الحين كربتها انتهى والسنا مقصور الضوء والممدود المجد والباء في قوله بالابصار يحتمل ان تكون زائدة وقوله سبحانه والله خلق كل دابة من ماء الاية اية اعتبار والدابة كل ما دب من جميع الحيوان وقوله من ماء قال الجمهور يعني ان خلقة كل حيوان فيها ماء كما خلق ادم من الماء والطين وقالت النقاش اراد امنية الذكور والمشي على البطن للحيات والحوت والدود وغيره وعلى رجلين للانسان والطير اذا مشى وعلى اربع لسائر الحيوان وفي مصحف ابي بن كعب ومنهم من يمشي على اكثر فعم بهذه الزيادة جميع الحيوان قوله تعالى لقد انزلنا ايات مبينات يعم كل ما نصب الله تعالى من اية وقوله تعالى ويقولون يعني المنافقين روي ان رجلا من المنافقين اسمه بشر دعاه يهودي الى التحاكم عند النبي صلى الله عليه وسلم وكان المنافق مبطلا فابى ودعى اليهودي الى كعب بن الاشرف فنزلت هذه الاية فيه والحيف الميل وقوله سبحانه انما كان قول المؤمنين الاية المعنى انما كان الواجب ان يقوله المؤمنون اذا دعوا الى حكم الله ورسوله سمعنا واطعنا وقوله سبحانه ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فاولئك هم الفائزون قال الغزالي في المنهاج التقوى في القران تطلق على ثلاثة اشياء احدها بمعنى الخشية والهيبة قال الله عز وجل واياي فاتقون وقال الله سبحانه واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله والثاني بمعنى الطاعة والعبادة قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس اطيعوا الله حق طاعته وقال مجاهد هو ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر والثالث بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب وهذه الحقيقة في التقوى دون الاولين الا ترى ان الله تعالى يقول ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فاولئك هم الفائزون ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى فعلمت ان حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية وهي تنزيه القلب عن الذنوب انتهى وقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم الاية جهد اليمين بلوغ الغاية في تعقيدها وليخرجن معناه الى الغزو وهذه في المنافقين الذين تولوا حين دعوا الى الله ورسوله وقوله تعالى قل لا تقسموا طاعة معروفة يحتمل معاني احدها النهي عن القسم الكاذب اذ قد عرف ان طاعتهم دغلة فكانه يقول لا تتغالطوا فقد عرف ما انتم عليه والثاني ان المعنى لا تتكلفوا القسم فطاعة معروفة على قدر الاستطاعة امثل واجدى عليكم وفي هذا التاو

ابقا عليهم وقيل غير هذا وقوله تولوا معناه تتولوا والذي حمل النبي صلى الله عليه وسلم هو
التبليغ والذي حمل الناس هو السمع والطاعة واتباع الحق وباقي الآية بين وقوله تعالى وعد الله الذين امنوا
منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الآية عامة لامة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في ان يملكهم الله
البلاد كما هو الواقع فسبحان ما اصدق وعده وقال الضحاك في كتاب النقاش هذه الآية تتضمن خلافة ابي بكر
وعمر وعثمان وعلي والصحيح في الآية انها في استخلاف الجمهور واللام في قوله ليستخلفنهم لام القسم وقوله يعبدونني
فعل مستانف اي هم يعبدونني وقوله ومن كفر يحتمل ان يريد كفر هذه النعم ويحتمل الكفر المخرج عن الملة
عياذا بالله تعالى من سخطه وباقي الآية بين مما تقدم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين
ملكت ايمانكم الآية قيل الذين ملكت ايمانكم الرجال والنساء ورجحه الطبري وقيل الرجال خاصة ومعنى
الآية عند جماعة من العلماء ان الله تعالى ادب عباده بان يكون العبيد والاطفال الذين عقلوا معاني الكشفة
ونحوها يستاذنون على اهليهم في هذه الاوقات الثلاث وهي الاوقات التي تقتضي عادة الناس الانكشاف
فيها وملازمة التعري في المضاجع وهي عند الصبح وفي وقت القائلة وهي الظهيرة لان الناس يظهر فيها
اذا علا واشتد حره وبعد العشاء لانه وقت التعري للنوم واما غير هذه الاوقات فالعرف من الناس التحرز
والتحفظ فلا حرج في دخول هذه الصنفين بغير اذن اذ هم طوافون يمضون ويجيئون لا يجد الناس بدا
من ذلك وقوله بعضكم على بعض بدل من قوله طوافون وثلاث مرات منصوب على الظرف لانهم لم يومروا
بالاستئذان ثلاثا وانما امروا بالاستئذان في ثلاث مواطن فالظرفية في ثلاث بينة وقوله سبحانه
كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم بين للمتامل وقوله سبحانه واذا بلغ الاطفال منكم الحلم الآية امر تعالى
في هذه الآية ان يكونوا اذا بلغوا الحلم على حكم الرجال في الاستئذان في كل وقت وهذا بيان من الله عز
وجل وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم بين لا يحتاج الى تفسير والقواعد من النساء
هن اللواتي قد اسنن وقعدن عن الولد واحدتهن قاعد وقال ربيعة هي هنا التي تستقذر من
كبرها لغيرها وقد تقعد المراة عن الولد وفيها مستمتع ولما كان الغالب من النساء ان ذوات هذا
السن لا مذهب للرجال فيهن ابيح لهن ما لم يبح لغيرهن وقرا ابن مسعود وابي ان يضعن من ثيابهن
والعرب تقول امراة واضع للتي كبرت فوضعت خمارها ثم استثنى عليهن في وضع الثياب ان لا يقصدن
به التبرج وابداء الزينة فرب عجوز يبدو منها الحرص على ان يظهر لها جمال والتبرج طلب البدو والظهور
للعين ومنه بروج مشيدة والذي ابيح لهن وضعه الجلباب الذي فوق الخمار والرداء قاله ابن مسعود وغيره
ثم ذكر تعالى ان تحفظ الجميع منهن واستعفافهن عن وضع الثياب والتزامهن ما يلزم الشباب من التستر
افضل لهن وخير وقوله تعالى والله سميع عليم اي سميع لما يقول كل قائل وقائلة عليم بمقصد كل احد
وفي هاتين الصفتين توعد وتحذير قوله تعالى ليس على الاعمى حرج الى قوله كذلك يبين الله لكم
الآيات لعلكم تعقلون ظاهر الآية وامر الشريعة ان الحرج عنهم مرفوع في كل ما يضطرهم اليه العذر وتقتضي
العذر ان يقع منهم الانقص فالحرج مرفوع عنهم في هذا وللناس اقوال في الآية وتخصيصات يطول
ذكرها واذكر الله تعالى بيوت القرابات وسقط منها بيوت الابناء فقال المفسرون ذلك لانها داخلة
في قوله من بيوتكم لان بيت ابن الرجل بيته وقوله تعالى او ما ملكتم مفاتحه يريد ما خزنتم
وصار في قبضتكم فعظمه ما ملكه الرجل في بيته وتحت غلقه وهو تاويل الضحاك ومجاهد
وعند جمهور المفسرين يدخل في الآية الوكلاء والعبيد والاجراء بالمعروف وقرا ابن جبير ملكتم مفاتحه

وقيل للنساء خاصة

بنيتهم الاتيان بالاكمل ويقتضي

مبنيا

مبنيا للمفعول وزيادة ياء بين التاء والحاء وقرن تعالى في الآية الصديق بالقرابة المحضة الوكيدة لان
قرب المودة لصيق قيل لقتادة الا تشرب من هذا الحب قال انت لي صديق فما هذا الاستئذان
قال ابن عباس في كتاب النقاش الصديق اوكد من القرابة الا ترى استغاثة الجهنميين فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا رد لمذهب جماعة من العرب
كانت لا تاكل افذاذا البتة تنحو به نحو كرم الخلق فافرطت في التزامه وان احضار الاكيل لحسن ولكن بان
لا يحرم الانفراد قال البخاري اشتاتا وشتى واحد انتهى وقال بعض اهل العلم هذه الآية منسوخة
بقوله عليه السلام ان دماءكم واموالكم عليكم حرام الحديث وبقوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير
بيوتكم حتى تستانسوا الآية وبقوله عليه السلام من حديث ابن عمر لا يحلبن احدكم ماشية احد
الا باذنه ت والحق انه لا نسخ في شيء مما ذكر وسيأتي مزيد بيان لهذا المعنى وقوله سبحانه فاذا دخلتم بيوتا
قال النخعي اراد المساجد والمعنى سلموا على من فيها فان لم يكن فيها احد فالسلام ان يقول السلام
على رسول الله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال ابن عباس وغيره المراد البيوت
المسكونة اي على من فيها قالوا ويدخل في ذلك غير المسكونة ويسلم المرء فيها على نفسه بان يقول السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين ت وفي سلاح المؤمن وعن ابن عباس في قوله عز وجل فاذا
دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال هو المسجد اذا دخلته فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين يعني البخاري ومسلما انتهى وهذا هو الصحيح
عن ابن عباس وفهم النووي ان الآية في البيوت المسكونة فقال ففي الترمذي عن انس قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم يا بني اذا دخلت على اهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى اهلك قال
الترمذي حديث حسن صحيح وفي ابي داود عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل رجل خرج غازيا في سبيل الله عز وجل فهو ضامن
على الله تعالى حتى يتوفاه فيدخله الجنة او يرده بما نال من اجر وغنيمة ورجل دخل بيته بسلام
فهو ضامن على الله تعالى حديث حسن رواه ابو داود باسناد حسن ورواه اخرون ومعنى ضامن صاحب
الرعاية للشيء والمعنى انه في رعاية الله عز وجل انتهى وقوله تعالى تحية من عند الله مباركة ووصفها
تعالى بالبركة لان فيها الدعاء واستجلاب مودة المسلم عليه ت وقد ذكرنا في سورة النساء ما ورد في
التحية من رواية ابن السني قال النووي وروينا في سنن ابي داود والترمذي وابن ماجه
عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان
الا غفر لهما قبل ان يتفرقا انتهى والكاف من قوله كذلك كاف تشبيه وذلك اشارة الى
هذه السنن وقال ايضا بعض الناس في هذه الآية انها منسوخة باية الاستئذان المتقدمة
قال ع والنسخ لا يتصور في شيء من هذه الآيات بل هي كلها محكمة اما قوله ولا تاكلوا اموالكم
بينكم بالباطل ففي التعدي والخدع ونحوه واما في هذه الآية ففي طعام هذه الاصناف
التي يسرها استباحة طعامها على هذه الصفة واما اية الاستئذان فعلى الحجاب الاستئذان
خوف الكشفة فاذا استاذن المرء ودخل المنزل بالوجه المباح صح له بعد ذلك اكل
الطعام بهذه الاباحة وليس يكون في الآية نسخ فتامله وقوله تعالى انما المؤمنون الذين
امنوا بالله ورسوله الآية انما هنا للحصر والامر الجامع يريد به ما للامام حاجة الى جمع الناس

فيه مصلحة فالادب اللازم في ذلك ان لا يذهب احد لعذر الا باذنه والامام الذي يرتقب اذنه
هو امام الامرة وروي ان هذه الاية نزلت في وقت حفر النبي صلى الله عليه وسلم خندق المدينة
وكان المؤمنون يستاذنونه والمنافقون يذهبون دون اذن ثم امر الله تعالى نبيه بالاستغفار
لصنفي المؤمنين من اذن له ومن لم يؤذن له وفي ذلك تانيس للمؤمنين ورافة بهم وقوله تعالى
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اي لا تخاطبوه كمخاطبة بعضكم لبعض وامرهم
تعالى في هذه الاية وفي غيرها ان يدعوا رسول الله باشرف اسمائه وذلك هو مقتضى التوقير فالادب في
الدعاء ان يقول يا رسول الله ويكون ذلك بتوقير وبر وخفض صوت قاله مجاهد واللواذ الروغان
ثم امرهم تعالى بالحذر من عذاب الله ونقمته اذا خالفوا عن امره ومعنى يخالفون عن امره اي يقع
خلافهم بعد امره ثم اخبر تعالى انه قد علم ما اهل الارض وكيما عليه وباقي الاية بين والحمد لله
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسليما سورة الفرقان مكية في قول الجمهور قوله تعالى تبارك هو مطاوع بارك من البركة وبارك
فاعل من واحد ومعناه زاد وتبارك فعل مختص بالله تعالى لم يستعمل في غيره وهو صفة فعل اي كثرت
بركاته ومن جملتها انزال كتابه الذي هو الفرقان بين الحق والباطل وفي قوله ليكون قال ابن
هو محمد صلى الله عليه وسلم وهو عبده المذكور ان يكون للفرقان وقوله خلق كل شيء عام في
كل مخلوق ثم عقب تعالى بالطعن على قريش في اتخاذهم آلهة ليست لها صفات الالوهية والنشور
بعث الناس من القبور وقال الذين كفروا يعني قريشا ان هذا الا افك افتراه محمد واعانه عليه
قوم آخرون تقدمت الاشارة الى ذلك في سورة النحل ثم اكذبهم الله تعالى واخبر انهم ما جاؤوا
الا ظلما وزورا اي ما قالوا الا بهتانا وباطلا قال البخاري تملى عليه تقرا عليه من امليت
واملت انتهى ثم امر نبيه ان يقول ان الذي انزله هو الذي يعلم سر جميع الاشياء التي في
السموات والارض وعبارة الشيخ العارف بالله سيدي عبد الله بن ابي جمرة رضي الله عنه ولما كان
مما يقتضي الحكمة الربانية العبادة ودوامها ولذلك خلقنا كما ذكر مولانا سبحانه في الاية الكريمة يعني
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لانه وهو عز وجل غني عن عبادتنا وعن كل شيء لكن الحكمة
اقتضته لامر لا يعلمه الا هو كما قال عز وجل الذي يعلم السر في السموات والارض اي الذي يعلم الحكمة
في خلقها وكذلك في خلقنا وخلق جميع المخلوقات انتهى وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام
الاية المعنى عندهم ان من كان رسولا فهو مستغن عن الاكل والمشي في الاسواق وحاجتهم بهذا
مذكورة في السير ثم اخبر تعالى عن كفار قريش وهم الظالمون المشار اليهم انهم قالوا ان تتبعون
الا رجلا مسحورا اي قد سحر ثم نبه تعالى نبيه مسليا له عن مقالتهم فقال انظر كيف ضربوا
لك الامثال الاية والقصور التي في هذه الاية تاولها الثعلبي وغيره انها في الدنيا والقصور هي
البيوت المبنية بالجدرات لانها قصرت عن الداخلين والمستاذنين وباقي الاية بين والضمير في انهم
لجهنم وقوله سبحانه قل اذلك خير ام جنة الخلد وهذا استفهام على جهة التوقيف والتوبيخ
لان الموقف جائز له ان يوقف محاوره على ما شاء ليرى هل يجيبه بالصواب او بالخطا وقوله تعالى
ويوم يحشرهم يعني الكفار وما يعبدون من دون الله يريد كل شيء عبد من دون الله وقرا
ابن عامر فنقول قال جمهور المفسرين والموقف والمجيب كل من ظلم بان عبد ممن يعقل كالملائكة

بالنون

وعيسى

وعيسى وعزير وغيرهم وقال الضحاك وعكرمة الموقف المجيب الاصنام التي لا تعقل يقدرها
الله تعالى على هذه المقالة ويجيء خزي الكفرة لذلك ابلغ وقرا الجمهور نتخذ بفتح النون وذهبوا
بالمعنى الى انه من قول من يعقل وان هذه الاية بمعنى التي في سورة سبا ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول
للملائكة الاية وكقول عيسى ما قلت لهم الا ما امرتني به وقولهم حتى نسوا الذكر اي ما ذكر به الناس على
السنة الانبياء عليهم السلام وقرا زيد بن ثابت وجماعة نتخذ بضم النون وقوله فقد كذبوكم الاية
خطاب من الله تعالى للكفرة اخبرهم ان معبوداتهم كذبتهم وفي هذا الاخبار خزي وتوبيخ لهم
وقرا حفص عن عاصم فما تستطيعون بالتاء من فوق قال مجاهد الضمير في يستطيعون للمشركين
وصرفا معناه رد التكذيب والعذاب وقوله تعالى ومن يظلم منكم قيل هو خطاب للكفار وقيل
للمؤمنين والظلم هنا الشرك قاله الحسن وغيره وقد يحتمل ان يعم غيره من المعاصي وفي حرف
ابي ومن يكذب منكم نذقه عذابا كبيرا وقوله تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الاية رد على قريش
في قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ثم اخبر عز وجل ان السبب في ذلك
انه جعل بعض عبيده فتنة لبعض على العموم في جميع الناس مؤمن وكافر والتوقيف باتصبرون
خاص بالمؤمنين المحققين قال ابن العربي في الاحكام ولما كثر الباطل في الاسواق وظهر فيها
المناكر كره علماؤنا دخولها الا لارباب الفضل والمقتدى بهم في الدين تنزيها لهم عن البقاع التي يعصى الله
تعالى فيها انتهى ثم اعرب قوله تعالى وكان ربك بصيرا عن الوعد للصابرين والوعيد للعاصين وعن عمر
بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دخل السوق فقال لا اله الا
الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير
كتب الله له الف الف حسنة ومحى عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة رواه
الترمذي وابن ماجه وهذا لفظ الترمذي وزاد في رواية اخرى وبنى له بيتا في الجنة ورواه
الحاكم في المستدرك من عدة طرق انتهى من السلاح وقوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا الاية
الرجا هنا على بابه وقيل هو بمعنى الخوف ولما تمنت كفار قريش رؤية ربهم اخبر تعالى عنهم انهم
عظموا انفسهم وسالوا ما ليسوا له باهل ص لقد جواب قسم محذوف انتهى والضمير في قوله ويقولون
قال مجاهد وغيره هو للملائكة والمعنى ويقول الملائكة للمجرمين حجرا محجورا عليكم البشرى
اي حراما محرما والحجر الحرام وقال مجاهد ايضا وابن جريج الضمير للكافرين المجرمين قال
ابن جريج كانت العرب اذا كرهوا شيئا قالوا حجرا قال مجاهد حجرا عوذا يستعيذون من الملائكة
قال ع ويحتمل ان يكون المعنى ويقولون حرام محرم علينا العفو وقد ذكر ابو عبيدة
ان هاتين اللفظتين عوذة للعرب يقولها من خاف آخر في الحرم او في شهر حرام اذا لقيه
وبينهما ترة قال الداودي وعن مجاهد وقدمنا اي عمدنا انتهى قال ع وقدمنا اي قصد
حكمنا وانفاذنا ونحو هذا من الالفاظ اللائقة ومعنى الاية وقصدنا الى اعمالهم التي لا ترد
شيئا وصيرناها هباء اي شيئا لا تحصيل له والهباء ما يتطاير في الهواء من الاجزاء الدقيقة
ولا يكاد يرى الا في الشمس قاله ابن عباس وغيره ومعنى هذه الاية جعلنا اعمالهم لا حكم لها
ولا منزلة ووصف تعالى الهباء في هذه الاية بالمنثور ووصفه في غيرها بالمنبث فقالت فرقة
هما سواء وقالت فرقة المنبث ادق وادق من المنثور لان المنثور يقتضي ان غيره نثره

والمنبث كانه هو انبث من دقته قوله تعالى واحسن مقيلا ذهب ابن عباس والنخعي وابن جريج الى
ان حساب الخلق يكمل في وقت ارتفاع النهار ويقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار فالمقيل القائلة
قال ع ويحتمل ان اللفظة انما تضمنت تفضيل الجنة جملة وحسن هوائها فالعرب تفضل البلاد بحسن
المقيل لان وقت القائلة يبدو فساد هواء البلاد فاذا كان بلد في وقت فساد الهواء حسنا كان الفضل وعلى
ذلك شواهد ويوم تشقق السماء يريد يوم القيمة ص والباء بالغمام للحال اي متغيمة او للسبب وبمعنى
عن انتهى وفي قوله وكان يوما على الكافرين عسيرا دليل على انه سهل على المؤمنين وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ان الله ليهون يوم القيمة على المؤمن حتى يكون عليه اخف من صلاة مكتوبة صلاها في
الدنيا ويوم يعض الظالم على يديه هو وقت الندم قال ابن عباس وجماعة من المفسرين الظالم في هذه الاية
عقبة بن ابي معيط وذلك انه كان اسلم او جنح الى الاسلام وكان ابي بن خلف الذي قتله النبي
صلى الله عليه وسلم بيده يوم احد خليلا لعقبة فنهاه عن الاسلام فقبل نهيه فنزلت الاية
فيهما فالظالم عقبة وفلانا ابي قال السهيلي وكنى سبحانه عن هذا الظالم ولم يصرح باسمه ليكون
هذا الوعيد غير مخصوص به ولا مقصور عليه بل يتناول جميع من فعل مثل فعله انتهى وقال
مجاهد وغيره الظالم عام اسم جنس وهذا هو الظاهر وان مقصد الاية تعظيم يوم القيمة
وذكر هوله بانه يوم تندم فيه الظلمة وتتمنى انها لم تطع في دنياها اخلاءها والسبيل المتمناة
هي طريق الاخرة وفي هذه الاية لكل ذي نهية تنبيه على تجنب قرين السوء والاحاديث والحكم في هذا
الباب كثيرة مشهورة والذكر ما ذكر الانسان امر اخرته من قران او موعظة ونحوه وكان الشيطان
للانسان خذولا يحتمل ان يكون من قول الظالم ويحتمل ان يكون ابتداء اخبار من الله عز وجل على
جهة التحذير من الشيطان الذي بلغهم ذلك المبلغ وقوله تعالى وقال الرسول حكاية عن قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الدنيا وتشكيه ما يلقى من قومه هذا قول الجمهور وهو الظاهر وقالت فرقة هو حكاية
عن قوله ذلك في الاخرة ومهجورا يحتمل ان يريد مبعدا مقصيا من الهجر بفتح الهاء وهذا قول
ابن زيد ويحتمل ان يريد مقولا فيه الهجر بضم الهاء اشارة الى قولهم شعر وكهانة ونحوه قاله مجاهد
قال ع وقول ابن زيد منبه المؤمن على ملازمة المصحف وان لا يكون الغبار يعلوه في البيوت ويشتغل
بغيره وروي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من علق مصحفا ولم يتعاهده جاء يوم
القيمة متعلقا به يقول هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وفي حلية النووي قال وروينا في سنن
ابي داود ومسند الدارمي عن سعد بن عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا القران ثم
نسيه لقي الله تعالى يوم القيمة اجذم وروينا في كتاب ابي داود والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال عرضت على اجور امتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب امتي فلم ار ذنبا
اعظم من سورة من القران او اية اوتيها رجل ثم نسيها تكلم الترمذي فيه انتهى ثم سلاه تعالى عن فعل
قومه بقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين اي فاصبر كما صبروا قاله ابن عباس
ثم وعده تعالى بقوله بربك هاديا ونصيرا الباء في بربك للتاكيد دالة على الامر اذ المعنى اكتف
بربك وقالوا لولا نزل عليه هذا القران جملة واحدة قال ابن عباس وغيره قالوا في تعصبهم معارضا لهم
لو كان من عند الله لنزل جملة كالتوراة والانجيل وقوله كذلك يحتمل ان يكون من قول الكفار
اشارة الى التوراة والانجيل ويحتمل ان يكون من استئناف الكلام وهو اولى ومعناه كما انزلناه

فانه

فالاشارة الى نزوله متفرقا والترتيل التفريق بين اشياء المتتابع ومنه ترتيل القران وجعل الله تعالى
السبب في نزوله متفرقا تثبيت قلب نبيه محمد عليه السلام وان ينزله في النوازل والحوادث التي قدرها وقدر
نزوله فيها وان هذه الكفرة لا يجيئون بمثل يضربونه على وجه المعارضة منهم الا جاء القران بالحق في ذلك
والجلية ثم هو احسن تفسيرا واوضح بيانا وقوله في الاية بين تقدم تفسير نظيره والجمهور على ان هذا المشي
على الوجوه حقيقة وقد جاء كذلك في الحديث وقد تقدم ولفظ البخاري عن انس ان رجلا قال يا نبي الله
يحشر الكافر على وجهه يوم القيمة قال قتادة بلى وعزة ربنا انتهى وقوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب
الايات تنبيه لكفار قريش وتوعد ان يحل بهم ما حل بهؤلاء المعذبين قال قتادة اصحاب الرس
واصحاب الايكة قومان ارسل اليهما شعيب وقاله وهب بن منبه وقيل غير هذا وقوله تعالى وقرونا
بين ذلك كثيرا ابهما لا يعلم حقيقته الا الله عز وجل التبار الهلاك والقرية التي امطرت مطر السوء
هي سدوم مدينة قوم لوط وما لم نذكر تفسيره فقد تقدم بينا للفهم المستيقظ ثم ذكر سبحانه انهم
اذا راوا محمدا عليه السلام قالوا على جهة الاستهزاء اهذا الذي بعث الله رسولا قال ص ان نتخذ ونك
ان نافية جواب اذا انتهى ثم انس الله تعالى نبيه بقوله ارايت من اتخذ الهه هواه الاية المعنى لا تاسف
عليهم ومعنى من اتخذ الهه هواه اي جعل هواه مطاعا وصار كالاله ان هم الا كالانعام
وعبارة الواحدي ان هم اي ما هم الا كالانعام انتهى وقوله سبحانه الم تر الى ربك كيف مد الظل الاية مد
الظل باطلاقه هو ما بين اول الاسفار الى بزوغ الشمس ومن بعد مغيبها ايضا وقال بسير افان هذين
الوقتين على الارض كلها ظل ممدود ولو شاء لجعله ساكنا اي ثابتا غير متحرك ولا منسوخ لكنه جعل الشمس
ونسخها اياه وطردها له من موضع الى موضع دليلا عليه مبينا لوجوده ولوجه العبرة فيه وحكى الطبري
انه لولا الشمس لما عرف ان الظل شيء اذ الاشياء انما تعرف باضدادها وقال تعالى قبضا يسيرا يحتمل ان يريد
لطيفا اي شيئا بعد شيء لا في مرة واحدة قال الداودي وقال الضحاك قبضا يسيرا يعني الظل اذا علته الشمس انتهى
قاله الطبري ووصف الليل باللباس من حيث يستر الاشياء ويغشاها والسبات ضرب من الاغماء يعتري
اليقظان مرضا فيشبه النائم به والنشور هنا الاحياء شبه اليقظة به ويحتمل ان يريد بالنشور وقت
الانتشار والتفرق واناسي قيل هو جمع انسان والياء المشددة بدل من نون الواحد قاله سيبويه وقال
المبرد هو جمع انسي والضمير في صرفناه عائد على القران وان لم يتقدم له ذكر ويعضد ذلك قوله
تعالى وجاهدهم به جهادا كبيرا وقوله تعالى وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج مرج
معناه اخلط قال ع والذي اقول به في معنى هذه الاية ان المقصد بها التنبيه على قدرة الله تعالى في اتقان
بث الارض مياها عذبة كثيرة جعلها خلال الاجاج وجعل الاجاج خلالها كما هو مرئي تجد البحر قد
اكتنفته المياه العذبة وكل باق على حاله ومطعمه فالبحران يراد بهما جميع الماء العذب وجميع الماء الاجاج والبرزخ
والحجر هو ما بين البحرين من الارض واليبس قاله الحسن والفرات الصافي اللذيذ المطعم والاجاج
ابلغ ما يكون من ملوحته وقوله تعالى وهو الذي خلق من الماء بشرا الاية تعديد نعم على الناس والنسب
هو ان يجمع انسانا مع اخر في اب وام والصهر هو نواشج المناكحة فقرابة الزوجة هم الاختان
وقرابة الزوج هم الاحماء والاصهار يقع عاما لذلك كله وقوله تعالى وكان الكافر على ربه ظهيرا اي
يعينون على ربهم غيرهم من الكفرة بطاعتهم للشيطان وهذا تاويل مجاهد وغيره والكافر هنا اسم
جنس وقال ابن عباس هو ابو جهل قال ع ويشبه ان ابا جهل هو سبب الاية ولكن اللفظ عام للجنس كله

اي بل هم كالانعام

المياه عذبة في صفته وبعد الملك الاجاج ... الجزاير قد اكتنفته

ت والمعنى على دين ربه ظهيرا وقوله تعالى الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا الظاهر فيه انه استثناء منقطع والمعنى لكن من شاء ان يهتدي ويؤمن ويتخذ الى رحمة ربه طريق نجاة وقوله سبحانه وتوكل على الحي الذي لا يموت وصح توكله عليه قال تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت قيل ان رجلا قد كتب الى اخر ان صديقك فلانا قد مات فمن كثرة ما بكيت عليه ذهب بصري فكتب له الذنب لك حين لم تكن اتخذت حيا لا يموت لا تحتاج الى البكاء عليه انتهى وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كربني امر الا تمثل لي جبريل عليه السلام فقال يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الاسناد انتهى من السلاح وقوله تعالى وسبح بحمده اي قل سبحان الله وبحمده اي تنزيهه واجب وبحمده اقول وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من قال في كل يوم سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر فهذا معنى قوله وسبح بحمده وهي احدى الكلمتين الخفيفتين على اللسان الثقيلتين في الميزان الحديث في البخاري وغيره ت وعن جويرية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد ان اضحى وهي جالسة فقال ما زلت على الحال التي فارقتك عليها قالت نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد قلت بعدك اربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته رواه الجماعة الا البخاري زاد النسائي في اخره والحمد لله كذلك وفي رواية له سبحان الله وبحمده ولا اله الا الله والله اكبر عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته انتهى من السلاح وقوله سبحانه وكفى به بذنوب عباده خبيرا وعيد بين وقوله تعالى الرحمن على العرش استوى يحتمل ان يكون رفعه باضمار مبتدا اي هو الرحمن ويحتمل ان يكون بدلا من الضمير في قوله استوى وقوله فاسئل به خبيرا فيه تاويلان احدهما فاسئل عنه خبيرا والمعنى اسأل جبريل والعلماء واهل الكتاب والثاني ان يكون المعنى كما تقول لو لقيت فلانا لقيت به البحر كرما اي لقيت منه والمعنى فسئل عن كل امر وقال عياض في الشفا وقال القاضي ابو بكر بن العلاء المامور بالسؤال غير النبي عليه السلام والمسؤول الخبير هو النبي عليه السلام انتهى قال ابو حيان والظاهر تعلق به باسئل وبقاء الباء على بابها وخبيرا من صفاته تعالى نحو لقيت بزيد اسدا اي انه الاسد شجاعة والمعنى فاسأل الله الخبير بالاشياء انتهى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن يعني ان كفار قريش قالوا ما نعرف الا رحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب وكان مسيلمة تسمى بالرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم هذا اللفظ نفورا والبروج هي التي علمها العرب وهي المشهورة عند اللغويين واهل تعديل الاوقات وكل برج منها على منزلتين من منازل القمر التي ذكرها الله تعالى في قوله والقمر قدرناه منازل وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي هذا يخلف هذا وهذا يخلف هذا قال مجاهد وغيره لمن اراد ان يذكر اي يعتبر بالمصنوعات ويشكر الله تعالى على الآية وقال عمر وابن عباس والحسن معناه لمن اراد ان يذكر ما فاته من الخير والصلاة ونحوه في احدهما فيستدركه في التي تليه وقرأ حمزة وحده يذكر بسكون الذال وضم الكاف ثم قال تعالى لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ثم وصفه عباده الذين هم اهل التذكر والشكور وقوله الذين يمشون خبر مبتدا والمعنى وعباده حق عباده هم الذين يمشون وقوله يمشون على الارض عبارة عن عيشهم ومدة حياتهم وتصرفاتهم وهونا بمعنى ان امرهم كله هون اي لين حسن قال مجاهد بالحلم والوقار وقال ابن عباس بالطاعة والعفاف والتواضع وقال الحسن حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا قال الثعلبي قال الحسن يمشون حلماء علماء مثل الانبياء

قال القشيري في الخبر واذا علم العبد ان مولاه حي لا يموت

لا يؤذون

لا يؤذون الذر في سكون وتواضع وخشوع وهو ضد المختال الفخور الذي يختال في مشيه انتهى قال عياض وفي صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يخطو تكفؤا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب انتهى من الشفا قال ابو حيان هونا نعت لمصدر محذوف اي مشيا هونا او حال اي هينين انتهى وروى الترمذي عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بمن يحرم على النار او بمن تحرم عليه النار على كل قريب هين سهل قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال العامل في سلاما قالوا والمعنى قالوا هذا اللفظ وقال مجاهد معنى سلاما قولا سدادا اي يقول للجاهل كلاما يدفعه به برفق ولين وهذه الاية كانت قبل اية السيف فنسخ منها ما يخص الكفرة وبقي ادبها في المسلمين الى يوم القيامة فصاحب الكلم الفارقية اذا نازعك انسان فلا تجبه فان الكلمة الاولى انثى واجابتها فحلها فان امسكت عنها بترتها وقطعت نسلها وان اجبتها القحتها فكم من نسل مذموم يتولد بينهما في ساعة واحدة انتهى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما هذه اية فيها تحريض على قيام الليل بالصلاة قال الحسن لما فرغ وصف نهارهم وصف في هذه ليلهم وغراما معناه ملازما ثقيلا ومقاما من الاقامة وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة اللهم ادخله الجنة ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار اللهم اجره من النار رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه بلفظ واحد ورواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الاسناد انتهى من السلاح وقوله سبحانه والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا الاية عبارة اكثر المفسرين ان الذي لا يسرف هو المنفق في الطاعة وان افرط والمسرف هو المنفق في المعصية وان قل انفاقه وان المقتر هو الذي يمنع حقا عليه وهذا قول ابن عباس وغيره والوجه ان يقال ان النفقة في المعصية امر قد حظرت الشريعة قليله وكثيره وهؤلاء الموصوفون منزهون عن ذلك وانما التاديب بهذه الاية في نفقة الطاعات وفي المباحات فادب الشريعة فيها ان لا يفرط الانسان حتى يضيع حقا اخر وعيالا ونحو هذا وان لا يضيق ايضا ولا يقتر حتى يجيع العيال ويفرط في الشح والحسن في ذلك هو القوام اي المعتدل والقوام في كل بحسب عياله وحاله وخير الامور اوسطها ولهذا ترك النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق رضي الله عنه يتصدق بجميع ماله لان ذلك وسط بنسبة جلده وصبره في الدين ومنع غيره من ذلك وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز حين زوجه ابنته فاطمة ما نفقتك فقال له عمر الحسنة بين السيئتين ثم تلا الاية وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كفى بالمرء سرفا ان لا يشتهي شيئا الا اشتراه فاكله والقوام خبر كان واسمها مقدر اي الانفاق والذين لا يدعون مع الله الها اخر الاية في نحو هذه الاية قال ابن مسعود قلت يوما يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قلت ثم اي قال ان تزني بحليلة جارك ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية والاثام في كلام العرب العقاب وبه فسر ابن زيد وقتادة هذه الاية قال ع يضاعف بالجزم بدل من يلق قال سيبويه مضاعفة العذاب هو لقي الاثام قوله تعالى الا من تاب لا خلاف بين العلماء ان الاستثناء عامل في الكافر والزاني واختلفوا في القاتل فقد تقدم بيان ذلك في سورة النساء وقوله سبحانه فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات اي بان يجعل اعمالهم بدل معاصيهم الاولى طاعة قاله ابن عباس وغيره ويحتمل ان يكون ذلك في يوم القيامة يجعل بدل السيئات الحسنات تكرما منه سبحانه وتعالى كما جاء في صحيح مسلم وهو تأويل ابن المسيب ص والاولى ان يكون الاستثناء هنا منقطعا اي لكن من تاب وامن وعمل صالحا فاولئك يبدل الله

سيئاتهم حسنات انتهى ثم اكد سبحانه امر التوبة ومدح المتاب فقال ومن تاب وعمل صالحا فانه
يتوب الى الله متابا اى فانه يجد بابا للفرج والمغفرة عظيما ثم استمرت الايات فى صفة عباد
الله المؤمنين بان نفى عنهم شهادة الزور ولا يشهدون وكان فى هذا الموضع ظاهر معناه يشاهدون
ويحضرون والزور كل باطل زور وزخرف واعظمه الشرك وبه فسر الضحاك ومنه الغناء وبه فسر مجاهد
وقال على وغيره معناه لا يشهدون بالزور فهى من الشهادة لا من المشاهدة والمعنى الاول اعم واللغو كل سقط
من فعل او قول وقال الثعلبى اللغو كل ما ينبغى ان يطرح ويلغى انتهى وكراما معناه معرضين مستحيين
يتجافون عن ذلك ويصبرون على الاذى فيه قال ع واذا مر مسلم بمنكر فكرمه ان يغيره وحدود
التغيير معروفة وقوله تعالى والذين اذا ذكروا بايات ربهم يريد ذكروا بالقرآن امر آخرتهم و
معادهم وقوله لم يخروا عليها صما وعميانا يحتمل تاويلين احدهما ان يكون المعنى لم يخرج ذ
الى الحرب جزعا اى انما خرج جريئا مقدما وكان الذى يخر اصم اعمى هو المنافق او الشاك و
الثانى وبه قال الطبرى وهو ان يخروا صما وعميانا هى صفة الكفار وهى عبارة عن
اعراضهم وقال الفراء لم يخروا اى لم يقيموا وهو نحو تاويل الطبرى انتهى وقال ابن العربى فى احكامه
قوله تعالى والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا قال علماؤنا يعنى الذين اذا قرؤوا
القرآن قرؤوه بقلوبهم قراءة فهم وتثبيت ولم ينثروه نثر الدقل فان المرور عليه بغير فهم ولا تثبيت
صمم وعمى انتهى وقرة العين من القر وهذا هو الاشهر لان دمع السرور بارد ودمع الحزن سخن فلهذا
يقال اقر الله عينك واسخن الله عين العدو وقرة العين فى الازواج والذرية ان يراهم الانسان
مطيعين لله تعالى قاله ابن عباس والحسن وغيرهما وبين المقداد بن الاسود الوجه من ذلك بانه
كان فى اول الاسلام يهتدى الاب والابن كافر والزوج والزوجة كافرة فكانت قرة اعينهم
فى ايمان احبابهم واجعلنا للمتقين اماما اى اجعلنا يأتم بنا المتقون وذلك بان يكون الداعى
متقيا قدوة وهذا هو قصد الداعى قال النخعى لم يطلبوا الرياسة بل ان يكونوا قدوة فى
الدين وهذا حسن ان يطلب ويسعى له قال الثعلبى قال ابن عباس المعنى واجعلنا ائمة هدى
انتهى وهو حسن لانهم طلبوا ان يجعلهم اهلا لذلك والغرفة من منازل الجنة وهى الغرف فوق
الغرف وهو اسم جنس كما قال ع ولولا الحبة السوداء لم تحلل بواديكم ت واخرج ابو القاسم زاهر بن طاهر
ابن محمد بن الشحامى عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة غرفا ليس
لها معاليق من فوقها ولا عماد من تحتها قيل يا رسول الله لمن قال هى لاهل الاسقام والاوجاع
والبلوى انتهى من التذكرة وقرا حمزة وغيره يلقون بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف
قوله تعالى قل ما يعبؤا بكم الاية ما نافية ويحتمل التقريرية لانه يحتمل ان تكون خطابا
لجميع الناس فكانه قال لقريش منهم ما يبالى الله بكم ولا ينظر اليكم لولا عبادتكم اياه ان
لو كانت اذ ذلك يعبؤ بالبشر من اجله قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال
النقاش وغيره المعنى لولا استغاثتكم اليه فى الشدائد وقرا ابن الزبير وغيره فقد كذب الكافرون
وهذا يؤيد ان الخطاب بما يعبؤا هو لجميع الناس ثم يقول لقريش فانتم قد كذبتم ولم تعبدوه
فسوف يكون العذاب او التكذيب الذى هو سبب العذاب لزاما ويحتمل ان يكون
الخطاب بالايتين لقريش خاصة وقال الداودى وعن ابن عيينة لولا دعاؤكم اياه لتطيعوه

معناه لولا دعاؤكم

انتهى

انتهى قال ابن العربى فى احكامه زعم بعض الادباء ان لولا دعاؤكم معناه لولا سؤالكم اياه وطلبكم
منه ورأى انه مصدر اضيف الى فاعل وليس كما زعم وانما هو مصدر اضيف الى مفعول والمعنى قل
يا محمد للكفار لولا دعاؤكم ببعثة الرسول اليكم وتبيين الادلة لكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما
ذكر هذا عند قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فى آخر سورة النور انتهى ت والحق
ان الاية تحتمله لجميع ما تقدم ومن ادعى التخصيص فعليه بالدليل والله اعلم ويعبؤا مشتق
من العبء وهو الثقل الذى يعبأ ويرتكز به الجيش قال الثعلبى وقال ابو عبيدة يقال ما عبأت
به شيئا اى لم اعده شيئا فوجوده وعدمه سواء انتهى وقال العراقى ما يعبأ اى ما يبالى انتهى
واكثر الناس على ان اللزام المشار اليه هو يوم بدر وقالت فرقة هو توعد بعذاب الاخرة وقال
ابن عباس اللزام هو الموت وقال البخارى فسوف يكون لزاما اى هلكة انتهى بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما سورة الشعراء مكية كلها فى قول الجمهور قوله
عز وجل طسم تلك ايات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين تقدم الكلام
على الحروف التى فى اوائل السور والباخع القاتل نفسه ومهلكها بالهم والخضوع للاية المنزلة اما لخوف
هلاك كنتق الجبل على بنى اسرائيل واما لاجل الوضوح وبهر العقل بحيث يقع الاذعان لها والاعناق
الجارحة المعلومة وذلك ان خضوع العنق والرقبة هو علامة الذلة والانقياد وقيل المراد
بالاعناق جماعتهم يقال جاء عنق من الناس اى جماعة وقوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث
الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون اولم يروا الى الارض كم
انبتنا فيها من كل زوج كريم تقدم تفسير هذه الجملة فانظره فى محله وقوله تعالى فسياتيهم وعيد
بعذاب الدنيا كبدر وغيرها ووعيد بعذاب الاخرة والزوج النوع والصنف والكريم الحسن
المتقن قاله مجاهد وغيره وقوله تعالى وما كان اكثرهم مؤمنين حتم على اكثرهم بالكفر ثم توعد
تعالى بقوله وان ربك لهو العزيز الرحيم اى عزيز فى انتقامه من الكفار رحيم باوليائه المؤمنين و
قوله تعالى واذ نادى ربك موسى التقدير واذكر اذ نادى ربك موسى وسوق هذه القصة تمثيل لقريش
فى تكذيبهم النبى صلى الله عليه وسلم وقوله فارسل الى هرون معناه يعيننى ولهم على ذنب يعنى قتله القبطى
وقوله تعالى كلا ردا لقوله انى اخاف اى لا تخف ذلك وقول فرعون لموسى الم نربك فينا وليدا هو
على جهة المن عليه والاحتقار اى ربيناك صغيرا ولم نقتلك فى جملة من قتلنا ولبثت فينا من عمرك
سنين فمتى كان هذا الذى تدعيه ثم قرره على قتل القبطى بقوله وفعلت فعلتك والفعلة بفتح
الفاء المرة وقوله وانت من الكافرين يريد وقتلت القبطى وانت فى قتلك اياه من الكافرين اذ هى
نفس لا يحل قتلها قاله الضحاك او يريد وانت من الكافرين بنعمتى فى قتلك اياه قاله ابن زيد ويحتمل ان يريد
وانت الآن من الكافرين بنعمتى وكان بين خروج موسى عليه السلام حين قتل القبطى وبين رجوعه نبيا
الى فرعون احد عشر عاما غير اشهر قاله الطبرى وقوله قال فعلتها اذا من كلام موسى والضمير فى فعلتها
لقتله القبطى وقوله وانا من الضالين قال ابن زيد معناه من الجاهلين بان وكزتى اياه
تاتى على نفسه وقال ابو عبيدة معناه من الناسين ونزع بقوله ان تضل احداهما
وفى قراءة ابن مسعود وابن عباس وانا من الجاهلين ويشبه ان تكون هذه القراءة على
جهة التفسير وحكما يريد النبوة وحكمتها وقوله وجعلنى من المرسلين درجة ثانية للنبوة

قرب نبي ليس برسول وقوله وتلك نعمة تمنها علي الاية قال قتادة هذا من موسى على جهة الانكار على
فرعون كانه يقول او يصح لك ان تعد على نعمة تركي قتلي من اجل انك ظلمت بني اسرائيل وقتلتهم اي ليست
بنعمة لان الواجب كان ان لا تقتلني ولا تقتلهم ولا تستعبدهم وقرا الضحاك وتلك نعمة مالك ان تمنها
علي وهذه قراءة تؤيد هذا التاويل وقال الطبري والسدي هذا الكلام من موسى عليه السلام على جهة
الاقرار بالنعمة كانه يقول نعم وتربيتك نعمة علي من حيث عبدت غيري وتركتني ولكن ذلك لا يدفع
رسالتي ولما لم يجد فرعون حجة رجع الى معارضة موسى في قوله وما رب العالمين واستفهمه استفهاما
فقال موسى هو رب السموات والارض الاية فقال فرعون عند ذلك الا تستمعون على معنى الاغراء والتعجب من
شنعة المقالة اذ كانت عقيدة القوم ان فرعون ربهم ومعبودهم والفراعنة قبله كذلك
فزاد موسى في البيان بقوله ربكم ورب ابائكم الاولين فقال فرعون ح على جهة الاستخفاف ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون فزاد موسى في بيان الصفات التي تظهر نقص فرعون وتبين انه في غاية البعد عن القدرة
عليها وهي ربوبية المشرق والمغرب ولم يكن لفرعون الا ملك مصر ولما انقطع فرعون في باب الحجة
رجع الى الاستعلاء والتغلب فقال لموسى لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين وفي توعده بالسجن ضعف
لانه حارت طباعه معه وكان فيما روي انه يفزع من موسى فزعا شديدا حتى كان لا يمسك بوله وكان عند موسى
من امر الله والتوكل عليه ما لا يروعه توعد فرعون فقال له موسى على جهة اللطف به والطمع في ايمانه
اولو جئتك بشيء مبين يتضح لك معه صدقي فلما سمع فرعون ذلك طمع ان يجد اثناءه موضع معارضة
فقال له فات به ان كنت من الصادقين فالقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبين على ما تقدم بيانه ونزع يده من جيبه
فاذا هي تتلالا كانها قطعة من الشمس فلما راى فرعون ذلك هاله ولم يكن فيه مدفع غير انه
فزع الى رميه بالسحر وقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره تقدم بيانه وكذلك قولهم وابعث
في المدائن حاشرين ياتوك بكل سحار عليم تقدم بيانه وقوله قال نعم وانكم اذا لمن المقربين يريد بتقريبهم
الجاه الزائد على العطاء الذي طلبوه وقوله تعالى فالقي السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين
رب موسى وهرون قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون تقدم بيان
هذه الجملة والحمد لله فانظره في محله قال ابن العربي في احكامه قال مالك دعا موسى فرعون اربعين
سنة الى الاسلام وان السحرة امنوا في يوم واحد انتهى وقولهم لا ضير اي لا يضرنا ذلك مع انقلابنا
الى مغفرة الله ورضوانه وقولهم ان كنا اول المؤمنين يريد من القبط وصنفهم والا فقد كانت
بنو اسرائيل امنت والشرذمة الجمع القليل المحتقر وشرذمة كل شيء بقيته الخسيسة وقوله تعالى يقولون
يريد بغائظون لنا فهم الامر وتاخذهم الاموال عارية وحذرون جمع حذر والضمير في قوله فاخرجناهم
عائد على القبط والجنات والعيون بحافتي النيل من اسوان الى رشيد وقيل مجالس الامراء والحكام وقيل
الحسان ومشرقين معناه عند شروق الشمس وقيل معناه نحو المشرق والطود هو الجبل وازلفنا
معناه قربنا وقرا ابن عباس وازلقنا بالقاف واتل عليهم نبا ابراهيم الاية هذه الاية تضمنت
الاعلام بغيب والعكوف اللزوم وقوله فانهم عدو لي الا رب العالمين قالت فرقة هو استثناء
متصل لان في الاباء الاقدمين من قد عبد الله تعالى وقالت فرقة هو استثناء منقطع لانه انما
اراد عباد الاوثان من كل قرن منهم واسند ابراهيم عليه السلام المرض الى نفسه والشفاء الى ربه

قال ابن عمر وغيره ومقام كريم قال ابن جبير هو [illegible] وقيل هو المنابر

عز وجل وهذا احسن ادب في العبادة والكل من عند الله واوقف عليه السلام نفسه على الطمع
في المغفرة وهذا دليل على شدة خوفه مع علو منزلته عند الله وروى الترمذي عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا او زار اخا له في الله ناداه مناد ان طبت
وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلا قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى وفي صحيح مسلم عن
ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عاد مريضا لم يزل
في خرفة الجنة حتى يرجع قيل يا رسول الله وما خرفة الجنة قال جناها انتهى وعنه صلى الله
عليه وسلم من عاد مريضا لم يحضر اجله فقال عنده سبع مرات اسال الله العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك
الا عافاه الله سبحانه اخرجه ابو داود والترمذي والحاكم في مستدركه على الصحيحين بالاسناد الصحيح انتهى
من حلية النووي وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عاد مريضا لم يحضر
اجله فقال عند راسه سبع مرات اسال الله العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك الا عافاه الله من ذلك المرض
رواه ابو داود واللفظ له والترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحيهما بمعناه وقال الحاكم صحيح على شرط
الشيخين يعني البخاري ومسلما وفي رواية النسائي وابن حبان كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا عاد المريض جلس عند
راسه ثم قال فذكر مثله بمعناه انتهى من السلاح وقوله خطيئتي ذهب اكثر المفسرين الى انه كذباته قوله
هي اختي في شان سارة وقوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقالت فرقة اراد بالخطيئة اسم الجنس فدعا
في كل امر من غير تعيين قال ع وهذا اظهر عندي وقوله رب هب لي حكما اي حكمة ونبوة ودعاؤه
في مثل هذا هو في معنى التثبيت والدوام ولسان صدق هو الثناء الحسن واستغفاره لابيه في هذه الاية
هو قبل ان يتبين له انه عدو لله وقوله بقلب سليم معناه خالص من الشرك والمعاصي وعلق الدنيا المتروكة
وان كانت مباحة كالمال والبنين قال سفيان هو الذي يلقى الله وليس في قلبه شيء غيره قال ع وهذا يقتضي
عموم اللفظة ولكن السليم من الشرك هو الاهم وقال الجنيد بقلب لديغ من خشية الله والسليم
اللديغ ص الا من اتى الله الظاهر انه استثناء منقطع اي لكن من اتى الله بقلب سليم نفعه سلامة
قلبه انتهى وازلفت معناه قربت والغاوون الذين برزت لهم الجحيم هم المشركون ثم اخبر سبحانه عن حال
يوم القيامة من ان الاصنام تكبكب في النار اي تلقى كبة واحدة وقال ص فكبكبوا اي قلب بعضهم على بعض
وحروفه كلها اصول عند جمهور البصريين وذهب الزجاج وابن عطية وغيرهما انه مضاعف الباء
من كب وقال غيرهما وجعل التكرير من اللفظ دليلا على التكرير في المعنى وذهب الكوفيون الى ان اصله
كبب والكاف بدل من الباء الثانية انتهى والغاوون الكفرة الذين شملتهم وجنود ابليس هم نسله وكل
من يتبعه لانهم جند له واعوان ثم وصف تعالى ان اهل النار يختصمون فيها ويتلاومون قائلين
لاصنامهم تالله ان كنا لفي ضلال مبين في ان نعبدكم ونجعلكم سواسي لله تعالى الذي هو رب
العالمين ثم عطفوا يردون الملامة على غيرهم اي ما اضلنا الا كبراؤنا واهل الجرم والجراءة ثم قالوا
على جهة التلهف والتاسف حين راوا شفاعة الملائكة والانبياء والعلماء نافعة في اهل الايمان
عموما وشفاعة الصديق في صديقه خصوصا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والحميم الولي
والقريب الذي يخصك امره ويخصه امرك وحامة الرجل خاصته وباقي الاية بين وقول نوح
عليه السلام اني لكم رسول امين اي امين على وحي الله ورسالته ص قرا الجمهور واتبعك والجملة حال
اي وقد اتبعك ويعقوب واتباعك وعن اليماني واتباعك بالجر عطفا على الضمير في لك انتهى

والارذلون جمع الارذل ولا يستعمل الا معرفا او مضافا او بمن قال ع ويظهر من الاية
ان مراد قوم نوح بنسبة الرذيلة الى المؤمنين تهجين افعالهم لا النظر في صنائعهم ومذهب اشراف قوم
نوح في استنقاصهم صنعة المؤمنين مذهب كفار قريش في شان عمار بن ياسر وصهيب وبلال وغيرهم
وقولهم من المرجومين يحتمل ان يريد بالحجارة او بالقول والشتم وقوله افتح معناه احكم والفتاح
القاضي بلغة يمانية الفلك السفينة والمشحون معناه المملوء وقول هود عليه السلام لقومه اتبنون هو
على جهة التوبيخ والريع المرتفع من الارض وله في كلام العرب شواهد وعبر المفسرون عن الريع بعبارات
وجملة ذلك انه المكان المشرف وهو ما يتنافس البشر في مبانيه والاية البنيان قال ابن عباس انه علم وقال مجاهد
ابراج الحمام وقيل القصور الطوال والمصانع جمع مصنع وهو ما صنع واتقن في بنائه من قصر مشيد
ونحوه قال البخاري كل بناء مصنعة انتهى وقوله لعلكم تخلدون اي كانكم تخلدون وكذا نقله البخاري
عن ابن عباس غير مسند انتهى والبطش الاخذ بسرعة والجبار المتكبر ثم ذكرهم عليه السلام بايادي
الله تعالى فيما منحهم وحذرهم من عذابه فكان مراجعتهم ان سووا بين وعظه وتركه الوعظ وقرا
نافع وغيره خلق الاولين بضم اللام فالاشارة بهذا الى دينهم اي ما هذا الذي نحن عليه الا خلق الناس
وعادتهم وقرا ابن كثير وغيره خلق بسكون اللام فيحتمل المعنى ما هذا الذي تزعمه الا اختلاق
الاولين من الكذبة قبلك على مناهجهم وروى علقمة عن ابن مسعود الا اختلاق الاولين وقول
صالح لقومه اتتركون فيما هاهنا تخويف لهم بمعنى اتطمعون ان تقروا في النعم على معاصيكم و
الهضيم معناه اللين الرطب والطلع الكفرى وهو عنقود التمر قبل ان يخرج من الكم في اول
نباته فكان الاشارة الى ان طلعها تم ويرطب قال ابن عباس اذا اينع وبلغ فهو هضيم وقال الزجاج
هو فيما قيل الذي رطبه بغير نوى وقال الثعلبي قال ابن عباس هضيم لطيف ما دام في كفراه انتهى
وقرا الجمهور تنحتون بكسر الحاء وفرهين من الفراهة وهي جودة منظر الشي وخبرته وقوته وقوله
ولا تطيعوا امر المسرفين خاطب به جمهور قومه وعنى بالمسرفين كبراءهم واعلام الكفر والاضلال
فيهم قالوا انما انت من المسحرين اي قد سحرت ص قرا الجمهور شرب بكسر الشين اي نصيب وقرا
ابن ابي عبلة بضم الشين فيهما انتهى وقوله تعالى كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط
قال النقاش ان في مصحف ابن مسعود وابي وحفصة اذ قال لهم لوط وسقط اخوهم وقوله
اني لعملكم من القالين القلا هو البغض فنجاه الله بان امره بالرحلة على ما تقدم في قصصهم وقوله تعالى
كذب اصحاب ليكة المرسلين قرا نافع وابن كثير وابن عامر اصحاب ليكة على وزن فعلة هنا وفي ص
وقرا الباقون الايكة وهي الدوحة الملتفة من الشجر على الاطلاق وقيل من شجر معروف له غضارة
تالفه الحمام والقماري ونحوها وليكة اسم البلد في قراءة من قرا ذلك قاله بعض المفسرين وذهب
قوم الى انها مسهلة من الايكة وانها وقعت في المصحف هنا وفي سورة ص بغير الف وقوله تعالى
كذبت قوم نوح المرسلين وكذلك ما بعده بلفظ الجمع من حيث ان تكذيب جميع الانبياء لانهم كلهم
يدعون الخلق الى الايمان بالله تعالى واليوم الاخر وفي قول الانبياء عليهم السلام الا تتقون عرض
رفيق وتلطف كما قال تعالى فقل هل لك الى ان تزكى والجبلة الخليقة والقرون الماضية والكسف
القطع واحدها كسفة ويوم الظلة هو يوم عذابهم وصورته فيما روي ان الله امتحنهم بحر
شديد وانشا الله سحابا في بعض قطرهم فجاء بعضهم فوجدوا لها بردا وروحا فتداعوا

الها

اليها حتى تكاملوا فاضطرمت عليهم نارا فاحرقتهم من عند اخرهم وقيل غير هذا والحق انه عذاب جعله
الله ظلة عليهم وقوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين يعني القران وقوله بلسان متعلق بنزل اي سمعه النبي
صلى الله عليه وسلم من جبريل حروفا عربية وهذا هو القول الصحيح وما سوى هذا فمردود
وقوله سبحانه وانه لفي زبر الاولين اي القران مذكور في الكتب المنزلة القديمة منبه عليه
مشار اليه اولم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل كعبد الله بن سلام ونحوه قال ابن عباس ومجاهد
هذه الاية مكية وقال مقاتل هذه الاية مدنية ومن قال ان الاية مكية ذهب الى ان علماء بني اسرائيل ذكروا
لقريش ان في التوراة صفة النبي الامي وان هذا زمانه فهذه الاشارة الى ذلك وذلك ان قريشا بعثت الى
الاحبار يسالونهم عن امر النبي صلى الله عليه وسلم ثم اخبر تعالى ان هذا القران لو سمعوه من اعجم اي من حيوان
غير ناطق او من جماد والاعجم كل ما لا يفصح ما كانوا يومنون والاعجمون جمع اعجم وهو الذي
لا يفصح وان كان عربي النسب وكذلك يقال للحيوانات والجمادات ومنه الحديث جرح العجماء جبار والعجمي
هو الذي نسبته في العجم وان كان افصح الناس وقرا الحسن الاعجميين قال ابو حاتم اراد جمع الاعجمي المنسوب
الى العجم وقال الثعلبي يعني الاية ولو نزلناه على رجل ليس بعربي اللسان فقراه عليهم بغير لغة العرب
لما امنوا به انفة من اتباعه انتهى وقوله تعالى كذلك سلكناه في قلوب المجرمين قال ع وسلكناه
معناه ادخلناه والضمير فيه للكفر الذي تضمنه قوله ما كانوا به مؤمنين قاله الحسن وقيل الضمير
للتكذيب وقيل للقران ورجح بانه المتبادر الى الذهن والمجرمون اراد به مجرمي كل امة اي ان هذه
عادة الله فيهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب فكفار قريش كذلك وهل نحن منظرون اي مؤخرون
وقوله سبحانه افبعذابنا يستعجلون توبيخ لكفار قريش على استعجالهم العذاب وقولهم للنبي صلى الله عليه وسلم
اسقط علينا كسفا من السماء وقولهم اين ما تعدنا ثم خاطب سبحانه نبيه عليه السلام بقوله افرايت
ان متعناهم سنين قال عكرمة يريد عمر الدنيا ثم اخبر تعالى انه لم يهلك قرية من القرى الا بعد ارسال من
ينذرهم عذاب الله عز وجل ذكرى لهم وتبصرة وقوله تعالى وما تنزلت به الشياطين الضمير في به عائد
على القران وقوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون اي لان السماء محروسة بالشهب الجارية اثر
الشياطين ثم وصى تعالى نبيه بالثبوت على التوحيد والمراد امته فقال فلا تدع مع الله الها اخر
الاية وقوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين الاية وفي صحيح البخاري عن ابن عباس لما نزلت هذه الاية
خرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا فاجتمعوا اليه
فقال ارايتم ان اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا كذبا
قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد الحديث وخص بانذاره عشيرته والعشيرة قرابة الرجل
واخفض جناحك استعارة معناه لين الكلمة وبسط الوجه والبر والضمير في عصوك عائد على
عشيرته ثم امره تعالى نبيه عليه السلام بالتوكل عليه في كل اموره ثم جاء بالصفات التي تونس المتوكل وهي
العزة والرحمة وقوله الذي يراك عبارة عن الادراك وظاهر الاية انه اراد قيام الصلاة ويحتمل سائر
التصرفات وهو تاويل مجاهد وقتادة وقوله سبحانه وتقلبك في الساجدين قال ابن عباس وغيره
يريد اهل الصلاة اي صلاتك مع المصلين وقوله تعالى قل هل انبئكم اي قل لهم يا محمد هل اخبركم
على من تنزل الشياطين والافاك الكذاب والاثيم الاثم ويريد الكهنة لانهم كانوا يتلقون من الشياطين
الكلمة الواحدة التي سمعت من السماء فيخلطون معها مائة كذبة حسبما جاء في الحديث وقد ذكرنا

عليك ص

حين تقوم

في غير هذا الموضع والضمير في يلقون يحتمل ان يكون للشياطين ويحتمل ان يكون للكهنة
ولما ذكر الكهنة بافكهم وحالهم التي تقتضي نفي كلامهم عن كلام الله تعالى عقب ذلك بذكر الشعرا
وحالهم لينبه على بعد كلامهم من كلام القرآن اذ قال بعض الكهنة في القران انه شعر والمراد شعرا
الجاهلية ويدخل في الاية كل شعر مخلط يهجوا ويمدح شهوة ويقذف المحصنات ويقول الزور
وقوله الغاوون قال ابن عباس هم المستحسنون لاشعارهم المصاحبون لهم وقال عكرمة هم الرعاع
الذين يتبعون الشاعر ويغتنمون انشاده وقوله في كل واد يهيمون عبارة عن تخليطهم وخوضهم
في كل فن من غث الكلام وباطله قاله ابن عباس وغيره وروى جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال من مشى سبع خطوات في شعر كتب من الغاوين ذكره اسد بن موسى وذكره النقاش
وقوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية هذا الاستثناء هو في شعراء الاسلام كحسان بن ثابت
وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وكل من اتصف بهذه الصفة ويروى عن عطاء بن يسار
وغيره ان هؤلاء شق عليهم ما ذكر قبل في الشعراء فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت اية الاستثناء
بالمدينة وقوله تعالى وذكروا الله كثيرا يحتمل ان يريد في اشعارهم وهو تاويل ابن زيد ويحتمل ان ذلك
خلق لهم وعبادة قاله ابن عباس فكل شاعر في الاسلام يهجو ويمدح عن غير حق داخل في هذه الاية
وكل تقي منهم يكثر في الزهد ويمسك عن كل ما يعاب فهو داخل في الاستثناء ت قد كتبنا والحمد لله
في هذا المختصر جملة صالحة في فضل الاذكار عسى الله ان ينفع به من وقع بيده ففي جامع الترمذي عن ابي سعيد
الخدري قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم اي العباد افضل درجة عند الله تعالى يوم القيمة قال الذاكرون
الذاكرون الله تعالى كثيرا قلت ومن الغازي في سبيل الله عز وجل قال لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين
حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله تعالى افضل منه وروى الترمذي وابن ماجة عن ابي
الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبيكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها
في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم
ويضربوا اعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله تعالى قال الحاكم ابو عبد الله في كتابه المستدرك على الصحيحين
هذا حديث صحيح الاسناد انتهى من حلية النووي وانتصروا من بعد ما ظلموا اشارة الى ما رد به
حسان وعلي وغيرهما على قريش ت قيل واصدق بيت قالته العرب قول حسان لابي سفيان
او لابي جهل نظم اتهجوه ولست له بكفؤ ❊ فشركما لخيركما الفداء ❊ وباقي الاية وعيد
لظلمة كفار مكة وتهديد لهم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما سورة النمل مكية قوله طس تلك ايات القران وكتاب
مبين هدى وبشرى للمؤمنين تقدم القول في الحروف المقطعة وعطف الكتاب على القران
وهما المسمى واحد من حيث هما صفتان لمعنيين فالقران لانه اجتمع والكتاب لانه يكتب وافام الصلاة
ادامتها واداؤها على وجهها قوله تعالى زينا لهم اعمالهم اي جعل سبحانه عقابهم على كفرهم اي ختم عليهم
الكفر وحبب اليهم الشرك وزينه في نفوسهم والعمه الحيرة والتردد في الضلال ثم توعدهم تعالى
بسوء العذاب فمن ناله منه شيء في الدنيا بقي عليه عذاب الاخرة ومن لم ينله عذاب الدنيا
كان سوء عذابه في موته وفيما بعده وقوله تعالى وانك لتلقى القران تلقي مضاعف لقي يلقى ومعناه
تعطى كما قال وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وهذه الاية رد على كفار قريش في قولهم ان القران

كرون

من تلقاء محمد ومن لدن معناه من عنده ومن جهته ثم قص تعالى خبر موسى حين خرج بزوجته
بنت شعيب عليه السلام يريد مصر وقد تقدم في طه قصص الاية وقوله سآتيكم منها بخبر او اتيكم بشهاب
قبس الاية اصل الشهاب الكوكب المنقض في اثر مسترق السمع وكل ما يقال له شهاب من المنيرات فعلى التشبيه
والقبس يحتمل ان يكون اسما ويحتمل ان يكون صفة وقرا الجمهور باضافة شهاب الى قبس وقرا حمزة والكسائي
وعاصم بتنوين شهاب قبس فهذا على الصفة ص وقوله جاءها ضمير المفعول عايد على النار وقيل على
الشجرة انتهى وبورك معناه قدس ونمى خيره والبركة مختصة بالخير وقوله تعالى من في النار قال
ابن عباس اراد النور قال الحسن وابن عباس واراد بمن حولها الملائكة وموسى قال ع ويحتمل ان يكون من للملائكة
لان ذلك النور الذي حسبه موسى نارا لم يخل من ملائكة ومن حولها لموسى والملائكة المطيفين به وقرا
ابي بن كعب ان بوركت النار ومن حولها وقوله تعالى وسبحان الله رب العالمين هو تنزيه لله تعالى مما عساه ان
يخطر ببال في معنى النداء من الشجرة اي هو منزه عن جميع ما تتوهمه الاوهام وعن التشبيه والتكييف
والضمير في انه للامر والشان وقوله سبحانه والق عصاك الاية امره سبحانه وتعالى بهذين الامرين القاء العصا
وامر اليد تدريبا له في استعمالها والجان الحيات لانها تجن انفسها اي تسترها وقالت فرقة الجان
صغار الحيات وقوله تعالى ولى مدبرا ولم يعقب اي ولى فارا قال مجاهد ولم يرجع وقال قتادة ولم
يلتفت قال ع وعقب الرجل اذا ولى عن امر ثم صرف بدنه او وجهه عنه ثم ناداه سبحانه يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون وقوله تعالى الا من ظلم قال الفراء وجماعة الاستثناء منقطع
وهو اخبار عن غير الانبياء كانه سبحانه قال لكن من ظلم من الناس ثم تاب فاني غفور رحيم وهذه الاية
تقتضي المغفرة للتائب الحبيب الفتح في النوب لراس الانسان وقوله تعالى في تسع ايات متصل بقوله الق
وادخل يدك وفيه اقتضاب وحذف والمعنى جملة تسع ايات وقد تقدم بيانها والضمير في قوله جاءتهم
لفرعون وقومه وظاهر قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها حصول الكفر عنادا وهي مسئلة
خلاف قد تقدم بيانها وظلما معناه على غير استحقاق للجحد والعلو في الارض اعظم افة على طالبه
قال تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا وقوله تعالى ولقد
اتينا داود وسليمان علما الاية هذا ابتداء قصص فيه غيوب وعبر وورث سليمان داود اي
ورث ملكه ومنزلته من النبوة بعد موت ابيه وقوله وعلمنا منطق الطير اخبار بنعمة الله تعالى
عندهما في فهمهما من اصوات الطير المعاني التي في نفوسها وهذا نحو ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم يسمع
اصوات الحجارة بالسلام عليه وغير ذلك حسبما هو في الاثار قال قتادة وغيره انما كان هذا الامر في
الطير خاصة والنملة طاير اذ قد يوجد لها جناحان وقالت فرقة بل كان ذلك في جميع الحيوان وانما خص
الطير لانه كان جندا من جند سليمان يحتاجه في التظليل عن الشمس وفي البعث للامور والنمل حيوان فطن
قوي شمام جدا يدخر ويتخذ القرى ويشق الحب بقطعتين لئلا يسوس ويشق الكزبرة باربع قطع
لانها تنبت اذا قسمت شقين ويأكل في عامه نصف ما جمع ويستبقي سائر عدته قال ابن العربي في
احكامه ولا خلاف عند العلماء في ان الحيوانات كلها لها افهام وعقول قال الشافعي الحمام اعقل الطير انتهى
وقوله واوتينا من كل شيء معناه يصلح لنا ونتمناه وليست على العموم ثم ذكر شكر فضل الله
تعالى واختلف في مقدار جند سليمان عليه السلام اختلافا شديدا لا ارى ذكره لعدم صحة التحديد
غير ان الصحيح في هذا ان ملكه كان عظيما ملا الارض وانقادت له المعمورة كلها اليه وكان كرسيه يحمل اجناد

من الانس والجن وكانت الطير تظله من الشمس ويبعثها في الامور ويوزعون معناه يرد اولهم
الى آخرهم ويكفون قال قتادة فكان لكل صنف وزعة ومنه قول الحسن البصري
حين ولي قضاء البصرة لابد للحاكم من وزعة ومنه قول ابي قحافة للجارية ذلك يا بنية الوازع
ومنه قول الشاعر شعر على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت الما اصح والشيب وازع
اي كاف وهكذا نقل ابن العربي عن مالك فقال يوزعون اي يكفون قال ابن العربي وقد يكون بمعنى يلهمون
من قوله اوزعني ان اشكر نعمتك اي الهمني انتهى من الاحكام وقوله فتبسم ضاحكا من قولها التبسم هو
ضحك الانبياء في غالب امرهم لا يليق بهم سواه وكان تبسمه سرورا بنعمة الله تعالى عليه في سماعه وتفهمه
وفي قول النملة وهم لا يشعرون ثناء على سليمان وجنوده يتضمن تنزيههم عن تعمد القبيح ثم دعا سليمان
عليه السلام ربه ان يعينه ويفرغه لشكر نعمته وهذا معنى ايزاع الشكر وقال الثعلبي وغيره اوزعني
معناه الهمني وكذلك قال الطبري اوزعني الهمني انتهى وقوله تعالى وتفقد الطير قالت فرقة ذلك
بحسب ما تقتضيه العناية بالمملكة والتهمم بكل جزء منها وهذا ظاهر الاية انه تفقد جميع الطير
وقالت فرقة بل تفقد الطير لان الشمس دخلت من موضع الهدهد فكان ذلك سبب تفقد الطير
ليتبين من اين دخلت الشمس وقال عبد الله بن سلام انما طلب الهدهد لانه احتاج الى معرفة الماء على
كم هو من وجه الارض لانه كان نزل في مفازة عدم فيها الماء وان الهدهد كان يرى باطن الارض
وظاهرها فكان يخبر سليمان بموضع الماء ثم كانت الجن تخرجه في ساعة وقيل غير هذا والله اعلم بما صح من ذلك
ثم توعد عليه السلام الهدهد بالعذاب فروي عن ابن عباس وغيره ان تعذيبه للطير كان بنتف ريشه
والسلطان الحجة حيث وقع في القرآن قاله ابن عباس وفعل سليمان هذا بالهدهد اغلاظا على العاصين
وعقابا على اخلاله بنوبته ورتبته والضمير في مكث يحتمل ان يكون لسليمان او للهدهد وفي قراءة
ابن مسعود فمكث ثم جاء فقال وفي قراءة ابي فتمكث ثم قال احطت ت وفي هاتين القراءتين تبيان
ان الضمير في مكث للهدهد وهو الظاهر ايضا في قراءة الجمهور ومعنى مكث اقام وقوله غير بعيد يعني في
الزمن وقوله احطت اي علمت وقرا الجمهور سبإ بالصرف على انه اسم رجل وبه جاء الحديث عن النبي صلى
الله عليه وسلم من حديث فروة بن مسيك وغيره سئل النبي عليه السلام عن سبا فقال كان رجلا له
عشرة من الولد تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة ورواه الترمذي من طريق فروة بن مسيك وقرا
ابن كثير وابو عمرو سبا بفتح الهمزة وترك الصرف على انه اسم بلدة وقاله الحسن وقتادة وقوله
واوتيت من كل شيء اي مما تحتاجه المملكة قال الحسن من كل امر الدنيا وهذه المراة هي
بلقيس ووصف عرشها بالعظم في الهيئة ورتبة الملك واكثر بعض الناس في قصصها بما رايت
اختصاره لعدم صحته وانما اللازم من الاية انها امراة ملكة على مدائن اليمن ذات ملك عظيم وكانت
كافرة من قوم كفار وقوله الا يسجدوا لله الذي يخرج الى قوله العظيم ظاهره انه من قول الهدهد
وهو قول ابن زيد وابن اسحاق ويحتمل ان يكون من قول الله تعالى اعتراضا بين الكلامين وقراءة التشديد
في الا تعطي ان الكلام للهدهد وهي قراءة الجمهور وقراءة التخفيف وهي للكسائي تمنعه وتقوي
الاخر فتامله وقرا الاعمش هلا يسجدون وفي حرف عبد الله الا هل تسجدون بالتاء والخبء الخفي
من الامور وهو من خبأت الشيء واللفظة تعم من الامور وبه فسر ابن عباس وقرا الجمهور يخفون ويعلنون
بياء الغائب وهذه القراءة تعطي ان الاية من خطاب الله تعالى لامة محمد صلى الله عليه وسلم

وقوله

وقوله فالقه اليهم ثم تول عنهم قال وهب بن منبه امره بالتولي حسن ادب ليتنحى حسبما يتأدب
به مع الملوك بمعنى وكن قريبا حتى ترى مراجعاتهم وليكل الامر الى حكم ما في الكتاب دون ان تكون
للرسول ملازمة ولا الحاح وروى وهب بن منبه في قصص هذه الاية ان الهدهد وصل فوجد دون
هذه الملكة حجب جدرات فعمد الى كوة كانت بلقيس صنعتها لتدخل منها الشمس عند طلوعها لمعنى عبادتها
اياها فدخل منها ورمى بالكتاب اليها فقرأته وجمعت اهل ملكها فخاطبتهم بما ياتي بعد قالت يا ايها الملأ
يعني الاشراف اني القي الي كتاب كريم وصفت الكتاب بالكريم اما لانه من عند عظيم او لانه بدئ
باسم كريم ثم اخذت تصف لهم ما في الكتاب ثم اخذت في حسن الادب مع رجالها ومشاورتهم
في امرها واجابها قومها بما يقر عينها من اعلامهم اياها بالقوة والباس ثم سلموا الامر الى نظرها
وهذه محاورة حسنة من الجميع وفي قراءة عبد الله ما كنت قاضية امرا بالضاد من القضاء ثم اخبرت
بلقيس بفعل الملوك بالقرى التي يتغلبون عليها وفي كلامها خوف على قومها وحيطة لهم قال
الداودي وعن ابن عباس اذا دخلوا قرية افسدوها قال اذا اخذوها عنوة اخربوها انتهى و
قوله وكذلك يفعلون قالت فرقة هو من قول بلقيس وقال ابن عباس هو من قول الله تعالى معرفا
لمحمد عليه السلام وامته بذلك واني مرسلة اليهم بهدية الاية روي ان بلقيس قالت لقومها اني اجرب
هذا الرجل بهدية فيها نفائس الاموال فان كان ملكا دنياويا ارضاه المال وان كان نبيا لم
يقبل الهدية ولم يرضه منا الا ان نتبعه على دينه فينبغي ان نؤمن به ونتبعه على دينه فبعثت اليه بهدية
عظيمة وقوله تعالى فلما جاء سليمان يعني رسل بلقيس وقول سليمان ارجع خطاب لرسلها لان الرسول يقع
على الجمع والافراد والتذكير والتانيث وفي قراءة ابن مسعود فلما جاءوا سليمان وقرا ارجعوا ووعيد
سليمان لهم مقترن بدوام كفرهم على قول النحاة لا قبل لهم بها اي لا طاقة لهم انتهى ثم قال سليمان
لجمعه يا ايها الملأ ايكم ياتيني بعرشها قال ابن زيد وغرضه في استدعاء عرشها ان يريها القدرة
التي من عند الله وليغرب عليها وقوله مسلمين هذا التاويل مستسلمين ويحتمل ان يكون بمعنى الاسلام وقال
قتادة كان غرض سليمان اخذه قبل ان يعصمهم الاسلام فالاسلام على هذا التاويل يراد به الدين ت
والتاويل الاول اليق بمنصب النبوة فيتعين حمل الاية عليه والله اعلم وروي ان عرشها كان من ذهب
وفضة مرصعا بالياقوت والجوهر وانه كان في جوفه سبعة ابيات عليها سبعة اغلاق والعفريت
هو من الشياطين القوي المارد وقوله قبل ان تقوم من مقامك قال مجاهد وقتادة معناه قبل قيامك
من مجلس الحكم وكان يجلس من الصبح الى وقت الظهر في كل يوم وقيل معناه قبل ان تستوي من جلوسك قائما و
قوله الذي عنده علم من الكتاب قبل ان يرتد اليك طرفك قال ابن جبير وقتادة قبل ان يصل اليك
من يقع طرفك عليه في ابعد ما ترى وقال مجاهد قبل ان يحتاج الى التغميض اي مدة ما يمكنك
ان تمد بصرك دون تغميض وذلك ارتداده قال ع وهذان القولان يقابلان القولين قبلهما
وقوله لقوي امين معناه قوي على حمله امين على ما فيه وروي ان الجن كانت تخبر سليمان بمناقل سير
بلقيس فلما قربت قال ايكم ياتيني بعرشها فدعا الذي عنده علم من الكتاب وهو الكاتب الشا اليه باسم
الله الاعظم الذي كانت العادة في ذلك الزمان ان لا يدعو به احد الا اجيب فشقت الارض بذلك
العرش حتى نبع بين يدي سليمان عليه السلام وقيل بل جيء به في الهواء وجمهور المفسرين على ان هذا الذي عنده
علم من الكتاب كان رجلا صالحا من بني اسرائيل اسمه آصف بن برخيا روي انه صلى ركعتين ثم قال

لسليمان يا نبي الله امدد بصرك نحو اليمن فمد بصره فاذا بالعرش فما رد سليمان بصره الا وهو عنده وقال
قتادة اسمه بليخا وقول سليمان نكروا لها عرشها يريد تجربة ميزها ونظرها ودوت وقيل ان الجن احست
من سليمان او ظنت به انه ربما تزوجها فكرهوا ذلك وعيبوها عنده بانها غير عاقلة ولا مميزة وان
رجلها كحافر دابة فجرب عقلها وميزها بتنكير السرير وجرب امر رجلها بامر الصرح لتكشف عن ساقيها
عنده وتنكير العرش تغيير وضعه وستر بعضه وقولها كانه هو تحرز فصيح وقال الحسن بن الفضل
شبهوا عليها فشبهت عليهم ولو قيل لها اهذا عرشك لقالت نعم ثم قال سليمان عند ذلك واوتينا العلم من قبلها
الاية وهذا منه على جهة تعديد نعم الله عليه وعلى آبائه وقوله تعالى وصدها ما كانت تعبد اي عن الايمان
وهذا الكلام يحتمل ان يكون من قول سليمان او من قول الله اخبارا لمحمد صلى الله عليه وسلم قال محمد بن كعب
القرظي وغيره ولما وصلت بلقيس امر سليمان الجن فصنعت له صرحا وهو السطح في الصحن من غير
سقف وجعلته مبنيا كالصهريج وملئ ماء وبث فيه السمك وطبقه بالزجاج الابيض الشفاف
وبهذا جاء صرحا والصرح ايضا كل بناء عال وكل هذا من التصريح وهو الاعلان البالغ ثم وضع سليمان
في وسط الصرح كرسيا فلما وصلته بلقيس قيل لها ادخلي الى النبي عليه السلام فلما رات الصرح
حسبته لجة وهو معظم الماء ففزعت وظنت انها قصد بها الغرق وتعجبت من كون كرسيه
على الماء ورات ما هالها ولم يكن لها بد من امتثال الامر فكشفت عن ساقيها فراى سليمان ساقيها سليمة
مما قالت الجن غير انها كثيرة الشعر فلما بلغت هذا الحد قال لها سليمان انه صرح ممرد من قوارير و
الممرد المحكوك المملس ومنه الامرد فعند ذلك قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين
فروي ان سليمان تزوجها عند ذلك واسكنها الشام قاله الضحاك وقيل زوجها وردها الى ملكها باليمن
وكان ياتيها على الريح كل شهر مرة فولدت له غلاما سماه داود مات في حياته وروي ان سليمان لما اراد
زوال شعر ساقيها امر الجن بالتلطف في زواله فصنعوا النورة ولم تكن قبل وصنعوا الحمام وقوله
تعالى ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا الاية تمثيل لقريش وفريقان يريد بهما من آمن بصالح ومن كفر به
واختصامهم هو تنازعهم وقد ذكر تعالى في سورة الاعراف ثم ان صالحا عليه السلام ترفق بقومه ووقفهم
على خطئهم في استعجالهم العذاب قبل الرحمة او المعصية لله قبل الطاعة ثم اجابوه بقولهم اطيرنا بك اي
تشاءمنا بك وتسعة رهط هم رجال كانوا من اوجه القوم واغناهم وهم اصحاب قدار والمدينة مجتمع
ثمود وقريتهم وقوله تعالى تقاسموا قال الجمهور هو فعل امر اشار بعضهم الى بعض بان يتحالفوا على الفعل بصالح وحكى
الطبري انه يجوز ان يكون تقاسموا فعلا ماضيا في موضع الحال كانه قال متقاسمين ومتحالفين
بالله لنبيتنه واهله ويؤيده قراءة عبد الله ولا يصلحون تقاسموا باسقاط قالوا قال ع وهذه
الالفاظ الدالة على قسم تجاوب باللام وان لم يتقدم قسم ظاهر فاللام في لنبيتنه جواب القسم وروي
في قصص هذه الاية ان هؤلاء التسعة تحالفوا على ان ياتوا دار صالح ليلا فيقتلوه واهله المختصين
به قالوا فان كان كاذبا في وعيده اوقعنا به ما يستحق وان كان صادقا كنا قد عجلناه قبلنا وشفينا
به نفوسنا فجاؤوا واختفوا لذلك في غار قريب من داره وروي انه انحدرت عليهم صخرة شدختهم جميعا
وروي انها طبقت عليهم الغار فهلكوا فيه حين هلك قومهم وكل فريق لا يعلم بما جرى على الاخر وقد
كانوا بنوا على جحود الامر من قرابة صالح ويعني بالاهل كل من آمن به قاله الحسن وقوله سبحانه
ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون قال ابن العربي الحاتمي المكر ارداف النعم مع المخالفة وابقاء الحال مع

سوا

مع سوء الادب انتهى من شرحه لالفاظ الصوفية والتدمير الهلاك وخاوية معناه قفرا وهذه
البيوت المشار اليها هي التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم عام تبوك لا تدخلوا بيوت المعذبين الا
ان تكونوا باكين الحديث في صحيح مسلم وغيره قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة
وانتم تبصرون ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون تقدم قصص هؤلاء
القوم وتبصرون معناه بعقولكم قال ابو حيان وشهوة مفعول من اجله انتهى وعن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله من عمل عمل قوم لوط لعن الله من عمل عمل قوم لوط رواه ابو داود
والترمذي والنسائي واللفظ له وابن ماجه وابن حبان في صحيحه انتهى من السلاح قوله تعالى قل الحمد لله
وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير اما يشركون الايات هذا ابتداء تقرير وتنبيه لقريش والعرب
وهو بعد يعم كل مكلف من الناس جميعا وافتتح ذلك بالقول بحمده وتمجيده وبالسلام على عباده الذين
اصطفاهم للنبوة والايمان فهذا اللفظ عام لجميعهم من ولد آدم وكان هذا صدر خطبة للتقرير المذكور
قالت فرقة وفي الاية حذف مضاف في موضعين التقدير اتوحيد الله خير ام عبادة ما تشركون فما على
هذا موصولة بمعنى الذي وقالت فرقة ما مصدرية وحذف المضاف انما هو اولا والتقدير اتوحيد الله خير
ام شرككم ت ومن كلام الشيخ العارف بالله ابي الحسن الشاذلي قال رحمه الله ان اردت ان لا يصدأ
لك قلب ولا يلحقه هم ولا كرب ولا يبقى عليك ذنب فاكثر من قول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم
لا اله الا الله اللهم ثبت علمها في قلبي واغفر لي ذنبي واغفر للمؤمنين والمؤمنات وقل الحمد لله وسلام على عباده
الذين اصطفى انتهى وقوله تعالى امن خلق وما بعدها من التقريرات توبيخ لهم وتقرير على ما لا مندوحة
عن الاقرار به والحدائق مجتمع الشجر من الاعناب والنخيل ونحو ذلك قال قوم لا يقال حديقة الا لما عليه
جدار قد احدق به وقال قوم يقال ذلك كان جدار او لم يكن لان البياض محدق بالاشجار والبهجة الجمال
والنضارة وقوله سبحانه ما كان لكم ان تنبتوا شجرها اي ليس ذلك في قدرتكم ويعدلون يجوز ان يراد به
يعدلون عن طريق الحق ويجوز ان يراد به يعدلون بالله غيره اي يجعلون له عديلا ومثيلا
وخلالها معناه بينها والرواسي الجبال والبحران الماء العذب والماء الاجاج على ما تقدم والحاجز
ما جعل الله بينهما من حواجز الارض وموانعها على رقتها في بعض المواضع ولطافتها لولا قدرة الله
لغلب الملح العذب وقوله سبحانه امن يجيب المضطر اذا دعاه الاية وعن حبيب بن سلمة الفهري
وكان مجاب الدعوة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يجتمع ملأ فيدعو
بعضهم ويؤمن بعض الا اجابهم الله رواه الحاكم في المستدرك انتهى من سلاح المؤمن وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة
واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه رواه الترمذي وهذا لفظه قال صاحب السلاح
ورواه الحاكم في المستدرك وقال مستقيم الاسناد انتهى والسوء عام في كل ضر يكشفه الله تعالى
عن عباده قال ابن عطاء الله ما طلب لك شيء مثل الاضطرار ولا اسرع بالمواهب اليك مثل الذلة
والافتقار انتهى والظلمات عام لظلمة الليل وظلمة الجهل والضلال والرزق من السماء بالمطر ومن
الارض بالنبات هذا هو مشهور ما يحسه البشر وكم لله بعد من لطف خفي ثم امر تعالى نبيه
ان يوقفهم على ان الغيب مما انفرد الله بعلمه ولذلك سمي غيبا لغيبه عن المخلوقين وروي ان هذه
الاية من قوله قل لا يعلم انما نزلت لاجل سؤال الكفار عن قيام الساعة الموعود بها بلفظ يعم كل غائبة

وغيرها واخبر عن الكفرة انهم لا يشعرون ايان يبعثون و ايان اسم استفهام بمعنى متى وهي معمولة
ليبعثون والجملة في موضع نصب بيشعرون انتهى وقرا جمهور القرا بل ادارك اصله تدارك وقرا
عاصم في رواية ابي بكر بل ادرك على وزن افتعل وهي بمعنى تفاعل وقرا ابن كثير وابو عمرو بل ادرك وهذه
القراآت تحتمل معنيين احدهما ادرك علمهم اي تناهى كما تقول ادرك النبات والمعنى قد تناهى علمهم بالاخرة
الى ان لا يعرفوا لها مقدارا فيومنوا وانما لهم ظنون كاذبة او الى ان لا يعرفوا لها وقتا والمعنى الثاني
ادرك بمعنى يدرك اي انهم في الاخرة يدرك علمهم وقت القيمة ويرون العذاب والحقايق التي كذبوا بها واما
في الدنيا فلا وهذا نحا ابن عباس ونحا اليه الزجاج فقوله في الاخرة على هذا التاويل ظرف وعلى التاويل
الاول في بمعنى الباء ثم وصفهم عز وجل بانهم في شك منها ثم اردف بصفة هي ابلغ من الشك وهي العمى بالجملة
عن امر الاخرة و عمون اصله عميون فعلون كحذرون و قوله تعالى وقال الذين كفروا ايذا كنا ترابا
واباونا اينا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن واباونا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين هذه
الاية معناها واضح مما تقدم في غيرها ثم ذكر تعالى استعجال كفار قريش امر الساعة والعذاب بقولهم
متى هذا الوعد على معنى التعجيز و ردف معناه قرب وازف قاله ابن عباس وغيره ولكنها عبارة عما يجيء
بعد الشيء قريبا منه والهاء في غايبة للمبالغة اي ما من شيء في غاية الغيب والخفاء الا في كتاب عند الله
وفي مكنون علمه لا اله الا هو ثم نبه تعالى على ان هذا القران يقص على بني اسرايل اكثر الاشياء
التي كان بينهم اختلاف في صفتها فجاء بها القران على وجهها وانه لهدى ورحمة للمومنين كما انه عمى على
الكافرين المحتوم عليهم ثم سلى نبيه بقوله انك لا تسمع الموتى فشبههم مرة بالموتى ومرة بالصم من
حيث ان فايدة القول لهولاء معدومة وقرا حمزة وحده وما انت تهدي العمي بفعل مستقبل
ومعنى قوله تعالى واذا وقع القول عليهم اي اذا انتجز وعد عذابهم الذي تضمنه القول الازلي
من الله في ذلك وهذا بمنزلة قوله تعالى حقت كلمة العذاب فمعنى الاية واذا اراد الله ان ينفذ
في الكافرين سابق علمه لهم من العذاب اخرج لهم دابة من الارض وروي ان ذلك حين ينقطع الخير
ولا يومر بمعروف ولا ينهى عن منكر ولا يبقى منيب ولا تايب و وقع عبارة عن الثبوت واللزوم وفي
الحديث ان الدابة وطلوع الشمس من المغرب من اول الاشراط وهذه الدابة روي انها تخرج من الصفا
بمكة قاله ابن عمرو وغيره وقيل غير هذا وقرا الجمهور تكلمهم من الكلام وقرا ابن عباس وغيره تكلمهم بفتح
التاء وتخفيف اللام من الكلم والجرح وسيل ابن عباس عن هذه الاية تكلمهم او تكلمهم فقال كل ذلك
والله تفعل تكلمهم وتكلمهم وروي انها تمر على الناس فتسم الكافر في جبهته وتزبره وتشتمه وفي الخبر
تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو وجوه المومنين بالعصى وتختم انف الكافر بالخاتم
حتى ان الناس ليجتمعون فيقول هذا يا مومن ويقول هذا يا كافر رواه البزار انتهى من الكوكب
الدري وقرا الجمهور ان الناس بكسر ان وقرا حمزة والكساي وعاصم ان بفتحها وفي قراءة عبد الله
تكلمهم بان وعلى هذه القراة فيكون قوله ان الناس الى اخرها من كلام الدابة وروي ذلك عن
ابن عباس ويحتمل ان يكون من كلام الله تعالى و يوم نحشر من كل امة فوجا هو تذكير بيوم القيمة
و الفوج الجماعة الكثيرة و يوزعون معناه يكفون في السوق اي يحبس اولهم على اخرهم قاله
قتادة ومنه وازع الجيش ثم اخبر عن توقيفه الكفرة يوم القيمة وسواله لهم على جهة التوبيخ اكذبتم
الاية ثم قال اماذا كنتم تعملون على معنى استيفاء الحجج اي ان كان لكم عمل وحجة فهاتوها ثم

خبر عن وقوع القول عليهم اي نفوذ العذاب وحتم القضاء وانهم لا ينطقون بحجة وهذا في موطن
من مواطن القيمة ولما تكلم المحاسبي على اهوال القيمة قال واذكر الصراط بدقته وهوله وزلته
وعظيم خطره وجهنم تخفق بامواجها من تحته فيا له من منظر ما اقطعه واهوله فتوهم ذلك
بقلب فارغ وعقل جامع فان اهوال يوم القيمة انما خفت على الذين توهموها في الدنيا بعقولهم
فتحملوا في الدنيا الهموم خوفا من مقام ربهم فخففها مولاهم يوم القيمة عنهم انتهى من كتاب التوهم
و يوم ينفخ في الصور وهو القرن جمهور الامة وصاحب الصور هو اسرافيل عليه السلام وهذه النفخة
المذكورة هنا هي نفخة الفزع وروى ابو هريرة انها ثلاث نفخات نفخة الفزع وهو فزع حياة الدنيا
وليس بالفزع الاكبر ونفخة الصعق ونفخة القيام من القبور وقالت فرقة انما هما نفختان كانهم
جعلوا الفزع والصعق في نفخة واحدة مستدلين بقوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى الاية قالوا واخرى
لا يقال الا في الثانية قال ع والاول اصح واخرى يقال في الثالثة ومنه قوله تعالى ومناة الثالثة
الاخرى قوله تعالى الا من شاء الله استثناء فيمن قضى سبحانه من ملايكته وانبيايه وشهدا عبيده
ان لا ينالهم فزع النفخ في الصور حسبما ورد في ذلك من الاثار قال ع واذا كان الفزع الاكبر لا ينالهم
فهم حريون ان لا ينالهم هذا وقرا حمزة وكل اتوه على صيغة الفعل الماضي و الداخر المتذلل الخاضع
قال ابن عباس وابن زيد الداخر الصاغر وقد تظاهرت الروايات بان الاستثناء في هذه الاية انما اريد
به الشهداء لانهم احياء عند ربهم يرزقون وهم اهل للفزع لانهم بشر لكن فضلوا بالامن في ذلك
اليوم قلت واختار الحليمي هذا القول قال وهو مروي عن ابن عباس ان المستثنى هم الشهداء وضعف ما عداه
من الاقوال قال القرطبي في تذكرته وقد ورد حديث ابي هريرة بانهم الشهداء وهو حديث صحيح انتهى
و ترى الجبال تحسبها جامدة الاية هذا وصف حال الاشياء يوم القيمة عقب النفخ في الصور والروية هي
بالعين قال ابن عباس جامدة قايمة و الحسنة الايمان وقال ابن عباس وغيره هي لا اله الا الله وروي عن علي
ابن الحسين انه قال كنت في بعض خلواتي فرفعت صوتي بلا اله الا الله فسمعت قايلا يقول انها الكلمة التي
قال الله فيها من جاء بالحسنة فله خير منها وقال ابن زيد يعطى بالحسنة الواحدة عشرا قال ع و السيئة
التي في هذه الاية هي الكفر والمعاصي فيمن حتم الله عليه من اهل المشيئة بدخول النار و قوله انما امرت
المعنى قل يا محمد لقومك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة يعني مكة و ان اتلو القران معناه
تابع في قراءتك بين اياته واسرد قال ص وان اتلو معطوف على ان اكون وقرا عبد الله وان اتل بغير واو و هو
ومن ضل جوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فوبال ضلاله عليه ويكون الجواب فقل ويقدر ضمير
عايد من الجواب على الشرط لانه اسم غير ظرف اي من المنذرين له انتهى وتلاوة القران سبب الاهتداء
الى كل خير و قوله تعالى سيريكم اياته توعد بعذاب الدنيا كبدر ونحوه وبعذاب الاخرة و ما ربك بغافل
عما تعملون فيه وعيد بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه و
وسلم تسليما سورة القصص مكية الا قوله عز وجل ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد
فانها نزلت بالجحفة في وقت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة قاله ابن سلام وغيره وقال مقاتل
فيها من المدني الذين اتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين قوله طسم تلك ايات الكتاب المبين نتلو
عليك من نبا موسى معنى نتلو نقص وخص تعالى بقوله لقوم يومنون من حيث انهم المنتفعون بذلك
دون غيرهم و علا في الارض علو طغيان وتغلب و في الارض يريد ارض مصر و شيعا الفرق و الطايفة

هم بنو اسرائيل بذبح ابنائهم خوف خراب ملكه على ما اخبرته كهنته او لاجل رؤيا رآها
قاله السدي وطمع بجهله ان يرد القدر واين هذا المنزع من قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر ان يكنه
فلن تسلط عليه وان لم يكنه فلا خير لك في قتله يعني ابن صياد اذ خاف عمر ان يكون هو
الدجال وباقي الاية بين وتقدم قصصه والائمة ولاة الامور قاله قتادة ونجعلهم الوارثين
يريد ارض مصر والشام وقرا حمزة ويرى فرعون بالياء وفتح الراء والمعنى ويقع فرعون و
قومه فيما خافوه وحذروه من جهة بني اسرائيل وظهورهم وهامان هو وزير فرعون
واكبر رجاله وهذا الوحي الى ام موسى قيل وحي الهام وقيل بملك وقيل في منام وجملة الامر انها
علمت ان هذا الذي وقع في نفسها هو من عند الله قال السدي وغيره امرت ان ترضعه عقب الولادة
وتصنع به ما في الاية لان الخوف كان عقب كل ولادة واليم معظم الماء والمراد نيل مصر واسم ام
موسى يوحانة وروي في قصص هذه الاية ان ام موسى لفته في ثيابه وجعلت له تابوتا صغيرا
وسدته عليه بقفل وعلقت مفتاحه عليه واسلمته ثقة بالله وانتظارا لوعده سبحانه
فلما غاب عنها عاودها بثها واسفت عليه واقنطها الشيطان فاهتمت به وكادت تفتضح وجعلت
الاخت تقصه اي تطلب اثره وتقدم باقي القصة في طه وغيرها والالتقاط اللقاء عن غير
قصد وال فرعون اهله وجملته واللام في ليكون لام العاقبة وقال ص ليكون اللام للتعليل المجازي
ولما كان ماله الى ذلك عبر عنها بلام العاقبة وبلام الصيرورة انتهى وقرا حمزة والكسائي وحزنا بضم الحاء
وسكون الزاي والخاطي متعمد الخطا والمخطي الذي لا يتعمد وقوله وهم لا يشعرون اي بانه الذي يفسد
ملك فرعون على يديه قاله قتادة وغيره واصبح فؤاد ام موسى فارغا اي فارغا من كل شي الا من
ذكر موسى قاله ابن عباس وقالت فرقة هو ذهاب العقل وقالت فرقة فارغا من الصبر وقوله تعالى ان
كادت لتبدي به اي امرها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كادت ام موسى ان تقول وابناه وتخرج
سائحة على وجهها والربط على القلب تانيسه وتقويته ولتكون من المؤمنين اي من المصدقين بوعد
الله وما اوحى اليها به وعن جنب اي ناحية فمعنى عن جنب عن بعد لم تدن منه فيشعر بها وقوله وهم
لا يشعرون معناه انها اخته ووعد الله المشار اليه هو الذي اوحاه اليها اولا اما بملك او بمنام حسب
ما تقدم والقول بالالهام ضعيف ان يقال فيه وعد واكثرهم يريد القبط والاشد شدة البدن
واستحكام امره وقوته واستوى معناه تكامل عقله وذلك عند الجمهور مع الاربعين والحكم الحكمة
والعلم المعرفة بشرع ابراهيم عليه السلام وقوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة قال السدي كان
موسى في وقت هذه القصة على رسم التعلق بفرعون وكان يركب مراكبه حتى انه كان يدعى موسى بن فرعون
فركب فرعون يوما وسار الى مدينة من مدائن مصر فركب موسى بعده ولحق بتلك المدينة في وقت
القائلة وهو حين الغفلة قاله ابن عباس وقال ايضا هو بين العشاء والعتمة وقيل غير هذا وقوله تعالى
هذا من شيعته اي من بني اسرائيل وعدوه هم القبط والوكز الضرب باليد مجموعة وقرا ابن مسعود
فلكزه والمعنى واحد الا ان اللكز في اللحي والوكز على القلب وقضى عليه معناه قتله مجهزا ولم
يرد عليه السلام قتل القبطي لكن وافقت وكزته الاجل فندم وراى ان ذلك من نزغ الشيطان في يده
ثم ان ندامة موسى حملته على الخضوع لربه والاستغفار من ذنبه فغفر الله له ذلك ومع ذلك
لم يزل عليه السلام يعيد ذلك على نفسه مع علمه انه قد غفر له حتى انه في القيامة يقول قتلت

نفسا لم اومر بقتلها حسب ما صح في حديث الشفاعة ثم قال موسى عليه السلام معاهدا لربه رب
بنعمتك علي وبسبب احسانك وغفرانك فانا ملتزم ان لا اكون معينا للمجرمين هذا احسن ما تؤول
وقال الطبري انه قسم اقسم بنعمة الله عنده قال ع واحتج اهل الفضل والعلم بهذه الاية في منع خدمة
اهل الجور ومعونتهم في شي من امورهم وراوا انها تتناول ذلك نص عليه عطاء بن ابي رباح وغيرهم
قال ابن عباس ثم ان موسى مر وهو بحالة الترقب واذا ذلك الاسرائيلي الذي قاتل القبطي بالامس يقاتل
قبطيا اخر وكان قتل القبطي قد خفي على الناس واكتتم فلما راى الاسرائيلي موسى استصرخه بمعنى صاح به
مستغيثا فلما راى موسى قتاله لاخر اعظم ذلك وقال له معاتبا ومؤنبا انك لغوي مبين
وكانت ارادة موسى مع ذلك ان ينصر الاسرائيلي فلما دنا منهما وجل الاسرائيلي وفزع منه وظن انه ربما
ضربه وفزع من قوته التي راى بالامس فناداه بالفضيحة وشهر امر المقتول ولما اشتهر ان موسى قتل
القتيل وكان قول الاسرائيلي يغلب على النفوس تصديقه على موسى مع ما كان لموسى من المقدمات اتى راي
فرعون وملائه على قتل موسى وغلب على نفس فرعون انه المشار اليه بفساد المملكة فانفذ فيه من يطلبه
ويأتي به للقتل والهم الله رجلا يقال له مؤمن ال فرعون او غيره فجاء الى موسى وبلغه قبلهم ويسعى
معناه يسرع في مشيه قاله الزجاج وغيره وهو دون الجري فقال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك
الاية ت قال الهروي قوله تعالى يأتمرون بك اي يؤامر بعضهم بعضا في قتلك قال الازهري الباء
في قوله يأتمرون بك بمعنى في يقال ائتمر القوم اذا شاور بعضهم بعضا انتهى وعن ابي مجلز واسمه
لاحق بن حميد قال من خاف من امير ظلما فقال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا
وبالقران حكما واماما نجاه الله منه رواه ابن ابي شيبة في مصنفه انتهى من السلاح وتلقاء معناه الى
ناحية مدين وبين مصر ومدين مسيرة ثمانية ايام وكان ملك مدين لغير فرعون ولما خرج عليه السلام
فارا بنفسه خائفا لا شي معه ولا زاد وغير عارف بالطريق اسند امره الى الله تعالى وقال عسى ربي ان يهديني
سواء السبيل ومشى عليه السلام متوجها حتى ورد ماء مدين وورود الماء معناه بلوغه ومدين لا ينصرف
اذ هو بلد معروف والامة الجمع الكثير ويسقون معناه ماشيتهم ومن دونهم معناه ناحية الى الجهة
التي جاء منها فوصل الى المرأتين قبل وصوله الى الامة وتذودان معناه تمنعان وتحبسان غنمهما عن الماء خوفا
من السقاة الاقوياء وابونا شيخ كبير اي لا يستطيع لضعفه ان يباشر امر غنمه وقوله تعالى
فسقى لهما قالت فرقة كانت ابارهم مغطاة بحجارة كبار فعمد الى بئر وكان حجرها لا يرفعه الا جماعة
فرفعه وسقى للمرأتين فعن رفع الصخرة وصفته احداهما بالقوة وقيل وصفته بالقوة لانه زاحم
الناس وغلبهم على الماء حتى سقى لهما وقرا الجمهور يصدر الرعاء على حذف المفعول تقديره مواشيهم وتولى موسى
الى الظل وتعرض لسؤال ما يطعمه بقوله رب اني لما انزلت الي من خير فقير ولم يصرح بسؤال
هكذا روى جميع المفسرين انه طلب في هذا الكلام ما ياكله قال ابن عباس وكان قد بلغ به الجوع الى ان
اخضر لونه من اكل البقل ورئيت خضرة البقل في بطنه وانه لاكرم الخلق يومئذ على الله وفي هذا
معتبر وحاكم بهوان الدنيا على الله تعالى وعن معاذ بن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اكل طعاما فقال الحمد لله الذي اطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له
ما تقدم من ذنبه ومن لبس ثوبا فقال الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول
مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر رواه ابو داود واللفظ له والترمذي وابن ماجه

والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط البخاري وقال الترمذي حسن غريب انتهى من السلاح
وقوله تعالى فجاءته احداهما تمشي على استحياء الآية في هذا الموضع اختصار يدل عليه الظاهر قدره
ابن اسحاق فذهبتا الى ابيهما فاخبرتاه بما كان من الرجل فامر احدى ابنتيه ان تدعوه له فجاءته على ما في الآية
وقوله على استحياء اي خفرة قد سترت وجهها بكم درعها قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه وروى الترمذي
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء من الايمان والايمان في الجنة والبذاء من الجفاء
والجفاء في النار قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى والجمهور ان الداعي لموسى عليه السلام هو شعيب
عليه السلام وان المرأتين ابنتاه فقالت ان ابي يدعوك الآية فقام يتبعها فهبت ريح فضمت قميصها الى
بدنها فتحرج موسى من النظر اليها فقال لها امشي خلفي وارشديني الى الطريق ففهمت عنه فذلك
سبب وصفها له بالامانة قاله ابن عباس فلما جاءه وقص عليه القصص فانسه بقوله لا تخف نجوت من
القوم الظالمين فلما فرغ كلامهما قالت احدى الابنتين يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي
الامين فقال لها ابوها ومن اين عرفت هذا منه قالت اما قوته ففي رفع الصخرة واما امانته ففي تحرجه
عن النظر الي قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد وغيرهم فقال له الاب عند ذلك اني اريد ان انكحك
احدى ابنتي هاتين الآية قال ابن العربي في احكامه قوله اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين يدل على انه عرض
لا عقد لانه لو كان عقدا لعين المعقود عليها لان العلماء وان اختلفوا في جواز البيع اذا قال بعتك احد عبدي
هذين بثمن كذا فانهم اتفقوا على ذلك لا يجوز في النكاح لانه خيار وشيء من الخيار لا يلحق بالنكاح وروي ان شعيبا قال
ايتهما تريد قال الصغرى انتهى وتأجرني معناه تثيب وجعل شعيب الثمانية اعوام شرطا ووكل العامين الى المروءة
ولما فرغ كلام شعيب قرره موسى وكرر معناه على جهة التوثق في ان الشرط انما وقع في ثماني حجج وايما
استفهام نصبه بقضيت وما صلة للتأكيد ولا عدوان معناه لا تبعة علي والوكيل الشاهد القائم بالامر
وقوله تعالى فلما قضى موسى الاجل وسار باهله قال ابن عباس قضى اكملهما عشر سنين واسنده الى النبي صلى الله عليه
وسلم وقوله اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما اتاها نودي الآية
تقدم قصصها فانظره في محاله قال البخاري والجذوة قطعة غليظة من الخشب فيها لهب انتهى قال
العراقي وآنس معناه ابصر انتهى وقوله من الشجرة يقتضي ان موسى عليه السلام سمع ما سمع من جهة الشجرة
وسمع وادرك غير مكيف ولا محدد قال السهيلي قيل ان هذه الشجرة عوسجة وقيل عليقة والعوسج اذا
عظم قيل له الغرقد انتهى ولم يعقب معناه لم يرجع على عقبه من توليه وقوله تعالى واضمم اليك جناحك
من الرهب ذهب مجاهد وابن زيد الى ان ذلك حقيقة امره بضم عضده وذراعه وهو الجناح الى
جنبه ليخف بذلك فزعه ورهبه ومن شأن الانسان اذا فعل ذلك في وقت فزعه ان يقوى قلبه
وذهبت فرقة الى ان ذلك على المجاز وانه امره بالعزم على ما امر به كما تقول العرب اشدد حيازيمك واربط
جاشك اي شمر في امرك ودع عنك الرهب وقوله تعالى فذانك برهانان قال مجاهد والسدي هي اشارة
الى العصا واليد وقرأ الجمهور ردءا بالهمز وقرأ نافع وحده ردا بتنوين الدال دون همز وذلك على التخفيف
من ردء والردء الوزير المعين وسنشد عضدك استعارة في المعونة والسلطان الحجة وقوله باياتنا
متعلق بقوله الغالبون اي تغلبون باياتنا وهي المعجزات ثم ان فرعون استمر في طريق مخرقته على قومه
وامر هامان بان يطبخ له الآجر وان يبني له صرحا اي سطحا في اعلاه يوهم جهلة قومه انه
يطلع بزعمه في السماء ثم قال واني لاظنه من الكاذبين يعني موسى في انه ارسله مرسل ونبذناهم معناه

طرحناهم واليم بحر القلزم في قول اكثر الناس وهو الاشهر قوله تعالى وجعلناهم ائمة يدعون الى
النار الآية عبارة عن حالهم وافعالهم وخاتمتهم اي هم بذلك كالداعين الى النار وهم فيه ائمة من حيث
اشتهروا وبقي حديثهم فهم قدوة لكل كافر وعات الى يوم القيامة والمقبوحين الذين يقبح كل امرهم قولا
لهم وفعلا بهم قال ابن عباس هم الذين قبحوا بسواد الوجوه وزرق العيون ويوم ظرف مقدم ولقد
آتينا موسى الكتاب يعني التوراة والقصد بهذا الاخبار التمثيل لقريش بما تقدم في غيرها من الامم وبصائر
نصب على الحال اي طرائق هادية قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي الآية اي ما كنت يا محمد حاضرا لهذه
الغيوب التي تخبرهم بها ولكنها صارت اليك بوحينا اي فكان الواجب ان يسارعوا الى الايمان بك قال
السهيلي وجانب الغربي هو جانب الطور الايمن فحين ذكر سبحانه نداءه لموسى قال وناديناه من جانب
الطور الايمن وحين نفى عن محمد عليه السلام ان يكون بذلك الجانب قال وما كنت بجانب الغربي
والغربي هو الايمن وبين اللفظين في ذكر المقامين ما لا يخفى في حسن العبارة وبديع الفصاحة والبلاغة
فان محمدا عليه السلام لا يقال له وما كنت بجانب الايمن فانه لم يزل بالجانب الايمن مذ كان في ظهر آدم عليه
السلام انتهى قوله سبحانه قرونا فتطاول عليهم العمر الثعلبي فنسوا عهد الله وقضينا معناه انفذنا والامر يعني
التوراة وقالت فرقة يعني به ما اعلمه من امر محمد عليه السلام قال ع وهذا تاويل حسن يلتئم معه
ما بعده من قوله ولكنا انشانا قرونا ت قال ابو بكر بن العربي في قوله تعالى اذ قضينا الى موسى الامر
معناه اعلمناه وهو احد ما يرد تحت القضاء مرادا انتهى من كتاب تفسير الافعال الواقعة في القرآن
والثاوي المقيم وقوله وما كنت بجانب الطور يريد وقت انزال التوراة الى موسى وقوله اذ نادينا
روي عن ابي هريرة انه نودي يومئذ من السماء يا امة محمد استجبت لكم قبل ان تدعوني وغفرت لكم
قبل ان تسالوني فحينئذ قال موسى عليه السلام اللهم اجعلني من امة محمد والمعنى اذ نادينا بامرك واخبرنا بنبوتك
وقال الطبري معنى قوله اذ نادينا بان ساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الآية وقوله تعالى ولولا
ان تصيبهم مصيبة الآية المصيبة عذاب الدنيا على كفرهم وجواب لولا محذوف يقتضيه الكلام
تقديره لعاجلناهم بما يستحقونه وقال الزجاج تقديره لما ارسلنا الرسل قوله سبحانه فلما
جاءهم الحق يريد القرآن ومحمدا عليه السلام والمقالة التي قالتها قريش لولا اوتي مثل ما اوتي موسى
كانت من تعليم اليهود لهم قالوا لهم لم لا ياتي باية باهرة كالعصا واليد وغير ذلك فعكس الله
عليهم قولهم ووقفهم على انهم قد وقع منهم في تلك الآيات ما وقع من هؤلاء في هذه فالضمير في قوله يكفروا
لليهود وقرأ الجمهور ساحران والمراد موسى وهرون قال ع ويحتمل ان يريد بها موسى ومحمدا
والاجابة الذي هو التنوين وقوله وانا بكل كافرون يؤيد هذا التاويل وقرأ حمزة والكسائي وعاصم
سحران والمراد بهما التوراة والقرآن قاله ابن عباس وتظاهرا معناه تعاونا وقوله اهدى منهما قال
الثعلبي يعني اهدى من كتاب محمد وكتاب موسى انتهى ت ويحتمل ان يكون الضمير في يكفروا لقريش كما اشار اليه
الثعلبي وكذا في قالوا لقريش عنده وساحران يريدون موسى ومحمدا عليهما السلام وهو ظاهر
قولهم انا بكل كافرون لان اليهود لا يقولون ذلك في موسى في عصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ويبين هذا كله قوله تعالى فان لم يستجيبوا لك الآية فان ظاهر الآية ان المراد قريش وعلى هذا كله
مر الثعلبي انتهى وقوله تعالى ولقد وصلنا لهم القول الآية الذين وصل اليهم القول هم قريش قاله
مجاهد وغيره قاله الجمهور والمعنى واصلنا لهم في القرآن وتابعناه موصولا بعضه ببعض في المواعظ

والزجر والدعاء الى الاسلام وذهبت فرقة الى ان الاشارة بتوصيل القول انما هي الى الالفاظ فالمعنى ولقد
ولقد وصلنا اليهم قولا معجزا دالا على نبوتك قال ع والمعنى الاول تقديره ولقد وصلنا لهم قولا يتضمن معانا من
تدبرها اهتدى ثم ذكر تعالى القوم الذين امنوا بمحمد من اهل الكتاب مباهيا بهم قريشا ولذلك تعليهم فقال
الزهري الاشارة الى النجاشي وقيل الى سلمان وابن سلام واسند الطبري الى رفاعة القرظي قال نزلت هذه الاية في اليهود عشرة انا منهم
اسلمنا فاوذينا فنزلت فينا هذه الاية والضمير في قبله يعود على القرآن واجرهم مرتين معناه على ملتين وهذا المعنى هو الذي قال
فيه صلى الله عليه وسلم ثلاثة يؤتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي الحديث ويدرؤن معناه
يدفعون وهذا وصف لمكارم الاخلاق اي يتغابون ومن قال لهم سوء لاينوه وقابلوه من القول الحسن بما يدفعه
واللغو سقط القول والقول يسقط لوجوه يعز حصرها والمراد منه في الاية ما كان سبا واذى ونحوه فادب الاسلام
الاعراض عنه وسلام في هذا الموضع قصد به المتاركة لا التحية انتهى قال الزجاج وهذا قبل الامر بالقتال ولا نبتغي
الجاهلين معناه لا نطلبهم للجدال والمراجعة والمشاتمة ت قال ابن المبارك في رقائقه اخبرنا حجاج بن حجر القيسي قال كان
يقال ما احسن الايمان يزينه العلم وما احسن العلم يزينه العمل وما احسن العمل يزينه الرفق وما اضيف شيء الى شيء
مثل حلم الى علم انتهى واجمع جل المفسرين على ان قوله تعالى انك لا تهدي من احببت انما نزلت في شان ابي طالب وروى ابو
هريرة وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليه وهو يجود بنفسه فقال له اي عم قل لا اله الا الله كلمة اشهد
لك بها عند الله الحديث قد ذكرناه في سورة براءة فمات ابو طالب على كفره فنزلت الاية قال ابو روق وقوله ولكن الله يهدي
من يشاء اشارة الى العباس والضمير في قوله وقالوا لقريش قال ابن عباس والمتكلم بذلك فيهم الحارث بن نوفل وحكى الثعلبي
انه قال انا لنعلم ان الذي تقول حق ولكن ان اتبعناك تخطفنا العرب ويجبى معناه يجمع ويجلب وقوله كل شيء يريد مما
صلاح حالهم ثم توعد قريشا بقوله وكم اهلكنا من قرية وبطرت معناه سفهت واشرت وطغت قاله ابن
زيد وغيره ت قال الهروي قوله تعالى بطرت معيشتها اي في معيشتها والبطر الطغيان عند النعمة انتهى ثم احالهم على الاعتبار
في خراب ديار الامم المهلكة كحجر ثمود وغيرهم ثم خاطب تعالى قريشا محقرا لما كانوا يفخرون به من المال والبنين والـ
ذلك متاع الدنيا الفاني وان الاخرة وما فيها من النعيم الذي اعده الله للمؤمنين خير وابقى ت وفي الحديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة رواه الترمذي من
طريق سهل بن سعد قال وفي الباب عن ابي هريرة قال ابو عيسى هذا حديث صحيح انتهى وفي الاية بيان لمن ابصر واهتدى
جعلنا الله منهم بمنه قوله تعالى افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه الاية معناها يعم جميع العالم ومن المحضرين
معناه في عذاب الله قاله مجاهد وقتادة ولفظة محضر مشيرة الى سوق بجبر وقوله تعالى ويوم يناديهم الضمير المتصل
بيناديهم لعبدة الاوثان والاشارة الى قريش وكفار العرب وقوله قال الذين حق عليهم القول هؤلاء المجيبون هم
كل مغو داع الى الكفر من الشياطين والانس طمعوا في التبري من متبعيهم فقالوا ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا
باختيار لنا ولهم ولحبوا الكفر كما احببناه تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون ثم اخبر تعالى انه يقال للكفرة
العابدين للاصنام ادعوا شركاءكم يعني الاصنام فدعوهم فلم يكن في الجمادات ما يجيب ورأى الكفار العذاب
وقوله تعالى لو انهم كانوا يهتدون وقوله سبحانه ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين هذا النداء
ايضا للكفار وعميت عليهم الانباء معناه اظلمت عليهم جهاتها وقوله فهم لا يتساءلون بالارحام ويحتمل ان
يريد انهم لا يتساءلون عن الانباء ليقين جميعهم انه لا حجة لهم وقوله سبحانه فعسى ان يكون من المفلحين قال
كثير من العلماء عسى من الله واجبة قال ع وهذا ظن حسن بالله تعالى يشبه كرمه وفضله سبحانه واللازم
من عسى انها ترجية لا واجبة وفي كتاب الله تعالى عسى ربه ان طلقكن ت ومعنى الوجوب هنا الوقوع

تقدير
ذهب الزجاج وغيره الى ان جواب لو محذوف
لما نالهم العذاب وفرقة لو متعلقة
بما قبلها تقديره فودوا حين راوا
العذاب لو انهم كانوا يهتدون

وقوله

وقوله سبحانه وربك يخلق ما يشاء ويختار الاية قيل سببها قول قريش لولا نزل هذا القرآن على رجل من
القريتين عظيم ونحو ذلك من قولهم فرد الله عليهم بهذه الاية وجماعة المفسرين ان ما نافية اي ليس
لهم الخيرة وذهب الطبري الى ان ما مفعولة بيختار اي ويختار الذي لهم فيه الخيرة و عن سعد
ابن ابي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعادة ابن ادم استخارته الله ومن
شقاوته تركه رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الاسناد انتهى من السلاح وباقي الاية بين
والسرمد من الاشياء الدائم الذي لا ينقطع قلت وقوله سبحانه ومن رحمته جعل لكم الليل
والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله الاية معناها بين وينبغي للعاقل ان لا يجعل ليله
كله نوما فيكون من ضايع العمر جيفة بالليل بطالا بالنهار كما قيل نظم نهارك بطال وليلك نائم
كذلك في الدنيا تعيش البهائم فاذا اردت يا اخي ان تكون من الابرار فعليك بالقيام في السحر
وقد نقل صاحب الكوكب الدري عن البزار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما قالت ام سليمان
لسليمان عليه السلام يا بني لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل تدع الرجل فقيرا يوم القيامة و
ابتغاء الفضل هو بالمشي والتصرف قوله تعالى ونزعنا من كل امة شهيدا اي عدول الامم وخيارها
فيشهدون على الامم بخيرها وشرها فيحق العذاب على من شهد عليه بالكفر وقيل له جهة الاعذار
في المحاورة هاتوا برهانكم ومن هذه الاية انتزع قول القاضي عند ارادة الحكم ابقيت لك حجة
وقوله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم الاية كان قارون من قرابة موسى ممن امن به
وحفظ التوراة وكان عند موسى من عباد المؤمنين ثم ان الله اضله وبغى على قومه بانواع
البغي من ذلك كفره بموسى وقال الثعلبي قال ابن المسيب كان قارون عاملا لفرعون على بني اسرائيل
ممن يبغي عليهم ويظلمهم قال قتادة بغى عليهم بكثرة ماله وولده انتهى قلت وما ذكره ابن المسيب
هو الذي يصح في النظر لمتامل الاية ولولا الاطالة لبينت وجه ذلك والمفاتح ظاهرها
انها التي يفتح بها ويحتمل ان يريد بها الخزائن والاوعية الكبار قاله الضحاك لان المفتح في
كلام العرب الخزانة واما قوله لتنوء فمعناه تنهض بتحامل واشتداد قال كثير من المفسرين ان المراد
ان العصبة تنوء بالمفاتح المثقلة لها فقلب قلت وقال عبد الحق الاندلسي في كتاب الانوار له
تنوء كذا معناه تميله ومنه لتنوء بالعصبة انتهى وهو حسن ان ساعده النقل وقال الداودي
عن ابن عباس لتنوء بالعصبة اولي القوة تثقل وكذا قول الواحدي انتهى واختلف في العصبة كم هم
فقال ابن عباس ثلاثة وقال قتادة هم من العشرة الى الاربعين قال النجار ويقال العرجين ترجين
قال الغزالي في الاحياء الفرح بالدنيا والتنعم بها سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب
الخوف والحزن وذكر الموت واهوال القيامة وهذا هو موت القلب والعياذ بالله فاولو الحزم
من ارباب القلوب جربوا قلوبهم في حال الفرح بمواتاة الدنيا وعلموا ان النجاة في الحزن الدائم
والتباعد من اسباب الفرح والبطر فقطعوا النفس عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها
حلالها وحرامها وعلموا ان حلالها حساب وهو نوع عذاب ومن نوقش الحساب عذب فخلصوا انفسهم
من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك في الدنيا والاخرة بالخلاص من اسر الشهوات ورقها والانس
بذكر الله تعالى والاشتغال بطاعته قال ابن الحاج في المدخل قال يمن بن رزق رحمه الله وانا
اوصيك بان تطيل النظر في مرآة الفكر مع كثرة الخلوة حتى يريك شين المعصية وقبحها فيهجرها

يقول م

ذلك النظر الى تركها ثم قال لمن رزق لا تفرحن بكثرة العمل مع قلة الحزن واغتنم قليل العمل
مع الحزن فان قليل حزن الاخرة الدائم فى القلب ينفى كل سرور الغفلة من سرور الدنيا
وقليل سرور الدنيا فى القلب ينفى عنك جميع حزن الاخرة والحزن لا يصل الى القلب الا مع يقظته
وتيقظه حياته وسرور الدنيا لغير الاخرة لا يصل الى القلب الا مع غفلته وغفلة القلب موته
وعلامة ثبات اليقين فى القلب استدامة الحزن فيه وقال رحمه الله اعلم انى لم اجد شيئا ابلغ فى
الزهد فى الدنيا من ثبات حزن الاخرة فى القلب وعلامة ثبات حزن الاخرة فى القلب انس العبد بالوحدة و حزن م
قولهم له ولا تنس نصيبك من الدنيا قال ابن عباس وغيره والجمهور معناه لا تضيع عمرك فى ان لا تعمل
عملا صالحا فى دنياك اذ الاخرة انما يعمل لها فى الدنيا فنصيب الانسان عمره وعمله الصالح فيها
فينبغى ان لا يهمله وحكى الثعلبى انه قيل اراد وابتصيبه الكفن قال ع وهذا كله وعظ متصل و نحو
هذا قول الشاعر نصيبك مما تجمع الدهر كله ٭ رداان تلوى فيهما وحنوط ٭ وقال
ابن العربى فى احكامه وفى معنى النصيب ثلاثة اقوال الاول لا تنس حظك من الدنيا اى لا تغفل
ان تعمل فى الدنيا للاخرة الثانى امسك ما يبلغك فذلك حظ الدنيا وانفق الفضل فذلك
حظ الاخرة الثالث لا تغفل عن شكر ما انعم الله به عليك انتهى و قولهم واحسن كما احسن الله اليك ام
بصلة المساكين وذوى الحاجات ص كما احسن الكاف للتشبيه او للتعليل انتهى و قوله قال قارون
انما اوتيته على علم عندى قال الجمهور ادعى ان عنده علما استوجب به ان يكون صاحب ذلك المال ثم
اختلفوا فى ذلك العلم فقال ابن المسيب اراد علم الكيميا وقال ابو سليمان الدارانى اراد العلم بالتجارة
ووجوه تثمير المال وقيل غير هذا و قوله تعالى ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون قال محمد
ابن كعب هو كلام متصل بمعنى ما قبله و الضمير فى ذنوبهم عائد على من هلك من القرون اى
اهلكوا ولم يسئل غيرهم بعدهم عن ذنوبهم اى كل احد انما يكلم ويعاتب بحسب
ما يخصه وقالت فرقة هو اخبار مستانف عن الاحوال يوم القيمة وجاءت ايات اخر
تقتضى السوال فقال الناس فى هذا انها مواطن وطوائف وقيل غير هذا ويوم القيمة هو مواطن
ثم اخبر تعالى عن خروج قارون على قومه فى زينته من الملابس والمراكب وزينة الدنيا
واكثر الناس فى تحديد زينة قارون وتعيينها بما لا صحة له فتركته وباقى الاية فى اغترار
الجهلة والاغمار من الناس بين و قوله سبحانه وقال الذين اوتوا العلم ويلكم الاية اخبر تعالى
عن الذين اوتوا العلم والمعرفة بالله وبحق طاعته انهم زجروا الاغمار الذين تمنوا حال
قارون وحملوهم على الطريقة المثلى من ان النظر والتمنى انما ينبغى ان يكون فى امور الاخرة
وان حالة المومن العامل الذى ينتظر ثواب الله تعالى خير من حال كل ذى دنيا ثم اخبر تعالى
عن هذه النزعة وهذه القوة فى الخير والدين انها لا يلقاها اى لا يمكن فيها ويخولها الا الصابرون
على طاعة الله وعن شهوات نفسه وهذا هو جماع الخير كله وقال الطبرى الضمير عائد
على الكلمة وهى قوله ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا لا يلقى هذه الكلمة الا الصابرون
وغيرهم تضاد ورُوى فى الخسف بقارون وداره ان موسى عليه السلام لما امضه فعل
قارون به وتعديه عليه استجار بالله تعالى وطلب النصرة فاوحى الله اليه انى قد امرت الارض
ان تطيعك فى قارون واتباعه فقال موسى يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب فاستغاثوا

ياموسى

ياموسى ياموسى فقال خذيهم فاخذتهم شيئا شيئا الى ان تم الخسف بهم فاوحى الله اليه ياموسى
لو بى استغاثوا والى تابوا لرحمتهم قال قتادة وغيره روى انه يخسف به كل يوم قامة فهو يتجلجل الى يوم
القيمة فى الترمذى عن معاذ ابن انس الجهنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك اللباس
تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلائق حتى يخيره من اى حلل الايمان شاء يلبسها و الايمان م
روى الترمذى عن عائشة قالت كان لنا قرام ستر فيه تماثيل على بابى فرآه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال انزعيه فانه يذكرنى الدنيا الحديث و روى الترمذى عن كعب بن عياض قال سمعت
النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة فتنة وفتنة امتى المال قال ابو عيسى هذا حديث
حسن صحيح و فيه عن عثمان بن عفان ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس لابن ادم حق سوى
فى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يوارى به عورته وجلف الخبز والماء قال النضر بن
شميل جلف الخبز ليس معه ادام انتهى فهذه الاحاديث واشباهها تزهدك فى زينة الدنيا
وغضارة عيشها الفانى و قوله ويكان مذهب الخليل وسيبويه ان وى حرف تنبيه منفصلة
من كان لكن اضيف لكثرة الاستعمال وقال ابو حاتم وجماعة ويك هى ويلك حذف اللام
منها لكثرة الاستعمال وقالت فرقة ويكان بجملتها كلمة و قوله تعالى تلك الدار الاخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا هذا اخبار مستانف من الله
تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام يراد به جميع العالم وتضمن الحض على السعى حسبما دلت عليه
الاية وتضمن الاخبار على حال قارون ونظرائه وان المعنى ان الاخرة ليست فى شئ من امر
قارون واشباهه انما هى لمن صفته كذا وكذا والعلو المذموم هو بالظلم والتجبر
قال النبى صلى الله عليه وسلم وذلك ان تريد ان يكون شراك نعلك افضل من شراك نعل
اخيك والفساد يعم وجوه الشر و قوله تعالى ان الذى فرض عليك القران قالت فرقة معناه
فرض عليك احكام القران و قوله تعالى لرادك الى معاد قال الجمهور معناه لرادك الى الاخرة اى باعثك
بعد الموت وقال ابن عباس وغيره المعاد الجنة وقال ابن عباس ايضا ومجاهد المعاد مكة وفى البخارى
بسنده عن ابن عباس لرادك الى معاد الى مكة انتهى وهذه الاية نزلت بالجحفة كما تقدم والمعاد
الموضع الذى يعاد اليه و قوله تعالى وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك
هو تعديد نعم و الظهير المعين و لا يصدنك عن ايات الله اى قولهم ولا تلتفت نحوهم
وامض لشانك وادع الى ربك وايات الموادعة كلها منسوخة و قوله تعالى كل شئ هالك الا
وجهه قالت فرقة المعنى كل شئ هالك الا هو سبحانه قاله الطبرى وجماعة منهم ابو المعالى رحمه
الله وقال الزجاج الا اياه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما سورة العنكبوت مكية الا الصدر منها العشر ايات
فانها مدنية نزلت فى شان من كان من المسلمين بمكة هذا اصح ما قيل هنا و قوله تعالى
الم تقدم الكلام على هذه الحروف و قوله تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا
وهم لا يفتنون نزلت هذه الاية فى قوم من المومنين بمكة وكان كفار قريش يوذونهم
ويعذبونهم على الاسلام فكانت صدورهم تضيق لذلك وربما استنكر بعضهم ان يمكن الله
الكفرة من المومنين قال مجاهد وغيره فنزلت هذه الاية مسلية ومعلمة ان هذه هى

سبق الله في عباده اختبارًا للمؤمنين ليعلم الصادق من الكاذب وحسب معناه ظن
والذين من قبلهم يريد بهم المؤمنين مع الانبياء في سالف الدهر وقوله تعالى ام حسب
الذين يعملون السيئات ام معادلة للهمزة في قوله احسب وكانه تعالى قرر الفريقين قرر
المؤمنين على ظنهم انهم لا يفتنون وقرر الكافرين الذين يعملون السيئات في تعذيب المؤمنين
وغير ذلك على ظنهم انهم يسبقون عقاب الله ويعجزونه ثم الاية بعد تعم كل عاص وعامل
سيئة من المسلمين وغيرهم وفي الاية وعيد شديد للكفرة الفاتنين وفي قوله تعالى من
كان يرجو لقاء الله تثبيت للمؤمنين وباقي الاية بين والله الموفق وقال ص قول ابن عطية
ام عادلة للالف في قوله احسب يقتضي انها متصلة ههنا وليس كذلك بل ام هنا منقطعة
مقدرة ببل للاضراب بمعنى الانتقال لا بمعنى الابطال وهمزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ
فلا تقتضي جوابًا انتهى وقوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم
اخبار عن المؤمنين المهاجرين الذين هم في اعلى رتبة من البدار الى الله تعالى نوه بهم عز وجل
ومحالهم ليقيم نفوس المتخلفين عن الهجرة وهم الذين فتنهم الكفار ولنجزينهم احسن اي
ثواب احسن الذي كانوا يعملون وقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان
جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما روي عن قتادة وغيره انها نزلت في
شان سعد بن ابي وقاص وذلك انه هاجر فحلفت امه ان لا تستظل بظل حتى يرجع
اليها ويكفر بمحمد فلج هو في هجرته ونزلت الاية وقيل بل نزلت في عياش بن ابي ربيعة وكانت
قصته كهذه ثم خدعه ابو جهل ورده الى امه والحديث في كتب السير وباقي الاية ثم كرر تعالى
التمثيل بحالة المؤمنين العاملين ليحرك النفوس الى نيل مراتبهم قال الثعلبي قوله تعالى لندخلنهم في
الصالحين اي في زمرتهم وقال محمد بن جرير في مدخل الصالحين وهو الجنة وقيل في بمعنى مع و
الصالحون هم الانبياء والاولياء انتهى وقوله ومن الناس من يقول امنا بالله الى قوله المنافقين
نزلت في المتخلفين عن الهجرة المتقدم ذكرهم قاله ابن عباس ثم قررهم تعالى على علمه بما في صدورهم
اي لو كان يقينهم تامًا واسلامهم خالصًا لما توقفوا ساعة ولركبوا كل هول الى هجرتهم ودار نبيهم
وقوله تعالى وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين هنا انتهى المدني من هذه السورة قوله
تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا الاية روي ان قايل هذه المقالة هو الوليد بن المغيرة
وقيل بل كانت شائعة من كفار قريش لاتباع النبي صلى الله عليه وسلم وقوله وليحملن اثقالهم الاية لانه
يلحق كل داع الى ضلالة كفل منها حسبما صرح به الحديث المشهور قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى
قومه فلبث الاية العطف بالفاء يقتضي ظاهره انه لبث هذه المدة رسولا يدعو الى عبادة الله
تعالى والطوفان العظيم الطامي ويقال ذلك لكل طام خارج عن العادة من ماء او نار او موت
وقوله وهم ظالمون يريد بالشرك ثم ذكر تعالى قصة ابراهيم وقومه وذلك ايضا تمثيل
لقريش وتخلقون افكا قال ابن عباس هو نحت الاصنام وقال مجاهد هو اختلاق الكذب في امر
الاوثان وغير ذلك قوله تعالى اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده الاية هذه الاية على نظر
مع الحياء ما احياء الارض بالنبات واعادته ونحو ذلك مما هو دليل على البعث من القبور ثم
امر تعالى نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام ويحتمل ان يكون ابراهيم بان يامرهم على جهة الاحتجاج

بالسير في الارض والنظر في اقطارها والنشأة الاخرة نشأة القيام من القبور وقوله تعالى وما
انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء الاية قال ابن زيد لا يعجزه اهل الارض في الارض
ولا اهل السماء في السماء ان عصوه وقيل معناه ولا في السماء لو كنتم فيها وقيل المعنى ليس للبشر
حيلة الى صعود اي نزول يفلتون بها قال قتادة ذم الله قوما هانوا عليه فقال اولئك
يئسوا من رحمتي الاية قال ع وما تقدم من قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الى هذه
الاية المستانفة ويحتمل ان يكون خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم ويكون اعتراضا في
قصة ابراهيم عليه السلام ويحتمل ان يكون خطابا لابراهيم ومحاورة لقومه وعند
اخر ذلك ذكر جواب قومه قوله تعالى فانجاه الله من النار اي بان جعلها بردا وسلاما
قال كعب الاحبار ولم تحرق النار الا الحبل الذي اوثقوه به وجعل سبحانه ذلك اية وعبرة
ودليلا على توحيده لمن شرح صدره ويسره للايمان ثم ذكر تعالى ان ابراهيم عليه السلام
قررهم على ان اتخاذهم الاوثان انما كان اتباعا من بعضهم لبعض وحفظا لمودتهم في
الدنيا وانهم يوم القيامة يجحد بعضهم بعضا ويتلاعنون لان توادهم كان على
غير تقوى والاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقوله تعالى فامن له لوط
معناه صدق وامن يتعدى باللام وبالباء والقائل اني مهاجر هو ابراهيم عليه السلام
قاله قتادة والنخعي وقالت فرقة هو لوط عليه السلام قوله تعالى ووهبنا له اسحق
ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب واتيناه اجره في الدنيا الاية الاجر الذي
اتاه الله في الدنيا العافية من النار ومن الملك الجائر والعمل الصالح والثناء الحسن
قاله مجاهد ويدخل في عموم اللفظ غير ما ذكر وانه في الاخرة لمن الصالحين اي في اعداد
الصالحين الذين نالوا رضا الله عز وجل وقوله لوط انكم لتاتون الرجال
وتقطعون السبيل قالت فرقة كان قطع الطريق بالسلب فاشيا فيهم وقيل غير هذا
والنادي المجلس الذي يجتمع الناس فيه واختلف في هذا المنكر الذي ياتونه في ناديهم
فقالت فرقة كانوا يحذفون الناس بالحصباء ويستخفون بالغريب والخاطر
عليهم ورويت امرها عن النبي صلى الله عليه وسلم وكانت خلقهم مهملة لا يربطهم دين ولا
مروة وقال مجاهد كانوا ياتون الرجال في مجالسهم وبعضهم يرى بعضا وقال
ابن عباس كانوا يتضارطون ويتصافعون في مجالسهم وقيل غير هذا وقد تقدم قصص
الاية مكررة والرجز العذاب وقوله تعالى ولقد تركنا منها اي من خبرها وما بقي من اثار دمارها
والاية موضع العبرة وعلامة القدرة ومزدجر النفوس عن الوقوع في سخط الله تعالى وقوله
والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر الاية الرجاء في الاية على
بابه وذهب ابو عبيدة الى ان المعنى وخافوا ولا تعثوا لا تفسدوا والسبيل هي طريق الايمان
ومنهج النجاة من النار وما كانوا سابقين اي مفلتين اخذنا وعقابنا وقيل معناه
وما كانوا سابقين الامم الى الكفر وباقي الاية بين وقوله تعالى ان الله يعلم ما تدعون
من دونه من شيء قيل ان الله يعلم الذي تدعون من دونه من جميع الاشياء وقيل ما نافية
وفيه نظر وقيل ما استفهامية قاله الجابر قال النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى

وما يعقلها الا العالمون العالم من عقل عن الله تعالى فعمل بطاعته وانتهى عن معصيته
وخلق الله السموات والارض بالحق اي لا للعبث واللعب بل ليدل على سلطانه وتثبيت شرائعه
ووضع الدلالات لاهلها ويعم بالمنافع الى غير ذلك مما لا يحصى عدا ثم امر تعالى نبيه عليه السلام
بالنفوذ لامره وتلاوة القرآن الذي اوحي اليه واقامة الصلاة اي ادامتها والقيام بحدودها
ثم اخبر تعالى حكما منه ان الصلاة تنهى صاحبها ممتثلها عن الفحشاء والمنكر قال ع وذلك
عندي بان المصلي اذا كان على الواجب من الخشوع والاخبات وتذكر الله وتوهم الوقوف بين يديه
وان قلبه واخلاصه مطلع عليه مرقوب صلح لذلك نفسه وتذللت وخامرها ارتقاب
الله تعالى فاطرد ذلك في اقواله وافعاله وانتهى عن الفحشاء والمنكر ولم يكد يفتر من ذلك حتى
تظله صلاة اخرى يرجع بها الى افضل حاله فهذا معنى هذا الاخبار لان صلاة المومن هكذا
ينبغي ان تكون وروي عن بعض السلف انه كان اذا قام الى الصلاة ارتعد واصفر لونه
فكلم في ذلك فقال اني اقف بين يدي الله تعالى قال ع فهذه صلاة تنهى ولا بد عن الفحشاء
والمنكر واما من كانت صلاته دائرة حول الاجزاء لا تذكر ولا خشوع ولا فضائل فتلك تترك
صاحبها من منزلته حيث كان وقوله تعالى ولذكر الله اكبر قال ابن عباس وابو الدرداء وسلمان
وابن مسعود وابو قرة معناه ولذكر الله اكبر من كل شيء وقيل لسلمان اي الاعمال افضل فقال
اما تقرا ولذكر الله اكبر والاحاديث في فضل الذكر كثير لا تنحصر وقال ابن العربي في احكامه
قوله ولذكر الله اكبر فيه اربعة اقوال الاول ذكر الله لكم افضل من ذكركم له اضافه الى الفاعل
الثاني ذكر الله افضل من كل شيء الثالث ذكر الله في الصلاة افضل من ذكره في غيرها يعني لانهما عبادتان
الرابع ذكر الله في الصلاة اكبر من الصلاة وهذه الثلاثة الاخيرة من اضافة المصدر الى المفعول
وهذه كلها صحيحة وان للصلاة بركة عظيمة انتهى قال ع وعندي ان المعنى ولذكر الله
اكبر على الاطلاق اي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك وكذلك
يفعل في غير الصلاة لان الانتهاء لا يكون الا من ذاكر الله تعالى مراقبه وثواب ذلك الذكر
ان يذكره الله تعالى كما في الحديث الصحيح ومن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم
والحركات التي في الصلاة لا تاثير لها في نهي والذكر النافع هو مع العلم واقبال القلب
وتفرغه الا من الله واما ما لا يتجاوز اللسان ففي رتبة اخرى وذكر الله تعالى للعبد هو
افاضة الهدى ونور العلم عليه وذلك ثمرة لذكر العبد ربه قال الله عز وجل فاذكروني اذكركم
وعن الشيخ ابن ابي جمرة ولذكر الله اكبر معناه ذكره في الازل ان جعلك من الذاكرين له
اكبر من ذكرك انت الان له انتهى قال القشيري في رسالته الذكر ركن قوي في طريق
الحق سبحانه وهو العمدة في هذا الطريق ولا يصل احد الى الله سبحانه الا بدوام الذكر ثم الذكر
على ضربين ذكر باللسان وذكر بالقلب فذكر اللسان يصل به العبد الى استدامة ذكر القلب
والتاثير لذكر القلب فاذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فهو الكامل في وصفه سمعت ابا علي
الدقاق يقول الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد وفق للمنشور ومن سلب الذكر
فقد عزل والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات واسند القشيري عن ابي الطفر الجصاص
قال كنت انا ونصر الخراط ليلة في موضع فتذاكرنا شيئا من العلم فقال الخراط الذاكر لله تعالى

فايدة

فايدة في اول ذكره ان يعلم ان الله ذكره فبذكر الله له ذكره قال الخلقته فقال لو كان الخضر هاهنا
لشهد لصحته قال فاذا نحن بشيخ يجيء بين السما والارض حتى بلغ الينا وقال صدق الذاكر لله بفضل الله
وبذكره له ذكره فعلمنا انه الخضر عليه السلام انتهى وباقي الاية ضرب من الوعد وحث على المراقبة
قال الثعالبي وفي سنن الصالحين قال بعض العلماء ان الله عز وجل يقول ايما عبد اطلعت على قلبه
فرايت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه انتهى وقوله
تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن هذه الاية مكية ولم يكن يومئذ قتال وكانت
اليهود يومئذ بمكة وفيما جاورها فربما وقع بينهم وبين بعض المؤمنين جدال واحتجاج في امر
الدين وتكذيب فامر الله المؤمنين ان لا يجادلوهم الا بالتي هي احسن دعاء الى الله تعالى
وملاينة ثم استثنى من ظلم منهم المؤمنين وحصلت منهم اذاية ثم نسخ هذا بعد باية
القتال وهذا قول قتادة وهو احسن ما قيل في الاية قلت قال عز الدين ابن عبد السلام في
اختصاره لقواعد الاحكام فائدة لا يجوز الجدال والمناظرة الا لاظهار الحق ونصرته ليعرف
ويعمل به فمن جادل لذلك فقد اطاع ومن جادل لغرض اخر فقد عصى وخاب ولا خير فيمن
يتحيل لنصرة مذهبه مع ضعفه وبعد ادلته من الصواب انتهى تنبيه روى الترمذي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال الحياء والعي شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق
وروى ابو داود والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يبغض البليغ من الرجال
الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها حديث غريب انتهى وهما في مصابيح البغوي وروى
ابو داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم صرف الكلام
ليسبي به قلوب الرجال او الناس لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا انتهى وقوله تعالى وقولوا
امنا الاية قال ابو هريرة كان اهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية فيفسرونها بالعربية
للمسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا
بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون وروى ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسالوا اهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا
اما ان تكذبوا بالحق واما ان تصدقوا بباطل قوله تعالى فالذين اتيناهم الكتاب يريد التوراة
والانجيل كانوا في وقت نزول الكتاب عليهم يومنون بالقرآن ثم اخبر تعالى عن معاصري نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم ان منهم ايضا من يومن به ولم يكونوا امنوا بعد ففي هذا اخبار بغيب
بينه الوجود بعد ذلك وما يجحد باياتنا الا الكافرون يشبه ان يراد بهذا الا الكفار
قريش ثم بين تعالى الحجة واوضح البرهان ان مما يقوي ان نزول هذا القرآن من عند الله
ان محمدا صلى الله عليه وسلم جاء به في غاية الاعجاز والطول والتضمن للغيوب وغير ذلك
وهو امي لا يقرا ولا يكتب ولا يتلو كتابا ولا يخط حروفا ولا سبيل له الى التعلم ولو
كان ممن يقرا او يخط لارتاب المبطلون وكان لهم في ارتيابهم متعلق واما ارتيابهم
مع وضوح هذه الحجة فظاهر فساده بل هو ايات بينات يعني القرآن ويحتمل ان يعود على امر
محمد عليه الصلاة والسلام والظالمون والمبطلون يعم لفظها كل مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم
ولكن عظم الاشارة بهما الى قريش لانهم الاهم قاله مجاهد وقالوا لولا انزل عليه ايات من

فان هذه المصنفة تشتمل على اهل الاسلام معارضتها بالتغيير عليها والخروج معها عن التي هي احسن

تيابهم

من رتبة الضمير في قولوا القريش ولبعض اليهود لانهم كانوا يعلمون قريشا مثل هذه الحجة
على ما مر في غير ما موضع ثم احتج عليهم في امر القرآن الذي هو اعظم الايات
ومعجز للجن والانس فقال سبحانه اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب الاية وقوله بالباطل
يريد الاصنام وما في معناها وقوله ويستعجلونك بالعذاب يريد كفار قريش وباقي
الاية بين مما تقدم مكررا والله الموفق بفضله وبغتة معناه فجأة وهذا هو عذاب الدنيا
كيوم بدر ونحوه ثم توعدهم سبحانه بعذاب الاخرة في قوله يستعجلونك بالعذاب وان
جهنم الاية وقوله تعالى يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون
الايات هذه الايات نزلت في تحريض المؤمنين الكائنين بمكة على الهجرة قال ابن جبير
وعطا ومجاهد ان الارض التي فيها الظلم والمنكر تترتب فيها هذه الاية وتلزم الهجرة عنها الى بلد حق
وقاله مالك وقوله سبحانه كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون تحقير لامر الدنيا ومخاوفها
كان بعض المؤمنين نظر في عاقبة تلحقه في خروجه من وطنه انه يموت او يجوع ونحو
هذا فحقر الله سبحانه شان الدنيا اي وانتم لا محالة ميتون ومحشورون الينا فالبدار
الى طاعة الله والهجرة اليه اولى مما يمتثل ذكر هشام بن عبد الله القرطبي في تاريخه المسمى
ببهجة النفس قال بينما المنصور جالس في منزله في اعلى قصره اذ جاءه سهم عاير فسقط
بين يديه فذعر المنصور منه ذعرا شديدا ثم اخذه فجعل يقلبه فاذا مكتوب
بين الريشتين

اتطمع في الحياة الى التنادي ... وتحسب ان مالك من معاد
ستسئل عن ذنوبك والخطايا ... وتسئل بعد ذاك عن العباد

ومن الجانب الاخر

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ... ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ومن الجانب الاخر

هي المقادير تجري في اعنتها ... فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريك خسيس القوم ترفعه ... الى السماء ويوما تخفض العالي

ومن الجانب الاخر

من يصحب الدهر لا يامن تصرفه ... يوما فللدهر احلاء وامرار
لكل شي وان طالت سلامته ... اذا انتهى مدة لا بد اقصار

[على الهجرة] وقرا الجمهور لنبوئنهم من الجنة غرفا من بوأ يبوئ بمعنى اقام قوله تعالى وكاين من دابة الاية تحريض
لان بعض المؤمنين فكر في الفقر والجوع الذي يلحقه في الهجرة وقالوا غربة في بلد لا دار لنا فيه
ولا عقار ولا من يطعم فمثل لهم باكثر الدواب التي لا تتقوت ولا تدخر ثم قال تعالى الله يرزقها
واياكم فقوله لا تحمل يجوز ان يريد من الحمل اي لا تنتقل ولا تنظر في ادخار قاله مجاهد وغيره
قال ع والادخار ليس من خلق الموقنين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عمر كيف بك
اذا بقيت في حثالة من الناس يخبئون رزق سنة بضعف اليقين ويجوز ان يريد من الحمالة
التي لا تتكفل لنفسها قال الداودي وعن علي بن الاقمر لا تحمل رزقها اي لا تدخر شيئا لغد انتهى

وفي الترمذي

وفي الترمذي عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انكم توكلون على الله حق
توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا قال ابو عيسى هذا حديث حسن
صحيح انتهى ثم خاطب تعالى امر الكفار واقام الحجة عليهم بانهم ان سئلوا عن الامور العظام
التي هي دلائل القدرة لم يكن لهم الا التسليم بانها لله تعالى الدنيا في هذه الاية بانها لهو ولعب
اي ما كان منها لغير وجه الله واما ما كان لله تعالى فهو من الاخرة واما امور الدنيا التي هي زائدة
على الضروري الذي به قوام العيش والقوة على الطاعات فانما هي لهو ولعب وتامل ذلك
في الملابس والمطاعم والاقوال والمكتسبات وغير ذلك وانظر ان حالة الغني والفقير من
الامور الضرورية واحدة كالتنفس في الهواء وسد الجوع وستر العورة وتوقي الحر والبرد
هذه عظم امر العيش والحيوان والحياة بمعنى والمعنى لا موت فيها قاله مجاهد وهو حسن ويقال
اصله حييان فابدلت احداهما واوا لاجتماع المثلين ثم وقفهم تعالى على حالهم في البحر عند
الخوف العظيم ونسيانهم عند ذلك للاصنام وغيرها على ما تقدم بيانه في غير هذا الموضع
وليكفروا نصب بلام كي ثم عدد تعالى على كفرة قريش نعمته عليهم في الحرم والمثوى موضع الاقامة
والفاظ هذه الاية في غاية الاقتضاب والايجاز وجمع المعاني ثم ذكر تعالى حال اوليائه والمجاهدين
فيه وقوله فينا معناه في مرضاتنا وبغية ثوابنا قال السدي وغيره نزلت هذه الاية
قبل فرض القتال قال ع فهي قبل الجهاد العرفي وانما هو جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته
قال الحسن بن ابي الحسن الاية في العباد وقال ابراهيم بن ادهم هي في الذين يعملون بما علموا وقال
ابو سليمان الداراني ليس الجهاد في هذه الاية قتال العدو فقط بل هو نصر الدين والرد على
المبطلين وقمع الظالمين وعظمه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنه مجاهدة النفوس
في طاعة الله عز وجل وهو الجهاد الاكبر قاله الحسن وغيره وفيه حديث عن النبي صلى
الله عليه وسلم رجعتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر والسبل هنا يحتمل ان تكون طرق الجنة
ومسالكها ويحتمل ان تكون سبل الاعمال المؤدية الى الجنة قال يوسف بن اسباط هي اصلاح
النية في الاعمال قال ص والذين جاهدوا فينا مبتدا وخبره القسم المحذوف وجوابه
وهو لنهدينهم انتهى [انهم] وقال الثعلبي قال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا في اقامة السنة لنهدينهم
سبل الجنة انتهى واللام في قوله لمع لام تاكيد

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

سورة الروم

مكية اتفاقا

قوله الم غلبت الروم قرا مجاهد غلبت الروم بضم الغين وقالوا معنى الاية انه بلغ اهل
مكة ان الملك كسرى هزم جيش الروم باذرعات وهي ادنى الارض الى مكة قاله عكرمة
فسر بذلك كفار قريش فبشر الله تعالى المؤمنين بان الروم سيغلبون في بضع سنين فخرج
ابو بكر رضي الله عنه الى المسجد الحرام فقال للكفار اسركم ان غلبت الروم فان نبينا اخبرنا
عن الله تعالى انهم سيغلبون في بضع سنين فقال له ابي بن خلف واخوه امية بن خلف
يا ابا بكر تعال فلنتناحب اي نتراهن في ذلك فراهنهم ابو بكر على خمس قلائص والاجل ثلاث
سنين وذلك قبل ان يحرم القمار فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له البضع الى التسع ولكن
زدهم في الرهن واستزدهم في الاجل ففعل ابو بكر فجعلوا القلائص مائة والاجل تسعة

[في الهامش: ويؤفكون معناه يصرفون وقوله تعالى وما الحياة الدنيا الا لهو ولعب وصف الله تعالى]
[في الهامش: عليه وسلم م ان م]

اعوام فغلبت الروم فارس في اثناء الاجل يوم بدر وروي ان ذلك كان يوم الحديبية
يوم بيعة الرضوان وفي كلا اليومين كان نصر من الله تعالى للمؤمنين وذكر ان سرور المؤمنين
بغلبة الروم من اجل انهم اهل كتاب وفرحت قريش بغلبة الفرس من اجل انهم اهل اوثان
ونحوهم من عبادة النار قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد اي له انفاذ الاحكام من قبل
ومن بعد هذه الغلبة التي بين هولاء ثم اخبر تعالى ان يوم غلبة الروم للفرس يفرح المؤمنون
بنصر الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون يريد كفار قريش والعرب اي لا يعلمون ان الامور من
عند الله وان وعده لا يخلف وان ما يورده نبيه حق قال ع وهذا الذي ذكرناه عمدة
ما قيل ثم وصف تعالى الكفرة الذين لا يعلمون امر الله تعالى وصدق وعده بانهم انما يعلمون
ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون قال صاحب الكلم الفارقية الدنيا
طبق مسموم لا يعرف ضرره الا ارباب الفهوم • قوة الرغبة في الدنيا علامة ضعفها في الاخرة •
بحسب انصراف الرغبة الى الشي يجد الراغب في طلبه وتتوفر دواعيه على تحصيله المطلوبات
تظهر وتبين اقدار طلابها فمن شرفت همته شرفت رغبته • وعزت طلبته • يا غائبا في
سكر حب الدنيا • وطول متابعتك لغاويك وهواك • انساك عظمة مولاك • وثناك عن
ذكره والهاك • وصرف وجه رغبتك عن الحزنك الى دنياك • ان كنت من اهل الاستبصار
فالو فاطر رغبتك عن زخارف هذه الدار • فانها مجمع الاكدار • ومنبع المضار • وسجن الابرار
• ومجلس سرور الاشرار • الدنيا كالحية تجمع في انيابها سموم نوائبها • وتفرغه في صميم
قلوب ابنائها انتهى قال عياض في الشفا قال ابو العباس المبرد رحمه الله قسم كسرى ايامه
فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم
الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا
من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون لكن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
جزا نهاره ثلاثة اجزاء جزء لله تعالى وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم جزأ جزءه بينه وبين
الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي
فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع امنه الله يوم الفزع الاكبر انتهى والمؤمن المنهمك في امور
الدنيا التي هي اكبر همه ياخذ من هذه الاية بحظ نور الله قلوبنا بهداه قلت قد تقدم
ما جاء في الفكرة في ال عمران قال ابن عطاء الله الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا
اضاءة له وقال ما نفع القلب شي مثل عزلة يدخل بها ميادين فكرة انتهى وبا في الاية
بين وقوله عز وجل او لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض لانه يريد اثاروا الارض بالمباني
والحرث والحروب وسائر الحوادث التي احدثوها هي كلها اثارة للارض
بعضها حقيقة وبعضها بتجوز والضمير في عمروها الاول للماضين وفي الثاني للحاضرين
المعاصرين وقوله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السواى ان كذبوا بايات
الله قرا نافع وغيره عاقبة بالرفع على انها اسم كان والخبر يجوز ان يكون ان كذبوا
ويكون السواى على هذا مفعولا لاساؤا واذا كان السوآى خبرا فان كذبوا مفعول

السوآى يجوز ان يكون

مفعول من اجله وقرا حمزة والكسائي وغيرهما عاقبة بالنصب على انها خبر مقدم
واسم كان احد ما تقدم والسواى مصدر كالرجعى والشورى والفتيا قال ابن عباس
اساؤا هنا بمعنى كفروا والسوآى هي النار وعبارة البخاري وقال مجاهد السواى اي
الاساءة جزاء المسيئين انتهى والابلاس الكون في شر مع الياس من الخير ص وقال الزجاج
المبلس الساكت المنقطع في حجته اليائس من ان يهتدي اليها انتهى قوله جلت عظمته
ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون معناه في المنازل والاحكام والجزا قال قتادة فرقة
والله لا اجتماع بعدها ويحبرون معناه ينعمون قاله مجاهد والحبرة والحبور السرور
وقال يحيى بن ابي كثير معناه يسمعون الاغاني وهذا نوع من الحبرة قلت وفي الصحيح
من قول ابي موسى لو شعرت بك يا رسول الله لحبرته لك تحبيرا او كما قال ص يحبرون
قال الزجاج التحبير التحسين والحبر العالم انما هو من هذا المعنى لانه متخلق باحسن اخلاق المؤمنين
والحبر المداد انما سمي به لانه يحسن به انتهى قال الاصمعي ولا يقال روضة حتى يكون فيها
ما يشرب منه ومعنى في العذاب محضرون اي مجموعون له لا يغيب احد عنه وقوله تعالى
فسبحان الله الاية خطاب للمؤمنين بالامر بالعبادة والحض على الصلاة في هذه الاوقات
كانه سبحانه يقول اذا كان امر هذه الفرق هكذا من النعمة والعذاب فجد ايها المؤمن في
طريق الفوز برحمة الله وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال
حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك
ما فاته في يومه ومن قالهن حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته رواه ابو داود من الصالح
قال ابن عباس وغيره في هذه الاية تنبيه على اربع صلوات المغرب والصبح والظهر والعصر
قالوا والعشاء الاخرة هي في اية اخرى في زلف الليل وقد تقدم بيان هذا مستوفى
في محاله قوله تعالى يخرج الحي من الميت الاية تقدم بيانها ثم بعد هذه الامثلة
القاضية بتجويز بعث الاجساد عقلا ساق الخبر سبحانه بان كذلك خروجنا من قبورنا
وتنتشرون معناه تتصرفون وتتفرقون والمودة والرحمة هما على بابهما المشهور من
التوادد والتراحم هذا هو البليغ وقيل غير هذا وقرا الجمهور للعالمين بفتح اللام يعني
جميع العالم وقرا حفص عن عاصم بكسرها على معنى ان اهل الانتفاع بالنظر فيها انما هو
اهل العلم وبا في الاية اطلبه في محاله تجده ان شا الله تعالى مبينا وهذا شاننا
الاحالة في هذا المختصر على ما تقدم بيانه فاعلمه راشدا قلت وفي هذه الايات
والعبر انما يعظم موقعها في قلوب العارفين بالله سبحانه ومن اكثر التفكر في عجائب صنع الله
تعالى حصلت له المعرفة بالله سبحانه قال الغزالي في الاحيا وبحر المعرفة لا ساحل له
والاحاطة بكنه جلال الله محال وكلما كثرت المعرفة بالله تعالى وصفاته وافعاله واسرار
مملكته وقويت كثر النعيم في الاخرة وعظم كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع
وحسن وقال ايضا في كتاب شرح عجائب القلب من الاحيا ويكون سعة ملك
العبد في الجنة بحسب سعة معرفته بالله وبحسب ما يتجلى له من عظمة الله سبحانه
وصفاته وافعاله انتهى قوله تعالى ان تقوم السماء والارض معناه تثبت كقوله تعالى

واذا انظلم عليهم قاموا وهذا كثير كدعوة من الارض هي البعث للحشر يوم القيامة قال مكي والحسن
عند اهل النظر ان الوقف في هذه الاية يكون في اخرها تخرجون لان مذهب سيبويه والخليل
في اذا الثانية انها جواب الاولى كانه قال ثم اذا تخرجون وهذا اسد الاقوال وقال ص اذا
الثانية للمفاجاة وهي ظرف زمان او ظرف مكان خلاف ومن الارض متعلقة بالحرف
بدعاء ولجاز ابن عطية ان يتعلق بدعوة انتهى وقرا حمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء
والباقون بضمها والقنوت هنا بمعنى الخضوع والانقياد في طاعته سبحانه واعادة الخلق
هي بعثهم من القبور وقوله تعالى وهو اهون عليه قال ابن عباس وغيره المعنى وهو هين عليه
وفي مصحف ابن مسعود وهو هين وفي بعض المصاحف وكل هين عليه وقال ابن عباس ايضا
وغيره المعنى وهو ايسر عليه ولكن هذا التفضيل انما هو بحسب معتقد البشر وما يعطيهم النظر في الشاهد
من ان الاعادة في كثير من الاشياء اهون علينا من البداة وللمجاز بلفظ فيه استعارة
وتشبيه بما تعده النفوس من انفسهم خلص جانب العظمة بان جعل له المثل الاعلى الذي
لا يلحقه تكييف ولا تماثل مع شئ ثم بين تعالى امر الاصنام وفساد معتقد من يشركها
بالله بضرب هذا المثل وهو قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم الاية ومعناه الكم ايها الناس
اذا كان لكم عبيد تملكونهم فانكم لا تشركونهم في اموالكم ومهم اموركم ولا في شئ على
جهة استواء المنزلة وليس من شانكم ان تخافوهم في ان يرثوا اموالكم او يقاسموكم
اياها في حياتكم كما يفعل بعضكم ببعض فاذا كان هذا فيكم فكيف تقولون ان من عبيده
وملكه شركاء في سلطانه والوهيته هذا تفسير ابن عباس والجماعة وقوله تعالى فاقم وجهك
للدين حنيفا الاية اقامة الوجه هي تقويم المقصد والقوة على الجد في اعمال الدين وخص
الوجه لانه جامع حواس الانسان ولشرفه وفطرة الله نصب على المصدر وقيل بفعل مضمر
تقديره اتبع او الزم فطرة الله واختلف في الفطرة هاهنا والذي يعتمد عليه في تفسير
هذه اللفظة انها الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل التي هي معدة مهيئة لان يميز بها مصنوعات الله
ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه ويومن به فكانه تعالى قال اقم وجهك للدين الذي هو الحنيف وهو فطرة الله
الذي على الاعداد له فطر البشر لكن تعرضهم العوارض ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه الحديث ثم يقول فطرة
الله الاية الى القيم فذكر الابوين انما مثال للعوارض التي هي كثيرة وقال البخاري فطرة الله هي
الاسلام انتهى وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله يحتمل ان يريد بها هذه الفطرة ويحتمل ان
يريد لا انحاء على الكفرة اعترض به اثناء الكلام كانه يقول اقم وجهك للدين الذي من صفته
كذا وكذا فان هولاء الكفرة قد خلق الله لهم الكفر ولا تبديل لخلق الله اي انهم لا يفلحون
وقيل غير هذا وقال البخاري لا تبديل لخلق الله اي لدين الله وخلق الاولين دينهم انتهى
والقيم بناء مبالغة من القيام الذي هو بمعنى الاستقامة ومنيبين يحتمل ان يكون
حالا من قوله فطر الناس لا سيما على راي من راى ان ذلك خصوص في المومنين ويحتمل
ان يكون حالا من قوله اقم وجهك وجمعه لان الخطاب باقامة الوجه للنبي صلى الله
عليه وسلم ولامته نظيره قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء والمشركون المشار اليهم

في هذه الاية هم اليهود والنصارى قاله قتادة وقيل غير هذا قوله تعالى واذا مس الناس ضر
دعوا ربهم منيبين اليه الاية ابتداء انحاء على عبدة الاصنام قال ع ويلحق من هذه الالفاظ
شئ للمومنين اذا جاءهم فرج بعد شدة فعلقوا ذلك بمخلوقين او بحذق ارائهم وغير
ذلك لان فيه قلة شكر لله تعالى ويسمى تشريكا مجازا والسلطان هاهنا البرهان من رسول
او كتاب ونحوه وقوله تعالى فهو يتكلم معناه هو يظهر حجتهم ويغلب مذهبهم وينطق بشركهم
ثم قال تعالى واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها الاية وكل احد ياخذ من هذه الخلق بقسط
فالمقل والمكثر الا من ربطت الشريعة جاشه ونهجت السنة سبيله وتادب باداب الله
فصبر عند الضراء وشكر عند السراء ولم يبطر عند النعمة ولا قنط عند الابتلاء والقنوط
الياس الصريح ثم ذكر تعالى الامر الذي من اعتبره لم يياس من روح الله وهو انه سبحانه
يخص من يشاء من عباده ببسط الرزق ويقتر على من يشاء منهم فينبغي لكل عبد ان يكون
راجيا ما عند ربه ثم امر تعالى نبيه عليه السلام امرا تدخل فيه امته على جهة الندب
بايتاء ذي القربى حقه من صلة المال وحسن المعاشرة ولين القول قال الحسن حقه المواساة
في اليسر وقول ميسور في العسر قال ع ومعظم ما قصد امر المعونة بالمال وقرا الجمهور
وما اتيتم بمعنى اعطيتم وقرا ابن كثير بغير مد بمعنى وما فعلتم واجمعوا على المد في قوله وما
اتيتم من زكاة والربا الزيادة قال ابن عباس وغيره هذه الاية نزلت في هبات الثواب
قال ع وما جرى مجراها مما يصنعه الانسان ليجازى عليه كالمسلم وغيره فهو وان
كان لا اثم فيه فلا اجر فيه ولا زيادة عند الله تعالى وما اعطى الانسان تنمية لماله وتطهيرا
يريد بذلك وجه الله تعالى فذلك هو الذي يجازى به اضعافا مضاعفة على
ما شاء الله له وقرا الجمهور من السبعة ليربوا باسناد الفعل الى الربا وقرا نافع وحده
لتربوا وباقي الاية بين ثم ذكر تعالى على جهة العبرة ما ظهر من الفساد بسبب المعاصي
قال مجاهد البر البلاد البعيدة من البحر والبحر السواحل والمدن التي على ضفة البحر
وظهور الفساد فيهما بارتفاع البركات ووقوع الرزايا وحدوث الفتن وتغلب
العدو وهذه الثلاثة توجد في البر والبحر قال ابن عباس الفساد في البحر انقطاع صيده
بذنوب بني ادم وقل ما توجد امة فاضلة مطيعة مستقيمة الاعمال الا يدفع الله عنها هذه
الامور والامر بالعكس في المعاصي وبطر النعمة ليذيقهم عاقبة بعض ما عملوا ويعفو عن
كثير ولعلهم يرجعون اي يتوبون ويرجعون بصائرهم في طاعة ربهم ثم حذر تعالى
من يوم القيامة تحذيرا يعم العالم واياهم المقصد بقوله فاقم وجهك للدين القيم من قبل
ان ياتي يوم لا مرد له من الله الاية ولا مرد له معناه ليس فيه رجوع لعمل ويحتمل ان
يريد لا يرده راد وهذا ظاهر بحسب اللفظ ويصدعون معناه يتفرقون بعد
جمعهم الى الجنة والى النار ثم ذكر تعالى من اياته اشياء وهو ما في الريح من المنافع وذلك
انها تبشر بالمطر ويلقح بها الشجر وغير ذلك ويجري بها السفن في البحر ثم انس تعالى
نبيه عليه الصلاة والسلام بقوله ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤوهم
بالبينات الاية ثم وعد تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وامته النصر بقوله وكان

وكان حقا علينا نصر المؤمنين وحقا خبر كان قدمه اهتماما وقوله تعالى الله الذي يرسل
الرياح فتثير سحابا الاية الاثارة تحريكها من سكونها وتسييرها وبسطه في السماء هو
نشره في الافاق والكسف القطع وقوله من قبله تأكيدا فاد الاعلام بسرعة تقلب
قلوب البشر من الابلاس الى الاستبشار والابلاس الكون في حال سوء مع اليأس عن
زوالها وقوله تعالى كيف يحيي الارض الضمير في يحيي يحتمل ان يكون للاثر ويحتمل ان يعود على
الله تعالى وهو الظاهر ثم اخبر تعالى عن حال تقلب بني ادم في انه بعد الاستبشار بالمطر ان بعث
ريحا فاصفر بها النبات ظلوا يكفرون قلقا منهم وقلة تسليم لله تعالى وقوله تعالى فانك
لا تسمع الموتى الاية استعارة للكفار وقد تقدم بيان ذلك في سورة النمل قوله تعالى الله
الذي خلقكم من ضعف قال كثير من اللغويين ضم الضاد في البدن وفتحها في العقل وهذه
الاية انما يراد بها حال الجسم والضعف الاول هو كون الانسان من ماء مهين والقوة بعد
ذلك الشبيبة وشدة الاسر والضعف الثاني هو الهرم والشيب هذا قول قتادة وغيره
وروى ابو داود في سننه بسند صحيح عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنتفوا الشيب ما من مسلم يشيب شيبة في الاسلام
الا كانت له نورا يوم القيامة وفي رواية الا كتب الله عز وجل له بها حسنة وحط عنه
بها خطيئة انتهى ثم اخبر عز وجل عن يوم القيامة فقال ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون
ما لبثوا اي تحت التراب غير ساعة وقيل المعنى ما لبثوا في الدنيا كانهم استقلوها
كذلك كانوا في الدنيا يؤفكون اي يصرفون عن الحق قال ص ما لبثوا جواب القسم على
المعنى ولو حكى قولهم لكان ما لبثنا انتهى ثم اخبر تعالى ان الكفرة لا ينفعهم يومئذ
اعتذار ولا يعطون العتبى وهي الرضا وباقي الاية بين ولله الحمد بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم سورة لقمان مكية غير ايتين
اولهما ولو ان ما في الارض الى اخر الايتين وقال ابن عباس ثلاث قوله عز وجل الم
تلك ايات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين خصه للمحسنين من حيث لهم نفعه
والا فهو هدى في نفسه وقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث روي ان
الاية نزلت في شان رجل من قريش اشترى جارية مغنية لتغني له بهجاء النبي صلى الله عليه
وسلم وقيل انه خطل وقيل انه نزلت في النضر بن الحارث وقيل غير هذا والذي يترجح ان الاية
نزلت في لهو حديث مضاف الى كفر فلذلك اشتدت الفاظ الاية ولهو الحديث
كلما يلهي من غناء وخنا ونحوه والاية باقية المعنى في الامة غابر الدهر لكن ليس ليضلوا
عن سبيل الله ولا ليتخذوا ايات الله هزوا ولا عليهم هذا الوعيد بل ليعطلوا عبادة ويقطعوا
زمنا بمكروه قال ابن العربي في احكامه وروى ابن وهب عن مالك عن محمد بن المنكدر
ان الله تعالى يقول يوم القيامة اين الذين كانوا ينزهون انفسهم واسماعهم عن سماع اللهو
ومزامير الشيطان ادخلوهم في رياض المسك ثم يقول تعالى للملائكة اسمعوهم
ثنائي وحمدي واخبروهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون انتهى وقوله عز
وجل واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا فبشره

بعذاب

بعذاب اليم الوقر في الاذن الثقل الذي يعسر معه ادراك المسموعات والرواسي هي الجبال
والميد التحرك يمنة ويسرة وما قرب من ذلك والزوج النوع والصنف والكريم مدحه
بكرم جوهره وحسن منظره وغير ذلك ثم وقف تعالى الكفرة على جهة التوبيخ فقال هذا
خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه وقوله تعالى ولقد اتينا لقمان الحكمة اختلف في
لقمان هل هو نبي او رجل صالح فقط قال ابن عمر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم يكن
لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين احب الله فاحبه فمن عليه بالحكمة وخير
في ان يكون خليفة يحكم بالحق فقال رب ان خيرتني قبلت العافية وتركت البلاء وان
عزمت علي فسمعا وطاعة فانك ستعصمني وكان قاضيا في بني اسرائيل نوبيا اسود
مشقوق الرجلين ذا مشافر قاله سعيد بن المسيب وابن عباس وجماعة وقال
له رجل قد رعى معه الغنم ما بلغ بك يا لقمان ما ارى قال صدق الحديث واداء الامانة
وتركي ما لا يعنيني وحكم لقمان كثيرة مأثورة قال ابن العربي في احكامه وروى
علماؤنا عن مالك قال قال لقمان لابنه يا بني ان الناس قد تطاول عليهم ما يوعدون
وهم الى الاخرة سراعا يذهبون وانك قد استدبرت الدنيا منذ كنت واستقبلت
الاخرة مع انفاسك وان دارا تستقبلها اقرب اليك من دار تخرج منها انتهى وقوله
ان اشكر يجوز ان تكون ان في موضع نصب على اسقاط حرف الجر اي بان اشكر لله
ويجوز ان تكون مفسرة اي كانت حكمته دائرة على الشكر لله وجميع العبادات داخلة
في الشكر لله عز وجل وحميد بمعنى محمود اي هو مستحق ذلك بذاته وصفاته
وقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن هاتان
الايتان اعتراض وصية لقمان ووهنا على وهن معناه ضعفا على ضعف كانه قال
حملته امه والضعف يتزيد بعد الضعف الى ان ينقضي امره وقال ص وهنا على
وهن حال من امه اي شدة بعد شدة او جهدا على جهد وقيل وهن نطفة ثم علقة
فيكون حالا من الضمير المنصوب في حملته انتهى وقوله تعالى ان اشكر لي ولوالديك قال
سفيان بن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى ومن دعا لوالديه في ادبار
الصلوات فقد شكرهما وقوله سبحانه وان جاهداك على ان تشرك بي الاية روي
ان هاتين الايتين نزلتا في شان سعد بن ابي وقاص وامه حمنة بنت ابي سفيان
على ما تقدم بيانه وجملة هذا الباب ان طاعة الابوين لا تراعى في ركوب كبيرة
ولا في ترك فريضة على الاعيان وتلزم طاعتهما في المباحات وتستحسن في ترك الطاعات
الندب وقوله سبحانه واتبع سبيل من اناب الي وصية لجميع العالم وهذه سبيل الانبياء
والصالحين وقوله تعالى حاكيا عن لقمان يا بني انها ان تك مثقال حبة الاية ذكر
كثير من المفسرين انه اراد مثقال حبة من اعمال المعاصي والطاعات وبهذا المعنى يتحصل
في الموعظة ترجية وتخويف مضاف الى تبيين قدرة الله وقوله واصبر على ما اصابك
يقتضي حضا على تغيير المنكر وان نالك الضرر وهو اشعار بان المغير يؤذى احيانا وقوله
ان ذلك من عزم الامور يحتمل ان يريد مما عزمه الله وامر به قاله ابن جريج ويحتمل

ان يريد ان ذلك من مكارم الاخلاق وعزائم اهل الحزم السالكين طريق
النجاة قاله جماعة والصعر الميل فمعنى الاية ولا تمل خدك للناس كبرا عليهم واعجابا واحتقارا
لهم قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعبارة البخاري ولا تصاعر اي تعرض والتصاعر الاعراض بالوجه
انتهى والمرح النشاط والمشي مرحا في غير شغل ولغير حاجة واهل هذا الخلق ملازمون
للفخر والخيلاء فالمرح مختال في مشيه وقد ورد من صحيح الاحاديث في جميع ذلك وعيد
شديد يطول بنا سرده قال عياض كان ابو اسحق الجبنياني قل ما يترك ثلاث كلمات وفيهن الخير
كله اتبع لا تبتدع اتضع لا ترتفع من ورع لا يتسع انتهى وغض الصوت اوفق للمتكلم وابسط
لنفس السامع وفهمه ثم عارض ممتثلا بصوت الحمير على جهة التشبيه اي تلك هي التي بعدت
عن الغض فهي انكر الاصوات فكذلك ما بعد عن الغض من اصوات البشر وهو في طريق
تلك وفي الحديث اذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فانها رأت شيطانا قال
سفيان الثوري صياح كل شيء تسبيح الا صياح الحمير قلت ولفظ الحديث عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم صياح الديكة فاسئلوا الله من فضله فانها
رأت ملكا واذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فانها رأت شيطانا رواه الجماعة
الا ابن ماجه وفي لفظ النسائي اذا سمعتم الديكة تصيح بالليل وعن جابر قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير من الليل فتعوذوا بالله من الشيطان
الرجيم فانها ترى ما لا ترون واقلوا الخروج اذا هدأت فان الله يبث في ليله من خلقه
ما يشاء رواه ابو داود والنسائي والحاكم في المستدرك واللفظ له وقال صحيح على
شرط مسلم انتهى من السلاح وقوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قال
المحاسبي رحمه الله الظاهرة نعم الدنيا والباطنة نعم العقبى والظاهر عندي التعميم ثم وقف
تعالى الكفرة على اتباعهم دين ابائهم ايكون وهم بحال من يصير الى عذاب السعير وكان الكفار
منهم يقول هم يتبعون دين ابائهم ولو كان مصيرهم الى السعير فدخلت الف التوقيف
على حرف العطف كما كان اتساق الكلام فيه فتامله وقوله تعالى ومن يسلم وجهه الى
الله معناه يخلص ويوجه ويستسلم به والوجه هنا الجارحة استعير للمقصد لان
القاصد الى الشيء فهو مستقبله بوجهه فاستعير ذلك للمعنى والمحسن الذي جمع القول
والعمل وهو الذي شرحه صلى الله عليه وسلم حين ساله جبريل عن الاحسان
المتاع القليل هنا هو العمر في الدنيا وقوله قل الحمد لله اي على ظهور الحجة قوله تعالى ولو ان
ما في الارض من شجرة اقلام الاية روي عن ابن عباس ان سبب نزولها ان اليهود
قالت يا محمد كيف عنينا بهذا القول وما اوتيتم من العلم الا قليلا ونحن قد اوتينا
التوراة تبيانا لكل شيء فنزلت الاية وقيل غير هذا قال ع وهذه الاية بحر نظر وفكر
نور الله قلوبنا بهداه قوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة لانه كله بكن
فيكون قاله مجاهد قوله تعالى كل يجري الى اجل مسمى يريد الفناء وقوله تعالى بنعمة
الله يحتمل ان يريد ما تحمله السفن من الطعام والتجارات والارزاق فالباء للالصاق
ويحتمل ان يريد بالريح وتسخير الله البحر ونحو هذا فالباء باء السبب وذكر الله تعالى

من صفات

من صفات المؤمن الصبار والشكور لانهما عظم اخلاقه الصبر على الطاعات وعلى
النوائب وعن الشهوات والشكر على الضراء والسراء وقال الشعبي الصبر نصف الايمان
والشكر نصفه الاخر واليقين الايمان كله وغشي غطى او قارب والظلل السحاب
وقوله تعالى فمنهم مقتصد قال الحسن منهم مؤمن يعرف حق الله في هذه النعم والختار
القبيح الغدر وذلك ان منن الله على العباد كانها عهود ومنن يلزم عنها اداء شكرها
والعبادة لمسديها فمن كفر ذلك وجحد به فكانه خفر وخان قال الحسن الختار هو
الغدار والكفور بناء مبالغة وقوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما
لا يجزي والد عن ولده الاية يجزي معناه يقضي والمعنى لا ينفعه بشيء وقرأ الجمهور
الغرور بفتح الغين وهو الشيطان قاله مجاهد وغيره اعلم ايها الاخ ان من فهم
كلام ربه ورزق التوفيق لم ينخدع بغرور الدنيا وزخرفها الفاني بل يصرف همته بالكلية
الى التزود لاخرته ساعيا في مرضات ربه وان من ايقن ان الله يطلبه صدق الطلب
اليه كما قاله الامام العارف بالله ابن عطاء الله وانه لا بد لبناء هذا الوجود ان تنهدم
دعائمه وان تسلب كرائمه فالعاقل من كان بما هو ابقى افرح منه بما هو يفنى قد اشرق نوره
وظهرت تباشيره فصدف عن هذه الدار مغضيا واعرض عنها موليا فلم يتخذها وطنا
ولا جعلها سكنا بل انهض الهمة فيها الى الله وصار فيها مستعينا به في القدوم عليه
فما زالت مطية عزمه لا يقر قرارها دائما تسيارها الى ان اناخت بحضرة القدس
وبساط الانس انتهى وروينا في جامع الترمذي عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان اغبط اوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة احسن عبادة ربه
واطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا
فصبر على ذلك ثم نفض بيده فقال عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه قال ابو عيسى
وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا
قلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما او قال ثلاثا او نحو هذا فاذا جعت
تضرعت اليك واذا شبعت شكرتك وحمدتك قال ابو عيسى هذا حديث حسن وفي الباب
عن فضالة بن عبيد انتهى والغرور التطميع بما لا يحصل وقال ابن جبير معنى الاية ان تعمل
المعصية وتتمنى المغفرة وفي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال الخمس من الغيب
لا يعلمهن الا الله تعالى وتلا الاية ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الى اخرها قال
ابو حيان باي ارض تموت الباء ظرفية والجملة في موضع نصب بتدري انتهى صحيحه
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله و
وسلم تسليما سورة السجدة مكية غير ثلاث ايات نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى
افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا الى تمام ثلاث ايات وقال جابر ما كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ينام حتى يقرأ الم السجدة وتبارك الذي بيده الملك و
تنزيل يصح ان يرتفع بالابتداء والخبر لا ريب ويصح ان يرتفع على انه خبر مبتدا
محذوف اي ذلك تنزيل والريب الشك وكذلك هو في كل القرآن الا قوله ريب

المنون وقوله ام يقولون اضراب كانه قال بل يقولون ثم رد على مقالتهم واخبر انه حق من عند الله وقوله سبحانه ما اتاهم اى لم يباشرهم ولا راوهم ولا اباؤهم العرب وقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير يعم من بوشر من النذر ومن سمع به فالعرب من الامم التى خلت فيها النذر على هذا الوجه لانها علمت بابراهيم وبنيه وبدعوتهم ولم ياتهم نذير مباشر لهم سوى محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس ومقاتل المعنى لم ياتهم نذير فى الفترة بين عيسى ونبينا محمد عليهما الصلاة والسلام وقوله تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض الاية الامر اسم جنس لجميع الامور والمعنى ينفذ سبحانه قضاءه بجميع ما يشاؤه ثم يعرج اليه خبر ذلك فى يوم من ايام الدنيا مقداره ان لو سير فيه السير المعروف من البشر الف سنة اى نزولا وعروجا لان ما بين السماء والارض خمسمائة سنة هذا قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما وقيل المعنى يدبر الامر من السماء الى الارض فى مدة الدنيا ثم يعرج اليه يوم القيمة ويوم القيمة مقداره الف سنة من عددنا وهو على الكفار قدر خمسين الف سنة ح وقيل غير هذا وقرا الجمهور الذى احسن كل شىء خلقه بفتح اللام على انه فعل ماض ومعنى احسن اتقن واحكم فهو حسن من جهة ما هو لمقاصده التى اريد لها وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر خلقه بسكون اللام وذهب بعض الناس على هذه القراءة على ان احسن هنا معناه الهم وان هذه الاية بمعنى قوله تعالى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى اى الهم والانسان هنا ادم والمهين الضعيف ونفخ عبارة عن افاضة الروح فى جسد ادم والضمير فى روحه لله تعالى وهى اضافة ملك الى مالك وخلق الى خالق ويحتمل ان يكون الانسان فى هذه الاية اسم جنس وقليلا صفة لمصدر محذوف وقوله تعالى وقالوا ائذا ضللنا فى الارض اى تلفنا وانقطعت اوصالنا فذهبنا فى التراب حتى لم نوجد وائنا لفى خلق جديد اى انخلق بعد ذلك خلقا جديدا انكارا منهم للبعث واستبعادا له ويتوفاكم معناه يستوفيكم روى عن مجاهد ان الدنيا بين يدى ملك الموت كالطست بين يدى الانسان ياخذ من حيث امر وقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم الاية تعجيب لمحمد عليه الصلاة والسلام وامته من حال الكفرة وما حل بهم وجواب لو محذوف لان حذفه اهول فى النفوس وتنكيس رؤسهم هو على الذل واليأس والهم بحلول العذاب وقولهم ابصرنا وسمعنا اى ما كنا نخبر به فى الدنيا ثم طلبوا الرجعة حين لا ينفع ذلك ثم اخبر تعالى عن نفسه انه لو شاء لهدى الناس اجمعين بان يلطف بهم لطفا يؤمنون به ويخترع الايمان فى نفوسهم هذا مذهب اهل السنة والجنة الشياطين ونسيتم معناه تركتم قاله ابن عباس وغيره وقوله انا نسيناكم سمى العقوبة باسم الذنب ثم اثنى سبحانه على القوم الذين يؤمنون باياته ووصفهم بالصفة الحسنى من سجودهم عند التذكير وتسبيحهم وعدم استكبارهم وقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع الاية تجافى الجنب عن موضعه اذا تركه قال الزجاج وغيره التجافى التنحى الى فوق قال ع وهذا قول حسن والجنوب جمع جنب والمضاجع الاضطجاع للنوم قلت وقال الهروى تتجافى جنوبهم عن المضاجع الاية اى ترتفع وتتباعد والجفا بين الناس

هو التباعد انتهى روى البخارى بسنده عن ابى هريرة ان عبد الله بن رواحة قال

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... اذا انشق معروف من الفجر ساطع
ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات ان ما قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه ... اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

انتهى وجمهور المفسرين على ان المراد بهذا التجافى فى صلاة النوافل بالليل قال ع وعلى هذا التاويل اكثر الناس وهو الذى فيه المدح وفيه احاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم يذكر عليه السلام قيام الليل ثم يستشهد بالاية ففى حديث معاذ عن النبى صلى الله عليه وسلم الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم قرا تتجافى جنوبهم عن المضاجع الاية حتى بلغ يعملون رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ورجح الزجاج ما قاله الجمهور بانهم جوزوا باخفاء فدل ذلك على ان العمل اخفاء ايضا وهو قيام الليل يدعون ربهم خوفا من عذابه وطمعا فى ثوابه قال ص تتجافى اعرب ابو البقاء حالا ويدعون حال او مستانف وخوفا وطمعا مفعولان من اجله او مصدران فى موضع الحال انتهى وفى الترمذى عن معاذ بن جبل قال قلت يا رسول الله اخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار قال لقد سالت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفى الغضب كما يطفى الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال الا اخبركم براس الامر وعموده وذروة سنامه الجهاد ثم قال الا اخبركم بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله فاخذ بلسانه وقال كف عليك هذا قلت يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك امك وهل يكب الناس فى النار على وجوههم الا حصائد السنتهم قال الترمذى حديث حسن صحيح انتهى وقرا حمزة وحده اخفى بسكون الياء كانه قال اخفى انا وقرا الجمهور اخفى بفتح الياء وفى معنى هذه الاية قال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا بله ما اطلعتم واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين الاية انتهى قال القرطبى فى تذكرته وبله معناه غير وقيل هو اسم فعل بمعنى دع وهذا الحديث خرجه البخارى وغيره قلت وفى رواية للبخارى قال ابو هريرة واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس الاية انتهى وقال ابن مسعود فى التوراة مكتوب على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وباقى الاية بين والضمير فى قوله تعالى ولنذيقنهم لكفار قريش ولا خلاف ان العذاب الاكبر هو عذاب الاخرة واختلف فى تعيين العذاب الادنى فقيل هو السنون التى اجاعهم الله بها وقيل هو مصائب الدنيا من الامراض ونحوها وقيل هو القتل بالسيف كبدر وغيرها وقوله سبحانه انا من المجرمين منتقمون ظاهر الاجرام هنا انه الكفر وروى معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من فعلهن فقد اجرم من عقد لواء فى غير حق ومن عق والديه ومن نصر ظالما وقوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مرية من لقائه اختلف

في الضمير الذي في لقائه على من يعود فقال قتادة وغيره يعود على موسى والمعنى فلا تك يا محمد في
مرية من انك تلقى موسى في ليلة الاسراء وهذا قول جماعة من السلف وقالت فرقة الضمير عائد
على الكتاب اي فلا تك في شك من لقاء موسى للكتاب ص وقيل يعود على الكتاب على تقدير مضمر
اي من لقاء مثله اي آتيناك مثل ما آتينا موسى والتأويل الاول هو الظاهر انتهى والمرية
الشك والضمير في جعلناه يحتمل ان يعود على الكتاب وعلى موسى قاله قتادة وقوله تعالى ان ربك
هو يفصل بينهم الآية حكم يعم جميع الخلق وذهب بعضهم الى تخصيص الضمير وذلك ضعيف وقوله تعالى
اولم يهد لهم معناه يبين قاله ابن عباس والفاعل بيهدي هو الله في قول فرقة والرسول في قول
فرقة وقال ابو عبد الرحمن نهد بالنون وهي قراءة الحسن وقتادة فالفاعل الله تعالى والضمير في يمشون
يحتمل ان يكون للمخاطبين او للمهلكين والجرز الارض العاطشة التي قد اكلت نباتها من العطش
والقيظ ومنه قيل للاكول جروز وقال ابن عباس وغيره الارض الجرز ارض ابين من اليمن وهي ارض تشرب بسيول
لا بمطر وفي البخاري وقال ابن عباس الجرز التي لم تمطر الا مطرا لا يغني عنها شيئا ثم حكى سبحانه عن الكفرة
انهم يستفتحون ويستعجلون فصل القضاء بينهم وبين الرسل على معنى الهزء والتكذيب والفتح الحكم
هذا قول جماعة من المفسرين وهذا اقوى الاقوال قال مجاهد والفتح هنا هو حكم الآخرة ثم امر تعالى
نبيه عليه الصلاة والسلام بالاعراض عن الكفرة وانتظار الفرج وهذا مما نسخته آية السيف و
قوله انهم منتظرون اي العذاب بمعنى هذا حكمهم وان كانوا لا يشعرون بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما سورة الاحزاب مدنية باجماع فيما
علمت قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله الآية قوله اتق معناه دم على التقوى ومتى امر احد بشيء وهو
متلبس فانما معناه الدوام في المستقبل على مثل الحالة الماضية وحذره تعالى من طاعة الكافرين والمنافقين
نبهه على عداوتهم وان لا يطمئن الى ما يبدونه من نصائحهم والباء في قوله وكفى بالله زائدة على
مذهب سيبويه وكانه قال وكفى الله وغيره يراها غير زائدة متعلقة بكفى على انه معنى اكتف
بالله واختلف في السبب في قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه فقال ابن عباس سببها ان بعض
المنافقين قال ان محمدا له قلبان وقيل غير هذا قال ع ويظهر من الآية بجملتها انها نفي لاشياء كانت
العرب تعتقدها في ذلك الوقت واعلام بحقيقة ذلك وكذلك كانت العرب تعتقد الزوجة
اذا ظاهر منها بمنزلة الام وتراه طلاقا وكانت تعتقد الدعي المتبنى ابنا فنفى الله ما اعتقدوه
من ذلك قوله سبحانه وما جعل ادعياءكم ابناءكم سببها امر زيد بن حارثة كانوا يدعونه زيد بن محمد
والسبيل هنا سبيل الشرع والايمان ثم امر تعالى في هذه الآية بدعاء الادعياء الى آبائهم للصلب فمن
جهل ذلك فيه كان مولى واخا في الدين فقال الناس زيد بن حارثة وسالم مولى ابي حذيفة الى غير
ذلك واقسط معناه اعدل قوله عز وجل وليس عليكم جناح الآية رفع للحرج عمن وهم ونسي
والخطا يجري على العادة من نسبة زيد الى محمد وغير ذلك مما يشبهه وابقى الجناح في المعتقد
والخطا مرفوع عن هذه الامة عفا قال صلى الله عليه وسلم وضع عن امتي الخطا والنسيان وما
اكرهوا عليه وقال عليه الصلاة والسلام ما اخشى عليكم الخطأ وانما اخشى العمد قال السهيلي ولما
نزلت هذه الآية وامتثلها زيد فقال انا زيد بن حارثة جبر الله وحشته وشرفه بان سماه
باسمه في القرآن فقال فلما قضى زيد منها وطرا ومن ذكره سبحانه باسمه في القرآن الذكر الحكيم

حتى صار اسمه قرآنا يتلى في المحاريب فقد نوه به غاية التنويه فكان في هذا تأنيس له
وعوض من الفخر بابوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام له الا ترى الى قول ابي بن كعب حين
قال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى امرني ان اقرأ عليك سورة كذا فبكى ابي وقال
او ذكرت هنالك وكان بكاؤه من الفرح حين اخبر ان الله تعالى ذكره فكيف بمن صار اسمه
قرآنا يتلى مخلدا لا يبيد يتلوه اهل الدنيا اذا قرأوا القرآن واهل الجنة كذلك في الجنان
ثم زاده في الآية غاية الاحسان ان قال واذ تقول للذي انعم الله عليه يعني بالايمان فدل
على انه عند الله من اهل الجنان وهذه فضيلة اخرى وهي غاية منتهى امنية الانسان انتهى وقوله تعالى
النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ازال الله تعالى بهذه الآية احكاما كانت في صدر الاسلام
منها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يصلي على ميت عليه دين فذكر الله تعالى انه اولى
بالمؤمنين من انفسهم فجمع هذا ان المؤمن يلزمه ان يحبه عليه الصلاة والسلام اكثر
من نفسه حسب حديث عمر بن الخطاب ويلزمه ان يمتثل اوامره احبت نفسه ذلك
او كرهت قال النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية انا اولى بالمؤمنين
من انفسهم من ترك مالا فلورثته ومن ترك دينا او ضياعا فالي وعلي انا وليه اقرأوا
ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم قلت ولفظ البخاري من رواية ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وانا اولى به في الدنيا والآخرة
اقرأوا ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته
من كانوا فان ترك دينا او ضياعا فليأتني فانا مولاه قال ابن العربي في احكامه فهذا
الحديث هو تفسير الولاية في هذه الآية انتهى قال ع وقال بعض العارفين هو صلى الله
عليه وسلم اولى بالمؤمنين من انفسهم لان انفسهم تدعوهم الى الهلاك وهو يدعوهم
الى النجاة قال ع ويؤيد هذا قوله عليه الصلاة والسلام فانا آخذ بحجزكم عن النار
وانتم تقتحمون فيها تقحم الفراش قال عياض في الشفا قال اهل التفسير في قوله
تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم
كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى من اتباع رأي النفس انتهى وشرف
تعالى ازواج نبيه بان جعلهن امهات المؤمنين في المبرة وحرمة النكاح وفي مصحف
ابي بن كعب وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقرأ ابن عباس وهو اب لهم وازواجه امهاتهم
ابي على ذلك ثم حكم تعالى بان اولي الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث مما كانت
الشرعة قررته من التوارث بالاخوة الاسلام وفي كتاب الله يحتمل ان يريد به القرآن
او اللوح المحفوظ وقوله من المؤمنين متعلق باولى الثانية وقوله سبحانه الا
ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا يريد الاحسان في الحياة والصلة والوصية
عند الموت والكتاب المسطور يحتمل الوجهين اللذين ذكرنا وقوله سبحانه
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم المعنى واذكر اذ اخذنا من النبيين وهذا
الميثاق قاله الزجاج وغيره انه الذي اخذ عليهم وقت استخراج البشر من صلب
آدم كالذر بالتبليغ وبجميع ما تضمنته النبوة وروي نحوه عن ابي بن كعب

وقالت فرقة بل اشار الى اخذ الميثاق عليهم وقت بعثهم وإلقاء الرسالة عليهم وذكر
تعالى النبيين جملة ثم خصص اولي العزم منهم تشريفا لهم واللام في قوله ليسأل
يحتمل ان تكون لام كي او لام الصيرورة وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة
الله عليكم اذ جاءتكم جنود الايات الى قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك نزلت في
شان غزوة الخندق وما اتصل بها من امر بني قريظة وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما اجلى بني النضير من موضعهم عند المدينة الى خيبر فاجتمعت
جماعة منهم ومن غيرهم من اليهود وخرجوا الى مكة مستنهضين قريشا الى حرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجسروهم على ذلك وازمعت قريش السير الى المدينة
ونهض اليهود الى غطفان وبني اسد ومن امكنهم من اهل نجد وتهامة فاستنفروهم
الى ذلك وتحزبوا وساروا الى المدينة واتصل خبرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم
فحفر الخندق حول المدينة وحصنها فوردت الاحزاب وحصروا المدينة وذلك
في شوال سنة خمس وقيل اربع من الهجرة وكانت قريظة قد عاهدوا النبي صلى الله عليه
وسلم وعاقدوه ان لا يلحقه منهم ضرر فلما تمكن ذلك الحصار وداخلهم بنو النضير
غدروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقضوا عهده وضاق الحال على المؤمنين
ونجم النفاق وساءت ظنون قوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع ذلك يبشر
ويعد النصر فالقى الله عز وجل الرعب في قلوب الكافرين وتخاذلوا وييئسوا من
الظفر وارسل الله عليهم ريحا وهي الصبا وملائكة تشدد الريح وتفعل نحو
فعلها وتلقي الرعب في قلوب الكفرة وهي الجنود التي لم تروها فارتحل الكفرة وانقلبوا
خائبين وقوله اذ جاءوكم من فوقكم يريد اهل نجد مع عيينة بن حصين ومن
اسفل منكم يريد اهل مكة وسائر تهامة قاله مجاهد وزاغت الابصار معناه
مالت عن مواضعها وذلك فعل الواله الفزع المختبل وبلغت القلوب الحناجر
عبارة عما يجده الهلع من ثوران نفسه وتفرقها ويجد كان حشوته وقلبه
يصعد علوا وروى ابو سعيد ان المؤمنين قالوا يوم الخندق يا نبي الله بلغت القلوب الحناجر
فهل من شيء نقوله قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وامن روعاتنا فقالوها فضرب
الله وجوه الكفار بالريح فهزمهم وقوله سبحانه وتظنون بالله الظنونا الاية عبارة
عن خواطر خطرت للمؤمنين لا يمكن البشر دفعها واما المنافقون فنطقوا ونجم
نفاقهم وابتلي المؤمنون معناه اختبروا وزلزلوا معناه حركوا بعنف ثم ذكر تعالى
قول المنافقين والمرضى القلوب على جهة الذم لهم ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا
فروي عن يزيد بن رومان ان معتب بن قشير قال يعدنا محمد ان نفتح كنوز كسرى
وقيصر ومكة ونحن الان لا يقدر احد ان يذهب الى الغائط ما يعدنا الا غرورا
وقال غيره من المنافقين نحو هذا قوله سبحانه واذ قالت طائفة منهم اي من المنافقين
لا مقام لكم اي لا موضع قيام وممانعة فارجعوا الى منازلكم وبيوتكم وكان هذا
على جهة التخذيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستاذن فريق هم اوس

ابن قيظي

ابن قيظي استاذن في ذلك على اتفاق من اصحابه المنافقين فقال ان بيوتنا عورة
اي منكشفة للعدو فاكذبهم الله تعالى ولو دخلت المدينة من اقطارها اي من نواحيها
واشتد الخوف الحقيقي ثم سئلوا الفتنة والحرب لمحمد واصحابه لبادروا اليها واتوها
محبين فيها ولم يتلبثوا في بيوتهم لحفظها الا يسيرا قيل قدر ما ياخذون سلاحهم ثم
اخبر تعالى عنهم انهم قد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وقوله تعالى
وكان عهد الله مسئولا توعد وباقي الاية بين ثم وبخهم بقوله قد يعلم الله المعوقين
منكم وهم الذين يعوقون الناس عن نصرة الرسول ويمنعونهم بالاقوال والافعال
من ذلك ويسعون على الدين بالتخذيل واما القائلون لاخوانهم هلم الينا فقال
ابن زيد وغيره اراد من كان من المنافقين يقول لاخوانه في النسب وقرابته هلم الي
المنازل والاكل والشرب واتركوا القتال وروي ان جماعة منهم فعلت ذلك واصل
هلم ها الم وهذا مثل تعليل رد من اردد ولا ياتون البأس القتال الا قليلا معناه الا
اتيانا قليلا واشحة جمع شحيح والصواب تعميم الشح ان يكون بكل ما فيه للمؤمنين
منفعة وقوله فاذا جاء الخوف قيل معناه فاذا قوي الخوف رايت هؤلاء المنافقين
ينظرون اليك نظر الهلع المختلط الذي يغشى عليه فاذا ذهب ذلك الخوف العظيم
وتنفس المختنق سلقوكم اي خاطبوكم مخاطبة بليغة يقال خطيب سلاق ومسلاق
ومسلق ولسان ايضا كذلك اذا كان فصيحا مقتدرا ووصف الالسنة بالحدة
لقطعها المعاني ونفوذها في الاقوال قالت فرقة وهذا السلق هو في مخادعة
المؤمنين بما يرضيهم من القول على جهة المصانعة والمخاتلة وقوله اشحة حال
من الضمير في سلقوكم وقوله على الخير يدل على عموم الشح في قوله اولا اشحة عليكم
وقيل المراد بالخير المال اي اشحة على مال الغنائم والله اعلم ثم اخبر تعالى انهم
لم يؤمنوا وجمهور المفسرين على ان هذه الاشارة الى منافقين لم يكن لهم ذلك
الى حبط اعمال هؤلاء المنافقين والضمير في قوله يحسبون الاحزاب للمنافقين والمعنى
انهم من الفزع والجزع بحيث رحل الاحزاب وهزمهم الله تعالى وهؤلاء يظنون
انها من الخدع وانهم لم يذهبوا وان يات الاحزاب اي يرجعوا اليهم كرة ثانية لهم
يودوا من الخوف والجبن لو انهم بادون اي خارجون الى البادية في الاعراب
وهم اهل العمود ليسلموا من القتال يسألون اي من ورد عليهم ثم سلى سبحانه
عنهم وحقر شانهم بان اخبر انهم لو حضروا لما اغنوا ولما قاتلوا الا قتالا
قليلا لا نفع له ثم قال تعالى على جهة الموعظة لقد كان لكم في رسول الله اسوة
حسنة حين صبر وجاد بنفسه واسوة معناه قدوة ورجاء الله تابع للمعرفة به ورجاء
اليوم الاخر ثمرة العمل الصالح وذكر الله كثيرا من خير الاعمال فنبه عليه قلت وعن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول انا مع عبدي
اذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه رواه ابن ماجه واللفظ له وابن حبان في صحيحه
ورواه الحاكم في المستدرك من حديث ابي الدرداء وروى جابر بن عبد الله قال خرج

قط ايمان ويكون قوله تعالى فاحبط الله اعمالهم اي انها
لم تقبل قط والاشارة بذلك في قوله ذلك
صح

علينا النبي صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس ان لله سرايا من الملائكة تحل وتقف
على مجالس الذكر في الارض فارتعوا في رياض الجنة قالوا واين رياض الجنة يا رسول
الله قال مجالس الذكر فاغدوا وروحوا في ذكر الله وذكروه انفسكم من كان يحب ان يعلم
منزلته عند الله فان الله ينزل العبد منه حيث انزله من نفسه رواه الحاكم في المستدرك
وقال صحيح الاسناد وعن معاذ بن جبل قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم اي الاعمال
احب الى الله تعالى قال ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله رواه ابن حبان في صحيحه انتهى من
السلاح ولولا خشية الاطالة لاتيت في هذا الباب باحاديث كثيرة وروى ابن المبارك في
رقائقه قال اخبرنا سفيان بن عيينة عن ابن ابي نجيح عن مجاهد قال لا يكون الرجل من
الذاكرين الله كثيرا والذاكرات حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا انتهى وفي
مصحف ابن مسعود يحسبون الاحزاب قد ذهبوا فاذا وجدوهم لم يذهبوا ودوا
لو انهم بادون في الاعراب وقوله تعالى ولما راى المؤمنون الاحزاب الاية قالت فرقة لما
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق اعلمهم بانهم سيحصرون وامرهم بالاستعداد لذلك
واعلمهم بانهم سينصرون بعد ذلك فلما راوا الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله
الاية وقالت فرقة ارادوا بوعد الله ما نزل في سورة البقرة من قوله تعالى ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الاية الى قوله قريب قال ع ويحتمل
انهم ارادوا جميع ذلك ثم اثنى سبحانه على رجال عاهدوا الله على الاستقامة فوفوا
وقضوا نحبهم اي نذرهم وعهدهم والنحب في كلام العرب النذر والشيء الذي يلتزمه
الانسان وقد يسمى الموت نحبا وبه فسر ابن عباس وغيره هذه الاية ويقال للذي
في امر حتى مات قضى فيه نحبه ويقال لمن مات قضى فلان نحبه وممن سمى المفسرون
انه اشير اليه بهذه الاية انس بن النضر عم انس بن مالك وذلك انه غاب عن بدر فساءه
ذلك وقال لئن شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا ليرين الله ما اصنع
فلما كان يوم احد ابلى بلاء حسنا حتى قتل ووجد فيه بضع على ثمانين جرحا فكانوا يرون
ان هذه الاية في انس بن النضر ونظرائه وقالت فرقة الموصوفون بقضاء النحب هم جماعة
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وفوا بعهود الاسلام على التمام فالشهداء منهم والعشرة
الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة منهم الى من حصل في هذه المرتبة
ممن لم ينص عليه ويصحح هذه المقالة ايضا ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان على المنبر فقال له اعرابي يا رسول الله من الذي قضى نحبه فسكت عنه النبي صلى الله عليه
وسلم ساعة ثم دخل طلحة بن عبيد الله على باب المسجد وعليه ثوبان اخضران فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اين السائل فقال ها انا يا رسول الله قال هذا ممن قضى نحبه قال
ابن عطية فهذا ادل دليل على ان النحب ليس من شرطه الموت وقال معاوية بن ابي سفيان
اني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه وروت عائشة نحوه
قوله تعالى ومنهم من ينتظر يريد ومنهم من ينتظر الحصول في اعلى مراتب الايمان
والصلاح وهم بسبيل ذلك وما بدلوا ولا غيروا واللام في ليجزي يحتمل ان تكون

لام الصيرورة او لام كي وتعذيب المنافقين ثمرة ادامتهم الاقامة على النفاق الى موتهم
والتوبة موازية لتلك الادامة وثمرة التوبة تركهم دون عذاب فهما درجتان ادامة
على نفاقهم وتوبة منه وعنهما ثمرتان تعذيب او رحمة ثم عدد تعالى نعمه على المؤمنين
في هزم الاحزاب فقال ورد الله الذين كفروا بغيظهم الاية قوله تعالى وانزل الذين
ظاهروهم يريد بني قريظة وذلك انهم لما غدروا وظاهروا الاحزاب اراد الله النقمة
منهم فلما ذهب الاحزاب جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم في الناس وقال لهم لا يصلين
احد العصر الا في بني قريظة فخرج الناس اليهم وحصرهم النبي صلى الله عليه وسلم خمسا
وعشرين ليلة ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم سعد بان تقتل المقاتلة وتسبى
الذرية والعيال والاموال وان تكون الارض والثمار للمهاجرين دون الانصار فقالت له
الانصار في ذلك فقال اردت ان يكون للمهاجرين اموال كما لكم اموال فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة ارقعة فامر صلى الله عليه وسلم
برجالهم فضربت اعناقهم وفيهم حيي بن اخطب النضري وهو الذي كان ادخلهم في الغدر
وظاهروهم معناه عاونوهم والصياصي الحصون واحدها صيصة وهي كل
ما يتمنع به ومنه يقال لقرون البقر الصياصي والفريق المقتول هم الرجال والفريق المأسور
العيال والذرية وقوله سبحانه وارضا لم تطؤوها يريد بها البلاد التي فتحت على المسلمين
بعد كالعراق والشام واليمن وغيرها فوعد الله تعالى بها عند فتح حصون بني قريظة
واخبر انه قد قضى بذلك قاله عكرمة وقوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن
الحياة الدنيا وزينتها الاية ذكر جل المفسرين ان ازواج النبي عليه الصلاة والسلام سالنه
شيئا من عرض الدنيا واذينه بزيادة النفقة والغيرة فهجرهن وآلى ان لا يقربهن
شهرا فنزلت هذه الاية فبدا بعائشة وقال يا عائشة اني ذاكر لك امرا ولا عليك ان
لا تعجلي حتى تستامري ابويك ثم تلا عليها الاية فقالت له وفي اي هذا استامر
ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة قالت وقد علم ان ابوي لا يامراني بفراقه
ثم تتابع ازواج النبي صلى الله عليه وسلم على مثل قول عائشة فاخترن الله ورسوله رضي الله عنهن
قالت فرقة قوله بفاحشة مبينة يعم جميع المعاصي ولزمهن رضي الله عنهن بحسب مكانتهن اكثر مما يلزم
غيرهن فضوعف لهن الاجر والعذاب وقوله ضعفين معناه يكون العذاب عذابين اي يضاف
الى عذاب سائر الناس عذاب آخر مثله ويقنت معناه يطيع ويخضع بالعبودية قاله الشعبي
وقتادة والرزق الكريم الجنة ثم خاطبهن الله سبحانه بانهن لسن كاحد من نساء عصرهن فما
بعد بل هن افضل بشرط التقوى وانما خصصنا بنساء عصرهن لان فيمن تقدم آسية ومريم
فتامله وقد اشار الى هذا قتادة ثم نهاهن سبحانه عما كانت الحال عليه في نساء العرب
من مكالمة الرجال برخيم القول ولا تخضعن معناه لا تلن قال ابن زيد خضع القول
ما يدخل في القلوب الغزل والمرض في هذه الاية قال قتادة هو النفاق وقال
عكرمة الفسق والغزل والقول المعروف هو الصواب الذي لا تنكره الشريعة ولا النفوس
وقرا الجمهور وقرن بكسر القاف وقرا نافع وعاصم وقرن بالفتح فاما الاولى فيصح ان تكون

من الوقار ويصح ان تكون من القرار واما القراءة بالفتح فعلى لغة العرب قررت بكسر الرا
اقر بفتح القاف في المكان وهي لغة ذكرها ابو عبيدة في الغريب المصنف وذكرها الزجاج
وغيره فامر الله تعالى في هذه الآية نساء النبي بملازمة بيوتهن ونهاهن عن التبرج والتبرج اظهار
الزينة والتصنع بها ومنه البروج لظهورها وانكشافها للعيون والجاهلية الاولى ما كان قبل الاسلام من الخلف (؟)
الاولى فقال الشعبي ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل غير هذا قال ع والذي يظهر عندي
انه اشار الى الجاهلية التي لحقنها فامرن بالنقلة عن سيرتهن فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة
وجعلها اولى بالاضافة الى حالة الاسلام وليس المعنى ان ثم جاهلية اخرى والرجس اسم يقع
على الاثم وعلى العذاب وعلى النجاسات والنقائص فاذهب الله جميع ذلك عن اهل البيت قالت ام سلمة
نزلت هذه الآية في بيتي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فدخل
معهم تحت كساء خيبري وقال هؤلاء اهل بيتي وقرا الآية وقال اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا قالت ام سلمة فقلت وانا يا رسول الله فقال انت من ازواج النبي وانت الى خير والجمهور
على هذا وقال ابن عباس وغيره اهل البيت ازواجه خاصة والجمهور على ما تقدم قال ع
والذي يظهر لي ان اهل البيت ازواجه وبنته وبنوها وزوجها اعني عليا ولفظ
الآية يقتضي الزوجات من اهل البيت لان الآية فيهن والمخاطبة لهن قال ص واهل
البيت منصوب على النداء او على المدح او على الاختصاص وهو قليل في المخاطب واكثر ما يكون
في المتكلم كقوله ٭ نحن بنات طارق ٭ نمشي على النمارق ٭ انتهى ت واستصوب
ابن هشام نصبه على النداء قاله في المغني قوله تعالى واذكرن يعطي ان اهل البيت نساؤه
وعلى قول الجمهور هي ابتداء مخاطبة والحكمة السنة فقوله واذكرن يحتمل مقصدين كلاهما
موعظة احدهما ان يريد تذكرنه واقدرنه قدره وفكرن في ان من هذه حاله
ينبغي ان تحسن افعاله والثاني ان يريد اذكرن بمعنى احفظن واقرأن والزمنه السنتكن
قلت ويحتمل ان يراد باذكرن افشينه وانشرنه للناس والله اعلم وهذا هو الذي فهمه
ابن العربي من الآية فانه قال امر الله ازواج رسوله ان يخبرن بما ينزل من القرآن في بيوتهن
وبما يرين من افعال النبي صلى الله عليه وسلم واقواله حتى يبلغ ذلك الى الناس فيعملوا بما فيه
ويقتدوا به انتهى وهو حسن وهو ظاهر الآية وقد تقدم له نحو هذا في قوله تعالى وان امراة
خافت من بعلها نشوزا الآية ذكره في احكام القرآن قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات
الآية روي في سببها ان ام سلمة قالت يا رسول الله يذكر الله الرجال في كتابه في كل شيء
ولا يذكرنا فنزلت الآية في ذلك والفاظ الآية في غاية البيان قوله سبحانه والذاكرين الله
كثيرا والذاكرات الآية وفي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون
قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات رواه
مسلم واللفظ له والترمذي وعنده قالوا يا رسول الله وما المفردون قال
المستهترون في ذكر الله يضع الذكر عنهم اثقالهم فياتون يوم القيامة خفافا قال
قال عياض والمفردون ضبطناه على متقني شيوخنا بفتح الفاء وكسر الراء وقال ابن الاعرابي
فرد الرجل اذا تفقه واعتزل الناس وخلا بمراعاة الامر والنهي وقال الازهري

هم المتخلون من الناس بذكر الله تعالى وقوله المستهترون في ذكر الله هو بفتح التائين
المثناتين يعني الذين اولعوا بذكر الله يقال استهتر فلان بكذا اي اولع به انتهى من سلاح
المؤمن قوله سبحانه وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون
لهم الخيرة الآية قوله وما كان لفظه النفي ومعناه الحظر والمنع والخيرة مصدر بمعنى التخير
قال ابن زيد نزلت هذه الآية بسبب ان ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهبت
نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد بن حارثة فكرهت ذلك هي واخوها
فنزلت الآية بسبب ذلك فاجابا الى تزويج زيد وقيل غير هذا والعصيان هنا يعم الكفر
فما دونه وفي حديث الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من سعادة ابن ادم
رضاه بما قضاه الله ومن شقاوة ابن ادم سخطه بما قضاه الله انتهى قوله تعالى واذ
تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه الآية ذهب جماعة من المتاولين الى ان الآية
لا كبير عتب فيها على النبي صلى الله عليه وسلم فروي عن علي بن الحسين ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان قد اوحي اليه ان زيدا يطلق زينب وانه يتزوجها بتزويج الله اياها فلما تشكى
زيد للنبي صلى الله عليه وسلم خلق زينب وانها لا تطيعه واعلمه بانه يريد طلاقها قال له
النبي صلى الله عليه وسلم على جهة الادب والوصية اتق الله اي في قولك وامسك عليك
زوجك وهو يعلم انه سيفارقها وهذا هو الذي اخفى صلى الله عليه وسلم في نفسه ولم يرد
ان يامره بالطلاق لما علم من انه سيتزوجها وخشي صلى الله عليه وسلم ان يلحقه قول
من الناس في ان يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد امره بطلاقها فعاتبه
الله على هذا القدر من ان خشي الناس في شيء قد اباحه الله له قال عياض وتاويل علي
ابن الحسين احسن التاويلات واصحها وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه انتهى وقوله انعم
الله عليه يعني بالاسلام وغير ذلك وانعمت عليه يعني بالعتق وهو زيد بن حارثة وزينب هي
بنت جحش بنت اميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اعلم تعالى
نبيه انه زوجها منه لما قضى زيد وطره منها لتكون سنة للمسلمين في ازواج ادعيائهم
وليبين انها ليست كحرمة النبوة والوطر الحاجة والبغية وقوله تعالى وكان امر الله
مفعولا فيه حذف مضاف تقديره وكان حكم امر الله او مضمن امر الله والا فالامر
قديم لا يوصف بانه مفعول ويحتمل ان يكون الامر واحد الامور التي شانها
ان تفعل وعبارة الثعالبي وكان امر الله مفعولا اي كائنا لا محالة وكان قد قضى في
زينب ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وقوله تعالى ما كان على النبي
من حرج فيما فرض الله له الآية هذه مخاطبة من الله تعالى لجميع الامة اعلمهم انه لا حرج
على نبيه في نيل ما فرض الله له واباحه من تزويجه لزينب بعد زيد ثم اعلم ان هذا
ونحوه هو السنن الاقدم في الانبياء في ان ينالوا ما احله الله لهم وعبارة الثعالبي
ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له اي احل الله له سنة الله في الذين
خلوا من قبل يقول هذه سنة قد مضت لغيرك يعني كثرة ازواج داود وسليمان وكان امر
الله قدرا مقدورا اي قضاء مقضيا الذين يبلغون رسالات الله من نعت قوله في الذين

خلوا من قبل انتهى وقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم الى قوله كريما اذهب الله
بهذه الاية ما وقع في نفوس المنافقين وغيرهم لانهم استعظموا ان تزوج زوجة ابنه
فنفى القرآن تلك البنوة وقوله ابا احد من رجالكم يعني المعاصرين له وباقي الاية بين
ثم امر سبحانه عباده بان يذكروه ذكرا كثيرا وجعل تعالى ذلك دون حد ولا تقدير
لسهولته على العبد ولعظم الاجر فيه قال ابن عباس لم يعذر احد في ترك ذكر الله عز وجل
الا من غلب على عقله وقال الذكر الكثير ان لا تنساه ابدا وروى ابو سعيد عن النبي صلى
الله عليه وسلم اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون قلت وهذا الحديث خرجه ابن حبان و
قوله وسبحوه بكرة واصيلا اراد في كل الاوقات فحد الزمن بطرفي نهاره وليله
والاصيل من العصر الى الليل وعن ابي اوفى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله رواه الحاكم في المستدرك
انتهى من السلاح وقوله سبحانه هو الذي يصلي عليكم وملائكته الاية صلاة الله على العبد
هي رحمته له وصلاة الملائكة هي دعاؤهم للمؤمنين ثم اخبر تعالى برحمته بالمؤمنين
تانيسا لهم وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام قيل يوم القيامة تحيي الملائكة المؤمنين بالسلام
ومعناه السلامة من كل مكروه وقال قتادة يوم دخولهم الجنة يحيي بعضهم بعضا
بالسلام والاجر الكريم جنة الخلد في جوار الله تبارك وتعالى وقوله تعالى يا ايها النبي انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا الاية هذه الاية فيها تانيس للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين
وتكريما لجميعهم وقوله وداعيا الى الله باذنه اي بامره وسراجا منيرا استعارة للنور
الذي تضمنه شرعه وقوله تعالى وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا قال ع
قال لنا ابي رحمه الله هذه من ارجى اية عندي في كتاب الله عز وجل قال ابو بكر بن الخطيب
اخبرنا ابو نعيم الحافظ ثم ذكر سنده الى ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
انزلت علي اية يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا قال شاهدا
على امتك ومبشرا بالجنة ونذيرا من النار وداعيا الى شهادة ان لا اله الا الله
باذنه بامره وسراجا منيرا بالقرآن انتهى من تاريخ بغداد له من ترجمة محمد بن نصر
وقوله تعالى ودع اذاهم يحتمل ان يريد به يامره تعالى بترك ان يؤذيهم هو ويعاقبهم
فالمصدر على هذا مضاف الى المفعول ويحتمل ان يريد اعرض عن اقوالهم وما يؤذونك
به فالمصدر على هذا التاويل مضاف الى الفاعل وهذا تاويل مجاهد وباقي
الاية بين وقوله تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك الاية ذهب ابن زيد
والضحاك في تفسير هذه الاية الى ان الله تعالى احل لنبيه ان يتزوج كل امرأة يؤتيها مهرها
واباح له كل النساء بهذا الوجه وانما خصص هؤلاء بالذكر تشريفا لهن فالاية على هذا
التاويل فيها اباحة مطلقة في جميع النساء حاشى ذوات المحارم المذكور حكمهن في غير هذه
الاية ثم قال بعد هذا ترجي من تشاء منهن اي من هذه الاصناف كلها ثم تجري الضمائر
بعد ذلك على العموم الى قوله تعالى ولا ان تبدل بهن من ازواج فيجي هذا الضمير مقطوعا
من الاول عائدا على ازواجه التسع فقط على الخلاف في ذلك وتاول غير ابن زيد

في قوله

في قوله احللنا لك ازواجك من في عصمتك ممن تزوجتها بمهر وان ملك اليمين بعد
حلال له وان الله اباح له مع المذكورات بنات عمه وعماته وخاله وخالاته ممن هاجر
معه والواهبات خاصة فيجي الامر على هذا التاويل اضيق على النبي صلى الله عليه
وسلم ويؤيد هذا التاويل ما قاله ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يتزوج في
اي الناس شاء وكان ذلك يشق على نسائه فلما نزلت هذه الاية وحرم عليه بها النساء الا
من سمى سر نساؤه بذلك وقوله سبحانه وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي الاية
قال السهيلي ذكر البخاري عن عائشة انها قالت كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدل على انهن كن غير واحدة انتهى وقوله خالصة لك
اي هبة النساء انفسهن خاصة بك دون امتك قال ع ويظهر من لفظ ابي بن كعب
ان معنى قوله خالصة لك يراد به جميع هذه الاباحة لان المؤمنين لم يبح لهم الزيادة
على الاربع وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم يريد هو كون النكاح بالولي
والشاهدين والمهر والاقتصار على اربع قاله قتادة ومجاهد وقوله لكي لا اي بينا
هذا البيان لكي لا يكون عليك حرج ويظن بك انك قد اثمت عند ربك وقوله تعالى ترجي
من تشاء منهن الاية ترجي معناه تؤخر وتؤوي معناه تضم وتقرب ومعنى هذه الاية
ان الله تعالى فسح لنبيه فيما يفعل من جهة النساء والضمير في منهن عائد على من تقدم
ذكره من الاصناف حسب الخلاف المذكور في ذلك وهذه الارجاء والايواء يحتمل معان
منها ان المعنى في القسم اي تقرب من شئت في القسمة لها من نفسك وتؤخر عنك
من شئت وتكثر لمن شئت وتقل لمن شئت لا حرج عليك في ذلك فاذا علمن هن ان
هذا حكم الله لك رضين وقرت اعينهن وهذا تاويل مجاهد وقتادة والضحاك
قال ع لسبب هذه الاية تغاير وقع بين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم تاذى به
وقال ابن عباس المعنى في طلاق من تشاء وامساك من تشاء وقال الحسن بن ابي الحسن المعنى
في تزوج من تشاء من النساء وترك من تشاء قال ع وعلى كل معنى فالاية معناها
التوسعة على النبي صلى الله عليه وسلم والاباحة له وذهب هبة الله في الناسخ والمنسوخ
له الى ان قوله ترجي من تشاء الاية ناسخ لقوله لا يحل لك النساء من بعد الاية قوله تعالى
ومن ابتغيت ممن عزلت يحتمل معان احدها ان تكون من للتبعيض اي من اردت وطلبته
نفسك ممن كنت قد عزلته واخرته فلا جناح عليك في رده الى نفسك وايوائه اليك
ووجه ثان وهو ان يكون مقويا ومؤكدا لقوله ترجي من تشاء وتؤوي من تشاء
فيقول بعد ومن ابتغيت ومن عزلت فذلك سواء لا جناح عليك في رده لنفسك وايوائه
اليك وقوله ويرضين بما اتيتهن اي من نفسك ومالك واتفقت الروايات على انه عليه
الصلاة والسلام مع ما جعل الله له من ذلك كان يسوي بينهن في القسم تطييبا لنفوسهن
واخذا بالفضل وما خصه الله من الخلق العظيم صلى الله عليه وسلم وعلى آله غير ان سودة
وهبت يومها لعائشة تقمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى لا يحل لك النساء
من بعد قيل كما قدمنا انها حظرت عليه النساء الا التسع وما عطف عليهن على ما تقدم لابن عباس

المسترة م

وغيره قال ابن عباس جازاهن الله بذلك لما اخترن الله ورسوله ومن قال بان الاية
كانت له مطلقة قال هنا لا يحل لك النساء معناه لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات
ولا ينبغي ان يكن امهات المؤمنين وروي هذا عن مجاهد وكذلك قدر ولا ان تبدل اليهوديات
والنصرانيات بالمسلمات وهو قول ابي رزين وابن جبير وفيه بعد وقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه هذه الاية تضمنت قصتين
احدهما الادب في امر الطعام والجلوس والثانية امر الحجاب قال الجمهور سببها ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش اولم عليها ودعا الناس فلما طعموا قعد نفر في طائفة
من البيت يتحدثون فثقل على النبي صلى الله عليه وسلم مكانهم فخرج ليخرجوا بخروجه
ومر على حجر نسائه ثم عاد فوجدهم في مكانهم وزينب في البيت معهم فلما دخل وراهم انصرف
فخرجوا عند ذلك قال انس بن ملك فاعلم او اعلمته بانصرافهم فجاء فلما وصل الحجرة ارخى
الستر بيني وبينه ودخل ونزلت اية الحجاب بسبب ذلك قال اسمعيل بن ابي حكيم هذا
ادب ادب الله به الثقلاء وقالت عائشة وجماعة سبب الحجاب كلام عمر للنبي صلى الله
عليه وسلم مرارا في ان يحجب نساءه وناظرين معناه منتظرين واناه مصدر اني
الشي يأني انا اذا فرغ وحان ولفظ البخاري يقال اناه ادراكه اني يأني اناه انتهى
قوله تعالى والله لا يستحيي من الحق معناه لا يقع منه ترك الحق ولما كان ذلك يقع من
البشر لعلة الاستحياء نفي عنه تعالى العلة الموجبة لذلك في البشر وعن ثوبان قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يحل لاحد ان يفعلهن لا يؤم رجل قوما
فيخص نفسه بالدعاء دونهم فان فعل فقد خانهم ولا ينظر في قعر بيت قبل ان
يستاذن فان فعل فقد خان ولا يصلي وهو حقن حتى يتخفف رواه ابو داود
واللفظ له وابن ماجة والترمذي وقال الترمذي حديث حسن ورواه ابو داود
ايضا من حديث ابي هريرة انتهى من السلاح وقوله تعالى واذا سألتموهن متاعا الاية هي اية
الحجاب والمتاع يعم جميع ما يمكن ان يطلب من المواعين وسائر المرافق وباقي الاية بين وقد
تقدم في سورة النور طرف من بيانه فاغنى عن اعادته انتهى وقوله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي الاية تضمنت شرف النبي صلى الله عليه وسلم وعظيم منزلته عند الله تعالى
قالت فرقة ان الله يصلي وملائكته يصلون فالضمير في قوله يصلون للملائكة فقط
وقالت فرقة بل الضمير في يصلون لله والملائكة وهذا قول من الله شرف به ملائكته فلا
يرد عليه الاعتراض الذي جاء في قول الخطيب من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما
فقد ضل فقال النبي صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب انت وهذا القدر كاف هنا صلاة
الله تعالى رحمة منه وبركة وصلاة الملائكة دعاء وصلاة المؤمنين دعاء وتعظيم و
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التي لا يسع
تركها ولا يغفلها الا من لا خير فيه وفي حديث ابن عباس انه لما نزلت هذه الاية قال
قوم من الصحابة هذا السلام عليك يا رسول الله قد عرفناه فكيف نصلي عليك الحديث
قلت ولفظ البخاري عن كعب بن عجرة قال قيل يا رسول الله اما السلام عليك

يا رسول الله فقد عرفناه فكيف الصلاة قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على
ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد
مجيد انتهى وفيه طرق يزيد فيها بعض الرواة على بعض وفي الحديث عنه صلى الله عليه
وسلم ان من افضل ايامكم يوم الجمعة فاكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة
علي الحديث رواه ابو داود والنسائي وابن ماجة واللفظ لابي داود ورواه الحاكم
في المستدرك من حديث ابي مسعود الانصاري وقال صحيح الاسناد وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام
وعنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم صلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم رواهما
ابو داود وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اولى الناس بي يوم القيامة اكثرهم
علي صلاة رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه ولفظهما سواء وقال الترمذي حسن غريب
انتهى من السلاح وقوله سبحانه يدنين عليهن من جلابيبهن الجلباب ثوب اكبر من الخمار وروي
عن ابن عباس وابن مسعود انه الرداء واختلف في صورة ادنائه فقال ابن عباس وغيره ذلك
ان تلويه على الجبين وتشده ثم تعطفه على الانف وان ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر
ومعظم الوجه وقوله ذلك ادنى ان يعرفن اي حتى لا يختلطن بالاماء فاذا عرفن لم
يقابلن باذى من المعارضة مراقبة لرتبة الحرائر وليس المعنى ان تعرف المراة حتى يعلم من هي
وكان عمر اذا راى امة قد تقنعت قنعها بالدرة محافظة على زي الحرائر قوله تعالى لئن لم ينته
المنافقون الاية اللام في قوله لئن هي المؤذنة بمجيء القسم واللام في لنغرينك هي لام القسم
قلت وروى الترمذي عن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى
بصوت رفيع وقال يا معشر من قد اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين
ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة اخيه المسلم يتبع الله عورته ومن
يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله الحديث انتهى ورواه ابو داود في سننه
من طريق ابي برزة الاسلمي عن النبي صلى الله عليه وسلم وتوعد الله سبحانه هذه الاصناف
في هذه الاية وقوله والذين في قلوبهم مرض المرض هنا هو الغزل وحب الزنا
قاله عكرمة والمرجفون في المدينة هم قوم كانوا يتحدثون بغزو العرب المدينة ونحو
هذا مما يرجفون به نفوس المؤمنين فيحتمل ان يكون هذه الفرق داخلة في جملة المنافقين
ويحتمل ان تكون متباينة ولنغرينك معناه لنحضنك عليهم بعد تعيينهم لك وفي البخاري
وقال ابن عباس لنغرينك لنسلطنك انتهى وقوله ثم لا يجاورونك اي بعد الاغراء لانك
تنفيهم بالاخافة والقتل وقوله الا قليلا يحتمل ان يريد الا جوارا قليلا او عددا قليلا
كانه قال الا اقلاء وثقفوا معناه حصروا وقدر عليهم واخذوا معناه اسروا والاخيذ
الاسير والذين خلوا هم منافقو الامم وباقي الاية متضح المعنى والسبيل مفعول ثان
لان اضل معدى بالهمزة وهي سبيل الايمان والهدى والذين اذوا موسى هم قوم من
بني اسرائيل قال ابن عباس وابو هريرة وجماعة الاذاية التي تضمنها حديث النبي صلى
الله عليه وسلم من ان بني اسرائيل كانوا يغتسلون عراة وكان موسى رجلا ستيرا

ان تلويه المراة حتى لا يظهر منها الا عين واحدة
تبصر بها وقال ابن عباس وقتادة ذلك

حيا لا يكاد يرى من جسده شيء فقالوا والله ما منع موسى ان يغتسل معنا الا انه
ادر او به برص فذهب يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فلج موسى في اثره
يقول ثوبي حجر ثوبي حجر فرأوه فقالوا والله ما بموسى من باس الحديث خرجه البخاري
وغيره وقيل في اذايتهم غير هذا وقرأه الله مما قالوا والوجيه المكرم الوجه والقول
السديد يعم جميع الخيرات وقال عكرمة اراد لا اله الا الله وباقي الاية بين وقوله سبحانه
انا عرضنا الامانة على السموات والارض الاية ذهب الجمهور الى ان الامانة كل شيء يؤتمن
الانسان عليه من امر ونهي وشأن دين ودنيا فالشرع كله امانة ومعنى الاية انا
عرضنا على هذه المخلوقات العظام ان تحمل الاوامر والنواهي فيحتمل ان يكون هذا بادراك
يخلقه الله لها ويحتمل ان يكون هذا العرض على من فيها من الملائكة وحمل الانسان
الامانة اي التزم القيام بحقها وهو في ذلك ظلوم لنفسه جهول بقدر ما دخل فيه
وهذا هو تاويل ابن عباس وابن جبير قال ابن عباس واصحابه والانسان آدم تحمل الامانة
فما تم له يوم حتى وقع في امر الشجرة وقال بعضهم الانسان النوع كله فعلى تاويل الجمهور
يكون قولها في الاية الاخرى اتينا طائعين اجابة لامر امرت به وتكون هذه الاجابة
اباية واشفاقا من امر عرض عليها وخيرت فيه وقوله تعالى ليعذب الله اللام لام العاقبة
وكذا قال ابو حيان اللام في ليعذب للصيرورة لانه لم يحمل الامانة ليعذب ولكن آل
امره الى ذلك ص ابو البقا اللام متعلق بحملها وقرأ الاعمش ويتوب بالرفع على الاستئناف
والله اعلم وباقي الاية بين بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما سورة سبا مكية واختلف في قوله تعالى ويرى
الذين اوتوا العلم الاية فقيل ذلك مكي وقيل مدني قوله تعالى الحمد لله الذي له ما في
السموات وما في الارض الالف واللام في الحمد لاستغراق جنس المحامد اي الحمد على تنوعه
هو لله تعالى من جميع جهات الفكرة ويلج معناه يدخل ويعرج معناه يصعد وقوله
تعالى وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة روي ان قائل هذه المقالة هو ابو سفيان
ابن حرب واللام في قوله ليجزي يصح ان تكون متعلقة بقوله لتاتينكم والذين معطوف
على الذين الاولى اي وليجزي الذين سعوا ومعاجزين معناه محاولين تعجيز قدرة الله
تعالى فيهم ثم اخبر تعالى بان الذين اوتوا العلم يرون الوحي المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام
حقا والذين اوتوا العلم قيل هم من اسلم من اهل الكتاب وقال قتادة هم امة
محمد المؤمنون به ثم حكى الله تعالى عن الكفار مقالتهم التي قالوها على جهة التعجب والهزء
واستبعاد البعث هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ينبئكم اذا مزقتم
بالبلاء وتقطع الاوصال في القبور وغيرها وجديد بمعنى مجدد وقولهم افترى
على الله كذبا هو ايضا من قول بعضهم لبعض ثم اضرب عن قولهم فقال بل الذين
لا يؤمنون بالآخرة في العذاب يريد عذاب الآخرة لانهم صائرون اليه ويحتمل ان
يريد عذاب الدنيا ايضا والضمير في قوله افلم يروا لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة
وقفهم الله على قدرته وخوفهم من احاطتها بهم المعنى اليس يرون امامهم ووراءهم

ووراءهم سماء وارضا وباقي الاية بين ثم ذكر تعالى نعمته على داود وسليمان احتجاجا
على ما منح محمدا واوبي معناه رجعي معه قال ابن عباس وغيره معناه يا جبال سبحي معه
اي يسبح هو وترجع هي معه التسبيح اي ترددا بالذكر وقال مؤرج اوبي سبحي بلغة
الحبشة وقرأ عاصم والطير بالرفع عطفا على لفظ قوله يا جبال وقرأ نافع وابن كثير
والطير بالنصب قال سيبويه عطف على موضع قوله يا جبال لان موضع المنادى المفرد
نصب وقيل نصبها باضمار فعل تقديره وسخرنا الطير والنا له الحديد معناه جعلناه
لينا وروى قتادة وغيره ان الحديد كان له كالشمع لا يحتاج في عمله الى نار والسابغات
الدروع الكاسيات ذوات الفضول قوله تعالى وقدر في السرد قال ابن زيد الذي امر
به هو في قدر الحلقة اي لا تعملها صغيرة فتضعف فلا يقوى الدرع على الدفاع
ولا تعملها كبيرة فينال لابسها من خلالها وقال ابن عباس التقدير الذي امر به هو في المسمار
وذكر البخاري في صحيحه ذلك فقال المعنى لا ترق المسمار فيتسلسل ولا تغلظه فيفصم
بالقاف وبالفاء ايضا رواية قلت قال الهروي قوله تعالى وقدر في السرد متابعة
حلق الدرع شيئا بعد شيء حتى يتناسق يقال فلان يسرد الحديث سردا اي يتابعه
انتهى وقوله تعالى ولسليمان الريح المعنى ولسليمان سخرنا الريح وغدوها شهر ورواحها شهر
قال قتادة معناه انها كانت تقطع به في الغدو الى قرب الزوال مسيرة شهر وتقطع
في الرواح من بعد الزوال الى الغروب مسيرة شهر وكان سليمان اذا اراد قوما لم
يشعروا حتى يظلهم في جو السماء وقوله تعالى واسلنا له عين القطر قال ابن عباس وغيره
كانت تسيل له باليمن عين جارية من نحاس يصنع له منها جميع ما احب والقطر النحاس ومن
يزغ معناه يمل اي ينحرف عاصيا وقال عن امرنا ولم يقل عن ارادتنا لانه لا يقع في العالم
شيء يخالف ارادته سبحانه ويقع ما يخالف الامر وقوله من عذاب السعير قيل عذاب
الآخرة وقيل قد كان وكل بهم ملك بيده سوط من نار السعير فمن عصى ضربه فاحرقه
والمحاريب الابنية العالية الشريفة قال قتادة القصور والمساجد والتماثيل قيل كانت من
زجاج ونحاس تماثيل اشياء ليست بحيوان والجوابي جمع جابية وهي البركة التي يجبى
اليها الماء وراسيات معناه ثابتات لكبرها ليست مما ينقل او يحمل ولا يستطيع
على عمله الا الجن ثم امروا مع هذه النعم بان يعملوا بالطاعات وشكرا يحتمل نصبه على
الحال او على جهة المفعول اي اعملوا عملا هو الشكر كان العبادات كلها هي نفس الشكر
وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فتلا هذه الاية ثم قال ثلاث من
اوتيهن فقد اوتي العمل شكرا العدل في الرضا والغضب والقصد في الفقر والغنى
وخشية الله في السر والعلانية هذا نقل ابن العربي في هذا الحديث في احكامه عبارة
الداودي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ على المنبر اعملوا آل داود شكرا فقال
ثلاث من اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي آل داود العدل في الغضب والرضا والقصد
في الفقر والغنى وذكر الله في السر والعلانية قال القرطبي الشكر تقوى الله والعمل بطاعته
انتهى قال ثابت روي ان داود كان قد جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن

تاتي ساعة من ساعات الليل والنهار الا وانسان من ال داود قائم يصلي فتناوبون
دائما وكان سليمان عليه السلام فيما روي ياكل الشعير ويطعم اهله الخشكار ويطعم المساكين
الدرمك وروي انه ما شبع قط فقيل له في ذلك فقال اخاف ان شبعت ان انسى الجياع
وقوله تعالى وقليل من عبادي الشكور يحتمل ان تكون مخاطبة لال داود ويحتمل ان تكون
مخاطبة لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام وعلى كل وجه ففيهما تحريض وتنبيه قال
ابن عطاء الله في الحكم من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها
وقال صاحب الكلم الفارقية لا تغفل عن شكر الصنائع وسرعة استرجاع الودائع
وقال ايضا يا ميتا نشر من قبر العدم. بحكم الجود والكرم. لا تنس سوالف العهود ولذم
اذكر عهد الايجاد. وذمة الاحسان والارفاد. وحال الاصدار والايراد. وفاتحة المبدا
وخاتمة المعاد. وقال رحمه الله يا دائم الغفلة عن عظمة ربه. اين النظر في عجائب صنعه
والتفكر في غرائب حكمته. اين شكر ما افاض عليك من ملابس احسانه ونعمه يا ذا الفطنة
اغتنم نعمة المهلة. وفرصة المكنة. وخلسة السلامة. قبل حلول الحسرة والندامة وقوله
تعالى فلما قضينا عليه الموت الاية روي عن ابن عباس وابن مسعود في قصص هذه الاية
كلام طويل حاصله ان سليمان عليه السلام لما احس بقرب اجله فاجتهد عليه السلام
وجد في العبادة وجاءه ملك الموت واخبره بانه امر بقبض روحه وانه لم يبق له الا
مدة يسيرة قال الثعلبي وقال سليمان عند ذلك اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الانس
ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب اشياء وانهم
يعلمون ما في غد ولما اعلمه ملك الموت بقرب الاجل امر الجن فصنعت له قبة
من زجاج تشف ودخل فيها يتعبد ولم يجعل لها بابا وتوكا على عصاه على وضع
يتماسك معه وان مات ثم توفي عليه السلام على تلك الحالة فلما مضى لموته سنة
خر عن عصاه والعصى قد اكلتها الارضة وهي الدودة التي تاكل العود فرات الجن انخراره
فتوهمت موته والمنساة العصى وقرا الجمهور تبينت الجن باسناد الفعل اليها اي بان
امرها كانه قال افتضحت الجن اي للانس هذا تاويل ويحتمل ان يكون قوله تبينت
الجن بمعنى علمت الجن وتحققت ويريد بالجن جمهورهم والخدمة منهم ويريد
بالضمير في كانوا رؤساهم وكبارهم لانهم هم الذين يدعون علم الغيب لاتباعهم
من الجن والانس وقرا يعقوب تبينت الجن على بناء الفعل للمفعول اي تبينها
الناس والعذاب المهين ما هم فيه من الخدمة والتسخير وغير ذلك والمعنى ان الجن لو
كانت تعلم الغيب لما خفي عليها موت سليمان وقد ظهر انه خفي عليها بدوامها في الخدمة
الصعبة وهو ميت فالمهين المذل من الهوان وحكى الثعلبي ان الشياطين قالت للارضة
لو كنت تاكلين الطعام لاتيناك باطيب الطعام والشراب ولكنا سننقل اليك الماء والطين
فهم ينقلون اليها ذلك حيث كانت شكرا لها انتهى وقوله لقد كان لسبا في مساكنهم
اية الاية هذا مثل لقريش بقوم انعم الله عليهم فلم يشكروا فانتقم منهم اي فانتم ايها
الكفرة مثلهم وسبا هنا يراد به القبيل واختلف لم سمي القبيل بذلك فقالت فرقة

هو اسم امراة وقيل اسم موضع سمي به القبيل وقال الجمهور هو اسم رجل هو ابو القبيل كله
وفيه حديث فروة ابن مسيك المتقدم في سورة النمل خرجه الترمذي واية معناه عبرة
وعلامة على فضل الله وقدرته وجنتان مبتدا وخبره عن يمين وشمال او خبر مبتدا
محذوف تقديره هي جنتان وقيل جنتان بدل من اية وضعف وروي في قصصهم انه
كان في ناحية اليمن واد عظيم بين جبلين وكانت جنبتا الوادي فواكه وزروعا وكان قد
بني في راس الوادي عند اول الجبلين جسر عظيم من حجارة من الجبل الى الجبل فاحتبس الماء
فيه وصار بحيرة عظيمة واخذ الماء من جنبتيها فمشى مرتفعا يسقي جنات كثيرة وجنتي
الوادي قيل بنته بلقيس وقيل بناه حمير ابو القبائل اليمنية كلها وكانوا بهذه الحالة في ارغد
عيش وكانت لهم بعد ذلك قرى ظاهرة متصلة من اليمن الى الشام وكانوا ارباب تلك
البلاد في ذلك الزمان ت وقول ابن عطية وكان قد بني في راس الوادي عند اول
الجبلين صوابه وكان قد بني في اسفل الوادي عند اخر الجبلين وكلوا فيه حذف معناه قيل
لهم كلوا وطيبة معناه كريمة التربة حسنة الهوا وروي ان هذه المقالة من الامر بالاكل
والشكر والتوقيف على طيب البلدة وغفران الرب مع الايمان به هي من قول الانبياء لهم
وبعث اليهم فيما روي ثلاثة عشر نبيا فكفروا بهم واعرضوا فبعث الله على ذلك السد جرذا
اعمى توالد فيه وخرقه شيئا بعد شيء فانخرق السد وفاض الماء على اموالهم وجناتهم
فغرقها واهلك كثيرا من الناس ممن لم يمكنه الفرار واختلف في العرم فقال المغيرة بن حكيم
وابو ميسرة هو كل ما بني او سنم ليمسك الماء وقال ابن عباس وغيره العرم اسم وادي
ذلك الماء بعينه الذي كان السد بني له وقال ابن عباس ايضا العرم الشديد قال ع
فكانه صفة للسيل من العرامة والاضافة الى الصفة مبالغة وهي كثيرة في كلام
العرب وقيل العرم صفة للمطر الشديد الذي كان عنه ذلك السيل وقوله تعالى وبدلناهم
بجنتيهم جنتين فيه تجوز واستعارة وذلك ان البدل من الخمط والاثل لم يكن جنات
لكن هذا كما تقول لمن جرد ثوبا جديدا وضرب ظهره هذا الضرب ثوب صالح لك
ونحو هذا والخمط شجر الاراك قاله ابن عباس وغيره وقيل الخمط كل شجر له شوك وثمرة
كريهة الطعم بمرارة او حمضة او نحوه ومنه تخمط اللبن اذا تغير طعمه والاثل ضرب
من الطرفا هذا هو الصحيح والسدر معروف وهو له نبق يشبه العناب لكنه دونه
في الطعم بكثير والخمط ثمر غث هو البرير والاثل ثمر قليل الغناء غير حسن الطعم
وقرا نافع وابن كثير اكل بضم الهمزة وسكون الكاف والباقون بضمها وهما بمعنى
الجنا والثمرة ومنه تؤتي اكلها كل حين اي جناها وقرا ابو عمرو واكل خمط باضافة
اكل الى خمط وقوله تعالى ذلك اشارة الى ما اجراه عليهم وقوله تعالى وهل يجازى
اي يناقش ويقارض بمثل فعله قدرا بقدر لان جزاء المومن انما هو بتفضل وتضعيف
ثواب واما الذي لا يزاد ولا ينقص فهو الكافر وقرا حمزة والكسائي وهل نجازي
بالنون وكسر الزاي الكفور بالنصب وقوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى الاية
هذه الاية وما بعدها وصف حالهم قبل مجيء السيل وهي ان الله تعالى مع ما كان

منهم من الجنتين والنعمة الخاصة بهم كان قد اصلح لهم البلاد المتصلة وعمرها وجعلهم اربابها وقرب السير بان قرب القرى بعضها من بعض حتى كان المسافر من مارب الى الشام يبيت في قرية ويقيل في قرية فلا يحتاج الى حمل زاد والقرى المدن والقرى التي باركنا فيها هي بلاد الشام باجماع المفسرين والقرى الظاهرة هي التي بين الشام ومارب وهي اسم بلدهم قال ابن عباس هي قرى عربية بين المدينة والشام واختلف في معنى ظاهرة فقالت فرقة معناه مستعلية مرتفعة في الاكام وهي اشرف القرى وقالت فرقة معناه يظهر بعضها من بعض فهي ابدا في قبضة عين المسافر لا يخلو عن رؤية شيء منها قال ع والذي يظهر لي ان معنى ظاهرة خارجة عن المدن فهي عبارة عن القرى الصغار التي هي في ظواهر المدن والله اعلم و آمنين اي من الخوف والجوع والعطش وآفات السفر ثم حكى سبحانه عنهم مقالة قالوها على جهة البطر والاشر وهي طلب البعد بين الاسفار كانهم ملوا النعمة في القرب وطلبوا استبدال الذي هو ادنى بالذي هو خير وظلموا انفسهم ففرق الله شملهم وخرب بلادهم وجعلهم احاديث ومنه المثل السائر تفرقوا ايادي سبا وايدي سبا يقال المثل بالوجهين وهذا هو تمزيقهم وكل ممزق فتيامن منهم ستة قبايل وتشاءمت منهم اربعة حسب ما في الحديث ثم اخبر تعالى محمدا وامته على جهة التنبيه بان هذه القصص فيها ايات وعبر لكل مؤمن متصف بالصبر والشكر و قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه الاية قرأها نافع وابو عمرو وابن عامر ولقد صدق بتخفيف الدال و قرأ حمزة والكسائي صدق بتشديد فالظن على هذه القراءة مفعول بصدق ومعنى الاية ان ابليس ظن فيهم ظنا حيث قال ولا تجد اكثرهم شاكرين وغير ذلك فصدق ظنه فيهم واخبر تعالى انهم اتبعوه وهو اتباع في كفر لانه في قصة قوم كفار و قوله ممن هو منها في شك يدل على ذلك و من في قوله من المؤمنين لبيان الجنس لا للتبعيض و قوله وما كان له عليهم من سلطان اي من حجة قال الحسن والله ما كان له سيف ولا سوط ولكنه استمالهم فمالوا بتزيينه و قوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله يريد الاصنام والملائكة وذلك ان منهم من كان يعبد الملائكة وهذه الاية تعجيز واقامة حجة ويروى ان الاية نزلت عند الجوع الذي اصاب قريشا ثم جاء بصفة هؤلاء الذين يدعونهم الهة انهم لا يملكون ملك اختراع مثقال ذرة في السماء ولا في الارض وانهم لا شرك لهم فيهما وهذان نوعا الملك اما استبداد واما مشاركة فنفى عنهم جميع ذلك ونفى ان يكون منهم لله تعالى معين في شيء و الظهير المعين ثم قرر في الاية بعد ان الذين يظنون انهم يشفعون لهم عند الله لا تصح منهم شفاعة لهم اذ هؤلاء كفرة ولا ياذن الله في الشفاعة في كافر و قرأ حمزة والكسائي وابو عمرو اذن بضم الهمزة و قوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم الاية الضمير في قلوبهم عائد على الملائكة الذين دعوهم الهة قال ابن عطية وتظاهرت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه الاية اعني قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم انما هي في الملائكة اذا سمعت الوحي الى جبريل وبالامر يامر الله به سمعت كجر سلسلة الحديد على الصفوان فتفزع عند ذلك تعظيما وهيبة لله تبارك وتعالى وقيل خوفا ان تقوم الساعة فاذا فزع ذلك

فزع عن قلوبهم اي اطير الفزع عنها وكشف فيقول بعضهم لبعض ولجبريل ماذا قال ربكم فيقول المسؤولون قال الحق وهو العلي الكبير ت ولفظ الحديث من طريق ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله امرا في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير انتهى وقرأ الجمهور فزع بضم الفاء ومعناه اطير الفزع عنهم و قولهم وهو العلي الكبير تمجيد وتحميد ثم امر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام على جهة الاحتجاج واقامة الدليل على الرازق لهم من السموات والارض من هو ثم امره ان يقتضب الاحتجاج بان ياتي بجواب السؤال اذ هم في بهتة ووجمة من السؤال واذ لا جواب لهم الا ان يقولوا هو الله وهذه السبيل في كل سؤال جوابه في غاية الوضوح لان المحتج يريد ان يقتضب ويتجاوز الى حجة اخرى يوردها ونظائرها في القران كثير و قوله وانا او اياكم تلطف في الدعوة والمحاورة والمعنى كما تقول لمن خالفك في مسالة احدنا مخطئ اي تثبت وتنبه والمفهوم من كلامك ان مخالفك هو المخطئ فكذلك هذا معناه وانا لعلى هدى او في ضلال مبين وانكم لعلى هدى او في ضلال مبين فتنبهوا و المقصد ان الضلال في حيزهم وحذف احد الخبرين لدلالة الباقي عليه و قوله تعالى لا تسألون الاية مهادنة ومتاركة منسوخة و قوله تعالى قل يجمع بيننا ربنا بالبعث و يفتح معناه يحكم و الفتاح القاضي وهو مشهور في لغة اليمن و اروني هي هنا رؤية قلب وهذا هو الصحيح اي اروني بالحجة والدليل و قوله كلا رد لما تقرر من مذهبهم في الاشراك و قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس الاية اعلام من الله تعالى بانه بعث محمدا عليه الصلاة والسلام الى جميع العالم وهي احد خصائصه التي خص بها بين سائر الانبياء وباقي الاية بين قال ابو عبيدة الوعد والوعيد والميعاد بمعنى وخولف في هذا والذي عليه الناس ان الوعد اذا اطلق ففي الخير والوعيد في المكروه والميعاد يقع لهذا ولهذا و قوله تعالى وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القران ولا بالذي بين يديه هذه المقالة قالها بعض قريش وهي انهم لا يؤمنون بالقرآن ولا بالذي بين يديه من التوراة والانجيل والزبور فكانهم كذبوا بجميع كتب الله عز وجل وانما فعلوا هذا لما وقع الاحتجاج عليهم لما في التوراة من امر محمد عليه الصلاة والسلام قاله الواحدي قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض القول اي في التلاوم وباقي الاية بين و قولهم بل مكر الليل والنهار المعنى بل كفرنا بمكركم بنا في الليل والنهار و اضاف المكر الى الليل والنهار من حيث هو فيهما ولتدل هذه الاضافة على الدؤوب والدوام و الضمير في اسروا عام لجميعهم من المستضعفين والمستكبرين و قوله تعالى وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون هذه الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن فعل قريش وقولها اي هذه يا محمد سيرة الامم فلا يهمنك امر قومك و القرية المدينة و المترف الغني المنعم القليل تعب النفس والبدن فعادتهم المبادرة بالتكذيب و قوله وقالوا نحن اكثر اموالا الاية يحتمل ان يعود الضمير في قالوا على المترفين ويحتمل ان يكون لقريش ويكون كلام المترفين قد تم قبله و في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم

ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم انتهى واعلم ان المال الزائد عن قدر الحاجة قل ان يسلم صاحبه
من الافات الا من عصمه الله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض وقد جاء فى صحيح البخارى
وغيره من رواية ابى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الاكثرون مالا هم الاقلون يوم القيمة
الا من قال بالمال هكذا وهكذا واشار ابن شهاب بين يديه وعن يمينه وعن شماله وقليل
ما هم انتهى وروى ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا حيوة ابن شريح عن عقيل بن خالد عن
سلمة بن ابى سلمة عن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الشيطان قال لن ينجو منى الغنى اما ان ازين ماله فى عينيه فيمنعه من حقه واما ان اسهل
له سبيله فينفقه فى غير حقه واما ان احببه فيكسبه بغير حق انتهى والزلفى مصدر بمعنى
القرب وقوله الا من آمن استثناء منقطع وقرا الجمهور جزاء الضعف بالاضافة والضعف
هنا اسم جنس اى بالتضعيف اذ بعضهم يجازى الى عشرة وبعضهم اكثر صاعدا الى سبعمائة
بحسب الاعمال ومشيئة الله فيها قوله تعالى والذين يسعون فى اياتنا معاجزين تقدم تفسيره
ومحضرون من الاحضار والاعداد ثم كرر القول ببسط الرزق لا على المعنى الاول بل هذا
هنا على جهة الوعظ والتزهيد فى الدنيا والحض على النفقة فى الطاعات ثم وعد بالخلف
فى ذلك اما فى الدنيا واما فى الاخرة وفى البخارى ان ملكا ينادى كل يوم اللهم اعط منفقا
خلفا ويقول ملك اخر اللهم اعط ممسكا تلفا وروى الترمذى عن ابى كبشة الانمارى
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث اقسم عليهن واحدثكم حديثا فاحفظوه
قال ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها الا زاده الله عزا ولا
فتح عبد باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر او كلمة نحوها الحديث قال ابو عيسى هذا
حديث حسن صحيح انتهى وقوله تعالى ويوم يحشرهم الاية تقدم تفسير نظيرها مكررا وفى
القران ايات يظهر منها ان الجن عبدت فى سورة الانعام وغيرها ثم قال تعالى فاليوم اى
يقال لمن عبد ومن عبد اليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا وقوله تعالى وما اتيناهم
من كتب يدرسونها الاية المعنى ان هؤلاء الكفرة يقولون بارائهم فى كتاب الله فيقول
بعضهم سحر وبعضهم افتراء وذلك منهم تسور لا يستندون فيه الى اثارة علم فانا ما
اتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يباشرهم ويشافههم
فيمكنهم ان يسندوا دعواهم اليه وقوله تعالى وما بلغوا معشار ما اتيناهم الضمير
فى بلغوا يعود على قريش وفى اتيناهم يعود على الامم الذين من قبلهم والمعنى من القوة
والنعم والظهور فى الدنيا قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد والمعشار العشر ولم يات
هذا البناء الا فى العشرة والاربعة فقالوا مرباع ومعشار والنكير مصدر كالانكار
فى المعنى وكالعذير فى الوزن وكيف تعظيم للامر وليست استفهاما مجردا وفى هذا
تهديد لقريش اى انهم متعرضون لنكير مثله ثم امر تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام
ان يدعوهم الى عبادة الله تعالى والنظر فى حقيقة نبوته هو وهو يعظهم بامر مقرب
للافهام فقوله بواحدة معناه بقضية واحدة ايجازا لكم وتقريبا عليكم وهى ان

ان تقوموا لله اى لاجل الله او لوجه الله مثنى اى اثنين متناظرين وفرادى اى واحدا
واحدا ثم تتفكروا هل بصاحبكم جنة او هو برئ من ذلك والوقف عند ابى حاتم على
تتفكروا فيجئ ما بصاحبكم نفيا مستانفا وهو عند سيبويه جواب ما تنزل منزلة القسم
وقيل فى الاية غير هذا مما هو بعيد من الفاظها فتعين تركه قوله تعالى قل ما سالتكم
من اجر فهو لكم معنى الاية بين واضح لا يفتقر الى بيان وقوله سبحانه يقذف بالحق يريد الوحى
وايات القران واستعار له القذف من حيث كان الكفار يرمون بايانه وحكمه وقوله
سبحانه قل جاء الحق يريد الشرع بجملته وما يبدئ الباطل وما يعيد قالت فرقة الباطل
غير الحق من الكذب والكفر ونحوه استعار له البدء والاعادة ونفاهما عنه كانه قال وما
يصنع الباطل شيئا وقوله فيما يحتمل ان تكون ما بمعنى الذى او مصدرية وقوله تعالى
ولو ترى اذ فزعوا الاية قال الحسن بن ابى الحسن ذلك فى الكفار عند خروجهم من القبور
فى القيمة قال ع وهذا ارجح الاقوال هنا واما معنى الاية فهو التعجب من حالهم اذ
فزعوا من اخذ الله اياهم ولم يتمكن لهم ان يفوت منهم احد واخذوا من مكان قريب
اى ان الاخذ يجيئهم من قرب فى طمأنينتهم وبعقبها بينما الكافر يؤمل ويترجى اذ غشيه الاخذ
ومن غشيه الاخذ من قرب فلا حيلة له ولا روية وقالوا امنا به الضمير فى به عائد على
الله تعالى وقيل على محمد وشرعه والقران وقرا نافع وعامة القراء التناوش دون
همز ومعناه التناول من قولهم ناش ينوش اذا تناول وعبارة الواحدى وانى لهم
التناوش بالهمز فيحتمل ان يكون تفسيره كالقراءة الاولى ويحتمل ان يكون من الطلب
يقول انتاشت الخير اذا طلبته من بعد ت وقال البخارى التناوش الرد من الاخرة الى
الدنيا انتهى ويقذفون بالغيب اى يرجمون بظنونهم ويرمون بها الرسول وكتاب
الله وذلك غيب عنهم فى قولهم سحر وافتراء وغير ذلك قاله مجاهد وقال قتادة قذفهم
بالغيب هو قولهم لا بعث ولا نار وقوله سبحانه وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال الحسن
معناه من الايمان والتوبة والرجوع الى الانابة والعمل الصالح وذلك انهم اشتهوه فى
وقت لا ينفع فيه التوبة وقاله ايضا قتادة وقال مجاهد معناه وحيل بينهم وبين نعيم
الدنيا وقيل معناه وحيل بينهم وبين الجنة ونعيمها كما فعل باشياعهم من قبل والاشياع
الفرق المتشابهة فاشياع هؤلاء هم الكفرة من كل امة م قال ابو حيان والمريب اسم فاعل
من اراب اى اتى بريبة وارتبته او وقعته فى ريبة ونسبة الارابة الى الشك مجاز
قال ابن عطيه والشك المريب اقوى ما يكون من الشك واشده اظلاما انتهى كلامه

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه وسلم تسليما سورة فاطر مكية قوله تعالى الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل
الملائكة رسلا اولى اجنحة الاية رسلا معناه بالوحى وغير ذلك من اوامره سبحانه
كجبريل وميكائيل وعزرائيل رسل والملائكة المتعاقبون رسل وغير ذلك ومثنى
وثلاث ورباع الفاظ معدولة عن اثنين وثلاثة واربعة عدلت فى حالة
التنكير فتعرفت بالعدل فهى لا تنصرف للعدل والتعريف وقيل للعدل والصفة وفائدة

اى كيف لهم تناولها ولو التوبة وقد بعدت عنهم انتهى وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائى التناؤش م

العدل الدلالة على التكرار لان مثنى بمنزلة قولك اثنين اثنين قال قتادة ان انواع الملائكة
هم هكذا منها ما له جناحان ومنها ما له ثلاثة ومنها ما له اربعة ويشذ منها ما له اكثر
من ذلك وروي ان لجبريل عليه السلام ستمائة جناح اثنان منها يبلغان من المشرق الى المغرب وقوله
تعالى يزيد في الخلق ما يشاء تقرير لما يقع في النفوس من التعجب عند الخبر بالملائكة اولي الاجنحة
اي ليس هذا ببدع في قدرة الله تعالى فانه يزيد في الخلق ما يشاء وروي عن الحسن وابن شهاب
انهما قالا المزيد هو حسن الصوت قال الهيثم الفارسي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي
انت الهيثم الذي تزين القرآن بصوتك جزاك الله خيرا وقيل من الاقوال في الزيادة غير هذا وذلك
على جهة المثال لا ان المقصد هي فقط وقوله تعالى ما يفتح الله ما شرط ويفتح جزم بشرطه وقوله
من رحمة عام في كل خير يعطيه الله تعالى العباده وقوله من بعده فيه حذف مضاف اي من
بعد امساكه ومن هذه الاية سمت الصوفية ما تعطاه من الاموال والمطاعم وغير ذلك الفتوحات
وقوله تعالى يا ايها الناس خطاب لقريش وهو متوجه لكل كافر وقوله سبحانه فلا تغرنكم الحياة الدنيا
قلت هذه الاية معناها بين قال ابن عطاء الله ينبغي للعبد ان يقلل الدخول في اسباب الدنيا
فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان قليل الدنيا يلهي عن كثير الاخرة وقال صلى الله عليه وسلم
ما طلعت الشمس الا وبجنبيها ملكان يناديان يا ايها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى
خير مما كثر والهى انتهى من لطائف المنن وقرأ الجمهور الغرور بفتح الغين وهو الشيطان وقوله
ان الشيطان لكم عدو الاية يقوي قراءة الجمهور فاتخذوه عدوا اي بالمباينة والمقاطعة
والمخالفة باتباع الشرع وقوله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا توقيف وجوابه
محذوف ويمكن ان يقدر كمن اهتدى ونحو هذا من التقدير واحسن التقدير ما دل اللفظ
بعد عليه وقرأ الجمهور فلا تذهب بفتح التاء والهاء نفسك بالرفع وقرأ قتادة وغيره
تذهب نفسك بضم التاء وكسر الهاء نفسك بالنصب ورويت عن نافع والحسرة هم النفس
على فوات امر وهذه الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن كفر قومه ووجب التسليم لله عز
وجل في اضلال من شاء وهداية من شاء وقوله سبحانه والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا
فسقناه الى بلد ميت هذه اية احتجاج على الكفرة في انكارهم البعث من القبور وقوله تعالى من
كان يريد العزة يحتمل ان يريد من كان يريد العزة بمغالبة فلله العزة اي ليست لغيره ولا تتم
الا له ونحا اليه مجاهد وقال من كان يريد العزة بعبادة الاوثان قال ع وهذا تمسك بقوله تعالى
واتخذوا من دونه آلهة ليكونوا لهم عزا ويحتمل ان يريد العزة وطريقها القويم ويحب نيلها
على وجهها فلله العزة اي به وعن امره لا تنال عزته الا بطاعته ونحا اليه قتادة قوله تعالى
اليه يصعد الكلم الطيب اي التوحيد والتحميد وذكر الله تعالى ونحوه وقوله والعمل الصالح يرفعه
قيل المعنى يرفعه الله وهذا ارجح الاقوال وقال ابن عباس وغيره ان العمل الصالح هو الرافع للكلم
وهذا التاويل انما يستقيم بان يتاول على معنى انه يزيد في رفعه وحسن موقعه قلت وعن
ابن مسعود قال اذا حدثناكم بحديث اتيناكم بتصديق ذلك في كتاب الله سبحانه ان العبد اذا قال سبحان
الله والحمد لله والله اكبر وتبارك الله قبض عليهن ملك فضمهن تحت جناحه وصعد بهن
لا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يجاء بهن وجه الرحمن سبحانه ثم تلا عبد الله

ابن مسعود

ابن مسعود اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه رواه الحاكم في المستدرك
وقال صحيح الاسناد انتهى من السلاح ويمكرون السيئات اي المكرات السيئات ويبور معناه
يفسد ويبقى لا نفع فيه قوله تعالى والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا
وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الاية قيل معنى الازواج
هنا الانواع وقيل اراد تزويج الرجال النساء والضمير في عمره قال ابن عباس وغيره ما مفهومه
انه عائد على معمر الذي هو اسم جنس والمراد غير الذي يعمر وقال ابن جبير وغيره بل المراد شخص
واحد وعليه يعود الضمير اي ما يعمر انسان ولا ينقص من عمره بان يحصي ما مضى منه اذا
مر حول كتب ما مضى منه فاذا مر حول اخر كتب ذلك ثم حول ثم حول فهذا هو النقص
قال ابن جبير فما مضى من عمره هو النقص وما يستقبل فهو الذي يعمر قوله تعالى
وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تاكلون
لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله
ولعلكم تشكرون تقدم تفسير نظير هذه الاية قوله تعالى وسخر الشمس والقمر كل يجري
لاجل مسمى الاية الاجل المسمى هو قيام الساعة وقيل آماد الليل وآماد النهار والقطمير
القشرة الرقيقة التي على نوى التمرة وقال الضحاك وغيره القطمير القمع الذي في رأس التمرة
والاول اشهر واصوب ثم بين تعالى بطلان الاصنام بثلاثة اشياء اولها انها لا تسمع اذا
دعيت والثاني انها لا تجيب ان لو سمعت وانما جاء بهذه لان لقائل متعسف ان يقول
عساها تسمع والثالث انها تتبرأ يوم القيامة من الكفرة وقوله تعالى ولا ينبئك مثل خبير
قال المفسرون الخبير هنا هو الله سبحانه فهو الخبير الصادق الخبر ونبأه بهذا فلا
شك في وقوعه وقوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله الاية اية وعظ وتذكير والانسان
فقير الى الله تعالى في دقائق الامور وجلائلها لا يستغني عنه طرفة عين وهو به مستغن
عن كل احد والله هو الغني الحميد اي المحمود بالاطلاق وقوله بعزيز اي بممتنع وتزر معناه
تحمل وهذه الاية في الذنوب والاثم والوزر لانه ذهب بها مذهب النفس وعلى
ذلك اجريت مثقلة واسم كان مضمر تقديره ولو كان الداعي ثم اخبر تعالى نبيه انه
انما ينذر اهل الخشية ثم حض على التزكي بان رجى عليه غاية الترجية ثم توعد
بعد ذلك بقوله والى الله المصير قال ع وكل عبارة فهي مقصرة عن تفسير هذه الاية
وكذلك كتاب الله كله ولكن يظهر الامر لنا نحن في مواضع اكثر منه في مواضع بحسب
تقصيرنا وقوله سبحانه وما يستوي الاعمى والبصير الاية مضمن هذه الاية الطعن على
الكفرة وتمثيلهم بالعمى والظلمات وتمثيل المؤمنين بازائهم بالبصراء والانوار والحرور
شدة الحر قال الفراء وغيره ان السموم مختص بالنهار والحرور يقال في حر الليل والنهار
وتاول قوم الظل في هذه الاية الجنة والحرور جهنم وشبه المؤمنين بالاحياء
والكفرة بالاموات من حيث لا يفهمون الذكر ولا يقبلون عليه وقوله سبحانه وما انت
بمسمع من في القبور تمثيل بما يحسه البشر ويعهده جميعا من ان الميت لا يسمع
الذي في القبر لا يسمع واما الارواح فلا نقول انها في القبر بل تضمنت الاحاديث

ان ارواح المؤمنين في شجر عند العرش وفي قناديل وغير ذلك وان ارواح الكفرة
في سجين ويجوز في بعض الاحيان ان تكون الارواح عند القبور فربما سمعت وكذلك
اهل قليب بدر انما سمعت ارواحهم فلا تعارض بين الاية والحديث وقوله تعالى وان من
امة الا خلا فيها نذير معناه ان دعوة الله تعالى قد عمت جميع الخلايق وان كان فيهم من
لم تباشره النذارة فهو ممن بلغته لان ادم بعث الى بنيه ثم لم تنقطع النذارة الى محمد
صلى الله عليه وسلم والبينات والزبر والكتاب المنير شيء واحد لكنه اكد اوصاف
بعضها ببعض وقوله تعالى ومن الجبال جدد جمع جدة وهي الطريقة تكون من الارض
والجبل كالقطعة العظيمة المتصلة طولا وحكى ابو عبيدة في بعض كتبه بانه يقال الجدد
في جمع جديد ولا معنى لمدخل الجديد في هذه الاية وقال الثعلبي وقيل الجدد القطع
جددت الشيء اذا قطعته انتهى وقوله وغرابيب سود لفظان لمعنى واحد وقدم الاوصف
الابلغ وكان حقه ان يتاخر وكذلك هو في المعنى لكن كلام العرب الفصيح ياتي كثيرا على هذا النحو
والمعنى ومنها اي من الجبال سود غرابيب وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يبغض الشيخ الغربيب
يعني الذي يخضب بالسواد ومن الناس والدواب والانعام اي خلق مختلف الوانه قوله تعالى كذلك يحتمل
ان يكون من الكلام الاول فيجيء الوقف عليه حسنا والى هذا ذهب كثير من المفسرين ويحتمل ان يكون
من الكلام الثاني خرج مخرج السبب كانه قال كما جاءت القدرة في هذا كله كذلك انما يخشى الله من عباده
العلماء اي المحصلون لهذه العبر الناظرون فيها وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اعلمكم بالله اشدكم له خشية وقال صلى الله عليه وسلم راس الحكمة مخافة الله وقال الربيع بن
انس من لم يخش الله فليس بعالم قال ابن عباس في تفسير هذه الاية كفى بالزهد علما ويقال
ان فاتحة الزبور راس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وبالاغترار
به جهلا وقال مجاهد والشعبي انما العالم من يخشى الله وانما في هذه الاية تخصيص للعلماء
لا للحصر قال ابن عطاء الله في الحكم العلم النافع الذي ينبسط في الصدر شعاعه ويكشف عن القلب
قناعه خير علم ما كانت الخشية معه والعلم ان قارنته الخشية فلك والا فعليك وقال التنوير
اعلم ان العلم حيث ما تكرر في الكتاب العزيز وفي السنة فانما المراد به العلم النافع الذي تقارنه
الخشية وتكتنفه المخافة قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فبين سبحانه ان
الخشية تلازم العلم وفهم من هذا ان العلماء انما هم اهل الخشية انتهى قال ابن عباد في شرح
الحكم واعلم ان العلم النافع المتفق عليه فيما سلف انما هو العلم الذي يؤدي صاحبه الى الخوف
والخشية وملازمة التواضع والذلة والتخلق باخلاق الايمان الى ما يتبع ذلك من بغض الدنيا
والزهادة فيها وايثار الاخرة عليها ولزوم الادب بين يدي الله تعالى الى غير ذلك من الصفات العلية
والمناحي السنية انتهى وهذه المعاني كلها محصلة في كتب الغزالي وغيره رضي الله عن جميعهم
ونفعنا الله ببركتهم قال صاحب الكلم الفارقية والحكم الحقيقية العلم النافع ما زهدك في
دنياك ورغبك في اخرتك وزاد في خوفك ونقوتك وبعثك على طاعة مولاك وصفاك من
كدر هواك وقال رحمه الله العلوم النافعة ما كانت للهمم رافعة وللاهواء قامعة وللشكوك
صارفة دافعة انتهى وقوله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما

مما رزقناهم الاية قال مطرف بن عبد الله بن الشخير هذه اية القراء قال ع وهذا على ان يتلو
بمعنى يقرءون وان جعلناه بمعنى يتبعون صح معنى الاية وكانت في القراء وغيرهم ممن اتصف باوصاف
الاية وكتاب الله هو القرآن واقامة الصلوة اي بجميع شروطها والنفقة هي في الصدقات ووجوه البر
ولن تبور معناه لن تكسد ويزيدهم من فضله هو تضعيف الحسنات وقالت فرقة هو النظر
النظر الى وجه الله عز وجل واما ان يجعلهم شافعين في غيرهم كما قال للذين احسنوا الحسنى
وزيادة ت وقد خرج ابو نعيم باسناده عن الثوري عن شقيق بن عبد الله قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله قال اجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من
فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع اليهم المعروف في الدنيا وخرج ابن ماجة في سننه
عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف الناس صفوفا وقال ابن نمير
اهل الجنة فيمر الرجل من اهل النار على الرجل من اهل الجنة فيقول يا فلان اما تذكر يوم استسقيتني فسقيتك
شربة قال فيشفع له ويمر على الرجل فيقول اما تذكر يوم ناولتك طهورا فيشفع له قال ابن نمير
ويقول يا فلان اما تذكر يوم بعثتني لحاجة كذا وكذا فذهبت لك فيشفع له وخرجه الطحاوي
وابن وضاح بمعناه انتهى من التذكرة قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا الاية اورثنا
معناه اعطيناه فرقة بعد موت فرقة والكتاب هنا يريد به معاني الكتاب وعلمه واحكامه وعقائده
وكان الله تعالى لما اعطى امة محمد القرآن وهو قد تضمن معاني الكتب المنزلة قبله فكانه ورث امة محمد الكتاب الذي كان في الامم قبلها قال ابن عطاء الله في التنوير
قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رحمه الله اكرم المؤمنين وان كانوا عصاة فاسقين ومرهم
بالمعروف وانههم عن المنكر واهجرهم رحمة بهم لا تعززا عليهم فلو كشف عن نور المؤمن
العاصي لطبق السماء والارض فما ظنك بنور المطيع ويكفيك في تعظيم المؤمنين وان كانوا عن
الله غافلين قول رب العالمين ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فانظر كيف اثبت لهم الاصطفا
مع وجود ظلمهم واعلم انه لا بد في مملكته من عباد هم نصيب الحلم ومحل ظهور الرحمة
والمغفرة ووقوع الشفاعة انتهى والذين اصطفينا يراد امة محمد صلى الله عليه وسلم
قاله ابن عباس وغيره واصطفينا معناه اخترنا وفضلنا والعباد عام في جميع العالم
واختلف في عود الضمير من قوله فمنهم فقال ابن عباس وغيره ما مقتضاه ان الضمير عائد
على الذين اصطفينا وان الاصناف الثلاثة هي كلها في امة محمد عليه السلام فالظالم العاصي
المسرف والمقتصد متقي الكبائر وهم جمهور الامة والسابق المتقي على الاطلاق وقالت هذه
الفرقة الاصناف الثلاثة في الجنة وقاله ابو سعيد الخدري والضمير في يدخلونها عائد
على الاصناف الثلاثة قالت عائشة وكعب دخلوها كلهم ورب الكعبة وقال ابو اسحاق
السبيعي اما الذي سمعت منذ ستين سنة فكلهم ناج وقال ابن مسعود هذه الامة
يوم القيامة اثلاث ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا
ثم يدخلون الجنة وثلث يجيئون بذنوب عظام فيقول الله عز وجل ما هؤلاء وهو
اعلم بهم فتقول الملائكة هم مذنبون الا انهم لم يشركوا فيقول عز وجل ادخلوهم
في سعة رحمتي وروى اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية وقال

المومن ص

كلهم فى الجنة وقرأ عمر هذه الاية ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق
ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له. وقال عكرمة والحسن وقتادة ما مقتضاه ان
الضمير فى منهم عايد على العباد فالظالم لنفسه الكافر والمقتصد المؤمن العاصى والسابق التقى على
الاطلاق وقالوا هذه الاية نظير قوله تعالى وكنتم ازواجا ثلثة الاية والضمير فى يدخلونها
على هذا التاويل خاص بالمقتصد والسابق وباقى الاية بين والحزن فى هذه الاية عام فى جميع
الاحزان وقولهم ان ربنا لغفور شكور وصفوه سبحانه بانه يغفر الذنوب ويجازى على
القليل من الاعمال بالكثير من الثواب وهذا هو شكره لا رب سواه ودار المقامة الجنة و
المقامة الاقامة والنصب تعب البدن واللغوب تعب النفس اللازم عن تعب البدن وقوله
سبحانه والذين كفروا لهم نار جهنم هذه الاية تؤيد التاويل الاول من الثلاثة الاصناف
هى كلها فى الجنة لان ذكر الكافرين افرد هاهنا وقوله لا يقضى عليهم اى لا يجهز عليهم وقوله
ربنا اخرجنا اى يقولون هذه المقالة فيقال لهم على جهة التوبيخ اولم نعمركم الاية واختلف
فى المدة التى هى حد للتذكر فقال الحسن بن ابى الحسن البلوغ يريد انه اول حال التذكر وقال
ابن عباس اربعون سنة وهذا قول الحسن ورويت فيه اثار وروى ان العبد اذا بلغ اربعين
سنة ولم يتب مسح الشيطان على وجهه وقال بابى وجه لا يفلح وقيل الستين وفيه حديث
قلت وفى البخارى من بلغ ستين سنة فقد اعذر الله اليه لقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه
من تذكر وجاءكم النذير يعنى الشيب ثم اسند عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اعذر
الله الى امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة انتهى والنذير فى قول الجمهور الانبياء قال الطبرى وقيل النذير الشيب
وهذا ايضا قول الحسن وقوله فعليه كفره اى وبال كفره والمقت احتقارك الانسان
من اجل معصيته والخسار مصدر خسر يخسر وارايتم تنزل عند سيبويه منزلة اخبرونى ولذلك
لا تحتاج الى مفعولين والرؤية فى قوله اروني رؤية بصر قلت قال ابن هشام قوله من الارض
من مرادفة فى ثم قال والظاهر انها لبيان الجنس مثلها ما ننسخ من اية انتهى ثم اضرب سبحانه
عنهم بقوله بل ان يعد اى انما يعدون انفسهم غرورا وقوله ان تزولا اى لئلا تزولا ومعنى
الزوال التنقل من مكانها والسقوط من علوها وعن ابن مسعود ان السماء لا تدور وانما
تجرى فيها الكواكب وقوله تعالى ولئن زالتا قيل اراد يوم القيمة وقوله تعالى ان امسكهما من
احد من بعده اى من بعد تركه الامساك قال ص ان امسكهما ان نافية بمعنى ما وامسك جواب
القسم المقدر قبل اللام الموطئة فى لئن وهو بمعنى يمسك لدخول ان الشرطية كقوله تعالى
ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك اى ما يتبعون وكقوله ولئن ارسلنا
ريحا الاية الى قوله لظلوا من بعده اى ليظلون وحذف جواب ان فى هذه المواضع
لدلالة جواب القسم عليه وقوله من احد من زائدة لتاكيد الاستغراق انتهى وقوله تعالى واقسموا
بالله يعنى قريشا لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم الاية وذلك انه روى ان كفار
قريش كانت قبل الاسلام تنكر على اليهود والنصارى وتاخذ عليهم فى تكذيب بعضهم بعضا وتقول
لو جاءنا نحن رسول لكنا اهدى من هؤلاء واحدى الامم يريدون اليهود والنصارى فلما جاءهم نذير
وهو محمد صلى الله عليه وسلم ما زادهم الا نفورا وقرأ ابن مسعود ومكرا سيئا ويحيق معناه

يحيط ويحل وينزل ولا يستعمل الا فى المكروه وينظرون معناه ينتظرون والسنة الطريقة
والعادة وقوله فلن تجد لسنة الله تبديلا اى لتعذيبه الكفرة المكذبين وفى هذا وعيد
بين وقوله تعالى اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم
قوة وما كان الله ليعجزه من شئ فى السموات ولا فى الارض لما توعدهم سبحانه بسنة الاولين وقفهم
فى هذه الاية على رؤيتهم لما راوا من ذلك فى طريق الشام وغيره كديار ثمود ونحوها ويعجزه معناه
يفوته ويفلته وقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة مبالغة
والمراد بنو ادم لانهم المجازون وقيل المراد الانس والجن وقيل المراد كل ما دب من الحيوان
واكثره انما هو لمنفعة ابن ادم وبسببه والضمير فى ظهرها عايد على الارض والاجل المسمى
القيمة وقوله تعالى فان الله كان بعباده بصيرا وعيد وفيه للمتقين وعد بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

سورة يس مكية

باجماع الا ان فرقة قالت ان قوله تعالى ونكتب ما قدموا واثارهم نزلت فى بنى سلمة حين
ارادوا ان ينتقلوا الى جوار مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وورد فى فضل يس اثار عديدة
فعن معقل بن يسار ان النبى صلى الله عليه وسلم قال قلب القران يس لا يقرؤها رجل يريد الله
والدار الاخرة الا غفر له اقرؤها على موتاكم رواه ابو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم
فى المستدرك وهذا لفظ النسائى وهو عند الباقين مختصر انتهى من السلاح وقوله عز وجل يس
والقران الحكيم انك لمن المرسلين قد تقدم الكلام فى الحروف المقطعة ويختص هذا الموضع باقوال
منها ان ابن جبير قال يس اسم من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس معناه بالحبشية
يا انسان وقال ايضا هو بلغة طى وقال قتادة يس قسم والصراط الطريق والمعنى انك على طريق هدى
ومهيع رشاد واختلف المفسرون فى قوله تعالى ما انذر اباؤهم فقال عكرمة ما بمعنى الذى
والتقدير الشئ الذى انذر اباؤهم من النار والعذاب ويحتمل ان تكون ما مصدرية على هذا
القول ويكون الاباء هم الاقدمون على مر الدهر وقوله فهم مع هذا التاويل بمعنى فانهم
دخلت الفاء لقطع الجملة من الجملة وقال قتادة ما نافية فالاباء على هذا هم الاقربون منهم وهذه
الاية كقوله تعالى وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وهذه النذارة المنفية هى نذارة المباشرة
كما قدمنا وحق القول معناه وجب العذاب وسبق القضاء به وهذا فيمن لم يؤمن من قريش كمن
قتل ببدر وغيرهم وقوله تعالى انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا الاية قال مكى قيل هى حقيقة فى
الاخرة واذا دخلوا النار وقال ابن عباس وغيره الاية استعارة لحال الكفرة الذين ارادوا النبى صلى الله
عليه وسلم بسوء فجعل الله هذه مثلا لهم فى كفه اياهم عنه ومنعهم من اذايته حين بيتوه وقالت
فرقة الاية مستعارة المعانى من منع الله تعالى اياهم من الايمان وحوله بينهم وبينه وهذا ارجح الاقوال
والغل ما احاط بالعنق على معنى التثقيف والتضييق والتعذيب وقوله فهى يحتمل ان يعود على الاغلال
اى هى عريضة تبلغ بحرفها الاذقان والذقن مجتمع اللحيين فيضطر المغلول الى رفع وجهه نحو
السماء وذلك هو الاقماح وهو نحو الاقناع فى الهيئة قال قتادة المقمح الرافع راسه ويحتمل وهو قول
الطبرى ان تعود هى على الايدى وذلك ان الغل انما يكون فى العنق مع اليدين وروى ان فى
مصحف ابن مسعود وابى انا جعلنا فى ايمانهم وفى بعضها فى ايديهم وارى الناس على بن ابى طالب الاقماح

فجعل يده تحت لحيته والصقهما ورفع رأسه وقرأ الجمهور سدا بضم السين في الموضعين وقرأ
حمزة والكسائي وغيرهما سدا بفتح السين فقيل هما بمعنى أي حائلا يسد طريقهم وقال عكرمة
ما كان مما يفعله البشر فهو بالضم وما كان خلقة فهو بالفتح ومعنى الآية أن طريق الهدى سد دونهم
وقوله تعالى إنما تنذر من اتبع الذكر الآية إنما ليست للحصر هنا بل على جهة تخصيص من ينفعه الإنذار
واتباع الذكر هو العمل بما في كتاب الله والاقتداء به قال قتادة الذكر القرآن وقوله بالغيب أي بالخلوات
عند مغيب الإنسان عن أعين البشر ثم أخبر تعالى بإحيائه الموتى ردا على الكفرة ثم توعدهم بذكر كتب
الآثار وإحصاء كل شيء وكل ما يصنعه الإنسان فيدخل فيما قدم ويدخل في آثاره لكنه سبحانه ذكر الأمر من
الجهتين ولينبه على الآثار التي تبقى وتذكر بعد الإنسان من خير وشر وقال جابر بن عبد الله وأبو سعيد
إن هذه الآية نزلت في بني سلمة على ما تقدم وقول النبي صلى الله عليه وسلم دياركم تكتب آثاركم والإمام المبين
قال قتادة وابن زيد هو اللوح المحفوظ وقالت فرقة أراد صحف الأعمال قوله تعالى واضرب لهم مثلا
أصحاب القرية الآية روي عن ابن عباس والزهري وعكرمة أن القرية هنا أنطاكية واختلف في هؤلاء المرسلين
فقال قتادة وغيره كانوا من الحواريين الذين بعثهم عيسى حين رفع وصلب الذي ألقي عليه شبهه فتفرق
الحواريون في الآفاق فقص الله تعالى ما قصة الذين نهضوا إلى أنطاكية وقالت فرقة بل هؤلاء أنبياء من قبل
الله عز وجل قال ع وهذا يرجحه قول الكفرة ما أنتم إلا بشر مثلنا فإنها محاورة إنما تقال لمن ادعى الرسالة
من الله تعالى والآخر محتمل وذكر المفسرون في قصص الآية أشياء يطول ذكرها والصحة فيها غير متيقنة
فاختصرته واللازم من الآية أن الله بعث إليها رسولين فدعيا أهل القرية إلى عبادة الله وتوحيده
فكذبوهما فشدد الله أمرهما بثالث وقامت الحجة على أهل القرية وآمن منهم الرجل الذي جاء يسعى وقتلوه
في آخر أمره وكفروا فأصابتهم صيحة من السماء فخمدوا وقرأ الجمهور فعززنا بتشديد الزاي على معنى قوينا
وشددنا وبهذا فسر مجاهد وغيره وهذه الأمة أنكرت النبوات بقولها وما أنزل الرحمن من شيء قال
بعض المتأولين لما كذب أهل القرية المرسلين أسرع فيهم الجذام وقال مقاتل احتبس عنهم المطر
فلذلك قالوا إنا تطيرنا بكم أي تشاءمنا بكم والأظهر أن تطيرهم إنما كان بسبب ما دخل قريتهم من
اختلاف كلمتهم وافتتان الناس وقوله أئن ذكرتم جوابه محذوف أي تطيرتم قاله أبو حيان وغيره انتهى و
قولهم عليهم السلام طائركم معكم معناه حظكم وما صار لكم من خير وشر معكم أي من أفعالكم ومن تكسباتكم
ليس هو من أجلنا وقرأ حمزة والكسائي وابن عامر أئن ذكرتم بهمزتين الثانية مكسورة وقرأ نافع وغيره
بتسهيل الثانية وردها ياء أين ذكرتم وخبر تعالى عن حال رجل جاء من أقصى المدينة يسعى سمع المرسلين
وفهم عن الله تعالى فدعى عند ذلك قومه إلى اتباعهم والإيمان بهم إذ هو الحق فروي عن ابن عباس وغيره
أن اسم هذا الرجل حبيب وكان نجارا وكان فيما قال وهب بن منبه قد تجذم وقيل كان في غار يعبد ربه
فقال يا قوم اتبعوا المرسلين الآية وذكر الناس في أسماء الرسل صادق وصدوق وشلوم وغير هذا والله أعلم
بصحته واختلف المفسرون في قوله فاسمعون فقال ابن عباس وغيره خاطب بها قومه على جهة المبالغة
والتنبيه وقيل خاطب بها الرسل على جهة الاستشهاد بهم والاستحفاظ للأمر عندهم قال ابن عطية وهنا
محذوف تواترت به الأحاديث والروايات وهو أنهم قتلوه فقيل له عند موته ادخل الجنة فلما أقر
الله عينه بما رأى من الكرامة قال يا ليت قومي يعلمون الآية قيل أراد بذلك الإشفاق والنصح لهم أي
لو علموا ذلك لآمنوا بالله تعالى وقيل أراد أن يعلموا ذلك فيندموا على فعلهم به ويحزنهم ذلك وهذا

موجود في جبلة البشر إذا نال الشخص عزا وخيرا في أرض غربة ود أن يعلم ذلك جيرانه وأترابه الذين
نشأ فيهم كما قيل نظم: والعز مطلوب وملتمس ... وأحبه ما نيل في الوطن ... قال ابن عطية ولكن وبل
الأول أشبه بهذا العبد الصالح وفي ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم نصح قومه حيا وميتا وقال قتادة
نصحهم على حالة الغضب والرضا وكذلك لا تجد المؤمن إلا ناصحا للناس وقوله تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده
من جند الآية مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وفيها توعد لقريش وتحذير أن ينزل بهم من العذاب
ما نزل بقوم حبيب النجار قال مجاهد لم ينزل الله عليهم من جند أراد أنه لم يرسل إليهم رسولا ولا استعتبهم
قال قتادة والله ما عاتب الله قومه بعد قتله حتى أهلكهم وقال ابن مسعود أراد لم يحتج في تعذيبهم إلى
جند بل كانت صيحة واحدة لأنهم كانوا أيسر وأهون من ذلك واختلف في قوله تعالى وما كنا منزلين
فقالت فرقة ما نافية وقالت فرقة ما عطف على جند أي من جند ومن الذي كنا منزلين على الأمم مثلهم
قبل ذلك وخامدون أي ساكنون موتى وقوله تعالى يا حسرة الحسرة التلهف وذلك أن طباع كل بشر توجب
عند سماع حالهم وعذابهم على الكفر وتضييعهم أمر الله أن يشفق ويتحسر على العباد وقال الثعلبي قال
الضحاك إنها حسرة الملائكة على العباد في تكذيبهم الرسل وقال ابن عباس حلوا محل من يتحسر عليه انتهى وقرأ
الأعرج وأبو الزناد ومسلم بن جندب يا حسره بالوقف على الهاء وهو أبلغ في معنى التحسر والتشفق
وهز النفس وقوله تعالى ما يأتيهم من رسول الآية تمثيل لفعل قريش وإياهم عنى بقوله ألم يروا
كم أهلكنا وقرأ جمهور الناس لما جميع بتخفيف الميم وذلك على زيادة ما للتأكيد والمعنى لجميع وقرأ عاصم
والحسن وابن جبير لما بتشديد الميم فلما هي بمنزلة إلا ومحضرون قال قتادة محشورون يوم القيامة
وقوله تعالى وآية لهم الأرض الميتة أحييناها الآية وآية معناه وعلامة على الحشر وبعث الأجساد والضمير في
لهم لكفار قريش والضمير في ثمره قيل عائد على الماء الذي تضمنه ذكر العيون وقيل هو عائد على جميع ما تقدم مجملا
كأنه قال من ثمر ما ذكرنا وما في قوله وما عملته أيديهم قال الطبري هي اسم معطوف على الثمر أي يقع
الأكل من الثمر ومما عملته الأيدي بالغرس والزراعة ونحوه وقالت فرقة هي مصدرية وقيل هي نافية
والمعنى أنهم يأكلون من ثمر وهو شيء لم تعمله أيديهم بل هي نعمة من الله تعالى عليهم والأزواج الأنواع من
جميع الأشياء وقوله ومما لا يعلمون نظير قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقوله تعالى وآية لهم الليل
نسلخ منه النهار هذه الآيات جعلها الله عز وجل دالة على قدرته ووجوب الألوهية له ونسلخ
معناه نكشط ونقشر فهي استعارة قال الهروي قلت قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار
أي نخرجه منه إخراجا لا يبقى من ضوء النهار معه شيء انتهى ومظلمون داخلون في الظلام ومستقر الشمس على
ما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق أبي ذر بين يدي العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها
وهو في البخاري وفي حديث آخر تسجد في عين حمئة ومنازل منصوب على الظرف وهي المنازل المعروفة عند العرب
وهي ثمانية وعشرون منزلة يقطع القمر منها كل ليلة منزلة وعودته هي استهلاله دقيقا وحينئذ يشبه
العرجون وهو الغصن من النخلة الذي فيه شماريخ التمر فإنه ينحني ويصفر إذا قدم ويجيء أشبه
شيء بالهلال قاله الحسن والوجود يشهد له والقديم معناه العتيق الذي قد مر عليه زمن طويل و
ينبغي مستعمله فيما لا يمكن خلافه لأنهما لا قدرة لهما على ذلك والفلك فيما روي عن ابن عباس متحرك
مستدير كفلكة المغزل فيه جميع الكواكب ويسبحون معناه يجرون ويعومون وقوله تعالى
وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك الآية ذكر الذرية لضعفهم عن السفر فالنعمة فيهم أمكن والضمير

المتصل بالذريات هو ضمير الجنس كأنه قال ذريات جنسهم أو نوعهم هذا أصح ما يتجه في هذا وأما
معنى الآية فقال ابن عباس وجماعة يريد بالذرية المحمولين أصحاب نوح في السفينة ويريد بقوله من مثله
السفن الموجودة في جنس بني آدم إلى يوم القيامة وإياها أراد بقوله وإن نشأ نغرقهم وقال مجاهد وغيره
المراد بقوله أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون السفن الموجودة في بني آدم إلى يوم القيامة ويريد بقوله
وخلقنا لهم من مثله ما يركبون الإبل وسائر ما يركب فيكون التماثل في أنه مركوب مبلغ إلى الأقطار
فقط ويعود قوله وإن نشأ نغرقهم على السفن الموجودة في الناس والصريخ هنا بمعنى المصرخ المغيث
وقوله تعالى إلا رحمة منا قال الكسائي نصب رحمة على الاستثناء كأنه قال إلا أن نرحمهم وقوله
إلى حين يريد آجالهم المضروبة لهم ثم ابتدأ الإخبار عن عتو قريش بقوله وإذا قيل لهم اتقوا
ما بين أيديكم قال قتادة ومقاتل ما بين أيديهم هو عذاب الأمم الذي قد سبقهم في الزمن وهذا
هو النظر الجيد وقال الحسن خوفوا بما مضى من ذنوبهم وبما يأتي منها قال ابن عطية وهذا نحو الأول
في المعنى وقوله تعالى وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله الآية الضمير في قوله لهم لقريش وسبب الآية
أن الكفار لما أسلم حواشيهم من الموالي وغيرهم والمستضعفين قطعوا عنهم نفقاتهم وصلاتهم
وكان الأمر بمكة أولا فيه بعض الاتصال في وقت نزول آيات الموادعة فندبوا وقيل لهم
قراباتهم من الكفار إلى أن يصلوهم وينفقوا عليهم مما رزقهم الله فقالوا عند ذلك أنطعم
من لو يشاء الله أطعمه وقالت فرقة سبب نزول الآية أن قريشا شحت بسبب أزمة على المساكين
جميعا مؤمن وغير مؤمن فندبهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى النفقة على المساكين وقولهم
يحتمل معنيين أحدهما يخرج على اختيار الجهال من العرب فقد روي أن أعرابيا كان يرعى إبله
فيجعل السمان في الخصب والمهازيل في المكان الجدب فقيل له في ذلك فقال أكرم ما أكرم
الله وأهين ما أهان الله فيخرج قول قريش على هذا المعنى ومن أمثالهم كن مع الله على
المدبر والتأويل الثاني أن يكون كلامهم بمعنى الاستهزاء بقول محمد عليه الصلاة والسلام إن
ثم إلها هو الرزاق فكأنهم قالوا لو لم يرزقهم إلهك الذي تزعم أي نحن لا نطعم من لو يشاء
هذا الإله لأطعمه وقوله تعالى إن أنتم إلا في ضلال مبين يحتمل أن يكون من قول الكفرة للمؤمنين
أي في أمركم لنا بالنفقة وفي غير ذلك من دينكم ويحتمل أن يكون من قول الله تعالى
للكفرة وقولهم متى هذا الوعد أي متى يوم القيامة وقيل أرادوا متى هذا العذاب الذي
تهددنا به وما ينظرون أي ينتظرون وما نافية وهذه الصيحة هي صيحة القيامة وهي النفخة الأولى
وفي حديث أبي هريرة أن بعدها نفخة الصعق ثم نفخة الحشر وهي التي تدوم فما لها من فواق
وأصل يخصمون يختصمون والمعنى وهم يتحاورون ويتراجعون الأقوال بينهم وفي مصحف
أبي بن كعب يختصمون ولا إلى أهلهم يرجعون لإعجال الأمر بل تقبض أنفسهم حيث ما أخذتهم
الصيحة وقوله سبحانه ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون هذه نفخة
البعث والأجداث القبور وينسلون أي يمشون مسرعين وفي قراءة ابن مسعود من أهبنا
من مرقدنا وروي عن أبي بن كعب وغيره أن جميع البشر ينامون نومة قبل الحشر قال ع
وهذا غير صحيح الإسناد وإنما الوجه في قولهم من مرقدنا أنها استعارة كما تقول في قتيل
هذا مرقده إلى يوم القيامة وقوله هذا ما وعد الرحمن جوز الزجاج أن يكون هذا إشارة

الى

إلى المرقد ثم استأنف ما وعد الرحمن ويضمر الخبر حق أو نحوه وقال الجمهور ابتداء
الكلام هذا ما وعد الرحمن واختلف في هذه المقالة من قالها فقال ابن زيد هي من قول
الكفرة وقال قتادة ومجاهد هي من قول المؤمنين للكفار وقال الفراء هي من قول الملائكة
وقالت فرقة هي من قول الله تعالى على جهة التوبيخ وباقي الآية بين وقوله تعالى إن أصحاب الجنة
اليوم في شغل قال ابن عباس وغيره هو افتضاض الأبكار وقال ابن عباس أيضا هو سماع الأوتار وقال
مجاهد معناه نعيم قد شغلهم قال ع وهذا هو القول الصحيح وتعيين شيء دون شيء لا قائل
له وقوله سبحانه هم وأزواجهم في ظلال جاء في صحيح البخاري وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل
قلبه معلق بالمسجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب
وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل
ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه انتهى وهذا الظل المذكور في الحديث هو في المحشر قال الشيخ
ابن أبي جمرة رضي الله عنه وظلال الآخرة ما فيها مباح بل كلها قد تملكت بالأعمال التي عملها
العاملون الذين هداهم الله تعالى فليس هناك صعلوك إلا عاطل انتهى وهو كما قال فشمر
عن ساق الجد إن أردت الفوز أيها الأخ والسلام والأرائك السرر المفروشة ومن شرطها
أن تكون عليها حجلة وإلا فليست بأريكة وبذلك قيدها ابن عباس وغيره وقوله ما يدعون
بمنزلة ما يتمنون قال أبو عبيدة العرب تقول ادع علي ما شئت بمعنى تمن علي وقوله سلام
قيل هي صفة أي مسلم لهم وخالص وقيل هو مبتدأ وقيل هو خبر مبتدأ وقوله تعالى وامتازوا
اليوم فيه حذف تقديره وتقول للكفرة وامتازوا معناه انفصلوا وانحجزوا لأن
العالم في الموقف إنما هم مختلطون قلت وهذا يحتاج إلى سند صحيح وفي الكلام لحما ويوم
القيامة هو مواطن ثم خاطبهم تعالى لما تميزوا توبيخا وتوقيفا على عهده إليهم ومخالفتهم له
وعبادة الشيطان هي طاعته والانقياد لإغوائه وقوله هذا صراط مستقيم إشارة إلى الشرائع
إذ بعث الله آدم إلى ذريته ثم لم تخل الأرض من شريعة إلى ختم الرسالة بسيدنا محمد خاتم النبيين
والجبل الأمة العظيمة ثم أخبر سبحانه نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام بحال تشاركه فيه أمته
بقوله اليوم نختم على أفواههم وذلك أن الكفار يجحدون ويطلبون شهيدا عليهم من أنفسهم
حسبما ورد في الحديث الصحيح فعند ذلك يختم الله تعالى على أفواههم ويأمر جوارحهم بالشهادة
فتشهد وقوله سبحانه ولو نشاء لطمسنا على أعينهم الضمير في أعينهم لكفار قريش ومعنى الآية
تبيين أنهم في قبضة القدرة وبمدرج العذاب قال الحسن وقتادة أراد الأعين حقيقة
والمعنى لأعميناهم فلا يرون كيف يمشون ويؤيد هذا مجانسة المسخ للعمى الحقيقي و
قوله فاستبقوا الصراط معناه على الفرض والتقدير كأنه قال لو شئنا لأعميناهم فاحسب
أو قدر أنهم يستبقون الصراط وهو الطريق فأنى لهم بالإبصار وقد أعميناهم وعبارة
الثعلبي وقال الحسن والسدي ولو نشاء لتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون طريق الحق
انتهى وقال ابن عباس أراد عين البصائر والمعنى لو شئنا لختمنا عليهم بالكفر فلم يهتد منهم أحد
أبدا وبين الله تعالى في تنكيسه المعمرين وأن ذلك مما لا يقدر عليه إلا هو سبحانه وتنكيسه تحويل

خلقه من القوة الى الضعف ومن الفهم الى البله ونحو ذلك ثم اخبر تعالى عن حال نبيه عليه الصلاة
والسلام رادا على من قال من الكفرة انه شاعر وان القران شعر بقوله وما علمناه الشعر الاية
وقوله تعالى لينذر من كان حيا اى حى القلب والبصيرة ولم يكن ميتا لفكره وهذه استعارة
قال الضحاك من كان حيا معناه عاقلا ويحق القول معناه يحتم العذاب ويجب الخلود وقوله
تعالى اولم يروا انا خلقنا الاية مخاطبة لقريش ايضا وقوله ايدينا عبارة عن القدرة والله
تعالى منزه عن الجارحة وقوله تعالى فهم لها مالكون تنبيه على النعمة وقوله وهم لهم جند محضرون
اى يحضرون لهم في الاخرة على معنى التوبيخ والنقمة وسمى الاصنام جندا اذ هم عدة للنقمة من الكفرة
ثم انس الله نبيه عليه الصلاة والسلام بقوله فلا يحزنك قولهم وتوعد الكفرة بقوله انا نعلم ما يسرون
وما يعلنون وقوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة الاية والصحيح في سبب نزول
الاية هو ما رواه ابن وهب عن مالك وقاله ابن اسحق وغيره ان ابي بن خلف جاء بعظم رميم ففته
في وجه النبي صلى الله عليه وسلم وحياله وقال من يحيى هذا يا محمد ولابي هذا مع النبي صلى الله عليه
وسلم مقامات ومقالات الى ان قتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم احد طعنه بحربة في عنقه وقوله
ونسى خلقه يحتمل ان يكون نسيان الذهول ويحتمل ان يكون نسيان الترك والرميم البالي المتفتت
وهو الرفات ثم دلهم سبحانه على الاعتبار بالنشاة الاولى ثم عقب تعالى بدليل ثالث في ايجاد
النار في العود الاخضر المرتوي ماء وهذا هو زناد العرب والنار موجودة في كل عود غير
انها في المتخلخل المفتوح المسام اوجد وكذلك هو المرخ والعفار وجمع الضمير جمع من يعقل في
قوله منه عائد على الناس وبالاية بين بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما سورة والصافات مكية قوله عز وجل والصافات
صفا الاية اقسم الله تعالى في هذه الاية باشياء من مخلوقاته قال ابن مسعود وغيره الصافات
هي الملائكة تصف في السماء في عبادة الله عز وجل وقالت فرقة المراد صفوف بني ادم
في القتال في سبيل الله قال ع واللفظ يحتمل ان يعم هذه المذكورات كلها قال مجاهد والزاجرات
هي الملائكة تزجر السحاب وغير ذلك من مخلوقات الله تعالى وقال قتادة الزاجرات هي ايات القران والتاليات
ذكرا معناه القاريات قال مجاهد اراد الملائكة التي تتلوا ذكره وقال قتادة اراد بني ادم
الذين يتلون كتبه المنزلة وتسبيحه وتكبيره ونحو ذلك والمقسم عليه ان الهكم لواحد وقوله
مارد قال العراقي مارد اى سخط عليه وهكذا مريد انتهى وهذا لفظه والملا الاعلى اهل
السماء الدنيا فما فوقها وسمى الكل منهم اعلى بالاضافة الى ملا الارض الذى هو اسفل والضمير
في يسمعون للشياطين وقرا حمزة وعاصم في رواية حفص لا يسمعون بتشديد السين والميم بمعنى لا يتسمعون
فينتفي على قراءة الجمهور سماعهم وان كانوا يستمعون وهو المعنى الصحيح ويعضده قوله تعالى انهم
عن السمع لمعزولون ويقذفون معناه يرجمون والدحور الاصغار والاهانة لان الدحر هو
الدفع بعنف وقال البخاري يقذفون يرمون ودحورا مطرودين وقال ابن عباس مدحورا
مطرودا انتهى والواصب الدائم قاله مجاهد وغيره وقال ابو صالح الواصب الموجع ومنه
الوصب ومعنى هذه الجملة ان الحال الغالبة على جميع الشياطين الا من شذ فخطف خبرا او نباء
فاتبعه شهاب فاحرقه والثاقب النافذ بضوئه وشعاعه المنير قاله قتادة وغيره

من خلق السموات والارض ... من يعقل ... والثعلبي هذا ... وقيل ... علم

وقوله تعالى فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا اى فاسالهم ان يقولوا الا ان خلق
من سواهم من الامم والملائكة والجن والسموات والارض والمشارق والمغارب وغير ذلك
هو اشد من هولاء المخاطبين وبان الضمير في خلقنا يراد به ما تقدم ذكره قال مجاهد
وقتادة وغيرهما ويؤيده ما في مصحف ابن مسعود ام من عددنا وكذلك قال
قراءة الاعمش وقوله تعالى انا خلقناهم من طين اى خلق اصلهم وهو ادم عليه السلام
اللازب اللازم يلزم ما جاوره ويلصق به وهو الصلصال بل عجبت يا محمد من اعراضهم
عن الحق وقرا حمزة والكسائي بل عجبت بضم التاء وذلك على ان يكون تعالى هو المتعجب ومعنى ذلك
من الله تعالى انه صفة فعل ونحوه قول النبي صلى الله عليه وسلم يعجب الله من الشاب ليس له
صبوة فانما هي عبارة عما يظهره الله تعالى في جانب المتعجب منه من التعظيم او التحقير حتى يصير الناس
متعجبين منه قال الثعلبي قال الحسين بن الفضل التعجب من الله انكار الشيء وتعظيمه وهو
لغة العرب انتهى وقوله ويسخرون اى وهم يسخرون من نبوتك وقوله واذا راوا اية يستسخرون
يريد بالاية العلامة والدلالة وروى انها نزلت في ركانة وهو رجل من المشركين من اهل مكة
لقيه النبي صلى الله عليه وسلم في جبل خال وهو يرعى غنما وكان اقوى اهل زمانه فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم يا ركانة ارايت ان صرعتك اتؤمن بي قال نعم فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثا ثم عرض عليه ايات من دعاء شجرة واقبالها ونحو ذلك مما اختلفت فيه الفاظ الحديث
فلما فرغ ذلك لم يؤمن وجاء الى مكة فقال يا بني هاشم ساحروا بصاحبكم اهل الارض
فنزلت الاية فيه وفي نظرائه ويستسخرون قال مجاهد وقتادة معناه يسخرون ثم امر
تعالى نبيه ان يجيب تقريرهم واستفهامهم عن البعث بنعم وان يزيدهم في الجواب انهم مع البعث
في صغار وذلة واستكانة والداخر الصغير الذليل وقد تقدم بيانه غير ما مرة والزجرة
الواحدة هي نفخة البعث قال العراقي الزجرة الصيحة بانتهار انتهى والدين الجزاء والجمع المفسرون
على ان قوله تعالى هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون ليس هو من قول الكفرة وانما المعنى
يقال لهم وقوله وازواجهم معناه انواعهم وضرباؤهم قاله عمر وابن عباس وقتادة ومعهم
ما كانوا يعبدون من دون الله من ادمي رضي بذلك ومن صنم ووثن توبيخا لهم واظهارا
لسوء حالهم وقال الحسن ازواجهم نساؤهم المشركات وقاله ابن عباس ايضا قوله تعالى فاهدوهم
معناه قدموهم واحملوهم على طريق الجحيم ثم يامر الله تعالى بوقفهم على جهة التوبيخ لهم
والسؤال قال جمهور المفسرين يسالون عن اعمالهم ويوقفون على قبحها وقد تقدم
قوله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد الحديث قال ع ويحتمل عندي ان يكون
المعنى على نحو ما فسره تعالى بقوله ما لكم لا تناصرون اى انهم مسؤولون عن امتناعهم
عن التناصر وهذا على جهة التوبيخ وقرا خالد لا تتناصرون ت قال عياض في المدارك
كان ابو اسحق الجبنياني ظاهر الحزن كثير الدمعة يسرد الصيام فقال ولده ابو الطاهر
قال لي ابي ان انسانا بقي في اية سنة لم يتجاوزها وهي قوله تعالى وقفوهم انهم مسؤولون
فقلت له انت هو فسكت فعلمت انه هو وكان اذا دخل في الصلاة لو سقط البيت الذى
هو فيه ما التفت اقبالا على صلاته واشتغالا بمناجاة ربه وكان من اشد الناس

تضييقاً على نفسه ثم على اهله كان يأكل البقل البري والجراد اذا وجده ويطحن قوته
بين شعيراته بجعله نخالته دقيقاً قد دمع ما وجد من بقل بري وغيره حتى انه ربما ارى
بشيء منه لكلب او هر فلا يأكله وكان يجمعه من حرف المزابل ويرفعه وكان في الصيف
يتوطا الرمل وفي الشتاء يأخذ قفاف المعاصر الملقاة على المزابل يجعلها تحته قال ولده ابو الطاهر
وكنا اذا بقينا بلا شيء نقتاته كنت اسمعه في الليل يقول ــــــــ نظم
مالي تلاد ولا استطرفت من نشب . وما اومل غير الله من احد . ان القنوع بحمد الله يمنعني . من التعرض للمنان النكد
قوله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون هذه الجماعة التي يقبل بعضها على بعض هي جن وانس قاله
قتادة وتساؤلهم هو على معنى التقريع واللوم والتسخط والقائلون انكم كنتم تأتوننا اما ان
يكون الانس يقولونها للشياطين وهذا قول مجاهد وابن زيد واما ان يكون الانس تقولها
للشياطين متبعة ضعفة الانس يقولونها للكبراء والقادة وهذا قول مجاهد وابن زيد واما ان يكون ضعفة الانس يقولونها للكبراء
واضطرب المتأولون في معنى قولهم عن اليمين ففسره ابن زيد وغيره عنه بطريق الجنة ونحو
هذا من العبارات التي هي تفسير بالمعنى ولا يختص بنفس اللفظة والذي يخصها معان منها ان
يريد باليمين القوة اي تحملوننا على طريق الضلالة بقوة ومنها ان يريد باليمين اليمن اي تأتوننا
من جهة النصائح والعمل الذي يتيمن به ومن المعاني التي تحتملها الاية ان يريد انكم كنتم تجيئوننا
من جهة الشهوات واكثر ما يتمكن هذا التأويل مع اغواء الشياطين وقيل المعنى تحلفون لنا فاليمين
على هذا القسم وقد ذهب بعض العلماء في ذكر ابليس جهات بني آدم في قوله من بين ايديهم ومن خلفهم وعن
ايمانهم وعن شمائلهم الى ما ذكرناه من جهة الشهوات ثم اخبر تعالى بانهم جميعاً في العذاب مشتركون
وان هذا فعله باهل الجرم والكفر وقوله سبحانه انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله الاية ت جاء في
فضل لا اله الا الله احاديث كثيرة فمنها ما رواه ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال قال موسى يا رب علمني شيئاً اذكرك به وادعوك به قال قل يا موسى لا اله الا الله قال
يا رب كل عبادك يقولون لا اله الا الله قال انما اريد شيئاً تخصني به قال يا موسى لو ان السموات
السبع والارضين السبع في كفة ولا اله الا الله في كفة مالت بهن لا اله الا الله رواه ابن حبان
في صحيحه والنسائي واللفظ لابن حبان وعنه صلى الله عليه وسلم وقول لا اله الا الله لا تترك ذنباً
ولا يشبهها عمل رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين وقال صحيح الاسناد انتهى من السلاح والطائفة
التي قالت أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون هي قريش واشارتهم بالشاعر الى النبي صلى الله عليه
وسلم فرد الله عليهم بقوله بل جاء بالحق وصدق المرسلين الذين تقدموه ثم اخبر تعالى مخاطباً لهم
بقوله انكم لذائقوا العذاب الاليم الاية قوله تعالى الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع وهؤلاء
المؤمنون وقوله معلوم معناه عندهم وقوله بيضاء يحتمل ان يعود على الكأس ويحتمل ان يعود
على الخمر وهو اظهر قال الحسن خمر الجنة اشد بياضاً من اللبن وفي قراءة ابن مسعود صفراء
فهذا وصف الخمر وحدها والغول اسم عام في الاذى وقال ابن عباس وغيره الغول وجع في البطن
وقال قتادة هو صداع في الرأس وينزفون من قولك نزف الرجل اذا سكر وبا ذهاب
العقل فسره ابن عباس وقرأ حمزة والكسائي ينزفون بكسر الزاي من انزف وله معنيان احدهما
سكر والثاني نفد شرابه وهذا كله عن اهل الجنة وقاصرات الطرف قال ابن عباس وغيره معناه

ثم نقل الجن المخذولين لهولاء بقولهم بل لم تكونوا مؤمنين اي لم تكونوا [illegible] ذكر بل كان لكم اكتساب الكفر وما كان لنا عليكم حجة ونحو هذا لقتادة وغيره انه قول الجن للغاوين ثم اخبر تعالى

هذا النقل

على

على ازواجهن اي لا ينظرون الى غيرهم وعين جمع عيناء وهي الكبيرة العينين في جمال وقوله تعالى
كانهن بيض مكنون قال ابن جبير والسدي شبه الوانهن بلون قشرة البيضة الداخلي وهو المكنون
اي المصون ورجحه الطبري وقال الجمهور شبه الوانهن بلون قشر البيضة من النعام وهو بياض قد خالطته
صفرة حسنة ومكنون اي بالريش وقال ابن عباس فيما حكى الطبري البيض المكنون اراد به الجوهر المصون
قال ابن عطية وهذا يرده لفظ الاية فلا يصح عن ابن عباس وقوله تعالى فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون
قال قائل منهم الاية هذا التساؤل الذي بين اهل الجنة هو تساؤل راحة وتنعم يتذاكرون
امورهم في الجنة وامر الدنيا وحال الطاعة والايمان فيها ثم اخبر تعالى عن قول قائل منهم في قصته
وهو مثال لكل من له قرين سوء فيعطي هذا المثال التحفظ من قرناء السوء قال الثعلبي قوله
اني كان لي قرين قال مجاهد كان شيطاناً انتهى وقال ابن عباس وغيره كان هذان من البشر مؤمن
وكافر وقال فرات بن ثعلبة البهراني في قصص هذين انهما كانا شريكين بثمانية الاف دينار
فكان احدهما مشغولاً بعبادة الله وكان الاخر كافراً مقبلاً على ماله فحل الشركة مع المؤمن وبقي وحده لتقصير
المؤمن في التجارة وجعل الكافر كلما اشترى شيئاً من دار او جارية او بستان ونحوه عرضه على المؤمن
وفخر عليه فيمضي المؤمن عند ذلك ويتصدق بنحو ذلك ليشتري به من الله تعالى في الجنة وكان من
امرهما في الاخرة ما تضمنته هذه الاية وحكى السهيلي ان هذين الرجلين هما المذكوران في قوله تعالى
واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب انتهى ومدينون معناه مجازون
محاسبون قاله ابن عباس وغيره قوله تعالى قال هل انتم مطلعون الاية في الكلام حذف تقديره فقال
لهذا الرجل حاضروه من الملائكة ان قرينك هذا في جهنم يعذب فقال عند ذلك هل انتم
مطلعون يخاطب بانتم الملائكة او رفقاءه في الجنة او خدمته وكل هذا حكى المهدوي وقرأ
ابو عمرو في رواية حسين مطلعون بسكون الطاء وفتح النون وقرئ بسكون الطاء وكسر النون
قال ابن عباس وغيره سواء الجحيم وسطه فقال له المؤمن عند ذلك تالله ان كدت لتردين
اي لتهلكني باغوائك والردى الهلاك وقول المؤمن افما نحن بميتين الى قوله بمعذبين يحتمل
ان تكون مخاطبة لرفقائه في الجنة لما رأى ما نزل بقرينه ونظر الى حاله في الجنة وحال رفقائه
قدر النعمة قدرها فقال لهم على جهة التوقيف على النعمة افما نحن بميتين ولا معذبين ويجيء
على هذا التأويل قوله ان هذا لهو الفوز العظيم الى قوله العاملون متصلاً بكلامه خطاباً
لرفقائه ويحتمل قوله افما نحن بميتين ان تكون مخاطبة لقرينه على جهة التوبيخ كانه يقول
اين الذي كنت تقول من انا نموت وليس بعد الموت عقاب ولا عذاب ويكون قوله تعالى
ان هذا لهو الفوز العظيم الى قوله العاملون يحتمل ان يكون من خطاب المؤمن لقرينه واليه
ذهب قتادة ويحتمل ان يكون من خطاب الله تعالى لمحمد عليه السلام وامته ويقوي هذا
قوله لمثل هذا فليعمل العاملون وهو حض على العمل والاخرة ليست بدار عمل وقوله تعالى
اذلك خير نزلاً ام شجرة الزقوم المراد بالاية تقرير قريش والكفار قال ابن عطية وفي
بعض البلاد الجدبة المجاورة للصحارى شجرة مرة مسمومة لها لبن ان مس جسم احد تورم ومات
منه في غالب الامر وشجرة الزقوم والزقم في كلام العرب البلع على شدة وجهد وقوله تعالى
انا جعلناها فتنة للظالمين قال قتادة ومجاهد والسدي يريد ابا جهل ونظراءه

وقد تقدم بيان ذلك وقوله تعالى كأنه رؤوس الشياطين اختلف في معناه فقالت فرقة
شبه برؤوس صنف من الحيات يقال لها الشياطين وهي ذوات أعراف وقالت فرقة شبه طلعها بثمر
شجر معروف يقال لها رؤوس الشياطين وهي بناحية اليمن يقال لها الأستن وقالت فرقة شبه
بما استقر في النفوس من كراهة رؤوس الشياطين وقبحها وإن كانت لا ترى لأن الناس إذا وصفوا شيئا
بغاية القبح قالوا كأنه شيطان ونحو هذا قول امرئ القيس أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب
أغوال فإنما شبه بما استقر في النفوس من هيئتها والشوب المزاج والخلط قاله ابن عباس
وقتادة والحميم السخن جدا من الماء ونحوه فيريد به هاهنا شرابهم الذي هو طينة الخبال صديدهم
وما ينماع منهم هذا قول جماعة من المفسرين قوله تعالى ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم كقوله تعالى يطوفون
بينها وبين حميم آن وقوله سبحانه إنهم ألفوا آباءهم الآية تمثيل لقريش ويهرعون معناه
يسرعون قاله قتادة وغيره وهذا تكسبهم للكفر وحرصهم عليه وقوله تعالى فانظر كيف
كان عاقبة المنذرين يقتضي الإخبار بأنه عذبهم ولذلك حسن الاستثناء في قوله إلا
عباد الله المخلصين ونداء نوح تضمن أشياء كطلب النصرة والدعاء على قومه وغير ذلك قال
أبو حيان وقوله فلنعم المجيبون نحن انتهى وقوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين قال
ابن عباس وقتادة أهل الأرض كلهم من ذرية نوح وقالت فرقة إن الله تعالى أبقى
ذرية نوح ومد نسله وليس الأمر بأن أهل الدنيا انحصروا إلى نسله بل في الأمم من
لا يرجع إليه والأول أشهر من علماء الأمة وقال فهو نوح وهو آدم الأصغر قال السهيلي
ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في قوله عز وجل وجعلنا ذريته
هم الباقين أنهم سام وحام ويافث انتهى وقوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين معناه ثناء
حسنا جميلا باقيا آخر الدهر قاله ابن عباس وغيره وسلام رفع بالابتداء مستأنف
سلم الله به عليه ليقتدي بذلك البشر قلت قال أبو عمر في التمهيد قال سعيد يعني ابن عبد
الرحمن الجمحي بلغني أنه من قال حين يمسي سلام على نوح في العالمين لم تلدغه عقرب ذكر
هذا عند قول النبي صلى الله عليه وسلم للأسلمي الذي لدغته عقرب أما لو أنك قلت
حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك إن شاء الله قال أبو عمر
روى ابن وهب هذا الحديث عن مالك يعني حديث أعوذ بكلمات الله التامات بإسناده مثل
ما في الموطأ إلا أنه قال في آخره لم يضرك شيء انتهى وقوله تعالى ثم أغرقنا الآخرين قال
جماعة من العلماء إن الغرق عم جميع الناس واستندوا في ذلك لأحاديث قالوا ولم يكن الناس بهذه
الكثرة لأن عهد آدم كان قريبا وكانت دعوة نوح ونبوته قد بلغت جميعهم لطول المدة
واللبث فيهم فتمادوا على كفرهم ولم يقبلوا ما دعاهم إليه من عبادة الرحمن فلذلك أغرق
الله جميعهم قوله تعالى وإن من شيعته قال ابن عباس وغيره الضمير عائد على نوح والمعنى في الدين
والتوحيد وقال الطبري وغيره عن الفراء الضمير عائد على محمد والإشارة إليه وقوله
أئفكا استفهام بمعنى التقرير أي أكذبا ومحالا آلهة دون الله تريدون وقوله فما
ظنكم تحذير وتوعد وقوله تعالى فنظر نظرة في النجوم روي أن قومه كان لهم عيد يخرجون
إليه فدعوا إبراهيم عليه السلام إلى الخروج معهم فنظر حينئذ واعتذر بالسقم وأراد البقاء

جواب قسم [illegible] والمخصوص بالمدح محذوف أي فلنعم المجيبون نحن

ليخالفهم

ليخالفهم إلى الأصنام وروي أن علم النجوم كان عندهم منظورا فيه مستعملا فأوهمهم
هو من تلك الجهة قالت فرقة وقوله إني سقيم من المعاريض الجائزة وقوله تعالى فراغ إلى آلهتهم
راغ معناه مال وقوله ألا تأكلون هو على جهة الاستهزاء بعبدة تلك الأصنام ثم مال
عند ذلك إلى ضرب تلك الأصنام بفأس حتى جعلها جذاذا واختلف في معنى قوله باليمين فقال
ابن عباس أراد يمنى يديه وقيل أراد بقوته لأنه كان يجمع يديه معا بالفأس وقيل أراد باليمين القسم في
قوله وتالله لأكيدن أصنامكم والضمير في أقبلوا للكفار قومه ويزفون معناه يسرعون
واختلف الناس والقراء في قوله وما تعملون فمذهب جماعة من المفسرين أن ما مصدرية والمعنى
أن الله خلقكم وأعمالكم وهذه الآية عندهم قاعدة في خلق الله تعالى أفعال العباد وهو مذهب
أهل السنة وقالت فرقة ما بمعنى الذي والبنيان قيل كان في موضع إيقاد النار وقيل كان المنجنيق
الذي رمي عنه والله أعلم وقوله إني ذاهب إلى ربي سيهدين الآية قالت فرقة كان قوله هذا بعد
خروجه من النار وأنه أشار بذهابه إلى هجرته من أرض بابل حيث كانت مملكة نمرود فخرج إلى
الشام وقالت فرقة قال هذه المقالة قبل أن يطرح في النار وإنما أراد لقاء الله لأنه ظن
أن النار سيموت فيها وقال سيهدين أي إلى الجنة نحا إلى هذا المعنى قتادة قال ع وللعارفين
بهذا الذهاب تمسك واحتجاج في الصفا وهو محمل حسن في ذاهب وحده والناس بل الأول
أظهر في نمط الآية بما يأتي بعد لأن الهداية معه تترتب والدعاء في الولد كذلك ولا يصح مع ذهاب
الموت وباقي الآية بين تقدم قصصها وأن الراجح أن الذبيح هو إسماعيل وذكر الطبري أن ابن عباس قال
الذبيح إسماعيل وتزعم اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود وذكر أيضا أن عمر بن عبد العزيز سأل عن
ذلك رجلا يهوديا كان أسلم وحسن إسلامه فقال الذبيح إسماعيل وإن اليهود لتعلم ذلك ولكنهم
يحسدونكم معشر العرب أن تكون هذه الآيات والفضل والله في أبيكم والسعي في هذه الآية
العمل والعبادة والمعونة قاله ابن عباس وغيره وقال قتادة السعي على القدم يريد سعيا
متمكنا وهذا في المعنى نحو الأول وقوله إني أرى في المنام الآية يحتمل أن يكون رأى ذلك بعينه
ورؤيا الأنبياء وحي وعين له وقت الامتثال ويحتمل أنه أمر في نومه بذبحه فعبر عن
ذلك بقوله إني أرى أي رأيت ما يوجب أن أذبحك قال ابن العربي في أحكامه واعلم أن
رؤيا الأنبياء وحي فما ألقي إليهم ونفث به الملك في روعهم وضرب المثل له عليهم فهو حق
ولذلك قالت عائشة وما كنت أظن أنه ينزل في قرآن يتلى ولكني رجوت أن يرى رسول
الله صلى الله عليه وسلم رؤيا يبرئني الله بها وقد تبين حقيقة الرؤيا وأن الباري
تعالى يضربها مثلا للناس فمنها رؤيا تخرج بصفتها ومنها رؤيا تخرج بتأويل وهو كنيتها
ولما استسلم إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام لقضاء الله أعطى إبراهيم ذبحا
فداء وقيل له هذا فداء ولدك فامتثل فيه ما رأيت فإنه حقيقة ما خاطبناك فيه
وهو كناية لا اسم وجعله مصدقا للرؤيا بمبادرة الامتثال انتهى وقوله تعالى فلما
أسلما أي أسلما أنفسهما واستسلما لله عز وجل وقرأ ابن عباس وجماعة سلما والمعنى فوضا
إليه في قضائه وقدره سبحانه فأسلم إبراهيم ابنه وأسلم الابن نفسه قال بعض البصريين
جواب لما محذوف تقديره فلما أسلما وتله للجبين أجزل أجرهما ونحو هذا مما يقتضيه

المعنى وتله معناه وضعه بقوة ومنه الحديث فى القدح فتله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده اى وضعه بقوة والجبين معناه لتلك الجبهة وعليها كما يقولون فى المثل لليدين وللفم وكما تقول لشقه الايسر والجبينان ما اكتنف الجبهة من هاهنا ومن هاهنا وان من قوله ان يا ابراهيم مفسرة لا موضع لها من الاعراب وصدقت الرؤيا يحتمل ان يريد بقلبك او بعملك والرؤيا اسم لما يرى من قبل الله تعالى والمنام والحلم اسم لما يرى من قبل الشيطان ومنه الحديث الصحيح الرؤيا من الله والحلم من الشيطان والبلاء الاختبار والذبح العظيم فى قول الجمهور كبش ابيض اعين وجده وراءه مربوطا بسمرة واهل السنة على ان هذه القصة نسخ فيها العزم على الفعل خلافا للمعتزلة قال احمد بن نصر الداودي وان نسخ الله تعالى الشىء قبل العمل بها فانما ينسخها بعد اعتقاد قبولها وهو عمل انتهى من تفسيره عند قوله ما ننسخ من آية قال ابن عطية ولا خلاف ان ابراهيم امر الشفرة على حلق ابنه فلم تقطع والجمهور ان امر الذبح كان بمنى وقال الشعبى رايت قرنى كبش ابراهيم معلقة فى الكعبة وروى عمران بن حصين ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يا فاطمة قومى لاضحيتك فاشهديها فانه يغفر لك عند اول قطرة من دمها كل ذنب عملتيه وقولى ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين قال عمران قلت يا رسول الله هذا لك ولاهل بيتك خاصة ام للمسلمين عامة قال بل للمسلمين عامة رواه الحاكم فى المستدرك انتهى من السلاح قوله تعالى وظالم لنفسه توعد لمن كفر من اليهود بمحمد عليه الصلاة والسلام والكتاب المستبين هو التوراة قال قتادة وابن مسعود الياس هو ادريس عليه السلام وقالت فرقة هو من ولد هرون وقرا نافع وابن عامر ال ياسين وقرا الباقون الياسين بالف مكسورة ولام ساكنة فوجهت الاولى على انها بمعنى اهل وياسين اسم لالياس وقيل هو اسم لمحمد عليه السلام ووجه الثانية على انه جمع الياسى وقرا ابن مسعود والاعمش وان ادريس لمن المرسلين وسلام على ادريسين قال السهيلى قال ابن جنى العرب تتلاعب بالاسماء الاعجمية تلاعبا فياسين والياس والياسين شىء واحد انتهى ت وحكى الثعلبى هنا حكاية عن عبد العزيز بن رواد عن رجل لقى الياس فى ايام مروان بن الحكم والخبر بعدد الابدال وعن الخضر فى حكاية طويلة لا ينبغى الكلام فيها لان اولياء الله يكاشفون بعجائب فلا يحرم الانسان التصديق بها جعلنا الله من زمرة اوليائه انتهى وقوله اتدعون بعلا معناه اتعبدون قال الحسن والضحاك وابن زيد بعل اسم صنم كان لهم وله يقال بعلبك وذكر ابن اسحق عن فرقة ان بعلا اسم امرأة كانت اتتهم بضلالة وقرا حمزة والكسائى وعاصم الله ربكم ورب آبائكم الاولين كل ذلك بالنصب بدلا من قوله احسن الخالقين وقرا الباقون كل ذلك بالرفع على القطع والاستئناف والضمير فى كذبوه عائد على قوم الياس ولمحضرون معناه مجموعون لعذاب الله وقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مخاطبة لقريش ثم وبخهم بقوله افلا تعقلون وقوله وان يونس لانه هو يونس بن متى صلى الله عليه وسلم وهو من بنى اسرائيل وقوله تعالى اذ ابق لانه وذلك انه لما اخبر قومه بوقت العذاب وغاب عنهم ان قومه لما راوا مخايل العذاب انابوا الى الله فقبل توبتهم فلما مضى وقت العذاب ولم يصبهم قال يونس لا ارجع اليهم بوجه كذاب وروى انه كان فى سيرتهم ان يقتلوا الكذاب

فابق الى الفلك اى اراد الهروب ودخل فى البحر وعبر عن هروبه بالاباق من حيث هو عبد الله فر من غير اذن مولاه فروى عن ابن مسعود انه لما حصل فى السفينة وابعدت فى البحر ركدت ولم تجر وغيرها من السفن تجرى يمينا وشمالا فقال اهلها ان فينا صاحب ذنب وبه يحبسنا الله تعالى فقالوا لنقترع فاخذوا لكل واحد سهما واقترعوا فوقعت القرعة على يونس ثلاث مرات فطرح نفسه والتقمه الحوت وروى ان الله تعالى اوحى الى الحوت انى لم اجعل يونس لك رزقا وانما جعلت بطنك له حرزا وسجنا فهذا معنى فساهم والمدحض المغلوب فى محاجة او مساهمة وعبارة ابن العربى واوحى الله الى الحوت انا لم نجعل يونس لك رزقا وانما جعلنا بطنك له مسجدا الحديث انتهى ولفظة مسجد احسن من السجن فرحم الله عبدا لزم الادب لا سيما مع انبياء الله واصفيائه والمليم الذى اتى ما يلام عليه وبذلك فسر مجاهد وابن زيد وقوله سبحانه فلولا انه كان من المسبحين قيل المراد القائلين سبحان الله فى بطن الحوت قاله ابن جريج وقالت فرقة بل التسبيح هنا الصلاة قال ابن عباس وغيره صلاته فى وقت الرخاء نفعته فى وقت الشدة وقال هذا جماعة من العلماء وقال الضحاك بن قيس على المنبر اذكروا الله عباد الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة ان يونس كان عبدا لله ذاكرا له فلما اصابته الشدة نفعه ذلك قال الله عز وجل فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون وان فرعون كان طاغيا فلما ادركه الغرق قال امنت فلم ينفعه ذلك فاذكروا الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة وقال ابن جبير عن ابن عباس الاشارة بقوله من المسبحين الى قوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وقوله سبحانه فنبذناه بالعراء الاية العراء الارض الفيحاء التى لا شجر فيها ولا معلم قال ابن عباس وغيره فى قوله وهو سقيم انه كالطفل المنفوس بضعة لحم وقال بعضهم كاللحم النىء الا انه لم ينقص من خلقه شىء فانعشه الله بظل اليقطينة بلبن اروية كانت تغاديه وتراوحه وقيل بل كان يتغذى من اليقطينة ويجد منها الوان الطعام والوان شهواته قال ابن عباس وابو هريرة وعمرو بن ميمون اليقطين القرع خاصة وقيل كل ما لا يقوم على ساق كالبقول والقرع والبطيخ ونحوه مما يموت من عامه والمشهور فى اللغة ان اليقطين هو القرع فنبت لحم يونس عليه السلام عليه وصح وحسن لونه لان ورق القرع انفع شىء لمن تسلخ جلده وهو يجمع خصالا حميدة برد الظل والملمس وان الذباب لا يقربها حكى النقاش ان ماء ورق القرع اذا رش به مكان لم يقربه ذباب وروى انه كان يوما نائما فايبس الله تلك اليقطينة وقيل بعث عليها الارضة فقطعت ورقها فانتبه يونس لحر الشمس فعز عليه ذلك وجزع له فاوحى الله اليه يا يونس جزعت ليبس اليقطينة ولم تجزع لاهلاك مائة الف او يزيدون تابوا فتبت عليهم وقوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قال الجمهور ان هذه الرسالة هى الرسالة الاولى ذكرها الله فى اخر القصص وقال قتادة وغيره هى رسالة اخرى بعد ان نبذ بالعراء وهى الى اهل نينوى من ناحية الموصل وقرا الجمهور او يزيدون

فقال ابن عباس بمعنى بل وروى عنه انه قرا بل يزيدون وقالت فرقة او بمعنى الواو وقرا جعفر بن محمد ويزيدون وقال المبرد وكثير من البصريين او يزيدون المعنى على نظر البشر وحزرهم اى من رآهم قال هم مائة الف او يزيدون وروى ابى بن كعب عن النبى

صلى الله عليه وسلم انهم كانوا مائة وعشرين الفا قلت وعبارة احمد بن نصر الداودي
وعن ابي بن كعب قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الزيادة في الحسنى وزيادة
وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قال يزيدون عشرين الفا والحسنى قال الحسنى
الجنة والزيادة النظر الى وجه الله عز وجل انتهى وفي قوله فآمنوا فمتعناهم الى حين مثال
لقريش ان آمنوا ومن هنا حسن انتقال القول والمحاورة اليهم بقوله فاستفتهم والضمير
يعود على ما في المعنى من ذكرهم والاستفتاء السؤال وهو هنا بمعنى التقريع والتوبيخ
في جعلهم البنات لله تعالى عن قولهم ثم اخبر تعالى عن فرقة منهم بلغ بها الافك والكذب
الى ان قالت ولد الله الملائكة لانه نكح في سروات الجن تعالى الله عن قولهم وهذه فرقة من بني
مدلج فيما روي وقرأ الجمهور اصطفى البنات بهمزة الاستفهام على جهة التقرير والتوبيخ وقوله تعالى
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا الجنة هنا قيل هم الملائكة لانها مستجنة اي مستترة وقيل
الجنة هم الشياطين والضمير في جعلوا الفرقة من كفار قريش والعرب تقول ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون
اي ليحضر امر الله وثوابه وعقابه ثم نزه تعالى نفسه عما يصفه الكفرة ومن هذا استثنى عباده
المخلصين لانهم يصفونه بصفات العلى وقالت فرقة استثناهم من قوله لمحضرون وعبارة الثعلبي
ولقد علمت الجن اي الملائكة ان قائلي هذه المقالة من الكفرة لمحضرون في النار وقيل للحساب
والاول اولى لان الاحضار متى جاء في هذه السورة عني به العذاب الا عباد الله المخلصين فانهم ناجون من النار
انتهى وفي البخاري لمحضرون اي سيحضرون للحساب انتهى وقوله تعالى فانكم وما تعبدون بمعنى قل لهم
يا محمد انكم واصنامكم ما انتم بمضلين احدا بسببها وعليها الا من سبق عليه القضاء بانه يصلى الجحيم في
الآخرة وليس لكم اضلال من هدى الله تعالى وقالت فرقة عليه بمعنى به والفاتن المضل في هذا
الموضع وكذلك فسر ابن عباس وغيره وحذفت الياء من صال للاضافة ثم حكى سبحانه قول
الملائكة وما منا الا له مقام معلوم وهذا يؤيد ان الجنة اراد بها الملائكة وتقدير الكلام
وما منا ملك وروت عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان السماء ما فيها موضع قدم الا وفيه
ملك ساجد او واقف يصلي وعن ابن مسعود وغيره نحوه والصافون معناه الواقفون
صفوفا والمسبحون يحتمل ان يريد به الصلاة ويحتمل ان يريد قول سبحان الله قال الزهراوي
قيل ان المسلمين انما اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الآية ولا يصطف احد من اهل الملل غير المسلمين
ثم ذكر تعالى مقالة بعض الكفار قال قتادة وغيره فانهم قبل نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
قالوا لو كان لنا كتاب وجاءنا رسول لكنا عباد الله المخلصين فلما جاءهم محمد عليه الصلاة والسلام كفروا
به فسوف يعلمون وهذا وعيد محض ثم آنس الله تعالى نبيه واولياءه بان القضاء قد سبق
والكلمة قد حقت بان رسله سبحانه هم المنصورون على من ناواهم وجند الله هم الغزاة وقوله
تعالى فتول عنهم امر لنبيه بالموادعة ووعد جميل وحتى حين هو يوم بدر وقيل يوم الفتح وقوله
تعالى وابصرهم فسوف يبصرون وعد للنبي صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم ثم وبخهم على
استعجال العذاب قوله فاذا نزل اي العذاب بساحتهم فساء صباح المنذرين والساحة الفناء
وسوء الصباح مستعمل في ورود الغارات ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لما اشرف
على خيبر الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين انتهى وقرأ ابن مسعود

فبئس صباح والعزة في قوله رب العزة هي العزة المخلوقة الكائنة للانبياء والمؤمنين وكذلك
قال الفقهاء من اجل انها مربوبة قال محمد بن سحنون وغيره من حلف بعزة الله فان كان اراد
صفته الذاتية فهي يمين وان كان اراد عزته التي خلق بين عباده وهي التي في قوله رب العزة
فليست بيمين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين فانما انا احدهم
صلى الله عليه وعلى آله وعلى جميع النبيين وسلم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم سورة ص مكية باجماع قرأ ابي بن كعب والحسن وابن ابي
اسحاق صادِ بكسر الدال والمعنى مائل القرآن بعملك وقاربه بطاعتك وكذا فسر الحسن اي انظر
اين عملك منه وقال الجمهور انه حرف معجم يدخله ما يدخل اوائل السور من الاقوال ويختص هذا
بان قال بعض الناس معناه صدق محمد وقال الضحاك معناه صدق الله وقال محمد بن كعب القرظي هو
مفتاح اسماء الله صمد صادق وغيره وقوله والقرآن ذي الذكر قسم قال ابن عباس وغيره معناه
ذي الشرف الباقي المخلد وقال قتادة ذي التذكرة للناس والهداية لهم وقالت فرقة ذي الذكر
للامم والقصص والغيوب قلت ولا مانع ان يراد الجميع قال ابن عطية واما جواب القسم فاختلف
فيه فقالت فرقة الجواب في قوله ص اذ هو بمعنى صدق الله او صدق محمد وقال الكوفيون
والزجاج الجواب في قوله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار قال بعض البصريين ومنهم الاخفش الجواب
في قوله ان كل الا كذب الرسل قال ع وهذان القولان بعيدان وقال قتادة والطبري الجواب
مقدر قبل بل وهذا هو الصحيح تقديره والقرآن ما الامر كما يزعمون ونحو هذا من التقدير
فتدبره وقال ابو حيان الجواب انك لمن المرسلين وهو ما اثبت جوابا للقرآن حين اقسم به
انتهى وهو حسن قال ابو حيان وقوله في عزة هي قراءة الجمهور وعن الكسائي بالغين المعجمة والراء اي
في غفلة انتهى والعزة هنا المعازة والمغالبة والشقاق نحوه اي هم في شق والحق في شق
وكم للتكثير وهي خبر فيه مثال ووعيد وهي في موضع نصب باهلكنا وقوله فنادوا
معناه مستغيثين والمعنى انهم فعلوا ذلك بعد المعاينة فلم ينفعهم ذلك ولم يكن في وقت نفع
ولات بمعنى ليس واسمها مقدر عند سيبويه تقديره ولات الحين حين مناص والمناص
المفر ناص ينوص اذا فر وفات قال ابن عباس المعنى ليس بحين نزو ولا فرار ضبط القوم و
الضمير في عجبوا الكفار قريش وقوله تعالى وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم الآية
روي في قصص هذه الآية ان اشراف قريش اجتمعوا عند مرض ابي طالب وقالوا ان من القبيح علينا
ان يموت ابو طالب ونؤذي محمدا بعده فتقول العرب تركوه مدة عمه فلما مات اذوه ولكن لنذهب
الى ابي طالب فينصفنا منه ويربط بيننا وبينه ربطا فنهضوا اليه فقالوا يا ابا طالب ان محمدا يسب
آلهتنا ويسفه آراءنا ونحن لا نقاره على ذلك ولكن افصل بيننا وبينه في حياتك بان يقيم في منزله
يعبد ربه الذي يزعم ويدع آلهتنا وسبها ولا يعارض لاحد منا بشيء من هذا فبعث ابو طالب
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان قومك قد دعوك الى النصفة وهي ان تدعهم وتعبد
ربك وحدك فقال او غير ذلك يا عم قال وما هو قال يعطوني كلمة تدين لهم بها العرب وتؤدي
اليهم الجزية بها العجم قالوا وما هي فانا نبادر بها قال لا اله الا الله فنفروا عند ذلك وقالوا ما يرضيك
منا غير هذا قال والله لو اعطيتموني الارض ذهبا ومالا وفي رواية لو جعلتم الشمس في يميني والقمر

في شمالي ما أرضاني منكم غيرها فقاموا عند ذلك وبعضهم يقول لبعض أجعل الآلهة إلها واحدا
إن هذا لشيء عجاب ويرددون هذا المعنى وعقبة بن أبي معيط يقول امشوا واصبروا على آلهتكم فقوله
تعالى فانطلق الملأ منهم عبارة عن خروجهم عن أبي طالب وانطلاقهم من ذلك الجمع هذا قول جماعة من المفسرين
وقوله أن امشوا نقل الفخر أن أن بمعنى أي انتهى وقولهم إن هذا لشيء يراد يريدون ظهور محمد وعلوه أي
يراد منا الانقياد له وأن نكون له أتباعا ويريدون بالملة الآخرة ملة عيسى قاله ابن عباس وغيره وذلك
أنها ملة شهر فيها التثليث ثم توعدهم سبحانه بقوله بل لما يذوقوا عذاب أي لو ذاقوه لتحققوا أن هذه
الرسالة حق وقوله تعالى أم عندهم خزائن رحمة ربك الآية قال الثعلبي أم عندهم خزائن ربك يعني مفاتيح كنوز
حتى يعطوا من اختاروا ونظيرها أهم يقسمون رحمة ربك أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما يعني
أن ذلك لله تعالى يصطفي من يشاء فليرتقوا في الأسباب فليصعدوا فيما يوصلهم إلى السموات فليأتوا منها بالوحي
إلى من يختارون وهذا توبيخ وتعجيز انتهى ونحوه كلام ابن عطية ثم توعد الله نبيه بنصره فقال
جند ما هنالك مهزوم أي مغلوب ممنوع من الصعود إلى السماء من الأحزاب أي من جملة الأحزاب قال
ابن عطية وهذا تأويل قوي وقالت فرقة الإشارة بهنالك إلى حماية الأصنام وعضدها أي هؤلاء القوم
جند مهزوم في هذه السبيل وقال مجاهد الإشارة بهنالك إلى يوم بدر وهي من الأمور المغيبة أخبر بها عليه الصلاة
والسلام وما في قوله جند ما زائدة مؤكدة وفيها تخصيص وباقي الآية بين وقال أبو حيان جند خبر مبتدأ
محذوف أي هم جند وما زائدة أو صفة أريد بها التعظيم على سبيل الهزء بهم أو الاستخفاف لأن الصفة
تستعمل على هذين المعنيين وهنالك ظرف مكان يشار به إلى البعيد في موضع صفة لجند أي كائن هنالك
أو متعلق بمهزوم انتهى وقوله وما ينظر هؤلاء أي ينتظر إلا صيحة واحدة قال قتادة توعدهم
سبحانه بصيحة القيامة والنفخ في الصور قال الثعلبي وقد روي هذا التفسير مرفوعا وقالت طائفة توعدهم
سبحانه بصيحة يهلكون بها في الدنيا ما لها من فواق قرأ الجمهور بفتح الفاء وقرأ حمزة والكسائي
فواق بضم الفاء قال ابن عباس هما بمعنى أي ما لها من انقطاع وعودة بل هي متصلة حتى تهلكهم ومنه فواق
الحلب وهو المهلة التي بين الشخبين وقال ابن زيد وغيره المعنى مختلف فالضم كما تقدم من معنى فواق الناقة
والفتح بمعنى الإفاقة أي لا يفيقون فيها كما يفيق المريض والمغشي عليه والقط الحظ والنصيب والقط
أيضا الصك والكتاب من السلطان بصلة ونحوه واختلف في القط هنا ما أرادوا به فقال ابن جبير أرادوا
به عجل لنا نصيبنا من الخير والنعيم في دنيانا وقال أبو العالية أرادوا عجل لنا صحفنا بأيماننا وذلك لما
سمعوا في القرآن أن الصحف تعطى يوم القيامة بالأيمان والشمائل وقال ابن عباس وغيره أرادوا ضد هذا من
العذاب ونحوه وهذا نظير قوله فأمطر علينا حجارة من السماء قال ابن عطية وعلى كل تأويل فكلامهم
خرج على جهة الاستخفاف والهزء واذكر عبدنا داود ذا الأيد أي فتأس به ولا تلتفت إلى هؤلاء والأيد
القوة في الدين والشرع والصدع به والأواب الرجاع إلى طاعة الله وقاله مجاهد وابن زيد وفسره السدي
بالمسبح وتسبيح الجبال هنا حقيقة والإشراق ضياء الشمس وارتفاعها وفي هذين الوقتين كانت
صلاة بني إسرائيل قال الثعلبي وليس الإشراق طلوع الشمس وإنما صفاؤها وضوؤها
انتهى قال ابن العربي في أحكامه قال ابن عباس ما كنت أعلم صلاة الضحى في القرآن حتى سمعت الله
تعالى يقول يسبحن بالعشي والإشراق قال ابن العربي في أحكامه أما صلاة الضحى فهي في هذه الآية نافلة مستحبة
ولا ينبغي أن تصلى حتى تتبين الشمس طالعة قد أشرق نورها وفي صلاة الضحى أحاديث أصولها ثلاثة

الأول حديث أبي ذر وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يصبح على كل سلامى من ابن آدم
صدقة تسليمه على من لقي صدقة وأمره بالمعروف صدقة ونهيه عن المنكر صدقة وإماطته الأذى عن
الطريق صدقة وبضعه أهله صدقة ويجزي من ذلك كله ركعتان من الضحى الثاني حديث سهل بن معاذ بن
أنس الجهني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى
يسبح ركعتي الضحى لا يقول إلا خيرا غفرت خطاياه وإن كانت أكثر من زبد البحر الثالث حديث أم هانئ
أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفتح ثماني ركعات انتهى قلت وروى أبو عيسى الترمذي وغيره
عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع
الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة قال الترمذي حديث حسن صحيح انتهى قال الشيخ
أبو الحسن بن بطال في شرحه للبخاري وعن زيد بن أسلم قال سمعت عبد الرحمن بن عمر يقول لأبي
ذر أوصني يا عم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتني فقال من صلى الضحى ركعتين لم يكتب
من الغافلين ومن صلى ستا لم يلحقه ذلك اليوم ذنب ومن صلى ثمانيا كتب من القانتين ومن
صلى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتا في الجنة انتهى والطير عطف على الجبال أي وسخرنا الطير ومحشورة
معناه مجموعة والضمير في له قالت فرقة هو عائد على الله عز وجل فكل على هذا يراد به داود والجبال
والطير وقالت فرقة هو عائد على داود فكل على هذا يراد به الجبال والطير قوله تعالى وشددنا ملكه قال
ابن عباس عبارة عن جميع ما وهبه الله تعالى من قوة وجند ونعمة وفصل الخطاب قال ابن عباس وغيره هو فصل
القضاء بين الناس بالحق وإصابته وفهمه وقال الشعبي أراد قول أما بعد فإنه أول من قالها قال ابن عطية
والذي يعطيه اللفظ أنه آتاه الله فصل الخطاب بمعنى أنه إذا خاطب في نازلة فصل المعنى وأوضحه لا
يأخذه في ذلك حصر ولا ضعف وقوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم الآية مخاطبة للنبي صلى الله
عليه وسلم واستفتحت بالاستفهام تعجيبا من القصة وتفخيما لها والخصم يوصف به الواحد
والاثنان والجمع وتسوروا معناه علوا سوره وهو جمع سورة وهي القطعة من البناء وتحتمل
هذه الآية أن يكون المتسوران اثنين فقط فعبر عنهما بلفظ الجمع ويحتمل أن يكون مع كل واحد
من الخصمين جماعة والمحراب الموضع الأرفع من القصر والمسجد وهو موضع التعبد وإنما فزع
منهم من حيث دخلوا من غير الباب ودون استئذان ولا خلاف بين أهل التأويل أن الخصم إنما
كانوا ملائكة بعثهم الله ضرب مثل لداود فاختصموا إليه في نازلة قد وقع هو في نحوها فأفتاهم
بفتيا هي واقعة عليه في نازلته ولما شعر وفهم المراد خر راكعا وأناب واستغفر وأما نازلته
التي وقع فيها فقد قص القصاص فيها تطويلا فلم نر سوق جميع ذلك لعدم صحته وروي في ذلك عن ابن عباس
ما معناه أن داود كان في محرابه يتعبد إذ دخل عليه طائر حسن الهيئة فمد يده إليه ليأخذه
فزال مطمعا له من موضع حتى اطلع على امرأة لها منظر وجمال فخطر في نفسه أن لو كانت من
نسائه وسأل عنها فأخبر أنها امرأة أوريا وكان في الجهاد فبلغه أنه استشهد فخطب المرأة وتزوجها
وكانت أم سليمان فيما روي عن قتادة فبعث الله الخصم ليفتي قالت فرقة من العلماء وإنما
وقعت المعاتبة على همه ولم يقع منه شيء سوى الهم وكان لداود تسع وتسعون امرأة
وفي كتب بني إسرائيل في هذه القصة صور لا تليق وقد قال علي بن أبي طالب من حدث بما قال
هؤلاء القصاص في أمر داود جلدته حدين لما ارتكب من حرمة من رفع الله قدره وقوله

خصمان تقديره نحن خصمان وبغى معناه اعتدى واستطال ولا تشطط معناه ولا
تتعد في حكمك وسواء الصراط معناه وسطه وقوله ان هذا اخي اعراب اخي عطف بيان
وذلك ان ما جرى من هذه الاشياء صفة كالخلق والخلق وسائر الاوصاف فانه نعت محض
والعامل فيه هو العامل في الموصوف وما كان منها مما لا يوصف به بتة فهو بدل والعامل
فيه مكرر اى تقديرا يقال جاءني اخوك زيد فالتقدير جاءني اخوك جاءني زيد وما كان منها مما لا
يوصف به واحتيج الى ان يبين به ويجري مجرى الصفة فهو عطف بيان والنعجة في الاية هنا
عبر بها عن المرأة والنعجة في كلام العرب تقع على انثى بقر الوحش وعلى انثى الضأن وتعبر العرب بها
عن المرأة وقوله اكفلنيها اى ردها في كفالتي وقال ابن كيسان المعنى اجعلها كفلي اى نصيبي وعزني
معناه غلبني من عزيز اى من غلب سلب ومعنى قوله في الخطاب اى كان اوجه مني فاذا خاطبته
كان كلامه اقوى من كلامي وقوته اعظم من قوتي ويروى انه لما قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك تبسما
عند ذلك وذهبا ولم يرهما لحينه فشعر للامر ويروى انهما ذهبا نحو السماء بمرأى منه
والخلطاء الشركاء في الاملاك والامور وهذا القول من داود وعظ وبسط لقاعدة حق ليحذر
الخصم من الوقوع في خلاف الحق وقوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم قال
ابو حيان وقليل خبر مقدم وما زائدة تفيد معنى التعظيم انتهى وروى ابن المبارك في رقائقه
بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اشد الاعمال ذكر الله على كل حال والانصاف
من نفسك ومواساة الاخ في المال انتهى وقوله تعالى وظن داود انما فتناه معناه شعر للامر
وعلمه وفتناه ابتليناه وامتحناه وقال البخاري قال ابن عباس فتناه اى اختبرناه واسند البخاري
عن مجاهد قال سألت ابن عباس عن سجدة ص اين تسجد فقال او ما تقرأ ومن ذريته داود
وسليمان الى قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فكان داود ممن امر نبيكم ان يقتدي
به فسجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى فتامله وما فيه من الفقه
وقرأ ابو عمرو في رواية علي بن نصر فتناه بتخفيف التاء والنون اسناد الفعل للخصمين اى
امتحناه عن امرنا قال ابو سعيد الخدري رايتني في النوم اكتب سورة ص فلما بلغت قوله وخر
راكعا واناب سجد القلم ورايتني في منام اخر وشجرة تقرأ سورة ص فلما بلغت هذا سجدت وقالت
اللهم اكتب لي بها اجرا وحط عني بها وزرا وارزقني بها شكرا وتقبلها مني كما تقبلتها من
عبدك داود فقال النبي صلى الله عليه وسلم وسجدت انت يا ابا سعيد قلت لا قال انت كنت احق
بالسجدة من الشجرة ثم تلى نبي الله الايات حتى بلغ واناب فسجد وقال كما قالت الشجرة واناب معناه
رجع وتاب وحديث سجود الشجرة رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وابن حبان في صحيحيهما وقال
الحاكم هو من شرط الصحة انتهى من السلاح والزلفى القربة والمكانة الرفيعة والمآب المرجع من
آب يؤوب اذا رجع وقوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض تقدير الكلام وقلنا
له يا داود قال ابن عطية ولا يقال خليفة الله الا لرسوله واما الخلفاء فكل واحد خليفة للذي
قبله وما يجيء في الشعر من تسمية احدهم خليفة الله فذلك تجوز وغلو الا ترى ان الصحابة رضي الله
عنهم حرروا هذا المعنى فقالوا لابي بكر خليفة رسول الله وبهذا كان يدعى مدة خلافته
فلما ولي عمر قالوا يا خليفة خليفة رسول الله فطال الامر وراوا انه في المستقبل سيطول اكثر

فدعوه

فدعوه امير المؤمنين وقصر هذا الاسم على الخلفاء وقوله فيضلك قال ابو حيان منصوب في جواب
النهي وفتح اللام لالتقاء الساكنين انتهى وقوله سبحانه ان الذين يضلون عن سبيل الله الى قوله
وليتذكر اولوا الالباب اعتراض فصيح بين الكلامين من امر داود وسليمان وهو خطاب للنبي محمد
صلى الله عليه وسلم وعظة لامته ونسوا في هذه الاية معناه تركوا ثم وقف تعالى على الفرق
بين المؤمنين العاملين بالصالحات وبين المفسدين الكفرة وبين المتقين والفجار وفي هذا التوقيف
حض على الايمان والتقوى وترغيب في عمل الصالحات قال ابن العربي نفى الله تعالى المساواة بين المؤمنين
والكافرين وبين المتقين والفجار فلا مساواة بينهم في الاخرة كما قال المفسرون ولا في الدنيا
ايضا لان المؤمنين المتقين معصومون دما ومالا وعرضا والمفسدون في الارض
والفجار مباحو الدم والمال والعرض فلا وجه لتخصيص المفسرين بذلك في الاخرة دون
الدنيا انتهى من الاحكام وهذا كما قال وقوله تعالى في الاية الاخرى سواء محياهم ومماتهم
يشهد له وباقي الاية بين قوله تعالى كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته قال
الغزالي في الاحياء واعلم ان القرآن من اوله الى اخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه
متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهذونه
هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها لا يهمهم
الالتفات الى معانيها والعمل بما فيها وهل في العلم غرور يزيد على هذا انتهى من كتاب ذم
الغرور واختلف الناس في قصص هذه الخيل المعروضة على سليمان عليه الصلاة والسلام
فقال الجمهور ان سليمان عليه السلام عرضت عليه الاف من الخيل تركها ابوه فاجريت بين
يديه عشاء فتشاغل بجريها ومحبتها حتى فاته وقت صلاة العشي فاسف لذلك وقال
ردوا علي الخيل فطفق يمسح سوقها واعناقها بالسيف قال الثعلبي وغيره وجعل ينحرها
تقربا الى الله تعالى حين اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا لهم كما ابيح لنا بهيمة الانعام
قال ابن عطية فروي ان الله تعالى ابدله منها اسرع منها وهي الريح قال ابن العربي في احكامه
والخير هنا هي الخيل وكذلك قرأها ابن مسعود اني احببت حب الخيل انتهى والصافن الذي
يرفع احدى يديه وقد يفعل ذلك برجله وهي علامة الفراهية وانشد الزجاج نظم

الف الصفون فلا يزال كانه ... مما يقوم على الثلاث كسيرا

قال بعض العلماء الخير هنا اراد به الخيل والعرب تسمي الخيل الخير وفي مصحف ابن مسعود حب الخيل
باللام والضمير في توارت للشمس وان كان لم يتقدم لها ذكر لان المعنى يقتضيها وايضا
فذكر العشي يتضمنها وقال بعض المفسرين حتى توارت بالحجاب اى دخلت اصطبلاتها وقال الخيل م
ابن عباس والزهري مسحه بالسوق والاعناق لم يكن بالسيف بل بيده تكريما لها ورجحه الطبري
وفي البخاري وطفق مسحا يمسح اعراف الخيل وعراقيبها انتهى وعن بعض العلماء ان هذه القصة
لم يكن فيها فوت صلاة وقالوا عرض على سليمان الخيل وهو في الصلاة فاشار اليهم
اي اني في صلاة فازالوها عنه حتى ادخلوها في الاصطبلات فقال هو لما فرغ من صلاته اني
احببت حب الخير اي الذي عند الله في الاخرة بسبب ذكر ربي كانه يقول فشغلني عن رؤيتها حتى دخلت الخيل م
اصطبلاتها ردوها علي فطفق يمسح اعرافها وسوقها تكرمة لها اي لانها معدة للجهاد وهذا

هو الراجح عند الفخر قال ولو كان بمعنى مسح السوق والاعناق قطعها لكان معنى قوله وامسحوا برؤوسكم وارجلكم قطعها ت وهذا لا يلزم للقرينة في الموضعين انتهى قال ابو حيان وحب الخير قال الفرا مفعول به ولحببت مضمن معنى اثرت وقيل منصوب على المصدر التشبيهي اي حبا مثل حب الخير انتهى وقوله تعالى عن ذكر ربي عن على بابها وقيل هنا للمجاوزة من شيء الى شيء وتدبره فانه مطرد وقوله تعالى ولقد فتنا سليمان الآية ت اعلم رحمك الله ان الناس قد اكثروا في قصص هذه الآية بما لا يوقف على صحته وحكى الثعلبي في بعض الروايات ان سليمان لما فتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فاعاده الى يده فسقط وايقن بالفتنة وان آصف ابن برخيا قال له يا نبي الله انك مفتون ولذلك لا يتماسك الخاتم في يدك اربعة عشر يوما ففر الى الله تعالى تائبا من ذنبك وانا اقوم مقامك في عالمك ان شاء الله تعالى الى ان يتوب الله عليك ففر سليمان هاربا الى ربه منفردا للعبادة واخذ آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت وقيل ان الجسد الذي قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسدا هو آصف كاتب سليمان وهو الذي عنده علم من الكتاب واقام آصف في ملك سليمان وعياله يسير بسيرته ويعمل بعمله اربعة عشر يوما الى ان رجع سليمان الى منزله تائبا الى الله تعالى ورد الله تعالى عليه ملكه فقام آصف عن مجلسه وجلس سليمان على كرسيه واعاد الخاتم قال سعيد بن المسيب ان سليمان احتجب عن الناس ثلاثة ايام فاوحى الله اليه ان يا سليمان احتجبت عن الناس فلم تنظر في امور عبادي ولم تنصف مظلوما من ظالم وذكر حديث الخاتم كما تقدم انتهى وهذا الذي نقلناه اشبه ما ذكروا واقرب الى الصواب والله اعلم وقال عياض قوله تعالى ولقد فتنا سليمان معناه ابتليناه وابتلاؤه هو ما حكي في الصحيح انه قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فلم تحمل منهن الا امرأة جاءت بشق رجل الحديث قال اصحاب المعاني والشق هو الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي كانت عقوبته ومحنته وقيل بل مات والقي على كرسيه ميتا واما عدم استثنائه فاحسن الاجوبة عنه ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقول ان شاء الله ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في امته لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله انتهى ت قال ابن العربي والقينا على كرسيه جسدا يعني جسده لا جسد الشياطين كما يقوله الضعفاء انتهى من كتاب تفسير الافعال له قال ابن العربي في احكامه وما ذكره بعض المفسرين من ان الشيطان اخذ خاتمه وجلس مجلسه وحكم الخلق على لسانه قول باطل قطعا لان الشياطين لا يتصورون بصور الانبياء ولا يملكون من ذلك حتى يظن الناس انهم مع نبيهم في حق وهم مع الشياطين في باطل ولو شاء لوهب من المعرفة والدين لمن قال هذا القول ما يردعه عن ذكره ويمنعه ان يسطره في ديوان من بعده انتهى وقوله وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي الآية قال ابن عطية من المقطوع به ان سليمان عليه السلام انما قصد بذلك قصدا برا لان للانسان ان يرغب في فضل الله مما لا يناله احد لا سيما بحسب المكانة والنبوة وقوله تعالى فسخرنا له الريح الآية كان لسليمان كرسي فيه جنوده وتاتي عليه الريح الاعصار فتقله من الارض حتى يحصل في الهواء ثم تتولاه الرخاء وهي اللينة القوية لا تاتي فيها دفع مفرطة فتحمله غدوها شهر ورواحها شهر حيث اصاب معناه حيث اراد قاله وهب وغيره قال ابن عطية ويشبه ان اصاب معدى اصاب يصوب

اي حيث وجد جنوده وقال الزجاج معناه قصد ت وعليه اقتصر ابو حيان فانه قال اصاب اي قصد وانشد الثعلبي ن اصاب الكلام فلم يستطع ن فاخطا الجواب لدى المفصل وقوله كل بناء بدل من الشياطين ومقرنين معناه موثقين قد قرن بعضهم ببعض الاصفاد القيود والاغلال قال الحسن والاشارة بقوله هذا عطاؤنا الآية الى جميع ما اعطاه الله سبحانه من الملك وامره بان يمن على من يشاء ويمسك عمن يشاء فكانه وقفه على قدر النعمة ثم اباح له التصرف فيها بمشيئته وهذا اصح الاقوال واجمعها لتفسير الآية وتقدمت قصة ايوب في سورة الانبياء وقوله اني مسني الشيطان بنصب الآية النصب المشقة فيحتمل ان يشير الى مسه حين سلطه الله على اهلاك ماله وولده وجسمه حسبما روي في ذلك وقيل اشار الى مسه اياه في تعرضه لاهله وطلبه منها ان تشرك بالله فكان ايوب تشكى هذا الفعل وكان عليه اشد من مرضه وهنا في الآية محذوف تقديره فاستجاب له وقال اركض برجلك وروي ان ايوب ركض الارض فنبعت له عين ماء صافية باردة فشرب منها فذهب كل مرض في داخل جسده ثم اغتسل فذهب ما كان في ظاهر بدنه وروي ان الله تعالى وهب له اهله وماله في الدنيا ورد من مات منهم وما هلك من ماشيته وماله ثم بارك له في جميع ذلك وروي ان هذا كله وعد به في الآخرة والاول اكثر في قول المفسرين قلت وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال عبد قط اذا اصابه هم او حزن اللهم اني عبدك وابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي الا اذهب الله همه وابدل مكان حزنه فرحا قالوا يا رسول الله ينبغي لنا ان نتعلم هذه الكلمات قال اجل ينبغي لمن سمعهن ان يتعلمهن قال صاحب السلاح رواه الحاكم في المستدرك وابن حبان في صحيحه قلت ورويناه من طريق النووي عن ابن السني بسنده عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه انا عبدك ابن عبدك ابن امتك في قبضتك وفيه فقال رجل من القوم ان المغبون لمن غبن هؤلاء الكلمات فقال اجل فقولوهن وعلموهن من قالهن التماس ما فيهن اذهب الله تعالى حزنه واطال فرحه انتهى وقوله وذكرى معناه موعظة وتذكرة يعتبر بها اولو العقول ويتاسون بصبره في الشدائد ولا ييأسون من رحمة الله في الرخاء وروي ان ايوب عليه السلام كانت زوجته مدة مرضه تختلف اليه فيتلقاها الشيطان في صورة طبيب ومرة في هيئة ناصح وعلى غير ذلك فيقول لها لو سجد هذا المريض للصنم الفلاني لبرئ لو ذبح عناقا للصنم الفلاني لبرئ ويعرض عليها وجوها من الكفر فكانت هي ربما عرضت شيئا من ذلك على ايوب فيقول لها القيت عدو الله في طريقك فلما اغضبته بهذا ونحوه حلف عليها لئن برئ من مرضه ليضربنها مائة سوط فلما برئ امره الله تعالى ان ياخذ ضغثا فيه مائة قضيب والضغث القبضة الكبيرة من القضبان ونحوها من الشجر الرطب قاله الضحاك واهل اللغة فيضرب به ضربة واحدة فتبر يمينه وهذا حكم قد ورد في شرعنا عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في حد الزنا لرجل زمن فامر صلى الله عليه وسلم بعذق نخلة فيه شماريخ مائة او نحوها فضرب ضربة ذكر الحديث ابو داود وقال بهذا بعض فقهاء الامة ولم ير

يريد ذلك ملك بن انس واصحابه وكذلك جمهور العلما على ترك القول به وان الحدود وكبر في
الايمان لا تنفع الا تمام عدد الضرب او قرا الجمهور اولي الايدي يعني اولي القوة في طاعة الله قاله ابن عباس
ومجاهد وقالت فرقة معناه اولي الايدي والنعم التي اسداها الله اليهم من النبوة والمكانة والابصار
عبارة عن البصائر اي يبصرون الحقائق وينظرون بنور الله تعالى وقرا نافع وحده بخالصة ذكرى
الدار على الاضافة وقرا الباقون بخالصة على تنوين خالصة فذكرى على هذه القراءة بدل من خالصة
فيحتمل ان يكون معنى الاية انا اخلصناهم بان خلص لهم التذكير بالدار الاخرة ودعاء الناس اليها وهذا
قول قتادة وقيل المعنى انا اخلصناهم بان خلص لهم ذكرهم للدار الاخرة وخوفهم والعمل بحسب ذلك
وهذا قول مجاهد وقال ابن زيد المعنى انا وهبنا لهم افضل ما في الدار الاخرة واخلصناهم به
واعطيناهم اياه ويحتمل ان يريد بالدار دار الدنيا على معنى ذكر الثناء والتعظيم من الناس وقوله تعالى هذا
ذكر يحتمل معنيين احدهما ان يشير الى مدح من ذكر وابقاء الشرف له فيتايد بهذا القول قول من قال
ان الدار يراد بها الدنيا والثاني ان يشير بهذا الى القرآن اي ذكر للعالم ثم جاء بعد ذلك من حسن ماب ومفتحة
نعت لجنات والابواب مفعول لم يسم فاعله وباقي الاية بين قوله سبحانه هذا وان للطاغين لشر ماب
الاية التقدير الامر هذا ويحتمل ان يكون التقدير هذا واقع ونحوه والطاغين هنا الكفرة قوله
تعالى هذا فليذوقوه حميم وغساق قرا الجمهور غساق بتخفيف السين وهو اسم بمعنى السائل قال قتادة
الغساق ما يسيل من صديد اهل النار قال ص الغساق السائل وعن ابي عبيدة ايضا البارد المنتن
بلغة الترك انتهى قال الفخر هذا فليذوقوه حميم وغساق فيه وجهان الاول على التقديم والتاخير
والتقدير هذا حميم وغساق انتهى قلت والوجه الثاني ان الاية ليس فيها تقديم ولا تاخير وهو اوضح
وقرا الجمهور وآخر بالافراد اي ولهم عذاب اخر ومعنى من شكله اي من مثله وضربه وقرا ابو عمرو
وحده واخر على الجمع وازواج معناه انواع والمعنى لهم حميم وغساق واغذية اخر من ضرب ما ذكر
وقوله تعالى هذا فوج هو مما يقال لاهل النار اذا سيق عامة الكفار والاتباع اليها لان رؤساءهم
يدخلون النار اولا والظاهر ان قائل ذلك لهم ملائكة العذاب وهو الذي حكاه الثعلبي وغيره ويحتمل
ان يكون ذلك من قول بعضهم لبعض فيقول البعض الاخر لا مرحبا بهم اي لا سعة ولا مكان ولا خير
يلقونه وقوله بل انتم لا مرحبا بكم حكاية لقول الاتباع ايضا ايضاه دعوا على رؤسائهم اي انتم قدمتموه
لنا باغوائكم واسلفتم لنا ما اوجب هذا قال العراقي ٥ مقتحم اي داخل بشدة ٥ مجاوز لما اقتحم بالشدة
انتهى وقوله تعالى قالوا ربنا من قدم لنا هذا الاية حكاية لقول الاتباع ايضا دعوا على رؤسائهم
بان يكون عذابهم مضاعفا قوله تعالى وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار الاية
الضمير في قالوا لاشراف الكفار ورؤسائهم وهذا مطرد في كل امة وروي ان قائلي هذه المقالة
اهل القليب كابي جهل وامية بن خلف وعتبة بن ربيعة ومن جرى مجراهم وان الرجال الذين
يشيرون اليهم هم كعمار بن ياسر وبلال وصهيب ومن جرى مجراهم قاله مجاهد وغيره
والمعنى كنا في الدنيا نعدهم اشرارا وقرا حمزة والكسائي وابو عمرو اتخذناهم بوصل الالف
على ان يكون ذلك في موضع الصفة لرجالا وقرا الباقون اتخذناهم بهمزة الاستفهام و
معناها تقرير انفسهم على هذا على جهة التوبيخ لها والاسف اي اتخذناهم سخريا ولم
يكونوا كذلك وقرا نافع وحمزة والكسائي سخريا بضم السين من السخرة والاستخدام ام زاغت

وقرا الباقون سخريا بكسر السين وهو من الهزء

عنهم الابصار معادلة لما في قولهم ما لنا لا نرى والتقدير في هذه الاية امفقودون هم
ام هم معنا ولكن زاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم والزيغ الميل ثم امر تعالى نبيه بقوله ان
ذلك لحق تخاصم اهل النار والاشارة بقوله تعالى قل هو نبا عظيم هو للتوحيد والمعاد
فهي انتم عنه معرضون ثم امر عليه السلام ان يقول محتجا على صحة رسالته ما كان لي
من علم بالملا الاعلى لولا ان الله تعالى اخبرني بذلك والملا الاعلى اراد به الملائكة واختلف
في الشيء الذي هو اختصامهم فيه فقالت فرقة اختصامهم في شان ادم كقولهم اتجعل فيها
من يفسد فيها ويدل على ذلك ما ياتي من الايات وقالت فرقة بل اختصامهم في الكفارات وغفر
الذنوب ونحوه فان العبد اذا فعل حسنة اختلفت الملائكة في قدر ثوابه في ذلك حتى يقضي الله
بما يشا وروي في ذلك حديث فسره ابن فورك يتضمن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له
ربه عز وجل في نومه اتدري فيم يختصم الملا الاعلى قلت لا قال اختصموا في الكفارات والدرجات فاما
الكفارات فاسباغ الوضوء في الغدوات الباردة ونقل الاقدام الى الجماعات وانتظار الصلاة بعد
الصلاة واما الدرجات فافشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام الحديث قال
ابن العربي في احكامه وقد رواه الترمذي صحيحا وفيه قال سل قال اللهم اني اسالك فعل
الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لي وترحمني واذا اردت فتنة في قوم فتوفني
غير مفتون واسالك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقرب الى حبك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انها حق فادرسوها ثم تعلموها انتهى وقوله ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين قال الفراء
ان شئت جعلت انما في موضع رفع كانه قال ما يوحى الي الا الانذار او ما يوحى الي الا اني نذير مبين
انتهى وهكذا قال ابو حيان ان بمعنى ما وباقي الاية بين مما تقدم في البقرة وغيرها وقوله تعالى بيدي عبارة
عن القدرة والقوة وقوله استكبرت المعنى احدث لك الاستكبار الان ام كنت قديما ممن لا يليق
ان تكلف مثل هذا لعلو مكانك وهذا على جهة التوبيخ له قوله تعالى قال فاخرج منها فانك رجيم
وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت
الاية الرجيم اي المرجوم بالقول السيء واللعنة الابعاد وقوله سبحانه فالحق والحق بنصب الاثنين فاما
الثاني فمنصوب باقول واما الاول فيحتمل ان ينتصب على الاغراء ويحتمل ان ينتصب على القسم اسقط
حرف القسم فانه قال فوالحق ثم حذف الحرف كما تقول الله لافعلن تريد والله ويقوي ذلك قوله
لاملان وقد قال سيبويه قلت للخليل ما معنى لافعلن اذا جاءت مبتداة فقال هي بتقدير قسم منوي وقالت
فرقة الحق الاول منصوب بفعل مضمر وقرا ابن عباس فالحق والحق برفع الاثنين وقرا عاصم وحمزة فالحق
بالرفع والحق بالنصب وهي قراءة مجاهد وغيره ثم امر تعالى نبيه ان يخبرهم بانه ليس يسايل
منهم عليه اجرا وانه ليس ممن يتكلف ما لم يجعل ولا يتحلى بغير ما هو فيه قال الزبير بن العوام
نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للذين لا يدعون ولا يتكلفون الا اني بريء
من التكلف وصالحوا امتي وقوله ان هو يريد القرآن وذكر بمعنى تذكرة ثم توعدهم بقوله
ولتعلمن نباه بعد حين وهذا على حذف تقديره لتعلمن صدق نباه بعد حين قال ابن زيد
اشار الى يوم القيامة وقال قتادة والحسن اشار الى الاجال التي لهم لان كل واحد منهم بعد موته
سورة بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

الى القرآن وجميع ما تضمن وعظمه ان التصديق به نجاة والتكذيب هلكة ونحوه بقوله م

اقرا فالحق والحق اقرا مجاهد النبي فالحق انا
وقرا الجمهور فالحق والحق

الزمر مكية باجماع غير ثلاث آيات نزلت في شأن وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب وهي قل
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآيات وقالت فرقة الى آخر السورة هو مدني وقيل فيها مدني سبع آيات
قوله تعالى تنزيل الكتاب الآية تنزيل رفع بالابتداء والخبر قوله من الله وقالت فرقة تنزيل خبر
مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل والاشارة الى القرآن قاله المفسرون ويظهر لي انه اسم
عام لجميع ما نزل من عند الله فكأنه اخبر اخبارا مجردا ان الكتب الهادية الشارعة انما تنزيلها من الله
تعالى وجعل هذا الاخبار تقدمة وتوطئة لقوله انا انزلنا اليك الكتاب وقوله بالحق معناه
متضمنا الحق اي بالحق فيه وفي احكامه واخباره والدين هنا يعم المعتقدات واعمال الجوارح قال قتادة
والدين الخالص لا اله الا الله وقوله والذين اتخذوا من دونه اولياء اي يقولون ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى وفي مصحف ابن مسعود قالوا ما نعبدهم وهي قراءة ابن عباس
وغيره وهذه المقالة شائعة في العرب في الجاهلية يقولون في معبوداتهم من الاصنام وغيرها
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله قال مجاهد وقد قال ذلك قوم من اليهود في عزير وقوم من النصارى
في عيسى وزلفى بمعنى قربى وتوصلة كأنهم قالوا ليقربونا الى الله تقريبا وكأن هذه الطوائف
كلها ترى نفوسها اقل من ان تتصل هي بالله فكانت ترى ان تتصل بمخلوقاته وزلفى عند سيبويه
مصدر في موضع الحال كأنه تنزل منزلة متزلفين والعامل فيه يقربونا وقرأ الجحدري
كذاب كفار بالمبالغة فيهما وهذه المبالغة اشارة الى التوغل في الكفر وقوله تعالى لو اراد الله
ان يتخذ ولدا معناه اتخاذ التشريف والتبني وعلى هذا يستقيم قوله تعالى لاصطفى مما يخلق واما
الاتخاذ المعروف في النسل فمستحيل ان يتوهم في جهة الله تعالى ولا يستقيم عليه معنى قوله لاصطفى
مما يخلق وقوله تعالى وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا لفظ يعم اتخاذ النسل واتخاذ الاصطفاء فاما
الاول فمعقول واما الثاني فمعروف بخبر الشرع ومما يدل على ان معنى قوله ان يتخذ ولدا انما المقصود
به اتخاذ اصطفاء وتبن قوله مما يخلق اي من موجوداته ومحدثاته ثم نزه سبحانه نفسه تنزيها مطلقا
عن كل ما لا يليق به سبحانه وقوله تعالى يكور الليل على النهار الآية معناه يعيد من هذا على هذا ومنه
كور العمامة التي يلتوي بعضها على بعض فكأن الذي يطول من النهار او الليل يصير منه على الآخر جزء
فيستره وكأن الآخر الذي يقصر يلج في الذي يطول فيستتر فيه وقوله تعالى خلقكم من نفس واحدة
ثم جعل منها زوجها قيل ثم هنا لترتيب الاخبار لا لترتيب الوجود وقيل قوله خلقكم من نفس
واحدة هو اخذ الذرية من ظهر آدم وذلك شيء كان قبل حواء وهذا يحتاج الى سند قاطع وقوله
سبحانه في ظلمات ثلاث قالت فرقة الاولى هي ظهر الاب ثم رحم الام ثم المشيمة في البطن وقال مجاهد
وغيره هي المشيمة والرحم والبطن وهذه الآيات كلها عبر وتنبيه على توحيد الخالق الذي لا يستحق العبادة
غيره وتوهين لامر الاصنام وقوله سبحانه ان تكفروا فان الله غني عنكم الآية قال ابن عباس هذه الآية
مخاطبة للكفار قال ع ويحتمل ان تكون مخاطبة لجميع الناس لان الله سبحانه غني عن جميع الناس
وهم فقراء اليه واختلف المتأولون من اهل السنة في تأويل قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر فرقة
فقالت فرقة الرضى بمعنى الارادة والكلام ظاهره العموم ومعناه الخصوص فيمن قضى الله له بالايمان وحتمه له
فعباده على هذا ملائكته ومؤمنو الانس والجن وهذا يتركب على قول ابن عباس وقالت فرقة الكلام
عموم صحيح والكفر يقع ممن يقع بارادة الله تعالى الا انه بعد وقوعه لا يرضاه دينا لهم ومعنى لا يرضاه

لا يشكره لهم ولا يثيبهم به خيرا فالرضا على هذا هو صفة فعل بمعنى القبول ونحوه وتأمل
الارادة فانما هي حقيقة فيما لم يقع بعد والرضا فانما هو حقيقة فيما قد وقع واعتبر هذا في
آيات القرآن تجده وان كانت العرب قد تستعمل في اشعارها على جهة التجوز هذا بدل هذا وقوله تعالى
وان تشكروا يرضه لكم عموم والشكر الحقيقي في ضمنه الايمان قال النووي وروينا في سنن ابي
داود عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال رضيت بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وجبت له الجنة انتهى وقوله تعالى واذا مس الانسان ضر دعا ربه
الآية الانسان هنا الكافر وهذه الآية بين تعالى بها على الكفار انهم على كل حال يلجأون اليه في حال الضرورات
وخوله معناه ملكه وحكمه فيها ابتداء من الله لا مجازاة ولا يقال في الجزاء خول وقوله تعالى نسي ما كان
يدعو اليه قالت فرقة ما مصدرية والمعنى نسي دعاءه اليه في حال الضرورة ورجع الى كفره وقالت
فرقة ما بمعنى الذي والمراد بها الله تعالى اي نسي الله وعبارة الثعلبي قوله نسي ما كان يدعو اليه من قبل اي
ترك عبادة الله تعالى والتضرع اليه من قبل في حال الضر انتهى وباقي الآية بين وقوله تعالى امن هو قانت
بتخفيف الميم هي قراءة نافع وابن كثير وحمزة والهمزة للتقرير والاستفهام وكأنه يقول اهذا القانت
خير ام هذا المذكور الذي يتمتع بكفره قليلا وهو من اصحاب النار وقرأ الباقون امن بتشديد الميم
والمعنى اهذا الكافر خير ام من هو قانت والقانت المطيع وبهذا فسر ابن عباس رضي الله عنه والقنوت
في الكلام يقع على القراءة وعلى طول القيام في الصلاة وبهذا فسر ابن عمر رضي الله عنه قال الفخر قيل
ان المراد بقوله امن هو قانت آناء الليل عثمان بن عفان لانه كان يحيي الليل والصحيح انها عامة في كل
من اتصف بهذه الصفة وفي هذه الآية تنبيه على فضل قيام الليل انتهى وروي عن ابن عباس انه قال من احب ان
يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فليره الله في سواد الليل ساجدا وقائما ت قال الشيخ عبد الحق
في العاقبة وعن قبيصة بن سفيان قال رأيت سفيان الثوري في المنام بعد موته فقلت له ما فعل الله بك
فقال

نظرت الى ربي عيانا فقال لي ... هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما اذا الليل قد دجا ... بعبرة محزون وقلب عميد
فدونك فاختر اي قصر تريده ... وزرني فاني عنك غير بعيد

وكان شعبة بن الحجاج ومسعر بن كدام رجلين فاضلين وكانا من ثقات المحدثين وحفاظهم وكان شعبة اكبر قال
ابو احمد اليزيدي فرأيتهما في النوم وكنت الى شعبة اميل مني الى مسعر فقلت يا ابا بسطام ما فعل الله بك فقال وفقك الله
يا بني احفظ ما اقول

جازاني الهي في الجنان بقبة ... لها الف باب من لجين وجوهرا
وقال لي الجبار يا شعبة الذي ... تبحر في جمع العلوم واكثرا
تمتع بقربي انني عنك ذو رضى ... وعن عبدي القوام في الليل مسعرا
كفى مسعرا عزا بان سيزورني ... واكشف عن وجهي ويدنو لينظرا
وهذا فعالي بالذين تنسكوا ... ولم يألفوا في سالف الدهر منكرا

والآناء الساعات واحدها اني كمعي ويقال اني بكسر الهمزة وسكون النون واني على وزن قفى قوله
سبحانه يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قال ابن الجوزي في المنتخب يقول الله تعالى لا اجمع على عبدي خوفين ولا
امنين من خافني في الدنيا امنته في الآخرة ومن امنني في الدنيا اخفته في الآخرة يا اخي امتطى القوم
مطايا الدجى على مركب السهر فما حلوا ولا حلوا رحالهم حتى السحر درسوا القرآن فغرسوا بايدي الفكر

ازكى الشجر • ومالوا الى النفوس باللوم فلا تسال عما شجر • رجعوا بنيل القبول من ذلك السفر •
ووقفوا على كنز النجاة وما عندك خبر فاذا جاء النهار قدموا طعام الجوع وقالوا للنفس هذا الذي
حضر شعر

خذوا عزما ما لحت الارض فيها فصار سراهم في ظهور العزائم
تراهم نجوم الليل ما يبتغونه على عاتق الشعرى وهام النعائم

مالت بالقوم ريح السحر • ميل الشجر بالاغصان • هز الخوف افنان القلوب فانتشرت الافنان • فالقلب يخشع
واللسان يضرع • والعين تدمع • والوقت بستان • خلوتهم بالحبيب تشغلهم عن نعم ونعمان • سرورهم
اساورهم والخشوع تيجان • خضوعهم حلاهم وما دمعهم در ومرجان • وباعوا الحرص بالقناعة
فما ملك انوشروان • فاذا وردوا القيامة تلقاهم بشر لولاكم ما طاب الجنان • يبشرهم ربهم برحمة منه
ورضوان • اين انت منهم يا نائم كيقظان • كم بينك وبينهم • اين الشجاع من الجبان • ما للمواعظ فيك
نجح موضع للوعظ منك ملآن • يا اخي قف على باب النجاح ولكن وقوف لهفان • واركب سفن الصلاح
فهذا الموت طوفان • اخواني انما الليل والنهار مراحل • ومركب العمر قد قارب الساحل فانتبه لنفسك
وازدجر يا غافل • يا هذا انت مقيم في مناخ الراحلين • ويحك اغتنم ايام القدرة قبل صيحة
الانتزاع فما اقرب ما ينتظر • وما اقل المكث فيما يزول وما يتغير انتهى وقوله سبحانه قل يا عبادي
الذين امنوا اتقوا ربكم يروى ان هذه الاية نزلت في جعفر بن ابي طالب واصحابه حين عزموا
على الهجرة الى ارض الحبشة ووعد سبحانه بقوله للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة فقوله في
هذه الدنيا متعلق باحسنوا والمعنى ان الذين يحسنون لهم حسنة في الدنيا وهي العافية
والظهور والولاية الله تعالى قاله السدي والاول ارجح ان الحسنة هي في الاخرة وقوله سبحانه
وارض الله واسعة حض على الهجرة ثم وعد تعالى على الصبر على المكاره والخروج عن الوطن
ونصرة الدين وجميع الطاعات بتوفية الاجور بغير حساب وهذا يحتمل معنيين احدهما
ان الصابر يوفى اجره ولا يحاسب عن نعيم ولا يتابع بذنوب ويكون في جملة الذين يدخلون
الجنة بغير حساب والثاني من معنيين ان اجور الصابرين توفى بغير حصر ولا عد بل جزافا وهذه
استعارة للكثرة التي لا تحصى والى هذا التاويل ذهب جمهور المفسرين حتى قال قتادة ليس
والله ثم مكيال ولا ميزان وفي الحديث انه لما نزلت والله يضاعف لمن يشاء قال النبي صلى
الله عليه وسلم اللهم زد امتي فنزلت بعد ذلك من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه
له اضعافا كثيرة فقال اللهم زد امتي حتى نزلت انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
فقال رضيت يا رب وقوله تعالى قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم من المعلوم انه عليه
الصلاة والسلام معصوم من العصيان وانما الخطاب بالاية لامته يعمهم حكمه ويخفهم وعيده وقوله
تعالى فاعبدوا ما شئتم من دونه هذه صيغة امر على جهة التهديد وهذا في القران كثير
والظلة ما غشي وعم كالسحابة وسقف البيت ونحوه وقوله سبحانه ذلك يخوف الله
به عباده يريد جميع العالم وقوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت الاية قال ابن زيد ان
نزولها في زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسي وابو ذر الغفاري والاشارة اليهم قلت سلمان انما
اسلم بالمدينة فيلزم على هذا التاويل ان تكون الاية مدنية وقال ابن اسحق الاشارة بها الى عبد
الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد والزبير وذلك انه لما اسلم ابو بكر

في الدنيا لهم حسنة في الاخرة وهي
الجنة والنعيم قاله مقاتل ويحتمل ان يريد
الذين يحسنون م

سمع

سمعوا ذلك فجاؤه فقالوا اسلمت فقال نعم وذكرهم بالله سبحانه فامنوا باجمعهم فنزلت فيهم
هذه الاية وهي على كل حال عامة في الناس الى يوم القيامة بينا ولهم حكمها والطاغوت كل
ما عبد من دون الله وقوله سبحانه الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه كلام
عام في جميع الاقوال والمقصد الثناء على هؤلاء في نفوذ بصائرهم وقوام نظرهم حتى انهم
اذا سمعوا قولا ميزوه واتبعوا احسنه قال ابو حيان الذين يستمعون صفة لعباد
وقيل الوقوف على عبادي والذين مبتدأ خبره اولئك وما بعده انتهى قوله تعالى افمن حق عليه كلمة
العذاب افانت تنقذ من في النار قالت فرقة معنى الاية افمن حقت عليه كلمة العذاب افانت
تنقذه لكنه زاد الهمزة الثانية توكيدا واظهر الضمير تشهيرا لهؤلاء القوم واظهارا لخسة منازلهم
وقوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف الاية معادلة لما تقدم وتخصيص على التقوى وعادلت
غرف من فوقها غرف ما تقدم من ظلل فوقهم ومن تحتهم والاحاديث الصحيحة في هذا الباب كثيرة ثم
وقف تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام وامته على معتبر من مخلوقاته فقال الم تر ان الله انزل من السماء
ماء الاية قال الطبري الاشارة الى ماء المطر ونبع العيون منه وسلكه معناه اجراه وادخله
في الارض ويهيج معناه ييبس وهاج الزرع والنبات اذا يبس والحطام اليابس المفتت ومعنى
لذكرى اي للبعث من القبور واحياء الموتى على قياس هذا المثال المذكور وقوله تعالى افمن شرح
الله صدره للاسلام الاية روي ان هذه الاية نزلت في علي وحمزة وفي ابي لهب وابنه وهما
اللذان كانا من القاسية قلوبهم وفي الكلام محذوف يدل عليه الظاهر تقديره افمن شرح الله
صدره كالقاسي القلب المعرض عن امر الله وشرح الصدر استعارة لتحصيله للنظر الجيد والايمان
بالله والنور هداية الله تعالى وهي اشبه شيء بالضوء قال ابن مسعود قلنا يا رسول الله وما
علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزول
الموت والقسوة شدة القلب وهي ماخوذة من قسوة الحجر شبه قلب الكافر به في صلابته
وقلة انفعاله للوعظ وروى الترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وان ابعد الناس من الله
القلب القاسي قال الترمذي هذا حديث حسن غريب انتهى وقال مالك بن دينار ما ضرب عبد
بعقوبة اعظم من قسوة قلبه قال ابن هشام قوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله من هنا
مرادفة عن وقيل هي للتعليل اي من اجل ذكر الله لانه اذا ذكر الله قست قلوبهم عياذا بالله
وقيل هي للابتداء انتهى من المغني قال الفخر اعلم ان ذكر الله سبب لحصول النور والهداية وزيادة
الاطمينان في النفوس الطاهرة الروحانية وقد يوجب القسوة والبعد عن الحق في النفوس الخبيثة الشيطانية
فاذا عرفت هذا فنقول ان راس الادوية التي تفيد الصحة الروحانية ورئيسها هو ذكر الله فاذا اتفق
لبعض النفوس ان صار ذكر الله سببا لازدياد مرضها كان مرض تلك النفوس مرضا لا يرجى زواله
ولا يتوقع علاجه وكانت في نهاية الشر والرداءة فلهذا المعنى قال تعالى فويل للقاسية قلوبهم
من ذكر الله اولئك في ضلال مبين وهذا كلام كامل محقق انتهى وقوله تعالى الله نزل احسن الحديث
يريد القران وروي عن ابن عباس ان سبب نزول هذه الاية ان قوما من الصحابة قالوا يا رسول الله
حدثنا باحاديث حسان ولخبرنا باخبار الدهر فنزلت الاية وقوله متشابها مستويا لا تناقض

كيف انشراح الصدر قال اذا دخل النور القلب
انشرح وانفسح قلنا يا رسول الله م

فيه ولا تدافع بل يشبه بعضه بعضا في وصف اللفظ ووثاقة البراهين وشرف المعاني
اذ هي اليقين في العقائد في الله وصفاته وافعاله وشرعه ومثاني معناه موضع تثنية
للقصص والاقضية والمواعظ تثنى فيه ولا تمل مع ذلك ولا يعرضها ما يعرض الحديث المعاد
وقال ابن عباس ثنى فيه الامر مرارا ولا ينصرف مثاني لانه جمع لا نظير له في الواحد وقوله تعالى تقشعر
منه جلود الذين يخشون ربهم الآية عبارة عن قف شعر الانسان عند ما يداخله خوف ولين
قلب عند سماع موعظة او زجر قرآن ونحوه وهذه علامة وقوع المعنى المخشع في قلب السامع وفي
الحديث ان ابي بن كعب قرأ عند النبي صلى الله عليه وسلم فرقت القلوب فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اغتنموا الدعاء عند الرقة فانها رحمة وقال ابن عباس بن عبد المطلب قال النبي صلى الله عليه وسلم
من اقشعر جلده من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وقالت
اسماء بنت ابي بكر كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم عند سماع القرآن
قيل لها ان اقواما اليوم اذا سمع احدهم القرآن خر مغشيا عليه فقالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وعن
ابن عمر نحوه وقال ابن سيرين بيننا وبين هؤلاء الذين يصرعون عند قراءة القرآن ان يجعل
احدهم على حائط ماد رجليه ثم يقرأ عليه القرآن كله فان رمى بنفسه فهو صادق ت وهذا
كله تغليظ على المرائين والمتصنعين ولاخلاف اعلمه بين ارباب القلوب وائمة التصوف ان التصنع
عندهم بهذه الامور ممقوت واما من غلبه الحال لضعفه وقوي الوارد عليه حتى ذهب عن حسه
فانه ان شاء الله من سادة الاخيار والاولياء الابرار وقد وقع ذلك لكثير من الاخيار يطول
تعدادهم كابن وهب واحمد بن معتب المالكيين ذكرهما عياض في مداركه وانهما ماتا من ذلك
وكذلك مالك بن دينار مات من ذلك ذكره عبد الحق في العاقبة وغيرهم ممن لا يحصى كثرة ومن
كلام عز الدين بن عبد السلام رحمه الله في قواعده الصغرى قال وقد يصيح بعضهم لغلبة الحال عليه
والجائها اياه الى الصياح وهو في ذلك معذور ومن صاح لغير ذلك فمتصنع ليس من القوم في شيء وكذا
من اظهر شيئا من الاحوال رياء وتسميعا فانه ملحق بالفجار دون الابرار انتهى وقوله تعالى
ذلك هدى الله يحتمل ان يشير الى القرآن ويحتمل ان يشير الى الخشية واقشعرار الجلود اي ذلك امارة
هدى الله قال الغزالي في الاحياء والمستحب من التالي للقرآن ان يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب
اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغير ذلك ومهما
تمت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه انتهى قال الشيخ الولي العارف عبد الله بن ابي جمرة وكان
النبي صلى الله عليه وسلم في قيامه يكسوه من كل آية يقرأها حال يناسب معنى تلك الآية وكذلك ينبغي
ان نكون نحن وقت القراءة والا نكون ثانية مثل الحمار يحمل اسفارا انتهى وقوله تعالى افمن يتقي بوجهه
سوء العذاب الآية تقرير بمعنى التعجب والمعنى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب كالمنعمين في الجنة قال مجاهد
يتقي بوجهه اي يجر على وجهه في النار وقالت فرقة ذلك لما روي ان الكافر يلقى في النار مكتوفا مربوطة
يداه الى رجليه مع عنقه ويكب على وجهه فليس له شيء يتقي به الا وجهه وقالت فرقة المعنى
في ذلك صفة كثرة ما ينالهم من العذاب يتقيه بكل جارحة منه حتى بوجهه الذي هو
اشرف جوارحه وهذا المعنى ابين بلاغة ثم مثل لقريش بالامم الذين من قبلهم وما نالهم
من العذاب في الدنيا المتصل بعذاب الآخرة الذي هو اكبر ونفى الله سبحانه عن القرآن العوج

لانه لا اختلاف فيه ولا تناقض ولا مغمز بوجه وقوله سبحانه ضرب الله مثلا رجلا فيه
شركاء متشاكسون الآية هذا مثل ضربه الله سبحانه في التوحيد فمثل الله تعالى الكافر العابد للاوثان
والشياطين بعبد لرجال عدة في اخلاق شرسة متشاكسة وعدم مسامحة فهم لذلك يعذبون ذلك
العبد بتضايقهم او في تهمة وهذا يقول العبد في كثرة العمل فهو ابدا في نصب منهم وعناء فكذلك
عابد الاوثان الذي يعتقد ان ضره ونفعه عندها هو معذب الفكر بها وبحراسة حاله
منها ومتى توهم انه ارضى صنما بالذبح له في زعمه تفكر فيما يصنع مع الآخر فهو ابدا تعب
ضلال وكذلك هو المصانع للناس الممتحن بخدمة الملوك ومثل تعالى المؤمن بالله وحده بعبد
لرجل واحد يكلفه شغله فهو يعمله على تؤدة وقد ساس مولاه فالمولى يغفر زلته ويشكره على
اجادة عمله ومثلا مفعول بضرب ورجلا نصب على البدل ومتشاكسون معناه لا تسامح في
اخلاقهم بل فيها لجاج وقرأ ابن كثير وابو عمرو سالما اي سالما من الشركة ثم وقف تعالى الكفار
بقوله هل يستويان مثلا وضرب مثلا على التمييز وهذا التوقيف لا يجيب عنه احد الا بانهما
لا يستويان فلذلك عاملهم تعالى بحسب ما تقرر على انهم قد اجابوا فقال الحمد لله اي على ظهور الحجة
عليكم من اقوالكم وباقي الآية بين والاختصام في الآية قيل عام في المؤمنين والكافرين قال ع
ومعنى الآية عندي ان الله تعالى توعدهم بانهم سيختصمون يوم القيامة في معنى ردهم في وجه
الشريعة وتكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وروي الترمذي من حديث عبد الله بن الزبير
قال لما نزلت ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله اتكرر علينا الخصومة
بعد الذي كان بيننا في الدنيا قال نعم ان الامر اذن لشديد انتهى قوله تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله
الآية الاشارة بهذا الكذب الى قولهم ان لله صاحبة وولدا وقولهم هذا حلال وهذا حرام
افتراء على الله ونحو ذلك وكذبوا ايضا بالصدق وذلك تكذيبهم بما جاء به محمد صلى الله عليه
وسلم ثم توعدهم سبحانه توعدا فيه احتقارهم بقوله اليس في جهنم مثوى للكافرين
وقرأ ابن مسعود والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به والصدق هنا القرآن والشرع بجملته
وقالت فرقة الذي يراد به الذين وحذفت منه النون قال ع وهذا غير جيد وتركيب
جاء عليه يرد ذلك بل الذي هاهنا هي للجنس والآية معادلة لقوله فمن اظلم قال قتادة وغيره
الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم والذي صدق به هم المؤمنون وهذا اصوب
الاقوال وذهب قوم الى ان الذي صدق به ابو بكر وقيل علي وتعميم اللفظ اصوب وقوله
تعالى اولئك هم المتقون قال ابن عباس اتقوا الشرك وقوله تعالى ليكفر يحتمل ان يتعلق بقوله
المحسنين اي الذين احسنوا ليكفر قاله ابن زيد ويحتمل ان يتعلق بفعل مضمر مقطوع
مما قبله تقديره يسرهم الله لذلك ليكفر لان التكفير لا يكون الا بعد التيسير للخير وقوله
تعالى اليس الله بكاف عبده تقوية لنفس النبي عليه الصلاة والسلام وقرأ حمزة والكسائي عباده
يريد الانبياء وانت يا محمد احدهم فيدخل في ذلك المؤمنون المطيعون والمتوكلون على
الله سبحانه وقوله سبحانه ويخوفونك بالذين من دونه اي الذين يعبدون وباقي الآية بين
وقد تقدم تفسير نظيره وقوله تعالى فمن اهتدى فلنفسه اي فلنفسه عمل وسعى ومن
ضل فعليها ثم نبه تعالى على آية من آياته الكبرى تدل الناظر على الوحدانية وان ذلك لا شركة

فيه الصنم وهي حالة النوم وذلك ان ما توفاه الله تعالى التوفي الكامل فهو الذي يموت وما توفاه
توفيا غير مكمل فهو الذي يكون في النوم قال ابن زيد النوم وفاة وكثر الناس في هذه الاية وفي الفرق
بين النفس والروح وفرق قوم بين نفس التمييز ونفس التخييل الى غير ذلك من الاقوال التي هي غلبة
ظن وحقيقة الامر في هذا هي مما استاثر الله به وغيبه عن عباده في قوله قل الروح من امر ربي
ويكفيك ان في هذه الاية يتوفى الانفس وفي الحديث الصحيح ان الله قبض ارواحنا حين شاء وردها
علينا حين شاء في حديث بلال في الوادي فقد نطقت الشريعة بقبض الروح والنفس وقد قال تعالى
قل الروح من امر ربي والظاهر ان الخوض في هذا كله عناء وان كان قد تعرض للقول في هذا ونحوه
ائمة ذكر الثعلبي عن ابن عباس انه قال في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس
هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحريك فاذا نام العبد قبض الله تعالى نفسه
ولم يقبض روحه وجاء في آداب النوم واذكاره احاديث صحيحة ينبغي للعبد ان لا يخلي منها
وقد روى جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اوى الرجل الى فراشه ابتدره
ملك وشيطان فيقول الملك اختم بخير ويقول الشيطان اختم بشر فان قال الحمد لله الذي رد الي نفسي ولم
يمتها في منامها الحمد لله الذي يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من
احد من بعده انه كان حليما غفورا الحمد لله الذي يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس
لرؤف رحيم فان وقع من سريره فمات دخل الجنة رواه النسائي واللفظ له والحاكم في المستدرك وابن
حبان في صحيحه وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وزاد في اخره الحمد لله الذي يحيي الموتى وهو على كل شيء
قدير انتهى من السلاح وفيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين ياوي الى
فراشه لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر غفرت له ذنوبه او خطاياه شك
مسعر وان كانت مثل زبد البحر رواه ابن حبان في صحيحه ورواه النسائي موقوفا انتهى وروى
الترمذي عن ابي امامة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من اوى الى فراشه طاهرا يذكر
الله حتى يدركه النعاس لم ينقلب ساعة من الليل يسال الله شيئا من خير الدنيا والاخرة الا اعطاه
اياه والاجل المسمى في هذه الاية هو عمر كل انسان والضماير في قوله تعالى اولو كانوا لا يملكون
شيئا ولا يعقلون للاصنام وقوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون
بالاخرة الاية قال مجاهد وغيره نزلت في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم سورة النجم عند الكعبة
بمحضر من الكفار وقرا افرأيتم اللات والعزى الاية والقى الشيطان يعني في اسماع الكفار تلك الغرانقة
العلى على ما مر في سورة الحج واستبشروا اشمازت نفوسهم معناه تقبضت كبرا وانفة و
كراهية ونفورا وقوله قل اللهم فاطر السموات والارض الاية امر لنبيه عليه الصلاة والسلام
بالدعاء اليه ورد الحكم الى عدله ومعنى هذا الامر تضمن الاجابة وقوله تعالى وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون وقوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا الاية قال الزجاج التخويل العطاء
عن غير مجازاة والنعمة هنا عامة في المال وغيره ويقوي الاشارة الى المال بقوله انما اوتيته
على علم قال قتادة يريد انما اوتيته على علم مني بوجوه المكاسب والتجارات ويحتمل ان يريد
على علم من الله في واستحقاق جزته عند الله ففي هذا التاويل اغترار بالله وفي الاول اعجاب

فان ذكر الله ثم نام بات الملك يكلؤه فان استيقظ قال الملك افتح بخير وقال الشيطان افتح بشر م

لطيفة [illegible] محمد بن المنكدر عند [illegible] وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون م

بالنفس

بالنفس ثم قال تعالى بل هي فتنة اي ليس الامر كما قال بل هذه الفعلة به فتنة له وابتلاء ثم اخبر
تعالى عمن سلف من الكفرة انهم قد قالوا هذه المقالة كقارون وغيره فما اغنى عنهم ما كانوا
يكسبون من الاموال والذين ظلموا من هؤلاء المعاصرين لك يا محمد سيصيبهم سيئات ما كسبوا قال
ابو حيان فما اغنى يحتمل ان تكون ما نافية واستفهامية فيها معنى النفي انتهى وقوله تعالى قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية هذه الاية عامة في جميع الناس الى يوم القيامة في كل
كافر ومؤمن توبة على ما تقدم تفصيله واختلف في سبب نزول هذه الاية فقال عطاء بن يسار نزلت
في وحشي قاتل حمزة وقال ابن اسحق وغيره نزلت في قوم بمكة امنوا ولم يهاجروا وفتنتهم قريش فافتتنوا
ثم ندموا وظنوا انهم لا توبة لهم فنزلت الاية فيهم منهم الوليد بن الوليد وهشام بن العاصي وهذا
قول عمر بن الخطاب وانه كتبها بيده الى هشام بن العاصي الحديث وقالت فرقة نزلت في قوم كفار من اهل الجاهلية
قالوا وما ينفعنا الاسلام ونحن قد زنينا وقتلنا النفس واتينا كل كبيرة فنزلت الاية فيهم وقال
علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عمر هذه ارجى اية في القرآن وروى ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما احب ان لي الدنيا بما فيها بهذه الاية يا عبادي واسرفوا معناه افرطوا والقنط اعظم
الياس وقرا نافع والجمهور تقنطوا بفتح النون قال ابو حاتم فيلزمهم ان يقرؤوا من بعد ما قنطوا
بكسرها ولم يقرا به احد وقرا ابو عمرو تقنطوا بالكسر وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا عموم بمعنى
الخصوص لان الشرك ليس بداخل في الاية اجماعا وهي ايضا في المعاصي مقيدة بالمشيئة وروى ان النبي
صلى الله عليه وسلم قرا ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي وقرا ابن مسعود ان الله يغفر الذنوب
جميعا لمن يشاء وانيبوا معناه ارجعوا قوله سبحانه واتبعوا احسن ما انزل اليكم الاية معناه
ان القرآن العزيز تضمن عقائد نيرة واوامر ونواهي منجية وعدات على الطاعات والبر
وتضمن ايضا حدودا على المعاصي ووعيدا على بعضها فالاحسن للمرء ان يسلك طريق الطاعة والانتهاء عن
المعصية والعفو في الامور ونحو ذلك من ان يسلك طريق الغفلة والمعصية فيحد ويقع
تحت الوعيد فهذا المعنى هو المقصود بالاحسن وليس المعنى ان بعض القرآن احسن من بعض من حيث
هو قرآن ت وروى ابو بكر بن الخطيب بسنده عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم في قول الله عز وجل يا حسرتى في الحسرة ان يرى اهل النار منازلهم من الجنة قال
فهي الحسرة انتهى وقوله فرطت في جنب الله اي في جهة طاعته وتضييع شريعته والايمان به وقال
مجاهد في جنب الله اي في امر الله وقول الكافر وان كنت لمن الساخرين ندامة على استهزائه بامر الله
تعالى وكرة مصدر من كر يكر وهذا الكون في هذه الاية داخل في التمني وباقي الاية بين الفاظه لائحة
حجته واضحة ثم خاطب تعالى نبيه بخبر ما يراه يوم القيامة من حالة الكفار وفي ضمن هذا الخبر
وعيد بين للمعاصرين فقال ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ترى من رؤية
العين وظاهر الاية ان وجوههم تسود حقيقة وقوله سبحانه وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم
الاية ذكر تعالى حالة المتقين ونجاتهم ليعادل بذلك ما تقدم من شقاق الكافرين وفي ذلك ترتيب
حالة المتقين لان الاشياء تتبين باضدادها ومفازتهم مصدر من الفوز وفي الكلام حذف
تقديره وينجي الله الذين اتقوا باسباب مفازتهم والمقاليد المفاتيح وقال ابن عباس واحدها
مقلاد كمفتاح وقال عثمان سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن مقاليد السموات والارض

فقال هي لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن يحيي ويميت وهو على كل شي قدير وقوله تعالى ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك الاية قالت فرقة المعنى ولقد اوحي الى كل نبي لئن اشركت ليحبطن عملك ت قد تقدم غير ما مرة ان ما ورد من مثل هذا فهو محمول على ارادة الامة لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم وانما المراد من يمكن ان يقع ذلك منه وخوطب هو صلى الله عليه وسلم تعظيما للامر قال م ليحبطن جواب القسم وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه انتهى وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره معناه وما عظموا الله حق عظمته ولا وصفوه بصفاته ولا نفوا عنه ما لا يليق به قال ابن عباس نزلت هذه الاية في كفار قريش الذين كانت هذه الاية كلها محاورة لهم وردا عليهم وقالت فرقة نزلت في قوم من اليهود تكلموا في صفات الله تعالى فالحدوا وجسموا واتوا بكل تخليط قوله تعالى والارض جميعا قبضته معناه في قبضته واليمين هنا والقبضة عبارة عن القدرة والقوة وما اختلج في الصدر غير ذلك باطل وصعق في هذه الاية معناه خر ميتا والصور القرن ولا يتصور هنا غير هذا ومن يقول الصور جمع صورة فانما يتوجه قوله في نفخة البعث وقد تقدم بيان نظر هذه الاية وهذه الاية في غير هذا الموضع وقوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى هي نفخة البعث وفي الحديث ان بين النفختين اربعين لا يدري ابو هريرة سنة او شهرا او يوما او ساعة ت ولفظ مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قال الناس يا ابا هريرة اربعين سنة قال ابيت قالوا اربعين شهرا قال ابيت قالوا اربعين يوما قال ابيت الحديث قال صاحب التذكرة فقيل معنى قوله ابيت اي امتنعت من بيان ذلك اذ ليس هو مما تدعو اليه حاجة وعلى هذا كان عنده علم ذلك وقيل المعنى ابيت ان اسأل النبي صلى الله وسلم عن ذلك وعلى هذا فلا علم عنده والاول اظهر وقد جاء ان ما بين النفختين اربعين عاما انتهى وقد تقدم ان الصحيح في المستثنى في الاية انهم الشهداء قال الشيخ ابو محمد بن بزيزة في شرح الاحكام الصغرى لعبد الحق الذي تلقيناه من شيوخنا المحققين ان العوالم التي لا تفنى سبعة العرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار والارواح انتهى واشرقت الارض بنور ربها معناه اضاءت وعظم نورها والارض في هذه الاية الارض المبدلة من الارض المعروفة وقوله بنور ربها اضافة خلق الى خالق والكتاب كتاب حساب الخلائق ووحده على اسم الجنس لان كل احد له كتاب على حدة وجيء بالنبيين اي ليشهدوا على اممهم والشهداء قيل هو جمع شاهد وقيل جمع شهيد في سبيل الله والاول ابين في معنى التوعد والضمير في قوله بينهم عائد على العالم باجمعه اذ الاية تدل عليهم وزمرا معناه جماعات متفرقة واحدتها زمرة وقوله فتحت جواب اذا والكلام هنا يقتضي ان فتحها انما يكون بعد مجيئهم وفي وقوفهم قبل فتحها مذلة لهم وهكذا هي حال السجون ومواضع الثقاف والعذاب بخلاف قوله في اهل الجنة وفتحت فالواو مؤذنة بانهم يجدونها مفتوحة كمنازل الافراح والسرور قوله تعالى وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم الاية في قوله منكم اعظم في الحجة اي رسل من جنسكم لا يصعب عليكم مرامهم ولا فهم اقوالهم وقوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الاية اتقوا ربهم لفظ يعم كل من يدخل من المؤمنين الذين اتقوا الشرك والواو في قوله وفتحت مؤذنة بانها قد

فتحت

فتحت قبل وصولهم اليها وقالت فرقة هي زائدة وقال قوم اشار اليهم ابن الانباري وضعف قولهم هذه واو الثمانية وقد تقدم الكلام عليها في سورة الكهف وجواب اذا فتحت وعن المبرد جواب اذا محذوف تقديره بعد قوله خالدين سعدوا وسقطت هذه الواو في مصحف ابن مسعود وسلام عليكم تحية وطبتم معناه اعمالا ومعتقدا ومستقرا وجزاء واورثنا الارض يريد ارض الجنة ونتبوأ معناه نتخذ امكنة ومساكن ووصف تعالى حالة الملائكة من العرش وحفوفهم به والحفوف الاحداق بالشيء وهذه اللفظة ماخوذة من الحفاف وهو الجانب قال ابن المبارك في رقائقه اخبرنا معمر عن ابي اسحق عن عاصم بن ضمرة عن علي انه تلا هذه الاية وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤوها وجدوا عند باب الجنة شجرة يخرج من ساقها عينان فعمدوا الى احداهما كانما امروا بها فاغتسلوا فلم تشعث رؤوسهم بعدها ابدا ولم تتغير جلودهم بعدها ابدا كانما دهنوا بالدهن ثم عمدوا الى الاخرى فشربوا منها فطهرت اجوافهم وغسلت كل قذر فيها وتتلقاهم على كل باب من ابواب الجنة ملائكة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تتلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيفون ولدان الدنيا بالحميم يجيء من غيبة يقولون ابشر اعد الله لك كذا ثم يذهب الغلام منهم الى الزوجة من ازواجه فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا فتقول له انت رايته فيستخفها حتى تقوم على اسكفة بابها ثم ترجع فيجيء فينظر الى تأسيس بنيانه من جندل اللؤلؤ اخضر واصفر واحمر من كل لون ثم يجلس فينظر فاذا زرابي مبثوثة واكواب موضوعة ثم يرفع راسه فلولا ان الله قدر ذلك لاذهب بصره انما هو مثل البرق ثم يقول الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله انتهى وقوله تعالى يسبحون بحمد ربهم قالت فرقة معناه ان تسبيحهم يتاتى بحمد الله وفضله وقالت فرقة تسبيحهم هو بترديد حمد الله وتكراره قال الثعلبي متلذذين لا متعبدين مكلفين وقوله تعالى وقيل الحمد لله رب العالمين ختم للامر وقول جزم عند فصل القضاء اي ان هذا الملك الحاكم العدل ينبغي ان يحمد عند نفوذ حكمه واكمال قضائه بين عباده ومن هذه الاية جعلت الحمد لله رب العالمين خاتمة المجالس والمجتمعات في العلم قال قتادة فتح الله اول الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختم القيامة بالحمد في هذه الاية قال ع وجعل سبحانه الحمد لله رب العالمين فاتحة كتابه فبه يبدا كل امر وبه يختم وحمد الله تعالى وتقديسه ينبغي ان يكون من المؤمن كما قيل شعر

واخر شي انت في كل ضجعة ... واول شي انت عند هبوبي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

سورة غافر مكية

روى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الحواميم ديباج القرآن ومعنى هذه العبارة انها خلت من الاحكام وقصرت على المواعظ والزجر وطرق الاخرة محضا وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان يرتع في رياض الجنة مؤنقة فليقرا الحواميم قوله تعالى حم تقدم القول في الحروف المقطعة ويختص هذا الموضع بقول لحرفه قاله الضحاك والكسائي ان حم هجاء حم بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة كانه يقول حم الامر ووقع تنزيل الكتاب من الله وقال ابن عباس الر وحم ون هي حروف

الرحمن مقطعة في سور وسال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم عن حم ما هو فقال بدء
اسماء وفواتح سور ذي الطول معناه ذي التطول والمن بكل نعمة فلا خير الا منه سبحانه
فترتب في هذه الاية وعيد بين وعدين وهكذا رحمته سبحانه تغلب غضبه قال ع سمعت
هذه النزعة من ابي رحمه الله ونحوه من قول عمر رضي الله عنه لن يغلب عسر يسرين ت هو حديث
والطول الانعام وعبارة البخاري الطول التفضل وحكى الثعلبي عن اهل الاشارة انه تعالى غافر الذنب
فضلا وقابل التوب وعدا وشديد العقاب عدلا لا اله الا هو اليه المصير فردا وقال ابن عباس
الطول السعة والغنى وتقلب الذين كفروا في البلاد عبارة عن تمتعهم بالمساكن والمزارع والاسفار
وغير ذلك وهمت كل امة برسولهم لياخذوه اي ليهلكوه كما قال تعالى فاخذتهم والعرب تقول
للقتيل اخيذ وللاسير كذلك قال قتادة لياخذوه معناه ليقتلوه وليدحضوا معناه ليزلقوا
ويذهبوا والمدحضة المزلة والمزلقة وقوله تعالى فكيف كان عقاب تعجب وتعظيم وليس
باستفهام عن كيفية وقوع الامر قوله تعالى وكذلك حقت كلمات ربك على الذين كفروا الاية وفي مصحف
ابن مسعود وكذلك حقت كلمة ربك والمعنى وكما اخذت اولئك المذكورين فاهلكتهم فكذلك حقت
كلماتي على جميع الكفار من تقدم منهم ومن تاخر انهم اصحاب النار قوله سبحانه الذين يحملون العرش
ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويومنون به الاية اخبر الله سبحانه بخبر يتضمن تشريف المومنين
وتعظيم الرجا لهم وهو ان الملائكة الحاملين للعرش والذين حول العرش وهولاء افضل الملائكة
يستغفرون للمومنين ويسالون الله لهم الرحمة والجنة وهذا معنى قوله تعالى في غير هذه
الاية كان على ربك وعدا مسئولا اي سالته الملائكة قال ع وفسر هذه الاية المجمل الذي في قوله
تعالى ويستغفرون لمن في الارض لان الملائكة لا تستغفر لكافر وقد يجوز ان يقال ان استغفارهم
لهم بمعنى طلب هدايتهم وبلغني ان رجلا قال لبعض الصالحين ادع لي واستغفر لي فقال له تب
واتبع سبيل الله يستغفر لك من هو خير مني وتلا هذه الاية وقال مطرف بن الشخير وجدنا انصح
العباد للعباد الملائكة واغش العباد للعباد الشياطين وتلا هذه الاية وروى جابر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذن لي ان احدث عن ملك من حملة العرش ما بين شحمة اذنه وعاتقه مسيرة
سبعمائة سنة قال الداودي وعن هرون بن رباب قال حملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت حسن
فاربعة يقولون سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك واربعة يقولون سبحانك وبحمدك على عفوك
بعد قدرتك انتهى وروى ابو داود عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذن لي
ان احدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام
انتهى وقد تقدم وقولهم ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما معناه وسعت رحمتك وعلمك
كل شيء وقولهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم روي عن سعيد بن جبير في ذلك ان
الرجل يدخل الجنة قبل قرابته فيقول اين ابي اين امي اين ابني اين زوجي فيلحقون به لصلاحهم
ولتنبيهه عليهم وطلبه اياهم وهذه دعوة الملائكة وقوله وقهم السيئات معناه اجعل لهم
وقاية تقيهم السيئات واللفظ يحتمل ان يكون الدعاء في ان يدفع الله عنهم نفس السيئات حتى
لا ينالهم عذاب من اجلها ويحتمل ان يكون الدعاء في دفع العذاب اللاحق من السيئات فيكون
في اللفظ على هذا حذف مضاف كانه قال وقهم جزاء السيئات قال الفخر وقوله تعالى ومن تق

السيئات يومئذ فقد رحمته يعني من تق السيئات في الدنيا فقد رحمته في يوم القيامة انتهى
وهذا راجع الى التاويل الاول وقوله تعالى ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم
الاية روي ان هذه الحال تكون للكفار عند دخولهم النار فانهم اذا دخلوها مقتوا انفسهم
وتناديهم ملائكة العذاب على جهة التوبيخ لمقت الله اياكم في الدنيا اذ كنتم تدعون الى الايمان
فتكفرون اكبر من مقتكم انفسكم اليوم هذا هو معنى الاية وبه فسر مجاهد وقتادة وابن زيد
واللام في قوله لمقت يحتمل ان تكون لام ابتداء ويحتمل ان تكون لام قسم وهذا هو الاصوب
واكبر خبر الابتداء واختلف في معنى قولهم امتنا اثنتين الاية قال ابن عباس وغيره اراد واموتة كونهم
في الاصلاب ثم احياهم في الدنيا ثم اماتهم الموت المعروف ثم احياهم يوم القيامة وهي كالتي في
سورة البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الاية وقال السدي اراد وانه احياهم في الدنيا ثم
اماتهم ثم احياهم في القبر وقت السوال ثم اماتهم فيه ثم احياهم في الحشر قال ع وهذا فيه الاحياء
ثلاث مرات والاول اثبت وهذه الاية متصلة المعنى بالتي قبلها وبعد قولهم فهل الى خروج من سبيل
محذوف يدل عليه الظاهر تقديره لا اسعاف لطلبتكم او نحو هذا من الرد قوله تعالى ذلكم يحتمل ان
يكون الاشارة الى العذاب الذي هم فيه او الى مقتهم انفسهم او الى المنع والزجر والاهانة قوله تعالى
ذلكم بانه اذا دعي الله وحده معناه بحالة توحيد ونفي لما سواه كفرتم وان يشرك به اللات
والعزى وغيرها صدقتم فالحكم اليوم بعذابكم وتخليدكم في النار لله لا لتلك التي كنتم تشركونها
بها معه في الالوهية قوله سبحانه فادعوا الله مخلصين له الدين الاية مخاطبة للمومنين اصحاب
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا معناه اعبدوا وقوله رفيع الدرجات يحتمل ان يريد بالدرجات
صفاته العلى وعبر بما يقرب من افهام السامعين ويحتمل ان يريد رفيع الدرجات التي يعطيها للمومنين
ويتفضل بها على عباده المخلصين في جنته والعرش هو الجسم المخلوق الاعظم الذي السموات
السبع والكرسي والارضون فيه كالدنانير في الفلاة من الارض قوله تعالى يلقي الروح من امره
على من يشاء من عباده قال الضحاك الروح هنا هو الوحي القران وغيره مما لم يتل وقال قتادة
والسدي الروح النبوة ومكانتها كما قال تعالى روحا من امرنا وسمي هذا روحا لانه يحيى به الامم والافراد
كما يحيى الجسد بروحه ويحتمل ان يكون القاء الروح عاما لكل ما ينعم الله به على عباده المهتدين في
تفهيمهم الايمان والمعقولات الشريفة والمنذر بيوم التلاق على هذا التاويل هو الله تعالى قال الزجاج
الروح كل ما فيه حياة الناس وكل مهتد حي وكل ضال كالميت وقوله من امره ان جعلته
جنسا للامور فمن للتبعيض او ابتداء وقرا الجمهور لتنذر بالتاء على مخاطبة النبي صلى الله عليه
وسلم وقرا ابي بن كعب وجماعة لينذر بالياء ويوم التلاق معناه تلاقي جميع العالم بعضهم ببعض
وذلك امر لم يتفق قط قبل ذلك اليوم وقوله يوم هم بارزون معناه في براز من الارض
يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وقوله تعالى لمن الملك اليوم روي ان الله تعالى يقرر هذا التقرير
ويسكت العالم هيبة وجزعا فيجيب هو نفسه بقوله لله الواحد القهار ثم يعلم الله تعالى اهل
الموقف بان اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وباقي الاية تكرر معناها فانظره في مواضعه ثم
امر تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بانذار العالم وتحذيرهم من يوم القيامة واهواله والازفة
القريبة من ازف الشيء اذا قرب والازفة في الاية صفة لمحذوف قد علم واستقر في النفوس هوله

او لابتداء الغاية وان جعلنا الامر بمعنى الكلام فمن لابتداء الغاية واما بمعنى الباء ولا تكون للتبعيض

والتقدير يوم الساعة الآزفة او الطامة الآزفة ونحو هذا وقوله سبحانه اذ القلوب لدى الحناجر
معناه عند الحناجر اي قد صعدت من شدة الهول والجزع والكاظم الذي يرد غيظه وجزعه في صدره
فمعنى الآية انهم لا يطمعون في رد ما يجدونه في الحناجر والحال تغالبهم ويطاع في موضع الصفة لشفيع لان
التقدير ولا شفيع مطاع قال ابو حيان يطاع في موضع صفة لشفيع فيحتمل ان يكون في موضع خفض
على اللفظ او في موضع رفع على الموضع ثم يحتمل النفي ان يكون منسحبا على الوصف فقط فيكون ثم
شفيع ولكنه لا يطاع ويحتمل ان ينسحب على الموصوف وصفته اي لا شفيع انتهى وهذا الاحتمال الاخير
هو الصواب قال ابن عطية وهذه الآية كلها عندي اعتراض في الكلام بليغ وقوله يعلم خائنة الاعين متصل بقوله
سريع الحساب وقالت فرقة متصل بقوله لا يخفى على الله منهم شيء وهذا قول حسن يقوي تناسب
المعنيين ويضعفه بعد الآية من الآية وكثرة الحائل والخائنة مصدر كالخيانة ويحتمل ان تكون
خائنة اسم فاعل اي يعلم الاعين اذا خانت في نظرها قال ابو حيان والظاهر ان خائنة الاعين من اضافة
الصفة الى الموصوف اي الاعين الخائنة كقوله وان سقيت كرام الناس اي الناس الكرام وجوزوا ان تكون
خائنة مصدرا كالعافية اي يعلم خيانة الاعين انتهى وهذه الآية عبارة عن علم الله تعالى بجميع الخفيات
فمن ذلك كسر الجفون وغمز العيون او النظرة التي تفهم معنى ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه في شأن
رجل ارتد ثم جاء ليسلم هلا قام اليه رجل منكم حين تلكأت عنه فضرب عنقه فقالوا يا رسول الله
الا اومأت الينا فقال صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لنبي ان تكون له خائنة الاعين وفي بعض الكتب المنزلة
من قول الله عز وجل انا مرصاد الهمم انا العالم بمجال الفكر وكسر الجفون وقال مجاهد خائنة الاعين
مسارقة النظر الى ما لا يجوز ثم قوى تعالى هذا الاخبار بقوله وما تخفي الصدور مما لم يظهر على عين ولا غيرها
واسند ابو بكر بن الخطيب عن مولى ام معبد الخزاعية عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو اللهم طهر قلبي
من النفاق وعملي من الرياء ولساني من الكذب وعيني من الخيانة فانك تعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور
انتهى قال القشيري في التحبير ومن علم اطلاع الحق تعالى عليه يكون مراقبا لربه وعلامته ان يكون محاسبا
لنفسه ومن لم تصح محاسبته لم تصح مراقبته وسئل بعضهم عما يستعين به العبد على حفظ البصر فقال يستعين
عليه بعلمه ان نظر الله اليه سابق على نظره والى ما ينظر اليه انتهى وقوله سبحانه والله يقضي بالحق يجازي
الحسنة بعشر والسيئة بمثلها وينصف المظلوم من الظالم الى غير ذلك من اقضية الحق والعدل والاصنام
لا تقضي بشيء ولا تنفذ امرا ويدعون معناه يعبدون وقوله تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم
وما كان لهم من الله من واق الضمير في كانوا لقريش والآثار في الارض هي المباني والمآثر والصيت الدنياوي
وذنوبهم كانت تكذيب الانبياء والواقي الساتر المانع ماخوذ من الوقاية وباقي الآية بين وخص تعالى قارون
وهامان بالذكر تنبيها على مكانهما من الكفر ولكونهما اشهر رجال فرعون وقيل ان قارون هذا ليس بقارون بني
اسرائيل وقيل هو ذلك ولكنه كان منقطعا الى فرعون خادما له مستغنيا معه وقوله ساحر
اي في امر العصا وكذاب في قوله اني رسول الله ثم اخبر تعالى عنهم انهم لما جاءهم موسى بالنبوة والحق من
عند الله قال هؤلاء الثلاثة وجمع رأيهم على ان يقتل ابناء بني اسرائيل اتباع موسى وشبانهم واهل القوة منهم وان
يستحيي النساء للخدمة والاسترقاق وهذا رجوع منهم الى نحو القتل الاول الذي كان قبل ميلاد موسى ولكن
هذا الاخير لم تتم لهم فيه عزمة ولا اعانهم الله تعالى على شيء منه قال قتادة هذا قتل غير الاول الذي كان

حذر

حذر المولود وسموا من ذكرنا من بني اسرائيل ابناء كما تقول لانجاد القبيلة او المدينة واهل الظهور
فيها هؤلاء ابناء فلان وقوله تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال عبارة وجيزة تعطي قوتها ان
هؤلاء الثلاثة لم يقدرهم الله تعالى على قتل احد من بني اسرائيل ولا نجحت لهم فيهم سعاية وقوله تعالى
وقال فرعون ذروني اقتل موسى الآية الظاهر من امر فرعون انه لما بهرته آيات موسى عليه السلام انهد
ركنه واضطربت معتقدات اصحابه ولم يفقد منهم من يجاذبه في الخلاف في امره وذلك بين من غير
ما موضع من قصتهما وفي هذه الآية على ذلك دليلان احدهما قوله ذروني فليست هذه من الفاظ الجبابرة
المتمكنين من انفاذ اوامرهم والدليل الثاني مقالة المؤمن وما صدع به وان مكاشفته لفرعون
اكثر من مسارته وحكمه بنبوة موسى اظهر من توريته في امره واما فرعون فانما نحا الى المخرقة والتمويه
والاضطراب قوله ذروني اقتل موسى وليدع ربه اي اني لا ابالي برب موسى ثم رجع الى قومه يريهم
النصيحة والحماية لهم فقال اني اخاف ان يبدل دينكم والدين السلطان ومنه قول زهير

لئن حللت بجو في بني اسد ... في دين عمرو وحالت بيننا فدك

وقرأ حمزة والكسائي وعاصم او ان يظهر وقرأ الباقون وان يظهر فعلى القراءة الاولى خاف فرعون احد
امرين وعلى الثانية خاف الامرين معا ولما سمع موسى مقالة فرعون دعا وقال اني عذت بربي
وربكم الآية ثم حكى سبحانه مقالة رجل مؤمن من آل فرعون شرفه بالذكر وخلد ثناءه في الامم غابر
الدهر قال ابن عطية سمعت ابي رحمه الله يقول سمعت ابا الفضل بن الجوهري على المنبر يقول وقد سئل
ان يتكلم في شيء من فضائل الصحابة فاطرق قليلا ثم رفع رأسه وانشد يقول

عن المرء لا تسل واسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن مقتد

ما تريد بقوم قرنهم الله بنبيه وخصهم بمشاهدة وحيه وقد اثنى الله تعالى على رجل مؤمن من آل
فرعون كتم ايمانه واسره فجعله تعالى في كتابه واثبت ذكره في المصاحف لكلام قاله في مجلس من مجالس
الكفر واين هو من عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ جرد سيفه بمكة وقال والله لا اعبد الله سرا بعد اليوم
قال مقاتل كان هذا المؤمن ابن عم فرعون قال الفخر قيل انه كان ابن عم لفرعون وكان جاريا مجرى ولي
العهد له ومجرى صاحب له وقيل كان قبطيا من قوم فرعون وقيل انه كان من بني اسرائيل والقول
الاول اقرب لان لفظ الآل يقع على القرابة والعشيرة انتهى قال الثعلبي قال ابن عباس واكثر العلماء كان
اسمه حزقيل وقيل حزبيال وقيل غير هذا وقوله يصبكم بعض الذي يعدكم قال ابو عبيدة وغيره
بعض هنا بمعنى كل وقال الزجاج هو الزام الحجة بايسر ما في الامر وليس فيه نفي اصابة
الكل قال ع ويظهر لي ان المعنى يصبكم القسم الواحد مما يعد به لانه عليه السلام وعدهم ان آمنوا
بالنعيم وان كفروا بالعذاب الاليم فان كان صادقا فالعذاب بعض ما وعد به وقول المؤمن يا قوم
لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض استنزال لهم ووعظ وقوله في الارض يريد ارض مصر
وهذه الاقوال تقتضي زوال هيبة فرعون ولذلك استكان هو ورجع بقوله ما اريكم الا ما ارى
واختلف الناس في المراد بقوله تعالى وقال الذي آمن فقال الجمهور هو المؤمن المذكور قص
الله تعالى اقاويله الى آخر الآيات وقالت فرقة بل كلام ذلك المؤمن قد تم وانما اراد تعالى بالذي آمن
موسى عليه السلام محتجين بقوة كلامه وذكر عذاب الآخرة وغير ذلك ولم يكن كلام الاول الا ملاينة
لهم وقوله مثل يوم الاحزاب اي يوم من ايامهم لان عذابهم لم يكن في عصر واحد والمراد

بالاحزاب المتحزبون على الانبياء ومثل الثاني بدل من المثل الاول والداب العادة ويوم التنادي معناه
يوم ينادي قوم قوما ويناديهم الاخرون واختلف في النداء المشار اليه فقال قتادة هو نداء
اهل الجنة اهل النار فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقيل هو النداء الذي يتضمنه قوله تعالى يوم
ندعوا كل اناس بامامهم قال ع ويحتمل ان يكون المراد التذكير بكل نداء في القيمة فيه مشقة على
الكفار والعصاة وذلك كثير وقرا ابن عباس والضحاك وابو صالح يوم التناد بشد الدال وهذا معنى اخر
ليس من النداء بل من ند البعير اذا هرب وبهذا المعنى فسر ابن عباس والسدي هذه الاية وردت هذه
الفرقة في هذا المعنى حديثا ان الله تعالى اذا طوى السموات نزلت ملائكة كل سماء فكانت صفا
بعد صف مستديرين بالارض التي عليها الناس للحساب فاذا راى الخلق هول يوم القيمة واخرجتهم
عنقا الى اصحابها من الكفار وندوا مدبرين الى كل جهة فتردهم الملائكة الى المحشر لا عاصم
لهم والعاصم المنجي وقوله ولقد جاءكم يوسف الاية قالت فرقة منهم الطبري يوسف المذكور
هنا هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام وروي عن وهب بن منبه ان فرعون موسى
هو فرعون يوسف عمر الى زمن موسى وروى اشهب عن مالك انه بلغه ان فرعون عمر
اربعمائة واربعين سنة وقالت فرقة بل هو فرعون اخر وقوله كبر مقتا اي كبر جدالهم مقتا
عند الله فالمضمر ذلك الجدال لدلالة تقدم ذكره عليه وقرا ابو عمرو وحده على كل قلب متكبر
بالتنوين وقرا الباقون بغير تنوين وفي مصحف ابن مسعود على قلب كل متكبر جبار ثم
ان فرعون لما اعيته الحيل في مقاومة موسى نحا الى المخرقة ونادى هامان وذبر ان يبني له
صرحا فروي انه طبخ الاجر لهذا الصرح ولم يطبخ قبله وبناه ارتفاع اربعمائة ذراع
فبعث الله جبريل فمسحه بجناحه فكسره ثلاث كسر تفرقت اثنتان ووقعت ثالثة في
البحر والاسباب الطرق قاله السدي وقال قتادة اراد الابواب وقيل عنى لعله يجد مع
قربه من السماء سببا يتعلق به وقرا حمزة والكسائي وعاصم وصد عن السبيل بضم الصاد
وفتح الدال عطفا على زين والباقون بفتح الصاد والتباب الخسران ومنه تبت يدا
ابي لهب وبه فسرها مجاهد وقتادة ثم وعظهم الذي امن فدعا الى اتباع امر الله وقوله
اتبعون اهدكم يقوي ان المتكلم موسى وان كان الاخر يحتمل ان يقول ذلك اي اتبعوني في
اتباع موسى ثم زهدهم في الدنيا وانها شيء يتمتع به قليلا ورغب في الاخرة اذ هي دار الاستقرار
قال الغزالي في الاحياء من اراد ان يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق اوقاته في التلاوة والذكر
والتفكر في حسن الماب ومن اراد ان ترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب
في الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا واخر سيئا فامره في خطر لكن الرجاء غير منقطع
والعفو من كرم الله منتظر انتهى وقوله تعالى ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة الاية قد تقدم ذكر
الخلاف في هذه المقالة هل هي لموسى او لمؤمن ال فرعون والدعاء الى النجاة هو الدعاء الى سببها وهو توحيد
الله تعالى وطاعته وباقي الاية بين وقوله ان ما تدعونني اليه المعنى وان الذي تدعونني اليه من عبادة
غير الله ليس له دعوة اي قدر وحق يجب ان يدعى احد اليه ثم توعدهم بانهم سيذكرون
قوله عند حلول العذاب بهم والضمير في فوقاه يحتمل ان يعود على موسى او على مؤمن ال فرعون
على ما تقدم من الخلاف وقال القائلون بانه مؤمن ال فرعون ان ذلك المؤمن نجا مع موسى

عليه

عليه السلام في البحر وغرق جملة من قومه من المتبعين وقوله تعالى في ال فرعون النار
يعرضون عليها غدوا وعشيا الاية قوله النار رفع على البدل من قوله سوء وقيل رفع بالابتداء
وخبره يعرضون قالت فرقة هذا الغدو والعشي هو في الدنيا اي في كل غدو وعشي من
ايام الدنيا يعرض ال فرعون على النار قال القرطبي في التذكرة وهو عذاب القبر في البرزخ انتهى وكذا
قال الامام الفخر وروي في ذلك ان ارواحهم في اجواف طيور سود تروح بهم وتغدو الى
النار وقال الاوزاعي عافانا الله من عذابه وخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل
الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيمة انتهى
وقوله ويوم تقوم الساعة اي ويوم تقوم القيمة يقال ادخلوا ال فرعون اشد العذاب وال فرعون
اتباعه واهل دينه والضمير في قوله يتحاجون لجميع الكفار الامم وهذا ابتداء قصص لا يختص بال
فرعون والعامل في اذ فعل مضمر تقديره اذكر ثم قال جميع من في النار للخزنة ادعوا ربكم
يخفف عنا يوما من العذاب فراجعتهم الخزنة على معنى التوبيخ والتقرير اولم تك تاتيكم رسلكم
بالبينات فاقر الكفار عند ذلك وقالوا بلى اي قد كان ذلك فقال لهم الخزنة عند ذلك
ادعوا انتم اذا وهذا على معنى الهزء بهم وقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال قيل هو من
قول الخزنة وقيل هو من قول الله تعالى اخبارا منه لمحمد عليه الصلاة والسلام ثم اخبر تعالى انه ينصر
رسله والمؤمنين في الدنيا والاخرة ونصر المؤمنين داخل في نصر الرسل وايضا فقد جعل
الله للمؤمنين الفضلاء ودا ووهبهم نظرا اذا ظلموا وحضت الشريعة على نصرهم ومنه قول النبي
صلى الله عليه وسلم من رد عن اخيه في عرضه كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم وقوله عليه السلام
من حمى مؤمنا من منافق يغتابه بعث الله ملكا يحميه يوم القيمة وقوله تعالى ويوم يقوم الاشهاد
يريد يوم القيمة قال الزجاج والاشهاد جمع شاهد وقال الطبري جمع شهيد كشريف واشراف ويوم
لا ينفع بدل من الاول والمعذرة مصدر كالعذر ثم اخبر تعالى بقصة موسى وما اتاه من النبوءة
تانيسا لمحمد وضرب اسوة وتذكيرا بما كانت العرب تعرفه من امر موسى فبين ذلك ان محمدا عليه الصلاة
والسلام ليس ببدع من الرسل والهدى النبوءة والحكمة والتوراة تعم جميع ذلك وقوله تعالى
واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار قال الطبري الابكار من طلوع الفجر الى
طلوع الشمس وقيل من طلوع الشمس الى ارتفاع الضحى وقال الحسن بالعشي يريد صلاة العصر
والابكار يريد صلاة الصبح وقوله تعالى ان في صدورهم الا كبر اي ليسوا على شيء بل في صدورهم
كبر وانفة عليك ثم نفى ان يكونوا يبلغون امالهم بحسب ذلك الكبر ثم امر تعالى
بالاستعاذة بالله في كل امر من كل مستعاذ منه وقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق
الناس فيه توبيخ لهؤلاء الكفرة المتكبرين كانه قال مخلوقات الله اكبر واجل قدرا من خلق
البشر فما لاحد منهم يتكبر على خالقه ويحتمل ان يكون الكلام في معنى البعث وان الذي
خلق السموات والارض قادر على خلق الناس تارة اخرى والخلق هنا مصدر مضاف الى المفعول
والذين امنوا وعملوا الصالحات يعادلهم قوله ولا المسيء وهو اسم جنس يعم المسيئين وقوله تعالى وقال ربكم
ادعوني استجب لكم الاية تفضيل ونعمة ووعد لامة محمد صلى الله عليه وسلم بالاجابة عند الدعاء

قال النووي وروينا في كتاب الترمذي عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما على الارض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة الا آتاه الله اياها او صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع باثم او قطيعة رحم فقال رجل من القوم اذا نكثر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكثر قال الترمذي حديث حسن صحيح ورواه الحاكم في المستدرك من رواية ابي سعيد الخدري وزاد فيه او يدخر له من الاجر مثلها انتهى قال ابن عطاء الله لا يكون تأخر امد العطاء مع الالحاح في الدعاء موجبا لياسك فهو ضمن لك الاجابة فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد انتهى وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا دعاني رواه الجماعة الا ابو داود واللفظ لمسلم انتهى من السلاح وقالت فرقة معنى ادعوني اعبدوني واستجب معناه بالنصر والثواب ويدل على هذا قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي الاية ت وهذا التاويل غير صحيح والاول هو الصواب ان شاء الله للحديث الصحيح فقد روى النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء هو العبادة وقرأ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم وابن حبان في صحيحيهما وقال الترمذي واللفظ له حديث حسن صحيح انتهى وقال الحاكم صحيح الاسناد انتهى من السلاح و الداخر الصاغر الذليل و قوله تعالى الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه الايات هذا تنبيه على ايات الله وعبر متى تاملها العاقل ادته الى توحيد الله سبحانه والاقرار بربوبيته و تؤفكون معناه تصرفون عن طريق النظر والهدى كذلك يؤفك اي على هذه الهيئة وبهذه الصفة صرف الله تعالى الكفار الجاحدين بايات الله من الامم السابقة عن طريق الهدى قوله تعالى هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل الاية تنبيه على الوحدانية بالعبرة في ابن ادم وتدريج خلقه و قوله سبحانه ومنكم من يتوفى من قبل تردد في الادراج المذكورة فمن الناس من يموت قبل ان يخرج طفلا والاخرون قبل الاشد والاخرون قبل الشيخوخة و لتبلغوا اجلا مسمى اي تعداده و لعلكم تعقلون الحقائق اذا نظرتم في هذا وتدبرتم حكمة الله تعالى و قوله تعالى الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله الاية في الكفار المجادلين في رسالة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام و يسحبون معناه يجرون والسحب الجر و الحميم الذائب الشديد الحر من النار و يسجرون قال مجاهد معناه توقد النار بهم والعرب تقول سجرت التنور اذا ملاتها نارا وقال السدي يسجرون يحرقون ثم اخبر تعالى انهم يقال لهم اين الاصنام التي كنتم تعبدون في الدنيا فيقولون ضلوا اي تلفوا لنا وغابوا ثم تضطرب اقوالهم ويفزعون الى الكذب فيقولون بل لم نكن ندعوا من قبل شيا ثم يقال لهؤلاء الكفار المعذبين ذلكم العذاب الذي انتم فيه بما كنتم تفرحون في الدنيا بالمعاصي والكفر و تمرحون قال مجاهد معناه الاشر والبطر و قوله تعالى ادخلوا ابواب جهنم معناه يقال لهم قبل هذه المحاورة في اول الامر ادخلوا لان هذه المخاطبة انما هي بعد دخولهم ثم انس تعالى نبيه ووعده بقوله فاصبر ان وعد الله حق في نصرك واظهار امرك فان ذلك امر اما ان ترى بعضه في حياتك فتقر عينك به واما ان تموت قبل ذلك فالى امرنا وتعذيبنا يصيرون ويرجعون قال ابو حيان

وما في اما زائدة لتاكيد معنى الشرط انتهى و قوله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك هذه الاية رد على العرب الذين استبعدوا ان يبعث الله بشرا رسولا و قوله تعالى فاذا جاء امر الله قضي بالحق الاية يحتمل ان يريد بامر الله القيامة فتكون الاية توعدا لهم بالاخرة ويحتمل ان يريد بامر الله ارسال رسول وبعثة نبي قضي ذلك وانفاذه بالحق وخسر كل مبطل ت والاول ابين و قوله تعالى الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها الاية هذه ايات قائمة وتعديد نعم والانعام الازواج الثمانية ومنها الاولى للتبعيض وقال الطبري في هذه الاية الانعام تعم الابل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير وغير ذلك مما ينتفع به من البهائم فمنها في الموضعين على هذا للتبعيض و قوله تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون الاية هذا احتجاج على قريش بما اظهر سبحانه في الامم السالفة من نقماته في الكفار الذين كانوا اكثر منهم واشد قوة قال ابو حيان فما اغنى ما نافية او استفهامية في معنى النفي انتهى و قوله سبحانه فلما جاءتهم رسلهم بالبينات الاية الضمير في جاءتهم عائد على الامم المذكورين واختلف المفسرون في الضمير في فرحوا على من يعود فقال مجاهد وغيره هو عائد على الامم المذكورين اي فرحوا بما عندهم من العلم في ظنهم ومعتقدهم من انهم لا يبعثون ولا يحاسبون قال ابن زيد واغتروا بعلمهم بالدنيا والمعاش وظنوا انه لا اخرة ففرحوا وهذا كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وقالت فرقة الضمير في فرحوا عائد على الرسل وفي هذا التاويل حذف وتقديره فلما جاءتهم رسلهم بالبينات كذبوهم ففرح الرسل بما عندهم من العلم بالله والثقة به وبانه سينصرهم والضمير في بهم عائد على الكفار بلا خلاف ثم حكى سبحانه حالة بعضهم ممن آمن بعد تلبس العذاب بهم فلم ينفعهم ذلك وفي ذكر هذا حض على المبادرة وسنة نصب على المصدر وقيل المعنى احذروا سنة الله كقوله ناقة الله قال الفخر و قوله هنالك اسم مكان مستعار للزمان اي وخسروا وقت رؤيتهم البأس بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

روي ان عتبة بن ربيعة ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم ليحتج عليه ويبين له امر مخالفته لقومه فلما فرغ عتبة من كلامه قال النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فارعد الشيخ وقف شعره وامسك على فم النبي صلى الله عليه وسلم وناشده بالرحم ان يمسك وقال حين فارقه والله لقد سمعت شيئا ما هو بالشعر ولا هو بالكهانة ولا هو بالسحر ولقد ظننت ان صاعقة العذاب على راسي و الرحمن والرحيم صفتا رجاء ورحمة الله عز وجل و فصلت معناه بينت اياته اي فسرت معانيه ففصل بين حلاله وحرامه ووعده ووعيده وقيل فصلت في التنزيل اي نزل نجوما ولم ينزل مرة واحدة وقيل فصلت بالمواقف وانواع اواخر الآي ولم يكن يرجع الى قافية ونحوها كالسجع والشعر قوله تعالى لقوم يعلمون قالت فرقة يعلمون الاشياء ويعقلون الدلائل فكان القران فصلت اياته لهؤلاء اذ هم اهل الانتفاع بها فخصوا بالذكر تشريفا وقالت فرقة يعلمون متعلق في المعنى بقوله عربيا اي لقوم يفهمون الفاظه ويتحققون انها لم يخرج شيء منها عن كلام العرب

يعلمون م

العرب وكان الاية على هذا التاويل رادة على من زعم ان في كتاب الله ما ليس في كلام العرب والتاويل
الاول ابين واشرف معنى وبين انه ليس في القران الا ما هو من كلام العرب اما من اصل لغتها واما
مما عربته من لغة غيرها ثم ذكر في القران وهو معرب مستعمل وقوله تعالى فهم لا يسمعون نفي السماع
النافع الذي يعتد به ثم حكى عنهم مقالتهم التي باعدوا بها كل الطمع وارادوا ان يوئسوا من
قبولهم ما جاء به وهي قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه واكنة جمع كنان والوقر الثقل في الاذن
الذي يمنع الحس السمع وقوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة الاية قال الحسن المراد بالزكاة زكاة
المال وقال ابن عباس والجمهور الزكاة في هذه الاية لا اله الا الله التوحيد كما قال موسى لفرعون هل لك
الى ان تزكى ويرجح هذا التاويل ان الاية مكية وزكاة المال انما نزلت بالمدينة وانما هذه
زكاة القلب والبدن اي تطهيره من المعاصي وقاله مجاهد والربيع وقال الضحاك ومقاتل معنى الزكاة
هنا النفقة في الطاعة وغير ممنون قال ابن عباس غير منقوص وقالت فرقة معناه غير مقطوع
يقال مننت الحبل اذا قطعته وقال مجاهد معناه غير محسوب قال ع ويظهر في الاية انه وصفه
بعدم المن والاذى من حيث هو من جهة الله تعالى فهو شريف لا من فيه وعطايا البشر هي التي يدخلها
المن الانداد الاشباه والامثال وهي اشارة الى كل ما عبد من دون الله وقوله تعالى وبارك
فيها اي جعلها منبتة للطيبات والاطعمة وجعلها طهورا الى غير ذلك من وجوه البركة وفي قراءة
ابن مسعود وقسم فيها اقواتها واختلف في معنى اقواتها فقال السدي هي اقوات البشر وارزاقهم
واضافها الى الارض من حيث هي فيها وعنها وقال قتادة هي اقوات الارض من الجبال والانهار
والاشجار والصخور والمعادن والاشياء التي بها قوام الارض ومعايشها وروي عن ابن عباس رضي الله
عنه في هذا حديثا مرفوعا فشبهها بالقوت الذي به قوام الحيوان وقال مجاهد اراد اقواتها من
المطر والمياه وقال الضحاك وغيره اراد بقوله اقواتها خصائصها التي قسمها في البلاد من الملبوس
والمطعوم فجعل في بلد وفي قطر ما ليس في الاخر ليحتاج بعضهم الى بعض ويتقوت من هذه في هذه
وهذا قريب من الاول وقوله تعالى في اربعة ايام يريد باليومين الاولين وقرا الجمهور سواء
بالنصب على الحال اي سواء هي وما انقضى فيها وقرا ابو جعفر بن القعقاع سواء بالرفع اي هو سواء
وقرا الحسن سواء بالخفض على نعت الايام واختلف في معنى للسائلين فقال قتادة معناه سواء
لمن سال واستفهم عن الامر وحقيقته ووقوعه واراد العبرة فيه فانه يجده كما قال تعالى وقال ع
وجماعة معناه مستويا مهيا امر هذه المخلوقات ونفعها للمحتاجين اليها من البشر فعبر عنهم بالسائلين
بمعنى الطالبين لانه من شانهم ولا بد طلب ما ينتفعون به فهم في حكم من سال هذه الاشياء اذ هم
اهل حاجة اليها ولفظة سواء تجري مجرى عدل وزور في ان ترد على المفرد والجمع والمذكر
والمؤنث وقوله تعالى ثم استوى الى السماء معناه بقدرته واختراعه اي الى خلق السماء وايجاده
وقوله تعالى وهي دخان روي انها كانت جسما رخوا كالدخان او البخار وروي انه مما امره الله تعالى
ان يصعد من الماء وهنا محذوف تقديره فاوجدها واتقنها واكمل امرها وحينئذ قال لها وللارض
ايتيا بمعنى ايتيا امري وارادتي فيكما وقرا ابن عباس اتيا بمعنى اعطيا من انفسكم من الطاعة ما اردت
منكما والاشارة بهذا كله الى تسخيرهما وما قدره الله من اعمالهما وقوله او كرها فيه محذوف تقديره

ايتيا طوعا والا ايتيا كرها وقوله سبحانه قالتا اتينا اراد الفرقتين جعل السموات سماء والارضين
ارضا واختلف في هذه المقالة من السموات والارض هل هو نطق حقيقة او مجاز لما ظهر عليها
من التذلل والخضوع والانقياد الذي يتنزل منزلة النطق قال ع والقول الاول انه نطق
حقيقة احسن لانه لا شيء يدفعه وان العبرة به اتم والقدرة فيه اظهر وقوله تعالى فقضاهن معناه صنعهن
واوجدهن ومنه قول ابي ذويب وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع
وقوله تعالى واوحى في كل سماء امرها قال مجاهد وقتادة اوحى الى سكانها وعمرتها من الملائكة
واليها هي في نفسها ما شاء تعالى من الامور التي بها قوامها وصلاحها وقوله ذلك اشارة الى جميع
ما ذكر اي اوجده بقدرته واحكمه بعلمه وقوله تعالى فان اعرضوا يعني قريشا والعرب الذين
دعوتهم الى عبادة الله تعالى عن هذه الايات البينات فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد
وثمود انتهى وقرا النخعي وغيره صعقة فيهما وهذه قراءة بينة المعنى لان الصعقة الهلاك الوحي
واما الاولى فهي تشبيه بالصاعقة وهي الوقعة الشديدة من صوت الرعد فشبهت هنا وقعة
العذاب بها لان عادا لم تعذب الا بريح وانما هذا تشبيه واستعارة وعبارة الثعلبي صاعقة اي وقيعة و
عقوبة مثل صاعقة عاد وثمود انتهى قال ع وخص عادا وثمود بالذكر لوقوف قريش على
بلادهما في اليمن وفي الحجر في طريق الشام قال الثعلبي ومن بين ايديهم ومن خلفهم يعني قبلهم وبعدهم
والنذارة عمتهم خبرا ومباشرة وقال ع قوله ومن خلفهم اي جاءهم رسول بعد اكتمال اعمارهم
وبعد تقدم وجودهم في الزمن فلذلك قال ومن خلفهم ولا يتوجه ان يجعل ومن خلفهم عبارة عما
اتى بعدهم لان ذلك لا يلحقهم منه تقصير ت وما تقدم للثعلبي وغيره احسن لان مقصد الاية
اتصال النذارة بهم وبمن قبلهم وبمن بعدهم اذ ما من امة الا وفيها نذير وكما قال تعالى ارسلنا تترى
وايضا فانه جمع في اللفظ عادا وثمودا وبالضرورة ان الرسول الذي ارسل الى ثمود هو بعد عاد فليس لرد
ابن عطية وجه فتامله وقوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا الاية تقدم قصص هولاء وقرا نافع وابو عمرو
وابن كثير نحسات بسكون الحاء وهي جمع نحس وقرا الباقون نحسات بكسر الحاء جمع نحس على وزن حذر
والمعنى في هذه اللفظة مشايم من النحس المعروف قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس نحسات معناه متتابعا
وقيل معناه شديدة اي شديدة البرد وقوله تعالى فهديناهم معناه بينا لهم قاله ابن عباس
وغيره وهذا كما هي الان شريعة الاسلام مبينة لليهود والنصارى المختلطين بنا ولكنهم
يعرضون ويشتغلون بالصد فذلك استحباب العمى على الهدى والعذاب الهون الذي
معه هوان واذلال قال ابو حيان مصدر بمعنى الهوان ووصف به العذاب انتهى واعداء الله هم
الكفار المخالفون لامر الله سبحانه ويوزعون معناه يكف اولهم حبسا على اخرهم قال قتادة
والسدي واهل اللغة وهذا وصف حال من احوال الكفرة في بعض اوقات القيامة وذلك عند
وصولهم الى جهنم فانه سبحانه يستقرهم عند ذلك ويسالون سوال توبيخ عن كفرهم فيجحدون
ويحسبون ان لا شاهد عليهم ويطلبون شهيدا عليهم من انفسهم وفي الحديث الصحيح ان
العبد يعني الكافر يقول يا رب اليس وعدتني ان لا تظلمني قال فان ذلك لك قال فاني لا اقبل علي شاهدا
الا من نفسي قال فيختم على فيه وتتكلم اركانه بما كان يعمل قال فيقول لهن بعدا لكن وسحقا فعنكن
كنت ادافع الحديث قال ابو حيان حتى اذا ما جاءوها ما بعد اذا زائدة للتوكيد انتهى وقوله

وقامت الحجة عليهم في ارسالهم

تعالى وما كنتم تستترون يحتمل ان يكون من كلام الجلود ويحتمل ان يكون من كلام الله عز وجل
وجمهور الناس على ان المراد بالجلود الجلود المعروفة واما معنى الاية فيحتمل وجهين احدهما ان
يريد وما كنتم تتصاونون وتحجزون انفسكم عن المعاصي والكفر خوف ان يشهد او لاجل ان يشهد
عليكم سمعكم الاية وهذا هو منحى ت والمعنى الثاني ان يريد وما يمكنكم ولا يسعكم الاختفاء
عن اعضائكم والاستتار عنها بكفركم ومعاصيكم وهذا هو منحى السدي وعن ابن مسعود قال
اني لمستتر باستار الكعبة اذ دخل ثلاثة نفر قرشيان وثقفي او ثقفيان وقرشي قليل فقه
قلوبهم كثير شحم بطونهم فتحدثوا بحديث فقال احدهم اترى الله يسمع ما قلنا فقال
الاخر يسمع اذا رفعنا ولا يسمع اذا اخفينا وقال الاخر ان كان يسمع منه شيا فانه يسمعه كله
فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فنزلت هذه الاية وما كنتم تستترون
وقرا حتى بلغ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد في اخر
مختصر المدونة له واعلم ان الاجساد التي اطاعت او عصت هي التي تبعث يوم القيمة لتجازى والجلود
التي كانت في الدنيا والالسنة والايدي والارجل هي التي تشهد عليهم يوم القيمة على من تشهد
انتهى قال القرطبي في تذكرته واعلم ان عند اهل السنة ان تلك الاجساد الدنيوية تعاد
باعيانها واعراضها بلا خلاف بينهم في ذلك انتهى ومعنى ارداكم اهلككم والردى الهلاك وفي
صحيح البخاري ومسلم عن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل وفاته بثلاث لا يموتن
احدكم الا وهو يحسن الظن بالله عز وجل وذكره ابن ابي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله عز وجل
وزاد فيه فان قوما قد ارداهم سوء ظنهم بالله فقال لهم الله تبارك وتعالى وذلكم ظنكم الذي
ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين انتهى ونقله ايضا صاحب التذكرة وقوله تعالى فان
يصبروا المخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فان يصبروا او لا يصبروا واقتصر لدلالة الظاهر
على ما ترك وقوله تعالى وان يستعتبوا معناه وان طلبوا العتبى وهي الرضا فما هم ممن يعطاها
ويستوجبها قال ابو حيان قراءة الجمهور وان يستعتبوا مبنية للفاعل ومن المعتبين مبنية للمفعول
اي وان يعتذروا فما هم من المعذورين انتهى ثم وصف تعالى حالهم في الدنيا وما اصابهم به حين
اعرضوا فختم عليهم فقال وقيضنا لهم قرناء اي يسرنا لهم قرناء سوء من الشياطين وغواة الانس
وقوله فزينوا لهم ما بين ايديهم اي علموهم وقرروا لهم في نفوسهم معتقدات سوء في الامور
التي تقدمتهم من امر الرسل والنبوات ومدح عبادة الاصنام واتباع فعل الاباء الى غير ذلك
مما يقال انه بين ايديهم وذلك كل ما تقدمهم في الزمن واتصل اليهم اثره وخبره وكذلك اعطوهم
معتقدات سوء فيما خلفهم وهو كل ما ياتي بعدهم من القيمة والبعث ونحو ذلك وحق عليهم
القول اي سبق عليهم القضاء الحتم وامر الله تعالى بتعذيبهم في جملة امم معذبين كفار من الجن والانس
وقالت فرقة في بمعنى مع اي مع امم قال ابن عطيه والمعنى يتادى بالحرفين ولا نحتاج ان نجعل
حرفا بمعنى حرف اذ قد ابى ذلك رؤساء اهل البصرة وقوله تعالى وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا
القران الاية حكاية لمقالة بعض كفار قريش كابي جهل وغيره لما خافوا استمالته القلوب
بالقران قالوا متى قرا محمد فالغطوا بالصفير والصياح وانشاد الشعر حتى يخفى صوته فهذا
الفعل منهم هو اللغو وقال ابو العالية ارادوا قعوا فيه وقوله لعلكم تغلبون اي تطمسون امر محمد

وعنود

وتميتون ذكره وتصرفون عنه القلوب فهذه الغاية التي تمنوها ويابى الله الا ان يتم
نوره ولو كره الكافرون وقوله تعالى فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا الاية قوله
فلنذيقن الفاء دخلت على لام القسم وهذه الاية وعيد لقريش والعذاب الشديد هو عذاب الدنيا
في بدر وغيرها والجزاء باسوا اعمالهم هو عذاب الاخرة ت حدث ابو عمر في كتاب التمهيد قال
حدثنا احمد بن قاسم قال حدثنا محمد بن معاوية قال حدثنا ابراهيم بن موسى بن جميل حدثنا عبد الله
ابن محمد بن ابي الدنيا قال حدثني العتكي حدثنا خالد ابو زيد الكرني عن يحيى المدني عن سالم بن عبد الله عن ابيه
قال خرجت فمررت بقبر من قبور الجاهلية فاذا رجل قد خرج من القبر يتاجج نارا في عنقه سلسلة
ومعي اداوة من ماء فلما راني قال يا عبد الله اسقني قال فقلت عرفني فدعاني باسمي او كلمة تقولها
العرب يا عبد الله اذ خرج رجل على اثره من القبر فقال يا عبد الله لا تسقه فانه كافر ثم اخذ السلسلة
فاجتذبه فادخله القبر قال ثم اضافني الليل الى بيت عجوز الى جانبها قبر فسمعت من القبر صوتا يقول
بول وما بول شن وما شن فقلت للعجوز وما هذا قالت كان زوجا لي وكان اذا
بال لم يتق البول وكنت اقول له ويحك ان الجمل اذا بال تفاج وكان يابى فهو ينادي من يوم مات
بول وما بول قلت فما الشن قالت جاء رجل عطشان فقال اسقني فقال دونك الشن فاذا
ليس فيه شيء فخر الرجل ميتا فهو ينادي منذ يوم مات شن وما شن فلما قدمت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخبرته فنهى ان يسافر الرجل وحده قال ابو عمر هذا الحديث في اسناده
مجهولون ولم نورده للاحتجاج به ولكن للاعتبار وما لم يكن حكم فقد تسامح الناس في روايته
عن الضعفاء انتهى من ترجمة عبد الرحمن بن حرملة وكلامه على قول النبي صلى الله عليه وسلم الشيطان
يهم بالواحد والاثنين فاذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم وقد ذكرنا الحكاية الاولى عن الوائلي في سورة
اقرا باسم ربك بغير هذا السند وان الرجل الاول هو ابو جهل انتهى ثم ذكر تعالى مقالة الكفار
يوم القيمة اذا دخلوا النار فانهم يرون عظيم ما حل بهم وسوء منقلبهم فتجول افكارهم فيمن
كان سبب غوايتهم ومبادئ ضلالهم فيعظم غيظهم وحنقهم عليه ويودون ان يحصل في
اشد عذاب فحينئذ يقولون ربنا ارنا اللذين اضلانا وظاهر اللفظ يقتضي ان اللذين
في قولهم اللذين انما هو للجنس اي ارنا كل مغو من الجن والانس وهذا قول جماعة من المفسرين
وقيل طلبوا ولد ادم الذي سن القتل والمعصية من البشر وابليس الابالسة من الجن وهذا
قول لا يخفى ضعفه والاول هو القوي وقولهم نجعلهما تحت اقدامنا يريدون في
اسفل طبقة في النار وهي اشد عذابا وقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا قال سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول
الله اخبرني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قلت هذا الحديث خرجه مسلم في
صحيحه قال صاحب المفهم جوابه صلى الله عليه وسلم من جوامع الكلم وكانه منتزع من
قول الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاية وتلخيصه اعتدلوا على طاعته
قولا وفعلا وعقدا انتهى من شرح الاربعين لابن الفاكهاني قال ابن عطية واختلف الناس في
مقتضى قوله ثم استقاموا فذهب الحسن وجماعة الى ان معناه استقاموا بالطاعات
والجنابات لله تعالى وتلا عمر رضي الله عنه هذه الاية على المنبر ثم قال استقاموا والله بطاعته

ولم يروغوا روغان الثعالب قال ابن عطية فذهب رحمه الله الى حمل الناس على الاتم الافضل
والا فيلزم على هذا التاويل من دليل الخطاب ان لا تتنزل الملائكة عند الموت على غير مستقيم
على الطاعة وذهب ابو بكر رضي الله عنه وجماعة معه الى ان المعنى ثم استقاموا على قولهم ربنا الله فلم
يختل توحيدهم ولا اضطرب ايمانهم قال ابن عطيه وفي الحديث الصحيح من كان اخر كلامه لا اله
الا الله دخل الجنة وهذا هو المعتقد ان شاء الله وذلك ان العصاة من امة محمد وغيرها فرقتان
فاما من غفر الله له وترك تعذيبه فلا محالة انه ممن تتنزل عليهم الملائكة بالبشارة وهو انما استقام
على توحيده فقط واما من قضى الله بتعذيبه مدة ثم ادخاله الجنة فلا محالة انه يلقى جميع ذلك
عند موته ويعلمه وليس يصح ان تكون حاله كحالة الكافر واليائس من رحمة الله واذا كان
هذا فقد حصلت له بشارة بان لا يخاف الخلود ولا يحزن منه ويدخل فيمن يقال
لهم ابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ومع هذا كله فلا يختلف في ان الموحد المستقيم على
الطاعة اتم حالا واكمل بشارة وهو مقصد امير المومنين عمر رضي الله عنه وبالجملة فكلما كان
المرء اشد استعدادا كان اسرع فوزا بفضل الله تعالى قال الثعلبي قوله تعالى تتنزل عليهم الملائكة
اي عند الموت ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة قال وكيع والبشرى في ثلاثة مواطن
عند الموت وفي القبر وعند البعث وفي البخاري تتنزل عليهم الملائكة اي عند الموت انتهى قال ابن العربي
في احكامه تتنزل عليهم الملائكة قال المفسرون عند الموت وانا اقول كل يوم واوكد الايام يوم
الموت وحين نزول القبر ويوم الفزع الاكبر وفي ذلك اثار بيناها في موضعها انتهى قال ع
وقوله تعالى ان لا تخافوا ولا تحزنوا امنة عامة في كل هم مستانف وتسلية تامة عن كل فائت ماض
وقال مجاهد المعنى لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم من دنياكم ت وذكر ابو نعيم
عن ثابت البناني انه قرا حم السجدة حتى بلغ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل
عليهم الملائكة فوقف وقال بلغنا ان العبد المومن حين يبعث من قبره يتلقاه الملكان
اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له لا تخف ولا تحزن وابشر بالجنة قال فامن الله خوفه
واقر عينه الحديث انتهى قال ابن المبارك في رقائقه سمعت سفيان يقول في قوله تعالى تتنزل
عليهم الملائكة عند الموت ان لا تخافوا ما امامكم ولا تحزنوا على ما خلفتم من ضيعاتكم وابشروا
بالجنة التي كنتم توعدون قال يبشر بثلاث بشارات عند الموت واذا خرج من القبر واذا فزع
نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا قال كانوا معهم قال ابن المبارك واخبرنا رجل عن منصور عن
مجاهد في قوله تعالى نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا قال قرناؤهم يلقونهم يوم القيمة فيقولون
لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة انتهى وقوله تعالى نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة
المتكلم بنحن اولياؤكم هم الملائكة القائلون لا تخافوا ولا تحزنوا اي يقولون للمومنين
عند الموت وعند مشاهدة الحق نحن كنا اولياءكم في الدنيا ونحن هم اولياؤكم في الاخرة
قال السدي المعنى نحن حفظتكم في الدنيا واولياؤكم في الاخرة والضمير في قوله فيها عائد على الاخرة
وتدعون معناه تطلبون قال الفخر ومعنى كونهم اولياء المومنين ان للملائكة
تاثيرات في الارواح بالقاء الوساوس وبالجملة فكون الملائكة اولياء للارواح الطيبة الطاهرة
حاصل من جهات كثيرة معلومة لارباب المكاشفات والمشاهدات فهم يقولون كما ان تلك الولاية حاصلة

في الدنيا فهي تكون باقية في الاخرة فان تلك العلائق ذاتية لازمة غير قابلة الى الزوال بل تصير
بعد الموت اقوى وابقى وذلك لان جوهر النفس من جنس الملائكة وهي كالشعلة بالنسبة الى
الشمس والقطرة بالنسبة الى البحر وانما التعلقات الجسدانية والتدبيرات البدنية هي الحائلة بينها
وبين الملائكة فاذا زالت تلك العلائق فقد زال الغطاء واتصل الاثر بالموثر والقطرة بالبحر
والشعلة بالشمس انتهى ت وقد نقل الثعلبي من كلام ارباب المعاني هنا كلاما كثيرا حسنا جدا موقظا
لارباب الهمم فانظره ان شئت وروى ابن المبارك في رقائقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا فنيت ايام الدنيا عن هذا العبد المومن بعث الله الى نفسه من يتوفاها قال فقال صاحباه
اللذان يحفظان عليه عمله ان هذا قد كان لنا اخا وصاحبا وقد حان اليوم منه فراق فاذنوا لنا
او قال دعونا نثن على اخينا فيقال اثنيا عليه فيقولان خيرا ورضي عنك وغفر لك وادخلك الجنة
فنعم الاخ كنت والصاحب ما كان ايسر مؤنتك واحسن معونتك على نفسك ما كانت خطاياك
تمنعنا ان نصعد الى ربنا فنسبح بحمده ونقدس له ونسجد له ويقول الذي يتوفى نفسه اخرج
ايها الروح الطيب الى خير يوم مر عليك فنعم ما قدمت لنفسك اخرج الى الروح والريحان وجنات
النعيم ورب عليك غير غضبان واذا فنيت ايام الدنيا عن العبد الكافر بعث الله الى نفسه من يتوفاها
فيقول صاحباه اللذان كانا يحفظان عليه عمله ان هذا قد كان لنا صاحبا وقد حان منه فراق
فاذنوا لنا او قال دعونا نثن على صاحبنا فيقال اثنيا عليه فيقولان لعنة الله وغضبه عليه
ولا غفر له وادخله النار فبئس الصاحب ما كان اشد مؤنته وما كان يعين على نفسه ان كانت
خطاياه وذنوبه لتمنعنا ان نصعد الى ربنا فنسبح له ونقدس له ونسجد له ويقول الذي
يتوفى نفسه اخرج ايها الخبيث الى شر يوم مر عليك فبئس ما قدمت لنفسك اخرج الى الحميم وتصلية
جحيم ورب عليك غضبان انتهى وقوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الاية ابتداء توصية
لنبيه عليه الصلاة والسلام وهو لفظ يعم كل من دعا قديما وحديثا الى الله عز وجل من الانبياء
والمومنين والمعنى لا احد احسن قولا ممن هذه حاله والى العموم ذهب الحسن ومقاتل وجماعة
وقيل الاية نزلت في المؤذنين وهذا ضعيف لان الاية مكية والاذان شرع بالمدينة قال ابو حيان
ولا السيئة لا زائدة للتوكيد انتهى وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن اية جمعت مكارم الاخلاق
وانواع الحلم والمعنى ادفع ما يعرض لك مع الناس في مخالطتهم بالفعلة او بالسيرة التي هي احسن
قال ابن عباس امر الله تعالى في هذه الاية بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة
فاذا فعل المومنون ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كانه ولي حميم وفي البخاري
ولي حميم اي قريب انتهى وفسر مجاهد وعطاء هذه الاية بالسلام عند اللقاء قال ابن عطيه ولا شك
ان السلام هو مبدا الدفع بالتي هي احسن وهو جزء منه والضمير في قوله تعالى يلقاها عائد على هذه
الخلق التي يقتضيها قوله ادفع بالتي هي احسن وقالت فرقة المراد وما يلقى لا اله الا الله وهذا تفسير
لا يقتضيه اللفظ قوله سبحانه الا الذين صبروا مدح بليغ للصابرين وذلك بين للمتامل لان
الصبر على الطاعات وعن الشهوات جامع لخصال الخير كلها والحظ العظيم يحتمل ان يريد من العقل والفضل
فتكون الاية مدحا للمتصف بذلك ويحتمل ان يريد وحظ عظيم من الجنة وثواب الاخرة فتكون
الاية وعدا بالجنة فسر قتادة الحظ هنا وقوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله

جزاك الله م

الشرية بالانوار والكاشفات الغيبية وطلبها / تقصيه كما ان الشياطين تاثيرات في الارواح

اما شرط وجواب الشرط قوله فاستعذ والنزغ فعل الشيطان في قلب او يد من القاء غضب وحقد
او بطش في اليد فمن الغضب هذه الاية ومن الحقد قوله نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ومن البطش قول
النبي صلى الله عليه وسلم لا يشير احدكم على اخيه بالسلاح لا ينزغ الشيطان في يده فيلقيه في حفرة من حفر
النار ومن دعاء الشيخ الولي العارف بالله سيدي محمد بن ميسرة القرطبي اللهم لا تجعل صدري للشيطان مراغا
ولا تصير قلبي له مجالا ولا تجعلني ممن استفزه بصوته واجلب عليه بخيله ورجله وكن لي من حبائله منجيا
ومن مصايده منقذا ومن غوايته مبعدا اللهم انه وسوس في القلب وكفى في النفس ما لا يطيق اللسان
ذكره ولا تستطيع النفس نشره مما نزهك عنه علو عزك وسمو مجدك فانزل يا سيدي ما سطر وامح ما دون
بوابل من سحاب عظمتك وطوفان من بحار نصرتك واسلل عليه سيف ابعادك وارشقه بسهام اقصائك
واحرقه بنار انتقامك واجعل خلاصي منه زائدا في حزنه ومؤكدا لاسفه ثم قال رحمه الله اعلم انه ربما كان
العبد في خلوته مشتغلا بتلاوته ويجد في نفسه من الوسوسة ما يحول بينه وبين ربه حتى لا يجد لطعم
الذكر حلاوة ويجد في قلبه قساوة وربما اعتراه ذلك مع الاجتهاد في قراءته وجملة ذلك ان الذكر ذكران
ذكر خوف ورهبة وذكر امن وغفلة فاذا كان الذكر بالخوف والرهبة خنس الشيطان ولم يحتمل الجملة
واذهب الوسوسة لان الذكر اذا كان باجتماع القلب وصدق النية لم يكن للشيطان قوة عند ذلك وانقطعت
علائقه وانما قوته ووسوسته مع الغفلة واذا كان الذكر بالامن والغفلة لم تفارقه الوسوسة وان
استدام العبد الذكر والقراءة لان على قلبه غفلة فلا غشاوة لا يجد صاحبها لطعم الذكر حلاوة فتحفظ
على دينك من هذا العدو وليس لك ان تزيله عن مرتبته ولا ان تزحزحه عن وطنه وانما اتيح لك
مجاهدته فاستعن بالله يعنك وثق بالله فانه لا يخذلك قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وان الله لمع المحسنين انتهى من تصنيفه رحمه الله وندب سبحانه في الاية المتقدمة الى الاخذ بمكارم
الاخلاق ووعد على ذلك وعلم سبحانه ان خلقة البشر تغلب احيانا وتثور بهم سورة الغضب ونزغ
الشيطان فدلهم في هذه الاية على ما يذهب ذلك وهي الاستعاذة به عز وجل ثم عدد سبحانه اياته
ليعتبر فيها فقال ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر ثم قال تعالى لا تسجدوا للشمس ولا للقمر وان كانت
فيهما لكم منافع لان النفع منهما انما هو بتسخير الله اياهما فهو الذي ينبغي ان يسجد له والضمير في خلقهن
قيل هو عائد على الايات المتقدم ذكرها وقيل عائد على الشمس والقمر والاثنان جمع وايضا جمع ما لا يعقل
يؤنث فلذلك قال خلقهن ومن حيث يقال شموس واقمار لاختلافهما بالايام ساغ ان يعود الضمير
مجموعا وقيل هو عائد على الاربعة المذكورة ت ومن كتاب المستغيثين بالله لابي القاسم بن بشكوال
حدث بسنده الى انس بن ملك قال نقرا حم السجدة وتسجد عند السجدة وندعوا فانه يستجاب لك
قال الراوي وجربته فوجدته مستجابا انتهى ثم خاطب جل وعلا نبيه عليه السلام بما يتضمن وعيدهم
وحقارة امرهم وانه سبحانه غني عن عبادتهم بقوله فان استكبروا الاية وقوله فالذين يعني بهم
الملائكة هم صافون يسبحون وعند هنا ليست بظرف مكان وانما هي بمعنى المنزلة والقربة كما تقول
زيد عند الملك جليل ويروى ان تسبيح الملائكة قد صار لهم كالنفس لبني ادم ولا يسأمون معناه
لا يملون ثم ذكر تعالى اية منصوبة ليعتبر بها في امر البعث من القبور ويستدل بما شوهد من هذه
على ما لم يشاهد فقال ومن اياته انك ترى الارض خاشعة خشوع الارض هو ما يظهر عليها من
استكانة وشعث بالجدب فهي عابسة كالخاشع عابس يكاد يبكي واهتزاز الارض هو تخلخل اجزائها

ونشفها

ونشفها للنبات وربوها هو انتفاخها بالماء وعلو سطحها به وعبارة البخاري اهتزت بالنبات
وربت ارتفعت ثم ذكر تعالى بالامر الذي ينبغي ان يقاس على هذه الاية والعبرة وذلك احياء الموتى فقال
ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير والشيء في اللغة الموجود قوله تعالى ان الذين يلحدون في اياتنا
لا يخفون علينا الاية وعيد والالحاد الميل وهو هنا ميل عن الحق ومنه لحد الميت لانه في جانب ويقال
لحد الرجل والحد بمعنى واختلف في الحادهم هذا ما هو فقال قتادة وغيره هو الحاد بالتكذيب وقال
غيره هو بالمكاء والصفير واللغو الذي ذهبوا اليه وقال ابن عباس الحادهم وضعهم الكلام غير موضعه
ولفظة الالحاد تعم هذا كله وباقي الاية بين وقوله تعالى اعملوا ما شئتم وعيد في صيغة الامر باجماع
من اهل العلم وقوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر الاية يريد بالذين كفروا قريشا والذكر القران باجماع
واختلف في الخبر عنهم اين هو فقالت فرقة هو في قوله اولئك ينادون من مكان بعيد ورد بكثرة الحائل
وان هنالك قوما قد ذكروا ويحسن رد قوله اولئك ينادون عليهم وقالت فرقة الخبر مضمر تقديره
ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم هلكوا او ضلوا وقيل الخبر في قوله وانه لكتاب عزيز وهذا
ضعيف لا يتجه وقال عمرو بن عبيد معناه في التفسير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به
وانه لكتاب عزيز قال ابن عطية والذي يحسن في هذا هو اضمار الخبر ولكنه عند قوم في غير هذا
الموضع الذي قدره هؤلاء فيه وانما هو بعد حكيم حميد وهو اشد اظهار المذمة الكفار به وذلك
لان قوله وانه لكتاب داخل في صفة الذكر المكذب به فلم يتم ذكر المخبر عنه الا بعد استيفاء وصفه
ووصف تعالى الكتاب بالعزة لانه بصحة معانيه ممتنع الطعن فيه والازراء عليه وهو محفوظ من الله تعالى
قال ابن عباس معناه كريم على الله تعالى قوله تعالى لا ياتيه الباطل قال قتادة والسدي يريد الشيطان
وظاهر اللفظ يعم الشيطان وان يجيء امر يبطل منه شيئا وقوله من بين يديه معناه ليس فيما تقدمه
من الكتب ما يبطل شيئا منه وقوله ولا من خلفه اي ليس ياتي بعده من نظر ناظر وفكرة عاقل ما يبطل
شيئا منه والمراد باللفظ على الجملة لا ياتيه الباطل من جهة من الجهات وقوله تنزيل خبر مبتدا اي هو تنزيل
قوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك يحتمل معنيين احدهما ان يكون تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم عن مقالات قومه وما يلقاه من المكروه منهم والثاني ان يكون المعنى ما يقال لك
من الوحي وتخاطب به من جهة الله تعالى الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقوله تعالى ولو جعلناه قرانا
اعجميا الاية الاعجمي هو الذي لا يفصح عربيا كان او غير عربي والعجمي الذي ليس من العرب فصيحا كان او غير
فصيح والمعنى ولو جعلنا هذا القران اعجميا لا يبين لقالوا واعترضوا لولا بينت اياته وهذه الاية
نزلت بسبب تخليط كان من قريش في اقوالهم من اجل حروف وقعت في القران وهي مما عرب من كلام العجم
كسجين واستبرق ونحوه وقرا الجمهور ءاعجمي وعربي على الاستفهام وهمزة ممدودة على الالف وقرا حمزة
والكسائي وحفص ءاعجمي بهمزتين وكانهم ينكرون ذلك ويقولون اعجمي وعربي مختلط هذا لا يحسن
ثم قال تعالى قل هو للذين امنوا هدى وشفاء واختلف الناس في قوله وهو عليهم عمى
فقالت فرقة يريد به القران وقالت فرقة يريد به الوقر وهذه كلها استعارات والمعنى انهم
كالاعمى وصاحب الوقر وهو الثقل في الاذن المانع من السمع وكذلك قوله تعالى اولئك ينادون
من مكان بعيد يحتمل معنيين كلاهما مقول للمفسرين احدهما انها استعارة لقلة فهمهم شبههم بالرجل
ينادى على بعد يسمع منه الصوت ولا يفهم تفاصيله ولا معانيه وهذا تاويل مجاهد والاخر

ان الكلام على الحقيقة وان معناه انهم يوم القيمة ينادون بكفرهم وقبيح اعمالهم من بعد حتى
يسمع ذلك اهل الموقف ليفتضحوا على رؤس الخلائق ويكون اعظم لتوبيخهم وهذا تاويل الضحاك قال ابو حيان
عمى بفتح الميم مصدر عمى انتهى ثم ضرب الله تعالى امر موسى مثلا للنبي عليه الصلاة والسلام ولقريش اي فعل اولئك
كفعل هولاء حين جاءهم مثل ما جاء هولاء و الكلمة السابقة هي حكم الله تعالى بتاخير عذابهم الى يوم القيمة
والضمير في قوله لفي شك منه يحتمل ان يعود على موسى او على كتابه و قوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه الاية نصيحة
بليغة للعالم وتحذير وترجية و قوله تعالى اليه يرد علم الساعة الاية المعنى ان علم الساعة و وقت مجيئها
يرده كل مومن متكلم فيه الى الله عز وجل و قوله تعالى ويوم يناديهم اين شركائي الاية التقدير
واذكر يوم يناديهم و الضمير في يناديهم ظاهره والاسبق فيه انه يريد الكفار عبدة الاوثان و يحتمل
ان يريد كل من عبد من دون الله من انسان وغيره وفي هذا ضعف و اما الضمير في قوله وضل
عنهم فلا يحتمل العود الا على الكفار و اذناك قال ابن عباس وغيره معناه اعلمناك ما منا من يشهد ولا
من شهد بان لك شريكا و ضل عنهم اي نسوا ما كانوا يقولون في الدنيا ويدعون من الالهة
والاصنام ويحتمل ان يريد وضل الاصنام اي تلفت فلم يجدوا منها نصرا وتلاشى لهم امرها و قوله
وظنوا يحتمل ان يكون متصلا بما قبله ويكون الوقف عليه ويكون قوله ما لهم من محيص استئنافا
نفي ان يكون لهم ملجأ او موضع روغان تقول حاص الرجل اذا راغ لطلب النجاة من شيء ومنه الحديث
فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب ويكون الظن على هذا التاويل على بابه اي ظنوا ان هذه المقالة
ما منا من شهيد منجاة لهم او امر يموهون به ذلك ويكون الظن على هذا التاويل بمعنى اليقين وقد تقدم
البحث في اطلاق الظن على اليقين ت وهذا التاويل هو الظاهر والاول بعيد جدا قوله تعالى لا يسئم
الانسان من دعاء الخير هذه ايات نزلت في كفار قيل في الوليد بن المغيرة وقيل في عتبة بن ربيعة وجل الاية
يعطي انها نزلت في كفار وان كان اولها يتضمن خلقا ربما شارك فيها بعض المومنين و دعاء الخير اضافة فيه
اضافة المصدر الى المفعول وفي مصحف ابن مسعود من دعاء بالخير والخير في هذه الاية المال والصحة
وبذلك تليق الاية بالكافر قوله تعالى ليقولن هذا لي اي بعملي وبما سعيت ولا يرى ان النعم انما هي فضل من
الله تعالى قال ع ليقولن قال ابو البقاء هو جواب الشرط والفاء محذوفة وقيل هو جواب القسم قال
قلت هذا هو الحق والاول غلط لان القسم قد تقدم في قوله ولئن فالجواب له ولا تحذف الفاء
في الجواب لا يجوز انتهى ت وفي تغليط الصفاقسي لابي البقاء نظر و قوله وما اظن الساعة قائمة قول
بين فيه الجحد والكفر ثم يقول هذا الكافر ولئن رجعت الى ربي كما تقولون ان لي عنده للحسنى اي
حال ترضيني من مال وبنين وغير ذلك قال ع والاماني على الله تعالى وترك الجد في الطاعة مذموم لكل
احد فقد قال عليه الصلاة والسلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه
هواها وتمنى على الله قوله تعالى واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه الاية ذكر سبحانه الخلق
الذميمة من الانسان جملة وهي في الكافر بينة متمكنة واما المومن ففي الاغلب يشكر على النعمة وكثيرا
ما يصبر عند الشدة و نأى معناه بعد ولم يمل الى شكر وطاعة و قوله فذو دعاء عريض اي
وطويل ايضا وعبارة الثعلبي عريض اي كثير والعرب تستعمل الطول والعرض كليهما في الكثرة
من الكلام انتهى ثم امر تعالى نبيه ان يوقف قريشا على هذا الاحتجاج وموضع تقريرهم بانفسهم فقال
ارايتم ان كان من عند الله وخالفتموه السنم على هلكة فمن اضل ممن يبقى على مثل هذا الغرر مع الله وهذا

هو

هو الشقاق ثم وعد تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بانه سيري الكفار اياته واختلف في معنى قوله
سبحانه في الافاق وفي انفسهم فقال المنهال والسدي وجماعة هو وعد بما يفتحه الله على رسوله من
الاقطار حول مكة او في غير ذلك من الارض كخيبر ونحوها وفي انفسهم اراد به فتح مكة قال ع وهذا
تاويل حسن يتضمن الاعلام بغيب ظهر بعد ذلك وقال قتادة والضحاك سنريهم اياتنا في الافاق
هو ما اصاب الامم المكذبة في اقطار الارض قديما وفي انفسهم يوم بدر والتاويل الاول ارجح والله اعلم
و الضمير في قوله تعالى انه الحق عائد على الشرع والقران فباظهار الله نبيه وفتح البلاد عليه يتبين لهم انه
الحق و قوله بربك قال ابو حيان الباء زائدة وهو فاعل يكف اي اولم يكفهم ربك انتهى وباقي الاية
بين بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

سورة حم عسق مكية

وقال مقاتل فيها مدني قوله تعالى حم عسق قال ابن عباس في
كتاب الثعلبي ان حم عسق هذه الحروف باعيانها في كل كتب الله المنزلة على كل نبي انزل عليه كتاب
ولذلك قال تعالى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك و قرأ الجمهور يوحي باسناد الفعل الى الله
تعالى وقرأ ابن كثير وحده يوحى بفتح الحاء على بناء الفعل للمفعول والتقدير يوحى اليك القران
و قوله تعالى والى الذين من قبلك يريد من الانبياء الذين نزلت عليهم الكتب وقرأ نافع والكسائي
يتفطرن وقرأ ابو عمرو وعاصم ينفطرن والمعنى فيهما يتصدعن ويتشققن خضوعا وخشية
من الله تعالى وتعظيما وطاعة و قوله من فوقهن اي من اعلاهن وقال الاخفش علي بن سليمان
الضمير في من فوقهن للكفار اي من فوق الجماعات الكافرة والفرق الملحدة من اجل اقوالها تكاد
السموات يتفطرن فهذه الاية على هذا كالتي في كهيعص تكاد السموات يتفطرن منه الاية وقالت
فرقة معناه من فوق الارضين اذ قد جرى ذكر الارض قوله تعالى ويستغفرون لمن في الارض
قالت فرقة هذا منسوخ بقوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا قال ع وهذا قول ضعيف
لان النسخ في الاخبار لا يتصور وقال يستغفرون لمن في الارض من المومنين وقالت فرقة
بل هي على عمومها لكن استغفار الملائكة ليس بطلب غفران للكفرة مع بقائهم على كفرهم
وانما استغفارهم لهم بمعنى طلب الهداية التي تؤدي الى الغفران لهم وتاويل السدي ارجح و قوله
تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل هذه الاية تسلية للنبي صلى
الله عليه وسلم ووعيد للكافرين و المعنى ليس عليك الا البلاغ فقط فلا تهتم بعدم ايمان قريش وغيرهم
الله هو الحفيظ على كفرهم المحصي لاعمالهم المجازي عليها وانت لست بوكيل عليهم وما في هذه الالفاظ
من موادعة فمنسوخة قال الامام الفخر في شرحه لاسماء الله الحسنى عند كلامه على اسمه سبحانه الحفيظ
قال بعضهم ما من عبد حفظ جوارحه الا حفظ الله عليه قلبه وما من عبد حفظ الله عليه قلبه الا جعله
حجة على عباده انتهى ثم قال تعالى وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا المعنى وكما قضينا امرك
هكذا وامضيناه في هذه السورة كذلك اوحينا اليك قرانا عربيا مبينا لهم لا يحتاجون الى ترجمان
اذ فهمه متاتٍ لهم ولم نكلفك الا الانذار من ذكر و ام القرى هي مكة و يوم الجمع هو يوم القيمة
اي تخوفهم اياه و قوله فريق مرتفع على خبر الابتداء المضمر كانه قال هم فريق في الجنة وفريق في
السعير ثم قوى تعالى تسلية نبيه بان عرفه ان الامور موقوفة على مشيئة الله من ايمانهم او كفرهم
وانه لو اراد كونهم امة واحدة لجمعهم عليه ولكنه سبحانه يدخل من سبقت له السعادة عنده في رحمته

لكنه واحدة

وقيل ما معناه ان ظاهر الاية العموم ومعناها الخصوص في المومنين فكانها قالت

ويسر في الدنيا لعمل اهل السعادة وان الظالمين بالكفر الميسرين لعمل الشقوة ما لهم من ولي
ولا نصير قال عبد الحق رحمه الله في العاقبة وقد علمت رحمك الله ان الناس يوم القيمة صنفان صنف مقرب معظم
ولآخر مبعد مهان صنف نصبت لهم الاسرة والحجال والارائك والظلال وجمعت لهم الرغائب والآمال
وآخرون اعدت لهم الاراقم والطلال والمقامع والاغلال وضروب الاهوال والانكال وانت لا تعلم
من ايهما انت ولا في اي الفريقين كتبت ☙ نزلوا بمكة في قبائل نوفل ونزلت بالبيداء ابعد منزل
وتقلبوا فرحين تحت ظلالها وطرحت بالصحراء غير مظلل وسقوا من الصافي المعتق ريهم وسقيت دمعة واله متململ
بكى سفيان الثوري رحمه الله ليلة الى الصباح فقيل له ابكاؤك هذا على الذنوب فاخذ تبنة من الارض وقال
الذنوب اهون من هذا انما ابكي خوف الخاتمة وبكى غير سفيان وانه لامر يبكى عليه ويصرف الاهتمام كله اليه
وقد قيل لا تكف دمعك حتى ترى في المعاد ربعك وقيل يا ابن ادم الاقلام عليك تجري وانت في
غفلة لا تدري ☙ يا ابن ادم دع التنافس في هذه الدار حتى ترى ما فعلت في امرك الاقدار وسمع بعض الصالحين
منشدا ينشد نظم ايا راهبي نجران ما فعلت هند ☙ فبكى ليلته الى الصباح فسئل عن ذلك فقال قلت في
نفسي ☙ ما فعلت الاقدار في ☙ وماذا جرت به علي انتهى وقوله تعالى ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولي
الآية قوله ام اتخذوا كلام مقطوع مما قبله وليست بمعادلة ولكن الكلام كانه اضرب عن حجة لهم او
مقالة مقررة فقال بل اتخذوا هذا مشهور قول النحويين في مثل هذا وذهب بعضهم الى ان ام هذه
هي بمنزلة الف الاستفهام دون تقدير اضراب ثم اثبت الحكم بانه عز وجل هو الولي الذي تنفع ولايته و
قوله تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله الآية المعنى قل لهم يا محمد وما اختلفتم فيه ايها الناس
من تكذيب وتصديق وايمان وكفر وغير ذلك فالحكم فيه والمجازاة عنه ليست الي ولا بيدي وانما ذلك
الى الله تعالى الذي صفاته ما ذكر من احياء الموتى والقدرة على كل شيء وقوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا
يريد زوج الانسان الانثى وبهذه النعمة اتفق الذراء وليست الازواج هاهنا الانواع وقوله ومن
الانعام ازواجا الظاهر ايضا فيه والمتسق انه يريد اناث الذكران ويحتمل ان يريد الانواع والاول
والاول اظهر وقوله يذرؤكم اي يخلقكم نسلا بعد نسل وقرنا بعد قرن قاله مجاهد فلفظة ذرأ
تزيد على لفظة خلق معنى آخر ليس في خلق وهو توالي الطبقات على مر الزمان وقوله فيه الضمير عائد على الجعل الذي
يتضمنه وقوله جعل لكم وهذا كما تقول كلمت زيدا كلاما اكرمته فيه وقال القتبي الضمير للتزويج
ولفظة في مشتركة على معان وان كان اصلها الوعاء واليه يردها النظر في كل وجه وقوله تعالى ليس كمثله
شيء الكاف مؤكدة للتشبيه فنفي التشبيه اوكد ما يكون وذلك انك تقول زيد كعمرو وزيد مثل
عمرو فاذا اردت المبالغة التامة قلت زيد كمثل عمرو وجرت الآية في هذا الموضع على عرف كلام العرب
وعلى هذا المعنى شواهد كثيرة وذهب الطبري وغيره الى ان المعنى ليس كهو شيء وقالوا لفظة مثل في هذه
الآية توكيد وواقعة موقع هو والمقاليد المفاتيح قاله ابن عباس وغيره وقال مجاهد هذا اصلها
بالفارسية وهي هاهنا استعارة لوقوع كل امر تحت قدرته سبحانه وقال السدي المقاليد الخزائن
وفي اللفظ على هذا حذف مضاف قال قتادة من ملك مقاليد خزائن فالخزائن في ملكه وقوله سبحانه
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية المعنى شرع لكم وبين من المعتقدات والتوحيد ما وصى به نوحا
قبل وقوله والذي عطف على ما وكذلك ما ذكر بعد من اقامة الدين مشروع اتفقت النبوات فيه
وذلك في المعتقدات واما الاحكام بانفرادها فهي في الشرائع مختلفة وهي المراد في قوله تعالى

لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا واقامة الدين هو توحيد الله ورفض سواه والاجتماع الكلمة ثم
قال تعالى لنبيه عليه الصلوة والسلام كبر على المشركين ما تدعوهم اليه من توحيد الله ورفض الاوثان
قال قتادة كبر عليهم لا اله الا الله وابى الله الا نصرها ثم سلاه تعالى عنهم بقوله يجتبي اليه من يشاء
الآية اي يختار ويصطفي قاله مجاهد وغيره وينيب معناه يرجع عن الكفر ويحرص على الخير ويطلبه
وما تفرقوا يعني اوائل اليهود والنصارى الامن بعد ما جاءهم العلم وقوله بغيا بينهم اي بغى بعضهم
على بعض واداهم ذلك الى اختلاف الرأي وافتراق الكلمة والكلمة السابقة قال المفسرون هي حتمه
تعالى القضاء بان مجازاتهم انما تقع في الآخرة ولولا ذلك لفصل بينهم في الدنيا وغلب المحق على المبطل
وقوله تعالى وان الذين اوتوا الكتاب اشارة الى معاصري نبينا محمد عليه الصلاة والسلام من اليهود
والنصارى وقيل هو اشارة الى العرب والكتاب على هذا هو القرآن والضمير في قوله لفي شك منه
يحتمل ان يعود على الكتاب او على محمد او على الاجل المسمى اي في شك من البعث على قول من يرى ان
الاشارة الى العرب ووصف الشك بمريب مبالغة فيه واللام في قوله تعالى فلذلك فادع قالت فرقة
هي بمنزلة الى كانه قال فالى ما وصي به من الانبياء من التوحيد فادع وقالت فرقة بل هي بمعنى من اجل
كانه قال من اجل ان الامر كذا وكذا ولكونه كذا فادع انت الى ربك وبلغ ما ارسلت به وقال الفخر يعني
فلاجل ذلك التفريق ولاجل ما حدث من الاختلافات الكثيرة في الدين فادع الى الاتفاق على الملة
الحنيفية واستقم عليها وعلى الدعوة اليها كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم الباطلة انتهى وخوطب
عليه السلام بالاستقامة وهو قد كان مستقيما بمعنى دم على استقامتك وهكذا الشأن في كل
مأمور بشيء هو متلبس به انما معناه الدوام وهذه الآية ونحوها كانت نصب عيني النبي صلى الله عليه
وسلم وكانت شديدة الموقع من نفسه اعني قوله تعالى واستقم كما امرت لانها جملة تحتها جميع
الطاعات وتكاليف النبوة وفي هذا المعنى قال عليه السلام شيبتني هود واخواتها فقيل له لم ذلك يا نبي
الله فقال لان فيها فاستقم كما امرت وهذا الخطاب له عليه السلام بحسب قوته في امر الله عز وجل وقال
هو ت وقرض الفخر هذه القضية في اهل الكتاب وذكر ما وقع من اليهود ومحاجتهم في دفع
الحق وجحد الرسالة وعلى هذا فالضمير في اهوائهم عائد عليهم والله اعلم انتهى ثم امره تعالى ان يقول
امنت بما انزل الله من كتاب وهو امر يعم سائر امته وقوله وامرت لاعدل بينكم قالت فرقة اللام
في لاعدل بمعنى ان اعدل بينكم وقالت فرقة المعنى وامرت بما امرت به من التبليغ والشرع لكي
اعدل بينكم وقوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم الى آخر الآية ما فيه من موادعة منسوخة بآية
السيف وقوله لا حجة بيننا وبينكم اي لا جدال ولا مناظرة قد وضح الحق وانتم تعاندون
في قوله الله يجمع بيننا وعيد بين وقوله تعالى والذين يحاجون في الله الآية قال ابن عباس ومجاهد
نزلت في طائفة من بني اسرائيل همت برد الناس عن الاسلام واضلالهم وقيل نزلت في قريش لانها
كانت ابدا تحاول هذا المعنى ويحاجون في الله معناه في دين الله او توحيد الله اي ويحتمل ان
يعود على الدين والشرع ويحتمل ان يعود على النبي صلى الله عليه وسلم وداحضة بالحق معناه
مضمنا الحق اي بالحق في احكامه واوامره ونواهيه والجنان والميزان هنا العدل قاله ابن عباس
ومجاهد والناس وحكى الثعلبي عن مجاهد انه قال هو هنا الميزان الذي بايدي الناس قال ع
ولا شك انه داخل في العدل وجزء منه قوله تعالى وما يدريك لعل الساعة قريب وعيد للمشركين

وقوله سبحانه ولا تتفرقوا نهي عن المهلك من تفرق الانحاء والمذاهب والخير كله في الالفة م

لانه بحسب ضعفهم استقيموا ولن تحصوا وقوله تعالى ولا تتبع اهواءهم يعني قريشا م

يحاجون فيه بالابطال والالحاد وما اشبهه والضمير في له يحتمل ان يعود على الله تعالى م

معناه زاهقة والدحض الزهق وباقي الآية بين وقوله سبحانه الله الذي انزل الكتاب م

جاء اللفظ قريب مذكرا من حيث تانيث الساعة غير حقيقي واذ هي بمعنى الوقت ف ينبغي للمؤمن العاقل
ان يتدبر هذه الاية ونظايرها ويقدر في نفسه انه المقصود بها نظم

لاه بدنياه والايام تنعاه والقبر غايته واللحد ماواه

يلهو فلو كان يدري ما اعد له اذا لاحزنه ما كان الهاه

قال الغزالي في الاحياء قال ابو زكريا التيمي بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام اذ اتي بحجر منقوش
فطلب من يقراه فاتي بوهب بن منبه فاذا فيه ابن ادم انك لو رايت قرب ما بقي من اجلك
لزهدت في طول املك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما تلقاك
غدا ندمك وقد زلت بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك ففارقك الولد والقريب ورفضك
الوالد والنسيب فلا انت الى دنياك عايد ولا في حسناتك زايد فاعمل ليوم القيمة قبل الحسرة والندامة
فبكى بكاء شديدا انتهى وباقي الاية بين ثم رجا تبارك وتعالى عباده بقوله الله لطيف بعباده
ولطيف هنا بمعنى رفيق متحف والعباد هنا المؤمنون وقوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة
معناه ارادة مستعد عامل لا ارادة متمن مسوف والحرث في هذه الاية عبارة عن السعي والتكسب
والاعداد وقوله تعالى نزد له في حرثه وعد منجز قال الفخر وفي تفسير قوله نزد له في حرثه قولان
الاول نزد له في توفيقه واعانته وتسهيل سبل الخيرات والطاعات عليه وقال مقاتل نزد له في
حرثه بتضعيف الثواب قال تعالى ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انتهى وقوله في حرث
الدنيا نؤته منها معناه ما شينا منها ولمن شينا فرب ممتحن مضيق عليه حريص على حرث الدنيا
مريد له لا يحس بغيره نعوذ بالله من ذلك وهذا الذي لا يعقل غير الدنيا هو الذي نفي ان يكون
له نصيب في الاخرة وقوله تعالى ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله ام هذه
هي منقطعة لا معادلة وهي بتقدير بل والف الاستفهام والشركاء في هذه الاية يحتمل ان يكون
المراد بهم الشياطين والمغوين من اسلافهم ويكون الضمير في لهم للكفار المعاصرين لمحمد صلى الله عليه
وسلم فالاشتراك هاهنا هو في الكفر والغواية وليس بشركة الاشراك بالله ويحتمل ان يكون
المراد بالشركاء الاصنام والاوثان على معنى ام لهم اصنام جعلوها شركاء لله في الوهيته
ويكون الضمير في شرعوا لهؤلاء المعاصرين من الكفار ولابائهم والضمير في لهم للاصنام الشركاء
وشرعوا معناه اثبتوا ونهجوا ورسموا والدين هنا العوايد والاحكام والسيرة ويدخل في
ذلك ايضا المعتقدات السوء لانهم في جميع ذلك وضعوا اوضاعا فاسدة وكلمة الفصل هي
ما سبق من قضاء الله تعالى بانه يؤخر عقابهم الى الاخرة والقضاء بينهم هو عذابهم في الدنيا
ومجازاتهم وقوله سبحانه ترى الظالمين هي رؤية بصر ومشفقين حال وليس لهم في هذا
الاشفاق مدح لانهم انما اشفقوا حين نزل بهم وليسوا كالمؤمنين الذين هم في الدنيا
مشفقون من امر الساعة كما تقدم وهو واقع بهم قال ابو حيان والضمير هو عايد على العذاب او
على ما كسبوا بحذف مضاف اي وبال ما كسبوا انتهى والروضات المواضع المونقة النضرة و
قوله تعالى ذلك الذي يبشر الله عباده اشارة الى قوله تعالى في الاية الاخرى وبشر المؤمنين
بان لهم من الله فضلا كبيرا وقوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى اختلف
الناس في معناه فقال ابن عباس وغيره هي اية مكية نزلت في صدر الاسلام ومعناها استكفاف

سليمان

شر الكفار ودفع اذاهم اي ما اسالكم على القران الا ان تودوني لقرابة بيني وبينكم فتكفوا
عني اذاكم قال ابن عباس وابن اسحق وقتادة ولم يكن في قريش بطن الا وللنبي صلى الله عليه وسلم
فيه نسب او صهر فالاية على هذا فيها استعطاف ما ودفع اذى وطلب سلامة منهم وذلك كله
منسوخ باية السيف ويحتمل هذا التاويل ان يكون معنى الكلام استدعاء نصرهم اي لا اسالكم
غرامة ولا شيا الا ان تودوني لقرابتي منكم وان تكونوا اولى في من غيركم قال ع وقريش
كلها عندي قربى وان كانت تتفاضل فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مات على حب
آل محمد مات شهيدا ومن مات على بغضهم لم يشم رايحة الجنة وقال ابن عباس ايضا ما يقتضي ان
الاية مدنية وان الانصار جمعت لرسول الله مالا وساقته اليه فرده عليهم ونزلت الاية في ذلك
وقيل غير هذا وعلى كل قول فالاستثناء منقطع والا بمعنى لكن ويقترف معناه يكتسب ورجل
قرفة اذا كان محتالا كسوبا وغفور معناه ساتر عيوب عباده وشكور معناه مجاز على
الدقيقة من الخير لا يضيع عنده لعامل عمل قوله تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا ام هذه
مقطوعة مضمنة اضرابا عن كلام متقدم وتقريرا على هذه المقالة منهم وقوله تعالى فان يشا
الله يختم على قلبك معناه في قول قتادة وفرقة من المفسرين ينسيك القران والمراد الرد على
مقالة الكفار وبيان ابطالها كانه يقول وكيف يصح ان تكون مفتريا وانت من الله بمراى
ومسمع وهو قادر لو شاء ان يختم على قلبك فلا تعقل ولا تنطق ولا يستمر افتراؤك فمقصد
اللفظ هذا المعنى وحذف ما يدل عليه الظاهر اختصارا واقتصارا وقال مجاهد المعنى فان يشا
الله يختم على قلبك بالصبر لاذى الكفار ويربط عليه بالجلد فهذا تاويل لا يتضمن الرد على مقالتهم
قال ابو حيان وذكر القشيري ان الخطاب للكفار اي يختم على قلبك ايها القايل فيكون انتقالا من
الغيبة للخطاب ويمح استيناف اخبار لا داخل في الجواب وتسقط الواو من اللفظ لالتقاء الساكنين
ومن المصحف حملا على اللفظ انتهى قوله تعالى ويمح فعل مستقبل خبر من الله تعالى انه يمح الباطل
ولا بد اما في الدنيا واما في الاخرة وهذا بحسب نازلة نازلة وكتب يمح في المصحف بحاء مرسلة
كما كتبوا ويدع الانسان الى غير ذلك مما ذهبوا فيه الى الحذف والاختصار وقوله بكلماته معناه
بما سبق في قديم علمه وارادته من كون الاشياء فالكلمات المعاني القايمة القديمة التي لا تبديل لها
ثم ذكر تعالى النعمة في تفضله بقبول التوبة من عباده وقبول التوبة فيما يستانف العبد من زمانه
واعماله مقطوع به بهذه الاية واما ما سلف من اعماله فينقسم فاما التوبة من الكفر فماحية كل
ما تقدم منها من مظالم العباد الفايتة وغير ذلك واما التوبة من المعاصي فلاهل السنة فيها قولان
هل تذهب المعاصي السالفة للعبد بينه وبين خالقه فقالت فرقة هي مذهبة لها وقالت
فرقة هي في مشية الله تعالى واجمعوا انها لا تذهب مظالم العباد وحقيقة التوبة الاقلاع
من المعاصي والاقبال والرجوع الى الطاعات ويلزمها الندم على ما فات والعزم على ملازمة الخيرات
وقال سري السقطي التوبة العزم على ترك الذنوب والاقبال بالقلب على علام الغيوب وقال يحيى
ابن معاذ التايب من كسر شبابه على راسه وكسر الدنيا على راس الشيطان ولزم الفطام حتى اتاه الحمام
وقوله تعالى عن عباده بمعنى من عباده وكانه قال التوبة الصادرة عن عباده وقرا الجمهور يفعلون
بالياء على الغيبة وقرا حمزة والكسائي تفعلون بالتاء على المخاطبة وفي الاية توعد قوله تعالى

ويستجيب قال الزجاج وغيره يجيب والعرب تقول اجاب واستجاب بمعنى والذين على هذا التاويل
مفعول يستجيب وروي هذا المعنى عن معاذ بن جبل ونحوه عن ابن عباس وقالت فرقة المعنى ويستدعي الذين
امنوا الاجابة بالاعمال الصالحة ودل قوله ويزيدهم من فضله على ان المعنى فيجيبهم والذين على هذا القول
فاعل يستجيب وقالت فرقة ويجيب المؤمنون ربهم فالذين فاعل بمعنى يجيبون دعوة شرعه ورسالته
والزيادة من فضله هي تضعيف الحسنات وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هي قبول الشفاعات في
المذنبين والرضوان وقوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء
انه بعباده خبير بصير قال عمرو بن حريث وغيره انها نزلت لان قوما من اهل الصفة طلبوا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يغنيهم الله ويبسط لهم الاموال والارزاق فاعلمهم الله انه لو جاء الرزق على
اختيار البشر واقتراحهم لكان سبب بغيهم وافسادهم ولكنه عز وجل اعلم بالمصلحة في كل احد انه بعباده
خبير بصير بمصالحهم وهو ينزل لهم من الرزق القدر الذي به صلاحهم فرب انسان لا يصلح وتنكف
عاديته الا بالفقر ت وقد ذكرنا في هذا المختصر احاديث تحتاج اليها في فضل الفقراء الصابرين ما فيه
كفاية لمن وفق وقد روى ابن المبارك في رقائقه عن سعيد بن المسيب قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اخبرني يا رسول الله بجلساء الله يوم القيمة قال هم الخائفون الخاضعون المتواضعون
الذاكرون الله كثيرا قال يا رسول الله فهم اول الناس يدخلون الجنة قال لا قال فمن اول الناس يدخل
الجنة قال الفقراء يسبقون الناس الى الجنة فتخرج اليهم منها ملائكة فيقولون ارجعوا الى الحساب فيقولون
على م نحاسب والله ما افيضت علينا الاموال في الدنيا فنقبض فيها ونبسط وما كنا امراء فنعدل ونجور
ولكنا جاءنا امر الله فعبدناه حتى اتانا اليقين قوله عز وجل وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا
ونعم الله تعالى الدالة على وحدانيته وانه المولى الذي يستحق ان يعبد دون ما سواه من الانداد وقرا
الجمهور قنطوا بفتح النون وقرا الاعمش قنطوا وهما لغتان وروي ان عمر رضي الله عنه قيل له اجدبت الارض
وقنط الناس فقال مطروا اذا بمعنى ان الفرج عند الشدة قوله تعالى وينشر رحمته قيل اراد بالرحمة المطر
وقيل اراد بالرحمة هنا الشمس فذلك تعديد نعمة غير الاولى وذلك ان المطر اذا الم بعد القنط حسن
موقعه فاذا دام سئم فتجيء الشمس بعده عظيمة الموقع قوله تعالى وهو الولي الحميد اي من هذه افعاله
هو الذي ينفع اذا والى وتحمد افعاله ونعمه قال القشيري اسمه تعالى الولي اي هو المتولي لاحوال عباده
وقيل هو من الوالي وهو الناصر فاولياء الله انصار دينه واشياع طاعته والولي في صفة العبد
من يواظب على طاعة ربه ومن علامة من يكون الحق سبحانه وليه ان يصونه ويكفيه في جميع الاحوال
ويؤمنه فيغار على قلبه ان يتعلق بمخلوق في دفع شر او جلب نفع بل يكون سبحانه هو القائم على قلبه
في كل نفس فيحقق اماله عند اشاراته ويعجل مآربه عند خطراته ومن امارات ولايته لعبده ان
يديم توفيقه حتى لو اراد سوءا او قصد محظورا عصمه عن ارتكابه او لو جنح الى تقصير في طاعته ابى الا
توفيقا وتاييدا وهذا من امارات السعادة وعكس هذا من امارات الشقاوة ومن امارات الولاية
ايضا ان يرزقه مودة في قلوب اوليائه انتهى من التحبير ثم ذكر تعالى الاية الكبرى الدالة على
الصانع وذلك خلق السموات والارض وقوله تعالى وما بث فيهما من دابة يتخرج على وجوه منها
ان يريد احدهما وهو ما بث في الارض دون السموات ومنها ان يكون تعالى قد خلق في السموات وبث
دواب لا نعلمها نحن ومنها ان يريد الحيوانات التي توجد في السحاب وقد تقع احيانا كالضفادع ونحوها

من ربهم م

فان السحاب داخل في اسم السماء قوله تعالى وهو على جمعهم يريد يوم القيمة عند الحشر من القبور
قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة قرا جمهور القراء فيما بفاء وكذلك هي في جل المصاحف وقرا
نافع وابن عامر بما دون فاء قال ابو علي الفارسي اصابكم من قوله اصابكم يحتمل ان يكون في موضع
جزم وتكون ما شرطية وعلى هذا لا يجوز حذف الفاء عند سيبويه وجوز حذفها ابو الحسن
الاخفش وبعض البغداديين على انها مرادة في المعنى ويحتمل ان يكون اصاب صلة لما وتكون
ما بمعنى الذي وعلى هذا يتجه حذف الفاء وثبوتها لكن معنى الكلام مع ثبوتها التلازم اي لولا كسبكم
ما اصابتكم مصيبة والمصيبة انما هي بكسب الايدي ومعنى الكلام مع حذفها يجوز ان يكون التلازم
ويجوز ان يعرى منه قال ع واما في هذه الاية فالتلازم مطرد مع الثبوت والحذف واما معنى
الاية فاختلف الناس فيه فقالت فرقة هو اخبار من الله تعالى بان الرزايا والمصائب في الدنيا
انما هي مجازاة من الله تعالى على ذنوب المرء وخطاياه وان الله تعالى يعفو عن كثير فلا يعاقب عليه
بمصيبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يصيب ابن ادم خدش عود او عثرة قدم ولا اختلاج
عرق الا بذنب وما يعفو عنه اكثر وقال مرة الهمداني رايت على ظهر كف شريح قرحة فقلت
ما هذا قال بما كسبت يدي ويعفو عن كثير وقيل لابي سليمان الداراني ما بال الفضلاء لا يلومون
من اساء اليهم فقال لانهم يعلمون ان الله هو الذي ابتلاهم بذنوبهم وروي عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا
فبما كسبت ايديكم والله اكرم من ان يثني عليكم العقوبة في الاخرة وما عفى الله عنه في الدنيا فالله احلم من
ان يعود فيه بعد عفوه وقال الحسن معنى الاية في الحدود اي ما اصابكم من حد من حدود الله فبما
كسبت ايديكم ويعفو الله عن كثير فيستره على العبد حتى لا يحد ثم اخبر تعالى عن قصور ابن ادم وضعفه
وانه في قبضة القدرة لا يعجز طلب ربه ولا يمكنه الفرار منه والجوار جمع جارية وهي السفينة و
الاعلام الجبال وباقي الاية بين فيه الموعظة وتشريف الصبار الشكور قوله تعالى او يوبقهن بما كسبوا
اوبقت الرجل اذا انشبته في امر يهلك فيه وهو في السفن تغريقها وبما كسبوا اي بذنوب ركابها وقرا
نافع وابن عامر ويعلم بالرفع على القطع والاستيناف وقرا الباقون والجمهور ويعلم بالنصب
على تقدير ان والمحيص المنجا وموضع الروغان ثم وعظ سبحانه عباده وحقر
عندهم امر الدنيا وشانها ورغبهم فيما عنده من نعيمه والمنزلة الرفيعة لديه وعظم قدر ذلك
في قوله فما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم
يتوكلون وقرا الجمهور كبائر على الجمع قال ابو الحسن هي كل ما توعد فيه بالنار وقد تقدم ما ذكره
الناس في الكبائر في سورة النساء وغيرها والفواحش قال السدي وقال مقاتل موجبات
الحدود وقوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون حض على كسر الغضب والتدرب في اطفائه اذ هو
جمرة من جهنم ومن جاهد هذا العارض من نفسه حتى غلبه فقد كفي هما عظيما في دنياه واخرته
قلت وروى مالك في الموطا ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمني كلمات
اعيش بهن ولا تكثر علي فانسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغضب قال ابو عمر بن عبد البر
اراد علمني ما ينفعني بكلمات قليلة لئلا انسى ان اكثرت علي ثم اسند ابو عمر عن الاحنف بن قيس
عن عمه جارية بن قدامة انه قال يا رسول الله قل لي قولا ينفعني الله به واقلل لعلي اعقله

قال لا تغضب فعاد عليه مرارا كلها يرجع اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تغضب واسند ابو عمر في التمهيد
عن عبد الله بن ابي الهذيل قال لما اراد يحيى ان عيسى
عليهما السلام مفارقته قال له اوصني
م

قال لا تغضب قال لا استطيع قال لا تغضب ما لا قال عسى انتهى وروى ابن المبارك في رقائقه
بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من كف لسانه عن اعراض المسلمين اقاله الله عثرته
يوم القيمة ومن كف غضبه عنهم وقاه الله عذابه يوم القيمة قال ابن المبارك واخبرنا ثور بن
يزيد عن خالد بن معدان قال ان الله تبارك وتعالى يقول من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسه
ومن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم ومن ذكرني حين يغضب ذكرته حين اغضب فلم امحقه
فيمن امحق انتهى و قوله تعالى والذين استجابوا مدح لكل من امن بالله وقبل شرعه و مدح تعالى
القوم الذين امرهم شورى بينهم لان في ذلك اجتماع الكلمة والتحاب واتصال الايدي والتعاضد
على الخير وفي الحديث ما تشاور قوم قط الا هدوا لاحسن ما بحضرتهم و قوله تعالى ومما رزقناهم
ينفقون معناه في سبيل الله وبرسم الشرع وقال ابن زيد قوله تعالى والذين استجابوا لربهم الاية
نزلت في الانصار والظاهر ان الله تعالى مدح كل من اتصف بهذه الصفة كاينا من كان وهل حصل
الانصار في هذه الصفة الا بعد المهاجرين اليها رضي الله عنهم بمنه و قوله عز وجل والذين اذا اصابهم
البغي هم ينتصرون مدح سبحانه في هذه الاية قوما بالانتصار ممن بغى عليهم ورجح ذلك قوم من العلماء
وقالوا الانتصار بالواجب تغيير منكر قال الثعلبي قال ابرهيم في هذه الاية كانوا يكرهون ان يستذلوا
فاذا قدروا عفوا انتهى قوله سبحانه وجزاء سيئة سيئة مثلها قيل سمي الجزاء باسم الابتداء وان لم يكن
سيئة لتشابههما في الصورة قال ع وان اخذنا السيئة هنا بمعنى المصيبة في حق البشر اي يسوء
هذا هذا ويسوءه الاخر فلسنا نحتاج الى ان نقول سمي العقوبة باسم الذنب بل الفعل الاول والاخر
سيئة قال الفخر اعلم انه تعالى لما قال والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون اردفه بما يدل على ان
ذلك الانتصار يجب ان يكون مقيدا بالمثل فان النقصان حيف والزيادة ظلم والمساوي هو العدل
فلهذا السبب قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها انتهى ويدل على ذلك قوله تعالى وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ونحوه من الاي و اللام في قوله ولمن انتصر بعد ظلمه لام التقاء القسم
وقوله من سبيل يريد من سبيل حرج ولا سبيل حكم وهذا بلاغ في اباحة الانتصار والخلاف فيه هل
هو بين المومن والمشرك او بين المومنين قوله تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس الاية المعنى انما
سبيل الحكم والاثم على الذين يظلمون الناس وروى الترمذي عن كعب بن عجرة قال قال لي النبي صلى
الله عليه وسلم اعيذك بالله يا كعب انه لا يربو لحم نبت من سحت الا كانت النار اولى به قال
ابو عيسى هذا الحديث حسن وخرجه ايضا في كتاب الفتن وصححه انتهى و قوله تعالى انما السبيل
الى قوله اليم اعتراض بين الكلامين ثم عاد في قوله ولمن صبر الى الكلام الاول كانه قال ولمن
انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل ولمن صبر وغفر الاية و اللام في قوله ولمن صبر
يصح ان تكون لام الابتداء و عزم الامور محكمها ومتقنها والحميد العاقبة منها فمن راى ان
هذه الاية فيما بين المومنين والمشركين وان الصبر للمشركين كان افضل قال ان الاية نسخت باية
السيف ومن راى ان الاية بين المومنين قال هي محكمة والصبر والغفران افضل اجماعا وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم
فيقوم عنق من الناس كبير فيقال ما اجركم فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا في الدنيا
و قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده [illegible] اي فلو يأتي بهم احد من

لام قسم ويصح ان تكون

لانهم صايرون الى ما لا فلاح لهم معه ثم وصف تعالى لنبيه حالهم في القيمة عند رد
العذاب وقولهم هل الى مرد من سبيل ومرادهم الرد الى الدنيا و الروية هنا رؤية عين
والضمير في قوله عليها عايد الى النار وان لم يتقدم لها ذكر من حيث دل عليها قوله راوا العذاب و
قوله من الذل يتعلق بخاشعين و قوله تعالى ينظرون من طرف خفي قال قتادة والسدي المعنى
يسارقون النظر لما كانوا فيه من الهم وسوء الحال لا يستطيعون النظر بجميع العين وانما ينظرون
ببعضها قال الثعلبي قال يونس من بمعنى الباء اي ينظرون بطرف خفي اي ضعيف من اجل الذل
والخوف ونحوه عن الاخفش انتهى وفي البخاري من طرف خفي اي ذليل و قوله تعالى وقال الذين
امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الاية وقول الذين امنوا هو في
يوم القيمة عند ما عاينوا حال الكفار وسوء منقلبهم و قوله تعالى الا ان الظالمين في عذاب مقيم يحتمل ان
يكون من قول المومنين يومئذ حكاه الله عنهم ويحتمل ان يكون استينافا من قول الله عز وجل
واخبارا لنبيه محمد عليه السلام و قوله تعالى وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله
الاية توبيخ على الاصنام والاوثان التي اظهر الكفار ولايتها واعتقدت ذلك دينا ثم امر تعالى
نبيه ان يامرهم بالاستجابة لدعوة الله وشريعته من قبل اتيان يوم القيمة الذي لا يرده احد بعد
حكم الله قال ابن عطية والاية الاخرى في سورة الم غلبت الروم ويحتمل ان يريد لا يرده راد
لا يقع وهذا ظاهر بحسب اللفظ و النكير مصدر بمعنى الانكار قال الثعلبي ما لكم من ملجا اي معقل
وما لكم من نكير اي من انكار على ما ينزل بكم من العذاب يغير ما بكم انتهى و قوله تعالى فان اعرضوا
الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم و الانسان هنا اسم جنس جمع الضمير في قوله وان تصبهم وهو
عايد على لفظ الانسان من حيث هو اسم جنس و قوله تعالى لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء
الاية هذه الاية اعتبار دال على القدرة والملك المحيط بالجميع وان مشيئته تعالى نافذة في جميع
خلقه وفي كل امرهم وهذا لا مدخل للصنم فيه فان الذي يخلق ما يشاء هو الله تبارك وتعالى وهو
الذي يقسم الخلق فيهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الاولاد الذكور او يزوجهم اي ينوعهم ذكرانا
واناثا قال محمد بن الحنفية يريد بقوله تعالى او يزوجهم التوام اي يجعل في بطن زوجا
من الذرية ذكرا وانثى و العقيم الذي لا يولد له وهذا كله مدبر بالعلم والقدرة و بدي في هذه
الاية بذكر الاناث تانيسا بهن لتهمم بصونهن والاحسان اليهن وقال النبي عليه الصلاة والسلام
من ابتلي بشيء من هذه البنات فاحسن اليهن كن له حجابا من النار وقال واثلة بن الاسقع
من يمن المراة تبكيرها بالانثى قبل الذكر لان الله تعالى بدا بذكر الاناث حكاه عنه الثعلبي
قال وقال اسحق بن بشر نزلت هذه الاية في الانبياء ثم عمت فيهب لمن يشاء اناثا يعني
لوطا عليه السلام ويهب لمن يشاء الذكور ابرهيم عليه السلام او يزوجهم ذكرانا واناثا يعني
نبينا محمدا عليه السلام ويجعل من يشاء عقيما يحيى بن زكريا عليهما السلام قوله تعالى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا الاية نزلت بسبب خوض كان
للكفار في معنى تكليم الله لموسى ونحو ذلك ذهبت قريش واليهود في ذلك الى التجسيم ونحوه
فنزلت الاية مبينة صورة تكليم الله عباده كيف هو فبين الله تعالى انه لا يكون لاحد من
الانبياء ولا ينبغي له ولا يمكن فيه ان يكلمه الله الا بان يوحي اليه احد وجوه الوحي من الالهام

بينهم

عليها صح

يشاء صح

قال مجاهد او النفث في القلب او وحي في منام قال النخعي وكان من الانبياء من يخط له في الارض
ونحو هذا او بان يسمعه كلامه دون ان يعرف هو المتكلم جهة ولا حيزا كموسى عليه السلام وهذا معنى
من وراء حجاب اي من خفاء على المكلم لا يحده ولا يتصور بذهنه عليه وليس كالحجاب في الشاهد او بان
يرسل اليه ملكا يشافهه يوحي الله عز وجل قال الفخر قوله فيوحي باذنه ما يشاء اي فيوحي ذلك
الملك باذن الله ما يشاء الله انتهى وقرا جمهور القراء والناس او يرسل بالنصب فيوحي
بالنصب ايضا وقرا نافع وابن عامر وابن عباس واهل المدينة او يرسل بالرفع فيوحي بسكون اليا
وقوله او من وراء حجاب من متعلقة بفعل يدل ظاهر الكلام عليه تقديره او يكلمه من
وراء حجاب وفي هذه الاية دليل على ان الرسالة من انواع التكليم وان من حلف لا يكلم فلانا وهو لم
ينو المشافهة ثم ارسل رسولا حنث وقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا الاية
المعنى وبهذه الطرق ومن هذا الجنس اوحينا اليك اي بالرسول والروح في هذه الاية القران
وهدى الشريعة سماه روحا من حيث يحيي به البشر والعالم كما يحيي الجسد بالروح فهذا على
جهة التشبيه وقوله تعالى من امرنا اي واحد من امورنا ويحتمل ان يكون الامر بمعنى الكلام
ومن لابتداء الغاية وقوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان توقيف على مقدار
النعمة والضمير في جعلناه عائد على الكتاب وتهدي بمعنى ترشد وقرا جمهور الناس وانك لتهدي
بفتح التاء وكسر الدال وقرا حوشب لتهدى بضم التاء وفتح الدال وقرا عاصم لتهدي بضم
التاء وكسر الدال وقوله صراط الله يعني صراط شرع الله ثم استفتح سبحانه القول في الاخبار
بصيرورة الامور اليه سبحانه مبالغة وتحقيقا وتثبيتا فقال الا الى الله تصير الامور قال الشيخ العارف
بالله ابو الحسن الشاذلي رحمه الله ان اردت ان تغلب الشر كله وتلحق الخير كله ولا يسبقك سابق
وان عمل ما عمل فقل يا من له الخير كله اسئلك الخير كله واعوذ بك من الشر كله فانك الله الغني الغفور
الرحيم اسالك بالهادي محمد صلى الله عليه وسلم الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات
وما في الارض الا الى الله تصير الامور مغفرة تشرح بها صدري وتضع بها وزري وترفع بها
ذكري وتيسر بها امري وتنزه بها فكري وتقدس بها سري وتكشف بها ضري وترفع بها
قدري انك على كل شيء قدير انتهى ت قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب هذا بين وقوله
ولا الايمان فيه تاويلات قيل معناه ولا شرائع الايمان ومعالمه قال ابو العالية يعني الدعوة
الى الايمان وقال الحسين بن الفضل يعني اهل الايمان من يؤمن ومن لا يؤمن وقال ابن خزيمة
الايمان هنا الصلاة دليله وما كان الله ليضيع ايمانكم قال ابن ابي الجعد وغيره احترق
مصحف فلم يبق منه الا الا الى الله تصير الامور وغرق مصحف فامتحى كله الا قوله الا الى الله تصير الامور نقله
الثعلبي وغيره انتهى قال العبد الفقير الى الله تعالى عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي لطف الله تعالى به في الدارين
قد يسر الله عز وجل في تحرير هذا المختصر وقد اودعته بحمد الله جزيلا من الدرر قد استوعبت فيه بحمد
الله مهمات ابن عطية وزدته فوائد جليلة من غيره وليس الخبر كالعيان توجيت فيه بحمد الله الصواب
وجعلته ذخيرة عند الله ليوم المآب لا يستغني عنه المنتهي وفيه كفاية للمبتدي يستغني به عن المطولات
اذ قد حصل منها لبابها وكشف عن الحقائق حجابها التعريف رحلت في طلب العلم في اواخر
القرن الثامن ودخلت بجاية في اوائل القرن التاسع فلقيت الائمة المقتدى بهم اصحاب سيدي عبد الرحمن

الوغليسي متوافرين فحضرت مجالسهم وكانت عمدة قراءتي بها على سيدي علي بن عثمان المنجلاتي
رحمه الله بمسجد عين البربر ثم ارتحلت الى تونس فلقيت بها سيدي عيسى الغبريني والابي والبرزلي
وغيرهم واخذت عنهم ثم ارتحلت الى المشرق فلقيت بمصر الشيخ ولي الدين العراقي فاخذت عنه
علوما جمة معظمها علم الحديث وفتح الله لي فيه فتحا عظيما وكتب لي واجازني جميع ما حضرته عليه
واطلق في غيره ثم لقيت بمكة بعض المحدثين ثم رجعت الى الديار المصرية والى تونس وشاركني
منها ولقيت بها شيخنا ابا عبد الله محمد بن مرزوق قادما لارادة الحج فاخذت عنه كثيرا واجازني
التدريس في انواع الفنون الاسلامية وحرضني على اتمام تقييد وضعته على ابن الحاجب الفرعي ت
ولما فرغت من تحرير هذا المختصر وافق قدوم شيخنا ابي عبد الله محمد بن مرزوق علينا في سفرة سافرها
من تلمسان متوجها الى تونس ليصلح بين سلطانها وصاحب تلمسان فاوقفته على هذا الكتاب فنظر
فيه وامعن النظر فسر به سرورا كثيرا ودعا لنا بخير والله الموفق بفضله بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم حم والكتاب المبين والكتاب خفض بواو
القسم والضمير في جعلناه عائد على الكتاب عطف على جعلناه وهذا الاخبار الثاني واقع ايضا وانه م
تحت القسم وام الكتاب اللوح المحفوظ وهذا فيه تشريف للقران وترفيع واختلف المتاولون
كيف هو في ام الكتاب فقال قتادة وغيره القران باجمعه فيه منسوخ ومنه كان جبريل ينزل
وهنالك هو علي حكيم وقال جمهور الناس انما في اللوح المحفوظ ذكره ودرجته ومكانته من العلو
والحكمة وقوله سبحانه افنضرب عنكم الذكر بمعنى افنترك تقول العرب اضربت عن كذا وضربت اذا
اعرضت عنه وتركته والذكر هو الدعاء الى الله والتذكير بعذابه والتخويف من عقابه وقال
ابو صالح الذكر هنا اراد به العذاب نفسه وقال الضحاك ومجاهد الذكر القران وقوله صفحا يحتمل
ان يكون بمعنى العفو والغفر للذنب فكانه يقول افنترك تذكيركم وتخويفكم عفوا عنكم وغفرا
لاجرامكم من اجل ان كنتم قوما مسرفين اي هذا لا يصلح وهذا قول ابن عباس ومجاهد ويحتمل
قوله صفحا ان يكون بمعنى مغفولا عنه اي نتركه يمر لا تؤخذون بقبوله ولا بتدبره فكان
المعنى افنترككم سدى وهذا هو منحى قتادة وغيره وقرا نافع وحمزة والكسائي ان كنتم بكسر
الهمزة وهو جزاء دل ما تقدم على جوابه وقرا الباقون بفتحها بمعنى من اجل ان والاسراف في الاية
هو كفرهم وكم ارسلنا من نبي في الاولين اي في الامم الماضية كقوم نوح وعاد وثمود
وغيرهم وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون اي كما يستهزئ قومك بك وهذه الاية تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم وتهديد بان يصيب قريشا ما اصاب من هو اشد بطشا منهم ومضى
مثل الاولين اي سلف امرهم وسنتهم وصاروا عبرة غابر الدهر انشد صاحب عنوان الدراية
لشيخه ابي عبد الله التميمي

يا ويح من غره دهر فسر به … لم يخلص الصفو الا شيب بالكدر
هو الحمام فلا تبعد زيارته … ولا تقل ليتني منه على حذر
انظر لمن باد تنظر اية عجبا … وعبرة لاولي الابصار والعبر
اين الاولى جنبوا خيلا مسومة … وشيدوا الارم خوفا من القدر
لم تغنهم خيلهم يوما وان كثرت … ولم تفد ارما للحادث النكر
بادوا وفادوا وخذ ان ذاك عجب … ما اوضح الرشد لولا سيئ النظر

تنافس الناس في الدنيا وقد علموا ان المقام بها كاللمح بالبصر

انتهى وقوله سبحانه ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الاية ابتداء
احتجاج على قريش يوجب عليهم التناقض من حيث اقروا بالخالق وعبدوا غيره وجاءت العبارة
عن الله بالعزيز العليم ليكون ذلك توطئة لما عدد سبحانه من اوصافه التي ابتدأ الخبر بها
بها وقطعها من الكلام الذي حكى معناه عن قريش وقوله تعالى الذي جعل لكم الارض مهادا وجعل
لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون الاية هذه اوصاف فعل وهي نعم من الله سبحانه على البشر تقوم بها الحجة
على كل مشرك وقوله الذي جعل لكم ليس هو من قول المسؤولين بل هو ابتداء اخبار من الله تعالى
وقوله سبحانه والذي نزل من السماء ماء بقدر قيل معناه بقدر في الكفاية للصلاح ولا اكثار
فيفسد ولا قلة فيقصر بل غيثا مغيثا وقيل بقدر اي بقضاء وحتم وقالت فرقة معناه
بتقدير وتحرير اي قدرا ما معلوما ثم اختلف قائلوا هذه المقالة فقال بعضهم ينزل في كل
عام ماء قدرا واحدا لا يفضل عام عاما لكن يكثر مرة ههنا ومرة ههنا وقال بعضهم بل
ينزل تقديرا ما في عام وينزل في اخر تقديرا ما وينزل في اخر تقديرا اخر بحسب ما سبق به قضاؤه
لا اله الا هو ت وبعض هذه الاقوال لا تقال من جهة الرأي بل لا بد لها من سند وانشرنا معناه
واحيينا يقال نشر الميت وانشره الله والازواج هنا الانواع من كل شيء ومن في قوله من الفلك
والانعام للتبعيض والضمير في ظهوره عائد على النوع المركوب الذي وقعت عليه ما وقد بينت آية
اخرى ما يقال عند ركوب الفلك وهي بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وانما
هذه خاصة بما يركب من الحيوان وان قدرنا ان ذكر النعمة هو بالقلب والتذكر بدا الراكب
بسبحان الذي سخر لنا هذا وهو يرى نعمة الله في ذلك وفي سواه ومقرنين اي مطيقين وقال
ابو حيان مقرنين ضابطين ومعناه غالبين ضابطين انتهى وهو بمعنى الاول وانا الى ربنا لمنقلبون
امر بالاقرار بالبعث ت وعن حمزة بن عمرو الاسلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ظهر كل بعير شيطان فاذا ركبتموها فسموا رواه ابن حبان في صحيحه انتهى من السلاح وينبغي
لمن ملكه الله شيئا من هذه الحيوان ان يرفق به ويحسن اليه لينال بذلك رضا الله تعالى قال
القشيري في التحبير وينبغي للعبد ان يكون معظما لربه تعالى خائفا لخلقه خيرا في قومه مشفقا على
عباده فان رأس المعرفة تعظيم امر الله سبحانه والشفقة على خلق الله انتهى وروى مالك في الموطأ
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بينما رجل يمشي بطريق اذ اشتد عليه العطش فوجد
بئرا فنزل فيها فشرب فخرج فاذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا
الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ثم امسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب
فشكر الله فغفر له فقالوا يا رسول الله وان لنا في البهائم لاجرا فقال في كل كبد رطبة اجر قال
ابو عمر في التمهيد وكذا في الاساءة الى الحيوان اثم وقد روى مالك عن نافع عن ابن عمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلا هي اطعمتها ولا هي اطلقتها تأكل
من خشاش الارض ثم اسند ابو عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل حائطا من حيطان الانصار
فاذا جمل قد اتى يجرجر وذرفت عيناه فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم سراته وذفراه فسكن
فقال من صاحب هذا الجمل فجاء فتى من الانصار فقال هو لي يا رسول الله فقال اما تتقي الله في هذه

البهيمة التي ملكك الله انه شكى الي انك تجيعه وتتعبه ومعنى ذرفت عيناه اي قطرت دموعها قطرا
ضعيفا والسراة الظهر والذفرا وراء الاذنين عن يمين النقرة وشمالها انتهى قوله سبحانه
وجعلوا له من عباده جزءا اي جعلت كفار قريش والعرب لله جزءا اي نصيبا وحظا وهو قول العرب
الملائكة بنات الله هذا قول كثير من المتأولين وقال قوم المراد بالجزء الاصنام وغيرها فالجزء معناه
ندات وباقي الاية يرجح تأويل الاكثر وقوله ام اتخذ مما يخلق بنات الاية تقرير وتوبيخ اذ المحمود المحبوب من الاولاد
قد خوله الله بني ادم فكيف يتخذ هو لنفسه النصيب الادنى وباقي الاية بين مما ذكر في سورة النحل
وغيرها ثم زاد سبحانه في توبيخهم وافساد رأيهم بقوله اومن ينشأ في الحلية التقدير او من
ينشأ في الحلية هو الذي خصصتم به الله عز وجل والحلية الحلي من الذهب والفضة والاحجار
وينشأ معناه ينبت ويكبر والخصام المحاجة ومجاذبة المحاورة وقل ما تجد امرأة الا تفسد
الكلام وتخلط المعاني وفي مصحف ابن مسعود وهو في الكلام غير مبين والتقدير غير مبين
غرضا ومنزعا ونحو هذا وقال ابن زيد المراد بمن ينشأ في الحلية الاصنام والاوثان
لانهم كانوا يجعلون الحلي على كثير منها ويتخذون كثيرا منها من الذهب والفضة وقرأ الاكثر وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقرأ الحرميان وابن عامر عند الرحمن اناثا
وهذه القراءة ادل على رفع المنزلة وقوله سبحانه اشهدوا خلقهم معناه احضروا خلقهم وفي
قوله تعالى ستكتب شهادتهم ويسألون وعيد مفصح واسند ابن المبارك عن سليمان بن راشد
انه بلغه ان امرأ لا يشهد شهادة في الدنيا الا شهد بها يوم القيامة على رؤوس الاشهاد ولا يمتدح
عبد عبدا في الدنيا الا امتدحه يوم القيامة على رؤوس الاشهاد قال القرطبي في تذكرته وهذا
صحيح يدل على صحته قوله تعالى ستكتب شهادتهم ويسألون وقوله ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد انتهى وقوله سبحانه وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم الاية اي ما عبدنا الاصنام
ت وقال قتادة وغيره يعني ما عبدنا الملائكة وجعل الكفار امهال الله لهم دليلا على
رضاه عنهم وان ذلك كالامر به ثم نفى سبحانه علمهم بهذا وليس عندهم كتاب منزل يقتضي
ذلك وانما يظنون ويحدسون ويخمنون وهذا هو الخرص والتخرص والامة هنا بمعنى الملة
والديانة والاية على هذا تعيب عليهم التقليد وذكر الطبري ان الامة الطريقة ثم ضرب الله المثل
لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام وجعل له الاسوة فيمن مضى من النذر والرسل وذلك ان المترفين
من قومهم وهم اهل التنعم والمال قد قابلوهم بمثل هذه المقالة وفي قوله عز وجل فانتقمنا
منهم الاية وعيد لقريش وضرب مثل لهم بمن سلف من الامم المعذبة المكذبة لانبيائها وقوله سبحانه
واذ قال ابراهيم المعنى واذكر اذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون اي فاعل انت فعله
وتجلده جلده وبراء صفة تجري على الواحد والاثنين والجمع كعدل وزور وقرأ ابن مسعود
بريء وقوله الا الذي فطرني قالت فرقة الاستثناء متصل وكانوا يعرفون الله ويعظمونه
الا انهم كانوا يشركون معه اصنامهم فكأن ابراهيم قال لهم انا لا اوافقكم الا على عبادة الله
الذي فطرني وقالت فرقة الاستثناء منقطع والمعنى لكن الذي فطرني هو معبودي الهادي
المنجي من العذاب وفي هذا استدعاء لهم وترغيب في طاعة الله وتطميع في رحمته والضمير في
قوله وجعلها كلمة الاية قالت فرقة هو عائد على كلمته بالتوحيد في قوله انني براء وقال

مجاهد وغيره المراد بالكلمة لا اله الا الله وعاد عليها الضمير وان كان لم يجر لها ذكر لان اللفظ
يتضمنها والعقب الذرية وولد الولد ما امتد فرعهم وقوله بل متعت هؤلاء واباءهم يعني
قريشا حتى جاءهم الحق ورسول مبين وذلك هو شرع الاسلام والرسول هو محمد صلى الله
عليه وسلم ومبين اي يبين لهم الاحكام والمعنى في الاية بل امهلت هؤلاء ومتعتهم بالنعمة
ولما جاءهم الحق يعني القرآن قالوا هذا سحر وقالوا يعني قريشا لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم يعني من احدى القريتين وهما مكة والطائف ورجل مكة هو الوليد
بن المغيرة في قول ابن عباس وغيره وقال مجاهد هو عتبة بن ربيعة وقيل غير هذا و
رجل الطائف قال قتادة هو عروة بن مسعود وقيل غير هذا قال ابن عطية وا
قصدوا الى من عظم ذكره بالسن والا فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان اعظم من هؤلاء
اذ كان المسمى عندهم الامين ثم وبخهم سبحانه بقوله اهم يقسمون رحمة ربك والرحمة اسم
عام يشمل النبوة وغيرها وفي قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم تزهيد في السعايات وعون
على التوكل على الله عز وجل ولله در القائل ⁖ لما اتى نحن قسمنا بينهم زال المراء ⁖
وروى ابن المبارك في رقائقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اراد الله بعبد
خيرا ارضاه بما قسم له وبارك له فيه واذا لم يرد به خيرا لم يرضه بما قسم له ولم يبارك له فيه
انتهى وسخريا بمعنى التسخير ولا مدخل لمعنى الهزء في هذه الاية وقوله تعالى ورحمة ربك خير مما يجمعون
قال قتادة والسدي يعني الجنة قال ع ولا شك ان الجنة هي الغاية ورحمة الله في الدنيا بالهداية
والايمان خير من كل مال وفي هذا اللفظ تحقير للدنيا وتزهيد فيها ثم استمر القول في تحقيرها بقوله
سبحانه ولولا ان يكون الناس امة واحدة وذلك ان معنى الاية ان الله سبحانه ابقى على عباده
وانعم عليهم بمراعاة بقاء الخير والايمان وشاء حفظه على طائفة منهم بقية الدهر ولولا كراهية
ان يكون الناس كفارا كلهم واهل حب في الدنيا وتجرد لوسع الله على الكفار غاية التوسعة ومكنهم
من الدنيا وذلك لحقارتها عنده سبحانه وانها لا قدر لها ولا وزن لفنائها وذهاب رسومها
فقوله امة واحدة معناه في الكفر قاله ابن عباس وغيره ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم
لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وروى ابن المبارك
في رقائقه بسنده عن علقمة عن عبد الله قال اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير
فاثر الحصير في جنبه فلما استيقظ جعلت امسح عنه واقول يا رسول الله الا اذنتني قبل ان تنام على
هذا الحصير فابسط لك عليه شيئا يقيك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي وللدنيا
وما للدنيا وما لي ما انا والدنيا الا كراكب استظل في فيء او ظل شجرة ثم راح وتركها انتهى وقد خرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح وسقفا جمع سقف والمعارج الادراج التي يطلع عليها قاله ابن
عباس وغيره ويظهرون معناه يعلون ومنه حديث عائشة رضي الله عنها والشمس في حجرتها لم تظهر
بعد وسررا جمع سرير وزخرفا قال ابن عباس والحسن وقتادة والسدي هو الذهب وقالت
فرقة الزخرف التزاويق والنقش ونحوه وشاهده حتى اذا اخذت الارض زخرفها وقرأ الجمهور
وان كل ذلك لما بالتخفيف للميم من لما فان مخففة من الثقيلة واللام في لما داخلة لتفصل بين النفي والايجاب
وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه بتشديد الميم من لما فان نافية بمعنى ما ولما بمعنى الا وما كل ذلك

الا متاع الحياة الدنيا وفي قوله سبحانه والاخرة عند ربك للمتقين وعد كريم وتحريض على
لزوم التقوى اذ في الاخرة هو التباين في المنازل قال الفخر بين تعالى ان كل ذلك
متاع الحياة الدنيا واما الاخرة فهي باقية دائمة وهي عند الله وفي حكمه للمتقين المعرضين عن
حب الدنيا المقبلين على حب المولى انتهى قوله عز وجل ومن يعش عن ذكر الرحمن الاية عشي يعشو معناه
قل الابصار منه ويقال ايضا عشي الرجل يعشى اذا فسد بصره فلم ير او لم ير الا قليلا فالمعنى في
الاية ومن يقل نظره في شرع الله ويغمض جفونه عن النظر في ذكر الرحمن اي فيما ذكر به عباده
اي فيما انزله من كتابه واوحاه الى نبيه وقوله نقيض له شيطانا اي نيسر له ونعد وهذا
هو عقاب على الكفر بالختم وعدم الفلاح وهذا كما يقال ان الله تعالى يعاقب على المعصية بالتزيد
في المعاصي ويجازي على الحسنة بالتزيد من الحسنات وقد روي هذا المعنى مرفوعا قال ابو حيان
ومن يعش الجمهور بضم الشين اي يتعامى ويتجاهل فمن شرطية ويعش مجزوم بها ونقيض جواب
من انتهى والضمير في قوله وانهم عائد على الشياطين وفيما بعده عائد على الكفار وقرأ نافع
وغيره حتى اذا جاءانا على التثنية يريد العاشي والقرين قاله قتادة وغيره وقرأ ابو عمرو
وغيره جاءنا يريد العاشي وحده وفاعل قال هو العاشي قال الفخر وروي ان الكافر اذا بعث يوم القيامة من
قبره اخذ شيطانه بيده فلم يفارقه حتى يصيرهما الله الى النار فذلك حيث يقول يا ليت بيني وبينك
بعد المشرقين انتهى وقوله بعد المشرقين يحتمل معاني احدها ان يريد بعد المشرق من المغرب فسماهما
مشرقين كما يقال القمران والعمران والثاني ان يريد مشرق الشمس في اطول يوم ومشرقها في اقصر يوم
والثالث ان يريد بعد المشرقين من المغربين فاكتفى بذكر المشرقين قلت واستبعد الفخر التاويل
الثاني قال لان المقصود من قوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين المبالغة في حصول البعد وهذه
المبالغة انما تحصل عند ذكر بعد لا يمكن وجود بعد ازيد منه والبعد بين مشرق الشتاء ومشرق
الصيف ليس كذلك فيبعد حمل اللفظ عليه قال والاكثرون على التاويل الاول انتهى وقوله تعالى
ولن ينفعكم اليوم الاية حكاية عن مقالة تقال لهم يوم القيامة وهي مقالة موحشة فيها زيادة تعذيب
لهم وياس من كل خير وفاعل ينفعكم الاشتراك ويجوز ان يكون فاعل ينفعكم التبري الذي يدل عليه
قوله تعالى يا ليت وقوله سبحانه افانت تسمع الصم خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وباقي الاية تكرر
معناه غير ما مرة وقوله سبحانه فاستمسك بالذي اوحي اليك اي بما جاءك من عند الله من الوحي
المتلو وغيره وقوله وانه لذكر لك يحتمل ان يريد وانه لشرف في الدنيا لك ولقومك يعني قريشا
قاله ابن عباس وغيره ويحتمل ان يريد وانه لتذكرة وموعظة فالقوم على هذا امته باجمعهم
وهذا قول الحسن بن ابي الحسن وقوله وسوف تسألون قال ابن عباس وغيره معناه عن اوامر القرآن
ونواهيه وقيل معناه عن شكر النعمة فيه واللفظ يحتمل هذا كله ويعمه قوله تعالى واسأل من
ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية قال ابن زيد والزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يسأل
الرسل ليلة الاسراء عن هذا لانه كان اثبت يقينا من ذلك ولم يكن في شك وقال ابن عباس وغيره
اراد واسأل اتباع من ارسلنا وحملة شرائعهم وفي قراءة ابن مسعود وابي واسأل الذين ارسلنا
اليهم ت قال عياض قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك الاية الخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه
وسلم والمراد المشركون قاله القتبي نقله عياض والمراد بهذا الاعلام بان الله عز وجل لم ياذن

في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله
زلفى انتهى قوله سبحانه ولقد ارسلنا موسى باياتنا الاية ضرب مثل واسوة للنبي صلى الله عليه وسلم
بموسى عليه الصلاة والسلام ولكفار قريش بقوم فرعون وقوله واخذناهم بالعذاب اي كالطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم وغير ذلك لعلهم يرجعون اي يتوبون ويرجعون عن كفرهم
وقولهم لما عاينوا العذاب لموسى يا ايها الساحر كلام وانما قالوا هذا على جهة التعظيم والتوقير لان علم
السحر عندهم كان علما عظيما وقيل انما قالوا ذلك على جهة الاستهزاء والاول ارجح وقولهم ادع لنا
ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون اي ان نفعتنا دعوتك وقوله اليس لي ملك مصر الاية من بحر
الاسكندرية الى اسوان بطول النيل والانهار التي اشار اليها هي الخلجان الكبار الخارجة من النيل
وقوله ام انا خير قال سيبويه ام هذه المعادلة والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون وقالت
فرقة ام بمعنى بل وقرا بعض الناس اما انا خير حكاه الفراء وفي مصحف ابي بن كعب ام انا خير ام هذا
ومهين معناه ضعيف ولا يكاد يبين اشارة الى ما بقي في لسان موسى من اثر الجمرة وكانت احدثت
في لسانه عقدة فلما دعا في ان تحل العقدة ليفقه قوله اجيبت دعوته لكنه بقي اثر كان البيان يقع
معه فيعير به فرعون وقوله ولا يكاد يبين يقتضي انه كان يبين وقوله فلولا القي عليه يريد
من السماء على معنى التكرمة وقرا الجمهور اساورة وقرا حفص عن عاصم اسورة وهو ما يجعل
في الذراع من الحلي وكانت عادة الرجال يومئذ ذلك والتزين به ت وذكر بعض المفسرين عن
مجاهد انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب علامة لسيادته فقال
فرعون هلا القي رب موسى عليه اسورة من ذهب وجاء معه الملائكة مقترنين متتابعين
يقارن بعضهم بعضا يمشون معه شاهدين له انتهى وقال ع قوله مقترنين اي يحمونه ويشهدون
له ويقيمون حجته قلت وما تقدم لغيره احسن ولاشك ان فرعون شاهد من حماية الله
لموسى امورا لم يبق معه شك في ان الله قد منعه منه قوله سبحانه اسفونا معناه اغضبونا
بلا خلاف وقوله فجعلناهم سلفا السلف الفارط المتقدم اي جعلناهم متقدمين في الهلاك
ليتعظ بهم من بعدهم الى يوم القيامة وقال البخاري قال قتادة مثلا للاخرين عظة انتهى وقوله
سبحانه ولما ضرب ابن مريم مثلا الاية روي عن ابن عباس وغيره في تفسيرها انه لما نزلت ان مثل
عيسى عند الله كمثل ادم الاية وذكر كون عيسى من غير فحل قالت قريش ما يريد محمد من ذكر عيسى الا ان نعبده نحن
كما عبدت النصارى عيسى فهذا كان صدودهم قوله تعالى وقالوا االهتنا خير ام هو هذا
ابتداء معنى ثان وذلك انه لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الاية قال ابن
الزبعرى ونظراؤه يا محمد االهتنا خير ام عيسى فنحن نرضى ان تكون الهتنا مع عيسى اذ هو خير
منها واذ قد عبد فهو من الحصب اذا فقال الله تعالى ما ضربوه لك الا جدلا ومغالطة ونسوا
ان عيسى لم يعبد برضى منه وقالت فرقة المراد بهو محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة
وفي مصحف ابي خير ام هذا فالاشارة الى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وقال ابن زيد وغيره
المراد بهو عيسى وهذا هو الراجح ثم اخبر تعالى عنهم انهم اهل خصام ولدد واخبر عن عيسى بقوله
ان هو الا عبد انعمنا عليه اي بالنبوة والمنزلة العالية ت وروينا في جامع الترمذي عن ابي
امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا

الجدل ثم تلا هذه الاية ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون قال ابو عيسى حديث حسن
صحيح انتهى وقوله وجعلناه مثلا اي عبرة واية لبني اسرائيل والمعنى لا تستغربوا ان يخلق
عيسى من غير فحل فان القدرة تقتضي ذلك واكثر منه وقوله ولو نشاء لجعلنا منكم معناه
لجعلنا بدلا منكم اي لو شاء الله لجعل بدلا من بني ادم ملائكة يسكنون الارض ويخلفون
بني ادم فيها وقال ابن عباس ومجاهد يخلف بعضهم بعضا والضمير في قوله وانه لعلم قال ابن عباس
وغيره الاشارة به الى عيسى وقالت فرقة الى محمد وقال قتادة وغيره الى القرآن ت وكذا
نقل ابو حيان هذه الاقوال الثلاثة ولو قيل انه ضمير الامر والشان استعظاما واستهوالا لامر
الاخرة ما بعد بل هو المتبادر الى الذهن يدل عليه فلا تمترن بها والله اعلم وقرا عكرمة لعلم
بلامين الاولى مفتوحة وقرا ابي لذكر للساعة فمن قال ان الاشارة الى عيسى حسن معه ان يقال
علم اي هو اشعار بالساعة وشرط من اشراطها يعني خروجه في اخر الزمان وكذلك من قال الاشارة
الى النبي صلى الله عليه وسلم اي هو اخر الانبياء وقد قال بعثت انا والساعة كهاتين يعني السبابة
والوسطى ومن قال الاشارة الى القرآن حسن قوله مع قراءة الجمهور اي يعلمكم بها وباهوالها
وقوله هذا صراط مستقيم اشارة الى الشرع وقوله ولما جاء عيسى بالبينات يعني احياء الموتى وابراء الاكمه
والابرص وغير ذلك وباقي الاية تقدم معناه وقوله هذا صراط مستقيم حكاية عن عيسى عليه السلام
اذ اشار الى شرعه وقوله سبحانه هل ينظرون يعني قريشا والمعنى ينتظرون وبغتة معناه
فجاءة ثم وصف سبحانه بعض حال القيامة فقال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو وذلك لهول
مطلعها والخوف المطيف بالناس فيها يتعادى ويتباغض كل خليل كان في الدنيا على غير تقى
لانه يرى ان الضرر دخل عليه من قبل خليله واما المتقون فيرون ان النفع دخل من بعضهم على بعض
هذا معنى كلام علي رضي الله عنه وخرج البزار عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله اي جلسائنا خير
قال من ذكركم بالله رؤيته وزاد في علمكم منطقه وذكركم بالله عمله انتهى فمن مثل
هؤلاء تصلح الاخوة الحقيقية والله المستعان ومن كلام الشيخ ابي مدين رضي الله عنه دليل
تخليطك صحبتك للمخلطين ودليل انقطاعك صحبتك للمنقطعين وقال ابن عطاء الله في التنوير
قلما تصفو لك الطاعات وتسلم من المخالفات مع الدخول في الاسباب لاستلزامها المعاشرة مع خلق
الاضداد ومخالطة اهل الغفلة والبعاد واكثر ما يعينك على الطاعات رؤية المطيعين واكثر ما يدعو
في الذنب رؤية المذنبين كما قال عليه السلام المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل والنفس من
شانها التشبه والمحاكاة بصفات من قارنها فصحبة الغافلين معينة لها على وجود الغفلة
انتهى وفي الحكم لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله وفي سماع العتبية قال
مالك لا تصحب فاجرا لئلا تتعلم من فجوره ولا ينبغي ان يصحب الا من يقتدى به في دينه وخيره لان قرين السوء يردي
قال الحكيم عن المرء لا تسال وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن مقتد
ت وحديث المرء على دين خليله اخرجه ابو داود وابو بكر بن الخطيب وغيرهما وفي الموطا عن
ابي ادريس انه حديث معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى
وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتزاورين في قال ابو عمر اسناده صحيح عن ابي ادريس الخولاني عن
معاذ وقد رواه جماعة عن معاذ ثم اسند ابو عمر من طريق ابي مسلم الخولاني عن معاذ قال سمعت

وقرا ابن عباس ومجاهد لعلم بفتح العين واللام اي امارة م

والمتجالسين في م

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم
لا ظل الا ظله قال ابو مسلم فخرجت فلقيت عبادة بن الصامت فذكرت له حديث معاذ فقال وانا سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن ربه قال حقت محبتي على المتحابين في وحقت محبتي على المتزاورين
في وحقت محبتي على المتباذلين في والمتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله
انتهى من التمهيد وقوله يا عبادي المعنى يقال لهم اي للمتقين وذكر الطبري عن المعتمر عن ابيه انه قال
سمعنا ان الناس حين يبعثون ليس منهم احد الا فزع فينادي مناد يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون
فيرجوها الناس كلهم فيتبعها الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين قال فييأس منها جميع الكفار وقوله
الذين امنوا نعت للعباد وتحبرون معناه تنعمون وتسرون والحبرة السرور والاكواب ضرب
من الاواني كالاباريق الا انها لا اذان لها ولا مقابض وقوله تعالى المجرمين يعني الكفار والمبلس
المبعد اليائس من الخير قاله قتادة وغيره وقولهم ليقض علينا ربك اي ليميتنا ربك فنستريح
فالقضاء في هذه الاية الموت كما في قوله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه وروي في تفسير هذه الاية عن
ابن عباس ان مالكا يقيم بعد سوالهم الف سنة ثم يقول لهم انكم ماكثون وقوله سبحانه لقد
جئناكم يحتمل ان يكون من تمام قول مالك لهم ويحتمل ان يكون من قول الله تعالى لقريش فيكون فيه
تخويف وفصيح بمعنى انظروا كيف يكون حالكم قوله سبحانه ام ابرموا اي احكموا امرا في المكر بالنبي
صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون اي محكمون امرا في نصره ومجازاتهم والمراد بالرسل هنا الحفظة
من الملائكة يكتبون اعمال العباد وتعد للجزاء يوم القيمة واختلف في قوله قل ان كان للرحمن ولد
فانا اول العابدين فقال مجاهد المعنى ان كان لله ولد في قولكم فانا اول من عبد الله ووحده
وكذبكم وقال ابن زيد وغيره ان نافية بمعنى ما فكانه قال قل ما كان للرحمن ولد وهنا هو الوقف
على هذا التاويل ثم يبتدي قوله فانا اول العابدين قاله ابو حاتم وقالت فرقة العابدون في الاية
من عبد الرجل اذا انف وانكر والمعنى ان كان للرحمن ولد في قولكم فانا اول الانفين المنكرين لذلك
وقرا ابو عبد الرحمن فانا اول العبدين قال ابو حاتم العبد بكسر الباء الشديد الغضب وقال ابو عبيدة
معناه اول الجاحدين والعرب تقول عبدني حقي اي جحدني وباقي الاية تنزيه لله سبحانه ووعيد
للكافرين ويومهم الذي يوعدون هو يوم القيمة هذا قول الجمهور وقال عكرمة وغيره هو الناقد
امره في كل شيء وقرا عمر بن الخطاب وابي وابن مسعود وغيرهم وهو الذي في السماء الله وفي الارض
الله وباقي الاية بين ثم اعلم الله سبحانه انه من عبد من دون الله لا يملك شفاعة يوم القيمة الا من
شهد بالحق وهم الملائكة وعيسى وعزير فانهم يملكون الشفاعة بان يملكها الله اياهم اذ هم
ممن شهد بالحق وهم يعلمونه فالاستثناء على هذا التاويل متصل وهو تاويل قتادة وقال
مجاهد وغيره الاستثناء في المشفوع فيهم فكانه قال لا يشفع هولاء الملائكة وعيسى وعزير الا
فيمن شهد بالحق اي بالتوحيد فامن على علم وبصيرة فالاستثناء على هذا التاويل منفصل
كانه قال لكن من شهد بالحق فيشفع فيهم هولاء والتاويل الاول اصوب وقرا الجمهور وقيله
بالنصب وهو مصدر كالقول والضمير فيه لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم واختلف في الناصب له فقالت
فرقة هو معطوف على قوله سرهم ونجواهم ولفظ البخاري وقيله يا رب تفسيره ايحسبون انا
لا نسمع سرهم ونجواهم ولا نسمع قيله يا رب انتهى وقيل العامل فيه يكتبون وقيل قوله تعالى

هو يوم بدر قوله جلت عظمته و
هو الذي في السماء اله اية تعظيم و
اخبار بالوهيته سبحانه اي م

وقيله يا رب بمنزلة شكوى محمد عليه السلام واستغاثته من كفرهم وعتوهم وقرا حمزة وعاصم
وقيله بالخفض عطفا على الساعة وقوله سبحانه فاصفح عنهم موادعة منسوخة وقل سلام تقديره
امري سلام اي مسالمة فسوف تعلمون بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى اله وصحبه وسلم تسليما سورة الدخان مكية قوله عز وجل حم والكتاب المبين انا
انزلناه في ليلة مباركة الاية قوله والكتاب المبين قسم اقسم الله تعالى به وقوله انا انزلناه يحتمل ان
يقع القسم عليه ويحتمل ان يكون وصفا للكتاب ويكون الذي وقع القسم عليه انا كنا منذرين
واختلف في تعيين الليلة المباركة فقال قتادة والحسن وابن زيد هي ليلة القدر ومعنى هذا
النزول ان ابتداء نزوله كان في ليلة القدر وهذا قول الجمهور وقال عكرمة الليلة المباركة هي
ليلة النصف من شعبان قال القرطبي والصحيح ان الليلة المباركة التي يفرق فيها كل امر حكيم
ليلة القدر من شهر رمضان وهي الليلة المباركة انتهى من التذكرة ونحوه لابن العربي وقوله تعالى
فيها يفرق كل امر حكيم معناه يفصل من غيره ويتخلص فعن عكرمة ان الله تعالى يفصل ذلك للملائكة
في ليلة النصف من شعبان وفي بعض الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تقطع الاجال
من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له ولقد خرج اسمه في الموتى وقال قتادة والحسن
ومجاهد يفصل في ليلة القدر كل ما في العام المقبل من الاقدار والارزاق والاجال وغير ذلك
وامرا نصب على المصدر وقوله انا كنا مرسلين يحتمل ان يريد الرسل والانبياء ويحتمل ان
يريد الرحمة التي ذكر بعد واختلف الناس في الدخان الذي امر الله تعالى بارتقابه فقالت
فرقة منها علي وابن عباس وابن عمر والحسن بن ابي الحسن وابو سعيد الخدري هو دخان يجيء
قبل يوم القيمة يصيب المومن منه مثل الزكام وينضج رووس المنافقين والكافرين حتى تكون
كانها مصلية حنيذة وقالت فرقة منها ابن مسعود هذا الدخان قد رايته قريش حين
دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم بسبع كسبع يوسف فكان الرجل يرى من الجوع دخانا بينه
وبين السماء وما ياتي من الايات يويد هذا التاويل وقولهم انا مومنون كان ذلك
منهم من غير حقيقة ثم قال تعالى انى لهم الذكرى اي من اين لهم التذكر والاتعاظ بعد
حلول العذاب وقد جاءهم رسول مبين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فتولوا عنه اي اعرضوا
وقالوا معلم مجنون وقوله انكم عائدون اي الى الكفر واختلف في يوم البطشة الكبرى فقالت
فرقة هو يوم القيمة وقال ابن مسعود وغيره هو يوم بدر وقوله ان ادوا ماخوذ من
الاداء كانه يقول ان ادفعوا الي واعطوني ومكنوني من بني اسرائيل واباهم اراد بقوله عباد
الله قال ابن عباس المعنى اتبعوني الى ما ادعوكم اليه من الحق فعباد الله على هذا منادى مضاف
والمودى هي الطاعة والظاهر من شرع موسى عليه السلام انه بعث الى دعاء فرعون الى الايمان
وان يرسل بني اسرائيل فلما الى ان يومن ثبتت المكافحة في ان يرسل بني اسرائيل وقوله بعد
وان لم تومنوا لي فاعتزلون كالنص في ان الامر انما يطلب بني اسرائيل فقط وقوله تعالى وان لا تعلوا
على الله الاية المعنى كانت رسالته وقوله ان ادوا وان لا تعلوا على الله اي على شرع الله وعبر
بالعلو عن الطغيان والغلو وان ترجمون معناه الرجم بالحجارة المودي الى القتل قاله قتادة
وغيره وقيل اراد الرجم بالقول والاول اظهر لانه الذي عيذ منه ولم يعذ من الاخرى

وعن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من استعاذ بالله فاعيذوه ومن سالكم بالله فاعطوه
ومن استجار بالله فاجيروه ومن اتى اليكم بمعروف فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له حتى
تعلموا ان قد كافاتموه رواه ابو داود والنساى والحاكم وابن حبان في صحيحهما واللفظ للنساى
وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين يعني البخاري ومسلما انتهى من السلاح قوله فاعتزلون
متاركة صريحة قال قتادة اراد خلوا سبيلي و قوله فدعى ربه قبله محذوف تقديره فما اجابوه
لما طلب منهم و قوله فاسر قبله محذوف اى قال الله فاسر بعبادي قال ابن العربي في احكامه
السرى سير الليل والادلاج سير السحر والتاويب سير النهار ويقال سرى واسرى انتهى واختلف في
قوله تعالى واترك البحر رهوا متى قاله لموسى فقالت فرقة هو كلام متصل بما قبله وقال قتادة
وغيره خوطب به بعد ما جاوز البحر وذلك انه هم ان يضرب البحر ليلتئم خشية ان يدخل
فرعون وجنوده وراه و رهوا معناه ساكنا كما جرته قاله ابن عباس وهذا القول هو الذي تؤيده
اللغة ومنه قول القطامي • يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة • ولا الصدور على الاعجاز تتكل •
ومنه وامة خرجت رهوا على عيد • اى خرجوا في سكون وتمهل فقيل لموسى عليه السلام اترك
البحر ساكنا على حاله من الانفراق ليقضي الله امرا كان مفعولا و قوله سبحانه كم تركوا كم للتكثير اى
كم ترك هولاء المغرقون من كثرة الجنات والعيون فروي ان الجنات كانت متصلة بضفتي النيل جميعا
من رشيد الى اسوان واما العيون فيحتمل انه اراد الخلجان فشبهها بالعيون ويحتمل انها كانت ونضبت ذكر
الطرطوشي في سراج الملوك له قال قال ابو عبد الله بن حمدون كنت مع المتوكل لما خرج الى دمشق
فركب يوما الى رصافة هشام بن عبد الملك فنظر الى قصورها ثم خرج فنظر الى دير هناك
قديم حسن البنا بين مزارع واشجار فدخله فبينما هو يطوف به اذ بصر برقعة قد الصقت
في صدره فامر بقلعها فاذا فيها مكتوب هذه الابيات نظم

ايا منزلا بالدير اصبح خاليا … تلاعب فيه شمال ودبور
كانك لم يسكنك بيض اوانس … ولم تتبختر في فنائك حور
وابناء املاك غواشم سادة … صغيرهم عند الانام كبير
اذا لبسوا ادراعهم فعوابس … وان لبسوا تيجانهم فبدور
على انهم يوم اللقاء ضراغم … وانهم يوم النوال بحور
ليالي هشام بالرصافة قاطن … وفيك ابنه يا دير وهو امير
اذ العيش غض والخلافة لدنة … وانت طريب والزمان غدير
وروضك مرتاد ونورك نير … وعيش بني مروان فيك نضير
بلى فسقاك الغيث صوب سحائب … عليك بها بعد الرواح بكور
تذكرت قومي فيكما فبكيتهم … بشجو ومثلي بالبكاء جدير
فعزيت نفسي وهو نفس اذا جرى … لها ذكر قومي انة وزفير
لعل زمانا جار يوما عليهم … لهم بالذي تهوى النفوس يدور
فيفرح محزون وينعم بائس … ويطلق من ضيق الوثاق اسير
رويدك ان الدهر تتبعه غد … وان صروف الدائرات تدور

فلما قراها المتوكل ارتاع ثم دعا صاحب الدير فساله من كتبها فقال لا علم لي و ادرفانهي
وفي هذا وشبهه عبرة لاولي البصائر المستيقظين اللهم لا تجعلنا ممن اغتر بزخارف هذه الدار

الا انما الدنيا كاحلام نائم … وما خير عيش لا يكون بدائم

وقرا جمهور الناس ومقام بفتح الميم قال ابن عباس وغيره اراد المنابر وعلى قراءة ضم الميم قال
قتادة اراد المواضع الحسان من المساكن وغيرها والقول بالمنابر بعيد جدا و النعمة بفتح النون
غضارة العيش ولذاذة الحياة و النعمة بكسر النون اعم من هذا كله وقد تكون الامراض والمصائب
نعما ولا يقال فيها نعمة بالفتح و قرا الجمهور فاكهين ومعناه فرحين مسرورين كذلك واورثناها
قوما اخرين اى بعد القبط وقال قتادة هم بنو اسرائيل وفيه ضعف وقد ذكر الثعلبي عن الحسن ان
بني اسرائيل رجعوا الى مصر بعد هلاك فرعون والخلف كثير ولوني في معنى قوله فما بكت عليهم السماء
والارض فقال ابن عباس وغيره وذلك ان الرجل المومن اذا مات بكا عليه من الارض موضع عبادته
اربعين صباحا وبكى عليه من السماء موضع صعود عمله قالوا ولم يكن في قوم فرعون من هذه حاله
فتبكي عليهم السماء والارض قال ع والمعنى الجيد في الاية انها استعارة فصيحة تتضمن تحقير امرهم
وانه لم يتغير لاجل هلاكهم شي ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لا تنتطح فيها عنزان وفي الحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما مات مومن في غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء
والارض ثم قرا هذه الاية وقال انهما لا يبكيان على كافر قال الداودي وعن مجاهد ما مات مومن الا بكت
عليه السماء والارض ~~عشر تقرا هذه الاية وقال انهما لا يبكيان على كافر قال الداودي وعن مجاهد ما مات~~
مومن الا بكت عليه السماء والارض وقال فهذا عجب وما للارض لا تبكي على عبد كان يعمرها
بالسجود والركوع وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوي كدوي النحل
انتهى وروى ابن المبارك في رقائقه قال اخبرنا الاوزاعي قال حدثني عطا الخراساني قال ما من عبد
يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض الا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت
انتهى و روى ابن المبارك ايضا عن ابي عبيد صاحب سليمان ان العبد المومن اذا مات تنادت بقاع
الارض عبد الله المومن مات قال فتبكي عليه السماء والارض فيقول الرحمن تبارك وتعالى ما يبكيكما
على عبدي فيقولان يا ربنا لم يمش على ناحية منا قط الا وهو يذكرك انتهى و منظرين اى موخرين
و العذاب المهين هو ذبح الابناء والتسخير وغير ذلك و قوله على علم اى على شي قد سبق عندنا
فيهم وثبت في علمنا انه سينقذ ويحتمل ان يكون معناه على علم لهم وفضائل فيهم على العالمين
اى عالمي زمانهم بدليل ان امة محمد خير امة اخرجت للناس و اتيناهم من الايات لفظ
جامع لما اجرى الله من الايات على يد موسى ولما انعم به على بني اسرائيل و البلاء في هذا الموضع الا
والامتحان كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة الاية و مبين بمعنى بين ثم ذكر تعالى قريشا
على جهة الانكار لقولهم وانكارهم للبعث فقال ان هولاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى
وما نحن بمنشرين اى بمبعوثين و قول قريش فاتوا باباينا مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم
طلبوا منه ان يحيي الله لهم بعض ابائهم وسموا له قصيا وغيره كي يسالوهم عما راوا
في اخرتهم و قوله سبحانه اهم خير ام قوم تبع الاية اية تقرير ووعيد و تبع ملك حميري
وكان يقال لكل ملك منهم تبع الا ان المشار اليه في هذه الاية رجل صالح روي عن النبي صلى الله

عليه وسلم من طريق سهل بن سعد ان تبعا هذا اسلم وامن بالله وقد ذكر ابن اسحق في
السيرة قال السهيلي وبعد ما غزا تبع المدينة واراد خرابها اخبر انها مهاجر نبي اسمه احمد
فانصرف عنها وقال فيه شعرا واودعه عند اهلها فكانوا يتوارثونه كابرا عن كابر الى ان هاجر
اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فادوه اليه ويقال ان الكتاب والشعر عند ابي ايوب الانصاري

شهدت على احمد انه رسول من الله بارئ النسم

فلو مد عمري الى عمره لكنت وزيرا له وابن عم

وذكر الزجاج وابن ابي الدنيا انه حفر قبر بصنعاء في الاسلام فوجد فيه امراتان صحيحتان
وعند راسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب هذا قبر حبا ولميس ويروى وتماضر ابنتا
تبع وهما يشهدان ان لا اله الا الله ولا يشركان به شيئا وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما
انتهى ويوم الفصل هو يوم القيمة وهذا هو الاخبار بالبعث والمولى في هذه الاية يعم جميع الموالي
قوله سبحانه ان شجرة الزقوم طعام الاثيم روي عن ابن زيد ان الاثيم المشار اليه ابو جهل ثم هي
بالمعنى تتناول كل اثيم وهو كل فاجر روي انها لما نزلت جمع ابو جهل عجوة وزبدا وقال لاصحابه
تزقموا فهذا هو الزقوم وهو طعام الذي يحدثكم به محمد قال ابن عطية وانما قصد بذلك ضربا
من المغالطة والتلبيس على الجهلة قوله سبحانه كالمهل قال ابن عباس وابن عمر المهل دردي الزيت وعكره
وقال ابن مسعود وغيره المهل ما ذاب من فضة او ذهب والمعنى ان هذه الشجرة اذا طعمها الكافر
في جهنم صارت في جوفه تفعل كما يفعل المهل المذاب من الاحراق والافساد والحميم الماء السخن
الذي يتطاير من غليانه وقوله خذوه الاية اي يقال لهم يومئذ للملائكة خذوه يعني الاثيم فاعتلوه
والعتل السوق بعنف واهانة ودفع قوي متصل كما يساق ابدا مرتكب الجرائم والسواء الوسط
وقيل المعظم وذلك متلازم وقوله ذق انك انت العزيز الكريم مخاطبة على معنى التقريع وقوله
سبحانه ان هذا ما كنتم به تمترون عبارة عن قول يقال للكفرة ثم ذكر تعالى حال المتقين
فقال ان المتقين في مقام امين اي مامون والسندس رقيق الحرير والاستبرق خشنه وقوله
متقابلين وصف لمجالس اهل الجنة لان بعضهم لا يستدبر بعضا في المجالس وقرا الجمهور وزوجناهم
بحور عين وقرا ابن مسعود بعيس عين وهو جمع عيساء وهي البيضاء وكذلك هي من النوق وروى
ابو قرصافة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اخراج القمامة من المسجد مهور الحور العين
قال الثعلبي قال مجاهد يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لونهن يرى مخ سوقهن من وراء
ثيابهن ويرى الناظر وجهه في كعب احداهن كالمراة من رقة الجلد وصفاء اللون انتهى وقوله سبحانه
يدعون فيها بكل فاكهة اي يدعون الخدمة والمتصرفين قال ابو حيان الا الموتة استثناء
منقطع اي لكن الموتة الاولى ذاقوها انتهى والضمير في يسرناه عائد على القران بلسانك اي بلغة
العرب قال الواحدي لعلهم يتذكرون اي يتعظون انتهى وفي قوله تعالى فارتقب انهم مرتقبون
وعد للنبي عليه الصلاة والسلام ووعيد للكافرين بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما سورة الجاثية مكية قوله عز وجل
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لايات للمؤمنين قال ابو حيان
اجاز الفخر الرازي في العزيز الحكيم ان يكونا صفتين لله وهو الراجح او للكتاب ورد بانه لا يجوز ان يكونا

صفتين

صفتين للكتاب من وجوه انتهى ثم ذكر تبارك وتعالى هنا الايات التي في السموات والارض
مجملة غير منفصلة فكانها احالة على غوامض تثيرها الفكر ويخبر بكثير منها الشرع فلذلك
جعلها للمؤمنين ثم ذكر سبحانه خلق البشر والحيوان وكانه اغمض فجعله للموقنين الذين لهم نظر
يؤديهم الى اليقين ثم ذكر اختلاف الليل والنهار والعبرة بالمطر والرياح فجعل ذلك لقوم يعقلون
اذ كل عاقل يحصل هذه ويفهم قدرها قال ع وان كان هذا النظر ليس بلازم ولا بد فان
اللفظ يعطيه والرزق المنزل من السماء هو الماء وسماه الله سبحانه رزقا بمآله لان جميع ما يرتزق
فعن الماء هو وقوله نتلوها عليك بالحق اي بالصدق والاعلام بحقائق الامور في انفسها قوله جلت
عظمته فباي حديث بعد الله واياته يؤمنون اية تقريع وتوبيخ وفيها قوة تهديد الافاك
الكذاب الذي يقع منه الافك مرارا والاثيم بناء مبالغة اسم فاعل من اثم ياثم وروي ان سبب
الاية ابو جهل وقيل النضر بن الحارث والصواب انها عامة فيهما وفي غيرهما وانها تعم كل من دخل تحت
الاوصاف المذكورة الى يوم القيمة ويصر معناه يثبت على عقيدته من الكفر وفبشره بعذاب اليم
اي مؤلم وقوله تعالى واذا علم من اياتنا شيئا اي اخبر بشيء من اياتنا فعلم نفس الخبر لا المعنى الذي
تضمنه الخبر ولو علم المعاني التي تضمنها اخبار الشارع وعرف حقائقها لكان مؤمنا ت وفي هذا
نظر لانه يؤول الى القول بان الكفر لا يتصور عنادا محضا وقد تقدم اختياره رحمه الله لذلك في غير هذا
المحل فقف عليه وخشية الاطالة منعتني من تكراره هنا وقوله سبحانه هذا هدى الاشارة الى
القران وقوله لهم عذاب بمنزلة قولك لهم حظ فمن هذه الجهة ومن جهة تعالي اللفظين
حسن قوله عذاب من رجز اذ الرجز هو العذاب وقوله ولتجري الفلك فيه بامره اي باقداره
والاذن منا بان يامر البحر والناس بذلك وقرا مسلمة بن محارب جميعا منة وقرا ايضا
جميعا منه بالهاء وقرا ابن عباس منة بالنصب على المصدر وقوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون
قال الغزالي في الاحياء الفكر والذكر اعلى مقامات الصالحين وقال رحمه الله اعلم ان الناظرين
بانوار البصيرة علموا ان لا نجاة الا في لقاء الله عز وجل وانه لا سبيل الى اللقاء الا بان يموت
العبد محبا لله تعالى وعارفا به وان المحبة والانس لا يحصلان الا بدوام ذكر المحبوب وان المعرفة
لا تحصل الا بدوام الفكر ولن يتيسر دوام الذكر والفكر الا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء
منها بقدر البلغة والضرورة ثم قال والقران جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان
بتدبر انتهى قوله تعالى قل للذين امنوا يغفروا الاية قال اكثر الناس هذه الاية منسوخة
باية القتال وقالت فرقة بل هي محكمة قال ابن عطية والاية تتضمن الغفران عموما فينبغي ان يقال
ان الامور العظام كالقتل والكفر مجاهرة ونحو ذلك قد نسخ غفرانه اية السيف والجزية وما
احكمه الشرع لا محالة وان الامور الحقيرة كالجفاء في القول ونحو ذلك يحتمل ان تبقى محكمة وان
يكون العفو عنها اقرب الى التقوى وقوله ايام الله قالت فرقة معناه ايام انعامه ونصره
وتنعيمه في الجنة وغير ذلك وقال مجاهد ايام الله ايام نقمه وعذابه وباقي الاية بين وقوله
سبحانه فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم الاية قد تقدم بيان نظيرها في سورة
يونس وغيرها وقوله سبحانه ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها الاية الشريعة لغة
مورد المياه وهي في الدين من ذلك لان الناس يردون الدين ابتغاء رحمة الله والتقرب منه

والامر واحد الامور ويحتمل ان يكون واحد الاوامر والذين لا يعلمون هم الكفار وفي قوله
ان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين تحقير للكفرة من حيث خرجهم عن ولاية
الله تعالى ت وقد قال صلى الله عليه وسلم يوم احد اجيبوهم فقولوا الله مولانا ولا مولى لكم
وذلك ان قريشا قالوا للصحابة لنا العزى ولا عزى لكم وقوله عز وجل هذا بصائر للناس يريد القرآن
وهو جمع بصيرة وهو المعتقد الموثوق به في الشيء كانه من ابصار القلب قال ابو حيان وقرئ هذه اي
الآيات انتهى وقوله سبحانه ام حسب الذين اجترحوا السيئات قيل ان الآية نزلت بسبب افتخار كان للكفار
على المؤمنين قالوا لئن كانت الآخرة كما تزعمون لنفضلن عليكم فيها كما فضلنا في الدنيا واجترحوا معناه
اكتسبوا وهذه الآية متناولة بلفظها حال العصاة من حال اهل التقوى وهي موقف للعارفين
يبكون عنده وروي عن الربيع بن خثيم انه كان يرددها ليلة حتى اصبح وكذلك عن الفضيل بن عياض
وكان يقول لنفسه ليت شعري من اي الفريقين انت وقال الثعلبي كانت هذه الآية مبكاة العابدين
قال ابن عطية واما لفظها فيعطي انه اجتراح الكفر بدليل معادلته بالايمان ويحتمل ان تكون
المعادلة بين الاجتراح وعمل الصالحات ويكون الايمان في الفريقين ولهذا بكى الخائفون رضي الله
عنهم ت وروى ابن المبارك في رقائقه بسنده ان تميما الداري رضي الله عنه بات ليلة الى الصبح
يركع ويسجد ويردد هذه الآية ام حسب الذين اجترحوا السيئات الآية ويبكي رضي الله عنه انتهى و
قوله ساء ما يحكمون ما مصدرية والتقدير ساء الحكم حكمهم وقوله سبحانه افرأيت من اتخذ
الهه هواه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي لا تهتم بامر الكفرة من اجل اعراضهم عن الايمان
وقوله الهه هواه اشارة الى الاصنام اذ كانوا يعبدون ما يهوون من الحجارة وقال
قتادة المعنى لا يهوى شيئا الا ركبه لا يخاف الله فهذا كما يقال الهوى اله معبود وهذه الآية وان
كانت نزلت في هوى الكفر فهي متناولة جميع هوى النفس الامارة قال النبي صلى الله عليه وسلم والعاجز
من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال سهل التستري هواك داؤك فان خالفته
فدواؤك وقال وهب اذا عرض لك امران وشككت في خيرهما فانظر ابعدهما من هواك فأته ومن الحكمة
في مثل هذا قول القائل اذا انت لم تعص الهوى قادك الهوى الى كل ما فيه عليك مقال
قال الشيخ ابن ابي جمرة قوله صلى الله عليه وسلم فيقال من كان يعبد شيئا فليتبعه شيئا يعم جميع الاشياء
مدركة كانت وغير مدركة فالمدرك كالشمس والقمر وغير المدرك مثل الملائكة والهوى لقوله تعالى
افرأيت من اتخذ الهه هواه وما اشبه ذلك انتهى قال القشيري في رسالته وحكي عن ابي
عمران الواسطي قال انكسرت بنا السفينة فبقيت انا وامرأتي على لوح وقد ولدت في تلك الحال صبية
فصاحت بي وقالت يقتلني العطش فقلت هو ذا يرى حالنا فرفعت رأسي فاذا رجل في الهواء جالس
في يده سلسلة من ذهب وفيها كوز من ياقوت احمر فقال هاك اشربا فاخذت الكوز فشربنا
منه فاذا هو اطيب من المسك وابرد من الثلج واحلى من العسل فقلت من انت رحمك الله فقال
عبد لمولاك فقلت له بما وصلت الى هذا فقال تركت هواي لمرضاته فاجلسني في الهواء ثم غاب عني
ولم اره انتهى وقوله تعالى على علم قال ابن عباس المعنى على علم من الله تعالى سابق وقالت فرقة على علم من
هذا الضال بترك الحق واعراضه عنه فتكون الآية على هذا التأويل من آيات العناد من نحو قوله وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم وقوله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة استعارات كلها وقوله

من بعد الله فيه حذف مضاف تقديره من بعد اضلال الله اياه واختلف في معنى قولهم نموت و
نحيا فقالت فرقة المعنى يموت الآباء ويحيا الابناء وقالت فرقة المعنى نحيا ونموت فوقع في اللفظ
تقديم وتأخير قولهم وما يهلكنا الا الدهر اي طول الزمان قوله سبحانه واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
يعني قريشا ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا اي يا محمد احي لنا قصيا حتى نسأله الى غير ذلك
من هذا النحو فنزلت الآية في ذلك ومعنى ان كنتم صادقين اي في قولكم انا نبعث بعد الموت ثم امر الله
تعالى نبيه ان يخبرهم بالحال السابقة في علم الله التي لا تبدل بانه يحيي الخلق ثم يميتهم الى آخر الآية وباقي الآية بين
والمبطلون الداخلون في الباطل وقوله وترى كل امة جاثية هذا وصف حال القيامة وهولها والامة
الجماعة العظيمة من الناس وقال مجاهد الامة الواحد من الناس قال ع وهذا قلق في اللغة وان قيل
في ابراهيم امة وفي قس بن ساعدة فذلك تجوز على جهة التشريف والتشبيه وجاثية معناه على الركب
قاله مجاهد وغيره وهي هيئة المذنب الخائف وقال سلمان في القيامة ساعة قدر عشر سنين يخر الجميع
فيها جثاة على الركب وقوله كل امة تدعى الى كتابها قالت فرقة معناه الى كتابها المنزل عليها فتحاكم اليه هل
وافقته او خالفته وقالت فرقة اراد الى كتابها الذي كتبته الحفظة على كل واحد من الامة وقوله سبحانه
هذا كتابنا يحتمل ان تكون الاشارة الى الكتب المنزلة او الى اللوح المحفوظ او الى كتب الحفظة وقال
ابن قتيبة الى القرآن وقوله سبحانه هذا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون قال الحسن هو كتب الحفظة على بني
آدم وروى ابن عباس وغيره حديثا ان الله تعالى يأمر بعرض اعمال العباد كل يوم خميس فينقل من الصحف
التي ترفع الحفظة كل ما هو معد ان يكون عليه ثواب او عقاب ويلغى الباقي فهذا هو النسخ من اصل
قوله عز وجل فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته اي في جنته واما
الذين كفروا افلم تكن اي فيقال لهم افلم تكن آياتي تتلى عليكم وقرأ حمزة وحده والساعة بالنصب عطفا
على قوله وعد الله وقرأ ابن مسعود وان الساعة لا ريب فيها وباقي الآية بين وقوله سبحانه وبدا لهم سيئات
ما عملوا الآية حكاية حال يوم القيامة وحاق معناه نزل واحاط وهي مستعملة في المكروه وفي قوله
ما كانوا حذف مضاف تقديره جزاء ما كانوا به يستهزئون وقوله عز وجل وقيل اليوم ننساكم معناه
نترككم كما تركتم لقاء يومكم هذا وآيات الله هنا لفظ جامع لآيات القرآن وللادلة التي نصبها الله
تعالى للنظر ولا هم يستعتبون اي لا يطلب منهم مراجعة الى عمل صالح وقوله سبحانه فلله الحمد رب السموات
ورب الارض الى آخر السورة تحميد لله عز وجل وتحقيق لالوهيته وفي ذلك كسر لامر الاصنام
والانداد وشأن ما تعبده الكفرة والكبرياء بناء مبالغة تفسير سورة الاحقاف هذه السورة مكية الا آيتين
قوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به الآية وقوله سبحانه فاصبر كما صبر اولوا العزم الآية
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم قوله سبحانه
حم تنزيل الكتاب يعني القرآن وقوله سبحانه ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى
والذين كفروا عما انذروا معرضون هذه الآية موعظة وزجر المعنى فانتبهوا ايها الناس وانظروا
ما اريد بكم ولم خلقتم والاجل المسمى هو يوم القيامة وقوله قل ارأيتم ما تدعون معناه ما تعبدون
وقفهم على السموات اهل لهم فيها شرك ثم استدعى منهم كتابا منزلا قبل القرآن يتضمن عبادة الاصنام
قال ابن العربي في احكامه هذه الآية من اشرف آية في القرآن فانها استوفت الدلالة على الشرائع عقليها
وسمعيها لقوله تعالى قل ارأيتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك

في السموات فهذا بيان لادلة العقل المتعلقة بالتوحيد وحدث العالم وانفراد البارى تعالى بالقدرة
والعلم والوجود والخلق ثم قال ايتوني بكتاب من قبل هذا على ما تقولون وهذا بيان لادلة السمع فان مدرك
الحق انما يكون بدليل العقل او بدليل الشرع حسبما بيناه من مراتب الادلة في كتب الاصول ثم قال او اثارة
من علم يعني او علم يؤثر اي يروى وينقل وان لم يكن مكتوبا انتهى وقوله او اثارة معناه او بقية قديمة
من علم احد العلما تقتضي عبادة الاصنام والاثارة البقية من الشيء وقال الحسن المعنى من علم تستخرجونه فتثيرونه
وقال مجاهد المعنى هل من احد يأثر علما في ذلك وقال القرطبي هو الاسناد ومنه قول الاعشى نظم
ان الذي فيه تماريتما ٭ بين للسامع والاثر ٭ اي وللمسند عن غيره وقال ابن عباس الاثارة الخط في التراب وذلك
شيء كانت العرب تفعله والضمير في قوله وهم عن دعائهم غافلون هو للاصنام في قول جماعة ويحتمل ان يكون لعبدتها
وقوله سبحانه واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وصف ما يكون يوم القيمة بين الكفار واصنامهم من التبري والمناكرة
وقد بين ذلك في غير هذه الاية واذا تتلى عليهم اياتنا اي ايات القران قال الذين كفروا للحق يعني القران هذا سحر مبين
اي يفرق بين المرء وبنيه وقوله سبحانه قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا المعني ان افتريته فالله حسبي في ذلك
وهو كان يعاقبني ولا يمهلني ثم رجع القول الى الاستسلام الى الله والاستنصار به عليهم وانتظار ما يقتضيه علمه
بما يفيضون فيه من الباطل ومرادة الحق وذلك يقتضي معاقبتهم ففي اللفظ تهديد والضمير في به عائد على الله عز
وجل قوله سبحانه وهو الغفور الرحيم ترجية واستدعاء الى التوبة ثم امره عز وجل ان يحتج عليهم بانه لم يكن بدعا
من الرسل والبدع والبديع من الاشياء ما لم ير مثله المعنى قد جاء قبلي غيري قاله ابن عباس وغيره قلت ولفظ البخاري
وقال ابن عباس بدعا من الرسل لست باول الرسل واختلف الناس في قوله وما ادري ما يفعل بي ولا بكم فقال
ابن عباس وجماعة كان هذا في صدر الاسلام ثم بعد ذلك عرفه الله عز وجل بانه قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر وبان المومنين لهم من الله فضل كبير وهو الجنة وبان الكافرين في نار جهنم والحديث الصحيح الذي
وقع في جنازة عثمان بن مظعون يؤيد هذا وقالت فرقة معنى الاية وما ادري ما يفعل بي ولا بكم من الاوامر والنواهي
وقيل غير هذا وقوله ان اتبع الا ما يوحى الي معناه الاستسلام والتبري من علم المغيبات والوقوف مع النذارة من
عذاب الله عز وجل قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل الاية جواب هذا التوقيف
محذوف وتقديره اليس قد ظلمتم ودل على هذا المقدر قوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين قال مجاهد وغيره
هذه الاية مدنية والشاهد عبد الله بن سلام وقد قال عبد الله بن سلام في نزلت وقال مسروق بن الاجدع والجمهور
الشاهد موسى عليه السلام والاية مكية ورجحه الطبري وقوله على مثله يريد بالمثل التوراة والضمير عائد في هذا
التاويل على القران اي جاء شاهد من بني اسرائيل بمثله انه من عند الله سبحانه وقوله فامن على هذا التاويل يعني به
تصديق موسى وتبشيره بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله سبحانه ومن قبله اي قبل القران كتاب موسى يعني
التوراة وهذا كتاب يعني القران مصدق للتوراة التي تضمنت خبره وفي مصحف ابن مسعود مصدق لما
بين يديه والذين ظلموا هم الكفار وعبر عن المومنين بالمحسنين ليناسب لفظ الاحسان في مقابلة الظلم ثم
اخبر تعالى عن حسن حال المستقيمين وذهب كثير من الناس الى ان المعنى ثم استقاموا بالطاعات والاعمال الصالحات
وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه المعنى ثم استقاموا بالدوام على الايمان قال ابن عطيه وهذا اعم رجاء واوسع
وان كان في الجملة المومنة من يعذب وينفذ عليه الوعيد فهو ممن يخلد في الجنة وينفى عنه الخوف والحزن
الحال بالكفر وقوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون فقد جعل الله سبحانه الاعمال امارات على ما سيصير اليه العبد
لا انها توجب على الله شيئا وقوله سبحانه ووصينا الانسان بوالديه حسنا اي هكذا مضت شرايعي وكتبي فهي

وصية من الله لعباده وبر الوالدين واجب وعقوقهما كبيرة وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم كل شيء بينه وبين الله حجاب الا شهادة ان لا اله الا الله ودعوة الوالدين قال ابن عطيه
ولن يدعو في الغالب الا اذا ظلمها الولد فهذا يدخل في عموم قوله عليه الصلاة والسلام اتقوا دعوة
المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حجاب ثم عدد سبحانه على الابناء منن الامهات وقوله تعالى حملته
امه كرها قال مجاهد والحسن وقتادة حملته مشقة ووضعته مشقة قال ابو حيان وحمله على
حذف مضاف اي مدة حمله انتهى وقوله ثلاثون شهرا يقتضي ان مدة الحمل والرضاع هي هذه المدة
وفي البقرة والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين فيترتب من هذا ان اقل مدة الحمل
ستة اشهر واقل ما يرضع الطفل عام وتسعة اشهر واكمال الحولين هو لمن اراد ان يتم الرضاعة
وهذا في امد الحمل هو مذهب مالك وجماعة من الصحابة واقوى الاقوال في بلوغ الاشد ستة
وثلاثون سنة قال ع وانما ذكر تعالى الاربعين لانها حد للانسان في فلاحه ونجابته وفي الحديث
ان الشيطان يجر يده على وجه من زاد على الاربعين ولم يتب فيقول بابي وجه لا يفلح ت وحدث ابو بكر بن
الخطيب في تاريخ بغداد بسنده المتصل عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ العبد
اربعين سنة امنه الله من البلايا الثلاث الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة خفف الله عنه
الحساب فاذا بلغ ستين سنة رزقه الله الانابة فاذا بلغ سبعين سنة غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر وشفع في اهل بيته وناداه مناد من السماء هذا اسير الله في ارضه انتهى وهذا والله
اعلم في العبد المقبل على اخرته المشتغل بطاعة ربه وقوله رب اوزعني معناه ادفع عني الموانع واجرني
من القواطع لاجل ان اشكر نعمتك ويحتمل ان يكون اوزعني بمعنى اجعل حظي ونصيبي وهذا من
التوزيع ت وقال الثعلبي وغيره اوزعني معناه الهمني وعبارة الفخر قال ابن عباس اوزعني
معناه الهمني قال صاحب الصحاح استوزعت الله فاوزعني اي استلهمته فالهمني انتهى قال
ابن عباس نعمتك في التوحيد وصالحا ترضاه الصلوات والاصلاح في الذرية كونهم اهل طاعة وخير وهذه الاية
معناها ان هكذا ينبغي للانسان ان يكون فهي وصية الله تعالى للانسان في كل الشرايع وقول من
قال انها في ابي بكر وابويه ضعيف لان هذه الاية نزلت بمكة بلا خلاف وابو قحافة اسلم عام الفتح وفي
قوله تعالى اولئك الذين يتقبل عنهم الاية دليل على ان الاشارة بقوله ووصينا الانسان انما اراد به الجنس وقوله
في اصحاب الجنة يريد الذين سبقت لهم رحمة الله قال ابو حيان في اصحاب الجنة قيل في على بابها
اي في جملتهم كما تقول اكرمني الامير في ناس اي في جملة من اكرم وقيل في بمعنى مع انتهى وقوله تعالى
والذي قال لوالديه قال الثعلبي معناه اذ دعواه الى الايمان اف لكما الاية انتهى والذي يعني به الجنس على
حد العموم في التي قبلها في قوله ووصينا الانسان هذا قول الحسن وجماعة ويشبه انها سببا من رجل قال
ذلك لابويه فلما فرغ من ذكر الموفق عقب بذكر هذا العاق وقد انكرت عائشة ان تكون الاية نزلت
في عبد الرحمن بن ابي بكر وقالت ما نزل في ال ابي بكر من القران غير براءتي قلت ولا يعترض عليها
بقوله تعالى ثاني اثنين ولا بقوله ولا ياتل اولو الفضل كما بينا ذلك في غير هذه الاية قال ابن عطية والاصوب
ان تكون الاية عامة في اهل هذه الصفات والدليل القاطع على ذلك قوله تعالى اولئك الذين حق عليهم
القول في امم وكان عبد الله بن ابي بكر رضي الله عنهما من افاضل الصحابة ومن ابطال المسلمين ومن...

بما يحب م

في الاسلام عنا يوم اليمامة وغيره واف بالتنوين قراءة نافع وغيره والتنوين في ذلك
علامة تنكير كما تستطعم رجلا حديثا غير معين فتقول ايه منونة فان كان حديثا غير معين
اليه قلت ايه بغير تنوين وقوله اتعدانني ان اخرج من القبر الى الحشر وهذا منه استفهام بمعنى
الهزء والاستبعاد وقد خلت القرون من قبلي معناه هلكت ومضت ولم يخرج منهم احد وهما
يستغيثان الله يعني الوالدين يقولان له ويلك آمن وقوله ما هذا الا اساطير الاولين
اي ما هذا القول الذي يتضمن البعث من القبور الا شيء سطره الاولون في كتبهم يعني الشرائع وظاهر
الفاظ هذه الاية انها نزلت في مشار اليه قال وقبله فنعى الله الينا اقواله تحذيرا من الوقوع
في مثلها وقوله اولئك ظاهر انها اشارة الى الجنس حق عليهم القول اي قول الله انه يعذبهم
قال ابو حيان في امم اي في جملة امم فقي على بابها وقيل في بمعنى مع وقد تقدم ذلك انتهى وقوله
قد خلت من قبلهم من الجن والانس يقتضي ان الجن يموتون وهكذا فهم الاية قتادة وقد جاء
حديث يقتضي ذلك وقوله سبحانه ولكل درجات يعني المحسنين والمسيئين قال ابن زيد ودرجات المحسنين
تذهب علوا ودرجات المسيئين تذهب سفلا وباقي الاية بين في ان كل امرئ يجني ثمرة عمله من خير وشر
ولا يظلم في مجازاته قوله عز وجل ويوم يعرض الذين كفروا على النار الاية المعنى واذكر يوم
يعرض وهذا العرض هو بالمباشرة اذهبتم اي يقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا و
الطيبات هنا الملاذ وهذه الاية وان كانت في الكفار فهي رادعة لاولي النهى من المؤمنين عن الشهوات
واستعمال الطيبات ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه اتظنون انا لا نعرف طيب الطعام ذلك لباب
البر بصغار المعزى ولكني رايت الله تعالى نعى على قوم اذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا ذكره هذا
في كلامه ابن زياد وقال ايضا نحو هذا لخالد بن الوليد حين دخل الشام فقدم اليه طعام
طيب فقال عمر هذا لنا فما للفقراء المسلمين الذين ماتوا ولم يشبعوا من خبز الشعير فقال خالد
لهم الجنة فبكى عمر وقال لئن كان حظنا في الطعام الحطام وذهبوا بالجنة فقد باينونا بونا
بعيدا وقال جابر بن عبد الله اشتريت لحما بدرهم فرآني عمر فقال او كلما اشتهى احدكم شيئا اشتراه
فاكله اما تخشى ان تكون من اهل هذه الاية وتلا اذهبتم طيباتكم ت والاثار في هذا المعنى
كثيرة جدا فمنها ما رواه ابو داود في سننه عن عبد الله بن بريدة ان رجلا من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم رحل الى فضالة بن عبيد وهو بمصر فقدم عليه فقال اما اني لم اتك زائرا ولكن
سمعت انا وانت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم رجوت ان يكون عندك منه علم
قال ما هو قال كذا وكذا قال فما لي اراك شعثا وانت امير الارض قال ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان ينهى عن كثير من الارفاه قال فما لي لا ارى عليك حذاء قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يامرنا ان نحتفي احيانا وروى ابو داود عن ابي امامة قال ذكر اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم يوما عنده الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تسمعون ان البذاذة من الايمان
ان البذاذة من الايمان قال ابو داود يعني التقحل وفسر ابو عمر بن عبد البر البذاذة برث الهيئة
ذكر ذلك في التمهيد وكذلك فسرها غيره انتهى وروى ابن المبارك في رقائقه من طريق الحسن
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج في اصحابه الى بقيع الغرقد فقال السلام عليكم يا اهل القبور لو تعلمون

ما نجاكم الله منه مما هو كائن بعدكم ثم اقبل على اصحابه فقال هؤلاء خير منكم قالوا يا رسول الله
اخواننا اسلمنا كما اسلموا وهاجرنا كما هاجروا وجاهدنا كما جاهدوا واتوا على اجالهم فمضوا فيها
وبقينا في اجالنا فما يجعلهم خيرا منا قال هؤلاء خرجوا من الدنيا لم ياكلوا من اجورهم شيئا وخرجوا
وانا الشهيد عليهم وانكم قد اكلتم من اجوركم ولا ادري ما تحدثون من بعدي قال فلما سمعها القوم
عقلوها وانتفعوا بها وقالوا انا لمحاسبون بما اصبنا من الدنيا وانه لمنتقص به من اجورنا
انتهى ومنها حديث ثوبان في سنن ابي داود قال ثوبان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر
كان اخر عهده بانسان من اهله فاطمة واول من يدخل عليها فاطمة فقدم من غزاة وقد علقت
مسحا او سترا على بابها وحلت الحسن والحسين قلبين من فضة فلم يدخل فظنت انما منعه ان
يدخل ما راى فهتكت الستر وفكت القلبين عن الصبيين وقطعتهما عنهما فانطلقا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يبكيان فاخذهما منهما وقال يا ثوبان اذهب بهما الى فلان ان هؤلاء اهلي اكره ان ياكلوا
طيباتهم في حياتهم الدنيا يا ثوبان اشتر فلادة من عصب وسوارين من عاج انتهى ت والجمهور
اذهبتم على الخبر اي فيقال لهم اذهبتم طيباتكم وابن كثير في روايته بالاستفهام هنا على معنى التوبيخ والتقرير
فهو خبر في المعنى ولهذا حسنت الفاء في قوله فاليوم ولو كان استفهاما محضا لما دخلت الفاء انتهى وعذاب
الهون هو الذي اقترن به هوان فالهون والهوان بمعنى ثم امر تعالى نبيه بذكر هود وقومه عاد على جهة
المثال لقريش وقد تقدم قصص عاد مستوفى في سورة الاعراف فلينظر هنالك والصحيح من الاقوال ان بلاد
عاد كانت باليمن ولهم كانت ارم ذات العماد والاحقاف جمع حقف وهو الجبل المستطيل المعوج من الرمل
قوله سبحانه وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم خلت معناه مضت الى الارض الخلاء والنذر جمع نذير وقولهم لتافكنا معناه لتصرفنا وقولهم
فاتنا بما تعدنا تصميم منهم على التكذيب وتعجيز له في زعمهم وقوله سبحانه قل انما العلم عند الله
المعنى قال لهم هود ان هذا الوعيد ليس من قبلي وانما الامر فيه الى الله وعلم وقته عنده وانما علي
ان ابلغ فقط والضمير في راوه يحتمل ان يعود على العذاب ويحتمل ان يعود على الشيء المرئي المطالع عليهم وهو
الذي فسره قوله عارضا والعارض هو ما يعرض في الجو من السحاب الممطر قال ابن العربي في احكامه عند تفسير
قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم كل شيء عرض فقد منع ويقال لما عرض في السماء من السحاب عارض
لانه منع من رؤيتها ومن رؤية البدرين والكواكب انتهى وروي في معنى قوله مستقبل اوديتهم ان
هؤلاء القوم كانوا قد قحطوا مدة فطلع هذا العارض من جهة كانوا يمطرون بها ابدا جاءهم من
قبل واد لهم يسمونه المغيث قال ابن عباس ففرحوا به وقالوا هذا عارض ممطرنا وقد كذب هود فيما
اوعد به فقال لهم هود عليه السلام ليس الامر كما رايتم بل هو ما استعجلتم به في قولكم فاتنا بما تعدنا ثم
قال ريح فيها عذاب اليم وفي قراءة ابن مسعود ممطرنا قال هود بل هو ريح باطنها المقدر وتدمر معناه
تهلك والدمار الهلاك وقوله كل ظاهره العموم ومعناه الخصوص في كل ما امرت بتدميره وروي ان هذه
الريح رمتهم اجمعين في البحر ثم خاطب جل وعلا قريشا على جهة الموعظة بقوله ولقد مكناهم فيما
ان مكناكم فيه فيما بمعنى الذي وان نافية وقعت مكان ما ليختلف اللفظ ومعنى الاية ولقد
اعطيناهم من القوة والغنى والبسط في الاموال والاجسام ما لم نعطكم ونالهم بسبب كفرهم هذا العذاب
فانتم احرى بذلك اذا كفرتم وقالت فرقة ان شرطية والجواب محذوف تقديره في الكلام

ان مكناكم فيه طغيتم وهذا انطع في التاويل وما نافية في قوله وما اغنى عنهم ويقوي ذلك
دخول من في قوله من شيء وقالت فرقة بل هي استفهامية على جهة التقرير ومن شيء على هذا تاكيد
وهذا على غير مذهب سيبويه في دخول من في الواجب قوله عز وجل ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى
الاية مخاطبة لقريش على جهة التمثيل وصرفنا الايات يعني لهذه القرى وقوله سبحانه فلولا نصرهم
الاية يعني فهلا نصرتهم اصنامهم بل ضلوا عنهم اي انتلفوا عنهم وقت الحاجة وذلك افكهم اشارة الى قولهم
في الاصنام انها آلهة وقوله وما كانوا يفترون يحتمل ان تكون ما مصدرية فلا تحتاج الى عائد
ويحتمل ان تكون بمعنى الذي فهناك عائد محذوف تقديره يفترونه وقوله تعالى واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن الاية ابتدا وصف قصة الجن ووفادتهم على النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف
الرواة هنا هل هذا الجن هم الوفد او المتجسسون واختلفت الروايات ايضا عن ابن مسعود وغيره في
هذا الباب والتحرير في هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه نفر من الجن دون ان يشعر بهم وهم
المتجسسون المتفرقون من اجل رجم الشهب الذي حل بهم وهولاء هم المراد بقوله تعالى قل اوحي الى الاية
ثم بعد ذلك وفد عليه وفدهم حسبما ورد في ذلك من الاثار وقوله نفرا يقتضي ان المصروفين كانوا
رجالا لا انثى فيهم والنفر والرهط هم القوم الذين لا انثى وقوله تعالى فلما حضروه قالوا انصتوا فيه
تادب مع العلم وتعليم كيف يتعلم فلما قضي اي فرغ من تلاوة القرآن واستماع الجن قال جابر بن عبد الله
وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا عليهم سورة الرحمن فكان اذا قال فباي الاء ربكما تكذبان
قالوا لا بشيء من الائك نكذب ربنا لك الحمد ولما ولت هذه الجملة تفرقت على البلاد منذرة للجن وقولهم
انا سمعنا كتابا يعنون القرآن وقولهم من بعد موسى يحتمل انهم لم يعلموا بعيسى قاله ابن عباس او انهم
على دين اليهود قاله عطا نقل هذا الثعلبي ويحتمل ما تقدم ذكره في غير هذا وانهم ذكروا المتفق عليه انتهى
ومصدقا لما بين يديه وهي التوراة والانجيل وداعي الله هو محمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا به
اي بالله يغفر لكم من ذنوبكم الاية قلت وذكر الثعلبي خلافا في مؤمني الجن هل يثابون على الطاعة او العقاب
على المعصية وهو قول مالك وابن ابي ليلى قال الضحاك يدخلون الجنة وياكلون ويشربون انتهى وقد
تقدم ما قلناه عن البخاري في سورة الانعام انهم يثابون وقوله سبحانه ومن لا يجب داعي الله فليس
بمعجز الاية يحتمل ان تكون من تمام كلام المنذرين ويحتمل ان يكون من كلام الله عز وجل والمعجز الذاهب
في الارض الذي يعجز طالبه فلا يقدر عليه وقوله سبحانه اولم يروا الضمير لقريش وذلك انهم انكروا البعث
وعود الاجساد وهم مع ذلك معترفون بان الله تعالى خلق السموات والارض فاقيمت عليهم الحجة من اقوالهم
قال ابو حيان والباء في قوله بقادر زائدة انتهى قوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار المعنى واذكر
يوم وهذا وعيد للكفار قريش وغيرهم وهذا عرض مباشرة وقوله اليس هذا بالحق اي يقال لهم
اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا فصدقوا بذلك حيث لا ينفعهم التصديق فروي عن الحسن انه
قال انهم ليعذبون في النار وهم راضون بذلك لانفسهم يعترفون انه العدل واختلف في تعيين اولي
العزم من الرسل ولا محالة ان لكل نبي ورسول عزما وصبرا وقوله ولا تستعجل لهم معناه ولا تستعجل لهم
عذابا فانهم اليه صائرون ولا تستطل تعمرهم في هذه النعمة فانهم يوم يرون العذاب كانهم لم
يلبثوا في الدنيا الا ساعة لاحتقارهم ذلك لان المنقضي من الزمان يصير عدما ت واذا علمت ايها
الاخ ان الدنيا اضغاث احلام كان من الحزم اشتغالك الان بتحصيل الزاد للمعاد وحفظ الحواس ومراعاة

الانفاس

ويدخلون الجنة او يجارون من النار فقط الله اعلم بذلك قال الفخر والصحيح انهم في حكم بني ادم يستحقون الثواب على الطاعة ص

الانفاس ومراقبة مولاك فاتخذه صاحبا وذر الناس قال ابو حامد الغزالي رحمه الله اعلم ان صاحبك
الذي لا يفارقك في حضرك وسفرك ونومك ويقظتك بل في حياتك وموتك هو ربك ومولاك
وسيدك وخالقك ومهما ذكرته فهو جليسك اذ قال تعالى انا جليس من ذكرني ومهما انكسر قلبك
حزنا على تقصيرك في حق دينك فهو صاحبك وملازمك اذ قال تعالى انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي
فلو عرفته يا اخي حق معرفته لاتخذته صاحبا وتركت الناس جانبا فان لم تقدر على ذلك في جميع اوقاتك
فاياك ان تخلي ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه بمولاك وتتلذذ بمناجاته وعند ذلك فعليك
باداب الصحبة مع الله تعالى وادابها اطراق الطرف وجمع الهم ودوام الصمت وسكون الجوارح و
مبادرة الامر واجتناب النهي وقلة الاعتراض على القدر ودوام الذكر باللسان وملازمة الفكر وايثار
الحق والياس من الخلق والخضوع تحت الهيبة والانكسار تحت الحياء والسكون عن حيل الكسب ثقة
بالضمان والتوكل على فضل الله معرفة بحسن الختيار وهذا كله ينبغي ان يكون شعارك في جميع ليلك ونهارك
فانه اداب الصحبة مع صاحب لا يفارقك والخلق كلهم يفارقونك في بعض اوقاتك انتهى من بداية الهداية
وقوله بلاغ يحتمل معاني احدها ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هذا انذار وتبليغ ويحتمل ان
يريد كانهم لم يلبثوا الا ساعة كانت بلاغا لهم وهذا كما تقول متاع قليل وقيل غير هذا وقرا ابو مجلز
وغيره بلغ على الامر وقرا الحسن بن ابي الحسن بلاغ بالخفض نعتا للنهار وقوله سبحانه فهل يهلك
الا القوم الفاسقون وقرئ شاذا ببنا الفعل للفاعل وفي هذه الاية وعيد محض وانذار
بين وذلك ان الله عز وجل جعل الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها وغفر الصغاير باجتناب
الكبائر ووعد الغفران على التوبة فلن يهلك على الله الا هالك كما قال صلى الله عليه وسلم قال الثعلبي
يقال ان قوله تعالى فهل يهلك الا القوم الفاسقون ارجا اية في كتاب الله للمؤمنين

سورة القتال مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم
والذين كفروا اشارة الى اهل مكة الذين اخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم وقوله والذين امنوا
وعملوا الصالحات الاية اشارة الى الانصار الذين اووا ونصروا وفي الطائفتين نزلت الايتان
قاله ابن عباس ومجاهد ثم هي بعد تعم كل من دخل تحت الفاظها وقوله اضل اعمالهم اي اتلفها ولم
يجعل لها نفعا ت وقد ذكرنا في سورة الصف ان اسم محمد صلى الله عليه وسلم لم يتسم به احد
قبله الا قوم قليلون رجاء ان تكون النبوة في ابنائهم والله اعلم حيث يجعل رسالاته قال
ابن القوطا وعن خليفة والد ابي سويد قال سألت محمد بن عدي بن ربيعة كيف سماك
ابوك محمدا قال سألت ابي عما سألتني عنه فقال لي كنت رابع اربعة من بني تميم انا فيهم وسفيان
ابن مجاشع بن حرب واسامة بن هند بن خندف ويزيد بن ربيعة فخرجنا في سفرة نريد ابن
جفنة ملك غسان فلما اشرفنا الشام نزلنا على غدير فيه شجرات وقربه شخص نائم فتحدثنا
فاستمع كلامنا فاشرف علينا فقال ان هذه لغة ما هي لغة هذه البلاد فقلنا نحن قوم من
مضر فقال من اي المضريين قلنا من خندف قال انه يبعث فيكم خاتم النبيين فسارعوا اليه
وخذوا بحظكم منه ترشدوا قلنا ما اسمه قال محمد فرجعنا فولد لكل واحد منا ابن سماه
محمدا وذكره المدايني انتهى وقوله تعالى في المؤمنين واصلح بالهم قال قتادة معناه حالهم

وقال ابن عباس شابهم وتحرير التفسير في اللفظة انها بمعنى الفكر والموضع الذي فيه نظر
الانسان وهو القلب فاذا صلح ذلك منه فقد صلح حاله فكان اللفظة مشيرة الى صلاح عقيدتهم
وغير ذلك من الحال تابع فقولك خطر في بالي كذا وقوله اصلح الله بالك المراد بهما واحد ذكره المبرد
والبال مصدر كالحال والشان ولا يستعمل منها فعل وكذلك عرفه لا يثنى ولا يجمع وقد جاء مجموعا شاذا
في قولهم بالات والباطل هنا الشيطان وكل ما يامر به قاله مجاهد والحق هنا الشرع ومحمد عليه السلام
وقوله كذلك يضرب الاشارة الى الاتباع المذكورين من الفريقين وقوله سبحانه فاذا لقيتم الذين
كفروا فضرب الرقاب قال اكثر العلماء ان هذه الاية واية السيف وهي قوله فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم محكمتان فقوله هنا فضرب الرقاب بمثابة قوله هنالك فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وصرح هنا بذكر المن والفداء ولم يصرح به هنالك فهذه مبينة لتلك وهذا
هو القول القوي وقوله فضرب الرقاب مصدر بمعنى الفعل اي فاضربوا رقابهم وعين من انواع
القتل اشهره والمراد اقتلوهم باي وجه امكن وفي صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فمسته النار انتهى والاثخان في القوم ان يكثر فيهم القتل والجرح
ومعنى فشدوا الوثاق اي بمن لم يقتل ولم يترتب فيه الا الاسر ومنا وفدا مصدران منصوبان
بفعلين مضمرين وقوله حتى تضع الحرب اوزارها معناه حتى تذهب الحرب وتزول اثقالها والاوزار
الاثقال ومنه قول عمرو بن معدي كرب ؞ واعددت للحرب اوزارها ؞ رماحا طوالا وخيلا ذكورا
واختلف المتاولون في الغاية التي عندها تضع الحرب اوزارها فقال قتادة حتى يسلم الجميع وقال
حذاق اهل النظر حتى نغلبوهم ونقتلوهم وقال مجاهد حتى ينزل عيسى بن مريم قال ابن عطية
وظاهر اللفظ انها استعارة يراد بها التزام الامر ابدا وذلك ان الحرب بين المومنين والكافرين
لا تضع اوزارها فجاء هذا كما تقول انا افعل كذا وكذا الى يوم القيمة وانما تريد انك تفعله دايما
ولو يشاء الله لانتصر منهم اي بعذاب من عنده ولكن اراد سبحانه اختبار المومنين وان يبلو بعضكم
ببعض وقرا الجمهور قاتلوا وقرا عاصم بخلاف عنه قتلوا بفتح القاف والتاء وقرا ابو عمرو وحفص
قتلوا بضم القاف وكسر التاء قال قتادة نزلت هذه الاية فيمن قتل يوم احد من المومنين وقوله
تعالى سيهديهم اي الى طريق الجنة ت وذكر الشيخ ابو نعيم الحافظ ان ميسرة الخادم قال
غزونا في بعض الغزوات فاذا فتى الى جانبي واذا هو مقنع في الحديد فحمل على الميمنة فثناها ثم
على الميسرة حتى ثناها وحمل على القلب حتى ثناه ثم انشا يقول

لحسن بمولاك سعيد ظنا ... هو الذي كنت له تمنى
تنح يا حور الجنان عنا ... مالك فتلنا ولا قتلنا
لكن الى سيدكن اشتقنا ... قد علم السر وما اعلنا

قال فحمل فقاتل فقتل منهم عددا ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو فاذا هو رضي
الله عنه قد حمل على الناس وانشا يقول

قد كنت ارجو ورجائي لم يخب ... ان لا يضيع اليوم كدي والطلب
يا من ملا تلك القصور باللعب ... لولاك ما طابت وما طاب الطرب

ثم حمل رضي الله عنه في المرة الثالثة وانشا يقول

يا لعبة الخلد قفي ثم اسمعي ... مالك قاتلنا فكفي وارجعي
ثم ارجعي الى الجنان واسرعي ... لا تطمعي لا تطمعي لا تطمعي

فقاتل رضي الله عنه حتى قتل انتهى من ابن عباد شارح الحكم قوله تعالى عرفها لهم قال ابو سعيد الخدري
وقتادة ومجاهد معناه بينها لهم اي جعلهم يعرفون منازلهم منها وفي نحو هذا المعنى هو قول النبي
صلى الله عليه وسلم لاحدكم بمنزله في الجنة اعرف منه بمنزله في الدنيا قال القرطبي في التذكرة
وعلى هذا القول اكثر المفسرين قال وقيل ان هذا التعريف الى المنازل هو بالدليل وهو الملك
الموكل بعمل العبد يمشي بين يديه وقالت فرقة معناه سماها لهم ورسمها كل منزل باسم
صاحبه فهذا نحو من التعريف وقالت فرقة معناه شرفها لهم ورفعها وعلاها وهذا من
الاعراف التي هي الجبال ومنه اعراف الخيل وقال مورج وغيره معناه طيبها ماخوذ من العرف
ومنه طعام معرف اي مطيب وعرفت القدر طيبتها بالملح والتابل قال ابو حيان واصلح
بالهم البال الفكر ولا يثنى ولا يجمع انتهى وقوله سبحانه ان تنصروا الله اي دين الله ينصركم بخلق
القوة لكم وغير ذلك من المعاون ويثبت اقدامكم اي في مواطن الحرب وقيل على الصراط
في القيمة وقوله فتعسا لهم معناه عثارا وهلاكا لهم وهي لفظة تقال للعاثر
اذا اريد به الشر قال ابن السكيت التعس ان يخر على وجهه قوله تعالى كرهوا ما انزل الله
يريد القران فاحبط اعمالهم قال ابن عطية ولا خلاف ان الكافر له حفظة يكتبون سيآته
واختلف الناس في حسناتهم فقالت فرقة هي ملغاة يثابون عليها بنعم الدنيا فقط وقالت
فرقة هي محصاة من اجل ثواب الدنيا ومن انه قد يسلم فينضاف ذلك الى حسناته في الاسلام
وهذا احد التاويلين في قوله صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام اسلمت على ما سلف لك من
خير وقوله عز وجل افلم يسيروا في الارض توقيف لقريش وتوبيخ والذين من قبلهم يريد
ثمود وقوم شعيب وغيرهم والدمار الافساد وهدم البنا واذهاب العمران والضمير في قوله
امثالها يصح ان يعود على العاقبة ويصح ان يعود على الفعلة التي يتضمنها قوله دمر الله عليهم
وقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا الاية المولى الناصر الموالي قال قتادة نزلت هذه
الاية يوم احد ومنها انتزع النبي صلى الله عليه وسلم رده على ابي سفيان حين قال قولوا الله مولانا
ولا مولى لكم وقوله سبحانه في الذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم
اي اكلا مجردا عن الفكر والنظر وهذا كما تقول الجاهل يعيش كما تعيش البهيمة والمعنى يعيش عديم
الفهم والنظر في العواقب وقوله سبحانه وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك يعني مكة التي اخرجتك
معناه وقت الهجرة ويقال ان هذه الاية نزلت اثر خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة
وقيل غير هذا وقوله سبحانه افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله الاية توقيف وتقرير
وهي معادلة بين هذين الفريقين واللفظ عام لاهل هاتين الصفتين غابر الدهر
وعلى بينة اي على يقين وطريق واضحة وعقيدة نيرة بينة وقوله سبحانه مثل الجنة الاية
قال النضر بن شميل وغيره معناه صفة كانه قال صفة الجنة ما تسمعون كذا وكذا وقوله
فيها انهار من ماء غير اسن معناه غير متغير قاله ابن عباس وقتادة وسواء انتن او لم ينتن وقوله
في اللبن لم يتغير طعمه نفي لجميع وجوه الفساد فيه وقوله لذة للشاربين جمعت طيب الطعم

وزوال الآفات من الصداع وغيره وتصفيته كعسل مذهبة للومه وضرره ت وروينا في كتاب
الترمذي عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل
وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعد قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى وقوله ولهم فيها
من كل الثمرات أي من هذه الأنواع لكنها بعيدة الشبه تلك لا عيب فيها ولا تعب وقوله ومغفرة من
ربهم معناه وتنعيم أعطته المغفرة وسببته وإلا فالمغفرة إنما هي قبل دخول الجنة وقوله
سبحانه كمن هو خالد في النار الآية قبله محذوف تقديره أسكان هذه وتقديره أهؤلاء المتقون
كمن هو خالد في النار قوله تعالى ومنهم من يستمع إليك يعني بذلك المنافقين حتى إذا خرجوا من
عندك قالوا ماذا قال آنفا على جهة الاستخفاف ومنهم من يقوله جهالة ونسيانا وآنفا معناه
معناه مبتديا كأنه قال ما القول الذي ائتنفه الآن قبل انفصالنا عنه والمفسرون يقولون
آنفا معناه بالمد معناه الساعة الماضية وهذا تفسير بالمعنى ت وقال الثعلبي آنفا أي الآن وأصله
الابتداء قال أبو حيان آنفا بالمد والقصر اسم فاعل ولم يستعمل من فعله ايتنف ومعنى آنفا مبتدئا فهو
منصوب على الحال وأعربه الزمخشري ظرفا أي الساعة قال أبو حيان ولا أعلم أحدا من النحاة عده من
الظروف انتهى وقال العراقي آنفا أي الساعة قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى أي زادهم الله
هدى ويحتمل زادهم استهزاء المنافقين هدى قال الثعلبي وقيل زادهم ما قال النبي صلى الله عليه
وسلم هدى قال ابن عطية والفعل في آتاهم يتصرف بحسب التأويلين المذكورين وأقواها
أن الفاعل الله تعالى وآتاهم معناه أعطاهم أي جعلهم متقين وقوله تعالى فهل ينظرون يريد
المنافقين والمعنى فهل ينتظرون وبغتة معناه فجأة وقوله فقد جاء أشراطها أي فينبغي الاستعداد
والخوف منها والذي جاء من أشراط الساعة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه آخر الأنبياء وقال
عليه الصلاة والسلام بعثت أنا والساعة كهاتين والأحاديث كثيرة في هذا الباب وقوله تعالى فاعلم
أنه لا إله إلا الله لأنه إضراب عن أمر هؤلاء المنافقين وذكر الأهم من الأمر والمعنى دم على علمك وهذا
هو الكافي في كل أمر يشتبه هو متلبس به وكل واحد من الأمة داخل في هذا الخطاب وعن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال عبد لا إله إلا الله مخلصا إلا فتحت له أبواب
الجنة حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر رواه الترمذي والنسائي وقال الترمذي واللفظ له
حديث حسن غريب انتهى من السلاح قوله تعالى واستغفر لذنبك أي لتستن أمتك بسنتك ت
هذا لفظ الثعلبي وهو حسن وقال عياض قال مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من لم يكن

ها هنا مخاطبة لأمته انتهى وقال ابن عطية وذكر
عن النبي صلى الله عليه وسلم

عنده ما يتصدق به فليستغفر للمؤمنين والمؤمنات وبوّب البخاري رحمه الله العلم قبل القول والعمل
لقوله تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله قوله تعالى واستغفر لذنبك الآية وواجب على كل مؤمن أن
يستغفر للمؤمنين والمؤمنات فإنها صدقة وقال الطبري وغيره متقلبكم متصرفكم في يقظتكم و
مثواكم منامكم وقال ابن عباس متقلبكم تصرفكم في حياتكم الدنيا ومثواكم إقامتكم في قبوركم
وفي آخرتكم قوله عز وجل ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة الآية هذا ابتداء وصف
حال المؤمنين على جهة المدح لهم ووصف حال المنافقين على جهة الذم وذلك أن المؤمنين
كان حرصهم على الدين يبعثهم على تمني ظهور الإسلام وتمني قتال العدو وكانوا يأنسون بالوحي
ويستوحشون إذا أبطأ وكان المنافقون على العكس من ذلك وقوله محكمة معناه لا يقع

وفيها

فيها نسخ وأما الإحكام الذي هو الإتقان فالقرآن كله سواء فيه والمرض الذي في قلوب
المنافقين هو فساد معتقدهم ونظر الخائف المولّه قريب من نظر المغشي عليه وخسيس
هذا الوصف والتشبيه قوله تعالى فأولى لهم طاعة أولى وزنها أفعل من وليك الشيء
يليك والمشهور من استعمال أولى أنك تقول هذا أولى بك من هذا أي أحق وقد تستعمل
العرب أولى فقط على جهة الاختصار لما معها من القول على جهة الزجر والتوعد فتقول
أولى لك يا فلان وهذه الآية من هذا الباب ومنه قوله تعالى أولى لك فأولى قال أبو حيان
قال صاحب الصحاح أولى لك تهديد ووعيد قال أبو حيان والأكثر على أنه اسم مشتق من
الولي وهو القرب وقال الجرجاني هو مأخوذ من الويل فقلب فوزنه أفلع انتهى فإذا عزم
الأمر نافقوا وعصوا قال البخاري قال مجاهد عزم الأمر جد الأمر انتهى وقوله سبحانه فهل
عسيتم مخاطبة لهؤلاء الذين في قلوبهم مرض والمعنى فهل عسى أن تفعلوا إن توليتم غير أن
تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ومعنى إن توليتم أي إن أعرضتم عن الحق
وقيل المعنى إن توليتم أمور الناس من الولاية وعلى هذا قيل إنها نزلت في بني هاشم وبني
أمية ذكره الثعلبي ت وهو عندي بعيد لقوله أولئك الذين لعنهم الله فيتعين التأويل
الأول والله أعلم وفي البخاري عن جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة
قاطع أي قاطع رحم وفيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره أن
يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه انتهى وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن
قطعني قطعه الله وفي رواية لا يدخل الجنة قاطع وفي طريق من سره أن يبسط عليه رزقه وينسأ له
في أثره فليصل رحمه وخرجه البخاري من طريق أبي هريرة على ما تقدم وخرج البخاري عن أبي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم
هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من
قطعك قالت بلى يا رب قال فهو لك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقرؤوا إن شئتم فهل
عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم وفي رواية قال الله من وصلك وصلته
ومن قطعك قطعته انتهى وروى أبو داود في سننه عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسما من اسمي
من وصلها وصلته ومن قطعها بتته انتهى وقوله سبحانه أولئك الذين لعنهم الله إشارة إلى المرضى
القلوب المذكورين وقوله فأصمهم وأعمى أبصارهم استعارة لعدم فهمهم قوله عز من قائل
أفلا يتدبرون القرآن الآية توقيف وتوبيخ وتدبر القرآن زعيم بالتبيين والهدى لمتأمله
ت قال الهروي قوله تعالى أفلا يتدبرون القرآن معناه أفلا يتفكرون فيعتبرون يقال
تدبرت الأمر إذا نظرت في أدباره وعواقبه انتهى وقوله تعالى أم على قلوب أقفالها معناه بل
على قلوب أقفالها وهو الرين الذي منعهم من الإيمان وروي أن وفد اليمن وفد على النبي صلى
الله عليه وسلم وفيهم شاب فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال الفتى عليها
أقفالها حتى يفتحها الله تعالى ويفرجها قال عمر فعظم في عيني فما زالت في نفس عمر رضي الله عنه حتى ولي

الخلافة فاستعان بذلك الفتى وقوله تعالى ان الذين ارتدوا على ادبارهم الآية قال قتادة نزلت في قوم من اليهود وقال ابن عباس وغيره نزلت في منافقين كانوا اسلموا ثم نافقت قلوبهم والآية تعم كل من دخل في ضمن لفظها غابر الدهر وسول معناه رجاهم سولهم وامانيهم ونقل ابو الفتح عن بعضهم انه بمعنى دلاهم مأخوذ من السول وهو الاسترخاء والتدلي وقال الهراتي سول اي زين سوء الفعل وقوله تعالى ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا الآية قيل انها نزلت في بني اسرائيل الذين تقدم ذكرهم الآن وروي ان قوما من قريظة والنضير كانوا يعدون المنافقين في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلاف عليه بنصر وموازرة فذلك قولهم سنطيعكم في بعض الامر وقرأ الجمهور اسرارهم بفتح الهمزة وقرأ حمزة والكسائي وحفص اسرارهم بكسرها وقوله سبحانه فكيف اذا توفتهم الملائكة يعني ملك الموت واعوانه والضمير في يضربون للملائكة وفي نحو هذا احاديث تقتضي صفة الحال وما اسخط الله هو الكفر والرضوان هو الحق والشرع المؤدي الى الرضوان وقوله سبحانه ام حسب الذين في قلوبهم مرض الآية توبيخ للمنافقين وفضح لسرائرهم والضغن الحقد وقال البخاري قال ابن عباس اضغانهم حسدهم انتهى وقوله سبحانه ولو نشاء لاريناكهم الآية لم يعينهم سبحانه بالاسماء والتعريف التام ابقاء عليهم وعلى قراباتهم وان كانوا قد عرفوا بلحن القول وكانوا في الاشتهار على مراتب كابن ابي وغيره والسيماء العلامة وقال ابن عباس والضحاك ان الله تعالى قد عرفه بهم في سورة براءة في قوله ولا تصل على احد منهم مات ابدا وفي قوله قل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا قال ابن عطية وهذا في الحقيقة ليس بتعريف تام ثم اخبر تعالى انه سيعرفهم في لحن القول اي في مذهب القول ومنحاه ومقصده وحتج بهذه الآية من جعل الحد بالتعريض بالقذف ص قال ابو حيان ولتعرفنهم اللام جواب قسم محذوف انتهى قوله سبحانه والله يعلم اعمالكم مخاطبة للجميع من مؤمن وكافر وقوله سبحانه ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين الآية كان الفضيل بن عياض اذا قرأ هذه الآية بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وقوله سبحانه ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول الآية قالت فرقة نزلت في بني اسرائيل وقالت فرقة نزلت في قوم من المنافقين وهذا نحو ما تقدم وقال ابن عباس نزلت في المطعمين في سفرة بدر وقالت فرقة بل هي عامة في كل كافر وقوله لن يضروا الله شيئا تحقير لهم وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم روي ان هذه الآية نزلت في بني اسد من العرب وذلك انهم اسلموا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نحن اثرناك على كل شيء وجئناك بانفسنا واهلينا كانهم يمنون بذلك فنزل فيهم يمنون عليك ان اسلموا الآية ونزلت فيهم هذه الآية وظاهر الآية العموم وقوله سبحانه ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار الآية روي انها نزلت بسبب ان عدي بن حاتم قال يا رسول الله ان حاتما كانت له افعال بر فما حاله فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو في النار فبكى عدي وولى فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ابي وابوك وابو ابراهيم خليل الرحمن في النار ونزلت هذه الآية في ذلك وظاهر الآية العموم في كل ما تنا ولته الصفة وقوله سبحانه فلا تهنوا معناه لا تضعفوا وتدعوا الى السلم اي الى المسالمة وقال قتادة معنى الآية لا تكونوا اول الطائفتين ضرعت للاخرى

قال ابن عطية وهذا حسن ملتئم مع قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها وانتم الاعلون في موضع الحال والمعنى فلا تهنوا وانتم في هذه الحال ويحتمل ان يكون اخبارا بمغيب برز الوجود بعد ذلك والاعلون معناه الغالبون والظاهرون من العلو وقوله والله معكم معناه بنصره ومعونته ويتركم معناه ينقصكم ويذهب والمعنى لن يتركم ثواب اعمالكم وقوله سبحانه انما الحياة الدنيا لعب ولهو تحقير لامر الدنيا وقوله وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم معناه هذا هو المطلوب منكم لا غيره لا تسألون اموالكم ثم قال سبحانه منبها على خلق ابن آدم ان يسألكموها فيحفكم اي يجهدكم تبخلوا والاحفاء هو اشد السؤال وهو الذي يستخرج ما عند المسؤول كرها ت وقال الثعلبي فيحفكم اي يجهدكم ويلحف عليكم وقوله تبخلوا جزما على جواب الشرط ويخرج اضغانكم اي يخرج الله اضغانكم وقرأ يعقوب ونخرج بالنون والاضغان معتقدات السوء وهو الذي كان يخاف ان يعتري المؤمنين ثم وقف تعالى عباده المؤمنين على جهة التوبيخ لبعضهم بقوله ها انتم هؤلاء وكررها التنبيه تاكيدا وقوله تعالى ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه اي بالثواب والله الغني اي عن صدقاتكم وانتم الفقراء الى ثوابها قلت هذا لفظ الثعلبي انتهى قال ع يقال بخلت عليك بكذا وبخلت عنك بمعنى امسكت عنك وروى الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار والجاهل السخي احب الى الله من عابد بخيل قال ابو عيسى هذا حديث غريب انتهى وقوله سبحانه وان تتولوا يستبدل قوما غيركم قالت فرقة هذا الخطاب لجميع المسلمين والمشركين والعرب ح والقوم الغير هم فارس وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن هذا وكان سلمان الى جنبه فوضع يده على فخذه وقال قوم هذا ولو كان الدين في الثريا لناله رجال من اهل فارس وقوله سبحانه ثم لا يكونوا امثالكم معناه في الخلاف والتولي والبخل بالاموال ونحو هذا وحكى الثعلبي قولا ان القوم الغير هم الملائكة ت وليس مع الحديث اذا صح نظر ولولا الحديث لاحتمل ان يكون الغير ما ياتي من الخلف بعد ذهاب السلف على ما ذكر في غير هذا الموضع

سورة الفتح

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما هذه السورة نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم حين منصرفه من الحديبية وفي ذلك احاديث كثيرة عن انس وابن مسعود وغيرهما وفي تلك السفرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي الليلة سورة هي احب الي من الدنيا وما فيها خرجه البخاري وغيره قوله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا الآية قال قوم يريد فتح مكة وقال جمهور الناس وهو الصحيح الذي تعضده قصة الحديبية ان قوله انا فتحنا لك انما معناه هو ما يسر الله عز وجل لنبيه في تلك الخرجة من الفتح البين الذي استقبله ونزلت السورة مؤنسة للمؤمنين لانهم كانوا استوحشوا من رد قريش لهم ومن تلك المهادنة التي جعلها الله سببا للفتوحات واستقبل النبي صلى الله عليه وسلم في تلك السفرة انه هادن عدوه ريثما يتقوى هو وظهرت على يديه آية الماء في بئر الحديبية حيث وضع فيه سهمه وثاب الماء حتى كفى الجيش واتفقت بيعة الرضوان وهي الفتح الاعظم قاله جابر بن عبد الله والبراء بن عازب وبلغ هديه محله قاله الشعبي واستقبل فتح خيبر وامتلأت ايدي المؤمنين وظهرت في ذلك الوقت

الروم على فارس وكانت من جملة الفتح فسر بها صلى الله عليه وسلم هو والمؤمنون لظهور اهل الكتاب على المجوس وشرفه الله بان اخبره انه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر اى وان لم يكن ذنب
ت قال الثعلبي ليغفر لك الله قال ابو حاتم هذه لام القسم لما حذفت النون من فعله كسرت ونصب فعلها تشبيها بلام كى انتهى قال عياض ومقصد الاية انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان انتهى قال ابو حيان ليغفر لك الله اللام للعلة وقال ابن عطيه هى لام الصيرورة وقيل هى لام القسم ورد بان لام القسم لا تكسر ولا تنصب بها واجيب بان الكسر قد علل بالحمل على لام كى واما الحركة فليس نصبا بل هى الفتحة الموجودة مع النون بقيت بعد حذفها دالة على المحذوف ورد بانه لم يحفظ من كلامهم والله ليقوم ولا بالله ليخرج زيد انتهى وقوله سبحانه ويتم نعمته عليك اى باظهارك وتغليبك على عدوك والرضوان فى الاخرة والسكينة فعيلة من السكون وهو تسكين قلوبهم لتلك الهدنة مع قريش حتى اطمانت وعلموا ان وعد الله حق وقوله سبحانه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار الاية روى فى معنى هذه الاية انه لما نزلت وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم تكلم فيها اهل الكفر وقالوا كيف نتبع من لا يعرف ما يفعل به وبالناس فبين الله ما يفعل به بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فلما سمعها المؤمنون قالوا هنيئا لك يا رسول الله لقد بين الله لك ما يفعل بك فما يفعل بنا فنزلت ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى الى قوله عظيما فعرفه الله ما يفعل الله به وبالمؤمنين وبالكافرين وذكر النقاش ان رجلا من عك قال هذا الذى لرسول الله فما لنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم هى لى ولامتى كهاتين وجمع بين اصبعيه وقوله ويكفر عنهم سيئاتهم هو من ترتيب الجمل فى السرد لا ترتيب وقوع معانيها لان تكفير السيئات قبل ادخالهم الجنة وقوله الظانين بالله ظن السوء قيل معناه من قولهم لن ينقلب الرسول الاية وقيل هو كونهم يعتقدون ان الله لا يبعث الموتى وقيل غير ذلك وقوله عليهم دائرة السوء اى دائرة السوء الذى ارادوه بكم فى ظنهم السوء يقال للافدار والحوادث التى فى طى الزمان دائرة لانها تدور بدوران الزمان وقوله سبحانه انا ارسلناك شاهدا الاية من جعل الشاهد محصل الشهادة من يوم يحصلها فقوله شاهدا حال واقعة ومن جعل الشاهد مؤدى الشهادة فهى مستقبلة وهى التى يسميها النحاة المقدرة والمعنى شاهدا على الناس باعمالهم واقوالهم حين بلغت ومبشرا اهل الطاعة برحمة الله ونذيرا من عذاب الله اهل المعصية ومعنى تعزروه تعظموه وتكبروه قاله ابن عباس وقرا ابن عباس وغيره تعززوه بزاءين من العزة قال الجمهور الضمير فى تعزروه وتوقروه للنبى صلى الله عليه وسلم وفى تسبحوه لله عز وجل والبكرة الغدو والاصيل العشى وقوله سبحانه ان الذين يبايعونك يريد بيعة الرضوان وهى بيعة الشجرة حين اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الاهبة لقتال قريش لما بلغه قتل عثمان ابن عفان رسوله اليهم وذلك قبل ان ينصرف من الحديبية وكان فى الف واربعمائة وبايعهم صلى الله عليه وسلم على الصبر المتناهى فى قتال العدو والى اقصى الجهد حتى قال سلمة بن الاكوع وغيره بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت وقال عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا نفر والمبايعة فى هذه الاية مفاعلة من البيع لان الله تعالى اشترى منهم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ومعنى انما يبايعون الله اى ان صفقتهم انما يمضيها ويمنح الثمن الله تعالى
ت وهذا التفسير لا يمس الاية ولا بد وقال الثعلبي انما يبايعون الله اى اخذت البيعة عليهم عقد الله عليهم انتهى وهذا التفسير حسن وقوله تعالى يد الله قال الجمهور اليد بمعنى النعمة اذ نعمة الله فى نفس هذه

المبايعة لما يستقبل من محاسنها فوق ايديهم التى مدوها لبيعتك وقيل المعنى قوة الله فوق قواهم فى نصرك
ت وقال الثعلبي يد الله فوق ايديهم اى بالوفاء والعهد وقيل بالثواب وقيل يد الله فى المنة عليهم فوق ايديهم فى الطاعة عند المبايعة وهذا احسن واقرب من الاول قوله تعالى فمن نكث اى فمن نقض هذا العهد فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما وهو الجنة قوله سبحانه سيقول لك المخلفون من الاعراب قال مجاهد وغيره هم جهينة ومزينة ومن كان حول المدينة من الاعراب وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش واحرم بالعمرة وساق معه الهدى ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل عنه المخلفون وراوا انه يستقبل عدوا عظيما من قريش وثقيف وكنانة والقبائل المجاورة لمكة وهم الاحابيش ولم يكن تمكن ايمان هؤلاء المخلفين فقعدوا عن النبى صلى الله عليه وسلم وتخلفوا وقالوا لن يرجع محمد ولا اصحابه من هذه السفرة ففضحهم الله فى هذه الاية واعلم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقولهم واعتذارهم قبل ان يصل اليهم وكان كما اخبر سبحانه فقالوا شغلتنا اموالنا واهلونا عنك فاستغفر لنا وهذا منهم خبث وابطال لانهم قالوا ذلك مصانعة من غير توبة ولا ندم فلذلك قال تعالى يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم ثم قال لنبيه عليه الصلاة والسلام قل لهم فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا اى من يحمى منه اموالكم واهليكم ان اراد بكم فيها سوءا وفى مصحف ابن مسعود ان اراد بكم سوءا ثم رد عليهم بقوله بل كان الله بما تعملون خبيرا ثم فسر لهم العلة التى تخلفوا من اجلها بقوله بل ظننتم الاية وبورا معناه هلكى فاسدين والبوار الهلاك والبور فى لغة ازدعمان الفاسد ثم رجا سبحانه بقوله ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما ثم ان الله سبحانه امر نبيه على ما روى بغزو خيبر ووعده بفتحها واعلمه بان المخلفين اذا راوا مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهود وهم عدو مستضعف طلبوا الكون معه رغبة فى عرض الدنيا والغنيمة فكان كذلك وقوله تعالى يريدون ان يبدلوا كلام الله معناه ان يغيروا وعده لاهل الحديبية بغنيمة خيبر وقال ابن زيد كلام الله هو قوله تعالى لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا قال ابن عطيه وهذا ضعيف لان هذه الاية نزلت فى غزوة تبوك فى اخر عمره صلى الله عليه وسلم وانه هذه السورة نزلت عام الحديبية وايضا فقد غزت جهينة ومزينة بعد هذه المدة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى غزوة الفتح فتح مكة قال الثعلبي وعلى التاويل الاول عامة اهل التاويل وهو اصوب من تاويل ابن زيد وقوله كذلكم قال الله من قبل يريد وعده بالخصاصهم بها وباقى الاية بين قوله سبحانه ستدعون الى قوم اولى باس شديد قال قتادة وغيره هم هوازن ومن حارب النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين وقال الزهرى وغيره هم اهل الردة وبنو حنيفة باليمامة وحكى الثعلبي عن رافع بن خديج انه قال والله لقد كنا نقرا هذه الاية فيما مضى ولا نعلم من هم حتى دعا ابو بكر الى قتال بنى حنيفة فعلمنا انهم هم المراد وقيل هم فارس والروم وقرا الجمهور او يسلمون على القطع اى او هم يسلمون دون حرب قال ابن العربى وكذى تعين قتالهم حتى يسلموا من غير قبول الجزية هم العرب فى اصح الاقوال والمرتدون فاما فارس والروم فلا يقاتلون الى ان يسلموا بل ان بذلوا الجزية قبلت منهم وهذه الا

اخبار بمغيب فهي من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم انتهى من الاحكام وقوله فان تطيعوا
اي فيما تدعون اليه وباقي الاية بين ثم ذكر تعالى اهل الاعذار ورفع الحرج عنهم وهو حكم
ثابت لهم الى يوم القيامة ومع ارتفاع الحرج فجائز لهم الغزو واجرهم فيه مضاعف وقد غزا
ابن ام مكتوم وكان يمسك الراية في بعض حروب القادسية وقد خرج النسائي هذا المعنى وذكر
ابن ام مكتوم رحمه الله قوله عز وجل لقد رضي الله عن المؤمنين الاية تشريف لهم رضي الله عنهم وقد
تقدم القول في المبايعة ومعناها وكان سبب هذه المبايعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اراد ان يبعث الى مكة رجلا يبين لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يريد حربا وانما جاء معتمرا
فبعث اليهم خداش بن امية الخزاعي وحمله صلى الله عليه وسلم على جمل يقال له الثعلب فلما كلمهم
عقروا الجمل وارادوا قتل خداش فمنعته الاحابيش وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاراد بعث
عمر بن الخطاب فقال له عمر يا رسول الله اني اخاف قريشا على نفسي وليس بمكة من بني عدي احد يحميني
ولكن ابعث عثمان فهو اعز بمكة مني فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فلقيه ابان بن سعيد بن العاصي
فنزل عن دابته فحمله عليها واجاره حتى بلغ الرسالة فقالوا له ان شئت يا عثمان ان تطوف بالبيت
فطف به فقال ما كنت لاطوف حتى يطوف به النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الحديبية من مكة على
نحو عشرة اميال فصرخ صارخ من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عثمان فحمي رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمؤمنون وقالوا لا نبرح ان كان هذا حتى نناجز القوم ثم دعا الناس الى البيعة فبايعوه
صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عنها الا الجد بن قيس المنافق وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يده على يده
وقال هذه يد لعثمان وهي خير ثم جاء عثمان سالما والشجرة سمرة كانت هنالك ذهبت بعد سنين وقوله
سبحانه فعلم ما في قلوبهم قال الطبري ومنذر بن سعيد معناه من الايمان وصحته والحب في الدين
والحرص فيه وقرأ الناس واثابهم قال هارون وقد قرئ واتاهم بالتاء بنقطتين والفتح
القريب خيبر والمغانم الكثيرة فتح خيبر قوله تعالى وعدكم الله الاية مخاطبة للمؤمنين ووعد بجميع المغانم
التي اخذها المسلمون ويأخذونها الى يوم القيامة قاله مجاهد وغيره وقوله فعجل لكم هذه يريد
خيبر وقال زيد بن اسلم وابنه المغانم الكثيرة خيبر وهذه اشارة الى البيعة والتخلص من امر
قريش وقاله ابن عباس قوله سبحانه وكف ايدي الناس عنكم قال قتادة يريد كف ايديهم عن اهل
المدينة في مغيب النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولتكون اية اي علامة على نصر المؤمنين وحكى
الثعلبي عن قتادة ان المعنى كف الله غطفان ومن معها حين جاؤوا لنصر خيبر وقيل اراد كف قريش
وقوله سبحانه واخرى لم تقدروا عليها قال ابن عباس الاشارة الى بلاد فارس والروم وقال قتادة
والحسن الاشارة الى مكة وهذا قول يتسق معه المعنى ويتأيد وقوله قد احاط الله بها معناه
بالقدرة والقهر لاهلها اي قد سبق في علمه ذلك وظهر فيها انهم لم يقدروا عليها ت قوله وظهر
فيها الى اخره كلام غير محصل ولفظ الثعلبي واخرى لم تقدروا عليها اي وعدكم فتح بلدة اخرى
لم تقدروا عليها قد احاط الله بها لكم حتى يفتحها عليكم وقال ابن عباس علم الله انه يفتحها لكم قال
مجاهد هو ما فتحوه حتى اليوم ثم ذكر بقية الاقوال انتهى وقوله سبحانه ولو قاتلكم الذين كفروا
يعني كفار قريش في تلك السنة لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا وقوله سبحانه سنة الله اي كسنة
الله اشارة الى وقعة بدر وقيل اشارة الى عادة الله من نصر الانبياء ونصب سنة على المصدر

وقوله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم الاية روي في سببها ان قريشا جمعت جماعة من فتيانها
وجعلوهم مع عكرمة بن ابي جهل وخرجوا يطلبون غرة في عسكر النبي صلى الله عليه وسلم واختلف
الناس في عدد هؤلاء اختلافا متفاوتا فلذلك اختصرته فلما احس بهم المسلمون بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم في اثرهم خالد بن الوليد وسماه يومئذ سيف الله في جملة من الناس ففروا
امامهم حتى ادخلوهم بيوت مكة واسروا منهم جملة فسيقوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فمن عليهم
واطلقهم قال الواحدي وكان ذلك سبب الصلح بينهم انتهى وقوله سبحانه هم الذين كفروا يعني اهل
مكة وصدوكم عن المسجد الحرام اي منعوكم من العمرة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج
من المدينة الى الحديبية في ذي القعدة سنة ست يريد العمرة وتعظيم البيت وخرج معه
بمائة بدنة وقيل بسبعين فاجتمعت قريش لحربه وغوروا المياه التي تقرب من مكة فجاء صلى الله
عليه وسلم حتى نزل على بئر الحديبية ورج ووضع سهمه في الماء فغمر حتى كفى الجيش ثم بعث صلى
الله عليه وسلم اليهم عثمان كما تقدم وبعثوا هم رجالا اخرهم سهيل بن عمرو وبه انعقد الصلح على
ان ينصرف صلى الله عليه وسلم ويعتمر من قابل فهذا صدهم اياه وهو مستوعب في السير والهدي
معطوف على الضمير في صدوكم اي وصدوا الهدي ومعكوفا حال ومعناه محبوسا تقول عكفت الرجل
عن حاجته اذا حبسته وحبس الهدي من قبل المشركين هو بصدهم ومن قبل المسلمين لرؤيتهم ونظرهم
في امرهم لاجل ان يبلغ الهدي محله وهو مكة والبيت وهذا هو حبس المسلمين وذكر تعالى العلة في ان صرف
المسلمين ولم يمكنهم من دخول مكة في تلك الوجهة وهي انه كان بمكة مؤمنون من رجال ونساء خفي
ايمانهم فلو استباح المسلمون بيضتها اهلكوا اولئك المؤمنين قال قتادة فدفع الله عن المشركين
باولئك المؤمنين والوطء هنا الاهلاك بالسيف وغيره ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد
وطأتك على مضر قال ابو حيان ولولا رجال جوابها محذوف لدلالة الكلام عليه اي ما كف ايديكم
عنهم انتهى والمعرة السوء والمكروه اللاحق ماخوذ من العر والعرة وهو الجرب الصعب اللازم واختلف في
تعيين هذه المعرة فقال الطبري وحكاه الثعلبي هي الكفارة وقال منذر المعرة ان يعيبهم الكفار ويقولوا قتلوا
اهل دينهم وقال بعض المفسرين هي الملام والقول في ذلك وتألم النفس منه في باقي الزمان وهذه اقوال حسان
وجواب لولا محذوف تقديره لولا هؤلاء لدخلتم مكة لكن شرفنا هؤلاء المؤمنين بان رحمناهم
ودفعنا بسببهم عن مكة ليدخل الله اي ليتبين للناظر ان الله يدخل من يشاء في رحمته اي ليقع
دخولهم في رحمة الله ودفعه عنهم ت وقال الثعلبي قوله بغير علم يحتمل ان يريد بغير علم ممن تكلم
بهذا والمعرة المشقة ليدخل الله في رحمته اي في دين الاسلام من يشاء من اهل مكة قبل ان يدخلوها
انتهى وقوله تعالى لو تزيلوا اي لو ذهبوا عن مكة تقول زلت زيدا عن موضعه اذا ازلته اي اذهبته
وليس هذا الفعل من زال يزول وقد قيل هو منه وقرأ ابو حيوة وقتادة لو تزايلوا بالف اي ذهب
هؤلاء عن هؤلاء وقال النحاس وقد قيل ان قوله ولولا رجال مؤمنون الاية يريد من في اصلاب
الكافرين ممن سيؤمن في غابر الدهر وحكاه الثعلبي والنقاش عن علي بن ابي طالب عن النبي صلى
الله عليه وسلم مرفوعا والحمية التي جعلوها هي حمية اهل مكة في الصد قال الزهري وهي حمية
سهيل ومن شاهد منهم عقد الصلح وجعلها سبحانه حمية الجاهلية لانها كانت منهم بغير حجة اذ لم يأت
صلى الله عليه وسلم محاربا لهم وانما جاء معتمرا معظما لبيت الله والسكينة هي الطمأنينة الى امر

رسول الله صلى الله عليه وسلم والثقة بوعد الله والطاعة وزوال الأنفة التي لحقت عمر وغيره وكلمة التقوى قال الجمهور هي لا إله إلا الله وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي مصحف ابن مسعود وكانوا أهلها وأحق بها والمعنى كانوا أهلها على الإطلاق في علم الله وسابق قضائه لهم وروى أبو أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا نادى المنادي فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء فمن نزل به كرب أو شدة فليتحين المنادي فإذا كبر كبر وإذا تشهد تشهد وإذا قال حي على الصلاة قال حي على الصلاة وإذا قال حي على الفلاح قال حي على الفلاح ثم يقول اللهم رب هذه الدعوة الصادقة المستجاب لها دعوة الحق وكلمة التقوى أحينا عليها وأمتنا عليها وابعثنا عليها واجعلنا من خيار أهلها أحياء وأمواتا ثم يسأل الله حاجته رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد انتهى من السلاح فقد بين صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث معنى كلمة التقوى على نحو ما فسره الجمهور والصحيح أنه يعوض عن الحيعلة الحوقلة ففي صحيح مسلم ثم قال حي على الصلاة قال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال حي على الفلاح قال لا حول ولا قوة إلا بالله الحديث انتهى وقوله تعالى وكان الله بكل شيء عليما إشارة إلى علمه بالمؤمنين الذين دفع عن كفار قريش بسببهم وإلى علمه بوجه المصلحة في صلح الحديبية فيروى أنه لما انعقد الصلح أمن الناس في تلك المدة الحرب والفتنة وامتزجوا وعلت دعوة الإسلام وانقاد إلى الإسلام كل من له فهم وزاد عدد الإسلام في تلك المدة أضعاف ما كان قبل ذلك قال ع ويقتضي ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في عام الحديبية في أربع عشرة مائة ثم سار إلى مكة بعد ذلك بعامين في عشرة آلاف فارس صلى الله عليه وسلم ت المعروف عشرة آلاف وقوله فارس ذكر ما أظنه يصح فتأمله في كتب السير قوله سبحانه لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الآية روي في تفسيرها أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في منامه عند خروجه إلى العمرة أنه يطوف بالبيت هو وأصحابه بعضهم محلقون وبعضهم مقصرون وقال مجاهد رأى ذلك بالحديبية فأخبر الناس بهذه الرؤيا فوثق الجميع بأن ذلك يكون في وجهتهم تلك فلما صدهم أهل مكة وقد كان سبق في علم الله أن ذلك يكون لكن ليس في تلك الوجهة قال المنافقون وأين الرؤيا ووقع في نفوس بعض المسلمين شيء من ذلك فأجابهم النبي صلى الله عليه وسلم بأن قال وهل قلت لكم يكون ذلك في عامنا هذا أو كما قال ونطق أبو بكر قبل ذلك بنحوه ثم أنزل الله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الآية واللام في لتدخلن لام القسم وقوله إن شاء الله اختلف في هذا الاستثناء فقال بعض العلماء إنما استثنى من حيث أن كل واحد من الناس متى رد هذا الوعد إلى نفسه أمكن أن يتم الوعد فيه وأن لا يتم إذ قد يموت الإنسان أو يمرض لحينه فلذلك استثنى عز وجل في الجملة إذ فيهم ولا بد من يموت أو يمرض ت وقد وقع ذلك حسبما ذكر في السير وقال الحرون هو أخذ من الله تعالى على عباده بأدبه في استعمال الاستثناء في كل فعل ت وقال ثعلب استثنى الله تعالى فيما يعلم ليستثني الخلق فيما لا يعلمون وقيل غير هذا ولما نزلت هذه الآية علم المسلمون أن تلك الرؤيا ستخرج فيما يستأنفونه من الزمان فكان كذلك فخرج صلى الله عليه وسلم في العام المقبل واعتمر قوله سبحانه فعلم ما لم تعلموا يريد ما قدره من ظهور الإسلام في تلك المدة ودخول الناس فيه وقوله من دون ذلك أي من قبل ذلك وفيما يدنو إليكم واختلف في الفتح القريب فقال الكثير من العلماء هو بيعة الرضوان وصلح الحديبية وقال ابن زيد هو فتح خيبر وقوله تعالى محمد رسول الله قال الجمهور محمد هو ابتداء وخبر استوفي فيه تعظيم النبي صلى الله

عليه وسلم وقوله والذين معه ابتداء وخبره أشداء ورحماء خبر ثان وهذا هو الراجح لأنه خبر مضاد لقول الكفار لا نكتب محمد رسول الله والذين معه إشارة إلى جميع الصحابة عند الجمهور وحكى الثعلبي عن ابن عباس أن الإشارة إلى من شهد الحديبية ت ووصف تعالى الصحابة بأنهم رحماء بينهم وقد جاءت أحاديث صحيحة في تراحم المؤمنين حدثنا الشيخ ولي الدين العراقي بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء وأخرج الترمذي من طريق أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تنزع الرحمة إلا من شقي وخرج الترمذي عن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم الناس لا يرحمه الله قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى وهذا الحديث خرجه مسلم عن جرير وخرج مسلم أيضا من طريق أبي هريرة قال من لا يرحم لا يرحم انتهى وبالجملة فأسباب الألفة والتراحم بين المؤمنين كثيرة ولو بأن تلقى أخاك بوجه طلق وكذلك بذل السلام وطيب الكلام فالموفق لا يحتقر من المعروف شيئا وقد روى الترمذي الحكيم في كتاب ختم الأولياء له بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا التقى المسلمان كان أحبهما إلى الله سبحانه أحسنهما بشرا بصاحبه فإذا تصافحا أنزل الله عليهما مائة رحمة تسعون منها للذي بدأ وعشرة للذي صوفح انتهى وقوله تراهم ركعا سجدا أي ترى هاتين الحالتين كثيرا فيهم ويبتغون معناه يطلبون قوله سبحانه سيماهم في وجوههم قال مالك بن أنس كانت جباههم متربة من كثرة السجود في التراب وقاله عكرمة ونحوه لأبي العالية وقال ابن عباس وخالد الحنفي وعطية هو وعد بحالهم يوم القيامة من الله تعالى يجعل لهم نورا من أثر السجود قال ع كما يجعل غرة من أثر الوضوء حسبما في الحديث ويؤيد هذا التأويل اتصال القول بقوله فضلا من الله وقال ابن عباس السمت الحسن هو السيماء وهو خشوع يبدو على الوجه ت من السهر وقال عطاء بن أبي رباح والربيع بن أنس السيماء حسن يعتري وجوه المصلين قال ع ومن هذا الحديث الذي في الشهاب من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار قال ابن عطية وهذا حديث غلط فيه ثابت بن موسى الزاهد سمع شريك بن عبد الله يقول حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر ثم نزع شريك لما رأى ثابتا الزاهد فقال يعنيه من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار فظن ثابت أن هذا الكلام حديث مركب على السند المذكور فحدث به عن شريك ت واعلم أن الله سبحانه جعل حسن الثناء علامة على حسن عقبى الدار والكون في الجنة مع الأبرار جاء ذلك في صحيح الآثار عن النبي المختار ففي صحيح البخاري ومسلم عن أنس قال مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا فقال وجبت فقال عمر ما وجبت فقال هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض انتهى ونقل صاحب الكوكب الدري من مسند البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوشك أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار قالوا بم يا رسول الله قال بالثناء الحسن والثناء السيء انتهى ونقله صاحب كتاب التشوف إلى رجال التصوف وهو الشيخ الصالح أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي عن ابن أبي شيبة ولفظه وخرج أبو بكر بن أبي شيبة أنه قال صلى الله عليه وسلم في خطبته يوشك أن تعرفوا أهل الجنة

ابن عطية وهذه حالة مكثري الصلاة لأنها تنهاهم عن الفحشاء والمنكر وقال الحسن بن أبي الحسن وشمر بن عطية السيما بياض وتبيج يعتري الوجه من السهر

من اهل النار او قال الجار كم من شرار كم قالوا بم يا رسول الله قال بالثناء الحسن والثناء السيء انتم شهداء
الله بعضكم على بعض ومن كتاب المشوف قال خرج البزار عن انس قال قيل يا رسول الله من اهل الجنة
قال من لا يموت حتى تملأ مسامعه مما يحبه قيل فمن اهل النار قال من لا يموت حتى تملأ مسامعه
مما يكره قال وخرج البزار عن ابي هريرة ان رجلا قال يا رسول الله دلني على عمل ادخل به الجنة قال
لا تغضب واتاه اخر فقال متى اعلم اني محسن قال اذا قال جيرانك انك محسن واذا قالوا انك مسيء
فانك مسيء انتهى ونقل القرطبي في تذكرته عن عبد الله بن السائب قال مرت جنازة بابن مسعود فقال لرجل
قم فانظر امن اهل الجنة هو ام من اهل النار فقال الرجل ما يدريني امن اهل الجنة هو ام من اهل النار قال
انظر ما ثناء الناس عليه فانتم شهداء الله في الارض انتهى وبالله التوفيق وبالله نستعين وقوله سبحانه
ذلك مثلهم في التوراة الاية قال مجاهد وجماعة من العلماء وليس المعنى ذلك الوصف هو مثلهم في التوراة
ومثلهم في الانجيل وتم القول وكزرع ابتداء تمثيل وقال الطبري وحكاه عن الضحاك المعنى ذلك الوصف
هو مثلهم في التوراة ثم ابتداء ومثلهم في الانجيل كزرع ت وقيل غير هذا وابينها الاول وما عداه
يفتقر الى سند يقطع الشك وقوله تعالى كزرع على كل قول هو مثل للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
في ان النبي عليه الصلاة والسلام بعث وحده وكان كالزرع حبة واحدة ثم كثر المسلمون فهم كالشطء
وهو فراخ السنبلة التي تنبت حول الاصل يقال اشطأت الشجرة اذا خرجت غصونها واشطأ الزرع
اذا خرج شطأه وحكى النقاش انه قال الزرع النبي صلى الله عليه وسلم فآزره علي بن ابي طالب فاستغلظ
بابي بكر فاستوى على سوقه بعمر بن الخطاب ت وهذا لين الاسناد والمتن كما ترى والله اعلم بصحته وقوله
تعالى فآزره له معنيان احدهما ساواه طولا والثاني ان آزره وأزره بمعنى اعانه وقواه مأخوذ من
الازر وفاعل آزره يحتمل ان يكون الشطء ويحتمل ان يكون الزرع وقوله تعالى ليغيظ بهم الكفار
ابتداء كلام قبله محذوف تقديره جعلهم الله بهذه الصفة ليغيظ بهم الكفار قال الحسن من غيظ
الكفار قول عمر بمكة لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقوله تعالى منهم هي لبيان الجنس وليست للتبعيض
لانه وعد مرج للجميع بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه وسلم تسليما سورة الحجرات مدنية باجماع قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله الاية قال ابن زيد معنى الاية لا تقدموا ولا تمشوا وقرأ ابن عباس والضحاك ويعقوب
بفتح التاء والدال على معنى لا تتقدموا وعلى هذا يجيء تأويل ابن زيد والمعنى على جميع التاويلين بكذ قول الله
ورسوله وروي ان سبب نزول هذه الاية ان وفد بني تميم لما قدم قال ابو بكر الصديق يا رسول الله
لو امرت الاقرع بن حابس وقال عمر لا يا رسول الله بل امر القعقاع بن معبد فقال له ابو بكر ما اردت
الا خلافي فقال ما اردت خلافك وارتفعت اصواتهما فنزلت الاية وذهب بعض قائلي هذه المقالة
الى ان قوله لا تقدموا اي ولاة فهو من تقديم الامراء وعموم اللفظ احسن اي اجعلوه مبدأ في الاقوال
والافعال وعن البخاري وقال مجاهد لا تقدموا لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى يقضي الله عز وجل على لسانه انتهى قوله سبحانه لا ترفعوا اصواتكم الاية هي ايضا في هذا
الفن المتقدم فروي ان سببها ما تقدم عن ابي بكر وعمر والصحيح انها نزلت بسبب عادة
الاعراب من الجفاء وعلو الصوت وكان ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه ممن في صوته
جهارة فلما نزلت هذه الاية اهتم وخاف على نفسه وجلس في بيته لم يخرج وهو كئيب حزين حتى عرف

النبي صلى الله عليه وسلم خبره فبعث فيه فاتاه فاعلمه وقال له امش في الارض بسطا فانك من
اهل الجنة وقال له مرة اما ترضى ان تعيش حميدا وتموت شهيدا فعاش كذلك ثم قتل شهيدا باليمامة
يوم مسيلمة ت وحديث ثابت بن قيس وتبشيره بالجنة خرجه البخاري وكذلك حديث ابي بكر وعمر وارتفاع
اصواتهما خرجه البخاري ايضا انتهى قوله كجهر بعضكم لبعض اي كحالكم في جفائكم فنادوا باسمه
يا محمد يا احمد قاله ابن عباس وغيره فامرهم الله بتوقيره وان يدعوه بالنبوة والرسالة والكلام اللين وكره
العلماء رفع الصوت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وبحضرة العالم وفي المساجد وفي هذه كلها اثار قال
ابن العربي في الاحكام وحرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة
مثل كلامه المسموع من لفظه فاذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ان لا يرفع صوته عليه ولا يعرض عنه
كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه وقد نبه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة على مرور الازمنة بقوله
واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا وكلام النبي صلى الله عليه وسلم هو من الوحي وله من الحرمة مثل ما للقرآن
انتهى قوله تعالى ان تحبط مفعول من اجله اي مخافة ان تحبط ثم مدح سبحانه الذين يغضون اصواتهم
عند رسول الله وغض الصوت خفضه وكسره وكذلك البصر وروي ان ابا بكر وعمر كانا بعد ذلك
لا يكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخي السرار وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتاج مع عمر بعد ذلك
الى استعادة اللفظ لانه كان لا يسمعه من اخفائه اياه وامتحن معناه اختبر وطهر كما يمتحن الذهب
بالنار فيسرها وهي للتقوى وقال عمر بن الخطاب امتحنها للتقوى اذهب عنها الشهوات قال ع من غلبت شهوته
وغضبه فذلك الذي امتحن الله قلبه للتقوى وبذلك تكون الاستقامة وقال البخاري امتحن اخلص
قوله سبحانه ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون نزلت في وفد بني تميم وقولهم
يا محمد اخرج الينا يا محمد اخرج الينا وفي مصحف ابن مسعود اكثرهم بنو تميم لا يعقلون وباقي الاية
بين قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وقرئ فتثبتوا وروي في سبب الاية
ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن ابي معيط الى بني المصطلق مصدقا فلما قرب
منهم خرجوا اليه ففزع منهم وظن بهم شرا فرجع وقال للنبي عليه الصلاة والسلام قد منعوني
الصدقة وطردوني وارتدوا فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وهم بغزوهم فورد وفدهم
منكرين لذلك وروي انه لما قرب منهم بلغه عنهم انهم قالوا لا نعطيه الصدقة ولا نطيعه
فقال ما ذكرناه فنزلت الاية وان تصيبوا معناه مخافة ان تصيبوا قال قتادة وقال النبي صلى الله عليه
وسلم عندما نزلت هذه الاية التثبت من الله والعجلة من الشيطان وقوله سبحانه واعلموا ان فيكم
رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم توبيخ للكذبة والعنت المشقة وقوله تعالى اولئك هم
الراشدون وقوله سبحانه فضلا من الله ونعمة اي كان هذا فضلا من الله ونعمة وكان قتادة رحمه
الله يقول قد قال الله تعالى لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير
من الامر لعنتم وانتم والله اسخف رأيا واطيش احلاما فليتهم رجل نفسه ولينتصح كتاب الله تعالى
وقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما سبب الاية في قول الجمهور ما وقع
بين المسلمين المتحزبين في قضية عبد الله بن ابي ابن سلول حين مر به النبي صلى الله عليه وسلم راكبا على
حمار متوجها الى زيارة سعد بن عبادة في مرضه حسبما هو معلوم في الحديث الطويل ومداهنة
الفئة الباغية ان لا يجهز على جريحها ولا يطلب هاربها متوجهة في كل حال واما النهي لقتالهم فمنع

رجوع من الخطاءات الى الفيئة كما قال ومن اضعف مما
قدم من المحاسن اولئك هم الراشدون

الولاة وقال النبي صلى الله عليه وسلم حكم الله في الفئة الباغية أن لا يجهز على جريحها ولا يطلب هاربها
ولا يقتل أسيرها ولا يقسم فيئها و تفيء معناه ترجع وقرأ الجمهور بين أخويكم وذلك رعاية الحال إذ أقل عدد يقع
فيه القتال والتشاجر وقرأ ابن عامر بين إخوتكم وقرأ عاصم الجحدري بين إخوانكم وهي قراءة حسنة لأن الأكثر
في جمع الأخ في الدين ونحوه من غير النسب إخوان والأكثر في جمعه من النسب إخوة وإخاء وقد تتداخل هذه الجموع
وكلها في كتاب الله وقوله سبحانه يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم الآية هذه الآية والتي بعدها نزلت في خلق
أهل الجاهلية وذلك أنهم كانوا يجرون مع شهوات أنفسهم لم يقومهم أمر من الله ولا نهي فكان الرجل يسخر ويلمز
وينبز بالألقاب ويظن الظنون ويتكلم بها ويغتاب ويفتخر بنسبه إلى غير ذلك من أخلاق النفوس البطالة
فنزلت هذه الآية تأديبا لهذه الأمة وروى البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله كل المسلم على المسلم حرام عرضه
وماله ودمه التقوى هاهنا بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم انتهى و يسخر معناه يستهزئ وقد
يكون ذلك المستهزأ به خيرا من الساخر و القوم في كلام العرب واقع على الذكران وهو من أسماء الجمع ومن
هذا قول زهير نظم وما أدري وسوف إخال أدري ... أقوم آل حصن أم نساء ... وهذه الآية أيضا
تقتضي اختصاص القوم بالذكران وقد يكون مع الذكران نساء فيقال لهم قوم على تغليب حال الذكور و تلمزوا
معناه يطعن بعضكم على بعض بذكر النقائص ونحوه وقد يكون اللمز بالقول وبالإشارة ونحوه مما يفهمه
آخر والهمز لا يكون إلا باللسان وحكى الثعلبي أن اللمز ما كان في المشهد والهمز ما كان في المغيب وحكى الزهراوي عكس
ذلك و قوله تعالى أنفسكم معناه بعضكم بعضا كما قال أن اقتلوا أنفسكم كأن المؤمنين كنفس واحدة إذ هم
إخوة كما قال صلى الله عليه وسلم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى سائره بالسهر والحمى وهم كما قال أيضا
كالبنيان يشد بعضهم بعضا و التنابز التلقب و النبز اللقب يعني المذكور في الآية هو ما يعرف به الإنسان
من الأسماء التي يكره سماعها وليس من هذا قول المحدثين سليمان الأعمش وواصل الأحدب ونحوه مما تدعو
الضرورة إليه وليس فيه قصد استخفاف وأذى وقال ابن زيد معنى ولا تنابزوا بالألقاب أي لا يقل أحد
لأحد يا يهودي بعد إسلامه ولا يا فاسق بعد توبته و قوله سبحانه بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان يحتمل معنيين
أحدهما بئس اسم تكتسبونه بعصيانكم ونبزكم بالألقاب فتكونون فساقا بالمعصية بعد إيمانكم والثاني
بئس قول الرجل يا فاسق بعد إيمانه وعن حذيفة رضي الله عنه قال شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذرب لساني فقال أين أنت من الاستغفار إني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة رواه النسائي واللفظ له وابن
ماجه والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم وفي رواية للنسائي إني لأستغفر الله في اليوم وأتوب إليه
مائة مرة والذرب بفتح الذال والراء هو الفحش انتهى من السلاح ومنه عن ابن عمر قال إن كنا لنعد لرسول الله صلى
الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم رواه أبو داود وهذا
لفظه والترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي حسن صحيح غريب انتهى ثم أمر تعالى المؤمنين
باجتناب كثير من الظن وأن لا يتكلموا بحسبه لما في ذلك وفي التجسس من التقاطع والتدابر وحكم على بعضه
بأنه إثم إذ بعضه ليس بإثم والظن المنهي عنه هو أن تظن شرا برجل ظاهره الصلاح بل الواجب أن تزيل
الظن وحكمه وتتأول الخير قاله ابن عطية وما زال أولو الفضل يحترسون من سوء الظن ويجتنبون
ذرائعه قال النووي واعلم أن سوء الظن حرام مثل القول فكما يحرم أن تحدث غيرك بمساوئ إنسان يحرم
أن تحدث نفسك بذلك وتسيء الظن به وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إياكم والظن فإن الظن أكذب

الحديث والأحاديث بمعنى ما ذكرناه كثيرة والمراد بذلك عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء فأما
الخواطر وحديث النفس إذا لم يستقر ويستمر عليه صاحبه فمعفو عنه باتفاق العلماء لأنه لا اختيار
له في وقوعه ولا طريق له إلى الانفكاك عنه انتهى قال أبو عمر في التمهيد وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال حرم الله من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن لا يظن به إلا خيرا انتهى ونقل في
موضع آخر بسنده أن عمر بن عبد العزيز كان إذا ذكر عنده رجل بفضل أو صلاح قال كيف هو إذا ذكر
عنده إخوانه فإن قالوا إنه ينتقصهم وينال منهم قال عمر ليس هو كما تقولون وإن قالوا إنه يذكر منهم جميلا
وخيرا ويحسن الثناء عليهم قال هو كما تقولون إن شاء الله انتهى من التمهيد وروى أبو داود في سننه عن
أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حسن الظن من حسن العبادة انتهى قوله تعالى ولا تجسسوا
أي لا تبحثوا على مخبآت أمور الناس وادفعوا بالتي هي أحسن واجتزوا بالظواهر الحسنة وقرأ الحسن
وغيره ولا تحسسوا بالحاء المهملة قال بعض الناس التجسس بالجيم في الشر وبالحاء في الخير قال ابن عطية وهكذا
ورد القرآن ولكن قد يتداخلان في الاستعمالات وقد وردت أحاديث صحيحة في هذا الباب لولا الإطالة لجلبناها
و لا يغتب معناه لا يذكر أحدكم من أخيه شيئا هو فيه ويكره سماعه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا
ذكرت ما في أخيك فقد اغتبته وإذا ذكرت ما ليس فيه فقد بهته وفي حديث آخر الغيبة أن تذكر المؤمن
بما يكره قيل وإن كان حقا قال إذا قلت باطلا فذلك هو البهتان وحكى الزهراوي عن جابر عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال الغيبة أشد من الزنا قيل وكيف قال لأن الزاني يتوب فيتوب الله عليه والذي يغتاب لا يتاب
عليه حتى يستحل قال ابن عطية وقد يموت من اغتيب ويأبى وروى أبو داود في سننه عن أنس بن مالك قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم
وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم
انتهى والغيبة مشتقة من غاب يغيب وهي القول في الغائب واستعملت في المكروه ولم يبح في هذا المعنى إلا
ما تدعو الضرورة إليه من تجريح الشهود وفي التعريف بمن استنصح في الخطاب ونحوهم لقول النبي
صلى الله عليه وسلم أما معاوية فصعلوك لا مال له وما يقال في الفسقة أيضا وفي ولاة الجور
ويقصد به التحذير منهم ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أعن الفاجر ترعون اذكروا بما فيه حتى الفاجر م
يعرفه الناس إذا لم تذكروه ت وهذا الحديث خرجه أبو بكر بن الخطيب بسنده عن بهز عن أبيه عن
جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أترعون عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه يحذره الناس ولم يذكر
في سنده مطعنا انتهى ومنه قوله عليه الصلاة والسلام بئس ابن العشيرة ثم مثل تعالى الغيبة بأكل
لحم ابن آدم الميت ووقف تعالى على جهة التوبيخ بقوله أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه
أي فكذلك فاكرهوا الغيبة قال أبو حيان فكرهتموه قيل خبر بمعنى الأمر أي فاكرهوه وقيل على بابه فقال
الفراء فقد كرهتموه فلا تفعلوه انتهى وقد روى البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يرمي رجل
رجلا بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك وفي رواية مسلم من دعا
رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه و في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم إذا
قال الرجل لأخيه كافر فقد باء بها أحدهما انتهى وباقي الآية بين و قوله سبحانه يا أيها الناس إنا خلقناكم من
ذكر وأنثى الآية المعنى يا أيها الناس أنتم سواء من حيث أنتم مخلوقون وإنما جعلتم قبائل لأن تتعارفوا أو
لأن تعرفوا الحقائق وأما الشرف والكرم فهو بتقوى الله تعالى وسلامة القلوب وقرأ ابن مسعود لتعارفوا

بينكم وخيركم عند الله اتقاكم وقرا ابن عباس لتعرفوا ان على وزن تفعلوا بكسر العين وفتح الهمزة
من ان وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يكون اكرم
الناس فليتق الله واما الشعوب فهو جمع شعب وهو اعظم ما يوجد من جماعات الناس مرتبطا بنسب
واحد كمضر وربيعة وحمير وبنو تميم القبيلة ثم العمائر ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة والاسرة
وهما قرابة الرجل الادنون ثم نبه سبحانه على الحذر بقوله ان الله عليم خبير اي بالمتقي الذي يستحق رتبة
الكرم وخرج مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اوحي الي ان تواضعوا حتى لا يفخر
احد على احد ولا يبغي احد على احد وروى ابو داود والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لينتهين
اقوام يفتخرون بابائهم انما هم فحم من جهنم او ليكونن على الله اهون من الجعل الذي يدهده الخراء
بانفه ان الله اذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها انما هو مومن تقي او فاجر شقي كلكم بنو
ادم وادم من تراب انتهى ونقله البغوي في مصابيحه وقوله تعالى قالت الاعراب امنا قال
مجاهد نزلت في بني اسد وهي قبيلة كانت تجاور المدينة اظهروا الاسلام وفي الباطن انما يريدون
المغانم وعرض الدنيا ثم امر الله تعالى نبيه ان يقول لهولاء المدعين للايمان لم تومنوا اي
لم تصدقوا بقلوبكم ولكن قولوا اسلمنا اي استسلمنا والاسلام يقال بمعنيين احدهما الذي يعم
الايمان والاعمال وهو في قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام والذي في قوله عليه الصلاة والسلام
بني الاسلام على خمس والمعنى الثاني للفظ الاسلام هو الاستسلام والاظهار الذي يعتصم به ويحقن الدم
وهذا هو الذي في الاية ثم صرح بان الايمان لم يدخل قلوبهم ثم فتح باب التوبة بقوله وان
تطيعوا الله ورسوله الاية وقرا الجمهور لا يلتكم من لات يليت وهو بمعنى لات وقوله سبحانه
انما المومنون انما هنا حاصرة وقوله ثم لم يرتابوا اي لم يشكوا ثم امر الله تعالى نبيه عليه
الصلاة والسلام بتوبيخهم بقوله اتعلمون الله بدينكم اي بقولكم امنا وهو يعلم منكم خلاف
ذلك لانه العليم بكل شيء وقوله سبحانه يمنون عليك ان اسلموا نزلت في بني اسد ايضا وقرا
ابن مسعود يمنون عليك اسلامهم وقرا ابن كثير وعاصم في رواية والله بصير بما يعملون

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

سورة ق مكية باجماع قوله عز وجل ق والقرآن المجيد قال مجاهد والضحاك وابن زيد
وعكرمة ق اسم الجبل المحيط بالدنيا وهو فيما يزعمون من زمرد خضراء منها خضرة السماء وخضرة
البحر وقيل في تفسيره غير هذا والمجيد الكريم في اوصافه الذي جمع كل معلوة وق مقسم به وبالقران قال
الزجاج وجواب القسم محذوف ق والقران المجيد لتبعثن قال ابن عطية وهذا قول حسن واحسن
منه ان يكون الجواب هو الذي يقع عنه الاضراب بل كانه قال والقرآن المجيد ما ردوا امرك
بحجة ونحو هذا مما لا بد لك من تقديره بعد قدره الزجاج وباقي الايتين مما تقدم في ص
ويونس وغيرهما ثم اخبر تعالى ردا على قولهم بانه سبحانه يعلم ما تاكل الارض من ابن ادم وما
تبقي منه وان ذلك في كتاب والحفيظ الجامع الذي لم يفته شيء وفي الحديث الصحيح ان الارض تاكل
ابن ادم الا عجب الذنب وهو عظم كالخردلة فمنه يركب ابن ادم قال ع وحفظ ما تنقص
الارض انما هو ليعود بعينه يوم القيمة وهذا هو الحق قال ابن عباس والجمهور والمعنى ما تنقص من لحومهم
وابشارهم وعظامهم وقال السدي ما تنقص الارض اي ما يحصل في بطنها من موتاهم وهذا

لات يليت اذا نقص يقال لاته حقه اذا نقصه منه
وقرا ابو عمرو لا يالتكم

قولحسن

قول حسن مضمنه الوعيد والمريج هنا معناه المختلط قاله ابن زيد اي بعضهم يقول ساحر و
بعضهم يقول كاهن وبعضهم شاعر الى غير ذلك من تخليطهم قال ع والمريج المضطرب ايضا وهو
قريب من الاول ومنه مرجت عهودهم ومن الاول مرج البحرين ثم دل تعالى على العبرة بقوله افلم
ينظروا الى السماء الاية وزيناها اي بالنجوم والفروج الفطور والشقوق خلالها واثناءها قاله
مجاهد وغيره ت وقال الثعلبي باثر كلام للكسائي يقول كيف بنيناها بلا عمد وزيناها بالنجوم
وما فيها فتوق والارض مددناها اي بسطناها على وجه الماء انتهى والرواسي الجبال والزوج النوع
والبهيج الحسن المنظر قاله ابن عباس وغيره والمنيب الراجع الى الحق عن فكرة ونظر قال قتادة هو المقبل
الى الله تعالى وخص هذا الصنف بالذكر تشريفا لهم من حيث انتفاعهم بالتبصرة والذكرى حب
الحصيد البر والشعير ونحوه مما هو نبات يحصد قال ابو حيان وحب الحصيد من اضافة
الموصوف الى صفته على قول الكوفيين او على حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه اي حب الزرع
الحصيد على قول البصريين وباسقات حال مقدرة لانها حالة الانبات ليست طوالا انتهى وباسقات
معناه طويلات ذاهبات في السماء والطلع اول ظهور التمر في الكفرى قاله البخاري ونضيد معناه منضود
بعضه على بعض انتهى ووصف البلدة بالميت على تقدير القطر والبلد ثم بين سبحانه موضع
الشبه فقال كذلك الخروج يعني من القبور وهذه الايات كلها انما هي امثلة وادلة على البعث
واصحاب الرس قوم كانت لهم بير عظيمة وهي الرس وكل ما لم يطو من بير او معدن فهو رس
وجاءهم نبي يسمى حنظلة بن سفيان فيما روي فجعلوه في الرس وردموا عليه فاهلكهم الله وقال
الضحاك الرس بير قتل فيها صاحب يس وقيل انهم قوم عاد والله اعلم وقوله كل قال سيبويه
التقدير كلهم الوعيد الذي حق هو ما سبق به القضاء من تعذيبهم وقوله سبحانه افعيينا
توقيف للكفار وتوبيخ والخلق الاول انشاء الانسان من نطفة على التدريج المعلوم وقيل
الخلق الاول آدم واللبس الشك والريب واختلاط النظر والخلق الجديد البعث من القبور وقوله
سبحانه ولقد خلقنا الانسان الاية الانسان اسم جنس وتوسوس معناه تتحدث في فكرها والوسوسة
انما تستعمل في غير الخير وقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد عبارة عن قدرة الله على العبد وكون
العبد في قبضة القدرة والعلم قد احيط به فالقرب هو بالقدرة والسلطان اذ لا ينحجب عن علم الله
لا باطن ولا ظاهر والوريد عرق كبير في العنق ويقال انهما وريدان عن يمين وشمال واما
قوله تعالى اذ يتلقى المتلقيان فقال المفسرون العامل في اذ اقرب ويحتمل عندي ان يكون
العامل فيه فعل مضمر تقديره اذكر اذ يتلقى المتلقيان والمتلقيان الملكان الموكلان بكل انسان ملك
اليمين الذي يكتب الحسنات وملك الشمال الذي يكتب السيئات قال الحسن الحفظة اربعة اثنان
بالنهار واثنان بالليل قال ع ويويد ذلك الحديث الصحيح يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل
وملائكة بالنهار الحديث بكماله ويروى ان ملك اليمين امين على ملك الشمال وان العبد
اذا اذنب يقول ملك اليمين للآخر تثبت لعله يتوب رواه ابراهيم التيمي وسفيان الثوري و
قعيد معناه قاعد وقوله سبحانه ما يلفظ من قول الاية قال الحسن بن ابي الحسن وقتادة
يكتب الملكان جميع الكلام فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير ذلك هذا هو ظاهر هذه
الاية قال ابو الجوزاء ومجاهد يكتب عليه كل شيء حتى انينه في مرضه وقال عكرمة يكتب الخير

الحسن

والشرفا ل ع والاول اصوب ت وروى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل شيء
يتكلم به ابن ادم فانه مكتوب عليه اذا اخطأ خطيئة فاحب ان يتوب الى الله فليأت فليمدد
يديه الى الله تعالى عز وجل ثم يقول اللهم اني اتوب اليك منها لا ارجع فيها ابدا فانه يغفر له ما لم يرجع

في عمله ذلك رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين يعني البخاري ومسلما انتهى قال النووي رحمه الله ينبغي لكل مكلف ان يحفظ لسانه عن جميع

الكلام الا كلاما تظهر مصلحته ومتى استوى الكلام وتركه بالمصلحة فالسنة الامساك فانه
قد ينجر الكلام المباح الى حرام او مكروه وهذا هو الغالب والسلامة لا يعدلها شيء وقد صح عنه صلى الله عليه
وسلم فيما رواه البخاري ومسلم انه قال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وهو نص
صريح فيما قلناه قال وروينا في كتاب الترمذي وابن ماجة عن النبي صلى الله عليه وسلم من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه قال الترمذي حديث حسن وفيه عن عقبة بن عامر قلت
يا رسول الله ما النجاة قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك قال الترمذي
حديث حسن وفيه عنه صلى الله عليه وسلم قال من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل
الجنة قال الترمذي حديث حسن انتهى والرقيب المراقب والعتيد الحاضر وقوله وجاءت عطف عندي
على قوله اذ يتلقى فالتقدير واذ جاءت سكرة الموت ت قال الشيخ زين الدين العراقي في ارجوزته
وسكرة الموت اختلاط العقل تبينا انتهى وقوله بالحق معناه بلقاء الله وفقد الحياة الدنيا وفراق
الحياة حق يعرفه الانسان ويحيد منه بامله ومعنى هذا الحيد انه يقول اعيش كذا وكذا فمتى فكر
حاد بذهنه وامله الى مسافة بعيدة من الزمان وهذا شأن الانسان حتى يفجأه الاجل قال عبد الحق في
العاقبة ولما احتضر مالك بن انس ونزل به الموت قال لمن حضره ليعاين الناس غدا من عفو الله وسعة
رحمته ما لم يخطر على قلب بشر كشف له رضي الله عنه من سعة رحمة الله وكثرة عفوه وعظيم
تجاوزه ان قال هذا وقال ابو سليمان الداراني دخلنا على عابد نزوره وقد حضره الموت وهو يبكي فقلنا له
ما يبكيك رحمك الله فانشأ يقول شعر وحق لمثلي بالبكاء عند موته • ومالي لا ابكي واجلي قد اقترب
ولي عمل في اللوح احصاه خالقي • فان لم يجد بالعفو صرت الى العطب انتهى ويوم الوعيد هو يوم
القيامة والسائق الحاث على السير واختلف الناس في السائق والشهيد فقال عثمان بن عفان وغيره هما ملكان
موكلان بكل انسان احدهما يسوقه والاخر من حفظته يشهد عليه وقال ابو هريرة السائق ملك
والشهيد العمل وقيل الشهيد الجوارح وقال بعض النظار السائق اسم جنس وشهيد كذلك فالساقة للناس
ملائكة يوكلون بذلك والشهداء الحفظة في الدنيا وكل ما يشهد وقوله سبحانه كل نفس يعم الصالحين
وغيرهم فانما معنى الآية شهيد بخيره وشره ويقوى في شهيد اسم الجنس فتشهد الملائكة والبقاع
والجوارح وفي الصحيح لا يسمع مدى صوت المؤذن انس ولا جن ولا شيء الا شهد له يوم القيامة قوله
سبحانه لقد كنت قال ابن عباس وغيره اي يقال للكافر لقد كنت في غفلة من هذا فلما كشف الغطاء
عنك الان احتد بصرك اي بصيرتك وهذا كما تقول فلان حديد الذهن ونحوه وقال مجاهد
هو بصر العين اي احتد التفاته الى ميزانه وغير ذلك من اهوال القيامة والوجه عندي في هذه الآية
ما قاله الحسن وسالم بن عبد الله انها مخاطبة للانسان ذي النفس المذكورة من مؤمن وكافر
وهكذا قال الفخر قال والاقوى ان يقال هو خطاب عام مع السامع كانه يقول ذلك ما كنت
منه تحيد ايها السامع انتهى وينظر الى كشف الغطاء قول النبي صلى الله عليه وسلم الناس نيام
فاذا ماتوا انتبهوا قوله تعالى وقال قرينه هذا ما لدي عتيد قال جماعة من المفسرين يعني قرينه

من زبانية

من زبانية جهنم اي قال هذا العذاب الذي لدي لهذا الكافر حاضر وقال قتادة وابن زيد بل قرينه الملك
يسوقه قال ع ولفظ القرين اسم جنس فسائقه قرين وصاحبه من الزبانية قرين وكاتب سيئاته
في الدنيا قرين والكل تحتمله هذه الآية اي هذا الذي احصيته عليه عتيد لدي وهو موجب عذابه
والقرين الذي في هذه الآية غير القرين الذي في قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته اذ المقارنة تكون
على انواع وقوله سبحانه القيا في جهنم كل كفار عنيد المعنى يقال القيا في جهنم واختلف لمن يقال ذلك فقال جماعة
هو قول للملكين من ملائكة العذاب وقال عبد الرحمن بن زيد هو قول للسائق والشهيد وقال جماعة
من اهل العلم باللغة هذا جار على عادة كلام العرب الفصيح ان يخاطب الواحد بلفظ الاثنين ووجه ذلك
ان العرب كان الغالب عندها ان يترافقوا في الاسفار ونحوها ثلاثة فكل واحد منهم يخاطب اثنين فكثر
ذلك في اشعارها وكلامها حتى صار عرفا في المخاطبة فاستعمل في الواحد ومن هذا قولهم في الاشعار خليلي وصاحبي
وقفا نبك ونحوه وقال بعض المتأولين المراد القين فعوض من النون الف وقرأ الحسن بن ابي الحسن
القين بنون الياء وعنيد معناه عاند عن الحق اي منحرف عنه وقوله تعالى مناع للخير لفظ عام للمال
والكلام الحسن والمعاونة على الاشياء ومعتد معناه بلسانه ويده وقوله سبحانه الذي جعل مع الله
الآية يحتمل ان يكون الذي بدلا من كفار او صفة له ويقوى عندي ان يكون الذي ابتداء ويتضمن
القول في بني ادم والشياطين المغوين لهم في الدنيا ولذلك تحرك القرين الشيطان المغوي فرام ان
يبرئ نفسه ويخلصها بقوله ربنا ما اطغيته وقوله ربنا ما اطغيته ليست بحجة لانه كذب
ان نفى الاطغاء عن نفسه جملة وهو قد اطغاه بالوسوسة والتزيين واطغاه الله بالخلق والاختراع
حسب سابق قضائه الذي هو عدل منه سبحانه لا رب غيره وقوله سبحانه لا تختصموا الذي معناه قال الله
لا تختصموا لدي بهذا النوع من المقاولة التي لا تفيد شيئا وقد قدمت اليكم بالوعيد وهو ما جاءت
به الرسل والكتب وجمع الضمير لانه مخاطبة لجميع القرناء اذ هو امر شائع لا يقف على اثنين فقط
وقوله سبحانه ما يبدل القول لدي اي لا ينقض ما ابرمه كلامي من تعذيب الكفرة ثم ازال سبحانه موضع
الاعتراض بقوله وما انا بظلام للعبيد اي هذا عدل فيهم لاني انذرت وامهلت وانعمت
وقرأ الجمهور يوم نقول بالنون وقرأ نافع وعاصم في رواية ابي بكر بالياء وهي قراءة اهل المدينة قال
ابن عطية والذي يترجح في قول جهنم هل من مزيد انها حقيقة وانها قالت ذلك وهي غير ملأى وهو
قول انس بن مالك ويبين ذلك الحديث الصحيح وهو قوله صلى الله عليه وسلم يقول الله لجهنم هل
امتلأت وتقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط وينزوي بعضها الى بعض ولفظ
البخاري عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت
بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم فقال الله للجنة انت
رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي وقال للنار انما انت عذابي اعذب بك من اشاء من عبادي ولكل واحدة
منهما ملؤها فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع فيقول قط قط فهنالك تمتلئ وينزوي بعضها الى بعض ولا
يظلم الله عز وجل من خلقه احدا واما الجنة فان الله ينشئ لها خلقا انتهى قال ع ومعنى قدمه
ما قدم لها من خلقه وجعلهم في علمه ساكنيها ومنه ان لهم قدم صدق عند ربهم ومال الكلام
في هذا الحديث ان الجارحة والتشبيه وما جرى مجراه منتف كل ذلك عن الله سبحانه فلم يبق الا اخراج
اللفظ على الوجوه السائغة في كلام العرب وازلفت الجنة معناه قربت ولما احتمل ان يكون معناه

ان يكون بالوعد والاخبار رفع الاحتمال بقوله غير بعيد اي فكانا غير بعيد فهو منصوب على الظرف
وقيل منصوب على الحال من الجنة انتهى وقوله سبحانه هذا ما توعدون يحتمل ان يكون معناه يقال
لهم في الآخرة عند ازلاف الجنة هذا الذي كنتم توعدون في الدنيا ويحتمل ان يكون خطابا للامة اي
هذا ما توعدون ايها الناس لكل اواب حفيظ والاواب الرجاع الى الطاعة والى مراشد نفسه
وقال ابن عباس وعطاء الاواب المسبح من قوله يا جبال اوبي معه وقال المحاسبي هو الراجع بقلبه الى ربه وقال
عبيد بن عمير كنا نتحدث انه الذي اذا قام من مجلسه استغفر الله مما جرى في ذلك المجلس وكذلك
كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل والحفيظ معناه لاوامر الله فيمتثلها ولنواهيه فيتركها وقال ابن
عباس الحفيظ لذنوبه حتى يرجع عنها والمنيب الراجع الى الخير المائل اليه قال الداودي وعن قتادة بقلب
منيب قال المقبل مقبل على الله سبحانه انتهى وقوله تعالى ادخلوها اي يقال لهم ادخلوها وقوله
عز وجل لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد خبر بانهم يعطون آمالهم اجمع ثم ابهم تعالى الزيادة
التي عنده للمؤمنين المتنعمين وكذلك هي مبهمة في قوله تعالى الزيادة فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من
قرة اعين وقد فسر ذلك الحديث الصحيح وهو قوله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه
قال ع وقد ذكر الطبري وغيره في تعيين هذا المزيد احاديث مطولة واشياء ضعيفة لان الله تعالى
يقول فلا تعلم نفس ما اخفي لهم وهم يعينونها تكلفا وتعسفا وقوله سبحانه فنقبوا في البلاد
اي ولجوا البلاد من انقابها طمعا في النجاة من الهلاك هل من محيص اي لا محيص لهم وقرأ ابن عباس
وغيره فنقبوا على الامر لهؤلاء الحاضرين ت وعبارة البخاري فنقبوا ضربوا وقال الداودي وعن
ابن عيينة فنقبوا في البلاد طافوا وتباعدوا انتهى وقوله تعالى ان في ذلك يعني اهلاك من مضى لذكرى
اي تذكرة والقلب عبارة عن العقل اذ هو محله والمعنى لمن كان له قلب واع ينتفع به وقال
معناه قلب حاضر مع الله لا يغفل عنه طرفة عين وقوله تعالى او القى السمع وهو شهيد معناه صرف
سمعه الى هذه الانباء الواعظة واثبته في سماعها وهو شهيد قال بعض المتأولين معناه وهو
مشاهد مقبل على الامر غير معرض ولا مفكر في غير ما يسمع ت ولفظ البخاري او القى السمع
اي لا يحدث نفسه بغيره شهيد اي شاهد بالقلب انتهى قال المحاسبي في رعايته وقد
ان لحضك على حسن الاستماع لتدرك به الفهم عن الله عز وجل في كل ما دعاك اليه فانه تعالى اخبرنا في كتابه ان
من استمع كما يحب الله ويرضى كان له فيما يستمع اليه ذكرى يعني اتعاظا واذا سمى الله عز وجل لاحد من
خلقه شيئا فهو كما سمى وهو واصل اليه كما اخبر قال عز وجل ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
او القى السمع وهو شهيد قال مجاهد شاهد القلب لا يحدث نفسه بشيء ليس بغائب القلب فمن استمع
الى كتاب الله عز وجل او الى حكمة او الى علم او الى عظة لا يحدث نفسه بشيء غير ما يستمع اليه قد
اشهد قلبه ما استمع اليه يريد الله عز وجل به كان له فيه ذكرى لان الله تعالى قال ذلك فهو كما
قال عز وجل انتهى كلام المحاسبي وهو در نفيس فحصله واعمل به ترشد وقد وجدناه كما قال
وبالله التوفيق وقوله سبحانه ولقد خلقنا السموات والارض الآية خبر مضمنه الرد على اليهود الذين قالوا
ان الله خلق الاشياء كلها ثم استراح يوم السبت فنزلت وما مسنا من لغوب واللغوب الاعياء
والنصب وقوله تعالى فاصبر على ما يقولون اي ما يقوله الكفرة من اهل الكتاب وغيرهم وعم بذلك

جميع

بذلك جميع الاقوال الزائغة من قريش وغيرهم وسبح معناه صل باجماع من المتأولين ت وفي الاجماع
نظر وقد قال الثعلبي وسبح بحمد ربك اي قل سبحان الله والحمد لله قاله عطاء الخراساني انتهى ولكن المخرج في
الصحيح انما هو الصلاة وقال ابن العربي في احكامه قوله تعالى ومن الليل فسبحه فيه اربعة اقوال
احدها انه تسبيح الله في الليل ويعضد هذا القول الحديث الصحيح من تعار من الليل فقال لا اله الا الله
الحديث وقد ذكرناه في سورة المزمل والثاني انها صلاة الليل والثالث انها ركعتا الفجر والرابع انها
صلاة العشاء الآخرة انتهى وقوله بحمد ربك الباء للاقتران اي سبح سبحة يكون معها حمد وقبل طلوع
الشمس هي الصبح وقبل الغروب هي العصر قاله ابن زيد والناس وقال ابن عباس الظهر والعصر ومن الليل
ومن الليل هي صلاة العشاءين وقال ابن زيد هي العشاء فقط وقال مجاهد هي صلاة الليل وقوله
وادبار السجود قال عمر بن الخطاب وجماعة هي الركعتان بعد المغرب واسنده الطبري عن ابن عباس عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ع كانه روعي ادبار صلاة النهار كما روعي ادبار النجوم في صلاة الليل وقال ابن عباس ايضا
وابن زيد ومجاهد هي النوافل اثر الصلاة وهذا جار مع لفظة الآية وقرأ نافع وابن كثير
وحمزة وادبار بكسر الهمزة وهو مصدر وقرأ الباقون بفتحها وهو جمع دبر كطنب واطناب
اي وفي ادبار السجود اي في اعقابه وقوله سبحانه واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب
استمع بمنزلة وانتظر وانما الآية في معنى الوعيد للكفار وهذا كما تقول لمن تدعه بورود فتح
استمع كذا وكذا اي كن منتظرا له مستمعا له فعلى هذا فنصب يوم انما هو على المفعول الصريح
وقوله سبحانه من مكان قريب قيل وصفه بالقرب من حيث يسمع جميع الخلق وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان ملكا ينادي من السماء ايتها الاجسام الهامدة والعظام البالية والرمم الذاهبة هلمي
الى الحشر والوقوف بين يدي الله عز وجل والصيحة هي صيحة المنادي والخروج هو من القبور ويومه
هو يوم القيامة ويوم الخروج في الدنيا هو يوم العيد وقوله تعالى ذلك حشر علينا يسير معادل
لقول الكفرة ذلك رجع بعيد وقوله سبحانه نحن اعلم بما يقولون وعيد محض للكفرة وقوله سبحانه
وما انت عليهم بجبار قال الطبري وغيره معناه وما انت عليهم بمسلط تجبرهم على الايمان وقال
قتادة هو نهي من الله عن التجبر والمعنى وما انت عليهم بمتعظم من الجبروت وروي ان ابن عباس
ان المؤمنين قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقرآن من يخاف وعيدي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

تفسير سورة والذاريات

وهي مكية باجماع المفسرين قوله عز وجل والذاريات ذروا الآية اقسم الله
عز وجل بهذه الآية المخلوقات تنبيها عليها وتشريفا لها ودلالة على الاعتبار فيها حتى يصير الناظر فيها الى
توحيد الله عز وجل فقوله والذاريات هي الرياح باجماع وذروا نصب على المصدر والحاملات وقرا
قال علي هي السحاب وقال ابن عباس وغيره هي السفن الموقورة بالناس وامتعتهم وقال جماعة من
العلماء هي ايضا مع هذا جميع الحيوان الحامل وفي جميع ذلك معتبر والجاريات يسرا قال علي
وغيره هي السفن في البحر وقال آخرون هي السحاب وقال آخرون هي الكواكب قال ع واللفظ يقتضي
جميع هذا ويسرا نعت لمصدر محذوف وصفا للمصادر المحذوفة نحو دلالا او يسرا معناه
بسهولة والمقسمات امرا الملائكة والامر هنا اسم جنس فكانه قال والجماعات التي تقسم امور الملكوت
من الارزاق والآجال والخلق في الارحام وامر الرياح والجبال وغير ذلك لان كل هذا انما هو

بملائكة تخدمه وانث المقسمات من حيث اراد الجماعات وهذا القسم واقع على قوله انما توعدون لصادق الآية وتوعدون يحتمل ان تكون من الوعد ويحتمل ان يكون من الايعاد وهو اظهر والدين الجزاء وقال مجاهد الحساب ثم اقسم تعالى بمخلوق اخر فقال والسماء ذات الحبك والحبك الطرائق التي هي على نظام في الاجرام ويقال لما تراه من الطرائق في الماء والرمل اذا اصابته الريح حبك ويقال للتكسر الشعر حبك وكذلك في المنسوجات من الاكسية وغيرها طرائق في موضع تداخل الخيوط هي حبك وذلك الجودة خلقة السماء ولذلك فسرها ابن عباس وغيره بذات الخلق الحسن وقال الحسن حبكها كواكبها وقوله سبحانه انكم لفي قول مختلف يحتمل ان يكون خطابا بالجميع كالناس اي منكم مؤمن بمحمد ومنكم مكذب له وهو قول قتادة ويحتمل ان يكون خطابا للكفرة فقط لقول بعضهم شاعر وبعضهم كاهن وبعضهم ساحر الى غير ذلك وهذا قول ابن زيد ويوفك معناه يصرف اي يصرف من الكفار عن كتاب الله من صرف ممن غلبت عليه شقوته وعرف الاستعمال في الافك انما هو في الصرف من خير الى شر وقوله تعالى قتل الخراصون دعاء عليهم كما تقول قاتلك الله تعالى وقال بعض المفسرين معناه لعن الخراصون وهذا تفسير لا يعطيه اللفظ ت والظاهر ما قاله هذا المفسر قال عياض في الشفا ومحمد بن الفضل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله انى يؤفكون اي لعنهم الله انتهى وقد تقدم للشيخ عند قوله تعالى عليهم دائرة السوء قال كل ما كان بلفظ دعاء من جهة الله عز وجل فانما هو بمعنى ايجاب الشيء لان الله تعالى لا يدعو على مخلوقاته انتهى بلفظه وظاهره مخالف لما هنا وسيبينه في سورة البروج والخراص المخمن القائل بظنه والاشارة الى مكذبي النبي صلى الله عليه وسلم والغمرة ما يغشى الانسان ويغطيه بغمرة الماء وساهون معناه عن وجوه النظر وقوله تعالى يسالون ايان يوم الدين اي يوم الجزاء وذلك منهم على جهة الاستهزاء وقوله يوم هم على النار يفتنون ويفتنون معناه يحرقون ويعذبون في النار قاله ابن عباس والناس وفتنت الذهب احرقته وذوقوا فتنتكم اي حرقكم وعذابكم قاله قتادة وغيره ان المتقين في جنات وعيون الآية روى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا لما به الباس قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى وقوله سبحانه في المتقين اخذين ما اتاهم ربهم اي محصلين ما اعطاهم ربهم سبحانه من جناته ورضوانه وانواع كراماته انهم كانوا قبل ذلك في الدنيا محسنين بالطاعات والعمل الصالح ت وروى الترمذي عن سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو ان ما يقل ظفر مما في الجنة بدا لتزخرف له ما بين خوافق السموات والارض ولو ان رجلا من اهل الجنة اطلع فبدا اساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم انتهى ومعنى قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ان نومهم كان قليلا لاشتغالهم بالصلاة والعبادة والهجوع النوم وقد قال الحسن في تفسير هذه الآية كابدوا قيام الليل لا ينامون منه الا قليلا واما اعراب الآية فقال الضحاك في كتاب الطبري ما يقتضي ان المعنى كانوا قليلا في عددهم وتم خبر كان ثم من الليل ما يهجعون فما نافية وقليلا وقف حسن وقال جمهور النحويين ما مصدرية وقليلا خبر كان والمعنى كانوا قليلا من الليل هجوعهم وعلى هذا الاعراب يجيء قول الحسن وغيره وهو الظاهر وعندي ان المراد كان هجوعهم من الليل قليلا قيل لبعض التابعين مدح الله قوما كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ونحن قليلا من الليل ما نقوم فقال رحم الله امرأ رقد اذا نعس واطاع ربه اذا استيقظ وقوله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون قال الحسن معناه يدعون في طلب المغفرة وروي ان ابواب الجنة تفتح

سحر كل ليلة قال ابن زيد السحر السدس الاخر من الليل والباء في قوله بالاسحار بمعنى في قاله ابو البقاء انتهى من كلام ابن الجوزي في المنتخب يا اخي علامة المحبة طلب الخلوة بالحبيب وبيداء الليل فلوات الخلوات لما استتروا في الليل بظلام الدجى غيرة ان يطلع عليهم الغير سترهم سبحانه بستر فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين لما صفت خلوات الدجى ونادى اذان الوصال اقم فلانا واقم فلانا اخرجت بالاسماء الجرائد وفاز الاحباب بالفوائد وانت غافل راقد آه لو كنت معهم اسفا لك لو رايتهم لو ابصرت طلائع الصديقين في اول القوم او شاهدت ساقة المستغفرين في الركب وسمعت استغاثة المحبين في وسط الليل لو رايتهم يا غافل وقد دارت رؤوس المناجاة بين مزاهر التلاوات فاسكرت قلب الوجد ورقمت في مصحفه الوجنات لو تعرفهم بسيماهم يا طويل النوم فاتتك مدحة تتجافى وحرمت منحة والمستغفرين يا هذا ان الله تعالى ريحا تسمى الريح الصبيحة مخزونة تحت العرش تهب عند الاسحار فتحمل الدعاء والانين والاستغفار الى حضرة العزيز الجبار انتهى وفي اموالهم حق الآية الصحيح انها محكمة وان هذا الحق هو على وجه الندب ومعلوم يراد به متعارف وكذلك قيام الليل الذي مدح به ليس من الفرائض واكثر ما تقع الفضيلة بفعل المندوبات والمحروم هو الذي تبعد عنه ممكنات الرزق بعد قربها منه فيناله حرمان وفاقة وهو مع ذلك لا يسال فهذا هو الذي له حق في اموال الاغنياء كما للسائل حق وما وقع من ذكر الخلاف فيه فيرجع الى هذا وبعد هذا التحديد والتقدير فكونوا ايها الناس منهم وعلى طريقهم وفي الارض آيات لمن اعتبر وايقن وقوله سبحانه وفي انفسكم احالة النظر في شخص الانسان وما فيه من العبر وامر النفس وحياتها ونطقها واتصال هذا الجزء منها بالعقل قال ابن زيد انما القلب مضغة في جوف ابن آدم جعل الله فيه العقل افيدري احد ما ذلك العقل وما صفته وكيف هو ت قال ابن العربي في رحلته اعلم ان معرفة العبد نفسه من اولى ما عليه واكد اذ لا يعرف ربه الا من عرف نفسه قال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وغير ما آية في ذلك ثم قال ولا ينكر عاقل وجود الروح من نفسه وان كان لم يدرك حقيقته كذلك ولا يقدر ان ينكر وجود الباري سبحانه الذي دلت افعاله عليه وان لم يدرك حقيقته انتهى وقوله سبحانه وفي السماء رزقكم قال مجاهد وغيره هو المطر قال واصل الاخذ اراد القضاء والقدر اي الرزق عند الله ياتي به كيف شاء سبحانه لا رب غيره وما توعدون يحتمل ان يكون من الوعد ويحتمل ان يكون من الوعيد قال الضحاك المراد من الجنة والنار وقال مجاهد المراد الخير والشر وقال ابن سيرين المراد الساعة ثم اقسم سبحانه بنفسه على صحة هذا القول والخبر وشبهه في اليقين به بالنطق من الانسان وهو عنده في غاية الوضوح وما زائدة تعطي تاكيدا والنطق في هذه الآية هو الكلام بالحروف والاصوات في ترتيب المعاني وروي ان بعض الاعراب الفصحاء سمع هذه الآية فقال من احوج الكريم الى ان يحلف والحكاية بتمامها في كتاب الثعلبي وسبل الخيرات وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله قوما اقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدقوه وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو فر احدكم من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت واحاديث الرزق كثيرة ومن كتاب القصد الى الله سبحانه للمحاسبي قال قلت لشيخنا من اين وقع الاضطراب في القلوب وقد جاء بها الضمان من الله عز وجل قال من وجهين احدهما قلة المعرفة بحسن الظن والقاء التهمة عن الله عز وجل والوجه الثاني ان يعارضها خوف الفوت فتستجيب النفس للداعي ويضعف اليقين

ويعدم الصبر فيظهر الجزع قلت شئ عز هذا قال نعم ان الله عز وجل وعد الارزاق وضمن وغيب الاوقات
ليختبر اهل العقول ولولا ذلك لكان كل المؤمنين راضين صابرين متوكلين لكن الله عز وجل اعلمهم
انه رازقهم وحلف لهم على ذلك وغيب عنهم اوقات العطا فمن ههنا عرف الخاص من العام وتفاوت
العباد فى الصبر والرضى واليقين والتوكل والسكون فمنهم كما علمت ساكن ومنهم متحرك ومنهم راض ومنهم
ساخط ومنهم جزع فعلى قدر ما تفاوتوا فى المعرفة تفاوتوا فى اليقين تفاوتوا فى السكون والرضى
والصبر والتوكل انتهى وقوله سبحانه هل اتاك حديث ضيف ابراهيم الاية قد تقدم قصصها وعليم اى عالم وهو
اسحق عليه السلام ت ولنذكر هنا شيئا من الاثار فى اداب الطعام قال النووى روى ابن السنى بسنده عن
النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول فى الطعام اذا قرب اليه اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب
النار بسم الله انتهى وفى صحيح مسلم عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى
عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشا واذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند
دخوله قال الشيطان ادركتم المبيت واذا لم يذكر الله عند طعامه قال ادركتم المبيت والعشا وفى صحيح مسلم
عنه صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان يستحل الطعام ان لا يذكر اسم الله عليه الحديث انتهى والصرة
الصيحة وكذا فسره ابن عباس وجماعة قال الطبرى عن بعضهم قالت اوه بصياح وتعجب وقال
النحاس فى صرة فى جماعة نسوة وقوله فصكت وجهها معناه ضربت وجهها اشهر ما سمعت وقال سفيان وغيره ضربت بكفها جبهتها وهذا مستعمل فى الناس حتى الان وقولهم كذلك
قال ربك اى كقولنا الذى اخبرناك وقوله تعالى حجارة من طين بيان يخرج من معنى الحجارة التى هى بردا ويروى انه طين طبخ فى نار جهنم حتى صار حجارة كالاجر ومسومة نعت للحجارة ثم
اخبر تعالى انه اخرج بامره من كان فى قرية لوط من المؤمنين منجيا لهم واعاد الضمير على القرية
وان لم يجر لها قبل ذلك ذكر لشهرة امرها قال المفسرون لا فرق بين تقدم ذكر المؤمنين و
تاخره وانما هما وصفان ذكرهما ولا باحدهما ثم اخرا بالثانى قيل فلا دلالة على ان الايمان
هو الاسلام قال ع ويظهر لى ان فى المعنى زيادة تحسن التقديم للايمان وذلك انه ذكره مع الاخراج
من القرية كانه يقول نقد امرنا باخراج كل مؤمن ولا يشترط فيه ان يكون عاملا بالطاعات
بل التصديق بالله فقط ثم لما ذكر الموجودين ذكرهم بالصفة التى كانوا عليها وهى الكاملة
التصديق والاعمال والبيت من المسلمين هو بيت لوط عليه السلام وكان هو وابنتاه فى كتاب
الثعلبى وقيل لوط واهل بيته ثلاثة عشر وهلكت امراته فهى من اهلك وهذه القصة ذكرت على جهة
ضرب المثل لقريش وتحذير ان يصيبهم مثل ما اصاب هولاء وقوله وتركنا فيها اى فى القرية
وهى سدوم اية قال ابو حيان وفى موسى اى وفى قصة موسى وقوله سبحانه فى فرعون فتولى بركنه
اى اعرض عن امر الله وركنه هو سلطانه وجنده وشدة امره وقول فرعون فى موسى ساحر او
مجنون هو تقسيم ظن ان موسى لابد ان يكون احد هذين القسمين وقال ابو عبيدة او هنا
بمعنى الواو وهذا ضعيف لا داعية اليه فى هذا الموضع وقوله ما تذر من شئ اتت عليه الا جعلته
كالرميم والرميم هو الفانى المتقطع يبسا او قدما من الاشجار والورق والعظام وروى فى حديث ان
تلك الريح كانت تهب على الناس فيهم العادى وغيره فتنتزع العادى من بين الناس وتذهب به
وقوله سبحانه وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام وهو قول الفرا وقوله فاخذتهم

الصاعقة وهم ينظرون اى يبصرون بعيونهم وهذا قول الطبرى ويحتمل ان يريد وهم
ينظرون فى تلك الايام الثلاث وهذا قول مجاهد فما استطاعوا من قيام اى من مصارعهم
قاله بعض المفسرين وقال قتادة وغيره معناه من قيام بالامر النازل بهم ولا دفعه عنهم
وقوم نوح بالنصب وهو عطف اما على الضمير فى فاخذتهم اذ هو بمنزلة اهلكتهم
واما على الضمير فى قوله فنبذناهم وقوله والسماء نصب باضمار فعل تقديره وبنينا السماء
بنيناها وبايد القوة قاله ابن عباس وغيره وانا لموسعون اى فى بناء السماء اى جعلناها
واسعة قاله ابن زيد ابو البقا فنعم الماهدون اى نحن فحذف المخصوص انتهى وقوله سبحانه
ومن كل شئ خلقنا زوجين قال مجاهد معناه ان هذه اشارة الى المتضادات والمتقابلات من الاشيا
كالليل والنهار والشقوة والسعادة والهدى والضلال والسماء والارض والسواد والبياض والصحة
والمرض والايمان والكفر ونحو هذا ورجحه الطبرى بانه ادل على القدرة التى توجد الضدين
وقال ابن زيد هى اشارة الى الانثى والذكر من كل حيوان قلت والاول احسن لشموله لما ذكره
ابن زيد وقوله سبحانه ففروا الى الله الاية امر بالدخول فى الايمان وطاعة الرحمن ونبه بلفظ الفرار
على ان وراء الناس عقابا وعذابا يفر منه فجمعت لفظة فروا بين التحذير والاستدعاء
واسند ابو بكر احمد بن الحسين البيهقى فى دلايل النبوة تصنيفه عن كثير بن عبد الله عن ابيه عن جده
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى المسجد فسمع كلاما من زاويته واذا هو بقائل يقول
اللهم اعنى على ما ينجينى مما خوفتنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع ذلك الا تضم
اليها اختها فقال الرجل اللهم ارزقنى شوق الصادقين الى ما شوقتهم اليه وفيه فذهبوا ينظرون
فاذا هو الخضر عليه السلام انتهى مختصرا وقوله تعالى كذلك اى سيرة الامم كذلك قال عياض فهذه الاية
ونظائرها تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم عزاه تعالى بما اخبره عن الامم السالفة ومقالها
لانبيائها وانه ليس من اول من لقى ذلك انتهى من الشفا وقوله سبحانه وتعالى اتواصوا به توقيف
وتعجيب من توارد نفوس الكفرة فى تكذيب الانبيا على تفرق ازمانهم اى لم يتواصوا لكنهم فعلوا
فعلا كانه فعل من تواصى والعلة فى ذلك انهم جميعهم طاغ والطاغى المستعلى فى الارض المفسد
وقوله تعالى فتول عنهم اى عن الحرص المفرط عليهم وذهاب النفس حسرات ولست بملوم اذ قد
بلغت وذكر فان الذكرى نافعة للمؤمنين ولمن قضى له ان يكون منهم وقوله سبحانه وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون امرهم بعبادتى وليقروا لى بالعبودية وقال زيد بن اسلم وسفيان
هذا خاص والمراد وما خلقت الطائعين من المؤمنين الا ليعبدون وقال ابن عباس ايضا معنا
ليعبدون ليتذللوا لى ولقدرتى وان لم يكن ذلك على قوانين شرع وعلى هذا التاويل فجميعهم
من مؤمن وكافر متذلل لله عز وجل الا تراهم عند القحوط والامراض وغير ذلك كيف
يخضعون لله ويتذللون ت قال الفخر فان قيل ما العبادة التى خلق الله الجن والانس لها
قلنا التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فان هذين النوعين لم يخل شرع منهما واما
خصوص العبادات فالشرائع مختلفة فيها بالوضع والهيئة والقلة والكثرة والزمان
والمكان والشرائط والاركان انتهى ونقل الثعلبى وغيره عن مجاهد الا ليعبدون اى ليعرفونى
قال صاحب الحكم الفارقية المعرفة بالله تملا القلب مهابة ومخافة والعين عبرة وعبرة

ليعبدون قال ابن عباس وعلى المعنى ماخلقت الجن والانس الا ...

وجماعة او جملة والصدر خشوعا وحرمة والجوارح استكانة وذلة وطاعة وخدمة واللسان
ذكرا وحمدا والسمع اصغاء وتفهما والخواطر في مواقف المناجاة خمودا والوسواس اضمحلالا انتهى و
قوله سبحانه ما اريد منهم من رزق اي ان يرزقوا انفسهم ولا غيرهم وقوله ان يطعمون اي ان يطعموا
خلقي قاله ابن عباس ويحتمل ان يريد ان ينفعوا والمتين الشديد ت وروينا في كتاب الترمذي
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول يا ابن ادم تفرغ لعبادتي املاء
صدرك غنى واسد فقرك والا تفعل ملات يدك شغلا ولم اسد فقرك قال ابو عيسى هذا حديث حسن
وروينا فيه عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت الاخرة همه جعل الله غناه في قلبه
وجمع له شمله واتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه
شمله ولم ياته من الدنيا الا ما قدر له انتهى وقوله سبحانه فان للذين ظلموا يريد اهل مكة والذنوب
الحظ والنصيب واصله من الدلو وذلك ان الذنوب هو ملء الدلو من الماء وكذا قال ابو حيان والذنوب
اي نصيبا انتهى واصحابهم يراد بهم من تقدم من الامم المعذبة وباقي الاية وعيد بين والله اعلم
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم سورة والطور
مكية باجماع قوله عز وجل والطور وكتاب مسطور الاية هذه مخلوقات اقسم الله عز وجل بها تنبيها
على النظر والاعتبار بها المؤدي الى توحيد الله والمعرفة بوجوب حقه سبحانه قال بعض اللغويين كل جبل طور فكانه
سبحانه اقسم بالجبال وقال الحزون الطور كل جبل اجرد لا ينبت شجرا وقال نوف البكالي المراد هنا جبل
طور سينا وهو الذي اقسم الله به لفضله على الجبال والكتاب المسطور معناه باجماع المكتوب اسطارا
واختلف الناس في هذا الكتاب المقسم به فقال بعض المفسرين هو الكتاب المستنسخ من اللوح المحفوظ
للملائكة لتعرف منه جميع ما تفعله وتصرفه في العالم وقيل هو القرآن اذ قد علم تعالى انه يتخلد
في رق منشور وتصرفه في العالم وقيل هو الكتاب الذي فيه اعمال الخلق وهو الذي لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة والرق هو الكتاب الذي فيه الورق المعد للكتب وهي مرققة فلذلك سميت
رقا وقد غلب الاستعمال على هذا الذي هو من جلود الحيوان والمنشور خلاف المطوي والبيت المعمور
هو الذي ذكر في حديث الاسراء قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم هذا البيت المعمور يدخله
كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه اخر ما عليهم ولهذا هي عمارته وهو في السماء السابعة
وقيل في السادسة وقيل انه مقابل للكعبة لو وقع حجر منه لوقع على ظهر الكعبة وقال مجاهد
وقتادة وابن زيد في كل سماء بيت معمور وفي كل ارض كذلك وهي كلها على خط من الكعبة وقاله
علي بن ابي طالب قال السهيلي والبيت المعمور اسمه عربا قال وهب بن منبه من قال سبحان الله وبحمده
كان له نور يملا ما بين عربا وحربيا وهي الارض السابعة انتهى والسقف المرفوع هو السماء واختلف
الناس في البحر المسجور المملو وهذا معروف من اللغة ورجحه الطبري وقال ابن عباس هو الذي ذهب
ماؤه فالمسجور الفارغ وروي ان البحار تذهب ماؤها يوم القيامة وهذا معروف في اللغة فهو من
الاضداد وقيل يوقد البحر نارا يوم القيامة فذلك سجره وقال ابن عباس ايضا المسجور المحبوس ومنه
ساجور الكلب وهي القلادة من عود او حديد تمسكه وكذلك لولا ان البحر يمسك لفاض
على الارض والجمهور على انه بحر الدنيا وقال منذر بن سعيد المقسم به جهنم وسماها بحرا لسعتها
وتموجها كما قال صلى الله عليه وسلم في الفرس وان وجدناه لبحرا والقسم واقع على قوله ان عذاب

وقيل هو الكتب المنزلة ٣

ربك لواقع يريد عذاب الاخرة واقع للكافرين قاله قتادة قال الشيخ عبد الحق في العاقبة
ويروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع قارئا يقرا والطور وكتاب مسطور فقال هذا قسم حق
فلما بلغ القارئ الى قوله عز وجل ان عذاب ربك لواقع ظن ان العذاب قد وقع به فغشي
عليه انتهى وتمور معناه تذهب وتجيء بالرياح متقطعة متفتتة وسير الجبال هو في
اول الامر ثم تتفتت حتى تصير اجزاء كالعهن المنفوش ويدعون قال ابن عباس وغيره معناه
يدفعون في اعناقهم بشدة واهانة وتعتعة ومنه يدع اليتيم وفي الكلام محذوف تقديره
يقال لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون توبيخا وتقريعا لهم ثم وقفهم سبحانه بقوله افسحر
هذا الاية ثم قيل لهم على جهة قطع رجائهم اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم حتم فسواء جزعكم
وصبركم لا بد من جزاء اعمالكم وقوله سبحانه ان المتقين في جنات ونعيم الاية يحتمل ان يكون
من خطاب اهل النار فيكون من اخبارهم بذلك زيادة في غمهم وسوء حالهم نعوذ بالله
من سخطه ويحتمل وهو الاظهر ان يكون اخبارا للنبي صلى الله عليه وسلم ومعاصريه لما
فرغ من ذكر عذاب الكفار عقب بذكر نعيم المتقين جعلنا الله منهم بفضله ليبين الفرق
وذكر التحريض على الايمان والمتقون هنا متقو الشرك لان الاية خبر ان المتقين على الاطلاق
هم في هذه الاية قطعا على الله تعالى بحكم خبره الصادق وفاكهين قرا الجمهور والناس فاكهين ومعناه
فرحين مسرورين وقال ابو عبيدة هو من باب لابن وتامر اي لهم فاكهة قال ع والمعنى الاول
ابرع وقرا خالد فيما روى ابو حاتم فكهين والفكهة والفاكهة المسرور المتنعم وقوله بما
اتاهم ربهم اي من انعامه ورضاه عنهم وقوله تعالى ووقاهم عذاب الجحيم هذا متمكن في
متقي المعاصي الذي لا يدخل النار ووقاهم مشتق من الوقاية وهي الحائل بين الشيء وبين ما يضره
وقوله كلوا واشربوا اي يقال لهم كلوا واشربوا وهنيئا نصب على
المصدر وقوله تعالى بما كنتم تعملون معناه ان رتب الجنة ونعيمها بحسب الاعمال واما نفس دخولها
فهو برحمة الله وفضله واعمال العباد الصالحة لا توجب على الله تعالى التنعيم ايجابا لكنه سبحانه
قد جعلها امارة على ما سبق في علمه تنعيمه وعلق الثواب والعقاب بالتكسب الذي في الاعمال والحور
جمع حوراء وهي البيضاء القوية بياض العين وسواد سوادها والعين جمع عيناء وهي الكبيرة
العينين مع جمالها وفي قراءة ابن مسعود والنخعي وزوجناهم بعيس عين قال ابو الفتح العيساء
البيضاء وقوله سبحانه والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اختلف
في معنى الاية فقال ابن عباس وابن جبير والجمهور اخبر الله تعالى ان المؤمنين الذين اتبعتهم
ذرياتهم في الايمان يلحق الابناء في الجنة بمراتب الاباء وان لم يكن الابناء في التقوى والاعمال
كالاباء كرامة للاباء وقد ورد في هذا المعنى حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا الحديث تفسيرا
للاية وكذلك وردت احاديث تقتضي ان الله عز وجل يرحم الاباء رعيا للابناء الصالحين وقال
ابن عباس ايضا والضحاك معنى الاية ان الله تعالى يلحق الابناء الصغار باحكام الاباء المؤمنين يعني
في الموارثة والدفن في مقابر الاسلام وفي احكام الاخرة في الجنة وقال منذر بن سعيد هي في
الصغار لا في الكبار قال ع وارجح الاقوال في هذه الاية القول الاول لان الايات كلها في صفة
احسان الله تعالى الى اهل الجنة فذكر من جملة احسانه سبحانه انه يرعى المحسن في المسيء ولفظة الحقنا تقتضي

لانهم بايمانهم مضموم الى الحقنا كما زادت في حكم
الذين هم في النقص فوق الحصول
حاشية

ان للملحق بعض التقصير في الاعمال ت واظهر من هذا ما اشار اليه الثعلبي في بعض انقاله
ان الله تعالى يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة كما كانوا في الدنيا انتهى ولم يتعرض لذكر الدرجات
في هذا التاويل وهو احسن لانه قد تقرر ان رفع الدرجات هي باعمال العاملين والايات والاحاديث
مصرحة بذلك ولما يلزم على التاويل الاول ان كل من دخل الجنة مع ادم عليه السلام في درجة
واحدة اذ هم كلهم ذريته وقد فتحت لك بابا للبحث في هذا المعنى منعني من اتمامه ما قصدته
من من الاختصار وبالله التوفيق و قوله وما التناهم اى نقصناهم ومعنى الاية ان الله سبحانه
يلحق الابناء بالاباء ولا ينقص الاباء من اجورهم شيئا وهذا تاويل الجمهور ويحتمل ان يريد
قوله سبحانه كل امرئ بما كسب رهين والرهين المرتهن وفي هذه الالفاظ وعيد و امددت
الشئ اذا سربت اليه شيئا اخر يكثره او يكثر لديه و قوله مما يشتهون اشارة الى ما روي
من ان المنعم اذا اشتهى لحما نزل ذلك الحيوان بين يديه على الهيئة التي اشتهاه فيها وليس يكون في
الجنة لحم يحتز ولا يتكلف فيه الذبح والسلخ والطبخ وبالجملة لا كلفة في الجنة و يتنازعون
معناه يتعاطون ومنه قول الاخطل نظم نازعته طيب الراح الشمول وقد صاح الدجاج وحانت وقعة
الساري ع قال الفخر ويحتمل ان يقال التنازع التجاذب ويكون تجاذبهم تجاذب ملاعبة
لا تجاذب منازعة وفيه نوع لذة وهو بيان لما عليه حال الشراب في الدنيا فانهم يتفاخرون
بكثرة الشرب انتهى والكاس الاناء فيه الشراب ولا يقال في فارغ كاس قاله الزجاج واللغو السقط
من القول والتاثيم يلحق خمر الدنيا في نفس شربها وفي الافعال التي تكون من شاربيها وذلك
كله منتف في الاخرة ت قال الثعلبي وقال ابن عطاء اى لغو يكون في مجلس محله جنة
عدن والساقي فيه الملائكة وشربهم على ذكر الله وريحانهم تحية من عند الله والقوم
اضياف الله ولا تاثيم اى فعل يؤثمهم وهو تفعيل من الاثم اى لا يأثمون في شربها انتهى واللؤلؤ
المكنون اجمل اللؤلؤ لان الصون الكن يحسنه قال ابن جبير اراد الذي في الصدف لم تنله
الايدي فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم اذا كان الغلمان كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدومون قال
هم كالقمر ليلة البدر قلت وهذا تقريب للافهام والا فجمال اهل الجنة اعظم من هذا يدل على ذلك
احاديث صحيحة ففي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان اول زمرة يدخلون الجنة وفي رواية من امتي على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين
يلونهم على اشد كوكب دري في السماء اضاءة وفي رواية ثم هم بعد ذلك منازل الحديث
وفي صحيح مسلم ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب
ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم ويزدادون حسنا وجمالا انتهى وقد اشار الغزالي
وغيره الى طرف من هذا المعنى لما تكلم على رؤية العارفين لله سبحانه في الاخرة قال لعبد كلا ولا بعد
ان تكون الطاف الكشف والنظر في الاخرة متوالية الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدة
ابد الاباد وللشيخ ابي الحسن الشاذلي هنا كلام حسن قال لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق
ما بين السماء والارض فكيف بنور المؤمن المطيع نقل
الله وقال لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق السماء والارض فكيف بنور المؤمن المطيع نقل
كلامه هذا ابن عطاء الله وابن عباد انظرهم ثم وصف تعالى عنهم انهم في جملة نعيمهم يتساءلون
اى عن احوالهم وما نال كل واحد منهم وانهم يتذكرون حال الدنيا وخشيتهم عذاب

من عمل الابناء من حسن او قبيح وهذا تاويل ابن زيد ويريبه م

الاخرة والاشفاق اشد الخشية ورقة القلب والسموم الحر وندعوه يحتمل ان يريد الدعاء
على بابه ويحتمل ان يريد نعبده وقرا نافع والكسائي انه بفتح الهمزة والباقون بكسرها والبر
الذي يبر ويحسن و قوله سبحانه ام يقولون اى بل يقولون شاعر الاية روي ان قريشا اجتمعوا في
دار الندوة فكثرت اراؤهم في النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال قائل منهم تربصوا به ريب المنون اى حوادث
الدهر فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة والاعشى وغيرهم فافترقوا على هذه
المقالة فنزلت الاية في ذلك والتربص الانتظار والمنون من اسماء الموت وبه فسر ابن عباس
وهو ايضا من اسماء الدهر وبه فسر مجاهد والريب هنا الحوادث والمرض ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم انما فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها الحديث و قوله قل تربصوا وعيد
في صيغة امر و قوله سبحانه ام تامرهم احلامهم بهذا الاحلام العقول و قوله بهذا يحتمل
ان يشير الى هذه المقالة هو شاعر ويحتمل ان يشير الى ما هم عليه من الكفر وعبادة الاصنام
و تقوله معناه قال عن الغير انه قاله فهي عبارة عن كذب مخصوص ثم عجزهم سبحانه بقوله
فليأتوا بحديث مثله والضمير في مثله عائد على القران و قوله وان كانوا صادقين ت
اى ان محمدا تقوله قاله الثعلبي و قوله سبحانه ام خلقوا من غير شئ قال الثعلبي قال ابن عباس
من غير رب ولا ام فهم كالجماد لا يعقلون ولا تقوم لله عليهم حجة اليسوا خلقوا من نطفة وعلقة
وقال ابن كيسان ام خلقوا عبثا وتركوا سدى ومن غير شئ اى لغير شئ لا يؤمرون ولا ينهون
ام هم الخالقون لانفسهم فلا ياتمرون لامر الله انتهى وعبر ابن عطية عن هذا بان قال
وقال اخرون معناه ام خلقوا من غير علة ولا لغاية عقاب وثواب فهم لذلك لا يسمعون
ولا يتشرعون ت وقد يحتمل ان يكون المعنى ام خلقوا من غير شئ خلقهم اى من غير موجد اوجدهم
ويدل عليه مقابلة بقوله ام هم الخالقون وهكذا قال الغزالي في الاحياء قال و قوله
عز وجل ام خلقوا من غير شئ اى من غير خالق انتهى بلفظه من كتاب اداب التلاوة قال الغزالي ولا
تتوهم ان الاية تدل انه لا يخلق شئ الا من شئ انتهى وقال الفخر قوله تعالى من غير شئ فيه وجوه
المنقول منها ام خلقوا من غير خالق وقيل ام خلقوا من غير اب وام انتهى واحسنها الاول كما قال الغزالي
والله اعلم بما اراد سبحانه وفي الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرا في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شئ ام هم الخالقون الى قوله المسيطرون
كاد قلبي ان يطير وفي رواية وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي انتهى واسند ابو بكر بن الخطيب في
تاريخه عن جبير بن مطعم قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء اهل بدر فسمعته يقرا
في المغرب بالطور فكانما صدع قلبي حين سمعت القران انتهى و قوله سبحانه ام عندهم خزائن ربك بمنزلة
قوله ام عندهم الاستغناء في جميع الامور و المسيطر القاهر وبذلك فسر ابن عباس الاية و السلم السبب
الذي يصعد به كان ما كان من خشب او بناء او حبال او غير ذلك والمعنى الهم سلم الى السماء
يستمعون فيه اى عليه ومنه وهذه حروف يسد بعضها مسد بعض والمعنى يستمعون الخبر
بصحة ما يدعون فليأتوا بالحجة المبينة في ذلك و قوله سبحانه ام عندهم الغيب الاية قال
ابن عباس يعني ام عندهم الغيب الاية قال ابن عباس يعني ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون
ما فيه ويخبرون ثم قال ام يريدون كيدا بك وبالشرع ثم جزم الخبر بانهم هم المكيدون

فذكروا من النبي صلى الله عليه وسلم بادانة الكاهن او الكاهنة او المجنون في قولك سبحانه فذكر فما انت بانعام الله عليك
ولنعمة ربك بكاهن ولا مجنون م

عليهم م

بالطور م

اي هم المغلوبون فيحيق بهم كيدهم اذ كانت عقوبة الكيد ثم قال سبحانه ام لهم اله غير الله
يعصمهم ويمنعهم من الهلاك قال الثعلبي قال الخليل ما في سورة الطور كلها من ذكر ام كله استفهام
لهم انتهى ثم نزه تعالى نفسه عما يشركون به وان يروا كسفا اى قطعة يقولون لشدة معاندتهم
هذا سحاب مركوم بعضه على بعض وهذا جواب لقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء
وقولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يقول لو فعلنا هذا بهم لما امنوا ولقالوا سحاب
مركوم وقوله تعالى فذرهم وما جرى مجراه من الموادعة منسوخ باية السيف والجمهور ان يومهم
الذي فيه يصعقون هو يوم القيامة وقيل هو موتهم واحدا واحدا ويحتمل ان يكون يوم بدر
لانهم عذبوا فيه والصعق التعذيب في الجملة وان كان الاستعمال قد كثر فيما يصيب الانسان
من الصيحة المفرطة ونحوه ثم اخبر تعالى بان لهم دون هذا اليوم اى قبله عذابا واختلف
في تعيينه فقال ابن عباس وغيره هو بدر ونحوه وقال مجاهد الجوع الذي اصابهم وقال البراء
ابن عازب وابن عباس ايضا هو عذاب القبر وقال ابن زيد هي مصائب الدنيا اذ هي لهم عذاب
ت ويحتمل ان يكون المراد الجميع قال الفخر ان قلنا ان العذاب هو بدر فالذين ظلموا هم اهل
مكة وان قلنا العذاب هو عذاب القبر فالذين ظلموا عام في كل ظالم انتهى ثم قال تعالى لنبيه واصبر
لحكم ربك فانك باعيننا اى بمرأى ومنظر اى نرى ونسمع ما تقول وانك في حفظنا وحيطتنا
كما تقول فلان برعاية الملك بعين وهذه الاية ينبغي ان يقررها كل مؤمن في نفسه فانها تفسح
مضايق الدنيا وقوله سبحانه وسبح بحمد ربك قال ابو الاحوص هو التسبيح المعروف يقول في كل
يوم سبحان الله وبحمده وقال عطاء المعنى حين تقوم من كل مجلس قلت وفي تفسير احمد بن نصر
الداودي قال وعن ابن المسيب قال حق على كل مسلم ان يقول حين يقوم الى الصلاة سبحان الله
وبحمده لقول الله سبحانه لنبيه وسبح بحمد ربك حين تقوم انتهى وقال ابن زيد هي صلاة النوافل
وقال الضحاك هي الصلوات المفروضة ومن قال هي النوافل جعل ادبار النجوم ركعتي الفجر وعلى
وعلى هذا القول جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين وقد روي مرفوعا ومن جعله التسبيح المعروف
جعل قوله حين تقوم مثالا حين تقوم وحين تقعد وفي كل تصرفك وحكى منذر عن الضحاك
ان المعنى حين تقوم في الصلاة تكبيرة الاحرام فقل سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما

سورة والنجم مكية بالاجماع وهي اول سورة اعلن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهر
بقراءتها في الحرم والمشركون يستمعون فسجد وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والانس
غير ابي لهب فانه رفع حفنة من تراب الى جبهته وقال يكفيني هذا ت والذي خرجه
البخاري في صحيحه عن ابن مسعود فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه
الا رجلا رايته اخذ كفا من تراب فسجد عليه فرايته بعد ذلك قتل كافرا وهو امية بن خلف
انتهى وسبب نزولها ان المشركين قالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم يتقول القران ويختلق
اقواله فنزلت السورة في ذلك قوله عز وجل والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى
وما ينطق عن الهوى الاية قال الحسن وغيره النجم المقسم به هنا اسم جنس اراد به النجوم ثم
اختلفوا في معنى هوى فقال الجمهور المفسرين هو للغروب وهذا هو السابق الى الفهم من كلام

العرب وقال ابن عباس في كتاب الثعلبي هوى في الانقضاض في اثر العفريت عند استراق
السمع وقال مجاهد وسفيان النجم في قسم الاية الثريا وسقوطها مع الفجر هو هويها والعرب
لا تقول النجم مطلقا الا للثريا والقسم واقع على قوله ما ضل صاحبكم وما غوى ص اذا
هو بالبقاء العامل في الظرف فعل القسم المحذوف اى اقسم بالنجم وقت هويه وجواب القسم ما ضل انتهى
قال الفخر اكثر المفسرين لم يفرق بين الغي والضلال وبينهما فرق فالغي في مقابلة الرشد والضلال
اعم منه انتهى وما ينطق عن الهوى يريد محمدا صلى الله عليه وسلم انه لا يتكلم عن هواه اي بهواه
وشهوته وقال بعض العلماء وما ينطق القران المنزل عن هوى قلت وهذا تاويل بعيد من
لفظ الاية كما ترى وقوله ان هو الا وحي يوحى يراد به القران باجماع ت وليس بصحيح ولفظ
الثعلبي ان هو الا وحي اى ما نطقه في الدين الا بوحي انتهى وهو حسن ان شاء الله قال الفخر والوحي
اسم ومعناه الكتاب او مصدر وله معان منها الارسال والالهام والكتابة والكلام والاشارة فان
قلنا هو ضمير القران فالوحي اسم معناه الكتاب ويحتمل ان يقال مصدر اى ما القران الا ارسال اى
مرسل وان قلنا المراد من قوله ان هو الا وحي قول محمد صلى الله عليه وسلم وكلامه فالوحي حينئذ
هو الالهام اى كلام ملهم من الله او مرسل انتهى والضمير في علمه لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم والمعلم هو
جبريل عليه السلام قاله ابن عباس وغيره اى علم محمدا القران وذو مرة معناه ذو قوة قاله قتادة
وغيره ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي واصل المرة
من امرار الحبل وهي فتله واحكام عمله وقوله فاستوى قال الربيع والزجاج المعنى فاستوى جبريل في الجو
وهو اذ ذاك بالافق الاعلى اذ راه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قد سد الافق له ستمائة جناح
وحينئذ دنى من محمد صلى الله عليه وسلم حتى كان قاب قوسين وكذلك راه نزلة اخرى في صفته
العظيمة له ستمائة جناح عند السدرة وقوله ثم دنى فتدلى قال الجمهور المعنى دنى جبريل الى محمد صلى الله
عليه وسلم في الارض عند حراء وهذا هو الصحيح ان جميع ما في هذه الايات من الاوصاف هو مع جبريل
ودنى اعم من تدلى فبين تعالى بقوله فتدلى هيئة الدنو كيف كانت وقاب معناه قدر قال قتادة وغيره
معناه من طرف العود الى طرفه الاخر وقال الحسن ومجاهد من الوتر الى العود في وسط القوس عند
المقبض وقوله او ادنى معناه على مقتضى نظر البشر اى لو راه احدكم لقال في ذلك قوسان او ادنى
من ذلك وقيل المراد بقوسين اى قدر ذراعين وعن ابن عباس ان القوس في الاية ذراع يقاس به
وذكر الثعلبي انها لغة بعض الحجازيين وقوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى قال ابن عباس المعنى
فاوحى الله الى عبده ما اوحى قال ابن عباس المعنى فاوحى الله الى عبده محمد ما اوحى وفي قوله
ما اوحى ابهام على جهة التفخيم والتعظيم قال عياض ولما كان ما كاشفه صلى الله عليه وسلم
من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل ادناه العقول
رمز عنه تعالى بالايماء والكناية الدالة على التعظيم فقال تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام
يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز انتهى وقوله سبحانه
ما كذب الفؤاد ما راى المعنى لم يكذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم الشيء الذي راى بل صدقه وتحققه
نظرا قال اهل التاويل منهم ابن عباس وغيره راى محمد الله بفؤاده وقال النبي صلى الله عليه وسلم
جعل الله نور بصري في فؤادي فنظرت اليه بفؤادي وقال اخرون من المتاولين المعنى ما راى

هذا الاجماع

سماع

بعينه لم يكذب ذلك قلبه بل صدقه وتحققه وقال ابن عباس فيما روى عنه ان محمدا راى ربه بعيني راسه وانكرت ذلك عايشة وقالت انا سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الايات فقال لي هو جبريل فيها كلها قال ع وهذا قول الجمهور وحديث عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قاطع بكل تاويل في اللفظ لان قول غيرها انما هو منتزع من الفاظ القران وقوله سبحانه افتمارونه على ما يرى قرا حمزة والكسائي افتمرونه بفتح التاء دون الف اي افتجحدونه ت قال الثعلبي واختار هذه القراءة ابو عبيد قال لانهم لا يمارونه وانما جحدوه واختلف في الضمير في قوله ولقد راه حسب ما تقدم فقالت عايشة والجمهور هو عايد على جبريل ونزلة معناه مرة اخرى فجمهور العلماء ان المرئي هو جبريل عليه السلام في المرتين مرة في الارض بحرا ومرة عند سدرة المنتهى ليلة الاسرا راه على صورته التي خلق عليها وسدرة المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة وقيل لها سدرة المنتهى لانها اليها ينتهي علم كل عالم ولا يعلم ما وراها صعدا الا الله عز وجل وقيل سميت بذلك لانها اليها ينتهي من مات على سنة النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عطية وهم المومنون حقا من كل جيل وقوله سبحانه عندها جنة الماوى وقال الجمهور اراد سبحانه ان يعظم مكان السدرة ويشرفه بان جنة الماوى عندها قال الحسن هي الجنة التي وعد بها المومنون وقوله سبحانه اذ يغشى السدرة ما يغشى اي غشيها من امر الله ما غشيها فما يستطيع احد ان يصفها وقد ذكر المفسرون في وصفها اقوالا هي تكلف في الاية لان الله تعالى ابهم ذلك وهم يريدون شرحه وقد قال صلى الله عليه وسلم فغشيها الوان لا ادري ما هي وقوله تعالى ما زاغ البصر قال ابن عباس معناه ما جال هكذا او لا هكذا وقوله وما طغى معناه ولا تجاوز المرئي وهذا تحقيق للامر ونفي لوجود الريب عنه وقوله لقد راى من ايات ربه الكبرى قال جماعة معناه لقد راى الكبرى من ايات ربه وقال ابن عباس وابن مسعود راى رفرفا اخضر من الجنة قد سد الافق ت وزاد الثعلبي وقيل المعراج وما راى في تلك الليلة في مسراه في عوده وبدئه دليله قوله لنريه من اياتنا الاية قال عياض وقوله تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى انحصرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام في تعيين تلك الايات الكبرى وقد اشتملت هذه الايات على اعلام الله بتزكية جملته صلى الله عليه وسلم وعصمتها من الافات في هذا المسرى فزكى فواده ولسانه وجوارحه وقلبه بقوله تعالى ما كذب الفواد ما راى ولسانه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى انتهى ولما فرغ من ذكر عظمة الله وقدرته قال على جهة التوقيف افرايتم اللات والعزى الاية اي ارايتم هذه الاوثان وحقارتها وبعدها عن هذه القدرة والصفات العلية واللات صنم كانت العرب تعظمه والعزى صخرة بيضا كانت العرب ايضا تعبدها واما مناة فكانت بالمشلل من قديد وكانت اعظم هذه الاوثان عندهم وكانت الاوس والخزرج تهل لها ووقف تعالى الكفار على هذه الاوثان وعلى قولهم فيها انها بنات الله وكانه قال ارايتم هذه الاوثان وقولكم هي بنات الله الكم الذكر وله الانثى ثم قال على جهة الانكار تلك اذا قسمة ضيزى اي عوجا قاله ابن عباس وقال سفيان معناه منقوصة وقال ابن زيد معناه مخالفة العرب تقول ضزته حقه اضيزه بمعنى منعته وضيزى من هذا التصريف قال ابو حيان والثالثة الاخرى صفتان لمناة للتاكيد قيل واكدت بهذين الوصفين لعظمها عندهم وقال الزمخشري والاخرى ذم وهي المتاخرة الوضيعة المقدار وتعقب بان اخرى مونث اخر ولم يوضعا للذم والمدح ت وفي هذا التعقب تعسف والظاهر ان الوصفين معا سيقا مساق الذم لان هولاء الكفار لم يكتفوا بضلالهم في اعتقادهم ما يجوز اللات والعزى الى ان اضافوا الى ذلك مناة الثالثة الاخرى

معناه م أي ما يمكن ان يراها البشر وقال اخرون لقد راى بعضا من ايات ربه الكبرى م

لحقيرة وكل اصنامهم حقيرة انتهى ثم قال تعالى ان هي الا اسما يعني ان هذه الاوصاف من انها اناث وانها الهة تعبد ونحو هذه الاسما اي تسميات اخترعتموها انتم واباوكم ما انزل الله بها برهانا ولا حجة وما هو الا اتباع الظن وما تهوى الانفس وهوى الانفس هو ارادتها الملذة لها وانما تجد هوى النفس ابدا في الافضل لانها مجبولة بطبعها على حب الملذ وانما يردعها ويسوقها الى حسن العاقبة العقل والشرع وقوله سبحانه ولقد جاءهم من ربهم الهدى فيه توبيخ لهم اذ يفعلون هذه القبايح والهدى حاضر وهو محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه والانسان في قوله ام للانسان اسم جنس كانه يقول ليست الاشيا بالتمني والشهوات وانما الامر كله لله والاعمال جارية على قانون امره ونهيه فليس لكم ايها الكفرة مرادكم في قولكم هذه الهتنا وهي تشفع لنا وتقربنا الى الله زلفى ونحو هذا فلله الاخرة والاولى اي له كل امرهما ملكا ومقدورا وتحت سلطانه قال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي في كتاب عيوب النفس ومن عيوب النفس كثرة التمني والتمني هو الاعتراض على الله عز وجل في قضايه وقدره ومداواتها انه لا يدري ما يعقبه التمني ويجره الى الخير او الى الشر فاذا تيقن ابهام عاقبة تمنيه اسقط عن نفسه ذلك ورجع الى الرضى والتسليم فيستريح انتهى وقوله سبحانه وكم من ملك في السموات الاية رد على قريش في قولهم الاوثان شفعاونا وكم للتكثير وهي في موضع رفع بالابتدا والخبر لا تغني والغنى جلب النفع ودفع الضر بحسب الامر الذي يكون فيه الغنا وقوله سبحانه ان الذين لا يومنون بالاخرة يعني كفار العرب وقوله وان الظن لا يغني من الحق شيا اي في المعتقدات والمواضع التي يريد الانسان ان يحرر ما يعقل ويعتقد فانها مواضع حقايق لا تنفع الظنون فيها واما في الاحكام وظواهرها فيجتزى فيها بالظنونات ثم سلى سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم وامره بالاعراض عن هولاء الكفرة وقوله عن ذكرنا قال الثعلبي يعني القران وقوله سبحانه ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله الاية متصلة في معنى التسلية ومتضمنة وعيد الكافرين ووعد المومنين والحسنى الجنة والحسنى دونها وقد تقدم نقل الاقوال في الكباير في سورة النسا وغيرها وتحرير القول في الكباير انها كل معصية يوجد فيها الحد في الدنيا او توعد عليها بالنار في الاخرة او لعنة ونحو هذا وقوله الا اللمم هو استثنا يصح ان يكون متصلا وان قدرته منقطعا ساغ ذلك وبكل قد قيل واختلف في معنى اللمم فقال ابو هريرة وابن عباس والشعبي وغيرهم اللمم صغار الذنوب التي لا حد فيها ولا وعيد عليها لان الناس لا يتخلصون من موافقة هذه الصغاير ولهم مع ذلك الحسنى اذا اجتنبوا الكباير ونظار العلما في هذا القول وكثر المايل اليه وحكي عن المسيب ان اللمم ما خطر على القلب يعني بذلك لمة الشيطان وقال ابن عباس معناه الا ما الموا به من المعاصي الفلتة والسقطة دون دوام ثم يتوبون منه وعن الحسن بن ابي الحسن انه قال اللمة من الزنا والسرقة وشرب الخمر ثم لا يعود قال ع وهذا التاويل يقتضي الترفق بالناس في ادخالهم في الوعد بالحسنى اذ الغالب في المومنين مواقعة المعاصي وعلى هذا انشدوا وقد تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك الا الما وقوله سبحانه اذ انشاكم من الارض يريد خلق ابيكم ادم ويحتمل ان يراد به انشا الغذا والاجنة جمع جنين وقوله سبحانه فلا تزكوا انفسكم ظاهره النهي عن تزكية الانسان نفسه ويحتمل ان يكون نهيا عن ان يزكي بعض الناس بعضا واذا كان هذا فانما ينهى عن تزكية السمعة والمدح للدنيا او القطع بالتزكية واما تزكية الامام والقدوة احدا ليوتم به او ليتهم الناس بالخير فجايز وفي البخاري احاديث صحيحة وباقي الاية بين ت وقال صاحب الكلم الفارقية اعرف الناس بنفسه

اشدهم ابقاعا للهمة بها في كل ما يبسدوا ويظهر له منها واجهلهم بمعرفتها وخفايا افاتها وكوامن
مكرها من رآها واحسن ظنه بها لانها مقبلة على عاجل حظوظها معرضة عن الاستعداد لاخرتها
انتهى وقال ابن عطاء الله اصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضى عن النفس واصل كل طاعة ويقظة وعفة
عدم الرضى منك عنها قال الشارح ابن عباد الرضى عن النفس اصل جميع الصفات المذمومة وعدم الرضى عنها اصل
الصفات المحمودة وقد اتفق على هذا جميع العارفين وارباب القلوب وذلك لان الرضى عن النفس يوجب
تغطية عيوبها ومساويها وعدم الرضى عنها على عكس هذا كما قيل نظم

وعين الرضى عن كل عيب كليلة   ولكن عين السخط تبدي المساويا

انتهى
وقوله تعالى افرايت الذي تولى الاية قال مجاهد وابن زيد وغيرهما نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي
وذلك انه سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه فقرب من الاسلام وطمع النبي صلى الله عليه وسلم
في اسلامه ثم انه عاتبه رجل من المشركين وقال له اتترك ملة ابائك ارجع الى دينك واثبت عليه
وانا اتحمل لك بكل شيء تخافه في الاخرة ولكن على ان تعطيني كذا وكذا من المال فوافقه الوليد على ذلك
ورجع عما هم به من الاسلام واعطا بعض ذلك المال لذلك الرجل ثم امسك عنه وشح فنزلت الاية فيه
وقال السدي نزلت في العاص بن وائل ع فقوله واعطى قليلا واكدى على هذا هو المال وقال مقاتل في كتاب
الثعلبي المغني اعطى الوليد قليلا من الخير بلسانه ثم اكدى اي انقطع ما اعطى وهذا بين من اللفظ والاكدا
يحتلج الى دوائه وتولى معناه ادبر واعرض عن امر الله واكدى معناه انقطع عطاؤه وهو مشبه بالذي يحفر
في الارض فانه اذا انتهى في حفر بير ونحوه الى كدية وهي ما صلب من الارض يئس من الماء وانقطع
حفره وكذلك الجبل اذا انتهى من الحفر الى الجبل ثم قيل لمن انقطع عمله اكدى واجبل قلت قال الثعلبي واصله
من الكدية وهو حجر البير يويس من الماء قال الكسائي تقول العرب اكدى الحافر واجبل اذا بلغ
في الحفر الى الكدية والجبل انتهى وقوله عز وجل اعنده علم الغيب فهو يرى معناه اعلم الغيب من تحمل
ذنوب اخر انتفع بذلك المتحمل عنه فهو لهذا الذي علمه يرى الحق وله فيها بصيرة ام هو جاهل ام لم ينبأ
بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى بما ارسل به من انه لا تزر وازرة اي لا تحمل حاملة حمل اخرى وفي
البخاري وابراهيم الذي وفى ما فرض عليه وقوله سبحانه وان ليس للانسان الا ما سعى وما بعده كل ذلك
معطوف على قوله ان لا تزر وازرة وزر اخرى والجمهور ان قوله وان ليس للانسان الا ما سعى محكم
لا نسخ فيه وهو لفظ عام مخصوص وقوله وان سعيه سوف يرى اي يراه الله ومن شاهد تلك
الامور وفي عرض الاعمال على الجمع تشريف للمحسنين وتوبيخ للمسيئين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
من سمع بلخيه فيما يكره يسمع الله به سامع خلقه يوم القيامة وفي قوله تعالى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وعيد
للكافرين ووعد للمؤمنين وقوله سبحانه وان الى ربك المنتهى اي منتهى الخلق ومصيرهم اللهم اطلعنا على خير
بفضلك ولا تفضحنا بين خلقك وجد علينا بترك الدارين وحق لعبد يعلم انه الى ربه منتهاه ان يرفض
هواه ويزهد في دنياه ويقبل بقلبه الى مولاه ويقتدي بنبي فضله الله على خلقه وارتضاه ويتامل كيف
كان زهده صلى الله عليه وسلم في دنياه واقباله على مولاه قال عياض في شفائه واما زهده صلى الله عليه
وسلم فقد قدمنا من الخبر اثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه عنها وعن زهرتها
وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحاتها وانه توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة
عند يهودي وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها

قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا حتى مضى لسبيله وعنها رضي الله
عنها قالت لم يمتل جوف نبي الله صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت
الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعا ويلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه
ذلك صيام يومه ولو شاء سال ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي
له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا
بما يقوتك فيقول يا عائشة ما لي وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد
من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحي ان ترفهت
في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت
فما اقام بعد الا شهرا حتى توفي صلوات الله وسلامه عليه انتهى وباقي الايات دالة على التوحيد
واضحة واقنى معناه اكسب ما يقتنى تقول قنيت المال اي كسبته وقال ابن عباس اقنى قنع وقال ع
والقناعة خير قنية والغنى عرض زائل فلله در ابن عباس والشعرى نجم في السماء قال مجاهد
وابن زيد هو مرزم الجوزا وهما شعريان احداهما الغميصا والاخرى العبور لانها عبرت المجرة
وكانت خزاعة ممن يعبد هذه الشعرى ومعنى الاية ان الله سبحانه رب هذا المعبود الذي لكم وعاد الاولى
اختلف في معنى وصفها بالاولى فقال الجمهور سميت اولى بالاضافة الى الامم المتاخرة عنها وقال الطبري
وغيره سميت اولى لان ثم عاد اخيرة وهي قبيلة كانت بمكة مع العماليق وهم بنو لقيم بن
هزال والله اعلم وقرا الجمهور وثمودا بالنصب عطفا على عاد وقوم نوح عطف على ثمود وقوله من قبل
لانهم كانوا اول امة كذبت من اهل الارض والمؤتفكة قرية قوم لوط اهوى اي طرحها من هوى
عال الى سفل وقوله سبحانه فباي الاء ربك تتمارى مخاطبة للانسان الكافر كانه قيل له هذا هو
الله الذي له هذه الافعال وهو خالقك المنعم عليك بكل النعم ففي ايها تتشكك وتتمارى معناه
تتشكك وقال ابو مالك الغفاري ان قوله ان لا تزر الى قوله تتمارى هو في صحف ابراهيم وموسى
وقوله سبحانه هذا نذير يحتمل ان يشير الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة وغيره وهذا هو
الاشبه ويحتمل ان يشير الى القرآن وهو تاويل قوم ونذير يحتمل ان يكون بناء اسم فاعل ويحتمل
ان يكون مصدرا او نذر جمع نذير وقوله تعالى ازفت الازفة معناه قربت القريبة والازفة
عبارة عن القيامة بالاجماع من المفسرين وازف معناه قرب جدا قال كعب بن زهير نظم

بان الشباب وامسى الشيب قد ازفا   ولا ارى لشباب ذاهب خلفا

وكاشفة يحتمل ان تكون صفة لمؤنث تقديره حال كاشفة ونحو هذا التقدير ويحتمل ان يكون
بمعنى كاشف قال الطبري والزجاج هو من كشف السر اي ليس من دون الله من يكشف وقتها ويعلمه
وقال منذر بن سعيد هو من كشف الضر ودفعه اي ليس من يكشف خطبها وهولها الا الله و
قوله سبحانه افمن هذا الحديث تعجبون الاية روى سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان هذا القرآن انزل بحزن فاذا قراتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا ذكره الثعلبي واخرج الترمذي
والنسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع
ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري ابدا قال النسائي وفي رواية في جوف ابدا ولا يجتمع الايمان
والشح في قلب ابدا قال الترمذي وقال النبي صلى الله عليه وسلم عينان لا تمسهما النار عين بكت

من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله انتهى من المصابيح للبغوي قال ابو عمر بن عبد البر
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم وكثرة الضحك فانه يميت القلب ويذهب بنور الوجه
انتهى من بهجة المجالس وروى الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
ياخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهن فقال ابو هريرة فقلت انا يا رسول الله فاخذ بيدي فعد خمسا وقال
اتق المحارم تكن اعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس واحسن الى جارك تكن مؤمنا
واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك يميت القلب انتهى و
السامدون اللاعب اللاهي وهذا فسر ابن عباس وغيره من المفسرين والسمد بلغة حمير غنى وهو كله معنى قريب
بعضه من بعض ثم امر تعالى بالسجود له والعبادة تخويفا وتحذيرا وههنا سجدة في قول كثير
من العلماء وورد به احاديث صحاح ولم ير مالك بالسجود ههنا وقال زيد بن ثابت انه قراها عند النبي
صلى الله عليه وسلم فلم يسجد قال ابن العربي في احكامه وكان مالك يسجدها خاصة نفسه انتهى

بسم الله الرحمن الرحيم **سورة اقتربت الساعة** مكية باجماع الا آية
واحدة **قوله** سيهزم الجمع الآية ففيها خلاف والجمهور انها ايضا مكية قوله سبحانه اقتربت الساعة
وانشق القمر معناه قربت الساعة وهي القيامة وامرها مجهول التحديد فضعيف و قوله وانشق القمر
اخبار عما وقع وذلك ان قريشا سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فاراهم الله انشقاق
القمر فراه النبي صلى الله عليه وسلم وجماعة من المسلمين والكفار فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اشهدوا و قوله وان يروا جاء اللفظ مستقبلا لينتظم ما مضى وما يأتي فهو اخبار بان
حالهم هكذا و قوله مستمر قال الزجاج قيل معناه دائم مطرد وقال قتادة وغيره معناه
مار ذاهب عن قريب يزول ثم قال سبحانه على جهة حزم الخبر وكل امر مستقر كانه يقول وكل شيء
الى غاية عنده سبحانه و مزدجر معناه موضع زجر و قوله فما تغني النذر يحتمل ان تكون ما نافية
ويحتمل ان تكون استفهامية ثم سلى سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله فتول عنهم اي لا تذهب
نفسك عليهم حسرات وتم القول في قوله عنهم ثم ابتدأ وعيدهم بقوله يوم والعامل في قوله
يخرجون وقال الرماني المعنى فتول عنهم واذكر يوم وقال الحسن المعنى فتول عنهم الى يوم وقرأ
الجمهور نكر بضم الكاف قال الخليل النكر نعت للامر الشديد والرجل الداهية وخص الابصار بالخشوع
لانه فيها اظهر منه في سائر الجوارح وكذلك سائر ما في نفس الانسان من حياء او صلف او خوف ونحوه
انما يظهر في الابصار و الاجداث جمع جدث وهو القبر وتشبيههم سبحانه بالجراد المنتشر وقد شبههم سبحانه
في آية اخرى بالفراش المبثوث وفيهم من كل هذا شبه وذهب بعض المفسرين الى انهم اولا كالفراش
حين يموج بعضهم في بعض ثم في رتبة اخرى كالجراد اذا توجهوا نحو المحشر والداعي و المهطع المسرع في
مشيه نحو الشيء مع هز ورهق ومد بصر نحو المقصد اما لخوف او طمع او نحوه قال ابو حيان
مهطعين اي مسرعين وقيل فاتحين اذانهم للاصوات انتهى ويقول الكافرون هذا يوم عسر
لما يرون من مخائل هوله وعلامات مشقته و قوله سبحانه كذبت قبلهم قوم نوح الآية وعيد لقريش
وضرب مثل لهم وازدجر [illegible] من الله عز وجل انهم زجروا نوحا عليه السلام بالسب والنجه والتخويف
قاله ابن زيد و قوله فانتصر اي فانتصر لي منهم بان تهلكهم و قوله ففتحنا ابواب السماء قال الجمهور
هذا مجاز وتشبيه لان المطر كانه من ابواب وهذا مبدأ الانتقام من الكفار والمنهمر الشديد الوقوع

العزيز وقرأ الجمهور فالتقى الماء يعني ماء السماء وماء العيون و قوله سبحانه على امر قد قدر اي قد
قضي وقدر في الازل وذات الواح ودسر هي السفينة والدسر المسامير واحدها دسار وهذا
هو قول الجمهور وقال مجاهد الدسر اضلاع السفينة قال العراقي والدسار ايضا ما تشد به السفينة
انتهى و قوله تعالى تجري باعيننا معناه بحفظنا وتحت نظر منا قال النحاس قال قتادة ابقى
الله تعالى سفينة نوح حتى ادركها اوائل هذه الامة انتهى وقرأ جمهور الناس جزاء لمن كان كفر مبنيا
للمفعول قال مكي قيل من يراد بها نوح والمؤمنون لانهم كفروا من حيث كفر بهم فجازاهم الله بالنجاة
وقرئ شاذا كفر مبنيا للفاعل والضمير في تركناها قال مكي هو عائد على هذه الفعلة وقال غيره
هو عائد على السفينة ومدكر اصله مذتكر ابدلوا من التاء دالا ثم ادغموا الذال في الدال وهذه قراءة
الناس قال ابو حاتم ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد صحيح و قوله تعالى فكيف كان عذابي
ونذر توقيف لكفار قريش والنذر هنا جمع نذير المصدر كيف كان عاقبة انذاري لمن لم يحتفل به
كانتم ايها القوم ويسرنا القرآن اي سهلناه وقربناه والذكر الحفظ عن ظهر قلب قال و يسرناه بما فيه
من حسن النظم وشرف المعاني فله حلاوة في القلوب وامتزاج بالعقول السليمة و قوله فهل من مدكر
اي من متعظ و قوله في يوم نحس مستمر الآية ورد في بعض الاحاديث في تفسير هذه الآية يوم نحس مستمر
يوم الاربعاء ومستمر معناه متتابع و قوله تنزع الناس معناه تقلعهم من مواضعهم قلعا فتطرحهم
وروي عن مجاهد ان الريح كانت تلقي الرجل على راسه فيفتت راسه وعنقه وما يلي ذلك من
بدنه قال ع فلذلك حسن التشبيه باعجاز النخل لانهم كانوا يحتفرون حفرا ليمتنعوا فيها من الريح
فكان تشبيه تلك الحفر بعد النزع بحفر اعجاز النخل والنخل يذكر ويؤنث فائدة تكرار قوله فكيف
كان عذابي ونذري التخويف وهز النفوس وهذا موجود في تكرار الكلام كقوله صلى الله عليه وسلم
الا هل بلغت الا هل بلغت ونحوه وثمود لصالح ابشرا منا واحدا نتبعه هو حسد منهم واستبعاد
منهم ان يكون نوع البشر يفضل هذا التفضيل ولم يعلموا ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
ويفيض نور الهدى على من رضيه و قولهم انا اذا لفي ضلال اي في ذهاب وانتلاف عن الصواب و سعر
معناه في احتراق انفس واستعارها حنقا وقيل في جنون يقال ناقة مسعورة اذا كانت
خفيفة الراس هائمة على وجهها و الاشر البطر وقرأ الجمهور سيعلمون بالياء وقرأ حمزة وحفص
ستعلمون بالتاء من فوق على معنى قل لهم يا صالح ثم اخبر الله صالحا بارتقاب الفرج والصبر
وقال الثعلبي ت فارتقبهم اي انظرهم ما يصنعون و نبئهم ان الماء قسمة بينهم وبين الناقة
لها شرب ولهم شرب يوم معلوم و محتضر معناه محضور مشهود متواسى فيه وقال مجاهد
كل شرب اي من الماء يوما ومن لبن الناقة يوما محتضر لهم فكانه انبأهم بنعمة الله سبحانه عليهم في
ذلك وصاحبهم هو قدار بن سالف وتعاطى مطاوع عاطى فكان هذه الفعلة تدافعها الناس
واعطاها بعضهم بعضا فتعاطاها هو وتناول العقر بيده قاله ابن عباس وقد تقدم قصص
القوم والهشيم ما تفتت وتهشم من الاشياء والمحتظر وهو صانع واهل البوادي يصنعونها للمواشي
وللسكنى ايضا من الاغصان والشجر المورق والقصب ونحوه وهذا كله هشيم يتفتت اما في اول
الصنعة واما عند بلى الحظيرة وتساقط اجزائها وقد تقدم قصص قوم لوط والحاصب مأخوذ
من الحصباء و قوله فتماروا معناه تشككوا واهدى بعضهم الشك الى بعض بتعاطيهم الشبه والضلال

والمعنى

معناه الذي يصنع حظيرة قاله ابن زيد وغيره وهي ماخوذة من الحظر

والنذر جمع نذير وهو المصدر ويحتمل ان يراد بالنذر هنا وفي قوله كذبت قوم لوط بالنذر جمع
نذير الذي هو اسم فاعل و قوله سبحانه فطمسنا اعينهم قال قتادة هي حقيقة جر جبريل شيئا من جناحه
على اعينهم فاستوت مع وجوههم قال ابو عبيدة مطموسة بجلدة كالوجه وقال ابن عباس والضحاك
هذه استعارة وانما حجبنا ادراكهم فدخلوا المنزل ولم يروا شيئا فجعل ذلك كالطمس و قوله بكرة
قيل عند طلوع الفجر وقوله فذوقوا يحتمل ان يكون من قول الله تعالى لهم ويحتمل ان يكون من قول
الملائكة ونذر جمع المصدر اي وعاقبة انذاري ومستقر اي دائم استقر فيهم حتى يفضي بهم
الى عذاب الآخرة وآل فرعون قومه واتباعه و قوله كذبوا باياتنا يحتمل ان يريد آل فرعون
ويحتمل ان يكون قوله ولقد جاء آل فرعون النذر كلاما تاما ثم يكون قوله كذبوا باياتنا
كلها يعود على جميع من ذكر من الامم و قوله تعالى اكفاركم خير من اولائكم خطاب لقريش على جهة التوبيخ
و قوله ام لكم براءة من العذاب في الزبر اي في كتب الله المنزلة قاله ابن زيد وغيره
ثم قال تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ام يقولون نحن واثقون بجماعتنا منتصرون
بقوتنا على جهة الاعجاب سيهزمون فلا كما وعد سبحانه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كنت اقول في
نفسي اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع
وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر والجمهور على الآية نزلت بمكة و قول من زعم انها نزلت
يوم بدر ضعيف قال ابو حيان ويولون الجمهور بياء الغيبة وعن ابي عمرو بتاء الخطاب والدبر هنا اسم جنس
وجنس افراده كونه فاصلة وقد جاء مجموعا في آية اخرى وهو الاصل انتهى ثم اضرب سبحانه تهمما بالامر
الساعة التي هي اشد عليهم من كل هزيمة وقتل فقال بل الساعة موعدهم و ادهى افعل من الداهية وهي
الرزية العظمى تنزل بالمرء وامر من المرارة ت وقال الثعلبي الداهية الامر الشديد الذي لا يهتدى
للخلاص منه انتهى ثم اخبر تعالى عن المجرمين انهم في الدنيا في حيرة وانتلاف وفقد هدى وفي الآخرة
في احتراق وتسعر وقال ابن عباس المعنى في خسران وجنون والسعر الجنون واكثر المفسرين على
ان المجرمين هنا يراد بهم الكفار والسحب الجر و قوله سبحانه انا كل شيء خلقناه بقدر قرا الجمهور
بالنصب وقالوا المعنى انا خلقنا كل شيء بقدر سابق وليست خلقناه في موضع الصفة لشيء وهذا
مذهب اهل السنة وهذا المعنى يقتضي ان كل شيء مخلوق الا ما قام عليه الدليل انه ليس بمخلوق كالقرآن
والصفات قلت قال الثعلبي قال ابن عباس خلق الله الخلق كلهم بقدر وخلق الخير والشر فخير الخير
السعادة وشر الشر الشقاوة و قوله سبحانه وما امرنا الا واحدة قال ع اي الا قولة واحدة وهي كن
ت قوله الا قولة واحدة فيه قلق ما وكانه فهم ان معنى الآية راجع الى قوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون وعبارة الثعلبي وما امرنا الا واحدة اي الا دفعة واحدة قال ابو حيان
هي نعت للمعنى دون اللفظ مجاز وما امرنا الا واحدة كن فيكون كلمح البصر اي كخطف بالبصر
قيل يعني انه الساعة فقال الساعة وجميع ما يريد انتهى وكلام ابي عبيدة عندي حسن والاشياع الفرق المتشابهة
في مذهب او دين ونحوه الاول شيعة للآخر والآخر شيعة للاول وكل شيء فعلته الامم المهلكة
في الزبر اي مكتوب محفوظ عليهم الى يوم الحساب قاله ابن عباس وغيره ومستطر اي مسطر وقرا الجمهور
ونهر بفتح النون والهاء على انه اسم الجنس يريد به الانهار او على انه بمعنى وسعة في الارزاق والمنازل
قال ابو حيان وقرا الاعمش ونهر بضم النون والهاء جمع نهر كرهن ورهن و قوله تعالى في مقعد صدق

يجمل

بنفع جمعهم وهذه معجزة من الله تعالى
لرسوله ان جمع قريش يهزم
فكان

يحتمل ان يريد به الصدق الذي هو ضد الكذب اي المقعد الذي صدقوا في الخبر به ويحتمل
ان يكون من قولك عود صدق اي جيد ورجل صدق اي خير والمليك المقتدر الله تعالى ت
وقال الثعلبي في مقعد صدق اي مجلس حق لا لغو فيه ولا تاثيم وهو الجنة عند مليك
مقتدر وعند اشارة الى القربة والرتبة انتهى م قال ابو البقاء في مقعد صدق بدل من
قوله في جنات انتهى قال المحاسبي واذا اخذ اهل الجنة مجالسهم واطمانوا في مقعد الصدق الذي
وعدهم الله فهم في القرب من مولاهم سبحانه على قدر منازلهم عنده انتهى من كتاب التوهم
ثم قال المحاسبي باثر هذا الكلام فلو رايتهم وقد سمعوا كلام ربهم وقد داخل قلوبهم السرور
وقد بلغوا غاية الكرامة ومنتهى الرضى والغبطة فما ظنكم بنظرهم الى العزيز العظيم الجليل الذي
لا تقع عليه الاوهام ولا تحيط به الافهام ولا تحده الفطن ولا تكيفه الفكر الازلي القديم
الذي حارت العقول عن ادراكه وكلت الالسنة عن كنه صفاته انتهى والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم تسليما سورة الرحمن عز وجل مكية في قول الجمهور قوله عز وجل الرحمن
علم القرآن الرحمن مبالغة من الرحمة وقوله علم القرآن تعديد نعمة اي هو من به وعلمه
الناس وخص حفاظه وفهمته بالفضل قال النبي صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم القرآن وعلمه
ومن الدليل على ان القرآن غير مخلوق ان الله تعالى ذكر القرآن في كتابه في اربعة وخمسين موضعا
ما فيها موضع ومن الدليل على ان القرآن غير مخلوق ان الله تعالى ذكر القرآن صرح فيه بلفظ الخلق
ولا اشارة اليه وذكر الانسان على الثلث من ذلك في ثمانية عشر موضعا كلها نصت على خلقه
وقد اقترن ذكرهما في هذه السورة على هذا النحو والانسان هنا اسم جنس قاله الزهراوي وغيره
قال الفخر الرحمن مبتدا خبره الجملة الفعلية التي هي علم القرآن انتهى والبيان النطق والفهم والابانة
عن ذلك بقول قاله الجمهور وبذلك فضل الانسان من سائر الحيوان وكل المعلوم داخلة في البيان
الذي علمه الانسان فمن ذلك البيان كون الشمس والقمر بحسبان وهذا ابتداء تعديد نعم قال قتادة بحسبان
مصدر كالحسبان وقال ابو عبيدة معمر بن المثنى والضحاك هو جمع حساب والمعنى ان هذين لهما في طلوعهما
وغروبهما وقطعهما البروج وغير ذلك حسابات شتى وهذا مذهب ابن عباس وغيره وقال قتادة
الحسبان الفلك المستدير شبهه بحسبان الرحا وهو العود المستدير الذي باستدارته تستدير المطحنة
و قوله سبحانه والنجم والشجر يسجدان قال ابن عباس وغيره النجم النبات الذي لا ساق له قال ع وسمي
نجما لانه نجم اي ظهر وهو مناسب للشجر نسبة بينة وقال مجاهد وغيره النجم اسم الجنس من
نجوم السماء قال ع والنسبة التي لها من السماء هي التي للشجر من الارض لانهما في ظاهرهما وسمي الشجر
من اشجار عضونه وهو تداخلها قال مجاهد وسجودهما عبارة عن التذلل والخضوع و قوله سبحانه
ووضع الميزان يريد به العدل قاله اكثر الناس و قوله الا تطغوا في الميزان و قوله واقيموا
الوزن بالقسط و قوله ولا تخسروا الميزان يريد به الميزان المعروف والا هو بتقدير لئلا او
مفعول من اجله وفي مصحف ابن مسعود لا تطغوا في الميزان وقرا بلال بن بردة تخسروا
بفتح التاء وكسر السين من خسر ويقال خسر واخسر بمعنى نقص وافسد كجبر واجبر والانام قال
الحسن بن ابي الحسن هم الثقلان الانس والجن وقال ابن عباس وقتادة وابن زيد والشعبي هم

هو الحيوان كله والنخل ذات الاكمام وذلك ان طلعها فى كم وفروعها ايضا فى اكمام من ليفها والكم
من النبات كل ما التف على شئ وستره ومنه كمائم الزهر وبه شبه كم الثوب والحب ذو العصف
هو البر والشعير وما جرى مجراه قال ابن عباس العصف التبن واختلف فى الريحان فقال ابن عباس
وغيره هو الرزق وقال الحسن هو ريحانكم هذا وقال ابن زيد وقتادة الريحان هو كل مشموم طيب
قال ع وفى هذا النوع نعمة عظيمة ففيه الازهار والمندل والعقاقير وغير ذلك وقرا الجمهور و
الريحان بالرفع عطفا على فاكهة وقرا حمزة والكسائى والريحان بالخفض عطفا على العصف فالريحان
على هذه القراءة الرزق لا يدخل فيه المشموم الا بتكلف وريحان اصله روحان فهو من ذوات الواو والالاء
النعم والضمير فى قوله ربكما للجن والانس اللذين تضمنهما لفظ الانام وايضا ساغ تقديم ضميرهما
عليهما لذكر الانسان والجان عقب ذلك وفيه اتساع وقال ابن سعيد خوطب من يعقل لان
المخاطبة بالقرآن كله هى للانس والجن وعن جابر قال قرا علينا النبى صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن
حتى ختمها فقال مالى اراكم سكوتا للجن كانوا احسن منكم ردا لان المخاطبة بالقرآن كله هى للانس والجن
وعن جابر قال قرا علينا النبى صلى الله عليه وسلم ما قرات عليهم هذه الاية من مرة فباى الاء ربكما
تكذبان الا قالوا ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب وقوله سبحانه خلق الانسان من صلصال كالفخار
وخلق الجان من مارج من نار الاية اختلف فى اشتقاق الصلصال فقيل هو من صل اذا انتن
فهى اشارة الى الحماة وقال الجمهور هو من صل اذا صوت وذلك فى الطين لجودته فهى اشارة الى
ما كان فى تربة ادم من الطين الحر وذلك ان الله تعالى خلقه من طين مختلف فمرة ذكر فى خلقه
هذا ومرة هذا وكلما فى القرآن صفات ترددت على التراب الذى خلق منه والفخار الطين
الطيب اذا مسه الماء فخر اى ربا وعظم والجان اسم جنس كالجنة قال الفخر وفى الجان وجه
اخر انه ابو الجن كما ان الانسان هنا الانس خلق من صلصال ومن بعده خلق من صلبه كذلك
الجان هنا ابو الجن خلق من نار ومن بعده من ذريته انتهى والمارج اللهب المضطرب من النار
قال ابن عباس هو احسن النار المختلط من الوان شتى قال ابو حيان المارج المختلط من اصفر واخضر
واحمر انتهى وكرر سبحانه قوله فباى الاء ربكما تكذبان تاكيدا وتنبيها للنفوس وتحريكا لها وهذه
طريقة من الفصاحة معروفة وهى من كتاب الله فى مواضع وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم وفى
كلام العرب وذهب قوم الى ان هذا التكرار انما هو لما اختلفت النعم المذكورة كرر التوقيف مع كل
واحد منها قال ع وهذا احسن وقال الحسين بن الفضل التكرار لطرد الغفلة وللتاكيد
وخص سبحانه ذكر المشرقين والمغربين بالتشريف فى اضافة الرب اليهما لعظمهما فى المخلوقات
ويحتمل الاية ان يراد فى البحرين قال ع والظاهر عندى ان قوله تعالى البحرين يريد بهما نوعى الماء
العذب والاجاج اى خلطهما فى الارض وارسلهما متداخلين وفى وصفهما فى الارض قريب
بعضها من بعض ولا بغى قال ابن عطيه وذكر الثعلبى فى مرج البحرين الغازا واقوالا باطنة لا
يجب ان يلتفت الى شئ منها ت ولا شك فى اطراحها فمنها نقل عن الثورى مرج البحرين فاطمة وعلى
اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين ثم تمادى فى نحو هذا مما كان الاولى تركه ومرج الشئ اختلط
والبرزخ الحاجز قال البخارى لا يبغيان لا يختلطان انتهى قال ابن مسعود والمرجان حجر احمر وهذا
هو الصواب قال عطاء الخراسانى وهو البسد وقوله سبحانه يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان قال جمهور

المشرقين والمغربين وما بينهما كما هو فى سورة الشعراء واختلف الناس م

من المتاولين انما يخرج ذلك من الاجاج فى المواضع التى تقع فيها الانهار والمياه العذبة
فلذلك قال منهما ت وهذا بناء على ان الضمير فى منهما للعذب والملح واما على قول من
ان قال ان البحرين بحر فارس والروم او بحر القلزم وبحر الشام فلا اشكال اذ كلها مالحة
وقد نقل الاخفش عن قوم انه يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح ومن العذب وليس لمن رده حجة
قاطعة ومن اثبت اولى ممن نفى قال ابو حيان والضمير فى منهما يعود على البحرين يعنى العذب
والملح والظاهر خروج اللؤلؤ منهما وحكاه الاخفش عن قوم انتهى والجوارى جمع جارية
وهى السفن وقرا حمزة وابو بكر المنشئات بكسر الشين اى اللواتى انشان جريهن اى ابتدان
وقرا الباقون بفتح الشين اى انشاها الله او الناس وقال مجاهد المنشئات ما رفع قلعه
من السفن فاما ما لا يرفع فليس بمنشئات انتهى وقوله سبحانه كل من عليها فان اى على الارض فان
والاشارة بالفناء الى جميع الموجودات على الارض من حيوان وغيره والوجه عبارة عن الذات لان
الجارحة منفية فى حقه سبحانه قال الداودى وعن ابن عباس ذو الجلال قال ذو العظمة والكبرياء
انتهى وقوله سبحانه يساله من فى السموات اى من ملك وانس وجن وغيرهم لا غنى لاحد منهم عنه سبحانه
كلهم يساله حاجته اما بلسان مقال واما بلسان حال وقوله سبحانه كل يوم هو فى شان اى يظهر
شانا من قدرته التى قد سبقت فى الازل فى ميقاتها من الزمان من احياء واماتة ورفعة
وخفض وغير ذلك من الامور التى لا يعلم نهايتها الا هو سبحانه والشان اسم جنس للامور
قال الحسين ابن الفضل معنى الاية سوق المقادير الى المواقيت وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم
قرا هذه الاية فقيل له ما هذا الشان يا رسول الله قال يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما
ويضع اخرين وذكر الثعلبى ان سبب نزول هذه الاية قول اليهود استراح الله السبت فلا ينفذ فيه م
شيئا وقوله تعالى سنفرغ لكم ايها الثقلان عبارة عن اتيان الوقت الذى قدر فيه وقضى ان ينظر
فى امور عباده وذلك يوم القيمة وليس المعنى ان ثم شغلا يتفرغ منه اذ لا يشغله سبحانه
شان عن شان وانما هى اشارة وتهديد وقال البخارى وهو معروف فى كلام العرب يقال
لافرغن لك وما به شغل انتهى والثقلان الجن والانس يقال لكل ما يعظم امره ثقل وقال
جعفر بن محمد الصادق سمى الانس والجن ثقلين لانهما اثقلا بالذنوب قال ابن عطيه وهذا
بارع ينظر الى خلقهما من طين ونار واختلف الناس فى معنى قوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا
الاية فقال الطبرى قال قوم المعنى يقال لهم يوم القيمة يا معشر الجن والانس ان استطعتم الاية
قال الضحاك وذلك انه يفر الناس فى اقطار الارض والجن كذلك لما يرون من هول يوم القيمة
فيجدون سبعة صفوف من الملائكة قد احاطت بالارض فيرجعون من حيث جاؤوا فحينئذ يقال
لهم يا معشر الجن والانس وقال بعض المفسرين هى مخاطبة فى الدنيا والمعنى ان استطعتم الفرار
من الموت بان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا ت والصواب الاول وقوله
فانفذوا صيغة امر ومعناه التعجيز والشواظ هو لهب النار قاله ابن عباس وغيره قال
ابو حيان الشواظ هو اللهب الخالص بغير دخان انتهى والنحاس هو المعروف قاله ابن عباس وغيره اى
يذاب ويرسل عليهما ونحوه فى البخارى قال م وقال الخليل النحاس هنا هو الدخان الذى لا لهب
له ونقله ايضا ابو البقاء وغيره انتهى وقوله سبحانه فاذا انشقت السماء جواب اذا محذوف ومقصود

به الابهام كانه يقول فاذا انشقت السماء فما اعظم الهول قال قتادة السماء اليوم خضرا
وهي يوم القيمة حمرا فمعنى قوله وردة اي محمرة كالوردة هي النوار المعروف وهذا قول الزجاج
وغيره وقوله كالدهان قال مجاهد وغيره هو جمع دهن وذلك ان السماء يعتريها يوم القيمة
ذوب وتميع من شدة الهول وقال ابن جريج من حر جهنم نقله الثعلبي وقيل غير هذا وقوله فيومئذ
لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان قال قتادة وغيره هي مواطن فلا تعارض بين الايات وقوله سبحانه
فيوخذ بالنواصي والاقدام قال ابن عباس يوخذ كل كافر بناصيته وقدميه ويطوى ويجمع كالحطب
ويلقى كذلك في النار وقيل المعنى ان بعض الكفرة يوخذون بالنواصي ويجرون بالاقدام وقوله تعالى هذه
وبعضهم يسحبون صح
جهنم اي يقال لهم على جهة التوبيخ وفي مصحف ابن مسعود هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان لا تموتان فيها
ولا تحييان وقوله سبحانه يطوفون بينها وبين حميم ان المعنى انهم يترددون بين نار جهنم وجمرها
وبين حميم وهو ما غلى في جهنم من مائع عذابها وان الشيء حضر وان اللحم او ما يطبخ او يغلى نضج
وتناهى حره وكونه من الثاني ابين وقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اي موقفه بين يدي ربه
قيل في هذه الاية ان كل خائف له جنتان قال الثعلبي قال محمد بن علي الترمذي جنة لخوفه من ربه وجنة
لتركه شهوته والافنان يحتمل ان يكون جمع فنن وهو الغصن وهذا قول مجاهد فكانه مدحها
بظلالها وتكاثف اغصانها ويحتمل ان يكون جمع فن وهو قول ابن عباس فكانه مدحها بكثرة فواكهها
ونعيمها ومن كل فاكهة زوجان معناه نوعان ت ونقل الثعلبي عن ابن عباس قال ما في الدنيا شجرة حلوة ولا مرة الا
وهي في الجنة حتى الحنظل الا انه حلو انتهى ومتكين حال وقرا الجمهور على فرش بضم الراء وورد في الحديث
انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هذه البطاين من استبرق فكيف الظواهر قال هي من نور يتلالا و
الاستبرق ما خشن وحسن من الديباج والسندس ما رق منه وقد تقدم القول في لفظ الاستبرق
جنات صح
والضمير في قوله فيهن للفرش وقيل للجنات اذ الجنتان في المعنى جنات والجنى ما يجنى من الثمار ووصفه
بالدنو لانه يدنو الى مشتهيه فيتناوله كيف شاء من قيام او جلوس واضطجاع روي في معناه الحديث
وقاصرات الطرف هن الحور قصرن الحاظهن على ازواجهن لم يطمثهن اي لم يفتضهن لان الطمث دم الفرج
وقوله ولا جان قال مجاهد الجن قد تجامع نساء البشر مع ازواجهن اذا لم يذكر الزوج اسم الله
فنفى سبحانه في هذه الايات جميع المجامعات وقوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان هي من الاشياء التي
قد برع حسنها واستشعرت النفوس جلالتها فوقع التشبيه بها فيما شبه ويحسن بهذه المشبهات
كالياقوت في املاسه وشفوفه ولو ادخلت فيه سلكا لرايته من ورائه وكذلك المراة من نساء الجنة
يرى مخ ساقها من وراء العظم والمرجان في املاسه وجمال منظره وقوله سبحانه هل جزاء الاحسان
الا الاحسان انه وعد وبسط لنفوس جميع المومنين لانها عامة قال ابن المنكدر وابن زيد وجماعة
من اهل العلم هي للبر والفاجر والمعنى ان جزاء من احسن بالطاعة ان يحسن اليه بالتنعيم وحكى النقاش
ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر هذه الاية هل جزاء التوحيد الا الجنة ت ولو صح هذا الحديث
لوجب الوقوف عنده ولكن الشان في صحته قال الفخر قوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان
فيه وجوه كثيرة حتى قيل ان في القران ثلاث ايات في كل واحدة منها مائة قول احدها هل
قوله تعالى فاذكروني اذكركم وثانيها وان عدتم عدنا وثالثها هل جزاء الاحسان الا الاحسان ولنذكر الاشهر منها والاقرب اما الاشهر فوجوه احدها صح
جزاء التوحيد الا الجنة اي هل جزاء من قال لا اله الا الله الا دخول الجنة ثانيها هل جزاء
الاحسان في الدنيا الا الاحسان في الاخرة ثالثها هل جزاء من احسن اليكم بالنعم في الدنيا

الا ان يحسنوا له العبادة والتقوى واما الاقرب فهو التعميم اي لان لفظ الاية عام انتهى وقوله
سبحانه ومن دونهما جنتان قال ابن زيد وغيره معناه ان هاتين دون تلك في المنزلة والقرب
فالاولتان للمقربين وهاتان لاصحاب اليمين وعن ابن عباس ان المعنى انهما دونهما في القرب الى
المنعمين وانهما افضل من الاولتين قال ابن عطيه واكثر الناس على التاويل الاول قلت واختار
الترمذي الحكيم التاويل الثاني واطنب في الاحتجاج له في نوادر الاصول له وخرج البخاري هنا عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما
الحديث وفيه ان في الجنة خيمة من لولوة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها اهل ما يرون
الاخرين يطوف عليهم المومن انتهى ومدهامتان معناه قد علا لونهما دهمة وسواد في النضرة و
الخضرة قال البخاري مدهامتان سوداوان من الري انتهى والنضاختان الفوارتان التي تهيج ماوهما وكرر
النخل والرمان وهما من افضل الفاكهة تشريفا لهما وقالت ام سلمة قلت يا رسول الله اخبرني
عن قوله تعالى خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه وقرى شاذا خيرات بشد
الياء المكسورة قلت وفي صحيح البخاري من حديث انس عن النبي صلى الله عليه لروحة في سبيل الله او
غدوة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس احدكم في الجنة او موضع قيد سوطه خير من الدنيا
وما فيها ولو ان امراة من اهل الجنة اطلعت الى اهل الارض لاضاءت ما بينهما ولملاته ريحا ولنصيفها
على راسها يعني الخمار خير من الدنيا وما فيها وقوله سبحانه مقصورات اي محجوبات مصونات في الخيام وخيام
الجنة بيوت اللولو قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه هي در مجوف ورواه ابن مسعود عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال الداودي وعن ابن عباس الخيمة لولوة مجوفة فرسخ في فرسخ لها اربعة الاف
مصراع انتهى والرفرف ما تدلى من الاسرة من عالي الثياب والبسط وقال ابن عباس وغيره وما يتدلى
وغيره صح
من حول الخباء من الخرق الهفافة يسمى رفرفا وكذلك يسميه الناس كثيرا وقيل غير هذا وما ذكرناه
اصوب والعبقري بسط حسان فيها صور وغير ذلك تصنع بعبقر وهو موضع يعمل فيه الوشي والديباج
ونحوه قال ابن عباس العبقري الزرابي وقال ابن زيد هي الطنافس قال الخليل والاصمعي العرب اذا استحسنت
شيئا واستجادته قالت عبقري قال ابن عطيه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في قوله عمر فلم ار عبقريا
من الناس يفري فريه وقوله سبحانه تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام هذا الموضع مما اريد فيه بالاسم
مسماه والدعاء بها بين الكلمتين حسن مرجو الاجابة وقد قال صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال
والاكرام بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه
وسلم تسليما سورة الواقعة مكية باجماع ممن يعتد بقوله روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال من دام على قراءة سورة الواقعة لم يفتقر ابدا او قال لم تصبه فاقة ابدا قال ابن عطية لان فيها ذكر
القيمة وحظوظ الناس في الاخرة وفهم ذلك غنى لا فقر معه ومن فهمه شغل بالاستعداد وقوله سبحانه اذا
وقعت الواقعة الاية الواقعة اسم من اسماء القيمة قاله ابن عباس وقال الضحاك الواقعة الصيحة وهي
النفخة في الصور وكاذبة يحتمل ان يكون مصدرا فالمعنى ليس لها تكذيب ولا رد ولا مثنوية وهذا
قول مجاهد والحسن ويحتمل ان يكون صفة لمقدر كانه قال ليس لوقعتها حال كاذبة وقوله سبحانه
خافضة رافعة قال قتادة وغيره يعني القيمة تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما الى الجنة
وقيل ان انفطار السموات والارض والجبال وانهدام هذه البنية ترفع طائفة من الاجرام وتخفض

الخزي فكانها عبارة عن شدة هول القيمة والاول ابين وهو تفسير البخاري ومعنى رجت زلزلت
وحركت بعنف قاله ابن عباس ومعنى بست فتت كما تبس البسيسه وهي السويق قاله ابن عباس وغيره وقال
بعض اللغويين بست معناه سيرت والهبا ما يتطاير في الهوا من الاجزاء الدقيقة ولا يكاد يرى الا في
الشمس اذا دخلت من كوة قاله ابن عباس وغيره والمنبث بالثا المثلثة السائغ في جميع الهوا والخطاب في
قوله وكنتم لجميع العالم والازواج الانواع قال قتادة هذه منازل الناس يوم القيمة وقوله سبحانه فاصحاب
الميمنة ابتدا وما ابتدا ثان واصحاب الميمنة خبر ما والجملة خبر الابتدا الاول وفي الكلام معنى
التعظيم كما تقول زيد ما زيد ونظير هذا في القران كثير والميمنة اظهر ما في اشتقاقها انها من ناحية
اليمن وقيل من اليمن وكذا المشامة اما ان تكون من اليد الشمال واما ان تكون من الشوم وقد فسرت الاية
بهذين المعنيين وقوله تعالى والسابقون ابتدا والسابقون الثاني قال سيبويه هو خبر الاول
وهذا على معنى تفخيم الامر وتعظيمه وقال بعض النحاة السابقون الثاني نعت للاول ومعنى الصفة ان
تقول والسابقون الى الايمان السابقون الى الجنة والرحمة اولئك ويتجه هذا المعنى على الابتدا والخبر
وقوله اولئك المقربون ابتدا وخبر وهو في موضع الخبر على قول من قال السابقون الثاني صفة والمقربون
معناه من الله في جنة عدن فالسابقون معناه الذين قد سبقت لهم السعادة وكانت اعمالهم في الدنيا
سبقا الى اعمال البر والى ترك المعاصي فهذا عموم في جميع الناس وخصص المفسرون في هذا اشيا تفتقر الى سند
قاطع وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن السابقين فقال هم الذين اذا اعطوا الحق قبلوه
واذا سيلوه بذلوه وحكموا للناس بحكمهم لانفسهم والمقربون عبارة عن اعلى منازل البشر في الاخرة قال جماعة
من اهل العلم هذه الاية متضمنة ان العالم يوم القيمة على ثلاثة اصناف وقوله سبحانه ثلة من الاولين وقليل
من الاخرين الثلة الجماعة قال الحسين بن ابي الحسين وغيره المراد السابقون من الامم والسابقون
من هذه الامة وروي ان الصحابة حزنوا لقلة سابقي هذه الامة على هذا التاويل فنزلت الاية ثلة من الاولين
وثلة من الاخرين فرضوا وروي عن عايشة انها تاولت ان الفرقتين في امة كل نبي هي في الصدر ثلة
وفي اخر الامة قليل وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه الفرقتان في امتي فسابق اول الامة ثلة
وسابق اخرها الى يوم القيمة قليل السهيلي واما اخر من يدخل الجنة وهو اخر اهل النار خروجا منها
فرجل اسمه جهينة فيقول اهل الجنة تعالوا نسال الله فعند جهينة الخبر اليقين فيسالونه هل بقي في
النار احد بعدك ممن يقول لا اله الا الله وهذا حديث ذكره في كتاب رواه مالك بن انس رحمه الله انتهى و
قوله تعالى على سرر موضونة اي منسوجة بتركيب بعض اجزايها على بعض كحلق الدرع ومنه وضين الناقة
وهو حزامها قال ابن عباس موضونة مرمولة بالذهب وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت يطوف
عليهم للخدمة ولدان وهم صفا الخدمة ووصفهم سبحانه بالخلد وان كان جميع ما في الجنة كذلك اشارة الى انهم
في حال الولدان مخلدون ولا تكبر لهم سن اي لا يحولون من حالة الى حالة وقاله ابن كيسان وقال
الفرا مخلدون معناه مقرطون بالخلدات وهي ضرب من الاقراط والاول اصوب لان العرب تقول للذي
كبر ولم يشب انه لمخلد والاكواب ما كان من اواني الشرب لا اذن له ولا خرطوم قال قتادة ليست لها عرى
والابريق ماله خرطوم والكاس الانية المعدة للشرب بشريطة ان يكون فيها خمر ولا يقال للانية فيها
ما او لبن كاسا وقوله لا يصدعون عنها ذهب اكثر المفسرين الى ان المعنى لا يلحقهم وجع الصداع
الذي يلحق منه خمر الدنيا وقال قوم معناه لا يفرقون عنها بمعنى لا تنقطع عنهم لذتهم بسبب من الا

الاسباب

من الاسباب كما يفرق اهل خمر الدنيا بانواع من التفريق ولا ينزفون معناه لا تذهب عقولهم سكرا
قاله مجاهد وغيره والنزيف السكران وباقي الاية بين وخص المكنون باللولو لانه اصفى لونا
وابعد من الغبر وسالت ام سلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا التشبيه فقال صفاوهن
كصفاء الدر في الاصداف الذي لا تمسه الايدي وجزاء بما كانوا يعملون اي ان هذه الرتب والنعيم
هي لهم بحسب اعمالهم لانه روي ان المنازل والقسم في الجنة هي مقتسمة على قدر الاعمال ونفس دخول
الجنة هو برحمة الله وفضله لا بعمل عامل كما جاء في الصحيح وقوله تعالى الا قيلا سلاما سلاما قال
ابو حيان الا قيلا سلاما سلاما الظاهر ان الاستثناء منقطع لانه لا يندرج في اللغو والتاثيم
وقيل متصل وهو بعيد انتهى قال الزجاج وسلاما مصدر كانه يذكر انه يقول بعضهم لبعض سلاما
سلاما ت قال الثعلبي والسدر شجر النبق ومخضود اي مقطوع الشوك قال ابن عطيه و
لاهل تحرير النظر هنا اشارة في ان هذا الخفية بازا اعمالهم التي سلموا منها اذ اهل اليمين توابون
لهم سلام وليسوا بسابقين قال الفخر وقد بان بالدليل ان المراد باصحاب اليمين الناجون الذين
اذنبوا واسرفوا وعفا الله تعالى عنهم بسبب ادنى حسنة لا الذين غلبت حسناتهم وكثرت انتهى
والطلح من العضاه شجر عظيم كثير الشوك وصفه في الجنة على صفات مباينة لحال الدنيا ومنضود
معناه مركب ثمره بعضه على بعض من ارضه الى اعلاه وقرا علي رضي الله عنه وغيره وطلع
فقيل لعلي انما هو وطلح فقال ما للطلح والجنة فقيل له اتصلحها في المصحف فقال ان المصحف
اليوم لا يهاج ولا يغير وقال علي وابن عباس الطلح الموز والظل الممدود معناه الذي لا تنسخه شمس
وتفسير ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر في ظلها مائة سنة
لا يقطعها واقروا ان شيتم وظل ممدود الى غير هذا من الاحاديث في هذا المعنى ت وفي صحيحي البخاري
ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب ظلها مائة سنة لا يقطعها ولقاب
قوس احدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس او تغرب انتهى وماء مسكوب اي جار في غير اخدود
اخدود لا مقطوعة ولا ممنوعة اي لا مقطوعة بالازمان كحال فاكهة الدنيا ولا ممنوعة بوجه
من الوجوه التي تمتنع بها فاكهة الدنيا والفرش الاسرة وعن ابي سعيد الخدري ان في ارتفاع
السرير منها مسيرة خمسمائة سنة قلت وهذا ان ثبت فلا بعد فيه اذ احوال الاخرة كلها
خرق عادة وقال ابو عبيدة وغيره اراد بالفرش النسا ومرفوعة معناه في اقدار المنازل وانشاناهن
معناه خلقناهن شيا بعد شي وقال النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير هذه الاية من عجايز كن في الدنيا
عمشا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا وقال للعجوز ان الجنة لا يدخلها العجز فحزنت فقال انك
اذا وجدتها بكرا والعرب جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها باظهار محبته قاله ابن عباس
وعبر عنهن ابن عباس بالعواشق وقال ابن زيد العروب الحسنة الكلام ت قال البخاري والعروب
يسميها اهل مكة العربة واهل المدينة الغنجة واهل العراق الشكلة انتهى وقوله اترابا معناه
في الشكل والقد قال قتادة واترابا يعني سنا واحدة ويروى ان اهل الجنة هم على قد ابن اربعة
عشر عاما في الشباب والنضرة وقيل على مثل ابنا ثلاثة وثلاثين سنة مردا بيضا مكحلين
زاد الثعلبي على خلق ادم طوله ستون ذراعا في سبعة اذرع وقوله سبحانه ثلة من الاولين وثلة من
الاخرين قال الحسن بن ابي الحسن وغيره الاولون سالف الامم منهم جماعة عظيمة اصحاب يمين والاخرون

والاخرون هذه الامة منهم جماعة عظيمة اهل عيين قال ابن عطية بل جميعهم الا من كان من السابقين
وقال قوم من المتاولين هاتان الفرقتان في امة محمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الثلتان من امتي وروى ابن مبارك في رقائقه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان امتي ثلثا اهل الجنة
والناس يومئذ عشرون ومائة صف وان امتي من ذلك ثمانون صفا انتهى وقوله واصحاب الشمال الاية
في الكلام معنى الانحاء عليهم وتعظيم مصابهم والسموم اشد ما يكون من الحر اليابس الذي لا بلل معه والحميم
السخن جدا من الماء الذي في جهنم واليحموم هو الدخان الاسود يظل اهل النار قاله ابن عباس والجمهور وقيل
هو سرادق النار المحيط باهلها فانه يرتفع من كل ناحية حتى يظلهم وقيل هو جبل في النار اسود وقوله ولا كريم
معناه ليس له صفة مدح قال الثعلبي وعن ابن المسيب ولا كريم اي ولا حسن نظيره من كل زوج كريم
وقال قتادة لا بارد النزل ولا كريم المنظر وهو الظل الذي لا يغني من اللهب انتهى والمترف المنعم في سرف وتخوض
ويصرون معناه يعتقدون اعتقادا لا ينزعون عنه والحنث الاثم وقال الثعلبي وكانوا يصرون
يقيمون على الحنث العظيم اي الذنب انتهى ويجيء للنجاري وهو حسن نحو ما في الرسالة قال قتادة وغيره
والمراد بهذا الاثم العظيم الشرك وباقي الاية في استبعادهم للبعث وقد تقدم بيانه وقوله سبحانه
ثم انكم ايها الضالون مخاطبة لكفار قريش ومن كان في حالهم ومن في قوله من زقوم لبيان الجنس
والضمير في منها عائد على الشجر والضمير في عليه عائد على الماكول والهيم قال ابن عباس وغيره جمع اهيم وهو الجمل
الذي اصابه الهيام بضم الهاء وهو داء معطش يشرب معه الجمل حتى يموت او يسقم سقما شديدا وقال
قوم هو جمع هائم وهو ايضا من هذا المعنى لان الجمل اذا اصابه ذلك الداء هام على وجهه وذهب وقال
ابن عباس ايضا وسفيان الثوري الهيم الرمال التي لا تروى من الماء والنزل اول ما ياكل الضيف والدين الجزاء
وقوله سبحانه افرايتم ما تمنون الاية وليس يوجد مفطور يخفى عليه ان المني الذي يخرج منه ليس له فيه
عمل ولا ارادة ولا قدرة وقرا الجمهور قدرنا وقرا ابن كثير وحده قدَرنا بتخفيف الدال فيحتمل ان يكون
المعنى فيهما قضينا واثبتنا ويحتمل ان يكون بمعنى سوينا قال الثعلبي عن الضحاك اي سوينا بين اهل السماء والارض
وقوله وما نحن بمسبوقين اي على ان نبدل بكم ان اردناه وان ننشيكم باوصاف لا يصلها علمكم ولا يحيط بها
فكركم قال الحسن من كونهم قردة وخنازير لان الاية تنحو الى الوعيد والنشاة الاولى قال اكثر المفسرين
اشارة الى خلق ادم وقيل المراد نشاة الانسان في طفوليته وهذه الاية نص في استعمال القياس والحض
عليه وعبارة الثعلبي ويقال النشاة الاولى نطفة ثم علقة ثم مضغة ولم يكونوا شيئا فلولا اي فهلا
تذكرون اني قادر على اعادتكم كما قدرت على ابدائكم وفيه دليل على صحة القياس لانه علمهم سبحانه الاستدلال
بالنشاة الاولى على النشاة الاخرى انتهى وقوله سبحانه انتم تزرعونه ام نحن الزارعون وروى ابو هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقل زرعت ولكن قل حرثت ثم تلا ابو هريرة هذه الاية والحطام
اليابس المتفتت من النبات الصائر الى ذهاب وبه شبه حطام الدنيا وتفكهون قال ابن عباس وغيره
معناه تعجبون اي مما نزل بكم وقال ابن زيد معناه تتفجعون قال ابن عطية وهذا كله تفسير
لا يخص اللفظة والذي يخص اللفظة هو تطرحون الفاكهة عن انفسكم وقولهم انا لمغرمون
قبله محذوف تقديره يقولون وقرا عاصم الجحدري أئنا لمغرمون بهمزتين على الاستفهام والمعنى
يحتمل ان يكون انا لمغرمون من الغرام وهو اشد العذاب ويحتمل انا لمحملون الغرام اي غرمنا في النفقة
وذهب زرعنا وقد تقدم تفسير المحروم وانه الذي تبعد عنه ممكنات الرزق بعد قربها منه وقال

الثعلبي

وقال الثعلبي المحروم ضد المرزوق انتهى والمزن هو السحاب والاجاج اشد المياه ملوحة وتورون
معناه تقتدحون من الازناد اوريت النار من الزناد والزناد قد يكون من حجر وحديدة ومن شجر
لا سيما في بلاد العرب ولا سيما في الشجر الرخو كالمرخ والعفار والكلخ وما اشبهه ولعادة العرب في ازنادهم
من شجر قال تعالى انتم انشاتم شجرتها اي التي تقدح منها ام نحن المنشئون نحن جعلناها يعني نار الدنيا
تذكرة للنار الكبرى نار جهنم قاله مجاهد وغيره والمتاع ما ينتفع به والمقوين في هذه الاية الكائنين
في الارض القواء وهي الفيافي ومن قال معناه للمسافرين فهو نحو ما قلناه وهي عبارة ابن عباس
رضي الله عنه تقول اقوى الرجل اذا دخل في الارض القواء وقوله سبحانه فلا اقسم بمواقع النجوم الاية قال
بعض النحاة لا زائدة والمعنى فاقسم وزيادتها في بعض المواضع معروف وقرا الحسن وغيره فلاقسم من غير
الف وقال بعضهم لا نافية كانه قال فلا صحة لما يقوله الكفار ثم ابتدا اقسم بمواقع النجوم والنجوم
هنا قال ابن عباس وغيره هي نجوم القرآن وذلك انه روي ان القرآن نزل في ليلة القدر الى سماء الدنيا
وقيل الى البيت المعمور جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما مقطعة
مدة من عشرين سنة قال ابن عطية ويؤيده عود الضمير على القرآن في قوله انه لقرآن كريم وقال كثير
من المفسرين النجوم هنا هي الكواكب المعروفة ثم اختلف هؤلاء في مواقعها فقيل غروبها وطلوعها
وقيل مواقعها عند انقضاضها اثر العفاريت وانه لقسم تاكيد وقوله لو تعلمون وقوله انه لقرآن كريم
هو الذي وقع القسم عليه وقوله في كتاب مكنون الاية المكنون المصون قال ابن عباس وغيره اراد الكتاب
الذي في السماء قال الثعلبي ويقال هو اللوح المحفوظ وقوله لا يمسه الا المطهرون يعني الملائكة وليس
في الاية على هذا القول تعرض لحكم مس المصحف لسائر بني ادم وقال بعض المتاولين اراد بالكتاب
مصاحف المسلمين ولم تكن يومئذ فهو اخبار بغيب مضمنه النهي فلا يمس المصحف من بني ادم الا الطاهر
من الكفر والحدث وفي كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم ان لا يمس القرآن الا طاهر
وبه اخذ مالك وقرا سلمان الا المطهرون بكسر الهاء وقوله تعالى افبهذا الحديث يعني القرآن المتضمن البعث
ومدهنون معناه يلاين بعضكم بعضا ويتبعه في الكفر ماخوذ من الدهن للينه واملاسه وقال
ابن عباس هي المهاودة فيما لا يحل والمداراة هي التي فيها ودة فيما يحل ونقل الثعلبي ان ادهن وداهن بمعنى
واصله من الدهن انتهى وقوله سبحانه وتجعلون شكر رزقكم انكم تكذبون اجمع المفسرون على ان
الاية توبيخ للقائلين في المطر الذي ينزله الله تعالى رزقا للعباد مطرنا بنوء كذا والمعنى وتجعلون شكر
رزقكم وحكى الهيثم بن عدي ان من لغة ازد شنوءة ما رزق فلان بمعنى ما شكره وكان علي يقرا
وتجعلون شكركم انكم تكذبون وكذلك قرا ابن عباس وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد اخبر الله
سبحانه فقال وانزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع
نضيد رزقا للعباد فهذا معنى قوله انكم تكذبون اي بهذا الخبر قال ابن عطية والمنهي عنه هو
ان يعتقد ان للنجوم تاثيرا في المطر وقوله سبحانه فلولا اذا بلغت الحلقوم يعني بلغت
نفس الانسان والحلقوم مجرى الطعام وهذه الحال هي نزاع المرء للموت وقوله انتم اشارة الى
جميع البشر حينئذ اي وقت النزع تنظرون اليه وقال الثعلبي وانتم حينئذ تنظرون الى امري
وسلطاني يعني تصريفه سبحانه في الميت انتهى والاول عندي احسن وعزاه الثعلبي لابن عباس
ونحن اقرب اليه منكم اي بالقدرة والعلم ولا قدرة لكم على دفع شيء عنه وقيل المعنى وملائكتنا

اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون على التأويل الاول من التبصر بالقلب فلولا ان كنتم غير مدينين
اى مملوكين اذلاء والمدين المملوك هذا اصح مقال في هذه اللفظة هنا ومن عبر عنها بمجازين او محاسبين فذلك
هنا قلق المملوك مقلب كيف شاء المالك ومن هذا المعنى قول الاخطل شعر

ربت وربا في حجرها ابن مدينة تراه على مسحاته يتوكل

اراد ابن امة مملوكة وهو عبد يخدم الكرم وقد قيل في معنى البيت اراد اكارا حضريا فنسبه الى المدينة
فمعنى الاية فهلا ترجعون النفس البالغة الحلقوم ان كنتم غير مملوكين مقهورين وقوله ترجعونها سد
مسد الاجوبة والبيانات التي تقتضيها التحضيضات وقوله تعالى فاما ان كان من المقربين الاية ذكر سبحانه في هذه
الاية حال الازواج الثلثة المذكورين في اول السورة وحال كل امرء منهم فاما المرء من السابقين المقربين
فيلقى عند موته روحا وريحانا والروح الرحمة والسعة والفرج ومنه روح الله والريحان الطيب
وهو دليل النعيم وقال مجاهد الريحان الرزق وقال الضحاك الريحان الاستراحة قال ابن عطية الريحان
ما تنبسط اليه النفوس ونقل الثعلبي عن ابي العالية قال لا يفارق احد من المقربين الدنيا حتى
يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمها ثم يقبض روحه فيها ونحوه عن الحسن انتهى فان اردت يا اخي
اللحوق بالمقربين والكون في زمرة السابقين فاطرح عنك دنياك واقبل على ذكر مولاك واجعل الا
الموت نصب عينك قال الغزالي وانما علامة التوفيق ان يكون الموت نصب عينك لا تغفل عنه ساعة
فليكن الموت على بالك يا مسكين فان السير حثيث بك وانت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل
وقطعت المسافة فلا يكن اهتمامك الا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس امهلت فيه انتهى من الاحياء
قال ابن المبارك في رقائقه اخبرنا سفيان عن ليث عن مجاهد قال ما من ميت يموت الا عرض عليه اهل مجلسه
ان كان من اهل الذكر فمن اهل الذكر وان كان من اهل اللهو فمن اهل اللهو انتهى وقوله تعالى فسلام لك
من اصحاب اليمين عبارة تقتضي جملة مدح وصفة تخلص وحصول عال من المراتب والمعنى ليس في
امرهم الا السلام والنجاة من العذاب وهذا كما تقول في مدح رجل اما فلان فناهيك به
فهذا يقتضي جملة غير مفصلة من مدحه وقد اضطربت عبارات المتأولين في قوله تعالى فسلام لك
فقال قوم المعنى فيقال له سلام لك انك من اصحاب اليمين وقال الطبري فسلام لك انت من اصحاب اليمين
وقيل المعنى فسلام لك يا محمد اى لا ترى فيهم الا السلامة من العذاب ت ومن حصلت له السلامة من العذاب
فقد فاز دليله فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز قال ابن عطية فهذه الكاف في لك
اما ان تكون للنبي صلى الله عليه وسلم وهو الاظهر ثم لكل معتبر فيها من امته واما ان تكون
لمن يخاطب من اصحاب اليمين وغير هذا مما قيل تكلف ونقل الثعلبي عن الزجاج فسلام لك اى انك
ترى فيهم ما تحب من السلامة وقد علمت ما اعد الله لهم من الجزاء بقوله في سدر مخضود الايات
والمكذبون الضالون هم الكفار اصحاب الشمال والمشأمة والنزل اول شيء يقدم للضيف والتصلية
ان يباشرهم النار والجحيم معظم النار وحيث تراكمها ان هذا هو حق اليقين المعنى ان هذا
الخبر هو نفس اليقين وحقيقته وقوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم عبارة تقتضي الامر بالاعراض
عن اقوال الكفار وسائر امور الدنيا المختصة بها وبالاقبال على امور الاخرة وعبادة الله تعالى والدعاء
اليه ت وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده
غرست له نخلة في الجنة رواه الترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان في صحيحيهما وقال الحاكم

صحيح على شرط مسلم وعند النسائي شجرة بدل نخلة وعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما تذكرون من جلال الله التسبيح والتهليل والتحميد ينعطفن حول العرش لهن
دوي كدوي النحل تذكر بصاحبها اما يحب احدكم ان يكون او لا يزال له من يذكر به ورواه ايضا
ابن المبارك في رقائقه عن كعب انه قال ان للكلم الطيب حول العرش دويا كدوي النحل يذكر بصاحبهن انتهى
وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم مر به وهو يغرس غرسا فقال يا ابا هريرة ما الذي
تغرس قلت غرسا قال الا ادلك على غراس خير من هذا الغراس سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة روى هذين الحديثين ابن ماجه واللفظ له والحاكم في
المستدرك وقال في الاول صحيح على شرط مسلم انتهى من السلاح وروى عقبة ابن عامر قال لما
نزل فسبح باسم ربك العظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك
الاعلى قال اجعلوها في سجودكم فيحتمل ان يكون المعنى سبح الله بذكر اسمائه العلى والاسم هنا بمعنى
الجنس اى باسمائك والعظيم صفة للرب سبحانه وقد يحتمل ان يكون الاسم هنا واحدا مقصودا
ويكون العظيم صفة له فكانه امر ان يسبحه باسمه الاعظم وان كان لم ينص عليه ويؤيد هذا
ويشير اليه ايضا سورة الحديد واولها التسبيح وجملة من اسماء الله تعالى وقد قال ابن عباس
اسم الله الاعظم موجود في ست ايات من اول سورة الحديد فتأمل هذا فانه من دقيق النظر ولله تعالى
في كتابه العزيز الرحيم غوامض لا تكاد الاذهان تدركها بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما سورة الحديد مدينة ويشبه صدرها
ان يكون مكيا وروي عن ابن عباس ان اسم الله الاعظم في ست ايات من اول سورة الحديد وروي ان كذا
بعد قراءتها مستجاب وقوله عز وجل سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم قال اكثر المفسرين
التسبيح هنا هو التنزيه المعروف في قولهم سبحان الله وهذا عندهم اخبار بصيغة الماضي مضمن
الدوام والاستمرار ثم اختلفوا هل هذا التسبيح حقيقة او مجاز على معنى ان اثر الصنعة
فيها تنبه الرائي على التسبيح قال الزجاج وغيره والقول بالحقيقة احسن وهذا كله في الجمادات
واما ما يمكن التسبيح منه فقوله واحد ان تسبيحهم حقيقة وقوله تعالى هو الاول في الدنيا
ليس لوجوده بداية مفتتحة والاخر الدائم الذي ليس له نهاية منقضية قال ابو بكر الوراق هو
الاول بالازلية والاخر بالابدية والظاهر معناه بالادلة ونظر العقول في صنعته والباطن
وغوامض حكمته وباهر صفاته التي لا تصل الى معرفتها على ما هي عليه الاوهام وبا في الاية بين
تقدم تفسير نظيره وقوله تعالى وهو معكم اين ما كنتم معناه بقدرته وعلمه واحاطته وهذه اية
اجمعت الامة على هذا التأويل فيها وباقي الاية بين وقوله سبحانه امنوا بالله ورسوله الاية امر للمؤمنين
بالثبوت على الايمان ويروى ان هذه الاية نزلت في غزوة العسرة قاله الضحاك وقال الاكثر بقوله
فالذين امنوا منكم وانفقوا الى عثمان بن عفان يريد ومن في معناه كعبد الرحمن بن عوف وغيره
وقوله مما جعلكم مستخلفين فيه تزهيد وتنبيه على ان الاموال انما تصير الى الانسان من غيره
ويتركها لغيره وليس له من ذلك الا ما اكل فافنى او تصدق فامضى ويروى ان رجلا مر باعرابي
له ابل فقال له يا اعرابي لمن هذه الابل قال هي لله عندي فهذا موفق مصيب ان صحب قوله عمله
وقوله سبحانه وما لكم لا تؤمنون بالله الاية توطئة لدعائهم رضي الله عنهم لانهم اهل هذه الرتب

الرفيعة واذا نفر ان الرسول يدعوهم وانهم ممن اخذ الله ميثاقهم فكيف يمتنعون من الايمان
وقوله وما لكم ان لا تنفقوا في سبيل الله وانتم تموتون وتتركون اموالكم فناب مناب هذا القول قوله
ولله ميراث السموات والارض وفيه زيادة تذكير بالله وعبرة وعنه يلزم القول الذي قدرناه
وقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح الاية الاشهر في هذه الاية انها نزلت بعد الفتح واختلف في من انفق
الفتح المشار اليه فقال ابو سعيد الخدري والشعبي هو فتح الحديبية وقال قتادة ومجاهد وزيد بن اسلم
هو فتح مكة الذي ازال الهجرة قال ابن عطية وهذا هو المشهور الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم
لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وحكم الاية باق غابر الدهر من انفق في وقت حاجة السبيل اعظم
اجرا ممن انفق مع استغناء السبيل والحسنى الجنة قال مجاهد وقتادة والقرض السلف والتضعيف
من الله تعالى هو في الحسنات وقد مر ذكر ذلك والاجر الكريم الذي يقترن به رضى واقبال وهذا معنى الدعا
يا كريم العفو اي ان مع عفوه رضى وتنعيما وقوله سبحانه يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم
بين ايديهم الاية العامل في يوم قوله ولهم اجر كريم والروية هنا روية عين والجمهور ان النور هنا
هو نور الحقيقة وقد روي في هذا عن ابن عباس وغيره اثار مضمنها ان كل مومن ومظهر للايمان يعطى
يوم القيمة نورا فيطفى نور كل منافق ويبقى نور المومنين حتى ان منهم من نوره يضي كما بين مكة وصنعا
رفعه قتادة الى النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من نوره كالنخلة السحوق ومنهم من نوره يضي ما قرب
من قدميه قاله ابن مسعود ومنهم من يهم بالانطفا مرة ويبين مرة على قدر المنازل في الطاعة والمعصية
قال الفخر قال قتادة ما من عبد الا وينادي يوم القيمة يا فلان هذا نورك يا فلان لا نور لك نعوذ بالله
من ذلك واعلم ان العلم الذي هو نور البصيرة اولى بكونه نورا من نور البصر اذا كان كذلك ظهر
ان معرفة الله تعالى في القيمة هي النور فمقادير الانوار يوم القيمة على حسب مقادير المعارف في الدنيا انتهى
ونحوه للغزالي وخص تعالى بين الايدي بالذكر لانه موضع حاجة الانسان الى النور واختلف في قوله
وبايمانهم فقال بعض المتاولين المعنى عن ايمانهم فكانه خص ذكر جهة اليمين تشريفا ناب ذلك
منابا ان يقول في جميع جهاتهم وقال جمهور المفسرين المعنى يسعى نورهم بين ايديهم يريد الضوء المنبسط
من اصل النور وبايمانهم اصل والشي الذي هو متقد فيه فتضمن هذا القول انهم يحملون الانوار
وكونهم غير حاملين اكرم الا ترى ان فضيلة عباد بن بشر واسيد بن حضير انما كانت بنور لا يحملانه هذا
في الدنيا فكيف في الاخرة ت وفيما قاله ابن عطية عندي نظر وايضا فاحوال الاخرة لا تقاس على
احوال الدنيا وقوله تعالى بشراكم يقال لهم بشراكم جنات اي دخول جنات قلت وقد جاءت بحمد الله اثار
بتبشير هذه الامة المحمدية وخرج ابن ماجة قال اخبرنا جبارة بن المغلس قال حدثنا عبد الاعلى عن ابي
بردة عن ابيه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا جمع الخلائق يوم القيمة اذن لامة محمد صلى الله
عليه وسلم في السجود فيسجد واطويلا ثم يقال ارفعوا رؤسكم فقد جعلنا عدتكم فداكم من النار
قال ابن ماجة وحدثنا جبارة بن المغلس حدثنا كثير بن سليم عن انس بن مالك قال قال النبي صلى
الله عليه وسلم ان هذه الامة امة مرحومة عذابها بايديها فاذا كان يوم القيمة دفع الى كل رجل من
المسلمين رجل من المشركين فيقال هذا فداوك من النار انتهى من التذكرة وقوله تعالى يوم يقول المنافقون
قيل يوم بدل من الاول وقيل العامل فيه اذكر قال ابن عطية ويظهر لي ان العامل فيه قوله تعالى ذلك
هو الفوز العظيم ويجي معنى الفوز افخم كانه يقول ان المومنين يفوزون بالرحمة يوم يعتري المنافقين

من انفق

كذا

كذا وكذا الان ظهور المرء يوم خمول عدوه ومضاده ابعد وافخم وقول المنافقين هذه المقالة
المحكية هو عند انطفاء انوارهم كما ذكرنا قبل وقولهم انظرونا معناه انظرونا وقرا حمزة وحده
انظرونا بقطع الالف وكسر الظاء ومعناه اخرونا ومنه فنظرة الى ميسرة ومعنى قولهم اخرونا
اي اخروا مشيكم لنا حتى نلتحق فنقتبس من نوركم واقتبس الرجل اخذ من نور غيره قبسا قال الفخر القبس الشعلة
من النار والسراج والمنافقون طمعوا في شي من انوار المومنين وهذا منهم جهل لان تلك الانوار نتايج
الاعمال الصالحة في الدنيا وهم لم يقدموها قال الحسن يعطى يوم القيمة كل احد نورا على قدر عمله ثم
يوخذ من حر جهنم ومما فيها من الكلاليب والحسك ويلقى على الطريق ثم تمضي زمرة من المومنين وجوههم
كالقمر ليلة البدر ثم تمضي زمرة اخرى كاضوا كوكب في السماء ثم على ذلك ثم تغشاهم ظلمة
تطفي نور المنافقين فهنالك يقول المنافقون للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم انتهى
وقوله تعالى قيل ارجعوا وراءكم يحتمل ان يكون من قول الملايكة والقول لهم فالتمسوا نورا هو
على معنى التوبيخ لهم اي انكم لا تجدونه ثم اعلم تعالى انه يضرب بينهم في هذه الحال بسور حاجز فيبقى
المنافقون في ظلمة وعذاب وقوله تعالى باطنه فيه الرحمة اي جهة المومنين وظاهره جهة المنافقين
والظاهر هنا البادي ومنه قول الكتاب من ظاهر مدينة كذا وعن ابن عباس والثعلبي فضرب بينهم بسور هو
حاجز بين الجنة والنار قال ابو امامة الباهلي فيرجعون الى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون
شيا فينصرفون اليهم وقد ضرب الله بينهم بسور قال قتادة حائط بين الجنة والنار له باب
باطنه فيه الرحمة يعني الجنة وظاهره من قبله العذاب يعني النار انتهى قال م قال ابو البقا
الباء في بسور زايدة وقيل ليست بزايدة قال ابو حيان والضمير في باطنه عايد على الباب وهو الاظهر لانه
الاقرب وقيل على سور ابو البقا والجملة صفة لباب او لسور انتهى وقوله تعالى ينادونهم معناه
ينادي المنافقون المومنين الم نكن معكم في الدنيا فرد المومنين عليهم بلى كنتم معنا ولكنكم عرضتم
انفسكم الفتنة وهو حب العاجل والاقبال عليه قال مجاهد فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم
معناه هنا بايمانكم فابطاتم به حتى متم وقال قتادة معناه تربصتم بنا وبمحمد صلى الله عليه
وسلم الدوائر وشككتم والارتياب التشكك والاماني التي غرتهم هي قولهم سيهلك محمد هذا
العام ستهزمه قريش ستاخذه الاحزاب الى غير ذلك من امانيهم وطول الامل غير ذلك كل احد وامر
الله الذي جاء هو الفتح وظهور الاسلام وقيل هو موتهم على النفاق الموجب العذاب والغرور
الشيطان باجماع المتاولين وينبغي لكل مومن ان يعتبر هذه الاية في نفسه وتسويفه في توبته
اعلم ايها الاخ ان الدنيا غرارة للمقبلين عليها فان اردت الخلاص والفوز بالنجاة فازهد فيها واقبل
على ما يعنيك من اصلاح دينك والتزود لاخرتك وقد روى ابن المبارك في رقايقه عن ابي الدردا
انه قال يعني لاصحابه لئن حلفتم لي على رجل منكم انه ازهدكم لاحلفن لكم انه خيركم وروى ابن المبارك
بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يبعث الله تبارك وتعالى يوم القيمة عبدين من عباده كانا
على سيرة واحدة احدهما مقتور عليه والاخر موسع عليه الى الجنة ولا ينثني عنها حتى ينتهي الى ابوابها
فيقول لحجبتها اليك اليك فيقول اذا لا ارجع وسيفه في عنقه فيقول اعطيت هذا السيف
اجاهد به فلم ازل مجاهدا به حتى قبضت وانا على ذلك فيرمي بسيفه الى الخزنة وينطلق لا يثنونه
ولا يحبسونه عن الجنة فيدخلها فيمكث فيها دهرا ثم يمر به اخوه الموسع عليه فيقول له يا فلان

ما حبسك فيقول ما خلاني سبيلي الا الآن ولقد حبست ثلاثمائة بعير اكلن حمضا لا يردن الا
خمسا ووردن على عزتي لصدرن منه ريا انتهى وقوله تعالى هي مولاكم قال المفسرون معناه هي اولى
بكم وهذا تفسير بالمعنى وانما هي استعارة لانها من حيث تضمهم وتباشرهم هي تواليهم وتكون لهم
مكان المولى وهذا نحو قول الشاعر تحية بينهم ضرب وجيع وقوله تعالى الم يان ابتداء معنى
مستانف ومعنى الم يان الم يحن فقال انا الشيء يانى اذا حان وفي الاية معنى الحض والتقريع قال
ابن عباس عوتب المومنون بهذه وهذه كانت سبب توبة الفضيل وابن المبارك والخشوع الاخبات
والتطامن وهي هيئة تظهر في الجوارح متى كانت في القلب ولذلك خص تعالى القلب بالذكر وروى
شداد بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول ما يرفع من الناس الخشوع وقوله تعالى لذكر الله
اي لاجل ذكر الله تعالى وجه او لاجل تذكير الله اياهم واوامره فيهم والاشارة في قوله اوتوا الكتاب الى بني
اسرائيل المعاصرين لموسى عليه السلام ولذلك قال من قبل وانما شبه اهل عصر نبينا وقوله فطال عليهم
الامد قيل معناه امد الحياة وقيل امد انتظار القيامة قاله الفخر وقال مقاتل ابن حيان الامد هنا
الامل اي لما طالت امالهم لا جرم قست قلوبهم انتهى وباقي الاية بين وقوله تعالى اعلموا ان الله يحيي
الارض بعد موتها الاية مخاطبة لهؤلاء المؤمنين الذين ندبوا الى الخشوع وهذا ضرب مثل واستدعاء
الى الخير برفق وتقريب بليغ اي لا يبعد احدكم ايها التاركون للخشوع رجوعكم اليه وتلبسكم به فان
الله يحيي الارض بعد موتها فكذلك يفعل بالقلوب يردها الى الخشوع بعد بعدها عنه وترجع هي
اليه اذا وقعت الانابة والتكسب من العبد بعد نفورها منه كما تحيي الارض بعد ان كانت ميتة
وباقي الاية بين والمتصدقين يعني به المتصدقين وباقي الاية بين ت وقد جاءت آثار صحيحة في
الحض على الصدقة قد ذكرنا منها جملة في هذا المختصر واسند مالك في الموطا عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يا نساء المؤمنات لا تحقرن احداكن لجارتها ولو كراع شاة محرق وفي الموطا عنه صلى الله عليه
وسلم ردوا السائل ولو بظلف محرق قال ابن عبد البر في التمهيد ففي هذا الحديث الحض على الصدقة
بكل ما امكن من قليل الاشياء وكثيرها وفي قول الله عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
اوضح الدلائل في هذا الباب وتصدقت عائشة رضي الله عنها بحبتين من عنب فنظر اليها
بعض اهل بيتها فقالت لا تعجبن فكم فيها من مثقال ذرة ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم
اتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة واذا كان الله عز وجل يربي الصدقات وياخذ الصدقة
بيمينه فيربيها كما يربي احدنا فلوه او فصيله فما بال من عرف هذا يغفل عنه وما التوفيق
الا بالله انتهى من التمهيد وروى ابن المبارك في رقائقه قال اخبرنا حرملة بن عمران انه سمع يزيد
ابن ابي حبيب يحدث ان ابا الخير حدثه انه سمع عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس قال يزيد فكان ابو الخير
لا يخطيه يوم الا تصدق فيه بشيء ولو كعكة او بصلة او كذا انتهى والصديقون بناء
مبالغة من الصدق او من التصديق على ما ذكر الزجاج وقوله تعالى والشهداء عند ربهم
اختلف في تاويله فقال ابن مسعود وجماعة والشهداء معطوف على الصديقين والكلام متصل
ثم اختلفت هذه الفرقة في معنى هذا الاتصال فقال بعضها وصف الله المؤمنين بانهم صديقون
وشهداء فكل مؤمن شهيد قاله مجاهد وروى البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال

قال مؤمنوا امتي شهداء وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية وانما خص صلى الله عليه وسلم
ذكر الشهداء السبعة تشريفا لهم لانهم في اعلى رتب الشهادة الا ترى ان المقتول في سبيل الله مخصوص
ايضا من السبعة بتشريف ينفرد به وقال بعضها الشهداء هنا من معنى الشاهد لا من معنى الشهيد فكانه
قال هم اهل الصدق والشهداء على الامم وقال ابن عباس ومسروق والضحاك الكلام تام في قوله الصديقون
وقوله والشهداء ابتداء مستانف ثم اختلفت هذه الفرقة في معنى هذا الاستيناف فقال بعضها معنى
الاية والشهداء بانهم صديقون حاضرون عند ربهم وعنى بالشهداء الانبياء عليهم السلام
قلت وهذا تاويل بعيد من لفظ الاية وقال بعضها قوله والشهداء ابتداء يريد به الشهداء في سبيل
الله واستانف الخبر عنهم بانهم عند ربهم لهم اجرهم ونورهم فكانه جعلهم صنفا مذكورا وحده
قلت وابين هذه الاقوال الاول وهذا الاخير وان صح حديث البراء لم يعدل عنه قال ابو حيان والظاهر
ان الشهداء مبتدا خبره ما بعده انتهى وقوله تعالى ونورهم قال الجمهور هو حقيقة حسب
ما تقدم وقوله سبحانه اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو هذه الاية وعظ وتبيين لامر الدنيا
وضعة منزلتها والحياة الدنيا في هذه الاية عبارة عن الاشغال والتصرفات والفكر التي هي مختصة
بالحياة الدنيا واما ما كان من ذلك في طاعة الله تعالى وما كان في الضرورات التي تقيم الاود وتعين
على الطاعات فلا مدخل له في هذه الاية وتامل حال الملوك بعد فقرهم يبين لك ان جميع ترفهم
لعب ولهو والزينة التحسين الذي هو خارج عن ذات الشيء والتفاخر بالاموال والانساب
وغير ذلك على عادة الجاهلية ثم ضرب الله عز وجل مثل الدنيا فقال كمثل غيث الاية وصورة
هذا المثال ان الانسان ينشا في حجر مملكة فما دون ذلك فيشب في النعمة ويقوى ويكسب
المال والولد ويغشاه الناس ثم تاخذ بعد ذلك في الانحطاط ويشيب ويضعف ويسقم وتصيبه
النوائب في ماله وذريته ويموت ويضمحل امره وتصير امواله لغيره وتتغير رسومه فامره
مثل مطر اصاب ارضا فنبت عن ذلك الغيث نبات معجب انيق ثم هاج اي يبس واصفر ثم تحطم
ثم تفرق بالرياح واضمحل وقوله اعجب الكفار اي الزراع فهو من كفر الحب اي ستره وقيل يحتمل ان يعني
الكفار بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ثم قال تعالى وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة الاية
كانه قال والحقيقة ههنا وذكر العذاب اولا لانه اهم به من حيث الحذر في الانسان ينبغي ان يكون
اولا فاذا تحرز من المخاوف مد حينئذ امله فذكر تعالى ما يحذر قبل ما يطمع فيه وهو المغفرة والرضوان
وعبارة الثعلبي في هيج اي يجف وفي الاخرة عذاب شديد لاعداء الله ومغفرة لاوليائه وقال
الفراء وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة اي اما عذاب شديد واما مغفرة وما الحياة الدنيا الا متاع
الغرور وهذا تزهيد في العمل للدنيا وترغيب في عمل الاخرة انتهى وهو حسن وعن طارق قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لاخرته وبئست الدار لمن صدته عن اخرته وقصرت
به عن رضى ربه فاذا قال العبد قبح الله الدنيا قالت الدنيا قبح الله اعصانا لربه رواه الحاكم في المستدرك
انتهى من السلاح ولا يشك عاقل ان حطام الدنيا مشغل عن التاهب للاخرة قال ابو عمر بن عبد البر في
كتاب فضل العلم وقد روي مرفوعا لكل امة فتنة وفتنة امتي المال قال ابو عمر ثم نقول ان الزهد
في الحلال وترك الدنيا مع القدرة عليها افضل من الرغبة فيها في حلالها وهذا مما اختلف فيه بين
علماء المسلمين قديما وحديثا والاثار الواردة عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين

في فضل الصبر والزهد فيها وفضل القناعة والرضى بالكفاف والاقتصار على ما يكفي دون التكاثر
الذي يلهي ويطغي اكثر من ان يحيط بها كتاب او يشتمل عليها باب والذين زوى الله عنهم الدنيا من الصحابة
اكثر من الذين فتحها عليهم اضعافا مضاعفة وقد روينا عن عبد الرحمن بن عوف انه لما حضرته الوفاة
بكى بكاء شديدا وقال كان مصعب بن عمير خيرا مني توفي ولم يترك ما يكفن فيه وبقيت بعده حتى اصبت من الدنيا
واصابت مني ولا احسبني الا سأحبس عن اصحابي بما فتح الله علي من ذلك وجعل يبكي حتى فاضت نفسه وفارق الدنيا
رحمة الله عليه فان ظن ظان جاهل ان الاستكثار من الدنيا ليس به باس وغلب عليه الجهل فظن ان ذلك افضل
من طلب الكفاف فيها وشبه عليه بقول الله تعالى ووجدك عائلا فاغنى فيما عدد سبحانه على نبيه صلى الله عليه وسلم من نعمه
عنده فان ذلك ليس كما ظن بل ذلك غنى القلب دل على ذلك الاثار الكثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن
كثرة العرض وانما الغنى غنى النفس انتهى وقوله سبحانه سابقوا الى مغفرة من ربكم الاية لما ذكر تعالى المغفرة التي في الاخرة ندب
في هذه الاية الى المسارعة اليها والمسابقة وهذه الاية حجة عند جميع العلماء في الندب الى الطاعات وقد استدل بها بعضهم على
ان اول اوقات الصلوات افضل لانه يقتضي المسارعة والمسابقة وذكر سبحانه العرض من الجنة اذ المعهود انه اقل
من الطول وقد ورد في الحديث ان سقف الجنة العرش وورد في الحديث ان السموات السبع في الكرسي كالدرهم في الفلاة وا
وان الكرسي في العرش كالدرهم في الفلاة قلت ايها الاخ امرك المولى سبحانه بالمسابقة والمسارعة رحمة منه وفضلا
فلا تغفل عن امتثال امره واجابة دعوته المسابقة قولا وفعلا واحذر النفس حسرة المسبوق ذكر صاحب معالم
الايمان وروضات الرضوان في مناقب صلحاء القيروان قال ومنهم ابو خالد عبد الخالق المتعبد كان كثير الخوف والحزن
وبالخوف مات راى يوما خيلا يتسابق بها فتقدم منها فرسان ثم تقدم احدهما على الاخر ثم جد الثاني حتى سبق الاول
فتخلل عبد الخالق الناس حتى وصل الى الفرس فجعل يقبله ويقول بارك الله فيك صبرت فظفرت ثم سقط مغشيا عليه
انتهى وقوله سبحانه ما اصاب من مصيبة في الارض الاية قال ابن زيد وغيره المعنى ما حدث من حادث خير وشر فهذا على معنى
لفظ اصاب لا على عرف المصيبة فقوله في الارض يعني بالقحوط والزلازل وغير ذلك وفي انفسكم بالموت والامراض
وغير ذلك وقوله الا في كتاب معناه الا والمصيبة في كتاب ونبراها معناه نخلقها يقال برا الله الخلق اي خلقهم
والضمير عائد على المصيبة وقيل على الارض وقيل على الانفس قاله ابن عباس وجماعة وذكر المهدوي جواز عود الضمير على جميع
ما ذكر وهي كلها معان صحاح ان ذلك على الله يسير يريد تحصيل الاشياء كلها في كتاب وقال الثعلبي وقيل المعنى ان
خلق ذلك وحفظ جميعه على الله يسير انتهى لكي لا تاسوا معناه فعل الله هذا كله واعلمكم به ليكون سبب تسليتكم
وقلة اكتراثكم بامور الدنيا فلا تحزنوا على ما فات ولا تفرحوا الفرح المبطر بما اتاكم منها قال ابن عباس ليس احد الا
يحزن او يفرح ولكن من اصابته مصيبة فليجعلها صبرا ومن اصابه خير فليجعله شكرا وفي صحيح مسلم عن ابي
سعيد وابي هريرة انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يصيب المسلم من وصب ولا نصب ولا
سقم ولا حزن حتى الهم يهمه الا كفر به من سيئاته وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة وفي صحيح
مسلم عن ابي هريرة قال لما نزلت من يعمل سوءا يجز به بلغت من المسلمين مبلغا شديدا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم سددوا وقاربوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها انتهى وقد
تقدم كثير في هذا المختصر من هذا المعنى فالله المسؤول ان ينفع به كل من حصله او نظر فيه وقوله تعالى والله
لا يحب كل مختال فخور يدل على ان الفرح المنهي عنه انما هو ما ادى الى الاختيال والفخر واما الفرح بنعم الله
المقترن بالشكر والتواضع فانه لا يستطيع احد دفعه عن نفسه ولا حرج فيه والله اعلم وقوله الذين

فانظر فيها في الشروح قال ابن عباس ما معناه انه
اراد عرف المصيبة

يبخلون

يبخلون قال بعضهم هو خبر مبتدا محذوف تقديره هم الذين يبخلون وقال بعضهم هو في موضع
نصب صفة لكل وان كان نكرة فهو يخصص نوعا ما فيسوغ لذلك وصفه بالمعرفة وهذا مذهب الاخفش
والكتاب هنا اسم جنس لجميع الكتب المنزلة والميزان العدل في تاويل الاكثرين وقوله تعالى وانزلنا الحديد
عبر سبحانه عن خلقه الحديد بالانزال كما قال وانزل لكم من الانعام الاية قال جمهور من المفسرين الحديد
اراد به جنسه من المعادن وغيرها وقال الحذاق من المفسرين اراد به السلاح ويترتب معنى الاية ان
الله اخبر انه ارسل رسلا وانزل كتبا وعدلا مشروعا وسلاحا يحارب به من عند ولم
يقبل هدى الله ولم يبق له عذرا وفي الاية على هذا التاويل حض على القتال في سبيل الله وترغيب فيه
وقوله وليعلم الله من ينصره يقوي هذا التاويل وقوله بالغيب معناه بما سمع من الاوصاف الغائبة
عنه فامن بها وباقي الاية بين وقوله سبحانه وقفينا معناه جئنا بهم بعد الاولين وهو ماخوذ من
القفا اي جيء بالثاني في قفا الاول فيجيء الاول بين يدي الثاني وقد تقدم بيانه وقوله سبحانه وجعلنا في
قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة ورهبانية الجعل في هذه الاية بمعنى الخلق وقوله ابتدعوها صفة
لرهبانية وخصصها بانها ابتدعت لان الرافة والرحمة في القلب لا تكسب للانسان فيها واما الرهبانية
فهي افعال بدن مع شيء في القلب ففيها موضع للتكسب ونحو هذا عن قتادة والمراد بالرافة
والرحمة حب بعضهم في بعض وتوادهم والمراد بالرهبانية رفض النساء واتخاذ الصوامع والديارات
والتفرد للعبادات وهذا هو ابتداعهم ولم يفرض الله ذلك عليهم لكنهم فعلوا ذلك ابتغاء رضوان الله هذا
تاويل جماعة وقرا ابن مسعود ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فالاستثناء على هذا متصل واختلف
في الضمير الذي في قوله فما رعوها من المراد به فقال ابن زيد وغيره هو عائد على الذين ابتدعوا
الرهبانية وفي هذا التاويل لزوم الاتمام لكل من بدا بتطوع ونفل وانه يلزمه ان يرعاه حق رعيه وقال
الضحاك وغيره الضمير للاخلاف الذين جاءوا بعد المبتدعين لها وروينا في كتاب الترمذي عن كثير بن
عبد الله المزني عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث اعلم قال ما اعلم يا رسول
الله قال اعلم يا بلال قال ما اعلم يا رسول الله قال اعلم انه من احيى سنة من سنتي قد اميتت بعدي فان له
من الاجر مثل من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى و
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله قالت فرقة الخطاب بهذه الاية لاهل الكتاب
ويؤيده الحديث الصحيح ثلاثة يؤتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب امن بنبيه وامن بي
الحديث وقال اخرون الخطاب للمومنين من هذه الامة ومعنى امنوا برسوله اي اثبتوا على ذلك
ودوموا عليه يؤتكم كفلين اي نصيبين بالاضافة الى ما كان الامم قبل يعطونه قال ابو موسى
كفلين ضعفين بلسان الحبشة والنور هنا اما ان يكون وعدا بالنور الذي يسعى بين الايدي
يوم القيامة واما ان يكون استعارة للهدى الذي يمشي به في طاعة الله وقوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب
ان لا يقدرون على شيء من فضل الله الاية روي انه لما نزل هذا الوعد المتقدم للمومنين حسدهم
اهل الكتاب على ذلك وكانت اليهود تعظم دينها وانفسها وتزعم انهم احباء الله واهل رضوانه
فنزلت هذه الاية معلمة ان الله فعل ذلك واعلم به ليعلم اهل الكتاب انهم ليسوا كما يزعمون و
لا في قوله لئلا زائدة وقرا ابن عباس والجحدري ليعلم اهل الكتاب وروى ابراهيم التيمي عن ابن عباس كي يعلم
وروي عن حطان الرقاشي انه قرا لان يعلم وقوله تعالى الا يقدرون معناه انهم لا يملكون فضل

الله ولا يدخل تحت قدرهم وباقي الآية بين بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما **سورة المجادلة مدنية** الا ان النقاش حكى ان قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الآية مكي **قوله** عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الآية اختلف الناس في اسم هذه المرأة على اقوال واخصها ما رواه ابن عباس والجمهور ان اوس بن الصامت الانصاري اخا عبادة بن الصامت ظاهر من امرأته خولة بنت خويلد وكان الظهار في الجاهلية يوجب عندهم فرقة مؤبدة فلما فعل ذلك اوس جاءت زوجته رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان اوسا اكل شبابي ونثرت له بطني فلما كبرت ومات اهلي ظاهر مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا حرمت عليه فقالت يا رسول الله لا تفعل فاني وحيدة ليس لي احد سواه فراجعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل مقالته فراجعته فهذا هو جدالها وكانت في خلال جدالها تقول اللهم اليك اشكو حالي وانفرادي وفقري اليه وروي انها كانت تقول اللهم اليك ان لي منه صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فهذا هو اشتكاؤها الى الله فنزلت الآية فبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى اوس وامره بالتكفير فكفر بالاطعام وامسك اهله قال ابن العربي في احكامه والاشبه في اسم هذه المرأة انها خولة بنت ثعلبة امرأة اوس بن الصامت وعلى هذا اعتمد الفخر قال الفخر وهذه الواقعة تدل على ان من انقطع رجاؤه من الخلق ولم يبق له في مهمه احد الا الخالق كفاه الله ذلك المهم انتهى والمحاورة مراجعة القول ومعاطاته وفي مصحف ابن مسعود تحاورك في زوجها والظهار قول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي يريد في التحريم كانها اشارة الى الركوب اذ عرفه في ظهور الحيوان وكان اهل الجاهلية يفعلون ذلك فرد الله بهذه الآية على فعلهم واخبر بالحقيقة من ان الام هي الوالدة واما الزوجة فلا يكون حكمها حكم الام وجعل الله سبحانه القول بالظهار منكرا وزورا فهو محرم لكنه اذا وقع لزم هكذا قال فيه اهل العلم لكن تحريم المكروهات جدا وقد رجى الله تعالى بعده بانه عفو غفور مع الكفارة **و**قوله سبحانه ثم يعودون الآية **قلت** اختلف في معنى العود وفي العود الموطأ العزم على الوطء والامساك معا وفي المدونة العزم على الوطء خاصة **و**قوله تعالى من قبل ان يتماسا قال الجمهور هذا عام في نوع المسيس الوطء والمباشرة فلا يجوز للمظاهر ان يطأ ولا ان يقبل او يلمس بيده او يفعل شيئا من هذا النوع الا بعد الكفارة وهو قول مالك رحمه الله **و**قوله تعالى ذلكم توعظون به اشارة الى التحذير اي فعل ذلك عظة لكم لتنتهوا عن الظهار **و**قوله سبحانه فمن لم يستطع قال الفخر الاستطاعة فوق الوسع والوسع فوق الطاقة فالاستطاعة هو ان يتمكن الانسان من الفعل على سبيل السهولة انتهى وفروع الظهار مستوفاة في كتب الفقه فلا نطيل بذكرها **و**قوله سبحانه ذلكم لتؤمنوا بالله ورسوله الآية اشارة الى الرخصة والتسهيل في النقل من التحرير الى الصوم والاطعام ثم شدد سبحانه بقوله تلك حدود الله اي فالزموها ثم توعد الكافرين بقوله وللكافرين عذاب اليم **و**قوله سبحانه ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا الآية نزلت في قوم من المنافقين واليهود كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين الدوائر ويتمنون فيهم المكروه ويتناجون بذلك وكبت الرجل اذا بقي خزيان يبصر ما يكره ولا يقدر على دفعه وقال قوم منهم ابو عبيدة اصله كبدوا اي اصابهم داء في اكبادهم فابدلت الدال تاء وهذا غير قوي والذين من قبلهم منافقوا الامم الماضية ولفظ البخاري كبتوا اخزوا **و**قوله تعالى وللكافرين عذاب مهين يوم يبعثهم الله العامل في يوم قوله مهين ويحتمل ان يكون فعلا

مضمرا تقديره اذكر **و**قوله تعالى الا هو رابعهم اي بعلمه واحاطته وقدرته وعبارة الثعلبي الا هو رابعهم يعلم ويسمع نجواهم يدل على ذلك افتتاح الآية وخاتمتها انتهى **و**قوله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون الآية قال ابن عباس نزلت في اليهود والمنافقين واذا جاءوك حيوك هو قولهم السام عليكم يريدون الموت ثم كشف الله تعالى خبث طويتهم والحجة التي اليها يسترجعون وذلك انهم كانوا يقولون لو كان محمد نبيا لعذبنا بهذه الاقوال التي نسميه وجهلوا ان امرهم مؤخر الى عذاب جهنم **و**قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم الآية وصية منه سبحانه للمؤمنين ان لا يتناجوا بمكروه وذلك عام في جميع الناس الى يوم القيامة **و**قوله انما النجوى اي بالاثم من الشيطان وقرأ نافع واهل المدينة ليحزن بضم الياء وكسر الزاي والفعل مسند الى الشيطان وقرأ ابو عمرو وغيره ليحزن بفتح الياء وضم الزاي ثم اخبر تعالى ان الشيطان او التناجي الذي هو منه ليس بضار احدا الا ان يكون ضررا باذن الله اي بامره وقدرته ثم امر بتوكل المؤمنين عليه تبارك وتعالى **و**قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس الآية وقرأ عاصم المجالس قال زيد بن اسلم وقتادة هذه الآية نزلت بسبب تضايق الناس في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كانوا يتنافسون في القرب منه وسماع كلامه والنظر اليه فيأتي الرجل الذي له الحق والسن والقدم في الاسلام فلا يجد مكانا فنزلت بسبب ذلك وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقم احد من مجلسه ثم يجلس فيه الرجل ولكن تفسحوا يفسح الله لكم قال الجمهور العلماء سبب نزول الآية مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ثم الحكم مطرد في جميع المجالس التي هي للطاعات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم احبكم الى الله الينكم مناكب في الصلاة وركبا في المجالس وهذا قول مالك رحمه الله وقال ما ارى الحكم الا يطرد في مجالس العلم ونحوها غابر الدهر قال ابن عطية فالسنة المندوب اليها هي التفسح والقيام في المجالس منهي عنه في حديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث نهى ان يقوم الرجل فيجلس الآخر مكانه **ت** وقد روى ابو داود في سننه عن سعيد بن ابي الحسن قال جاءنا ابو بكرة في شهادة فقام اليه رجل من مجلسه فابى ان يجلس فيه وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك ونهى ان يمسح الرجل يده بثوب من لم يكسه وروى ابو داود عن ابن عمر قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقام له رجل من مجلسه فذهب ليجلس فيه فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم انتهى قال **ع** فاما القيام اجلالا فجائز بالحديث هو قوله صلى الله عليه وسلم حين اقبل سعد بن معاذ قوموا الى سيدكم وواجب على المعظم ان لا يحب ذلك ويأخذ الناس به لقوله صلى الله عليه وسلم من احب ان يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار **قلت** وفي الاحتجاج بقضية سعد نظر لانها احتفت بها قرائن سوغت ذلك انظر السير وقد اطنب صاحب المدخل في الانحاء على من يجيز القيام والسلام عند ترك القيام في باب **و**قوله يفسح الله لكم معناه في رحمته وجنته **ص** يفسح مجزوم جواب الامر انتهى واذا قيل انشزوا معناه ارتفعوا وقوموا فافعلوا ذلك ومن رياض الصالحين للنووي وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل للرجل ان يفرق بين اثنين الا باذنهما رواه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن وفي رواية لابي داود لا يجلس بين رجلين الا باذنهما وعن حذيفة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من جلس وسط الحلقة رواه ابو داود باسناد حسن روى الترمذي عن ابي مجلز ان رجلا قعد وسط الحلقة فقال حذيفة ملعون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم او لعن الله على لسان محمد صلى الله عليه وسلم من جلس وسط الحلقة قال الترمذي حديث حسن صحيح انتهى **و**قوله سبحانه يرفع الله الذين امنوا منكم الآية قال جماعة المعنى يرفع الله المؤمنين والعلماء الصنفين جميعا درجات

لكنا نعلم تفاضلهم في الدرجات من مواضع أخر فلذلك جاء الأمر بالتفسح عاما للعلماء وغيرهم وقال
ابن مسعود وغيره يرفع الله الذين آمنوا منكم وهنا تم الكلام ثم ابتدأ بتخصيص العلماء بالدرجات
ونصبهم بإضمار فعل فللمؤمنين رفع على هذا التأويل وللعلماء درجات وعلى هذا التأويل قال مطرف بن عبد الله
ابن الشخير فضل العلم أحب إلي من فضل العبادة وخير دينكم الورع وروى البخاري وغيره عن
أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا
فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها
الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك
مثل من فقه في دين الله عز وجل ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم
يقبل هدى الله عز وجل الذي أرسلت به انتهى وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول
فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر روي عن ابن عباس وقتادة في سببها أن قوما
من شباب المؤمنين وأغفالهم كثرت مناجاتهم للنبي صلى الله عليه وسلم في غير حاجة وكان صلى
الله عليه وسلم سمحا لا يرد أحدا فنزلت هذه الآية مشددة عليهم وقال مقاتل نزلت في الأغنياء لأنهم
غلبوا الفقراء على مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم ومجالسته قال جمع من الرواة نسخت هذه
الآية قبل العمل بها لكن استقر حكمها بالعزم عليه وصح عن علي رضي الله عنه أنه قال ما عمل بها أحد
غيري وأنا كنت سبب الرخصة والتخفيف عن المسلمين قال ثم فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن هذه العبادة قد شقت على الناس فقال لي يا علي كم ترى أن يكون حد هذه الصدقة أتراه
دينارا قلت لا قال فنصف دينار قلت لا قال فكم قلت حبة من شعير قال إنك لزهيد فأنزل الله الرخصة
يريد للواجدين وأما من لم يجد فالرخصة ثابتة بقوله فإن لم تجدوا قال الفخر قوله صلى الله عليه
وسلم لعلي إنك لزهيد معناه إنك قليل المال فقدرت على حسب حالك انتهى وقوله سبحانه أأشفقتم
الآية الإشفاق هاهنا الفزع من العجز عن الشيء المتصدق به أو من ذهاب المال في الصدقة وقوله فأقيموا
الصلاة الآية دوموا على هذه الأعمال التي هي قواعد شرعكم ومن قال إن هذه الصدقة منسوخة بآية
الزكاة فقوله ضعيف وقوله تعالى ألم تر إلى الذين تولوا نزلت في قوم من المنافقين تولوا قوما من اليهود
وهم المغضوب عليهم قال الطبري ما هم منكم يريد به المنافقين ولا منهم أي ولا إلى هؤلاء كالشاة
العائرة بين الغنمين ويحتمل الآية تأويلا آخر وهو أن يكون قوله ما هم يريد به اليهود ولا منهم
يريد به المنافقين ويحلفون يعني المنافقين وقرأ الحسن اتخذوا إيمانهم بكسر الهمزة والجنة
ما يتستر به ثم أخبر تعالى عن المنافقين في هذه الآية أنهم ستكون لهم أيمان يوم القيامة بين يدي الله تعالى
يخيل إليهم بجهلهم أنها تنفعهم وتقبل منهم وهذا هو حسبانهم أنهم على شيء نافع لهم وقوله
تعالى استحوذ عليهم الشيطان معناه تملكهم من كل جهة وغلب على نفوسهم وحكى أن عمر قرأ استحاذ وقضى تعالى
على محاده بالذل وباقي الآية بين وقوله سبحانه لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون
من حاد الله ورسوله الآية نفت هذه الآية أن يوجد من يؤمن بالله حق الإيمان ويلتزم شعبه على الكمال
يواد كافرا أو منافقا وكتب في قلوبهم الإيمان معناه أثبته وخلقه بالإيجاد وقوله أولئك إشارة إلى المؤمنين
الذين يقتضيهم معنى الآية لأن المعنى لكن تجدهم لا يوادون من حاد الله وقوله تعالى بروح منه معناه بهدى
منه ونور وتوفيق إلهي ينقدح لهم من القرآن وكلام النبي عليه السلام وحزب الله فريق وباقي الآية بين

ولا منهم اليهود وهذا التأويل يجري مع
قوله تعالى مذبذبين بين ذلك لا إلى
هؤلاء ولا م

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما سورة
الحشر مدنية باتفاق وهي سورة بني النضير وذلك أنهم كانوا عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم
وهم يرون أنه لا ترد له راية فلما كانت أحد وما أكرم به المسلمين ارتابوا وداخلوا قريشا وغدروا
فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد حاصرهم حتى أجلاهم عن أرضهم فارتحلوا إلى بلاد مختلفة
خيبر والشام وغير ذلك ثم كان أمر بني قريظة مرجعه من الأحزاب قوله سبحانه سبح لله ما في السماوات
وما في الأرض وهو العزيز الحكيم الآية تقدم الكلام في تسبيح الجمادات والذين كفروا من أهل الكتاب هم بنو
النضير وقوله لأول الحشر قال الحسن بن أبي الحسن وغيره يريد حشر القيامة أي هذا أوله والقيام من
القبور آخره وقال عكرمة وغيره المعنى لموضع أول الحشر وهو الشام وذلك أن أكثرهم جاء إلى الشام
وقد روي أن حشر القيامة هو إلى بلد الشام قوله سبحانه ما ظننتم أن يخرجوا يريد لمنعتهم وكثرة عددهم وقوله
تعالى يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين أي كلما هدم المسلمون من تحصينهم في القتال هدموا من
البيوت ليجبروا الحصن قلت والحاصل أنهم يخربون بيوتهم حسا ومعنى أما حسا فواضح وأما معنى
فبسوء آرائهم وعاقبة ما أضمروا من خياناتهم وغدرهم ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء من أوطانهم لعذبهم
في الدنيا بالسبي والقتل قال البخاري والجلاء الإخراج من أرض إلى أرض انتهى قوله سبحانه ما قطعتم من
لينة الآية سببها قول اليهود وما هذا الإفساد يا محمد وأنت تنهى عن الفساد فرد الله عليهم بهذه الآية
قال ابن عباس وجماعة من اللغويين اللينة من النخل ما لم يكن عجوة وقيل غير هذا ص وأصل اللينة لونة
فقلبوا الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وجمعه لين كتمرة وتمر قال الأخفش واللينة كأنها
لون من النخل أي ضرب منه انتهى قوله عز وجل وما أفاء الله على رسوله منهم الآية أعلم بأن ما أخذ
لبني النضير ومن فدك هو خاص للنبي صلى الله عليه وسلم وليس على حكم الغنيمة التي يوجف عليها ويقاتل
فيها بل على حكم خمس الغنائم وذلك أن بني النضير لم يوجف عليها ولا قوتلت كبير قتال فأخذ منها صلى الله
عليه وسلم قوت عياله وقسم سائرها في المهاجرين وأدخل معهم أبا دجانة وسهل بن حنيف من الأنصار
لأنهما شكيا فقرا والإيجاف سرعة السير والوجيف دون التقريب يقال وجف الفرس وأوجفه الراكب
قوله تعالى ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى الآية أهل القرى في هذه الآية هم أهل الصفراء وينبع
ووادي القرى وما هنالك من قرى العرب وذلك أنها فتحت في ذلك الوقت من غير إيجاف وأعطى رسول
الله صلى الله عليه وسلم جميع ذلك للمهاجرين ولم يحبس منها لنفسه شيئا ولم يعط الأنصار شيئا لغناهم
والقربى في الآية قرابته صلى الله عليه وسلم منعوا الصدقة فعوضوا من الفيء وقوله سبحانه كي لا يكون
دولة بين الأغنياء منكم مخاطبة للأنصار لأنه لم يكن في المهاجرين في ذلك الوقت غني والمعنى
كي لا يتداول ذلك المال الأغنياء بتصرفاتهم ويبقى المساكين بلا شيء وقد مضى القول في الغنائم في سورة
الأنفال وروي أن قوما من الأنصار تكلموا في هذه القرى المفتتحة وقالوا لنا منها سهمنا فنزل قوله تعالى
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الآية فرضوا بذلك ثم اطرد بعد معنى الآية في أوامر النبي صلى
الله عليه وسلم ونواهيه حتى قال قوم إن الخمر محرمة في كتاب الله بهذه الآية وانتزع منها ابن مسعود لعنة
الواشمة الحديث وبهذا المعنى يحصل التعميم للأشياء في قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء قوله تعالى
للفقراء المهاجرين بيان لقوله والمساكين وابن السبيل وكرر لام الجر لما كانت الجملة الأولى مجرورة
باللام ليبين أن البدل إنما هو منها ثم وصفهم تعالى بالصفة التي تقتضي فقرهم وتوجب الشفقة عليهم

وهي لخراجهم من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا يريد به الاخرة والجنة اولئك
هم الصادقون اي في الاقوال والافعال والنيات والذين تبوؤا الدار والايمان هم الانصار رضي الله
عن جميعهم والضمير في من قبلهم للمهاجرين والدار هي المدينة والمعنى تبوؤا الدار مع الايمان قال ص والايمان منصوب
بفعل مقدر اي واعتقدوا الايمان فهو من عطف الجمل كقوله علفتها تبنا وماء باردا انتهى وقيل غير هذا
واثنى الله تعالى في هذه الاية على الانصار بانهم يحبون المهاجرين وبانهم يؤثرون على انفسهم وبانهم قد وقوا
شح انفسهم ت وروى الترمذي عن انس لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اتاه المهاجرون فقالوا
يا رسول الله ما راينا قوما ابذل لكثير ولا احسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين اظهرهم لقد
كفونا المؤنة واشركونا في المهنا حتى لقد خفنا ان يذهبوا بالاجر كله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ما
دعوتم الله لهم واثنيتم عليهم قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى والحاجة الحسد في هذا الموضع
قاله الحسن بشديم بعد وجودها وقال الثعلبي حاجة اي حزازة وقيل حسدا مما او نوا اي مما
اعطي المهاجرون من اموال بني النضير والقرى انتهى وقوله سبحانه ويؤثرون على انفسهم صفة للانصار
وجاء الحديث الصحيح من غير ما طريق انها نزلت بسبب رجل من الانصار وصنيعه مع ضيف رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذ نوم صبيانه وقدم للضيف طعامه واطفا اهله السراج واوهما الضيف
انهما ياكلان معه وباتا طاويين فلما غدا الانصاري على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد عجب
الله من فعلكما البارحة فنزلت الاية في ذلك فالصاحب صلاح المؤمن الرجل الانصاري الذي اضاف
هو ابو طلحة انتهى قال الترمذي الحكيم في كتاب ختم الاولياء له حدثنا ابي قال حدثنا عبد الله بن عاصم
الحماني حدثنا صالح المري عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان بدلاء امتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صوم ولا صلوة انما دخلوها بسلامة الصدور وسخاوة
الانفس وحسن الخلق والرحمة لجميع المسلمين انتهى والايثار على النفس اكرم خلق قال ابو زيد
البسطامي قدم علينا شاب من بلخ حاجا فقال لي ما حد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا اكلنا واذا
فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ فقلت له فما هو عندكم فقال اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا
آثرنا وروي ان سبب هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح هذه القرى قال للانصار ان شئتم
قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة فنزلت هذه الاية والخصاصة الفاقة
والحاجة وشح النفس هو كثرة طمعها وضبطها على المال والرغبة فيه وامتداد الامل هذا جماع شح
النفس وهو داعية كل خلق سوء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادى الزكاة المفروضة
وقرى الضيف واعطى في النائبة فقد برئ من الشح والى هذا الذي قلناه ذهب الجمهور والعارفون
بالكلام وقيل في الشح غير هذا قال ابن عطية وشح النفس فقر لا يذهبه غنى المال بل يزيده وينصب
به ومن وقي يقي وقال الفخر اعلم ان الفرق بين الشح والبخل هو ان البخل نفس المنع والشح هو
الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس لا جرم قال الله تعالى ومن يوق
شح نفسه فاولئك هم المفلحون اي الظافرون بما ارادوا قال ابن زيد من لم ياخذ شيئا
نهاه الله عن اخذه ولم يمنع شيئا امره الله تعالى باعطائه فقد وقي شح نفسه انتهى قوله تعالى والذين
جاءوا من بعدهم الاية قال جمهور العلماء اراد من يجيء من التابعين وغيرهم الى يوم القيمة وقال
الفراء اراد الفرقة الثالثة من الصحابة وهي من امن في اخر مدة النبي عليه الصلاة والسلام وقوله

يقولون حال فيها الفائدة والمعنى والذين جاءوا قائلين كذا وروت ام الدرداء وابو الدرداء عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول دعوة المسلم لاخيه بظهر الغيب مستجابة عند راسه ملك
موكل كلما دعا لاخيه قال الملك الموكل به امين ولك مثله رواه مسلم انتهى قال ابن عطية ولهذه
الاية قال مالك وغيره انه من كان له في احد من الصحابة راي سوء او بغض فلا حظ له في فيء المسلمين
وقال عبد الله بن زيد قال الحسن ادركت ثلاثمائة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال من فارق الجماعة
قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه فالجماعة ان لا تسبوا الصحابة ولا تماروا في دين الله ولا تكفروا
احدا من اهل التوحيد بذنب قال عبد الله فلقيت ابا امامة وابا الدرداء وواثلة وانسا فكلهم يحدثني
عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث الحسن والغل الحقد والاعتقاد الردي قوله تعالى الم تر الى الذين
نافقوا يقولون لاخوانهم الاية نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول ورفاعة بن التابوت وقوم
من منافقي الانصار كانوا بعثوا الى بني النضير وقالوا لهم اثبتوا في معاقلكم فانا معكم كيف ما تقلبت
حالكم وكانوا في ذلك كاذبين وانما ارادوا بذلك ان تقوى نفوسهم عسى ان يثبتوا حتى لا يقدر النبي عليه
الصلاة والسلام عليهم فيتم مرادهم وجاءت الافعال غير مجزومة في قوله لا يخرجون ولا ينصرونهم لانها
راجعة الى حكم القسم لا على حكم الشرط والضمير في صدورهم يعود على اليهود والمنافقين والضمير في قوله
لا يقاتلونكم جميعا لبني النضير وجميع اليهود هذا قول جماعة من المفسرين ومعنى الاية لا يبرزون لحربكم
وانما يقاتلون متحصنين بالقرى والجدران للرعب والرهب الكائن في قلوبهم وقوله تعالى باسهم
بينهم شديد اي في غائلتهم واحنهم تحسبهم جميعا اي مجتمعين وقلوبهم شتى اي متفرقة قال ابن عطية
وهذه حال الجماعة المتخاذلة وهي المغلوبة ابدا في كل ما تحاول واللفظة ماخوذة من الشتات وهو التفرق
ونحوه وقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم قال ابن عباس هم بنو قينقاع لان النبي صلى الله عليه وسلم
اجلاهم عن المدينة قبل بني النضير والوبال الشدة والمكروه وعاقبة السوء والعذاب الاليم هو في
الاخرة وقوله سبحانه كمثل الشيطان معناه ان هاتين الفرقتين من المنافقين وبني النضير كمثل الشيطان
مع الانسان فالمنافقون مثلهم الشيطان وبنو النضير مثلهم الانسان وذهب مجاهد وجمهور من
المتاولين الى ان الشيطان والانسان في هذه الاية اسما جنس وكما ان الشيطان يغوي الانسان ثم يفر منه يوم
كذلك اغوى المنافقون بني النضير وحرضوهم على الثبوت ووعدوهم النصر فلما نشب بنو النضير وكشفوا
عن وجوههم تركهم المنافقون في اسوا حال وذهب قوم من رواة القصص الى ان هذا في شيطان مخصوص
مع عابد مخصوص اسمه برصيص استودع امراة جميلة وقيل سيقت اليه ليشفيها بدعائه من
الجنون فسول له الشيطان الوقوع عليها فحملت منه فخشي الفضيحة فسول له قتلها ودفنها ففعل ثم
شهره الله فلما استخرجت المراة وحمل العابد شر محمل وصلب فجاءه الشيطان وقال له اسجد لي سجدة
وانا اخلصك فسجد له فقال له الشيطان هذا اردت منك ان كفرت بربك اني بريء منك فضرب الله
تعالى هذا المثل ليهود بني النضير والمنافقين وهذا يحتاج الى صحة سند والتاويل الاول
هو وجه الكلام قلت قال السهيلي وقد ذكر هذه القصة هكذا القاضي اسماعيل وغيره من طريق
سفيان عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر بن عبيد بن رفاعة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان
راهبا كان في بني اسرائيل فذكر القصة بكمالها ويقال ان اسم هذا الراهب برصيصا ولم يذكر
اسمه القاضي اسمعيل انتهى قال ع وقول الشيطان اني اخاف الله رب العالمين قوله وليست على ذلك

عنه بعد م

عبادته ولا يعرف الله حق معرفته ولا يخاف خوفه عن سوء يقع فيه ابن ادم من اول الى اخر فكان
عاقبتهما يعني الشيطان والانسان على ما تقدم من حملهما على الجنس والخصوص **قوله** سبحانه يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد الاية هذه اية وعظ وتذكير وتقريب للاخرة وتحذير
ممن لا يخفى عليه خافية وقوله تعالى لغد يريد يوم القيامة والذين نسوا الله هم الكفار والمعنى تركوا الله
وغفلوا عنه حتى كانوا كالناسين فعاقبهم بان جعلهم ينسون انفسهم وهذا هو الجزاء على الذنب بالذنب
قال سفيان المعنى حظ انفسهم ونعطي لفظ الآن من عرف نفسه ولم ينسها عرف ربه تعالى وقد قال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه اعرف نفسك تعرف ربك وروى عنه ايضا انه قال من لم يعرف نفسه
لم يعرف ربه وقوله سبحانه لو انزلنا هذا القرآن على جبل الاية موعظة للانسان وذم لاخلاقه واعراضه
وغفلته عن تدبر كلام خالقه واذا كان الجبل على عظمه وقوته لو انزل عليه القرآن وفهم منه
ما فهمه الانسان لخشع واستكان وتصدع خشية لله تعالى والانسان على حقارته وضعفه اولى
بذلك وضرب الله سبحانه هذا المثل ليتفكر فيه العاقل ويخشع ويلين قلبه وقوله سبحانه هو الله الذي لا اله
الا هو عالم الغيب والشهادة الاية لما قال تعالى من خشية الله جاء بالاوصاف العلية التي توجب للمخلوق
هذه الخشية وقرأ الجمهور القدوس بضم الدال من تقدس اذا تطهر وتنزه وقوله السلام اي ذو السلامة
لان الايمان به وتوحيده وافعاله هي لمن امن سلامة كلها والمؤمن اسم فاعل من امن بمعنى امن من الامن
وقيل معناه المصدق عباده المؤمنين والمهيمن معناه الحفيظ والامين قاله ابن عباس والجبار هو الذي
لا يدانيه شيء ولا تلحق رتبته قال الفخر وفي اسمه تعالى الجبار وجوه احدها انه فعال من جبر اذا اغنى
الفقير وجبر الكسير والثاني ان يكون الجبار من جبره اذا اكرهه قال الازهري وهي لغة تميم وكثير
من الحجازيين يقولونها بغير الف في الاكراه وكان الشافعي رحمه الله يقول جبره السلطان على كذا بغير الف
وجعل الفراء الجبار بهذا المعنى من اجبر بالالف وهي اللغة المعروفة في الاكراه انتهى والمتكبر معناه الذي
له التكبر حقا والبارئ بمعنى الخالق والمصور هو الذي يوجد الصور وباقي الاية بين وروى معقل بن يسار
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان
الرجيم وقرأ ثلاث ايات من اخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى
يمسي وان مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة رواه الترمذي
وقال حديث حسن غريب انتهى بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه وسلم تسليما **سورة الممتحنة** مدنية بالجماع **قوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الاية المراد بالعدو هاهنا كفار قريش وسبب نزول هذه
حاطب بن ابي بلتعة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد الخروج الى مكة عام الحديبية
قلت بل عام فتح مكة فكتب حاطب الى قوم من كفار مكة يخبرهم بقصد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يكن ذلك منه ارتدادا فنزل الوحي يخبر بما صنع حاطب فبعث النبي صلى الله عليه
وسلم عليا والزبير وثالثا قيل هو المقداد وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة
معها كتاب من حاطب الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها فانطلقوا حتى وجدوا المرأة
فقالوا لها اخرجي الكتاب فقالت ما معي كتاب ففتشوا رحلها فما وجدوا شيئا فقال علي ما كذب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبت والله لتخرجن الكتاب او لنلقين الثياب فقالت

اعرضوا عني فاخرجته من قرون راسها فجاؤوا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال لحاطب من كتب هذا قال
انا يا رسول الله فقال ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله لا تعجل علي فوالله ما كفرت منذ اسلمت
وما فعلت ذلك ارتدادا عن ديني ولا رغبة عنه ولكن لم يكن احد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع
عشيرته وكنت امرأ ملصقا فيهم واهلي بين ظهرانيهم فخشيت عليهم فاردت ان اتخذ عندهم يدا
فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا تقولوا لحاطب الا خيرا وروي ان حاطبا كتب ان رسول الله يريد
ان يغزوكم في مثل الليل والسيل واقسم بالله لو غزاكم وحده لنصر عليكم فكيف وهو في جمع كثير **ص**
وتلقون مفعوله محذوف اي تلقون اليهم اخبار الرسول واسراره وبالمودة الباء للتسبيب انتهى **قوله** تعالى
ان تؤمنوا مفعول من اجله اي اخرجوكم من اجل ان امنتم بربكم وقوله تعالى ان كنتم شرط جوابه متقدم
في معنى ما قبله وجاز ذلك لما لم يظهر عمل الشرط والتقدير ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي
فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وجهادا نصب على المصدر وكذلك ابتغاء ويجوز ان يكون ذلك
مفعولا من اجله والمرضاة مصدر كالرضى وتسرون حال من تلقون ويجوز ان يكون في موضع رفع
خبر ابتداء كانه قال انتم تسرون ويصح ان يكون فعلا ابتدئ به القول وقوله تعالى اعلم يحتمل ان يكون
افعل ويحتمل ان يكون فعلا لانك تقول علمت بكذا فتدخل الباء **ص** والظاهر انه افعل تفضيل ولذلك
عدي بالباء انتهى وسواء يجوز ان يكون مفعولا بضل على تعدي ضل ويجوز ان يكون ظرفا على عدم التعدي
لانه يجيء بالوجهين والاول احسن في المعنى والسواء الوسط والسبيل هنا شرع الله وطريق دينه وقوله
سبحانه ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء الاية اخبر تعالى ان مداراة هؤلاء الكفرة غير نافعة في الدنيا وانها
ضارة في الاخرة ليبين فساد راي مصانعهم فقال ان يثقفوكم اي ان يتمكنوا منكم ويحصلوا في ثقافهم
ظهرت عداوتهم وانبسطت اليكم ايديهم بضربكم وقتلكم وانبسطت السنتهم بسبكم واشد من هذا كله
انما يقنعهم ان تكفروا وهذا هو ودهم ثم اخبر تعالى ان هذه الارحام التي رغبتم في وصلها ليست بنافعة
يوم القيامة فالعامل في يوم قوله تنفعكم وقيل العامل فيه يفصل وهو مما بعده لا مما قبله وعبارة الثعلبي لن
تنفعكم ارحامكم اي قراباتكم منهم ولا اولادكم الذين عندهم بمكة يوم القيامة اذا عصيتم الله من اجلهم
يفصل بينكم فيدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار انتهى **ت** وهذه الاية تنظر الى قوله تعالى وما اموالكم
ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى واعلم ان المال والكسب النافع يوم القيامة ما كان لله وقصد به
العون على طاعة الله والا فهو على صاحبه وبال وطول حساب قال ابن المبارك في رقائقه اخبرنا شعبة عن
عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله بن الحارث يحدث عن ابي كثير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه انه سمعه يقول
ويجمعون يعني ليوم القيامة فيقول اين فقراء هذه الامة ومساكينها فيبرزون فيقال ما عندكم فيقولون يا رب
ابتليتنا فصبرنا وانت اعلم حسبه قال ووليت الاموال والسلطان غيرنا فيقال صدقتم فيدخلون
الجنة قبل سائر الناس بزمان وتبقى شدة الحساب على ذوي السلطان والاموال قال قلت فاين المؤمنون يومئذ
قال توضع لهم كراسي من نور ويظلل عليهم الغمام ويكون ذلك اليوم اقصر عليهم من ساعة من نهار انتهى وفي قوله تعالى عليهم ص
والله بما تعملون بصير وعيد وتحذير وقوله تعالى قد كانت لكم اسوة اي قدوة في ابراهيم الخليل والذين
معه قيل من امن به من الناس وقال الطبري وغيره الذين معه هم الانبياء المعاصرون له وقريبا
من عصره قال ابن عطية وهذا ارجح لانه لم يرو ان لابراهيم اتباعا مؤمنين في وقت مكافحته نمرود
وفي البخاري انه قال لسارة حين رحل بها الى الشام مهاجرا من بلد نمرود ما على الارض من يعبد الله غيري وغيرك

وهذه الاسوة مقيدة في التبري من المشركين واشراكهم وهو مطرد في كل ملة وفي نبينا عليه
الصلاة والسلام اسوة حسنة على الاطلاق في العقائد وفي احكام الشرع كلها وقوله كفرنا
بكم اي كذبنا في عبادتكم الاصنام وقوله الا قول ابراهيم لابيه يعني تاسوا بابراهيم الا في استغفاره
لابيه فلا تتاسوا فتستغفروا للمشركين لان استغفاره انما كان عن موعدة وعدها اياه وهذا
تاويل قتادة ومجاهد وعطاء الخراساني وغيرهم وقوله ربنا عليك توكلنا الى قوله انك انت العزيز
الحكيم هو حكاية عن قول ابراهيم والذين معه وهذه الالفاظ بينة مما تقدم في اي القران وقوله ربنا
لا تجعلنا فتنة قيل لا تغلبهم علينا فنكون لهم فتنة وسبب ضلالة نحا هذا المنحى قتادة وابو
مجلز وقد تقدم مستوفى في سورة يونس وقال ابن عباس المعنى لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن ديننا
فكانه قال لا تجعلنا مفتونين فعبر عن ذلك بالمصدر وهذا ارجح الاقوال لانهم انما دعوا
لانفسهم وعلى منحى قتادة انما دعوا للكفار اما ان مقصدهم انما هو ان يندفع عنهم ظهور الكفار
الذي بسببه فتن الكفار فجاء في المعنى تحليق بليغ قوله تعالى لقد كان لكم فيهم اي في ابراهيم
والذين معه وباقي الاية بين وروي ان هذه الايات لما نزلت وعزم المؤمنون على امتثالها وصرم
حبال الكفرة لحقهم تاسف وهم من اجل قراباتهم اذ لم يؤمنوا ولم يهتدوا حتى يكون بينهم التواد
والتواصل فنزلت عسى الله الاية مؤنسة في ذلك ومرجية ان يقع فوقع ذلك باسلامهم في الفتح وصار
الجميع اخوانا وعسى من الله واجبة الوقوع ت قد تقدم تحقيق القول في عسى في سورة القتال
فاغنى عن اعادته وقوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم الاية اختلف في هؤلاء الذين
لم ينه عنهم ان يبروا فقيل اراد المؤمنين التاركين للهجرة وقيل خزاعة وقبائل من العرب كانوا
مظاهرين للنبي صلى الله عليه وسلم ومحبين لظهوره وقيل اراد النساء والصبيان من الكفرة
وقيل اراد من كفار قريش من لم يقاتل ولا اخرج ولم يظهر سوءا وعلى انها في الكفار فالاية منسوخة
بالقتال والذين قاتلوا في الدين واخرجوهم مردة قريش وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الاية نزلت اثر صلح الحديبية وذلك ان ذلك الصلح تضمن ان من اتى مسلما
من اهل مكة رد اليهم سواء كان رجلا او امراة فنقض الله تعالى من ذلك امر النساء بهذه الاية وحكم
بان المهاجرة المؤمنة لا ترد الى دار الكفرة امتحنوهن معناه جربوهن واستخبروا حقيقة ما عندهن
وقوله تعالى الله اعلم بايمانهن اشارة الى الاسترابة ببعضهن قلت وقوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات
العلم هنا بمعنى الظن وذكر تعالى العلة في ان لا ترد النساء الى الكفار وهو امتناع الوطء وحرمته قوله
تعالى واتوهم ما انفقوا الاية امر بان يؤتى الكفار مهور نسائهم اللاتي هاجرن مؤمنات ورفع الجناح
في ان يتزوجن بصدقات هي اجورهن وامر المسلمين بفراق الكافرات وان لا يتمسكوا بعصمهن قيل
في الاية عابدات الاوثان ومن لا يجوز نكاحها ابتداء وقيل هي عامة نسخ منها نساء اهل الكتاب والعصم
جمع عصمة وهي اسباب الصحبة والبقاء في الزوجية وامر تعالى ان يسال ايضا المؤمنون ما انفقوا وروي
عن ابن شهاب ان قريشا لما بلغهم هذا الحكم قالوا نحن لا نرضى بهذا الحكم ولا نلتزمه ولا ندفع لاحد
صداقا فنزلت بسبب ذلك هذه الاية الاخرى وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار الاية فامر الله تعالى
المؤمنين ان يدفعوا الى من فرت زوجته وفاتت بنفسها الى الكفار صداقه الذي انفق واختلف
من اي مال يدفع اليه الصداق فقال ابن شهاب يدفع اليه من الصدقات التي كانت تدفع الى الكفار بسبب

من هاجر من ازواجهم وازال الله دفعها اليهم حين لم يرضوا حكمه قال ع وهذا قول صحيح
يقتضيه قوله فعاقبتم وقال قتادة وغيره يدفع اليه من غنائم المغازي وقال هؤلاء العقب هو
الغزو والمغنم وقال ابن شهاب ايضا يدفع اليه من اي الوجوه الفيء امكن والمعاقبة في هذه الاية ليست بمعنى
مجازاة السوء بالسوء قال الثعلبي وقرا مجاهد فاعقبتم وقال المعنى صنعتم بهم كما صنعوا بكم انتهى
قال ع اي وذلك بان يفوت اليكم شيء من ازواجهم وهذا هو التعاقب على الجمل والدواب ان يركب هذا عقبة
وهذا عقبة ويقال عاقب الرجل صاحبه في كذا اي جاء فعل كل واحد منهما بعقب فعل الاخر وهذه
كلها قد ارتفع حكمها قوله عز وجل يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك الاية هذه بيعة النساء
في ثاني يوم الفتح على الصفا وهي كانت في المعنى بيعة الرجال قبل فرض القتال ت وخرج البخاري
بسنده عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر اليه من المؤمنات بهذه الاية يا ايها
النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك الاية وكذا روى البخاري من طريق ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام تلا
عليهن الاية يوم الفطر عقب الصلاة ونحوه عن ام عطية في البخاري وقرا عليهن الاية ايضا في ثاني
يوم فتح مكة وكلام ابن عطية يوهم ان الاية نزلت في بيعة النساء يوم الفتح وليس كذلك وانما
يريد انه اعاد الاية على من لم يبايعه من اهل مكة لقرب عهدهن بالاسلام والله اعلم والاتيان
بالبهتان قال اكثر المفسرين معناه ان تنسب الى زوجها ولدا ليس منه قال ابن عطية واللفظ اعم
من هذا التخصيص قوله تعالى ولا يعصينك في معروف يعم جميع اوامر الشريعة فرضها وندبها وفي
الحديث انهن قلن عند ذلك نعم فقلن يا رسول الله نبايعك على كذا وكذا الاية فلما فرغن قال صلى الله عليه وسلم
فيما استطعتن واطقتن فقلن الله ورسوله ارحم بنا منا لانفسنا قوله تعالى فبايعهن اي
امض لهن صفقة الايمان بان يعطين ذلك من انفسهن ويعطين عليه الجنة واختلف في هيئة مبايعته
صلى الله عليه وسلم النساء بعد الاجماع على انه لم تمس يده يد امراة اجنبية قط والمروي عن عائشة
وغيرها انه بايع باللسان قولا وقال انما قولي لمائة امراة كقولي لامراة واحدة وقوما غضب الله عليهم
هم اليهود في قول ابن زيد وغيره ويئسوا من الاخرة هو ياسهم من نعيمها مع التصديق بها وقال ابن عباس
قوما غضب الله عليهم في هذه الاية كفار قريش وقوله كما يئس الكفار من اصحاب القبور على هذا التاويل
هو على ظاهره في اعتقاد الكفرة اذا مات لهم حميم قالوا هذا اخر العهد به لا يبعث ابدا
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما

سورة الصف

مدنية في قول الجمهور وقيل مكية والاول اصح لان معاني السورة تعضده
ويشبه ان يكون فيها المكي والمدني قوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم
قد تقدم تفسيره واختلف في السبب الذي نزلت فيه يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون
فقال ابن عباس وغيره نزلت بسبب قوم قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لسارعنا اليه ففرض الله
الجهاد واعلمهم بفضله وانه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص فكرهه قوم وفروا يوم
الزحف وعاتبهم الله تعالى بهذه الاية وقال قتادة والضحاك نزلت بسبب جماعة من شباب المسلمين كانوا
يتحدثون عن انفسهم في الغزو بما لم يفعلوا قال ابن عطية وحكم هذه الاية باق غابر الدهر وكل
من يقول ما لا يفعل فهو ممقوت الكلام والقول الاول يترجح بما ياتي من امر الجهاد والقتال
والمقت البغض من اجل ذنب او ريبة او دناءة يصنعها الممقوت وقول المرء ما لا يفعل موجب مقت

الله تعالى ولذلك فر كثير من العلماء عن الوعظ والتذكير وآثروا السكوت **قلت** وهذا بحسب فقه
الحال ان يوجد الانسان من يكفيه هذه المؤنة في وقته فقد يسعه السكوت والا فيسعه قال ابن حجي
في سنن الصالحين له قال الاصمعي بلغني ان بعض الحكماء كان يقول اني لاعظكم واني لكثير الذنوب
ولو ان احدا لا يعظ اخاه حتى يحكم امر نفسه لترك الامر بالخير واقتصر على الشر ولكن محادثة الاخوان
حياة القلوب وجلاء النفوس وتذكير من النسيان وقال ابو حازم اني لاعظ الناس وما انا بموضع للوعظ
ولكن اريد به نفسي وقال الحسن لمطرف عظ اصحابك فقال اني اخاف ان اقول ما لا افعل فقال يرحمك
الله واينا يفعل ما يقول ود الشيطان انه لو ظفر منكم بهذه فلم يأمر احد منكم بمعروف ولم ينه
عن منكر انتهى **و**قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا الاية قال معاذ بن جبل سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل في سبيل الله فواق ناقة فقد وجبت له الجنة ومن
سأل الله القتل من نفسه صادقا ثم مات او قتل فان له اجر شهيد رواه ابو داود والترمذي
والنسائي وابن ماجه واللفظ لابي داود وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح انتهى من السلاح ثم
ذكر تعالى مقالة موسى وذلك ضرب مثل للمؤمنين ليحذروا ما وقع فيه هؤلاء من العصيان وقول
الباطل **و**قوله لم تؤذونني اي بتعنتكم وعصيانكم واقتراحكم واسند الزيغ اليهم لكونه فعل
حطيطة وهذا الجلا في قوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا فاسند التوبة اليه سبحانه لكونها فعل
رفعة **و**زاغ معناه مال وصار عرفها في الميل عن الحق **و**ازاغ الله قلوبهم معناه طبع عليها
وكثر ميلها عن الحق وهذه هي العقوبة على الذنب بالذنب **و**قوله ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه
احمد قال عياض في الشفا سمى الله تعالى نبيه في كتابه محمدا واحمد فاما اسمه احمد فافعل مبالغة
من صفة الحمد ومحمد مفعل من كثرة الحمد وسماه في كتب انبيائه بالحمادين ثم في هذين الاسمين من عجائب
خصائصه سبحانه وبدائع اياته انه سبحانه حمى ان يتسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذي اتى في
الكتب وبشرت به الانبياء فمنع سبحانه ان يتسمى به احد غيره حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب وكذلك
محمد ايضا لم يتسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده
ان نبيا اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو وهم محمد
ابن احيحة الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن برا البكري ومحمد بن سفيان بالمين ويقولون
بل محمد بن اليحمد من الازد ومحمد بن سوادة منهم لا سابع لهم ولم يدع احد منهم النبوة او يظهر عليه
سبب يشكك انتهى وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسموا اولادكم محمدا ثم
تلعنونهم رواه الحاكم في المستدرك انتهى من سلاح المؤمن **قوله** سبحانه فلما جاءهم بالبينات الاية
يحتمل ان يريد عيسى ويحتمل ان يريد محمدا صلى الله عليه وسلم لانه تقدم ذكره **قلت** والاول اظهر
وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم الاية ندب وحض على الجهاد بهذه التجارة
التي بينها سبحانه وهي ان يبذل المرء نفسه وماله وياخذ ثمنا جنة الخلد وقرا ابن عامر وحده
تنجيكم بفتح النون وشد الجيم **و**قوله تؤمنون معناه الامر اي امنوا قال الاخفش ولذلك جاء
يغفر مجزوما وفي مصحف ابن مسعود امنوا بالله ورسوله وجاهدوا **قوله** تعالى ذلكم اشارة الى
الجهاد والايمان وخير هنا يحتمل ان يكون للتفضيل فالمعنى من كل عمل ويحتمل ان يكون اخبارا ان هذا
خير في ذاته **و**مساكن عطف على جنات **و**طيب المساكن سعتها وجمالها وقيل طيبها المعرفة بدوام امرها

وقوله

قوله سبحانه واخرى تحبونها الاية قال الاخفش واخرى هي في موضع خفض عطفا على تجارة
وهذا قلق وقد رده الناس لان هذه الاية الاخرى ليست مما دل عليه سبحانه انما هي مما اعطى ثمنا
وجزاء على الايمان والجهاد بالنفس والمال وقال الفراء واخرى في موضع رفع وقيل في موضع نصب باضمار فعل
تقديره ويدخلكم جنات ويمنحكم اخرى وهي النصر والفتح القريب **و**قصة عيسى مع بني اسرائيل قد تقدمت
وقوله تعالى فايدنا الذين امنوا على عدوهم قيل ذلك قبل محمد عليه السلام وبعد فترة من رفع عيسى
رد الله الكرة لمن امن به فغلبوا الكافرين الذين قتلوا صاحبهم الذي القي عليه الشبه وقيل المعنى فاصبحوا
ظاهرين بالحجة بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه وسلم تسليما **سورة الجمعة** مدنية **قوله** تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الارض
تقدم القول في مثل الفاظ الاية **و**المراد بالاميين جميع العرب واختلف في المعنيين بقوله تعالى واخرين
منهم فقال ابو هريرة وغيره اراد فارس وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاخرون
فاخذ بيد سلمان وقال لو كان الدين في الثريا لناله رجال من هؤلاء خرجه مسلم والبخاري وقال ابن زيد
ومجاهد والضحاك وغيرهما اراد جميع طوائف الناس فقوله منهم على هذين القولين انما يريد في البشرية
والايمان وقال مجاهد ايضا وغيره اراد التابعين من ابناء العرب فقوله منهم يريد في النسب والايمان
وقوله لما يلحقوا بهم نفي لما قرب من الحال والمعنى انهم يزعمون ان يلحقوا فهي لم زيدت
عليها ما تاكيدا **و**الذين حملوا التوراة هم بنو اسرائيل الاحبار المعاصرون للنبي صلى الله عليه
وسلم **و**حملوا معناه كلفوا القيام باوامرها ونواهيها فهذا كما حمل الانسان الامانة **و**ذكر
تعالى انهم لم يحملوها اي لم يطيعوا امرها ويقفوا عند حدودها حين كذبوا نبيه عليه السلام
والتوراة تنطق بنبوته فكان كل حبر لم ينتفع بما حمل كمثل حمار عليه اسفار وفي مصحف ابن مسعود
كمثل حمار بغير تعريف **و**السفر الكتاب المجتمع الاوراق منضدة **و**قوله بئس مثل القوم تقدير
بئس المثل مثل القوم الذين كذبوا بايات الله **ص** وورد بان فيه حذف الفاعل ولا يجوز
والظاهر ان مثل القوم فاعل بئس والذين كذبوا هو المخصوص بالذم على حذف مضاف اي مثل
القوم الذين كذبوا انتهى **و**قوله سبحانه قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم الاية روي انها نزلت
بسبب ان يهود المدينة لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبوا يهود خيبر في امره وذكروا
لهم نبوته وقالوا ان رايتم اتباعه اطعناكم وان رايتم خلافه خالفناه معكم فجاءهم جواب
اهل خيبر يقولون نحن ابناء ابراهيم خليل الرحمن وابناء عزير بن الله ومنا الانبياء ومتى كانت
النبوة في العرب نحن احق بالنبوة من محمد ولا سبيل الى اتباعه فنزلت الاية بمعنى انكم اذا كنتم من الله
بهذه المنزلة فقربه وفراق هذه الحياة الخسيسة احب اليكم فتمنوا الموت ان كنتم تعتقدون في انفسكم هذه
المنزلة ثم اخبر تعالى انهم لا يتمنونه ابدا لعلمهم بسوء حالهم وروى كثير من المفسرين ان الله جلت قدرته
جعل هذه الاية معجزة لمحمد نبيه فيهم واية ظاهرة واية باهرة واعلمه انه ان تمنى احدهم الموت في ايام
معدودة مات وفارق الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمنوا الموت على جهة التعجيز
واظهار الاية فما تمناه احد منهم خوفا من الموت وثقة بصدق نبينا محمد عليه الصلاة والسلام
وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة الاية النداء هو الاذان وكان على الجدار
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي مصنف ابي داود كان بين يدي رسول الله صلى الله عليه

وهو على المنبر اذا ان ثم زاد عثمان النداء على الزوراء ليسمع الناس ت وفي البخاري والترمذي
وصححه عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد النبي صلى
الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلما تولى عثمان وكثر الناس زاد الاذان الثالث فاذن به على الزوراء
فثبت الامر على ذلك قيل فقوله الثالث يقتضي انهم كانوا ثلاثة وفي طريق آخر التاذين الثاني بدل الثالث وهو
يقتضي انهما اثنان انتهى وخرج مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اغتسل
ثم اتى الجمعة فصلى ما قدر له ثم انصت للامام حتى يفرغ من خطبته ثم يصلي معه غفر له ما بينه
وبين الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة ايام انتهى وخرجه البخاري من طريق سلمان و قوله من يوم الجمعة
قال ابن هشام من مرادفة في انتهى و قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله الاية السعي في الاية لا يراد به الاسراع
في المشي وانما هو بمعنى قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فالسعي هو بالنية والارادة والعمل من وضوء
وغسل ومشي ولبس ثوب كل ذلك سعي وقد قال مالك وغيره انما تؤتى الصلاة بالسكينة ت
وهو نص الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم في الصلاة فلا تأتوها وانتم تسعون وأتوها
وعليكم السكينة ت والظاهر ان المراد بالسعي هنا المضي الى الجمعة كما فسره الثعلبي ويدل على ذلك
اطلاق العلماء لفظ الوجوب عليه فيقولون السعي الى الجمعة واجب ويدل على ذلك
قراءة عمر وعلي وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وابن الزبير وجماعة من التابعين فامضوا الى ذكر الله
وقال ابن مسعود لو قرأت فاسعوا لاسرعت حتى يقع ردائي و قوله الى ذكر الله هو وعظ الخطبة
قاله ابن المسيب ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح اذا كان يوم الجمعة كان على كل
باب من ابواب المسجد ملائكة يكتبون الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاءوا يستمعون
الذكر الحديث خرجه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم و الخطبة عند الجمهور شرط في انعقاد الجمعة وعن
ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل يبعث الايام يوم القيامة
على هيئتها ويبعث الجمعة زهراء منيرة اهلها يحفون بها كالعروس تهدى الى كريمها تضيء لهم يمشون
في ضوئها الوانهم كالثلج بياضا وريحهم يسطع كالمسك يخوضون في جبال الكافور ينظر
اليهم الثقلان ما يطرفون تعجبا يدخلون الجنة لا يخالطهم الا المؤذنون المحتسبون خرجه القاضي
الشريف ابو الحسن علي بن عبد الله بن ابراهيم الهاشمي قال صاحب التذكرة واسناده صحيح انتهى و قوله سبحانه
ذلكم اشارة الى السعي وترك البيع و قوله فانتشروا اجمع الناس على ان مقتضى هذا الامر الاباحة و
كذلك قوله وابتغوا من فضل الله انه الاباحة في طلب المعاش مثل قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا
الا ما روي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك الفضل المبتغى هو عيادة مريض وصلة صديق واتباع
جنازة قال ابن عطية وفي هذا ينبغي ان يكون المرء بقية يوم الجمعة ونحوه عن جعفر بن محمد وقال
مكحول الفضل المبتغى العلم فينبغي ان يطلب اثر الجمعة قوله تعالى واذكروا الله كثيرا الاية قال
معاذ بن جبل ما شيء انجى من عذاب الله من ذكر الله رواه الترمذي واللفظ له وابن ماجه والحاكم
في المستدرك وقال صحيح الاسناد انتهى من السلاح و قوله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا الاية نزلت
بسبب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قائما على المنبر يخطب يوم الجمعة فاقبلت عير من الشام
تحمل ميرة وصاحب امرها دحية بن خليفة الكلبي قال مجاهد وكان من عرفهم ان تدخل العير المدينة
بالطبل والمعازف والصياح سرورا بها فدخلت العير بمثل ذلك فانفض اهل المسجد الى رؤية ذلك وسماعه
وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر ولم يبق معه غير اثني عشر رجلا قال جابر بن عبد الله

انا احدهم قال ع ولم تمر بي تسميتهم في ديوان فيما اذكر الا اني سمعت ابي رحمه الله يقول هم
العشرة المشهود لهم بالجنة واختلف في الحادي عشر فقيل عمار بن ياسر وقيل ابن مسعود ت وفي
تقييد ابي الحسن الصغير والاثنا عشر الباقون هم اصحاب العشرة والحادي عشر بلال واختلف في الثاني
عشر فقيل عمار بن ياسر وقيل ابن مسعود انتهى قال السهيلي وجاء في تسمية الاثني عشر حديث مرسل
رواه اسد بن عمرو والد موسى بن اسد وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق معه الا ابو بكر
وعمر وعثمان حتى العشرة وقال وبلال وابن مسعود وفي رواية عمار بدل ابن مسعود وفي مراسيل ابي داود
ذكر السبب الذي من اجله ترخصوا فقال ان الخطبة يوم الجمعة كانت بعد الصلاة فتأولوا رضي الله
عنهم انهم قد قضوا ما عليهم فحولت الخطبة بعد ذلك قبل الصلاة وهذا الحديث وان كان مرسلا
فالظن الجميل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوجب ان يكون صحيحا والله اعلم انتهى وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لولا هؤلاء لكانت الحجارة سومت على المنفضين من السماء وفي حديث
آخر والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى احد لسال بكم الوادي نارا قال البخاري انفضوا معناه
نفروا انتهى وقرأ ابن مسعود ومن التجارة للذين اتقوا والله خير الرازقين وانما اعاد الضمير
في قوله اليها على التجارة وحدها لانها اهم وهي كانت سبب اللهو ص وقرئ اليهما بالتثنية م

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسليما سورة اذا جاءك المنافقون مدنية باجماع ونزلت في غزوة بني المصطلق بسبب ان ابي
ابن سلول كانت له في تلك الغزوة اقوال منكرة وسيأتي بيان ذلك ان شاء الله قوله عز وجل
اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الاية فضح الله سرائر المنافقين بهذه الاية
وذلك انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم نشهد انك لرسول الله وهم في اخبارهم هذا
كاذبون لان حقيقة الكذب ان يخبر الانسان بضد ما في قلبه وهذه كانت حالهم وقرأ
الناس ايمانهم جمع يمين و قرأ الحسن بخلاف ايمانهم بكسر الهمزة و الجنة ما يستتر به في الاجرام والمعاني
و قوله ذلك اشارة الى فعل الله بهم في فضحهم وتوبيخهم ويحتمل ان يكون الاشارة الى سوء ما عملوا هم
فالمعنى ساء عملهم بان كفروا بعد ايمان قوله تعالى واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع
لقولهم هذا توبيخ لهم اذ كان منظرهم يروق جمالا وقولهم يخلب بيانا لكنهم كالخشب المسندة اذ لا
افهام لهم نافعة وكان عبد الله بن ابي ابن سلول من ابهى المنافقين واطولهم ويدل على ذلك انه لم يوجد
قميص يكسو العباس غير قميصه قال الثعلبي تعجبك اجسامهم لاستواء خلقها وطول قامتها وحسن صورتها
قال ابن عباس وكان عبد الله بن ابي جسيما صبيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوله
وصفهم الله بتمام الصورة وحسن الابانة ثم شبههم بالخشب المسندة الى الحائط لا يسمعون
ولا يعقلون اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام انتهى و قوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم
هذا ايضا فضح لما كانوا يسرونه من الخوف وذلك انهم كانوا يتوقعون ان يأمر النبي صلى الله
عليه وسلم عن الله بقتلهم قال مقاتل فكانوا متى سمعوا انشاد ضالة او صياحا باي وجه
او اخبر بنزول وحي طارت عقولهم حتى يسكن ذلك ويكون في غرشاتهم ثم اخبر تعالى انهم هم
العدو وحذر منهم و قوله تعالى قاتلهم الله دعاء يتضمن الاقصاء والمنابذة لهم واني يؤفكون معناه
يصرفون و قوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله الاية سببها ان النبي صلى الله

عليه وسلم غزا بني المصطلق فازدحم اجير لعمر بن الخطاب يقال له جهجاه مع سنان بن وبرة
الجهني حليف الانصار على الماء فكسع جهجاه سنانا فقتتلا وردا ودعا جهجاه يا للمهاجرين ودعا سنان
يا للانصار فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بال دعوى الجاهلية فلما اخبر بالقصة
قال دعوها فانها منتنة فقال عبد الله بن ابي او قد فعلوها والله ما مثلنا ومثل جلابيب قريش
الا كما قال الاول سمن كلبك ياكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم قال لمن معه
من المنافقين انما يقيم هؤلاء المهاجرين مع محمد بسبب معونتكم لهم ولو قطعتم ذلك عنهم لفروا فسمعها
منه زيد بن ارقم فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فعاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن ابي عند رجال من الانصار فبلغه ذلك فجاء وحلف ما قال ذلك وحلف معه قوم من المنافقين
وكذبوا زيدا فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فبقي زيد في منزله لا ينصرف حياء من الناس فنزلت
هذه السورة عند ذلك فبعث النبي صلى الله عليه وسلم فبعثها الى زيد وقال له قد صدقك الله يا زيد
فخزي عند ذلك عبد الله بن ابي ومقته الناس ولامه المؤمنون من قومه وقال له بعضهم امض
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعترف بذنبك يستغفر لك فلوى راسه انكارا لهذا الراي
وقال لهم لقد اشرتم علي بالايمان فامنت واشرتم علي بان اعطي زكاة مالي ففعلت ولم يبق لكم
الا ان تامروني بالسجود لمحمد فهذا قصص هذه السورة موجزا وقرا نافع والمفضل عن عاصم لووا
بتخفيف الواو وقرا الباقون بتشديدها قوله تعالى سواء عليهم الاية روي انه لما نزلت
هذه الاية ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لازيدن على السبعين وفي حديث اخر لو علمت اني لو زدت على السبعين لغفر الله لهم لزدت وفي هذا
الحديث دليل على رفض دليل الخطاب فلما فعل ابن ابي واصحابه ما فعلوا شدد الله عليهم في هذه الاية واعلم
انه لن يغفر لهم دون حد في الاستغفار وقوله تعالى هم الذين اشارة الى ابن ابي ومن قال بقوله ثم
سفه تعالى احلامهم في ان ظنوا ان انفاقهم هو سبب رزق المهاجرين ونسوا ان جريان الرزق بيد الله
تعالى اذا انسد باب انفتح غيره ثم اعلم تعالى ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وفي ذلك وعيد
روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان رجلا صالحا لما سمع الاية جاء الى ابيه فقال له انت والله يا ابت
الذليل ورسول الله العزيز ووقف على باب السكة التي يسلكها ابوه وجرد السيف ومنعه الدخول
وقال والله لا دخلت منزلك الا ان ياذن في ذلك رسول الله وعبد الله بن ابي في اذل حال وبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث اليه ان خله يمض الى منزله فقال اما الان فنعم وقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله الاية الالهاء الاشتغال بملذ وشهوة
وذكر الله هنا عام في الصلوات والتوحيد والدعاء وغير ذلك من مفروض ومندوب وكذلك
قوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم عام في المفروض والمندوب وقاله جماعة من المفسرين قال الشيخ ابو عبد الرحمن
السلمي في كتاب عيوب النفس ومن عيوبها تضييع اوقاتها بالاشتغال بما لا يعني من امور الدنيا
والخوض فيها مع اهلها ومداواتها ان يعلم ان وقته اعز الاشياء فيشغله باعز الاشياء وهو ذكر
الله والمداومة على الطاعة ومطالبة الاخلاص من نفسه فانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقال الحسن بن منصور عليك بنفسك فان لم تشغلها
شغلتك انتهى وقوله لولا اخرتني الى اجل قريب طلب للكرة والامهال وسماه قريبا لانه ات وايضا

فانما يتمنى ذلك ليقضي فيه العمل الصالح فقط وليس يتسع الامل لطلب العيش ونضرته وقوله واكن
من الصالحين ظاهره العموم وقال ابن عباس هو الحج وروى الترمذي عنه انه قال ما من رجل لا يؤدي
الزكاة ولا يحج الا طلب الكرة عند موته قال الثعلبي قال ابن عباس الى اجل قريب يريد مثل اجالنا في
الدنيا انتهى وقرا ابو عمرو واكون وفي قوله تعالى ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها حض على المبادرة
ومسابقة الاجل بالعمل الصالح بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى اله وصحبه وسلم تسليما سورة التغابن مدنية وقال اخرون مكية الا من قوله عز
وجل يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم الى اخر السورة فانه مدني قوله تعالى هو الذي خلقكم فمنكم
كافر ومنكم مؤمن اي في اصل الخلقة وهذا يجري مع قول الملك يا رب اشقي ام سعيد الحديث
وذلك في بطن امه وقيل الاية تعديد نعم فقوله هو الذي خلقكم هذه نعمة الايجاد ثم قال
فمنكم كافر اي بهذه النعمة لجهله بالله ومنكم مؤمن بالله والايمان به شكر لنعمته فالاشارة على هذا
التاويل في الايمان والكفر هي الى اكتساب العبد وهذا قول جماعة وقيل غير هذا وقوله تعالى
خلق السموات والارض بالحق اي لم يخلقها عبثا ولا لغير معنى وقوله تعالى فاحسن صوركم هو تعديد
نعمة والمراد الصورة الظاهرة وقيل المراد صورة الانسان المعنوية من حيث هو انسان مدرك عاقل
والاول اجرى على لغة العرب وقوله تعالى الم ياتكم جزم اصله ياتيكم والخطاب في هذه الاية
لقريش ذكروا بما حل بعاد وثمود وغيرهم ممن سمعت قريش باخبارهم والوبال الامر المكروه
وما يسوء منه وقوله تعالى ذلك بانه اشارة الى ذوق الوبال وباقي الاية بين وقوله تعالى
زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا يريد قريشا ثم هي بعد تعم كل كافر بالبعث ولا توجد زعم
مستعملة في فصيح الكلام الا عبارة عن الكذب او قول انفرد به قائله وقوله سبحانه فامنوا بالله
ورسوله والنور الذي انزلنا هذه الاية دعاء من الله وتبليغ وتحذير من يوم القيمة والنور القران
ومعانيه ويوم الجمع هو يوم القيمة وهو يوم التغابن يغبن فيه المؤمنون الكافرين هذا هو النحو
لمجاهد وغيره وقوله تعالى ما اصاب من مصيبة يحتمل ان يريد المصائب التي هي رزايا ويحتمل
ان يريد جميع الحوادث من خير وشر والكل باذن الله والاذن هنا عبارة عن العلم والارادة وتمكين
الوقوع وقوله سبحانه ومن يؤمن بالله يهد قلبه قال فيه المفسرون المعنى ومن امن وعرف ان
كل شيء بقضاء الله وقدره وعلمه هانت عليه مصيبته وسلم لامر الله تعالى وقوله تعالى فان توليتم
الى اخر الاية وعيد وتبرية للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم
الى اخر السورة قران مدني واختلف في سببه فقال عطاء بن ابي رباح انه نزل في عوف بن مالك
الاشجعي وذلك انه اراد غزوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فاجتمع اهله واولاده وتشكوا اليه
فراقه فرق لهم فثبطوه ولم يغز ثم انه ندم وهم بمعاقبتهم فنزلت الاية بسببه محذرة من
الازواج والاولاد وفتنتهم ثم صرفه تعالى عن معاقبتهم بقوله وان تعفوا وتصفحوا وقال
بعض المفسرين سبب الاية ان قوما امنوا وثبطهم ازواجهم واولادهم عن الهجرة فلم يهاجروا
الا بعد مدة فوجدوا غيرهم قد تفقه في الدين فندموا وهموا بمعاقبة ازواجهم واولادهم ثم
اخبر الله تعالى ان الاموال والاولاد فتنة تشغل المرء عن مراشده وتحمله من الرغبة في
الدنيا على ما لا يحمد في الاخرة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الولد مجبنة مبخلة وخرج ابو داود

حديثا في مصنفه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب يوم الجمعة على المنبر حتى جا الحسن
والحسين عليهما قميصان احمران يجرانهما يعثران ويقومان فنزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن المنبر حتى اخذهما وصعد بهما ثم قرا انما اموالكم واولادكم فتنة الاية وقال اني رايت
هذين فلم اصبر ثم اخذ في خطبته قال ابن عطية وهذه ونحوها هي فتنة الفضلا فاما فتنة الجهال
الفسقة فمؤدية الى كل فعل مهلك وفي صحيحي البخاري ومسلم عن ابي ذر قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يقول هم الاخسرون ورب الكعبة هم الاخسرون ورب الكعبة قلت ما شاني ايرى في شيا
فجلست وهو يقول فما استطعت ان اسكت وتغشاني ما شا الله فقلت من هم بابي انت وامي يا رسول الله
قال هم الاكثرون مالا الا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا وفي رواية ان الاكثرين هم الاقلون
يوم القيامة الا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا واشار ابن شهاب بين يديه وعن يمينه وعن شماله وقليل
ما هم انتهى واللفظ للبخاري وقوله سبحانه فاتقوا الله ما استطعتم تقدم الخلاف هل هذه الاية ناسخة
لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته او ليست بناسخة بل هي مبينة لها وان المعنى اتقوا الله حق تقاته فيما استطعتم
وهذا هو الصحيح قال الثعلبي قال الربيع بن انس ما استطعتم اي جهدكم وقيل معناه اذا امكنكم الجهاد
والهجرة فلا يفتننكم الميل الى المال والاولاد واسمعوا ما توعظون به واطيعوا فيما تومرون به انتهى وقوله
سبحانه ومن يوق شح نفسه تقدم الكلام عليه واسند الطبري وابو بكر بن الخطيب من طريق ابي هريرة وابي سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السخا شجرة في الجنة واغصانها في الدنيا فمن كان سخيا اخذ بغصن
منها فلم يتركه الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة في النار اغصانها في الارض فمن كان شحيحا اخذ بغصن
من اغصانها فلم يتركه حتى يدخله النار انتهى وباقي الاية بين
بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم سورة الطلاق مدنية قوله تعالى يا ايها النبي اذا
طلقتم النسا اي اذا اردتم طلاقهن قاله الثعلبي وغيره فطلقوهن لعدتهن وطلاق النسا حل عصمتهن
وصورة ذلك وتنويعه مما لا يختص بالتفسير ومعنى فطلقوهن لعدتهن اي لاستقبال عدتهن وعبارة
الثعلبي اي لطهرهن الذي يحصينه من عدتهن وهو طهر لم يجامعها فيه انتهى قال ع ومعنى الاية
ان لا يطلق احد امراته الا في طهر لم يمسها فيه هذا على مذهب مالك ومن قال بقوله القائلين بان
الاقرا عندهم هي الاطهار فيطلق عندهم المطلق في طهر لم يمس فيه وتعتد به المراة ثم تحيض حيضتين تعتد
بالطهر الذي بينهما ثم تقيم في الطهر الثالث معتدة لعدتهن معناه ان يطلق طاهرا فتستقبل
ثلاث حيض كوامل فاذا رات الطهر بعد الثالثة حلت والاصل في منع طلاق الحايض حديث ابن عمر ثم امر تعالى
باحصا العدة لما يلحق ذلك من احكام الرجعة والسكنى والميراث وغير ذلك وعبارة الثعلبي واحصوا
العدة اي احفظوا عدد قروها الثلاثة ونحوه تفسير ابن العربي قال قوله تعالى واحصوا العدة
معناه احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق لما يترتب على ذلك من الاحكام انتهى من احكامه ثم امر
تعالى بان لا يخرجن من بيوتهن التي طلقن فيها فنهى سبحانه عن اخراجهن وعن خروجهن وسنة ذلك ان لا تبيت
عن بيتها ولا تغيب عنه نهارا الا في ضرورة ومما لا خطب له من جايز التصرف وذلك لحفظ النسب والتحرز
بالنسا ولختلف في معنى قوله الا ان ياتين بفاحشة مبينة فقال الحسن وغيره ذلك الزنا فيخرج
للحد وقال ابن عباس ذلك البذا على الاحما فتخرج ويسقط حقها من السكن وتلزم الاقامة في مسكن
تتخذه حفظا للنسب وفي مصحف ابي الا ان يفحشن عليكم وعبارة الثعلبي عن ابن عباس الا ان تبذو على اهلها

فيحل

فيحل لهم اخراجها انتهى وهو معنى ما تقدم وقرا الجمهور مبينة بكسر اليا تقول بان الشي وبين بمعنى واحد
الا ان التضعيف للمبالغة وقرا عاصم مبينة بفتح اليا وقوله سبحانه تلك حدود الله اشارة الى جميع اوامره
في هذه الاية قوله تعالى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا قال قتادة وغيره يريد بذلك الرجعة اي احصوا العدة
وامتثلوا ما امرتم به تجدوا المخلص ان ندمتم فانكم لا تدرون لعل الرجعة تكون بعد وقوله تعالى فاذا بلغن
اجلهن يريد به اخر القرو فامسكوهن بمعروف وهو حسن العشرة او فارقوهن بمعروف وهو ادا جميع
الحقوق والوفا بالشروط حسب نازلة نازلة وعبارة الثعلبي فاذا بلغن اجلهن اي اشرفن على انقضا عدتهن
انتهى وهو حسن وقوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم يريد على الرجعة وذلك شرط في صحة الرجعة
وتمنع المراة الزوج من نفسها حتى يشهد وقال ابن عباس على الرجعة والطلاق معا قال النخعي العدل من لم تظهر منه
ريبة والعدل حقيقة الذي لا يخاف الا الله وقوله سبحانه واقيموا الشهادة لله امر للشهود وقوله ذلكم يوعظ
به اشارة الى اقامة الشهادة وذلك ان فصول الاحكام تدور على اقامة الشهادة وقوله سبحانه ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قال بعض رواة الاثار نزلت هذه الاية في عوف بن مالك الاشجعي
اسر ولده وقدر عليه رزقه فشكى ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فامره بالتقوى فلم يلبث ان تفلت ولده واخذ
قطيع غنم للقوم الذين اسروه فسال عوف النبي صلى الله عليه وسلم اتطيب له تلك الغنم فقال نعم قال ابو عمر
ابن عبد البر قال النبي صلى الله عليه وسلم ابى الله ان يجعل ارزاق عباده المومنين الا من حيث لا يحتسبون
وقال عليه الصلاة والسلام لابن مسعود لا يكثر همك يا عبد الله ما يقدر يكن وما ترزق ياتك وعنه صلى الله عليه
وسلم استنزلوا الرزق بالصدقة انتهى من كتابه المسمى بهجة المجالس وانس المجالس وقوله ومن يتوكل
على الله فهو حسبه هذه الايات كلها عظة لجميع الناس ومعنى حسبه كافيه وقال ابن مسعود اكثر هذه
الايات تحضا على التفويض لله وقوله تعالى ان الله بالغ امره بيان وحض على التوكل اي لا بد من نفوذ
امر الله توكلت ايها المرء او لم تتوكل قاله مسروق فان توكلت على الله كفاك وتعجلت الراحة والبركة وان لم
تتوكل وكلك الى عجزك وتسخطك وامره سبحانه في الوجهين نافذ وقوله سبحانه واللاي يئسن من المحيض من
نسايكم الاية اللاي جمع التي واليائسات من المحيض على مراتب يحل بسطها كتب الفقه وروى اسماعيل
ابن خالد ان قوما منهم ابي بن كعب وخلاد بن النعمان لما سمعوا قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن
ثلاثة قروء قالوا يا رسول الله فما عدة من لا قرء لها من صغر او كبر فنزلت هذه الاية فقال قايل منهم
فما عدة الحامل فنزلت واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وهو لفظ يعم الحوامل المطلقات
والمعتدات من الوفاة والارتياب المذكور قيل هو بامر الحمل وقوله سبحانه اسكنوهن من حيث سكنتم
الاية امر باسكان المطلقات ولا خلاف في ذلك في التي لم تبت واما المبتوتة فمالك يرى لها السكنى لمكان
حفظ النسب ولا يرى لها نفقة لان النفقة بازا الاستمتاع وقال الثعلبي من حيث سكنتم اي
في مساكنكم التي طلقتموهن فيها والوجد السعة في المال واما الحامل فلا خلاف في وجوب سكناها
ونفقتها بتت او لم تبت لانها مبينة في الاية وانما اختلفوا في نفقة الحامل المتوفى عنها زوجها
هل ينفق عليها من التركة ام لا وكذلك النفقة على المرضع واجبة وبسط ذلك في كتب الفقه
وقوله سبحانه وائتمروا بينكم بمعروف اي ليامر كل واحد صاحبه بخير وليقبل كل واحد ما امر به من
المعروف وقوله سبحانه وان تعاسرتم اي تشططت المراة في الحد الذي يكون اجرة على الرضاع
فللزوج ان يسترضع بما فيه رفقه الا ان لا يقبل المولود غير امه فتجبر هي على رضاعه

بلجزء مثلها ومثل الزوج في حالهما وغناهما ت وهذا كله في المطلقة البائن قال ابن عبد السلام من اصحابنا
الضمير في قوله تعالى فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن عائد على المطلقات وكذلك قوله تعالى وهو الدائر من ضعف
اولادهن حولين واما ذات الزوج او الرجعية فيجب عليها ان ترضع من غير اجر الا ان تكون شريفة فلا
يلزمها ذلك انتهى وقوله سبحانه لينفق ذو سعة من سعته الآية عدل بين الازواج لئلا تضيع هي ولا يكلف
هو ما لا يطيق ثم رجّا تعالى باليسر تسهيلا على النفوس وتطييبا لها وقوله سبحانه وكأين قال الثعلبي وكأين اي
وكم من قرية عتت اي عصت وقوله فحاسبناها قال بعض المتأولين الآية في احوال الآخرة اي ثم هو
الحساب والتعذيب والذوق وخسار العاقبة وقال آخرون ذلك في الدنيا ومعنى فحاسبناها حسابا شديدا
اي لم تغتفر لها بل اخذت بالدقائق من الذنوب ثم ندب تعالى اولي الالباب الى التقوى تحذيرا قوله
تعالى قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا اختلف في تقديره وابين الاقوال فيه معنى ان يكون الذكر القرآن والرسول
محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وارسل رسولا لكن الايجاز اقتضى اختصار الفعل الناصب للرسول ونحا
هذا المنحى السدي وشأن الآية بين وقوله سبحانه الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن لا خلاف بين العلماء
ان السموات سبع واما الجمهور على انها سبع ارضين وهو ظاهر هذه الآية وانما المماثلة في العدد ويبينه قوله صلى
الله عليه وسلم في الحديث الصحيح من غصب شبرا من الارض طوقه من سبع ارضين الى غير هذا مما وردت روايته
وروي عن قوم من العلماء انهم قالوا الارض واحدة وهي مماثلة لكل سماء بانفرادها في ارتفاع جرمها
وفي ان فيها عالما يعبد الله كما في كل سماء عالم يعبد الله وقوله سبحانه يتنزل الامر بينهن الامر هنا يعم الوحي وجميع
ما يأمر به سبحانه من تصريف الرياح والسحاب وغير ذلك من عجائب صنعته لا اله غيره وبالتي السورة وعظ وحض
على توحيد الله عز وجل وقوله على كل شيء قدير عموم معناه الخصوص في المقدورات وقوله بكل شيء علما عموم على اطلاقه

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما سورة
التحريم مدنية بالجماع قوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الآية وفي الحديث من طرق ما معناه ان النبي
صلى الله عليه وسلم جاء الى بيت حفصة فوجدها قد مرت لزيارة ابيها فدعا صلى الله عليه وسلم جاريته
مارية فقال معها فجاءت حفصة وقالت يا نبي الله افي بيتي وعلى فراشي فقال لها صلى الله عليه وسلم مترضيا
لها ايرضيك ان احرمها قالت نعم فقال اني قد حرمتها قال ابن عباس وقال مع ذلك والله لا اطؤها ابدا
ثم قال لها لا تخبري بهذا احدا ثم ان حفصة قرعت الجدار الذي بينها وبين عائشة فاخبرتها النبي فبشرها بالامر
ولم تر في افشائه اليها حرجا واستكتمتها فاوحى الله بذلك الى نبيه ونزلت الآية وفي حديث آخر عن عائشة ان هذا
التحريم المذكور في الآية انما هو بسبب العسل الذي شربه صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش فتمالات عائشة
وحفصة وسودة على ان تقول له من دنا منها انا نجد منك ريح مغافير اكلت مغافير يا رسول الله والمغافير
صمغ العرفط وهو حلو كريه الرائحة ففعلن ذلك فقال صلى الله عليه وسلم ما اكلت مغافير ولكني شربت
عسلا فقلن له جرست نحله العرفط فقال صلى الله عليه وسلم لا اشربه ابدا وكان يكره ان توجد منه رائحة
كريهة فدخل بعد ذلك على زينب فقالت الا اسقيك من ذلك العسل فقال لا حاجة لي به قالت عائشة تقول لنا سودة
حين بلغنا امتناعه والله لقد حرمناه فقلت لها اسكتي قال ت والقول الاول ان الآية نزلت بسبب مارية
اصح واوضح وعليه تفقه الناس ومتى حرم رجل مالا او جارية فليس تحريمه بشيء ت والحديث الثاني هو الصحيح خرجه
البخاري ومسلم وغيرهما ودعا الله تعالى نبيه باسم النبوة الذي هو دال على شرف منزلته وفضيلته التي خصه
بها وقرره تعالى كالمعاتب له على تحريمه على نفسه ما احل الله له ثم غفر له تعالى ما عاتبه فيه ورحمه قوله

تعالى قد فرض الله اي بين واثبت فقال قوم من اهل العلم هذه اشارة الى تكفير التحريم وقال
آخرون هي اشارة الى تكفير اليمين المقترنة بالتحريم والتحلة مصدر وزنها تفعلة وادغم لاجتماع
المثلين واحال هذه الآية على الآية التي فسر فيها الطعام في كفارة اليمين بالله تعالى والمولى الموالي الناصر واذ
اسر النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا قال الجمهور الحديث هو قوله في امر مارية وقال آخرون
بل هو قوله انما شربت عسلا قوله تعالى عرف بعضه المعنى مع شد الراء اعلم به وانب عليه واعرض
عن بعض اي تكرما وحياء وحسن عشرة قال الحسن ما استقصى كريم قط والمخاطبة بقوله ان تتوبا الى
الله هي لحفصة وعائشة وفي حديث البخاري وغيره عن ابن عباس قال قلت لعمر من اللتان تظاهرتا على رسول
الله قال حفصة وعائشة وقوله قلوبكما معناه مالت والصغي الميل ومنه اصغى اليه باذنه واصغى
الاناء وفي قراءة ابن مسعود فقد زاغت قلوبكما والزيغ الميل وعرفه في خلاف الحق وجمع القلوب من حيث
الاثنان جمع ص قلوبكما القياس فيه قلبكما مثنى والجمع اكثر استعمالا وحسنه اضافته الى مثنى وهو ضميرها
لانهم كرهوا الجماع تثنيين ومعنى الآية ان تبتما فقد كان منكما ما ينبغي ان يتاب منه وهذا الجواب
الذي للشرط هو متقدم في المعنى وانما ترتب جوابا في اللفظ وان تظاهرا معناه تتعاونا واصل تظاهرا
تتظاهرا ومولاه اي ناصره وجبريل وما بعده يحتمل ان يكون عطفا على اسم الله ويحتمل ان يكون
رفعا بالابتداء وما بعده عطف عليه وظهير هو الخبر وخرج البخاري بسنده عن انس قال قال عمر اجتمع
نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقلت لهن عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فنزلت
هذه الآية انتهى وقانتات معناه مطيعات والسائحات قيل معناه صائمات وقيل معناه مهاجرات وقيل معناه
ذاهبات في طاعة الله وشبه الصائم بالسائح من حيث ينهمل السائح ولا ينظر في زاد ولا مطعم وكذلك
الصائم يمسك عن ذلك فيستوي هو والسائح في الامتناع وشظف العيش لفقد الطعام وقوله سبحانه يا ايها
الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا الآية قوا معناه اجعلوا وقاية بينكم وبين النار وقوله واهليكم
معناه بالوصية لهم والتقويم والحمل على طاعة الله وفي الحديث رحم الله رجلا قال يا اهلاه صلاتكم صيامكم
مسكينكم يتيمكم ت وفي العتبية عن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذن لي ان احدث عن
ملك من الملائكة ان ما بين شحمة اذنه وعاتقه لخفق الطير سبعين عاما انتهى وباقي الآية بين غاية
الوضوح نجانا الله من عذابه بفضله والتوبة فرض على كل مسلم وهي الندم على فارط المعصية والعزم على
ترك مثلها في المستقبل هذا من المتمكن واما غير المتمكن كالمجبوب في الزنا فالندم وحده يكفيه والتوبة
عبادة كالصلاة وغيرها فاذا تاب العبد وحصلت توبته بشروطها وقبلت ثم عاود الذنب
فتوبته لا يفسدها عوده بل هي كسائر ما يحصل من العبادات والنصوح بناء مبالغة من النصح اي توبة
نصحت صاحبها وارشدته وعن عمر التوبة النصوح هي ان يتوب ثم لا يعود ولا يريد ان يعود وقال
ابو بكر الوراق هي ان تضيق عليك الارض بما رحبت كتوبة الذين خلفوا وروي في معنى قوله تعالى
يوم لا يخزي الله النبي ان النبي صلى الله عليه وسلم تضرع مرة الى الله عز وجل في امر امته فاوحى الله
اليه ان شئت جعلت حسابهم اليك فقال يا رب انت ارحم بهم فقال الله تعالى اذا لا اخزيك فيهم و
قوله تعالى والذين آمنوا معه يحتمل ان يكون معطوفا على النبي فيخرج المؤمنون من الخزي ويحتمل ان
يكون مبتدا ونورهم يسعى جملة هي من خبره وقولهم اتمم لنا نورنا قال الحسن بن ابي الحسن هو
عندما يرون من انطفاء نور المنافقين حسب ما تقدم تفسيره وقيل يقوله من اعطي من النور

بقدر ما يرى موضع قدميه فقط وباقي الآية بين مما تقدم في غير هذا الموضع وقوله سبحانه ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح الآية هذان المثلان للكفار والمؤمنين ومعناهما ان من كفر لا يغني عنه من الله شيء ولا ينفعه سبب وان من آمن لا يدفعه عن رضوان الله دافع ولو كان في أسوء منشأ واخس حال وقول من قال ان في المثلين عبرة لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم بعيد قال ابن عباس وغيره خانتاهما اي في الكفر وفي ان امرأة نوح كانت تقول للناس انه مجنون وان امرأة لوط كانت تنم الى قومه اخبار اضيافه قال ابن عباس وما بغت زوجة نبي قط وامرأة فرعون اسمها آسية وقوله وعمله يعني كفره وما هو عليه من الضلالة وقوله تعالى التي احصنت فرجها الجمهور انه فرج الدرع وقال قوم هو الفرج الجارحة واحصانه صونه وقوله سبحانه فنفخنا فيه عبارة عن فعل جبريل ت وقد عكس ابن عطية رحمه الله تعالى ما نسبه للجمهور في سورة الانبياء فقال والمعنى واذكر التي احصنت فرجها وهي الجارحة فقه وهذا قول الجمهور انظر بقية الكلام هناك وقوله سبحانه من روحنا اضافة مخلوق الى خالق ومملوك الى مالك كما تقول بيت الله وناقة الله كذلك الروح الجنس كله هو روح الله وقرأ الجمهور وصدقت بكلمات ربها بالجمع فيقوى ان يريد التوراة ويحتمل ان يريد امر عيسى وقرأ الجحدري بكلمة فيقوى ان يريد امر عيسى ويحتمل ان يريد التوراة فتكون الكلمة اسم جنس وقرأ نافع وغيره وكتابه وقرأ ابو عمرو وغيره وكتبه بضم التاء والجمع وذلك كله مراد به التوراة والانجيل قال الثعلبي واختار ابو حاتم قراءة ابي عمرو بالجمع لعمومها واختار ابو عبيد قراءة الافراد لان الكتاب يراد به الجنس انتهى وهو حسن وكانت من القانتين اي من القوم القانتين وهم المطيعون العابدون وقد تقدم بيانه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

سورة الملك

مكية باجماع وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤها عند اخذ مضجعه رواه جماعة مرفوعا وروي انها تنجي من عذاب القبر وتجادل عن صاحبها حتى لا يعذب وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وددت ان سورة تبارك الذي بيده الملك في قلب كل مؤمن ت وخرج مالك في الموطأ انها تجادل عن صاحبها وخرج ابو داود والترمذي والنسائي وابو الحسن بن صخر وابو ذر الهروي وغيرهم في فضل هذه السورة نحو ما تقدم ولولا ما قصدت من الاختصار لنقلتها هنا ولكن خشية الاطالة منعتني من جلب كثير من الاحاديث الصحيحة في هذا المختصر وانظر الغافقي فقد استوفى نقل الآثار في فضل هذه السورة قوله تبارك الذي بيده الملك تبارك من البركة وهي التزيد من الخيرات الثعلبي تبارك الذي بيده الملك اي تعالى وتعاظم وقال الحسن تقدس الذي بيده الملك في الدنيا والآخرة وقال ابن عباس بيده الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء انتهى وقوله سبحانه الذي خلق الموت والحياة الآية الموت والحياة معنيان يتعاقبان جسم الحيوان يرتفع احدهما بحلول الآخر وما جاء في الحديث الصحيح من قوله عليه السلام يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش املح فيذبح على الصراط الحديث فقال اهل العلم انما ذلك تمثال كبش يوقع الله العلم الضروري لاهل الدارين انه الموت الذي ذاقوه في الدنيا ويكون ذلك التمثال حاملا للموت لا على انه يحل الموت فيه فتذهب عنه حياة ثم يقرن الله تعالى في ذلك التمثال اعدام الموت وقوله سبحانه ليبلوكم اي جعل لكم هاتين الحالتين ليبلوكم اي ليختبركم في حال الحياة ويجازيكم بعد الممات وقال ابو قتادة وبنحوه عن ابن عمر قلت يا رسول الله ما معنى

قوله

قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا فقال يقول ايكم احسن عقلا واشدكم لله خوفا واحسنكم في امره ونهيه نظرا وان كانوا اقلكم تطوعا وقال ابن عباس وسفيان الثوري والحسن ايكم احسن عملا ازهدكم في الدنيا قال القرطبي قال السدي احسنكم عملا اي اكثركم للموت ذكرا وله احسن استعدادا واشد منه خوفا وحذرا انتهى من التذكرة ولله در القائل نظم

وفي ذكر هول الموت والقبر والبلى ... عن الشغل باللذات للمرء زاجر
ابعد اقتراب الاربعين تربص ... وشيب فهذا منذر لك ذاعر
فكم في بطون الارض بعد ظهورها ... محاسنهم فيها بوال دواثر
وانت على الدنيا مكب منافس ... لخطابها فيها حريص مكاثر
على خطر تمسي وتصبح لاهيا ... اتدري بماذا لو عقلت تخاطر
وان امرأ يسعى لدنياه جاهدا ... ويذهل عن اخراه لا شك خاسر
كانك مغتر بما انت صائر ... لنفسك عمدا او عن الرشد جائر
فجد ولا تغفل فعيشك زائل ... وانت الى دار المنية صائر
ولا تطلب الدنيا فان طلابها ... وان نلت منها ثروة لك ضائر
وكيف يلذ العيش من هو موقن ... بموقف عدل حين تبلى السرائر
لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت ... لعزة ذي العرش الملوك الجبابر

انتهى وطباقا قال الزجاج هو مصدر وقيل هو جمع طبقة او جمع طبق والمعنى بعضها فوق بعض قال ابان بن تغلب سمعت اعرابيا يذم رجلا فقال شره طباق وخيره غير باق وما ذكره بعض المفسرين في السموات من ان بعضها من ذهب وفضة وياقوت ونحو هذا ضعيف لم يثبت بذلك حديث وقوله سبحانه ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت معناه من قلة تناسب ومن خروج عن اتقان قال بعض العلماء خلق الرحمن معنى به السموات واياها اراد بقوله تعالى هل ترى من فطور وبقوله ينقلب اليك البصر الآية وقال آخرون بل يعني به جميع ما خلق سبحانه من الاشياء فانها لا تفاوت فيها ولا فطور ليست جارية على غير اتقان قال منذر بن سعيد امر الله تعالى بالنظر الى السماء وخلقها ثم امر بتكرير النظر وكذلك جميع المخلوقات متى نظرها ناظر ليرى فيها خللا او نقصا فان بصره ينقلب خاسئا حسيرا ورجع البصر ترديده في الشيء المبصر وكرتين معناه مرتين والخاسئ المبعد عن الشيء عن ارادة وحرص عليه ومنه قوله تعالى اخسئوا فيها وكذلك البصر يحرص على رؤية فطور او تفاوت فلا يجد ذلك فينقلب خاسئا والحسير المعيي الكال قوله تعالى بمصابيح يعني النجوم وقال النحو ومعنى سماء الدنيا اي القريبة من الناس وليس في هذه الآية ما يدل على ان الكواكب مركوزة في السماء الدنيا وكانت في سموات اخرى فوقها فلا بد ان تظهر في السماء الدنيا وتلوح فيها فعلى كلا التقديرين فالسماء الدنيا مزينة بها انتهى وقوله وجعلناها معناه وجعلنا منها ويوجب هذا التاويل في الآية ان الكواكب الثابتة والبروج وكل ما يهتدى به في البر والبحر ليست براجمة وهذا نص في حديث السير قال الثعلبي رجوما للشياطين يرجمون بها اذا استرقوا السمع فلا تخطئهم فمنهم من يقتل ومنهم من يخبل انتهى وقوله تعالى وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم قال ابن عطيه تضمنت الآية ان عذاب جهنم للكفار المخلدين وقد جاء في الاثر انه يمر على جهنم زمان تخفق ابوابها قد اخلتها الشفاعة والذي يقال في هذا ان تلك

اسم تختص به الطبقة العليا من النار ثم قد تسمى الطبقات كلها باسم بعضها فالتي في الأثر
هي الطبقة العليا لانها مقر العصاة من المؤمنين والذي في هذه الاية هي جهنم باسرها اي جميع
الطبقات والشهيق اقبح ما يكون من صوت الحمار فاشتعال النار وغليانها يصوت مثل ذلك وقوله
تكاد تميز اي يزايل بعضها بعضا لشدة الاضطراب ومن الغيظ معناه على الكفرة بالله والفوج الفريق من
الناس وظاهر الاية انه لا يلقى في جهنم احد الا سئل على جهة التوبيخ وقوله سبحانه ان انتم الا في
ضلال كبير يحتمل ان يكون من قول الملائكة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفار للنذر قال الفخر وقوله
تعالى عنهم لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير قيل انما جمعوا بين السمع والعقل لان مدار التكليف
على ادلة السمع والعقل انتهى وقوله تعالى ان الذين يخشون ربهم بالغيب يحتمل معنيين احدهما من
الغيب الذي خبروا به من النشر والحشر والجنة والنار فامنوا بذلك وخشوا ربهم فيه ونحا الى هذا
قتادة والمعنى الثاني انهم يخشون ربهم اذا غابوا عن اعين الناس اي في خلواتهم في صلاتهم وعباداتهم
وقوله تعالى واسروا قولكم الاية خطاب لجميع الخلق والذلول بمعنى المذلول والمناكب قال مجاهد هي
الطرق والفجاج وقال البخاري مناكبها جوانبها قال الغزالي رحمه الله جعل الله سبحانه الارض ذلولا لعباده
لا ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودون منها محترزين من مصايدها ومعاطبها ويتحققون
ان العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس في هذا العالم سفر واول منازلهم المهد واخرها اللحد
والوطن هو الجنة او النار والعمر مسافة السفر وسنوه مراحله وشهوره فراسخه وايامه امياله وانفاسه
خطواته وطاعته بضاعته واوقاته رؤوس امواله وشهواته واغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء
الله عز وجل في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله عز وجل مع الانكال
والاغلال والعذاب الاليم في دركات الجحيم فالغافل عن نفس واحد من انفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه الى الله تعالى
زلفى متعرض في يوم التغابن لغبنة وحسرة ما لها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن
ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر فعمروها بالطاعات بحسب تكرر الاوقات
انتهى قال الشيخ ابو مدين رحمه الله عمرك نفس واحد فاحرص ان يكون لك لا عليك انتهى والله
الموفق بفضله والنشور الحياة بعد الموت وتمور معناه تذهب وتجي كما يذهب التراب في الريح
والحاصب البرد وما جرى مجراه والنكير مصدر بمعنى الانكار والنذير كذلك ومنه قول حسان
ابن ثابت فانذر مثلها نصحا قريشا من الرحمن ان قبلت نذيري
ثم احال سبحانه على العبرة في امر الطير وما احكم من خلقها وذلك بين عجز الاصنام والاوثان منه وصافات
جمع صافة وهي التي تبسط جناحها وتصففه وقبض الجناح ضمه الى الجنب وهاتان حالتان للطائر يستريح
من احداهما الى الاخرى وقوله سبحانه امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه هذا توقيف
على امر لا مدخل للاصنام فيه وقوله سبحانه افمن يمشي مكبا على وجهه قال ابن عباس والضحاك ومجاهد
نزلت مثلا للمؤمنين والكافرين على العموم وقال قتادة نزلت مخبرة عن حال القيامة وان
الكفار يمشون على وجوههم والمؤمنون يمشون على استقامة كما جاء في الحديث ويقال اكب الرجل اذا درد
وجهه الى الارض وكبه غيره قال عليه السلام وهل يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائد السنتهم
فهذا الفعل على خلاف القاعدة المعلومة لان افعل هنا لا يتعدى وفعل يتعدى ونظيره قشعت الريح
السحاب فانقشع وقال ابو حيان مكبا حال وهو من اكب غير متعد وكب متعد قال تعالى فكبت وجوههم

في النار والهمزة فيه للدخول في الشيء وللصيرورة ومطاوع كب انكب تقول كببته فانكب
قال بعض الناس ولا شيء من بناء افعل مطاوعا انتهى واهدى في هذه الاية افعل تفضيل من الهدى
وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد يريدون امر القيامة والعذاب الموعود به ثم امر سبحانه نبيه عليه
السلام ان يخبرهم بان علم القيامة والوعد الصدق مما انفرد الله تعالى بعلمه وقوله تعالى راوه الضمير للعذاب الذي
يتضمنه الوعد وهذه حكاية حال تاتي والمعنى فاذا راوه وزلفة معناه قريبا قال الحسن عيانا وسيئت
وجوه الذين كفروا معناه ظهر فيها السوء وتدعون معناه تتداعون امره بينكم وقال الحسن تدعون
انه لا جنة ولا نار وروي في تاويل قوله تعالى قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي الاية انهم كانوا
يدعون على محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه بالهلاك فقال الله لنبيه قل لهم ارايتم ان اهلكني الله ومن
معي او رحمنا فمن يجير الكافرين من العذاب الذي يوجبه كفرهم ثم وقفهم سبحانه على مياههم التي
يعيشون منها ان غارت اي ذهبت في الارض من يجيئهم بماء كثير كاف ت والغور مصدر بمعنى غائر انتهى و
المعين فعيل من معن الماء اذا كثر وقال ابن عباس معين عذب بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما سورة ن والقلم مكية بلا خلاف قوله عز وجل
ن والقلم وما يسطرون ن حرف مقطع في قول الجمهور فيدخله من الاختلاف ما يدخل اوائل السور
ويختص هذا الموضع من الاقوال بان قال مجاهد وابن عباس ان اسم الحوت الاعظم الذي عليه الارضون السبع
فيما يروى وقال ابن عباس وغيره ان اسم الدواة فمن قال بانه اسم الحوت جعل القلم الذي خلقه الله وامره بكتب
الكائنات وجعل الضمير في يسطرون للملائكة ومن قال بان النون للدواة جعل القلم هذا القلم المتعارف
بايدي الناس نص على ذلك ابن عباس وجعل الضمير في يسطرون للناس فجاء القسم على هذا بمجموع امر الكتاب
الذي هو قوام العلوم والمعارف وامور الدنيا والاخرة فان القلم اخو اللسان وعضد الانسان
ومطية الفطنة ونعمة من الله عامة وروى معاوية بن قرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ن
لوح من نور وقال ابن عباس ايضا وغيره ن حرف من حروف الرحمن قالوا انه تقطع في القران
الر وحم ون ويسطرون معناه يكتبون سطورا فان اراد الملائكة فهو كتب الاعمال
وما يؤمرون به وان اراد بني ادم فهو الكتب المنزلة والعلوم وما جرى مجراها قال ابن العربي في
احكامه روى الوليد بن مسلم عن مالك بن سمي مولى ابي بكر عن ابي صالح عن ابي هريرة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة وذلك قوله
ن والقلم ثم قال له اكتب قال وما اكتب قال ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة قال ثم ختم
فم القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامة ثم خلق العقل فقال الجبار ما خلقت اعجب الي منك وعزتي لاكملنك خلقا
فيمن احببت ولانقصنك فيمن ابغضت قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل الناس عقلا
اطوعهم لله واعملهم بطاعته انتهى ت وهذا الحديث هو الذي يعول عليه في تفسير الاية لصحته والله اعلم
قوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون هو جواب القسم وما هنا عاملة لها اسم وخبر وكذلك
هي متى دخلت الباء في الخبر وقوله بنعمة ربك اعتراض كما تقول للانسان انت بحمد الله فاضل وسبب الاية
هو ما كان من قريش في رميهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنون فنفى الله تعالى ذلك عنه واخبره بان
له الاجر وانه على الخلق العظيم تشريفا له ومدحا واختلف في معنى ممنون فقال اكثر المفسرين هو
الواهن المنقطع يقال حبل منين اي ضعيف وقال الحسن معناه غير ممنون عليك اي لا يكدره

من به وفي الصحيح سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت
كان خلقه القرآن وقال الجنيد سمي خلقه عظيما اذ لم تكن له همة سوى الله تعالى عاشر الخلق بخلقه
وزايلهم بقلبه فكان ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق وفي وصية بعض الحكماء عليك بالخلق مع الخلق
وبالصدق مع الحق وحسن الخلق خير كله وقال عليه الصلاة والسلام ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة
قائم الليل صائم النهار وجاء في حسن الخلق آثار كثيرة منعنا من جلبها خشية الاطالة وقد روى الترمذي عن
ابي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق
وسئل عن اكثر ما يدخل الناس النار قال الفم والفرج قال ابو عيسى هذا حديث صحيح غريب انتهى وروى الترمذي
عن ابي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من شيء اثقل في ميزان المؤمن من خلق حسن وان الله
ليبغض الفاحش البذي قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى قال ابو عمر في التمهيد قال الله عز وجل لنبيه
صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم قال المفسرون كان خلقه ما قال الله سبحانه خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين انتهى وقوله تعالى فستبصر اي انت وامتك ويبصرون اي هم بايكم المفتون قال
الاخفش والعامل في الجملة المستفهم عنها الابصار واما الباء فقال ابو عبيدة ومعمر وقتادة هي زائدة والمعنى ايكم
المفتون قال الثعلبي المجنون الذي فتنه الشيطان انتهى قوله تعالى فلا تطع المكذبين يعني قريشا وذلك انهم
قالوا في بعض الاوقات للنبي صلى الله عليه وسلم لو تميل الى ما قالوا فيميلوا هم ايضا الى قوله ودينه والادهان الملاينة
فيما لا يحل والمداراة الملاينة فيما يحل وقوله فيدهنون معطوف وليس بجواب لانه لو كان لنصب
والحلاف كثير الحلف الذي قد كثر منه والمهين الضعيف الرأي والعقل قاله مجاهد وقال
ابن عباس المهين الكذاب والهماز الذي يقع في الناس بلسانه قال المنذر بن سعيد وبعينه واشارته
والنميم مصدر كالنميمة وهو نقل ما يسمع مما يسوء ويحرش النفوس قال ابو عمر بن عبد البر في
كتابه المسمى بهجة المجالس قال النبي صلى الله عليه وسلم من كف عن اعراض المسلمين لسانه
اقاله الله يوم القيامة عثرته وقال عليه الصلاة والسلام شراركم ايها الناس المشاؤون بالنميمة
المفرقون بين الاحبة الباغون لاهل البر العثرات انتهى وروى حذيفة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا يدخل الجنة قتات وهو النمام وذهب كثير من المفسرين الى ان هذه الاوصاف
هي اجناس لم يرد بها رجل بعينه وقالت طائفة بل نزلت في معين واختلفوا فيه فقال بعضهم
هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الاخنس بن شريق ويؤيد ذلك انه كانت له هنة في حلقه
كزنمة الشاة وايضا كان من ثقيف ملصقا في قريش وقيل هو ابو جهل وقيل هو الاسود
ابن عبد يغوث قال ابن عطية وظاهر اللفظ عموم من اتصف بهذه الصفات والمخاطبة
بهذا المعنى مستمرة باقي الزمان لا سيما لولاة الامور وقوله تعالى مناع للخير قال كثير من المفسرين
الخير هنا المال فوصفه بالشح وقال آخرون بل هو على عمومه في المال والاعمال الصالحة
والمعتدي المتجاوز لحدود الاشياء والاثيم فعيل من الاثم والعتل القوي البنية الغليظ الاعضاء
القاسي القلب البعيد الفهم الاكول الشروب الذي هو بالليل جيفة وبالنهار حمار وكل ما عبر به
المفسرون عنه من خلال النقص فعن هذه التي ذكرت تصدر وقد ذكر النقاش ان النبي صلى الله
عليه وسلم فسر العتل بنحو هذا وهذه الصفات كثيرة الاتباع زنيم والزنيم في كلام العرب الملصق
في القوم وليس منهم ومنه قول حسان ۞ وانت زنيم نيط في آل هاشم ۞ كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

فقال كثير من المفسرين هو الاخنس بن شريق وقال ابن عباس اراد بالزنيم ان له زنمة في عنقه
وكان الاخنس بهذه الصفة وقيل الزنيم المريب القبيح الافعال وقوله سنسمه على الخرطوم معناه
على الانف قال ابن عباس هو الضرب بالسيف في وجهه وعلى انفه وقد حل ذلك به يوم بدر وقيل ذلك الوسم
هو في الآخرة وقال قتادة وغيره معناه سنفعل به في الدنيا من الذم له والمقت والاشهار بالشر ما يبقى
فيه ولا يخفى به فيكون ذلك كالوسم على الانف وقوله سبحانه انا بلوناهم يريد قريشا اي امتحناهم كما بلونا اصحاب
الجنة فيما ذكر كانوا اخوة وكان لابيهم جنة وحرث يغتله فكان يمسك منه قوته ويتصدق على المساكين
بباقيه وقيل بل كان يحمل المساكين معه في وقت حصاده وجذه فيجديهم منه فمات الشيخ فقال
ولده نحن جماعة وفعل ابينا كان خطأ فلنذهب الى جنتنا ولا يدخلها علينا مسكين ولا نعطي
منها شيئا قال فبيتوا امرهم وعزمهم فبعث الله عليها طائفة من نار او غير ذلك فاحترقت فقيل فاصبحت
سوداء وقيل بيضاء كالزرع اليابس المحصود فلما اتوا الى جنتهم لم يروها فحسبوا انهم قد اخطؤوا الطريق ثم
تبينوها فعلموا ان الله اصابهم فيها فتابوا حينئذ وكانوا مؤمنين اهل كتاب فشبه الله قريشا بهم في انه
امتحنهم بالمصائب في دنياهم لعدم اتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم ثم التوبة معرضة لمن بقي منهم
وقوله تعالى ليصرمنها اي ليجذنها ومصبحين معناه داخلين في الصباح وقوله تعالى ولا يستثنون
اي لا يثنون عن رأي منع المساكين وقال مجاهد معناه ولا يقولون ان شاء الله والصريم قال
جماعة اراد به الليل من حيث اسودت جنتهم وقال ابن عباس الصريم الرماد الاسود بلغة خزيمة وقوله
ان كنتم صارمين يحتمل ان يكون من صرام النخل ويحتمل ان يريد ان كنتم اهل عزم واقدام على رأيكم
من قولك سيف صارم ويتخافتون معناه يتكلمون كلاما خفيا وكان هذا التخافت خوفا من ان يشعر بهم
المساكين وكان لفظهم الذي يتخافتون به ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وقوله على حرد يحتمل ان يريد
على منع من قولهم حاردت الابل اذا قلت البانها فمنعتها وحاردت السنة اذا كانت شهباء لا غلة لها ويحتمل ان
يريد بالحرد الغضب يقال حرد الرجل حردا اذا غضب قال البخاري قال قتادة على حرد اي جد في انفسهم
انتهى وقوله تعالى قادرين يحتمل ان يكون من القدرة اي قادرين في زعمهم ويحتمل ان يكون من التقدير
الذي هو تضييق كانهم قد قدروا على المساكين اي ضيقوا عليهم فلما رأوها اي محترقة قالوا انا لضالون
طريق جنتنا فلما تحققوها علموا انها قد اصيبت فقالوا بل نحن محرومون اي قد حرمنا غلتها و
بركتها فقال لهم اعدلهم قولا وعقلا وخلقا وهو الاوسط الم اقل لكم لولا تسبحون قيل هي عبارة عن
تعظيم الله والعمل بطاعته سبحانه فبادر القوم عند ذلك وتابوا وسبحوا واعترفوا بظلمهم في اعتقادهم منع
الفقراء ولام بعضهم بعضا واعترفوا بانهم طغوا اي تعدوا ما يلزم من مواساة المساكين ثم انصرفوا
الى رجاء الله سبحانه وانتظار الفضل من لدنه في ان يبدلهم بسبب توبتهم وانابتهم خيرا من تلك الجنة
قال الثعلبي قال ابن مسعود بلغني ان القوم لما اخلصوا وعلم الله صدقهم فابدلهم الله عز وجل بها جنة
يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل العنقود منها وعن ابي خالد اليماني انه رأى تلك الجنة ورأى
كل عنقود منها كالرجل الاسود قائما انتهى والله اعلم فلا يستغرب هذا ان صح سنده قوله
سبحانه كذلك العذاب اي كفعلنا باهل الجنة نفعل بمن تعدى حدودنا ولعذاب الآخرة اكبر اي اعظم
مما اصابهم ان لم يتوبوا في الدنيا ثم اخبر تعالى ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم فروي انه لما نزلت هذه
الآية قالت قريش ان كانت ثم جنات نعيم فلنا فيها الحظ الاكبر فنزلت افنجعل المسلمين كالمجرمين الآية توبيخا لهم

فلما اصبحوا م

ام لكم كتاب منزل من عند الله تدرسون فيه ان لكم لما تخيرون من النعم فان معموله لتدرسون
وكسرت الهمزة من ان لدخول اللام في الخبر وهي في معنى ان بفتح الالف وقرى شاذا ان لكم بالفتح وقرا
الاعرج اان لكم فيه على الاستفهام ثم خاطب تعالى الكفار بقوله ام لكم ايمان علينا بالغة كانه يقول هل
اقسمنا لكم قسما فهو عهد لكم بانا ننعمكم في يوم القيمة وما بعده وقرا الاعرج ان لكم لما تحكمون
على الاستفهام ايضا سلهم ايهم بذلك زعيم اي ضامن ت قال الهروي وقوله ايمان علينا بالغة اي
مؤكدة انتهى وقوله تعالى فليأتوا بشركائهم قيل هو استدعاء وتوقيف في الدنيا اي ليحضروهم حتى
يرى هل هم بحال من يضر وينفع ام لا وقيل هو استدعاء وتوقيف على ان ياتوا بهم يوم القيمة يوم يكشف
عن ساق وقرا ابن عباس تكشف بضم التاء على معنى تكشف القيمة والشدة والحال الحاضرة وقرا ابن عباس
ايضا تكشف بفتح التاء على ان القيمة هي الكاشفة وهذه القراءة مفسرة لقراءة الجماعة فيما ورد في الحديث
ولانه من كشف لسان فهو عبارة عن شدة الهول قوله جلت عظمته ويدعون الى السجود فلا يستطيعون
وفي الحديث الصحيح فيخرون لله سجدا اجمعون ولا يبقى احد كان يسجد في الدنيا ريا ولا سمعة ولا نفاقا
الا صار ظاهره طبقا واحدا كلما اراد ان يسجد خر على قفاه الحديث وفي الحديث فيسجد كل مومن وترجع
اصلاب المنافقين والكفار كصياصي البقر عظما واحدا فلا يستطيعون سجودا الحديث وقوله وقد كانوا
يدعون الى السجود يريد في الدنيا وهم سالمون مما نال عظام ظهورهم من الاتصال والعتو وقوله سبحانه
فذرني ومن يكذب بهذا الحديث الاية وعيد وتهديد والحديث المشار اليه هو القرآن وباقي الاية بين مما
ذكر في غير هذا الموضع ثم امر الله تعالى نبيه بالصبر لحكمه وان يمضي لما امر به من التبليغ واحتمال الاذى
والمشقة ونهي عن الضجر والعجلة التي وقع فيها يونس عليه السلام ثم اقتضب القصة وذكر ما وقع في اخرها
من ندائه في بطن الحوت وهو مكظوم اي وهو كاظم لحزنه وندمه وقال الثعلبي ونحوه للبخاري
وهو مكظوم اي مملوء غما وكربا انتهى وهو اقرب الى المعنى وقال النقاش المكظوم الذي اخذ بكظمه
وهي مجاري القلب وقرا ابن مسعود وغيره لولا ان تداركته نعمة والنعمة التي تداركته هي الصفح والاجتباء
الذي سبق له عند الله عز وجل لنبذ بالعراء اي لطرح بالعراء وهو الفضاء الذي لا يواري فيه جبل
ولا شجر وقد نبذ يونس عليه السلام بالعراء ولكن غير مذموم وجاء في الحديث عن اسماء بنت عميس قالت
علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات اقولهن عند الكرب او في الكرب الله ربي لا اشرك به شيا رواه
ابو داود والنساي وابن ماجه واخرجه الطبراني في كتاب الدعاء انتهى من السلاح ثم قال تعالى لنبيه
وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم المعنى يكادون من الغيظ والعداوة يزلقونك فيذهبون
قدمه من مكانها ويسقطونه قال عياض وقد روي عن ابن عباس انه قال كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون
قال تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهبها واكاد اخفيها ولم يفعل انتهى من كرم اثر قوله وان
يكادوا ليفتنونك وقرا الجمهور ليزلقونك بضم الياء من ازلق ونافع بفتحها من زلقت الرجل وفي هذا
المعنى قول الشاعر ✽ يتعارضون اذا التقوا في مجلس ✽ نظرا يزيل مواطئ الاقدام ✽ وذهب
قوم من المفسرين الى ان المعنى ياخذونك بالعين وقال الحسن دواء من اصابته العين ان يقرا
هذه الاية والذكر في الاية القرآن بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا سورة الحاقة مكية باجماع قوله عز وجل الحاقة
ما الحاقة المراد بالحاقة القيامة وهي اسم فاعل من حق الشيء يحق لانها حقت لكل عامل عمله قال

ابن عباس وغيره سميت القيمة حاقة لانها تبدي حقائق الاشيا والحاقة مبتدا وما مبتدا
والحاقة الثانية خبر ما والجملة خبر الاولى وهذا كما تقول زيد ما زيد على معنى التعظيم له وابهام
التعظيم ليتخيل السامع اقصى جهده وقوله وما ادراك ما الحاقة مبالغة في هذا المعنى اي ان فيها ما لم
تدره من اهوالها وتفاصيل صفاتها ثم ذكر تعالى تكذيب ثمود وعاد بهذا الامر الذي هو حق
مشيرا الى ان من كذب بذلك ينزل به ما نزل باوليك والقارعة من اسماء القيمة ايضا لانها تقرع
القلوب بصدمتها وقوله سبحانه فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية قال قتادة معناه بالصيحة التي
خرجت عن حد كل صيحة وقيل المعنى بسبب الفئة الطاغية وقيل بسبب الفعلة الطاغية مصدر كالعاقبة
فكانه قال بطغيانهم وقاله ابو عبيدة ويقوي هذا قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها واولى الاقوال
واصوبها الاول وباقي الاية تقدم تفسير نظيره وما في ذلك من القصص والعاتية معناه الشديدة
المخالفة فكانت الريح قد عتت على خزانها بخلاف امرها وعلى قوم عاد بشدتها وروي عن علي وابن عباس
انهما قالا لم ينزل من السماء قطرة ماء قط الا بمكيال على يد ملك ولا هبت ريح الا كذلك الا ما كان من طوفان
نوح وريح عاد فان الله اذن لهما في الخروج دون اذن الخزان وحسوما قال ابن عباس وغيره معناه
كاملة تباعا لم يتخللها غير ذلك وقال ابن زيد حسوما جمع حاسم ومعناه ان تلك الايام
قطعتهم بالاهلاك ومنه حسم العلل ومنه الحسام والضمير في قوله فيها صرعى يحتمل عوده على الليالي والايام
ويحتمل على دارهم وقيل على الريح ص ومن قبله النحويان وعاصم في رواية بكسر القاف وفتح الباء اي اجنادهم
واهل طاعته وقرا الباقون قبله ظرف زمان انتهى وقوله بالخاطية صفة لمحذوف اي بالفعلة الخاطية
والرابية النامية التي قد عظمت جدا ومنه ربا المال ومنه اهتزت وربت ثم عدد تعالى على الناس نعمته
في قوله انا لما طغى الماء حملناكم يعني في وقت الطوفان الذي كان على قوم نوح والجارية سفينة نوح
قاله منذر بن سعيد والضمير في لنجعلها عائد على الجارية او على الفعلة وقوله تعالى وتعيها اذن واعية عبارة
عن الرجل الفهم المنور القلب الذي يسمع القران فيتلقاه بفهم وتدبر قال ابو عمران الجوني واعية عقلت
عن الله تعالى وقال الثعلبي المعنى لتحفظها كل اذن فتكون عظة لمن ياتي بعد تقول وعيت العلم اذا حفظته
انتهى ثم ذكر تعالى امر القيمة وقرا الجمهور وحملت بتخفيف الميم بمعنى حملتها الرياح والقدرة ودكتا معناه سوى
جميعها والانشقاق السماء هو تفطرها وتميز بعضها من بعض وذلك هو الوهي الذي ينالها كما يقال في
الجدار البالي المتشققة واهية والملك اسم الجنس يريد به الملايكة وقال جمهور من المفسرين الضمير في ارجائها
عائد على السماء اي الملايكة على نواحيها والرجا الجانب من البير والحائط ونحوه وقال الضحاك وابن جبير
وغيرهما الضمير في ارجائها عائد على الارض وان كان لم يتقدم لها ذكر قريب لان القصة واللفظ يقتضي
افهام ذلك وفسروا هذه الاية بما روي من ان الله تعالى يامر ملايكة سماء الدنيا فيقفون صفا على حافات الارض ثم
يامر ملايكة سماء الثانية فيقفون خلفهم ثم كذلك ملايكة كل سماء فكلما ند احد من الجن والانس
وجد الارض قد احيط بها قالوا فهذا تفسير هذه الاية وهو ايضا معنى قوله وجاء ربك والملك
صفا صفا وهو تفسير يوم التناد يوم تولون مدبرين على قراءة من شدد الدال وهو تفسير يا معشر
الجن والانس الاية واختلف في الثمانية الحاملين للعرش فقال ابن عباس هي ثمانية صفوف من الملايكة
لا يعلم احد عدتهم وقال ابن زيد هم ثمانية املاك على هيئة الناس ارجلهم تحت الارض السابعة
ورؤوسهم وكواهلهم فوق السماء السابعة قال الغزالي في الدرة الفاخرة هم ثمانية املاك قدم الملك منهم مسيرة

الوعول وفي جماعة من المفسرين هم على هيئة

عشرين الف سنة انتهى والضمير في قوله فوقهم قيل هو للملائكة الحملة وقيل للعالم كله ت
قوله تعالى يومئذ تعرضون خطاب لجميع العالم وفي الحديث الصحيح يعرض الناس ثلاث عرضات
فاما عرضتان فجدال وخصوم ومعاذير واما الثالثة فعندها تطاير الصحف في الايدي فاخذ
بيمينه واخذ بشماله قال الغزالي يجب على كل مسلم البداءة الى محاسبة نفسه كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا
انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وانما حسابه لنفسه ان يتوب من كل معصية قبل
الموت توبة نصوحا ويتدارك ما فرط فيه من تقصير في فرائض الله عز وجل ويرد المظالم حبة حبة ويستحل
كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه فريضة ولا
مظلمة فهذا يدخل الجنة بغير حساب ان شاء الله تعالى انتهى من الاحياء ونقل القرطبي في تذكرته هذه
الالفاظ بعينها و قوله هاؤم اقرأوا كتابيه معناه تعالوا وقوله اقرأوا كتابيه هو استبشار
وسرور ص هاؤم ها بمعنى خذ قال الكسائي والعرب تقول ها يا رجل وللاثنين رجلين وامرأتين هاؤما
وللرجال هاؤم وللمرأة هاء بهمزة مكسورة من غير ياء وللنساء هاؤن وزعم القتبي ان الهمزة بدل
من الكاف وهو ضعيف الا ان يعني انها تحل محلها في لغة من قال هاك وهاك وهاكما وهاكم وهاك
فذلك ممكن لا انه بدل صناعي لان الكاف لا تبدل من الهمزة ولا الهمزة منها انتهى و قوله اني ظننت اني
ملاق حسابيه عبارة عن ايمانه بالبعث وغيره و ظننت هنا واقعة موقع تيقنت وهي في متيقن لم يقع بعد
ولا خرج الى الحس وهذا هو باب الظن الذي يوقع موقع اليقين و راضية بمعنى مرضية و القطوف جمع
قطف وهو ما يجتني من الثمار ويقطف ودنوها انها تاتي طوع المتمني فيأكلها القائم والقاعد
والمضطجع بفيه من شجرتها و بما اسلفتم معناه بما قدمتم من الاعمال الصالحة و الايام الخالية هي ايام الدنيا
لانها في الاخرة قد خلت وذهبت وقال وكيع وغيره المراد بما اسلفتم من الصوم وعموم الاية في كل
الاعمال اولى واحسن ت ويدل على ذلك الاية الاخرى كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون قال
ابن المبارك في رقائقه اخبرنا مالك بن مغول انه بلغه ان عمر بن الخطاب قال حاسبوا انفسكم قبل ان
تحاسبوا فانه اهون وايسر لحسابكم وزنوا انفسكم قبل ان توزنوا وتجهزوا للعرض الاكبر يومئذ
تعرضون لا تخفى منكم خافية قال ابن المبارك واخبرنا معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال ان المؤمن
قوام على نفسه يحاسب نفسه لله وانما خف الحساب يوم القيمة على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا وانما شق
الحساب على قوم يوم القيمة اخذوا هذا الامر عن غير محاسبة انتهى و الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم هم
المخلدون في النار اهل الكفر فيتمنون ان لو كانوا معدومين و قوله يا ليتها كانت القاضية اشارة الى موته
في الدنيا اي ليتها لم يكن بعدها رجوع ص ما اغنى عني ما نافية او استفهامية انتهى و السلطان في الاية
الحجة وقيل انه ينطق بذلك ملوك الدنيا والظاهر ان سلطان كل احد حاله في الدنيا من عدد وعدد
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه ولا يجلس على تكرمته الا باذنه و قوله
سبحانه خذوه فغلوه الاية المعنى يقول الله تعالى او الملك بامره للزبانية خذوه واجعلوا في عنقه
غلا قال ابن جريج نزلت في ابي جهل و قوله تعالى فاسلكوه معناه ادخلوه وروي ان هذه السلسلة تدخل
في فم الكافر وتخرج من دبره فهي في الحقيقة التي تسلك فيه لكن الكلام جرى مجرى ادخلت
القلنسوة في راسي وروي ان هذه الاية السلسلة تلوى حول الكافر حتى تعمه وتضغطه فالكلام
على هذا على وجهه وهو المسلوك و قوله تعالى ولا يحض على طعام المسكين حض هذه الخلة بالذكر

لانها من اضر الخلال في البشر اذا كثرت في قوم هلكت مساكينهم ت ونقل الفخر عن بعض الناس
انه قال في قوله تعالى ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المساكين
احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينا له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم انه اذا كان تارك
الحض بهذه المنزلة فكيف بمن ترك الفعل قال الفخر ودلت الاية على ان الكفار يعاقبون على ترك الصلاة
والزكاة وهو المراد من قولنا انهم مخاطبون بفروع الشريعة وعن ابي الدرداء انه كان يحض
امراته على تكثير المرق لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع النصف الثاني
انتهى و قوله تعالى فليس له اليوم هاهنا حميم اي صديق لطيف المودة قاله الجمهور وقيل الحميم الماء
السخن فكانه تعالى اخبر ان الكافر ليس له ماء ولا شيء مائع ولا طعام الا من غسلين وهو ما يجري من
الجراح اذا غسلت وقال ابن عباس الغسلين هو صديد اهل النار وقال قوم الغسلين شيء يجري من ضريع
النار م الا من غسلين ابو البقاء والنون في غسلين زائدة لانها غسالة اهل النار انتهى و الخاطي الذي
يفعل ضد الصواب قوله تعالى فلا اقسم قيل لا زائدة وقيل لا رد لما تقدم من اقوال الكفرة والبداءة
اقسم و قوله بما تبصرون وما لا تبصرون قال قتادة ان يعم بهذا القسم جميع مخلوقاته و الرسول الكريم
قيل هو جبريل وقيل هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم و قوله تعالى وما هو بقول شاعر نفى سبحانه ان يكون
القرآن من قول شاعر كما زعمت قريش و قليلا نصب بفعل مضمر يدل عليه تؤمنون و ما يحتمل ان
تكون نافية فينتفي ايمانهم البتة لانهم قد صدقوا باشياء يسيرة لا تغني عنهم شيئا ثم اخبر تعالى ان
محمدا عليه الصلاة والسلام لو تقول عليها بما ذكر والاقاويل جمع اقوال واقوال جمع قول فهو جمع الجمع
انتهى و قوله سبحانه لاخذنا منه باليمين قال ابن عباس المعنى لاخذنا منه بالقوة اي لنلنا منه
عقابه بقوة منا وقيل معناه لاخذنا بيده اليمنى على جهة الهوان كما يقال لمن يسجن او يقاد لعقوبة
خذوا بيده وبيمينه و الوتين نياط القلب قاله ابن عباس وهو عرق غليظ تصادفه
شفرة الناحر فمعنى الاية لاذهبنا حياته معجلا و الحاجز المانع والضمير في قوله وانه لتذكرة عائد
على القرآن وقيل على النبي صلى الله عليه وسلم ص وانه لحسرة ضمير انه يعود على التكذيب المفهوم من مكذبين
انتهى وقال الفخر الضمير في قوله وانه لحسرة ضمير انه يعود على القرآن اي هو على الكافرين حسرة
اما يوم القيمة اذا راوا ثواب المصدقين به في الدنيا اذا راوا دولة المؤمنين والثاني
قال مقاتل وان تكذيبهم بالقرآن لحسرة عليهم يدل عليه قوله ان منكم مكذبين انتهى ثم امر تعالى
نبيه بالتسبيح باسمه العظيم ولما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله

وصحبه وسلم تسليما سورة سال سائل مكية بلا خلاف قوله عز وجل سال سائل بعذاب
قرا الجمهور والسبعة سال بهمزة مخففة قالوا والمعنى دعا داع والاشارة الى من قال من قريش اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الاية وقولهم عجل لنا قطنا ونحو ذلك وقال
بعضهم المعنى بحث باحث واستفهم مستفهم قالوا والاشارة الى قول قريش متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
وما جرى مجراه قاله الحسن وقتادة والباء على هذا التاويل في قوله بعذاب بمعنى عن وقرا نافع
وابن عامر سال سائل ساكنة الالف واختلف القراء بها فقال بعضهم هي سال المهموزة الا ان الهمزة
سهلت وقال بعضهم هي لغة من يقول سلت اسال ويتساولان وهي لغة مشهورة وقال بعضهم

في لانه هي من سال يسيل اذا جرى وليست من معنى السؤال قال زيد بن ثابت وغيره في جهنم واد يسمى
سائلا والاخبار هنا عنه وقرا ابن عباس سال سيل بسكون اليا وسؤال الكفار عن العذاب حسب قراءة
الجمهور انما كان على انه كذب فوصفه تعالى بانه واقع بهم وعيدا لهم **و** قوله للكافرين قال بعض النحاة اللام بمعنى
على وروي انه كذلك في مصحف ابي على الكافرين **و** المعارج في اللغة الدرج الاجرام وهي هنا مستعارة في
الرتب والفضائل والصفات الحميدة قاله ابن عباس وقتادة وقال الحسن هي مراقي السماء قال ابن عباس رض في مشارق
الانوار قوله صلى الله عليه وسلم فعرج بي الى السماء اي ارتقى بي والمعراج الدرج وقيل سلم تعرج فيه الارواح
وقيل هو احسن شيء لا يتمالك النفس اذا راته ان تخرج واليه يشخص بصر الميت من حسنه وقيل هو الذي تصعد
فيه الاعمال وقيل قوله ذي المعارج معارج الملائكة وقيل ذوي الفواضل انتهى **و** قوله تعالى تعرج الملائكة
معناه تصعد **و** الروح عند الجمهور هو جبريل عليه السلام وقال مجاهد الروح ملائكة حفظة على
الملائكة الحافظين لبني آدم لا تراهم الملائكة كما لا نرى نحن الملائكة وقال بعض المفسرين هو اسم جنس
لارواح الحيوان **و** قوله سبحانه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة قال ابن عباس وغيره هو يوم القيامة ثم
اختلفوا فقال بعضهم قدره في الطول خمسين الف سنة وقال بعضهم بل قدره في الشدة والاول هو
الظاهر وهو ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله الا جعل له صفائح
من نار يوم القيامة تكوى بها جبهته وظهره وجنباه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فقال
ابو سعيد الخدري قيل يا رسول الله ما اطول يوما مقداره خمسون الف سنة فقال والذي نفسي
بيده ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه اخف من صلاة مكتوبة قال ابن المبارك اخبرنا معمر عن قتادة
عن زرارة بن ابي اوفى عن ابي هريرة قال يقصر على يومئذ المؤمن حتى يكون كوقت الصلاة انتهى قال ع
وقد ورد في يوم القيامة انه كالف سنة وهذا يشبه ان يكون في طوائف دون طوائف **ت** قال عبد الحق
في العاقبة له اعلم رحمك الله ان يوم القيامة ليس طوله كما عهدت من طول الايام هو الاف من الاعوام يتصرف
فيه هذا الانام على الوجوه والاقدام حتى ينفذ فيهم ما كتب لهم وعليهم من الاحكام وليس يكون
خلاصهم دفعة واحدة ولا فراغهم في مرة واحدة بل يتخلصون ويفرغون شيئا بعد شيء لكن طول ذلك اليوم
خمسون الف سنة فيفرغون بفراغ ذلك اليوم ويفرغ اليوم بفراغهم فمنهم من يطول قيامه
وحبسه الى اخر اليوم ومنهم من يكون انفصاله في ذلك مقدار يوم من ايام الدنيا او في ساعة من ساعاته
او في اقل من ذلك ويكون راحتا في ظل كسبه وعرش ربه ومنهم من يؤمر به الى الجنة من غير حساب
ولا عذاب كما ان منهم من يؤمر به الى النار في اول الامر من غير وقوف ولا انتظار او بعد يسير من ذلك
انتهى **قوله** سبحانه فاصبر صبرا جميلا امر للنبي صلى الله عليه وسلم بالصبر على اذى قومه **و** الصبر الجميل الذي
لا يلحقه عتب ولا تشك ولا قلة رضى ولا غير ذلك **و** الامر بالصبر الجميل محكم في كل حالة اعني لا نسخ فيه
وقيل ان الاية نزلت قبل الامر بالقتال فهي منسوخة **ت** ولو قيل هذا الخطاب لجنس الانسان في شان
هول ذلك اليوم ما بعد **و** قوله تعالى انهم يرونه بعيدا يعني يوم القيامة **و** المهل عكر الزيت قاله ابن عباس
وغيره فهي لسوادها وانكدار انوارها تشبه ذلك والمهل ايضا ما اذيب من فضة ونحوها قاله
ابن مسعود وغيره **و** العهن الصوف وقيل هو الصوف المصبوغ اي الوانا **و** الحميم في هذا الموضع القريب والولي
والمعنى ولا يسال له نصره ولا منفعته ولا يجدها عنده **و** قال قتادة المعنى ولا يسأله عن حاله لانها
ظاهرة قد بصر كل احد حالة الجميع وشغل بنفسه قال الفخر قوله تعالى يبصرونهم وكما قال

وله

ولا يسال حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقال يبصرونهم ولكن لاشتغالهم بانفسهم لا يتمكنون
من تساؤلهم انتهى **و** قرا ابن كثير بخلاف عنه ولا يسال على بناء الفعل للمفعول فالمعنى ولا يسال
احضاره لان كل مجرم له سيما يعرف بها كما ان كل مؤمن له سيما خير **و** الصاحبة هنا الزوجة **و**
الفصيلة هنا قرابة الرجل **قوله** تعالى كلا انها لظى رد لما ودوه اي ليس الامر كذلك **و** لظى طبقة من طبقات
جهنم **و** الشوى جلد الانسان وقيل جلد الراس تدعوا من ادبر وتولى يريد الكفار قال ابن عباس
وغيره تدعوهم باسمائهم واسماء ابائهم **و** جمع اي جمع المال واوعى اي جعله في الاوعية اي جمعه
من غير حل ومنعه من حقوق الله وكان عبد الله بن عكيم لا يربط كيسه ويقول سمعت الله تعالى يقول وجمع
فاوعى **و** قوله تعالى ان الانسان عموم لاسم الجنس لكن الاشارة هنا الكفار **و** الهلع فزع واضطراب
يعتري الانسان عند المخاوف وعند المطامع **و** قوله تعالى اذا مسه الاية مفسرة للهلع **و** قوله تعالى الا المصلين
اي الا المؤمنين الذين امر الاخرة عليهم اوكد من امر الدنيا والمعنى ان هذا المعنى فيهم يقل لانهم يجاهدونه
بالتقوى **و** قوله الذين هم على صلاتهم دائمون اي مواظبون وقد قال عليه السلام احب العمل الى الله ما داوم
عليه صاحبه **ت** وقد تقدم في سورة قد افلح ما جاء في الخشوع قال الغزالي فينبغي لك ان تفهم ما تقرا وتصلي في تلك
ولا تغفل في قراءتك عن امره سبحانه ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه
فلكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق الموعظة والشكر
حق ذكر المنة والاعتبار حق ذكر الاخبار الانبياء قال الغزالي وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم
بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر فهذا حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات ايضا
ثم يراعي الهيئة في القراءة فيرتل ولا يسرد فان ذلك ايسر للتامل ويفرق بين نغماته في ايات الرحمة
وايات العذاب والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم انتهى من الاحياء وروى ابن المبارك في رقائقه اخبرنا
ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب ان ابا الخير حدثه قال سالنا عقبة بن عامر الجهني عن قول الله عز وجل
الذين هم على صلاتهم دائمون اهم الذين يصلون ابدا قال لا ولكنه الذي اذا صلى لم يلتفت عن يمينه
ولا عن شماله ولا خلفه انتهى **و** قوله سبحانه والذين في اموالهم حق معلوم قال ابن عباس وغيره هذه الاية
في الحقوق التي في المال سوى الزكاة وهي ما ندبت اليه الشريعة من المواساة وهذا هو الاصح في الاية
لان هذه السورة مكية وفرض الزكاة وبيانها انما كان بالمدينة وباقي الاية تقدم تفسير نظيره
و قوله سبحانه والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون جمع الامانة من حيث انها متنوعة في
الاموال والاسرار وفيما بين العبد وربه فيما امره به ونهاه عنه **و** العهد كل ما تقلده الانسان من قول
او فعل ومودة اذا كانت هذه الاشياء على منهاج الشريعة فهو عهد ينبغي رعيه وحفظه **و** قوله سبحانه
والذين هم بشهاداتهم قائمون معناه في قول جماعة من المفسرين انهم يحفظون ما يشهدون فيه ويتقنونه
ويقومون بمعانيه حتى لا يكون لهم فيه تقصير وهذا هو وصف من يمتثل قول النبي صلى الله عليه وسلم
على مثل الشمس فاشهد وقال اخرون معناه الذين اذا كانت عندهم شهادة ورأوا حقا يدرس او حرمة
لله تنتهك قاموا لله بشهادتهم **و** قوله تعالى فمال الذين كفروا قبلك مهطعين الاية نزلت بسبب ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي عند الكعبة احيانا ويقرا القران فكان كثير من الكفار يقومون
من مجالسهم مسرعين اليه يستمعون قراءته ويقول بعضهم لبعض شاعر وكاهن ومفتر وغير ذلك
و قبلك معناه فيما يليك **و** المهطع الذي يمشي مسرعا الى شيء قد اقبل ببصره اليه **و** عزين جمع عزة وكعزة

الجمع اليسير كانهم كانوا ثلاثة ثلاثة واربعة اربعة وفي حديث ابي هريرة قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم
على اصحابه وهم حلق متفرقون فقال ما لي اراكم عزين وقوله تعالى ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم
نزلت لان بعض الكفار قال ان كانت ثم اخرة وجنة فنحن اهلها لان الله لم ينعم علينا في الدنيا بالمال والبنين
وغير ذلك الا لرضاه عنا وقوله تعالى كلا رد لقولهم وطمعهم اي ليس الامر كذلك ثم اخبر عن خلقهم من
نطفة قذرة واحال العبارة على علم الناس اي فمن خلق من ذلك فليس بنفس خلقه يعطى الجنة بل بالايمان
والاعمال الصالحة وروى ابن المبارك في رقائقه قال اخبرنا مالك بن مغول قال سمعنا بابي ربيعة يحدث
عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم جعلنا الله فداك
قال فاقصروا من الامل وثبتوا اجالكم بين ابصاركم واستحيوا من الله حق الحياء قالوا يا رسول الله كلنا نستحي من
الله قال ليس كذلك الحياء ولكن الحياء من الله ان لا تنسوا المقابر والبلاء ولا تنسوا الجوف وما وعى ولا تنسوا
الراس وما حوى ومن يشتهي كرامة الاخرة يدع زينة الدنيا هنالك استحيا العبد من الله هنالك اصاب
ولاية الله انتهى وقد روينا اكثر من هذا الحديث من طريق ابي عيسى الترمذي وباقي الاية بين تقدم تفسير نظيره
والاجداث القبور والنصب ما نصب للانسان فهو يقصده مسرعا اليه من علم او بناء وقال ابو العالية الى نصب
يوفضون معناه الى غاية يستبقون ويوفضون معناه يسرعون وخاشعة اي ذليلة منكسرة

سورة نوح

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما
عليه السلام مكية بالجماع قوله سبحانه انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم هذا
العذاب الذي توعدوا به الاظهر انه عذاب الدنيا ويحتمل ان يكون عذاب الاخرة وقوله من ذنوبكم قال قوم
من زائدة وهذا نحو كوفي واما الخليل وسيبويه فلا يجوز عندهم زيادة من في الواجب وقال قوم هي للتبعيض
قال ابن عطية وهذا القول عندي ابين الاقوال هنا وذلك انه لو قال يغفر لكم ذنوبكم لعم هذا اللفظ ما تقدم
من الذنوب وما تاخر عن ايمانهم والاسلام انما يجب ما قبله وقوله سبحانه ويوخركم الى اجل مسمى كان نوحا
عليه السلام قال لهم امنوا يتبين لنا انكم ممن قضى له بالايمان والتاخير وان بقيتم على كفركم فسيتبين انكم ممن قضى عليه
بالكفر والمعاجلة ثم تبين هذا المعنى ولاح بقوله تعالى ان اجل الله اذا جاء لا يوخر وجواب لو مقدر يقتضيه
الكلام قال فما اخركم واسرعكم الى التوبة لو كنتم تعلمون قوله عز وجل قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا
الاية هذه المقالة قالها نوح عليه السلام بعد طول عمره ويأسه من قومه واستغشوا ثيابهم معناه جعلوها
اغشية على روسهم وقوله يرسل السماء الاية روي ان قوم نوح كانوا قد اصابهم قحوط وازمة فلذلك
بداهم في وعده بامر المطر ومدرارا من الدرور وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب
رواه ابو داود واللفظ له والنسائي وابن ماجة ولفظ النسائي من اكثر من الاستغفار انتهى من السلاح
وقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا قال ابو عبيدة وغيره ترجون معناه تخافون قالوا والوقار بمعنى العظمة
فكان الكلام على هذا التاويل وعيد وتخويف وقال بعض العلماء ترجون على بابها وكانه قال ما لكم لا تجعلون
رجاءكم لله ووقارا يكون على هذا التاويل منهم كانه يقول توده منكم وتمكنا في النظر وقوله وقد خلقكم
اطوارا قال ابن عباس وغيره هي اشارة الى التدريج الذي للانسان في بطن امه وقال جماعة هي اشارة
الى العبرة في اختلاف خلق الوان الناس وخلقهم ومللهم والاطوار الاحوال المختلفة وقوله سبحانه وجعل
القمر فيهن نورا الاية قال عبد الرحمن بن عمرو بن العاص وابن عباس ان الشمس والقمر اقفاؤهما الى الارض

واقبال

واقبال نورهما وارتفاعه في السماء وهذا الذي يقتضيه لفظة السراج والله انبتكم من الارض استعارة من
حيث خلق ادم عليه السلام من الارض ونباتا مصدر جار على غير الصدر التقدير فنبتم نباتا والاعادة فيها بالدفن
والاخراج هو بالبعث وظاهر الاية ان الارض بسيطة غير كرية واعتقاد احد الامرين غير قادح في الشرع
بنفسه اللهم الا ان يتركب على القول بالكرية قول فاسد واما اعتقاد كونها بسيطة فهو ظاهر كتاب الله
تعالى وهو الذي لا يلحق عنه فساد البتة واستدل ابن مجاهد على صحة ذلك بماء البحر المحيط بالمعمور فقال
لو كانت الارض كروية لما استقر الماء عليها والسبل الطرق والفجاج الواسعة وقوله نوح واتبعوا من لم يزده
ماله الاية المعنى اتبعوا اشرافهم وغواتهم خسارا معناه خسرانا وكبارا بناء مبالغة نحو حسان وقرئ شاذا
كبارا بكسر الكاف قال ابن الانباري جمع كبير وودا وما عطف عليه اسماء اصنام وروى البخاري وغيره عن ابن عباس
انها كانت اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا
يجلسون انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك اولئك وتنسخ العلم عبدت قال ابن عباس
ثم صارت هذه الاوثان التي في قوم نوح في العرب بعد انتهى وقوله وقد اضلوا كثيرا هو لخبار نوح عن الاشراف
ثم دعا الله عليهم ان لا يزيدهم الا ضلالا وقال الحسن اراد بقوله وقد اضلوا الاصنام المذكورة قوله
تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا ابتداء اخبار من الله تعالى لمحمد عليه الصلاة والسلام وما في قوله مما زائدة
فكانه قال من خطيئاتهم وهي لابتداء الغاية ص مما خطيئاتهم من للسبب ابن عطية لابتداء الغاية وما زائدة
للتوكيد انتهى فادخلوا نارا يعني جهنم وقول نوح لا تذر على الارض من الكافرين ديارا قال قتادة وغيره
لم يدع نوح بهذه الدعوة الا من بعد ان اوحي اليه انه لن يومن من قومك الا من قد امن وديارا اصله
ديوار من الدوران اي من يجيء ويذهب وقوله رب اغفر لي ولوالدي قال ابن عباس لم يكفر لنوح اب
ما بينه وبين ادم عليه السلام وقرأ ابي بن كعب ولابوي وبيته المسجد فيما قاله ابن عباس وجمهور المفسرين
وقال ابن عباس ايضا بيته شريعته ودينه استعار لها بيتا كما يقال قبة الاسلام وفسطاط الدين
وقيل اراد سفينته وقوله وللمومنين والمومنات تعميم بالدعاء لمومني كل ملة وقال بعض العلماء ان الذي
استجاب لنوح عليه السلام فاغرق بدعوته اهل الارض الكفار لجدير ان يستجيب له فيرحم بدعوته المومنين
والتبار الهلاك

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه
وسلم تسليما

سورة الجن

مكية بالجماع قوله عز وجل قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن هم
الذين صادفوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ ببطن نخلة في صلاة الصبح وقد تقدم قصصهم في سورة
الاحقاف وقول الجن انا سمعنا الايات هو خطابهم لقومهم وعجبا معناه ذا عجب لان العجب مصدر
يقع من سامع القران لبرهنه وفصاحته ومضمنا وقوله وانه تعالى جد ربنا قال الجمهور معناه عظمة
ربنا وروي عن انس انه قال كان الرجل اذا قرأ البقرة وال عمران جد في اعيننا اي عظم وعن الحسن جد ربنا
غناه وقال مجاهد ذكره وقال بعضهم جلاله ومن فتح الالف من قوله وانه تعالى اختلفوا في تاويل ذلك
فقال بعضهم هي عطف على انه استمع فيجيء على هذا قوله تعالى امرا ان يقول النبي انه اوحي اليه وليس هو من
كلام الجن وفي هذا قلق وقال بعضهم بل هو عطف على الضمير في به كانه يقول فامنا به وبانه تعالى وهذا
القول ابين في المعنى لكن فيه من جهة النحو العطف على الضمير المخفوض دون اعادة الخافض وذلك لا يحسن
بل هو حسن اذ قد اتى في النثر والنظم الصحيح مثبتا وقرأ عكرمة وانه تعالى جد ربنا بفتح الجيم وضم
الدال وتنوينه ورفع الرب كانه يقول تعالى عظيم هو ربنا فربنا بدل والجد العظيم في اللغة وقرأ ابو

الدرداء

تعالى ذكر ربنا وروي عنه تعالى جلال ربنا قوله تعالى وانه كان يقول سفيهنا الآية لا خلاف ان هذا من قول الجن والسفيه المذكور في قول الجمهور من المفسرين هو ابليس لعنه الله وقال الآخرون هو اسم جنس لكل سفيه منهم ولا محالة ان ابليس صدر في السفهاء وهذا القول حسن والشطط التعدي وتجاوز الحد بقول او فعل وشططا ابو البقاء نعت لمصدر محذوف اي قولا شططا انتهى ثم قال اولئك النفر وانا ظننا قبل ايماننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا في جهة الالهة وما يتعلق بذلك وقوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن الآية من القراء من يكسر الهمزة من انه ومنهم من يفتحها والكسر اوجه والمعنى في الآية ما كانت العرب تفعله في اسفارها من ان الرجل اذا اراد المبيت بواد صاح باعلى صوته يا عزيز هذا الوادي اني اعوذ بك من السفهاء الذين في طاعتك ويعتقد بذلك ان الجن يحميه ويمنعه قال قتادة فكانت الجن تحتقر بني ادم وتزدريهم لما ترى من جهلهم فكانوا يزيدونهم مخافة ويتعرضون للتخيل لهم ويغوونهم في ارادتهم فهذا هو الرهق الذي زادته الجن بني ادم وقال مجاهد وغيره بنو ادم هم الذين زادوا الجن رهقا وهي الجرأة والطغيان وقد فسر قوم الرهق بالاثم وقوله انهم ظنوا يريد به بني ادم وقولهم كما ظننتم مخاطبة لقومهم من الجن وقولهم ان لن يبعث الله احدا يحتمل معنيين احدهما بعث الحشر من القبور والاخر بعث ادمي رسولا وذكر المهدوي تأويلا ثالثا ان المعنى وان الجن ظنوا كما ظننتم ايها الانس فهي مخاطبة من الله تعالى قال الثعلبي وقيل ان قوله وانه كان رجال من الانس الآية ابتداء اخبار من الله تعالى ليس هو من كلام الجن انتهى فهو وفاق لما ذكر المهدوي وقولهم وانا لمسنا السماء قال الجمهور معناه التمسنا والشهب كواكب الرجم والحرس يحتمل ان يريد الرمي بالشهب وكرر المعنى بلفظ مختلف ويحتمل ان يريد الملائكة ومقاعد جمع مقعد وقد تقدم بيان ذلك في سورة الحجر وقولهم فمن يستمع الآن الآية قطع على ان كل من استمع الآن احرقه شهاب فليس هنا بعد سمع انما الاحراق عند الاستماع وهذا يقتضي ان الرجم كان في الجاهلية ولكنه لم يكن يستأصل فلما جاء الاسلام اشتد الامر حتى لم يكن فيه ولا يسير سماحة ورصدا نعت لشهاب ووصفه بالرصد وقولهم وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض الآية معناه لا ندري ايؤمن الناس بهذا النبي فيرشدوا ام يكفرون به فينزل بهم الشر وعبارة الثعلبي وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض حين حرست السماء ومنعنا السمع ام اراد بهم ربهم رشدا انتهى وقولهم وانا منا الصالحون الى اخر قولهم ومنا القاسطون هو من قول الجن وقولهم ومنا دون ذلك اي غير صالحين ومنا دون ذلك قيل بمعنى غير ذلك وقيل دون ذلك في الصلاح فدون في موضع الصفة لمحذوف اي ومنا قوم دون ذلك انتهى والطرائق السير المختلفة والقدد كذلك هي الاشياء المختلفة كانه قد قد بعضهم من بعض وفصل قال ابن عباس وغيره طرائق قددا اهواء مختلفة وقولهم وانا ظننا اي تيقنا فالظن هنا بمعنى العلم ان لن نعجز الله في الارض الآية وهذا اخبار منهم عن حالهم بعد ايمانهم بما سمعوا من نبينا عليه الصلاة والسلام والهدى يريدون به القران والبخس النقص والرهق تحميل ما لا يطاق وما يثقل قال ابن عباس البخس نقص الحسنات والرهق الزيادة في السيئات وقوله تعالى فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا الوجه فيه ان يكون مخاطبة من الله تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام ويؤيده ما بعده من الآيات وتحروا معناه طلبوا باجتهادهم وقوله سبحانه وان لو استقاموا على الطريقة الآية قال ابن عباس وقتادة ومجاهد وابن جبير الضمير في قوله استقاموا على القاسطين والمعنى لو استقاموا على طريقة الاسلام والحق لانعمنا عليهم وهذا المعنى نحو قوله تعالى ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا الى قوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم والقاسط الظالم والماء الغدق هو الماء الكثير ولنفتنهم معناه لنختبرهم

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث يكون الماء فثم المال وحيث المال فثم الفتنة ونزع بهذه الآية وقال الحسن وجماعة من التابعين كانت الصحابة رضي الله عنهم سامعين مطيعين فلما فتحت كنوز كسرى وقيصر على الناس ثارت الفتن ويسلكه يدخله وصعدا معناه شاقا وقال ابن عباس وابو سعيد الخدري صعد جبل في النار وان المساجد لله قيل اراد البيوت التي للعبادة والصلاة في كل ملة وقال الحسن اراد بها كل موضع يسجد فيه اذ الارض كلها جعلت مسجدا لهذه الامة وروي ان هذه الآية نزلت بسبب تغلب قريش على الكعبة حينئذ فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم المواضع كلها لله فاعبده حيث كنت قال ع والمساجد المخصوصة بينة التمكن في كونها لله تعالى فيصلح ان تفرد للعبادة وكل ما هو خالص لله تعالى وان لا يتحدث بها في امور الدنيا ولا يجعل فيها لغير الله نصيب وقوله تعالى وانه لما قام عبد الله يحتمل ان يكون خطابا من الله تعالى ويحتمل ان يكون اخبارا عن الجن وعبد الله هو محمد صلى الله عليه وسلم والضمير في كادوا يحتمل ان يكون للكفار قريش وغيرهم في اجتماعهم على رد امره صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير للجن المعنى انهم كادوا يتقصفون عليه لاستماع القران وقال ابن جبير معنى الآية انما قول الجن لقومهم يحكون لهم والعبد محمد صلى الله عليه وسلم والضمير في كادوا للاصحاب الذين يطيعون له ويقتدون به في الصلاة فهم لبد واللبد الجماعات شبهت بالشيء المتلبد وقال البخاري قال ابن عباس لبدا اعوانا انتهى يدعوه معناه يعبده وقيل عبد الله في الآية المراد به نوح وقرأ الجمهور من السبعة قال انما ادعو ربي وقرأ حمزة وعاصم وابو عمرو بخلاف عنه قل انما امر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالتبري من ان يقدر وانه لا يملك لاحد ضرا ولا نفعا والملتحد الملجأ الذي يمال اليه ومنه الالحاد وهو الميل وقوله الا بلاغا قال قتادة التقدير لا املك الا بلاغا اليكم فاما الايمان والكفر فلا املكه وقال الحسن انه استثناء منقطع والمعنى لن يجيرني من الله احد الا بلاغا فاني ان بلغت رحمني بذلك اي بسبب ذلك وقوله تعالى ومن يعص الله يريد بالكفر بدليل تابيد الخلود وقوله تعالى قل ان ادري اقريب ما توعدون يعني عذابهم الذي وعدوا به والامد المدة والغاية من كثير ثم بين تعالى حول ذلك الرسول حفظة رصدا لابليس وحزبه من الجن والانس وقوله تعالى ليعلم ان قد ابلغوا الآية قال ابن جبير ليعلم محمد ان الملائكة الحفظة الرصد النازلين بين يدي جبريل وخلفه قد بلغوا رسالات ربهم وقال مجاهد معناه ليعلم من كذب او اشرك ان الرسل قد بلغت وقيل المعنى ليعلم الله تعالى رسله مبلغة خارجة الى الوجود لان علمه بكل شيء قد تقدم والضمير في احاط واحصى لله لا غير

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

سورة المزمل

مكية في قول الجمهور الا قوله ان ربك يعلم انك الى اخر السورة فمدني وقالت جماعة هي مكية كلها قوله عز وجل يا ايها المزمل نداء للنبي صلى الله عليه وسلم قال السهيلي المزمل اسم مشتق من حالته التي كان عليه الصلاة والسلام عليها حين الخطاب وكذلك المدثر وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان احداهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك معاتبته سموه باسم مشتق من حالته كقوله عليه الصلاة والسلام لعلي حين غاضب فاطمة قم ابا تراب اشعارا له انه غير عاتب عليه وملاطفة له والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله لينتبه الى قيام الليل وذكر الله فيه لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل بذلك العمل واتصف بتلك الصفات انتهى والتزمل الالتفاف في الثياب قال جمهور المفسرين وهو في البخاري وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه الملك في غار حراء وحاوره بما حاوره رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى خديجة فقال زملوني زملوني فنزلت يا ايها المدثر وعلى هذا نزلت يا ايها المزمل وقوله تعالى
قم الليل الا قليلا نصفه جمهور العلماء هو امر ندب وقيل كان فرضا وقت نزول الاية وقال بعضهم
كان فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وبقي كذلك حتى توفي وقيل غير هذا وقوله تعالى نصفه يحتمل
ان يكون بدلا من قوله قليلا ص الا قليلا استثناء من الليل ونصفه قيل بدل من الليل وعلى هذا
يكون استثناء الا قليلا منه اي قم نصف الليل الا قليلا منه والضمير في قوله او انقص منه او زد عليه
عائد على النصف وقيل نصفه بدل من قوله الا قليلا قاله ابو البقاء وهو الاشبه بظاهر الاية انتهى قال ع
وكيف ما تقلب المعنى فهو امر بقيام نصف الليل او اكثر شيئا او اقل شيئا فالاكثر عند العلماء لا يزيد على
الثلثين والاقل لا ينحط عن الثلث ويقوي هذا حديث ابن عباس في مبيته في بيت ميمونة قال فلما انتصف
الليل او قبله بقليل او بعده بقليل قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عطية ويلزم على هذا
البدل الذي ذكرناه ان يكون نصف الليل قد وقع عليه الوصف بقليل وقد يحتمل عندي قوله الا قليلا ان
يكون استثناء من القيام فنجعل الليل اسم جنس ثم قال الا قليلا اي الليالي التي تخل بقيامها لعذر وهذا
النظر يحسن مع القول بالندب جدا قال ص وهذا النظر خلاف ظاهر الاية انتهى والضمير في منه وعليه
عائد على النصف وقوله سبحانه ورتل معناه في اللغة تمهل وفرق بين الحروف لتبين والمقصد ان يجد الفكر
فسحة للنظر وفهم المعاني وبذلك يرق القلب ويفيض عليه النور والرحمة قال ابن كيسان المراد تفهمه
تاليا له وروي في صحيح الحديث ان قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بينة مترسلة لو شاء احد
ان يعد الحروف لعدها قال الغزالي في الاحياء واعلم ان الترتيل والتؤدة اقرب الى التوقير والاحترام واشد
تاثيرا في القلب من الهذرمة والاستعجال والمقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه وللناس
عادات مختلفة في الختم واولى ما يرجع اليه في التقدير قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه الصلاة
والسلام من قرا القران في اقل من ثلاث لم يفقهه وذلك لان الزيادة عليها تمنع الترتيل المطلوب
وقد كره جماعة الختم في يوم وليلة والتفصيل في مقدار القراءة انه ان كان التالي من العباد السالكين
طريق العمل فلا ينبغي له ان ينقص من ختمتين في الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب
الفكر او من المشغولين بنشر العلم فلا باس ان يقتصر في الاسبوع على ختمة وان كان نافذ الفكر في معاني
القران فقد يكتفي في الشهر بمرة لحاجته الى كثرة الترديد والتامل انتهى وروى ابن المبارك في رقائقه
قال حدثنا اسماعيل عن ابي المتوكل الناجي ان النبي صلى الله عليه وسلم قام ذات ليلة باية من القران
يكررها على نفسه انتهى قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا يعني القران واختلف لم سماه ثقيلا فقال
جماعة من المفسرين لما كان يحل برسول الله من ثقل الجسم حتى انه كان اذا اوحي اليه وهو على ناقة بركت
حتى كادت تحزم ان ترض فخذ زيد بن ثابت رضي الله عنه وقيل لثقله على الكفار والمنافقين باعجازه
ووعده ووعيده ونحو ذلك وقال حذاق العلماء معناه ثقيل المعاني من الامر بالطاعات والتكاليف
الشرعية من الجهاد ومزاولة الاعمال الصالحة دائما قال الحسن ان الهذ خفيف ولكن العمل ثقيل قلت
والصواب عندي ما ثقله باعتبار النبي صلى الله عليه وسلم فهو ما كان يجده عليه الصلاة والسلام من ثقل
المحسوس واما ثقله باعتبار سائر الامة فهو ما ذكر من ثقل المعاني وقد زجر مالك سائلا ساله عن مسالة
وقال يا عبد الله انما سالته خفيفة فغضب مالك وقال ليس في العلم خفيف اما سمعت قول الله تعالى
انا سنلقي عليك قولا ثقيلا فالعلم كله ثقيل انتهى من المدارك لعياض قوله سبحانه ان ناشئة الليل قال

ابن جبير

ابن جبير وغيره لفظة حبشية نشا الرجل اذا قام من الليل فناشئة على هذا جمع ناشئ اي قائم واشد
وطا معناه ثبوتا واستقلالا بالقيام وقرا ابو عمرو وابن عامر وجماعة كابن عباس وابن الزبير وغيرهم
وطاء بكسر الواو وممدودا على وزن فعال بمعنى المواطاة والموافقة وهو ان يواطئ قلبه لسانه والمواطاة هي
الموافقة فهذه مواطاة صحيحة لخلو البال من اشغال النهار وبهذا المعنى فسر اللفظ مجاهد وغيره قال
الثعلبي واختار هذه القراءة ابو عبيد وقال الجمهور ناشئة الليل ساعاته كلها لانها تنشا شيئا بعد شيء وقيل في تفسير
ناشئة الليل غير هذا وقرا انس بن مالك واصوب قيلا فقيل له انما هو اقوم فقال اقوم واصوب واهدى بمعنى واحد
وقوله ان لك في النهار سبحا طويلا اي تصرفا وترددا في امورك ومنه السباحة في الماء وتبتل معناه انقطع اليه
انقطاعا هذا لفظ ابن عطاء على ما نقله الثعلبي واما ابن عطية فقال معناه انقطع من كل شيء الا منه وافرغ
اليه قال زيد بن اسلم التبتل رفض الدنيا ومنه بتل الحبل وتبتيلا مصدر على غير المصدر قال ابو حيان
وحسنه كونه فاصلة انتهى قال ابن العربي في احكامه فالتبتل الماموربه في الاية الانقطاع الى الله تعالى بالخلوص
العبادة وهو اختيار البخاري والتبتل المنهي عنه في الحديث هو سلوك مسلك النصارى في ترك النكاح والترهب
في الصوامع انتهى والوكيل القائم بالامر الذي توكل اليه الاشياء وقوله واهجرهم هجرا جميلا منسوخ
باية السيف وقوله سبحانه وذرني والمكذبين اولي النعمة الاية وعيد بين والمعنى لا تشغل بهم فكرك وكلهم
الي والنعمة غضارة العيش وكثرة المال والمشار اليهم كفار قريش اصحاب القليب ببدر ولدينا بمنزلة عندنا و
الانكال جمع نكل وهو القيد من الحديد وروي انها قيود سود من النار والطعام ذو الغصة شجر الزقوم
قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس شوك من نار يعترض في حلوقهم وكل مطعوم هنالك فهو ذو غصة
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية فصعق والرجفان الاهتزاز والاضطراب من فزع وهول
والمهيل اللين الرخو الذي يذهب بالريح وقال البخاري كثيبا مهيلا رملا سائلا انتهى وقوله تعالى انا ارسلنا
اليكم الاية خطاب للعالم لكن المواجهون قريش وشاهدا عليكم نحو قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والوبيل
الشديد الردي وقوله تعالى فكيف تتقون معناه كيف تجعلون وقاية لانفسكم ويوما مفعول بتتقون
وقيل هو مفعول بكفرتم ويكون كفرتم بمعنى جحدتم فتتقون على هذا من التقوى اي تتقون عذاب الله و
ويجوز ان يكون يوما ظرفا والمعنى تتقون عقاب الله يوما وعبارة الثعلبي فكيف تتقون ان كفرتم اي
كيف تتحصنون من عذاب يوم يشيب فيه الطفل لهوله ان كفرتم ثم ذكر نحو ما نقله انتهى وحكى ص
عن بعض النحاة جواز ان يكون يوما ظرفا اي فكيف لكم بالتقوى في يوم القيامة ان كفرتم في الدنيا ت وهذا هو
مراد ابن عطية قال ابو حيان وشيبا مفعول ثان ليجعل وهو جمع اشيب انتهى وقوله تعالى السماء منفطر به اي
ذات انفطار والانفطار التصدع والانشقاق والضمير في به قال منذر وغيره عائد على اليوم وكذا قال ص
ان ضميره يعود على اليوم والباء سببية او ظرفية انتهى وفي صحيح البخاري من رواية عبد الله بن عمرو وذكر
صلى الله عليه وسلم بعث النار من كل الف تسع مائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة قال فذلك
يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق الحديث انتهى وقيل عائد على الله اي منفطر بامره وقدرته
والضمير في قوله وعده ظاهره انه يعود على الله تعالى قوله تعالى ان هذه تذكرة الاية الاشارة بهذه يحتمل
ان تكون الى ما ذكر من الانكال والجحيم والاخذ الوبيل ويحتمل ان تكون الى السورة بجملتها ويحتمل
ان تكون الى ايات القران بجملتها وقوله سبحانه فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ليس معناه اباحة الامر
وضده بل الكلام يتضمن الوعد والوعيد والسبيل هنا سبيل الخير والطاعة وقوله سبحانه ان ربك

يعلم انك تقوم الاية المعنى ان الله يعلم انك تقوم انت وغيرك من امتك قياما مختلفا مرة بكثرة ومرة بقلة ومرة ادنى من ثلثى الليل ومرة ادنى من النصف ومرة ادنى من الثلث وذلك لعدم تحصيل البشر لمقادير الزمان مع عذر النوم وتقدير الزمان حقيقة انما هو لله تعالى واما البشر فلا يحصى ذلك فتاب الله عليهم اى رجع بهم من الثقل الى الخفة وامرهم بقراءة ما تيسر ونحو هذا عبارة الفراء ومنذر فانهما قالا تحصوه تحفظوه وهذا التاويل هو على قراءة الخفض عطفا على الثلثين وهى قراءة ابى عمرو ونافع وابن عامر واما من قرا ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وهى قراءة باقى السبعة فالمعنى عندهم ان الله قد علم انهم يقدرون الزمان على نحو ما امر به تعالى فى قوله نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه فلم يبق الا قوله ان لن تحصوه فمعناه لن تطيقوا قيامه لكثرته وشدته فخفف الله عنكم فضلا منه لا لعلة جهلهم بالتقدير واحصاء الاوقات ونحو هذا نقل عن الحسن وابن جبير فانهما قالا لا تحصوه تطيقوه وعن الثعلبى ومن قرا بالنصب فالمعنى وتقوم نصفه وثلثه قال الفراء وهو الاشبه بالصواب لانه قال اقل من الثلثين ثم ذكر تفسير القلة لا تفسير اقل من القلة انتهى ولو عبر الفراء بالارجح لكان احسن ادبا وعن عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير الحمد لله وسبحان الله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفر لى او دعا استجيب له فان توضا فان توضا ثم صلى قبلت صلاته رواه الجماعة الا مسلما وتعار بتشديد الراء استيقظ انتهى من سلاح قوله تعالى فاقرءوا ما تيسر من القران قال الثعلبى اى ما خف وسهل بغير مقدار من القراءة والمدة وقيل المعنى فصلوا ما تيسر فعبر بالقراءة عنها قلت هذا هو الاصح عند ابن العربى انتهى قال ابن عطية قوله فاقرءوا ما تيسر من القران هو امر ندب فى قول الجمهور وقال جماعة هو فرض لا بد منه ولو خمسين اية وقال الحسن وابن سيرين قيام الليل فرض ولو قدر حلب شاة الا ان الحسن قال من قرا مائة اية لم يحاجه القران واستحسن هذا جماعة من العلماء قال بعضهم والركعتان بعد العشاء مع الوتر داخلتان فى امتثال هذا الامر ومن زاد زاده الله ثوابا قلت ينبغى للعاقل المبادرة الى تحصيل الخيرات قبل هجوم صولة الممات قال الباجى فى سنن الصالحين له قالت بنت الربيع بن خثيم لابيها يا ابت ما لى ارى الناس ينامون وانت لا تنام قال ان اباك يخاف النار قال الباجى رحمه الله ولى فى هذا المعنى نظم

قد افلح القانت فى جنح الدجى ... يتلو الكتاب العزيز النيرا
فقائما وراكعا وساجدا ... مبتهلا مستعبرا مستغفرا
له حنين وشهيق وبكا ... يبل من ادمعه ترب الثرى
انا لسفر نبتغى نيل الهدى ... ففى السرى بغيتنا لا فى الكرى
من ينصب الليل ينل راحته ... عند الصباح يحمد القوم السرى

انتهى والضرب فى الارض هو السفر للتجارة ابتغاء فضل الله سبحانه فذكر الله سبحانه اعذار بنى ادم التى هى حائلة بينهم وبين القيام ثم ذكر سبحانه الامر بقراءة ما تيسر منه تاكيدا واقيموا الصلاة واتوا الزكاة هنا هما المفروضتان قال ابن العربى فمن قال ان القيام بالليل غير واجب قال معنى الاية خلوا من هذا التنفل بما تيسر وحافظوا على فرائضكم ومن قال ان شيئا من القيام واجب قال قد قرنه الله بالفرائض لانه فرض واقرضوا الله قرضا حسنا هو سائر الاعمال الصالحة عند الجمهور وقرا الجمهور هو خيرا على ان يكون فصلا قال بعض العلماء الاستغفار بعد الصلاة مستنبط من هذه الاية ومن قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون قال ع وعهدت ابى يستغفر الله اثر كل مكتوبة ثلاثا بعقب السلام ويأثر فى ذلك حديثا فكان هذا الاستغفار من التقصير وتقلب الفكر اثناء الصلاة وكان السلف الصالح يصلون الى طلوع

الفجر ثم يجلسون للاستغفار قلت وما ذكره ابن عطية رحمه الله عن ابيه رواه مسلم وابو داود والترمذى والنسائى عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام قال الوليد فقلت للاوزاعى كيف الاستغفار فقال تقول استغفر الله استغفر الله وفى رواية لمسلم من حديث عائشة يا ذا الجلال والاكرام انتهى من سلاح المؤمن

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

سورة المدثر

مكية باجماع قوله عز وجل يا ايها المدثر قم فانذر الاية اختلف فى اول ما نزل من القران فقال الجمهور هو اقرأ باسم ربك وهذا هو الاصح وقال جابر وجماعة هو يا ايها المدثر ص والمدثر لابس الدثار وهو الثوب الذى فوق الشعار والشعار الثوب الذى يلى الجسد ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار انتهى قوله تعالى قم فانذر بعثه الى عامة جميع الخلق وربك فكبر اى فعظم وثيابك فطهر قال ابن زيد وجماعة هو امر بتطهير الثياب حقيقة وذهب الشافعى وغيره من هذه الاية الى وجوب غسل النجاسات من الثياب وقال الجمهور هذه الالفاظ استعارة فى تنقية الافعال والنفس والعرض وهذا كما تقول فلان طاهر الثوب ويقال للفاجر دنس الثوب قال ابن العربى فى احكامه والذى يقول انها الثياب المجازية اكثر وكثيرا ما تستعمله العرب قال ابو كبشة

ثياب بنى عوف طهارى نقية ... واوجههم عند المشاهد غران

يعنى بطهارة ثيابهم سلامتهم من الدناءات وقال غيلان بن سلمة الثقفى

فانى بحمد الله لا ثوب غادر ... لبست ولا من غدرة اتقنع

وليس يمتنع ان تحمل الاية على العموم المراد بها الحقيقة والمجاز على ما بيناه فى اصول الفقه واذا حملناها على الثياب المعلومة فهى تتناول معنيين احدهما تقصير الاذيال فانها اذا ارسلت تدنست وتقصير الذيل انقى للثوب وانقى لربه والمعنى الثانى غسلها من النجاسة فهو ظاهر منها صحيح فيها انتهى قال الشيخ ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه رايت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال يا على طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله فى كل نفس فقلت وما ثيابى يا رسول الله فقال ان الله كساك حلة المعرفة ثم حلة المحبة ثم حلة التوحيد ثم حلة الايمان ثم حلة الاسلام فمن عرف الله صغر لديه كل شئ ومن احب الله هان عليه كل شئ ومن وحد الله لم يشرك به شيئا ومن امن بالله امن من كل شئ ومن اسلم لله قلما يعصيه وان عصاه اعتذر اليه واذا اعتذر اليه قبل عذره قال ففهمت حينئذ معنى قوله عز وجل وثيابك فطهر انتهى من التنوير لابن عطاء الله والرجز يعنى الاصنام والاوثان وقال ابن عباس الرجز السخط يعنى اهجر ما يؤدى اليه ويوجبه واختلف فى معنى قوله تعالى ولا تمنن تستكثر فقال ابن عباس وجماعة لا تعط عطاء لتعطى اكثر منه وكانه من قولهم من اذا اعطى قال الضحاك هذا خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم ومباح لامته لكن لا اجر لهم فيه وقال الحسن بن ابى الحسن معناه ولا تمنن على الله بجدك تستكثر اعمالك ويقع لك بها اعجاب قال ابن عطية وهذا من المن الذى هو تعديد اليد وذكرها وقال مجاهد معناه ولا تضعف تستكثر ما حملناك من اعباء الرسالة وتستكثر من الخير وهذا من قولهم حبل منين اى ضعيف ولربك فاصبر اى لوجه ربك وطلب رضاه فاصبر على اذى الكفار وعلى العبادة وعن الشهوات وعلى تكاليف النبوة وقال ابن زيد وعلى حرب الاحمر والاسود ولقد حمل امرا عظيما صلى الله عليه وسلم والناقور الذى ينفخ فيه وهو الصور قاله ابن عباس وعكرمة وهو فاعول من

النقر قال ابو حيان القصاب امنا زرارة بن اوفى فلما بلغ فاذا نقر في الناقور خر ميتا قال
الفخر قوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير اي على الكافرين غير يسير دل على انه يسير على المؤمنين
وهذا هو دليل الخطاب ويحتمل ان يكون انما وصفه تعالى بالعسر لانه في نفسه للجميع من المؤمنين و
الكافرين الا انه هو على الكافرين اكثر واشد وعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله يوم عسير انتهى
وقوله ذرني ومن خلقت وحيدا الاية لا خلاف بين المفسرين ان هذه الاية نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي
انه كان يلقب الوحيد اي لا نظير له في ماله وشرفه في بيته فذكر الوحيد في جملة النعم التي اعطى وان لم يثبت
هذا فقوله تعالى خلقت وحيدا معناه منفردا قليلا ذليلا والمال الممدود قال مجاهد وابن جبير
هو الف دينار وقال سفيان بلغني انه اربعة الاف دينار وقال قتادة قيل عشرة الاف دينار قال ابن عطية وهذا
مد في العدد وقال عمر بن الخطاب المال الممدود الريع المستغل مشاهرة وبنين شهودا اي حضورا قيل
عشرة وقيل ثلاثة عشر قال الثعلبي اسلم منهم ثلاثة خالد بن الوليد وهشام وعمارة قال فما زال الوليد
بعد نزول هذه الاية في نقصان من ماله وولده حتى هلك انتهى ومهدت له تمهيدا قال سفيان بسطت له
العيش بسطا وقوله تعالى كلا رد وزجر له على امنيته وارهقه معناه اكلفه بمشقة وعسر وصعودا
عقبة في نار جهنم وروى ذلك ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم كلما وضع عليها شيء من الانسان ذاب ثم
يعود والصعود في اللغة العقبة الشاقة قوله تعالى مخبرا عن الوليد انه فكر وقدر الاية روى جمهور
المفسرين ان الوليد سمع من القران ما اعجبه ومدحه ثم سمع كذلك مرارا حتى كاد ان يقارب الاسلام
وقال والله لقد سمعت من محمد كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه
لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبا الوليد لتصبون
قريش فقال ابو جهل انا اكفيكموه فحاجه ابو جهل وجماعة حتى غضب الوليد وقال تزعمون ان محمدا
مجنون فهل رايتموه يخنق قط قالوا لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب
قط قالوا لا قال تزعمون انه شاعر فهل رايتموه ينطق بشعر قط قالوا لا قال تزعمون انه كاهن
فهل رايتموه يتكهن قط قالوا لا وكانوا يسمونه قبل النبوة الامين لصدقه فقالت قريش ما عندك
فيه فتفكر في نفسه فقال ما ارى فيه شيئا مما ذكرتموه فقالوا هو سحر قال ما هذا فيشبه
والفاظ الرواة هنا متقاربة المعاني من رواية الزهري وغيره قوله تعالى فقتل كيف قدر قال الثعلبي
وغيره قتل معناه لعن انتهى وبسر اي قطب ما بين عينيه واربد وجهه ثم ادبر عن الهدى بعد ان
اقبل اليه وقال ان هذا الا سحر يؤثر اي يروى ويرويه محمد عن غيره وسقر هي الدرك السادس منها
لا تبقي على من القي فيها ولا تذر غاية من العذاب الا وصلته اليه قوله تعالى لواحة للبشر قال
ابن عباس وجمهور الناس معناه مغيرة للبشر اي محرقة للجلود ومسودة لها فالبشر جمع بشرة وقال
الحسن وابن كيسان لواحة بناء مبالغة من لاح يلوح اذا ظهر فالمعنى انها تظهر للناس وهم البشر
من مسيرة خمسمائة عام وذلك لعظمها وهولها وزفيرها وقوله تعالى عليها تسعة عشر لا خلاف
بين العلماء انهم خزنة جهنم المحيطون بامرها الذين اليهم جماع امر زبانيتها وروي ان قريشا
لما سمعت هذا كثر لغطهم فيه وقالوا لو كان هذا حقا فان هذا العدد قليل وقال ابو جهل هؤلاء
تسعة عشر وانتم الدهم اي الشجعان افيعجز عشرة منا عن رجل منهم الى غير هذا من اقوالهم السخيفة
وقوله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة تبيين لفساد اقوال قريش اي انا جعلناهم خلقا

لا قبل لاحد من كتابهم وجعلنا عدتهم هذا القدر فتنة للكفار ليقع منهم من التعاطي والطمع في المغالبة
ما وقع وليستيقن اهل الكتاب التوراة والانجيل ان هذا القران من عند الله اذ هم يجدون هذه
العدة في كتبهم المنزلة قال هذا المعنى ابن عباس وغيره وبورود الحقائق من عند الله عز وجل يزداد كل ذي
ايمان ايمانا ويزول الريب عن المصدقين من اهل الكتاب والمؤمنين وقوله سبحانه وليقول الذين في
قلوبهم مرض الاية نوع من الفتنة لهذا الصنف المنافق او الكافر اي حاروا ولم يهتدوا للمقصد الحق
فجعل بعضهم يستفهم بعضا عن مراد الله بهذا المثل استبعادا ان يكون هذا من عند الله قال الحسين بن
الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وانما المرض في هذه الاية الاضطراب وضعف الايمان
وقوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو اعلام بان الامر فوق ما يتوهم وان الخبر انما هو عن بعض
القدرة لا عن كلها قلت صوابه ان يقول عن بعض المقدورات لا عن كلها وهذا هو مراده الا نراه
قال في قوله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه يعني بشيء من معلوماته لان علمه تعالى لا يتجزى فافهم راشدا و
السموات كلها عامرة بانواع من الملائكة كلهم في عبادة متصلة وخشوع دائم لا فترة في شيء من ذلك
ولا دقيقة واحدة قال مجاهد والضمير في قوله وما هي الا ذكرى للنار المذكورة اي يذكر بها البشر فيخافونها فيطيعون
الله وقال بعضهم قوله وما هي يراد بها الحال والمخاطبة والنذارة واقسم تعالى بالقمر وما بعده تنبيها على
النظر في ذلك والفكر المؤدي الى تعظيمه وتحصيل معرفته تعالى مالك الملك وقوام الوجود ونور السموات
والارض لا اله الا هو العزيز القهار وادبر الليل معناه ولى واسفر الصبح اضاء وانتشر ضوءه قال
ابن زيد وغيره الضمير في قوله انها لاحدى الكبر لجهنم ويحتمل ان يكون الضمير للنذارة وامر الاخرة
فهو للحال والقصة ص والكبر جمع كبرى وقال ابن عطية جمع كبيرة ولعله وهم من الناسخ انتهى
قوله سبحانه نذيرا للبشر قال الحسن لا نذير ادهى من النار وقال ابن زيد نذيرا للبشر هو محمد صلى الله عليه
وسلم وقوله سبحانه لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر قال الحسن هو وعيد نحو قوله فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر ثم قوى سبحانه هذا المعنى بقوله كل نفس بما كسبت رهينة ولا يرتهن تعالى احدا من
اهل الجنة ان شاء الله وقوله سبحانه الا اصحاب اليمين استثناء ظاهره الانفصال تقديره لكن اصحاب اليمين في
جنات ص في جنات اي هم في جنات فيكون خبر مبتدا محذوف ت واعربه ابو البقاء حالا من الضمير في
يتساءلون انتهى قال ابن عباس اصحاب اليمين هنا الملائكة وقال الضحاك هم الذين سبقت لهم من الله
الحسنى وقال الحسن وابن كيسان هم المسلمون المخلصون ليسوا بمرتهنين قلت واسند ابو عمر بن عبد البر
عن علي بن ابي طالب في قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين قال اصحاب اليمين اطفال المسلمين انتهى
من التمهيد وقولهم ما سلككم اي ما ادخلكم فيحتمل ان يكون من قول اصحاب اليمين للادميين او من قول
الملائكة وقوله تعالى قالوا يعني الكفار لم نك من المصلين الاية وفي نفي الصلاة يدخل الايمان بالله والمعرفة
به والخشوع له ولم نك نطعم المسكين يشمل الصدقة فرضها كانت او نفلا وكنا نخوض مع الخائضين عبارة
عن الباطل والتكذيب بيوم الدين كفر صريح حتى اتانا اليقين يعني الموت قاله المفسرون قال ابن عطية
وعندي ان اليقين صحة ما كانوا يكذبون به من الرجوع الى الله والدار الاخرة وقد تقدم ذكر احاديث
الشفاعة قال الفخر واحتج اصحابنا بهذه الاية على ان الكفار يعذبون بترك فروع الشريعة والاستقصاء
فيه قد ذكرناه في المحصول انتهى وقوله تعالى في صفة الكفار المعرضين كانهم حمر مستنفرة اثبات
لجهلهم لان الحمر من جاهل الحيوان جدا وفي حرف ابن مسعود حمر نافرة قال ابن عباس وابو هريرة وجمهور من

اللغويين القسورة الاسد وقيل غير هذا بل يريد كل امرئ منهم اي من هؤلاء ان يؤتى صحفا منشرة اي يريد
كل انسان منهم ان ينزل عليه كتاب من الله ومنشرة اي منشورة غير مطوية وقوله كلا رد على ارادتهم
اي ليس الامر كذلك ثم قال بل لا يخافون الآخرة المعنى هذه هي العلة والسبب في اعراضهم فكان جهلهم بالآخرة
سبب امتناعهم من الهدى حتى هلكوا ثم اعاد تعالى الرد والزجر بقوله كلا واخبر هذا القول والبيان
وهذه المحاورة بجملتها تذكرة فمن شاء ووفقه الله لذلك ذكر معاده فعمل له ثم اخبر سبحانه ان ذكر
الانسان معاده وجريه الى فلاحه انما هو كله بمشيئة الله تعالى وليس يكون شيء الا بها وقرا ابو عمرو
وعاصم وابن كثير يذكرون بالياء من تحت وقوله سبحانه هو اهل التقوى واهل المغفرة خبر جزم
معناه ان الله عز وجل اهل بصفاته العلى ونعمه التي لا تحصى لان يتقى ويطاع امره ويحذر عصيانه
وانه بفضله وكرمه اهل ان يغفر لعباده اذا اتقوه وروى ابن ماجه عن انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قرا هذه الآية هو اهل التقوى واهل المغفرة فقال قال الله تعالى انا اهل ان اتقى فلا يجعل
معي اله آخر فمن اتقى ان يجعل معي الها آخر فانا اهل ان اغفر له واخرجه ابو عيسى الترمذي بمعناه
وقال حديث حسن انتهى بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم تسليما سورة القيامة مكية باجماع قوله تعالى لا اقسم بيوم القيامة
ولا اقسم بالنفس اللوامة هذه قراءة الجمهور وقرا ابن كثير لاقسم بيوم القيامة ولا اقسم فقيل على قراءة الجمهور
لا زائدة قال الفراء لا نفي لكلام الكفار وزجرهم ورد عليهم وجمهور المتأولين على ان الله اقسم بيوم القيامة
وبالنفس اللوامة اقسم سبحانه بيوم القيامة تنبيها منه على عظمه وهوله قال الحسن النفس اللوامة هي اللوامة
لصاحبها في ترك الطاعة ونحو ذلك فهي على هذا ممدوحة ولذلك اقسم الله بها وقال ابن عباس وقتادة اللوامة
هي الفاجرة اللوامة لصاحبها على ما فاته من سعي الدنيا واعراضها وعلى هذا التاويل يحسن نفي القسم بها و
النفس في الآية اسم جنس قال ابن عطية وكل نفس متوسطة ليست بالمطمئنة ولا بالامارة بالسوء
فانها لوامة في الطرفين مرة تلوم على ترك الطاعة ومرة تلوم على فوت ما تشتهي فاذا اطمانت خلصت وصفت
قال الثعلبي وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن دل عليه قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه
اي للاحياء والبعث والانسان هنا الكافر المكذب بالبعث انتهى والبنان الاصابع وتسوية بنانه معناه
تنقيها سوية قاله القتبي وهذا كله عند البعث وقال ابن عباس وجمهور المفسرين المعنى بل نحن قادرون
ان نسوي بنانه اي نجعل اصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير او كحافر الحمار ولا يمكنه
ان يعمل بها شيئا ففي هذا توعد والقول الاول اجرى مع رصف الكلام بل يريد الانسان ليفجر امامه
معناه ان الانسان انما يريد شهواته ومعاصيه ليمضي فيها ابدا راكبا راسه ومطيعا امله ومسوفا
توبته قال البخاري ليفجر امامه يقول سوف اتوب سوف اعمل انتهى قال الفخر قوله ليفجر امامه فيه
قولان الاول انه يديم على فجوره فيما يستقبل من الزمان لا ينزع عنه فعن ابن جبير يقدم الذنب
ويؤخر التوبة يقول سوف اتوب سوف اتوب حتى ياتيه الموت على اشر احواله واسوء اعماله القول
الثاني ليفجر امامه اي يكذب بما امامه من البعث والحساب لان من كذب حقا كان مفاجرا
والدليل على هذا القول قوله تعالى يسال ايان يوم القيامة اي متى يكون ذلك تكذيبا له انتهى
وسؤال الكفار بايان هو على معنى التكذيب والهزء وايان بمعنى متى وقرا عاصم ونافع بخلاف
برق البصر بفتح الراء بمعنى لمع وصار له بريق وحار عند الموت وقرا ابو عمرو وغيره بكسرها بمعنى

شخص

شخص والمعنى متقارب قال مجاهد هذا عند الموت وقال الحسن هذا في يوم القيامة قال
ابو عبيدة وجماعة من اللغويين الخسوف والكسوف بمعنى واحد وقال ابن ابي اويس الكسوف
ذهاب بعض الضوء والخسوف ذهاب جميعه وروى عروة وسفيان ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا تقولوا كسفت الشمس ولكن قولوا خسفت وقرا ابن مسعود وجمع بين الشمس والقمر واختلف في
معنى الجمع بينهما فقال عطاء يجمعان فيقذفان في النار وقيل في البحر فيصيران نار الله العظمى وقيل يجمع بين
الضوءين فيذهب بهما قال الثعلبي وقال علي وابن عباس يجعلان في نور الحجب انتهى يقول الانسان
يومئذ اين المفر اي الفرار كلا لا وزر اي لا ملجا والمستقر موضع الاستقرار وقوله تعالى ينبؤا الانسان
يومئذ بما قدم واخر اي يعلم بكل ما فعل ويجده محصلا وقال ابن عباس وابن مسعود بما قدم
في حياته وما اخر من سنة سنها بعد مماته وقوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة قال ابن عباس
وغيره اي للانسان على نفسه من نفسه بصيرة وفقهاء يشهدون عليه وهم جوارحه وحفظته
ويحتمل ان يكون المعنى بل الانسان على نفسه شاهد ودليله قوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا قال الثعلبي قال ابان بن تغلب البصيرة والبينة والشاهد بمعنى ونحوه للهروي قال ع والمعنى
على هذا التاويل الثاني ان الانسان في عقله وفطرته حجة وشاهد مبصر على نفسه ولو القى
معاذيره اي ولو اعتذر عن قبيح افعاله فهو يعلمها قاله الجمهور والمعاذير هنا جمع معذرة وقال
الضحاك والسدي هي الستور بلغة اليمن يقولون للستر المعذار قوله تعالى لا تحرك به لسانك الآية
قال كثير من المفسرين وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج
من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه مخافة ان يذهب عنه ما يوحى اليه فنزلت الآية بسبب
ذلك واعلمه الله انه يجمعه له في صدره وقوله وقرآنه يحتمل ان يريد وقرآنه اي تقرؤه انت يا محمد
وقوله فاذا قرآناه اي قراه الملك الرسول عنا فاتبع قرآنه قال البخاري قال ابن عباس فاتبع اي اعمل به
وقال البخاري ايضا قوله ان علينا جمعه وقرآنه اي تاليف بعضه الى بعض فاذا قراناه فاتبع قرآنه
اي ما جمع فيه فاعمل بما امرك وانته عما نهاك انتهى قوله تعالى ثم ان علينا بيانه قال قتادة وجماعة
معناه ان نبينه لك وقال البخاري ان نبينه على لسانك وقوله تعالى كلا بل تحبون العاجلة اي الدنيا وشهواتها
قال الغزالي في الاحياء اعلم ان راس الخطايا المهلكة هو حب الدنيا وراس اسباب النجاة هو التجافي
بالقلب عن دار الغرور وقال رحمه الله اعلم انه لا وصول الى سعادة لقاء الله سبحانه في الآخرة الا بتحصيل محبته
والانس به في الدنيا ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس
الا بالمحبة ودوام الذكر ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب
ولا ينقلع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوات
بشيء كما تنقمع بنار الخوف المحرقة للشهوات انتهى وقرا ابن كثير وغيره يحبون ويذرون بالياء على
ذكر الغائب ولما ذكر سبحانه الآخرة اخبر بشيء من حال اهلها فقال وجوه يومئذ ناضرة اي ناعمة و
النضرة النعمة وجمال البشرة قال الحسن وحق لها ان تنضر وهي تنظر الى خالقها قوله تعالى الى ربها
ناظرة حمل جميع اهل السنة هذه الآية على انها متضمنة رؤية المؤمنين لله عز وجل بلا تكييف ولا
تحديد كما هو معلوم موجود لا يشبه الموجودات كذلك هو سبحانه مرئي لا يشبه المرئيات في شيء
فانه ليس كمثله شيء لا اله الا هو وقد تقدم استيفاء الكلام على هذه المسالة وما في ذلك من صحيح الاحا

والباسرة العابسة المغمومة النفوس والبسور اشد العبوس وانما ذكر تعالى الوجوه لان فيها
يظهر ما في النفس من سرور او غم والمراد اصحاب الوجوه والفاقرة المصيبة التي تكسر فقار الظهر
وقال ابو عبيدة هي من فقرت البعير اذا وسمت انفه بالنار قوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي زجر وتذكير
ايضا بموطن من مواطن الهول وهي حالة الموت الذي لا محيد عنه وبلغت يريد النفس والتراقي
جمع ترقوة وهي عظام اعلى الصدر ولكل احد ترقوتان لكن جمع من حيث ان النفس المراد اسم جنس
والتراقي هي موازنة للحلاقيم فالامر كله كناية عن حال الحشرجة ونزاع الموت يسر الله علينا بمنته
وجعله راحة لنا من كل شر واختلف في معنى قوله وقيل من راق فقال ابن عباس وجماعة معناه من يرقي
ويطب ويشفي ونحو هذا مما يتمناه اهل المريض وقال ابن عباس ايضا وسليمان التيمي ومقاتل هذا
القول للملائكة والمعنى من يرقى بروحه اي يصعد بها الى السماء املائكة الرحمة ام ملائكة العذاب
وظن انه الفراق اي ايقن وهذا يقين فيما لم يقع بعد ولذلك استعملت فيه لفظة الظن قوله تعالى
والتفت الساق بالساق قال ابن المسيب والحسن هي حقيقة والمراد ساقا الميت عند تكفينه اي لفهما
الكفن وقيل هو التفافهما من شدة المرض وقيل غير هذا وقوله فلا صدق ولا صلى الاية قال جمهور
المفسرين هذه الاية كلها انما نزلت في ابي جهل قال ابن عطية ثم كادت هذه الاية ان تصرح به في قوله
يتمطى فانها كانت مشيته وقوله فلا صدق ولا صلى تقديره فلم يصل ولم يصدق فلا في الاية
نفي لا عاطفة ص قوله فلا صدق فيه دليل على ان لا تدخل على الماضي فتنفيه كقول الراجز

ان تغفر اللهم تغفر جما   واي عبد لك لا الما

انتهى وصدق معناه برسالة الله ودينه وذهب ابو حيان الى انه من الصدقة والاول اصوب ويتمطى معناه
يمشي المطيطى وهي مشية بتبختر وهي مأخوذة من المطا وهو الظهر لانه يتثنى فيها زاد ابو حيان وقيل اصله يتمطط
اي يتمدد في مشيته ومد منكبيه انتهى وقوله اولى لك فاولى وعيد ثان وكرر ذلك تاكيدا
ومعنى اولى لك الازدجار والانتهار والعرب تستعمل هذه الكلمة زجرا ومنه فاولى لهم طاعة ويروى ان
النبي صلى الله عليه وسلم لبب ابا جهل يوما في البطحاء وقال له ان الله يقول لك اولى لك فاولى فنزل
القران على نحوها وفي شعر الخنساء: هممت بنفسي كل الهموم   فاولى لنفسي اولى لها : ايحسب
توبيخ وسدى معناه مهملا لا يومر ولا ينهى ثم قرر تعالى احوال ابن ادم في بدايته التي تاملها لم ينكر
معها جواز البعث من القبور عاقل والعلقة القطعة من الدم فخلق فسوى اي فخلق الله منه بشرا
مركبا من اشيا مختلفة فسواه شخصا مستقلا والزوجين النوعين ثم وقف تعالى توقيف توبيخ
بقوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا هذه الاية قال
بلى وروي انه كان يقول سبحانك اللهم وبحمدك بلى انظر سنن ابي داود بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما سورة الانسان قيل مكية وقيل مدنية
وقال الحسن وعكرمة منها اية مكية وهي قوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا والباقي مدني قوله تعالى
هل اتى على الانسان الاية هل في كلام العرب قد تجي بمعنى قد حكاه سيبويه لكنها لا تخلو من تقرير
وبابها المشهور الاستفهام المحض والتقرير احيانا قال ابن عباس هل بمعنى قد والانسان يراد به ادم
وقال اكثر المتاولين هل تقرير والانسان اسم جنس اي اذا تامل كل انسان نفسه علم بانه قد مر
حين من الدهر عظيم لم يكن فيه شيئا مذكورا وهذا هو القوي ان الانسان اسم جنس وان الاية جعلت عبرة

لكل احد من الناس ليعلم ان الخالق له قادر على اعادته ص لم يكن شيئا في موضع حال من الانسان
او في موضع صفة لحين والعائد عليه محذوف اي لم يكن فيه انتهى قوله تعالى انا خلقنا الانسان
الاية الانسان هنا اسم جنس بلا خلاف وامشاج معناه اخلاط قيل هو امشاج ماء الرجل بماء المرأة
ونقل الفخر ان الامشاج لفظ مفرد وليس بجمع بدليل انه وقع صفة للمفرد وهو قوله نطفة انتهى
اي نختبره بالايجاد والكون في الدنيا وهو حال من الضمير في خلقنا كانه قال مختبرين له بذلك وقوله تعالى
فجعلناه سميعا بصيرا عطف جملة نعم على جملة نعم وقيل المعنى فلنبتليه جعلناه سميعا بصيرا وهديناه
يحتمل ان يكون بمعنى ارشدناه ويحتمل ان يكون بمعنى اريناه وليس الهدى في هذه الاية بمعنى خلق الهدى
والايمان وعن ابن عباس الثعلبي هديناه السبيل بيناه وعرفناه الهدى والضلال والخير والشر كقوله
وهديناه النجدين انتهى قوله تعالى اما شاكرا واما كفورا حالان وقسمتهما اما والابرار جمع بار
قال الحسن هم الذين لا يؤذون الذر ولا يرضون الشر قال قتادة نعم قوم تمزج لهم بالكافور وتختم
بالمسك قال الفراء يقال ان في الجنة عينا تسمى كافورا وقوله تعالى عينا قيل هو بدل من قوله كافورا وقيل
هو مفعول بقوله يشربون اي ماء هذه العين من كاس عطرة كالكافور وقيل نصب على المدح او باضمار
اعني وقوله تعالى يشرب بها بمنزلة يشربها فالباء زائدة قال الثعلبي قال الواسطي لما اختلفت احوالهم
في الدنيا اختلفت اشربتهم في الاخرة انتهى قال ص وقيل الباء في بها للالصاق والاختلاط اي يشرب بها
عباد الله الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل انتهى وقوله تعالى يفجرونها معناه يفتقونها ويقودونها
حيث شاءوا من منازلهم وقصورهم فهي تجري عند كل احد منهم ورد بهذا الاثر وقيل عين في
دار النبي صلى الله عليه وسلم تفجر الى دور الانبياء والمومنين قال ابن عطية وهذا قول الحسن ثم وصف
تعالى حال الابرار فقال يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا اي ممتدا منتشرا شائعا
قوله تعالى على حبه يحتمل ان يعود الضمير على الطعام وهو قول ابن عباس ويحتمل ان يعود على الله تعالى قاله ابو سليمان
الداراني وقوله واسيرا قال الحسن ما كان اسراهم الا مشركين لان في كل ذي كبد رطبة اجرا وفي
العتبية سئل مالك عن الاسير في هذه الاية امسلم هو ام مشرك فقال بل مشرك وكان ببدر اسارى
فانزلت فيهم هذه الاية قال ابن رشد والاظهر حمل الاية على كل اسير مسلما كان او كافرا انتهى يعني
وان كان سبب نزولها ما ذكر فهي عامة في كل اسير الى يوم القيامة وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى
الله عليه وسلم مسكينا فقال فقيرا ويتيما قال لا اب له واسيرا قال المملوك والمسجون واسند الطبري
في رسالته عن نافع عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكل شي مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله يوم القيامة انتهى وروى
الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم احيني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين
(في الهامش: وامتني مسكينا)
يوم القيامة فقالت عائشة لم يا رسول الله قال انهم يدخلون الجنة قبل اغنيائهم باربعين خريفا يا عائشة
لا ترد المسكين ولو بشق تمرة يا عائشة احبي المساكين وقربيهم فان الله يقربك يوم القيامة
قال ابو عيسى هذا حديث غريب انتهى وقوله انما نطعمكم الاية قال مجاهد وابن جبير ما تكلموا
به ولكنه علمه الله من قلوبهم فاثنى عليهم ليرغب في ذلك راغب ووصف اليوم بعبوس
تجوزا والقمطرير هو في معنى العبوس والارتداد تقول اقمطر الرجل اذا جمع ما بين عينيه
غضبا وقال ابن عباس يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل ما بين عينيه كالقطران وعبر عبد

عن القصر بما الطويل وعبر عنه بالشديد وذلك كله قريب في المعنى والنضرة جمال البشرة وذلك
لا يكون الا مع فرح النفس وقرة العين وقوله بما صبروا اى على الصبر عن الشهوات وعلى الطاعات
والشدائد وفي هذا يدخل كل ما خصص يحصرون من صوم وفقر ونحوه وقوله سبحانه لا يرون
فيها شمسا الآية عبارة عن اعتدال هوائها وذهاب ضرري الحر والقر والزمهرير اشد البرد
والقطوف جمع قطف وهو العنقود من النخل والعنب ونحوه والقوارير الزجاج وقوله من فضة
وذلك متمكن لكونه من زجاج في شفوفه ومن فضة في جوهره وكذلك فضة الجنة شفافة قال
الطبري في تذكرته وذلك ان لكل قوم من تراب ارضهم قوارير وان تراب الجنة فضة فهي قوارير
من فضة قاله ابن عباس انتهى وقوله تعالى قدروها تقديرا اى على قدر ريهم قاله مجاهد وعلى قدر
الاكف قاله الربيع وضمير قدروها يعود اما على الملائكة او على الطائفين او على المنعمين وقوله سبحانه
عينا فيها تسمى سلسبيلا عينا بدل من كاسا او من عين على القول الثاني وسلسبيلا قيل هو اسم بمعنى
السلس المنقاد الجرية وقال مجاهد حديدة الجرية وقال آخرون سلسبيلا صفة لقوله عينا
وتسمى بمعنى توصف وتشهر وكونه مصروفا مما يؤيد كونه صفة للعين لا اسما وقوله تعالى
حسبتهم لؤلؤا منثورا قال الامام الفخر وفي كيفية التشبيه وجوه احدها انهم شبهوا
في حسنهم وصفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم في انواع الخدمة باللؤلؤ المنثور ولو
كانوا صفا لشبهوا باللؤلؤ المنظوم الا ترى انه تعالى قال ويطوف عليهم ولدان فاذا كانوا يطوفون
كانوا متناثرين الثاني ان هذا من التشبيه العجيب لان اللؤلؤ اذا كان متفرقا يكون احسن في المنظر
لوقوع شعاع بعضه على بعض الثالث انهم شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لانه احسن واجمل انتهى
قوله تعالى واذا رايت ثم قال كفر النقدير واذا رايت ما ثم رايت نعيما تحذف ما وكررت
الرؤية مبالغة وملكا كبيرا وهو ان ادناهم منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى
اقصاه كما يرى ادناه وخرجه الترمذي وفي الترمذي ايضا من رواية ابى سعيد قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون الف خادم واثنتان وسبعون زوجة
وتنصب لهم قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء انتهى وقال سفيان الملك
الكبير هو استئذان الملائكة وتسليمهم عليهم وتعظيمهم لهم قال الثعلبي وقال محمد بن على الترمذي
يعني ملك التكوين اذا ارادوا شيئا كان انتهى ن وجميع ما ذكر داخل في الملك الكبير وقرا نافع وحمزة
عاليهم بالنصب والمعنى فوقهم قال الثعلبي وتفسير ابن عباس قال اما رايت الرجل عليه ثياب يعلوها
افضل منها انتهى وقرا حمزة والكسائي وحفص خضر واستبرق بالخفض فيهما وباقي الآية بين
وقوله سبحانه انا نحن نزلنا عليك القرآن الآية تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم وتقوية لنفسه
على اذى قريش والآثم هنا هو الكفور واللفظ ايضا يقتضي نهي الامام عن طاعة آثم من العصاة
او كفور بالله ثم امره تعالى بذكر ربه دابا بكرة واصيلا ومن الليل بالسجود وكتسبيح الذي
هو الصلاة ويحتمل ان يريد قول سبحان الله قال ابن زيد وغيره كان هذا فرضا ثم نسخ وقال
آخرون هو محكم على وجه الندب وقال ابن العربي في احكامه اما قوله تعالى وسبحه ليلا طويلا
فانه عبارة عن قيام الليل وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله كما تقدم وقد يحتمل ان يكون
هذا خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد الجميع ثم نسخ عنا وبقي عليه صلى الله عليه وسلم

يقتضي انها من زجاج

والاول

والاول اظهر انتهى وقوله ان هؤلاء يعني كفار قريش يحبون العاجلة يعني الدنيا واعلم ان حب الدنيا
راس كل خطيئة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند
الناس يحبك الناس رواه ابن ماجه وغيره باسانيد جيدة حسنة قال ابن الفاكهاني قال القاضي
ابو الوليد بن رشد واما الباعث على الزهد فخمسة اشياء احدها انها فانية شاغلة للقلوب عن التفكر
في امر الله تعالى والثاني انها تنقص عند الله درجات من ركن اليها والثالث ان تركها قربة من الله
وعلو مرتبة عنده في درجات الآخرة والرابع طول الحبس والوقوف في القيامة للحساب والسؤال عن شكر
النعم والخامس رضوان الله تعالى والامن من سخطه وهو اكبرها قال الله عز وجل ورضوان من الله
اكبر قال ابن الفاكهاني ولو لم يكن في الزهد في الدنيا الا هذه الخصلة التي هي رضوان الله تعالى لكان ذلك
كافيا فنعوذ بالله من ايثار الدنيا على ذلك وقد قيل من سمي باسم الزهد فقد سمي بالف اسم ممدوح
هذا مع ما للزاهد من راحة القلب والبدن في الدنيا والآخرة فالزهاد هم الملوك في الحقيقة
وهم العقلاء لايثارهم الباقي على الفاني وقد قال الشافعي رضي الله عنه لو اوصى لاعقل الناس صرف الى
الزهاد انتهى من شرح الاربعين حديثا ولفظ ابي الحسن الماوردي وقد قيل العاقل من عقل عن الله
امره ونهيه حتى قال اصحاب الشافعي فيمن اوصى بثلث ماله لاعقل الناس انه يكون مصروفا للزهاد لانهم
انقادوا للعقل ولم يغتروا بالامل انتهى والاسر الخلقة واتساق الاعضاء والمفاصل وعبارة البخاري
اسرهم شدة الخلق وكل شيء شددته من قتب او غبيط فهو ماسور والغبيط شيء يركبه النساء شبه
المحفة انتهى قال ابن عطية ومن اللفظة الاسار وهو القد الذي يشد به الاسير ثم توعدهم سبحانه
بالتبديل وفي التوعد بالتبديل احتجاج على منكري البعث اي من هذه قدرته في الايجاد والتبديل فكيف
تتعذر عليه الاعادة قال الثعلبي بدلنا امثالهم تبديلا قال ابن عباس اهلكناهم وجئنا
باطوع لله منهم انتهى قوله تعالى ان هذه تذكرة القول فيها كالتي في سورة المزمل قوله سبحانه فمن شاء
اتخذ الى ربه سبيلا كلام واضح لا يفتقر الى تفسير جعلنا الله ممن اهتدى بانواره وعمت عليه بركته
في افعاله واقواله قال التتائي قال بعض اهل داود الطائي قلت له يوما انك قد عرفت فاوصني
فدمعت عيناه ثم قال يا اخي انما الليل والنهار مراحل يرحلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي بهم
الى آخر سفرهم فان استطعت ان تقدم من اول مرحلة زادا لما بين يديك فافعل فان انقطاع السفر
قريب والامر اعجل من ذلك فتزود لسفرك واقض ما انت قاض من امرك فكان بالامر قد بغتك
ثم قام وتركني انتهى من سنن الصالحين وقوله تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله نفي لقدرتهم
على الاختراع وايجاد المعاني التي في نفوسهم ولا يرد هذا وجود ما لهم من الاكتساب وقرا عبد الله
وما تشاؤون الا ما شاء الله وقوله تعالى عليما حكيما معناه يعلم ما ينبغي ان ييسر عبده اليه وفي ذلك
حكمة لا يعلمها الا هو سبحانه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما سورة والمرسلات مكية في قول الجمهور وقيل فيها من المدني قوله
تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون قال ابن مسعود نزلت هذه السورة ونحن مع النبي صلى الله عليه
وسلم بحراء الحديث قوله تعالى والمرسلات عرفا يعني الرياح يتبع بعضها بعضا قاله ابن عباس وابن مسعود
ومجاهد وقتادة وقيل المرسلات الملائكة وقيل جماعات الانبياء عرفا معناه افضالا من الله
ويحتمل ان يريد بقوله عرفا اي متتابعة ويحتمل ان يريد بالامر بالمعروف ويحتمل ان يكون

عرفا بمعنى والمرسلات التي يعرفها الناس ويعدونها ثم عقب بذكر الصنف الضار منها
وهي العاصفات الشديدة العاصفة للشجر وغيره و اختلف في قوله والناشرات فقال ابن مسعود
والحسن ومجاهد وقتادة هي الرياح تنشر رحمة الله ومطره وقيل الملائكة وقيل غير هذا والفارقات
قال ابن عباس وغيره هم الملائكة تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل هي آيات القرآن
و اما الملقيات ذكرا فهي في قول الجمهور الملائكة وقال الحزون هم الرسل والذكر الكتب المنزلة وكثرا
ومضمنا تها والمعنى ان الذكر يلقى باعذارا وانذارا و قوله تعالى انما توعدون لواقع هو الجواب الذي
وقع عليه القسم والاشارة الى البعث واحوال القيمة و الطمس محو الاثر فطمس النجوم ذهاب ضوئها
و فرج السماء هو بانفطارها وانشقاقها و اذا الرسل اقتت اي جمعت لميقات يوم معلوم وقرا
ابو عمرو وحده وقتت والواو هي الاصل لانها من الوقت والهمزة بدل قال الفراء كل واو انضمت وكانت
ضمتها لازمة جاز ان تبدل منها همزة انتهى و قوله تعالى لاي يوم اجلت تعجب وتوقيف على عظم ذلك
اليوم وهوله ثم فسر ذلك بقوله ليوم الفصل يعني بين الخلق في منازعتهم وحسابهم ومنازلهم من
جنة اونار ومن هذه الآية انتزع القضاة الآجال في الحكومات ليقع فصل القضاء عند تمامها ثم عظم
تعالى يوم الفصل بقوله وما ادراك ما يوم الفصل على نحو قوله وما ادريك ما الحاقة وغير ذلك ثم
اثبت الويل للمكذبين و الويل هو الحرب والحزن على نوائب تحدث بالمرء ويروى انه واد في جهنم قوله
عز وجل الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الآخرين الآية قرا الجمهور نتبعهم بضم العين على استيناف الخبر
وروي عن ابي عمرو ونتبعهم بجزم العين عطفا على نهلك وهي قراءة الاعرج فمن قرا الاولى جعل الاولين
الامم التي تقدمت قريشا باجمعها ثم اخبرانه يتبع الآخرين من قريش وغيرهم سنن اولئك اذا كفروا
وسلكوا سبيلهم ومن قرا الثانية جعل الاولين قوم نوح وابراهيم ومن كان معهم والآخرين قوم
فرعون وكل من تأخر وقرب من مدة النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال كذلك نفعل بالمجرمين اي في
المستقبل فيدخل هنا قريش وغيرها واما تكرار قوله تعالى ويل للمكذبين في هذه السورة فقيل ذلك
لمعنى التأكيد فقط وقيل بل كل آية منها ما يقتضي التصديق فجاء الوعيد على التكذيب بذلك الذي في الآية
و الماء المهين معناه الضعيف و القرار المكين الرحم وبطن المرأة و القدر المعلوم هو وقت الولادة
ومعناه معلوم عند الله وقرا نافع والكسائي فقدرنا بشد الدال والباقون بتخفيفها وهو بمعنى من
القدرة والقدر ومن التقدير والتوقيت ت وفي كلام ابن عطية تلفيف وقال غيره فقدرنا بالتشديد
من التقدير وبالتخفيف من القدرة وهو حسن و قوله فنعم القادرون يرجح قراءة الجماعة لان
ابن مسعود روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فسر القادرين بالمقدرين و الكفات الستر والوعاء
الجامع للشيء باجماع تقول كفت الرجل شعره اذا جمعه بخرقة والارض تكفت الاحياء على ظهرها
وتكفت الاموات في بطنها وخرج الشعبي الى جنازة فنظر الى الجبانة فقال هذه كفات الموتى ثم نظر الى
البيوت فقال هذه كفات الاحياء قال ابن عطية ولما كان القبر كفاتا كالبيت قطع من سرق
منه و الرواسي الجبال و الشوامخ المرتفعة و الفرات الصافي العذب و الضمير في قوله انطلقوا هو للمكذبين
الذين لهم ويل ثم بين المنطلق اليه وهو الظل الذي له ثلاث شعب هو دخان جهنم وقال ابن عباس
هذه المخاطبة تقال يومئذ لعبدة الصليب اذا اتبع كل احد ما كان يعبد فيكون المؤمنون في ظل
الله ولا ظل الا ظله ويقال لعبدة الصليب انطلقوا الى ظل معبودكم وهو الصليب له ثلاث شعب

ثم نفى عنه تعالى محاسن الظل و الضمير في انها لجهنم ترمي بشرر كالقصر اي مثل القصور من
البنيان قاله ابن عباس وجماعة من المفسرين وقال ابن عباس ايضا القصر خشب كنا في الجاهلية ندخره للشتاء
وقرا ابن عباس كالقصر بفتح الصاد جمع قصرة وهي اعناق النخل والابل وقال ابن عباس وجدود النخل واختلف
في الجمالات فقال الجمهور من المفسرين هي جمع جمال كرجال ورجالات وقال الحزون اراد بالصفر السود
وقال الجمهور انما بل الصفر لغته لانها اشبه بلون الشرر وقال ابن عباس الجمالات حبال السفن وهي الحبال
العظام اذا جمعت مستديرة بعضها الى بعض وقرا ابن عباس جمالات بضم الجيم من الجمل لا من الجمل ثم خاطب تعالى
نبيه عليه الصلاة والسلام بقوله هذا يوم لا ينطقون الآية وهذا في موطن خاص اذ يوم القيمة هو
مواطن و قوله تعالى هذا يوم الفصل جمعناكم مخاطبة للكفار يومئذ ثم وقفهم بقوله فان
كان لكم كيد فكيدون اي ان كان لكم حيلة او مكيدة تنجيكم فافعلوا ثم ذكر سبحانه حالة المتقين
وما اعد لهم و الظلال في الجنة عبارة عن تكاثف الاشجار وجودة المباني والا فلا شمس تؤذي هنالك
حتى يكون ظل يجير من حرها و قوله تعالى كلوا وتمتعوا قليلا الآية خطاب لقريش على معنى قل لهم يا محمد و هذه
صيغة امر معناها التهديد والوعيد ومن جعل هذه الآية مدنية قال هي في المنافقين
و قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون قال قتادة والجمهور هذه حال كفار قريش في الدنيا
يدعوهم النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجيبون وذكر الركوع عبارة عن جميع الصلاة وقيل هي
حكاية حال المنافقين في الآخرة يوم يدعون الى السجود فلا يستطيعون على ما تقدم قاله ابن
عباس وغيره و قوله تعالى فباي حديث بعده يريد ان الآية كلها في قريش والمراد بالحديث هنا
القرآن وروي عن يعقوب انه قرا تؤمنون بالتاء من فوق على المواجهة وروينا عن ابن
عامر بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما سورة عم يتساءلون مكية بالاجماع قوله تعالى عم يتساءلون اصل عم عن ما
ثم ادغمت النون بعد قلبها فبقي عما في الخبر والاستفهام ثم حذفوا الالف في الاستفهام فرقا بينه
وبين الخبر ثم من العرب من يخفف الميم فيقول عم وهذا استفهام بمعنى استفهام توقيف و
تعجب و النبا العظيم قال ابن عباس وقتادة هو الشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقال
مجاهد هو القرآن خاصة وقال قتادة ايضا هو البعث من القبور والضمير في يتساءلون للكفار
قريش ومن نحا نحوهم واكثر النحاة ان قوله عن النبا العظيم متعلق بيتساءلون وقال الزجاج
الكلام تام في قوله عم يتساءلون ثم كان مقتضى القول ان يجيب مجيب فيقول يتساءلون عن النبا
العظيم وله امثلة في القرآن اقتضاها ايجاز القرآن وبلاغته واختلافهم هو شك بعض
وتكذيب بعض وقولهم سحر وكهانة الى غير ذلك من باطلهم و قوله تعالى كلا سيعلمون
رد على الكفار في تكذيبهم ووعيد لهم في المستقبل وكرر عليهم الزجر والوعيد تأكيدا والمعنى سيعلمون
عاقبة تكذيبهم ثم وقفهم تعالى ودلهم على آياته وغرائب مخلوقاته وقدرته التي توجب للناظر
فيها الاقرار بالبعث والايمان بالله تعالى ت وضمن ذلك تعديد نعمه سبحانه التي يجب شكرها و المهاد
الفراش الممهد و شبه الجبال بالاوتاد لانها تمنع الارض ان تميد بهم و خلقناكم ازواجا
اي انواعا و السبات السكون وسبت الرجل معناه استراح وروينا في سنن ابي داود عن
معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يبيت على ذكر طاهرا فيتعار من الليل

فيسال الله خيرا من الدنيا والاخرة الا اعطاه الله اياه وروى ابو داود عن بعض ال ام سلمة
قال كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم نحوا مما يوضع للانسان في قبره وكان المسجد عند راسه انتهى و
لباسا مصدر وكان الليل كذلك من حيث يغشي الاشخاص فهي تلبسه وتدرعه والنهار معاشا على حذف
مضاف او على النسب والسبع الشداد السموات والسراج الشمس والوهاج الحار المضطرم الاتقاد المتعالي اللهب
قال ابن عباس وغيره المعصرات السحاب القاطرة وهو ماخوذ من العصر لان السحاب ينعصر فيخرج منه الماء
وهذا قول الجمهور والثجاج السريع الاندفاع كما يندفع الدم من عروق الذبيحة ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم وقد قيل ما افضل الحج فقال العج والثج اراد التضرع الى الله تعالى بالدعاء الجهير وذبح
الهدي والفافا اي ملتفة الاغصان والاوراق ويوم الفصل هو يوم القيمة والافواج الجماعات
يتلو بعضها بعضا وفتحت السماء بتشديد التاء قراءة نافع وابو عمرو وابن كثير وابن عامر و
الباقون دون تشديد وقوله تعالى فكانت ابوابا قيل معناه تتشقق حتى يكون كالوالج الابواب
والقول الاول احسن وقد قال بعض اهل العلم تنفتح في السماء ابواب للملائكة من حيث ينزلون
ويصعدون وقوله تعالى فكانت سرابا عبارة عن تلاشيها بعد كونها هباء منبثا منثورا ومرصادا
موضع الرصد وقيل مرصادا بمعنى ذات ارصاد والاحقاب جمع حقب وهي المدة الطويلة من الدهر غير
محدودة وقال ابن عباس وابن عمر الحقب ثمانون سنة وقال ابو امامة عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه ثلاثون الف سنة وقد اكثر الناس في هذا واللازم ان الله تعالى اخبر عن الكفار انهم
يلبثون احقابا كلما مر حقب جاء غيره الى غير نهاية نجانا الله من سخطه قال الحسن ليس للاحقاب
عدة الا الخلود في النار وقوله سبحانه لا يذوقون فيها بردا الاية قال الجمهور البرد في الاية مس الهواء البارد
اي لا يمسهم منه ما يستلذ وقال ابو عبيدة وغيره البرد في الاية النوم والعرب تسميه بذلك لانه يبرد
سورة العطش وقال ابن عباس البرد الشراب البارد المستلذ وقال قتادة وجماعة الغساق هو ما يسيل
من اجسام اهل النار من صديد ونحوه وقوله تعالى وفاقا معناه لاعمالهم وكفرهم لا يرجون قال
ابو عبيدة وغيره معناه لا يخافون وقال غيره الرجا هنا على بابه وكذابا مصدر لغة فصيحة يمانية
وعن ابن عمر قال ما نزلت في اهل النار اية اشد من قوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا
رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم والحدائق هي البساتين عليها حلق وحظائر
وجدرات قاله البخاري وكواعب اي نواهد انتهى والدهاق المترعة فيما قال الجمهور وقيل الصافية
وقال مجاهد متتابعة وقال البخاري وقال ابن عباس دهاقا ممتلئة انتهى وكذابا مصدر وهو
الكذب وقوله عطاء حسابا اي كافيا قاله الجمهور من قولهم احسبني هذا الامر اي كفاني
ومنه حسبي الله وقال مجاهد حسابا معناه بتقسيط فالحساب على هذا بموازنة اعمال القوم اذ منهم
المكثر من الاعمال والمقل ولكل بحسب عمله وقوله تعالى لا يملكون الضمير للكفار اي لا يملكون من افضاله
واجماله سبحانه ان يخاطبوه بمعذرة ولا غيرها وهذا ايضا موطن خاص وقوله يوم يقوم الروح
اختلف في الروح المذكور هنا فقال الشعبي والضحاك هو جبريل عليه السلام وقال ابن مسعود هو
ملك عظيم اكبر الملائكة خلقة يسمى الروح وقال ابن زيد هو القران وقال مجاهد خلق على صورة
بني ادم ياكلون ويشربون وقال ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم الروح خلق غير الملائكة
هم حفظة للملائكة كما الملائكة حفظة لنا وقيل الروح اسم جنس لارواح بني ادم والمعنى يوم

فيها فتوح كالابواب في الجدرات وقيل انها تتقطع
حصباء قطعا صغارا حتى تكون م

الروح

تقوم الارواح في اجسادها اثر البعث ويكون الجميع من الانس والجن والملائكة صفا ولا يتكلم احد
هيبة وفزعا الا من اذن له الرحمن من ملك او نبي وكان اهلا ان يقول صوابا في ذلك الموطن وقال
البخاري صوابا حقا في الدنيا وعمل به انتهى وفي قوله فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا وعد ووعيد وتحضيض
والعذاب القريب هو عذاب الاخرة اذ كل ات قريب وقال ابو هريرة وعبد الله بن عمر ان الله تعالى
يحضر البهائم يوم القيمة فيقتص لبعضها من بعض ثم يقول لها بعد ذلك كوني ترابا فيعود
جميعها ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ت واعلم رحمك الله اني لم اقف على
حديث صحيح في عودها ترابا وقد نقل الشيخ ابو العباس القسطلاني عن الشيخ ابي الحكم بن ابي الرجال
انكار هذا القول وقال ما نفخت روح الحياة في شي ففني بعد وجوده وقد نقل الفخر هنا عن
قوم بقاءها وان هذه الحيوانات اذا انتهت مدة اعراضها جعل الله كل ما كان منها حسن الصورة
ثوابا لاهل الجنة وما كان قبيح الصورة عقابا لاهل النار انتهى والمعول عليه في هذا النقل
فان صح فيه شي عن النبي صلى الله عليه وسلم وجب اعتقاده وصير اليه والا فلا مدخل للعقل
هنا والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله
وصحبه وسلم تسليما سورة والنازعات مكية باجماع قوله تعالى والنازعات غرقا قال ابن
مسعود وابن عباس النازعات الملائكة تنزع نفوس بني ادم وغرقا على هذا القول اما ان
يكون مصدرا بمعنى الاغراق والمبالغة في الفعل واما ان يكون كما قال علي وابن عباس تغرق
نفوس الكفرة في نار جهنم وقيل غير هذا واختلف في الناشطات فقال ابن عباس ومجاهد هي الملائكة
عند الموت اي تنشطها لحل العقاد وتنشط بامر الله الى حيث شاء وقال ابن عباس ايضا الناشطات
النفوس المؤمنة ومنه تنشط عند الموت للخروج قلت زاد الثعلبي عنه وذلك انه ليس
مؤمن يحضره الموت الا عرضت عليه الجنة قبل ان يموت فيرى فيها اشباها من اهله وازواجه
من الحور العين فهم يدعونه اليها فنفسه اليهم نشيطة ان تخرج فتاتيهم انتهى وقيل غير هذا
واختلف في السابحات هنا فقيل هي النجوم وقيل هي الملائكة لانها تتصرف في الافاق بامر الله
وقيل هي الخيل وقيل هي السفن وقيل هي الحيتان ودواب البحر والله اعلم واختلف في السابقات
فقيل هي الملائكة وقيل الرياح وقيل الخيل وقيل النجوم وقيل المنايا تسبق الامال واما المدبرات
فهي الملائكة قولا واحدا فيما علمت تدبر الامور التي سخرها الله لها وصرفها فيها كالرياح والسحاب و
غير ذلك والراجفة النفخة الاولى والرادفة النفخة الاخيرة وقال ابن زيد الراجفة الموت
والرادفة الساعة وفي جامع الترمذي عن ابي بن كعب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذهب
ثلثا الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة
جاء الموت بما فيه قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى وقد اتى ع هنا وقال اذا
ذهب ربع الليل والصواب ما تقدم ثم اخبر تعالى عن قلوب تجف ذلك اليوم اي ترتعد خوفا
وفرقا من العذاب واختلف في جواب القسم اين هو فقال الزجاج وغيره هو محذوف دل عليه
الظاهر تقديره لتبعثن ونحوه وقال اخرون هو موجود في قوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها
الرادفة قلوب يومئذ واجفة كانه قال لتجفن قلوب قوم يوم كذا وقوله تعالى يقولون ائنا
لمردودون في الحافرة حكاية حالهم في الدنيا والمعنى هم الذين يقولون والحافرة قال

مجاهد والخليل هي الارض الحافرة بمعنى محفورة والمراد القبور والمعنى ائنا لمردودون احياء وقيل غير هذا و نخرة معناه بالية وقرا حمزة ناخرة بالالف و الناخرة المصوتة بالريح المجوفة وحكي عن ابي عبيدة وغيره ان الناخرة والنخرة بمعنى واحد و قولهم تلك اذا كرة خاسرة اي ذهي الى النار لتكذيبهم بالبعث وقال الحسن معناه عندهم كاذبة اي ليست بكائنة ثم اخبر الله تعالى عن حال القيمة فقال انما هي زجرة واحدة اي نفخة في الصور فاذا هم بالساهرة وهي ارض المحشر و قوله هل لك الى ان تزكى استدعاء حسن و التزكي التطهر من النقايص والتلبس بالفضايل ثم فسر له موسى التزكي الذي دعاه اليه بقوله واهديك الى ربك فتخشى والعلم تابع للهدى والخشية تابعة للعلم انما يخشى الله من عباده العلماء و الاية الكبرى العصى واليد قاله مجاهد وغيره و ادبر كناية عن اعراضه وقيل حقيقة قام موليا عن مجالسة موسى فحشر اي جمع اهل مملكته وقول فرعون انا ربكم الاعلى نهاية في السخافة والخرافة قال ابن زيد نكال الاخرة اي الدار الاخرة والاولى يعني الدنيا اخذه الله بعذاب جهنم وبالغرق وقيل غير هذا ثم وقفهم سبحانه مخاطبة منه تعالى للعالم والمقصد الكفار فقال انتم اشد خلقا الاية و السمك الارتفاع قال الثعلبي المعنى انتم ايها المنكرون للبعث اشد خلقا ام السماء اشد خلقا ثم بين كيف خلقها اي فالذي قد خلقها قادر على احيائكم بعد الموت نظيره او ليس الذي خلق السموات والارض الاية انتهى و اغطش معناه اظلم و قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها متوجهة على ان الله خلق الارض ولم يدحها ثم استوى الى السماء وهي دخان فخلقها وبناها ثم دحا الارض بعد ذلك ودحوها بسطها وباقي الايتين بين و الطامة الكبرى هي يوم القيمة قاله ابن عباس وغيره فاما من طغى اي تجاوز الحدود واثر الحياة الدنيا على الاخرة لتكذيبه بالاخرة و مقام ربه هو يوم القيمة وانما المراد مقام بين يدي ربه والهوى هو شهوات النفس وما جرى مجراها المذمومة و قوله تعالى يسألونك عن الساعة يعني قريشا قاله البخاري عن غيره ايان مرساها متى منتهاها ومرسى السفينة حيث تنتهي انتهى ثم قال تعالى لنبيه على جهة التوقيف فيم انت من ذكراها اي من ذكر تحديدها ووقتها اي لست من ذلك في شي انما انت منذر وباقي الايتين بين قال الفخر قوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها تفسير هذه الاية هو ما ذكر في قوله كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار والمعنى ان ما انكروه سيرونه حتى كانهم كانوا ابدا فيه وكانهم لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة من نهار يريد لم يلبثوا الا عشية او ضحى يومها انتهى

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

سورة عبس مكية باجماع قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى سببها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بعض صناديد قريش ويقرأ عليه القرآن ويقول هل ترى بما اقول باسا فكان ذلك الرجل يقول لا والدماء يعني الاصنام اذ جاء ابن ام مكتوم فقال يا رسول الله استدنني وعلمني مما علمك الله فكان في كلمه قطع لحديث النبي صلى الله عليه وسلم مع الرجل فلما شغب عليه ابن ام مكتوم عبس صلى الله عليه وسلم واعرض عنه فنزلت الاية قال سفيان الثوري فكان اذا راى ابن ام مكتوم قال مرحبا بمن عاتبني فيه ربي عز وجل وبسط له رداءه واستخلفه على المدينة مرتين ت والكافر المشار اليه في الاية هو الوليد بن المغيرة قاله ابن اسحاق انتهى ثم اكد تعالى عتب نبيه بقوله اما من استغنى اي بماله فانت له تصدى

اى تتعرض و قوله وهو يخشى اي يخشى الله فانت عنه تلهى اي تشتغل تقول لهيت عن الشي الهى اذا اشتغلت عنه وليس هو من اللهو وهذه الاية السبب فيها هذا ثم هي بعد تتناول من شركهم في هذه الاوصاف من حملة الشرع والعلم مخاطبون بتقريب الضعيف من اهل الخير وتقديمه على الشريف العاري عن الخير بمثل ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة قال عياض وليس في قوله تعالى عبس وتولى الاية ما يقتضي اثبات ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم وانه خالف امر ربه سبحانه وانما في الاية الاعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر والاشارة الى الاعراض عنه انتهى قال السهيلي وانظر كيف نزلت الاية بلفظ الاخبار عن الغائب فقال عبس وتولى ولم يقل عبست وتوليت وهذا يشبه حال العاتب ثم اقبل عليه بمواجهة الخطاب فقال وما يدريك لعله يزكى الاية علما منه سبحانه انه لم يقصد بالاعراض عن ابن ام مكتوم الا الرغبة في الخير ودخول ذلك المشرك في الاسلام اذ كان مثله يسلم باسلامه بشر كثير فكلم نبيه حين ابتدا الكلام بما يشبه كلام المعرض عنه العاتب له ثم واجهه بالخطاب تانيسا له عليه الصلاة والسلام ثم قال تعالى يا محمد ليس الامر كما فعلت ان هذه السورة او الكرة او المعتبة تذكرة وعن الثعلبي ان هذه السورة وقيل هذه الموعظة وقال مقاتل ايات القرآن تذكرة اي موعظة وتبصرة للخلق فمن شاء ذكره اي اتعظ بالقرآن وبما وعظتك وادبتك في هذه السورة انتهى ص ذكره ذكر الضمير لان التذكرة هي الذكر انتهى و قوله تعالى في صحف متعلق بقوله انها تذكرة وهذا يؤيد ان التذكرة يراد بها جميع القرآن و الصحف هنا قيل انه اللوح المحفوظ وقيل صحف الانبياء المنزلة قال ابن عباس و السفرة هم الملائكة لانهم كتبة يقال سفرت اي كتبت ومنه السفر وقال ابن عباس ايضا الملائكة سفرة لانهم يسفرون بين الله وبين انبيائه وفي البخاري سفرة الملائكة سفرت بينهم اصلحت وجعلت الملائكة اذا نزلت بوحي الله عز وجل وتاديته كالسفير الذي يصلح بين القوم قال ابن عطية ومن اللفظة قول الشاعر

وما ادع السفارة بين قومي ... وما اسعى بغش ان مشيت

والصحف في هذا صحف عند الملائكة او اللوح قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره دعاء على اسم الجنس وهو عموم يراد به الانسان الكافر و معنى قتل اي هو اهل ان يدعى عليه بهذا وقال مجاهد قتل معناه لعن هذا تحكم قلت ليس بتحكم وقد تقدم نحوه عن غير واحد قوله تعالى ما اكفره يحتمل معنى التعجب ويحتمل الاستفهام توبيخا قيل الاية نزلت في عتبة بن ابي لهب وذلك انه غاضب اباه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم ثم ان اباه استصلحه واعطاه مالا وجهزه الى الشام فبعث عتبة الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اني كافر برب النجم اذا هوى فدعى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال اللهم ابعث عليه كلبك ياكله ثم ان عتبة خرج في سفرة فجاء الاسد فاكله من بين الرفقة قوله تعالى من اي شي خلقه استفهام على معنى التقرير على تفاهة الشي الذي خلق الانسان منه فقدره اي جعله بقدر وحد معلوم ثم السبيل يسره قال ابن عباس وغيره هي سبيل الخروج من بطن امه وقال الحسن ما معناه ان السبيل هي سبيل النظر المؤدي الى الايمان و قوله فاقبره معناه امر ان يجعل له قبر وفي ذلك تكرمة له لئلا يطرح كسائر الحيوان و قوله ثم اذا شاء انشره يريد اذا بلغ الوقت الذي قد شاءه وهو يوم القيمة و انشره معناه احياه و قوله تعالى كلا لما يقض ما امره ثم امر الله تعالى الانسان بالعبرة والنظر الى طعامه والدليل فيه

كلا

وكيف يسرع له بهذه الوسايط والحب جمع حبة بفتح الحا وهو كل ما يتخذه الناس ويربونه
والحبة بكسر الحا كل ما ينبت من البزور ولا يحفل به ولا هو متخذ والقضب قيل هي الفصفصة وهذا
عندي ضعيف لان الفصفصة للبهايم وهي داخلة في الاب او القضب والذي اقول به ان القضب
هنا كل ما يقصد ليأكله ابن ادم غضا من النبات كالبقول والهليون ونحوه فانه من المطعوم جزء
عظيم ولا ذكر له في الاية الا في هذه اللفظة والحديقة الشجر الذي قد احدق بجدار ونحوه و
الغلب الغلاظ الناعمة والاب المرعى والكلا قاله ابن عباس وغيره وقد توقف في تفسيرها ابو بكر وعمر
رضي الله عنهما ومتاعا نصب على المصدر والمعنى تتمتعون به انتم وانعامكم فابن ادم في السبعة المذكورة
والانعام في الاب والصاخة اسم من اسماء يوم القيمة قال ابو حيان قال الخليل الصاخة صيحة تصخ
الاذان صخا اي تصمها لشدة وقعها انتهى وقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه الاية قال الجمهور انما
انما ذلك لشدة الهول كل يقول نفسي وقيل فرارهم خوفا من المطالبات لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه
عن اللقاء مع غيره ثم ذكر تعالى اختلاف الوجوه من المؤمنين الواثقين برحمة الله حين بدت
لهم بشايرها ومن الكفار حين علاها قترها ومسفرة معناه نيرة بادضوها وسرورها والغبرة التي
على الكفرة هي من العبوس كما يرى على وجه المهموم والميت والمريض شبه الغبار والقتر سواد كالدخان
ابو عبيدة هو الغبار انتهى ثم فسر سبحانه اصحاب هذه الوجوه للغبرة بانهم الكفرة الفجرة بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التكوير

مكية بالجماع قوله سبحانه اذا الشمس كورت الاية هذه كلها اوصاف يوم القيمة
وتكوير الشمس هو ان تدار كما يدار كور العمامة ويذهب بها الى حيث شاء الله وعبر المفسرون عن ذلك
بعبارات فمنهم من قال ذهب نورها قاله قتادة ومنهم من رمى بها قاله الربيع بن خثيم وغير ذلك مما هو اسماء
توابع لتكويرها وانكدار النجوم هو انقضاضها وهبوطها من مواضعها وقال ابن عباس انكدرت تغيرت
من قولهم ما كدر والعشار جمع عشراء وهي الناقة التي قد مر لحملها عشرة اشهر وهي انفس ما عند العرب
وانما تعطل عند اشد الاهوال واذا البحار سجرت قال ابي بن كعب وابن عباس وغيرهما معناه اضرمت
نارا كما يسجر التنور ويحتمل ان يكون المعنى ملئت وقيدت فتكون اللفظة ماخوذة من سجور الكلب
وقرأ ابن كثير وابو عمرو سجرت بتخفيف الجيم والباقون بشدها وتزويج النفوس هو تنويعها لان الازواج
هي الانواع والمعنى جعل الكافر مع الكافر والمؤمن مع المؤمن وكل شكل مع شكله رواه النعمان بن بشير عن النبي
صلى الله عليه وسلم وقاله عمر بن الخطاب وابن عباس وقال هذا نظير قوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة وفي
الاية على هذا حض على خليل فقد قال عليه السلام المرء مع من احب وقال فلينظر احدكم من يخالل
وعبارة الثعلبي قال النعمان بن بشير قال النبي صلى الله عليه وسلم واذا النفوس زوجت قال الضربا كل رجل مع
كل قوم كانوا يعملون عمله انتهى وقال مقاتل بن سليمان معناه زوجت نفوس المؤمنين ازواجهن
من الحور وغيرهن وقوله تعالى واذا الموءودة سئلت الموءودة اسم معناه المثقل عليها بالتراب
او غيره حتى تموت وكان صنيع بعض العرب ببناتهم يدفنونهن احياء وقرأ الجمهور سئلت وهذا
على التوبيخ للعرب الفاعلين ذلك واستدل ابن عباس بهذه الاية في ان اولاد المشركين في الجنة
لان الله قد انتصر لهم ممن ظلمهم واذا الصحف نشرت قيل هي صحف الاعمال وقيل هي الصحف التي تتطاير
بالايمان والشمائل والكشط التقشير وذلك كما يكشط جلد الشاة حين تسلخ وكشط السماء هو طيها
كطي السجل وسعرت معناه اضرمت نارها واذا الجنة ازلفت معناه قربت ليدخلها المؤمنون الثعلبي قربت

قربت لاهلها حين برزوا نظيره وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد علمت نفس عند ذلك ما احضرت
من خير او شر وهو جواب لقوله اذا الشمس وما بعدها انتهى وقوله تعالى فلا اقسم بالخنس لا اما
زايدة واما ان تكون ردا لقول قريش في تكذيبهم بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم اقسم تعالى بالخنس
الجواري وهي في قول الجمهور الدراري السبعة الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والزهرة والمشتري
وقال علي المراد الخمسة دون الشمس والقمر وذلك ان هذه الكواكب تخنس في جريها اي تتقهقر فيما
ترى العين وهي جوار في السماء وهي تكنس في ابراجها اي تستتر الثعلبي وقال ابن زيد تخنس اي تتاخر عن مطالعها
كل سنة وتكنس بالنهار اي تستتر فلا ترى انتهى وعسعس الليل في اللغة اذا كان غير مستحكم الاظلام قال
الخليل عسعس الليل اذا اقبل وادبر فقال الحسن وقع القسم باقباله وادباره معا وعبارة الثعلبي
قال الحسن عسعس الليل اذا اقبل بظلامه وقال اخرون ادبر بظلامه ثم قال والمعنيان يرجعان
الى معنى واحد وهو ابتداء الظلام في اوله وادباره في اخره انتهى وتنفس الصبح اتسع ضوؤه والضمير في
انه للقرآن والرسول الكريم في قول الجمهور هو جبريل عليه السلام وقال اخرون هو النبي صلى
الله عليه وسلم في الاية كلها والقول الاول اصح وكريم صفة تقتضي رفع المذام ومكين معناه
له مكانة ورفعة وقال عياض في الشفا قوله تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم انتهى قال ابن عطيه واجمع المفسرون على ان قوله تعالى وما صاحبكم يراد به النبي صلى الله عليه
وسلم والضمير في راه لجبريل عليه السلام وهذه الرؤية التي كانت بعد امر غار حراء وقيل هي الرؤية
التي راه عند سدرة المنتهى قوله تعالى وما هو على الغيب بضنين بالضاد بمعنى بخيل بتبليغ ما قيل له كما
يفعل الكاهن حتى يعطي حلوانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بظنين بالظاء اي بمتهم ثم نفى
سبحانه عن القرآن ان يكون كلام شيطان على ما قالت قريش ورجيم اي مرجوم وقوله تعالى فاين تذهبون
توقيف وتقرير معناه اين المذهب لاحد عن هذه الحقائق والبيان فيه شفاء ان هو الا ذكر اي تذكرة

قلت روى الترمذي عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيمة كانه
راي عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت قال ابو عيسى هذا
حديث حسن انتهى بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم
تسليما

سورة الانفطار

مكية بالجماع قوله تعالى اذا السماء انفطرت اي انشقت واذا الكواكب
انتثرت اي تساقطت واذا البحار فجرت قيل فجر بعضها الى بعض ويحتمل ان يكون تفجرت من اعاليها
ويحتمل ان يكون تفجير تفريغ من قيعانها فيذهب الله ماءها حيث شاء وبكل قيل وبعثرت القبور
نبشها عن الموتى وقوله سبحانه علمت نفس هو جواب اذا ونفس هنا اسم جنس وقال كثير من المفسرين
في معنى قوله ما قدمت واخرت انها عبارة عن جميع الاعمال من طاعة ومعصية يا ايها الانسان
ما غرك بربك الكريم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قراها فقال غره جهله فسبحان الله ما ارحمه
بعباده قال الثعلبي قال اهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون سائر اسمائه تعالى وصفاته كانه
لقنه جوابه حتى يقول غرني كرمك انتهى وقرأ الجمهور فعدلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا نظر الى الهلال قال امنت بالذي خلقك فسواك فعدلك وقرأ حمزة والكسائي وعاصم
بتخفيف الدال والمعنى عدل اعضاءك بعضها ببعض اي وازن بينها وقوله تعالى في اي صورة ما شاء
ركبك ذهب الجمهور الى ان في متعلقة بركبك اي في صورة حسنة او قبيحة او سليمة او مشوهة

ونحو هذا و ما في قوله ماشاء دكك زائدة فيها معنى التاكيد كلا قال ابو حيان ردع وزجر انتهى و
الدين هنا يحتمل ان يريد الشرع ويحتمل ان يريد الجزاء والحساب وباقي الاية واضح لمتامله و قوله
تعالى يصلونها يوم الدين اي يوم الجزاء و قوله تعالى وما هم عنها بغائبين قال جماعة ماهم عنها بغائبين
في البرزخ وذلك انهم يرون مقاعدهم من النار بكرة وعشية فهم لم يزالوا مشاهدين لها نسال الله
العافية في الدارين بجوده وكرمه ثم عظم تعالى قدر هول ذلك اليوم بقوله وما ادريك ما يوم
الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين الاية بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما سورة ويل للمطففين مكية بالاجماع في قول جماعة وقال
ابن عباس وغيره هي مدنية وعنه نزل بعضها بمكة ونزل امر التطفيف بالمدينة قوله تعالى ويل للمطففين
الاية المطفف الذي ينقص حقوقهم و التطفيف النقصان اصله من الشي الطفيف وهو النزر والمطفف
انما يوخذ بالميزان او بالمكيال الشي اليسير و اكتالوا على الناس معناه قبضوا منهم و كالوهم معناه قبضوهم و يخسرون
معناه ينقصون و قوله سبحانه الا يظن بمعنى يعلم ويتحقق وقال ابو حيان الا يظن ذكر ابو البقاء ان لا هنا
هي نافية دخلت عليها همزة الاستفهام وليست الا التي للتنبيه والاستفتاح لان ما بعد الا التنبيهية
مثبت وهو هنا منفي انتهى و قيام الناس لرب العالمين يوميذ يختلف الناس فيه بحسب منازلهم
وروي انه يخفف عن المومن حتى يكون على قدر صلاة المكتوبة وفي هذا القيام هو الجام العرق للناس كما صرح
به النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح والناس ايضا فيه يختلفون بالتخفيف والتشديد قال ابن المبارك
في رقائقه اخبرنا سليمان التيمي عن ابي عثمان النهدي عن سلمان قال تدنو الشمس من الناس يوم القيامة حتى
تكون من رؤوسهم قاب قوس او قاب قوسين فتعطى حر عشر سنين وليس على احد يوميذ طحربة ولا ترى فيه
عورة مومن ولا مومنة ولا يضرحرها يوميذ مومن ولا مومنة واما الاخرون او قال الكفار
فتطبخهم فانما تقول اجوافهم غق غق قال نعيم الطحربة الخرقة انتهى ونحو هذا للمحاسبي في قال كتاب التوهم فاذا وافى
الموقف اهل السموات السبع والارضين السبع كسيت الشمس حر عشر سنين ثم ادنيت من الخلائق قاب قوس
او قوسين ولا ظل ذلك اليوم الا ظل رب العالمين تعالى فكيف بين مستظل بظل العرش وبين واقف لحر
الشمس قد امهرته واشتد فيها كربه وقلقه فتوهم نفسك في ذلك الموقف فانك لا محالة واحد
منهم انتهى اللهم عاملنا برحمتك وفضلك فانه لا حول لنا ولا قوة لنا الا بك قوله تعالى كلا ان كتاب
الفجار يعني الكفار وكتابهم يراد به الذي فيه تحصيل امرهم وافعالهم ويحتمل عندي ان يكون المعنى
وعدادهم وكتاب كونهم في سجين اي هنالك كتبوا في الازل واختلف في سجين ما هو والجمهور ان
سجين بناء مبالغة من السجن قال مجاهد وذلك صخرة تحت الارض السابعة و قوله تعالى وما ادريك
ما سجين تعظيم لامر هذا السجين وتعجيب منه ويحتمل ان يكون تقريرا واستفهاما اي هذا مما لم تكن
تعلمه قبل الوحي و كتاب مرقوم على القول الاول مرتفع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هو كتاب مرقوم
ويكون هذا الكلام مفسرا لسجين ما هو و مرقوم معناه مكتوب مرقوم لهم بشر وباقي الاية
بين ثم اوجب ان ما كسبوا من الكفر والعتو قد ران على قلوبهم اي غطا عليها فهم مع ذلك لا يبصرون ورشدا
يقال ران الخمر على قلب شاربها وران الغشي على قلب المريض وكذلك الموت قال الحسن وقتادة
الرين الذنب على الذنب حتى يموت القلب وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل
اذا اذنب نكتت نكتة سودا في قلبه ثم كذلك حتى يتغطى فذلك الران الذي قال الله تعالى كلا

خفيفا

مرتفع على خبران وعلى القول الثاني

بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال الفخر قال ابو معاذ النحوي الرين سواد القلب من الذنوب
والطبع ان يطبع على القلب وهو اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع وهو ان يقفل على القلب
انتهى والضمير في قوله تعالى انهم عن ربهم للكفار اي هم محجوبون لا يرون ربهم قال الشافعي لما حجب الله
قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضى قال المحاسبي رحمه الله في كتاب توبيخ النفس وينبغي للعبد المومن
اذا راى القسوة من قلبه ان يعلم انها من رين في قلبه فيخاف ان يكون الله تعالى لما حجب قلبه عنه بالرين
والقسوة ان يحجبه غدا عن النظر اليه قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم
عن ربهم يوميذ لمحجوبون احداهما تتلو الاخرى ليس بينهما شي فان اعرض عن المريد خاطر من
الشيطان ليقطعه عن الخوف من الله تعالى حتى يخل به ها تان العقوبتان فقال انما نزلتا في الكافرين
فليقل ان الله لم يومن منهما كثيرا من المومنين وقد حذر سبحانه المومنين ان يعاقبهم بما يعاقب
به الكافرين فقال تعالى واتقوا النار التي اعدت للكافرين الى غير ذلك من الايات انتهى ولما ذكر تعالى امر كتاب
الفجار عقب ذلك بذكر كتاب ضدهم ليتبين الفرق بين الصنفين واختلف في الموضع المعروف بعليين ما هو
فقال ابن عباس السماء السابعة تحت العرش وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال الضحاك هو
سدرة المنتهى وقال ابن عباس وغيره عليون الجنة قوله تعالى يشهده المقربون يعني الملايكة قاله
ابن عباس وغيره و ينظرون معناه الى ما عندهم من النعيم و النضرة النعمة والرونق و الرحيق الخمر الصافية
و مختوم يحتمل انه يختم على كووسه التي يشرب بها تهمما وتنظفا والظاهر انه مختوم شربه بالرايحة المسكية
حسبما فسره و قوله ختامه مسك قال ابن عباس وغيره خاتمة شربه مسك وقرا الكسائي خاتمه مسك
ثم حرض تعالى على الجنة بقوله وفي ذلك فليتنافس المتنافسون و قوله تعالى ومزاجه من تسنيم المزاج
الخلط قال ابن عباس وغيره تسنيم اشرف شراب في الجنة هو اسم مذكر لماء عين في الجنة وهي عين يشرب
بها المقربون صرفا ويمزج رحيق الابرار بها وهذا المعنى في صحيح البخاري وقال مجاهد ما معناه
ان تسنيما مصدر من سنمت اذا عليت ومنه السنام فكانها عين قد عليت على اهل الجنة فهي تنحدر
وقاله مقاتل وجمهور المتاولين ان منزلة الابرار دون منزلة المقربين وان الابرار هم اصحاب
اليمين وان المقربين هم السابقون و قوله يشرب بها معنى يشربها و قوله سبحانه ان الذين اجرموا
كانوا يعني في الدنيا يضحكون من المومنين روي ان هذه الاية نزلت في صناديد قريش وضعفة
المومنين والضمير في مروا للمومنين ويحتمل ان يكون للكفار واما ضمير يتغامزون فهو للكفار
لا يحتمل غير ذلك و فاكهين اي اصحاب فكاهة ونشاط وسرور باستخفافهم واما الضمير في راوا
وفي قالوا فقال الطبري وغيره هو للكفار وقال بعضهم بل المعنى بالعكس وانما المعنى واذا راوا المومنين
الكفار قالوا ان هولاء لضالون وما ارسل المومنون حافظين على الكفار وهذا كله منسوخ على
هذا التاويل ت والاول اظهر و قوله تعالى على الارائك ينظرون اي اليهم في النار قال كعب لاهل
الجنة كوى ينظرون منها وقال غيره بينهم جسم عظيم شفاف يرون معه حالهم قلت قال الهروي
قوله تعالى على الارائك ينظرون قال احمد بن يحيى الاريكة السرير في الحجلة ولا يسمى منفردا اريكة وسمعت
الازهري يقول لما اتكي عليه فهو اريكة انتهى هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون اي جزاء ما كانوا
يفعلون وهل ثوب تقرير وتوقيف للنبي صلى الله عليه وسلم وامته بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما سورة اذا السماء انشقت مكية باجماع

قوله تعالى اذا السماء انشقت الآية هذه اوصاف يوم القيامة واذنت معناه استمعت وسمعت امر ربها
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشىء اذنه لنبى يتغنى بالقران وحقت قال ابن عباس معناه وحق لها
ان تسمع وتطيع ويحتمل ان يريد وحق لها ان تنشق لشدة الهول وخوف الله تعالى ومد الارض هى ازالة
جبالها حتى لا يبقى فيها عوج ولا امت وفى الحديث تمد مد الاديم والقت ما فيها يعنى من الموتى قاله الجمهور وخرج
الختلى ابو القاسم اسحاق بن ابراهيم فى كتاب الديباج له بسنده عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله
عز وجل اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول
من تنشق عنه الارض فاجلس جالسا فى قبرى فيفتح لى باب الى السماء بحيال رأسى حتى انظر الى العرش ثم يفتح لى باب
من تحتى حتى انظر الى الارض السابعة حتى انظر الى الثرى ثم يفتح لى باب عن يمينى حتى انظر الى الجنة ومنازل اصحابى وان
الارض تحركت تحتى فقلت ما لك ايتها الارض قالت ان ربى امرنى ان القى ما فى جوفى وان اتخلى فاكون كما كنت
اذ لا شىء فى فذلك قوله عز وجل والقت ما فيها وتخلت واذنت لربها وحقت اى سمعت واطاعت وحق لها ان تسمع
وتطيع الحديث انتهى من التذكرة وتخلت معناه خلت عما كان فيها لم تتمسك منه بشىء يا ايها الانسان انك كادح الآية
الكادح العامل بشدة واجتهاد والمعنى انك عامل خيرا او شرا وانت لا محالة ملاق اى فكن على حذر من هذه الحال
واعمل عملا صالحا تجده واما الضمير فى ملاقيه فقال الجمهور هو عائد على الرب تعالى وقال بعضهم هو عائد على الكدح قلت وهو
ظاهر الآية والمعنى ملاق جزاءه والحساب اليسير هو العرض ومن نوقش الحساب هلك كذا فى الحديث الصحيح وعن عائشة رضى الله عنها
قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى بعض صلاته اللهم حاسبنى حسابا يسيرا فلما انصرف قلت يا رسول الله
ما الحساب اليسير قال ان ينظر فى كتابه ويتجاوز عنه انه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك وكل ما يصيب المؤمن
يكفر عنه حتى الشوكة تشوكه فاحسنا السلاح رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم انتهى وروى ابن عمر
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من حاسب نفسه فى الدنيا هون الله عليه حسابه يوم القيامة قال عز الدين بن عبد السلام
فى اختصار الرعاية للمحاسبى اجمع العلماء على وجوب محاسبة النفس فيما سلف من الاعمال وفيما يستقبل منها
فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى انتهى و
ينقلب الى اهله اى الذين اعدهم الله له فى الجنة واما الكافر فروى انه تدخل يده من صدره حتى تخرج من وراء
ظهره فيأخذ كتابه بها ويدعوا ثبورا معناه يصيح منتحبا وا ثبوراه واحزناه ونحو هذا والثبور اسم جامع
للمكاره كالويل وقوله انه كان فى اهله يريد فى الدنيا مسرورا اى تملكه ذلك لانه يرى الاسرور باهله دون
معرفة ربه وقوله تعالى انه ظن ان لن يحور معناه ان لن يرجع الى الله مبعوثا محشورا قال ابن عباس لم اعلم ما معنى
يحور حتى سمعت امرأة اعرابية تقول لبنية لها حورى اى ارجعى ص بلى ايجاب بعد النفى اى بلى ليحورن اى ليرجعن انتهى وقوله
تعالى فلا اقسم بالشفق لا زائدة وقيل لا رد على اقوال الكفار والشفق الحمرة التى تعقب غيبوبة الشمس مع البياض التابع
لها فى الاغلب ووسق معناه جمع وضم ومنه الوسق اى الاصوع المجموعة والليل يسوق الحيوان جملة اى يجمعها
ويضمها وكذلك جميع المخلوقات التى فى الارض والهواء من البحار والجبال والرياح وغير ذلك واتساق القمر كماله وتمامه
لتركبن اشده الموت والبعث والحساب حالا بعد حال وعن مجاهد فى معنى بعد كما يقال ورث المجد كابرا عن كابر
وقيل غير ذلك وقرأ حمزة والكسائى وابن كثير لتركبن بفتح الباء على معنى انت يا محمد فقيل المعنى حالا بعد حال من معاناة
الكفار وقال ابن عباس سماء بعد سماء فى الاسراء وقيل عدة بالنصر اى لتركبن امر العرب قبيلا بعد قبيل كما كان وفى البخارى
عن ابن عباس لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال هكذا قال نبيكم صلى الله عليه وسلم انتهى ثم قال تعالى فما لهم لا يؤمنون
اى ما حجتهم مع هذه البراهين الساطعة ويوعون معناه يجمعون من الاعمال والتكذيب كانهم يجعلونه فى اوعية تقول

هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه نحو الصحيح عن ابن عمر انتهى وفى الحلية عن عائشة م

اعرابية ص

وعيث

وعيت المتاع و ممنون معناه مقطوع بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم تسليما سورة والسماء ذات البروج مكية باجماع والجمهور ان البروج هى المنازل
التى عرفتها العرب وقد تقدم الكلام عليها واليوم الموعود هو يوم القيامة باتفاق كما جاء فى الحديث واختلف
الناس فى الشاهد والمشهود اختلافا كثيرا فقال ابن عباس الشاهد الله والمشهود يوم القيامة وقال الترمذى
الشاهد الملائكة الحفظة والمشهود عليهم الناس وقال ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم شاهد يوم الجمعة
ومشهود يوم عرفة قلت ولو صح لوجب الوقوف عنده قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود معناه فعل الله
بهم ذلك لانهم اهل له فهو على جهة الدعاء بحسب البشر لا ان الله تعالى يدعو على احد وقيل عن ابن عباس
معناه لعن وهذا تفسير بالمعنى وقال الثعلبى قال ابن عباس كل شىء فى القران قتل فهو لعن وقيل هو اخبار بان النار
قتلتهم قاله الربيع بن انس ص وجواب القسم محذوف اى والسماء ذات البروج لتبعثن وقال المبرد الجواب ان
بطش ربك لشديد وقيل الجواب قتل واللام محذوفة اى لقتل واذا كان قتل هو الجواب فهو خبر
انتهى وصاحب الاخدود مذكور فى السير وغيرها وحديثه فى مسلم مطول وهو ملك دعا المؤمنين بالله
الى الرجوع عن دينهم الى دينه وخد لهم فى الارض اخاديد طويلة واضرم لهم نارا وجعل يطرح فيها من
لم يرجع عن دينه حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست فقال لها الطفل يا امه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت
فى النار وقوله النار بدل من قوله الاخدود وهو بدل اشتمال قال ابن عطية وقال الربيع بن انس وابو
اسحاق وابو العالية بعث الله على اولئك المؤمنين ريحا فقبضت ارواحهم او نحو هذا وخرجت النار فاحرقت
الكافرين الذين كانوا على حافتى الاخدود وعلى هذا يجىء قتل خبرا لا دعاء وقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين
والمؤمنات الآية فتنوهم اى احرقوهم قلت قال الهروى قوله تعالى فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق اى لهم
عذاب لكفرهم وعذاب باحراقهم المؤمنين انتهى قال ابن عطية ومن قال ان هذه الآيات فى قريش اشبه
منه اولئك والبطش الاخذ بقوة وقوله انه هو يبدئ ويعيد قال الضحاك وابن زيد معناه يبدئ الخلق بالانشاء
ويعيدهم بالحشر وقال ابن عباس ما معناه ان ذلك عام فى جميع الاشياء فهى عبارة عن انه يفعل كل شىء اى يبدئ
كل ما يبدئ ويعيد كل ما يعيد وهذان قسمان يستوفيان جميع الاشياء والجنود الجموع وفرعون وثمود فى
موضع خفض على البدل من الجنود ثم ترك القول واضرب عنه الى الاخبار بان هؤلاء الكفار بمحمد صلى الله عليه وسلم
وشرعه لا حجة لهم ولا برهان بل هو تكذيب مجرد سببه الحسد ثم توعدهم سبحانه بقوله والله من
ورائهم محيط اى عذاب الله ونقمته من ورائهم اى يأتى بعد كفرهم وعصيانهم وقرأ الجمهور فى لوح محفوظ
بالخفض صفة للوح وقرأ نافع محفوظ بالرفع اى محفوظ فى القلوب لا يدركه الخطأ والتبديل
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما سورة
والسماء والطارق مكية بلا خلاف اقسم الله تعالى بالسماء المعروفة فى قول الجمهور وقيل السماء هنا هو المطر
والطارق الذى يأتى ليلا ثم فسر تعالى هذا الطارق بانه النجم الثاقب واختلف فى النجم الثاقب فقال الحسن
ابن ابى الحسن ما معناه انه اسم جنس لانها كلها ثاقبة اى ظاهرة الضوء يقال ثقب النجم اذا اضاء وقال
ابن زيد اراد نجما مخصوصا وهو زحل وقال ابن عباس اراد الجدى وقال ابن زيد ايضا هو الثريا وجواب
القسم فى قوله ان كل نفس الآية وان هى المخففة من الثقيلة واللام فى لما لام التاكيد الداخلة على الخبر هذا
مذهب حذاق البصريين وقال الكوفيون ان بمعنى ما النافية واللام بمعنى الا فالتقدير ما كل نفس الا عليها
حافظ ومعنى الآية فيما قال قتادة وغيره ان على كل نفس مكلفة حافظا يحصى عليها اعمالها ويعدها للجزاء

حصلت الاشمئزاز والغلبة وقوى هذا التأويل بعض المفسرين فى قوله ثم لم يتوبوا لان هذا اللفظ فى قريش م

عليها وقال ابو امامة قال النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير هذه الاية ان لكل نفس حفظة من الله
يذبون عنها كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل المرء الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين
وقوله تعالى فلينظر الانسان مم خلق توقيف لمنكري البعث على اصل الخلقة الدال على ان البعث جائز ممكن
ثم بادر اللفظ الى الجواب اقتضابا واسراعا الى اقامة الحجة فقال خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب
والترائب قال الحسن وغيره معناه من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة وترائبه وقال جماعة
من بين صلب الرجل وترائب المرأة والتريبة من الانسان ما بين الترقوة الى الثدي قال ابو عبيدة معلق
الحلي الى الصدر وقيل غير هذا قوله تعالى انه على رجعه لقادر قال ابن عباس وقتادة المعنى ان الله
على رد الانسان حيا بعد موته لقادر وهذا اظهر الاقوال هنا وابينها ودافق كثير من المفسرين هو
بمعنى مدفوق والعامل في يوم الرجع من قوله على رجعه وتبلى السرائر معناه تختبر وتكشف بواطنها وروى
ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان السرائر التي يبتليها الله من العباد التوحيد والصلاة والزكاة
والغسل من الجنابة قال ابن عطية وهذه معظم الامر وقال قتادة الوجه في الاية العموم في جميع السرائر
ونقل ابن العربي في احكامه عن ابن مسعود ان هذه المذكورات الصلاة والزكاة والوضوء والوديعة
كلها امانات قال واشد ذلك الوديعة تمثل له اي لمن خانها على هيئتها يوم اخذها فيرمى في قعر جهنم
فيقال له اخرجها فيتبعها فيجعلها في عنقه فاذا رجا ان يخرج بها زلت منه فيتبعها فاذا هو كذلك
دهر الداهرين انتهى قلت قال ابو عبيد الهروي قوله تعالى يوم تبلى السرائر الواحدة سريرة وهي الاعمال التي
اسرها العباد انتهى والرجع المطر وماؤه وقال ابن عباس الرجع السحاب فيه المطر قال له الحسن لانه يرجع بالرزق
كل عام وقال غيره لانه يرجع الى الارض والصدع النبات لان الارض تتصدع عنه والضمير في انه للقرآن وفصل
معناه جزم فصل الحقائق من الاباطيل والهزل اللعب الباطل ثم اخبر تعالى عن قريش انهم يكيدون في
افعالهم واقوالهم بالنبي صلى الله عليه وسلم واكيد كيدا هذا على مام من تسمية العقوبة باسم
الذنب ورويدا معناه قليلا قاله قتادة وهذه حال هذه اللفظة اذا تقدمها شيء تصفه كقولك
سير رويدا او تقدمها فعل يعمل فيها كهذه واما اذا ابتدئ بها فقلت رويدا يا فلان فهي بمعنى الامر بالتمهل
ص رويدا ابو البقاء نعت لمصدر محذوف اي امهالا رويدا تصغير رود وانشد ابو عبيدة

يمشي ولا تكلم البطحاء مشيته ... كانه ثمل يمشي على رود

اي على مهل ورفق انتهى بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسليما سورة سبح اسم ربك الاعلى مكية في قول الجمهور سبح في الاية بمعنى نزه وقدس وقل سبحان
عن النقائص والغير جميعا وروى ابن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الاية قال
سبحان ربي الاعلى وكان ابن مسعود وابن عمر وابن الزبير يفعلون ذلك ولما نزلت قال النبي صلى الله عليه
وسلم اجعلوها في سجودكم وعن سلمة بن الاكوع قال ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح دعاء الا
استفتحه بسبحان ربي الاعلى الوهاب رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الاسناد انتهى من السلاح
سوى معناه عدل واتقن وقوله فهدى عام لوجوه الهدايات في الانسان والحيوان وقال الفراء معناه هدى واضل
والعموم في الاية اصوب والمرعى النبات والغثاء ما يبس وجف وتحطم من النبات وهو الذي يحمله السيل والاحوى
قيل هو الاخضر الذي عليه سواد من شدة الخضرة والغضارة فتقدير الاية الذي اخرج المرعى والاحوى
اي اسود من خضرته ونضارته فجعله غثاء عند يبسه فالاحوى وقال ابن عباس المعنى فجعله غثاء احوى

اى اسود

اي اسود لان الغثاء اذا قدم واصابته الامطار اسود وتعفن فصار احوى فهذه صفة وقوله تعالى سنقرئك
فلا تنسى قال الحسن وقتادة ومالك بن انس هذه الاية في معنى قوله لا تحرك به لسانك الاية وعده الله ان
يقرئه واخبره انه لا ينسى نسيانا لا يكون بعده ذكر وقيل المعنى انه امر تعالى بان لا ينسى على معنى التثبيت
والتاكيد وقال الجنيد معنى لا تنسى لا تترك العمل بما تضمن من امر ونهي وقوله تعالى الا ما شاء الله ان

قال الحسن وغيره معناه مما قضى الله بنسخه ورفع تلاوته وحكمه وقال ابن عباس الا ما شاء الله م

ينسيكه ليسن به على نحو قوله عليه الصلاة والسلام اني لانسى او انسى لاسن قال ص ونسيان النبي صلى الله عليه
وسلم ممتنع فيما امر بتبليغه اذ هو معصوم فاذا بلغه ووعي عنه فالنسيان جائز على ان يتذكر
بعد ذلك او على ان يسن او على النسخ وقوله تعالى ونيسرك لليسرى معناه نذهب بك نحو الامور
المستحسنة في دنياك واخراك من النصر والظفر ورفعة الرسالة وعلو المنزلة يوم القيامة والرفعة في
الجنة ثم امر تعالى بالتذكير قال بعض الحذاق قوله تعالى ان نفعت الذكرى اعتراض بين الكلامين
على جهة التوبيخ لقريش ثم اخبر تعالى انه يذكر من يخشى الله والدار الاخرة وهم العلماء والمؤمنون كل
بقدر ما وفق له ويتجنب الذكرى وينفعها من سبقت له الشقاوة وتزكى معناه طهر نفسه ونماها
بالخير ومن الاربعين حديثا المسندة لابي بكر محمد بن حسين الاجري الامام المحدث قال في اخرها وحديث
تمام اربعين حديثا وهو حديث كبير جامع لكل خير حدثنا ابو بكر جعفر بن محمد الفريابي املاء في شهر رجب
من سنة سبع وتسعين ومائتين قال حدثنا ابراهيم بن هشام بن يحيى الغساني قال حدثنا ابي عن جدي
عن ابي ادريس الخولاني عن ابي ذر قال دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فجلست
اليه فقال يا ابا ذر للمسجد تحية وتحيته ركعتان قم فاركعهما قال فلما ركعتهما جلست اليه فقلت يا رسول
الله انك امرتني بالصلاة فما الصلاة قال خير موضوع فاستكثر او استقل الحديث وفيه قلت يا رسول
الله كم كتابا انزل الله عز وجل قال مائة كتاب واربعة كتب انزل الله على شيث خمسين صحيفة وعلى
خنوخ ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وانزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف وانزل
التوراة والانجيل والزبور والفرقان قلت يا رسول الله ما كانت صحف ابراهيم قال كانت امثالا كلها
ايها الملك المسلط المبتلى المغرور اني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم
فاني لا اردها ولو من كافر وكان فيها امثال وعلى العاقل ان يكون له ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب
فيها نفسه وساعة يتفكر في صنع الله عز وجل وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب وعلى العاقل ان
لا يكون ظاعنا الا لثلاث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم وعلى العاقل ان يكون بصيرا
بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه قال قلت يا رسول الله
فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن ايقن بالقدر ثم هو ينصب
وعجبت لمن راى الدنيا وتقلبها باهلها ثم اطمان اليها وعجبت لمن ايقن بالحساب غدا ثم لا يعمل قال قلت يا رسول
الله هل في ايدينا شيء مما كان في يدي ابراهيم وموسى مما انزل الله عز وجل عليك قال نعم اقرا يا ابا ذر قد
افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا الى اخر هذه السورة يعني ان ذكر هذه الايات
لفي صحف ابراهيم وموسى قال قلت يا رسول الله فاوصني قال اوصيك بتقوى الله عز وجل فانه
راس امرك قال قلت يا رسول الله زدني قال عليك بتلاوة القرآن وذكر الله عز وجل فانه ذكر
لك في السماء ونور لك في الارض قال قلت يا رسول الله زدني قال اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب
ويذهب بنور الوجه قلت يا رسول الله زدني قال عليك بالجهاد فانه رهبانية امتي قلت يا رسول

كيف

زدني قال عليك بالصمت الا من خير فانه مطردة للشيطان وعون لك على امر دينك انتهى قوله
وذكر اسم ربه اى وحده وصلى له الصلوات المفروضة وغيرها قال ابو سعيد الخدرى وغيره هذه الآية
في صبيحة يوم الفطر فتزكى اى زكاة الفطر وذكر اسم ربه في طريق المصلى وصلى صلاة العيد ثم
اخبر تعالى عن الناس انهم يؤثرون الحياة الدنيا وسبب الايثار حب العاجل والجهل ببقاء الآخرة وفضلها
وروينا في كتاب الترمذى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء
ان يحفظ الراس وما وعى ويحفظ البطن وما حوى ولتذكر الموت والبلى ومن اراد الآخرة ترك زينة
الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء انتهى قال الغزالى وايثار الحياة الدنيا طبع غالب
على الانسان ولذلك قال تعالى بل يؤثرون الحياة الدنيا ثم بين سبحانه ان الشر قديم في الطباع وان ذلك
مذكور في الكتب السالفة فقال ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى انتهى من الاحياء وقوله تعالى
ان هذا قال ابن زيد الاشارة بهذا الى هذين الخبرين افلح من تزكى وايثار الناس للدنيا مع فضل
الآخرة عليها وهذا هو الارجح لقرب المشار اليه وعن ابي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقرا في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد فاذا سلم قال سبحان
الملك القدوس ثلاث مرات يمد في الثالثة ويرفع رواه ابو داود والنسائى وهذا لفظه ورواه الدارقطنى
في سننه ولفظه فاذا سلم قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات يمد بها صوته في الآخرة ويقول رب
الملائكة والروح انتهى من السلاح قال النووى في سنن ابي داود والترمذى والنسائى عن على رضى الله
عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول في آخر وتره اللهم انى اعوذ برضاك من سخطك واعوذ
بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك قال الترمذى
حديث حسن انتهى بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما سورة هل اتاك حديث الغاشية مكية باجماع قال بعض المفسرين هل بمعنى قد وقال الحذاق
هى على بابها توقيف فائدته تحريك نفس السامع الى تلقى الخبر والغاشية القيامة لانها تغشى العالم كله
بهولها والوجوه الخاشعة هى وجوه الكفار وخشوعها ذلها وتغيرها بالعذاب وقوله سبحانه
عاملة ناصبة قال الحسن وغيره لم تعمل لله في الدنيا فاعملها وانصبها في النار والنصب التعب وقال ابن
عباس وغيره المعنى عاملة في الدنيا ناصبة فيها على غير هدى فلا ثمرة لعملها الا النصب وخاتمته النار
قالوا والآية في القسيسين وكل مجتهد في كفر وقرا ابو بكر عن عاصم وابو عمرو تصلى بضم التاء والباقون
بفتحها والآنية التى قد انتهى حرها كما قال ويبن حميم ان هذا مثل قوله يطوفون بينها وبين حميم آن وقال ابن زيد آنية
حاضرة والضريع قال الحسن وجماعة هو الزقوم وقال ابن عباس وغيره الضريع شبرق النار وقال
النبى صلى الله عليه وسلم الضريع شوك في النار قلت وهذا ان صح فلا يعدل عنه وقيل غير هذا ولما
ذكر تعالى وجوه اهل النار عقب ذلك بذكر وجوه اهل الجنة ليبين الفرق وقوله تعالى لسعيها راضية
يريد لعملها في الدنيا وطاعتها والمعنى لثواب سعيها والتنعيم عليه ووصف سبحانه الجنة بالعلو وذلك
يصح من جهة المسافة والمكان ومن جهة المكانة والمنزلة ايضا لا تسمع فيها لاغية قيل المعنى
كلمة لاغية وقيل جماعة لاغية او فئة لاغية واللغو سقط القول قال الفخر قوله تعالى فيها سرر مرفوعة
اى عالية في الهواء وذلك لاجل ان يرى المؤمن اذا جلس عليها جميع ما اعطاه تعالى في الجنة من النعيم
والملك قال خارجة بن مصعب بلغنا انها بعضها فوق بعض فترفع ما شاء الله فاذا جاء ولي الله

قال فقلنا يا رسول الله انا نستحيي والحمد لله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء

ليجلس عليها تطامنت له فاذا استوى عليها ارتفعت حيث شاء الله سبحانه انتهى واكواب موضوعة
اى باشربتها معدة والنمارق الوسائد والزرابى واحدها زربية وهى الطنافس لها خمل قاله الفراء وهى
ملونات ومبثوثة معناه كثيرة متفرقة ثم وقفهم سبحانه على مواضع العبرة في مخلوقاته والابل هنا في الآية
هى الجمال المعروفة هذا قول الجمهور وفي الجمال آيات وعبر لمن تامل وكان شريح القاضى يقول لاصحابه اخرجوا
بنا الى الكناسة حتى ننظر الى الابل كيف خلقت وقال المبرد الابل هنا السحاب لان العرب قد تسميها بذلك
اذ تاتى ارسالا كالابل نصبت معناه اثبتت قائمة في الهواء وظاهر الآية ان الارض سطح لا كرة وهذا
وهو الذى عليه اهل العلم وقد تقدم الكلام على هذا المعنى ثم نفى ان يكون النبى صلى الله عليه وسلم
مصيطرا على الناس اى قاهرا جابرا لهم مع تكبر متسلطا عليهم وقوله تعالى الا من تولى وكفر قال بعض
المتاولين الاستثناء متصل والمعنى الا من تولى فانك مسيطر عليه فالآية هذا لا نسخ فيها وقال الجمهور
الاستثناء منفصل والمعنى لست عليهم بمصيطر لكن من تولى وكفر فيعذبه الله وهى آية موادعة
منسوخة بالسيف وهذا هو القول الاصح لان السورة مكية والقتال انما نزل بالمدينة وقرا
زيد بن اسلم الا من تولى حرف تنبيه واستفتاح انتهى وقال ابن العربى في الاحكام روى الترمذى
وغيره ان النبى صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا
منى دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله ثم قرا فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر
مفسرا لمعنى الآية وكاشفا خفاء الخفاء عن المعنى اذ قال الناس لا اله الا الله فلست بمسلط على سرائرهم
وانما عليك الظاهر وكل سرائرهم الى الله وهذا الحديث صحيح السند صحيح المعنى والله اعلم انتهى وايابهم مصدر
من آب يؤوب اذا رجع بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليما سورة والفجر مكية عند الجمهور وقيل مدنية والاول اصح واشهر والفجر
هنا عند الجمهور هو المشهور المعروف الطالع كل يوم وقال ابن عباس وغيره الفجر الذى اقسم الله به صلاة
الصبح وقيل غير هذا واختلف في الليالى العشر فقيل العشر الاول من رمضان وقيل العشر الاواخر منه
منه وقيل عشر ذى الحجة وقيل غير هذا والله اعلم بما اراد فان صح عن النبى صلى الله عليه وسلم شئ
في هذا صير اليه واختلف في الشفع والوتر ما هما على اقوال كثيرة وروى عمران بن حصين عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال هى الصلوات منها الشفع ومنها الوتر ويسرى الليل هو ذهابه وانقراضه هذا قول الجمهور
وقيل المعنى اذا يسرى فيه هل في ذلك قسم لذى حجر اى هل في هذه الاقسام مقنع لذى عقل ثم وقف تعالى
على مصارع الامم الخالية وعاد قبيلة بلا خلاف واختلف في ارم فقال مجاهد هى القبيلة بعينها وقال
ابن اسحاق ارم هو ابو عاد كلها وقال الجمهور ارم مدينة لهم عظيمة كانت على وجه الدهر باليمن واختلف في قوله
تعالى ذات العماد العالية والابراج يقال لها عماد ومن قال ارم قبيلة قال العماد اما اعمدة بنيانهم واما اعمدة
بيوتهم التى يرحلون بها قاله جماعة والضمير في مثلها يعود اما على المدينة واما على القبيلة وجابوا الصخر
خرقوه ونحتوه وكانوا في واديهم قد نحتوا بيوتهم في حجارة وفرعون هو فرعون موسى واختلف في اوتاده
فقيل ابنيته العالية وقيل جنوده الذين بهم يثبت ملكه وقيل المراد اوتاد الخيمة عساكره وذكرت
لكثرتها قاله ابن عباس وقال مجاهد كان يوتد الناس باوتاد حديد يقتلهم بذلك يضربها في ابدانهم
حتى تنفذ الى الارض وقيل غير هذا والصب مستعمل في الصوت وانما خص السوط بانه يستعمل في العذاب لانه
يقتضى من التكرار والترداد ما لا يقتضيه السيف ولا غيره وقال بعض اللغويين السوط هنا مصدر من ساط

بسوط إذ اختلط فكأنه قال خلط عذاب ص قال ابن الأنباري إن ربك لبالمرصاد هو جواب القسم
وقيل محذوف وقيل الجواب هل في ذلك وهل بمعنى إن وليس بشيء انتهى والمرصاد والمرصد موضع الرصد
قاله بعض اللغويين أي إنه تعالى عند لسان كل قائل ومرصد لكل فاعل وإذا علم العبد أن مولاه له بالمرصاد
ودام مراقبته في الفؤاد حضره الخوف والحذار لا محالة واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه
قال أبو حامد في الإحياء وبحسب معرفة العبد بعيوب نفسه ومعرفته بجلال ربه وتعاليه واستغنائه
وأنه لا يسأل عما يفعل تكون قوة خوفه فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم أنا أخوفكم لله ولذلك قال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء ثم إذا كملت
المعرفة أورثت الخوف واحتراق القلب ثم يفيض أثر الحرقة من القلب على البدن فتنقمع الشهوات
وتحترق بالخوف ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويصير العبد مستوعب الهم
بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة
والضنة بالأنفاس واللحظات ومؤاخذة النفس في الخطرات والخطوات والكلمات ثم قال تعالى واعلم أنه
لا تنقمع الشهوات بشيء كما تنقمع بنار الخوف انتهى قوله سبحانه فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه الآية ذكر تعالى في
هذه الآية ما كانت قريش تقوله وتستدل به على إكرام الله وإهانته لعبده وجاء هذا التوبيخ في هذه الآية
لجنس الإنسان إذ قد يقع بعض المؤمنين في شيء من هذا المنزع وابتلاه معناه اختبره ونعمه أي جعله ذا نعمة
وقدر بتخفيف الدال بمعنى ضيق ثم قال تعالى كلا ردا على قولهم ومعتقدهم أي ليس إكرام الله تعالى
وإهانته كذلك وإنما ذلك ابتلاء فحق من ابتلي بالغنى أن يشكر ويطيع ومن ابتلي بالفقر أن يشكر ويصبر
وأما إكرام الله فهو بالتقوى وإهانته فبالمعصية وطعام في هذه الآية بمعنى إطعام ثم عدد عليهم
جدهم في أكل التراث لأنهم كانوا لا يورثون النساء ولا صغار الأولاد وإنما كان يأخذ المال من
يقاتل ويحمي الحوزة واللم الجمع واللف قال الحسن هو أن يأخذ في الميراث حظه وحظ غيره والجم الكثير الشديد
ومنه قول الشاعر نظم إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا ألما ومنه الجم
من الماء والدك الأرض تسويتها قوله تعالى وجاء ربك معناه جاء أمره وقضاؤه قال منذر بن سعيد
معناه ظهوره للخلق هنالك ليس مجيء نقلة وكذلك مجيء الصاخة ومجيء الطامة والملك اسم جنس يريد جميع
الملائكة وصفا أي صفوفا تحول الأرض يوم القيامة على ما تقدم في غير هذا الموضع وجيء يومئذ بجهنم
روي في قوله تعالى وجيء يومئذ بجهنم أنها تساق إلى المحشر بسبعين ألف زمام يمسك كل زمام سبعون
ألف ملك فيخرج منها عنق فتنتقي الجبابرة من الكفار في حديث طويل باختلاف ألفاظ قوله تعالى يومئذ يتذكر
الإنسان معناه يتذكر عصيانه وما فاته من العمل الصالح وقال الثعلبي ويومئذ يتذكر الإنسان أي يتعظ
ويتوب وأنى له الذكرى انتهى وقوله يا ليتني قدمت لحياتي قال الجمهور معناه لحياتي الباقية يريد
الآخرة فيومئذ لا يعذب عذابه أحد أي لا يعذب كعذاب الله أحد في الدنيا ولا يوثق كوثاقه أحد في
الدنيا ولا يوثق كوثاقه أحد ويحتمل المعنى أن الله تعالى لا يكل عذاب الكافر يومئذ إلى أحد وقرأ
الكسائي بفتح الذال والثاء أي لا يعذب كعذاب الكافر أحد من الناس ثم عقب تعالى بذكر نفوس
المؤمنين وحالهم فقال يا أيتها النفس المطمئنة الآية والمطمئنة معناه الموقنة غاية اليقين ألا
ترى قول إبراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي فهي درجة زائدة على الإيمان واختلف في هذا النداء متى
يقع فقال جماعة عند خروج روح المؤمن وروي في ذلك حديث وفي عبادي أي في عداد عبادي الصالحين

وقال قوم النداء عند قيام الأجساد من القبور فقوله ارجعي إلى ربك معناه بالبعث وادخلي
في عبادي أي في هذه الأجساد وقيل النداء هو الآن للمؤمنين وقال الحزون هذا النداء إنما هو في الموقف
عندما ينطلق بأهل النار إلى النار قلت ولا مانع أن يكون النداء في جميع هذه المواطن ولما تكلم ابن
عطاء الله في مراعاة أحوال النفس في لوازم صاحب ورد عطله عن ورده أو الحضور فيه مع ربه هم
التدبير في المعيشة وغيرها من نزغات النفس وأنواع وساوس الشيطان في التدبير لا تنحصر ومتى أعطاك الله سبحانه
الفهم عنه عرفك كيف تصنع فأي عبد توفر عقله واتسع نوره نزلت عليه السكينة من ربه فسكنت نفسه
عن الاضطراب ووثقت بولي الأسباب فكانت مطمئنة أي خامدة ساكنة مستسلمة لأحكام الله ثابتة
لأقداره وممدودة بتأييده وأنواره فاطمأنت لمولاها لعلمها بأنه يراها أولم يكف بربك أنه على كل شيء
شهيد فاستحقت أن يقال لها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية وفي الآية تخصيص
عظيم لها منها أن رفع شأنها بتكنيتها ومدحها بالطمأنينة وثناء منه سبحانه عليها بالاستسلام والتوكل إليه و
عليه والمطمئن المنخفض من الأرض فلما انخفضت بتواضعها وانكسارها أثنى عليها مولاها ومنها قوله
راضية أي عن الله في الدنيا بأحكامه ومرضية في الآخرة حتى يكون راضيا عن الله في الدنيا بأحكامه
ومرضية في الآخرة بجوده وإنعامه وفي ذلك إشارة أن العبد لا يحصل له أن يكون مرضيا عند الله في الآخرة
حتى يكون راضيا عن الله في الدنيا انتهى من التنوير بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما سورة البلد مكية في قول الجمهور وقيل مدنية قوله تعالى
لا أقسم بهذا البلد الكلام في لا تقدم في لا أقسم بيوم القيامة والبلد هي مكة وقوله تعالى وأنت حل قال ابن عباس
وجماعة معناه وأنت حلال بهذا البلد يحل لك فيه قتل من شئت وكان هذا يوم فتح مكة وعلى هذا
يتركب قول من قال السورة مدنية نزلت عام الفتح وقال الحزون المعنى وأنت حال ساكن بهذا البلد
وقوله تعالى ووالد وما ولد قال مجاهد هو آدم وجميع ولده وقال ابن عباس ما معناه أن الوالد
والولد هنا على العموم فهي أسماء جنس يدخل فيها جميع الحيوان والقسم واقع على قوله لقد خلقنا الإنسان
في كبد قال الجمهور الإنسان اسم جنس والكبد المشقة والمكابدة أي يكابد أمر الدنيا والآخرة وروي
أن سبب نزول هذه الآية رجل من قريش يقال له أبو الأشد وقيل نزلت في عمرو بن عبد ود
وقال مقاتل نزلت في الحارث بن نوفل أذنب فاستفتى النبي صلى الله عليه وسلم فأمره بالكفارة فقال لقد
أهلكت مالي في الكفارات والنفقات منذ تبعت محمدا وكان كل واحد منهم قد ادعى أنه أنفق مالا كثيرا على إفساد أمر محمد
صلى الله عليه وسلم أو في الكفارات على ما تقدم وقوله أهلكت مالا لبدا أي أنفقت مالا كثيرا ومن قال
إن المراد اسم جنس غير معين جعل قوله أيحسب أن لم يره أحد بمعنى أيظن الإنسان أن ليس عليه حفظة يرون أعماله
ويحصونها إلى يوم الجزاء قال السهيلي وهذه الآية وإن نزلت في أبي الأشد فإن الألف واللام للجنس
فيشترك معه في الخطاب كل من ظن مثل ظنه وفعل مثل فعله وعلى هذا أكثر القرآن ينزل السبب الخاص باللفظ
العام ويتناول المعنى العام انتهى وخرج مسلم عن أبي برزة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول
قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن علمه فيما عمل فيه
وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وخرجه أيضا الترمذي وقال فيه حديث حسن صحيح انتهى وقال
الجمهور لبدا أي كثيرا متلبدا بعضه فوق بعض ثم عدد تعالى على الإنسان نعمه في جوارحه والنجدين
قال ابن عباس وكثير من الناس هما طريقا الخير والشر أي عرضنا عليه طريقيهما وليست الهداية هنا بمعنى الإرشاد

وقال الضحاك النجدان ثديا الام وهذا مثال والنجد الطريق المرتفع وقوله تعالى فلا اقتحم العقبة الاية قوله
فلا هو عند الجمهور تحضيض بمعنى الا اقتحم والعقبة في هذه الاية عرف على كلام العرب استعارة لهذا العمل الشاق على النفس
من حيث هو بذل مال تشبيه بعقبة الجبل واقتحم معناه دخلها وجاوزها بسرعة وضغط وشدة
ثم عظم تعالى امر العقبة في النفوس بقوله وما ادريك ما العقبة ثم فسر اقتحام العقبة بقوله فك رقبة
الاية وهذا على قراءة من قرأ فك رقبة بالرفع على المصدر واما من قرأ فك رقبة او اطعم على الفعل ونصب الرقبة
وهي قراءة ابي عمرو فليس يحتاج ان يقدر وما ادريك ما اقتحام بل يكون التعظيم للعقبة نفسها ويجي
فك بدلا من اقتحم ومبينا له وفك الرقبة هو عتقها من ربقة الاسر او الرق وفي الحديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم من اعتق نسمة مؤمنة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار والمسغبة
المجاعة والساغب الجائع وذا مقربة معناه ذا قرابة لتجتمع الصدقة والصلة وذا متربة
معناه مدقعا قد لصق بالتراب وهذا يحوي الى ان المسكين اشد فاقة من الفقير قال سفيان هم
المطروحون على ظهر الطريق قعودا على التراب لا بيوت لهم وقال ابن عباس هو الذي يخرج من بيته ثم يقلب
وجهه الى بيته مستيقنا انه ليس فيه الا التراب وقوله تعالى ثم كان معطوف على قوله اقتحم والمعنى ثم كان وقت
اقتحامه العقبة من الذين امنوا وقوله تعالى وتواصوا بالصبر معناه على طاعة الله وبلائه وقضائه وعن الشهوات
والمعاصي والمرحمة قال ابن عباس كل ما يؤدي الى رحمة الله تعالى وقال الحرون هو التراحم والتعاطف بين الناس وفي ذلك
قوام الناس ولو لم يتراحموا جملة هلكوا والميمنة فيما روي عن يمين العرش وهو موضع الجنة ومكان المرحومين
من الناس والمشأمة الجانب الاشأم وهو الايسر وفيه جهنم وهو طريق المعذبين ومؤصدة معناه مطبقة
مغلقة بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم
تسليما **سورة والشمس وضحاها** مكية اقسم الله تعالى بالشمس اما على التنبيه منها على الاعتبار المؤدي
الى معرفة الله تعالى واما على تقدير ورب الشمس والضحى بالضم والقصر ارتفاع ضوء الشمس واشراقه قاله
مجاهد وقال مقاتل ضحاها حرها كقوله في طه ولا تضحى والضحاء بفتح الضاد والمد ما فوق ذلك الى الزوال
والقمر يتلو الشمس من اول الشهر الى نصفه في الغروب تغرب هي ثم يغرب هو ويتلوها في النصف الاخير بنحو
اخر وهو ان تغرب هي فيطلع هو وقال الحسن تلاها معناه تبعها دأبا في كل وقت لانه يستضيء منها فهو يتلو
لذلك وقال الزجاج وغيره تلاها في المنزلة من الضياء والقدر لانه ليس في الكواكب شيء يتلو الشمس في هذا
المعنى غير القمر وقوله والنهار ظاهر هذه السورة والتي بعدها ان النهار من طلوع الفجر ولا يختلف
ان نهايته مغيب الشمس والضمير في جلاها يحتمل ان يعود على الشمس ويحتمل ان يعود على الارض او على الظلمة وان
كان لم يجر لذلك ذكر فالمعنى يقتضيه قاله الزجاج وجلاها معناه كشف وضوء والفاعل بجلى على هذا التأويل
النهار ويحتمل ان يكون الفاعل الله تعالى كانه قال والنهار اذ جلا الله الشمس فاقسم بالنهار في اكمل حالاته
ويغشى معناه يغطي والضمير للشمس على تجوز في المعنى او للارض وقوله تعالى وما بناها وكل ما بعده من نظائره
في السورة يحتمل ان تكون ما فيه بمعنى الذي قاله ابو عبيدة اي ومن بناها وهو قول الحسن
ومجاهد فيجي القسم بالله تعالى ويحتمل ان تكون ما في جميع ذلك مصدرية قاله قتادة والمبرد والزجاج
كانه قال والسماء وبنيانها وطحى بمعنى دحى قال الهروي قوله تعالى والارض وما طحاها اي بسطها فاتسع
وسعها ويقال طحى به الامر اي اتسع به في المذهب انتهى والنفس التي اقسم بها سبحانه اسم جنس وتسويتها
اكمال عقلها ونظرها الثعلبي سواها اي عدل خلقها انتهى وقوله سبحانه فالهمها فجورها وتقويها

الشمس وكذلك قال الزجاج في كتاب الانواء مغيب وقيل من طلوع م

اي عرفها طرق ذلك وجعل لها قوة يصح معها اكتساب الفجور او اكتساب التقوى وجواب القسم في قوله
قد افلح والتقدير لقد افلح زاد ص وحذفت اللام للطول انتهى والفاعل بزكى يحتمل ان يكون الله
تعالى قاله ابن عباس وغيره ويحتمل ان يكون الانسان قاله الحسن وغيره وزكاها اي طهرها ونماها بالخير
ودساها معناه اخفاها وحقرها وصغر قدرها بالمعاصي والبخل بما يجب واصل دسى دسس ومنه
قول الشاعر **نظم** ودسست عمرا في التراب فاصبحت ‍ حلائله يبكين للفقد ضيعا **قلت**
قال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي ومن عيوب النفس الشفقة عليها والقيام بتعهدها وتحصيل مرادها
ومداواتها الاعراض عنها وقلة الاشتغال بها كذلك سمعت جدي يقول من كرمت عليه نفسه هان عليه
دينه انتهى من تاليفه في عيوب النفس وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الاية قال اللهم
ات نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها قال صاحب الكلم الفارقية والحكم
الحقيقية النفس الزكية زينتها زهدها وعافيتها عفتها وطهارتها ورعها وغناها ثقتها بمولاها و
علمها بانه لا ينساها انتهى ولما ذكر تعالى خيبة من دساها ذكر فرقة فعلت ذلك ليعتبر بهم وينهى عن
مثل فعلهم والطغوى مصدر وقال ابن عباس الطغوى هنا العذاب كذبوا به حتى نزل بهم ويؤيده قوله تعالى فاما
ثمود فاهلكوا بالطاغية وقال جمهور المتأولين الباء سببية والمعنى كذبت ثمود نبيها بسبب طغيانها واشقاها
هو قدار بن سالف وقد تقدم قصصهم **قلت** وناقة الله وسقياها قيل نصب ناقة الله على مضمر تقديره
احفظوا او ذروا وقال ابن عطية ناقة الله الجمهور بنصب ناقة على التحذير اي احذروا ناقة الله وهو مما
اضمر عامله انتهى ودمدم معناه انزل العذاب مقلقلا لهم مكررا ذلك وهي الدمدمة الثعلبي قال
مؤرج الدمدمة اهلاك باستيصال انتهى وكذا قال ابو حيان وقال الهروي قال الازهري فدمدم عليهم ربهم
اي اطبق عليهم العذاب وقيل فدمدم عليهم اي غضب عليهم انتهى وقوله تعالى فسويها اي فسوى القبيلة في
الهلاك لم ينج منه احد وقرأ نافع وابن عامر فلا يخاف عقباها والمعنى فلا درك على الله تعالى في فعله بهم
اذ كان قد انذرهم وقرأ الباقون ولا يخاف عقباها بالواو فيحتمل الوجهين ويحتمل هذه القراءة وجها
ثالثا ان يكون الفاعل يخاف المنبعث قاله الزجاج والضحاك والسدي وغيرهم وتكون الواو واو الحال
كانه قال انبعث لعقرها وهو لا يخاف عقبى ذلك بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله
على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما **سورة والليل** مكية في قول الجمهور اقسم الله تعالى بالليل اذا غشي
الارض وجميع ما فيها وبالنهار اذا تجلى اي ظهر وضوء او الشمس كقوله تعالى والليل اذا يغشاها وقيل
الارض وما فيها انتهى **قوله** تعالى وما خلق الذكر والانثى يحتمل ان تكون ما بمعنى الذي ويحتمل ان تكون
مصدرية والذكر والانثى هنا عام وقال الحسن المراد ادم وحواء والسعي العمل فاخبر تعالى مقسما ان
اعمال العباد شتى اي مفترقة جدا بعضها في رضاء الله وبعضها في سخطه ثم قسم تعالى الساعين فقال فاما
من اعطى واتقى الاية ويروى ان هذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقوله وصدق بالحسنى قيل
هي لا اله الا الله وقيل هي الخلف الذي وعد الله به وقيل هي الجنة وقال كثير من المتأولين الحسنى
الاجر والثواب مجملا والعسرى الحال السيئة في الدنيا والاخرة ومن جعل البخل في المال خاصة جعل
استغنى في المال ايضا لتعظم المذمة ومن جعل البخل عاما في جميع ما ينبغي ان يبذل من قول وفعل
قال استغنى عن الله ورحمته بزعمه وظاهر قوله وما يغني عنه ماله ان الاعطاء والبخل المذكور
انما هما في المال وقوله اذا تردى قال قتادة وغيره معناه تردى في جهنم وقال مجاهد تردى معناه

في الافاق سحر يغشى نفعو محذوف فيحتمل ان يكون النهار كقوله يغشي الليل النهار م

بمعنى والقول الثاني عطية بضعفه الثعلبي كانها صيحة واحدة عمهم م

ين

هلك من الردى وخرج البخارى وغيره عن على رضى الله عنه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بقيع الغرقد
فى جنازة فقال ما منكم من احد او ما من نفس منفوسة الا وقد كتب مكانها من الجنة والنار والا وقد
كتبت شقية او سعيدة فقال رجل يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا وندع العمل فمن كان منا من اهل السعادة
فيصير الى اهل السعادة ومن كان منا من اهل الشقاوة فيصير الى اهل الشقاوة قال اما اهل السعادة
فييسرون لعمل اهل السعادة واما اهل الشقاوة فييسرون لعمل اهل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطى واتقى
وصدق بالحسنى الى قوله للعسرى وفى رواية لما قيل له افلا نتكل على كتابنا قال لا بل اعملوا فكل ميسر لما خلق له
الحديث وخرجه الترمذى ايضا انتهى قال ابن العربى فى احكامه وسال شابان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالا العمل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام فى شى مستانف فقال بل فيما جفت به الاقلام
وجرت به المقادير قالا ففيم العمل اذا قال اعملوا فكل ميسر لعمله الذى خلق له قالا فالآن نجد ونعمل انتهى
وقال قوم معنى تردى باكفانه من تردى ومنه قول الشاعر نصيبك مما تجمع الدهر كله • رداآن تلوى فيهما وحنوط
ثم اخبر تعالى ان علينا هدى الناس جميعا اى تعريفهم بالسبل كلها وليست هذه الهداية بالارشاد الى الايمان
ولو كان ذلك لم يوجد كافر قال البخارى تلظى توهج وقال الثعلبى تتوقد وتتوهج انتهى وقوله سبحانه لا يصلاها
الا الاشقى المعنى لا يصلاها صلى خلود ومن هنا ضلت المرجئة لانها اخذت نفى الصلى مطلقا ولم يختلف
اهل التاويل ان المراد بالاتقى الى اخر السورة ابو بكر الصديق ثم هى تتناول كل من دخل فى هذه الصفات
وباقى الاية بين ثم وعد تعالى بالرضى فى الاخرة وهذه عدة لابى بكر رضى الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما سورة والضحى مكية بلا خلاف وقد تقدم تفسير
الضحى بانه سطوع الضوء وعظمه وقال قتادة الضحى هنا النهار كله وسجى معناه سكن واستقر
ليلا تاما وقيل معناه اقبل وقيل معناه ادبر والاول اصح وعليه شواهد قال البخارى وقال مجاهد اذا
سجى استوى وقال غيره اظلم وسكن انتهى وقرا الجمهور ما ودعك بشد الدال من التوديع وقرئ بالتخفيف
بمعنى ما تركك وقال البخارى ما ودعك ربك بالتشديد والتخفيف ما تركك انتهى وقلى ابغض نزلت
بسبب ابطاء الوحى مدة وللاخرة يعنى الدار الاخرة خير لك من الدنيا ولسوف يعطيك قيل هى ارجى اية فى
القرآن لانه صلى الله عليه وسلم لا يرضى وواحد من امته فى النار وروى انه عليه الصلاة والسلام قال لما نزلت
اذا لا ارضى وواحد من امتى فى النار قال عياض وهذه اية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة فى الدارين
انتهى ت وفى صحيح مسلم من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلى قول الله
عز وجل فى ابراهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى الاية وقول عيسى عليه السلام
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم امتى امتى اللهم
امتى وبكى فقال الله جل ثناؤه يا جبريل اذهب الى محمد انا سنرضيك فى امتك ولا نسوءك انتهى مختصرا
ثم وقف تعالى نبيه على المراتب التى درجه عنها بانعامه فقال الم يجدك يتيما فآوى قوله تعالى ووجدك
ضالا فهدى اختلف الناس فى تاويله الضلال يختلف فمنه البعيد ومنه القريب فالبعيد ضلال الكفار وهذا قد عصم الله
منه نبيه فلم يعبد صلى الله عليه وسلم صنما قط ولا ... ومنه تابع الكفار على شىء مما هم عليه
من الباطل وانما ضلاله صلى الله عليه وسلم هو كونه واقفا لا يميز المهيع بل يدبر وينظر وقال الترمذى
وعبد العزيز بن يحيى ضالا معناه خامل الذكر لا يعرفك الناس فهداهم اليك ربك والصواب ضالا من
توقف لا يدرى كما قال عز وجل ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وقال الثعلبى قال بعض المتكلمين اذا وجدت
العرب شجرة مفردة فى فلاة سموها ضالة فيهتدى بها الى الطريق اى فوجدتك وحيدا ليس معك نبى غيرك

القريب فالبعيد ضلال الكفار وهذا قد عصم الله
منه نبيه فلم يعبد صلى الله عليه وسلم صنما
قط ولا ... ام

فهديت بك الخلق انتهى قال عياض وقال الجنيد المعنى ووجدك متحيرا فى بيان ما انزل اليك فهداك
لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر الاية قال عياض ولا اعلم احدا من المفسرين قال فيها ضالا عن الايمان
وكذلك فى قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اى من المخطئين وقال ابن عطاء
ووجدك ضالا اى محبا لمعرفتى والضال المحب كما قال تعالى انك لفى ضلالك القديم اى محبتك القديمة
انتهى والعائل الفقير فاغنى اى بالقناعة والصبر ثم وصاه تعالى بثلاث وصايا بازاء هذه النعم الثلاث والسائل هنا
قال ابو الدرداء هو السائل عن العلم وقيل هو سائل المال وقال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال
يحملون زادنا الى الاخرة وقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث قال مجاهد وغيره معناه بث القرآن وبلغ
ما ارسلت به قال عياض وهذا الامر يعم الامة انتهى وقال الحزون بل هو عموم فى جميع النعم وفى سنن ابى داود
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اعطوا الاجير حقه قبل ان يجف عرقه واعطوا السائل وان جاء على فرس
قال البغوى فى المصابيح هذا حديث مرسل انتهى بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما سورة الم نشرح مكية باجماع عدد الله تعالى على نبيه نعمه عليه فى
ان شرح صدره للنبوة وهياه لها وذهب الجمهور الى ان شرح الصدر المذكور انما هو تنويره بالحكمة
وتوسيعه لتلقى ما يوحى اليه وقال ابن عباس وجماعة هذه اشارة الى شرحه بشق جبريل عنه فى وقت
صغره وفى وقت الاسراء اذ التشريح شق اللحم والوزر الذى وضعه الله عنه هو عند
بعض المتاولين الثقل الذى كان يحرج صلى الله عليه وسلم فى نفسه من اجل ما كانت قريش فيه
من عبادة الاصنام فرفع الله عنه ذلك الثقل بنبوته وارساله وقال ابو عبيدة وغيره
المعنى خففنا عليك اثقال النبوة واعانك على الناس وقيل الوزر هنا الذنوب نظيره قوله تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وقد تقدم بيانه الثعلبى وقيل معناه عصمناك عن احتمال الوزر انتهى و
انقض معناه جعله نقضا اى هزيلا من الثقل وقال عياض ومعنى انقض اى كاد ينقضه انتهى
ورفعنا لك ذكرك اى نوهنا باسمك قال ابن عطية ورفع الذكر نعمة على الرسول وكذلك هو جميل
حسن للقائمين بامور الناس وخمول الاسم والذكر حسن للمنفردين للعبادة والمعنى فى هذا التعديد
انا قد فعلنا جميع هذا بك فلا تكترث باذى قريش فان الذى فعل بك هذه النعم سيظفرك
بهم قال عياض وروى ابو سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اتانى جبريل فقال ان ربى
وربك يقول تدرى كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معى انتهى
ثم قوى سبحانه رجاه بقوله فان مع العسر يسرا وكرر تعالى ذلك مبالغة وذهب كثير من العلماء الى
ان مع كل عسر يسرين بهذه الاية من حيث ان العسر معرف للعهد واليسر منكر فالاول غير الثانى
وقد جاء فى هذا التاويل حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لن يغلب عسر يسرين ثم امر
تعالى نبيه اذا فرغ من شغل من اشغال النبوة والعبادة ان ينصب فى اخر والنصب التعب والمعنى
ان يدأب على ما امر به ولا يفتر وقال ابن عباس اذا فرغت من فرضك فانصب فى التنفل عبادة لربك
ونحوه عن ابن مسعود وعن مجاهد فاذا فرغت من العبادة فانصب فى الدعاء وقوله والى ربك
فارغب امر بالتوكل على الله عز وجل وصرف وجوه الرغبات اليه لا الى سواه
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما
سورة والتين مكية قال ابن عباس التين والزيتون المقسم بهما هما المعروفان وقال السهيلى

اقسم الله تعالى بطور تينا وطور زيتا وهما جبلان عند بيت المقدس وكذلك طور سينا ويقال
ان طور هي الجبال بالحجاز والطور عند اكثر الناس هو الجبل وقال الماوردي ليس كل جبل يقال له طور الا
ان تكون فيه الاشجار والاثمار والا فهو جبل فقط انتهى وطور سينين هو جبل بالشام والبلد الامين
مكة والقسم واقع على قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم اي في احسن تقويم ينبغي له وقال بعض
العلماء بالعموم اي الانسان احسن المخلوقات تقويما ولم ير قوم الحنث على من حلف بالطلاق فان زوجته
احسن من الشمس محتجين بهذه الاية وحسن التقويم يشمل جميع محاسن الانسان الظاهرة والباطنة من حسن
صورته وانتصاب قامته وكمال عقله وحسن تمييزه والانسان هنا اسم جنس وتقدير الكلام في تقويم
احسن تقويم لان احسن صفة لابدان تجري على موصوف ثم رددناه اسفل سافلين قال قتادة
وغيره معناه بالهرم وذهول العقل وهذه عبرة منصوبة وعبارة الثعلبي في احسن تقويم قيل اعتدال
واستواء شبابا وهو احسن ما يكون ثم رددناه اسفل سافلين بالهرم كما قال الى ارذل العمر والسادة في الهرمى
والزمنى والذين حبسهم عذرهم عن الجهاد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عذرهم
واخبرهم ان لهم اجرهم الذي عملوا قبل ان تذهب عقولهم انتهى وفي البخاري عنه صلى الله عليه وسلم
اذا مرض العبد او سافر كتب الله له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا وهكذا قال في الذين حبسهم العذر
انتهى قال ص الا الذين قيل منقطع بناء على معنى اسفل سافلين بالهرم وذهول العقل وقيل متصل
بناء على ان معناه في النار على كفرهم انتهى قال ابن عطيه وفي حديث عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا بلغ المؤمن خمسين سنة خفف الله حسابه فاذا بلغ ستين رزقه الله الانابة اليه فاذا بلغ
سبعين احبه اهل السماء فاذا بلغ ثمانين كتبت حسناته وتجاوز الله عن سيئاته فاذا بلغ تسعين غفرت
ذنوبه وشفع في اهل بيته وكان اسير الله في ارضه فاذا بلغ مائة ولم يعمل شيئا كتب له مثل ما كان يعمل في
صحته ولم تكتب عليه سيئة وفي حديث ان المؤمن اذا رد الى ارذل العمر كتب له خير ما كان يعمل في قوته
وذلك اجر غير ممنون ثم قال سبحانه الزاما للحجة وتوبيخا للكافر فما يكذبك ايها الانسان اي فما يحملك
ان تكذب بعد هذه الحجة بالدين وقال قتادة المعنى فمن يكذبك يا محمد فيما تخبر به من الجزاء والحساب
وهو الدين بعد هذه العبر ويحتمل ان يريد بالدين جميع دينه وشرعه وروي عن قتادة ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان اذا قرأ اليس الله باحكم الحاكمين قال بلى وانا على ذلك من الشاهدين وروى
عبد الله اذا قرأ احدكم او سمع اليس ذلك بقادر ان يحيي الموتى فليقل بلى انتهى قلت وهذان الحديثان
وان كان قد ضعفهما ابن عمر فمما ينبغي ذكرهما في فضائل الاعمال والله الموفق بفضله

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

سورة العلق مكية باجماع وهي اول ما نزل من كتاب الله تعالى نزل صدرها الى قوله ما لم يعلم في
غار حراء حسب ما ثبت في صحيح البخاري وغيره ومعنى قوله اقرأ باسم ربك اي اقرأ هذا القرآن باسم ربك
اي مبتديا باسم ربك ويحتمل ان يكون المقروء الذي امر بقراءته هو باسم ربك الذي خلق كانه قيل له اقرأ
هذا اللفظ والعلق جمع علقة وهي القطعة اليسيرة من الدم والانسان هنا اسم جنس ثم قال تعالى
اقرأ وربك الاكرم على جهة التانيس كانه يقول امض لما امرت به وربك ليس كهذه الارباب بل هو
الاكرم الذي لا يلحقه نقص ثم عدد تعالى نعمة الكتاب بالقلم على الناس وهي من اعظم النعم وعلم الانسان
ما لم يعلم قيل هو ادم وقيل هو اسم جنس وهو الاظهر وقوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى الى اخر السورة

نزلت

نزلت في ابي جهل وذلك انه طغى لغناه وكثرة من يغشى ناديه فناصب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونهاه عن الصلاة في المسجد وقال لئن رايت محمدا يسجد عند الكعبة لاطان على عنقه فيروى
ان النبي صلى الله عليه وسلم رد عليه القول وانتهره وعبارة الداودي فتهدده النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ابو جهل اتهددني اما والله اني اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت الاية انتهى وكلا رد على ابي جهل
ويتجه ان تكون بمعنى حقا والضمير في راه للانسان المذكور كانه قال ان راى نفسه غنيا وهي رؤية
قلبية ولذلك جاز ان يعمل فعل الفاعل في نفسه كما تقول وجدتني وظننتني ثم حقر تعالى غنى هذا الانسان
وحاله بقوله ان الى ربك الرجعى اي الحشر والبعث يوم القيامة وفي هذا الخبر وعيد للطاغين
من الناس ثم صرح بذكر الناهي لمحمد عليه السلام ولا خلاف ان الناهي ابو جهل وان العبد
المصلي هو محمد صلى الله عليه وقوله تعالى الم يعلم بان الله يرى اكمال للتوبيخ والوعيد بحسب التوقيفات
الثلاث يصلح مع كل واحد منها قلت وفي قوله تعالى الم يعلم بان الله يرى ما يثير الهمم الراكدة ويسيل
العيون الجامدة ويبعث على الحياء والمراقبة قال الغزالي اعلم ان الله مطلع على ضميرك ومشرف على ظاهرك وباطنك
فتادب ايها المسكين ظاهرا وباطنا بين يديه سبحانه واجتهد ان لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك ولا
تدع عنك التفكر في قرب الاجل وحلول الموت القاطع للامل وخروج الامر من الاختيار وحصول الحسرة
والندامة بطول الاغترار انتهى ثم توعده تعالى ان لم ينته ليؤخذن بناصيته فيجر الى جهنم ذليلا والسفع
الجذب بشدة ناصية الفرس اذا جذبها مذللة وقال بعض العلماء بالتفسير معناه لنحرقن من قولهم سفعته النار
واكتفى بذكر الناصية لدلالتها على الوجه والراس والناصية مقدم شعر الراس ثم ابدل النكرة من
المعرفة في قوله ناصية كاذبة ووصفها بالكذب والخطا من حيث هي صفة لصاحبها فليدع ناديه
اي اهل مجلسه والنادي والندي المجلس ومنه دار الندوة وقال البخاري قال مجاهد ناديه عشيرته
وقوله سندع الزبانية اي ملائكة العذاب ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم كلا لا تطعه
اي لا تلتفت الى نهيه وكلامه واسجد لربك واقترب اليه بسجودك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد
من ربه اذا سجد فاكثروا من الدعاء في السجود فقمن ان يستجاب لكم وروى ابن وهب عن جماعة من اهل
العلم ان قوله واسجد خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وان واقترب خطاب لابي جهل اي ان كنت تجترئ
حتى ترى كيف تهلك قلت والتاويل الاول اظهر يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد
من ربه وهو ساجد وعن ربيعة بن كعب الاسلمي قال كنت ابيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته
بوضوئه وحاجته فقال لي سل فقلت اسالك مرافقتك في الجنة قال او غير ذلك قلت هو ذاك
قال فاعني على نفسك بكثرة السجود رواه الجماعة الا البخاري ولفظ الترمذي كنت ابيت عند باب
النبي صلى الله عليه وسلم فاعطيه وضوءه فاسمعه الهوي من الليل يقول سمع الله لمن حمده واسمعه
الهوي من الليل يقول الحمد لله رب العالمين قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وليس لربيعة
في الكتب الستة سوى هذا الحديث انتهى من السلاح وروي ان ابا جهل جاء والنبي صلى الله عليه
وسلم يصلي فهم بان يصل اليه ويمنعه من الصلاة ثم كع وولى ناكصا على عقبيه متقيا بيديه
فقيل له ما هذا فقال لقد عرض بيني وبينه خندق من نار وهول واجنحة فروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لو دنا مني لاخذته الملائكة عيانا قلت ولما لم ينته عدو الله اخزاه
الله يوم بدر وامكن منه وذكر الوائلي الحافظ في كتاب الابانة له من حديث مالك بن معول

عن نافع عن ابن عمر قال بينا أسير بجنبات بدر اذ خرج رجل من الأرض في عنقه سلسلة يمسك طرفها اسود فقال يا عبد الله اسقني فقال ابن عمر لا ادري اعرف اسمي او كما يقول يا عبد الله فقال لي الأسود لا تسقه فانه كافر ثم اجتذبه فدخل الأرض قال ابن عمر فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال او رايته ذلك عدو الله ابو جهل بن هشام وهو عذابه الى يوم القيامة انتهى من تذكرة القرطبي وقد ذكرت هذه الحكاية عن ابي عمر بن عبد البر بأتم من هذا عند قوله تعالى فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا الآية

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

سورة انا انزلناه في ليلة القدر ابن عباس هي مدنية وقال قتادة هي مكية والضمير في انزلناه للقرآن قال الشعبي وغيره انا ابتدانا انزال هذا القرآن اليك في ليلة القدر وقد روي ان نزول الملك في حراء كان في العشر الأواخر من رمضان فيستقيم هذا التأويل وقال ابن عباس وغيره انزله الله تعالى ليلة القدر الى سماء الدنيا جملة ثم نجمه على محمد صلى الله عليه وسلم عشرين سنة وليلة القدر خصها الله تعالى بفضل عظيم وجعلها افضل من الف شهر لا ليلة قدر فيها قاله مجاهد وخصت هذه الأمة بهذه الفضيلة لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم أعمار أمته وتقاصرها وخشي ان لا يبلغوا من الأعمال مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله عز وجل ليلة القدر خير من الف شهر قال ابن العربي في أحكامه وقد روى مالك هذا الحديث ثبت ذلك من رواية ابن القاسم وغيره انتهى ثم فخمها سبحانه بقوله وما ادراك ما ليلة القدر قال ابن عيينة في صحيح البخاري ما كان في القرآن وما ادراك فقد اعلمه وما قال وما يدريك فانه لم يعلم وذكر ابن عباس وغيره انها سميت ليلة القدر لان الله تعالى يقدر فيها الأرزاق والآجال وحوادث العالم كلها ويدفع ذلك الى الملائكة لتمتثله قال ع وليلة القدر مستديرة في اوتار العشر الأواخر من رمضان هذا هو الصحيح المعول عليه وهي في الأوتار بحسب الكمال والنقصان في الشهر فينبغي لمرتقبها ان يرتقبها من ليلة عشرين في كل ليلة الى آخر الشهر وصح عن أبي بن كعب وغيره انها ليلة سبع وعشرين تنبيه لخبر تعالى ان ليلة القدر خير من الف شهر وهي ثمانون سنة وثلاثة اعوام وثلث عام وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه والروح هو جبريل عليه السلام وقيل هم صنف حفظة للملائكة قاله الفخر وذكروا في الروح اقوالا احدها انه ملك عظيم لو التقم السموات والأرض كان ذلك له لقمة ولحن وقيل الروح طائفة من الملائكة لا يراهم الملائكة الا ليلة القدر كالزهاد الذين لا نراهم الا يوم عيد وقيل خلق من خلق الله يأكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الانس ولعلهم خدم اهل الجنة وقيل الروح اشرف الملائكة وقال ابن ابي نجيح الروح هم الحفظة الكرام الكاتبون والأصح ان الروح هاهنا هو جبريل وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه انتهى قوله تعالى باذن ربهم من كل امر الثعلبي اي بكل امر قدره الله وقضاه في تلك السنة الى قابل قاله ابن عباس ثم تبتدي فتقول سلام هي ويحتمل ان يريد من كل فتنة سلامة انتهى قال ع وعلى هذا التأويل يجيء سلام خبر مبتدا مستانفا اي سلام هي هذه الليلة الى اول يومها ثم ذكر ما تقدم وقال الشعبي ومنصور سلام بمعنى التحية اي تسلم الملائكة على المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

سورة لم يكن مكية في قول الجمهور وقيل مدنية والأول اشهر وفي حرف ابن مسعود لم يكن المشركون واهل الكتاب منفكين قوله تعالى منفكين معناه منفصلين

منفكين تقول انفك الشيء من الشيء اذا انفصل عنه وما انفك التي هي من اخوات كان فلا مدخل لها هاهنا قال مجاهد وغيره لم يكونوا منفكين عن الكفر والضلال حتى جاءتهم البينة واوقع المستقبل موقع الماضي في تأتيهم والبينة محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه قال الثعلبي والمشركين يعني من العرب وهم عبدة الأوثان انتهى وقال الفراء وغيره لم يكونوا منفكين عن معرفة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والتوكف لأمره حتى جاءتهم البينة فتفرقوا عند ذلك ويتجه في معنى الآية قول ثالث بارع المعنى وذلك ان يكون المراد لم يكن هؤلاء القوم منفكين من امر الله ونظره لهم حتى يبعث اليهم رسولا تقوم عليهم به الحجة وتتم على من آمن به النعمة فكأنه قال ما كانوا ليتركوا سدى والصحف المطهرة القرآن في صحفه قاله قتادة والضحاك وقال الحسن الصحف المطهرة في السماء فيها كتب اي احكام كتب وقيمة معناه قائمة معتدلة آخذة للناس بالعدل ثم ذم تعالى اهل الكتاب في انهم لم يتفرقوا في امر محمد الا من بعد ما رأوا الآيات الواضحة وكانوا من قبل متفقين على نبوته وصفته وحنفاء جمع حنيف وهو المستقيم وذكر الزكاة مع ذكر بني اسرائيل يقوي قول من قال السورة مدنية لان الزكاة انما فرضت بالمدينة ولان النبي صلى الله عليه وسلم انما دفع الى مناقضة اهل الكتاب بالمدينة وقرأ الجمهور وذلك دين القيمة على معنى الجماعة او الفرقة القيمة ص قراءة الجمهور وذلك دين القيمة على تقدير الأمة القيمة اي المستقيمة او الكتب القيمة وقرأ عبد الله وذلك الدين القيمة بتعريف الدين ووقع القيمة صفة والهاء فيه للمبالغة او على تأويل ان الدين بمعنى الملة انتهى والبرية جميع الخلق لان الله تعالى براهم اي اوجدهم بعد العدم وقوله تعالى رضي الله عنهم قيل ذلك في الدنيا فرضاه عنهم هو ما اظهره عليهم من امارات رحمته ورضاهم عنه هو رضاهم بجميع ما قسم لهم من جميع الأرزاق والأقدار قال بعض الصالحين رضا العباد عن الله رضاهم بما يرد من احكامه ورضاه عنهم ان يوفقهم للرضا عنه وقال سري السقطي اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تطلب منه ان يرضى عنك وقيل ذلك في الآخرة وخص تعالى بالذكر اهل الخشية لأنها رأس كل بركة وهي الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

سورة الزلزلة مكية قاله ابن عباس وغيره وقال قتادة ومقاتل هي مدنية وقد تقدم معنى الزلزلة والأثقال الموتى قاله ابن عباس وقيل اخرجت موتاها وكنوزها وقول الانسان ما لها هو على معنى التعجب من هول ما يرى قال الجمهور الانسان هنا الكافر وقيل عام في المؤمن والكافر واخبار الارض قال ابن مسعود وغيره هو شهادتها بما عمل عليها من عمل صالح وفاسد ويؤيد هذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم لا يسمع مدى صوت المؤذن انس ولا جن ولا شيء الا شهد له يوم القيامة قلت وخرج الترمذي في جامعه عن ابي هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد او امة بما عمل على ظهرها تقول عمل علي كذا وكذا يوم كذا وكذا فهذه اخبارها قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى وكذا رواه ابو بكر بن الخطيب وفيه عمل علي في يوم كذا وكذا وفي يوم كذا وكذا قوله تعالى بأن ربك اوحى لها الباء باء السبب وقال ابن عباس وغيره المعنى اوحى اليها قال ص المشهور بان اوحى يتعدى بالى وعدي هنا باللام مراعاة للفواصل وقال ابو البقاء لها بمعنى اليها انتهى وقوله سبحانه يومئذ يصدر الناس اشتاتا بمعنى ينصرفون من موضع ورودهم بالموت وصحه وكرهم

مختلفي الاحوال قال الجمهور ورودهم بالموت وصدورهم يوم القيامة للبعث والكل سائر
الى العرض ليرى عمله ويقف عليه وقيل الورود هو ورود المحشر والصدور اشتاتا هو صدر
قوم الى الجنة وقوم الى النار ليروا جزاء اعمالهم **قوله** جلت عظمته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الاية
كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي هذه الاية الجامعة الفاذة ويروى انه لما نزلت هذه السورة
بكى ابو بكر وقال يا رسول الله اواسال عن مثاقيل الذر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر
ما رايت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر لك مثاقيل ذر الخير الى الاخرة قال الداودي
بينما عمر ابن الخطاب بطريق مكة ليلا اذا ركب مقبلين من جهته فقال لبعض من معه سلهم من اين
اقبلوا فقال له احدهم من الفج العميق نريد البلد العتيق فاخبر عمر بذلك فقال او قعوا في هذا قل لهم
فما اعظم اية في كتاب الله واحكم اية في كتاب الله واعدل اية في كتاب الله وارجا اية في كتاب الله واخوف اية في
كتاب الله فقال له فقل لهم اعظم اية في كتاب الله اية الكرسي واحكم اية في كتاب الله ان الله يامر بالعدل
والاحسان واعدل اية في كتاب الله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وارجا اية
في كتاب الله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما واخوف
اية في كتاب الله من يعمل سوءا يجز به فاخبر عمر فقال سلهم افيكم ابن ام عبد فقالوا نعم وهو الذي كلمك
قال عمر كنيف ملئ علما اثر به اهل القادسية على انفسنا قال الداودي ومعنى اعظم اية يريد في الثواب
انتهى بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما
سورة والعاديات مكية في قول جماعة وقيل مدنية قال ابن عباس وغيره المراد بالعاديات الخيل لانها تعدو
بالفرسان وتضبح باصواتها وعن ابن مسعود وعلي ان العاديات هنا الابل لانها تضبح في عدوها قال علي
رضي الله عنه والقسم بالابل العاديات من عرفة ومن مزدلفة اذا دفع الحاج وبابل غزوة بدر **و**الضبح صوت
جهير عند العدو وقال الداودي وهو الصوت الذي يسمع من اجوافها وقت الركض انتهى **و**قوله تعالى فالموريات
قدحا قال علي وابن مسعود هي الابل وذلك انها في عدوها ترجم الحصى فيتطاير منه النار فذلك القدح
وقال ابن عباس هي الخيل وذلك بحوافرها في الحجارة وقال ابن عباس وجماعة عنه الكلام عام يدخل في القسم كل من يظهر
بقدحه نارا **و**قوله فالمغيرات صبحا ابو البقاء مصدر موكد لان الموري هو القادح انتهى فالمغيرات صبحا قال علي وابن
مسعود هي الابل من مزدلفة الى منى وفي بدر وقال ابن عباس وجماعة عنه كثيرة هي الخيل واللفظة من الغارة في
سبيل الله وغير ذلك من سير الامم وعرف الغارات انما تكون مع الصباح **و**النقع الغبار الساطع المثار
والضمير في به ظاهره انه للصبح المذكور ويحتمل ان يكون للمكان والموضع الذي يقتضيه المعنى ومشهور
ان النقع هو للخيل وقال علي هو هنا للابل فوسطن به جمعا قال علي وابن مسعود هي الابل وجمعا
هي المزدلفة وقال ابن عباس وجماعة عنه هي الخيل والمراد جمع من الناس هم المغزوون **و**القسم واقع على
ان الانسان لربه لكنود وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتدرون ما الكنود قالوا الله ورسوله
اعلم قال هو الكفور الذي ياكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده وقد يكون في المومنين الكفور
بالنعمة فتقدير الاية ان الانسان لربه لكنود وارض كنود لا تنبت شيا والكنود العاص بلغة كندة
ويقال للبخيل كنود وفي البخاري عن مجاهد الكنود الكفور انتهى **و**قوله تعالى وانه على ذلك لشهيد يحتمل الضمير
ان يعود على الله تعالى وقاله قتادة ويحتمل ان يعود على الانسان انه شاهد على نفسه بذلك وهذا قول
مجاهد وغيره **و**انه لحب الخير اي وان الانسان لحب الخير والمعنى من اجل حب الخير لشديد اي بخيل بالمال

بالحصى

يومئذ يجري البعض في بعض انتهى والمبثوث هنا معناه المتفرق في جمعه وجملته موضحه

بالمال ضابط له **و**الخير هنا المال ويحتمل ان يراد هنا الخير الدنيوي من مال وصحة وجاه عند
الملوك ونحوه لان الكفار والجهال لا يعرفون غير ذلك فاما الحب في خير الاخرة فممدوح مرجو له
الفوز وقال الفراء معنى الاية وان الانسان لشديد الحب للخير ولما تقدم الحب قيل شديد وحذف من اخره
لانه قد جرى ذكره ولرؤس الاي انتهى **و**قوله تعالى افلا يعلم توقيف اي افلا يعلم ماله ومصيره
فيستعد له **و**حصل ما في الصدور اي ميز وابرز ما فيها ليقع الجزاء عليه ويفسر هذا قوله صلى
الله عليه وسلم يبعثون على نياتهم وقوله تعالى ان ربهم بهم يومئذ لخبير وعيد **ص** العامل في يومئذ
لخبير على تضمينه معنى المجازاة لانه تعالى خبير دائما انتهى بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم سورة القارعة مكية بلا خلاف قال الجمهور
القارعة القيامة نفسها **و**الفراش الطير الذي يتساقط في النار لا يزال يتقحم على المصباح وقال الفراء
هو صغير الجراد الذي ينتشر في الارض والهوا وفي البخاري كالفراش المبثوث كغوغاء الجراد يركب بعضه
بعضا كذلك الناس متصله **و**العهن هو الصوف **و**النفش خلخلة الاجزاء وتفريقها عن تراصها
وقوله تعالى فامه هاوية قال كثير من المفسرين المراد بالام نفس الهاوية وهذا كما يقال للارض
ام الناس لانها تؤويهم وقال ابو صالح وغيره المراد ام راسه لانهم يهوون على رؤسهم
وروى المبرد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل لا ام لك فقال يا رسول الله تدعوني الى الهدى
وتقول لا ام لك فقال صلى الله عليه وسلم انما اردت لا نار لك قال الله تعالى فامه هاوية
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما
سورة التكاثر مكية **قوله** تعالى الهاكم التكاثر اي اشغلكم المباهاة والمفاخرة بكثرة المال
والاولاد والعدد وهذا هجير ابناء الدنيا العرب وغيرهم لا يتخلص منه الا العلماء المتقون
قال الفخر فالالف واللام في التكاثر ليس للاستغراق بل للمعهود السابق في الذهن وهو التكاثر
في الدنيا ولذاتها وعلائقها فانه هو الذي يمنع عن طاعة الله وعبوديته ولما كان ذلك مقررا
في العقول ومتفقا عليه في الاديان لا جرم حسن دخول التعريف عليه فالاية دالة على
ان التكاثر والتفاخر بما ذكر مذموم انتهى **و**قوله حتى زرتم المقابر اي حتى متم فدفنتم في المقابر
وهذا خبر فيه تقريع وتوبيخ وتحسر وفي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم يقول ابن
ادم مالي مالي وهل لك يا ابن ادم من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت قال
ص قرا الجمهور الهاكم على الخبر وابن عباس بالمد والكسائي بهمزتين ومعنى الاستفهام التوبيخ والتقرير
انتهى قال الفخر اعلم ان اهم الامور واولاها بالرعاية ترقيق القلب واذالة حب الدنيا منه ومشاهدة
القبور توارث ذلك كما ورد به الخبر انتهى **قوله** تعالى كلا سوف تعلمون زجر ووعيد ثم كرر
تاكيدا ويأخذ كل انسان من هذا الزجر والوعيد المكرر على قدر حظه من التوغل فيما يكره هذا
تاويل الجمهور وقال علي كلا ستعلمون في القبر ثم كلا ستعلمون في البعث قال الفخر وفي الاية
تهديد عظيم للعلماء فانها دالة على انه لو حصل اليقين لتركوا التكاثر والتفاخر فهذا يقتضي ان
من لا يترك التكاثر والتفاخر ان لا يكون اليقين حاصلا له فالويل للعالم الذي لا يكون عاملا
انتهى **قوله** تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين جواب لو محذوف تقديره لازدجرتم وبادرتم انقاذ
انفسكم من الهلكة **و**اليقين اعلى مراتب العلم ثم اخبر تعالى الناس انهم يرون الجحيم وقال

ابن عباس هذا الخطاب للمشركين والمعنى على هذا التأويل لترونها رؤية دخول وصلي وهو عين
اليقين لهم وقال آخرون الخطاب للناس كلهم فهو كقوله وان منكم الا واردها فالمعنى
ان الجميع يرونها ويجوز الناجي ويتكردس فيها الكافر ص لترون ابن عامر والكسائي بضم التاء والباقون
بفتحها انتهى وقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين تأكيد في الخبر وعين اليقين حقيقته وغايته
ثم اخبر تعالى ان الناس مسؤولون يومئذ عن نعيمهم في الدنيا كيف نالوه ولم آثروه وتتوجه
هذه الاسئلة كثيرة بحسب شخص شخص وهي منقادة لمن اعطي فهما في كتاب الله عز وجل وقد
قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه والذي نفسي بيده لتسألن عن نعيم هذا اليوم الحديث في الصحيح حين
اذ ذبح لهم ابو الهيثم بن التيهان شاة واطعمهم خبزا ورطبا واستعذب لهم ماء وعن ابي هريرة في
حديثه في مسير النبي صلى الله عليه وسلم هذا هو النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة وان ذلك كبر
على اصحابه وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اصبتم مثل هذا وضربتم بايديكم فقولوا
بسم الله وعلى بركة الله واذا شبعتم فقولوا الحمد لله الذي هو اشبعنا وأروانا وانعم علينا وافضل
فان هذا كفاف هذا مختصر ما رواه الحاكم في المستدرك انتهى من السلاح قال الداودي وعن الحسن وقتادة
ثلاث لا يسأل الله عنهن ابن آدم وما عداهن فيه الحساب والسؤال الا ما شاء الله كسوة يواري بها سوأته
وكسرة يشد بها صلبه وبيت يكنه من الحر والبرد انتهى بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم **سورة والعصر** مكية قال ابن عباس العصر الدهر
وقال مقاتل العصر هي صلاة العصر وهي الوسطى اقسم الله بها وقال ابي بن كعب سألت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اقسم ربك بآخر النهار والانسان اسم جنس والخسر النقصان وسوء الحال ومن كان من المؤمنين
في مدة عمره في التواصي بالحق والصبر والعمل بحسب الوصاة فلا خسر معه وقد جمع الخير كله
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما
سورة ويل لكل همزة مكية تقدم تفسير ويل والهمزة الذي يهمز الناس بلسانه اي يعيبهم ويغتابهم
واللمزة قريب في المعنى من هذا وقد تقدم بيانه في قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم وفي قوله والذين يلمزون
المطوعين وغيره قيل نزلت هذه الآية في الاخنس بن شريق وقيل في جميل بن عامر ثم هي تتناول كل من
اتصف بهذه الصفات وعدده معناه احصاه وحافظ على عدده ان لا ينتقص وقال الداودي وعدده
اي استعده انتهى لينبذن ليطرحن ص نار الله خبر مبتدأ محذوف اي هي نار الله انتهى والتي تطلع على
الافئدة اي التي يبلغ احراقها والمها القلوب ومؤصدة اي مطبقة معلقة في عمد جمع عمود وقرأ
ابن مسعود مؤصدة بعمد ممددة وقال ابن زيد المعنى في عمد حديد مغلولين بها والكل من نار
عافانا الله من ذلك بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما **سورة الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل** مكية باجماع هذه السورة
تنبيه على العبرة في اخذ الله تعالى لابرهة امير الحبشة حين قصد الكعبة ليهدمها وكان له فيل يركبه
وقصته شهيرة في السير فيها تطويل ومختصرها ان ابرهة بنى في اليمن بيتا واراد ان يرد اليه حج
العرب فذهب عربي واحدث في ذلك البيت فغضب ابرهة واحتفل في جموعه وركب الفيل وقصد
مكة فلما قرب منها فرت قريش الى الجبال والشعاب من معرة الجيش ثم تهيأ ابرهة لدخول مكة
وهيأ الفيل فاخذ نفيل بن حبيب باذن الفيل وكان اسمه محمودا فقال له ابرك محمود فانك في حرم الله

وابي بكر وعمر الى بيت ابي الهيثم واكلهم الرطب واللحم وشربهم الماء وقوله صلى الله عليه وسلم

عن والعصر م

وارجع من حيث جئت راشدا فبرك بذي المغمس فبعثوه فابى فضربوا راسه بالمعول وادموه بمحاجنهم
فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول فبعث الله عليهم طيرا جماعات سودا من البحر عند كل طائر
ثلاثة احجار في منقاره ورجليه كل حجر فوق العدسة ودون الحمصة ترميهم بها فماتوا في طريقهم
متفرقين وتقطع ابرهة انملة انملة حتى مات وحمى الله بيته والابابيل الجماعات تجيء شيئا بعد
شيء قال ابو عبيدة لا واحد له من لفظه قال الفخر وتضليل معناه في تضييع وابطال يقال ضلل كيده
اذا جعله ضالا ضائعا ونظيره قوله تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال انتهى والعصف ورق
الحنطة وتبنه والمعنى صاروا طحينا ذاهبا كورق حنطة اكلته الدواب وراثته فجمع لهم المهانة
والخسة والتلف قال الفخر وقيل المعنى كعصف صالح للاكل والمعنى جعلهم الله كتبن تأكله الدواب
وهو قول عكرمة والضحاك انتهى ومن كتاب رسائل الحاجات وآداب المناجاة للامام ابي حامد الغزالي
رحمه الله تعالى قال وقد بلغنا عن غير واحد من الصالحين وارباب القلوب انه من قرأ في ركعتي الفجر الاولى الم
والم نشرح وفي الثانية الفاتحة والم تر كيف قصرت يد كل عدو عنه ولم يجعل لهم سبيل قال الامام
ابو حامد وهذا صحيح لا شك فيه انتهى بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما **سورة لايلاف قريش** مكية وقريش ولد النضر بن كنانة والتقرش
التكسب والمعنى كانوا يرحلون في الصيف الى الطائف حيث الماء والظل ويرحلون في الشتاء الى مكة قال الخليل
معنى الآية لأن فعل الله بقريش هذا ومكنهم من الفهم هذه النعمة فليعبدوا رب هذا البيت **قوله** تعالى
من جوع معناه ان اهل مكة قاطنون بواد غير ذي زرع عرضة للجوع والجدب لولا فضل الله
عليهم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما
سورة ارأيت الذي يكذب بالدين مكية قوله تعالى ارأيت الذي يكذب بالدين الآية توقيف
وتنبيه لتتذكر نفس كل سامع كل من تعرفه بهذه الصفة والدين الجزاء ويدع اليتيم دفعه بعنف
اما عن اطعامه والاحسان اليه واما عن حقه وماله وهو اشد ويروى ان هذه الآية نزلت في
بعض المضطربين في الاسلام بمكة لم يحققوا فيه وفتنوا فافتتنوا وربما كانوا يصلي بعضهم احيانا مع المسلمين
مدافعة وحيرة فقال تعالى فيهم فويل للمصلين الآية ونقل الثعلبي عن ابن عباس وغيره ان الآية نزلت في
العاص بن وائل انتهى وقال السهيلي قال اهل التفسير نزل اول السورة بمكة في ابي جهل وهو الذي
يكذب بالدين ونزل آخرها بالمدينة في عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه وهم الذين يراؤون ويمنعون
الماعون انتهى قال سعد بن ابي وقاص سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم
ساهون فقال هم الذين يؤخرونها عن وقتها يريد والله اعلم تأخير ترك واهمال والى هذا نحا
وقال عطاء بن يسار الحمد لله الذي قال عن صلاتهم فلم يقل في صلاتهم وقوله تعالى الذين هم يراؤون بيان
ان صلاة هؤلاء ليست لله تعالى بايمان وانما هي رياء للبشر فلا قبول لها وقوله تعالى ويمنعون الماعون وصف
لهم بقلة النفع لعباد الله وتلك شر خصلة وقال علي وابن عمر الماعون الزكاة وقال ابن مسعود وابن
عباس وجماعة هو ما يتعاطاه الناس كالفأس والدلو والآنية والمقص ونحوه وسئل النبي صلى الله عليه
وسلم ما الشيء الذي لا يحل منعه فقال الماء والنار والملح ورويته عائشة رضي الله عنها وفي بعض الطرق
زيادة الابرة والخميرة قال النحاس والماعون المعروف كله وقال بعض العرب الماعون الماء وقال عكرمة
اعلاه الزكاة المفروضة وادناه عارية المتاع انتهى بسم الله الرحمن الرحيم

اثنا الله تعالى جعل قريشا يألفون رحلتين في العام واحدة في الشتاء والاخرى في الصيف قال ابن عباس م

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما **سورة انا اعطيناك الكوثر** مكية قال جماعة من الصحابة والتابعين الكوثر نهر في الجنة حافتاه قباب من لؤلؤ مجوف وطينه مسك وحصباؤه ياقوت ونحو هذا من صفاته وان اختلفت الفاظ رواته وقال ابن عباس الكوثر الخير الكثير قال ابن جبير النهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياه **قلت** وخرج مسلم عن انس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقال نزلت علي آنفا سورة فقرأ انا اعطيناك الكوثر الى آخرها ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترد عليه امتي يوم القيامة الحديث انتهى وخرج ابن ماجه من حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول من يرد على الحوض فقراء المهاجرين الدنسين ثيابا الشعث رؤوسا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد قال الراوي فبكى عمر بن عبد العزيز حتى اخضل لحيته حين بلغه الحديث وقال لاجرم اني لا اغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ ولا ادهن رأسي حتى يشعث وخرجه ابو عيسى الترمذي عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه ونقل صاحب التذكرة عن انس بن مالك قال اول من يرد على الحوض النبي صلى الله عليه وسلم الذابلون الناحلون السائحون الذين اذا جنهم الليل استقبلوه بالحزن انتهى من التذكرة وروى ابو داود في سننه عن ابي حمزة عن زيد بن ارقم قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ما انتم جزء من مائة الف جزء ممن يرد علي الحوض قال قلت كم كنتم يومئذ قال سبعمائة او ثمانمائة انتهى **قوله** تعالى فصل لربك وانحر امر بالصلاة على العموم **و**النحر نحر الهدي والنسك والضحايا على قول الجمهور **و**قوله تعالى ان شانئك هو الابتر رد على مقالة بعض سفهاء قريش كابي جهل وغيره قال عكرمة وغيره مات ولد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل بتر محمد فنزلت السورة وقال تعالى ان شانئك هو الابتر اي المقطوع المبتور من رحمة الله والشانئ المبغض قال الداودي كل شانئ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو ابتر ليس له يوم القيامة شفيع ولا حميم انتهى

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما **سورة قل يا ايها الكافرون** مكية لجماعة وروي في سبب نزولها عن ابن عباس ان جماعة من صناديد قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم دع ما انت فيه ونحن نمولك ونملكك علينا وان لم تفعل هذا فلتعبد آلهتنا ونعبد الهك حتى نشترك فحيث كان الخير نلنا جميعا وروي ان هذه الجماعة المذكورة هم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وامية بن خلف وابي بن خلف وابو جهل وابناء الحجاج ونظراؤهم ممن لم يكتب له الاسلام وختم بشقائهم فاخبرهم صلى الله عليه وسلم عن امر الله عز وجل انه لا يعبد ما يعبدون وانهم غير عابدين ما يعبد ولما كان قوله لا اعبد محتملا ان يراد به الآن ويبقى المستقبل منتظرا ما يكون فيه من عبادته جاء البيان بقوله ولا انا عابد ما عبدتم اي ابدا ثم جاء ما اعبد ثانيا حتما عليهم انهم لا يؤمنون به ابدا كالذي كشف الغيب ثم زاد الامر بيانا وتبريا منهم قوله لكم دينكم ولي دين وقال بعض العلماء في هذه الالفاظ مهادنة ما وهي منسوخة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما **سورة النصر** مدنية بالجماع روت عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة واسلمت العرب جعل يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك يتأول القرآن في هذه السورة وقال لها مرة ما اراه الا حضور اجلي وتأوله عمر والعباس بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وصدقهما ونزع هذا المنزع ابن عباس وغيره **و**الفتح فتح مكة كذا فسره صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم **و**الافواج الجماعة اثر الجماعة **ص** فسبح بحمد ربك اي متلبسا فالباء للحال انتهى **و**قوله تعالى انه كان توابا يعقب واستغفر

قوله ولا انتم عابدون م

ترجيه

ترجية عظيمة للمستغفرين قال ابن عمر نزلت هذه السورة على النبي صلى الله عليه وسلم بمنى في اوسط ايام التشريق في حجة الوداع وعاش بعدها ثمانين يوما او نحوها

بسم الله الرحمن الرحيم **سورة تبت يدا ابي لهب** مكية بالجماع وفي صحيح البخاري وغيره عن ابن عباس لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا فاجتمعوا اليه فقال أرأيتم ان اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك ما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت هذه تبت يدا ابي لهب الى آخرها **و**تبت معناه خسرت **و**التباب الخسران والدمار واسند ذلك الى اليدين من حيث ان اليد موضع الكسب والربح وضم ما يملك ثم اوجب عليه انه قد تب اي حتم ذلك عليه وفي قراءة ابن مسعود وقد تب **و**ابو لهب هو عبد العزى ابن عبد المطلب وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم ولكن سبقت له الشقاوة قال السهيلي وكناه الله بابي لهب لما خلقه سبحانه للهب واليه مصيره الا تراه تعالى قال سيصلى نارا ذات لهب فكانت كنيته بابي لهب تقدمة لما يصير اليه من اللهب انتهى **و**قوله سبحانه ما اغنى عنه ماله يحتمل ان تكون ما نافية على معنى الخبر ويحتمل ان تكون ما استفهامية على وجه التقرير اي اين الغناء الذي لماله وكسبه **و**ما كسب يراد به عرض الدنيا من عقار ونحوه وقيل كسبه بنوه **و**قوله سبحانه سيصلى نارا ذات لهب حتم عليه بالنار واعلام بانه يوافي على كفره نعوذ بالله من سوء القضاء ودرك الشقاء **و**قوله تعالى وامرأته حمالة الحطب هي ام جميل اخت ابي سفيان ابن حرب وكانت مؤذية للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بلسانها وغاية قدرتها وكانت تطرح الشوك في طريق النبي صلى الله عليه وسلم وطرق اصحابه ليعقرهم فلذلك سميت حمالة الحطب قاله ابن عباس وقيل هو استعارة لذنوبها قاله ابن عباس ايضا قال عبد بن حميد قال كانت تحمل الحطب تضع العضاه وتجمع الشوك على طريق النبي صلى الله عليه وسلم وكانما يطأ ها كثيبا اهيل انتهى **ص** قال ابن عباس وجماعة ان الاشارة الى الحبل حقيقة الذي ربطت به الشوك **و**المسد الليف وقيل ليف المقل وفي صحيح البخاري يقال من مسد ليف المقل وهي السلسلة التي في النار انتهى وروي في الحديث ان هذه السورة لما نزلت وقرئت بلغت ام جميل فجاءت ابا بكر وهو جالس مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد وبيدها فهر حجر فاخذ الله ببصرها وقالت يا ابا بكر بلغني ان صاحبك هجاني ولو وجدته لضربته بهذا الفهر واني لشاعرة وقد قلت فيه مذمما قلينا ودينه ابينا فسكت ابو بكر ومضت هي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد حجبتني عنها ملائكة فما راتني وكفى الله شرها

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما **سورة قل هو الله احد** قيل مكية وقال ابن عباس مدنية وان اليهود دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له يا محمد صف لنا ربك وانسبه فانه وصف نفسه في التوراة ونسبها فارتعد النبي صلى الله عليه وسلم من قولهم حتى خر مغشيا عليه ونزل جبريل بهذه السورة **و**احد معناه واحد فرد من جميع جهات الوحدانية ليس كمثله شيء **و**هو ابتداء والله ابتداء ثان واحد خبره والجملة خبر الاول وقيل هو ابتداء والله خبره واحد بدل منه وقرأ عمر بن الخطاب وغيره قل هو الله الواحد الصمد **و**الصمد في كلام العرب السيد الذي يصمد اليه في الامور ويستقل بها وانشدوا الا بكر الناعي بخيري بني اسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد وبهذا تفسر هذه الآية لان الله تعالى جلت قدرته هو موجد الموجودات واليه تصمد وبه قوامها سبحانه

وتعالى وقوله تعالى لم يلد ولم يولد رد على اشارة الكفار في النسب الذي سألوه وقال ابن عباس تفكروا في كل شيء ولا تتفكروا في ذات الله قال ع لان الافهام تقف دون ذلك حسيرة و قوله سبحانه ولم يكن له كفوا احد معناه ليس له ضد ولا ند ولا شبيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير و الكفو النظير و كفوا خبر كان واسمها احد قال ص وحسن تأخير اسمها لوقوعه فاصلة وله متعلق بكفوا اي لم يكن احد كفوا له وقدم اهتماما به لاشتماله على ضمير الباري سبحانه انتهى وفي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ان قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن قال ع لما فيها من التوحيد وروى ابو محمد الدارمي في مسنده قال حدثنا عبد الله بن مزيد حدثنا حيوة قال اخبرنا ابو عقيل انه سمع سعيد بن المسيب يقول ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله احد عشر مرات بني له قصر في الجنة ومن قرأها عشرين مرة بني له قصران في الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بني له ثلاث قصور في الجنة فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا تكثر قصورنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اوسع من ذلك اي فضل الله اوسع من ذلك قال الدارمي ابو عقيل هو زهرة بن معبد وزعموا انه من الابدال انتهى من التذكرة بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

سورة المعوذة الاولى

قال ابن عباس مدنية وقال قتادة مكية قوله عز وجل قل اعوذ برب الفلق الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو وآحاد امته قال ابن عباس وغيره الفلق الصبح وقال ابن عباس ايضا وجماعة من الصحابة الفلق جب في جهنم ورواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم و قوله تعالى من شر ما خلق يعم كل موجود له شر والخلق الغاسق فقال ابن عباس وغيره الغاسق الليل و وقب اظلم ودخل على الناس وفي الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا الغاسق اذا وقب رواه الترمذي والنسائي والحاكم في المستدرك واللفظ للترمذي وقال حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الاسناد ووقب القمر وقوبا دخل في الظل الذي يكسفه قاله ابن سيدة انتهى من السلاح و النفاثات في العقد السواحر ويقال ان الاشارة اولا الى بنات لبيد بن الاعصم اليهودي كن ساحرات وهن اللواتي سحرن مع ابيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم و النفث شبه النفخ دون تفل ريق وهذا النفث هو على عقد تعقد في خيوط ونحوها على اسم المسحور فيؤذي بذلك قال وهذا الشأن موجود في زماننا شائع في صحراء المغرب وحدثني ثقة انه رأى عند بعضهم خيطا احمر قد عقدت فيه عقد على فصلان فمنعت بذلك رضاع امهاتها فكان اذا حل عقدة جرى ذلك الفصيل الى امه في الحين فرضع اعاذنا الله من شر السحر والسحرة و قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد قال قتادة من شر عينه ونفسه يريد بالنفس السعي الخبيث وقال الحسين بن الفضل ذكر الله تعالى الشرور في هذه السورة ثم ختمها بالحسد ليعلم انه اخس الطبائع بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

سورة المعوذة الثانية

قال ابن عباس وغيره هي مدنية وقال قتادة هي مكية قوله عز وجل قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس و الوسواس اسم من اسماء الشيطان و قوله الخناس معناه الراجع على عقبه المستتر احيانا اذا ذكر العبد الله تعالى وتعوذ وتذكر فابصر كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف الاية قال النووي قال بعض العلماء يستحب قول لا اله الا الله لمن ابتلي بالوسوسة في الوضوء والصلاة وشبههما فان الشيطان اذا سمع الذكر خنس اي تأخر وبعد ولا اله الا الله رأس الذكر ولذلك اختار السادة الجلة من صفوة هذه الامة اهل تربية السالكين وتأديب المريدين

قول لا اله الا الله لاهل الخلوة وامروهم بالمداومة عليها وقال انفع علاج في دفع الوسوسة الاقبال على ذكر الله تعالى والاكثار منه وقال السيد الجليل احمد بن ابي الحواري شكوت الى ابي سليمان الداراني الوسواس فقال اذا اردت ان ينقطع عنك فاي وقت احسست به فافرح فانك اذا فرحت به انقطع عنك لانه ليس شيء ابغض الى الشيطان من سرور المؤمن وان اغتممت به زادك قلت وهذا مما يؤيد ما قاله بعض الائمة ان الوسواس انما يبتلى به من كمل ايمانه فان اللص لا يقصد بيتا خربا انتهى قلت ورأيت في مختصر الطبري نحو هذا و قوله تعالى من الجنة يعني الشياطين ويظهر ان يكون قوله والناس يراد به من يوسوس بخدعه من البشر ويدعو الى الباطل فهو في ذلك كالشيطان قال احمد بن نصر الداودي وعن ابن جريج من الجنة والناس قال انهما وسواسان فوسواس من الجنة ووسواس من نفس الانسان انتهى وفي الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما من رأسه ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما يقول العبد الفقير الى الله تعالى عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي لطف الله به في الدارين قد يسر الله عز وجل في اتمام تلخيص هذا المختصر وقد اودعته بحمد الله جزيلا من الدرر قد استوعبت فيه بحمد الله مهمات ابن عطية واسقطت كثيرا من التكرار وما كان من الشواذ في غاية الوهي وزدت من غيره جواهر ونفائس لا يستغنى عنها مميزة معزوة لمحالها منقولة بالفاظها وتوخيت في جميع ذلك الصدق والصواب والى الله ارغب في جزيل الثواب وقد نبهت بعض تنبيه وعرفت بايام رحلتي في طلب العلم بعض تعريف عند ختمي لتفسير سورة الشورى فلينظر هناك والله المسؤول ان يجعل هذا السعي منا خالصا لوجهه وعملا صالحا يقربنا الى مرضاته ومن وجد في هذا المختصر تصحيفا او خللا فارغب اليه ان يصلحه من الامهات المنقولة منها ذلك متثبتا لا برأيه وبديهة عقله نظم فكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم وكان الفراغ من تأليفه في الخامس عشر من ربيع الاول من عام ثلاثة وثلاثين وثمانمائة وانا ارغب الى كل من نظر فيه ان يخلص لي وله بدعوة صالحة وهذا الكتاب لا ينبغي ان يخلو عنه متدين ومحب لكلام ربه فانه يطلع فيه على فهم القرآن اجمع اقرب مدة لان الحبر كالعيان هذا مع ما خص به من كلام الائمة المحققين رضي الله عنهم نقلته عنهم بالفاظهم متحريا للصواب ومن الله ارجو حسن الثواب وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه اجمعين وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين يقول الفقير الى الله تعالى عبد الرحمن ابن محمد الثعالبي لطف الله به الحمد لله الذي بحمده يستفتح كل امر ذي بال وصلى الله على سيدنا محمد وآله خير صحب وآل اما بعد ايها الاخ اشرف الله قلبي وقلبك بانوار اليقين وجعلني واياك من عباده المتقين انه لما يسر الله على اكمال هذا المختصر وفرغت من تصحيحه وكثر الراغبون بحمد الله في تحصيله سألني بعض اخواني ان الحق به شرح ما وقع فيه من الغريب ليتم بذلك مقصود الكتاب والله الموفق بفضله للصواب فاجبتهم الى ذلك وزدت فيه بيان الفاظ وقعت في غيره يكثر في اللسان دورانها و يفتقر الطالب الى معرفتها وجلها مما وقع في الموطأ والبخاري ومسلم وغيرهما من الكتب الحسنة واعتمدت في ذلك وايضاحه على صحاح ابي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري المسمى بتاج اللغة وصحاح العربية ومختصر العين لابي بكر محمد بن حسن الزبيدي وشرح الغريبين غريب القرآن والحديث لابي عبيد احمد ابن محمد الهروي ومشارق الانوار لابي الفضل عياض اليحصبي وان نقلت شيئا من غيرهم عزوته لمن عنه نقلت

والله المسئول ان يوفقنا واياكم لمرضاته ويسكنا واياكم فسيح جناته ومن ينسخ هذا المختصر فلا بد له
ان يكتب معه هذه الاوراق التي في الغريب اذ بها تم المقصود من الكتاب ومن الله ارتجى حسن الثواب
باب حرف الهمزة قال الجوهري الارب العضو يقال السجود على سبعة آراب
والارب الدها وهو من العقل والاريب العاقل والارب ايضا الحاجة وتاهب استعد
واهبة الحرب عدتها و الاجيج تلهب النار و التاريخ تعريف الوقت
والتوريخ مثله وارخت الكتاب بيوم كذا وورخته
بمعنى و الادرة نفخة في الخصية يقال رجل
ادر بين الادرة و اسرفته يا سرم اسرا
شدة بالاسار وهو القد وهذا
الشي لك باسره اي بقده
الى هنا وجد في النسخة
الاصلية غفر الله
لناسخه ولقاريه
ومستنسخه
بفضله وكرمه انه على ما يشاء قدير
وبالاجابة جدير والحمد لله
وحده

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
وكفى عبده